

سورة فاتحة الكتاب

مكية. وقيل: مكية ومدنية لأنها نزلت بمكة مرة وبالمدينة أخرى. وتسمى أم القرآن؛ لاشتمالها على المعاني التي في القرآن من الشاء على الله تعالى بما هو أهله، ومن التعبد بالأمر والنهي، ومن الوعد والوعيد. وسورة الكنز والوافية لذلك. وسورة الحمد والمثاني لأنها تشتمل في كل ركعة. وسورة الصلاة لأنها تكون فاضلة أو مجزئة بقراءتها فيها. وسورة الشفاء والشفافية. وهي سبع آيات بالاتفاق، إلا أن منهم من عد { أنعمت عليهم } دون التسمية، منهم من مذهبه على العكس.

{ بسم الله الرحمن الرحيم (١) }

قراء المدينة والبصرة والشام وفقهاؤها على أن التسمية ليست بآية من الفاتحة ولا من غيرها من السور، وإنما كتبت للفصل والتبرك بالابتداء بها، كما بدىء بذكرها في كل أمر ذي بال، وهو مذهب أبي حنيفة رحمه الله ومن تابعه، ولذلك لا يجهر بها عندهم في الصلاة. وقراء مكة والكوفة وفقهاؤهما على أنها آية من الفاتحة ومن كل سورة، وعليه الشافعي وأصحابه رحمهم الله، ولذلك يجهرون بها. وقالوا: قد أثبتها السلف في المصحف مع توصيتهم بتجريد القرآن، ولذلك لم يشبوا { آمين } فلولاً أنها من القرآن لما أثبتوها. وعن ابن عباس: "من تركها فقد ترك مائة وأربع عشرة آية من كتاب الله تعالى".

فإن قلت: بم تعلق الباء؟ قلت: بمحذوف تقديره: بسم الله اقرأ أو أتلو لأن الذي يتلو التسمية مقروء، كما أن المسافر إذا حل أو ارتحل فقال: بسم الله والبركات، كان المعنى: بسم الله أحل وبسم الله ارتحل؛ وكذلك الذابح وكل فاعل يبدأ في فعله بـ "بسم الله" كان مضمر ما جعل التسمية مبدأ له. ونظيره في حذف متعلق الجار قوله عز وجل: { في تسع آيات إلى فرعون وقومه } (النمل: ١٢)، أي اذهب في تسع آيات. وكذلك قول العرب

في الدعاء للمعسر: بالرفاء والبنين، وقول الأعرابي: باليمن والبركة، بمعنى أعرست، أو نكحت. ومنه قوله:

فقلت إلى الطعام فقال منهم ... فريق نحسد الإنس الطعاما

فإن قلت: لم قدرت المحذوف متأخرا؟ قلت: لأن الأهم من الفعل والمتعلق به هو المتعلق به؛ لأنهم كانوا يبدءون بأسماء آلهتهم فيقولون: باسم اللات، باسم العزى، فوجب أن يقصد الموحّد معنى اختصاص اسم الله عز وجل بالابتداء، وذلك بتقديمه وتأخير الفعل كما فعل في قوله: { إياك نعبد }، حيث صرح بتقديم الاسم إرادة للاختصاص. والدليل عليه قوله: { بسم الله مجراها ومرساها } (هود: ٤١). فإن قلت: فقد قال: { اقرأ باسم ربك } (العلق: ١)، فقدّم الفعل. قلت: هناك تقديم الفعل أوقع لأنها أول سورة نزلت فكان الأمر بالقراءة أهم. فإن قلت: ما معنى تعلق اسم الله بالقراءة؟ قلت: فيه وجهان: أحدهما أن يتعلق بها تعلق القلم بالكتابة في قولك: كتبت بالقلم، على معنى أن المؤمن لما اعتقد أن فعله لا يجيء معتدا به في الشرع واقعا على السنة حتى يصدر بذكر اسم الله لقوله عليه الصلاة والسلام: (١) "كل أمر ذي بال لم يبدأ فيه باسم الله فهو أبتر" إلا كان فعلا كالا فعل، جعل فعله مفعولا باسم الله كما يفعل الكتب بالقلم. والثاني أن يتعلق بها تعلق الدهن بالإنبات في قوله: { تنبت بالدهن } (المؤمنون: ٢٠) على معنى: متبركا بسم الله أقرأ، وكذلك قول الداعي للمعرس: بالرفاء والبنين، معناه أعربت ملتبسا بالرفاء والبنين، وهذا الوجه أعرب وأحسن؛ فإن قلت: فكيف قال الله تبارك وتعالى متبركا باسم الله أقرأ؟ قلت: هذا مقول على ألسنة العباد، كما يقول الرجل الشعر على لسان غيره، وكذلك: { الحمد لله رب العالمين } إلى آخره، وكثير من القرآن على هذا المنهاج، ومعناه تعليم عباده كيف يتبركون باسمه، وكيف يحمّدونه ويمجدونه ويعظمونه.

(٢/١)

فإن قلت: من حق حروف المعاني التي جاءت على حرف واحد أن تبني على الفتحة التي هي أخت السكون، نحو كاف التشبيه ولام الابتداء ووو العطف وفائه وغير ذلك، فما بال لام

الإضافة وبائها بنيتا على الكسر؟ قلت: أما اللام فللفصل بينها وبين لام الابتداء، وأما الباء فلكونها لازمة للحرفية والجبر، والاسم أحد الأسماء العشرة التي بنوا أوائلها على السكون، فإذا نطقوا بها مبتدئين زادوا همزة، لئلا يقع ابتداءهم بالسكان إذا كان دأبهم أن يبتدئوا بالمتحرك ويقفوا على السكان، لسلامة لغتهم من كل لكنة وبشاعة، ولوضعها على غاية من الإحكام والرصانة، وإذا وقعت في الدرج لم تفتقر إلى

زيادة شيء. ومنهم من لم يزدنها واستغنى عنها بتحريك الساكن، فقال: سم وسم. قال:
باسم الذي في كل سورة سمه

وهو من الأسماء المحذوفة الأعجاز: كيد ودم، وأصله: سمو، بدليل تصريفه: كأسماء،
وسمي، وسميت. واشتقاقه من السمو، لأن التسمية تنويه بالمسمى وإشادة بذكره، ومنه قيل
للقب النيز: من النيز بمعنى النبر، وهو رفع الصوت. والنيز قشر النخلة الأعلى. فإن
قلت: فلم حذفت الألف في الخط وأثبتت في قوله: باسم ربك؟ قلت: قد اتبعوا في حذفها
حكم الدرج دون الابتداء الذي عليه وضع الخط لكثرة الاستعمال، وقالوا: طولت الباء
تعويضا من طرح الألف. وعن عمر بن عبد العزيز أنه قال لكاتبه: طول الباء وأظهر
السنوات ودور الميم. و(الله) أصله الإله. قال:
معاذ الإله أن تكون كظبية
ونظيره: الناس، أصله الأناس. قال

(٣/١)

فحذفت الهمزة وعوض منها حرف التعريف، ولذلك قيل في النداء: يا الله بالقطع، كما
يقال: يا إله، والإله - من أسماء الأجناس كالرجل والفرس - اسم يقع على كل معبود
بحق أو باطل، ثم غلب على المعبود بحق، كما أن النجم اسم لكل كوكب ثم غلب على
الثريا، وكذلك السنة على عام القحط، والبيت على الكعبة، والكتاب على كتاب سيبويه.
وأما (الله) بحذف الهمزة فمختص بالمعبود بالحق، لم يطلق على غيره. ومن هذا الاسم
اشتق: تأله، وأله، واستأله. كما قيل: استنوق، واستحجر، في الاشتقاق من الناقة

والحجر. فإن قلت: أسم هو أم صفة؟ قلت: بل اسم غير صفة، ألا تراك تصفه ولا تصف به،
لا تقول: شيء إله، كما لا تقول: شيء رجل. وتقول: إله واحد صمد، كما تقول: رجل كريم
خير. وأيضا فإن صفاته تعالى لا بد لها من موصوف تجري عليه، فلو جعلتها كلها صفات
بقيت غير جارية على اسم موصوف بها وهذا محال. فإن قلت: هل لهذا الاسم اشتقاق؟
قلت:

معنى الاشتقاق أن ينتظم الصيغتين فصاعدا معنى واحد

(٤/١)

وصيغة هذا الاسم وصيغة قولهم: أله، إذا تحير، ومن أخواته: دله، وعله، ينتظمهما معنى
التحير والدهشة، وذلك أن الأوهام تنحير في معرفة المعبود وتدهش الفطن، ولذلك كثر

الضلال، وفشا الباطل، وقل النظر الصحيح. فإن قلت: هل تفخم لأمه؟ قلت: نعم قد ذكر الزجاج أن تفخيمها سنة، وعلى ذلك العرب كلهم، وإطباقهم عليه دليل أنهم ورثوه كابرا عن كابر. و(الرحمن) فعلان من رحم، كغضبان وسكران، من غضب وسكر، وكذلك الرحيم فعيل

منه، كمريض وسقيم، من مرض وسقم، وفي (الرحمن) من المبالغة ما ليس في (الرحيم)، ولذلك قالوا: رحمان الدنيا والآخرة، ورحيم الدنيا، ويقولون: إن الزيادة في البناء لزيادة المعنى. وقال الزجاج في الغضبان: هو الممتلىء غضبا. ومما طن على أذني من ملح العرب أنهم يسمون مركبا من مراكبهم بالشقذف، وهو مركب خفيف ليس في ثقل محامل العراق، فقلت في طريق الطائف لرجل ما اسم هذا المحمل؟ أردت المحمل العراقي فقال: أليس ذاك اسمه الشقذف؟ قلت: بلى، فقال: هذا اسمه الشقنداف، فزاد في بناء الاسم لزيادة المسمى، وهو من الصفات الغالبة - كالدبران، والعيوق، والصعق - لم يستعمل في غير الله عز وجل، كما أن (الله) من الأسماء الغالبة. وأما قول بني حنيفة في مسيلمة: رحمان اليمامة، وقول شاعرهم فيه:

(٥/١)

فباب من تعنتهم في كفرهم. فإن قلت: كيف تقول: الله رحمان، أتصرفه أم لا؟ قلت: أقيسه على أخواته من بابه، أعني: نحو عطشان، وغرثان، وسكران، فلا أصرفه. فإن قلت: قد شرط

في امتناع صرف فعلان أن يكون فعلان فعلى واختصاصه بالله يحظر أن يكون فعلان فعلى، فلم تمنعه الصرف؟ قلت: كما حظر ذلك أن يكون له مؤنث على فعلى كعطشى فقد حظر أن يكون

له مؤنث على فعلانة كندمانه، فإذا لا عبرة بامتناع التأنيث للاختصاص العارض فوجب الرجوع إلى الأصل قبل الاختصاص وهو القياس على نظائره. فإن قلت: ما معنى وصف الله تعالى بالرحمة ومعناها العطف والحنو ومنها الرحم لانعظافها على ما فيها؟ قلت: هو مجاز عن إنعامه على عباده؛ لأن الملك إذا عطف على رعيته ورق لهم أصابهم بمعرفه وإنعامه، كما أنه إذا أدركته الفظاظة والقسوة عنف بهم ومنعهم خيره ومعروفه. فإن قلت: فلم قدم ما هو أبلغ من الوصفين على ما هو دونه، والقياس الترقى من الأدنى إلى الأعلى كقولهم: فلان عالم تحرير، وشجاع باسل، وجواد فياض؟ قلت: لما قال فتناول جلائل النعم وعظائمها وأصولها، أردفه (الرحيم) كاللتمة والرديف ليتناول ما دق منها ولطف.

{ الحمد لله رب العالمين (٢) الرحمن الرحيم (٣) }
الحمد والمدح أخوان، وهو الثناء والنداء على الجميل من نعمة وغيرها. تقول: حمدت
الرجل على إنعامه، وحمدته على حسبه وشجاعته. وأما الشكر فعلى النعمة خاصة وهو
بالقلب واللسان والجوارح قال:

أفادتكم النعماء مني ثلاثة ... يدي ولساني والضمير المحجبا

والحمد باللسان وحده، فهو إحدى شعب الشكر، ومنه قوله عليه السلام:

)

(٦/١)

(٢) "الحمد رأس الشكر، ما شكر الله عبد لم يحمده" وإنما جعله رأس الشكر؛ لأن ذكر
النعمة باللسان والثناء على موليتها، أشيع لها وأدل على مكانها من الاعتقاد وآداب
الجوارح لخفاء عمل القلب، وما في عمل الجوارح من الاحتمال، بخلاف عمل اللسان وهو
النطق الذي يفصح عن كل خفي ويجلي كل مشتبه.

والحمد نقيضه الذم، والشكر نقيضه الكفران، وارتفاع الحمد بالابتداء وخبره الظرف
الذي هو "لله" وأصله النصب الذي هو قراءة بعضهم بإضمار فعله على أنه من المصادر

التي تنصبها العرب بأفعال مضمرة في معنى الإخبار، كقولهم: شكرا، وكفرا، وعجبا، وما
أشبه ذلك، ومنها: سبحانك، ومعاذ الله، ينزلونها منزلة أفعالها ويسدون بها مسدها،
لذلك لا يستعملونها معها ويجعلون استعمالها كالشريعة المنسوخة، والعدل بها عن النصب
إلى الرفع على الابتداء للدلالة على ثبات المعنى واستقراره. ومنه قوله تعالى: {

قالوا سلاما قال سلام { (هود: ٦٩)، رفع السلام الثاني للدلالة على أن إبراهيم عليه
السلام حياهم بتحية أحسن من تحيتهم؛ لأن الرفع دال على معنى ثبات السلام لهم دون
تجدده وحدوثه. والمعنى: نحمد الله حمدا، ولذلك قيل: { إياك نعبد وإياك نستعين } ؛
لأنه بيان لحمدهم له، كأنه قيل: كيف تحمدون؟ فقيل: إياك نعبد. فإن قلت: ما معنى
التعريف فيه؟ قلت: هو نحو التعريف في أرسلها العراك، وهو تعريف الجنس، ومعناه
الإشارة إلى ما يعرفه كل أحد من أن الحمد ما هو، والعراك ما هو، من بين أجناس
الأفعال. والاستغراق الذي يتوهمه كثير من الناس وهم منهم. وقرأ الحسن البصري: {
الحمد لله { بكسر الدال لإتباعها اللام.

وقرأ إبراهيم بن أبي عبلة: { الحمد لله } بضم اللام لإتباعها الدال، والذي جسرها على ذلك - والإتباع إنما يكون في كلمة واحدة كقولهم منحدر الجبل ومغيرة - تنزل الكلمتين منزلة كلمة لكثرة استعمالهما مقترنتين، وأشف القراءتين قراءة إبراهيم حيث جعل الحركة البنائية تابعة للإعرابية التي هي أقوى، بخلاف قراءة الحسن.

الرب: المالك. ومنه قول صفوان لأبي سفيان: لأن يريني رجل من قريش أحب إلي من أن يريني رجل من هوازن. تقول: ربه يربه فهو رب، كما تقول: نم عليه ينم فهو نم. ويجوز أن يكون وصفا بالمصدر للمبالغة كما وصف بالعدل، ولم يطلقوا الرب إلا في الله وحده، وهو في غيره على التقيد بالإضافة، كقولهم: رب الدار، ورب الناقة، وقوله تعالى: {

ارجع إلى ربك } (يوسف: ٥٠)، { إنه ربي أحسن مثواي } (يوسف: ٢٣). وقرأ زيد بن علي رضي الله عنهما: { رب العالمين } بالنصب على المدح وقيل بما دل عليه الحمد لله كأنه قيل نحمد الله رب العالمين.

العالم: اسم لذوي العلم من الملائكة والثقلين، وقيل: كل ما علم به الخالق من الأجسام والأعراض. فإن قلت: لم جمع؟ قلت: ليشمل كل جنس مما سمي به. فإن قلت: هو اسم

غير صفة، وإنما تجمع بالواو والنون صفات العقلاء أو ما في حكمها من الأعلام. قلت: ساغ ذلك لمعنى الوصفية فيه وهي الدلالة على معنى العلم.

{ tB="د٧ يوم الدين (٤) }

قرئ: ملك يوم الدين، ومالك وملك بتخفيف اللام. وقرأ أبو حنيفة رضي الله عنه: ملك يوم الدين، بلفظ الفعل ونصب اليوم، وقرأ أبو هريرة رضي الله عنه: مالك بالنصب. وقرأ غيره: ملك، وهو نصب على المدح؛ ومنهم من قرأ: مالك، بالرفع. وملك: هو الاختيار، لأنه قراءة أهل الحرمين، ولقوله: { لمن الملك اليوم } (غافر: ١٦)، ولقوله: { ملك الناس } (الناس: ٢)، ولأن الملك يعم والملك يخص. ويوم الدين: يوم الجزاء. ومنه قولهم:

(٣) "كما تدين تدان" وبيت الحماسة:

ولم يبق سوى العدو ... ن دناهم كما دانوا

فإن قلت: ما هذه الإضافة؟ قلت: هي إضافة اسم الفاعل إلى الظرف على طريق الإلتصاف، مجرى مجرى المفعول به كقولهم: يا سارق الليلة أهل الدار، والمعنى على الظرفية. ومعناه: مالك الأمر كله في يوم الدين، كقوله: { لمن الملك اليوم } (غافر: ١٦). فإن قلت: إضافة اسم الفاعل إضافة غير حقيقة فلا تكون معطية معنى التعريف، فكيف ساغ وقوعه صفة للمعرفة؟ قلت: إنما تكون غير حقيقية إذا أريد باسم الفاعل الحال أو الاستقبال، فكان في تقدير الانفصال، كقولك: مالك الساعة، أو غدا. فأما إذا قصد معنى الماضي، كقولك: هو مالك عبده أمس، أو زمان مستمر، كقولك: زيد مالك العبيد، كانت

الإضافة حقيقية، كقولك: مولى العبيد، وهذا هو المعنى في { مالك يوم الدين } ، ويجوز أن يكون المعنى: ملك الأمور يوم الدين، كقوله: { ونادى أصحاب الجنة } (الأعراف: ٤٤)، { ونادى أصحاب الأعراف } (الأعراف: ٤٨)، والدليل عليه قراءة أبي حنيفة: { مالك يوم الدين } ، وهذه الأوصاف التي أجريت على الله سبحانه - من كونه ربا مالكا للعالمين لا يخرج منهم شيء من ملكوته وربوبيته، ومن كونه منعما بالنعم كلها الظاهرة والباطنة والجلال والدقائق، من كونه مالكا للأمر كله في العاقبة يوم الثواب والعقاب بعد الدلالة على اختصاص الحمد به وأنه به حقيق في قوله الحمد لله - دليل على أن من كانت هذه صفاته لم يكن أحد أحق منه بالحمد والثناء عليه بما هو أهله.

{ x8\$fx8\$ur نستعين (٥) }

(٩/١)

"إيا" ضمير منفصل للمنصوب، واللواحق التي تلحقه من الكاف والهاء والياء في قولك: إياك، وإياه، وإياي، لبيان الخطاب والغيبة والتكلم، ولا محل لها من الإعراب، كما لا محل للكاف في رأيك، وليست بأسماء مضمرة، وهو مذهب الأخفش وعليه المحققون، وأما ما

حكاه الخليل عن بعض العرب: "إذا بلغ الرجل الستين فإياه وإيا الشواب" فشيء شاذ لا يعول عليه، وتقديم المفعول لقصد الاختصاص، كقوله تعالى: { قل أغير الله تأمروني أعبد } (الزمر: ٦٤)، { قل أغير الله أبغي ربا } (الأنعام: ١٦٤). والمعنى نخصك بالعبادة، ونخصك بطلب المعونة. وقرئ: إياك بتخفيف الياء، وإياك بفتح الهمزة والتشديد، وهياك بقلب الهمزة هاء. قال طفيل الغنوي:

فهياك والأمر الذي إن تراحت ... موارد ضاقت عليك مصادره

والعبادة أقصى غاية الخضوع والتذلل. ومنه ثوب ذو عبدة إذا كان في غاية الصفاقة وقوة النسج، ولذلك لم تستعمل إلا في الخضوع لله تعالى، لأنه مولى أعظم النعم فكان حقيقاً بأقصى غاية الخضوع. فإن قلت: لم عدل عن لفظ الغيبة إلى لفظ الخطاب؟ قلت: هذا يسمى

الالتفات في علم البيان قد يكون من الغيبة إلى الخطاب، ومن الخطاب إلى الغيبة، ومن الغيبة إلى التكلم، كقوله تعالى: { حتى إذا كنتم في الفلك وجرين بهم } (يونس: ٢٢). وقوله تعالى: { والله الذي أرسل الرياح فتثير سحابا فسقناه } (فاطر: ٩). وقد التفت امرؤ القيس ثلاث التفاتات في ثلاثة أبيات:

تطاول ليلك بالأثمد ... ونام الخلي ولم ترقد
وبات وباتت له ليلة ... كليلة ذي العائر الأرمد
وذالك من نيا جاءني ... وخبرته عن أبي الأسود
(١٠/١)

وذلك على عادة افتتانهم في الكلام وتصرفهم فيه، ولأن الكلام إذا نقل من أسلوب إلى أسلوب، كان ذلك أحسن تطرية لنشاط السامع، وإيقاظاً للإصغاء إليه من إجراءاته على أسلوب واحد، وقد تختص مواقعه بفوائد. ومما اختص به هذا الموضع: أنه لما ذكر الحقيق بالحمد، وأجرى عليه تلك الصفات العظام، تعلق العلم بمعلوم عظيم الشأن حقيق بالثناء وغاية الخضوع والاستعانة في المهمات، فخطوب ذلك المعلوم المتميز بتلك الصفات، فقيل: إياك يا من هذه صفاته نخص بالعبادة والاستعانة، لا نعبد غيرك ولا نستعينه، ليكون الخطاب أدل على أن العبادة له لذلك التميز الذي لا تحقق العبادة إلا به. فإن قلت: لم قرنت الاستعانة بالعبادة؟ قلت: ليجمع بين ما يتقرب به العباد إلى ربهم وبين ما يطلبونه ويحتاجون إليه من جهته. فإن قلت: فلم قدمت العبادة على الاستعانة؟ قلت: لأن تقديم الوسيلة قبل طلب الحاجة ليستوجبوا الإجابة إليها. فإن قلت: لم أطلقت الاستعانة؟ قلت: ليتناول كل مستعان فيه، والأحسن أن تراد الاستعانة به وتوفيقه على أداء العبادة، ويكون قوله: { اهدنا } بيانا للمطلوب من المعونة، كأنه قيل: كيف أعينكم؟ فقالوا: اهدنا الصراط المستقيم، وإنما كان أحسن لتلاؤم الكلام وأخذ بعضه بحجزة بعض. وقرأ ابن حبيش: نستعين، بكسر النون.

{ اهدنا xق"u"ژا_ا\$ #Oz(ةtGك6 #J9\$ }

(١١/١)

هدى أصله أن يتعدى باللام أو يالى، كقوله تعالى: { إن هذا القرآن يهدي للتي هي أقوم { (الإسراء: ٩)، { وإنك لتهدي إلى صراط مستقيم { (الشورى: ٥٢)، فعومل معاملة - اختار - في قوله تعالى: { واختار موسى قومه { (الأعراف: ١٥٥). ومعنى طلب الهداية - وهم مهتدون - طلب زيادة الهدى بمنح الإلطف، كقوله تعالى: { والذين اهتدوا زادهم هدى { (محمد: ١٧)، { والذين جاهدوا فينا لنهدينهم سبلنا { (العنكبوت: ٦٩). وعن علي وأبي رضي الله عنهما: اهدنا ثبتنا، وصيغة الأمر والدعاء واحدة، لأن كل واحد منهما طلب، وإنما يتفاوتان في الرتبة. وقرأ عبد الله: أرشدنا. "السراط" الجادة، من سراط الشيء إذا ابتلعه، لأنه يسترط السابلة إذا سلكوه، كما سمي: لقما، لأنه يلتقمهم. والصراط من قلب السين صاداً لأجل الطاء، كقوله: "مسيطر"، في "مسيطر"، وقد تشم الصاد صوت الزاي، وقرئ بهن جميعاً، وفصاحهن إخلاص الصاد، وهي لغة

قريش وهي الثابتة في الإمام، ويجمع سراطاً، نحو كتاب وكتب، ويذكر ويؤنث كالطريق والسبيل، والمراد طريق الحق وهو ملة الإسلام.

{ xق"u"ژاه الذين أنعمت عليهم غير المغضوب عليهم ولا الضالين (٧) }

(١٢/١)

صراط الذين أنعمت عليهم { بدل من الصراط المستقيم، وهو في حكم تكرير العامل، كأنه قيل: اهدنا الصراط المستقيم، اهدنا صراط الذين أنعمت عليهم، كما قال: { الذين استضعفوا لمن آمن منهم { (الأعراف: ٧٥)، فإن قلت: ما فائدة البدل؟ وهلا قيل اهدنا صراط الذين أنعمت عليهم؟ قلت: فائدته التوكيد لما فيه من التثنية والتكرير، والإشعار بأن الطريق المستقيم بيانه وتفسيره: صراط المسلمين؛ ليكون ذلك شهادة لصراط المسلمين بالاستقامة على أبلغ وجه وآكده، كما تقول: هل أدلك على أكرم الناس وأفضلهم؟ فلان؛ فيكون ذلك أبلغ في وصفه بالكرم والفضل من قولك: هل أدلك على فلان الأكرم الأفضل، لأنك تثبت ذكره مجملاً أولاً، ومفصلاً ثانياً، وأوقعت فلاناً تفسيراً

وإيضاحاً للأكرم الأفضل فجعلته علماً في الكرم والفضل، فكأنك قلت: من أراد رجلاً جامعاً للخصلتين فعليه بفلان، فهو الشخص المعين لاجتماعهما فيه غير مدافع ولا منازع.

والذين أنعمت عليهم: هم المؤمنون، وأطلق الإنعام ليشمل كل إنعام؛ لأن من أنعم عليه بنعمة الإسلام لم تبق نعمة إلا أصابته واشتملت عليه. وعن ابن عباس: هم أصحاب موسى قبل أن يغيروا، وقيل هم الأنبياء. وقرأ ابن مسعود: "صراط من أنعمت عليهم".

{ غير المغضوب عليهم { بدل من الذين أنعمت عليهم، على معنى أن المنعم عليهم: هم الذين سلموا من غضب الله والضلال، أو صفة على معنى أنهم جمعوا بين النعمة المطلقة وهي نعمة الإيمان، وبين السلامة من غضب الله والضلال. فإن قلت: كيف صح أن يقع { غير { صفة للمعرفة وهو لا يتعرف وإن أضيف إلى المعارف؟ قلت: { الذين أنعمت عليهم { لا توقيت فيه كقوله:

ولقد أمر على اللئيم يسبني

(١٣/١)

ولأن المغضوب عليهم والضالين خلاف المنعم عليهم، فليس في - غير - إذا الإبهام الذي يأبى عليه أن يتعرف، وقرئ بالنصب على الحال وهي قراءة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وعمر بن الخطاب، ورويت عن ابن كثير، وذو الحال الضمير في عليهم، والعامل أنعمت، وقيل المغضوب عليهم: هم اليهود؛ لقوله عز وجل: { من لعنه الله وغضب عليه { (المائدة: ٦٠). والضالون: هم النصارى؛ لقوله تعالى: { قد ضلوا من قبل { (المائدة: ٧٧)، فإن قلت ما معنى غضب الله؟ قلت: هو إرادة الانتقام من العصاة، وإنزال العقوبة بهم، وأن يفعل بهم ما يفعله الملك إذا غضب على من تحت يده - نعوذ بالله من غضبه، ونسأله رضاه ورحمته. فإن قلت: أي فرق بين { عليهم { الأولى و { عليهم { الثانية؟ قلت: الأولى محلها النصب على المفعولية، والثانية محلها الرفع على الفاعلية. فإن قلت: لم دخلت "لا" في { ولا الضالين { ؟ قلت: لما في - غير - من

معنى النفي، كأنه قيل: لا المغضوب عليهم ولا الضالين. وتقول: أنا زيدا غير ضارب، مع امتناع قولك أنا زيدا مثل ضارب، لأنه بمعزلة قولك: أنا زيدا لا ضارب وعن عمر وعلي رضي الله عنهما أنهما قرآ: وغير الضالين. وقرأ أيوب السخيتاني: "ولا الضالين" - بالهمز -، كما قرأ عمرو بن عبيد: "ولا جان" وهذه لغة من جد في الهرب من التقاء الساكنين. ومنها ما حكاه أبو زيد من قولهم: شأبة، ودأبة. آمين: صوت سمي به الفعل الذي هو استجب، كما أن "رويد، وحيهل، وهلم" أصوات سميت بها الأفعال التي هي "أمهل، وأسرع، وأقبل". وعن ابن عباس:

(٤) سألت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم عن معنى آمين فقال: "افعل" وفيه لغتان:

مد ألفه، وقصرها. قال:

ويرحم الله عبدا قال آمينا

وقال:

أمين فزاد الله ما بيننا بعدا

(١٤/١)

وعن النبي صلى الله عليه وآله وسلم (٥) "لقنني جبريل عليه السلام آمين عند فراغي من قراءة فاتحة الكتاب" وقال: "إنه كالختم على الكتاب"، وليس من القرآن بدليل أنه لم يثبت في المصاحف. وعن الحسن: لا يقولها الإمام لأنه الداعي. وعن أبي حنيفة رحمه الله مثله، والمشهور عنه وعن أصحابه أنه يخفيها. وروى الإخفاء عبد الله بن مغفل وأنس عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم. وعند الشافعي يجهر بها. وعن وائل بن حجر:

(٦) أن النبي صلى الله عليه وآله وسلم كان إذا قرأ: ولا الضالين، قال آمين ورفع بها

صوته. وعن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أنه قال لأبي بن كعب:

(٧) "ألا أخبرك بسورة لم ينزل في التوراة والإنجيل والقرآن مثلها؟ قلت: بلى يا رسول

الله. قال: "فاتحة الكتاب إنها السبع المثاني والقرآن العظيم الذي أوتيته" وعن

حذيفة بن اليمان أن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال:

(٨) "إن القوم ليعث الله عليهم العذاب حتما مقضيا فيقرأ صبي من صبيانهم في الكتاب

{ الحمد لله رب العالمين } فيسمعه الله تعالى فيرفع عنهم بذلك العذاب أربعين سنة".

سورة البقرة

مدنية، وهي مائتان وست وثمانون آية

{ بسم الله الرحمن الرحيم (١) }

{ الم (١) } { أعلم أن الألفاظ التي يتهجى بها (١) }

(١) سورة البقرة

بسم الله الرحمن الرحيم

قوله : (يتهجى بها) التهجي : تعديد الحروف بأسمائها .

(١٥/١)

أسماء، مسمياتها الحروف المبسوطة (١) التي منها ركبت الكلم، فقولك - ضاد - اسم سمي به "ضه" (٢) من ضرب إذا تهجيته، وكذلك: را، با: اسمان لقولك: ره، به؛ وقد روعيت في هذه التسمية لطيفة، وهي أن المسميات لما كانت ألفاظا كأساميها وهي حروف وحدان والأسامي عدد حروفها مرتق إلى الثلاثة، اتجه لهم طريق إلى أن يدلوا في التسمية على المسمى فلم يغفلوها، وجعلوا المسمى صدر كل اسم منها كما ترى، إلا الألف فإنهم استعاروا الهمزة مكان مسماها؛ لأنه لا يكون إلا ساكنا. ومما يضاهيها في إبداع اللفظ دلالة على المعنى: التهليل، والحولاقة، والحيعة، والبسملة؛ وحكمها - ما لم تلها العوامل - أن تكون ساكنة الإعجاز موقوفة كأسماء الأعداد، فيقال: ألف لام ميم، كما يقال: واحد اثنان ثلاثة؛ فإذا وليتها العوامل أدركها الإعراب. تقول: هذه ألف، وكتبت ألفا، ونظرت إلى ألف؛ وهكذا كل اسم عمدت إلى تأدية ذاته فحسب (٣)،

(١) قوله: (الحروف المبسوطة) أي: حروف المثاني المنتهية المفردة لا المركبة .
(٢) قوله: (ضه بغير افصاح الهاء ، وإنما كتبت على لفظ الوقف ، والضمير في تهجيته كصه ، وقيل : كضرب ، وهو أحسن ، ووحدان جمع واحد كركبان جمع راكب ، ويقال : اتجه لأمر كذا ، إذا وجه وجهه إليه واتجه له رأي سنج له ، ومعنى فلم يغفلوها : لم يتركوها من أغفلت الشيء تركته ، أو لم يجعلوها أغفالا لا سمة عليها ، من المسمى من قوله يغم أغفالا لاسمه عليها . قيل الضمير للألفاظ ، أي : لم يتركوها لأنهم ذكروها ، وجعلوها صدر أساميها ، وقيل : الضمير للطيفة ، أو للطريق ، أي : ما تركوا تلك اللطيفة غير مرعية ، ولا تلك الطريق غير مشاركة .

(٣) قوله: (فحسب) أي : تأدية ذاته من غير تأدية الأحوال المتداولة عليه ، ومعنى (يلقى عليه) أي : تملى عليه ، ومعنى (ليرفع) ليضبط ، وفاعل وقع ضمير يرجع إلى أنها حروف ..
(١٦/١)

قبل أن يحدث فيه بدخول العوامل شيء من تأثيراتها، فحقلك أن تلفظ به موقوفا. ألا ترى أنك إذا أردت أن تلقى على الحاسب أجناسا مختلفة ليرفع حسابها، كيف تصنع وكيف تلقىها أغفالا من سمة الإعراب؟ فتقول: دار، غلام، جارية، ثوب، بساط. ولو أعربت ركبت شططا. فإن قلت: لم قضيت لهذه الألفاظ بالإسمية؟ وهلا زعمت أنها حروف كما وقع في

عبارات المتقدمين؟ قلت: قد استوضحت بالبرهان النير أنها أسماء غير حروف، فعلمت أن قولهم خليق بأن يصرف إلى التسامح، وقد وجدناهم متسامحين في تسمية كثير من الأسماء التي لا يقدح إشكال في اسميتها كالظروف (١) وغيرها بالحروف، مستعملين الحرف في معنى الكلمة، وذلك (٢) أن قولك: "ألف" دلالة على أوسط حروف "قال، وقام" دلالة "فرس" على الحيوان المخصوص، لا فضل فيما يرجع إلى التسمية بين الداليتين. ألا ترى أن الحرف: ما دل على معنى في غيره، وهذا كما ترى دال على معنى في نفسه؛ ولأنها متصرف فيها بالإمالة كقولك: با، تا. وبالتفخيم كقولك: يا، ها. وبالتعريف، والتكثير، والجمع والتصغير، والوصف، والإسناد، والإضافة، وجميع ما للأسماء المتصرفة. ثم إنني عثرت من جانب الخليل على نص في ذلك. قال سيويوه: قال الخليل يوما - وسأل أصحابه -: كيف تقولون إذا أردتم أن تلفظوا بالكاف التي في لك، والباء التي في ضرب؟ فقبل: نقول: باء، كاف؛ فقال: إنما جئتم بالإسم، ولم تلفظوا بالحرف، وقال: أقول:

(١) قوله: (كالظروف) أراد نحو قبل، وبعد، وإذا، ومتى، فإنهم يعدونها حروفاً، وذلك لأنها بمنزلة الحرف في معنى الكلمة، والمراد بالحرف هنا المعنى اللغوي لا

الاصطلاحي، ولعلهم استعملوا الحرف للكلمة؛ لأنه نوعها، وهي جنسه، ومعنى (استوضحت الشيء) وضعت يدي على عيني لطلب وضوحه، واستوضح عن هذا الشيء أبحث عنه.

(٢) قوله: (وذلك إشارة إلى البرهان الذي استوضح منه اسمية هذه الألفاظ).

(١٧/١)

كه، به. وذكر أبو علي في كتاب الحجة في (يس): وإمالة يا، أنهم قالوا: يا زيد، في النداء؛ فأمالوا وإن كان حرفاً، قال: فإذا كانوا قد أمالوا ما لا يمال من الحروف من أجل الياء، فالأن يميلوا الاسم الذي هو يس أجدر. ألا ترى أن هذه الحروف أسماء لما يلفظ بها؟ فإن قلت: من أي قبيل هي من الأسماء، أمعربة أم مبنية؟ قلت: بل هي أسماء معربة (١)، وإنما سكنت سكون زيد وعمرو وغيرهما من الأسماء حيث لا يمسها إعراب لفقد مقتضيه وموجبه. والدليل على أن سكونها وقف وليس ببناء: أنها لو بنيت لحذو بها حذو: كيف، وأين، وهؤلاء. ولم يقل: ص، ق، ن مجموعاً فيها بين الساكنين. فإن قلت فلم لفظ المتهجي بما آخره ألف منها مقصوراً، فلما أعرب مد فقال هذه باء، وياء، وهاء؛ وذلك يخيل أن وزانها وزان قولك "لا" مقصورة (٢)؛ فإذا جعلتها إسماً مددت فقلت: كتبت لاء؟

قلت: هذا التخيل يضمحل بما لخصته من الدليل؛ والسبب في أن قصرت متهجاة، ومدت حين

مسها الإعراب: أن حال التهجي خليقة بالأخف الأوجز، واستعمالها فيه أكثر. فإن قلت: قد تبين أنها أسماء لحروف المعجم (٣)، وأنها من قبيل المعربة، وأن سكون أعجازها عند الهجاء لأجل الوقف، فما وجه وقوعها على هذه الصورة فواتح للسور؟ قلت: فيه أوجه: أحدها وعليه إطباق الأكثر: أنها أسماء السور.

-
- (١) قوله: (بل هي اسماء معربة ، أراد بكونها معربة أنها غير مشابهة للحروف كآين ، وكيف ، بل هي مشابهة للأسماء المتمكنة كزيد ، وعمرو ، فعلى هذا
(٢) ما قال لا قط إلا في تشهده *** لولا التشهد لم تسمع له لاء
(٣) قوله: (لحروف المعجم) العجم : النقط بالسواد ، وحروف المعجم هي الحروف المقطعة التي يختص أكثرها بالنقط ، ومعناه : الخط المعجم ، ومعنى كسره : جمعه .
(١٨/١)

وقد ترجم صاحب الكتاب الباب الذي كسره على ذكرها في حد ما لا ينصرف بـ"باب أسماء السور" وهي في ذلك (١) على ضربين: أحدهما ما لا يتأتى فيه إعراب، نحو: كهيعص، والمر. والثاني: ما يتأتى فيه الإعراب، وهو إما أن يكون اسما فردا كص وق ، ون ، أو أسماء عدة

مجموعها على زنة مفرد كـ"حم، وطس ، ويس ؛" فإنها موازنة لقابيل وهابيل، وكذلك ط س م يتأتى فيها أن تفتح نونها، وتصير ميم مضمومة إلى طس فيجعلها اسما واحدا؛ كدارا بحرد؛ فالنوع الأول محكي ليس إلا؛ وأما النوع الثاني فسائغ فيه الأمران: الإعراب، والحكاية؛ قال قاتل محمد بن طلحة (٢)

-
- (١) قوله: (وهي في ذلك) أي : في كونها اسماء السور ، وإنما قيد بهذا القيد ؛ لأنها من حيث هي هي لا تنقسم كذلك ، بل يتأتى في جميعها الاعراب .
(٢) قوله (قاتل محمد بن طلحة) هو محمد بن طلحة بن عبد الله ، المعروف بالسجاد قتله شريح ابن أوفى العنسي يوم الجمل ، وكان طلحة قد أمر أن يتقدم للقتال ، قتل ودرعه بين رجله ، وقام عليها ، وكان كلما حمل عليه رجل قال : نشدتك بحم حتى شد عليه العنسي فقتله ، وأنشأ يقول :

وأشعث قوام بآيات ربه *** قليل الكرى فيما ترى العين مسلم
خرقت له بالرمح جيب قميصه *** فخر صريعا لليدين وللغم
على غير شق غير أن ليس تابعا عليا *** ومن لا يتبع الحق يظلم
يذكرني حاميم والرمح شاجر *** فهلا تلى حاميم قبل التقديم .
فلما رآه علي استرجع وقال : إنه كان لشابا صالحا ، ومعنى شجر الرمح اختلف ، و
التشاجر التخاصم ، وكل شيء دخل [٢٦٧] بعضه في بعض فقد تشاجر .

أي : يذكرني (حم عسق) لأن فيها قوله تعالى : { قل لا أسألكم عليها أجرا إلا المودة
في القربى } زعما منه أنه من قرابة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم الذي فرضت
مودتهم ، ووجبت على الكافة محبتهم ، قال بعضهم : أراد أنه قرأها بعدما طعنته ، ولو

قرأها قبل لم أظنعه ، وأقول : الظاهر أن مراده . والله أعلم . أنه ذكرني هذه الآية
في حالة اختلاف الرماح ، وتخالس الأرواح ، وارتكابه لما هو بسبيل غير مباح ، فهلا
قرأها قبل تقدمه إلى الحرب ، وشروعه في الطعن والضرب ، وعمل بها ، وارتدع عن محاربة
العترة الكرام الذين هم علي وابناه عليهم السلام ، فسلم إذ ذاك ، ولو كان مراده :
أنه لو تلاها قبل أن أظنعه لما طعنته لكونه من القرابة لما تبجح بقتاله ، وخرف جيب
قميصه ، لا سيما وقد ذكر أن الموجب لقتله ، والحامل عليه ظلمه بتركه للحق الذي هو
متابعة علي عليه السلام .

(١٩/١)

السجاد وهو شريح بن أوفى العبسي.

يذكرني حاميم والرمح شاجر ... فهلا تلا حاميم قبل التقدم

فأعرب حاميم ومنعها الصرف ، وهكذا كل ما أعرب من أخواتها؛ لاجتماع سببي منع الصرف
فيها ، وهما : العلمية ، والتأنيث . والحكاية أن تجيء بالقول بعد نقله على استبقاء
صورته الأولى . كقولك : دعني من تمرتان (١) ، وبدأت بالحمد لله ، وقرأت : { سورة أنزلناها
{ (النور : ١) قال : (٢)

وجدنا في كتاب بني تميم ... أحق الخيل بالركض المعار

وقال ذو الرمة(٣)

سمعت الناس ينتجعون غيثا ... فقلت لصيدح انتجعي بلالا

وقال آخر:(٤)

(١) قوله : (ودعني من تمرتان) كلام من قال : يكفيك تمرتان ، أو : هاتان تمرتان .
(٢) قوله: (وجدنا في كتاب بني تميم *** أحق الخيل بالركض المعار
هو من عار الفرس إذا انفلت ، وجاء وذهب يمينا وشمالا من جريه ونشاطه ، وأعاره صاحبه
فهو معار ، وإنما كان أحق بالركض لأنه إذا أعار حصل له النشاط ، والمرح ، فيكون
جريه جينئذ أجود ، والبيت لشريق بن حازم [وفي نسخة لبشر بن أبي حازم] وقد نسبته
الجوهري إلى الطرماح ، قال أبو عبيدة : والناس يعتقدون أنه من الإعارة بمعنى
العارية ، وهو خطأ ، ومعناه على هذا أن صاحبه يشفق عليه إذا كان له ، ولا يشفق عليه
إذا كان عارية .

)

(٣) قوله: (ذي الرمة) سمعت الناس ينتجعون غيثا*** فقلت لصيدح انتجعي بلالا
صيدح علم لناقة ذي الرمة ، وبلال هو بلال بن أبي بردة بن أبي موسى الأشعري ،
والانتجاع : النجعة ، وهي طلب الكأ ، والخير ، وفي انتجعي مشاكلة لقوله :ينتجعون
غيثا ، الذي قال فيه ذو الرمة مخاطبا لصيدحها إذا ابن أبي موسى بلالا بلغته *** فقام
بفاس بين وصليك جازر .

(٤) قوله: (قول الآخر تنادوا بالرحيل غدا ***وفي ترحالهم نفسي)

رفع الرحيل في الأصل على الابتداء خبره غدا ، أي : ينادون بهذا القول ، والنصب على
المصدر ، أي : قالوا : ارحلوا الرحيل ، وما في لفظ الرحيل من الرفع والنصب حكاية
،وأما الجر فلا كلام فيه ، ومعنى (في ترحالهم نفسي) أي : هلاك نفسي ، ويحتمل أن
تكون النفس كناية عن المحبوب .

(٢٠/١)

تنادوا بالرحيل غدا ... وفي ترحالهم نفسي

وروي منصوبا ومجرورا. ويقول أهل الحجاز في استعمال من يقول: رأيت زيدا، من زيدا؟ وقال سيويه: سمعت من العرب: لا من أين يا فتى (١). فإن قلت: فما وجه قراءة من قرأ: ص (٢)، وق، ون، مفتوحات؟ قلت: الأوجه أن يقال: ذاك نصب وليس بفتح، وإنما لم يصحبه

التنوين لامتناع الصرف على ما ذكرت. وانتصابها بفعل مضمر. نحو: أذكر؛ وقد أجاز سيويه مثل ذلك في: حم، وطس، ويس، لو قرىء به. وحكى أبو سعيد السيرافي أن بعضهم قرأ: يس. ويجوز أن يقال: حركت لالتقاء الساكنين، كما قرأ من قرأ: "ولا الضالين". فإن قلت: هلا زعمت أنها مقسم بها؟ وأنها نصبت قولهم: نعم الله لأفعلن، وآي الله لأفعلن، على حذف حرف الجر وإعمال فعل القسم؟ وقال ذو الرمة:

ألا رب من قلبي (٣)

(١) قوله: (لا من أين يافتى) يقول الرجل لآخر: من أين يافتى، فيقول: لا من أين يافتى، أي: لا تسألني عن نسبي ومقامي، وسل عن حسبي ومناقبى، ولولا أن أين محكية لما تأخرت عن الصدر.

)

(٢) قوله: (فما وجه قراءة من قرأ صاد) قال الزجاج: قرأ عيسى صاد، وقاف، ونون بالفتح لا لتقاء الساكنين، وقرأ عبد الله بن إسحاق بالكسر، والفاء في السؤال دلت على الإنكار على الكلام السابق، وهو قوله فيتتابع فيه الأمران الإعراب والحكاية، أراد أين الإعراب، أم أين الحكاية على هذه القراءة، فإنها تدل على كونها مبنية لما أسلفت أنها لو بنيت لجري بها فحركوا أين، وكيف، أي: فتح أواخرها، فإذا هذه الحركات ليست بإعرابية لفقد المقتضى، ولا هي للوقف؛ لأن المحكية إنما يوقف عليها بالسكون كما سبق، وأجاب بأن لا نسلم فقد المقتضى، لأن التقدير اذكر، ويجوز أن تحرك لا لتقاء الساكنين على لغة من جد في الهرب عنه.

(٣) قوله: (ألا رب من قلبي له الله ناصح) تمامه (ومن قلبه لي في الظباء السوانح)

أي: ألاب من قلبي له ناصح أحلف بالله، أضمر الفعل بعد أن أعلمه فيه على حذف الجار، تقول: أنا أحبه وأنصح به بقلبي، وقلبه نافر عني نفور الظباء، والسانح من الظباء

والطير : ما أولاك ميامنه ، والعرب تتيمن به ، والبارح : ما أولاك مياسره ، والعرب
تتشاءم به .
(٢١/١)

له الله ناصح

وقال آخر:

فذاك (١) أمانة الله الشريد

قلت: إن القرآن والقلم بعد هذه الفواتح محلوف بهما، فلو زعمت ذلك لجمعت بين قسمين
على مقسم واحد وقد استكرهوا ذلك (٢).

(١) قوله [٦٨٦] (فذاك) أوله (إذا ما الخبز تأكله بلحم*** فذاك أمانة الله الشريد)
أي : فذاك الشريد بأمانة الله .

(٢) قوله: (وقد استكرهوا ذلك) قال الخليل في قوله عز وجل : { والليل إذا يغشى
والنهار إذا تجلى } إلى آخر البحث : أقول : حاصل هذا الكلام أنه لا يجوز أن تكون
هذه الفواتح مقسما بها ، ومنصوبة ؛ لأن الواو في القرآن حينئذ إما للقسم أو للعطف ،
ولا سبيل إلى واحد منهما ، أما الأول فلاستلزامه اجتماع قسمين على مقسم عليه واحد ،

وهو غير جائز لوجهين ، أحدهما استلزامه لما هو عليه طائر من تخلل جملة تامة بين
القسم والمقسم عليه ، بيان ذلك أن قولك : بالله لأقعدن جملة واحدة من قسم ومقسم
عليه ، فإذا تخلل بينهما نحو : والرحمن ، وقلت بالله والرحمن لأقعدن ، وكانت الواو
في الرحمن للقسم ، وقد علم أن الواو القسمية بمنزلة الباء القسمية ، و الباء تتعلق
بفعل محذوف ، نحو أقسم ، وأحلف ، فكأنك قلت : بالله أقسم بالرحمن لأقعدن ، فقد
تخلل

قولك أقسم بالرحمن بين القسم الأول والمقسم عليه ، وذلك غير جائز كما لا يجوز زيد
قام عمرو قاعد ، خبز زيد للزوم تخلل جملة تامة بين أجزاء الكلمة .. فإن قلت : فعلى
مقتضى هذا التقدير ينبغي أن يقال : يمتنع اجتماع قسمين على مقسم عليه واحد إلا أن
يقال : يستكره كما امتنع في المثال الذي ذكرته ؟ قلت : إنما قالوا بالامتناع بل
بالاستكراه لأن الجملة القسمية وإن كانت أجنبية لفظا ، لكنها غير أجنبية من المقصود
معنى ذلك الغرض توكيد الجملة التي أقسم عليها بها ، فليست أجنبية مطلقا ، أي : لفظا
ومعنى ، بخلاف قولك : زيد قام عمرو قاعد ، فإن الجملة المتوسطة أجنبية عن الجملة

التي توسطت بينهما مطلقا ، فحيث كانت أجنبية لفظا ومعنى حكمنا بالامتناع ، وحيث كانت أجنبية لفظا لا معنى حكمنا بالاستكراه ، وثانيهما أنه لا يخلوا إما أن يكون القسمان مشتركين في المقسم عليه أولا ، فإن كانا مشتركين فيه فلا حرف الاشتراك ، وهو مفقود إذ ذاك ، وإن لم يكونا مشتركين فيه فيكون جوابا لأحدهما ، فلا يكون القسمان مجتمعين على مقسم عليه واحد ، ولأنهم يقولون في مثل هذا الموضع : بحق الله فحق الرحمن ، ثم بحق الرحيم لأفعلن ، فالمعنى فيه كالمعنى مع الواو ، وليست هذه الحروف للقسم بل للعطف ، فكذا الواو ، وقال الله تعالى : { والصافات صفا فالزاجرات زجرا ، فالتاليات ذكرا } فثبت أنه لا يجوز اجتماع قسمين على مقسم عليه واحد ، وإنما قالوا

على هذا بالاستكراه دون الامتناع ؛ لأن الاشتراك إنما يستلزم لحرف الاشتراك إذا لم يكن الثاني كالتأكيد للأول ، فأما إذا كان كذلك فلا ، ولما كان القسم الثاني بمنزلة التأكيد للأول جاز بالنظر إلى هذه الجهة ترك حرف الاشتراك ، وإن كانا مشتركين . ولقائل أن يقول : إذا جاز في جواب القسم أن يسد مسد جواب الشرط فلم لا يجوز في جواب

أحد القسمين أن يسد مسد جواب الآخر ، بل هو أولى . وأما الثاني ، وهو كون الواو للعطف وإنما امتنع فيما نحن فيه لمخالفة الثاني الأول في الإعراب لأنه مجرور ، والأول منصوب ، هذا ويمكن أن يكون من قبيل قوله :

بدا لي أنني لست مدرك ما مضى *** ولا سابق شيئا إذا كان جائيا
فإن سابقا المجرور معطوف على مدرك المنصوب ، وإنما جاز ذلك لأنه قد عهد دخول التأكيد كثيرا في خبر ليس ، فعطف عليه على تقدير الدخول ، فذلك الباء يدخل في المقسم به كثيرا فعطف عليه ، وإن كان منصوبا على تقدير دخول الباء ، وهذا البحث على قول من قال : الواو في { والنهار إذا تجلى } للعطف ، ومن قال : إنها للقسم يتمسك بأنها لو كانت للعطف لزم العطف على معمول عاملين مختلفين ، فهو للقسم ، وإذا كان فيه للقسم فكذا فيما نحن فيه ، وقد أجاب المصنف رحمه الله تعالى بمنع لزوم ذلك ، وقال : بل هو عطف على معمول عامل واحد ، وذلك لأن واو القسم بدل عن الباء ، ولما استمر حذف الفعل

مع الواو فوجب ، نابت الواو القسمية عن الباء ، وعن فعل القسم ، فصار كأن له عاملين ، وهما الجر في المقسم به ، والنصب في الظرف نيابة عن الباء والفعل ، فيكون العطف حينئذ من قبيل العطف على معمولي عامل واحد ، وهو الواو ؛ لأن الواو على هذا التقدير

عامل واحد يعمل عملين مختلفين ، وذلك جائز نحو إن زيدا قائم وعمرا قاعد ، وقد اعترض على هذا الجواب بأنه لا يستقيم لو لم يصرح بأقسم ، والباء ، بل قام مقامهما حرف

واحد ، أما إذا صرح بهما فلا يستقيم هذا الاعتذار ، ولكن قد صرح بهما في قوله تعالى : { فلا أقسم بالخنس الجوار الكنس والليل إذا عسعس } فقد قام الواو هاهنا مقام مختلفين مصرح بهما فلا يستقيم حينئذ ذلك الاعتذار ، وللقائل بأن الواو للعطف أن يقول : إنما يلزم العطف على معمولي عاملين مختلفين على تقدير كون إذا ظرفا لفعل القسم أما على تقدير أنه بدل عن المقسم به ، أي : أقسم بالليل وقت غشيانه ، أو منصوب بمضاف مقدر قبل المقسم به ، أي : أقسم بعظمة الليل وقت غشيانه ، وهذان الوجهان ثابتان في { والنهار إذا تجلى } فلا يلزم ذلك على هذا ، على أنه لا يجوز أن يكون ظرفا لفعل القسم لفساد المعنى ، وهو لزوم تقييد القسم بزمان الغشيان ، وليس كذلك ، إذ ليس المعنى أنه أقسم في وقت غشيان الليل ، بل القسم مطلق ، وإذا لم يكن منصوبا بفعل القسم بقي القسم على إطلاقه .

(٢٢/١)

قال الخليل في قوله عز وجل: { يوم يكون الناس كالفرش المبثوث } : الواوان الأخريان ليستا لمنزلة الأولى، ولكنهما الواوان اللتان تضمان الأسماء إلى الأسماء في قولك: مررت بزيد وعمرو، والأولى بمنزلة الباء والتاء، قال سيويه: قلت للخليل: فلم لا تكون الأخريان بمنزلة الأولى؟

(٢٣/١)

فقال: إنما أقسم بهذه الأشياء على شيء، ولو كان انقضى قسمه بالأول على شيء لجاز أن يستعمل كلاما آخر، فيكون كقولك بالله لأفعلن، بالله لأخرجن اليوم، ولا يقوى أن تقول: وحقك وحق زيد لأفعلن. والواو الأخيرة واو قسم لا يجوز إلا مستكرها قال: وتقول وحياتي ثم حياتك لأفعلن؛ فثم هاهنا بمنزلة الواو. هذا ولا سبيل (١) فيما نحن بصدده إلى أن تجعل الواو للعطف؛ لمخالفة الثاني الأول في الإعراب. فإن قلت: فقدرها مجرورة (٢) بإضمار الباء القسمية لا بحذفها، فقد جاء عنهم: الله لأفعلن مجرورا، ونظيره قولهم: لاه أبوك (٣)؛ غير أنها فتحت في موضع الجر لكونها غير مصروفة، واجعل الواو للعطف حتى يستتب لك المصير إلى نحو ما أشرت إليه.

(١) قوله: (هذا ولا سبيل) هذا من فصل الخطاب ، أي : مضى هذا ، أو خذ هذا ، أو هذا كما قلت ، ثم شرع في بيان ما هو المقصود من كلامه ، أو في بيان فرع آخر ، وقيل : هذا فصل أحسن من فصل .

(٢) قوله: (فقدرها مجرورة) مسبب عما قبله ، أراد لم نقدرها مجرورة بإضمار حرف الجر لا بحذفها حتى يتم لك العطف ، والفرق بين المضمّر والمحذوف ، أن المضمّر أثره باق ، بخلاف المحذوف .

(٣) قوله: (لاه أبوك) أصله : لله أبوك ، قال سيبويه : حذفوا اللامين منه لام الاضافة ، ولام الأصل ، وقيل : المحذوف من اللامات الزائدتان ، وقيل : لام الأصل ، والمبقي الزائد خلافاً لسبويه ، قال أبو علي : فلهم أن يقولوا : إن الزائد جاء لمعنى ، فهو أولى بالإبقاء ؛ لأنه إذا حذف زال بحذفه دلالة التي جاء لها ، وقد رأيناهم يحذفون من نفس الكلمة في نحو لم يك ، ولا أدر ، ولم أنل إذا كان في الذي أبقى دليل على ما ألغي ، وقيل : معنى التعجب في لاه أبوك أنهم يقيدون بذكر اللام المفيد للاختصاص أن الله تعالى لكمال قدرته مختص بإيجاد مثل هذا الشيء العجيب الشأن ، ومعنى يستتب : يستقيم ، ويتم .

(٢٤/١)

قلت: هذا لا يبعد عن الصواب، ويعضده ما رووا عن ابن عباس رضي الله عنه أنه قال: أقسم الله بهذه الحروف(١).

(١) قوله: (أقسم الله بهذه الحروف) وذلك لشرفها ؛ لأنها مباني كتب الله ، وأسمائه ، وإن يقدر عطف على ذلك ، على سبيل البيان ، وإنما جاز النصب في (حم لا ينصرون) ما كذره المصنف رحمه الله في الفائق أن السور السبع التي في أوائلها حم سور لها شأن ، فنبه صلوات الله عليه أن ذكرها لشرف منزلتها ، وفخامة شأنها مما يستظهر به على إنزال [٦٧٠] رحمة الله في نصرة المسلمين ، وفل شوكة الكفار ، وقوله (لا ينصرون) كلام مستأنف ، كأنه حيث قال : قولوا حم ، قال له قائل : ما ذا يكون إذا قلنا هذه

الكلمة ؟ فقال : لا ينصرون .

(٢٥/١)

فإن قلت: فما وجه قراءة بعضهم ص ، وق ، بالكسر؟ قلت: وجهها ما ذكرت من التحريك

لالتقاء الساكنين، والذي يبسط من عذر المحرك: أن الوقف لما استمر بهذه الأسامي،
شاكلت لذلك ما اجتمع في آخره ساكنان من المبنيات، فعوملت تارة معاملة "الآن" وأخرى
معاملة "هؤلاء". فإن قلت: هل تسوغ لي في المحكية مثل ما سوغت لي في المعربة من
إرادة معنى القسم؟ قلت: لا عليك في ذلك، وأن تقدر حرف القسم مضمرا في نحو قوله عز
وجل: (حم ، والكتاب المبين)، كأنه قيل: أقسم بهذه السورة، وبالكتاب المبين: إنا
جعلناه. وأما قوله صلى الله عليه وآله وسلم (٩) "حم لا ينصرون" فيصلح أن يقضى له
بالجر والنصب جميعا على حذف الجار وإضمامه. فإن قلت: فما معنى تسمية السور بهذه
الألفاظ خاصة؟ قلت: كأن المعنى في ذلك (١) الإشعار بأن الفرقان ليس إلا كلمتا عربية
معروفة التركيب من مسميات هذه الألفاظ، كما قال عز من قائل: { قرآنا عربيا } (يوسف:
٢). فإن قلت: فما بالها مكتوبة في المصحف على صور الحروف أنفسها، لا على صور
أسمائها؟ قلت: لأن الكلم لما كانت مركبة من ذوات الحروف، واستمرت العادة متى تهجيت
ومتى قيل للكاتب: اكتب كيت وكيت أن يلفظ بالأسماء وتقع في الكتابة الحروف أنفسها،
عمل على تلك الشاكلة المألوفة في كتابة هذه الفواتح.

(١) قوله: (كأن المعنى في ذلك الاشعار) الخ فإن قلت : أليس هذا المعنى يفيد الوجه
الثاني من الوجوه الثلاثة في الفواتح ؟ قلت : بلى إلا أن هذا المعنى إنما أفاده هذا
الوجه بحسب التناسب بين الاسم والمسمى من غير قصد في التسمية إليه ، وهناك مفيدة مع
القصد إليه أولا ، ومن ثم قال : كأن المعنى على التشبيه دون الجزم .
(٢٦/١)

وأیضا فإن شهرة أمرها، وإقامة ألسن الأسود والأحمر لها، وأن الالفاظ بها غير
متهجة(١) لا يحلى بطائل منها وأن بعضها مفرد لا يخطر ببال غير ما هو عليه من
مورده: أمنت وقوع اللبس فيها(٢): وقد اتفقت في خط المصحف أشياء خارجة عن القياسات
التي بني عليها

(١) قوله: (غير متهجة) معنا ذلى أن يؤتى بالحروف أنفسها لا بأسمائها نحوضه ، قه ،
يه ، وكونها متهجة أن يؤتى بأسمائها نحو صاد ، قاف ، نون .
(٢) قوله: (أمنت وقوع اللبس) خبر إن في قوله : شهرة أمرها ، وقوله ولأن الالفاظ بها
، وقوله : وإن بعضها مفرد ، معطوفات على شهرة أمرها ، ومعنى (لا يحلى منها بطائل)

لا يظفر بكثير نفع ، وعلم الخط تصوير اللفظ بحروف هجائه ، أي : اللفظ المقصود تصويره ، والأصل فيه أن تكتب كل كلمة بصورة لفظها بتقدير الابتداء بها والوقوف عليها ، وخط المصحف ، وخط العروض مبتدأ خبره خطان لا يقاسان ، قدم للتشويق ، والمراد بكتاب الكتاب كتاب الكتابة ، وفي بعض النسخ بكتاب الكتاب بالتشديد ، وهو جمع كاتب .

(٢٧/١)

علم الخط والهجاء؛ ثم ما عاد ذلك بضير ولا نقصان؛ لاستقامة اللفظ وبقاء الحفظ، وكان أتباع خط المصحف سنة لا تخالف. قال عبد الله بن درستويه في كتابه: المترجم بكتاب الكتاب المتمم: في الخط والهجاء خطان لا يقاسان: خط المصحف، لأنه سنة، وخط العروض؛

لأنه يثبت فيه ما أثبتته اللفظ ويسقط عنه ما أسقطه. الوجه الثاني: أن يكون ورود هذه الأسماء هكذا(١)

(١) قوله: (هكذا) صفة مصدر محذوف ، وكالايقاظ خبر يكون ، ومسرودة حال من الأسماء ،

والعامل فيه الورود ، أي : الوجه الثاني : أن يكون ورود هذه الأسماء ورودا مثل هذا الورود حال كونها متتابعة على طريق التعداد ، كالتنبيه لمن يرد عليه أمر له شأن ليتلقاه بالقبول ، وقرع العصا : أصله قولهم : إن العصا قرعت لذي الحلم يضرب لم ينيه على الشرح والحكم عامر بن الظرب ، وكان من حكماء العرب ، لا يعدل بفهمه فهم ، فلما طعن في السن أنكر من عقله شيئا فقال لبيه : إنه : قد كبرت سني فإذا رأيتموني خرجت من كلامي ، وأخذت في غيره فاقرعوا لي المحجن بالعصا ،

ومعنى (عجزوا عنه عن آخرهم) عجزا صادرا عن آخرهم ، وإذا صدر العجز عن آخرهم فقد واصله صدر عن جميعهم متجاوزا عن آخرهم ، والجواب : المكاملة ، ومنه كلمته فما أحرار بنت شفة ، أي : ما أجاب ، والتساجل : التفاخر ، وأصله في الدلاء ، واقتضاب الكلام : ارتجاله .

والرجز : ضرب من الشعر ، ومعنى : ندت ، غلبت ، وشق الغبار غباره من السبق ، والطامح من يطمع إليه ببصره .

مسرودة على نمط التعديد كالإيقاظ وقرع العصا لمن تحدى بالقرآن وبغرابة نظمه؛
 وكالتحريك للنظر في أن هذا المتلو عليهم وقد عجزوا عنه عن آخرهم كلام منظوم من عين
 ما ينظمون منه كلامهم ليؤديهم النظر إلى أن يستيقنوا أن لم تتساقط مقدرتهم دونه،
 ولم تظهر معجزتهم عن أن يأتوا بمثله بعد المراجعات المتطاولة، وهم أمراء الكلام
 وزعماء الحوار، وهم الحراس على التساجل في اقتضاب الخطب، والمتهاكون على الافتتان
 في القصيد والرحز، ولم يبلغ من الجزالة وحسن النظم المبالغ التي بزت بلاغة كل ناطق،
 وشقت غبار كل سابق، ولم يتجاوز الحد الخارج من قوى الفصحاء، ولم يقع وراء مطامح
 أعين
 البصراء؛ إلا لأنه ليس بكلام البشر (١)،

(١) قوله: (إلا لأنه ليس من كلام البشر) استثناء من قوله إن لم يتساقط ، ومن
 المنفيات المعطوفة عليه الانتصاف ، هذا الفصل أتى فيه ببلاغة ، لكنه أفسدها بالنفي
 ، فطول فيه حتى انتهى إلى الاثبات ، وهو منتقد عليه كما انتقد على المتنبي قوله :
 فلا ركبت بها إلا إلى ظفر*** ولا حصلت بها إلا على أجل
 أقول : يستحق صاحب الانتصاف أن يجاب بقول الشاعر :
 علي نحت القوافي من معادنها*** وما علي إذا لم تفهم البقر
 أو بقوله :
 إذا لم يكن للمرء عين صحيحة*** فلا غرو أن يرتاب والصبح مسفر

يا عجا أيعترض باقل على سحبان ، ويتهكم بالبصير من يمشي مشي العميان ، وقال الطيبي
 طاب له الشاء ، وطال له البقاء : ليت شعري كيف [٦٧١] ينتقد على مثله في بلاغته ،

أم كيف يقاس هذا الكلام العذب الطيب بيت أبي الطيب ، فإنه أوهم في البداية أنه
 دعاء سوء ، وما يدخل منه من ذهل السامع لا يجبر بما يستدرك بعده ، وأن المصنف رحمه
 الله سلك مسلك التشويق إلى ما يرد في الانتهاء أولا بقرينتين مشتملتين على سلب
 مقدرة الخصوم ، وبيان عجزهم ، وهما قوله : لم يتساقط مقدرتهم دونه ، ولم تظهر
 معجزتهم عن أن يأتوا بمثله ثم عقبهما بقرينتين متضمنتين صفتين بليغتين للقرآن
 البليغ ليلغ بالسامع مبلغا لا يتمالك معه أن يصبر دون العثور على المطلوب ، وكأن

هذا المنتقد بعد أن حرم الوقوف على الأساليب ما سمع قوله تعالى : { ذلك بأنهم لا يصيبهم ظمأ ولا نصب ولا مخمصة في سبيل الله ولا يطأون موطئا يغيظ الكفار ولا ينالون من عدو نيلا إلا كتب لهم به عمل صالح } فإن المنفيات الثلاثة في الآية مؤذنة بما عليهم ، والأخيران مشتملان على ما هو لهم ، ولا يبعد أن المصنف قفا فقبس كلامه من أسلوب الآية ، والتكثير في بمنزلة للتعظيم (٢٩/١)

وأنه كلام خالق القوى والقدر. وهذا القول من القوة والخلافة بالقبول بمنزل، ولنصاره على الأول أن يقول: إن القرآن إنما نزل بلسان العرب مصبوبا في أساليبهم واستعمالاتهم، والعرب لم تتجاوز ما سموا به مجموع اسمين، ولم يسم أحد منهم بمجموع ثلاثة أسماء وأربعة وخمسة، والقول بأنها أسماء السور حقيقة: يخرج إلى ما ليس في لغة العرب، ويؤدي أيضا إلى صيرورة الاسم والمسمى واحدا. فإن اعترضت عليه بأنه قول مقول على وجه الدهر وأنه لا سبيل إلى رده، أجابك بأن له محملا سوى ما يذهب إليه، وأنه نظير قول الناس: فلان يروي: قفا نبك، وعفت الديار. ويقول الرجل لصاحبه: ما قرأت؟ فيقول: { الحمد لله } و { براءة من الله ورسوله } (التوبة: ١) و { يوصيكم الله في أولادكم } (النساء: ١١) (٣٠/١)

و { لله نور السماوات والأرض } . وليست هذه الجمل بأسامي هذه القصائد وهذه السور

والآي، وإنما تعني رواية القصيدة التي ذاك استهلالها، وتلاوة السورة أو الآية التي تلك فاتحتها. فلما جرى الكلام على أسلوب من يقصد التسمية، واستفيد منها ما يستفاد من التسمية، قالوا ذلك على سبيل المجاز دون الحقيقة. وللمجيب عن الاعتراضين على الوجه الأول أن يقول: التسمية بثلاثة أسماء فصاعدا مستنكرة لعمرى وخروج عن كلام العرب، ولكن إذا جعلت إسما واحدا على طريقة حضرموت، فأما غير مركبة منثورة (١) نشر أسماء العدد فلا استنكار فيها؛ لأنها من باب التسمية بما حقه أن يحكى حكاية، كما سموا بتأبط شرا، وبرق نحره، وشاب قرناها. وكما لو سمي: بزيد منطلق، أو بيت شعر. وناهيك بتسوية سيويه (٢) بين التسمية بالجملة والبيت من الشعر، وبين التسمية بطائفة من أسماء حروف المعجم، دلالة (٣) قاطعة على صحة ذلك. وأما تسمية السورة كلها بفاتحتها، فليست بتصيير الاسم والمسمى واحدا، لأنها تسمية مؤلف بمفرده، والمؤلف غير

المفرد. ألا ترى أنهم جعلوا اسم الحرف مؤلفاً منه ومن حرفين مضمومين إليه، كقولهم: صاد، فلم يكن من جعل الاسم والمسمى واحداً حيث كان الاسم مؤلفاً والمسمى مفرداً.

-
- (١) قوله: (غير مركبة منثورة) منصوبان بمضمر أن فأما إذا جعلت غير مركبة منثورة فلا استنكار في التسمية ، وقيل : نصبا على الحال من التسمية ، والعامل فيها فلا استنكار ، تقديره فأما التسمية فثلاثة أسماء فصاعداً ، فلا استنكار فيها غير مركبة منثورة .
- (٢) قوله: (وناهيك بتسوية سيبويه) أي : كافيك ، يقال : رجل ناهيك من رجل ، أي : هو منهاك [نهايتك نخ] بجده وغناؤه عن تطلب غيره ، وهو اسم فاعل من النهي .
- (٣) قوله: (دلالة) نصب على التمييز من ناهيك ، بمعنى : حسبك .
- (٣١/١)

الوجه الثالث: أن ترد السور مصدره بذلك ليكون أول ما يقرع الأسماع (١) مستقلاً بوجه من الإعراب، وتقدمة من دلائل الإعجاز. وذلك أن النطق بالحروف أنفسها كانت العرب فيه

مستوية الأقدام: الأميون منهم أهل الكتاب، بخلاف النطق بأسامي الحروف. فإنه كان مختصاً بمن خط وقرأ وخالط أهل الكتاب وتعلم منهم، وكان مستغنياً مستبعداً من الأمي التكلم بها استبعاد الخط والتلاوة، كما قال عز وجل: { وما كنت تتلو من قبله من كتاب ولا تخطه يمينك إذا لارتاب المبطلون } (العنكبوت: ٤٨). فكان حكم النطق بذلك - مع اشتهار أنه لم يكن ممن اقتبس شيئاً من أهله - حكم الأفاصيص المذكورة في القرآن، التي لم تكن قریش ومن دان بدينها في شيء من الإحاطة بها، في أن ذلك حاصل له من جهة الوحي، وشاهد بصحة نبوته، وبمنزلة أن يتكلم بالبطانة من غير أن يسمعها من أحد. واعلم أنك إذا تأملت ما أورده الله عز سلطانه في الفواتح من هذه الأسماء.

-
- (١) قوله: (ليكون أول ما يقرع الأسماع مستقلاً بوجه من الإعراب) هو من أغرب الرجل إذا جاء بشيء غريب والفرق بين هذا الوجه والسابق ذكره أن دلالة هذا الإعجاز والغربة من نفسه لصدورها عن يجري منه التعليم ، ودلالة ذاك عليه باعتبار التنبيه على غرابة نظم القرآن وبلاغته ، فلو جرى بالوجه السابق كانت لجاز بخلاف الثاني ، قال صاحب التقریب : وفيه ضعف ؛ لأنه يمكن تعلمه ، ولو بسماع من جني في أقصر زمان؟ والجواب : أن صدور مثل هذه الألفاظ من مثله غريب على الإطلاق ، سواء تعلم أو لم يتعلم لعدم اشتهاره بالتعلم ، و المقصود من إثبات الغرابة في الفواتح ليس إلا التنبيه على

اشمال ما يرد بعدها على الاعجاز ، والمراد بأهل الكتاب في قوله { الأميون } وأهل
الكتاب : اهل الكتابة والرطانة والتكلم بالعجمية .
(٣٢/١)

وجدتها نصف أسامي حروف المعجم (١) أربعة عشر سواء، وهي: الألف، واللام،

(١) قوله: (نصف أسامي حروف المعجم أربعة عشر) جعل حروف المعجم تارة ثمانية وعشرين
حيث قال : نصف حروف المعجم أربعة عشر ، وجعلها أخرى تسعة وعشرين حيث قال : في
تسع

وعشرين سورة على عدد حروف المعجم ، وذلك بعد الهمزة حرفا غير الألف تارة ، وعدم
عدها أخرى ، أو لأنها لما كانت تسعة وعشرين ، وليس لها نصف صحيح جعل أربعة عشر
نصفها لقربها من النصف ، كما فعل مثل ذلك في أجناس الحروف حيث قال : ومن المستعلية
نصفها ، فأورد ثلاثة مع أن المستعلية سبعة ، وهكذا في حروف القلقله ، وقيل : فيه
نظر ، لتأكيد بقوله : سواء ، وأجيب بأن سواء صفة لأربعة شعر ، وليس بمعلق بنصف
أسامي الحروف ، أو لأن الأسماء لما كانت ثمانية وعشرين فقط ؛ لأن الهمزة لا اسم لها
جعل النصف بالنظر إلى ذلك أربعة عشر ، وقال في تسع وعشرين بالنظر إلى عدد المسميات
(٣٣/١)

والميم، والصاد، والراء، والكاف، والهاء، والياء، والعين، والطاء، والسين، والحاء،
والقاف، والنون - في تسع وعشرين سورة على عدد حروف المعجم. ثم إذا نظرت في هذه
الأربعة عشر وجدتها مشتملة على أنصاف أجناس الحروف (١)، بيان ذلك أن فيها من
المهموسة نصفها: الصاد، والكاف، والهاء، والسين، والحاء. ومن المجهورة نصفها:
الألف، واللام، والميم، والراء، والعين، والطاء، والقاف، والياء، والنون. ومن
الشديدة نصفها: الألف، والكاف، والطاء، والقاف. ومن الرخوة نصفها: اللام، والميم،
والراء، والصاد، والهاء، والعين، والسين، والحاء، والياء، والنون. ومن المطبقة
نصفها: الصاد، والطاء. ومن المنفتحة نصفها: الألف، واللام، والميم، والراء، والكاف،
والهاء، والعين، والسين، والحاء، والقاف، والياء، والنون. ومن المستعلية نصفها:
القاف، والصاد، والطاء. ومن المنخفضة نصفها: الألف، واللام، والميم، والراء،
والكاف، والهاء، والياء، والعين، والسين، والحاء، والنون. ومن حروف القلقله نصفها:

القاف، والطاء. ثم إذا استقرت الكلم وتراكيبها، رأيت الحروف التي ألغى الله ذكرها من هذه الأجناس المعدودة مكثورة بالمذكورة منها، فسبحان الذي دقت في كل شيء حكمته.

)

(١) قوله: (وجدتها مشتملة على أنصاف أجناس الجروف) يشكل بحروف الدلالة إذ هي ستة يجمعها : مر ينقلب ، وقد ذكر منها أربعة الميم والراء واللام والنون ، والحروف المصمتة ، وهي ما عدا حروف الدلالة فإنه ذكر منها عشرة فقط ، وهي الألف ، والحاء ، والسين ، والصاد [٦٧٢] والطاء ، والعين ، والكاف ، والقاف ، والهاء ، والياء ، وكأنه لما أتى بأكثر حروف الدلالة ، وسكت عن أكثر المتضمنة لحقة الأولى ، ولذلك لم ينفك رباعي ولا خماسي ، عن شيء منها في الغالب ، وتقل الثانية ، ولذلك قد يصمت عنها في بناء رباعي وخماسي ، ومعنى : مكثورة : مغلوبة بالكثرة ، أي : تكثرة المذكورة . (٣٤/١)

وقد علمت أن معظم الشيء وحله ينزل منزلة كله، وهو المطابق للطائف التنزيل واختصاراته، فكأن الله عز اسمه عدد على العرب الألفاظ (١) التي منها تراكيب كلامهم، إشارة إلى ما ذكرت من التبكيت لهم وإلزام الحجة إياهم. ومما يدل على أنه تغمد بالذكر من حروف المعجم أكثرها وقوعا في تراكيب الكلم، أن الألف واللام لما تكاثرا وقوعهما فيه

(١) قوله: (عدد على العرب الالفاظ) يريد بها حروف المعجم التي هي المسميات بدليل قوله : (تراكيب كلامهم) وإنما أراد بها المسميات ، مع أن المذكور هو الأسماء ؛ لأن عدد الحروف إنما يكون بذكر الأسماء الدالة عليها كما عرفت أن التهجي تعدد الحروف بأسمائها ، والتبكيت : إلزام الخصم . (٣٥/١)

جاءتا في معظم هذه الفواتح مكررتين. وهي: فواتح سورة البقرة، وآل عمران، والروم، والعنكبوت، ولقمان، والسجدة، والأعراف، والرعد، ويونس، وإبراهيم، وهود، ويوسف، والحجر. فإن قلت: فهلا عددت بأجمعها في أول القرآن؟ وما لها جاءت مفرقة على السور؟

قلت: لأن إعادة التنبيه على أن المتحدى به مؤلف منها لا غير، وتجديده في غير موضع واحد أوصل إلى الغرض وأقر له في الأسماع والقلوب من أن يفرد ذكره مرة، وكذلك مذهب

كل تكرير (١) جاء في القرآن فمطلوب به تمكين المكرر في النفوس وتقريره. فإن قلت: فهلا جاءت على وتيرة واحدة؟ ولم اختلفت أعداد حروفها فوردت ص ، و ق ، و ن ، على حرف، وطه و طس ، و يس ، و حم ، على حرفين، وآلم وآلر وطسم على ثلاثة أحرف، والمص ،

والمر على أربعة أحرف، وكهيعص ، وحم ، عسق ، على خمسة أحرف؟ قلت: هذا على إعادة افتنانهم في أساليب الكلام، وتصرفهم فيه على طرق شتى ومذاهب متنوعة. وكما أن أنبية كلماتهم على حرف وحرفين إلى خمسة أحرف لم تتجاوز ذلك، سلك بهذه الفواتح ذلك المسلك.

فإن قلت: فما وجه اختصاص كل سورة بالفاتحة التي اختصت بها؟ قلت: إذا كان الغرض هو التنبيه - والمبادئ كلها في تأدية هذا الغرض سواء لا مفاضلة - كان تطلب وجه الاختصاص ساقطاً، كما إذا سمي الرجل بعض أولاده زيدا والآخر عمرا، لم يقل له: لم خصصت ولدك هذا بزید وذاك بعمر؟ لأن الغرض هو التمييز وهو حاصل أية سلك (٢)؛

(١) قوله: (كل تكرير) اعلم أن التكرير قد يكون للفظ والمعنى ، كتكرير { فبأي آلاء ربكما تكذبان } وقد يكون للمعنى من غير نظر إلى اللفظ ، وذلك كتكرير هذه الألفاظ في السورة ، فإن المكرر هو ألثنية نفسه ، وإن اختلفت الألفاظ وقد كرر بعض الفاظها مع تكرير المعنى

(٢) قوله: (أية سلك) أية طرف لحاصل ، أي : في أي طريق سلك بالتون عوض عن المضاف

إليه ، قال زهير :

بان الخليط ولم يأووا لمن تركوا***وزودوك اشتياقا أية سلكوا

(٣٦/١)

ولذلك لا يقال: لم سمي هذا الجنس بالرجل وذاك بالفرس؟ ولم قيل للاعتماد الضرب؟ وللانتصاب القيام؟ ولنقيضه القعود؟ فإن قلت: ما بالهم عدوا بعض هذه الفواتح آية دون بعض؟ قلت: هذا علم توقيفي لا مجال للقياس فيه كمعرفة

السور. أما الم ، فأية حيث وقعت من السور المفتوحة بها. وهي ست. وكذلك المص ، آية، والمر لم تعد آية، والر ليست بآية في سورها الخمس، وطسم ، آية في سورتها، وطه ويس ،

آيتان، وطس ، ليست بآية، وحم ، آية في سورها كلها، و حم عسق ، آيتان، وكهيعص ، آية واحدة، وص ، و ق ، و ن ، ثلاثها لم تعد آية. هذا مذهب الكوفيين ومن عداهم، لم يعدوا شيئا منها آية. فإن قلت: فكيف عد ما هو في حكم كلمة واحدة آية؟ قلت: كما عد الرحمان وحده ومدھامتان وحدها آيتين على طريق التوقيف. فإن قلت: ما حكمها في باب الوقف؟ قلت: يوقف على جميعها وقف التمام إذا حملت على معنى مستقل غير محتاج إلى ما

بعده، وذلك إذا لم تجعل أسماء للسور ونعق بها كما ينطق بالأصوات أو جعلت وحدها أخبار ابتداء محذوف كقوله عز قائلا: (الم ، الله) أي هذه الم ، ثم ابتداء فقال: { الله لا إله إلا هو } (البقرة: ٢٥٥). فإن قلت: هل لهذه الفواتح محل من الإعراب (١)؟ قلت: نعم لها محل فيمن جعلها أسماء للسور لأنها عنده كسائر الأسماء الأعلام.

(١) قوله: (هل لهذه الفواتح محل من الإعراب) قيل : هذا مستدرك عليه ؛ لأنها قد ذكر قبل إنها معرفة ، وعلم أن لها محلا ؟ أقول لا استدراك لأنه إنما ذكر قبل معربة في نفسها بمعنى أنها قابلة للإعراب ، عند التركيب ، ولم يذكر أنها معربة في فواتح السور ، وإذا كان كذلك فيحمل مع كونها قابلة للإعراب أن تذكر في افواتح على سبيل التعداد فلا تكون معربة بالفعل ، وقيل : إنما سئل هذا السؤال وأجاب عنه ، وإن كان معلوما ليبنى عليه السؤال المتعقب له (٣٧/١)

فإن قلت: ما محلها؟ قلت: يحتمل الأوجه الثلاثة، أما الرفع: فعلى الابتداء، وأما النصب والجر، فلما مر من صحة القسم بها وكونها بمنزلة الله والله على اللغتين. ومن لم يجعلها أسماء للسور، لم يتصور أن يكون لها محل في مذهبه، كما لا محل للجمل المبتدأ وللمفردات المعددة.

{ sCE"٩dy7 الكتاب لا ريب فيه هدى للمتقين (٢) } (٣٨/١)

فإن قلت: لم صحت الإشارة (١) بذلك إلى ما ليس ببعيد؟ قلت: وقعت الإشارة إلى الم ،

بعد ما سبق التكلم به وتقضى ، والمقتضى في حكم المتباعد ، وهذا في كل كلام . يحدث
الرجل بحديث ثم يقول: وذلك ما لا شك فيه . ويحسب الحاسب ثم يقول: فذلك كذا وكذا .
وقال الله تعالى: { لا فارض ولا بكر عوان بين ذلك } (البقرة: ٦٨) . وقال: { ذلكما
مما علمني ربي } (يوسف: ٣٧) ، ولأنه لما وصل من المرسل إلى المرسل إليه ، وقع في حد
البعد ، كما تقول لصاحبك وقد أعطيته شيئاً: احتفظ بذلك . وقيل معناه: ذلك الكتاب الذي
وعدوا به . فإن قلت: لم ذكر اسم الإشارة - والمشار إليه مؤنث وهو السورة - ؟ قلت:
لا أدخل من أن أجعل الكتاب خبره أو صفته . فإن جعلته خبره ، كان ذلك في معناه (٢)
ومسماه مسماه ، فجاز إجراء حكمه عليه في التذكير ، كما أجري عليه في التأنيث في
قولهم: من كانت أمك .

(١) قوله: (فإن قلت لم صحت الإشارة) هذا السؤال متفرع على كون { الم } اسماً للسورة
، فقال : هو اسم للسورة ، وذلك إشارة إليه مع قرينه ، فكيف يصح ؟ أجاب أولاً بتسليم
أن ذلك إشارة إليه ، وقرر بعده من جهين ، وثانياً أنه وإن كان اسماً للسورة لكن ليس
ذلك إشارة إلى { الم } بل إلى الكتاب الموعود في الكتب المتقدمة ، أو في قوله : {
إنا سنلقي عليك قولاً ثقيلاً } على هذا فقوله : ولأنه وصل عطف على قوله : وقعت
الإشارة من حيث المعنى ، وكذا قوله : وقيل : معناه ؛ لأنه جواب آخر .
(٢) قوله: (كان ذلك في معناه) إلى آخره ، حاصل الجواب أن المبتدأ والخبر لما كانا
متحدتين جاز إجراء التوكيد على المبتدأ باعتبار تذكير الخبر ، كما جاز العكس ، وهذا
مطرد في كل مبتدأ يقع بين مبتدأ وخبر مختلفين بالتذكير والتأنيث ، ومثل ذلك قوله
تعالى : { هذا ربي } فإنه ذكر هذا ، وإن كان اسم إشارة إلى الشمس لتذكير الخبر .
(٣٩/١)

وإن جعلته صفته ، فإنما أشير به إلى الكتاب صريحاً ؛ لأن اسم الإشارة مشار به إلى
الجنس الواقع صفة له . تقول: هند ذلك الإنسان ، أو ذلك الشخص فعل كذا . وقال
الذبياني (١):

نبئت نعمي على الهجران عاتبة ... سقيا ورعيا لذاك العاتب الزاري

(١) قوله: (قال النابغة الذبياني) :

نبئت نعمى على الهجران عاتبة*** سقيا ورعيا لذاك العاتب الزاري
يقول : أخبرت أن هذه المرأة عاتبة علي ، سقيا ورعيا لذاك الإنسان الذي يعتب ويزري ،
عتب عليه : أي : غضب عليه ، وأزرى عليه : عتب عليه ، ونعمى اسم امرأة ، حكمه في
الصرف وعدمه حكم هند ، وعاتبة : ثالث مفاعيل نبئت ، وعلى الهجران متعلق بعاتبة ،
ويجوز أن يكون حالا من المفعول الثاني ، وقبل : هذا البيت :
عوجوا فحيوا لنعمى دمنة الدار*** ما ذا تحيوم من نأي وأحجار
لقد أراني ونعمى لا هيين بها*** والدهر والعيش لم بهمم بإمرار
(٤٠/١)

فإن قلت: أخبرني عن تأليف { ذلك الكتاب } مع { الم } . قلت: إن جعلت { الم } اسما
للسورة ففي التأليف وجوه: أن يكون { الم } مبتدأ، و { ذلك } . مبتدأ ثانيا، و {
الكتاب } خبره، والجملة خبر المبتدأ(١) الأول. ومعناه(٢): أن ذلك الكتاب هو الكتاب
الكامل، كأن ما عداه من الكتب في مقابلته ناقص، وأنه الذي يستأهل أن يسمى كتابا(٣)،
كما تقول: هو الرجل، أي الكامل في الرجولية، الجامع لما يكون في الرجال من مرضيات
الخصال. وكما قال:
هم القوم(٤)

(١) قوله: (والجملة خبر المبتدأ) واسم الإشارة فيها قام مقام الضمير .
(٢) قوله: (ومعناه إن ذلك هو الكتاب ٩ الضمير فصل ، وقد إذن بإدخاله أن التركيب مفيد
للحصر ، وأذن بقوله الكامل أن التعريف في الكتاب للجنس ، وأذن بإقحام كلمة التشبيه
في قوله : كأن ما عداه من الكتب في مقابلته ناقص ، أن الحصر على وجه المبالغة ، دون
الحقيقة ، قال ابن جني : أن من عادتهم أن يوقعوا على الشيء الذي يحبونه بالمدح اسم
الجنس ، ألا تراهم كيف يسموا الكعبة بالبيت ، وكتاب سيبويه بالكتاب .
(٣) قوله: (يستأهل [٦٧٣] قال المصنف رحمه الله في الأساس : فلان أهل للدار ، أو

استأهل لذلك وهو مستأهل له ، وقد سمعت أهل الحجاز يستعملونه استعمالا واسعا ، وذكر
الحريري في كتاب درة الغواص في أوهام الخواص أن المستأهل هو الذي يتخذ إلاها له ،
أو يأكلها ، كذا ذكر في الصحاح .

(٤) قوله: (هم القوم) أوله : وإن الذي حانت بفلج دماؤهم*** هم القوم كل القوم يا

أم خالد

قوله : حان بمعنى قرب ، وبمعنى هلك ، ومعناه على الوجهين : وإن الذي سفك دماءهم فحذف المضاف وأقيم المضاف إليه مقامه ، وأنت الفعل لذلك ، أو هلكت دماؤهم أي : اريققت في فلج ، وهو موضع قرب البصرة ، هم القوم كل القوم المشهورون بالرجولية ، والبراعة ، المذكورون بكمال الشهامة والشجاعة ، قال بعض الفضلاء : وهذا البيت رثى به الشاعر الحسين بن علي عليهما السلام ، وهذا منه سهو ؛ لأن فلجا موضع بين البصرة وبصرية ، والحسين بن علي عليه السلام استشهد بالطف ، والذي في البيت بمعنى الذين ؛ لكنه حذف النون تخفيفا بدليل جمع الضمير في دماؤهم ، والإخبار عنهم بأنهم هم القوم ، ونحوه في الحذف قوله تعالى : { وخضتم كالذي خاضوا } أي : كالذين (٤١/١)

كل القوم يا أم خالد

وأن يكون الكتاب صفة. ومعناه: هو ذلك الكتاب الموعود(١)، وأن يكون { الم } خبر مبتدأ محذوف، أي هذه الم، ويكون ذلك خبرا ثانيا(٢) أو بدلا، على أن الكتاب صفة، وأن يكون: هذه الم ، جملة، وذلك الكتاب جملة أخرى. وإن جعلت الم ، بمنزلة الصوت(٣)، كان

ذلك مبتدأ خبره الكتاب، أي ذلك الكتاب المنزل هو الكتاب الكامل. أو الكتاب صفة والخبر ما بعده، أو قدر مبتدأ محذوف،

(١) قوله: (ومعناه هو ذلك الكتاب) الموعود إنما جعل اللام للعهد على تقدير كون الكتاب صفة ؛ لأن من حق الصفة في الأغلب أن تكون معلومة للمخاطب قبل الوصف بها . والله أعلم . .

(٢) قوله: (فيكون ذلك خبرا ثانيا) قيل : يجوز على هذا الوجه أن يكون الكتاب صفة ذلك ،

وأن يكون (ذلك) مبتدأ لأن الإخبار باسم الإشارة غير موصوف لا يفيد هنا ؛ لأنك لو قلت : الم ذلك لم يفد هذا لكن لو جعلت ذلك بدلا تعين أن يكون الكتاب صفة ، لأن البدل عن المفرد لا يكون جملة ، ولأن ذلك إذا كان بدلا من الخبر كان خبرا ، فحينئذ لا يجوز كون الكتاب خبرا ؛ لأنه إنما يكون خبرا على تقدير كون ذلك مبتدأ ، وإذا كان

مبتدأ لا يكون خبراً ؛ لأن الخبر حينئذ الجملة لا ذلك ، والغرض أنه خبر ، ويمكن أن يقال : إن قوله : على أن الكتاب صفة تتعلق بكون ذلك خبراً ثانياً وبدلاً ، وهو الظاهر لما ذكرناه قبل .

(٣) قوله: (بمنزلة الصوت) شامل للوجهين الأخيرين قرع العصا ، والتقدمة للإعجاز ، ولهذا قيد الكتاب بالمنزل ، يعني تنبهوا أن هذا الكتاب هو الكتاب الكامل الذي عجزتم عن الإتيان بمثله ، وهو منزل بلسانكم ، وإنما قيد هذا الوجه والوجه السابق بقوله : الكامل ؛ لأن الكتاب إذا رفع خبراً كان التعريف للجنس ، فيفيد الحصر بمعنى الكمال ، وإذا وقع صفة كان اللام للعهد ، ويعود المعنى إلى أنه الكتاب الموعود .
(٤٢/١)

أي هو - يعني المؤلف من هذه الحروف (١) - ذلك الكتاب . وقرأ عبد الله: { ألم، تنزيل الكتاب لا ريب فيه { (السجدة: ١ - ٢) . وتأليف هذا ظاهر (٢) .
والريب: مصدر رابني، إذا حصل فيك الريبة . وحقيقة الريبة: قلق النفس واضطرابها . ومنه ما روى الحسن بن علي قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يقول:
(١٠) "دع ما يريبك إلى ما لا يريبك" (٣) فإن الشك ريبة، وإن الصدق طمأنينة (٤)، أي فإن كون الأمر مشكوكاً فيه مما تقلق له النفس ولا تستقر . وكونه صحيحاً صادقاً مما تطمئن له وتسكن . ومنه: ريب الزمان، وهو ما يقلق النفوس ويشخص بالقلوب من نوائبه .
ومنه:

)

(١) قوله: (يعني المؤلف من هذه الحروف) وكان من حق الظاهر أن يقول هذه الحروف ذلك الكتاب ، لكن هذه الحروف لما كانت دالة على المركب المؤلف ، قيل : المؤلف من هذه ؛

تسمية للدال باسم مدلوله .

(٢) قوله: (وتأليف هذا ظاهر) يعني { ألم } على أنها اسم للسورة مبتدأ خبره تنزيل الكتاب ، والتنزيل : بمعنى المنزل ، ويجوز أن يكون { ألم } خبر مبتدأ محذوف ، و { تنزيل الكتاب لا ريب فيه } مبتدأ وخبره فرعاً أنها تعدد الحروف . ارتفع { تنزيل الكتاب } على أنه خبر مبتدأ محذوف ، أو هو مبتدأ خبره { لا ريب فيه }
(٣) قوله: (دع ما يريبك إلى ما لا يريبك) المعنى دع ما عترض لك فيه الشك ملقياً إلى ما لا شك فيه ، يقال : دع ذلك إلى ذلك ، أي : استبدله به ، أو دع ذلك ذاهباً إلى

غيره .

(٤) قوله: (إن الصدق طمأنينة) والكذب ريبة ، جاء ممهدا لما تقدمه ، المعنى : إذا وجدت نفسك ترتاب في الشيء فاتركه ، فإن نفس المؤمن تطمئن إلى الصدق ، وترتاب من الكذب ، فارتيابك في الشيء ينبئ على كونه باطلا [٦٧٤] فاحذره ، واطمأنينك إليه يشعر بكونه حقا فاستمسك به ، والطبي الحاقف الذي انحنى عتشي في نومه ، ومعنى (لا يربه) لا يزعجه ، ولا يتعرض له .
(٤٣/١)

(١١) أنه مر بطبي حاقف فقال: "لا يربه أحد بشيء". فإن قلت: كيف نفى الرب على سبيل الاستغراق؟ وكم من مراتب فيه؟ قلت: ما نفى أن أحدا لا يرتاب فيه (١) وإنما المنفي كونه متعلقا للرب ومظنة له؛ لأنه من وضوح الدلالة وسطوع البرهان بحيث لا ينبغي لمرتاب أن يقع فيه (٢). ألا ترى إلى قوله تعالى: { وإن كنتم في ريب مما نزلنا على عبدنا فأتوا بسورة من مثله } (البقرة: ٢٣)، فما أبعد وجود الرب منهم؟ وإنما عرفهم الطريق إلى مزبل الرب، وهو أن يحزروا أنفسهم ويروزوا قواهم في البلاغة، هل تتم للمعارضة أم تتضاءل دونها؟ فيتحققوا عند عجزهم أن ليس فيه مجال للشبهة ولا مدخل للريبة.

(١) قوله: (ما نفى أن أحدا لا يرتاب فيه) الظاهر يقتضي أن يكون التركيب ، ما نفى أن أحدا يرتاب فيه بدون لا ؛ لأن المعنى على نفى الرب لا على نفى عدم الرب، لأن نفى

عدم الرب اثبات للرب ، وعلى هذا ففي نفى ضمير غير راجع إلى الرب ، ولام الجر مقدر في أن أحدا ، والتقدير ما نفى الرب لأن أحدا لا يصح أن يطعن فيه ، ويحتمل أن لا يراد بالوقوع الظن ويكون الضمير للقرآن أيضا بتقدير حذف مضاف لا ينبغي لمرتاب أن يرتاب فيه ، ويدل على أن التقدير هذا قوله (وإنما نفى النفي كونه متعلقا للرب) وتعليقه بقوله : لأنه من وضوح الدلالة إلى آخره ، وقيل : إن لا زائدة ، وبقي مسندا إلى ما بعده ، أي : ما بقي أن أحدا يرتاب فيه ، والمظنة مفعلة من الظن ، وهي الموضع الذي يظن به الشيء .

(٢) قوله: (أن يقع فيه) لما قيل معناه : أن يطعن فيه من وقع فلان في فلان اغتابه ، وفاعل يقع ضمير المراتب ، والضمير في فيه للقرآن أيضا بتقدير حذل مضاف أي : لا ينبغي لمرتاب أن يقع الشك فيه ، ومعنى يروزوا: يحزروا ، ومعنى تتضاءل دونها : تضعف

وتصغر ، وأن ليس فيه مجال لمفعول فيتحققوا .

(٤٤/١)

فإن قلت: فهلا قدم الظرف (١) على الريب، كما قدم على الغول في قوله تعالى: { لا فيها غول } (الصفات: ٤٧)؟ قلت: لأن القصد في إيلاء الريب حرف النفي، نفي الريب عنه، وإثبات أنه حق وصدق لا باطل وكذب، كما كان المشركون يدعون، ولو أولى الظرف لقصد إلى ما يبعد عن المراد، وهو أن كتابا آخر فيه الريب فيه، كما قصد في قوله: { لا فيها غول } تفضيل خمر الجنة على خمور الدنيا بأنها لا تغتال العقول كما تغتالها هي (٢)،

(١) قوله: (فهلا قدم الظرف) معنى الفاء أنه لما فهم من الجواب أن الكلام في كون القرآن ليس مظنة للريب لا في الريب فكان تقديم الظرف أهم ، فأجاب بأن الظاهر ، وإن اقتضى ذلك ، لكن منع عنه مانع ، وهو توهم إثبات الريب في غيره من الكتب السماوية ، فسلك به مسلكا لا يؤدي إلى ذلك مع حصول المقصود .
(٢) قوله: (كما تغتالها هي) أي : تذهب بها ، وإبراز الضمير للتأكيد فقط ، وإلا فليس

الموضع بموضع الابرار لعدم اللبس ، إذ لم يجر الفعل على غير ما هو له..

(٤٥/١)

كأنه قيل: ليس فيها ما في غيرها من هذا العيب والنقيصة: وقرأ أبو الشعثاء: { لا ريب فيه } بالرفع: والفرق بينها وبين المشهورة، أن المشهورة توجب الاستغراق (١)، وهذه تجوزه. والوقف على { فيه } هو المشهور (٢). وعن نافع وعاصم أنهما وقفا على { لا ريب } ولا بد للواقف من أن ينوي خبرا (٣) ونظيره
قوله تعالى: { قالوا لا ضير } (الشعراء: ٥٠)، وقول العرب: لا بأس، وهي كثيرة في لسان أهل الحجاز. والتقدير: { لا ريب فيه } .
}

(١) قوله: (إن المشهورة توجبه) وإنما أوجبه من حيث أن لا فيها لنفي الجنس ، أي :

لنفي الماهية ، ونفيها تستلزم نفي كل فرد فرد من أفرادها ، لأنه لو ثبت فرد من أفرادها لثبت الماهية ، والفرض نفيها ، فإذا قلت : لا رجل في الدار بالفتح وجب أن

لا يكون في الدار من جنس الرجال واحد ، فإذا وجب أن لا يكون فيها واحد وجب أن لا يكون فيها أكثر من واحد ؛ لأن كينونة الأكثر تستلزم كينونة الواحد ، والتقدير انتفاؤها ، وهذا بخلاف ما إذا قلت لا رجل في الدار بالرفع ، فإنه يجوز الاستغراق ، وهو ألا يكون فيها أحد من جنس الرجال ، ويجوز أن يكون فيها فوق الواحد ، إذ لا تنافي بين نفي الواحد وإثبات ما فوقه ، ولهذا جاز لا رجل بالرفع ، بل رجلا ، ولم يجز مثل ذلك حالة الفتح .

(٢) قوله: (والوقف على فيه هو المشهور) قيل : وهوأولى ؛ لأنه يكون الكتاب نفسه هدى ، ولما تكرر في التنزيل أنه هدى ، وعلى هذا لا ريب فيه يكون ظرفا لهدى .
(٣) قوله: (ولا بد للواقف أن ينوي خيرا) وذلك ليتم الكلام .
(٤٦/١)

فيه هدى { الهدى مصدر(١) على فعل، كالسرى والبكى، وهو الدلالة الموصلة إلى البغية(٢)،

(١) قوله: (والهدى مصدر) كالسرى قالوا اضطرب كلام سيبويه في الهدى ، فمرة قال : هو

عوض من المصدر لأن فعلا لا يكون مصدرا ، وأخرى يقول : هو مصدر هدى ، وقال أيضا : قلما يكون ما ضم اوله من المصادر إلامنقوصا ؛ لأن فعلا لا تكاد ترى مصدرا من غير ثبات الياء والو ، فدل ذلك على أنه مصدر .

(٢) قوله: (والهدى هو الدلالة الموصلة إلى البغية إلى آخر الوجوه ، قال صاحب التقريب : وفي الوجوه نظر ؛ لأن الأول معارض بقوله تعالى : { فهديناهم فاستحبوا لعمى على الهدى } والثالث بقولهم : أمرته فأتهم ، وأما الثاني فجوابه أن المدح حاصل بالتمكن من الاستدلال ، وإن لم يوصل إلى البغية ، ولنا أن نجيب عن نظره بأن نقول : إن الهدى في قوله تعالى : { فهديناهم } مجاز ، وهنا حقيقة ؛ لأن الهدى هنا لما قوبل بالضلال ، والضلال عبارة عن الخيبة ، وعدم الوصول إلى البغية ، كان الهدى هو الدلالة الموصلة إلى البغية ، وإنما حكمنا بكونه مجازا في مجرد الدلالة هربا من الاشتراك ، لأن المجاز أولى منه .

واعلم أن الهدى في قوله : { اشتروا الضلالة بالهدى } مجاز أيضا ، واتخذ [٦٧٥] للهدى بحسب الحقيقة وبأن الأصل في المضارع أن لا يخالف أصله ، وأما أمرته فائتمر فهو نادر

، ولا يحمل عليه غيره ؛ لأن الحمل على الغالب أولى من الحمل على النادر ، ولأن الغالب حكم الكل ، وبأن المدح لا يختار بالتمكن بل بالحصول ألا ترى أن التمكن من أفعال الخير إذا لم يفعلها لم يمدح على تمكنه بل قد يذم حيث لم يفعل ما تمكن منه بخلاف غير المتمكن فإنه معذور ، وما ذكره صاحب التقريب نقله من التفسير الكبير مع تغيير عبارته ، فإنه قال فيه : الهدى عبارة عن الدلالة ، وقال صاحب الكشف : هي الدلالة الموصلة إلى البغية ، فالذي يدل على صحة الأول وفساد الثاني أن لو كان يكون القرآن موصله إلى البغية معتبرا في مسمى الهدى لا تمتنع حصول الهدى عند عدم الاهتداء ، لكن الله تعالى أثبت الهدى مع عدم الاهتداء في قوله : { وأما ثمود فهديناهم

فاستحبوا العمى على الهدى } ثم أجاب عن الأول أن الفرق بين الهدى والاهتداء معلوم بالضرورة ، فمقابل الهدى هو الاضلال ، ومقابل الاهتداء هو الضلال فجعل الهدى في مقابلة الضلال يمتنع ، وعن الثاني أن المنتفع بالهدى يسمى مهديا ، وغير المنتفع به لا يسمى مهديا ؛ لأن الوسيلة إذا لم تفض إلى المقصود كانت كارثة بمنزل المعلوم ، وعن الثالث : أن الائتمار مطاوع الأمر ، يقال : أمرته فائتمر ، ولم يلزم منه أن يكون من شرط كونه أمرا حصول الائتمار ، فكذا هذا .

والجواب عن قوله : (أثبت الهدى مع عدم الاهتداء) أن يقال : لا نسلم حصول الهدى الحقيقي ؛ لأن المراد من إثبات الهدى تمكنه من ذلك بسبب إزاحة العلة من بعثة الرسول ، وبيان الطريق ، فلذلك رتب عليه { فاستحبوا العمى } أي : آثروه عليه ، وعن قوله : فجعل الهدى في مقابلة الضلال ممتنع (أنه لو كان ممتنعا لم يقع في الآيتين ؛ لأن المراد بالمقابلة في الصناعة الجمع بين اللفظين الدالين على المعنيين المتضادين حقيقة أو تقديرا ، سواء كانا متعديين أو لا زمين ، أو متخالفين في ذلك ، وفي الآيتين هذا الموجب موجود سيما في الثانية ، فإنه صريح فيها لتوسط كلمة النقل ، وهي أو . وعن قوله : (إن المنتفع بالهدى يسمى مهديا) إلى آخره أن المهدي إذا كان اسم مفعول من الهدى ، والهدى حاصل مع عدم الانتفاع وجب أن يسمى مهديا مع عدم الانتفاع ، فلما لم يسم علمنا أن الهدى ليس هو بمجرد الدلالة ، وعن قوله : أمرته فلم يأتمر ما سبق .

(٤٧/١)

بدليل وقوع الضلالة في مقابلته. قال الله تعالى : { أولئك الذين اشتروا الضلالة بالهدى } (البقرة: ٢٤). وقال تعالى : { لعلى هدى أو في ضلال مبين } (سبأ: ٢٤).

ويقال: مهدي، في موضع المدح كمهتد؛ ولأن اهتدى مطاوع هدى - ولن يكون المطاوع في خلاف معنى أصله - ألا ترى إلى نحو: غمه فاغتم، وكسره فانكسر، وأشباه ذلك: فإن

قلت: فلم قيل: { هدى للمتقين } والمتقون مهتدون؟ قلت: هو كقولك للعزير المكرم: أعزك الله وأكرمك، تريد طلب الزيادة إلى ما هو ثابت فيه واستدامته، كقوله: { إهدنا الصراط المستقيم } . ووجه آخر، وهو أنه سماهم عند مشارفتهم لاكتساء لباس التقوى: متقين، كقول رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ((١٢)) " من قتل قتيلا فله سلبه" وعن ابن عباس:

(١٣) "إذا أراد أحدكم الحج فليعجل فإنه يمرض المريض وتضل الضالة، وتكتف الحاجة" فسمى المشارف للقتل والمرض والضلال: قتيلا ومريضا وضالا. ومنه قوله تعالى: { ولا يلدوا إلا فاجرا كفارا } (١) (نوح: ٢٧)، أي صائرا إلى الفجور والكفر. فإن قلت: فهلا قيل هدى للضالين؟ قلت: لأن الضالين فريقان:

(١) قوله: (ومنه قوله تعالى: { ولا يلدوا إلا فاجرا كفارا } إنما فصله لمخالفته ما قبله من الأمثلة؛ لأن الفاعل فيها كان ملا بسا للفعل مجتهدا في تحصيله، فنزل ذلك منزلة الحاصل، ولا كذلك هاهنا، لكن نزل اجتهد الأب منزلة اجتهد المولود المعدم مبالغة في عنادهم، هكذا قال الطيبي، وليس بشئ لأن الصحيح لا يجتهد في المرض، وكذا الضال لا يجتهد في تحصيل الضلال، والقتيل لا يجتهد في تحصيل القتل، بل ربما حصلت هذه الأحوال من غير شعور لهم بها، بل إنما فصله عما قبله؛ لأن الموصوف بالقتل والمرض، والضلال كان موجودا، بخلاف الموصوف بالفجور والطهر، فإنه بطل موجودا حال وصفه قبل ذلك، والاجتجاج به أبلغ فليتأمل .

(٤٨/١)

فريق علم بقاؤهم على الضلالة وهم المطبوع على قلوبهم، وفريق علم أن مصيرهم إلى الهدى؛ فلا يكون هدى للفريق الباقيين على الضلالة، فبقى أن يكون هدى لهؤلاء، فلو جيء بالعبارة المفصحة عن ذلك ل قيل: هدى للصائرين إلى الهدى بعد الضلال، فاختصر الكلام بإجرائه على الطريقة (١) التي ذكرنا، ف قيل: هدى للمتقين. وأيضاً فقد جعل ذلك (٢) سلماً

إلى تصدير السورة التي هي أولى الزهراوين وسنام القرآن وأول المثاني، بذكر أولياء الله والمرتضين من عباده.

(١) قوله: (بإجرائه على الطريقة التي ذكرناها) وهي المجاز باعتبار المآل .
 (٢) قوله: (وأيضاً فقد جعل ذلك) قيل : هو معطوف من حيث المعنى على قوله : (لأن الضالين) وقيل : على قوله (فاختصر) وقيل : يجوز على فقيل ، أي : فاختصر ، وقيل : فقد جعل ذلك الاختصار ، وذلك القول سلماً إلى تصدير السورة ، والفاءات كلها للتعقيب ، وفيه لمحة من معنى الترقى ، وقد روعي معنى التناسب بين السلم والترقي ، والتقريب ، والزهراوين ، والسنام المقصود من العدول به ، فإنه حسن المطلع ، والاحتراز عن لفظ يوحش السامعين ، وسماهما بالزهراوين من قوله صلى الله عليه وآله وسلم (اقرأوا الزهراوين البقرة وآل عمران) الحديث ، ومعنى الزهراوين المنيرتين ، وسنام القرآن ، وسنام القرآن استعارة تخيلية ، شبه السورة بالسنام . والوجاء : الحفاء ، وحواف توق القدم ، أو حافر الفرس ، ومعنى تعاطى : تناول .
 (٤٩/١)

والمتقي في اللغة اسم فاعل، من قولهم: وقاه فاتقى. والوقاية: فرط الصيانة. ومنه: فرس واق، وهذه الدابة تقي من وجاها، إذا أصابه ضلع من غلظ الأرض ورقة الحافر، فهو يقي حافره أن يصيبه أدنى شيء يؤلمه. وهو في الشريعة الذي يقي نفسه تعاطي ما يستحق به العقوبة من فعل أو ترك. واختلف في الصغائر وقيل الصحيح أنه لا يتناولها(١)، لأنها تقع مكفرة عن مجتنب الكبائر. وقيل: يطلق على الرجل اسم المؤمن لظاهر الحال، والمتقي لا يطلق إلا عن خبرة، كما لا يجوز إطلاق العدل إلا على المختبر.

(١) قوله: (إنه لا يتناولها) قيل : الضمير راجع إلى ما في ما يستحق به العقوبة ، وقيل : بل بمعنى ما دل عليه المتقي ، وهو التقوى ، أي : التقوى لا تتناول اجتناب الصغائر .

(٥٠/١)

ومحل { هدى للمتقين } الرفع، لأنه خبر مبتدأ محذوف، أو خبر مع { لا ريب فيه } لذلك، أو مبتدأ إذا جعل الظرف المقدم خبراً عنه. ويجوز أن ينصب على الحال(١)، والعامل فيه معنى الإشارة أو الظرف.

(١) قوله: (ويجوز أن [٦٧٦] ينتصف على الحال ، والعامل فيه معنى الإشارة ، روي عن

جار الله العلامة أنه قال : سئلت بمكة عن ناصب الحال في قوله تعالى : { هذا بعلي
 شيخا } فقلت : ما في حرف التنبيه ، أو في اسم الإشارة من معنى الفعل ، ف قيل : أما
 ما استقر من أصولهم أن العامل في الحال وذيها يجب أن يكون واحدا ، وقد اختلف العامل
 هنا حيث جعلته في الحال المعنى الذي ذكرته قبل ذبها ، فقلت : تحقيق الكلام أن
 التقدير : هذا بعلي أنه عليه شيخا ، أو أشير إليه فاضمير هو ذو الحال ، والعامل
 فيه واحد كما ترى ، والظرف روي بالرفع ، والجـر ، والأول هو المشهور ، أي : العامل
 في الحال فيه ، لكونه قائما مقام استقر ، وذو الحال الضمير المجرور ؛ لأنه مفعول
 معنوي باعتبار استقرار الريب فيه ، ولا يجوز أن يكون حالا من الضمير المستتر في
 الظرف العائد إلى الريب ، لا ستلزامه نسبة الهدى إلى الريب .
 (٥١/١)

والذي هو أرسخ عرقا في البلاغة أن يضرب عن هذه المحال صفحا(١). وأن يقال إن قوله: {
 الم { جملة برأسها، أو طائفة من حروف المعجم مستقلة بنفسها. و { ذلك الكتاب { جملة

(١) قوله: (أن يضرب عن هذه المحال صفحا) أي : عن البحث عن محال هذه الجمل
 بالطريق

المذكور إذ لا طائل تحته ، ومعنى أعرض عنها صفحا: تركه بالكلية ، ومعنى (مستقلة
 بنفسها) أنها غير مفتقرة إلى انضمام شيء إليها ، إما لأنها كالأيقاظ وقرع العصا ،
 أو لأنها تقدمه اعجاز ، ويقال لمن أصاب طبق مفصل البلاغة ، وأصل التطبيق أصابة
 السيف المفصل ، وهو ملتقى العضوين فيفصل بينهما ، وموجب حسن النظم بالفتح موضع
 ايجاب جنس النظم ، مستقرة قيل : أراد تحقيق الاتباط بين المضامين هذه الجمل
 ومقاصدها من حيث يلاحظ المعاني ، فإن الارتباط المعنوي أنسب بالبلاغة ، إذ مرجعها

عند التحقيق هو الدلالات المعنوية دون اللفظية ، وتناسق هذه الجمل لا ناسق لفظي علم
 ظاهر على الارتباط المعنوي ، ومعنى (متآخية) متناسبة ، وفي فوقه : (آخذ بعضها بعنق
 بعض) تأكيد للمآخاة ، وترشيح للاستعارة .

(٥٢/١)

ثانية. و { لا ريب فيه { ثالثة. و { هدى للمتقين { رابعة. وقد أصيب بترتيبها مفصل
 البلاغة وموجب حسن النظم، حيث جيء بها متناسقة هكذا من غير حرف نسق، وذلك

لمجيئها

متأخية آخذاً بعضها بعنق بعض. فالثانية متحدة بالأولى معتنقة لها، وهلم جرا(١) إلى الثالثة والرابعة. بيان ذلك أنه نبه أولاً على أنه الكلام المتحدى به(٢)، ثم أشير إليه بأنه الكتاب المنعوت بغاية الكمال. فكان تقريراً لجهة التحدي، وشدا من أعضاده. ثم نفى عنه أن يتشبه به طرف من الريب، فكان شهادة وتسجيلاً بكماله، لأنه لا كمال أكمل مما للحق واليقين، ولا نقص أنقص مما للباطل والشبهة. وقيل لبعض العلماء: فيم لذلك؟ فقال: في حجة تتبختر اتضاحاً، وفي شبهة تتضاءل افتضاحاً. ثم أخبر عنه بأنه هدى للمتقين، فقرر بذلك كونه يقيناً(٣)

(١) قوله: (وهلم جرا) هو من أمثال العرب ، قال المفضل : معناه : تعالوا على هيئتكم كما تسهل عليكم ، وأصله من الجر في السوق ، وهو أن يترك الابل والغنم ترعى في مسيرها ، قال الراجز : لطل ما أجرر تكن آجرا . وانتصابه على الحال عند البصريين ، وعلى المصدر عند الكوفيين ؛ لأن في هلم معنى جروا ، قال ابن جني : جرا مصدر وقع حالا ، أي : جارا ومنجرا .

(٢) قوله: (نبه أولاً على أنه الكلام المتحدى به) إما على أنها أسماء السور ، فللاشعار بأن القرآن ليس إلا كلاماً عربياً معروفة التركيب /ن مسميات هذه الألفاظ كما ذكره ، وإما على أنها طائفة من الحروف ، فلما مر أيضاً ، ومعنى (تسجيلاً بكماله) حكماً بكماله ، أراد أن قوله { لا ريب فيه } تأكيد لمعنى { ذلك الكتاب } وهو كونه كاملاً كاملاً لا

مزيد عليه ، ولن يكون كذلك إلا إذا كان حقاً لا يحوم حوله الشك .

(٣) قوله: (فقرر [بذلك] كونه يقيناً) أي : كونه هادياً تأكيداً لقوله : { لا ريب فيه } لأنه لا يكون هادياً إذا كان فيه مجال للشبهة ، ففي قوله : (يحوك الشك حوله) كناية كما في قوله شعر :

فما جازه جود ولا حل دونه *** ولكن يصير الجود حيث يصير

وهذه المبالغة استفيدت من إيقاع المصدر خبراً لهو ، كما أن المبالغة في الجملة الثانية حصلت من تعريف الخبر ، وفي الثالثة من الاستغراق ، والأنيق : العجيب ، والسري : الجيد المرتفع .

(٥٣/١)

لا يحوم الشك حوله، وحقا لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه. ثم لم تخل كل واحدة من الأربع، بعد أن رتب هذا الترتيب الأنيق، ونظمت هذا النظم السري، من نكتة ذات جزالة. ففي الأولى الحذف (١) والرمز إلى الغرض بالطف وجه وأرشفه. وفي الثانية ما في التعريف من الفخامة. وفي الثالثة ما في تقديم الريب على الظرف. وفي الرابعة الحذف. ووضع المصدر الذي هو { هدى } موضع الوصف الذي هو "هاد" وإيراده منكرا. والإيجاز في ذكر المتقين.

زادنا الله إطلاعا على أسرار كلامه، وتبيننا لنكت تنزيله، وتوفيقا للعمل بما فيه.

{ الذين يؤمنون = \$\$\$9t خ/ وقيمون الصلاة ومما رزقناهم ينفقون (٣) }

(١) قوله: (ففي الأول الحذف) أي : حذف المبتدأ أي : هذه { الم } على أنها اسم للسورة ، والرمز إلى الغرض ، أي : التحدي ، وأريد بالطف وجه كونها مشيرة إلى أن المتحدى به من جنس ما تنظمون منه كلامكم على سبيل الاستدراج ، وفي الثانية ما في التعريف من الفخامة ، وهي الدلالة على كونه كاملا في ذاته ، وفي الثانية ما في تقديم الريب على الظرف ، وهو الدلالة على نفي الريب عنه بالكلية من غير التعرض لإثبات الريب من غيره من الكتب السماوية ، وفي الرابعة الحذف ، أي : حذف المبتدأ وهو هو ، وموضع المقدر موضع [٦٧٧] اسم العاقل ، على طريقة رجل عدل ، وإيراده منكرا ،

أي : هدى لا يكتنه كنهه ، والإيجاز حيث لم يقل : هدى للضالين الصائرين إلى التقوى ، رعاية لحسن المطلع ، قال القاضي : أو تستتبع السابقة منها اللاحقة استتباع الدليل للمدلول ، فإنه لما نبه أولا على اعجاز المتحدى به لزم منه أنه الكتاب البالغ درجة الكمال ، واستلزم ذلك أن لا يتشبث الريب بأذياه ، إذ لا أنقض مما يعتريه الشك ، وما كان كذلك كان لا محالة هدى للمتقين .

(٥٤/١)

الذين يؤمنون { إما موصول بالمتقين على أنه صفة مجرورة، أو مدح منصوب، أو مرفوع (١) بتقدير: أعني الذين يؤمنون، أو هم الذين يؤمنون. وإما مقتطع عن المتقين مرفوع على الابتداء مخبر عنه بـ(أولئك على هدى). فإذا كان موصولا، كان الوقف على المتقين حسنا غير تام (٢).

(١) قوله: (أو مدح منصوب أو مرفوع) فيه لف ، وقوله (بتقدير أعني ، أو هم الذين) نشر ، قال أبو علي : وإذا ذكرت صفات المدح أو الذم ، وخولف في بعضه الأعراب فقد خولف الافتنان ، ويبقى نحو ذلك قطعاً ، واعلم أن جوازه مشروط بألا يكون النعت للتأكيد ؛ لأنه يكون قطعاً للشيء عما هو متصل به معنى ؛ لأن الموصوف في مثل ذلك نص في معنى الصفة دال عليها ، وأن يعلم السامع من أنصاف المنعوت بذلك النعت مما يعمل المتكلم ؛ لأنه إن لم يعلم والمفعول محتاج إلى ذلك النعت لتبينه وتميزه ، ولا قطع مع الحاجة ، ويشترط أيضاً أن لا يكون المنعوت اسم الإشارة إن كان النعت معرفة ، وإن كان نكرة فالشرط سبقه بنعت آخر مبين ، وأن لا يكون الثاني أيضاً لمجرد التخصيص ؛ لأن النكرة إذا احتاجت إلى النعت لتخصيصها لم يجز القطع ، والأكثر في كل نعت مقطوع أن يكون مدحاً ، أو ذماً ، أو ترحمًا ، وقال بعضهم : شرط هذا الأسلوب كون الممدوح مشهوراً ، والصفة صالحة للتمدح بها ، أو للذم ، وكأن القطع إنما أفاد المدح أو الذم باعتبار المقام ، لأنه لولاه لما قطع الوصف ، ولا ترك الأصل .

)

(٢) قوله: (حسناً غير تام) قيل : الوقف على مراتب ، تام : وهو الذي إذا وصل غير المرام ، نحو الوقف على { بمؤمنين } فإنه تام ؛ لأنه لو وصل { بمؤمنين } { يخادعون } لكان صفة لهم ، وتغير المعنى ؛ لأن المراد نفي الإيمان ، وإثبات الخداع ، ولو وصل لكان إثباتاً للإيمان ، ونفياً للخداع ؛ لأن المنفي إذا طرأ على موصوف بوصف كان إثباتاً للموصوف ونفياً للوصف .

ومطلق : وهو ما يحسن الابتداء بما بعده ، هذا هو الذي عناه المصنف رحمه الله بقوله : (للقطع عن المتقين) مرفوع بالابتداء .

وجائز : وهو ما يجوز فيه الوصل والفصل لتجاذب الموجبين من الطرفين ، وحمل قوله : (حسن غير تام) على هذا القسم ، وهو حسن ؛ لأن اعتبار الصفة تقتضي الوصل ، واعتبار الفاصلة وأنها آخر آية تقتضي الفصل .

(٥٥/١)

وإذا كان مقتطعاً ، كان وقفًا تاماً . فإن قلت : ما هذه الصفة (١) ، أوردت بياناً وكشفاً (٢) للمتقين ؟ أم مسرودة مع المتقين تفيد غير فائدتها ؟ أم جاءت على سبيل المدح والثناء

كصفات الله الجارية عليه تمجيدها؟ قلت: يحتمل أن ترد على طريق البيان والكشف لاشتمالها على ما أسست عليه حال المتقين من فعل الحسنات وترك السيئات. أما الفعل فقد انطوى تحت ذكر الإيمان الذي هو أساس الحسنات ومنصبيها، وذكر الصلاة والصدقة؛ لأن

هاتين أما العبادات البدنية والمالية، وهما العيار على غيرهما. ألم تركيف سمي رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ((١٤) الصلاة عماد الدين (٣)).

(١٥) وجعل الفاصل بين الإسلام والكفر ترك الصلاة؟ وسمى الزكاة

)

(١) قوله: (ما هذه الصفة) كرر الاستفهام ، وجعل الأول توطئة للثاني ، تفخيما ، يعني أن لهذه الصفة في هذا المقام بيانا وموقعا رفيعا بين لي موقعها .

(٢) قوله: (بيانا وكشفا) أي : مفهوم الصفة أو الموصوف واحد ، بمعنى أنها معرفة للموصوف نحو الجسم الطويل العريض العميق محتاج إلى فراغ يشغله ، ومعنى (مسرودة)

أنها تابعة للموصوف مختصة له ، نحو زيد التاجر عندنا ؛ لأن مفهوم التاجر غير مفهوم زيد ، وهو المراد بقوله : يفيد غير فائدتها ، والعيار : الشاهد .

(٣) قوله: (عماد الدين) في الحديث (رأس الدين الإسلام ، وعموده الصلاة ، وذروة سنامه الجهاد .

قوله : (وجعل الفاصل بين الإسلام والكفر ترك الصلاة)
(٥٦/١)

(١٦) قنطرة الإسلام؟ وقال الله تعالى: { ويل للمشركين الذين لا يؤتون الزكاة } (١) (فصلت: ٦ - ٧). فلما كانتا بهذه المثابة كان من شأنهما استجزار سائر العبادات واستتباعها. ومن ثم اختصر الكلام اختصارا، بأن استغنى عن عد الطاعات بذكر ما هو كالعنوان لها، والذي إذا وجد (٢)

(١) قوله: (وويل للمشركين الذين لا يؤتون الزكاة { جعل منع الزكاة هنا من أوصاف المشركين حثا على أدائها ، وتخويفا شديدا من تركها .

(٢) قوله: (والذي إذا وجد) عطف على ما هو على سبيل البيان ..
(٥٧/١)

لم تتوقف أخواته أن تقترن به (١)،

(١) قوله: (أن تقترن به) صح بإذغام النون التي هي لام الكلمة في النون التي هي ضمير أخواته ، قال الطيبي : وفي جعل المصنف { الذين يؤمنون } صفة مخصصة للمتقين ، والإرادة بالمتقين الذي يجتنبون عن المعاصي ، كما ذهب إليه المصنف ، وتبعه صاحب المفتاح نظر ؛ لأن الصفة حينئذ على غير ما عليه الكاشفة فيكون مفهومها غير مفهوم الموصوف ، كما قال تفيد غير فائدتها ، فإذا قيل : المراد بالمتقين المجتنبون عن المعاصي فهم منه أنهم الذين يأتزمون بأمر الله ، وينتهون عما نهى الله عنه ، لقوله تعالى : { لا يعصون الله ما أمرهم } فكيف يقال : الذين يؤمنون [٦٧٨] بالغيب غير الذين يجتنبون عن المعاصي ، أقول : لا نظر في كلام الشيخين ؛ لأننا لا نسلم أن الصفة حينئذ على ما هي عليه كاشفة ، بل هي على غير ما عليه الكاشفة ؛ لأنها تفيد غير فائدة المتقين ، لأننا متى أردنا بالمتقين الذين يجتنبون عن المعاصي ، وحقيقة

المعصية فعل ما كرهه الله ، أو فعل ما نهى عنه على اختلاف المذهبين ، فلا يدخل في التقوى فعل الطاعات ، فيفيد على هذه الصفة غير ما أفاده المتقين ؛ لأنه أفاد ترك المعاصي ، وهي أفادت فعل الطاعات ، وهذا البحث كأنه متفرع على مسألة كلامية ، وهو أن الترك هل هو فعل كما هو مذهب أبي علي ، أو ليس بفعل كما هو مذهب أبي هاشم ، فمن قال : إنه ليس بفعل ، قال : إن ترك الطاعة ليس بمعصية ، وإلا فهو معصية ، وعلى هذا حدوا العدل بأنه لا يفعل القبيح ، ولا يخل بالواجب ، وأفعاله كلها حسنة ، وذكر هذا الحد القاضي عبد الجبار ، وغيره من المتكلمين ، وأما قوله : (فهم منه أنهم الذين يأتزمون بأمر الله ، وينتهون عما نهى الله عنه ، فإن سلم لم يقدح فيما قال المصنف لأن فهمه منه بطريق اللزوم لا يمنع من كون مفهوم مغايرا لمفهومه ، تحقيق هذا أن { الذين لا يؤمنون } يدل على فعل الطاعات بالمطابقة ، والمتقين يدل على ترك المعاصي بالمطابقة أيضا ، فدلالة أحدهما على مفهوم الآخر بطريق الالتزام ، لا يوجب اتحاد مدلوليهما ، وأما قوله : لقوله تعالى : { لا يعصون الله ما أمرهم } فيحتمل أن يكون المعنى : أنهم لا يعصون الله بفعل ما أمرهم باجتنابه ، ولهذا عطف عليه { ويفعلون ما يؤمرون } وحينئذ فلا حجة عليه ، وأما قوله : (فكيف يقال { الذين يؤمنون بالغيب } غير { الذين يجتنبون عن المعاصي } ، فما المانع عن ذلك حتى يستفهم عنه منكرا له ؟ والعجب منه في هذا الإيراد إن كان قد فهم ما ذكره صاحب المفتاح ، حيث قال : ولأن

مما تعلق الوصف مطلوباً ، والفرق بين قوله أولاً من الإفصاح عن فضل هاتين العبادتين ، وقوله ثانياً : إظهاراً لاناftهما على سائر ما يدخل تحت حقيقة الحسنات ، أن ذكر الصلاة والزكاة أولاً من باب اطلاق البعض على الكل ، والشرط في هذا النوع من المجاز أيراد أشرف ما في ذلك الشيء كما قال ، وقد علمت أن معظم الشيء وجله ينزل منزلة كله ، فيتضمن هذا المعنى أفضلية هاتين العبادتين ، ولهذا قال حينئذ ما في ذلك الإفصاح عن فضل هاتين العبادتين ، أي : لزوم من ذلك على سبيل الادماج ، وأما على الثاني فلم يذكر المذكورات لا ستجلاب الغير ، بل هي المرادة ، وإنما ترجح ذكرها لفضلها على غيرها ابتداء .

(٥٨/١)

مع ما في ذلك من الإفصاح عن فضل هاتين العبادتين . وأما الترك فكذلك . ألا ترى إلى قوله تعالى : { إن الصلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر } (العنكبوت : ٤٥) ؟ ويحتمل أن لا تكون بياناً للمتقين ، وتكون صفة برأسها دالة على فعل الطاعات ، ويراد بالمتقين الذين يجتنبون المعاصي . ويحتمل أن تكون مدحاً للموصوفين بالتقوى ، وتخصيصاً للإيمان بالغيب وإقام الصلاة وإيتاء الزكاة بالذكر ؛ إظهاراً لاناftها عن سائر ما يدخل تحت حقيقة هذا الاسم من الحسنات .

والإيمان : إفعال من الأمن . يقال : أمنت وأمنتته غيري . ثم يقال : آمنه إذا صدقه (١) . وحقيقته : آمنه التكذيب والمخالفة . وأما تعديته بالباء (٢) فلتضمينه معنى أقر وأعترف . وأما ما حكى أبو زيد (٣)

-
- (١) قوله : (ثم يقال آمنه إذا صدقه) أي : الإيمان إفعال من الأمن لغة ، قال الطيبي : ونقل إلى المفهوم الشرعي ، وهو التصديق لعلاقة الأمن من التكذيب ، و المخالفة ، وأنا أظن أن استعمال الإيمان في التصديق لغة أيضاً .
- (٢) قوله : (وأما تعديته بالباء) أراد أنه إنما عدي بالباء مع كونه منقولاً من أمن ، وأمن متعد بنفسه لتضمينه معنى فعل متعد بالباء ، قال ابن جني : لو جمعت تضمينات العرب لا جتمعت مجلدات ، وفائدة التضمين اعطاء معنى المضمن والمتضمن معا .
- (٣) قوله : (وأما ما حكى أبو زيد) أراد به أن الهمزة فيه للضرورة ، أي أمنت فيه بمعنى صرت ذا أمن ، أي : ذا سكون وطمأنينة ، فإن الذي أومن يجد من نفسه سكونا وطمأنينة ، كما أن الخائف يجد قلقاً واضطراباً .

)

وما آمنت أن أجد صحابة) يقوله ناوي السفر ، أي : ما أثق أن أظفر بمن أرافعه ، فعلى

هذا رجع هذا الوجه إلى المجاز ، لقوله : فحقيقته ، وفسره المصنف بقوله : صرت ذا أمن ، نظرا إلى الفعل في التفسير فقط ، ولم ينظر إلى حرف النفي الداخل عليه ، فلذلك لم يأت به .

(٥٩/١)

عن العرب: ما آمنت أن أجد صحابة - أي ما وثقت - فحقيقته: صرت ذا أمن به، أي ذا سكون وطمأنينة، وكلا الوجهين حسن (١) في { يؤمنون بالغيب } أي يعترفون به أو يثقون بأنه حق. ويجوز أن لا يكون { بالغيب } صلة للإيمان، وأن يكون في موضع الحال، أي يؤمنون غائبين عن المؤمن به. وحقيقته: ملتبس بالغيب (٢)،

(١) قوله: (وكلا الوجهين حسن) لإمكان إجرائهما في قوله { يؤمنون بالغيب } أي : يصدقون به ، أو يصيرون ذا أمن بأنه حق . وهذان الوجهان على تقدير أن { بالغيب } صلة { يؤمنون } وقوله : (ويجوز أن لا يكون) معطوف على محذوف دل عليه سياق الكلام ، فكأنه قال : أولا { بالغيب } يجوز أن يكون صلة { يؤمنون } ثم قال : ويجوز أن لا يكون صلة .

(٢) قوله: (وحقيقته ملتبس بالغيب) إنما يرجع معنى الغيب إليهم ، أي : يصدقون ، وهم غائبون عن نظر المؤمن به ، وهو الرسول .

والمطمئن يروى بكسر الهمزة وفتحها ، فبالكسر الصفة ، وبالفتح الموضع ، والمخمصة النقرة ، والحفرة ، والجوع أيضا .

(٦٠/١)

كقوله { الذين يخشون ربهم بالغيب } (فاطر: ١٨)، { ليعلم أي لم أخنه بالغيب } (يوسف: ٥٢). ويعضده ما روي "أن أصحاب عبد الله ذكروا أصحاب رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وإيمانهم، فقال ابن مسعود: إن أمر محمد كان بينا لمن رآه. والذي لا إله غيره، ما آمن مؤمن أفضل من إيمان بغيب، ثم قرأ هذه الآية. فإن قلت: فما المراد

عليه

بالغيب إن جعلته صلة؟ وإن جعلته حالا؟ قلت: إن جعلته صلة كان بمعنى الغائب، إما تسمية بالمصدر من قولك: غاب الشيء غيبا، كما سمي الشاهد بالشهادة. قال الله تعالى: { عالم الغيب والشهادة } (الزمر: ٤٦). والعرب تسمي المطمئن من الأرض غيبا. وعن

النضر بن شميل: شربت الإبل حتى وارت غيوب كلاها. يريد بالغيب: الخمصة التي تكون في موضع الكلية، إذا بطنت الدابة انتفخت. وإما أن يكون فيعلا فخفف، كما قيل "قيل" وأصله: قيل. والمراد به الخفي الذي لا ينفذ فيه ابتداء إلا علم اللطيف الخبير، وإنما نعلم منه نحن ما أعلمناه (١)، أو نصب لنا دليلا عليه. ولهذا لا يجوز أن يطلق فيقال: فلان يعلم الغيب. وذلك نحو الصانع وصفاته، والنبوات وما يتعلق بها، والبعث والنشور والحساب

(١) قوله: (وإنما نعلم منه ما أعلمناه أو نصب لنا دليلا عليه) فيه تفسير لما جمع في حكم الغيب. وقوله: (وذلك نحو الصانع) الخ. تفريق، وأن قوله: نحو الصانع والنبوات، وما يتعلق بها. يتعلق بقوله (أو نصب لنا دليلا عليه) وقوله (والبعث والنشور) الخ يتعلق بقوله (ما أعلمناه) أي: بالدلائل النقلية.

(٦١/١)

والوعد والوعيد، وغير ذلك. وإن جعلته حالا كان بمعنى الغيبة والخفاء (١). فإن قلت: ما الإيمان الصحيح؟ قلت: أن يعتقد الحق ويعرب عنه بلسانه، ويصدقه بعمله. فمن أخل بالاعتماد - وإن شهد وعمل - فهو منافق. ومن أخل بالشهادة فهو كافر (٢). ومن أخل بالعمل فهو فاسق.

(١) قوله: (كان بمعنى الغيبة والخفاء) والفرق بين هذا الوجه والأول هو أن { بالغيب } على الأول مفعول به، والإيمان مضمنا معنى الاقرار، أو مجاز بمعنى الوثوق، أي: يؤمنون بما هو غائب عنهم، وعلى هذا لا يصدق الغيب على الرسول بالنسبة إلى من كان حاضرا عنده، وعلى الثاني الإيمان بمعنى التصديق، ومفعوله محذوف على طريق المبالغة، أو التعميم ليقع ما يؤمن به غائبا كان أو حاصل مع غيبتهم عن ذلك، والتحقيق أن { بالغيب } في الأول صفة من حيث المعنى للمؤمن به، أي: يؤمنون به، وهو غائب عنهم، وفي الثاني صفة للمؤمن أي يؤمنون وهم غائبون.

(٢) قوله: (ومن أخل بالشهادة فهو كافر) قيل: إنما يكون كافرا إذا تمكن من التلفظ

وتركه عنادا .

(٦٢/١)

ومعنى إقامة الصلاة تعديل أركانها (١) وحفظها من أن يقع زيغ في فرائضها وسننها وآدابها، من أقام العود - إذا قومه - أو الدوام عليها والمحافظة (٢) عليها، كما قال عز وعلا: { الذين هم على صلاتهم دائمون } (المعارج: ٢٣)، { والذين هم على صلواتهم يحافظون } (المؤمنون: ٩) من قامت السوق إذا نفقت، وأقامها. قال: أقامت غزالة سوق الضراب (٣) لأهل العراقيين حولا قميطا

(١) قوله: (ومعنى إقامة الصلاة تعديل أركانها) أي : إقامة الصلاة استعارة تبعية ، شبه تعديل المصلي أركان الصلاة وحفظها من أن يقع فيها زيغ ، بتقويم الرجل العود المعوج ، ف قيل : { يقيمون } وأريد يعدلون .

(٢) قوله: (أو الدوام عليها والمحافظة) قيل : فعلى هذا هي كناية للتوجه ، عبر عن الدوام بالإقامة ، فإن إقامة الصلاة بمعنى تعديل أركانها وحفظهما من أن يقع خلل في فرائضها وسننها ، مشعرة بكونها مرغوبا فيها ، والرغبة فيها تقتضي أداؤها ، كالسوق إذا شوهدت قائمة ، فإن قيامها يدل على نفاق سلعتها ، والنفاق يدل على توجه الرغبات إليها ، وتوجيه الرغبات يستدعي الاستدامة بخلاف ما إذا لم تكن قائمة فعلى هذا المراد من قوله : قامت السوق أي من باب قامت السوق لأنه منقول منه .

(٣) قوله: (أقامت غزالة سوق الضراب *** لأهل العراقيين حولا قميطا)

البيت لخزيمة بن خالد الأسدي ، يقول أقامت غزالة الخارجية التي حاربت الحجاج ، وهي امرأة شبيب بن البوص سوق المضاربة بالسيوف أي : سوق الحرب . لأهل العراقيين : البصرة والكوفة سنة تامة ، والتنافس في الشيء : الرغبة فيه ، والتشط عنه الشيء الاشتغال عنه والتأخر .

(٦٣/١)

لأنها إذا حوفظ عليها، كانت كالشيء النافق الذي تتوجه إليه الرغبات ويتنافس فيه المحصلون. وإذا عطلت وأضيعت، كانت كالشيء الكاسد الذي لا يرغب فيه. أو التجلد والتشمر لأدائها. وأن لا يكون في مؤديها فتور عنها ولا توان، من قولهم: قام بالأمر،

وقامت الحرب على ساقها. وفي ضده: قعد عن الأمر، وتقاعد عنه - إذا تقاعس وتثبط - أو أداؤها، فعبر عن الأداء بالإقامة؛ لأن القيام بعض أركانها، كما عبر عنه بالقنوت - والقنوت القيام - وبالركوع وبالسجود، وقالوا: سبح، إذا صلى؛ لوجود التسبيح فيها. { فلولاً أنه كان من المسيحين } (الصفات: ١٤٣).
والصلاة: فعلة من صلى، كالزكاة من زكى. وكتابتها بالواو على لفظ المفخم (١). وحقيقة صلى: حرك الصلويين (٢)؛

(١) قوله: (وكتابتها بالواو على لفظ المفخم) قيل: التفخيم على ثلاثة أوجه ترك الإمالة، وإخراج اللام من أسفل اللسان، كما في تفخيم الله، والاملة إلى الواو كما في الصلاة.

(٢) قوله: (حرك الصلويين) بيان للعلاقة، والصلوات قيل: المعظمت التائبات حول الفجر، قال ابن جني: قال أبو علي: والصلاة من الصلويين، وذلك لأن أول ما يشاهد من أحوال الصلاة تحريك الصلويين للركوع، فأما القيام فلا يختص بالصلاة دون غيرها، قال ابن جني: هو حسن، ومعنى: كفر اليهودي، خضع، قال عمرو بن كلثوم:

تكفر باليدين إذا التقينا *** وتلقي من مخافتنا عصاكا
(٦٤/١)

لأن المصلي يفعل ذلك في ركوعه وسجوده. ونظيره كفر اليهودي إذا طأطأ رأسه وانحنى عند تعظيم صاحبه؛ لأنه ينشئ على الكاذبين (١) وهما الكافرتان. وقيل للداعي: مصل (٢)، تشبيهاً في تخشعه بالركاع والساجد.

(١) قوله: (والكاذبين) ما نبا من اللحم في أعلى الفخذ.
(٢) قوله: (وقيل للداعي مصل) كأنه جواب عن سؤال، وهو أن الداعي يسمى مصلياً، وهو لا يحرك الصلويين، فأجاب بأن ذلك مجاز للمشابهة، قال الرازي: هذا الاشتقاق بفضي إلى الطعن في كون القرآن حجة؛ لأن الصلاة من أشهر الألفاظ واشتقاقه من تحريك الصلويين من أبعد الأشياء معرفة، ولو جوزنا ذلك ثم إنه خفي واندرس لا يعرفه إلا الآحاد لجاز مثله في سائر الألفاظ، ولو جاز لما قطعنا بأن مراد الله من هذه

الألفاظ ما تتبادر أفهامنا إليه ، بل لعل المراد تلك المعاني المندرسة ، وأجاب
القاضي بأن اشتها اللفظ في المعنى الثاني مع عدم اشتهاه في الأول لا يقدح في نقله
، والطلق : الحلال الطيب .
(٦٥/١)

وإسناد الرزق إلى نفسه(١)

(١) قوله: (وإسناد الرزق إلى نفسه) للإعلام بأنهم ينفقون الحلال الطلق إلى آخره ،
قال صاحب الانتصاف : المعتزلة أثبتوا خالقا غير الله ، ورازقا غيره ، وقد قال تعالى
: { هل من خالق غير الله يرزقكم } الآية ، وأقول : من أين يلزم من قولهم : إن الرزق
إنما هو الحلال دون الحرام [٦٨٠] إثباتهم لخالق رازق غير الله ، وهم وإن قالوا :
بأن العبد موجب لأفعاله لم يسموه خالقا ؛ لأن الخلق إيجاد الفعل مطابقا للمصلحة من
غير زيادة ولا نقصان ، وذلك لا يتصور في غير أفعال الله تعالى ، فإن أراد أنهم
يقولون بإثبات فاعل غير الله فذلك مذهبيهم ، لكنهم لم يقولوا بإثبات الرازق ، كما أن
صاحب الانتصاف يقول بأن العبد مكتسب لأفعاله ، ولا يسميه رازقا ، اللهم إلا أن يكون
جهمي المذهب ، وأما قوله : { هل من خالق غير الله } فإنما يتم حجة لو لم يتقيد
بقوله : { يرزقكم من السماء والأرض } وأيضا فقد قال تعالى { فتبارك الله أحسن
الخالقين } فلو لم يكن في الخارج خالق غيره لما صح ذلك كما لم يصح أن يقال : فتبارك
الله أحسن الآلهة لما لم يكن في الوجود اله غيره ، وأما تمسك القاضي بأن الحرام
لولم يكن رزقا لما كان المغتذي به طول عمره مرزوقا ، وليس كذلك لقوله تعالى : { وما
من دابة في الأرض إلا على الله رزقها } فليس بشيء لأن الملازمة فيه ممنوعة ، لأن
المتعدي بالحرام طول عمره مرزوق ، لكنه أضرب عن رزقه ، ولم يتناوله ، وآثر الحرام
عليه ، وليس معنى الرزق هو ما ينتفع به ، بل هو ما يمكن الانتفاع به ، وقد كان آكل
الحرام متمكنا من الانتفاع بما أحل الله له من وجوه المكاسب .
(٦٦/١)

للإعلام بأنهم ينفقون الحلال الطلق الذي يستأهل أن يضاف إلى الله ، ويسمى رزقا منه.
وأدخل من التبعية صيانة لهم وكفا عن الإسراف والتبذير المنهي عنه . وقدم مفعول
الفعل دلالة على كونه أهم ، كأنه قال : ويخصون بعض المال الحلال بالتصدق به . وجائز أن
يراد به الزكاة المفروضة ،

لاقتراحه بأخت الزكاة وشقيقتها وهي الصلاة وأن تراد هي وغيرها من النفقات في سبيل الخير، لمجيئه مطلقا يصلح أن يتناول كل منفق. وأنفق الشيء وأنفده أخوان. وعن يعقوب: نفق الشيء، ونفد واحد. وكل ما جاء مما فاؤه نون وعينه فاء، فдал على معنى الخروج والذهاب ونحو ذلك إذا تأملت.

{ والذين يؤمنون بما &Ré"ح tA إليك وما &Ré"ح tA من %sv=dy7
 ous چ \$\$\$Fy½/خ ur Oèd

{ يوقنون (٤) }

فإن قلت: { والذين يؤمنون } أهم غير الأولين أم هم الأولون؟ وإنما وسط العاطف كما يوسط بين الصفات (١) في قولك هو الشجاع والجواد، وفي قوله: إلى الملك القرم (٢) وابن الهمام ***** وليث الكتبية في المزدحم وقوله: يا لهف زياة للحاتر ***** الصابح فالغانم فالآيب (٣)

(١) قوله: (كما توسط بين الصفات) قيل: توسط العاطف بين الصفات يدل على أن كل صفة تامة مستقلة بنفسها ، وأن الموصوف عريق في كل واحد منها
 (٢) قوله: (إلى الملك القرم وابن الهمام ***** وليث الكتبية في المزدحم)
 القرم : الفحل المرمك الذي لا يحمل عليه شيء ، ثم سمي به السيد ، والهمام : العظيم الهمة ، وهو من أسماء الملوك لعظم همهم ، والكتبية : الجيش ، و المزدحم : موضع الازدحام ، وهو المعركة ، يقول : إلى الملك السيد ، وابن الملك العظيم الهمة ، وأسد الجيش في المعركة .
 (٣) قوله: (يا لهف زياة للحاتر ***** الصابح فالغانم فالآيب)
 بعده :

والله لو لاقيته وحده ***** لآب سيفانا مع الغالب

اللفف : كلمة يتحسر بها ، وزياة : اسم أبي المهجو أو الممدوح ، والحاتر اسمه ، فإن كان يهجو كما قيل ، بقرينة البيت الذي يليه ، لأن الضمير في وحده للحرب ، ومعنى لآب سيفانا مع الغالب ، أي : معي ، لكنه جاء به على هذه الطريقة ادعاء لظهور أن الغلب له ، فوصفه بهذه الصفات على سبيل التهكم ، وإلا فهو مفرج أبي يا حضرة هذا الرجل [هذه المرأة . نخ] للحاتر الصابح للعود ، أي : المغير عليهم صباحا فالغانم منهم بعد الصباح ، والآيب إلى قومه بالغنائم

قلت: يحتمل أن يراد بهؤلاء مؤمنو أهل الكتاب كعبد الله بن سلام وأضرابه (١) من الذين آمنوا، فاشتمل إيمانهم (٢)

(١) قوله: (وأضرابه) قال المصنف رحمه الله: أكثر الناس على أن إضراب بفتح الضاد وعند عمله أنه جمع ضرب بكسرها، فعل بمعنى مفعول، كالطحن ونحوه، وهو الذي يضرب به

المثل، ولا بد في المضروب به والمضروب فيه من المماثلة، وقال غيره: الأضراب الأمثال، قال المصنف: سمعت نفر واحد من العرب يقولون: هذا ضربه، أي: مثله بكسر الضاد، ويعضده مثل، ومثل، وشبه، وشبه، وأنهم جمعوه على أضراب.

(٢) قوله: (فاشتمل إيمانهم) الفاء نتيجة الكلام السابق، تقديره آمنوا بالقرآن بعد أن كانوا مؤمنين بكتابهم، فلزم من إيمانهم هذا اشتغال الإيمان على كل وأبي حنيفة، ثم قوله: (وأيقنوا بالآخرة) مشعر بأن في الكلام تغييرا، وإن أهمل الكلام، والذين آمنوا بما أنزل إليك وما أنزل من قبلك، وأيقنوا بالآخرة فيأتي بالمضارع الدال على استمرار تجد الإيمان منهم، على نحو فلان يقري الضيف، وقدم الجار والمجرور ليدل على التخصيص، وأنهم يؤمنون بالآخرة التي هي الآخرة عند الله فلت، ولا يؤمنون بالآخرة الذي يثبتها من عداهم من أهل الكتاب، وبنا يوقنوا على هما لإعطاء معنى التخصيص تعريضا بمن لم يؤمن من أهل الكتاب، وبأن إيمانهم كلا إيمان..

على كل وحي أنزل من عند الله، وأيقنوا بالآخرة إيقانا زال معه ما كانوا عليه من أنه

لا يدخل الجنة إلا من كان هودا أو نصارى وأن النار لن تمسهم إلا أياما معدودات، واجتماعهم (١) على الإقرار بالنشأة الأخرى وإعادة الأرواح (٢) في الأجساد، ثم افتراقهم فرقتين: منهم من قال: تجري حالهم في التلذذ بالمطاعم والمشارب والمناكح على حسب مجراها في الدنيا؛ ودفعه آخرون فرعموا أن ذلك إنما احتيج إليه في هذه الدار من أجل نماء الأجسام ولمكان التوالد والتناسل، وأهل الجنة مستغنون عنه فلا يتلذذون إلا بالنسيم والأرواح العبقة والسماع اللذيذ والفرح والسرور، واختلافهم في الدوام والانقطاع، فيكون المعطوف غير المعطوف عليه. ويحتمل أن يراد وصف الأولين (٣). ووسط

العاطف على معنى أنهم الجامعون بين تلك الصفات وهذه.

- (١) قوله: (واجتماعهم) روي مرفوعا ، ومجرورا ، فالرفع عطف على قوله : (ما كانوا عليه) والجر على قوله : (أنه لا يدخل الجنة) المعنى : زال مع هذا الايقان زعمهم أنه لا يدخل الجنة إلا من كان هودا أو نصارى ، وزال أيضا ما كانوا عليه من خلط الحق مع الباطل ، وهو الإقرار بالنشأة الآخرة ، ثم افتراقهم فرقتين ، فرقة منهما موافقة للمسلمين ، وفرقة مخالفة لهم في قوله بالتلذذ الجسماني ، وفي الدوام والانقطاع ، واختلافهم عطف على افتراقهم لا على اجتماعهم ، ليدخل تحت حكم ثم في التراخي ، المعنى : أنهم اجتمعوا على الإقرار بإعادة الأرواح إلى الأجساد ، ثم حصلت لهم التفرقة في كيفية الأحوال ، والاختلاف في كمية الزمان .
- (٢) قوله: (الأرواح) الريح ، واحده الرياح ، والأرياح ، وقد يجمع على أرواح ، لأن أصلها الواو ، وإنما جاءت بالياء لا نكسار ما قبلها .
- (٣) قوله: (ويحتمل أن يراد وصف الأولين) وإنما كرر الإيمان على هذا المعنى ، وإن كان الإيمان بالكتب داخلا تحت الإيمان بالغيب تخصيصا للإيمان بالكتب بالذكر .
- (٦٩/١)

فإن قلت: فإن أريد بهؤلاء غير أولئك، فهل يدخلون في جملة المتقين أم لا؟. قلت: إن

عظفتهم على { الذين يؤمنون بالغيب } دخلوا وكانت صفة التقوى مشتملة على الزميتين من مؤمني أهل الكتاب وغيرهم. وإن عظفتهم على { المتقين } لم يدخلوا. وكأنه قيل: هدى للمتقين، وهدى للذين يؤمنون بما أنزل إليك. فإن قلت: قوله: { بما أنزل إليك } إن عني به القرآن بأسره والشريعة عن آخرها، فلم يكن ذلك منزلا وقت إيمانهم، فكيف قيل أنزل بلفظ الماضي؟ وإن أريد المقدار الذي سبق إنزاله وقت إيمانهم فهو إيمان ببعض المنزل واشتمال الإيمان على الجميع سالفه ومتروقه واجب. قلت: المراد المنزل كله وإنما عبر عنه بلفظ الماضي وإن كان بعضه متروقا، تغليبا للموجود على ما لم يوجد، كما يغلب المتكلم على المخاطب، والمخاطب على الغائب فيقال: أنا وأنت فعلنا، وأنت وزيد تفعلان. ولأنه إذا كان بعضه نازلا وبعضه منتظر النزول جعل كأن كله قد نزل وانتهى نزوله، ويدل عليه قوله تعالى: { إنا سمعنا كتابا أنزل من بعد موسى } (الأحقاف: ٣٠) ولم يسمعوا جميع الكتاب، ولا كان كله منزلا، ولكن سبيله سبيل ما ذكرنا. ونظيره قولك: كل ما خطب به فلان فهو فصيح، وما تكلم بشيء إلا وهو نادر. ولا تريد بهذا

الماضي منه فحسب دون الآتي، لكونه معقودا بعضه ببعض، ومربوطا آتیه بماضيه. وقرأ
يزيد بن قطيب { بما أنزل إليك وما أنزل من قبلك } على لفظ ما سمي فاعله.
(٧٠/١)

وفي تقديم { الآخرة } وبناء { يوقنون } على { هم } تعريض بأهل الكتاب (١)

(١) قوله: (وفي تقديم الآخرة وبناء { يوقنون } على { هم } تعريض الخ ، أي قصد بهذين
الاعتقادين بتلك الخاصيتين تعريضا بهم ، فقوله (تعريض بأهل الكتاب) توطئة ، وقوله
(بما كانوا عليه) وقوله (إن قولهم) إلخ عطف عليه ، على طريقة أعجبنني زيد وكرمه ،
وهذان المعطوفان تفسيران لقوله (وفي تقديم الآخرة) وقوله تعالى { يوقنون } على سبيل
النشر ، فدل التقديم على التخصيص ، وأن إيمانهم مقصور على الآخرة الحقيقية لا

يتجاوزا إلى ما أثبتته اليهود ، وهو أنه لا يدخل الجنة إلا من كان هودا ، أو أنهم
لا تمسهم النار إلا أياما معدودات ، وأن أهل الجنة يتلذذون بالنسيم ، والأرواح
العبيقة ، وهو المراد بقوله (من إثبات أمر الآخرة على خلاف حقيقته) ودل بناء يوقنون
على هم تحقيق إيقانهم ، وثباته ، وهو المراد بقوله (وإن اليقين ما عليه من آمن بما
أنزل إليك) ثم بمجموعهما دل على أن اليهود على خلاف ذلك تعريضا ، فعلى هذا قوله :
(وأن اليقين ما عليه ليس معطوفا على تعريض ، كما ظن ، فإنه قيل : إن قوله : { وإن
اليقين } عطف على قوله تعريض ، لا على معموله لأنه ليس فيه تعريض بأن اليقين ما
عليه من آمن ، بل تصريح بذلك ، وحينئذ يكون التقدير في بناء يوقنون إلى آخره تعريض
بكذا وكذا ، وتصريح بأن اليقين ما عليه من آمن .

قال الطيبي : وإنما لم يحمل قوله : بناء يوقنون على هم على التخصيص ؛ لأن القول
بتقوي الحكم يفيد التحقيق ، ويستلزم التخصيص بالتعريض ، والقول بالتقديم لا يفيد
إلا التخصيص ، فكان أولى ، وقوله (وبناء يوقنون على هم يدل على أن هم مبتدأ ويوقنون
خبره ، وأنا أقول : إن القول بأن تقوي الحكم يفيد التحقيق مسلم ، وأما القول
باستلزامه للتخصيص ففيه نظر ، لأن التخصيص فرع على التقديم ، فلا يحصل بدونه ، وقال
بعض الأفاضل قوله { بالآخرة } أفاد أن إيقانهم مقصور على أنه إيقان بالآخرة ، لا
بغيرها ، وتقديم هم أفاد أن هذا القصر مختص بهم ، فيكون إيقان غيرهم بالآخرة إيقانا
بغيرها حيث قالوا : لن يدخل الجنة { لن تمسنا النار } وأقول : لا شك أن التقديم في

قوله { بالآخرة } يفيد تخصيص إيقانهم بها ، أي : بالآخرة يوقنون لا غيره ، ولا يدل هذا أن لغيرهم إيقانا بالآخرة ، فضلا أن تدل على أن إيقانهم غيرهم بالآخرة إيقانا بغيرها ، وأيضا فكيف يكون لغيرهم إيقان ، والإيقان منتف عنهم ؛ لأن اليقين هو العلم الذي لا شك فيه ، وكيف يكون الإيقان بها إيقانا بغيرها ، والعلم بالشئ لا يكون علما بغيره .

(٧١/١)

وبما كانوا عليه من إثبات أمر الآخرة على خلاف حقيقته، وأن قولهم ليس بصادر عن إيقان، وأن اليقين ما عليه من آمن بما أنزل إليك وما أنزل من قبلك. والإيقان: إتقان العلم بانتفاء الشك والشبهة عنه. و { الآخرة } تأنيث الآخر الذي هو نقيض الأول، وهي صفة الدار بدليل قوله: { تلك الدار الآخرة } (القصص: ٧٧) وهي من الصفات الغالبة، وكذلك الدنيا. وعن نافع أنه خففها بأن حذف الهمزة وألقى حركتها على اللام، كقوله: { دابة الأرض } (سبأ: ١٤) وقرأ أبو حية النميري "يوقنون" بالهمز، جعل الضمة في جار الواو كأنها فيه، فقلبها قلب واو "وجوه" و"وقت". ونحوه:

لحب المؤقدان إلي موسى(١)

وجعدة إذ أضاءهما الوقود

{ أولئك على هدى من Nخkحh5' وأولئك هم ٥ك=sdكcq (J9\$# { }

(١) قوله: (لحب المؤقدان إلى موسى*****وجعدة إذ أضاءهما الوقود)

البيت لأبي حية النميري ، وموسى وجعدة ابناه ، وقيل : لجبرير ، وموسى وجعدة عطف بيان لقوله المؤقدان ، كانا يوقدان نار القرى ، واللام في لحب للقسم ، هكذا روى سيبويه بقلب الواو في الموقدان وموسى همزة ، ولحب : يروى برفع الحاء وفتحها .

(٧٢/١)

أولئك على هدى { الجملة في محل الرفع إن كان الذين يؤمنون بالغيب مبتدأ؛ وإلا فلا محل لها(١). ونظم الكلام على الوجهين: أنك إذا نويت الابتداء بالذين يؤمنون بالغيب. فقد ذهبت به مذهب الاستئناف. وذلك أنه لما قيل: { هدى للمتقين } واختص المتقون بأن الكتاب لهم هدى، اتجه لسائل أن يسأل فيقول: ما بال المتقين مخصوصين بذلك؟ فوقع

قوله: { الذين يؤمنون بالغيب } إلى ساقته كأنه جواب لهذا السؤال المقدر. وجيء بصفة المتقين المنطوية تحتها خصائصهم التي استوجبوا بها من الله أن يلفظ بهم، ويفعل بهم ما لا يفعل بمن ليسوا على صفتهم، أي الذين هؤلاء عقائدهم وأعمالهم، أحقاء بأن يهديهم الله ويعطيهم الفلاح. ونظيره قولك: أحب رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم الأنصار الذين قارعوا دونه، وكشفوا الكرب عن وجهه، أولئك أهل للمحبة.

(١) قوله: (والا فلا محل لها) من الإعراب ، قيل : فيه نظر لأنه لو كان الموصول الثاني مبتدأ ، وكذلك محلها الرفع ، فالحق أن يقال : إن كان أحد الموصولين مبتدأ فهو في محل الرفع ، وقد أجيب بأن المراد أنه لا محل لها على تقدير الرفع على الاستئناف ، وفي الجواب نظر .

(٧٣/١)

وإن جعلته تابعا للمتقين، وقع الاستئناف على أولئك؛ كأنه قيل: ما للمستقلين بهذه الصفات قد اختصوا بالهدى(١)؟ فأجيب بأن أولئك الموصوفين، غير مستبعد أن يفوزوا دون الناس بالهدى عاجلا، وبالفلاح آجلا. واعلم أن هذا النوع من الاستئناف يجيء تارة بإعادة اسم من استؤنف عنه الحديث، كقولك: قد أحسنت إلى زيد، زيد حقيق بالإحسان. وتارة بإعادة صفته، كقولك: أحسنت إلى زيد صديقك القديم أهل لذلك منك؛ فيكون الاستئناف بإعادة الصفة أحسن وأبلغ، لانطوائها على بيان الموجب وتلخيصه. فإن قلت: هل يجوز أن يجري الموصول الأول على المتقين، وأن يرتفع الثاني على الابتداء وأولئك خبره؟ قلت: نعم على أن يجعل اختصاصهم بالهدى والفلاح تعريضا بأهل الكتاب الذين لم يؤمنوا بنبوّة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ، وهم ظانون أنهم على الهدى وطامعون أنهم ينالون الفلاح عند الله.

(١) قوله: (كأنه قيل: ما للمستقلين بهذه الصفات قد اختصوا بالهدى) أي : ما للمختصين بهذه الصفات القائمين بها قد اختصوا بكون الكتاب هدى لهم ، والاختصاص مستفاد من اللام ، وقوله (فأجيب) الخ أي : أجيب بأنهم غير مستبعد أن يفوزوا بالهدى عاجلا ، والفلاح آجلا ؛ لأنهم من أهل الهدى المستحقين له ، ومن أهل الفلاح أيضا ، واللام في الهدى الأول للعهد في قوله { هدى للمتقين } والثاني للعهد في { هدى من ربهم } لكن

المعهود الأول غير الثاني ؛ لأن المراد بالأول هداية الكتاب فقط ، وبالثاني مطلق الهداية ، أي : الهداية بجميع ما يهدي به عباد الله المتقين ، ومعنى الجواب على هذا أن المتقين إذا كانوا من أهل الهداية لم يستبعد أن يهديهم الله لوجوب الهداية عليه ، وكذا لا يستبعد أن يؤتيهم الفلاح آجلا لا نتفاعهم بالهداية في العاجل ، التي هي سبب الفوز في الآجل ، وإذا لم يستبعد ذلك فيهم لم يستبعد كون الكتاب هدى لهم بطريق الأولى .

(٧٤/١)

وفي اسم الإشارة الذي هو { أولئك } إيدان بأن ما يرد عقبيه فالمذكورون قبله أهل لاكتسابه من أجل الخصال التي عدت لهم، كما قال حاتم: (ولله صعلوك) ثم عدد له خصالا فاضلة(١)، ثم عقب تعديدها بقوله:

(١) قوله: (كما قال حاتم: (ولله صعلوك) ثم عدد له خصالا كاملة) إشارة إلى سائر الأبيات ، والأبيات هي هذه : شعر

ولله صعلوك يساور همهمه**** ويمضي على الأحداث والدهر مقدما
فتى طلبات لا يرى الخمص ترحة**** ولا شبة إن نالها عد مغنما
إذا ما رأى يوما مكارم أعرضت**** تيمم كبراهن ثمت ضمما
ترى رمحه أو نبلة أو مجنه وذا**** شطب غضب الصريمة مجذما
وإحناء سرج فاتر أو لجامه**** عناد فتى الهيجا وطرفا مسوما
فذلك إن يهلك فحسبي ثناؤه**** وإن عاش لم يقعد ضعيفا مذمما
لحا الله صعلوكا مناه وهمهمه**** من العيش أن يلقي لبوسا ومطعما
ينام الضحى حتى إذا ليله أتى**** تنبه مسلوب الفواد مورما

(ولله صعلوك) كقولهم : لله أنت ، وهو يستعمل ليدل به على الجود ، أي : لله القدرة على خلق مثل هذا الصعلوك ، ويقال نحو هذا عند صدور كلام غريب ، وفعل عجيب ليدل به

على الجود ، والتقدير : هو الله ، أي : صنيعه ومختاره ، فله القدرة على خلق مثل ذلك الصعلوك ، وهو الفقير ، وصعاليك العرب ذؤبانها ، أي : الذين يتلصصون ، والمساورة : المواثبة ، والخمص : الجوع ، والترحة : الشدة ، وشطب السيف طرائقه التي في منته ،

والمخدم : القاطع بسرعة ، اعرضت : ظهرت واستبان ، ومعنى فاتر : واق ، لا يعفر ظهر
الفرس ، فحسن : مصدر بمعنى حسن ، مثل بشرى بمعنى البشارة ، وقيل هو اسم بمعنى
الاحسان ، يقول : لله در فقير ثواب همته ، ويمضي مقدما على الدهر ، والحال أنه فتي
طلبات يتجدد طلبه كل ساعة ، والدهر يسعد بمطلوبه لجده ورشده ، ولا يرى الجوع شدة ،
ولا الشبع غنيمة ، لعلو همته ، فمثله إن يهلك فحسن ثناؤه ، وإن يعيش يعيش ممدوحا
معززا .
(٧٥/١)

فذلك إن يهلك فحسبي ثناؤه ***** وإن عاش لم يقعد ضعيفا مذمما
ومعنى الاستعلاء في قوله (على هدى) مثل لتمكنهم(١) من الهدى ، واستقرارهم عليه ،
وتمسكهم به . شبهت حالهم بحال من اعتلى الشيء وركبه . ونحوه : هو على الحق وعلى
الباطل . وقد صرحوا بذلك(٢) في قولهم : جعل الغواية مركبا ، وامتطى الجهل واقتعد غارب
الهوى .

(١) قوله : (مثل لتمكنهم) أي : هو استعارة تمثيلية واقعة على سبيل التبعية ، يدل
عليه قوله : (شبهت حالهم) وتقريره أن يقال : شبهت حالهم وهي تمكّنهم من الهدى
واستقرارهم عليه ، وتمسكهم به كحال من اعتلى الشيء وركبه ، ثم استعير للحالة التي هي
المشبه المتروك ، كلمة الاستعلاء المستعملة في المشبه به ، ويدل ذلك على أن الاستعارة
التبعية تمثيلية الاستقراء ، وبه يشعر قول صاحب المفتاح رحمه الله في استعارة لعل ،
فشبه حال المكلف إلى قوله بحال المرتجي إلى آخره .
(٢) قوله : (وقد صرحوا بذلك) أي : بإرادتهم معنى الاستعلاء والركوب فيما يشبه الآية
، وهو قولهم : هو على الحق ، وهو على الباطل ، من قولهم : جعل الغواية مركبا ، أي :
كالمركب ، فهو من التشبيه ، وقالوا : امتطى الجهل ، أي : اتخذ الجهل مطية ، وهي أيضا
تشبيه ، وأما قوله : واقتعد غارب الهوى ، فهو استعارة إما تحقيقية وتخيلية ، واقتعد
ترشيح لها ، نحو قوله : وعري أفراس الصبا ورواحله .
(٧٦/١)

ومعنى { هدى من ربهم } (١) أي منحوه من عنده وأوتوه من قبله ، وهو اللطف والتوفيق
الذي اعتضدوا به على أعمال الخير ، والترقي إلى الأفضل فالأفضل(٢) . ونكر { هدى }
ليفيد ضربا مبهما لا يبلغ كنهه ، ولا يقادر قدره ؛ كأنه قيل : على أي هدى ، كما تقول :

لو أبصرت فلانا لأبصرت رجلا. وقال الهذلي:
فلا وأبي الطير المربة بالضحي على خالد لقد وقعت على لحم(٣)

(١) قوله: (ومعنى هدى من ربهم) مبتدأ ، ومنحوه من عنده خبره ، وأقحم أي : التفسيرية لمزيد البيان ، بمعنى هدى من ربهم هذا القول ، فحذف وحيء بتفسيره كما سيجيء في قوله { وإذا قيل لهم لا تفسدوا في الأرض } ومعنى من عنده ، ومن قبله) أي : من [٧٨٣] هنا لا بتداء الغاية ، فلا تصح إلا بتقدير عند ، وهو أيضا لا يصح على ظاهره ، فيرجع حاصله إلى أنهم أوتوه بتوقيفه ولطفه .

(٢) قوله: (والترقي إلى الأفضل فالأفضل) الفاء مثلها في قوله صلى الله عليه وآله وسلم الأمثل فالأمثل ، أي : هي للتعقيب على سبيل الاستمرار إلى ما لا نهاية له ، المعنى : إذ ... ا ساعدتهم ألطاف الله أقدموا على عمل من الأعمال الحسنة ، وهذا العمل يستنزل لهم لطفًا جديدًا ، أفضل من الأول فيستجدوا لأعمال أعلى من ذلك ، فعلى هذا فاللطف يدعو إلى العمل ، والعمل إلى استجلاب اللطف ، فلا يزال العمل واللطف يتناوبان حتى يتمكنوا على الأعمال فتصير فيهم صفة راسخة ، وإليه يشير قوله تعالى : { والذين اهتدوا زادهم هدى } وقوله : { والذين جاهدوا فينا لنهدينهم سبلنا } وكنه الشيء : حقيقته ، وكيفيته ، واكتنه الأمر بلغ كنهه .

(٣) قوله: (فلا وأبي الطير المربة بالضحي على خالد لقد وقعت على لحم)

البيت لأبي خراش الهذلي ، ويروى :

لعمر أبي الطير المربة غدوة ***** على خالد لقد وقعت على لحم

ويروى : لقد قلت للطير . يروى عن المصنف رحمه الله أنه قال ما أفصحك يا بيت المربة

،

والمربة: المقيمة ، لما كان هذا خالد عظيم الشأن استعظم لحمه حيث نكره ، وبسبب عظمة اللحم استعظم الطير الواقعة عليه إذ أقسم بها ؛ لأن الاقسام بالشيء دليل تعظيمه ، والأب يحتمل أن يكون مفخما ، وأن يكون غير مفخم ، على أن عظم أبي الطير لتعظيمها ، بسبب وقوعها على لحم خالد ، وفيه مبالغة ، بأن جعلت لا زائدة ، فالجواب : لقد وقع ، وفيه إشاعر من حيث الالتفات بالتعظيم ، وإن لم تجعل زائدة فجواب القسم مدلول لا ، وهو المردود بها ، ثم يتبدأ بعد ذلك بإنشاء قسم آخر ، أي : والله لقد وقعت على لحم ، قيل : فيكونصفة للطير ، على تأويل الطير المقول في ذمها لقد وقعت ،

والأثرة : التقدم والاختصاص ، ومعنى على حالها : على انفرادها .
(٧٧/١)

والنون في { من ربهم } أدغمت بغنة وبغير غنة، فالكسائي، وحمزة، ويزيد، وورش في رواية والهاشمي عن ابن كثير لم يغنوها. وقد أغنها الباقون إلا أبا عمرو. فقد روي عنه فيها روايتان.

وفي تكرير { أولئك } تنبيه على أنهم كما ثبتت لهم الأثرة بالهدى، فهي ثابتة لهم بالفلاح؛ فجعلت كل واحدة من الأثرتين في تمييزهم بالمشابة التي لو انفردت كفت مميزة على حيالها. فإن قلت: لم جاء مع العاطف؟ وما الفرق بينه وبين قوله: { أولئك } كالأنعام بل هم أضل، أولئك هم الغافلون { (الأعراف: ١٧٩)؟ قلت: قد اختلف الخبران (١) ههنا فلذلك دخل العاطف، بخلاف الخبرين ثمة فإنهما متفقان؛ لأن التسجيل عليهم بالغفلة وتشبيهم بالبهائم شيء واحد، فكانت الجملة الثانية مقررة لما في الأولى فهي من العطف بمعزل.

(١) قوله: (قد اختلف الخبران) أي : الجملتان الواقعتان خبرين عن { الذين يؤمنون } لأن معنى { أولئك على هدى } أنهم متمكنون من الهدى ، ومعنى { أولئك هم المفلحون } أنهم هم الفائزون بحصول المآرب في الآخرة ، فتوسط الجملتين بين كمال الانصال والانقطاع ، فجاء بالعاطف بخلاف الخبرين عنه ، أي : في قوله : { أولئك كالأنعام } لأن التسجيل عليهم بالغفلة في قوله : { أولئك هم الغافلون } والتشبيه بالأنعام في { أولئك كالأنعام } شيء واحد أن المقصود من التشبيه بالأنعام ، وهو اتحافهم بها في الغفلة ، وعلى هذا فالجملتان لا مجال للعاطف فيهما ؛ لأن الثانية مؤكدة للأولى .
(٧٨/١)

و { هم } فصل: وفائدته: الدلالة على أن الوارد بعده خبر لا صفة، والتوكيد، وإيجاب أن فائدة المسند ثابتة للمسند إليه دون غيره. أو هو مبتدأ والمفلحون خبره (١)، والجملة خبر أولئك.

(١) قوله: (أو هو مبتدأ والمفلحون خبره) فعلى هذا التركيب يفيد تقوي الحكم ، والتخصيص كما ظن لأن التخصيص إنما يكون مع التقديم ، ولا تقديم على تقدير كون هم

مبتدأ للهم ؛ إلا أن يقال : استفيد التخصيص من تعريف المبتدأ والخبر .
(٧٩/١)

ومعنى التعريف في { المفلحون } : الدلالة على أن المتقين هم الناس الذين عنهم بلغك (١) أنهم يفلحون في الآخرة كما إذا بلغك أن إنسانا قد تاب من أهل بلدك، فاستخبرت من هو؟ ف قيل زيد التائب، أي هو الذي أخبرت بتوبته. أو على أنهم الذين إن حصلت صفة المفلحين وتحققوا ما هم(٢)، وتصوروا بصورتهم الحقيقية، فهم هم لا يعدون تلك الحقيقة. كما تقول لصاحبك: هل عرفت الأسد وما جبل عليه من فرط الإقدام؟ إن زيدا هو هو.

(١) قوله: (هم الناس الذين عنهم بلغك) هذا على أن التعريف للعهد ، وقوله : أو على أنهم الذين حصلت صفة المفلحين ، على أن التعريف للجنس ، قال الطيبي : فإذا جعلت للعهد كان فصرا للمسند على المسند إليه ، فالفلاح لا يتعدى إلى غيرهم ، وإذا جعل للجنس أفاد أنه المسند إليه مقصور على المسند ، فلا يعدون الفلاح إلى صفة أخرى فيلزم على الأول اختصاصهم بالفلاح دون غيرهم ، ولما كان الكلام واردا على التعريض بأهل الكتاب يعود عدم الفلاح عليهم ، وأنا أظن أن القصر للمسند إليه على المسند بكل حال ، ولا فرق في ذلك بين كون اللام للعهد ، أو للجنس ألا ترى أنك لو أردت التأكيد لقلت : لا غيرهم ، فليتأمل ذلك .

(٢) قوله: (وتحققوا ما هم) ما استفهامية ، ومعنى تحققوا : علموا ، ولا يسمى هذا تعليقا لذلك المفعول الأول ، فقوله ما هم وقع موقع المفعول الثاني .

(٨٠/١)

فانظر كيف كرر الله عز وجل التنبيه على اختصاص المتقين بنيل ما لا يناله أحد على طرق شتى، وهي: ذكر اسم الإشارة، وتكريره، وتعريف المفلحين، وتوسيط الفصل بينه وبين أولئك؛ ليبصر مرادهم ويرغبك في طلب ما طلبوا، وينشطك لتقديم ما قدموا، ويشطك عن الطمع الفارغ والرجاء الكاذب والتمني على الله ما لا تقتضيه حكمته (١) ولم تسبق به كلمته. اللهم زيننا بلباس التقوى، واحشرنا في زمرة من صدرت بذكرهم سورة البقرة. والمفلح: الفائز بالبغيه كأنه الذي انفتحت له وجوه الظفر ولم تستغلق عليه. والمفلج

- بالجيم - مثله. ومنه قولهم المطلقة: استفلحي بأمرك بالحاء والجيم. والتركيب
دال على معنى الشق والفتح، وكذلك أخواته في الفاء والعين، نحو: فلق، وفلذ، وفلى.
{ إن الذين كفروا سواء عليهم أأنذرتهم أم لم تنذرهم لا يؤمنون (٦) }

(١) قوله: (والتمني على الله ما لا تقتضيه حكمته) المراد به الثواب ؛ لأن الثواب لو
أعطي غير العامل لم يناسب الحكمة ، وكان قبيحا لاشتماله على التعظيم الذي لا يحسن
فعله في حق من لا يستحقه ، ومعنى (استفلحي لأمرك) فوزي به ، واستبدي [٦٨٤] وهو من
كنايات الطلاق ، وكلما فيه فاء ولام ، ففيه معنى الشق منه ، فلق الصبح أي : شق
الظلام ، وفلذ كذا قطعه ، وفلا هو من فلوته عن أمه إذا فطمته ، وعلوته بالسيف ،
وفليته إذا ضربته .

(٨١/١)

لما قدم ذكر أوليائه وخالصة عبادته بصفاتهم التي أهلتهم لإصابة الزلفى عنده، وبين أن
الكتاب هدى ولطف لهم خاصة، قفى على أثره بذكر أضدادهم وهم العتاة المردة من الكفار

الذين لا ينفع فيهم الهدى، ولا يجدي عليهم اللطف، وسواء عليهم وجود الكتاب وعدمه،
وإنذار الرسول وسكوته. فإن قلت: لم قطعت قصة الكفار عن قصة المؤمنين ولم تعطف كنحو
قوله: (إن الأبرار لفي نعيم، وإن الفجار لفي جحيم) وغيره من الآي الكثيرة؟ قلت: ليس
وزان هاتين القصتين وزان ما ذكرت؛ لأن الأولى فيما نحن فيه مسوقة لذكر الكتاب وأنه
هدى للمتقين، وسيقت الثانية لأن الكفار من صفتهم كيت وكيت، فبين الجملتين تباين في
الغرض والأسلوب(١)،

(١) قوله: (تباين في الغرض والأسلوب) أما التباين في الغرض فلما في المتن ، وأما
التباين في الأسلوب فالأنه الأولى ، مجردة عن حرف التوكيد ، مشتملة على ما ذكر من
التنبيه باللطف ، وجه ، وعلى سائر ما ذكره من اللطائف ، والثانية مصدره ظرف التوكيد
الذي يؤتى به للطالب ، والانكار أو الشك ، وعلى هذا فلا تناسب ، والعطب بين
الجملتين إنما يجوز بشرط رعاية التناسب ..

(٨٢/١)

وهما على حد لا مجال فيه للعاطف(١). فإن قلت: هذا إذا زعمت أن الذين يؤمنون جار على

المتقين، فأما إذا ابتدأته وبنيت الكلام لصفة المؤمنين، ثم عقبته بكلام آخر في صفة أضدادهم، كان مثل تلك الآي (٢) المتلوة.

(١) قوله: (مجال للعاطف فيه) قيل : فيه نظر ؛ لأن قول المصنف قبل هذا : وسواء عليهم وجود الكتاب وعدمه مؤذن بأنها مسوقة لوصف الكتاب ، وتقرير النظر : أن يقال : لما وصف الكتاب بكونه { هدى للمتقين } عقب بكونه غير هدى لأضدادهم ، وأجيب بأن المطلوب

من الوصف عنا تعظيم الكتاب ، وتفخيم شأنه فلا يوصف إلا بصفة صالحة للمدح ، لكونه كامل الهداية ، ولا شك أن كون الكتاب غير نافع للمصرين فلا يصلح للمدح ، فلا تصلح للوصفية للكتاب في مقام المدح كهذا المقام ، وأما قوله : سواء وجود الكتاب وعدمه فبيان لنظم الآي ، وأن ذكر الكفار على سبيل الاستطراد لذكر المؤمنين ، وكون الكتاب

هاديا لهم كما قال صاحب المفتاح رحمه ، كما تكون في حديث ، ويقع في خاطرك حديث آخر

بينهما جامع ، لكنه غير ملتفت إليه لبعد مقامك عنه ، ويدعوك إلى ذكره داع فتورده مفصلا .

(٢) قوله: (كان مثل تلك الآي) إشارة إلى قوله : { إن الأبرار } الآيتين ، ونحوهما ، وذلك لأنها على هذه التقدير منقطعة عما قبلها مبتدأة مؤاخية لما بعدها بالتقابل ، فإذا للعطف مجال ، وخلاصة الجواب أن { إن الذين كفروا ليست على منوال } الذين يؤمنون بالغيب { لا صفة ولا استثناء كما ؛ لأنه لا يصلح جوابا لما أجيب عنه بـ } الذين لا يؤمنون { نعم هي واردة على سبيل الاستطراد استثناء ثانيا ؛ لأن أن مستدعية للطلب ، والانكار لكونها لتأكيد القسمة : كأنه لما وصف الكتاب بكونه هاديا للمتقين ، موصلا لهم إلى مطالبهم ، وأنهم مخصوصون بذلك دار في خلد السامع ألا يكون هدى لغيرهم ، فقلل لأن الذين كفروا مصرون على كفرهم مختوم على قلوبهم وسمعهم وأبصارهم .

(٨٣/١)

قلت: قد مر لي أن الكلام المبتدأ عقيب المتقين سبيله الاستثناء، وأنه مبني على تقدير سؤال، فذلك إدراج له في حكم المتقين، وتابع له في المعنى؛ وإن كان مبتدأ في اللفظ فهو في الحقيقة كالجاري عليه.

والتعريف في { الذين كفروا } (١) يجوز أن يكون للعهد وأن يراد بهم ناس بأعيانهم كأبي لهب وأبي جهل والوليد بن المغيرة وأضرابهم، وأن يكون للجنس متناولا كل من صمم على كفره تصميمًا لا ينعوي بعده وغيرهم، ودل على تناوله للمصريين الحديث عنهم باستواء الإنذار وتركه عليهم، و { سواء } اسم بمعنى الاستواء وصف به كما يوصف بالمصادر.

(١) قوله: (والتعريف في { الذين كفروا } يعني المراد بالذين كفروا قوم معهودون ، فيوافقه قوله : { سواء عليهم } الآية ، وعلى هذا فلا إشكال ، ويجوز أن يكون التعريف للجنس ، فيكون اللفظ بظاهره متناولا للمصر وغيره ، كالمشترك ، ويكوه قوله : { سواء

عليهم } الآية قرينة مبينة لأحد مفهوميه ، وعلى هذا فالموصول المعرف تعريف الجنس إما إما عام خص هؤلاء المصريين بما أسند إليهم ، أي : أخرج عنه غير المصريين ، وأما مطلق قيد قبل حمله على المطلق ، والحمل على المطلق والمقيد أولى من الحمل على العموم والخصوص ، لأن المصنف قال في تفسير قوله تعالى : { والمطلقات يتربصن بأنفسهن ثلاثة قروء } أراد ذوات الأقراء . فإن قلت كيف جاز ارادتهن خاصة ، واللفظ يقتضي العموم ؟ قلت : بل هو مطلق في تناول الجنس صالح لكليه ، وبعضه فجاء في بعض أحد ما يصلح له ، كالاسم المشترك ، وذلك أن دليل الخصوص عند الحنفية جملة مستقلة بنفسها ، نص عليه اليزدي ، بقوله : دليل الخصوص يشبه الناسخ بصيغته ؛ لأنه نص قائم بنفسه ، فعلى هذا { إن الذين كفروا } لفظ مطلق بتناول كل من صمم على الكفر وغيره ، أي : يصلح لهما ، فدل على تناوله للمصريين حديث استواء الإنذار وتركه ، ومعنى (لا ينعوي) لا ينزجر ، ولا يندم ، ولا يترك .

(٨٤/١)

ومنه قوله تعالى: { تعالوا إلى كلمة سواء بيننا وبينكم } (آل عمران: ٦٤)، { في أربعة أيام سواء للسائلين } (فصلت: ١٠) بمعنى مستوية وارتفاعه على أنه خبر لأن، و { أنذرتهم أم لم تنذرهم } في موضع المرتفع به على الفاعلية؛ كأنه قيل: إن الذين كفروا مستو عليهم إنذارك وعدمه. كما تقول: إن زيدا مختصم أخوه وابن عمه أو يكون أنذرتهم أم لم تنذرهم في موضع الابتداء، وسواء خبرا مقدما بمعنى: سواء عليهم إنذارك وعدمه، والجملة خبر لأن. فإن قلت: الفعل أبدا خبر لا مخبر عنه فكيف صح الإخبار عنه في هذا الكلام؟ قلت: هو من جنس الكلام المهجور (١) فيه جانب اللفظ إلى جانب المعنى، وقد وجدنا العرب يميلون في مواضع من كلامهم مع المعاني ميلا بينا، من

ذلك قولهم: لا تأكل السمك وتشرب اللبن، معناه لا يكن منك أكل السمك وشرب اللبن، وإن

كان ظاهر اللفظ على ما لا يصح من عطف الاسم على الفعل.

)

(١) قوله: (من جنس الكلام المهجور) أراد أن الفعل إنما يقع الاخبار عنه إذا أريد به تمام معناه الذي وضع له ، أما لو أطلق وأريد به اللفظ ، أو مطلق الحدث المدلول عليه ضمنا على الاتساع ، فهو كالاسم والاضافة والاسناد إليه ، كقوله تعالى : { وإذا قيل لهم آمنوا } وقوله : { يوم ينفع الصادقين صدقهم } وقولهم : تسمع بالمعيدي خير من أن تراه ، ومعنى (يميلون مع المعاني) يدورون معها ، ولا يبالون بالألفاظ .
(٨٥/١)

والهمزة وأم مجردتان(١)

(١) قوله: (والهمزة وأم مجردتان) شرع في التفسير على طريق تأكيد [٦٨٥] معنى الجواب ؛ لأن أم والهمزة أيضا من جنس الكلام المهجور ؛ لأنهما يفيدان السؤال والاستواء ، وجرد هنا لمعنى الاستواء في علم المستفهم عنهما ، قال صاحب التقريب : وفيه نظر ؛ لأنهما لو كانا للاستواء لما أخبر عنه بسواء ، فلعل المراد أنهما لما كانا للاستفهام عن مستويين فجردا على الاستفهام ، نفي أنهما لمستويين ، ولا تكرار في ادخال { سواء عليهم } لأن المعنى أن المستويين في العلم مستويان في عدم النفع ، وإنما جردا من الاستفهام ليقعا فاعلين لسواء ؛ لأن الاستفهام بمنع ذلك لصدريته ، ولكونه لأحد الأمرين ، والاستواء يقتضي متعددا ، فبالتجريد ارتفع المانعان . والله أعلم وأدل اعلم أن في نظره نظرا ؛ لأن ما ذكره من الشرطية ممنوع ، إذ لا تكرار حيث دلت الهمزة ، وأم على الاستواء بطريق المجاز ، وسواء بطريق الحقيقة .
وأما ما ذكره من حديث التجريد ، فهو بعينه من كلام جار الله رحمه ، فإنه قال :
الهمزة وأم مجردتان لمعنى الاستواء ، وقد انسلخ عنهما معنى الاستفهام رأسا ، وأما ما ذكره من أن المعنى هو أن المستويين في العلم مستويان في النفع فهو مما لا يقبله من كان له ذوق سليم ، وطبع مستقيم .

وتحقيق هذا أن الهمزة وأم في الأصل للتسوية في الاستفهام ، فلما جردا عن معنى

الاستفهام بقيا لمجرد التسوية في الإخبار ، وحينئذ لا تكرر ، إذ التسوية في الإخبار غير التسوية في عدم النفع ، وقوله (ومعنى الاستواء) بيان للمعنى بحسب الأصل ، أعني قبل سلب معنى الاستفهام عنهما إذ لا يتصور أن يقال في قوله تعالى : { أنذرتهم أم لم تنذرهم } أن الإنذار وعدمه مستويان في علم المستفهم ، إذ الاستفهام في إذ المتكلم به هو الله تعالى ، والاستفهام عليه محال ، ولأنه عالم بكون أحدهما على التعيين ، ويحقق ذلك أيضا أن الاستواء في لفظ سواء هو بالنسبة إليهم ، ولهذا قال عليهم ، والاستواء في أم والهمزة إنما هو بالنسبة إلى علم المستفهم ، وبالنسبة إليهما في أنفسهما بعد سلب معنى الاستفهام ، أي : لا يرجح أحدهما على الآخر ، تأمل هذا فإنه دقيق جدا .

(٨٦/١)

لمعنى الاستواء وقد انسلخ عنهما معنى الاستفهام رأسا . قال سيبويه : جرى هذا (١) على حرف الاستفهام كما جرى على حرف النداء قولك : اللهم اغفر لنا أيتها العصابة ، يعني أن هذا جرى على صورة الاستفهام ولا استفهام ، كما أن ذلك جرى على صورة النداء ولا نداء . ومعنى الاستواء استواءهما في علم المستفهم عنهما لأنه قد علم أن أحد الأمرين كائن ، إما الإنذار وإما عدمه ، ولكن لا بعينه ، فكلاهما معلوم بعلم غير معين (٢) . وقرئ : "أنذرتهم" بتحقيق

(١) قوله : (قال سيبويه : جرى هذا) اعلم أن في كلامهم حملا لمعان في الأصل ثم نقلوها إلى معان آخر مع تجريدتها عن أصل معناها ، وهذا في أبواب منها قولهم : سواء علي أقمت أم قعدت ، فإن في الأصل سؤال عن التعيين مع التسوية فيهما ، ثم نقل إلى الخبر بمعنى التسوية من غير سؤال ، ومنها : قولهم أيها الرجل ، أصله تخصيص المنادى لطلب إقباله عليك ، ثم نقل إلى معنى الاختصاص فقط ، في أما أنا فافعل لك أيها الرجل .

(٢) قوله : (بعلم غير معين) صح بكسر الباء في نسخة المصنف ، وهذا باعتبار الأصل ، أي : قبل التحرير .

(٨٧/١)

الهمزتين، والتخفيف أعرب وأكثر، وتخفيف الثانية (١) بين بين، ويتوسط ألف بينهما محققين، ويتوسطها والثانية بين بين، ويحذف حرف الاستفهام، ويحذفه وإلقاء حركته على الساكن قبله، كما قرئ "قد أفلح". فإن قلت: ما تقول فيمن يقلب الثانية ألفاً؟ قلت: هو لاحق (٢)

(١) قوله: (وتخفيف الثانية) عطف على قوله بتخفيف الهمزتين ، وقوله ، والتخفيف أعرب وأكثر ، اعتراض بين المعطوف والمعطوف عليه ، قدم للاهتمام.

(٢) قوله: (هو لا حن) ليس هذا بطعن في القرآن المتواتر ؛ لأن هذا من قبيل الأداء ، ونحوه المد والامالة ، وذلك ليس بمتواتر ، بل المتواتر هو ما بين دفتي المصحف ، وهذه القراءة رواية عن ورش ، قال الكواشي في زعمه نظر ؛ لأن من قلب الهمزة ألفاً ، يشيع الألف إشباعاً زائداً على مقدار الألف الخارجة عادة ، ليكون الإشباع فاصلاً بين الساكنين ، وهما الألف المقلوبة ، والنون ، وذكر ابن الحاجب في وجه من قرأ { محياي } بإسكان الياء وصلاً هذا المعنى ، وقيل : طريق التخفيف ليس يخفى ، وأنشد للفرزدق :

فارعي فزارة لا هناك المرتع

ولحسن : سالت هذيل رسول الله فاحشة [٦٨٦] وإذا ثبت مثله في كلام الفصحاء ، ونقل عن ثبوت عصمته عن الغلط يجب القبول ، والقراء أعدل ممن روى عنهم النحاة ، فوجب قبول قولهم ، و(خويصة) تصغير خاصة ، وهي ما يختص الإنسان ، قيل : صغيرة لا حتقارهما

؛ لأن المراد أنها الموت ، وهو حقير بالنسبة إلى ما بعده من أهوال القيامة ، في الحديث بادروا بالأعمال ستا ، الدخان ، والدجال ، ودابة الأرض ، وطلوع الشمس من مغربها ، وأمر العامة ، وخويصة أحدكم) يريد حادثة الموت التي تختص كل إنسان .

(٨٨/١)

خارج عن كلام العرب خروجين: أحدهما الإقدام على جمع الساكنين على غير حده - وحده أن يكون الأول حرف لين والثاني حرفاً مدغماً نحو قوله: الضالين، وخويصة؛ والثاني:

إخطاء طريق التخفيف؛ لأن طريق تخفيف الهمزة المتحركة المفتوح ما قبلها أن تخرج بين بين؛ فأما القلب ألفاً فهو تخفيف الهمزة الساكنة المفتوح ما قبلها كهمزة رأس.

والإنذار: التخويف (١) من عقاب الله بالزجر عن المعاصي. فإن قلت: ما موقع { لا

يؤمنون { ؟ قلت: إما أن يكون جملة مؤكدة للجملة قبلها، أو خبرا لأن الجملة قبلها
اعتراض (٢).

{ ختم الله على قلوبهم وعلى سمعهم وعلى dNحج " | ء/ء غشاوة ولهم عذاب عظيم
(٧) }

(١) قوله: (والانذار التخويف) قيل : إنما اقتصر في الآية عليه ، ولم يذكر البشارة ؛
لأنه وقع في القلب ، وأشد تأثيرا في النفس ، من حيث أن دفع الضرر أهم من جلب النفع ،
فإذا لم ينفع كانت البشارة لعدم النفع أولى ، وكان ذكر الانذار مناسب لذكر الذين
كفروا بخلاف البشارة .

(٢) قوله: (والجملة قبلها اعتراض) قيل : الفرق بين المعارضة والمؤكدة مع أن
المعارضة أيضا مؤكدة . هو أن المعارضة أحسن موقعا ، وألطف مسلكا ، وفيه مع التوكيد
الاهتمام بشأنها لتخللها بين الكلام ، وقيل : إذا كانت معارضة كانت علة للحكم ،
وفيما قيل نظر ؛ لأن المعارضة قد لا تكون مؤكدة ، ولا علة للحكم لبلغتها في قوله :
إن الثمانين وبلغتها **** قد أوجت سمعني إلى ترجمان
فإن الدعاء للمخاطب الممدوح ببلوغ الثمانين لا يؤكد احتياج الشاعر إلى ترجمان ،
وكذلك لا يوجهه ، ويحتمل ان يفرق بينهما بأن المؤكدة لا تأتي إلا بعد تمام الكلام
بخلاف المعارضة ، وبأن المؤكدة يشترط فيها الاتحاد بين مدلولها وبين مدلول الجملة
السابقة عليها ، بخلاف المعارضة .

(٨٩/١)

الختم والكتم أخوان؛ لأن في الاستيثاق من الشيء بضرب الخاتم عليه كتما له وتغطية
لئلا يتوصل إليه ولا يطلع عليه.
والغشاوة الغطاء فعالة من غشاه إذا غطاه، وهذا البناء لما يشتمل على الشيء كالعصابة
والعمامة. فإن قلت: ما معنى الختم على القلوب والأسماع وتغشية الأبصار؟ قلت: لا ختم
ولا تغشية ثم على الحقيقة، وإنما هو من باب المجاز، ويحتمل أن يكون من كلا نوعيه (١)

(١) قوله: (ويحتمل أن يكون من كلا نوعيه) لا يخلو لفظه عن اتساع ما ؛ لأنه جعل
التمثيل نوعا من المجاز ، وقسما للاستعارة ، وبيانه أنه إن عني بالتمثيل ما هو واقع
على سبيل التشبيه بأن يكون وجهه منتزعا من عدة أمور غير حقيقية ، فهو ليس بمجاز ،

وإن أراد به التمثيل على سبيل الاستعارة فهو ليس قسما للاستعارة ، بل هو قسم منها ، والأظهر أن يقال : المجاز نوعان مرسل واستعارة ، والاستعارة نوعان تمثيلية وغير تمثيلية ، ككونها تخيلية أو حقيقية ، أو مكنية ، و الاستعارة التمثيلية غلب عليها اسم التمثيل ، ولا يكاد يطلق عليها اسم الاستعارة ، كما استقري من كلامه منه ما قال في قوله تعالى : { واعتصموا بحبل الله جميعا } يجوز أن يكون تمثيلا لا ستظهاره به ، وتوقيه بحمايته يامسك المتدلي من مكان مرتفع بحبل وثيق ، وأن يكون استعارة ، وبقية الاستعارات يطلق عليها اسم الاستعارة مطلقا ، ونحوه قول أبي الطيب :

فإن تفق الأنام وأنت منهم****فإن المسك بعض دم الغزال

وذلك أنهم إذا رأوا أن بعض أنواع الجنس له مزية على سائر أنواعه يخرجونه من ذلك الجنس ، ويجعلونه جنسا آخر ، كذا هاهنا .
(٩٠/١)

وهما الاستعارة والتمثيل . أما الاستعارة فأن تجعل قلوبهم(١) لأن الحق لا ينفذ فيها ولا يخلص إلى ضمائرهما من قبل إعراضهم عنه واستكبارهم عن قبوله واعتقاده، وأسماعهم لأنها تمجّه وتنبو عن الإصغاء إليه وتعاف استماعه كأنها مستوثق منها بالختم، وأبصارهم لأنها لا تحتلي آيات الله المعروضة ودلائله المنصوبة كما تحتليها أعين المعتبرين المستبصرين كأنما غطي عليها وحجبت، وحيل بينها وبين الإدراك.

(١) قوله: (فأن تجعل قلوبهم) الخ شروع في بيان كيفية التشبيه الواقع في طريق هذه

الاستعارة ليعلم منه كيفية استخراج الاستعارة ، وذلك أن قوله : أن تجعل قلوبهم بسبب عدم نفوذ الحق فيها كأنها مستوثق منها بالختم ، كقولك في الاستعارة المكنية في نحو أنشبت المنية أظفارها : جعلت المنية بسبب اغتيالها الأرواح كأنه سيع ذو أظفار ، ثم ذكرت المنية ، وأريد السبع ، ونسب إليها لازم السبع وهو الأظفار على سبيل الاستعارة التخيلية ؛ لأن الكنية لا تنفك عن التخيلية ، لتكون نسبة ذلك قرينة الاستعارة ، كذا هاهنا تجعل القلوب استعارة مكنية عن أشياء مستوثق منها ، ثم تفرد القلوب بالذكر بعدما نسب إليها على سبيل التخييل لازم تلك الأشياء المستوثق منها ، وهو الختم ، فيقال : ختم الله على قلوبهم ، والذي يدل على كون هذه الاستعارة مكنية بصريح

التشبيه في القلوب حيث قال : [٦٨٧] كأنها مستوثق منها ؛ لأن الاستعارة بالكناية هي التذيي يذكر فيها المشبه ، ويراد المشبه به ، ومعنى (لا يخلص) لا يصل .
(٩١/١)

وأما التمثيل فأن تمثل (١) حيث لم يستنفعوا بها في الأغراض الدينية التي كلفوها وخلقوا من أجلها بأشياء ضرب حجاب بينها وبين الاستنفاع بها بالختم والتغطية . وقد جعل بعض المازنيين الحبسة في اللسان والعي ختما عليه فقال :
ختم الإلاه على لسان عذافر ختما فليس على الكلام بقادر

وإذا أراد النطق خلت لسانه لحما يحركه لصقر ناقر (٢)

(١) قوله: (فأن تمثل) أي : يشبه حالة قلوبهم وسمعمهم وأبصارهم ، وهي عدم الانتفاع بها في الأغراض الدينية لعدم قبولها الحق بحالة أشياء ضرب حجاب أي : حد فاصل بينها وبين الاستنفاع بها بالختم والتغطية ، ثم تستعير لجانب المشبه لفظ ختم جاعلا القرينة نسبة إلى القلوب ، فيكون من الاستعارة التمثيلية التبعية ، ويؤيد هذا قوله بعيد : ويجوز أن تضرب الجملة كما هي مثلا ، ودل على أن التشبيه مركب قوله : بأشياء ضرب حجاب بينها وبين الاستنفاع بها لا لأشياء مشبه بها ، فظهر أن الاستعارة في ختم على الأول تخيلية ، وفي القلوب مكنية ، وعلى الثاني تمثيلية فصح قوله : لا ختم ولا تغشية ثم على الحقيقة ، وإنما قلنا إنها تبعية لأن الاستعارة في ختم فرع لاستعارة الختم بمنع قبول الحق ، وتحقيق هذا أ، إذا قلنا : إنه شبه إعراضهم وعدم استماعهم وقبولهم الحق بالختم ، وشبه عدم ابصارهم بالتغطية ، فأطلق اسم المشبه به على المشبه بذلك استعارة غير تمثيلية ، وإن قلنا : إنه شبه حالة قلوبهم وسمعمهم وأبصارهم في الاعراض وعدم الانتفاع ، والابصار ، بحال أشياء ضرب حجاب بينها وبين الاستنفاع بها ، فذلك استعارة تمثيلية .

(٢) قوله:

(ختم الإلاه على لسان عذافر*** ختما فليس على الكلام بقادر
وإذا أراد النطق خلت لسانه *** لحما يحركه لصقر ناقر

غذافر : اسم رجل ، وهو في الأصل الجمل القوي ، يقول : جعل الله غذافرا أبكم بحيث لا

يقدر على الكلام ، وإذا أرادته ظننت لسانه لحما يحركه كصقر نافر ، أي : هارب من صاحبه ، ويروى وليس سماعيا . ناقر . بالقاف ، من نقر إذا أخذ بالمنقار شيئا .
(٩٢/١)

فإن قلت: فلم أسند(١) الختم إلى الله تعالى وإسناده إليه يدل على المنع من قبول الحق والتوصل إليه بطرقه وهو قبيح والله يتعالى عن فعل القبيح علوا كبيرا لعلم بقبحه وعلمه بغناه عنه. وقد نص على تنزيه ذاته بقوله: { وما أنا بظلام للعبيد } (ق: ٢٩)، { وما ظلمناهم ولكن كانوا هم الظالمين } (الزخرف: ٧٦)، { إن الله لا يأمر بالفحشاء } (الأعراف: ٢٨) ونظائر ذلك مما نطق به التنزيل؟ قلت: القصد إلى صفة القلوب(٢) بأنها كالمختوم عليها. وأما إسناد الختم إلى الله عز وجل، فلينبه على(٣) أن هذه الصفة في فرط تمكنها وثبات قدمها كالشيء الخلقي غير العرضي.

(١) قوله: (فلم أسند؟) دلت الفاء على إنكار إرادته لما كان الختم عبارة عن المنع من قبول الحق ، فلم أسند إلى ذات الله ، وهو قبيح ، والقبيح لا يفعله إلا جاهل بقبحه ،

أو محتاج إليه ، والله تعالى منزّه عن ذلك .

(٢) قوله: (القصد إلى صفة القلوب بأنها كالمختوم عليها) أي : المقصود من الاسناد المبالغة في إبائهم قبول الحق ، فعبر عن المبالغة بقوله : كالمختوم عليها ، هذا خلاصة الجواب ، والوجوه الآتية بيان لهذا المعنى على طرق شتى .

(٣) قوله : (فلينبه على) هذا هو الوجه الأول من الوجوه ، وخلاصته أن { ختم الله على قلوبهم } الآية بكمالها عبارة عن فرط تمكّن الكفر منهم على طريق الكناية الإيمانية ، وهي أن تؤخذ الخلاصة من الجملة من غير اعتبار مفردتها بالحقيقة والمجاز ، فكفى بها عن التمكن ، وإلى هذا أشار بقوله : فلان مجبول على كذا ، ومفطور عليه ، يريدون أنه بليغ في الثبات عليه ، قال المصنف رحمه الله في قوله تعالى : { الرحمن على العرش استوى } هذا كناية عن الملك ، قالوا : فلان استوى على العرش ، يريدون ملكه ، وإن لم يقعد على السرير البتة ، ومعنى (ناعيه مظهرا لهفواتكم) من قولهم : نعى فلان على فلان ذنوبه إذا أظهرها وشهرها .

(٩٣/١)

ألا ترى إلى قولهم: فلان مجبول على كذا ومفطور عليه، يريدون أنه بليغ في الثبات

عليه. وكيف يتخيل ما خيل إليك وقد وردت الآية ناعية على الكفار شناعة صفتهم وسماجة حالهم، ونيط بذلك الوعيد بعذاب عظيم؟ ويجوز أن تضرب الجملة كما هي (١)، وهي ختم الله

على قلوبهم مثلاً كقولهم: سال به الوادي، إذا هلك.

(١) قوله: (ويجوز أن تضرب الجملة كما هي) هذا هو الوجه الثاني من الوجوه ، وهو مبني على التمثيل ، وهو الذي عناه صاحب المفتاح بقوله : التشبيه التمثيلي معنى فشا استعماله على سبيل الاستعارة ، سمي مثلاً ، والفرق بين هذا التمثيل والسابق أن الاستعارة في الأول واقعة في الختم فقط على سبيل التبعية ، وهنا الاستعارة في الجملة برأسها ، وإليه الإشارة بقوله : أن تضرب الجملة كما هي مثلاً ، ثم هذا الوجه

يقدر على ثلاثة أضرب ، أحدها : أن يكون الخارج قلوب موجودة ختم الله عليها ، نحو قلوب الأغنام ، وثانيها : أن يراد بها قلوب البهائم ، وثالثها : أن يراد قلوب مقدر ختم الله عليها ، ولا وجود لها في الخارج ، وإنما سمي نحو هذا مثلاً ، والمثل : هو الذي فشا استعماله على سبيل الاستعارة ، إما لأن من حقه أن يفشو ، أو يستعمل مثلاً ، أو على التشبيه بالمثل ، والعنقاء : سميت عنقاء قيل لطول عنقها ، أو لبياض كالطوق في عنقها ، قيل : كان لأهل الرس بني اسمه حنظلة بن صفوان ، وكان [٦٨٨] بأرضهم جبل ،

وكان يأوي إليه طائر كأعظم ما يكون ، لها عنق طويل ، فجاعت ذات يوم ، وأعوزت الطير ، فانقضت على صبي فذهبت به ، ثم على جارية فشكوا ذلك إلى نبيهم ، فقال : اللهم خذها ، واقطع نسلها ، فأصابتها صاعقة ، فاحترقت ، فضربت بها العرب المثل فيمن طالت غيبته ، لأن من ذهب به طالت غيبته .

(٩٤/١)

وطارت به العنقاء، إذا أطل الغيبة، وليس للوادي ولا للعنقاء عمل في هلاكه ولا في طول غيبته؛ وإنما هو تمثيل مثل حاله في هلاكه بحال من سال به الوادي، وفي طول غيبته بحال من طارت به العنقاء؛ فكذلك مثلت حال قلوبهم فيما كانت عليه من التجافي عن الحق بحال قلوب ختم الله عليها نحو قلوب الأغنام التي هي في خلوها عن الفطن كقلوب البهائم، أو بحال قلوب البهائم أنفسها، أو بحال قلوب مقدر ختم الله عليها حتى لا تعي شيئاً ولا تفقه، وليس له عز وجل فعل في تجافيتها عن الحق ونبوها عن قبوله، وهو

متعال عن ذلك. ويجوز أن يستعار (١) الإسناد في نفسه من غير الله لله، فيكون الختم مسندا إلى اسم الله على سبيل المجاز. وهو لغيره حقيقة. تفسير هذا: أن للفعل ملابسات شتى. يلابس الفاعل والمفعول به والمصدر والزمان والمكان والمسبب له؛ فإسناده إلى الفاعل حقيقة، وقد يسند إلى هذه الأشياء على طريق المجاز المسمى استعارة؛ وذلك لمضاهاتها للفاعل في ملابسة الفعل، كما يضاهي الرجل الأسد في جرائته فيستعار له اسمه، فيقال في المفعول به: عيشة راضية، وماء دافق.

(١) قوله: (ويجوز أن يستعار) هذا هو الوجه الثالث ، وهو أن يستعار إسناد الفعل من الفاعل الحقيقي ، لفاعل غير حقيقي ، ومعنى في نفسه : في نفس الاسناد من غير النظر إلى طرفيه ، فإن كلام منهما حقيقة ، ولا مجاز إلا في مجرد الحكم ، كما في أنبت الربيع البقل ، ففي ختم الله استعير الاسناد من الفاعل الحقيقي ، وهو الشيطان ، أو الكافر للفاعل غير الحقيقي ، وهو الله لدوران الختم مع إقداره وتمكينه ، وجودا وعدما ، فشبه غير الفاعل به ، سمي نحو هذا استعارة لأنه مجاز علاقته التشبه .

(٩٥/١)

وفي عكسه: سيل مفعم (١). وفي المصدر: شعر شاعر، وذيل ذائل. وفي الزمان نهاره صائم. وليله قائم. وفي المكان: طريق سائر، ونهر جار. وأهل مكة يقولون: صلى المقام. وفي المسبب: بنى الأمير المدينة، وناقة ضبوث وحلوب. وقال:

إذا رد (٢)

(١) قوله: (وفي عكسه: سيل مفعم) بفتح العين من أفعم السيل الوادي إذا ملأه ، وإنما كان هذا عكس الأول ؛ لأنه جعل في الأول المفعول فاعلا ، وفي هذا جعل الفاعل مفعولا ، وذيل ذایل : من ذالت الجارية وتذيلت تبخترت ساحبة ذيلها ، وأذاله أهانه ، وذال بنفسه ذيلا ، وهو في ذيل ذایل : في هوان شديد ، والذيل هنا مصدر بمعنى التبخر ، أو الهوان ، والضبت : قبض الشيء وجسه ، ومنه ناقة ضبوث ، شك في سمنها فضبت ، وإنما جعلت ضابئة لما بها من الداعي إلى الضبت ، ومثله الحلوب والركوب .

(٢) قوله: (إذا رد) أوله :

فلا تسألني واسألني عن خليقتي ***** إذا رد عافي القدر من يستعيرها
وبعده :

وكانوا قعودا حولها يرقبونها****وكانت فتاة الحي ممن يعيرها
نسب البيت إلى الكميت ، وهو لعوف بن الأحوص ، ويورى (وانظري ما خلقتي) والخلقة

الخلق والطبيعة ، وعافي القدر : من العفوة والعفاوة ، وهو ما يبقى في أسفل القدر من
المرقة ، وموضع عافي القدر رفع على الفاعلية ؛ لأنه هو الذي يرد المستعير ، ويمنع
المعير عن إغارة القدر ، والفاعل في الحقيقة صاحب القدر ، يعني إذا جرى هذا من تحفة
الطعام .

الأصمعي : كانوا في الجذب إذا استعارهم أحد قدرا رد فيها شيئا مما طبخ ، وعافي
القدر ما لا يجهد أهلها ، وما أعطوه عفوا ، وعلى هذا فعافي القدر منصوب ، ومن فاعل
، فلا يكون مما نحن فيه .

أبو عبيد : العافي من كل شيء صفوته ، فعلى هذا كأنهم إنما أعاروا بشرط أن يرد فيها
أشياء من صفوة ما يطبخ .

وعن الخليل : هو ما يرد في القدر من المرق ، إذا استعيرت ، وهو قريب من قول الاصمعي
، ويحتمل ان المستعير إذا جاء ليستعير القدر فوجد فيها بقية من المرقعة قنع بها ،
وارتد فكأنها ردت ، وفيه أقوال آخر لا طائل تحتها .
(٩٦/١)

عافي القدر من يستعيرها

فالشیطان هو الخاتم في الحقيقة أو الكافر؛ إلا أن الله سبحانه لما كان هو الذي
أقدره ومكنه، أسند إليه الختم كما يسند الفعل إلى المسبب. ووجه رابع(١): وهو أنهم
لما كانوا على القطع والبت ممن لا يؤمن ولا تغني عنهم الآيات والنذر، ولا تجدى
عليهم الألفاظ المحصلة(٢) ولا المقربة إن أعطوها.

(١) قوله: (ووجه رابع) تلخيصه أنهم لما كانوا مصرين على الكفر ثابتين عليه ، ولم
يبق طريق إلى إيمانهم سوى القسر والإلجاء كنى عن ترك القسر والإلجاء بالختم ، وهي
من الكناية التلويحية ، وتحريه : أن قوله تعالى : { ختم الله على قلوبهم } مشعر
بأن الله لم يضطرهم إلى الإيمان ، وترك ذلك مشعر بأن الإلجاء مقتضى حالهم لولا أن
التكليف المبني على الاختيار منع منه ، وكون ذلك مقتضى حالهم مشعر بأن الآيات
والنذر لا تغني عنهم ، والألفاظ لا تنفعهم ، وكون ذلك غير نافع مشعر بأنهم قد ترامى

أمرهم في التصميم ، وتناهى إلى أقصى غاياته ، فانظر كم بين الكناية ، وبين المطلوب لها من لوازم وتلويحات .

(٢) قوله: (ولا تجدى عليهم الألفاظ المحصلة ولا المقربة) اللطف : في عرف المتكلمين هو ما يختار عنده المكلف فعل الطاعة أو ترك المعصية ، أو يقرب من ذلك لأجله مع تمكنه في الحالين ، ثم إن اللطف في عرف المتكلمين إذا قارنه وقوع الطاعة لأجله مع بقاء الاختيار سمي توفيقا ، وإن قارنه ترك المعصية كذلك سمي عصمة ، وإن لم يقارنه شيء من ذلك ، بل قرب سمي مقربا ، فبهذا علم أن الألفاظ المحصلة يعني بها التوفيق والعصمة ، وبالمقربة ما عداهما .
(٩٧/١)

لم يبق - بعد استحكام العلم بأنه لا طريق إلى أن يؤمنوا طوعا واختيارا - طريق إلى إيمانهم إلا القسر والإلجاء، وإذا لم تبق طريق إلا أن يقسرهم الله ويلجنهم ثم لم يقسرهم ولم يلجنهم لئلا ينتقض الغرض في التكليف، عبر عن ترك القسر والإلجاء بالختم، إشعارا بأنهم الذين ترامى أمرهم في التصميم على الكفر والإصرار عليه إلى حد لا يتناهون عنه إلا بالقسر والإلجاء، وهي الغاية (١) القصوى في وصف لجاجهم في الغي واستشرائهم في الضلال والبعي. ووجه خامس (٢): وهو أن يكون حكاية لما كان الكفرة يقولونه تهكما بهم من قولهم: { قلوبنا في أكنة مما تدعوننا إليه وفي آذاننا وقر ومن

(١) قوله: (وهي الغاية) الضمير عائد إلى العبارة الدالة عليها قوله : غير .
(٢) قوله: (ووجه خامس) حاصله أنه تعالى حكى كلام الكفار على سبيل التهكم ؛ لأنهم لما قالوا { قلوبنا في أكنة } إلى قوله { حجاب } جيء بـ { ختم الله } معبرا عن كلامهم على سبيل التهكم ، فقوله : { ختم الله على قلوبهم } كقولهم { قلوبنا في أكنة مما تدعوننا إليه } وعلى سمعهم كقولهم { في آذاننا وقر } وعلى أبصارهم غشاوة كقولهم : { ومن بيننا وبينك حجاب } فإن الغشاوة هي بحجاب ، كقوله { لم يكن الذين كفروا } فإنه تهكم إذ لو لم يكن تهكما لكان الانفكاك متحققا عند مجيء الرسول .

(٩٨/١)

بيننا وبينك حجاب { (فصلت: ٥) ونظيره في الحكاية والتهكم قوله تعالى: { لم يكن الذين كفروا من أهل الكتاب والمشركين منفكين حتى تأتيهم البينة } (البينة: ١) فإن

قلت: اللفظ يحتمل أن تكون الأسماع داخلية في حكم الختم وفي حكم التغطية فعلى أيهما يعول؟ قلت: عل دخولها في حكم الختم(١) لقوله تعالى: { وختم على سمعه وقلبه وجعل على

بصره غشاوة } (الجاثية: ٢٣) ولوقفهم على سمعهم دون قلوبهم. فإن قلت: أي فائدة في تكرير الجار في قوله: "وعلى سمعهم"؟ قلت: لو لم يكرر لكان انتظاما للقلوب والأسماع في تعدية واحدة؛ وحين استجد للأسماع تعدية على حدة، كان أدل على شدة الختم في الموضوعين. ووجد السمع كما وجد البطن في قوله: كلوا في بعض بطنكم تعفوا(٢)، يفعلون ذلك إذا أمن اللبس. فإذا لم يؤمن كقولك: فرسهم، وثوبهم، وأنت تريد الجمع رفضوه

(١) قوله: (عل دخولها في حكم الختم) قيل : لأنهما اشتركا في الإدراك من جميع الجهات ، جعل ما يمنعها من خاص فعلها الختم الذي يطبع من جميع الجهات ، وإدراكه الأبصار لما اختص بجهة المقابلة بجعل المانع لها عن فعلها الغشاوة ، المختصة بتلك الجهة .
(٢) قوله: (كلوا في بعض بطنكم تعفوا) تمامه (فإن زمانكم زمن خميس) أي : زمان جائع ، بمعنى ذو جوع ، نحو عيشة راضية ، والعفة : الكف عما لا يحل ، أي : اقتنعوا بالقليل من الطعام ، يكفوا عن الحرام ، إن زمانكم زمن الضيق والجذب .
(٩٩/١)

ولك أن تقول: السمع مصدر في أصله، والمصادر لا تجمع. فلمح الأصل يدل عليه(١) جمع الأذن في قوله: { وفي آذاننا وقر } (فصلت: ٥) وأن تقدر مضافا(٢) محذوفا: أي وعلى حواس سمعهم. وقرأ ابن أبي عبلة: وعلى أسماعهم. فإن قلت: هلا منع أبا عمرو والكسائي من إمالة أبصارهم ما فيه من حرف الاستعلاء وهو الصاد؟ قلت: لأن الراء المكسورة تغلب

المستعلية، لما فيها من التكرير كأن فيها كسرتين، وذلك أعون شيء على الإمالة وأن يمال له ما لا يمال. والبصر نور العين، وهو ما يبصر به الرائي ويدرك المرئيات. كما أن البصيرة نور القلب، وهو ما به يستبصر ويتأمل. وكأنهما(٣) جوهرا ن لطيفان خلقهما الله فيهما آلتين للإبصار والاستبصار.

وقرىء "غشاوة" بالكسر والنصب. وغشاوة: بالضم والرفع. وغشاوة: بالفتح والنصب. وغشوة:

بالكسر والرفع. وغشوة: بالفتح والرفع والنصب. وعشاوة: بالعين غير المعجمة والرفع، من العشا.

(١) قوله: (يدل عليه) أي : على لمح معنى المصدرية في اسم العضو جمع الاذن في الآية ، حيث لم يكن في الأصل مصدرا .

(٢) قوله: (وأن تقدر مضافا) على هذا الوجه السمع مصدر ، وليس بمعنى الاذن ، كما في الوجهين الأولين .

(٣) قوله: (وكأنهما) أي : وكأن البصر والبصيرة جوهرا لطيفان في العين والقلب ، وآلتين إما حال من مفعول خلق ، أو مفعول ثان على أنه بمعنى جعل . قال الطيبي : شبه العرض بالجهور في قوله : كأنهما جوهرا مبالغة في كونهما مقصودين من العين والقلب ، وأنا أقول : لما قال : إنهما نوران دل ذلك على أنهما جوهرا ؛ لأن النور عبارة عن جواهر لطيفة مشرقة .

(١٠٠/١)

والعذاب: مثل النكال بناء ومعنى؛ لأنك تقول(١): أعذب عن الشيء، إذا أمسك عنه. كما تقول: نكل عنه. ومنه العذب؛ لأنه يقمع العطش ويردعه، بخلاف الملح فإنه يزيده. ويدل عليه تسميتهم إياه نقاخا؛ لأنه ينقخ العطش أي يكسره. وفراتا، لأنه يرفته على القلب. ثم اتسع فيه فسمى كل ألم فادح عذابا، وإن لم يكن نكالا - أي عقابا يرتدع به الجاني عن المعاودة.

والفرق بين العظيم والكبير، اللهم أجرتنا من عذابك ولا تبلنا بسخطك يا واسع المغفرة. { ومن الناس من يقول آمنا بالله وباليوم حجج $\frac{1}{2}$ \$\$\$# وما هم بمؤمنين (٨) يخادعون الله والذين آمنوا وما يخدعون إلا أنفسهم وما يشعرون (٩) في قلوبهم مرض مNèdy#u"sù الله

\$ZتBچt ولهم عذاب أليم بما كانوا يكذبون (١٠) {

افتتح سبحانه بذكر الذين أخلصوا دينهم لله وواطأت فيه قلوبهم ألسنتهم ووافق سرهم عنهم وفعلهم قولهم. ثم ثنى بالذين محضوا الكفر ظاهرا وباطنا قلوبا وألسنة. ثم ثلث بالذين آمنوا بأفواههم ولم تؤمن قلوبهم وأبطنوا خلاف ما أظهروا وهم الذين قال فيهم: { مذبذبين بين ذلك لا إلى هؤلاء ولا إلى هؤلاء } (النساء: ١٤٣) وسماهم المنافقين، وكانوا أخبث الكفرة وأبغضهم إليه وأمقتهم عنده؛ لأنهم خلطوا بالكفر تمويهها وتدليسها، وبالشرك استهزاء وخداعا. ولذلك أنزل فيهم { إن المنافقين في الدرك الأسفل من النار {

(١) قوله: (لأنك تقول) تعليل لكونه مثله في المعنى ؛ لأن البناء ظاهر ، وإنما كان مثله في المعنى ؛ لأن النكول ارتداع عما يراد الإقبال إليه ، كما أن العذاب يردع الجاني عن المعاودة إلى الجناية ، ومعنى يرقبه : يقيه ، والقادح : المتقد والفكر .
(١٠١/١)

النساء: ١٤٥) ووصف حال الذين كفروا في آيتين، وحال الذين نافقوا في ثلاث عشرة آية، نعى عليهم فيها خبثهم ومكرهم، وفضحهم وسفههم(١)، واستجهلهم واستهزأ بهم، وتهكم بفعلهم، وسجل بطغيانهم، وعمهم ودعاهم صما بكما عميا، وضرب لهم الأمثال الشنيعة. وقصة المنافقين عن آخرها معطوفة على قصة الذين كفروا كما تعطف الجملة على الجملة(٢).

وأصل "ناس" أناس، حذفت همزته تخفيفا كما قيل: لوقة، في ألوقة. وحذفها مع لام التعريف كاللازم لا يكاد يقال الأناس. ويشهد لأصله إنسان وأناس وأناسي وإنس. وسموا لظهورهم وأنهم يؤنسون أي يبصرون، كما سمي الجن لاجتنانهم. ولذلك سموا بشرا. ووزن ناس فعال؛ لأن الزنة على الأصول. ألا تراك تقول في وزن "قه" افعل، وليس معك إلا العين وحدها؟ وهو من أسماء الجمع كرخال. وأما نويس فمن المصغر الآتي على خلاف مكبره كأنيسيان(٣) ورويجل. ولام التعريف فيه للجنس. ويجوز أن تكون للعهد، والإشارة إلى

الذين كفروا المار ذكرهم؛ كأنه قيل: ومن هؤلاء من يقول. وهم عبد الله بن أبي وأصحابه ومن كان في حالهم من أهل

(١) قوله: (الدعاء) وذلك لأنهم ادعوا مع الإيمان بالله الإيمان باليوم الآخر ، ومعنى سفههم : سماهم سفهاء

(٢) قوله: (كما تعطف الجملة على الجملة) قيل : عطفت الثانية على الأولى لا اجتماعهما في الوجود ، أو لأن التوافق في مطلق الكفر قد جمع بين الفرعين ، والألوقه : طعام من زيد ، وقيل : الألوقه : الزبد ، والذهب ، وأنشد :

واني لمن سالموا الألوقه وإنه **** ي لمن عاديتهم سم أسود

والرخال : جمع رخل ، وهو الأنثى من ولد الضأن ، وشبهه به في الوزن فلم يرد أن كل منهما اسم جمع .

(٣) قوله: (كأنيسيان وروجيل) تصغير إنسان ، ورجل ، والقياس في رجل رجيل ، وفي إنسان أنيسين كسريحين في سرحان ، هذا على قول من لم يجعله أفعان من نسي ، ومن جعله كذلك فهو قياس عندهم .
(١٠٢/١)

التصميم على النفاق. ونظير موقعه(١)

(١) قوله: (ونظير موقعه) يعني : أن اللام في الناس للجنس ، وهو المختار ، ويجوز أن تكون للعهد الخارجي ، فإن قوله : { إن الذين كفروا سواء عليهم } في معنى اليأس ، والواجب في العهد الخارجي أن يكون هناك ما يشار إليه ، وهو إما تحقيقي ، كما في قوله تعالى فعصى فرعون الرسول ، فإنه معهود خارجي لتقدم ذكره ، أو تقديري ، وهو إما بأن يكون في الكلام ما يدل عليه كما في الآية فتكون اللام للعهد كما في الآية ، والمثال ، لأن بني فلان في معنى القوم ، و { الذين كفروا } في معنى الناس ، أو يكون المتكلم والمخاطب حصّة معهودة من جنس كقوله تعالى { إن الذين كفروا } إذا أريد بهم أبو جهل وأضرابه ، قال صاحب الفرائد : الوجه أن تكون اللام للعهد ، ولا وجه أن تكون للجنس لأن { من الناس } خبر { من يقول } فلو كان من الجنس لكان المعنى : من يقول من الناس ، والظاهر أنه لا فائدة فيه ، وأما إن كان للعهد فمعناه : ومن الناس

المذكورين جماعة يقولون : كذا ، ولم يلزم أن تكون من موصولة في العهد ، بل يجوز كلاهما .

وقال صاحب التقريب : يحتمل ان تكون موصولة إن جعل التعريف للجنس ، وموصوفة إن جعل

للعهد ، ومنع بعضهم أن تكون للعهد ، ومن موصولة ، ومن قال : اللام للجنس ومن موصوفة ، فإن المراد بالذين كفروا ، الذين محضوا الكفر ظاهرا وباطنا ، وبينهم وبين المنافقين تناف ، فلا يكونوا نوعا تحت ذلك الجنس ، وكيف وقد حكم على أولئك بالختم على القلوب وغيره ، فعلم كفرهم الأصلي ، وعلى هؤلاء بقوله : { أولئك الذين اشتروا الضلالة بالهدى } فأشار إلى تمكنهم من الهدى ، وتمكن فطراتهم .

وقال بعضهم : لم لا يجوز أن تكون موصوفة على كلا التقديرين ، أو موصولة على كليهما ، وقد أوجب عن ذلك بأنه جائز من حيث علم الاعراب ، لكن الذي ذكره صاحب الكشف

أولى

وأليق ، رعاية للمناسبة ، الوجوب رعايتها في العربية ، وذلك لأن اللام إذا كانت للجنس كان لفظ الناس قريبا من النكرة فيناسبه كون من نكرة موصوفة ، إذ لو كانت موصولة على هذا التقدير لصار المعنى نظير قولنا : من القوم المجهولين طائفة معلومة ، وهذا فاسد ، بخلاف ما إذا كانت موصوفة ، إذ لو كانت موصولة فإنه إذ ذاك نظير قولنا : من القوم المجهولين طائفة مجهولة يقولون كذا ، وهذا معنى صحيح ، وإذا كانت للعهد ، فالقياس كون من موصولة ، إذ لو كانت موصوفة على هذا التقدير لكان المعنى نظير قولنا من القوم المعلومين طائفة مجهولة يقولون كذا ، وهذا فاسد ، بخلاف ما إذا كانت موصولة ، فإن المعنى إذ ذاك نظير قولنا : من القوم المعلومين طائفة معلومة يقولون كذا ، وهذا معنى صحيح ، وقد أجاب عليه الطيبي بجواب أبرق فيه وأرعد ، ووعد وأوعد ، وصوب وأصعد ، وخلاصته أنه ليس كل ما يصح تقديره بحسب اللغة أو النحو يعتبر عند علماء المعاني والبيان ، قال : ألا ترى أن المصنف في سورة طه في قوله : { أن

أقذفيه في التابوت } كيف بالغ فيه حيث قال : حتى لا تفرق الضمائر فيتناثر النظم عليك ، الذي هو أم إعجاز القرآن ، والقانون الذي وقع عليه التحدي ، ومراعاته أهم ما يجب على المفسر ، وفي سورة الحاقة في قوله : { فأما ثمود فأهلكوا بالطاغية وأما عاد فأهلكوا بريح صرصر عاتية } وعدل عن حمله على المصدر مع أنه الظاهر ؛ لأن الطاغية كالعافية ، أي : بطغيانهم ، لأن الواجب رعاية حسن النظم بين آي التنزيل ، وإذا تقرر هذا ، فنقول : إنه تعالى افتتح بذكر الذين أخلصوا دينهم لله ، ثم ثنى بذكر الذين كفروا ظاهرا وباطنا ، وثالث بذكر الذين أظهروا الإيمان بأفواههم ، ولم تؤمن قلوبهم ، فالواجب حمل التعريف في الأقسام الثلاثة ، إما على الجنس بأسرها ، وإما على العهد برمتها ، وإذا حمل على الجنس فلا يجوز أن يقال : من في { من يقول } موصولة ، كما قال أبو البقاء : هذه الآيات لاستوعبت أقسام الناس ، فالآيات الأول تضمنت ذكر المخلصين في الإيمان ، وقوله { إن الذين كفروا } تضمنت ذكر من أبطن الكفر وأظهره ، وهذه الآية تمضت كمن أظهر الإيمان وأبطن الكفر ، ومن للتبويض ، ومن نكرة موصوفة ، ويضعف أن تكون بمعنى الذي ؛ لأن الذي يتناول قوما بأعيانهم ، والمعنى هنا على الإبهام ، ثم كلامه .

وقلت : بقي أن يقال فما معنى قوله { من يقول } { من الناس } وأي فائدة فيه ؟ فيقال : إنه تعالى نظم الأصناف الثلاثة في سلك واحد لكن جعل كل صنف بفن من الفنون ، لا سيما هذا الجنس ، فإنه خصه بمبالغات وتشديدات لم يخص الصنفين بها ، كما ذكره

المصنف

، وأبرز أيضا نفس التركيب ابرازا غريبا ، حيث قدم الخبر على المبتدأ فأبهمه غاية الابهام ، ونكر المبتدأ ، ووصفه بصفات عجيبة ليشوق السامع إلى ذكر ما بعده من قبائحهم ، ونكرهم نعيًا عليهم ، وتعجيبا من شأنهم ، يعني انظروا إلى هؤلاء الخبيثة ، وفييح ما ارتكبه كيف اختصوا من بين سائر الناس بما لا يرضى العاقل ان ينسب إليه .

نعم : لا يعيب لو أريد مجرد الاخبار ، ونظيره قوله تعالى { من المؤمنين رجال صدقوا ما عاهدوا الله عليه } أي : امتازوا من بين سائر المؤمنين بهذه المناقب الشريفة رجال كرماء ، فدل التنكير في رجال على تعظيم رجال ، كما دل الإبهام فيمن يقول على خلاف ذلك هاهنا ، وأما إذا حمل التعريف في الناس على العهد ، فيقال : المراد بالمتقين [٨٩١] من شاهد حضرة الرسالة من الصحابة ، وينصره تقدير إرادة أهل الكتاب أعنى عبد الله بن سلام ، وأصحابه من قوله تعالى { والذين يؤمنون بما أنزل إليك وما أنزل من قبلك } معطوفا على قوله { الذين يؤمنون بالغيب } فعلى هذا يحمل قوله : { إن الذين كفروا } على معنيين كأبي جهل وأضرابه ، وأن يراد بقوله : { ومن الناس من يقول آمنا } عبد الله بن أبي ، ومعتب بن قشير ، وجد بن قيس ، وأشباههم ، فلا وجه إذا لقول من قال : ويحتمل أن تكون موصوفة إن جعلت التعريف للعهد ؛ لأن المراد بقوله { من يقول } حينئذ قوم بأعيانهم وأشخاصهم ، كعبد الله بن أبي وأصحابه ، فكيف تجعل موصوفة ؛ لأن من نكرة ، والقوم معهودون .

(١٠٣/١)

موقع القوم في قولك: نزلت بني فلان فلم يقروني والقوم لئام.
ومن في { من يقول } موصوفة، كأنه قيل: ومن الناس ناس يقولون كذا، كقوله: { من المؤمنين رجال } (الفتح: ٢٥) إن جعلت اللام للجنس. وإن جعلتها للعهد فموصولة، كقوله: { ومنهم الذين يؤذون النبي } (التوبة: ٦١). فإن قلت: كيف يجعلون بعض أولئك والمنافقون غير المختوم على قلوبهم؟ قلت: الكفر جمع الفريقين معا وصيرهم جنسا واحدا(١).

(١) قوله: (قلت: الكفر جمع الفريقين معا وصيرهم جنسا واحدا) إلى آخره ، قال صاحب التقریب : وفيه نظر ؛ لأنه إذا كان الناس للمصممين فلا يدخل تحتهم غيرهم ، فلعله على تقدير مضاف ، أي : ومن جنسهم من يقول : والجواب عن هذا النظر ، أن نقول : إن

المصنف لم يقل إن اللام في الناس للعهد على تقدير أن التعريف في { الذين كفروا } للعهد ، بل قال : اللام للعهد إلى الذين كفروا ، وقد ذكر أن التعريف في الذين كفروا للجنس ، أو للعهد ، فعلى تقدير كون الذين كفروا للجنس لا إشكال ، لأن المنافقين بعض جنس الذين كفروا ، وعلى تقدير كونه للعهد لا إشكال أيضا ؛ لأن اللفظ مطلق ، والكفر شامل للفريقين ، وغايته أنه خص هنالك بالمصرين بقريئة { ختم } وخص هنا بالمنافقين بقريئة أخرى ، وهذا لا فساد فيه ، فإن ذكره بطريق العهد لا يريد على إعادته ، ولو أعيد بلفظه ، وأريد به المنافقون هنا مع أن المراد به المصرون هنالك لم يقع ليس في جوازه ، ووكذا هاهنا على أنا لا نسلم أن المنافقين ليسوا بعض المختوم على قلوبهم وسمعهم وأبصارهم بالحقيقة ، بل هم عند التحقيق بعضهم ، ونفي التفهم عنهم لإيمانهم باللسان الذي هو منهم نكر وخديعة ، إنما هو من حيث الظاهر فقط ، وأيضا فإن المصنف رحمه الله قال أولا : بأن اللام للجنس ، ثم قال : ويجوز أن تكون للعهد ، فلعل هذا التجويز إنما هو على تقدير كون التعريف في { الذين كفروا } للجنس لا للعهد ، وأما إذا كان التعريف فيه للعهد ، فاللام للجنس .

وقال الطيبي : وأما الجواب عن قول من قال : بينهم وبين المنافقين تناف فهو عين ما ذكره المصنف في الجواب ، ففي سؤاله كيف يجعلون بعض أولئك ، والمنافقون غير المختوم على قلوبهم ؛ لأن هذا السؤال وارد على قوله : ويجوز أن تكون للعهد ، والإشارة إلى الذين كفروا المار ذكرهم ، كأنه قيل : ومن هؤلاء أي من يقول : والمار ذكرهم على ما سبق في الكتاب أبو جهل والمغيرة وأصراهما ، وإذا جعل التعريف في الناس للمعهودين ، ومن يقول بكونه بعضا منهم لزم أن يكونوا في حكمهم في كونهم مصرين ، وليس كذلك ، لما ذكر من قوله : افتتح سبحانه بذكر المخلصين ، ثم ثنى بذكر الذين محضوا الكفر ظاهرا

وباطنا ، وثالث بالذين آمنوا بأفواههم ولم تؤمن قلوبهم ، وإليه الإشارة بقوله : والمنافقون غير المختوم على قلوبهم .

وأجاب أن الكفر جمع الفريقين معا ، إلى آخره ، يعني كون هؤلاء مخصوصين بحكم النفاق لا يخرجهم عن جنس المصممين ، بل نفيه غيرهم عنهم بما لم يتصفوا به ، وإليه الإشارة بقوله بزيادة زادوها على الكفر الجامع بينهما ، فالتعريف في قوله : الكفر جمع الفريقين معا ، وقوله : الكفر الجامع بينهما للعهد ، وهو الكفر الخاص ؛ لأنه جنس أيضا باعتبار النوعين ، وهذا من فصيح الكلام ووجيزه ؛ لأن الجنس إذا أطلق شاع في جميع متناولاته ، إذا لم تنتهض قريئة على إرادة البعض ، فإذا حصلت القريئة قيدت ، فإذا كررت كرر التقييد ، فالله تعالى لما قال { إن الذين كفروا } تناول جميع فرق

الكفار ، فقيد بقوله { سواء عليهم أأنذرتهم أم تنذرهم } وأريد به المصممون ، ثم قيد مرة أخرى بقوله : { ومن الناس من يقول } وأريد به المنافقون ، ونحوه قول الأصوليين : يجوز تخصيص ما بقي غير محصور ، وكيف لا يكون مختوما على قلوبهم وقد صرح بعد هذا

بقوله : { ذهب الله بنورهم } والأوجه أن يراد الطبع لقوله { صم بكم فهم لا يرجعون } ثم إنني عثرت بعد هذا التقرير على كلام من جانب أفضل المتأخرين ، القاضي رضي الدين يشد بعضده فإنه قال : واللام فيه للجنس ، ومن موصوفة ، إذ لا عهد ، فكأنه قال : ومن الناس ناس يقولون : وقيل للعد والمعهودون هم الذين كفروا ، ومن موصولة مراد بها ابن أبي وأصحابه ونظراؤه ، فإنهم من حيث أنهم صمموا على النفاق داخلين في عداد الكفار المختوم على قلوبهم ، واختصاصهم بزيادة زادوها على الكفر لا يأبى دخولهم في هذه الجنس ، فإن الأجناس إنما تتنوع بزيادات تختلف فيها أبعاضها ، والدعارة : الراداة والخبث ، والفسق ، ومعنى موجهها ذا وجهين ، يقال : كسا موجه ، أي : له وجهان ، وأيضا قال ابن السكيت : هو مصدر آض يئض أيضا ، أي : عاد ، وأيضا قيل : هو معطوف على جواب

إذا ، وهو كان خبثا ، أي : إذا قالوه على وجه النفاق كان خبثا مضاعفا مع إيهام أنهم أحاطوا بالإيمان من جانبيه ، وعندني أنه عطف من حيث المعنى على اختصاصهما بالذكر إلى آخره .

(١٠٤/١)

وكون المنافقين نوعا من نوعي هذا الجنس - مغايرا للنوع الآخر بزيادة زادوها على الكفر الجامع بينهما من الخديعة والاستهزاء - لا يخرجهم من أن يكونوا بعضا من الجنس؛ فإن الأجناس إنما تنوعت لمغايرات وقعت بين بعضها وبعض . وتلك المغايرات إنما تأتي بالنوعية ولا تأبى الدخول تحت الجنسية . فإن قلت : لم اختص بالذكر الإيمان بالله والإيمان باليوم الآخر؟ قلت : اختصاصهما بالذكر كشف عن إفراطهم في الخبث وتماديهم في الدعارة؛ لأن القوم كانوا يهودا، وإيمان اليهود بالله ليس بإيمان، لقولهم : { عزير ابن الله } (التوبة: ٣٠) . وكذلك إيمانهم باليوم الآخر ،

(١٠٥/١)

لأنهم يعتقدونه على خلاف صفته، فكان قولهم : { آمنا بالله وباليوم الآخر } خبثا

مضاعفا وكفرا موجها، لأن قولهم هذا لو صدر عنهم لا على وجه النفاق وعقيدتهم عقيدتهم، فهو كفر لا إيمان. فإذا قالوه على وجه النفاق خديعة للمسلمين واستهزاء بهم، وأروهم أنهم مثلهم في الإيمان الحقيقي، كان خبثا إلى خبث، وكفرا إلى كفر. وأيضا فقد أوهموا في هذا المقال أنهم اختاروا الإيمان من جانبيه، واكتفوه من قطريه، وأحاطوا بأوله وآخره. وفي تكرير الباء (١) أنهم ادعوا كل واحد من الإيمانيين على صفة الصحة والاستحكام. فإن قلت: كيف طابق (٢)

(١) قوله: (وفي تكرير الباء) وذلك أن العطف على المظهر المجرور لا يوجب إعادة الجار كما في المضممر، وتكريره للإيدان بالاستقلال والأصالة .
(٢) قوله: (كيف طابق) تقرير السؤال أن قولهم { آمنا } مسوق لشأن ذكر الفعل، بمعنى

أحدثنا الإيمان وأوجدناه، وليس لذكر شأن الفاعل، وإلا لقالوا: نحن آمنا، أي: أوجدنا الإيمان دون غيره، فلما كان دعواهم أحداث الإيمان أتوا بالجملة الفعلية، فكيف طابق قوله: { وما هم بمؤمنين } وأنه في ذكر شأن الفاعل لا يلاء ضمير الفاعل حرف النفي، وأجاب بأنه إنما خولف بين الفعلين [القولين] لغرض، وهو إنكار ما ادعوه بطريق أبلغ، وهو طريق الكناية، فإنه كنى عن نفي ما ادعوه من الإيمان بنفي كونهم مؤمنين، لأن نفي ذلك يستلزم نفي الإيمان بطريق برهاني، لأنه بمنزلة ذكر الشيء مع ذكر الدليل عليه بخلاف ما لو قالوا في الجواب: وما آمنوا به فإنه حينئذ نفي مجرد عن الدليل.

وقال الطيبي: قوله: القصد إلى إنكار ما ادعوه. حاصله أن التركيب وإن دل على الاختصاص لكن هنا ما يأبى الحمل عليه؛ لأنه وارد في إنكار ما ادعوه، وذلك أنهم ادعوا أنهم أحاطوا بالإيمان من جانبيه حيث خصوا الإيمان بالله وباليوم الآخر بالذكر، وادعوا الاستحكام والتأكيد مع ذلك، حيث كرروا ذكر الباء وما ادعوا أنهم اختصوا بهما دون سائر الناس لينكر عليهم دعوى الاختصاص، فوجب المصير إلى التأويل، والحمل على الكناية ليفيد التأكيد، ويحصل التطابق، بيانه أنه تعالى لما أولى الضمير حرف النفي، وحكم عليهم بأنهم ليسوا بمؤمنين، وكان ذلك جوابا عن دعواهم أنهم اختاروا الإيمان بجانبيه على صفة الاستحكام دل على أخرج ذواتهم وأنفسهم من أن يكونوا طائفة من طوائف المؤمنين، وإذا شهد عليهم بذلك لزم نفي ما ادعوه على سبيل البت والقطع، قال: ويمكن أن يجري الكلام على التخصيص، وأن يكون الكلام على الفاعل، ويكون موقع

السؤال قول المصنف : وأروهم أنهم مثلهم في الإيمان الحقيقي ، وذلك أنهم لما ادعوا أنهم يوافقون المؤمنين في المسألتين ، وأن إيمانهم كإيمانهم قيل : { وما هم بمؤمنين

{ على قصر الافراد ، لأنهم ادعوا الشركة في الايمانين حقيقة ، فأجيبوا باختصاص المؤمنين بها دونهم ، والمقام يساعد هذه التقرير دون الأول ، وذلك أن سياق الكلام لبيان خبث المنافقين ، ودعارتهم كما ذكروا ، إذا ادعوا رفع المخالفة من البين ارتفعت المنازعة ، وادعاء حصولهما ادعاء لرفع المخالفة فكان [٦٩٣] اختصاصهما أهم من غيرهما ، والانتحال : ادعاء الإنسان ما ليس له .

(١٠٦/١)

قوله: { وما هم بمؤمنين { قولهم: { آمنا بالله وباليوم الآخر { والأول في ذكر شأن الفعل لا الفاعل، والثاني في ذكر شأن الفاعل لا الفعل؟ قلت: القصد إلى إنكار ما ادعوه ونفيه، فسلك في ذلك طريق أدى إلى الغرض المطلوب. وفيه من التوكيد والمبالغة ما ليس في غيره، وهو إخراج ذواتهم وأنفسهم من أن تكون طائفة من طوائف المؤمنين، لما علم من حالهم المنافية لحال الداخلين في الإيمان. وإذا شهد عليهم بأنهم في أنفسهم على هذه الصفة،

فقد انطوى تحت الشهادة عليهم بذلك نفى ما انتحلوا إثباته لأنفسهم على سبيل البت والقطع. ونحوه قوله تعالى: { يريدون أن يخرجوا من الناس وما هم بخارجين منها { (المائدة: ٣٧) هو أبلغ من قولك: وما يخرجون منها. فإن قلت: فلم جاء الإيمان مطلقا في الثاني وهو مقيد في الأول؟ قلت: يحتمل أن يراد التقييد ويترك للدلالة المذكور عليه، وأن يراد بالإطلاق أنهم ليسوا من الإيمان في شيء قط، لا من الإيمان بالله وباليوم الآخر، ولا من الإيمان بغيرهما. فإن قلت: ما المراد باليوم الآخر؟ قلت: يجوز أن يراد به الوقت الذي لا حد له وهو الأبد الدائم الذي لا ينقطع، لتأخره عن الأوقات المنقضية. وأن يراد الوقت المحدود من النشور إلى أن يدخل أهل الجنة الجنة وأهل النار النار، لأنه آخر الأوقات المحدودة الذي لا حد للوقت بعده.

والخدع: أن يوهم صاحبه خلاف ما يريد به من المكروه. من قولهم: ضب خادع وخدع، إذا

أمر الحارث يده على باب جحره أوهمه إقباله عليه ثم خرج من باب آخر. فإن قلت: كيف ذلك ومخادعة الله والمؤمنين لا تصح لأن العالم

الذي لا تخفى عليه خافية لا يخدع، والحكيم الذي لا يفعل القبيح لا يخدع، والمؤمنون وإن جاز أن يخدعوا لم يجز أن يخدعوا، ألا نرى إلى قوله:

واستمطروا من قريش كل منخدع(١)

(١) قوله: (واستمطروا من قريش كل منخدع) تمامه (إن الكرم إذا خادعته انخدعا

البيت للفرزدق ، والاستمطار : طلب المطر ، وهو الاستسقاء ، أي : اطلبوا العطاء من كل مخدوع ، من هذه القبيلة ، فإنه يعطيه كما المطر قيل : ولا بعد في حمل البيت على التمليح ، فإن عمر استسقى بالعباس ، وسقوا في الحال ، قال عقيل بن أبي طالب :
بعمي سقى الله البلاد وأهلها *** عشية يستسقي بشيئته عمر
توجه بالعباس ففي الجذب داعيا*** فما جاز حتى جاد بالديمة المطر
فأجاب أولا بأنه لما قصر المخادعة على أنفسهم باعتبار أن المخادعة عائد إليها ،
وإلا فلم يخدعوا أنفسهم لأجل ما ذكره ، فإن مخادعة الله حقيقة لا تصح ، وعلى هذا
فلا مناقضة ، فإن إثبات مخادعة الله محال ، لا يناقضه نفي مخادعته حقيقة ، وثالثها
: أراد بيخادعون : يخدعون أنفسهم ، والخدع أيضا على هذا حقيقة فليتأمل .
(١٠٧/١)

وقول ذي الرمة:

O إن الحليم(١) وذا الإسلام يختلب

(١) قوله: (إن الحليم) أوله

تلك الفتاة التي علقته غرضا *** إن الحليم وذا الإسلام يختلب
قائله ذو الرمة ، العلق : الحب ، ومعنى غرضا : من غير قصد ، ونية ، بل مخادعة وخب
، وعلل ذلك بأنه حليم مسلم ، أي : الحليم المسلم يخدع لسلامة قلبه ، ونصح جيبه ،
وكأنه اقتبس من قوله عليه السلام (المؤمن غر كريم) والخب : الخديعة باللسان .
(١٠٨/١)

فقد جاء النعت بالانخداع ولم يأت بالخدع. قلت: فيه وجوه. أحدها: أن يقال كانت صورة
صنعهم مع الله حيث يتظاهرون بالإيمان وهم كافرون، صورة صنع الخادعين. وصورة صنع

الله معهم - حيث أمر بإجراء أحكام المسلمين عليهم(١) وهم عنده في عداد شرار
الكفرة وأهل الدرك الأسفل من النار - صورة صنع الخادع، وكذلك صورة صنع المؤمنين

معهم حيث امتثلوا أمر الله فيهم فأجروا أحكامهم عليهم. والثاني: أن يكون ذلك ترجمة عن معتقدهم وظنهم أن الله ممن يصح خداعه؛ لأن من كان ادعاؤه الإيمان بالله نفاقا لم يكن عارفاً بالله ولا بصفاته، ولا أن لذاته تعلقا بكل معلوم، ولا أنه غني عن فعل القبائح؛ فلم يبعد من مثله تجويز أن يكون الله في زعمه مخدوعا ومصابا بالمكروه من وجه خفي، وتجويز أن يدلس على عباده ويخدعهم. والثالث: أن يذكر الله تعالى ويراد الرسول صلى الله عليه وآله وسلم ؛

(١) قوله: (بإجراء أحكام المسلمين عليهم) أراد به حرمان التوارث ، وإعطاء السهم من المغنم وغيرهما ، ويخادعون على هذا الوجه من الاستعارة التبعية التمثيلية ، كما سبق في قوله { على هدى من ربهم } ألا ترى إلى قوله: (كانت صورة صنعهم مع الله حيث يتظاهرون بالإيمان) إلى آخره ، فإنه يدل على بيان الحالة المتهمة المنتزعة من عدة أمور ، وقوله : وأهل : يصح بالرفع عطفا على محل في عداد ، وقوله ترجمة عن معتقدهم هو كآخر الوجوه المذكورة في { ختم الله على قلوبهم } والتدليس : إظهار خلاف المراد والواقع .
(١٠٩/١)

لأنه خليفته في أرضه، والناطق عنه بأوامره ونواهي مع عباده، كما يقال: قال الملك كذا ورسم كذا؛ وإنما القائل والراسم وزيره أو بعض خاصته الذين قولهم قوله ورسمهم رسمه. مصداقه قوله: { إن الذين يبايعونك إنما يبايعون الله، يد الله فوق أيديهم } (الفتح: ١٠) وقوله: { من يطع الرسول فقد أطاع الله } (النساء: ٨٠). والرابع: أن يكون من قولهم: أعجبنى زيد وكرمه (١)،

(١) قوله: (أعجبنى زيد وكرمه) قيل : التركيب يشبه البدل والمبدل منه ، من حيث التوطئة والتمهيد ، ولكنه يفارقه من حيث أن المعطوف عليه ليس في حكم المنحى ، بخلاف المبدل منه فإنه منحى ، وكذاك زيد هنا مدخل في الإعجاب كمال كرمه ، وكذا الذات إليه مدخل في الخداع بالسراية إليه ، من خداع المؤمنين لعدم العاطف ، فذكره لمجرد التوطئة فقط ، والمصنف كثيرا ما يسلك في تراكيبه هذا العطف ، ويشبه أن يسمى العطف التفسيري .

واعلم أن الوجه الثالث والرابع لا يستقيم جوابا للسؤال إلا بأن يحمل خادعت على خدعت ، والمبارزة : المعارضة ، والرفق : النفع ، ومعنى يطرقون به يصيبون به ، والمنابذ : المعادي .

(١١٠/١)

فيكون المعنى يخادعون الذين آمنوا بالله. وفائدة هذه الطريقة قوة الاختصاص، ولما كان المؤمنون من الله بمكان، سلك بهم ذلك المسلك. ومثله: { والله ورسوله أحق أن يرضوه } (التوبة: ٦٢) وكذلك: { إن الذين يؤذون الله ورسوله } (الأحزاب: ٥٧) ونظيره في كلامهم: علمت زيدا فاضلا، والغرض فيه ذكر إحاطة العلم بفضل زيد لا به نفسه؛ لأنه كان معلوما له قديما؛ كأنه قيل: علمت فضل زيد؛ ولكن ذكر زيد توطئة وتمهيد لذكر فضله. فإن قلت: هل للاقتصار بخادعت على واحد وجه صحيح؟ قلت: وجهه أن يقال: عني به

"فعلت" إلا أنه أخرج في زنة "فاعلت" لأن الزنة في أصلها للمغالبة والمباراة، والفعل متى غولب فيه فاعله جاء أبلغ وأحكم منه إذا زاوله وحده من غير مغالب ولا مبار لزيادة قوة الداعي إليه. ويعضده قراءة من قرأ: { يخادعون الله والذين آمنوا } وهو أبو حية. و { يخادعون } بيان ليقول. ويجوز أن يكون مستأنفا كأنه قيل: ولم يدعون الإيمان كاذبين وما رفقهم في ذلك؟ فقيل يخادعون. فإن قلت: عم كانوا يخادعون؟ قلت: كانوا يخادعونهم عن أغراض لهم ومقاصد منها متاركتهم وإعفاؤهم عن المحاربة وعمّا كانوا يطرقون به من سواهم من الكفار. ومنها اصطناعهم بما يصطنعون به المؤمنين من إكرامهم والإحسان إليهم وإعطائهم الحظوظ من المغانم ونحو ذلك من الفوائد، ومنها اطلاعهم - لاختلاطهم بهم - على الأسرار التي كانوا حراسا على

(١١١/١)

إذاعتها إلى منابذهم. فإن قلت: فلو أظهر عليهم (١) حتى لا يصلوا إلى هذه الأغراض بخداعهم عنها. قلت: لم يظهر عليهم لما أحاط به علما من المصالح (٢) التي لو أظهر عليهم لانقلبت مفاسد واستبقاء إبليس وذريته ومتاركتهم وما هم عليه من إغواء المنافقين وتلقينهم النفاق أشد من ذلك. ولكن السبب فيه ما علمه تعالى من المصلحة. فإن قلت: ما المراد بقوله: { وما يخدعون إلا أنفسهم } (٣)؟

(١) قوله: (فلو اظهر عليهم { جواب لومحذوف ، أي : لو جعل الله نفاقهم ظاهرا على المسلمين جليا حتى لا يصلوا إلى اغراضهم ما ذا كان ؟ .

(٢) قوله: (من المصالح التي لو أظهر عليهم لا نقلبت مفسد) من جملة المصالح تكثيرهم لسواد المسلمين المؤدي إلى خوف الكفار منهم ، وعدم جرأتهم ، فلو أظهر عليهم لانقلبت الحال ، ومنها : أن عدم الاظهار سبب لتأليف غيرهم ، فلو اظهر عليهم وحوسبوا لأدى إلى نفرة غيرهم .

(٣) قوله: (فإن قلت: ما المراد بقوله { وما يخادعون إلا أنفسهم { قال الطيبي : أي : كيف صح ذلك ، والمخادعة مفاعلة ، وإنما تكون بين اثنين ، فكيف يخادعون أنفسهم . وأجاب عنه بوجوه ، أحدها : أن قوله { وما يخادعون إلا أنفسهم { ذكر لمشاكلة يخادعون الله ، والمراد به أن ضرر مخادعتهم لله لا حق بهم ، ومكرهم حائق بهم ، وثانيها : أن يراد حقيقة المخادعة الواقعة بين اثنين لكن على أسلوب التجريد ، كأنهم جردوا من أنفسهم من يخادعون ، كما جرد الأعشى من يخاطبه في قوله : وهل تطيق وداعا أيها الرجل .. فأجاب أولا بأنه إنما قصر المخادعة على أنفسهم باعتبار أن ضرر المخادعة عائد عليها ، وإلا فلم يخادعوا أنفسهم ، وثانيها : أنه أراد أنهم من حيث الحقيقة لا

يخادعون إلا أنفسهم لأجل ما ذكروه ، فإن مخادعة الله حقيقة لا تصح ، وعلى هذا فلا مناقضة ؛ لأن إثبات مخادعة الله محاز ، لا يناقضه نفي مخادعته حقيقة ، وثالثها : أنه أراد بيخادعون يخدعون أنفسهم ، والخداع على هذا أيضا حقيقة فليتأمل هذا. وثالثها : أنه أراد وما يخدعون ، فجاء به على يفاعلون للمبالغة ، وأنا أظن أن وجه السؤال أنه كيف يصح أن يقصر الخداع على أنفسهم ، وذلك يقتضي نفيه عن الله ، وقد أثبت أولا أن المخادعة مع الله .

والمخادعة في الوجه الثاني خاصة من جانبين لا من جانب واحد ، كما ظن ، إذ لو كان كذلك لما كانت حقيقة المخادعة موجودة ، ولا مرادة ، وقد نص على أنها مرادة بقوله : وأن يراد حقيقة المخادعة ، وبينها بأنهم يمنون أنفسهم الأباطيل ويكذبونها فيما يحدثونها به ، وأنفسهم تمقتهم وتحذتهم بالأمانى .

(١١٢/١)

قلت: يجوز أن يراد: وما يعاملون تلك المعاملة المشبهة بمعاملة المخادعين إلا أنفسهم لأن ضررها يلحقهم، ومكرها يحقق بهم، كما تقول: فلان يضار فلانا وما يضار إلا نفسه،

أي: دائرة الضرار راجعة إليه وغير متخطية إياه، وأن يراد حقيقة المخادعة أي: وهم في ذلك يخدعون أنفسهم حيث يمتنونها الأباطيل ويكذبونها فيما يحدثونها به، وأنفسهم كذلك تمنهم وتحديثهم بالأمانى وأن يراد: وما يخدعون فجيء به على لفظ "يفاعلون" للمبالغة. وقرئ: "وما يخدعون"، ويخدعون من خدع. ويخدعون - بفتح الياء - بمعنى يخدعون ويخدعون. ويخدعون على لفظ ما لم يسم فاعله. والنفس: ذات الشيء وحقيقته. يقال عندي كذا نفسا. ثم قيل للقلب: نفس (١)؛ لأن النفس به. ألا ترى إلى قولهم: المرأ بأصغريه (٢).

(١) قوله: (ثم قيل للقلب: نفسا) إطلاقا لاسم السبب على المسبب ، ولذلك قال : لأن النفس به ، أي : لأن النفس تقوم بالقلب .

(٢) قوله: (المرأ بأصغريه) أي : بقلبه ولسانه قال زهير :

وكائن ترى من صامت لك معجب **** زيادته أو نقصه في التكلم

لسان الفتى نصف ونصف فؤاده **** فلم يبق إلا صورة اللحم والدم
(١١٣/١)

وكذلك بمعنى الروح (١) وللدن نفس؛ لأن قوامها بالدم. وللماء نفس؛ لفرط حاجتها إليه. قال الله تعالى: { وجعلنا من الماء كل شيء حي } (الأنبياء: ٣٠) وحقيقة نفس الرجل بمعنى عين أصيبت نفسه، كقولهم: فلان يؤامر نفسه - إذا تردد في الأمر اتجه له رأيان وداعيان لا يدري على أيهما يعرج كأنهم (٢) أرادوا داعبي النفس، وهاجسي النفس فسموهم: نفسين، إما لصدورهما عن النفس، وإما لأن الداعيين لما كانا كالمشيرين عليه والأمين له، شبهوهما بذاتين فسموهم نفسين. والمراد بالأففس ههنا ذواتهم (٣). والمعنى بمخادعتهم ذواتهم؛ أن الخداع لاصق بهم لا يعدوهم إلى غيرهم ولا يتخطاهم إلى من سواهم. ويجوز أن يراد قلوبهم ودواعيهم وآراؤهم. والشعور علم الشيء علم حس من الشعار. ومشاعر الإنسان: حواسه. والمعنى أن لحوق ضرر ذلك بهم كالمحسوس، وهم لتمادي غفلتهم كالذي لا حس له.

(١) قوله: (وكذلك بمعنى الروح) عطف على قوله : والنفس ذات الشيء ، أي : وكذلك جاء النفس بمعنى الروح ، ثم قيل للقلب : نفس ، وهو مجاز متفرع على الأول ، وقوله : للدم متفرع على الثاني ، يدل عليه قوله : لأن قوامها ، أي : قوام الروح بالدم لأنه مقابل

لقوله : لأن النفس .

(٢) قوله: (وقولهم) مبتدأ والخبر كأنهم ، والعائد محذوف ، وإذا ظرف قولهم ،
والهاجس : الخاطر ، وهو ما يخطر في النفس من التريث والفكر ، ويجول أما لصدروهما عن
النفس ، أي : لا يسمعهما عن النفس ؛ لأن الخاطر قد يكون من فعل النفس ، وقال
الطبي : هو اطلاق المحل ، أو إرادة الحال ، وعلى مقتضى قول المصنف لصدروهما عن
النفس يكون من باب اطلاق اسم السبب على المسبب .

(٣) قوله: (والمراد بالأنفس هنا ذواتهم) هذا مبني على الوجه الأول في الجواب عن
معنى المخادعة ، وقوله : (ويجوز أن يراد قلوبهم) على الوجه الثاني .

(١١٤/١)

واستعمال المرض في القلب (١) يجوز أن يكون حقيقة ومجازا، فالحقيقة أن يراد الألم كما
تقول: في جوفه مرض. والمجاز أن يستعار لبعض أعراض القلب، كسوء الاعتقاد، والغل،
والحسد والميل إلى المعاصي، والعزم عليها، واستشعار الهوى، والجبن، والضعف، وغير
ذلك مما هو فساد وآفة شبيهة بالمرض كما استعيرت الصحة والسلامة في نقائص ذلك.

(١) قوله: (واستعمال المرض في القلب) لأن الإنسان إذا ابتلي بالحسد والنفاق ،
ومشاهدة المكروه ودام به ربما صار ذلك سببا في تغير مزاج القلب ، وتألمه ، قال أبو
الطيب :

والهم يخترم النفوس مخافة [نحافة]*** ويشيب ناصية الصبي ويهرم

قيل في قوله : (واستعمال المرض في القلب) إلى قوله (فالحقيقة أن يراد الألم) نظر
لأن الألم مسبب عن المرض لا نفس المرض ، وقوله : (كسوء الاعتقاد) إلى آخره جعل من
أمراض القلب على نوعين ما يتعلق بالدين ، وهو المراد بقوله : (كسوء الاعتقاد) وهو
الكفر والبدعة ، وثانيهما ما يتعلق بالأخلاق ، وهو إما ما يصدر بسببه عن صاحبه
الرزائل ، وهو المراد بقوله (الغل والحسد ، والميل إلى المعاصي) أو بمنعه من نيل
الفضائل .. وهو المراد بقوله : والجبن والضعف ، فإن الجبن يمنعه من الشجاعة ، وكف
الأذى عن نفسه ، وطلب معالي الأمور ، والضعف بمنعه عن بذل المعروف ، ويحمله على
القناعة بسفاسف الأمور ، ولهذا لما نشر الكلام هذا جاء بلفظ أو في أول كل واحد من
الأخيرين ، ومعنى الاستئناف في قوله { في قلوبهم مرض } كمنعاه في قوله { ختم الله
على قلوبهم } وحرق الناب : سحقه حتى يسمع له صرير ، وهو كناية عن الغيظ .

(١١٥/١)

والمراد به هنا ما في قلوبهم من سوء الاعتقاد والكفر، أو من الغل والحسد والبغضاء،
لأن صدورهم كانت تغلى على رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم والمؤمنين غلا وحنقا ،
ويغضونهم البغضاء التي وصفها الله تعالى في قوله: { قد بدت البغضاء من أفواههم وما
تخفي صدورهم أكبر } (آل عمران: ١١٨) ويتحرقون عليهم حسدا { إن تمسكم حسنة
تسؤهم }
(آل عمران: ١٢٠) وناهيك مما كان (١)

(١) قوله: (وناهيك بما كان) الباء في بما كان زائدة مثلها في { كفى بالله } وابن
أبي : هو عبد الله بن أبي ، كان في مجلس فيه جماعة من المسلمين وغيرهم ، فعبر عليه
رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم راكبا على حمار قاصدا لعيادة سعد بن عباد ،
فأذى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بكلام ، فلما دخل رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال :
يا سعد : ألم تسمع إلى ما قال أبو خباب ، يريد عبد الله ابن أبي فإنه قال كذا وكذا
، فقال : يا رسول الله اعف عنه (الحديث .
قيل : كان ابن أبي إذ ذاك كافرا لم يظهر الإيمان بلسانه ، والذي يفهم من كلام
المصنف أنه كان منافقا ، قيل ، فعلى أنه كافرا إنما أورد قصته لمجرد إظهار الحسد
والبغضاء دون النفاق ، والبحيرة : القرية الواسعة ، قال في الفائق : البحيرة
المدينة ، يقولون : هذه بحيرتنا ، أي : أرضنا وبلدتنا ، ومعه يعصبونه بالعصاة
يعمموه بالعمامة ، وهو كناية عن التسويد ؛ لأن العمائم تيجان العرب ، والشرق :
الشجا والغصّة ، ومعنى شرق بريقه غص به ، فلم يقدر على اشاعته ، وريح الإسلام دولته
، شبهه في نفوذ أمرها بالريح وهبوبها ، قال :

إذا هبت رياحك فاغتنمها***فعقبى كل خافقة سكون
(١١٦/١)

من ابن أبي وقول سعد بن عباد لرسول الله صلى الله عليه وآله وسلم (١٧) "اعف عنه يا
رسول الله واصفح، فوالله لقد أعطاك الله الذي أعطاك، ولقد اصطاح أهل هذه البحيرة أن
يعصبوه بالعصاة فلما رد الله ذلك بالحق الذي أعطاكه شرق بذلك. أو يراد ما تداخل
قلوبهم من الضعف والجبن والخور، لأن قلوبهم كانت قوية، إما لقوة طمعهم فيما كانوا

يتحدثون به: أن ريح الإسلام تهب حيناً ثم تسكن ولواءه يخفق أياماً ثم يقر، فضعفت حين ملكها اليأس عند إنزال الله على رسوله النصر وإظهار دين الحق على الدين كله. وإما

لجراؤتهم وجسارتهم في الحروب فضعفت جبناً وخوراً حين قذف الله في قلوبهم الرعب وشاهدوا شوكة المسلمين وإمداد الله لهم بالملائكة. قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم (١٨) "نصرت بالرعب مسيرة شهر". ومعنى زيادة الله إياهم مرضاً أنه كلما أنزل على رسوله الوحي فسمعوه كفروا به فازدادوا كفراً إلى كفرهم (١)، فكأن الله هو الذي زادهم ما ازدادوه إسناداً للفعل إلى المسبب له، كما أسنده إلى السورة في قوله: {فزادتهم رجساً إلى رجسهم} (التوبة: ١٢٥) لكونها سبباً. أو كلما زاد رسوله نصرة وتبسّط في البلاد ونقصاً من أطراف الأرض ازدادوا حسداً وغلاً

(١) قوله: (فزادوا كفراً إلى كفرهم) هذا على تقدير أن المراد بالمرض سواء الاعتقاد ، وإسناد مصدر لفعل محذوف ، يعني أنه تعالى لما كان سبباً للفعل ، وهو إنزال الوحي أسند ازدياد المرض إلى نفسه ، وقوله : ازدادوا حسداً وغلاً على التفسير الثاني .
(١١٧/١)

وبغضا وازدادت قلوبهم ضعفاً وقلة طمع فيما عقدوا به رجاءهم وجبناً وخوراً. ويحتمل أن يراد بزيادة المرض الطبع (١). وقرأ أبو عمر في رواية الأصمعي: مرض (٢)، ومرضاً، بسكون الراء:

يقال ألم فهو {أليم} كوجع فهو وجيع ووصف العذاب به نحو قوله:
تحية بينهم ضرب وجيع (٣)

(١) قوله: (ويحتمل أن يراد بزيادة المرض الطبع) قال الطيبي : يؤيد هذا الوجه إعادة ذكر المرض المنكر ، وعدم الاكتفاء بالصبر في قوله {فزادهم الله مرضاً} لأن النكرة إذا أعيدت دلت على غير ما تدل عليه أولاً ، وأقول : إنما يصح ما ذكره لو كان المرض الثاني يصح أن يكون هو الأول ، أما إذا كان غيره البتة فلا ، لأنه لا يصح تعريفه على العهد ، إذ لم يعهد في المرض الثاني هنا غير الأول ؛ لأنه عبارة عن الزيادة ، ولا شك أنها غير المزيد عليه وأنه لو قال : وإسناد الزيادة إلى الله لكان أولى من قوله وعدم الاكتفاء بالضمير لأن قوله : إنما يصح أن لو أسند المرض أولاً إلى الله

فليتأمل قوله وقولنا .

(٢) قوله: (وقرأ أبو عمرو [في رواية الأصمعي]: مرض ومرضاً) وهي شاذة ، قال ابن جني : لا يجوز : مرض مخففاً من مرض لأن المفتوح لا يخفف إلا شاذاً ، وإنما ذلك في المكسور والمضموم ، فينبغي أن يكون أصله مرض لأن المفتوح لا يخفف إلا شاذاً ، وإنما ذلك في المكسور والمضموم فينبغي أن يكون أصله مرض كالحلب والحلب .

(٣) قوله: { تحية } أوله : وخيل قد دلقت لهم بخيل *** تحية بينهم ضرب وجيع المراد بالخيل : الفرسان ، أي : رب أصحاب خيل قد تقدمت ودنوت إليهم بجيش ، والتحية بينهم الضرب بالسيف لا القول باللسان كما هو العادة ، والوجيع في الحقيقة : المضروب لا الضرب ، وهذا على طريقة قوله : جد جده ، أي : على طريقة الاسناد المجازي ، وقيل : يجوز أن يكون أليم بمعنى المؤلم ، كالسميع بمعنى المسمع ، والنذير بمعنى المنذر .
(١١٨/١)

وهذا على طريقة قولهم: جد جده. والألم في الحقيقة للمؤلم كما أن الجد للجاد. والمراد بكذبهم قولهم آمنا بالله وباليوم الآخر. وفيه رمز إلى قبح الكذب(١) وسماجته، وتخيل أن العذاب الأليم لاحق بهم من أجل كذبهم. ونحوه قوله تعالى: { مما خطيأتهم أغرقوا } (نوح: ٧١) والقوم كفرة. وإنما خصت الخطيئات استعظاماً لها وتنفيراً عن ارتكابها. والكذب: الإخبار عن الشيء على خلاف ما هو به وهو قبيح كله.

(١) قوله: (وفيه رمز إلى قبح الكذب) وهو من باب التعريض ، عرض بالمؤمنين ، فإن المؤمن متى سمع أن العذاب يرتب على الكذب دون النفاق ، على أن النفاق من أعظم أنواع الكفر يخيل في نفسه تغليظ معنى الكذب ، وتصور سماجته فانزجر منه أعظم الانزجار ، وإليه الإشارة بقوله : وإنما خصت الخطيئات استعظاماً لها وتنفيراً عن ارتكابها ، وهذا المعنى يشبه ما في قوله تعالى : { الذين يحملون العرش } إلى قوله { ويؤمنون به } فإنه ذكر إيمان حملة العرش لشرفه ، والترغيب فيه ، وإنما خص هذا النوع وهو التعريض بالرمز ، إذ الرمز إشارة إلى المقصود من قريب مع نوع خفاء ، والتعريض كذلك .

(١١٩/١)

وأما ما يروى عن إبراهيم عليه السلام(١).

(١) قوله: (وأما ما يروى عن إبراهيم عليه السلام) أنه كذب ثلاث كذبات ، والمراد التعريض ، جواب عن سؤال مقدر يرد على قوله : وهو قبيح كله ، وهو يحتمل أن يكون مخصصا لذلك العام ، وأن يراد أن يكون هذا لا يفد كذبا لأنه تعريض ، ومن ثم قيل : إن في المعارض لمندوحة عن الكذب ، وتدل على أن مراد المصنف الاحتمال الأول ، قوله في الصفات : والصحيح أن الكذب حرام إلا إذا عرض وورى ، والذي قاله إبراهيم عليه السلام تعريض ؛ لأنه جاء بزيادات الاستثناء ، لكن الاحتمال الثاني أولى أن يصار إليه ، فإن حد الكذب لا يصدق عليه ، فإن المعارض والمجازات والنصوص الواردة على العموم اخبار مقيدة بالقرائن المانعة عن الحمل على الكذب ، إما لفظا أو تقديرا بحسب اقتضاء المقام ، ومن ثم قال صاحب المفتاح : إن الكذاب لا ينصب دليلا على كذبه ، والتعريض اللفظ المشار به إلى جانب ، وللغرض جانب آخر ، وسمي تعريضا لما فيه من التعوج عن المطلوب ، ومنه المعارض في الكلام ، وهي التورية بالشيء ، والثلاث الكذبات قيل : هي قوله في الكوكب { هذا ربي } وقوله { بل فعلهم كبيرهم هذا } وقوله { إني سقيم } وإنما قال { هذا ربي } لأن أباه وقومه كانوا يعبدون الأصنام والكواكب ، فأراد أن ينبههم على الخطأ في دينهم ويرشدهم إلى أن شيئا منها لا يصلح للملاهة ، لقيام دليل الحدوث فيها ، وأن وراءها محدثا أحدثها ، وأما قوله { بل فعله كبيره هذا } فتنبيه على أن الاله الذي لم يقدر على دفع المضرة عن نفسه كيف يرجى منه دفع الضرر عن الغير .. وأما قوله { إني سقيم } فإنه عليه السلام أوهمهم أنه استدل بأمانة علم النجوم على أنه سيسقم لتركه فيفعل بالأصنام ما أراد أن يفعل ، أو سقيم لما أجد من الغيظ والحنق باتخاذكم النجوم آلهة ، وقيل : الكذبات هي قوله { هذا ربي } في المرات الثلاث ، وقيل : أحدها في حق سارة : هي أختي ، في الدين لا في النسب ، ومعنى قلص الثوب : انزوى بعد الغسل .

(١٢٠/١)

(١٩) "أنه كذب ثلاث كذبات". فالمراد التعريض. ولكن لما كانت صورته صورة الكذب سمي به. وعن أبي بكر رضي الله عنه وروي مرفوعا:

(٢٠) "إياكم والكذب فإنه مجانب للإيمان" وقرئ: "يكذبون"، من كذبه الذي هو نقيض صدقه؛ أو من كذب الذي هو مبالغة(١) في كذب، كما بولغ في صدق فقيل: صدق. ونظيرهما:

بان الشيء وبين، وقلص الثوب وقلص. أو بمعنى الكثرة(٢) كقولهم: موتت البهائم، وبركت

الإبل، أو من قولهم: كذب الوحشي(٣) إذا جرى شوطاً ثم وقف لينظر ما وراءه؛ لأن المنافق متوقف متردد في أمره، ولذلك قيل له مذبذب. وقال عليه السلام:

(٢١) "مثل المنافق كمثل الشاة العائرة بين الغنمين، تعير إلى هذه مرة وإلى هذه مرة".

(١) قوله: (أو من كذب الذي هو مبالغة) قيل : يحتمل أن يكون عطفا تفسيريا .
(٢) قوله: (أو بمعنى الكثرة) عطف على قوله : (وهو مبالغة) والفرق بين الكثرة والمبالغة أن الكثرة تفيد صدور هذا المعنى من الشخص مرارا كثيرة ، والمبالغة لا تستدعي المرات ، بل المراد أن الشخص في نفسه بليغ في كذبه حتى كأن كذبه بمنزلة الكثير ، قال في سورة مريم : الصديق في أبنية المبالغة كالضحيك ، والمراد كثرة ما صدق به من غيوب الله ، وآياته وكتبه ورسله ، أو كان بليغا في الصدق ؛ لأن ملاك أمر النبوة أصدق .

(٣) قوله: (أو من قولهم كذب الوحشي) عطف على قوله : (أو من كذب الذي هو نقيض صدق)

فعلى هذا هو استعارة تبعية تمثيلية ، لقوله (لأن المنافق متوقف متردد في أمره ، ولقوله : (مثل المنافق) والشارة العائرة : هي التي تطلب الفحل ، ومعنى بين الغنمين : بين جماعتي الغنم لأن الغنم اسم جنس ، وفي تشبيه المنافق بالشارة الطالبة للفحل

وإذا قيل لهم لا تفسدوا في الأرض (١١) إنما نحن بآياتهم هم

المفسدون ولكن لا يشعرون (١٢) وإذا قيل لهم آمنوا كما آمن الناس أنؤمن

كما آمن السفهاء ألا إنهم هم السفهاء ولكن لا لثبوت (Jn=÷ètف وإذا لقوا الذين آمنوا (s\$٩ûq# آمنوا وإذا خلوا إلى شياطينهم (#s\$٩ûq# إنا معكم إنما نحن نحتج÷(m,kyJ 14) B) الله ن-ح÷(o.kyJ÷N خكح ويمدهم في طغيانهم يعمهون

(١٥) أولئك

الذين (#\$@yIôžru# الضلالة بالهدى فما ك' N٢؟Mut كgè?uكج"kBdpg وما كانوا مهتدين

{ (١٦)

"وإذا قيل لهم" معطوف على يكذبون(١). ويجوز أن يعطف على (يقول آمنة) لأنك لو قلت: ومن الناس من إذا قيل لهم لا تفسدوا، كان صحيحا، والأول أوجه(٢).

(١) قوله: (معطوف على يكذبون) لأنه لا يصح قيامه مقامه ، وأن يقال { ولهم عذاب عظيم بما كانوا } وقيل : { لا تفسدوا } الآية .

(٢) قوله: (والأول أوجه) قال صاحب التقريب : إنما كان أوجه لأنه أقرب وليفيد تشبيه العذاب أيضا ، وقيل : ليؤذن أن صفة الفساد يحتز منها لقبها ، كما يحتز عن الكذب تعريضا كما سبق ، قيل : ويمكن أن ينصر القول الثاني بأن يقال : إن في العطف على يقول آمنة ؟ تصيرا للآيات على سنن تعديد قبائحهم كما ذكره نعي عليهم فيها خبيثهم ، ونكرهم ، ولا شك أن قوله { في قلوبهم مرض } الآية متعلق بقوله { وما يخذعون إلا أنفسهم وما يشعرون } على سبيل التعليل ، فإذا عطف على يكذبون يكون تابعا للتابع ، وإذا عطف على { يقول } كان مستقلا مثله ، مذيلا بقوله { ألا إنهم هم المفسدون ولكن لا يشعرون } وكما دخلت الآيات السابقة واللاحقة قيل ، ومن ثم فصل قول أبي الطيب :

إذا كان مدحا فالنسيب المقدم **** أكل فصيح قال شعرا متيم

لأن المصراع الأول في البيت الأول مستقلا بنفسه بخلافه في المقام الثاني ، وأيضا

إذا ترتب إيجاب العذاب على الكذب وحده ليكون سببا مستقلا ، واستوجب هذا القول عذبا آخر ، أفضع منه لاطلاقه ، كان أشبه للكلام وأشرح له سيما والمقام يقتضي الإطناب .
(١٢٢/١)

والفساد: خروج الشيء عن حال استقامته وكونه منتفعا به، ونقيضه؛ الصلاح، وهو الحصول على الحال المستقيمة النافعة. والفساد في الأرض: هيج الحروب والفتن، لأن في ذلك فساد ما في الأرض وانتفاء الاستقامة عن أحوال الناس والزروع والمنافع الدينية والدينية. قال الله تعالى: { وإذا تولى سعى في الأرض ليفسد فيها ويهلك الحرث والنسل } (البقرة: ٢٠٥)، { أتجعل فيها من يفسد فيها ويسفك الدماء } (البقرة: ٣٠).

ومنه قيل لحرب كانت بين طيء: حرب الفساد(١). وكان فساد المنافقين في الأرض. أنهم كانوا يميلون الكفار ويمالئونهم على المسلمين بإفشاء أسرارهم إليهم وإغرائهم عليهم، وذلك مما يؤدي إلى هيج الفتن بينهم،

(١) قوله: (حرب الفساد) سميت هذه الحرب بذلك ؛ لأنهم مثلوا فيها أنواع المثل ،
جدعوا الأنوف ، وصلموا الآذان ، ومعنى يمالئونهم : يساعدونهم .
(١٢٣/١)

فلما كان ذلك من صنيعهم مؤديا إلى الفساد قيل لهم: لا تفسدوا، كما تقول للرجل: لا تقتل نفسك بيدك، ولا تلق نفسك في النار، إذا أقدم على ما هذه عاقبته. و { إنما }
لقصر الحكم على شيء(١)، كقولك: إنما ينطق زيد، أو لقصر الشيء على حكم كقولك: إنما زيد كاتب. ومعنى { إنما نحن مصلحون } أن صفة المصلحين خلصت لهم وتمحضت من غير شائبة

قادح فيها من وجه من وجوه الفساد. و { ألا } مركبة من همزة الاستفهام وحرف النفي، لإعطاء معنى التنبيه على تحقق ما بعدها، والاستفهام إذا دخل على النفي أفاد تحقيقا
كقوله: { أليس ذلك بقادر } (القيامة: ٤٠)؟ ولكونها في هذا المنصب من التحقيق، لا تكاد تقع الجملة بعدها إلا مصدرة بنحو ما يتلقى به القسم. وأختها التي هي "أما" من مقدمات اليمين وطلائعها:

أما والذي لا يعلم الغيب غيره(٢)

(١) قوله: (إنما لقصر الحكم على الشيء) أي : لقصر المسند على المسند إليه ، أو لقصر الشيء على الحكم ، أي : لقصرا لمسند إليه على المسند ، وقوله { إنما نحن مصلحون } من قصر المسند إليه على المسند ، وذلك أن المسلمين لما قالوا لهم { لا تفسدوا في الأرض } توهموا أن المسلمين أرادوا بذلك أنكم تخلطون الإفساد بالإصلاح ، فأجابوا بأنا عازمون على الإصلاح لا نتجاوزه إلى الإفساد بوجه من الوجوه فيلزم منه عدم الخلط ، وإليه أوماً بقوله : إن صفة المصلحين خلصت لهم . إلى آخره فهو لقصر الافراد فأجيبوا بقصر القلب ، وهو { ألا إنهم هم المفسدون } لإفادة الفضل وتعريف الخبر أن تصورت صفة المفسدين وتحققت ماهيتها فهم لا يتجاوزونها .

(٢) قوله: (أما والذي لا يعلم الغيب غيره) تمامه :

ويحيي العظام البيض وهي رميم . جوابه بعده وهو :
لقد كنت أختاره الهوى طاوي الحشا**** محافظة من أن يقال لئيم
(١٢٤/١)

أما والذي أبكى وأضحك [والذي* أمات وأحيا والذي أمره الأمر] (١)

(١) قوله: (أما والذي أبكى وأضحك [والذي* أمات وأحيا والذي أمره الأمر].

جواب القسم بعده :

لقد تركتني أحد الوحش أن أرى **** أليفين منها لا يروعهما الذعر
وطائفة الجيش : ما يتقدمه استعير هاهنا للمقدمة .
(١٢٥/١)

رد الله ما ادعوه من الانتظام في جملة المصلحين أبلغ رد وأدله على سخط عظيم،
والمبالغة فيه من جهة الاستئناف (١) وما كلتا الكلمتين ألا . وإن من التأكيدين وتعريف
الخبر وتوسيط الفصل . وقوله: { لا يشعرون } أتوهم في النصيحة من وجهين: أحدهما تقبيح
ما كانوا عليه لبعده من الصواب وجره إلى الفساد والفتنة . والثاني: تبصيرهم الطريق
الأسد من أتباع ذوي الأحلام، ودخولهم في عدادهم؛ فكان من جوابهم أن سفهوههم لفرط
سفهمهم، وجهلوههم لتمادي جهلهم . وفي ذلك تسلية للعالم مما يلقي من الجهلة . فإن قلت:
كيف صح أن يسند " قيل " إلى " لا تفسدوا ، وآمنوا " وإسناد الفعل إلى الفعل مما لا يصح؟
قلت: الذي لا يصح هو إسناد الفعل إلى معنى الفعل، وهذا إسناد له إلى لفظه، كأنه
قيل: وإذا قيل لهم هذا القول وهذا الكلام.

(١) قوله: (والمبالغة فيه من جهة الاستئناف) أي : ترك العاطف ليفيد ضربا من
المبالغة ، وذلك أن ادعائهم الإصلاح لأنفسهم على ما ادعوه مع توغلهم في الفساد مما
يشوق السامع أن يعرف ما حكم الله تعالى عليهم ، فكان وروده هكذا ، أي : على التشويق
يفيد المبالغة ، فإن الشيء إذا وجد بعد الطلب أعز مما فوجئ به ، وفي قوله { لا
يشعرون } أيضا تأكيد لأن الشعور علم الشيء وعن علم حسن ، فإذا نفى شعورهم كان ادعى
لظهور الفساد ؛ لأن من ركب متن الفساد وله شعور بقبحه ربما يزل عنه ، فأما إذا فقد
الشعور فإنه يبلغ غايته

فهو نحو قولك: "ألف" ضرب (١)

(١) قوله: (فهو نحو قولك (ألف) ضرب) قال صاحب الفرائد وفيه نظر لئن ضربها ليس بفعل ، ولا تفسدوا فعل باعتبار الجملة بذكر بعد القول مفعولاتها ، كقولك : قلت لا تفعل ، فأقيمت مقام الفاعل ، بعد ترك الفاعل ، وأسند الفعل إليها بالنظر إلى أنها كلام ، وقوله (ضرب ليس بفعل معنى) لأنه في تأويل لفظ ضرب ، ولم يرد بضرب الاخبار عن الضرب الحاصل في الزمان الماضي ، بخلافه في لا تفسدوا فإنه أريد به معناه ، أي : اطلبوا انشاء عدم الافساد غير أن الجملة في مقول القول بمنزلة المفعول به ، في فعل آخر منظور إلى كونها كلاما لا مفردا ، وأجيب عنه أن قوله (الف ضرب مثلا لا تفسدوا من حيث الاسناد إلى اللفظ ، وهذا يكفي في التشبيه ، وذلك أن الفعل إذا أسند إليه باعتبار اللفظ لا يخلوا إما أن يكون للمعنى فيه مدخل رأسا كقولك: ألف ضرب من ثلاثة أحرف ، أو أن يكون له مدخل ما كقوله تعالى { وإذا قيل لهم لا تفسدوا } وأما تخصيصه

بالمفعول به ففيه كلام ، قال ابن الحاجب في الأمالي : الجملة الواقعة بعد القول إذا بني لما لم يسم فاعله تقوم مقام الفاعل ، كقوله تعالى { وإذا قيل لهم لا تفسدوا } وكذلك ما أشبهه لأن القول يحكى بعده الجمل ، وهي في موضع نصب بالاتفاق إلا أنها هل هي مصدر أو مفعول به يبنى على أن أقول هل يتعدى أم لا ؟ فإن قلنا : يتعدى تعينت الجملة للمفعول به ، وإن قلنا : لا وكان ثم غير المصدر من المفاعيل أقيم كل واحد مقام الفاعل ، وإن لم يكن بعين المصدر ، وقال في شرح المفصل : ومتعلق القول في المعنى هو القول ، وإنما يكون فيه خصوصية بذكر خاصيته ، فيتوهم أنه متعلق به ، وليس كذلك ، وتحقيق هذا ذكره أبو البقاء ، قال : القائم مقام الفاعل مصدر ، وهو القول ، وأضمر لأن الجملة بعده تفسيره ، والتقدير : وإذا قيل لهم قول هو لا تفسدوا ، وقال بعض المحققين : الجملة محكية بعد القول منصوبة الموضع بكونها مفعولا بها ، لا مفعولا مطلقا على ما وهم ابن الحاجب ، وذلك لأن معنى : قلت زيد قائم . قلت هذا اللفظ ، فهو مقول ، وقد تقرر أن آية المفعول به أن يطلق عليه اسم المفعول كما تقول ضربت زيدا فهو مضروب ، ولا تقول : ضربت ضربا فانضرب مضروب ، وكذا تقول : أنا قائل :

زيد قائم بالاضافة ، والفاعل : لا يضاف إلى مصدره ، فلا يقال : زيد ضارب الضرب

القوي ، والذي أوهم ابن الحاجب قولهم : إن معنى قلت : زيد قائم ، قلت هذا القول ،
وذهل 'ن أن القول على المقول ، وزعموا : مبتدأ ، ومطية الكذب خبره ، والرجل إذا
أراد المسير إلى بلد في حاجة ركب مطيته ، وسار حتى يقضي إربه ، فشبه ما يقدمه
المتكلم أمام كلامه ، ويتوصل به إلى غرضه من قوله : زعموا كذا وكذا بالمطية التي
يتوصل بها إلى الحاجة ، وإنما يقال زعموا في حديث لا سند له ، وإنما يحكى عن اللسان
ببلغنا ، ومعنى جلدتهم : جملتهم .
(١٢٧/١)

من ثلاثة أحرف . ومنه : "زعموا مطية الكذب" .

و"ما" في "كما" يجوز أن تكون كافة مثلها في (ربما)، ومصدرية مثلها في { بما رحبت {
(التوبة: ٢٥) .

واللام في "الناس" للعهد، أي كما آمن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ومن معه .
أو هم ناس معهودون كعبد الله بن سلام وأشباعه لأنهم من جلدتهم ومن أبناء جنسهم، أي:
كما آمن أصحابكم وإخوانكم، أو للجنس أي: كما آمن الكاملون في الإنسانية. أو جعل
المؤمنون كأنهم الناس على الحقيقة (١)، ومن عداهم كالبهائم في فقد التمييز بين الحق
والباطل .

(١) قوله: (كما آمن الكاملون في الإنسانية. أو جعل المؤمنون كأنهم الناس على
الحقيقة) اعلم ان التعريف الجنسي يحمل ادعاء تارة على الكمال كما في قوله تعالى {
ذلك الكتاب { وأخرى على الحصر كما في هذه الوجه ، وإليه الإشارة بقوله : (ومن عداهم
كالبهائم) قال القاضي : اسم الجنس يستعمل ما يستجمع المعاني المخصوصة به ،
والمقصودة منه ، ولذلك سلب عن غيره ، فيقال : إنه ليس بإنسان .
(١٢٨/١)

والاستفهام في { أنؤمن { في معنى الإنكار . واللام في { السفهاء { مشار بها إلى
الناس، كما تقول لصاحبك: إن زيدا قد سعى بك، فيقول: أو قد فعل السفيه (١). ويجوز أن
تكون [اللام] للجنس (٢)، وينطوي تحته الجاري ذكرهم على زعمهم واعتقادهم؛ لأنهم
عندهم

أعرق الناس في السفه. فإن قلت: لم سفههم واستركوا عقولهم، وهم العقلاء المراجيح؟

قلت: لأنهم لجهلهم(٣)

(١) قوله: (أو قد فعل السفية) أراد أن قولك : إن زيدا سعى بك ، تنبيه على أنه سفية ، فهو من هذه الجهة معهودا أعني السفية ، فكذلك في الآية لما كان الإيمان عندهم سفها ، وقد نسب إلى الناس كان السفهاء معهودين عندهم .

(٢) قوله: (ويجوز أن تكون اللام للجنس) وعلى هذا فيدخل الجاري ذكرهم تحته دخولا أوليا ، ومعنى أعرق تأصل ، ومعنى استركوا عقولهم : عدوهما ركيكة ، أي : ضعيفة ، وا لمراجيح : جمع المرجاح ، وهو الرزين العقل ، ومعنى فتوني أعضادهم : كسر قوتهم و فرق أعوانهم .

(٣) قوله: (لأنهم لجهلهم) هذا الجواب مبني على أن اللام في السفهاء للجنس ، وقوله : (ولأنهم كانوا في رئاسة على أنها للعهد ، والمعهود رسول الله وأصحابه ..وقوله :) أو أراد عبد الله بن سلام) عطف على قوله (ولأنهم كانوا في رئاسة) على أن اللام للعهد أيضا ، والمعهود على هذا عبد الله وأضرابه ، والمعنى أرادوا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وأصحابه لأنهم كانوا في رئاسة ، أو أرادوا عبد الله بن سلام فرجع معنى نسبتهم السفاهة على أن اللام للجنس ، إلى أن ما هم فيه هو الحق ، وأن ما عداه هو الباطل لعموم من في قوله (ومن ركب متن الباطل كان سفيا) فيدخل فيه النبي وأصحابه ، وعبد الله وأشيعاه ، ورجع على تقدير العهد إما إلى أن اليسار والرئاسة هو الرشد والفقر ، والعدم هو السفه هذا بالنسبة إلى النبي صلى الله عليه وآله وسلم وأصحابه ، وإما إلى أن الثبات على دينهم هو الرشد ، ومفارقة هو السفه ، وهذا بالنسبة إلى عبد الله وأشيعاه ، والتفصيل من الفاصلة ، كالتقوية من القافية ، وفصلت الآية : إذا جعلت لها فاصلة ، والتناحر : التشاجر ، والتجارب ، في بعض النسخ بالزاي من التحزب ، وإنما قال : كالمحسوس لأن المذكورات معان لكن أماراتها ظهرت ظهور المحسوس ، والتكذب : تكرير الكذب في مهلة ، كالتجرع ، والشاطر : هو الذي أعيا أهله خبثا .

(١٢٩/١)

وإخلالهم بالنظر وإنصاف أنفسهم، اعتقدوا أن ما هم فيه هو الحق وأن ما عداه باطل، ومن ركب متن الباطل كان سفيا؛ ولأنهم كانوا في رئاسة وسطة في قومهم ويسار، وكان أكثر المؤمنين فقراء ومنهم موال كصهيب وبلال وخباب، فدعواهم سفهاء تحقيرا لشأنهم. أو

أرادوا عبد الله بن سلام وأشياعه ومفارقتهم دينهم وما غاظهم من إسلامهم وفت في أعضادهم. قالوا ذلك على سبيل التجلد توقيا من الشماتة بهم مع علمهم أنهم من السفه

بمعزل، والسفه سخافة العقل وخفة الحلم. فإن قلت: فلم فصلت هذه الآية بـ { لا يعلمون } ، والتي قبلها بـ { لا يشعرون } ؟ قلت: لأن أمر الديانة والوقوف على أن المؤمنين على الحق وهم على الباطل، يحتاج إلى نظر واستدلال حتى يكتسب الناظر المعرفة. وأما النفاق وما فيه من البغي المؤدي إلى الفتنة والفساد في الأرض فأمر دينوي مبني على العادات، معلوم عند الناس، خصوصا عند العرب في جاهليتهم وما كان قائما بينهم من التغاور والتناحر والتحارب والتحازب، فهو كالمحسوس المشاهد؛ ولأنه قد ذكر السفه وهو جهل فكان ذكر العلم معه أحسن طباقا له. مساق هذه الآية بخلاف ما سبقت له أول قصة المنافقين فليس بتكرير، لأن تلك في بيان مذهبهم والترجمة عن نفاقهم، وهذه في بيان ما كانوا يعملون عليه مع المؤمنين من التكذيب لهم والاستهزاء بهم ولقائهم بوجوه المصادقين وإيهاهم أنهم معهم، فإذا فارقوهم إلى شطار دينهم صدقوهم ما في قلوبهم.

وروي:

)

(١٣٠/١)

(٢٢) أن عبد الله بن أبي وأصحابه خرجوا ذات يوم فاستقبلهم نفر من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ، فقال عبد الله انظروا كيف أرد هؤلاء السفهاء عنكم، فأخذ بيد أبي بكر فقال: مرحبا بالصديق سيد بني تيم وشيخ الإسلام وثاني رسول الله في الغار، الباذل نفسه وماله لرسول الله. ثم أخذ بيد عمر فقال: مرحبا بسيد بني عدي الفاروق القوي في دين الله، الباذل نفسه وماله لرسول الله. ثم أخذ بيد علي فقال: مرحبا بابن عم رسول الله وختنه سيد بني هاشم ما خلا رسول الله. ثم افترقوا فقال لأصحابه: كيف رأيتموني فعلت؟ فأثنوا عليه خيرا، فنزلت. ويقال لقبته ولاقيته (١) إذا استقبلته قريبا منه، وهو جاري ملاقي ومراقي. وقرأ أبو حنيفة: وإذا لاقوا.

(١) قوله: (لقبته ولاقيته) إذا استقبلته قريبا منه ، اعلم أنه قد يفسر بإذا كما

يفسر بأي ، لكنك إذا فسرت جملة فعلية مسندة إلى ضمير المتكلم بأي ضمنت تاء الضمير ،

فتقول استكتمته سري ، أي : سألته كتماناً بضم تاء سألته ، لأنك تحكي كلامك ، وإذا
فسرتها بإذا فتحت ، فإذا قلت إذا سألته كتماناً ، لأنك تخاطبه ، أي : أنك تقول ذلك
إذا فعلت ذلك الفعل ، وأنشدوا في ذلك المعنى
إذا كنيت بأي فعلاً تفسره **** فضم تاءك فيه ضم معترف
وإن تكن بإذا يوماً تفسره **** ففتحت التاء أمر غير مختلف
وسره أن أي تفسر فينبغي أن يطابق ما بعدها ما قبلها ، والأول مضموم ، والثاني :
مثله ، وإذا تعلق بقول المخاطب على فعله الذي ألحقه بالضمير فمحال فيه الضم ،
ومراوqi . بالتخفيف . معناه : رواق بيتي ، إلى رواق بيته ، والرواق : ما بين يدي
البيت ، وقيل : رواق البيت سماوته .
(١٣١/١)

وخلوت بفلان وإليه، إذا انفردت معه. ويجوز أن يكون من "خلا" بمعنى: مضى، وخلاك ذم:
أي عداك ومضى عنك. ومنه: القرون الخالية، ومن "خلوت به" إذا سخرت منه. وهو من
قولك:

خلا فلان بعرض فلان يعبث به. ومعناه: وإذا أنهوا السخرية بالمؤمنين إلى شياطينهم
وحدثوهم بها. كما تقول: أحمد إليك فلان(١)، وأذمه إليك. وشياطينهم: الذين ماثلوا
الشياطين في تمردهم. وقد جعل سيبويه نون الشيطان في موضع من كتابه أصلية، وفي آخر
زائدة. والدليل على أصالتها قولهم: تشيطن، واشتقاقه من "شطن" إذا بعد؛ لبعده من
الصلاح والخير. ومن "شاط" إذا بطل إذا جعلت نونه زائدة. ومن أسمائه الباطل. { إنا
معكم } إنا مصاحبوكم وموافقوكم على دينكم. فإن قلت: لم كانت مخاطبتهم المؤمنين
بالجملة الفعلية، وشياطينهم بالإسمية

(١) قوله: (وضمن أحمد إليك معنى أنهي إليك) فعدي تعديته ، والأريحي : الواضع الخلق
، والسخي ، يقال : أخذته أريحية ، إذا ارتاح للندى أي مال إليه وأحبه [٦٩٩] ومعنى
لا يروج : لا ينفق .
(١٣٢/١)

محققة بأن؟ قلت: ليس ما خاطبوا به المؤمنين جديراً بأقوى الكلامين وأؤكدتهما، لأنهم في ادعاء حدوث الإيمان منهم ونشئه من قبلهم، لا في ادعاء أنهم أوحديون في الإيمان

غير مشقوق فيه غبارهم، وذلك إما لأن أنفسهم لا تساعدكم عليه، إذ ليس لهم من عقائدهم باعث ومحرك، وهكذا كل قول لم يصدر عن أريحية وصدق رغبة واعتقاد. وإما لأنه لا يروج عنهم لو قالوه على لفظ التوكيد والمبالغة. وكيف يقولونه ويطمعون في رواجه وهم بين ظهراي المهاجرين(١) والأنصار الذين مثلهم في التوراة والإنجيل. ألا ترى إلى حكاية الله قول المؤمنين: {ربنا إنا آمنة} (آل عمران: ١٦). وأما مخاطبة إخوانهم، فهم فيما أخبروا به عن أنفسهم من الثبات على اليهودية والقرار على اعتقاد الكفر، والبعد من أن يزلوا عنه على صدق رغبة ووفور نشاط وارتياح للتكلم به، وما قالوه من ذلك فهو رائج عنهم متقبل منهم، فكان مظنة للتحقيق ومثنة للتوكيد.

(١) قوله: (ظهراي المهاجرين) يقال: أقاموا بين ظهرايهم، أي: أقاموا بينهم على سبيل الاستظهار، والاستناد إليهم، وزيدت فيه ألف ونون مفتوحة تأكيداً، ومعناه أن ظهرايهم قدامه، وظهرها وراءه، فهو مكتوف من جانبيه، ثم كثر حتى استعمل في الإقامة مطلقاً (وعلى صدق رغبة) خبر عن قوله: (فهم فيما أخبروا) والمظنة بكسر الضاء موضع الشيء ومعدنه، والقياس فتح الظاء، وإنما كسرت لأجل الهاء، ومعنى (مثنة من ذلك) مخلقة، وكل شيء ذلك على شيء فهو مثنة، وحقيقتها أنها مفعلة من معنى أن، من معنى التأكيد به، غير مشتقة من لفظها لأن الحروف لا يشتق منها، وإنما ضمنت حروف تركيبها لإيضاح الدلالة، على أن معناها فيها.

(١٣٣/١)

فإن قلت: أنى تعلق قوله: {إنما نحن مستهزون} بقوله: {إنا معكم} قلت: هو تأكيد(١) له، لأن قوله: {إنا معكم} معناه الثبات على اليهودية. وقوله: {إنما نحن مستهزون} رد للإسلام ودفع له منهم، لأن المستهزئ بالشيء المستخف به منكر له ودافع لكونه معتدا به، ودفع نقيض الشيء تأكيداً لثباته أو بدل منه، لأن من حقر

الإسلام فقد عظم الكفر. أو استئناف، كأنهم اعترضوا عليهم حين قالوا لهم: {إنا معكم} فقالوا: فما بالكم إن صح أنكم معنا توافقون أهل الإسلام فقالوا: إنما نحن مستهزون. والاستهزاء: السخرية والاستخفاف، وأصل الباب الخفة - من الهزء وهو القتل السريع - وهزأ يهزأ: مات على المكان. عن بعض العرب: مشيت فلغبت فظننت

لأهزأنا على مكاني. وناقته تهزأ به: أي تسرع وتخف. فإن قلت: لا يجوز الاستهزاء على الله تعالى، لأنه

(١) قوله: (قلت: هو تأكيد) حاصل الجواب يرجع إلى وجوه ثلاثة يحتملها { إنا معكم } على طريق الكناية، أحدها: أنا على دينكم ومذهبكم، فيصبح توكيده إذا { إنما نحن مستهزئون } يعني يرفع دين مخالفيكم بالاستهزاء، وثانيها: إنا مصاحبوكم في دينكم لا نفارقكم إذ لا أجد خيراً منكم؛ لأن من توخى تعظيم شيء لا يفارقه فحينئذ يستقيم ثباته، وتقييده بقوله: { إنما نحن مستهزئون } لأن من وضع من مقدار العدو، وحقر شأنه فقد عظم قدر وليه، فكان قوله: { إنا معكم } كالتوطئة، والفرق بين الوجهين أنه جعل الجملة الثانية في الأول في تأويل الأولى ليصح التوكيد، وبالعكس في الثاني ليستقيم التفسير، وثالثها الاستئناف.

واللغوب: الإعياء، والضمير في وهو مبطن لإجراء الأحكام المدلول عليه بقوله، وهو يجري، يقال: ثوب مبطن بالقطن، إذا كان حشوه قطناً.

(١٣٤/١)

متعال عن القبيح، والسخرية من باب العيب والجهل. ألا ترى إلى قوله: { قالوا أتتخذنا هزواً قال أعوذ بالله أن أكون من الجاهلين } (البقرة: ٦٧)، فما معنى استهزائه بهم؟ قلت: معناه إنزال الهوان والحقارة بهم، لأن المستهزىء غرضه الذي يرميه هو طلب الخفة والزراية ممن يهزأ به، وإدخال الهوان والحقارة عليه، والاشتقاق كما ذكرنا شاهد لذلك. وقد كثر التهكم في كلام الله تعالى بالكفرة. والمراد به تحقير شأنهم وازدراء

أمرهم، والدلالة على أن مذاهبهم حقيقة بأن يسخر منها الساخرون ويضحك الضاحكون. ويجوز أن يراد به ما مر في { يخادعون } من أنه يجري عليهم أحكام المسلمين في الظاهر، وهو مبطن بادخار ما يراد بهم، وقيل: سمي جزاء الاستهزاء باسمه كقوله: { وجزاء سيئة سيئة مثلها }، (الشورى: ٤٠)، { فمن اعتدى عليكم فاعتدوا عليه } (البقرة: ١٩٤). فإن قلت: كيف ابتدئ قوله: { الله يستهزئ بهم } ولم يعطف على الكلام قبله.

(١٣٥/١)

قلت: هو استئناف في غاية الجزالة (١) والفخامة. وفيه أن الله عز وجل هو الذي يستهزئ بهم الاستهزاء الأبلغ، الذي ليس استهزأؤهم إليه باستهزاء ولا يؤبه له في مقابلته،

لما ينزل بهم من النكال ويحل بهم من الهوان والذل. وفيه أن الله هو الذي يتولى الاستهزاء بهم انتقاما للمؤمنين، ولا يحوج المؤمنين أن يعارضوهم باستهزاء مثله.

(١) قوله: (هو استئناف في غاية الجزالة) أما بيان أنه استئناف فلأن حكاية حال المنافقين في الذي قبله ، لما كانت تحرك السامعين أن يسألوا ما مصير أمرهم ، وعقبى حالهم ، وكيف معاملة الله إياهم ؟ ف قيل : { الله يستهزئ بهم } جوابا لذلك ، وأما بيان جزالته ، فلأن مقتضى الظاهر أن تصدر الجملة باسم المؤمنين ؛ لأن المستهزأ بهم هم المؤمنون ، كما في قوله تعالى { إن الذين أجرموا كانوا من الذين آمنوا يضحكون } إلى قوله { فالיום الذين آمنوا من الكفار يضحكون } فلما صدرت بذكر اسم الله الجامع لجميع الصفات وبنى الخبر عليه ليتقوى الحكم ، وأبرز الفعل على صيغة المضارع المؤذن بالاستمرار ، لاستدعاء الجواب له ليكون أبلغ من كلامهم ، دل ذلك كله على جزالة الاستئناف وفخامته ، ولزم منه تعظيم جانب المؤمنين ، وأنه تعالى الذي يتولى الاستهزاء البليغ بنفسه ، وقد أشار إلى هذه المعاني بقوله : (وفيه أن الله هو الذي يستهزئ بهم) وقوله : (وفيه أن الله هو الذي يتولى الاستهزاء بهم) ، وقد أتى في التفسير

بأن ، ووسط الجملة ضمير الفعل المؤذن بالاختصاص ليشير إلى أن بناء يستهزئ على الله يفيد تقوى الحكم ، وقال الطيبي : هو مفيد للاختصاص ، قال : وقد نص في المزمّل في قوله : { والله يقدر الليل والنهار } أنه مفيد للاختصاص ، وما ذكره موضع تأمل لأن الاختصاص في ذلك يستفاد من التقديم ، ولا تقديم ، ومعنى (لا يؤبه) لا يحفل به لحقارته ، وإفادة الاستمرار من المضارع بحسب مقتضى المقام ، واستشعار الحذر : اضماره ، والانهماك اللجاج .

(١٣٦/١)

فإن قلت : فهلا قيل الله مستهزئ بهم ليكون طبقا لقوله { إنما نحن مستهزون } قلت : لأن { يستهزئ } يفيد حدوث الاستهزاء وتجددته وقتا بعد وقت ، وهكذا كانت نكايات الله فيهم وبلاياه النازلة بهم { أو لا يرون أنهم يفتنون في كل عام مرة أو مرتين } (التوبة: ١٢٦) وما كانوا يخلون في أكثر أوقاتهم من تهتك أستار وتكشف أسرار ، ونزول في شأنهم واستشعار حذر من أن ينزل فيهم (يحذر المنافقون أن تنزل عليهم سورة تنبئهم بما في قلوبهم) ، { قل استهزئوا إن الله مخرج ما تحذرون } (التوبة: ٦٤) . { ويمدهم في طغيانهم } من مد الجيش وأمدّه إذا زاده وألحق به ما يقويه ويكشره. وكذلك

مد الداوة وأمدھا: زادھا ما يصلحھا. ومددت السرج والأرض: إذا استصلحتھا بالزيت والسماذ. ومده الشيطان في الغي وأمدھ: إذا واصلھ بالوساوس حتى يتلاحق غيھ ويزداد إنھماكا فيھ. فإن قلت: لم زعمت أنه من المدد دون المد في العمر والإملاء والإمهال؟ قلت: كفاك دليلا على أنه من المدد دون المد قراءة ابن كثير وابن محيىصن: "ويمدهم"، وقراءة نافع: { وإخوانهم يمدونهم } (الأعراف: ٢٠٢) على أن الذي بمعنى أمھله إنما هو مد له مع اللام كأملی له (١).

(١) قوله: (كأملی له) أي أمھله وطول له ، وقراءة نافع من إمداد ، من المدد ، لا من المد في العمر ؛ لأنه لا يعدى إلا باللام ، وأجاز القاضي بأن أصله نمد لهم : بمعنى

نملي لهم ، ونمد في أعمارهم كي ينتبهوا ويطيعوا ، فما ازدادوا إلا طغيانا وعمھا ، فحذفت اللام وعدي الفعل بنفسه ، أي : نمدھم استصلاحا ، وهم من ذلك يعمھون ، والأروى

جمع الأروية ، وهي الأنثى من الوعول ، وهي تسكن الوعور ، والنعام تسكن السهول ، فبينھما بعد ، فضرب هذا المثل لمن يحاول الجمع بين المتنافيين . قال : جمعت مع الأروى النعام وإنني *** لأجمع بين الضب والنون في الفلا (١٣٧/١)

فإن قلت: فكيف جاز أن يوليھم الله مددا في الطغيان وهو فعل الشياطين؟ ألا ترى إلى قوله تعالى: { وإخوانهم يمدونهم في الغي } ؟ (الأعراف: ٢٠٢) قلت: إما أن يحمل على أنهم لما منعھم الله ألطافه التي يمنحھا المؤمنین، وخذلھم بسبب كفرهم وإصرارهم عليه، بقيت قلوبھم بتزايد الرين والظلمة فيھا، تزايد الإنشراح والنور في قلوب المؤمنین فسمى ذلك التزايد مددا. وأسند إلى الله سبحانه لأنه مسبب عن فعله بھم بسبب كفرهم. وإما على منع القسر والإلجاء وإما على أن يسند فعل الشيطان إلى الله لأنه بتمكينه وإقداره والتخلية بينه وبين إغواء عباده. فإن قلت: فما حملھم على تفسير المد في الطغيان بالإمهال وموضوع اللغة كما ذكرت لا يطاوع عليه؟ قلت: استجرھم إلى ذلك خوف الإقدام على أن يسندوا إلى الله ما أسندوا إلى الشياطين لكن المعنى الصحيح ما طابقه اللفظ وشهد لصحته، وإلا كان منه بمنزلة الأروى من النعام. ومن حق مفسر كتاب الله الباهر وكلامه المعجز، أن يتعاھد في مذاھبه بقاء النظم على حسنه والبلاغة على كمالھا وما وقع به التحدي سليما من القادح، فإذا لم يتعاھد أوضاع اللغة فهو من

تعاهد النظم والبلاغة على مراحل.

(١٣٨/١)

ويعضد ما قلناه قول الحسن في تفسيره: في ضلالتهم يتمادون، وأن هؤلاء من أهل الطبع (١). والطغيان: الغلو في الكفر، ومجاوزة الحد في العتو. وقرأ زيد بن علي رضي الله عنه: { في طغيانهم } بالكسر وهما لغتان، كلقيان ولقيان، وغنيان وغنيان. فإن

قلت: أي نكتة في إضافته إليهم؟ قلت: فيها أن الطغيان والتماذي في الضلالة مما اقترفته أنفسهم واجترحته أيديهم، وأن الله برىء منه ردا لاعتقاد الكفرة القائلين: لو شاء الله ما أشركنا، ونفيا لو هم من عسى يتوهم عند إسناد المد إلى ذاته لو لم يضيف الطغيان إليهم ليميط الشبه ويقلعها ويدفع في صدر من يلحد في صفاته. ومصدق ذلك أنه حين أسند المد إلى الشياطين، أطلق الغي ولم يقيد به بالإضافة في قوله: { وإخوانهم يمدونهم في الغي } (الأعراف: ٢٠٢). والعمه: مثل العمى، إلا أن العمى عام في البصر والرأي، والعمه في الرأي خاصة، وهو التحجير والتردد، لا يدري أين يتوجه. ومنه قوله: بالجاهلين العمه (٢).

(١) قوله: (ويعضد ما قلناه قول الحسن في تفسيره: في ضلالتهم يتمادون، وأن هؤلاء من أهل الطبع) قيل: قوله: وإن هؤلاء مفتوح معطوف على قول الحسن، وقيل: مكسور، والتقدير: ويعضد ما قلناه قول الحسن في تفسيره: في ضلالتهم يتمادون، وقوله: إن هؤلاء من أهل الطبع لأن الطبع يحصل من تزايد الكفر والمعاصي، فيكون من الممدد، لا من الإمهال، وقيل: ويمكن أن يقال: إن معنى يتمادون يبلغون المدى والغاية في الضلال، وهو بالإمهال أليق، ويكون الطبع مستعليا عنه؛ لأن الإمهال في الكفر يتمادى إلى الطبع، قال الله تعالى: { فطال عليهم الأمد فقصت قلوبهم } واللقيان من اللقاء، والغنيان: من غنيت المرأة بزوجه عيانا، أي: استغنت.

(٢) قوله: (بالجاهلين) أوله:

ومهمه أطرافه في مهمة *** أعمى الهدا بالجاهلين العمه

يقول: رب مفازة أرجاؤها في مفازة أخرى لسعتها، خاف وجه الهداية فيها بالذين لا يعرفون الطرق، والعمه: جمع عامه، وهو المتحير من العمه، من باب علم، لأن

الاشتراء بعثا للإستعارة ، بمعنى أنه إنما جاز استعارة لا شترى للاستبدال لما يجمعها من معنى الاعطاء ، والأخذ ، والأصل المبايعة بدل الثمن ، لتحصيل ما يطلب من

الأعيان أو المنافع ، وهي تنقسم إلى مبايعة بناض ، وإلى مبايعة سلعة بسلعة ، يقال في الأول لأخذ السلعة الشاري ، والآخذ للناض بائع ، وفي الثاني يطلق على واحد منهما اسم البائع والمشتري ، ولهذا عد البيع والشراء من الأضداد ، وما يدخله الباء الثمن ، والآخر المضمن ، ثم استعير هنا لاختيار الضلالة على الهدى .

(١٣٩/١)

أي الذين لا رأي لهم ولا دراية بالطرق . وسلك أرضا عمهاء : لا منار بها . ومعنى اشتراء الضلالة بالهدى : اختيارها عليه واستبدالها به ، على سبيل الاستعارة ، لأن الاشتراء فيه إعطاء بدل وأخذ آخر . ومنه :

أخذت بالجمعة رأساً أزعر^(١) *** وبالثنايا الواضحات الدردرا
وبالطويل العمر عمرا حيدرا^{***} كما اشترى المسلم إذ تنصرا

(١) قوله : (أخذت بالجمعة رأساً أزعر) الجمعة : مجتمع الرأس ، والأزعر : الأصلع ، أي : استبدلت بالمشعر الكثير رأساً أصلع .

وبالثنايا الواضحات الدردرا . الدردر : قيل : هو جمع الدردار ، وهو مغرز السن الساقطة ، الباقية الأصل ، أي : استبدلت بالثنايا البيض الشية مغارز الأسنان . وبالطويل العمر عمرا حيدرا . الحيدر : القصير .

كما اشترى المسلم إذ تنصرا . أي : كما استبدل المسلم النصرانية بالإسلام وقت تنصره ، قيل : هذه الآيات في ... ، والمراد بالمسلم المتنصر جبلة بن الأيهم الغساني ، ذلك أنه وفد على عمر وأسلم ، فكتب عمر إلى أجناد الشام أن جبلة وفد إلي في سراة قومه ، وأسلم فأكرمه ، ثم سار إلى مكة فطاف فوطئ إزاره رجل من بني قزارة فلطمه جبلة فهشم بها أنفه ، وكسر ثناياه ، فاستعدى الفزاري على جبلة إلي ، فحكمت إما بالعفو ، وإما بالقصاص ، فقال : أيقصص مني وأنا ملك ، وهو سوقة ، فقلت : شملك وإياه الإسلام ، فما تفضله إلا بالعاقبة ، فسأل جبلة التأخير إلى الغد ، فلما كان من الليل ركب في بني عمه ، ولحق بالشام مرتدا ، وفي رواية أنه ندم على ما فعل ، وأنشد

:

تنصرت بعد الحق عارا للطمعة***ولم يك فيها لوصرت لها ضرر
فأدركني فيها لجاج حمية***فبعت لها العين الصحيحة بالعور
فياليت أني لم تلدني وليتني***صبرت على القول الذي قال لي عمر
ومعنى : إعراضهم لهم : تيسيره لهم ، من أعرض له الخير إذا مكنه .
(١٤٠/١)

وعن وهب: قال الله عز وجل فيما يعيب به بني إسرائيل: "تفقهون لغير الدين، وتعلمون
لغير العمل، وتبتاعون الدنيا بعمل الآخرة". فإن قلت: كيف اشتروا الضلالة بالهدى وما
كانوا على هدى؟ قلت: جعلوا لتمكنهم منه وإعراضه لهم كأنه في أيديهم، فإذا تركوه إلى
الضلالة فقد عطلوه واستبدلوها به، ولأن الدين القيم هو فطرة الله (١) التي فطر الناس
عليها، فكل من ضل فهو مستبدل خلاف الفطرة.
(والضلالة) الجور عن القصد وفقد الاهتداء. يقال: ضل منزله، وضل دريص نفقه فاستعير
للذهاب عن الصواب في الدين. والريح: الفضل على رأس المال، ولذلك سمي: الشف، من
قولك: أشف بعض ولده على بعض، إذا فضله. ولهذا على هذا شف. والتجارة: صناعة التاجر،
وهو الذي يبيع ويشترى للربح. وناقاة تاجرة: كأنها من حسننها وسمنها تبع نفسها. وقرأ
ابن أبي عبلة "تجاراتهم". فإن قلت

(١) قوله: (ولأن الدين القيم هو فطرة الله) أي : خلقة الله السليمة المتهيئة لقبول
الدين ، وإثبات الهدى لهم على هذا الوجه مجاز باعتبار ما كان ، وقيل : الأول
باعتبار تنزيل السبب منزلة المسبب ، ودريص : هو ولد الفأر ، واليربوع ، وأشباه ذلك
، ونفقه : جحره ، يضرب هذا مثلا لمن يعني بأمر ، وينساه عند الحاجة إليه .
(١٤١/١)

كيف أسند الخسران إلى التجارة وهو لأصحابها؟ قلت: هو من الإسناد المجازي، وهو أن
يسند الفعل إلى شيء يتلبس بالذي هو في الحقيقة له، كما تلبست التجارة بالمشتريين.
فإن قلت: هل يصح: ربح عبدك وخسرت جاريته، على الإسناد المجازي؟ قلت: نعم إذا
دلت
الحال(١). وكذلك الشرط في صحة: رأيت أسدا، وأنت تريد المقدام؛ إن لم تقم حال دالة

لم يصح. فإن قلت: هب أن شراء الضلالة بالهدى وقع مجازا في معنى الاستبدال، فما معنى ذكر الربح والتجارة؟ كأن ثم مبيعة على الحقيقة (٢). قلت: هذا من الصنعة البديعة (٣) التي تبلغ بالمجاز الذروة العليا، وهو أن تساق كلمة مساق المجاز، ثم تقفى بأشكال لها وأخوات، إذا تلاحقن لم تر كلاما أحسن منه ديباجة وأكثر ماء ورونقا، وهو المجاز المرشح.

(١) قوله: (إذا دلت الحال) وهي كما إذا اشترى عبدا وجارية ليتجر فيهما فريح أو خسر فيهما، وإنما شرط ذلك لجواز كونهما مأذونين في التجارة، فيكون الإسناد حقيقيا.

(٢) قوله: (كأن ثم مبيعة على الحقيقة) يعني سلمنا أن الشراء وقع مجازا لقربة أسناده إلى الضلال والهدى، فما تصنع بقوله: ربحت تجارتهم، فإنه لا يقرن إلا بالشراء الحقيقي، فبين إرادة المجاز وبينه منافاة؟ وخلاصة الجواب: أنهم إذا أرادوا المبالغة في الاستعارة بنوا كلامهم على حديث المستعار منه، كأنهم نسوا حديث التشبيه والاستعارة، فلم يخطر به ببالهم.

(٣) قوله: (من الصنعة البديعة) العربية المستحسنة، وليس المراد أنه من الصيغة المذكورة، وعلم البديع كما ظن بعض الفضلاء، وتبعه الطيبي في ذلك، وقالوا: إن الترشيح، وإن كان يبحث عنه في البيان؛ لأنه من المستحسنات البديعية لا من الدلالات الالتزامية إلى آخر ما ذكره، إذ لو كان مراده ذلك، لقال: من الصيغة البديعية.

(١٤٢/١)

وذلك نحو قول العرب في البليد: كأن أذني قلبه خطلا، وإن جعلوه (١) كالحمار، ثم رشحوا ذلك روما لتحقيق البلادة، فادعوا لقلبه أذنين، وادعوا لهما الخطل، ليمثلوا البلادة تمثيلا يلحقها ببلادة الحمار مشاهدة معينة. ونحوه:

ولما رأيت النسر عز ابن دأية** وعشش في وكره جاش له صدري (٢)

(١) قوله: (جعلوه أي: البليد كالحمار)، ظاهره يؤذن بأن المشبه هو الشخص البليد، والمشبه به هو قلبه، ولكنه في الحقيقة يعود إليه معنى، فلذلك قال: جعلوه كالحمار، وإنما ذكر القلب، وأريد به الشخص؛ لأن القلب محل الفهم والذكاء، والاستعارة التي في الأذن تخيلية، وفي القلب مكنية، شبه قلب البليد بالحمار في البلادة

تشبيها بليغا ، ثم أخذ الوهم في تصويره بصورة الحمار بعينه ، واختراع ما يلزم صورته من الأذنين ثم أطلق على ذلك المخترع المتوهم اسم المحقق ، وإليه الإشارة بقوله : فادعوا لقلبه أذنين ، وجعلت القرينة أضافتها إلى القلب .
وقوله : (خطا وإن) ترشيح لهذه الاستعارة ، لئن ذلك الخطل متفرع على إثبات الأذنين المستعارتين ، وإليه الإشارة بقوله : (وادعوا لهما الخطل) تقدير الكلام أذنا قلبه كأنهما خطلاوان ، والخطل : الاسترخاء ، والفاء في فادعوا مثلها في قوله تعالى : { فتوبوا إلى بارئكم فاقتلوا أنفسكم } لأن قوله (فادعوا) إلى آخره عين قوله : (جعلوه كالحمار) كما أن القتل عين التوبة ، ومشاهدة : معاينة ، حالان مترادفتان لا متداخلتان .

(٢) قوله:

(ولما رأيت النسـر عز ابن داية***وعشش في وكره جاش له صدري)

ومعنى عز : غلب ، وابن داية : هو الغراب ، سمي بذلك لوقوعه على داية البغير وأكله منها ، وهي فقاره ، فإنها تغذوه ، كما تغذوا الأم ولدها ، استعار للشيب اسم النسـر ، وللشعر الأسود اسم الغراب ، ورشحهما بالوكرين ، وبالتعشيش أيضا ، وهو اتخذ العش ، والفتاك : جمع فاتك ، وهو الجريء .
(١٤٣/١)

لما شبه الشيب بالنسر، والشعر الفاحم بالغراب، أتبعه ذكر التعشيش والوكر. ونحوه قول بعض فتاكهم في أمه:

فما أم الردين وإن أدلت***بعالمة بأخلاق الكرام
إذا الشيطان قصع في قفاها***تنفقناه بالحبل التوام(١)

(١) قوله:

(فما أم الردين وإن أدلت***بعالمة بأخلاق الكرام
إذا الشيطان قصع في قفاها***تنفقناه بالحبل التوام)
أدلت : من الأدلال ، أراد أنها لا تحفظ حد الإدلال ، والقاصعاء : الطريق المستوي ،

وهي إحدى جحرة اليربوع ، والنافقاء : موضع يرفقه ولا ينفذه مخافة أن يقف عليه الصائد ، فإذا طلب من القاصعاء خرج من النافقاء ، برأسه ، ومنه سمي المنافق ؛ لأنه

يخرج من الإسلام من غير الوجه الذي دخل منه فيه ، وإنما جاء بالتقصيع مشيرا إلى أن الاستسعار في قصع بنعنه ، ورشح الاستعارة بأن ضم التنعيق إليها ، وإنما قال : في قفاها ؛ لأن سوء الخلق من الحمق ، والحمق ينسب إلى القفا ، يقال : فلان عريض القفا ، وفيه أنها مبالغة في سوء الخلق بعيدة النزوع عنه ، وأنه كالخارش الماهر حيث يعلم استخراج الضب من مكانه بلطائف الحيل .

(١٤٤/١)

أي إذا دخل الشيطان في قفاها استخرجناه من نافقائه بالحبل المشنى المحكم. يريد: إذا حردت وأساءت الخلق اجتهدنا في إزالة غضبها وإمالة ما يسوء من خلقها. استعار التقصيع أولا، ثم ضم إليه التنفق، ثم الحبل التوام. فكذلك لما ذكر سبحانه الشراء أتبعه ما يشاكله ويواخيه وما يكمل ويتم بانضمامه إليه، تمثيلا لخسارهم وتصويرا لحقيقته. فإن قلت: فما معنى قوله { فما ربحت تجارتهم وما كانوا مهتدين } (١).

(١) قوله: (فما معنى قوله { فما ربحت تجارتهم وما كانوا مهتدين }) يعني : هب أنك حملت { فما ربحت تجارتهم } على الترشيح ، لكونه ملائما للمستعار منه ، فما معنى قوله : { وما كانوا مهتدين } فإنه معطوف عليه ، ولا يصلح أن يكون ترشيحا ؛ لأنه غير ملائم للمستعار ، قال الطيبي : وأجاب بأنه ولو لم يصلح أن يكون ترشيحا للاستعارة ، لكنه يصلح أن يكون تجريدا لها ، لأنه بحيث يحسن أن يوصف التاجر الحقيقي بأنه ليس مهتد بالطريق التجارة ، فما أن مطلوب التجار في متصرفاتهم الربح ، كذلك مظنونهم سلامة رأس المال ، ولا يسلم رأس المال إلا بمعرفة طرق التجارة ، وهاهنا رأس مالهم التمكن على الهدى ، والربح حصول الفلاح في الآجل ، وحيث لم يبق في أيديهم إلا

الضلال فقد أضاعوا الطلبتين ، ولأجل أن السؤال عن معنى اقتران التقرينتين يجب أن يقال : قوله { وما كانوا مهتدين } لطرق التجارة عطف على قوله : لم يوصفوا لي مطابق الجواب السؤال ، فإن قلت : لو كان { وما كانوا مهتدين } تجريدا للاستعارة لم قدر مهتدين لطرق التجارة ؟ قلت : ليرشدك إلى اكتساب المعطوف من المعطوف عليه معناه بحسب

المقام ، هذا وفيما قاله نظر ؛ لأن التجريد إنما يكون حيث تكون الصفة المذكورة ملائمة للمستعار له فقط ، والاهتداء كما يلائم المستعار له يلائم المستعار منه ، وأيضا في قوله : يصلح أن تكون تجريدا . بأنه يحسن أن يوصف الآخر الحقيقي بأنه ليس

مهتديا نظر ؛ لأن قوله : لأنه يحسن .. إلى آخره . علة لصلاحية التجريد ، وليس بعلة له ، بل هو علة للترشيح فلي تأمل .
(١٤٥/١)

قلت : معناه أن الذي يطلبه التجار في متصرفاتهم شيئان : سلامة رأس المال ، والربح . وهؤلاء قد أضاعوا الطلبتين معا ، لأن رأس مالهم كان هو الهدى ، فلم يبق لهم مع الضلالة . وحين لم يبق في أيديهم إلا الضلالة ، لم يوصفوا بإصابة الريح . وإن ظفروا بما ظفروا به من الأغراض الدنيوية ؛ لأن الضال خاسر دامر (١) ، ولأنه لا يقال لمن لم يسلم له رأس ماله : قد ربح ، وما كانوا مهتدين لطرق التجارة كما يكون التجار المتصرفون العالمون بما يربح فيه ويخسر .

{ مثلهم كمثل الذي استوقد نارا فلما أضاءت ما ¼م!s&qxm ذهب الله بنورهم
Nكgx.uch?ur

في ظلمات لا tbrم١١٦م17) f صم بكم عمي فهم لا يرجعون (١٨) }

(١) قوله : (لأن الضال خاسر دامر) تعليل لقوله : (لم يوصفوا بإصابة الريح) وقوله : ولأنه لا يقال : عطف على التعليل ، يعني أن قوله { فما ربحت تجارتهم } إما أن يحمل على الخسران ، أو على عدم الريح ، وإلى الأول أشار بقوله : (إن الضال خاسر دامر) وإلى الثاني بقوله : (لأنه لا يقال لمن لم يسلم له) إلى آخره ؛ لأنه لا يصح عرفا أن

يقال لمن ضيع رأس ماله : إنه ما ربح ، كما يصح أن يقال : إنه خاسر ، ثم في تخصيص ذكر نفي الربح لطيفة ، وهي تصوير خيبتهم ، وتحصيل فوت مطلبهم ، وفي انضمام { وما كانوا مهتدين } إليه تجهيل أمرهم ، وتسفيه رأيهم ، وسلب رشدهم .

(١٤٦/١)

لما جاء بحقيقة صفتهم (١) عقبها بضرب المثل زيادة في الكشف وتتميمًا للبيان . ولضرب العرب الأمثال واستحضار العلماء المثل والنظائر - شأن ليس بالخفي في إبراز خبيات المعاني ، ورفع الأستار عن الحقائق ، حتى تريك المتخيل في صورة المحقق ، والمتوهم في معرض المتيقن ، والغائب كأنه مشاهد . وفيه تبكيت للخصم الألد ، وقمع لسورة الجامع الأبي ، ولأمر ما أكثر الله في كتابه المبين وفي سائر كتبه أمثاله ، وفشت في كلام رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وكلام الأنبياء والحكماء . قال الله تعالى : {

وتلك الأمثال نضربها للناس وما يعقلها إلا العالمون { (العنكبوت: ٤٣) ومن سور الإنجيل سورة الأمثال. والمثل في أصل كلامهم: بمعنى المثل، وهو النظر. يقال: مثل ومثل ومثيل، كشبه وشبه وشبيه. ثم قيل للقول السائر (٢) الممثل مضربه بمورده: مثل.

(١) قوله: (لما جاء بحقيقة صفتهم) أراد أن قوله تعالى : { ومن الناس من يقول { إلى هاهنا . جار مجرى الصفات الكاشفة عن حقيقة المنافقين ، فلما فرغ منها عقبها ببيان تصوير تلك الحقيقة ، وإبرازها في معرض المشاهد المحسوس بينهما للبيان ، فإن التمثيل إنما يصار إليه لرفع الحجاب عن المعنى الممثل لتبرزه في معرض المشاهد ليساعد فيه الوهم العقل ، ويوافقه عليه ، فإن المعنى الصرف إنما يدركه العقل مع منازعة من الوهم ؛ لأن من طبعه الميل إلى الخفي ، وحب المحاكاة ، ولذلك شاعت الأمثال ، والتبكيك : إسكات الخصم بالحجة حتى يعجز عن الجواب .

(٢) قوله: (ثم قيل للقول السائر) أي : ثم نقل هذا المعنى إلى القول السائر ، أي :

المشهور الدائر بين الناس ، الذي هو كالعلم للتشبيه ، ولأجل كونه كالعلم للتشبيه يحمى عن التغيير ، ومورد المثل هو الحال التي صدر فيه المثل عن مرسله ومضربه الحال التي شبهت بها ، فمعنى الممثل مضربه بمورده ، والمثبه حال مضربه بحال مورده .

(١٤٧/١)

ولم يضربوا مثلاً ، ولا رأوه أهلاً للتسيير ، ولا جديراً بالتداول والقبول ، إلا قولاً فيه غرابة من بعض الوجوه. ومن ثم حوفظ عليه وحمل من التغيير. فإن قلت: ما معنى مثلهم (١) كمثل الذي استوقد ناراً، وما مثل المنافقين ومثل الذي استوقد ناراً حتى شبه أحد المثلين بصاحبه؟ قلت: قد استعير المثل استعارة الأسد للمقدام، للحال أو الصفة أو القصة، إذا كان لها شأن (٢) وفيها غرابة، كأنه قيل: حالهم العجيبة الشأن كحال الذي استوقد ناراً. وكذلك قوله: { مثل الجنة التي وعد المتقون { (الرعد: ٣٥) أي وفيما قصصنا عليك من العجائب: قصة الجنة العجيبة. ثم أخذ في بيان عجائبها. }

(١) قوله: (ما معنى مثلهم) أي : قال { مثلهم كمثل الذي استوقد ناراً) والمثل : إما بمعنى النظر ، لغة ، أو بمعنى القول السائر اصطلاحاً ، وأين ذلك النظر ؟ أم أين القول السائر حتى يشبه أحدهما بالآخر ، وقوله : (وما مثل المنافقين) عطف على تفسيري على قوله : ما معنى ، وخلاصة الجواب أن المثل بعد النقل استعير لمعنى الحال ،

والقصة فهو مجاز بعد النقل .

(٢) قوله: (إذا كان له شأن) قيل : إذا في أكثر النسخ مغير بإسقاط الالف ، ولا حاجة إليه ؛ لأن إذا أيضا يرد لمجرد الظرفية ، فلا بأس أن تعمل قد استعير فيه وإن كان للمضي ، قال صاحب الت ... قال الإمام ال ... فأوصيت جار الله في قوله تعالى : { والنجم إذا هوى } ما العامل في الظرف أعني إذا ، فقال العامل فيه ما تعلق به الواو ، فقلت : كيف تعمل أفعل الحال في المستقبل ، وهذا لأن معناه أقسم الآن ، وليس معناه أقسم بعد هذا يرجع ، وقال العامل فيه مصدر محذوف ، وتقديره وهو ى النجم إذا انهوى ، فعرضته على زين المشائخ فلم يستحسن قوله الثاني ، و الوجه أن ذا قد انسلخ عنه معنى الاستقبال ، وصار للوقت المجرد ، ونحوه آتيك إذا احمر البسر ؛ لأن معناه آتيك وقت احمراره ، فقد عري عن معنى الاستقبال ؛ لأنه وقت ألغيته ... بقوله : آتيك . (١٤٨/١)

ولله المثل الأعلى { (النحل : ٦٠) : أي الوصف الذي له شأن من العظمة والجلالة . } مثلهم في التوراة { (الفتح : ٢٩) أي صفتهم وشأنهم المتعجب منه . ولما في المثل من معنى الغرابة قالوا: فلان مثله في الخير والشر(١) ،

(١) قوله: (مثله في الخير والشر) الجار المجرور يتعلقان بقالوا : لا بمثله ، وفاشتقوا عطف على قالوا على التعقيب ، عطف على فأقبلوا علي فتوبوا .

قوله : { وخضتم كالذي خاضوا } فهذا إذا جعل ضمير الفاعل للذي ، المعنى خضتم مشبهين الذين خاضوا ، أو خوضا بمثل خوض الذين خاضوا ، وإذا جعل العائد محذوفا فالذي على بابه أي وخضتم خوضا مثل الذي خاضوه ، ونهكوه . بالكسر صح عن نسخة المصنف ، ومعناه

أضعفوه من نهله المرض إذا أضناه ، وتوجيه السؤال الذي أورده على نفسه أن يقال : إنكم قلتم : إن الذي يجيء بمعنى الذين ، وأنتم تقولون : الألف واللام في القائم بمعنى الذي ، فلم لم يقل القائم ، ويراد به القائمون ؟ فأجاب عنه بجوابين ثانيهما : أن الذي كما يصلح للمفرد يصلح للجمع أيضا كسائر الموصولات ، نحو من ، وما ، وغيرهما ، فلما ألحق به الياء والنون اختصر بالجمع ، فهذا معنى كون ذلك علامة لزيادة الدلالة ، وليس كذلك سائر الأسماء المشتقة إلى جمعت بالواو والنون ؛ لأنها بدونهما

لا تصلح للجمع .

(١٤٩/١)

فاشتقوا منه صفة للعجيب الشأن. فإن قلت: كيف مثلت الجماعة بالواحد؟ قلت: وضع الذي موضع الذين، كقوله: { وخضتم كالذي خاضوا } (التوبة: ٦٩) والذي سوغ وضع الذي موضع

الذين، ولم يجز وضع القائم موضع القائمين ولا نحوه من الصفات أمران: أحدهما: أن "الذي" لكونه وصلة إلى وصف كل معرفة بجمله، وتكاثر وقوعه في كلامهم، وكونه مستطالا بصلته، حقيق بالتخفيف، ولذلك نهكوه بالحذف فحذفوا ياءه ثم كسرتة ثم اقتصروا به على اللام وحدها في أسماء الفاعلين والمفعولين. والثاني: أن جمعه ليس بمنزلة جمع غيره بالواو والنون. وإنما ذاك علامة لزيادة الدلالة. ألا ترى أن سائر الموصولات لفظ الجمع، والواحد فيهن واحد. أو قصد جنس المستوقدين. أو أريد الجمع أو الفوج الذي استوقد نارا. على أن المنافقين وذواتهم لم يشبهوا(١)

(١) قوله: (على أن المنافقين وذواتهم لم يشبهوا) هذا هو الحق ، أي : ليس التشبيه

عموما التشبيهات المفرقة التي يجب أن يتكلف التوافق بين مفرداتها ، بل هو من التشبيهات المركبة التي يكون الوجه فيهما منتزعا من عدة أمور متوهمة ، فعلى هذا معنى الذي وارد على انعداده ، وإن كان الذوات المضاف إليه المشبه جمعا ، كما أن الحمار والمغشي عليه مفردان ، مع أن المضاف إليه المشبه في كل واحد من الآيتين جمع ، وذواتهم في أكثر النسخ بالتاء المكسورة ، وفي بعضها بالفتح المعرب .

ذو : بمعنى الصاحب يقتضي المكسور شيئين موصوفا ومضافا إليه ، هذا أصل الكلمة ، ثم اقتطعوا عنها مقتضيتها ، وأجروها مجرى الأسماء التامة المستقلة بأنفسها غير مقتضية لما سواها ، فقال : ذات قرينة ، أو محدثة ، ونسبوا إليها كما هي من غير تعيين علامة التأنيث ، فقالوا : الصفات الذاتية ، واستعملوها استعمال النفس ، والشيء . وعن أبي سعيد : كل شيء ذات ، وكل ذات شيء ، وفي الكواشي : بناتكم جمع بنت ، فلام الكلمة محذوف ، والتاء عوض منه ، وليست بتاء تأنيث ؛ لأن التأنيث لا يسكن ما قبلها ، ومع ذلك فتسكين تاء التأنيث في حالة النصب تشبيها لها بما في آخره تاء التأنيث ،

كمسلمات ، إلا يونس فإنه يقول : تأنيك بناتك صح فتحا بجعلها كالتاء الأصلية .

(١٥٠/١)

بذات المستوقد حتى يلزم منه تشبيه الجماعة بالواحد؛ إنما شبهت قصتهم بقصة المستوقد. ونحوه قوله: { مثل الذين حملوا التوراة ثم لم يحملوها كمثل الحمار يحمل أسفارا { (الجمعة: ٥)، وقوله: { ينظرون إليك نظر المغشي عليه من الموت { (محمد: ٢٠). ووقود النار: سطوعها وارتفاع لهبها. ومن أخواته: وقل في الجبل إذا صعد وعلا، والنار: جوهر لطيف مضيء حار محرق. والنور: ضوءها وضوء كل نير، وهو نقيض الظلمة. واشتقاقها من نار ينور إذا نفر؛ لأن فيها حركة واضطرابا، والنور مشتق منها. والإضاءة: فرط الإنارة. ومصدق ذلك قوله: { هو الذي جعل الشمس ضياء

(١٥١/١)

والقمر نورا { (يونس: ٥)، وهي في الآية متعدية. ويحتمل أن تكون غير متعدية مسندة إلى ما حوله. والتأنيث للحمل على المعنى؛ لأن ما حول المستوقد أماكن وأشياء. وبعضه قراءة ابن أبي عبلة "ضاءت". وفيه وجه آخر، وهو أن يستتر في الفعل ضمير النار. ويجعل إشراق ضوء النار حوله بمنزلة إشراق النار نفسها، على أن ما مزيدة أو موصولة في معنى الأمكنة. و { حوله { نصب على الظرف وتأليفه للدوران والإطافة. وقيل للعام: حول؛ لأنه يدور. فإن قلت: أين جواب لما؟ قلت: فيه وجهان: أحدهما أن جوابه { ذهب الله بنورهم { . والثاني: أنه محذوف كما حذف في قوله: { فلما ذهبوا به { (يوسف: ١٥). وإنما جاز حذفه لاستطالة الكلام مع أمن الإلباس للدال عليه، وكان الحذف أولى من الإثبات لما فيه من الوجازة، مع الإعراب عن الصفة التي حصل عليها المستوقد بما هو أبلغ من اللفظ في أداء المعنى (١)، كأنه قيل: فلما أضاءت ما حوله خمدت فبقوا خابطين في ظلام، متحيرين متحسرين على فوت الضوء، خائبين بعد الكدح في إحياء النار. فإن قلت: فإذا قدر الجواب محذوفا فبم يتعلق { ذهب الله بنورهم { ؟ قلت: يكون كلاما

مستأنفا. كأنهم لما شبهت حالهم بحال المستوقد الذي طفئت ناره، اعترض سائل فقال: ما بالهم قد أشبهت حالهم حال هذا المستوقد؟ فقليل له: ذهب الله بنورهم.

(١) قوله: (بما هو أبلغ من اللفظ في أداء المعنى) لأنه لو لفظ بالجواب لأوهم الاقتصار عليه، ولما حذف أشعر بأن الأمر بلغ خمن الشدة والفظاعة إلى ما لا يدخل تحت الوصف، وهذا من السحر البياني؛ لأنه يوصل بالإيجاز إلى ما لا يتوصل إليه بالاطناب، والكدح مستفاد من السين في استوقد.

أو يكون بدلا من جملة التمثيل على سبيل البيان (١). فإن قلت: قد رجع الضمير في هذا الوجه (٢)

(١) قوله: (أو يكون بدلا من جملة التمثيل على سبيل البيان) قيل : أن يكون تفسير المجموع قوله { مثلهم كمثل الذي استوقد نارا فلما أضاءت ما حوله } خمدت فبقوا متحربين متحسين ، لأن حاصله وتلخيصه ذهب الله بنورهم ، وتركهم في ظلمات لا يبصرون ، والبديل كما علم كالبيان ، والتفسير للمبدل منه ، وقيل : أريد بعلى سبيل البيان أن المبدل منه باق ، وليس في حكم المنحى في عطف البيان .

(٢) قوله: (في هذا الوجه) أراد بهذا الوجه أن يكون الجواب محذوفا لأن كلامه في هذا الوجه ، وهو يشمل الاستئناف ، والبيان .

وقوله (في الوجه الثاني) يريد به أن يكون { ذهب الله بنورهم } هو الجواب للما ، فإنه يتعين بهذا الوجه عود الضمير إلى الذي ، وهو مفرد ، ولا بأس بتسميته بالوجه الثاني ، وإن ذكر أولا ، لأن كل واحد من الوجهين ثان لصاحبه .

(١٥٣/١)

إلى المناققين فما مرجعه في الوجه الثاني؟ قلت: مرجعه الذي استوقد؛ لأنه في معنى الجمع. وأما جمع هذا الضمير وتوحيده في { حوله } ، فللحمل على اللفظ تارة، وعلى المعنى أخرى. فإن قلت: فما معنى إسناد الفعل إلى الله (١) تعالى في قوله: { ذهب الله بنورهم } ؟ قلت: إذا طفئت النار بسبب سماوي ريح أو مطر، فقد أطفأها الله تعالى وذهب بنور المستوقد. ووجه آخر،

وهو أن يكون المستوقد في هذا الوجه مستوقد نار لا يرضاها الله. ثم إما أن تكون نارا مجازية كنار الفتنة والعداوة للإسلام، وتلك النار متقاصرة مدة اشتعالها قليلة البقاء. ألا ترى إلى قوله: { كلما أوقدوا نارا للحرب أطفأها الله } (المائدة: ٦٤)، وإما نارا حقيقية أوقدها الغواة ليتوصلوا بالاستضاءة بها إلى بعض المعاصي، ويتهدوا بها في طرق العبث، فأطفأها الله وخيب أمانهم. فإن قلت: كيف صح في النار المجازية أن توصف بإضاءة ما حول المستوقد؟ قلت: هو خارج على طريقة المجاز المرشح (٢) فأحسن

تدبره. فإن قلت: هلا قيل ذهب الله بضوئهم؟ لقوله: { فلما أضاءت } ؟

(١) قوله: (فما معنى إسناد الفعل إلى الله) دلت أيضا على إنكار أن يكون { ذهب الله بنورهم } جوابا ، يعني أنه يجوز أسناد ذهاب نور المنافقين إلى الله تعالى ؛ لأنه جزاء لفعلهم ، وأما إسناد ذهاب نور المستوقد من الله ، فلا يجوز لكونه عبثا ، وتلخيص الجواب ان الاسناد في قوله { ذهب الله بنورهم } إذا جعل مجاز نحو أن يحمل قوله { الذي استوقد نارا } أوقدها بعض الناس للانتفاع بها من نحو الاستدفاء بها ، والاستضاءة ونحوهما ، وإذا جعل الاسناد حقيقة احتمل ان يراد بالنار نار الفتنة ، وأن يراد نار حقيقة ، أوقدها بعض الغواة ، بناء على أن اطفاء نحو ذلك مستحسن .

(٢) قوله: (المجاز المرشح) أراد أنه لما استعار لإثارة الفتنة لفظ النار فقاها بالاضاءة ، فإنها صفة ملائمة لها .

(١٥٤/١)

قلت: ذكر النور أبلغ؛ لأن الضوء فيه دلالة على الزيادة. فلو قيل: ذهب الله بضوئهم، لأوهم الذهاب بالزيادة وبقاء ما يسمى نورا، والغرض إزالة النور(١) عنهم رأسا وطمسه أصلا. ألا ترى كيف ذكر عقيبه(٢) {

(١) قوله: (والغرض إزالة النور) والحاصل أن نفي القليل يوجب نفي الكثير ، دون العكس ، وفي معناه : { ولا تقل لهما أف ولا تنهرهما } قال صاحب الق ... الدائر : هذا غير

صحيح ، فإننا تصفحنا كتب اللغة فلم نجدها شاهدة لما ذكر ، ولا الاصطلاح العرفي مساعدا له ، وقال ابن السكيت : يظنه بالاجماع في كتاب اصلاح المنطق في باب فع لوفعل بكسر الفاء وضمها مع سكون العين باختلاف المعنى ، النير علم للبدر والنور أيضا فجعلها شيئا واحدا ، وليس في قوله تعالى : { هو الذي جعل الشمس ضياء والقمر نورا } ما يدل على الاختلاف ، والجواب عن قوله : إن ابن السكيت جعلهما شيئا واحدا ، هو أن ابن السكيت بين معناه الحقيقي [٧٠٤] بحسب الوضع لا الاستعمال ، وهذا الاعتبار إنما هو بحسب الاستعمال ، وفي الأساس : فلان أضواء الشمس ، وأنور من البدر ، وأما قوله { ليس من قوله تعالى { هو الذي جعل الشمس ضياء } الآية ما يدل على الاختلاف ، فيقال له : ألا تقابل الآية بقوله تعالى { فمحونا آية الليل وجعلنا آية النهار مبصرة } وقوله { وجعل القمر فيهن نورا وجعل الشمس سراجا } حتى يعلم الاختلاف للاستعمال .

(٢) قوله: (ألا ترى كيف ذكر عقبيه) وكيف جمعها ، وكيف نكرها ، كرر كيف ليؤذن باستقلال كل واحد من المذكورات ، فيما قصد إليه ، أي : هي ظلمات متكاثفة بتتابع القطر ، وظلمة غمامه ، مع ظلمة الليل ، وهي ظلمات لا يكتنه كنهها ، ثم قوله : { لا يبصرون } كالتميم ، والايغال كقولها : كأنه علم في رأسه نار) وجعله من قبيل : فلان يعطي ويمنع حيث يجعل لازما ..
(١٥٥/١)

وتركهم في ظلمات { والظلمة عبارة عن عدم النور وانطماسه، وكيف جمعها، وكيف نكرها، وكيف أتبعها ما يدل على أنها ظلمة مبهمة لا يتراءى فيها شبحان وهو قوله: { لا يبصرون } . فإن قلت: فلم وصفت بالإضاءة(١)؟

(١) قوله: (فلم وصفت بالإضاءة) الفاء تدل على إنكار على الكلام السابق ، مبنى سؤال السابق ، هلا قيل : ذهب الله بضوءهم . هو أن المجاورة به بين صدر الكلام وعجزه مطلوبة ، فلما قيل : أضاءت فالمناسب أن يقال : بضوئهم ليكون من باب رد العجز على

الصدر ، وأجاب عنه : بأن مراعاة تلك النسبة ، وهي إزالة النور بالكلية اقتضت المخالفة ، ثم سأل ثانيا منكر : فلم وصفت بالإضاءة ؟ يعني إذ كان الغرض إزالة النور بالكلية ، وأنه لو قيل : ذهب الله بضوئهم لم يحصل الغرض فما الذي أوجب وصف النار بالإضاءة ، يعني : إذا كان الغرض إزالة النور دون الإنارة ، إذ لو قيل : فلما أنارت ما حوله لحصل المقصود أيضا ، وتجاوب النظم ، وأجاب ما معناه : أنه أدمج في الكلام معنى الباطل ، وتحريره أن سياق الكلام كان في إثبات ضوء أو نور كيف ما كان ثم إزالته ليحصل التمثيل ، ففي إيراده على هذه الطريقة إشعار بمعنى البطلان أيضا ، فإنه ثبت وتقرر قوة أمر الباطل في بدء الحال ثم اضمحلاله سريعا في المآل ، فقيل : فلما أضاءت أولا ليدل على الافراط في إشراق النار ، وثانيا : ذهب بنورهم ليدل على الذهاب بالكلية ، ويكون على وزان قوله للباطل صولة ثم يضمحل ، وفي هذا التقرير إيذان بأن الواجب أن يحمل التفكير في قوله { استوقد نارا } على التعظيم والتهويل ، وأن يجعل الاسناد في أضاءت النار على المجاز كما سبق .

والنزوة : هي الطفرة ، والطماح : الشره .

(١٥٦/١)

قلت: هذا على مذهب قولهم: للباطل صولة ثم يضمحل. ولريح الضلالة عصفة ثم تخفت،
ونار

العرفج مثل لنزوة كل طماح. والفرق بين أذهبه وذهب به، أن معنى أذهبه: أزاله وجعله
ذاهبا. ويقال: ذهب به إذا استصحبه (١) ومضى به معه. وذهبت السلطان بماله: أخذه (فلما
ذهبوا به)، { إذا لذهب كل إله بما خلق { (المؤمنون: ٩١). ومنه: ذهبت به الخيلاء.
والمعنى: أخذ الله نورهم وأمسكه، { وما يمسك فلا مرسل له { (فاطر: ٢) فهو أبلغ من
الإذهاب. وقرأ اليماني: أذهب الله نورهم. وترك: بمعنى طرح وخلى، إذا علق بواحد،
كقولهم: تركه ترك ظبي ظله (٢). فإذا علق بشيئين كان مضمنا معنى صير، فيجري مجرى
أفعال القلوب كقول عنتره:
فتركته جزر السباع ينشئه (٣)

)

(١) قوله: (أن معنى أذهبه: أزاله وجعله ذاهبا. ويقال: ذهب به إذا استصحبه) وذلك لأن
الباء وإن كانت للتعدية كالهزمة ففيها معنى المصاحبة .
(٢) قوله: (تركه ترك ظبي ظله) أي : كناسه التي يستظل بها في شدة الحر ، فإذا أثاره
الصائد عنه لم يعد إليه ، أبدا يضرب مثلا لمن ترك أمرا تركا لا يعود إليه أبدا.
(٣) قوله: (فتركته جزر السباع ينشئه) تمامه (ما بين قلة رأسه والمعصم) .
وفي رواية (يقضمن حسن بنانه والمعصم) . قبله :
فشكت بالرمح الطويل بنانه*** ليس الكريم على القنا بمحرم
وروي (فتركته) والضمير للقفأ ، والجزر جمع الجزرة ، وهي الشاة التي أعدت للذبح ،
والقضم : الأكل بمقدم الأسنان ، يقول : صيرته طعمة للسباع ، أي : قتلته فجعلته عرضة
للسباع حتى تناولته وأكلته بمقدم الأسنان
(١٥٧/١)

ومنه قوله: { وتركهم في ظلمات { (١) أصله: هم في ظلمات، ثم دخل ترك فنصب الجزأين.
والظلمة عدم النور. وقيل: عرض ينافي النور. واشتقاقها من قولهم: ما ظلمك أن تفعل
كذا: أي ما منعك وشغلك، لأنها تسد البصر وتمنع الرؤية. وقرأ الحسن "ظلمات" بسكون
اللام وقرأ اليماني "في ظلمة" على التوحيد. والمفعول الساقط من { لا يبصرون { من

قبيل المتروك المطرح الذي لا يلتفت إلى إخطاره بالبال، لا من قبيل المقدّر المنوى،
كأن الفعل غير متعد أصلا، نحو { يعمهون } في قوله: { ويذرهم في طغيانهم يعمهون }
(الأعراف: ١٨٦).

(١) قوله: (ومنه: { وتركهم في ظلمات لا يبصرون } يوهّم أن تقدير الآية مقصور على هذا
الوجه دون الأول ، ولكن ذكر ابن الحاجب في الأمالي : أنه بمعنى طرح وخلي ، وأن { في
ظلمات لا يبصرون } حالان مترادفتان من المفعول ، والمصنف إنما ترك ذكر هذا الوجه
لظهوره ، وذكر الوجه الثاني لما كان متضمنا لفائدة التضمين ، وقال ابن الحاجب : {
تركهم في ظلمات لا يبصرون } كقولك صرت زيدا عالما فاضلا ؛ لأنها في معنى الإخبار ،

وكما جاز تعدد الأخبار جاز تعددها ، ويجوز أن يكون الأول هو المفعول ، والثاني حالا
من الضمير في تركهم ، أي : تركهم مستقرين في ظلمات في حال كونهم لا يبصرون ، ويجوز
أن يكون الأول حالا ، والثاني هو المفعول ، أي : صيرهم غير مبصرين في حال كونهم في
ظلمات.

(١٥٨/١)

فإن قلت: فبم شبهت حالهم بحال المستوقد(١)؟

(١) قوله: (فبم شبهت حالهم بحال المستوقد) أي : ما وجه التشبيه بين الحالين ، ثم
بين الوجه من ثلاثة أوجه ، والضمير في أنهم [٧٠٥] غب الإضاءة للمستوقد ، المراد به
الجنس ، وقيل : إن السؤال عن المشبه ، وإن الضمير للمنافقين ، وإن كان ظاهر اللفظ
يشعر بأن السؤال عن الوجه ، فعلى هذا المعنى في أي حال من أحوال المنافقين وقع
التشبه بحال المستوقد بأن حالات المنافقين فيها كثيرة كما سيق من ابتداء ذكرهم إلى
أن انتهت إلى ما نحن بصدد ، فلا بد من تخصيص بعضها بهذا التشبيه ، ولهذا وقع
الاختلاف في الجواب ، وعدد الوجوه ، ولا كذلك إذا كان السؤال عن الوجه ، ثم لو كان
السؤال عن الوجه فلا يخلو إما أن يكون هذا التشبيه مفرقا ، أو مركبا فإن كان مركبا
كان الوجه ما ذكره صاحب المفتاح رحمه الله حيث قال : وجه تشبيه المنافقين الذين
شبهوا بهم في الآية هو رفع الطمع إلى تيسير مطلوبهم بسبب مباشرة و ... القرينة مع
تعقيب الحرمان والخيبة ، لا نقلاّب الأسباب ، ولكن في الأجوبة التي ذكرها المصنف شيء
من ذلك .

وأما إذا كان مفرقا فالوجه في رعاية الظهور فلا يحتاج إلى السؤال والجواب كما في بيت امرئ القيس :

كأن قلوب الطير رطبا ويابساً***لدى وكرها العناب والحشف البالي

لأن الوجه فيه متعدد ، بحسب تعدد المشبه والمشبه به ، واستخراجه سهل على أن السؤال على الوجه إنما يحسن إذا تبين الطرفان ، وهاهنا المشبه غير معلوم لأن في قوله { مثلهم كمثل الذي استوقد نارا } المشبه مثلهم ، وليس فيه ظاهر ما يصح أن يقابل ما في

المشبه به ، فوجب السؤال عنه ، ومثل هذه المعنى أورد في التمثيل الثاني ، قد شبه المنافق في التمثيل الأول بالمستوقد نارا ، وإظهاره الإيمان بالإضاءة ، وانقطاع انتفاعه بانطفاء النار ، فما ذا شبه في التمثيل الثاني بالصيب والظلمات ، ثم أعرض عن هذا السؤال بقوله : والصحيح أن التمثيلين من التمثيلات المركبة ، وأما بيان أن الاختلاف في الجواب دل على المدعى هو أن قوله : أنهم في غب الإضاءة تخبطوا في ظلمة وتورطوا في حيرة لا يصلح أن يكون وجهها في التشبيه المركب ، والمفرق لما تقرر أن الوجه أمر مشترك يعم الطرفين ، وهاهنا ، ليس كذلك ، لأنه لا يخلو إما أن تكون الإضاءة حقيقة أو مجازا ، فإن كان حقيقة فتختص بالمستوقد ، وإن كان مجازا فبالمنافق ، وعلى التقديرين لا يكون مشتركا ، فلا يكون وجهها ، فيجب حملها على أحدهما ، فخصصناه بالمنافقين على المجاز ، ليكون مشبها ، فيرد عليه سؤال ، وأين أضاءه في حال المنافق ، وينطبق عليه الجواب المراد ما استضاوته قليلا من الانتفاع بالكلمة المجرة على ألسنتهم . إلى آخره . فإنه في بيان مجاز المشبه ، وأما الجوابان الأخيران فدليلان قاطعان على ما قصدناه لبيان الثاني أن المشبه بالاستضاءة هو انتفاعهم بالمشاركة ، والاعفاء عن المحاربة ، والاحتساب إليهم ، واعطاءهم الحظوظ من المغنم ، وبذهاب الله بنورهم المستوقد إذهاب الله ذلك الانتفاع تنكشف أسرارهم ، وافتضاحهم بين المؤمنين باطلاعهم على أفعالهم ، فيكون الاطلاع على النفاق مترتبا على الانتفاع ، كما أن الذهاب مترتب على الإضاءة في حال المستوقد ، ويفارق هذا الوجه الأول في إرادة معنى { ذهب الله بنورهم } دون الإضاءة والانتفاع ، فإن المراد بالإضاءة في الوجهين الانتفاع بالكلمة المجرة على ألسنتهم ، وبالاذهاب في الأول ظلمة العقاب ، وفي الثاني اطلاع الله المؤمنين على أسرارهم ، وبيان الوجه الثالث : هو أن المشبه

بالاستضاءة هو الانتفاع المذكور بالاذهاب الطبع المراد به منع الألفاظ ، وتركهم على ما هم عليه فصح التشبيه هذا على تقدير أن يكون { ذهب الله بنورهم } جزاء للشرط ،

وأما إذا قدر الجزء محذوفاً يكون دلالة { ذهب الله } على هذا المعنى دلالة الغائب على المنوب
(١٥٩/١)

قلت: في أنهم غب الإضاءة خبطوا في ظلمة وتورطوا في حيرة. فإن قلت: وأين الإضاءة في حال المنافق؟ وهل هو أبداً إلا حائر خابط في ظلماء الكفر؟ قلت: المراد ما استضاءوا به قليلاً من الانتفاع بالكلمة المجرة على ألسنتهم، ووراء استضاءتهم بنور هذه الكلمة ظلمة النفاق التي ترمي بهم إلى ظلمة سخط الله وظلمة العقاب السرمد. ويجوز أن يشبه بذهاب الله بنور المستوقد اطلاع الله على أسرارهم وما افتضحوا به بين المؤمنين واتسموا به من سمة النفاق. والأوجه أن يراد الطبع (١)، لقوله: { صم بكم عمي } . وفي الآية تفسير آخر (٢): وهو أنهم لما وصفوا بأنهم اشتروا الضلالة بالهدى، عقب ذلك بهذا التمثيل ليمثل هداهم الذي باعوه بالنار المضيئة ما حول المستوقد، والضلالة التي اشتروها وطبع بها على قلوبهم بذهاب الله بنورهم وتركه إياهم في الظلمات. وتنكير النار للتعظيم. كانت حواسهم سليمة ولكن لما سدوا عن الإصاغة إلى الحق مسامعهم، وأبوا أن ينطقوا به ألسنتهم، وأن ينظروا ويتبصروا بعيونهم جعلوا كأنما أيفت (٣) مشاعرهم وانتقضت بناها التي بنيت عليها للإحساس والإدراك كقوله:

(١) قوله: (والأوجه أن يراد الطبع) وذلك لأن قوله { صم بكم عمي } وقع استئناف لبيان الموجب .

(٢) قوله: (وفي الآية تفسير آخر) يقوي أن تقدير السؤال في حالة من حالات المنافقين وقع التشبيه ، وقال الطيبي : وتقريره أن تلك الأجوبة كانت مبينة على أن المراد من الحال المسؤول عنها ما يعلم من تفسيره .

(٣) قوله: (يخادعون الله) حيث قال : كانت صورة صنيعهم . إلى آخره ، وهذا الجواب

مبني على أن الحال التي وقع التشبيه فيها في قوله { أولئك الذين اشتروا الضلالة بالهدى } ولهذا صرح بالمشبه ، والمشبه به ليمثل هداهم الذي باعوه بالنار المضيئة ، ومعنى (أيفت بناها) أصيبت بالآفة .

(١٦٠/١)

صم إذا سمعوا خيرا ذكرت به*** وإن ذكرت بسوء عندهم أذنوا(١)

أصم عما ساء سمع(٢)

أصم عن الشيء الذي لا أريده**** وأسمع خلق الله حين أريد(٣)

فأصبحت عمرا وأعميته*** عن الجود والفخر يوم الفخار(٤)

(١) قوله: (صم إذا سمعوا خيرا ذكرت به*** وإن ذكرت بسوء عندهم أذنوا)

[٧٠٦] البيت لققيب ، وقبله

إن يسمعوا ربة طاروا بها فرحا*** مني وما سمعوا من صالح دفنوا

يقول : هم صم إذا ذكرت بخير ، بمعنى أنهم لا يستطيعون سماع ذكر خيري ، أو سماع الخير لي لما انطوا عليه من الحقد والحسد ، وإن ذكرت عندهم بسوء أصغوا إليه فرحا به .

(٢) قوله: (أصم عما ساء سمع) أراد أنه أصم عن الذي أحزنه ، سمع في نفس الأمر ، أو سمع ما سره .

(٣) قوله: (أصم عن الشيء الذي لا أريده**** وأسمع خلق الله حين أريد معناه واضح .

(٤) قوله: (فأصبحت عمرا وأعميته*** عن الجود والفخر يوم الفخار

يقول : وجدته أصم وأعمى عن هذين الأمرين يوم المفاخرة .

(١٦١/١)

فإن قلت: كيف طريقته(١) عند علماء البيان؟ قلت: طريقة قولهم "هم ليوث" للشجعان(٢)،

ويحور للأسخياء. إلا أن هذا في الصفات، وذاك في الأسماء، وقد جاءت الاستعارة في

الأسماء والصفات والأفعال جميعا. تقول: رأيت ليوثا، ولقيت صما عن الخير، ودجا

الإسلام. وأضاء الحق. فإن قلت: هل يسمى ما في الآية استعارة؟ قلت: مختلف فيه.

والمحققون على تسميته تشبيها بليغا لا استعارة؛ لأن المستعار له مذكور وهم

المنافقون. والاستعارة إنما تطلق حيث يطوى ذكر المستعار له(٣)،

(١) قوله: (كيف طريقته) توجيه السؤال ان يقال : إنك قلت إن قوله { صم بكم عمي } ليس

على ظاهرها لأن حواسهم كانت سليمة ، وأنها محمولة على تلك المعاني ، وأي أسلوب هو في علم البيان ؟ فأجاب بأنه من باب التشبيه لا الاستعارة ؛ لأن شرط الاستعارة ذكر أحد الطرفين فقط ، والطرفان هنا مذكوران باعتبار أن المطوى ذكره في حكم المنطوق لعدم استقلال الكلام دونه .

(٢) قوله: ("هم ليوث" للشجعان) يعني انه من التشبيه المحذوف أدواته ووجهه ، وإنما افترقا من حيث الاسم والصفة ، فكما جاءت الاستعارة على الاضافة في أسماء الأجناس ، وعلى التبعية في الصفات ، والأفعال ، كذلك جاء التشبيه ؛ لأن الاستعارة متفرعة على التشبيه .

وقوله ([رأيت] ليوثا ، ولقيت صما [عن الخير] ودجا الحق ، بمعنى كبر وقوي وأضاء الحق . استعارة لا تشبيهات ، فإذا جاز مثل هذا في الفرع ففي الأصل أولى ، وإنما سمي تشبيها بليغا لحذف أداة التشبيه ، ووجهه الموجب للحمل والعموم .

(٣) قوله: (حيث يطوى ذكر المستعار له) يعني في الاستعارة المصرحة لا الممكنة ، فإنها بالعكس من ذلك يطوى فيها ذكر المستعار منه .

قوله: (ويجعل الكلام خلوا عنه صالحا لأن يراد به المنقول عنه ، والمنقول إليه) بمني على الادعاء المذكور في الاستعارة ، وإلا فمعنى الحقيقة هو المبادر إلى الفهم عند فقد القرينة ، والى الاستعارة عند وجودها ، وذلك أن المتكلم عند قصد الاستعارة يدعي أولا أن المشبه داخل في جنس المشبه به فرد بين أفراد حقيقته ، والمستعار كاللفظ المشترك الدائر بين مفهومي ، ولولا القرينة المبينة لم يعلم المراد .

(١٦٢/١)

ويجعل الكلام خلوا عنه صالحا لأن يراد به المنقول عنه والمنقول إليه، لولا دلالة الحال أو فحوى الكلام، كقول زهير:

لدى أسد شاكي السلاح مقذف*** له لبد أظفاره لم تقلم(١)

ومن ثم(٢) ترى المفلقين السحرة منهم كأنهم يتناسون التشبيه ويضربون عن توهمه صفحا. قال أبو تمام:

ويصعد حتي يظن الجهول*** بأن له حاجة في السماء(٣)
ولبعضهم:

لا تحسبوا أن في سرباله رجالا***ففيه غيث وليث مسبل مشبل(٤)

- (١) قوله: (لدى أسد شاكي السلاح مقذف***له لبد أظفاره لم تقلم
قد اجتمع في قول زهير هذا تجريد الاستعارة في قوله : شاكي السلاح ، وترشيحها في
باقي البيت ، وقد استشهد به لقيام دلالة الحال على الاستعارة ، ومعنى : شاكي السلاح
: حديده ، و الشوكة : شدة البأس ، والحد في السلاح ، وشاكي مقلوب شائك ، والمقذف :
المكتنز اللحم ، واللبد : جمع لبد ، وهي الشعر المتليد على رقبته ، ومعنى (أظفاره
لم تقلم) أن برائته لا يعتريها ضعف ، من قولهم للضعيف : إنه مقلوم الظفر .
(٢) قوله: (ومن ثم) تعليل لقوله : (ويجعل الكلام خلوا منه صالحا) لأن يراد به
المنقول عنه ، أي : حقيقة ، والمنقول إليه ، أي : ادعاء ، ولأجل أن المشبه داخل في
جنس المشبه به ، فرد من أفراد حقيقته ، يتناسون التسمية.
(٣) قوله: (ويصعد حتي يظن الجهول***بأن له حاجة في السماء
الضمير في (يصعد) لممدوح أبي تمام ، نزل سمو منزلته وارتقاءه مدارج الكمال منزلة
علوه المكاني ، واللام في يظن جواب قسم ، والبيت مثال للاستعارة
(٤) قوله: (لا تحسبوا أن في سرباله رجالا***ففيه غيث وليث مسبل مشبل

استشهد بهذا البيت على تناسي التشبيه مع الاعتراف بالأصل ، وهو التشبيه ، فإن تناسي
التشبيه قد يكون بدون الاعتراف بالأصل ، وذلك في الاستعارة ، وقد يكون مع الاعتراف
به كما في قوله

هي الشمس مسكنها في السماء***فعر الفؤاد عزاء جميلا

فلن تستطيع إليها الصعود***ولن تستطيع إليك النزولا

وكما في هذا البيت ؛ لأن المشبه مذكور باعتبار رجوع الضمير المجرور في سرباله إليه
، والمراد بالسربال : الثوب والدرع ، والمسبل : الهاطل ، من أسبل المطر إذا نزل
بدفقه ، وتكاثف ، والمسبل : دون البل ، والأسد إذا كان له شبل ، فهو أشجع منه إذا
لم يكن له كذلك ، وفي البيت لف ونشر ، وهو للمصنف ، والتسلق : التسور .

(١٦٣/١)

وليس لقائل أن يقول: طوى ذكرهم عن الجملة بحذف المبتدأ فأتسلق بذلك إلى تسميته

استعارة لأنه في حكم المنطوق به، نظيره قول من يخاطب الحجاج:

أسد علي وفي الحروب نعامة***فتخاء تنفر من صفيير الصافر(١)

إلى الهدى بعد أن باعوه، أو عن الضلالة بعد أن اشتروها، تسجيلا عليهم بالطبع (٣)، أو أراد أنهم بمنزلة المتحيرين الذين بقوا جامدين في مكانهم لا يرحون، ولا يدرون أيتقدمون أم يتأخرون؟ وكيف يرجعون (٤) إلى حيث ابتداء منه؟

}} }

هلا حملت على غزالة في الوغى*** بل كان قلبك في جناحي طائر
التقدير : أنت أسد علي ، وأنت في الحروب نعمة ، فيكون تشبيها ، والفتحاء :
المسترخية الجناح ، والصفير : المكاء ، والنعام يضرب به المثل في الجبن ، وغزالة
اسم امرأة شبيب الخارجي حاربت الحجاج لما قتل شيبا سنة ، وهزمته ، فغير بذلك ، أي
: هلا حملت على هذه المرأة إن كنت شجاعا في الحرب ، بل كان قلبك لشدة وجيبه كأنه
في جناحي طائر .

(٣) قوله: (تسجيلا عليهم بالطبع) أي : حكما عليهم به .
(٤) قوله: (وكيف يرجعون) عطف على يتقدمون أم يتأخرون .
(١٦٤/١)

ب، دم # \$ ۹ ۴ u q " حذر الموت واللہ محیط tûi حچدے " s 3 9 \$ \$ / خ (۱۹) یکاد ن -
 ڙ # \$ ۹ 9 y یخطف

Nèdu چ | ء &r/ كلما أضاء لهم مشوا فيه وإذا أظلم N خn=tzk قاموا ولو شاء الله

لذهب

بسمهم dNحج" | ء/ur&r إن الله على كل شيء قدير (٢٠) {
ثم ثنى الله (١) سبحانه في شأنهم بتمثيل آخر ليكون كشفا لحالهم بعد كشف، وإيضاحا غب
إيضاح. وكما يجب على البليغ في مظان الإجمال والإيجاز أن يجمل ويوجز؛ فكذلك الواجب
عليه في موارد التفصيل والإشباع أن يفصل ويشيع. أنشد الجاحظ:
يرمون بالحطب الطوال وتارة*** وحي الملاحظ خيفة الرقباء (٢)
ومما ثنى من التمثيل في التنزيل قوله: (وما يستوي الأعمى والبصير ولا الظلمات ولا
النور ولا الظل ولا الحرور، وما يستوي الأحياء ولا الأموات) وألا ترى (٣) إلى ذي
الرمة كيف صنع في قصيدته؟:
أذاك أم نمش بالوشي أكرعه (٤)

(١) قوله: (ثم ثنى الله) هو عطف على قوله: (عقبها يضرب المثل) والواو في قوله :
وكما يجب على البليغ الاستئناف ، والكاف في كما مرفوع المحل ، وما موصولة ، ولذلك
جيء بالفاء في الخبر ، وهو فكذلك .

(٢) قوله: (يرمون بالحطب الطوال وتارة*** وحي الملاحظ خيفة الرقباء
يصف قوما بالبلاغة ، وأنهم يطنبون في مواضع الاطناب تارة ، وتارة يوجزون في مواضع
الايجاز ، ووحى الملاحظ : نصب على المصدر ، أي وتارة يوحون وأبي حنيفة الملاحظ ،
ويشيرون إشارته .

(٣) قوله: (وألا ترى) ويروى بغير الواو ، فإذا كان بالواو فهو معطوف على ثنى ، وإذا
كان بغير الواو فهو كالبيان لما سبق .

(٤) قوله: (أذاك أم نمش بالوشي أكرعه
أذاك أم خاضب بالسي مرتعه

هذان صدرا بيتين من قصيدة ذي الرمة البائية التي مستهلها
ما بال عينيك منها الماء ينسكب . وهما:
أذاك أم نمش بالوشي أكرعه*** مسفع الخد عاد باسط ثيب
يقول : أذاك الحمار الذي مضى ذكره في القصيدة يشبه ناقتي ، أم ثور وحشي منقط أسود
الخد خارج من أرض إلى أخرى قد انتهى شبابه وأسن ، ثم لما فرغ من صفات الثور في
الآيات قال :

أذاك أم خاضب بالسي مرتعه *** أبو ثلاثين أمسى وهو منقلب
يقول : أذاك الثور يشبه ناقتي أم ظليم خاضب ، والخاضب : الذي احمرت ساقاه وأطراف
ريشه من السير على قوائمه ، بالسي : بالموضع المستوي ، أبو ثلاثين : فرخا فهو منقلب
أي : ينصرف إلى ذكره ؛ لأنه إذا انصرف إليه استر عدوه ، فقد كرر التشبيه حيث شبه
ناقته بالحمار ، ثم بالثور ، ثم بالظليم في السرعة والخفة .
(١٦٥/١)

أذاك أم خاضب بالسي مرتعه
فإن قلت: قد شبه المنافق في التمثيل الأول بالمستوقد نارا، وإظهاره الإيمان
بالإضاءة(١)،

(١) قوله: (وإظهاره الإيمان بالإضاءة) قيل : فيه نظر ، والأولى أن يقال : وإظهاره
الإيمان بالاستيقاد ، وانتفاعه بالإضاءة [٧٠٨] لأن المنافق إذا شبه بالمستوقد فعله
، وهو إظهار الإيمان يكون كالأستيقاد لا محالة ، وما يحصل له من إظهار الإيمان يكون
كالإضاءة الحاصلة من الاستيقاد ، وقيل : التحقيق هنا أن التشبه وقع في صفة
المنافقين ، وصفة المستوقدين لقوله تعالى { مثلهم كمثل الذي استوقد نارا } وصفة
المنافقين إظهار الإيمان بالكلمة التي أجراها على ألسنتهم ، وصفة المستوقدين مزاوله
الوقود ، ومحاولة الاستيقاد ، وكما أن هذه المزاوله عقبيها الإضاءة ، كذلك ذلك
الاطهار إذ حدث إجراء أحكام المسلمين عليهم فإنها منافع بمنزلة الإضاءة ، ثم كما
ترتب على تلك الإضاءة إذهاب النور بالكلية ، كذلك ترتب على هذه الإضاءة انقطاع
الانتفاع ، وهو المراد بقوله : وانقطاع انتفاعه بانطفاء تلك النار ، ولا شك أن
انقطاع الانتفاع متوقف على ثبوته ، لتقدير شبه الاظهار والاستيقاد ، والانتفاع
بالإضاءة لدلالة كلامه السابق ، وهو قوله : ما استضاءوا به قليلا من الانتفاع ، على
أن الانتفاع مشبه بالإضاءة .

وأقول : هذا التحقيق مع طوله لا يخلو عن حرازة ، بل التحقيق أن الإضاءة فعل
المستوقد باعتبار أن الاستيقاد سبب الإضاءة والايقاد فعله ، فلا بأس أن يشبه فعل
المنافق ، وهو إظهار الإيمان بالإضاءة كما أن لإظهار الإيمان فائدة ، وهي إجراء
الأحكام كذلك الإضاءة لها فوائد هي الحاملة على تحصيل الإضاءة بالايقاد .
(١٦٦/١)

وانقطاع انتفاعه بانطفاء النار، فما ذا شبه في التمثيل الثاني بالصيب وبالظلمات وبالرعد وبالبرق وبالصواعق؟ قلت: لقائل أن يقول: شبه دين الإسلام بالصيب، لأن القلوب تحيا به حياة الأرض بالمطر. وما يتعلق به (١) من شبه الكفار بالظلمات. وما فيه من الوعد والوعيد بالرعد والبرق. وما يصيب الكفرة من الأفراع والبلايا والفتن من جهة أهل الإسلام بالصواعق. والمعنى: أو كمثل ذوي صيب. والمراد كمثل قوم أخذتهم السماء على هذه الصفة فلقوا منها ما لقوا. فإن قلت: هذا تشبيه أشياء بأشياء فأين ذكر المشبهات؟ وهلا صرح به كما في قوله: { وما يستوي الأعمى والبصير (٢) } والذين آمنوا وعملوا الصالحات ولا المسيء { (غافر: ٥٨)، وفي قول امرئ القيس: كأن قلوب الطير رطبا ويابسا*** لدى وكرها العناب والحشف البالي (٣)

(١) قوله: (وما يتعلق به) مجهول ، والضمير المجرور راجع إلى الموصول ، والضمير الراجع إلى الذين غير مذكور ، والتقدير : وما يتعلق به من الشبه الواردة فيه ، والضمير في فيه ... للذين ، والمستتر في الظرف للموصول ، وفي قوله : وما فيه من الوعد والوعيد بالرعد والبرق فيه لف ونشر .

(٢) قوله: { وما يستوي الأعمى والبصير } (شبه المسيء بالأعمى ، ومن عمل صالحا بالبصير ، وأتى بالمشبه والمشبه به فيهما على طريقة اللف والنشر من غير ترتيب ، وهو أحسن منهما مع الترتيب لما في ذلك من إيهام التعويل على أقوى الدليلين ، وهو العقل .

(٣) قوله: (كأن قلوب الطير رطبا ويابسا*** لدى وكرها العناب والحشف البالي

الضمير في وكرها للعقاب ، وهي مؤنثة سماعا ، والحشف : أراد التمر ، والبالي : العتيق . ورطبا ويابسا : حالان من قلوب الطير ، والعامل فيهما كأن ، كما تقول كأن زيدا الأسد مقبلا ، أي : أشبهه به في حال إقباله .

(١٦٧/١)

قلت: كما جاء ذلك صريحا فقد جاء مطويا ذكره على سنن الاستعارة (١)، كقوله تعالى: { وما يستوي البحران هذا عذب فرات سائغ شرابه وهذا ملح أجاج { (فاطر: ١٢)، { ضرب الله

مثلا رجلا فيه شركاء متشاكسون ورجلا سلما لرجل { (الزمر: ٣٩)، والصحيح (٢)

-
- (١) قوله: (سنن الاستعارة) أي : المصراحة ، فإن المشبه فيها مطوي أبدا ، والفرق أن المتروك في التشبيه منوي مراد ، وفي الاستعارة منسي غي مراد .
- (٢) قوله: (والصحيح) جواب آخر عن قوله : فأين ذكر المشبهات .

وقوله : بيانه : أي : بيان أن التمثيلين جميعا من جملة التمثيلات المركبة ، وأما جزالة هذا المذهب فلأنه يحصل في النفس من تصور هيئة المركب ما لا يصحح فيها من تصور المفردات ، كما إذا تصورت من مجموع الآية مكابدة من أدركه الوبل الهاطل مع تكاثف ظلمة الليل والسحاب ، وانتساح ظلمة المطر مع الرعد القاصف ، والبرق الخاطف ، والصاعقة المحرقة ، ولهم في أثناء ذلك اضطراب من يخاف الموت فإنه يخيل في نفسك أمر عجيب لا يحصل فيه إذا تكلفت لواحد واحد من مشبهاته .

(١٦٨/١)

الذي عليه علماء البيان لا يتخطونه: أن التمثيلين جميعا من جملة التمثيلات المركبة دون المفردة، لا يتكلف الواحد واحد شيء يقدر شبهه به، وهو القول الفحل والمذهب الجزل، بيانه: أن العرب تأخذ أشياء فرادى، معزولا بعضها من بعض، لم يأخذ هذا بحجزه ذاك فتشبهها بنظائرها، كما فعل امرؤ القيس وجاء في القرآن، وتشبه كيفية حاصلة من مجموع أشياء قد تضاممت وتلاصقت حتى عادت شيئا واحدا، بأخرى مثلها كقوله تعالى: { مثل الذين حملوا التوراة } (الجمعة: ٥) الآية. الغرض تشبيه حال اليهود في جهلها بما

معها من التوراة وآياتها الباهرة، بحال الحمار في جهله بما يحمل من أسفار الحكمة، وتساوي الحاليتين عنده من حمل أسفار الحكمة وحمل ما سواها من الأوقار، لا يشعر من ذلك إلا بما يمر بدفيه من الكد والتعب. وكقوله: { واضرب لهم مثل الحياة الدنيا كماء أنزلناه من السماء } (الكهف: ٤٥) المراد قلة بقاء زهرة الدنيا كقلة بقاء الخضر. فأما أن يراد تشبيه الأفراد بالأفراد (١) غير منوط بعضها ببعض ومصورة شيئا واحدا، فلا.

-
- (١) قوله: (فأما أن يراد تشبيه الأفراد بالأفراد) متعلق بقوله : الغرض تشبيه حال اليهود في جهلها .. إلى آخره قال الطيبي : وفيه اختصار حذف ، إما في أحد التفصيلين ، أي : إما أن يراد تشبيه المركب بالمركب فمسلم ، وإما أن يراد تشبيه المفرد بالمفرد

فلا ، وأقول : هذا إنما يتم على قول من التزم ذكر المتعدد بعد إما مطلقا ، وقال في قوله تعالى { فأما الذين في قلوبهم زيغ } الآية أن المعنى : وأما الراسخون ، وهذا وإن كان محتمل في هذا المقام إلا على أن جواز السكوت على مثل قولك أما زيد فقائم . يرفع دعوى التزام التفصيل فيها .

(١٦٩/١)

فكذلك لما وصف وقوع المنافقين في ضلالتهم وما خبطوا فيه من الحيرة والدهشة شبهت حيرتهم وشدة الأمر عليهم بما يكابد من طفئت ناره بعد إيقادها في ظلمة الليل ، وكذلك من أخذته السماء في الليلة المظلمة مع رعد وبرق وخوف من الصواعق . فإن قلت : الذي كنت تقدره في المفرق من التشبيه من حذف المضاف وهو قولك : "أو كمثل ذوي (١) صيب" هل تقدر

مثله في المركب منه؟ قلت : لولا طلب الراجع في قوله تعالى : { يجعلون أصابعهم في آذانهم } ما يرجع إليه لكنت مستغنيا عن تقديره؛ لأنني أراعي الكيفية المنتزعة من مجموع الكلام فلا علي أولي حرف التشبيه مفرد يتأتى التشبيه به أم لم يله . ألا ترى إلى قوله : { إنما مثل الحياة الدنيا } (يس: ٢٤) الآية، كيف ولي الماء الكاف ، وليس

الغرض تشبيه الدنيا بالماء ولا بمفرد آخر يتمحل لتقديره . ومما هو بين في هذا (٢) قول لبيد :

وما الناس إلا كالديار وأهلها*** بها يوم حلوها وغدوا بلاقع (٣)

(١) قوله : (وهو قولك : "أو كمثل ذوي) يعني لابد في التشبيه المفرق من تقدير ذوي [٧٠٩] لأن التشبيه حينئذ ليس بين ذوات المنافقين والصيب ، بل بين ذواتهم وذوات ذوي الصيب ، ومن تقدير مثل أيضا بين التشبيه لم يقع بين صفة المنافقين وصفة ذوي الصيب لأن التشبيه المفرق يقتضي التساوي من جميع الوجوه ، وأما في التشبيه المركب فإنما لزم تقدير ذلك لاقتضاء ضمير الجمع في { يجعلون أصابعهم } مرجوعا إليه ، وهو ذوي ، واقتضاء عطف هذا التمثيل على التمثيل الأول وتقدير مثل .

(٢) قوله : (ومما هو بين في هذا) أي : في أنه المراعى في التشبيه المركب هو الهيئة المنزوعة من غير نظر إلى ما يلي حرف التشبيه ، فإن الشاعر جاء في التشبيه بأداة الحصر المقتضية قصر تشبيه الناس بالديار إذا لم يراع الكيفية ، وليس كذلك .

(٣) قوله : (وما الناس إلا كالديار وأهلها*** بها يوم حلوها وغدوا بلاقع

أي : حالته وبعده :

وما المرء إلا كالشهاب وضوئه *** يحور رمادا بعد إذ هو ساطع

وما المال والأهلون إلا وديعة *** ولا بد يوما أن ترد الودائع

ومعنى (وشك نهوضهم) قرب رحيلهم .

(١٧٠/١)

لم يشبه الناس بالديار، وإنما شبه وجودهم في الدنيا وسرعة زوالهم وفنائهم، بحلول أهل الديار فيها ووشك نهوضهم عنها، وتركها خلاء خاوية. فإن قلت: أي التمثيلين أبلغ؟ قلت: الثاني، لأنه أدل على فرط الحيرة وشدة الأمر وفظاعته، ولذلك آخر، وهم يتدرجون في نحو هذا من الأهون إلى الأغلظ. فإن قلت: لم عطف أحد التمثيلين على الآخر بحرف الشك؟ قلت: أو في أصلها لتساوي شيئين فصاعدا في الشك، ثم اتسع فيها فاستعيرت للتساوي في غير الشك (١)، وذلك قولك: جالس الحسن أو ابن سيرين، تريد أنهما سيان في

استصواب أن يجالسا، ومنه قوله تعالى: { ولا تطع منهم آثما أو كفورا } (الإنسان: ٢٤)، أي الآثم والكفور متساويان في وجوب عصيانهما، فكذلك قوله: { أو كصيب } معناه أن كيفية قصة المنافقين مشبهة لكيفيتي هاتين القصتين، وأن القصتين سواء في استقلال كل واحدة منهما بوجه التمثيل، فبأيتهما مثلتها فأنت مصيب، وإن مثلتها بهما جميعا فكذلك. والصيب: المطر الذي يصب، أي ينزل ويقع. ويقال للسحاب: صيب أيضا. قال الشماخ:

وأسحم دان صادق الرعد صيب (٢)

(١) قوله: (أو في أصلها لتساوي شيئين فصاعدا في الشك، ثم اتسع فيها فاستعيرت للتساوي في غير الشك) يمكن أن يستدل على أنها حقيقة في التساوي في الشك بأنه المتبادر إلى الفهم عند عدم قرينة خلافه، وهذا مخصوص بما إذا وردت في الخبر، وقيل: بل وضعت للتساوي في أحد أمرين، وأما الشك والابهام، والتفصيل، والتخيير، والاباحة فلا تدل على شيء منها، إذ هي في جميع مواقعها لا تدل إلا على أحد الشيين أو الأشياء، وتلك المعاني المذكورة بعرض الكلام لا من قبل أو، بل من قبل أشياء آخر، فالشك من قبل جهل المتكلم، وعدم قصده إلى التفصيل، والابهام والتفصيل من حيث قصده إلى ذلك، والاباحة من حيث كون الجمع يحصل به فضيلة، والتخيير من حيث

يحصل ذلك .

(٢) قوله: (وأسحم) أوله :

قفي إنه نسج الجنوب مع الصبا***وأسحم دان صادق الرعد صيب
الآي : جمع آية ، وهي العلامة ، والأسحم : السحاب الأسود ، والداني : القريب من
الأرض الصادق الرعد ، الذي ليس بخلب ، أي : يخادع المحبوبة ، وعبر بنسوجه اختلاف
الجنوب والصبا ، وتتابع هبوبهما مثل اختلاف الريحين بنسج الصانع الثوب ، فإن إحدى
الريحين بمنزلة السدى ، والأخرى كاللحمة .
(١٧١/١)

وتنكير صيب لأنه أريد نوع من المطر شديد هائل.
كما نكرت النار في التمثيل الأول. وقرئ: كصائب، والصيب أبلغ. والسماء: هذه المظلة.
وعن الحسن: أنها موج مكفوف(١). فإن قلت: قوله: { من السماء } ما الفائدة في ذكره؟
والصيب لا يكون إلا من السماء. قلت: الفائدة فيه أنه جاء بالسماء معرفة(٢) فنفي أن
يتصوب من سماء، أي من أفق واحد من بين سائر الآفاق، لأن كل أفق من آفاقها سماء، كما
أن كل طبقة من الطباق سماء في قوله: { وأوحى في كل سماء أمرها } (فصلت: ١٢). الدليل
عليه قوله:
ومن بعد أرض بيننا وسماء(٣)

(١) قوله: (موج مكفوف) عن أبي هريرة ، عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم (هل
تدرون ما قولكم ؟ قالوا : الله ورسوله أعلم ، قال : فإنها الرفيع سقف محفوظ ، وموج
مكفوف) .

(٢) قوله: (الفائدة فيه أنه جاء بالسماء معرفة) جواب السؤال عند التحقيق أنه إنما
ذكر من السماء ليدل على أن الغمام مطبق ، فتحصل المبالغة ، ولكن ذلك لما توقف على
أن السماء معرفة قدم ذلك فلا يقال : الجواب غير مطابق ، فلما كان المقصود هنا
المبالغة والاستغراق ، ولم يحصل ذلك إلا بذكر السماء معرفة جيء بها كما ترى ،
واستجلب ذكر من السماء الرد على الزاعم بأن المطر ليس من السماء على سبيل الإدماج ،
أي : إشارة الغض بذكره ، ولو عكس لم تكن المبالغة مقصودا أوليا ، وإنما ظنا أن

المقصود هو المبالغة ليطابق ذكر السماء ذكر الصيب ، لأن فيه مما شئ من جهة التركيب ؛ لأنه نشأ من الصوب الدال على فرط الانسكاب والوقوع ، ولأن التركيب من صاد مطبقة مستعلية ، وما مشدد ، وتاء شديدة ، والبناء وهو فيعل لأنه صفة مشبهة ، فتدل على الثبوت والتكبير لأنه التهويل والتعظيم .

(٣) قوله: (ومن بعد) أوله :

فمال لذكرها إذا ما ذكرتها***ومن بعد أرض بيننا وسماء

سمى بعض الأرض أرضا ، وبعض [٧١٠] السماء سماء ، وأراد ببعد السماء ما تقابل من السماء والأرض التي بينهما ، ولا يجوز أن يريد بالسماء المطلقة ؛ لأنها ليست بينه وبينها .

(١٧٢/١)

والمعنى أنه غمام مطبق آخذ بآفاق السماء، كما جاء بصيب. وفيه مبالغات من جهة التركيب والبناء والتكبير. أمد ذلك بأن جعله مطلقا(١). وفيه أن السحاب من السماء ينحدر ومنها يأخذ ماءه، لا كزعم من يزعم أنه يأخذه من البحر. ويؤيده قوله تعالى: { وينزل من السماء من جبال فيها من برد } (النور: ٤٣) فإن قلت: بم ارتفع ظلمات؟ قلت: بالظرف على الاتفاق(٢) لاعتماده على موصوف. والرعد: الصوت(٣) الذي يسمع من السحاب، كأن أجرام السحاب تضطرب وتنتفض إذا حدثتها الريح فتصوت عند ذلك من الارتعاد(٤). والبرق الذي يلمع من السحاب، من برق الشيء بريقا إذا لمع.

(١) قوله: (بأن جعله مطلقا) حيث عرف السماء بلام الاستغراق .

(٢) قوله: (بالظرف على الاتفاق) ارتفاعه بالظرف على وجه الاتفاق على سبيل الجواز لا على سبيل الوجوب ، قال أبو علي الفارسي : وادعى بعضهم أنه مجمع على أن الظرف إذا أعرب فإنه يجوز أن يرفع الظاهر لتقويه بالاعتماد كاسمي الفاعل والمفعول والصفة المشبهة ، وكذا قال : إذا وقعت بعده أن المصدرية كقوله : ومن { ومن آياته أنك ترى الأرض خاشعة } كأنه يعمل فيها من غير اعتماد لشبهها بالمضمر ، وفي أنها لا توصف مثله ، ، ويجوز ان يقال في جميع ذلك : إن الظرف خبر متقدم على مبتدائه ، فأما إذا لم يعتمد نحو في الدار رجل ، فالمرفوع مبتدأ متقدم الخبر ، وعند الكوفيين والأخفش في أحد قوليه هو فاعل للظرف لتضمنه معنى الفعل ، لكن الكوفيين يوجبون كونه فاعلا ؛

لأنهم يجوزون تقديم الخبر على المبتدأ والأخفش يجوز ذلك مع تجويز كونه مبتدأ .
(٣) قوله: (والرعد: الصوت) إلى آخره .. قيل : الصحيح أن الرعد اسم ملك موكل بالسحاب ، وأن الصوت المسموع زجره كما ورد في الخبر .
(٤) قوله: (من الارتعاد) لم يرد أنه أصله ؛ لأن أصله الرعدة ، بل أراد أن الاشتقاق يجمعهما لما فيهما من معنى الحركة والاضطراب .
(١٧٣/١)

فإن قلت: قد جعل الصيب مكانا للظلمات فلا يخلو من أن يراد به السحاب أو المطر، فأيهما أريد فما ظلماته؟ قلت: أما ظلمات السحاب فإذا كان أسحماً مطبقاً فظلمتا سجمته وتطبيقه مضمومة إليهما ظلمة الليل (١). وأما ظلمات المطر فظلمة تكاثفه وانتساجه بتتابع القطر، وظلمة إظلال غمامه مع ظلمة الليل. فإن قلت: كيف يكون المطر مكانا للبرق والرعد وإنما مكانهما السحاب؟ قلت إذا كانا في أعلاه ومصبه وملتبسين في الجملة فهما فيه. ألا تراك تقول: فلان في البلد، وما هو منه إلا في حيز يشغله جرمه. فإن قلت: هلا جمع الرعد والبرق أخذا بالأبلغ كقول البحري: يا عارضا متلفعا ببروده*** يختال بين بروقه ورعوده (٢)

(١) قوله: (مضمومة إليهما ظلمة الليل) قيل : ظلمة الليل من أين تستفاد ولم تذكر في الآية ؟ قلنا : تستفاد من الجمع ، فإن أقل الجمع ... ، ومن قوله في أعلاه ونصبه ، أي : هو من باب اطلاق أحد المتجاورين على الآخر ، والمقصود من الاستشهاد المجاورة لا أنه من إطلاق الكل على البعض ،
(٢) قوله :

يا عارضا متلفعا ببروده*** يختال بين بروقه ورعوده
العارض : السحاب ، والمتلفع : المتلحف ، والبرود : جمع برد ، والاختيال : في الأصل ، والعرب تقول : خلت السماء تختال . إذا تهيأت للمطر .
(١٧٤/١)

وكما قيل ظلمات؟ قلت: فيه وجهان: أحدهما أن يراد العينان (١)، ولكنهما لما كانا مصدرين في الأصل - يقال: رعدت السماء رعدا وبرقت برقاً -، روعي حكم أصلهما بأن ترك جمعهما وإن أريد معنى الجمع. والثاني: أن يراد الحدثان كأنه قيل: وإرعاد وإبراق. وإنما جاءت هذه الأشياء منكرات، لأن المراد أنواع منها، كأنه قيل: فيه

ظلمات داجية، ورعد قاصف، وبرق خاطب. وجاز رجوع الضمير في يجعلون إلى أصحاب الصيب مع

كونه محذوفا قائما مقامه الصيب، كما قال: { أو هم قائلون } (٢) (الأعراف: ٤). لأن

المحذوف باق معناه وإن سقط لفظه. ألا ترى إلى حسان كيف عول على بقاء معناه في قوله: يسقون من ورد البريص عليهم*** بردى يصفق بالرحيق السلسل (٣)

(١) قوله: (أن يراد العينان) أي: الاسمان لا المصدران والحدثان يجوز فيه لرفع على أن يراد به المصدر، وكسر النون على أنه مثنى الحدث، وهو مصدر أيضا، وصح بالكسر، فالواو في وإن إريد بمعنى مع، أي: ترك الجمع لفظا مع إرادته معنى قال بعضهم: فلو روي إن بالكسر على إن الشرطية كان أظهر، وأنا أقول السماع هو الكسر.

(٢) قوله: (كما قال: { أو هم قائلون }) فإن هم والضمير في قائلون يرجع إلى المضاف المحذوف كما في { أهلكناها } أي: أهلكنا أهلها، وذكر تقدير ذوي قبل صيب على الاستطراد، وهنا على سبيل الأصالة.

(٣) قوله: (يسقون من ورد البريص عليهم*** بردى يصفق بالرحيق السلسل

بردى: واد دمشق، والبريص نهر يتشعب منه، وقيل: بالعكس، والتصفيق أو نقل الخمر من إناء إلى إناء، والرحيق: صفوة الخمر، والسلسل: السهل الدخول في الحل ق، يقول: إنهم يسقون من ورد هذا الموضع ماء بردى ممزوجا بالماء الصافية السهلة الانحدار في الحق، والشاعر عول على بقاء المعنى حيث ذكر يصفق، لأن المعنى ماء بردى، وإلا فكان القياس ما قلته؛ لأن بردى مؤنثة بالألف المقصورة، والغيمة: اشتهاة اللبن، أي: سقاه من أجل الغيمة، ومثل من هذه من في قوله: { ووهبنا له من رحمتنا } أي: من أجل رحمتنا، ومعنى قصفه رعد: قطعه رعد، أي: صوت رعد من قولهم: رعد قاصف، أي: شديد، ومن القصف وهو الكسر، ومعنى ينقض: يسقط، ومعنى (إلا أتت عليه { إلا أهلكته).

(١٧٥/١)

حيث ذكر يصفق؛ لأن المعنى: ماء بردى، ولا محل لقوله: { يجعلون } لكونه مستأنفا، لأنه لما ذكر الرعد والبرق على ما يؤذن بالشدة والهول، فكأن قائلا قال: فكيف حالهم

مع مثل ذلك الرعد؟ فقل: { يجعلون أصابعهم في آذانهم } ثم قال: فكيف حالهم مع مثل ذلك البرق؟ فقل: يكاد البرق يخطف أبصارهم. فإن قلت: رأس الأصبع هو الذي يجعل في الأذن فهلا قيل: أناملهم؟ قلت: هذا من الاتساعات في اللغة التي لا يكاد الحاصر يحصرها، كقوله: { فاغسلوا وجوهكم وأيديكم } (المائدة: ٦)، { فاقطعوا أيديهما } (المائدة: ٦) أراد البعض الذي هو إلى المرفق والذي إلى الرسغ. وأيضا ففي ذكر الأصابع من المبالغة ما ليس في ذكر الأنامل. فإن قلت: فالأصبع التي تسد بها الأذن أصبع خاصة، فلم ذكر الاسم العام دون الخاص؟ قلت: لأن السبابة فعالة من السب فكان اجتنابها أولى بآداب القرآن. ألا ترى أنهم قد استبشعوها فكفوا عنها بالمسبحة والسباحة والمهلهلة والدعاء. فإن قلت: فهلا ذكر بعض هذه الكنايات؟ قلت: هي ألفاظ مستحدثة لم يتعارفها الناس في ذلك العهد، وإنما أحدثوها بعد. وقوله: { من الصواعق } متعلق بيجعلون، أي: من أجل الصواعق يجعلون أصابعهم في آذانهم، كقولك: سقاه من العيمة. والصاعقة: قصفة رعد تنقض معها شقة من نار، قالوا: تنقذ من السحاب إذا اصطكت أجرامه، وهي نار لطيفة حديدة. لا تمر بشيء إلا أتت عليه، إلا أنها مع حدتها سريعة الخمود. يحكى أنها سقطت على نخلة فأحرقت نحو النصف ثم طفت. ويقال: صعقته الصاعقة إذا أهلكته، فصعق؛ أي مات إما بشدة الصوت أو بالإحراق. ومنه قوله تعالى: { وخر موسى صعقا } (الأعراف: ١٤٣).

(١٧٦/١)

وقرأ الحسن: "من الصواعق"؛ وليس بقلب للصواعق، لأن كلا البنائين سواء في التصرف (١)، وإذا استويا كان كل واحد بناء على حياله. ألا تراك تقول: صعقه على رأسه، وصقع الديك، وخطيب مصقع: مجهر بخطبته. ونظيره "جذب" في "جذب" ليس بقلبه لاستوائهما في التصرف. وبناءها (٢) إما أن يكون صفة لقصفة الرعد، أو للرعد، والتاء مبالغة كما في الراوية، أو مصدرا كالكاذبة والعافية. وقرأ ابن أبي ليلى: حذار الموت، وانتصب على

أنه مفعول له كقوله:

وأغفر عوراء الكريم ادخاره (٣)

(١) قوله: (سواء في التصرف) أي: فيما يلزم الفعل من ال والاشتقاق، أراد

أنه به صعق لو كان مقلوبا لساوى صعق، ولما تجاوز صورة واحدة [٧١١]

(٢) قوله: (وبناءها) أي: بناء الصاعقة /أ أن يكون صفة لقصفة الرعد، وجمع على

فواعل قياسا كضوارب في ضاربة ، أو هو فاعل صفة للمذكر ، والتاء للمبالغة ، وعلى هذا جمعه على فواعل شاذ كفوارس في فارس ، أو مصدر فيجمع على فواعل كعاقبة وعواقب .
(٣) قوله: (وأغفر عوراء الكريم ادخاره ***

تمامه : وأعرض عن شتم اللثم تكرما

البيت لحاتم ، والعوراء : الكلمة القبيحة ، أي : أسترها لتبقى الصداقة بيني وبينه ، وأدخره ليوم أحتاج فيه ، لأن الكريم إذا فرط من القبيح ندم على فعله ، وحمله كرمه على تدراكه ، وأن لا يعود إلى مثله ، استشهد به لكون المفعول له معرفة بالإضافة .

(١٧٧/١)

والموت فساد بنية الحيوان. وقيل: عرض لا يصح معه إحساس(١) معاقب للحياة. وإحاطة الله بالكافرين مجاز(٢). والمعنى أنهم لا يفوتونه كما لا يفوت المحاط به المحيط به حقيقة. وهذه الجملة اعتراض لا محل لها(٣).

(١) قوله: (وقيل: عرض لا يصح معه إحساس) هذا يدل على أن الموت أمر وجودي مضاد للحياة ، كما هو مذهب أبو علي الجبائي ومن تابعه ، وهو في الوجه الأول ليس بأمر زائد على فساد النبوة ، أراد أنه عبارة عن عدم الحياة لأن فساد البنية يكون عند عدمها كما هو مذهب أبي هاشم .

(٢) قوله: (وإحاطة الله بالكافرين مجاز) أي : استعارة تمثيلية ، شبهت حال انزال الله بهم عذابه من كل جانب بحيث لا مناص لهم عنه بحال الجيش الذي صبح القوم وأحاط بهم من كل ناحية ، فلا يفوت منهم أحد ، ولا ضمير في المحاط به ؛ لأن الجار والمجرور أقيما مقام فاعله ، والضمير في به يرجع إلى اللام ، والضمير في المحيط عائد إلى

اللام فيه ، وفي به الثاني إلى المحاط ، المعنى : كما لا يفوت الذي أحيط به من كل جانب من قصده .

(٣) قوله: (وهذه الجملة اعتراض لا محل لها) وإنما جاز وقوعها معترضة ؛ لأن قصة المشبهين ، وهم ذوي الصيب مع كونها من أحوال المشبه ، وهم المنافقون ، ومع أن القياس تقديمها على قصة أصحاب ذوي الصيب لشدة المناسبة بين المشبه والمشبه به ، وللتنبية على أن المشبه مما يهتم بشأنه .

قوله : وقوله بالكافرين) من وضع الظاهر موضع الضمير للإشعار بأن الكفر هو العلة في

إحاطة العذاب بهم .

(١٧٨/١)

والخطف: الأخذ بسرعة. وقرأ مجاهد "يخطف" بكسر الطاء، والفتح أفصح وأعلى، وعن ابن مسعود: يختطف. وعن الحسن: يخطف(١)، بفتح الياء والخاء، وأصله يختطف. وعنه: يخطف،

بكسرهما على إتباع الياء الخاء. وعن زيد بن علي: يخطف، من خطف. وعن أبي: "يختطف"، من قوله: { يخطف الناس من حولهم } (العنكبوت: ٦٧). { كلما أضاء لهم } استئناف ثالث(٢) كأنه جواب لمن يقول: كيف يصنعون في تارتي خفوق البرق وخفيتته؟ وهذا تمثيل(٣) لشدة الأمر على المنافقين بشدته على أصحاب الصيب وما هم فيه من غاية التحير والجهل بما يأتون وما يذرون، إذا صادفوا من البرق خفقة، مع خوف أن يخطف أبصارهم، انتهزوا تلك الخفقة فرصة فخطوا خطوات يسيرة، فإذا خفي وفتّر لمعانه بقوا واقفين متقيدين عن الحركة، ولو شاء الله لزاد في قصيف الرعد فأصمهم، أو في ضوء البرق فأعماهم.

(١) قوله: (وعن الحسن: يخطف) قال ابن جني: أصله يختطف فأدغم التاء في الطاء؛ لأنهما من مخرج واحد؛ لأن التاء مهموسة، والطاء مجهورة، والمجهورة أقوى صوتاً من المهموسة، ومتى كان الادغام يقوي الحرف المدغم فيه حسن ذلك، وعلته أن الحرف إذا أدغم حتى يضعف فإذا ادغم في حرف آخر أقوى منه استحالة لفظ المدغم إلى لفظ المدغم فيه

فيقوي لقوته، فكان في ذلك تلافٍ للجناية على الحرف المدغم، فأشكلت التاء لادغامها

والخاء قبلها ساكنة، فنقلت [٧١٢] الصحة إليها، وقلبت التاء طاء، وأدغمت في الطاء فصار يخطف، ومنهم من إذا سكن التاء ليدغمها كسر الخاء لا لتقاء الساكنين، واستغنى بكسرتها عن نقل الصحة إليها، فيقول: يخطف، ومنهم من يكسر حرف المضارعة تباعاً لكسرة فاء الفعل بعده فيقول: يخطف.

(٢) قوله: (استئناف ثالث) الأول { يجعلون } والثاني { يكاد البرق } والثالث هذا

(٣) قوله: (وهذا تمثيل) أي: قوله { يكاد البرق يخطف أبصارهم } تمثيل، أي: تتميم للتمثيل، لا أنه تمثيل آخر، ومعنى انتهزوها: اغتنموها.

(١٧٩/١)

وأضاء: إما متعد بمعنى: كلما نور لهم ممشى ومسلكا أخذوه والمفعول محذوف. وإما غير متعد بمعنى: كلما لمع لهم { مشوا } في مطرح نوره وملقى ضوءه. وبعضه قراءة ابن أبي عبله: كلما ضاء لهم والمشي: جنس الحركة المخصوصة. فإذا اشتد فهو سعي. فإذا ازداد فهو عدو. فإن قلت: كيف قيل مع الإضاءة: كلما، ومع الإظلام: إذا؟ قلت: لأنهم حراس على وجود ما همهم به معقود من إمكان المشي وتأنيه، فكلما صادفوا منه فرصة انتهزوها، وليس كذلك التوقف والتحبس. وأظلم: يحتمل أن يكون غير متعد وهو الظاهر، وأن يكون متعداً منقولاً من ظلم الليل. وتشهد له قراءة يزيد بن قطيب (١): أظلم، على ما لم يسم فاعله. وجاء في شعر حبيب بن أوس:

هما أظلما حالي ثمت أجليا***ظلاميهما عن وجه أمرد أشيب (٢)

(١) قوله: (وتشهد له قراءة يزيد بن قطيب) قيل: فيه نظر، لأنه يجوز أن يكون الفعل مسنداً إلى الجار والمجرور نحو { غير المغضوب عليهم } وعلى هذا فيجوز أن يكون لازماً لكنه عدي بحرف الجر، وأجيب بأن الجار والمجرور ليس صلة للإظلام بل هو ظرف مستقر كما علم في الاستعمال، أراد المجيب أن الإظلام لا يتعدى بعلى. وفي الجواب نظر؛ لأن الظاهر أنه مسند إلى الجار والمجرور، ولأن الإظلام تعدى بعلى (٢) قوله: (حبيب بن أوس) هو أبو تمام الطائي

هما أظلما حالي ثمت أجليا***ظلاميهما عن وجه أمرد أشيب
قبله:

أحاولت إرشادي فعقلي مرشدي***ام اشتهت تأديبي فدهري مؤدبي
يقول لعاذله: أعاجلت إرشادي وطلتني فعقلي مرشدي، أو تجشمت تطلب تأديبي فدهري مؤدبي، فلا حاجة إلى إرشادك وتأديبك؛ لأن دهري وعقلي كافيان، وذلك الاستشهاد ورد معه على سبيل الإنكار، ثم قال: هما، أي: العقل والدهر أعلما حالي، أي: الشيب والشباب، وإنما أسند الإظلام إلى العقل لأن العاقل عيشه منكدر لعلمه بانقطاعه، قال:

ذو العقل يشقى في النعيم بعقله***وأخو الجهالة في السفاهة ينعم
ثم كشفنا ظلامتهما عن وجه... في... في العقل والرأي أراد أنه مع صغر سنه له عقل الشيوخ ورأيهم.
قوله (بسبب ذكائه وتجربته الدهر، ويحتمل أن يريد السبب حقيقة، وأنه شاق مع صغر

سنه لما شاهد بعد بعقله من الأهوال ، وقاصى في دهره من تحول الأحوال .
قوله (عن وجه أمرد أشيب) تجريد .
(١٨٠/١)

وهو وإن كان محدثا (١) لا يستشهد بشعره في اللغة، فهو من علماء العربية، فاجعل ما
يقوله بمنزلة ما يرويه. ألا ترى إلى قول العلماء: الدليل عليه بيت الحماسة،
فيقتنعون بذلك لوثوقهم بروايته وإتقانه. ومعنى { قاموا } وقفوا وثبتوا في مكانهم.
ومنه: قامت السوق، إذا ركدت وقام الماء: جمد. ومفعول { شاء } محذوف، لأن الجواب
يدل

عليه، والمعنى: ولو شاء الله أن يذهب بسمعهم وأبصارهم لذهب بها، ولقد تكاثر هذا
الحذف في "شاء" و"أراد" لا يكادون يبرزون المفعول إلا في الشيء المستغرب كقوله:
فلو شئت أن أبكي دما لبكيت (٢) [عليه ولكن ساحة الصبر أوسع]

(١) قوله: (وإن كان محدثا) الشعر ثلاث طبقات: الجاهليون كامرء القيس، وطرفة،
والمخضرمون: وهم الذين أدركوا الجاهلية والإسلام كليد وحسان، والمقدمون من
الاسلامين كالفرزدق وجريز، والمحدثون كأبي تمام والبحثري وأبي الطيب .
(٢) قوله: (فلو شئت أن أبكي دما لبكيت) تمامه :

]

عليه ولكن ساحة الصبر أوسع] أتى بالمفعول ؛ لأن بكاء الدم مستغرب ، ونصب دما ببكيت
لتضمنه معنى صببت .
(١٨١/١)

وقوله تعالى: { لو أردنا أن نتخذ لهمو لاتخذناه من لدنا } (الأنبياء: ١٧) { لو أراد
الله أن يتخذ ولدا } (الزمر: ٤) . وأراد: ولو شاء الله لذهب بسمعهم بقصيف الرعد،
وأبصارهم بوميض البرق. وقرأ ابن أبي عبلة: لأذهب بأسماعهم، بزيادة الباء كقوله: {
ولا تلقوا بأيديكم } (البقرة: ١٩٥) . والشيء: ما صح أن يعلم ويخبر عنه. قال سيبويه
- في ساقه الباب المترجم بباب مجاري أواخر الكلم من العربية -: وإنما يخرج
التأنيث من التذكير. ألا ترى أن الشيء يقع على كل ما أخبر عنه من قبل أن يعلم أذكر
هو أم أنثى؟، والشيء: مذكر، وهو أعم العام (١): كما أن الله أخص الخاص يجري على

الجسم والعرض والقديم. تقول: شيء لا كالأشياء؛ أي معلوم لا كسائر المعلومات، وعلى المعدوم والمحال (٢)

(١) قوله: (وهو أعم العام) كلام المصنف لا كلام سيبويه .
(٢) قوله: (وعلى المعدوم والمحال) في الانتصاف : الشيء مختص بالموجود ، فلا يدخل فيه المستحيل ، وعند المعتزلة يدخل فيه المعدوم الممكن ، أما المستحيل فلا يدخل فيه ، فلا يرد السؤال ، وأقول : كان يجب على صاحب الانتصاف أن يقول : فلا يدخل

المستحيل

ولا المعدوم ، فلم خص المستحيل بما ذكر ، أما قوله : أما المستحيل فلا يدخل فيه عند المعتزلة فليس بشئ ؛ لأن من حد الشيء بالحد الذي ذكره المصنف ، وهو أن الشيء ما يصح

العلم به والخبر عنه فقد دخل في حد الشيء المستحيل كما دخل فيه المعدوم والممكن فيرد السؤال ، بلى من حد الشيء منهم بأنه الثابت الذي يصح العلم به والخبر عنه لم يرد السؤال .

ثم قال صاحب الانتصاف : فإن قيل : إذا كان المعدوم لا يسمى شيئا ، فإذا وجد صار شيئا لا تتعلق القدرة به ، إذ هي إنما تتعلق بالشيء أول وجوده فكيف يكون قادرا على شيء ،

ثم قال : فجوابه أنه من باب (من قتل قتيلا فله سلبه) أي : تسمية الشيء باسم ما يؤول إليه ، كأنه قال : قادر على ما يصير شيئا .

الانصاف : وفيه نظر فإن القدرة تتعلق به في أول زمن وجوده وهو في أول زمن وجوده ، يعني فلا خلاف إذا لم يكن شيئا في أول وجوده لم يكن شيئا في باقي الأحوال ، فأقول أوضح مما قال صاحب الانتصاف ، ووافقه عليه صاحب الانصاف : من أن [٧١٣] الشيء لا

يطلق إلا على الموجود ، وأن القدرة لا تتعلق إلا بما هو شيء إما باعتبار المآل ، أو باعتبار أول أحوال الوجود لزم أن لا يكون الله تعالى قادر على ما ليس له وجود بحال ، ولزم أن تكون مقدرات الله متناهية ؛ لأن ما حصره الوجود فهو متناه ، وأما قول صاحب الانصاف : إن القدرة تتعلق به في أول زمن وجوده ، فإن أراد به ظهور ابتداء القدرة فيه فمسلّم ، وإن أراد أنه لا يصح وجوده إلا في أول أحوال وجوده فهو ممنوع ؛ لأن صحة وجود الفعل بالقدرة سابقة على وجود الفعل ، ولا نعي بتعلق القدرة بالفعل إلا صحة

وجوده منها ، وأيضا فإذا كان عند صاحب الانصاف أن الباقي باق ببقيا وأنه محتاج إلى أن القادر حال بقاءه كما يحتاج إليه حال جودته فما معنى تخصيص القدرة بأول زمن الوجود .

(١٨٢/١)

فإن قلت: كيف قيل: { على كل شيء قدير } وفي الأشياء ما لا تعلق به للقادر كالمستحيل وفعل قادر آخر؟ قلت: مشروط في حد القادر أن لا يكون الفعل مستحيلا؛ فالمستحيل مستثنى في نفسه عند ذكر القادر على الأشياء كلها، فكأنه قيل: على كل شيء مستقيم قدير. ونظيره: فلان أمير على الناس أي على من وراءه منهم، ولم يدخل فيهم نفسه وإن كان من جملة الناس. وأما الفعل بين قادرين فمختلف فيه (١). فإن قلت: مم اشتقاق التقدير؟ قلت: من التقدير، لأنه يوقع فعله على مقدار قوته واستطاعته وما يتميز به عن العاجز.

{ يا أيها الناس اعبدوا ربكم الذي خلقكم والذين من قبلكم لا تعلمون } (٢١)

)

(١) قوله: (وأما الفعل بين قادرين فمختلف فيه) هذا إيماء إلى فعل العبد ، وأنه هل هو مقدور للعبد فقط ، أو لله والعبد ، اختلف في ذلك فذهب جمهور المعتزلة إلى أن الله تعالى غير قادر على فعل العبد ، بل إنما يقدر على مثله ، وعلى هذا فيكون فعل العبد مستثنى عندهم كما استثنى المستحيل ؛ لأن الله تعالى عندهم لا يصح منه إيجاد عين فعل العبد ، فلا يكون قادرا عليه ، وذهب بعضهم إلى أن الله تعالى قادر على عين فعل العبد ، واحتج الجمهور على امتناع كون المقدور الواحد مقدورا لقادرين بأنه لو كان كذلك لكان محتاجا إلى كل واحد منهما مستغنيا عنه ، وهو محال ، بيان الملازمة : أنه إذا كان أحدهما قادرا عليه مؤثر فيه على سبيل الاستقلال كان مستغنيا عن الآخر ، وبالعكس ، وهذا الدليل إنما يدل على أنه لا يجوز وجود مقدور واحد من قادرين ، لا على أنه لا يجوز أن يكون مقدورا لهما ، ويوجد بقدرة كل واحد منهما على سبيل البدل . قوله : واشتقاقه من التقدير : قيل : اشتقاقه من القدر بمعنى التقدير أولا ؛ إذ لا يستقيم اشتقاق الثلاثي من المزيد .

(١٨٣/١)

لما عدد الله تعالى فرق المكلفين من المؤمنين والكفار والمنافقين، وذكر صفاتهم وأحوالهم ومصارف أمورهم، وما اختصت به كل فرقة مما يسعدها ويشقيها، ويحظيها عند الله ويرديها، أقبل عليهم بالخطاب، وهو من الالتفات المذكور عند قوله: { إياك نعبد وإياك نستعين } ، وهو فن من الكلام جزل، فيه هز وتحريك من السامع، كما أنك إذا قلت لصاحبك حاكيا عن ثالث لكما: إن فلانا من قصته كيت وكيت، فقصصت عليه ما فرط منه، ثم

عدلت بخطابك إلى الثالث فقلت: يا فلان من حقل أن تلزم الطريقة الحميدة في مجاري أمورك، وتستوي على جادة السداد في مصادرك ومواردك. نبهته بالفتاك نحوه فضل تنبيهه، واستدعيت إصغاءه إلى إرشادك زيادة استدعاء، وأوجدته (١) بالانتقال من الغيبة إلى

المواجهة هازا من طبعه ما لا يجده إذا استمرت على لفظ الغيبة، وهكذا الافتنان في الحديث والخروج فيه من صنف إلى صنف، يستفتح الآذان للاستماع، ويستتهش الأنفس للقبول،

وبلغنا (٢)

(١) قوله: (وأوجدته) أي : صيرته واجدا ، المعنى : وصيرته واجدا شيئا من طبعه لولا هذا الانتقال لما وجد ذلك الشيء .

(٢) قوله: (وبلغنا) إلى آخره .. معطوف من حيث المعنى على قوله : إنما عدد إلى قوله : أقبل عليهم بالخطاب ، لأن معناه أن الخطاب شامل للمؤمن والكافر ، والمنافق ، ومعنى قوله : وبلغنا .. إلى آخره أن الخطاب مختص بمشركي مكة .. (١٨٤/١)

بإسناد صحيح عن إبراهيم عن علقمة: أن كل شيء نزل فيه: (يا أيها الناس) فهو مكّي، و(يا أيها الذين آمنوا) فهو مدني، فقوله: (يا أيها الناس اعبدوا ربكم) خطاب لمشركي مكة (١)،

(١) قوله: (فقوله: (يا أيها الناس اعبدوا ربكم) خطاب لمشركي مكة) تفريع على هذه الرواية ، وما ذكره إبراهيم وعلقمة إن رجع فيه إلى النقل مسلم ، وإن كان السبب فيه كثرة المؤمنين بالمدينة دون مكة فضعيف ؛ لأنه يجوز خطاب المؤمنين باسم جنهم كما

يجوز خطابهم بصفتهم ، وقد يؤمر من ليس بمؤمن بالعبادة ، كما يؤمر المؤمن بالازدياد منها ، فالخطاب في الجميع ممكن ، والناس يعم الموحدين لفظا ، ومن سيوجد لما تواتر من دين محمد صلى الله عليه وآله وسلم أن مقتضى خطابه وأحكامه شامل للقبيلين ثابت إلى يوم القيامة ، إلا ما خصه الدليل ، لو فرض .

والجوار : رفع الصوت والاستعانة .

(١٨٥/١)

و"يا" حرف وضع في أصله لنداء البعيد، صوت يهتف به الرجل بمن يناديه. وأما نداء القريب فله أي والهمزة، ثم استعمل في مناداة من سها وغفل وإن قرب. تنزيلا له منزلة من بعد، فإذا نودي به القريب المفاطن فذلك للتأكيد المؤذن بأن الخطاب الذي يتلوه معني به جدا. فإن قلت: فما بال الداعي يقول في جواره: يا رب، ويا الله، وهو أقرب

إليه من حبل الوريد، وأسمع به وأبصر؟ قلت: هو استقصار منه لنفسه، واستبعاد لها من مظان الزلفى (١) وما يقربه إلى رضوان الله ومنازل المقربين، هضما لنفسه وإقرارا عليها بالتفريط في جنب الله، مع فرط التهالك (٢) على استجابة دعوته والإذن لندائه وابتهاله، و"أي" وصلة إلى نداء ما فيه الألف واللام، كما أن "ذو" و"الذي" وصلتان إلى الوصف بأسماء الأجناس ووصف المعارف بالجمال. وهو اسم مبهم مفتقر إلى ما يوضحه ويزيل إبهامه، فلا بد أن يردفه اسم جنس (٣) أو ما يجري مجراه يتصف به حتى يصح المقصود بالنداء، فالذي يعمل فيه حرف النداء هو "أي" والاسم التابع له صفته، كقولك: يا زيد الطريف؛ إلا أن "أيا" لا يستقل بنفسه استقلال "زيد" فلم ينفك من الصفة.

(١) قوله: (واستبعاد لها من مظان الزلفى) قيل: تفسير لقوله: استقصارا منه لنفسه ، وكذا (ما يقربه) تفسير لقوله: (من مظان الزلفى) وكذا (إقرارا عليها بالتفريط في جنب الله) تفسير لقوله: (هضما لنفسه) .

(٢) قوله: (مع فرط التهالك) حال من فاعل اقرار ، والتهالك على الشيء: السقوط فيه ، وهو كناية عن الحرص . والإذن . بالتحريك . الاستماع ، ومعنى الحديث : ما استمع الله لشيء كاستماعه لنبي يتغنى بالقرآن ، أي : يتلوه

(٣) قوله: (فلا بد أن يردفه اسم جنس) لأنه مبهم فهو محتاج إلى ما يبين ماهيته ، والمبين لها هو اسم الجنس ، أو ما يجري مجراه ، وهو اسم الإشارة ، لأنه يتعين وصف

اسم الإشارة باسم الجنس فلذلك جرى مجراه .

(١٨٦/١)

وفي هذا التدرج من الإبهام إلى التوضيح ضرب من التأكيد والتشديد . وكلمة التنبيه المقحمة بين الصفة وموصوفها لفائدتين (١) : معاضدة حرف النداء ومكانفته بتأكيد معناه ، ووقوعها عوضا مما يستحقه أي من الإضافة . فإن قلت : لم كثر في كتاب الله النداء على هذه الطريقة ما لم يكثر في غيره؟ قلت : لاستقلاله بأوجه من التأكيد وأسباب من

المبالغة : لأن كل ما نادى الله له عباده - من أوامره ونواهيه ، وعظاته وزواجره ووعدته ووعيدته ، واقتصاص أخبار الأمم الدارجة عليهم ، وغير ذلك مما أنطق به كتابه - أمور عظام ، وخطوب جسام ، ومعان - عليهم أن يتيقظوا لها ، ويميلوا بقلوبهم وبصائرهم إليها ، وهم عنها غافلون . فاقترضت الحال أن ينادوا بالأكّد الأبلغ . فإن قلت : لا يخلو الأمر بالعبادة من أن يكون متوجها إلى المؤمنين والكافرين جميعا ، أو إلى كفار مكة خاصة ، على ما روي عن علقمة والحسن ، فالمؤمنون عابدون ربهم فكيف أمروا بما هم ملتبسون به؟ وهل هو إلا كقول القائل (٢) :

(١) قوله : (لفائدتين) يكون أحدهما [٧١٤] معاونة حرف النداء ، لأن النداء تنبيه وهاء التنبيه ، والثانية : أن يكون هو عوضا عما يستدعيه أي من الإضافة كأنت وله ، ما لم يكثر في غيره ما يحتمل أن يكون موصولة أي : الكثيرة التي لم تكثر في غيره ما يحتمل أن يكون موصولة ، وأن تكون مصدرية ، أي : كثرة لم تكثر في غيره .

(٢) قوله : (كقول القائل) هو أبو تمام ، وقبله :

نعمة الله فيك لا أسأل الله إليها نعمى سوى أن تدوما

فلو أني فعلت كنت كمن تسأله وهو قائم أن يقوم

أي : نعمة الله حاصلة فيك فأنا لا أسأل الله أن يضيف إليها نعمى آخر ، لأن النعمة

الحاصلة فيك شاملة لجميع أنواع النعم ، فلو أني سألت الله أن يعطيك نعمة حاصلة لك ،

لكنت كمن يسأل قائما أن يقوم ، وهو ، ... والأمر لأمر لا يؤمر للم ... ولكن قد

يؤمر بإدامته .

(١٨٧/١)

فلو أني فعلت كنت من تسأله وهو قائم أن يقوموا

وأما الكفار فلا يعرفون الله، ولا يقرون به فكيف يعبدونه؟ قلت: المراد بعبادة المؤمنين: ازديادهم منها وإقبالهم وثباتهم عليها. وأما عبادة الكفار فمشروط فيها ما لا بدلها منه (١) وهو الإقرار، كما يشترط على المأمور بالصلاة شرائطها من الوضوء والنية وغيرهما وما لا بد للفعل منه، فهو مندرج تحت الأمر به وإن لم يذكر، حيث لم

ينفعل إلا به، وكان من لوازمه. على أن مشركي مكة كانوا يعرفون الله ويعترفون به { ولئن سألتهم من خلقهم ليقولن الله { (الزخرف: ٨٧). فإن قلت: فقد جعلت قوله { اعبدوا { متناولا شيئين (٢) معا: الأمر بالعبادة، والأمر بازديادها. قلت: الازدياد من العبادة عبادة وليس شيئا آخر (٣). فإن قلت: { ربكم { ما المراد به؟ قلت: كان المشركون معتقدين ربوبيتين: ربوبية الله، وربوبية آلهتهم. فإن خصوا بالخطاب فالمراد به اسم يشترك فيه فيه رب السموات والأرض والآلهة التي كانوا يسمونها أربابا وكان قوله: { الذي خلقكم { صفة موصحة مميزة.

(١) قوله: (فمشروط فيها ما لا بدلها منه) وذلك لأن إيجاب الشيء مطلقا يوجب ما لا يتم إلا به إذا مقدورا كما تقرر في الأصول .

(٢) قوله: (متناولا شيئين) هذا مما اختلف أئمة الأصول في جوازه ، اعني استعمال اللفظ المشترك في معنييه ، أو معانيه ، واختيار جار الله أنه لا يجوز .

(٣) قوله: (وليس شيئا آخر) أراد أنه ليس مغائرا بالذات ، بل هما متفقان بالذات ، وإن اختلفا بالعوارض ، وعلى هذا فليس بمشترك .

(١٨٨/١)

وإن كان الخطاب للفرق جميعا، فالمراد به "ربكم" على الحقيقة (١). والذي خلقكم: صفة جرت عليه على طريق المدح والتعظيم. ولا يمتنع هذا الوجه في خطاب الكفرة خاصة، إلا أن الأول أوضح وأصح. والخلق: إيجاد الشيء على تقدير واستواء. يقال: خلق النعل، إذا قدرها وسواها بالمقياس. وقرأ أبو عمرو: { خلقكم { بالإدغام. وقرأ ابن السميع: وخلق من قبلكم. وفي قراءة زيد بن علي: { والذين من قبلكم { وهي قراءة مشكلة (٢)، ووجهها على إشكالها أن يقال: أقحم الموصول الثاني بين الأول وصلته تأكيدا، كما أقحم جرير في قوله:

يا تيم تيم عدي لا أبالكم [لا يلقيكم في سوءة عمر] (٣)

(١) قوله: (فالمراد به "ربكم" على الحقيقة) أي : الرب الذي إذا خوطب به سائر الناس

لا يتبادر إلى ذهن أحد غيره ، والفرق أن الرب في الأول متعدد ، والمربوب واحد ، أي : طائفة واحدة ، فلذلك جاء اللبس ، وفي الثاني بالعكس فلا لبس ، ولا يمتنع هذا الوجه معنى كون الصفة جارية للمدح في خطاب الكفرة لأنهم كانوا يتقربون بالأصنام إليه فهو الرب الحقيقي ، وأيضا فإذا سمعوا من الله جملة لم يشتبه عليهم أنه هو المراد ، والأول أصح لما تعورف بينهم من اطلاق الرب على غيره ، ولأن قول السحرة : رب موسى وهارون بعد قوله رب العالمين ليس إلا لرفع الاحتمال .

(٢) قوله: (وهي قراءة مشكلة) وذلك لاجتماع موصولين مع صلة واحدة .

(٣) قوله: (يا تيم تيم عدي لا أبالكم [لا يلقيكم في سوءة عمر]) بعده :

... .. تعرض تيم .. لأهجوها *** كما الحجر

قال جرير ذلك لما تعرض له عمرو بن لحيان التيمي لهجوه ، أراد لا تتركوا عمر أن يهجوني فيصيبكم شري ، وسي بسببه ، وقد هجا جرير نفسه في البيت الثاني أقبح هجو لتشبيهه نفسه ب الحاوي ، قال المصنف : فإن قيل : يا تيم كلام مفيد بنفسه ، فجاز وقوع تيم الثاني تأكيدا له بخلاف ، { والذين } في الآية فإنه غير مفيد أيضا فائدة الإشارة ، وإن كان المشار إليه فيهما ، ولهذا يرجع الضمير إليه ، والضمير لا يرجع إلى المفيد ، فإنك تقول : الذي فعلته .

(١٨٩/١)

تيمما الثاني بين الأول وما أضيف إليه، وكإقحامهم لام الإضافة بين المضاف والمضاف إليه في: لا أبالك: ولعل للترجي أو الإشفاق. تقول: لعل زيدا يكرمني. ولعله يهينني. وقال الله تعالى: { لعله يتذكر أو يخشى } (طه: ٤٤)، { لعل الساعة قريب } (الشورى: ١٧). ألا ترى إلى قوله: { والذين آمنوا مشفقون منها } (الشورى: ١٨). وقد جاءت على سبيل الإطماع في مواضع من القرآن، ولكن لأنه إطماع من كريم رحيم، إذا أطمع فعل ما يطمع فيه لا محالة، لجري إطماعه مجرى وعده المحتوم وفاؤه به. قال من قال(١): إن "لعل" بمعنى "كي"، و"لعل" لا تكون بمعنى "كي".

(١) قوله: (قال من قال) تعليله قوله : لأنه اطماع من كريم ، ومعنى قوله

أيضا (فمن ديدن الملوك) عطف من حيث المعنى على قوله (إطماع من كريم) ومعنى (يخيلوا إخاله) يفعلوا ما يكون سببا لظن حصول الخير منهم .
(١٩٠/١)

ولكن الحقيقة ما ألقيت إليك. وأيضا فمن ديدن الملوك وما عليه أوضاع أمرهم ورسومهم أن يقتصروا في مواعيدهم التي يوطنون أنفسهم على إنجازها على أن يقولوا: عسى، ولعل، ونحوهما من الكلمات أو يخيلوا إخاله. أو يظفر منهم بالرمزة أو الابتسامة أو النظرة الحلوة، فإذا عثر على شيء من ذلك منهم، لم يبق للطالب ما عندهم شك في النجاح والفوز بالمطلوب. فعلى مثله ورد كلام مالك الملوك ذي العز والكبرياء. أو يجيء على طريق الإطماع(١)

(١) قوله: (أو يجيء على طريق الإطماع) عطف على قوله : وقد جاء على سبيل الإطماع ، كأنه قيل له : أترتجي على سبيل الإطماع ، مع التحقيق مجازا ، أو على طريق الإطماع دون التحقيق حقيقة ..
(١٩١/١)

دون التحقيق لئلا يتكل العباد، كقوله: { يا أيها الذين آمنوا توبوا إلى الله توبة نصوحا عسى ربكم أن يكفر عنكم سيئاتكم } (التحريم: ٨)، فإن قلت: ف"لعل" التي في الآية ما معناها وما موقعها؟ قلت: ليست مما ذكرناه في شيء، لأن قوله: { خلقكم } ، { لعلكم تتقون } ، لا يجوز أن يحمل على رجاء الله تقواهم لأن الرجاء لا يجوز على عالم الغيب والشهادة: وحمله على أن يخلقهم راجين للتقوى ليس بسديد(١)

(١) قوله: (راجين للتقوى ليس بسديد) لأنه لا يصح اسناد الرجاء إليهم حال الخلق ؛ لأنهم إذ ذاك ما كانوا عالمين بالتقوى حتى يصح رجاؤهم لها ، قيل : ويجوز أن يكون { لعلكم تتقون } على هذا حالا مقدرة ، والنجدان : طريق الخير والشر ، والترجيح التمثيل ... وقيل : قوله لأن الرجاء إلى قوله : ليس بسديد إنما يلزم إذا علق لعل

بخلقكم ، وأما إذا علق بقوله : { اعبدوا } أي : اعبدوا ربكم اتقاء واحترازا من عقابه ، واعبدوا راجين أن يحصل لكم التقوى التي هي غاية العبادة بحسب تفسير لعل يعني الاشتقاق ، والترجي فلا يكون مجازا ، والمصنف إنما أجاز تعليق لعل بخلقكم

ليوافق قوله تعالى { وما خلقت الجن والانس إلا ليعبدون } لأن معناه ، ومعنى خلقكم لعلكم تتقون واحد من حيث أن التقوى عبادة ، هذا من حيث المعنى . [٧١٥] وأما من حيث الإعراب فلأنه أقرب إليه ، فيكون أولى ، ولأن الغرض هو الحث على العبادة والتقوى ، وذلك لا يحصل إلا إذا علق لعل بخلقكم . والله أعلم . .

والذي يفهم من كلام المصنف أن لعل مشترك بين الترجي والإشفاق ، وهو في الإطماع ملحق بعسى ، هذا ولكنه غلب في الترجي .

(١٩٢/١)

أيضا . ولكن "لعل" واقعة في الآية موقع المجاز لا الحقيقة، لأن الله عز وجل خلق عباده ليتعبدهم بالتكليف، وركب فيهم العقول والشهوات، وأزاح العلة في أقدارهم وتمكينهم وهداهم النجدين، ووضع في أيديهم زمام الاختيار، وأراد منهم الخير والتقوى. فهم في صورة المرجو منهم أن يتقوا ليرجح أمرهم - وهم مختارون بين الطاعة والعصيان - كما ترجحت حال المرتجي بين أن يفعل وأن لا يفعل، ومصادقه قوله عز وجل: { ليلوكم أيكم أحسن عملا } (هود: ٧)، (الملك: ٢) وإنما يبلو ويختبر من تخفى عليه العواقب، ولكن شبه بالاختيار بناء أمرهم على الاختيار. فإن قلت: كما خلق المخاطبين لعلهم يتقون، فكذلك خلق الذين من قبلهم لذلك، فلم قصره عليهم دون من قبلهم؟ قلت: لم يقصره عليهم، ولكن غلب المخاطبين على الغائبين في اللفظ والمعنى على إرادتهم جميعا. فإن قلت: : فهلا قيل تعبدون(١) لأجل اعبدوا؟ أو اتقوا لمكان تتقون ليتجاوب طرفا النظم. قلت: ليست التقوى غير العبادة حتى يؤدي ذلك إلى تنافر النظم. وإنما التقوى قصارى أمر العابد ومنتهى جهده. فإذا قال: { اعبدوا ربكم الذي خلقكم } للاستيلاء على

أقصى غايات العبادة(٢)

(١) قوله: (فهلا قيل تعبدون) أراد أنه لو قال : اعبدوا لعلكم تعبدون ، أو اتقوا لعلكم تتقون لتطابق طرفا النظم ، وكان من الصفة البديعية ، التي هي رد اللحم على الصدر ، وحاصل الجواب أن المطابقة حاصلة من حيث المعنى مع إعطاء معنى المبالغة ؛ لأن التقوى في العرف عبارة عن الإنتهاء عن جميع المنهيات ، مع الاتيان بجميع المأمورات ، وإليه أشار بقوله : والتقوى قصارى أمر العابد ، ومنتهى جهده .

(٢) الإنتصاف . قوله : ({ خلقكم } للاستيلاء على أقصى غايات العبادة) مفرع على

مذهبه ، والأليق أن يقال : خلقكم على حالة من حقكم معها أن لا تدعوا من جهدكم في التقوى شيئا .

الإنصاف : لا يرد عليه ما ذكره ؛ لأن خلقهم للاستيلاء لهم من كون الاستيلاء منهم ، أو من الله تعالى ، وحينئذ يخص عمومهم بأن المراد من خلق ذلك ، وأقول ما قال صاحب الانصاف ، أنه قال ذلك مفرعا على مذهبه فليس بشيء بل قاله مفرعا على قول الله تعالى { لعلكم تتقون } وعلى قوله : { وما خلقت الجن والإنس إلا ليعبدون } وأيضا فلو كانت العباد مجبرين من عنده فكيف يصح قوله : { خلقكم } على حالة من حقكم معها أن لا

تدعوا من جهدكم في التقوى شيئا ، وإنما يصح هذا إذا كانوا مختارين غير مجبرين ، و أيضا هو وأن تمكن أن يعلق أجل هنا باعبدوا لئلا يلزم خلاف مذهبه ، وهو عدم وجود مراد الله من الجميع ، وهو التقوى ، فما يصنع بقوله : { وما خلقت الجن والإنس إلا ليعبدون } فإنه في هذا الموضع لا محالة ؛ لأنه إن حكم بأن اللام لام الغرض لزمه ترك مذهبه ، ولأن العبادة لم توجد من جميع الجن والإنس ، وإن قال : إنها لام العاقبة لزمه أن يكون عاقبة الجميع العبادة ، وهو منتف ، وأما قول صاحب الانصاف : خلقهم للاستيلاء ، لكنه خص بأن المراد من خلق ، أي : خلقكم للاستيلاء على أقصى غاية

العبادة ، عن خلق العبادة ، أو الاشتغال لا الاستيلاء منكم ، فيرد عليه أنه كان يجب حصول الاستيلاء من الجميع ؛ لأنه مراد الله ، وأن الاستيلاء على غاية العبادة أيضا فعله ، وقد وجد الاستيلاء في الخارج في جنس المخلوقين ، فلم قال : خلقكم لعلكم تتقون ، ولم يقل خلقكم لعلكم تسعون ، وعلى مذهبه لو قال الله تعالى للكفار : خلقكم لعلكم تكفرون لصح ، وحينئذ فما المخصص للتقوى بالذكر .

(١٩٣/١)

كان أبعث على العبادة، وأشد إلزاما لها، وأثبت لها في النفوس. ونحوه أن تقول لعبدك: احمل خريطة الكتب، فما ملكتك يميني إلا لجر الأثقال. ولو قلت: لحمل خرائط الكتب لم يقع من نفسه ذلك الموقع.

{ الذي جعل لكم الأرض V©`u\$ چدñ والسماء [ن!sY\$خ / ur&Rr"tAu من السماء ماء

yr'V9\$#چ N`u\$ به من دزr'sù÷ylu رزقا لكم فلا تجعلوا لله أندادا وأنتم تعلمون

{ (٢٢) }

قدم سبحانه من موجبات عبادته وملزمات حق الشكر له خلقهم أحياء قادرين أولاً؛ لأنه
سابقة أصول النعم (١)

(١) قوله: (لأنه سابقة أصول النعم) أصول النعم خمس : خلق الحي ، وخلق حياته ، وخلق
شهوته ، وتمكينه من المشتهى ، وإكمال العقل الذي يميز به بن الحسن والقبيح ، ومن
الحيوان يتعلق بالمسيح .

و(من ألوان) بيان أشباه ، ومعنى (متسلقا) مصعدا ، ومعنى (يتعرفونها) يطلبون معرفتها
، والمراد بالتزام الشكر العبادة للمنع بأصول النعم بعد معرفته ، وإنما جعل
العبادة لازم الشكر باعتبار أنها جزؤه ، والجزء لازم للكل ، لأنه قرر في الحمد لله
أن الشكر يكون باللسان ، والقلب ، والجوارح ، وقيل : المراد به الشكر اللازم ،
والإضافة فيه على هذا من باب اضافة جرد قطيعة .
(١٩٤/١)

ومقدمتها، والسبب في التمكن من العبادة والشكر وغيرهما، ثم خلق الأرض التي هي
مكانهم ومستقرهم الذي لا بد لهم منه، وهي بمنزلة عرصة المسكن ومتقلبه ومفترشه، ثم

خلق السماء التي هي كالقبة المضروبة والخيمة المطبئة على هذا القرار، ثم ما سواه عز
وجل من شبه عقد النكاح بين المقلة والمظلة بإنزال الماء منها عليها. والإخراج به من
بطنها - أشباه النسل المنتج من الحيوان - من ألوان الثمار رزقا لبني آدم، ليكون
لهم ذلك معتبرا: ومتسلقا إلى النظر الموصل إلى التوحيد والاعتراف؛ ونعمة يتعرفونها
فيقابلونها بلازم الشكر، ويتفكرون في خلق أنفسهم وخلق ما فوقهم وتحتهم، وأن شيئا من
هذه المخلوقات كلها لا يقدر على إيجاد شيء منها، فيتيقنوا عند ذلك أن لا بد لها من
خالق ليس كمثلهما، حتى لا يجعلوا المخلوقات له أندادا وهم يعلمون أنها لا تقدر على
نحو ما هو عليه قادر. والموصول مع صلته إما أن يكون في محل النصب وصفا كالذي
خلقكم،

أو على المدح والتعظيم. وإما أن يكون رفعا على الابتداء (١) وفيه ما في النصب من
المدح، وقرأ يزيد الشامي: بساطا. وقرأ طلحة: مهادا. ومعنى جعلها فراشا وبساطا
ومهادا للناس: أنهم يقعدون عليها وينامون ويتقبلون كما يتقبل أحدهم على فراشه

وبساطه ومهاده. فإن قلت: هل فيه دليل على أن الأرض مسطحة وليست بكروية؟ قلت: ليس فيه

إلا أن الناس يفترضونها كما

(١) قوله: (وإما أن يكون رفعا على الابتداء) أي: على أنه خبر مبتدأ محذوف، والخباء: ما اتخذ من الوبر والصوف فقط، وهو على عمودين أو ثلاثة، وما فوق ذلك فهو بيت، والطراف: بيت من آدم، ومعنى (بنى على امرأته) دخل بها، ومعنى (وسكون إلى عظيم قدرته) { واستثناس بها من سكن الله استأنس به، والتدرج إلى الشيء العظيم سبب الأنس، كما أن المبادهة سبب [٧١٦] الاستيحاش منه. (١٩٥/١)

يفعلون بالمفارش، وسواء كانت على شكل السطح. أو شكل الكرة، فالافتراض غير مستنكر ولا مدفوع، لعظم حجمها واتساع جرمها وتباعد أطرافها. وإذا كان متسهلا في الجبل وهو وتد من أوتاد الأرض، فهو في الأرض ذات الطول والعرض أسهل. والبناء مصدر سمي به

المبنى - بيتا كان أو قبة أو خباء أو طرافا - وأبنية العرب: أحببتهم، ومنه بنى على امرأته، لأنهم كانوا إذا تزوجوا ضربوا عليها خباء جديدا. فإن قلت: ما معنى إخراج الثمرات بالماء وإنما خرجت بقدرته ومشيتته؟ قلت: المعنى أنه جعل الماء سببا في خروجها ومادة لها، كماء الفحل في خلق الولد، وهو قادر على أن ينشئ الأجناس كلها بلا أسباب ولا مواد كما أنشأ نفوس الأسباب والمواد، ولكن له في إنشاء الأشياء مدرجا لها من حال إلى حال، وناقلا من مرتبة إلى مرتبة حكما ودواعي يحدد فيها لملائكته والنظار بعيون الاستبصار من عباده عبدا وأفكارا صالحة، وزيادة طمأنينة، وسكون إلى عظيم قدرته وغرائب حكمته، ليس ذلك في إنشائها بغتة من غير تدريج وترتيب. و"من" في { من الثمرات } للتبعض بشهادة قوله: { فأخرجنا به من كل الثمرات } (١))

(١) قوله: (بشهادة قوله: { فأخرجنا به من كل الثمرات }) فإن من فيه تبعية، أي: أخرجنا به بعض كل الثمرات، فيكون البعض الآخر غير مخرج به، وأيضا فإنه أراد بالكل الأكثر؛ لأن أول أول الآية { حتى إذا أقلت سحابا ثقلا سقناه لبلد ميت فأخرجنا به من كل الثمرات } لأنه تعالى لم يرد بقوله: { سحابا ثقلا } كل السحاب، ولا بالبلد الميت كل البلاد، ولا أنزل من السحاب كل الماء، ولا أخرج به جميع الثمرات، بل

أراد بالكل الأكثر ، وأكثر ما يستعمل الكل في التنزيل بمعنى الأكثر منه قوله: { تدمر كل شيء } { وأوتينا من كل شيء } { وأوتيت من كل شيء } { الله خالق كل شيء } .. (١٩٦/١)

الأعراف: ٥٧)، وقوله: { فأخرجنا به ثمرات } (١) (فاطر: ٢٧). ولأن المنكرين أعني: ماء، ورزقا. يكتنفانه. وقد قصد بتنكيرهما معنى البعضية فكأنه قيل: وأنزلنا من السماء بعض الماء، فأخرجنا به بعض الثمرات، ليكون بعض رزقكم. وهذا هو المطابق لصحة المعنى، لأنه لم ينزل من السماء الماء كله (٢)، ولا أخرج بالمطر جميع الثمرات (٣)، ولا جعل الرزق كله في الثمرات. ويجوز أن تكون للبيان كقولك: أنفقت من الدراهم ألفا. فإن قلت: فيم انتصب { رزقا } ؟ قلت: إن كانت "من" للتبعية. كان انتصابه بأنه مفعول له (٤).

(١) وأما قوله: { فأخرجنا به ثمرات } فدلالته على البعضية من حيث التنكير ، وجمع القلة .

(٢) قوله: (لأنه لم ينزل من السماء الماء كله { أي : لم ينزل من السماء كل الماء الذي أخرج به كل الثمرات ؛ لأن بعض الثمرات مخرج من غير ماء السماء ، بدليل قوله تعالى { وأنزلنا من السماء { بعض الماء ، فأخرجنا به بعض الثمرات .

(٣) قوله: (ولا أخرج بالمطر جميع الثمرات) فإن قلت : هذا يخالف ما ذكره في الزمر من أن كل ما في الأرض لهو من السماء ينزل منها إلى الصخرة ، ثم يقسمه ؟ قلنا : على تقدير صحة هذه الرواية ، الفاء في قوله { فأخرج } مستدعية للإخراج بع\ الإنزال بالانزاح عادة ، ومفهومه أن بعضا من الثمرات مخرج على غير هذه الصورة ، وهو ما يسقى بماء الآبار والعيون والأنهار ، فإنها منزاحة عادة بعد الإنزال .

(٤) قوله: (إن كانت "من" للتبعية.. كان انتصابه بأنه مفعول له) قيل : إذا كانت للتبعية يكون محلها منصوبا على المفعول به ، ورزقا على المفعول له ، وليس بمفعول به ، إذ لو كان مفعولا به للزم أن يكون المحرم هو الرزق لا الثمرات ، ومحل لكم منصوب على أنه مفعول به لرزقا ؛ لأنه مصدر ، وإن كانت للتبعية كانت حالا مكررة ، ورزقا مفعولا به ، ولكم صفة لرزقا ، وقيل : إذا قلت : أكلت من هذا الخير ، فمن للتبعية ؛ لأنه يرد إذا قلت : أكلت من هذا الخير الجيد ، بعض الجيد فهو للبيان ، قال الطيبي : وعلى أن تكون بدلا ... مفعولاته تكون اسما كعن في قوله : من عن يميني ، فمن في

الآية وعن في البيت مجازان عن متعلق معناهما ، كما قال صاحب المفتاح ، و ...
منزلتهما في الاعتبار ، وإنما لم ينون مراعاة لأصله ، ولم أسمع أحدا من أئمة علم

الاعراب قال ذلك ، ولم يعد أحد منهم في الحروف ؛ بأن تكون اسما تارة ، وحرفا أخرى ،
كعن وعلى ، والكاف ، وكونها بمعنى بعض لا يوجب كونها اسما ، كما أنها إذا كانت
للتبيين تكون بمعنى الذي ، ولا تكون اسما ، ومعنى كونها بمعنى البعض أنه يصح وضع
البعض موضعها من غير تغيير في معنى الكلام ، ولعل مراده بكونها منصوبة محلا أنه لو
أتي في محلها ببعض لكان منصوبا ، أو أنها مع المجرور بها في محل النصب ، قال نجم
الأئمة الرضي : ومثال التبعض : أخذت من الدراهم ؛ والمفعول الصريح لأخذت محذوف ،
أي

: أخذت من الدراهم شيئا ، وإذا لم يذكر المفعول الصريح ، أو ذكرته معرfa ، نحو :
أخذت من الدراهم هذا ، فمن يتعلق بأخذت ؛ لأنه يقام مقام الفاعل ، نحو أخذت من
الدراهم ، والدراهم مأخوذ منها ، ولو ذكرته بعد المفعول المنكر نحو أخذت شيئا من
الدراهم جاز أن يكون الجار متعلقا بالفعل المذكور ، وأن يكون صفة لشيء فيتعلق بمقدر
، أي : شيئا كائنا من الدراهم ، فيجوز إذا تقدم على المفعول أن يكون أيضا حالا عن
النكرة المؤخرة ، نحو أخذت من الدراهم شيئا .
(١٩٧/١)

وإن كانت مبنية، كان مفعولا لأخرج. فإن قلت: فالثمر المخرج بماء السماء كثير جم فلم
قيل: الثمرات دون الثمر والثمار؟ قلت: فيه وجهان، أحدهما أن يقصد بالثمرات جماعة
الثمرة(١) التي في قولك: فلان أدركت ثمرة بستانه، تريد ثماره. ونظيره قولهم: كلمة
الحويدرة(٢)،

(١) قوله: (أن يقصد بالثمرات جماعة الثمرة) يريد بأن مفرد الثمرات الثمرة ، التي
يراد بها الثمار في مثل هذا الموضع ، فالثمرات مشتملة على أفراد ، وكل فرد منها
ثمر ، فإذا تفيد الثمرات من الكثرة ما لا تفيد الثمار ، وإن كانت جمع قلة .
(٢) قوله: (كلمة الحويدرة) الحويدرة اسم شاعر تصغير حادر ، واسمه قطنة ، أو محسر
روي أن حسانا كان إذا قيل له : أنشدنا قال : هل أنشدكم كلمة الحويدرة ، أي : قصيدته
العينية [٧١٧] التي مستهلها :

بكرت سمية بكرة فتمتع***وغدت غدو مفارق لم يرتع

ومعنى لم يرتع ، أي : لم يتوقف .

(١٩٨/١)

لقصيدته. وقولهم للقربة: المدرة، وإنما هي مدر متلاحق. والثاني: أن الجموع يتعاور بعضها موقع بعض لالتقاءها في الجمعية، كقوله: { كم تركوا من جنات } (الدخان: ٢٥) و { ثلاثة قروء } (١) (البقرة: ٢٢٨). ويعضد الوجه الأول قراءة محمد بن السميع: من الثمرة، على التوحيد. و { لكم } صفة جارية على الرزق إن أريد به العين، وإن جعل اسما للمعنى (٢) فهو مفعول به، كأنه قيل: رزقا إياكم. فإن قلت: بم تعلق (٣) {

(١) قوله: { كم تركوا من جنات } (الدخان: ٢٥) و { ثلاثة قروء } (جنات جمع قلة ، وضع موضع جمع الكثرة ، وهو جنان لأنه اسم للكثير ، وقروء جمع كثرة وضع موضع أقراء ؛ لأن غير الثلاثة ينبغي أن يكون كثرة .

(٢) قوله: (وإن جعل اسما للمعنى) أي : مصدرا مفعول به ، كأنه قدر أعطاءكم ، وهو المراد بقوله : رزقا إياكم ، كما تقول زرقة العلم والمال ، أي اولاه وأعطاه .

(٣) قوله: (بم تعلق) أراد به التعلق المعنوي ، وتعلقه به على أنه معطوف عليه ، أو نفي منصوب بإضمار أن جواب له ، أو لفعل على أن ينصب ينصب فجعلوا نصب فاطلع في

قوله تعالى { لعلي أبلغ الأسباب أسباب السموات فأطلع } فإنها بالأشياء الستة لا شراكها في أنها غير موجبة ، أو بالذي جعل إن استأنفت به على أنه نهى وقع خبرا على تأويل مفعول فيه ، فلا تجعلوا ، والفاء للتشبيه أدخلت عليه لتضمن المبتدأ معنى الشرط ، والمعنى : أن من حققكم بهذه النعم الجسام ، والآيات العظام ينبغي أن لا يشرك به ، هكذا ذكر القاضي في تفسيره في تعلق فلا تجعلوا بما قبله .

قال الطيبي : وقلت : الوجه الأول للمصنف مبني على أنه منصوب بأنه جواب للأمر ، ولذلك علله بقوله : لأن أصل العبادة التوحيد ، وأن لا يجعل له ند ولا شريك ، وأما

على العطف بالنهي على الأمر فالأنه مثل قوله تعالى { واعبدوا الله ولا تشركوا به شيئا } والثاني في الكتاب على غير ما ذكر القاضي ؛ لأنه لم يجعل لعل على تأويل

الشرط ، بل جعلها بمعنى كي ، وفي استئناف الذي إشارة إلى معنى الاختصاص ؛ لأنه استئناف بإعادة صفة من استأنف عنه الحديث . فكأن سائلا سأل حين سمع قوله { اعبدوا ربكم } سأل ما بالنأ نخصه بالعبادة ، وأن لا نشرك به شيئا ؟ فقل : لأنه هو الذي خلقكم إلى آخره ، وفي الوجوه إشارة إلى الاشعار بالعلية ؛ لأن الحكم مترتب على الأوصاف .
والمناوي : المعادي ، ومعناه : الناهض بالعداوة .
(١٩٩/١)

فلا تجعلوا { ؟ قلت : فيه ثلاثة أوجه : أن يتعلق بالأمر . أي اعبدوا ربكم فلا تجعلوا له { أندادا } لأن أصل العبادة وأساسها التوحيد ، وأن لا يجعل لله ند ولا شريك . أو بلعل ، على أن ينتصب تجعلوا انتصاب ، فأطلع في قوله عز وجل : { لعل أبلغ الأسباب أسباب السموات فأطلع إلى إله موسى } (غافر : ٣٦ - ٣٧) في رواية حفص عن عاصم ، أي خلقكم لكي تتقوا وتخافوا عقابه فلا تشبهوه بخلقه ، أو بالذي جعل لكم ، إذا رفعته على الابتداء ، أي هو الذي خصكم بهذه الآيات العظيمة والدلائل النيرة الشاهدة بالوحدانية ، فلا تتخذوا له شركاء . والند : المثل . ولا يقال إلا للمثل المخالف المناوي . قال جرير (١) :
أتيما يجعلون إلي ندا*** وما تيم لذي حسب نديدا

(١) قوله : (قال جرير :
أتيما يجعلون إلي ندا*** وما تيم لذي حسب نديدا
يقول مستفهما منكرا : أتجعلوه القبيلة أمثالي ، وليس هم بمثل لصاحب حسب ، والند : المثل ، والحسب : ما يحسب من مناقب الرجل ، أي : كيف يعدل بي هؤلاء اللئام ، والمنافرة : المحاكمة ، وأصلها قولهم : احكم أينا أعز نفرا ، وقوله : ليس له ند .
لف ، وقوله : نفي ما يسد مسده ، ونفي ما ينافيه . نشر .
(٢٠٠/١)

وناددت الرجل : خالفته ونافرته ، من ند ندوا إذا نفر . ومعنى قولهم : ليس لله ند ولا ضد نفي ما يسده مسده ، ونفي ما ينافيه . فإن قلت : كانوا يسمون أصنامهم باسمه ويعظمونها بما يعظم به من القرب ، وما كانوا يزعمون أنها تخالف الله وتناويه . قلت : لما تقربوا

إليها وعظموها وسموها آلهة، أشبهت حالهم حال من يعتقد أنها آلهة مثله، قادرة على مخالفته ومضادته فقيّل لهم ذلك على سبيل التهكم. كما تهكم بهم بلفظ الند، شنع عليهم(١) واستفطع شأنهم بأن جعلوا أندادا كثيرة لمن لا يصح أن يكون له ند قط. وفي ذلك قال زيد بن عمرو بن نفيل حين فارق دين قومه:

أربا واحدا أم ألف رب(٢)

وقرأ محمد بن السميع:

(١) قوله: (شنع عليهم) يعني كما تهكم بهم بإثبات الند ، توبع في ذلك أن أوثر لفظ الجمع ، يعني لم يكتفوا بذلك الفعل الشنيع حتى ضموا إليه ما ازدادت به الشناعة.

(٢) قوله: (أربا واحدا أم ألف رب) أدين إذا تقسمت الأمور

أي : إذا تفرقت الأمور ، وفرض الاختيار إلى اختيار رب واحد أم ألف رب ، قال ذلك تقريراً لاختيار الواحد ، وإنكار الاختيار لألف رب ، وأدين بمعنى ، أطيع ، وهذا نظير قوله تعالى : { أأرباب متفرقون خير أم الله الواحد القهار } ويعد البيت :

تركت اللات والعزى جميعا*** كذلك يفعل الرجل البصير .

(٢٠١/١)

فلا تجعلوا لله ندا. فإن قلت: ما معنى { وأنتم تعلمون } . قلت: معناه: وحالكم وصفتكم(١) أنكم من صحة تمييزكم بين الصحيح والفساد، والمعرفة بدقائق الأمور وغوامض الأحوال، والإصابة في التدابير، والدهاء والفطنة، بمنزل لا تدفعون عنه. وهكذا كانت العرب، خصوصا ساكنو الحرم من قريش وكنانة، لا يصطلي بنارهم في استحكام المعرفة بالأمور وحسن الإحاطة بها. ومفعول { تعلمون } متروك كأنه قيل: وأنتم من أهل العلم والمعرفة(٢). والتوبيخ فيه أكد، أي أنتم العرافون المميزون. ثم إن ما أنتم عليه في أمر ديانتكم من جعل الأصنام لله أندادا، هو غاية الجهل ونهاية سخافة العقل. ويجوز

أن يقدر: وأنتم تعلمون أنه لا يماثل(٣). أو: وأنتم تعلمون ما بينه وبينها من التفاوت. أو: وأنتم تعلمون أنها لا تفعل مثل أفعاله. كقوله: { هل من شركائكم من يفعل من ذلكم من شيء } (الروم: ٤٠).

{ وإن كنتم في ريب مما نزلنا على عبدنا فأتوا بسورة من $\frac{3}{4}$ د & ح ÷ V د iB

ur#\$(#qم٥ث

شهداءكم من دون الله إن كنتم صادقين (٢٣) }

(١) قوله: (معناه: وحالكم وصفتكم) يريد أن قوله : { وأنتم تعلمون } واقع موقع الحال ، ومعناه : أن جعلكم لله أندادا مع أن حالكم هذه موضع تعجب وتعجيب ، ومعنى (لا يصطلى بنارهم) أنهم لا يطاقون ، أي : لا تنال نارهم لرفعة شأنهم ، حتى يصطلى بها ، وهو كناية عن علو المرتبة ، والسمو ... فهو مثل : لا يشق غبارهم .

(٢) قوله: (وأنتم من أهل العلم والمعرفة) على تنزيل المتعدي منزلة اللازم .

(٣) قوله: (وأنتم تعلمون أنه لا يماثل) إلى آخره . على أنه متعد ، لكنه حذف المفعول للقرينة الدالة عليه ، وقال الطيبي : إنما حذف المفعول على هذا لقصد التعميم لئلا تقتصر على المذكور دون غيره ، فكان الذي ذكره أولى لمناسبة كلام المصنف فليتأمل .

(٢٠٢/١)

لما احتج عليهم بما يثبت الوجدانية ويحققها، ويطل الإشراف ويهدمه، وعلم الطريق إلى إثبات (١) ذلك وتصحيحه، وعرفهم أن من أشرك فقد كابر عقله، وغطى على ما أنعم عليه من معرفته وتمييزه - عطف على ذلك ما هو الحجة على إثبات نبوة محمد صلى الله عليه وآله وسلم ، وما يدحض الشبهة في كون القرآن معجزة، وأراهم كيف يتعرفون أهو من عند الله كما يدعي، أم هو من عند نفسه كما يدعون. يارشادهم إلى أن يحزروا أنفسهم ويدوقوا طباعهم وهم أبناء جنسه وأهل جلدته. فإن قلت: لم قيل: { مما نزلنا } على لفظ التنزيل دون الإنزال؟ قلت: لأن المراد النزول على سبيل التدريج والتنجيم، وهو من محازة (٢)

(١) قوله: (وعلم الطريق إلى إثبات الصانع) التعليم في قوله : { الذي خلقكم } وفي قوله { رزقكم } والمراد ما أنعم عليه في قوله : وغطى ما أنعم عليه) العلم ، (وأراهم) عطف [٧١٨] على قوله : عطف على ذلك على سبيل التفسير . و (يارشادهم) متعلق

بقولهم : أراهم ، ومعنى (تحزروا وتذوقوا) تجربوا .

(٢) قوله: (وهو من محازة) قيل : المعنى النزول على سبيل التدريج من محاز لفظ التنزيل ، وقيل : هو راجع إلى معنى قوله : ثم قيل نزلنا ، أي : إنما قيل : نزلنا دون أنزلنا لأنه من محازة ومواقعه ؛ لأن فوائده كثيرة ، أما بالنسبة إلى الرسول فليضبط ألفاظه ، ثم لفهم معانيه ، وأما بالنسبة إلى المؤمنين فليستوفى على ما يفتقرون إليه من المصالح السانحة ، وأما بالنسبة إلى المخالفين فلاإزاحة عنهم و ...

. ولذلك علله بقوله : لمكان التحدي ، وبين مقام التحدي بقوله : وذلك أنهم كانوا يقولون .. إلى آخره ، والظاهر هو الأول ، أي : نزوله على سبيل التدرج وقع في موقعه لمكان التحدي ثبوته من كونه أبلغ ، وذلك إنما يكون إذ نزل على سبيل التدرج ، والكفاء : مصدر بمعنى المكافأة ، ووضع موضع المكافي ، وهو المماثل ، أراد مكافئاً للحوادث مماثلاً لها ، نازلاً بحسبها ..
(٢٠٣/١)

لمكان التحدي، وذلك أنهم كانوا يقولون: لو كان هذا من عند الله مخالفا لما يكون من عند الناس، لم ينزل هكذا نجوما سورة بعد سورة وآيات غب آيات، على حسب النوازل وكفاء الحوادث وعلى سنن ما نرى عليه أهل الخطابة والشعر، من وجود ما يوجد منهم مفرقا حيناً فحيناً، وشيئاً فشيئاً حسب ما يعين لهم من الأحوال المتجددة والحاجات السانحة، لا يلقي الناظم ديوان شعره دفعة، ولا يرمي الناثر بمجموع خطبه أو رسائله ضربة، فلو أنزله الله لأنزله خلاف هذه العادة جملة واحدة: قال الله تعالى: { وقال الذين كفروا لولا نزل عليه القرآن جملة واحدة { (الفرقان: ٣٢)، فقل: إن ارتبتم (١)

(١) قوله: (فقل: إن ارتبتم) عطف على قوله : كانوا يقولون .

قوله (وهذه غاية التبكيت) اشارة إلى الحجة ؛ لأنها أفحمت الخصم ؛ لأنه رام إبطال القرآن بسبب إنزاله مفرقا ، فأجيب بأن النزول هكذا أسهل عليكم إذا تحديتكم بأن تأتوا بنوبة من نوبه بخلاف ما لو أنزل جملة واحدة ، وتحديتكم بالإتيان بمجموعه ، فإن ذلك يصعب عليكم ؛ لأنه لا خلاف على خلاف عادتكم في اقتضاب الكلام ، والرجز ونحوه ، فإذا

لم تأتوا بأقصر سورة منه فقد دل على حقيقته ، وبطلان قولكم ، فألزموا بعين ما راموا الإبطال به ، وهو قريب من القول بالموجب .
(٢٠٤/١)

في هذا الذي وقع إنزاله هكذا على مهل وتدرج، فهاتوا أنتم نوبة واحدة من نوبه، وهلموا نجما فردا من نجومه: سورة من أصغر السور، أو آيات شتى مفتريات. وهذه غاية التبكيت. ومنتهى إزاحة العلل. وقرئ: "على عبادنا" يريد رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وأمه. والسورة: الطائفة من القرآن المترجمة التي أقلها ثلاث آيات.

وواوها إن كانت أصلا، فإما أن تسمى بسورة المدينة وهي حائطها، لأنها طائفة من القرآن محدودة محوذة على حياها، كالبلد المسور، أو لأنها محتوية على فنون من العلم وأجناس من الفوائد، كاحتواء سورة المدينة على ما فيها. وإما أن تسمى بالسورة التي هي الرتبة. قال النابغة:

ولرھط حراب وقد سورة*** في المجد ليس غرابها بمطار(١)

(١) قوله: (ولرھط حراب وقد سورة*** في المجد ليس غرابها بمطار) قال الطيبي: قد بالذال المعجمة، وسماعنا بالذال غير المعجمة، وفي الصحاح أوردت في باب الدال غير المعجمة، وقال: قال أبو عبيدة: هما رجلان من أسد، وقوله: ليس غرابها بمطار، كناية عن ارتفاعها، وأن الغراب لا يصل إليها فلا يطال، أي: لا غراب ثم ولا إطارة، فهو كقوله: ولا ترى بها ينحجر. وقيل: هو كناية عن الثبات، وخص الغراب لشدة حذره. وبعده: قوم إذا كثر الصياح رأيتهم*** وفرا غداة الروع والأنفار. ومعنى (بيانا واحدا) شيئا واحدا.

(٢٠٥/١)

لأحد معنيين، لأن السور بمنزلة المنازل والمراتب يترقى فيها القارئ: وهي أيضا في أنفسها مترتبة: طوال وأوساط وقصار، أو لرفعة شأنها وجلالة محلها في الدين. وإن جعلت واوها منقلبة عن همزة، فالأنها قطعة وطائفة من القرآن، كالسورة التي هي البقية من الشيء والفضلة منه. فإن قلت: ما فائدة تفصيل القرآن وتقطيعه سورا؟ قلت: ليست الفائدة في ذلك واحدة. ولأمر ما أنزل الله التوراة والإنجيل والزبور وسائر ما أوحاه إلى أنبيائه على هذا المنهاج مسورة مترجمة السور. وبوب المصنفون في كل فن كتبهم أبوابا موشحة الصدور بالتراجم. ومن فوائده: أن الجنس إذا انطوت تحته أنواع، واشتمل على أصناف، كان أحسن وأنبى وأفخم من أن يكون بيانا واحدا. ومنها أن القارئ إذا ختم سورة أو بابا من الكتاب ثم أخذ في آخر كان أنشط له وأهز لعطفه، وأبعث على الدرس والتحصيل منه لو استمر على الكتاب بطوله.

(٢٠٦/١)

ومثله المسافر، إذا علم أنه قطع ميلا، أو طوى فرسخا، أو انتهى إلى رأس بريد(١):

(١) قوله: (رأس بريد) قال في الفائق : تسمى المسافة التي بين السكتين بريداً ، و السكة : الموضع الذي كان يسكنه الفتوح المري ... ون من رياض أو قبة ، أو نحو ذلك ، وبعد ما بين السكتين فرسخان ، فكان يرتب في كل سكة بغال ، والبريد في الأصل البغل ، وهي كلمة فارسية ، أي : بريده ذم ؛ لأن بغال البريد كانت مجذومة الأذنان ، فعربت وخففت ، ثم سمي الرسول الذي يركب البريد بالسمة ، ومعنى حذف السورة فهو جهر فيها ، ومعنى حذفنا عظم من مثله يتعلق بسورة إلى قوله : ويجوز أن يتعلق بقوله : { فأتوا } والضمير للعبد ، وقد أورد على هذا الكلام سؤال ، وهو أنه لم جوز في الوجه الأول كون الضمير لما نزلنا تصرّيحاً ، وحظره في الوجه الثاني تلويحاً ، وأي فرق بين فأتوا بسورة كائنة من مثل ما نزلنا وبين فأتوا من مثل ما نزلنا بسورة ، وبين فأتوا من ما

نزلنا بسورة ، وهذا سؤال اشتهر بين الأفاضل ، وأجيب عنه بوجوه لا علينا أن نذكر بعضها ، الأول : أن مثله إذا تعلق بسورة كان من للتبعيض أو للبيان ، إن جعل الضمير للمنزل ، ولا ابتداء الغاية إن جعل للعبد ، وإذا علق بفأتوا تعين كون من لا ابتداء الغاية لعدم صحة كون من حينئذ التبعيض ، أو للبيان ، وإذا كان من لا ابتداء الغاية لزم أن يكون الضمير للعبد لا للمنزل ؛ لأن مبتدأ الكلام المتكلم لا غيره ، الثاني : أن من إذا تعلق بالفعل يكون إما ظرفاً لغو ، ومن لا ابتداء ... ومفعولاً به ، ومن للتبعيض إذ لا يستقيم [٧١٩] أن يكون بيانا لاقتضائه أن يكون مستقراً ، والمقدر خلافه ، وعلى تقدير أن تكون تبعيضاً فمعناه : فأتوا ببعض مثل المنزل بسورة ، وهو ظاهر البطالان ، وعلى أن يكون ابتداء لا يكون المطلوب بالتحدي الاتيان بالسورة فقط بل بشرط أن يعضا من كلام مثل القرآن ، وهذا على تقدير استقامته بمعزل عن المقصود ، واقتضاء المقام ؛ لأن المقام يقتضي التحدي على سبيل المبالغة ، وأن القرآن بلغ في الإعجاز إلى حالة لا يوجد لأقله نظير ، فكيف بالكل ، فالتحدي إذا بالسورة الموصوفة بكونها من مثله في الإعجاز ، وهذا إنما يتأتى إذا جعل الضمير لما نزلنا ، ومن مثله : صفة لسورة ، ومن بيانية ، فلا يكون المأتي به مشروطاً بذلك الشرط ، لأن البيان والمبين كالشيء الواحد كقوله تعالى { فاجتنبوا الرجس من الأوثان } وبعضه قول المصنف في سورة الفرقان : إن تنزيله مفارقاً وتحديهم بأن يأتوا ببعض تلك التفاريق كلما نزل شيء منها أوجب في الإعجاز ، وأنور للحجة من أن ينزل جملة واحدة ، ويقال لهم : جيئوا بمثل هذا الكتاب في فصاحته مع بعد ما بين طرفيه .

فإن قلت : إذا كان المآل إلى أن المطلوب المبالغة والاتيان بمثل أقصر سورة ، يكون القول بأن الضمير للقيّد مردود ، وقد قيل به ، ورواه الزجاج ؟

قلت : نعم ولهذا جعله المصنف مرجوحا بقوله : لأنهم إذا خوطبوا وهم الجرم الغفير بأن يأتوا بطائفة يسيرة من جنس ما أتى به واحد منهم كان أبلغ في التحدي من أن يقال : ليأت واحد بمثل ما أتى به هذا الواحد .

الثالث : أن قوله : { من مثله } متعلق بسورة .. إلى آخره ، قد أوهم أن الضمير إذا كان لما نزلنا كان الكلام مشعرا بثبوت مثل له حتى يأتوا بسورة من جملة ذلك المثل ، واحترز عن ذلك بما معناه أن من بيانية لا تبعية ، والمراد بالمثل ما هو على صفة من جنس النظم ، أي : بسورة من كلام هو على صفته من غير قصد إلى مثل له كما ذكر ، يعني بسورة هي كلام موصوف بصفته ، كقولك : عندي مال من الماشية ، أي : مال هو الماشية ، فعلى هذا إذا علق مثله بفأتوا كان المعنى على تقدير عود الضمير إلى المنزل فأتوا من جنس كلام موصوف بصفته بسورة فيكون (من مثله) إما حالا من اسورة مبينة هيأتها ، بأنها مثل المنزل ، والحال من المعمول يقيد عامله ، وإما صلة للإتيان ، وكيف كان تقيد الفعل فيكون الإتيان المأمور به إتيانا مقيدا لكونه من سورة مثله بسورة ، وذلك فاسد لا شك فيه ، وإن كان المراد : فأتوا من جملة كلام مما يماثله بسورة واحدة ، فإن كان ذلك المثل موجودا لزم المحذور ، وهو ثبوت المثل ، وكذا إن كان المراد إتيانا مقيدا من كلام مثله بسورة ، وإن لم يكن موجودا كان الفعل المقيّد ... منه ممتنعا ، فإن الممكن المقيّد وجود بوجود المعدوم ممتنع الوجود ، وذلك ما في التحدي ؛ لأن التحدي إنما يكون إذا كان أصل الفعل ممكنا مقدورا للنوع مطلقا ، لكنه اختص بشيء من زيادة ، أو تعلق بمفعول لا يسع أحدا من بني نوع الفاعل مثل ذلك النوع المختص بتلك الزيادة ، أو بذلك المفعول فيدل على ان الاختصاص إنما هو بمزية ، وتأييد من عند الله لصاحبه ، ونعم أصل افعل هنا ليس بممكن ، وإن جعل الأصل مطلق

الإتيان ، والمعجز الإتيان المقيّد كان المتحدى به هو الفعل لا المفعول ، والمقدر خلافة . فأما إتيان مقيّد بوجود معدوم لا نفس الإتيان فتبين أن يكون الضمير عائدا إلى المنزل على تقدير تعلق من مثله بفأتوا لا يخلو من أقسام كلها باطلة ، سواء كانت من ابتدائية ، أو تبعية ، أو بيانية ، وفي هذا الوجه نظر ؛ لأنه لا يجب في كل متحدى به أن يكون أصله مقدورا للنوع مطلقا . فليتأمل .

الرابع : أنه إنما قال : والضمير للمقيّد ؛ لأنه إذا كان ظرفا مستقرا على أنه صفة سورة ، بمعنى سورة كائنة من مثله لم يتعين الضمير للعبد ، بل كما احتمل العود إلى العبد احتمل العود إلى المنزل ، أما إذا كان ظرفا لغوا متعلقا بقوله : { فأتوا } لم يحتمل العود إلا إلى العبد ؛ لأنك لما علقت به فقد جعلته مبتدأ للإتيان بالسورة

ومنشأها ، فيكون هو المنشئ لها ، والآتي بها ، والمصدر والمملي حتى يحقق الابتداء فيه حقيقة ، كما إذا قلت ائني بشعر من فلان ، وإن كان هو المملي والمنشي على ما لا يخفى ، ولو رجعت الضمير على هذا إلى المنزل أحلت ، وأما نحو قولك ائني بماء من دجلة ، وثمره من بستانك ، وآية من القرآن ، وبيت من الحماسة فليس منه على أن في الحمل عليه فسادا بينا ؛ لأنه يفيد ثبوت المثل للقرآن ، وتوهمه ، والغرض نفي المثل على ما قال ، ولا قصد إلى مثيل ونضير هناك ، وحينئذ يفوت التحدي لأن المعنى فأتوا من مثل القرآن ، أي : من كلام مثل القرآن في الأسلوب والبلاغة بخلاف ما إذا علقتة بالسورة لأن حقيقة المعنى على إقحام كلمة من فكأنه قيل : بسورة تماثله نظما وأسلوبا فلا يلزم ، فمنه ما يلزم في الأول ، وهذا كما إذا قلت ائني بدرهم كائن من مثل هذه الدراهم المضروبة كان المعنى ائني بما يطبع على وجهها ويتكون من مثلها مطلقا إلا أن يأتي من مثلها الموجود

(٢٠٧/١)

نفس ذلك منه ونشطه للسير . ومن ثم جزأ القراء القرآن أسباعا وأجزاء وعشورا وأخماسا .

ومنها أن الحافظ إذا حذق السورة ، اعتقد أنه أخذ من كتاب الله طائفة مستقلة بنفسها لها فاتحة وخاتمة ، فيعظم عنده ما حفظه ، ويجل في نفسه ويغتنب به . ومنه حديث أنس رضي الله عنه :

(٢٣) "كان الرجل إذا قرأ البقرة وآل عمران ، جد فينا ومن ثمة كانت القراءة في الصلاة بسورة تامة أفضل . ومنها أن التفصيل سبب تلاحق الأشكال والنظائر وملاءمة بعضها لبعض .

وبذلك تتلاحظ المعاني ويتجاوب النظم ، إلى غير ذلك من الفوائد والمنافع { من مثله { متعلق بسورة صفة لها أي بسورة كائنة من مثله . والضمير لما نزلنا ، أو لعبدنا . ويجوز

أن يتعلق بقوله : { فأتوا { والضمير للعبد . فإن قلت : وما مثله حتى يأتوا بسورة من

ذلك المثل ؟ قلت : معناه فأتوا بسورة مما هو على صفته في البيان الغريب وعلو الطبقة

في حسن النظم . أو فأتوا ممن هو على حاله من كونه بشرا عربيا أو أميا لم يقرأ الكتب

ولم يأخذ من العلماء ، ولا قصد إلى مثل ونظير هنالك . ولكنه نحو قول القبعثري للحجاج

-

(٢٠٨/١)

وقد قال له : لأحملنك على الأدهم - : مثل الأمير حمل على الأدهم والأشهب . أراد من

كان على صفة الأمير من السلطان والقدرة وبسطة اليد. ولم يقصد أحدا يجعله مثلاً للحجاج. ورد الضمير إلى المنزل أوجه، لقوله تعالى: { فأتوا بسورة من مثله } . { فأتوا بعشر سور مثله } (هود: ١١)، { على أن يأتوا بمثل هذا القرآن لا يأتون بمثله } (الإسراء: ٨٨)، ولأن القرآن جدير بسلامة الترتيب والوقوع على أصح الأساليب، والكلام مع رد الضمير إلى المنزل أحسن ترتيباً. وذلك أن الحديث في المنزل لا في المنزل عليه، وهو مسوق إليه ومربوط به، فحقه أن لا يفك عنه برد الضمير إلى غيره. ألا ترى أن المعنى: وإن ارتبتم في أن القرآن منزل من عند الله. فهاتوا أنتم نبذا مما يماثله ويجانسه. وقضية الترتيب لو كان الضمير مردوداً إلى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أن يقال: وإن ارتبتم في أن محمداً منزل عليه فهاتوا قرآناً من مثله. ولأنهم إذا خوطبوا جميعاً - وهم الجم الغفير - بأن أتوا بطائفة يسيرة من جنس ما أتى به واحد منهم، كان أبلغ في التحدي من أن يقال لهم: ليأتي واحد آخر بنحو ما أتى به هذا الواحد، ولأن هذا التفسير هو الملائم (١)

(١) قوله: (ولأن هذا التفسير هو الملائم) وذلك لأنه إذا كان المراد ليأت واحد منكم ، أي : عربي لم يقرأ الكتب ولم يخط بنحو ما أتى به محمد صلى الله عليه وآله وسلم لم يتج إلى دعاء الشهداء وحضورهم للاستمداد بهم بخلاف إذا كان المراد المنزل ، فإنه حينئذ يكون الجم الغفير مخاطباً أن يأتوا بمثل ما أتى به فيقع { وادعوا شهداءكم موقعه } لأنه طلب الاستكثار للممددين والمعاونين .

تقرير آخر هو الملائم لقوله { وادعوا شهداءكم } إن كان المراد بالشهداء الأصنام فدعائهم إياها حينئذ لأجل الاستظهار ، والمعاون ، ولا معنى لاستظهارهم لها في أن يأتوا بسورة واحدة من مثل محمد صلى الله عليه وآله وسلم ، وكذا إن أريد بالشهداء القائمون بالشهادة ليشهدوا لهم أنهم أتوا برجل مثله ، وفي الأخير نظر فالأولى أن يراد به أنه الملائم له على كل تقدير ، بخلاف ما إذا أريد به الواحد فإنه لا يلائم على كل تقدير .

(٢٠٩/١)

لقوله: { وادعوا شهداءكم } والشهداء جمع شهيد بمعنى الحاضر أو القائم بالشهادة. ومعنى { دون } أدنى مكان من الشيء.

ومنه الشيء الدون (١)، وهو الدني الحقيق، ودون الكتب، إذا جمعها، لأن جمع الأشياء إدناء بعضها من بعض وتقليل المسافة بينها. يقال: هذا دون ذاك، إذا كان أحط منه قليلا. ودونك هذا: أصله خذه من دونك. أي من أدنى مكان منك فاختصر واستعير للتفاوت في الأحوال والرتب فقليل زيد دون عمرو في الشرف والعلم. ومنه قول من قال لعدوه وقد رآه بالثناء عليه: أنا دون هذا وفوق ما في نفسك، واتسع فيه فاستعمل في كل تجاوز حد إلى حد وتخطي حكم إلى حكم. قال الله تعالى: { لا يتخذ المؤمنون الكافرين أولياء من دون المؤمنين } (آل عمران: ٢٨) أي لا يتجاوزوا ولاية المؤمنين إلى ولاية الكافرين. وقال أمية:

يا نفس مالك دون الله من وافي (٢)

(١) قوله: (ومنه الشيء الدون) أي : هو مأخوذ من هذا الأصل ، وكذا جميع الأمثلة ، وقوله فاختصر معطوف على قوله أصله : خذه ، وقوله : قد رآه من المراءاة ، والباء في بالثناء قيل : إنها أصلية ، وقيل : باء الملايسة ، أي : رآه ملتبسا بالثناء عليه ، وقال الميداني هذا قول علي عليه السلام لرجل مدحه نفاقا ، وأنا أظن أنه معاوية .

(٢) قوله: (يا نفس مالك دون الله من وافي***).

تمامه : ولا للسع بنات الدهر من راق

(٢١٠/١)

أي إذا تجاوزت وقاية الله ولم تنالها لم يقك غيره. و { من دون الله } متعلق بادعوا أو بشهداءكم (١).

(١) قوله: (و { من دون الله } متعلق بادعوا أو بشهداءكم) اعلم : أن من دون الله إما متعلق بشهداءكم ، أو بادعو ، والشهداء إما بمعنى الحاضرين أو القائمين بالشهادة ، ودون إما بمعنى غير ، أو قدام ، فإذا علق بشهداءكم يعني أن يكون الشهيد بمعنى القائم بالشهادة ، والشاهد إما الأصنام ومدارة القوم فعلى أن يراد به الأصنام من دون الله في محل النصب إما على الحال كما قال أبو البقاء ، والعامل محذوف ، أي : شهداءكم مقصودين عن الله ، وهو المراد بقوله ادعو الذين اتخذتموهم آلهة من دون الهل وزعمتم أنهم يشهدون لكم ، أو على الظرف والعامل ما في الشهداء من معنى الفعل وهو المراد بقوله : أو ادعوا الذين يشهدون لكم بين يدي الله ، وعلى التقديرين المراد

بالشهداء الأثنام ، يدل عليه قوله بعد ذكرهما ، وفي أمرهم أن يستظهروا كما ...
.. إلى قوله : غاية التهكم ، وعلى أن يراد به المؤازرة ، المعنى : ادعوا شهداءكم
متجاوزين من أولياء الله ، ومن المؤمنين ، فادعوهم وانظروا هل يشهدون لكم ، والأمر

على هذا وارد على سبيل إرخاء العنان ، والكلام المنصف لأنهم إذا سمعوا هذا الكلام
تفكروا فيه ، وأيقنوا أنهم لا يشهدون لهم بذلك ؛ لأنهم زعماء الجواب ، وأرباب
الفصاحة ، وهم فائقون عن الكذب ، وإذا علق بأدعوا عم الشهداء . القائم بالشهادة ،
والحاضر ، وعلى أن يراد القائم بالشهادة الشهيد مطلق غير مقيد بقوله : من دون الله
، كما في الأول ؛ لأنه حينئذ قيد للفعل ، ومن لا ابتداء الغاية كما سبق في قوله تعالى
فاتوا بسورة من مثله ، فيكون الدعاء قد ابتدأ من دون الله ، والمراد بالشاهد حينئذ
الشاهد العل ؛ لأن الشاهد إذا أطلق عرفا بادر إلى الذهن هذا ، ومن ثم قال في الأول
من دون أوليائه من غير المؤمنين ، وهنا : وادعوا شهداءم من الذين شهادتهم بينة يصحح
بها الدعاوي ، والأمر على هذا للتبكيك ؛ لأنهم مقرون بأن ليس لهم شهداء عادلون تصح
بهم الدعاوي يشهدون لهم بذلك ، ولقرب هذا الوجه جائز
[هنا نقص ، وقد ذكر في موضعه أنه كتب ورقة به في أول الكتاب لأنه لا تتسع له
الحاشية ، وأول النقص : وقيل : إنما جاز تعليقه بالدعاء وآخره : وهذا
تحقيق لا مزيد عليه .

وعلى أن يراد بالشهيد الحاضر ففي الكلام تخصيص بحسب المفهوم ، كما أن الدعاء إذا
قيد بمن دون الله يتجاوز إلى غيره تعالى ، ولهذا قال : وادعوا كل من شهدكم ،
واستظهروا به من الجن والإنس إلا الله ، والأمر على هذا للتعجيز ، والتحدي مطلقا ،
ولهذا قال : وادعوا من شهدكم إلى قوله : والجن و الانس شاهدوكم ، ويؤيده قوله : {
قل لئن أجمعتم { الآية .

واعلم أنه إذا أريد بالشهداء الأصنام كان الأمر في قوله : وادعوا آلهتكم ، وإن أريد
به الرؤساء كان الأمر للاستدراج ، وإرخاء العنان ، وإن إريد به الناس العدول كان
لإظهار التبكيك ، وإن أريد به الناصر والمستظهر به دون الله كان الأمر للتحدي
والتعجيز .

(٢١١/١)

فإن علقته بشهداءكم فمعناه: ادعوا الذين اتخذتموهم آلهة من دون الله وزعتمهم أنهم
يشهدون لكم يوم القيامة أنكم على الحق. أو ادعوا الذين يشهدون لكم بين يدي الله من
قول الأعشى:

تريك القذى من دونها وهي دونه (١)

(١) قوله: (من قول الأعشى:

تريك القذى من دونها وهي دونه . تمامه :

إذا ذاقها من ذاقها يتمطق

أي : تريك الزجاجة الأذى من قدامها ، وهي قدامه ، ومعنى يتمطق : يمص شفثيه من لذاذتها ، ومداره القوم : زعماءهم ، والمتكلمون عنهم ، والأنفة : الاستنكاف .

(٢١٢/١)

أي تريك القذى قدامها وهي قدام القذى، لرقتها وصفائها. وفي أمرهم أن يستظهروا بالجماد الذي لا ينطق في معارضة القرآن بفصاحته: غاية التهكم بهم. وادعوا شهداءكم من دون الله، أي من دون أوليائه ومن غير المؤمنين، ليشهدوا لكم أنكم أتيتم بمثله. وهذا من المساهلة وإرخاء العنان والإشعار بأن شهداءهم وهم مداراة القوم، الذين هم وجوه المشاهد وفرسان المقابلة والمناقلة، تأبى عليهم الطباع وتجمع بهم الإنسانية والأنفة أن يرضوا لأنفسهم الشهادة بصحة الفاسد البين عندهم فساده واستقامة المحال الجلي في عقولهم إحالته، وتعليقه بالدعاء في هذا الوجه جائز. وإن علقت بالدعاء فمعناه: ادعوا من دون الله شهداءكم، يعني لا تستشهدوا بالله ولا تقولوا: الله يشهد أن ما ندعيه حق، كما يقوله العاجز عن إقامة البينة على صحة دعواه وادعوا الشهداء من الناس الذين شهداتهم بينة تصحح بها الدعاوى عند الحكام. وهذا تعجيز لهم وبيان لانقطاعهم وانخذالهم. وأن الحجة قد بهرتهم ولم تبق لهم متشبثا غير قولهم: الله يشهد أنا صادقون. وقولهم هذا: تسجيل منهم على أنفسهم بتناهي العجز وسقوط القدرة. وعن بعض العرب أنه سئل عن نسبه فقال: قرشي والحمد لله. فقيل له: قولك "الحمد لله" في هذا المقام ريبة. أو ادعوا من دون الله شهداءكم: يعني أن الله شاهدكم (١) لأنه أقرب إليكم من حبل الوريد، وهو بينكم وبين أعناق رواحلكم (٢).

(١) قوله: (يعني أن الله شاهدكم) أي : حاضركم ، وقوله لأنه أقرب لتعليل لتفسير

الشهيد بمعنى الحاضر .

(٢) قوله: (وهو بينكم وبين أعناق رواحلكم) إشارة إلى حديث طويل ، من جملته (أربعوا

على أنفسكم إنكم لا تدعون أصم ولا غائبا ، إنكم تدعون سميعا بصيرا ، وهو معكم)

والذي تدعونه أقرب إلى أحدكم من عنق راحته ، وهو مثل في القرب .
(٢١٣/١)

والجن والإنس شاهدوكم فادعوا كل من يشهدكم واستظهروا به من الجن والإنس إلا الله تعالى ، لأنه القادر وحده على أن يأتي بمثله دون كل شاهد من شهدائكم ، فهو في معنى قوله : { قل لئن اجتمعت الإنس والجن ... } (الإسراء: ٨٨) الآية .
{ فإن لم تفعلوا ولن تفعلوا فاتقوا النار التي وقودها الناس والحجارة أعدت }
تؤي حچدے "s3ù=د ٩ (٢٤) {
لما أرشدهم إلى الجهة (١)

(١) قوله: (لما أرشدهم إلى الجهة) أي : بقوله : { وإن كنتم في ريب مما نزلنا } حيث أتى بأن في موضع الجزم لاستدراجهم إلى أن يجربوا أنفسهم ، فيغيروا على سره وامتنياز حقه ، قال لهم : فإذا لم تعارضوه ، أي : رتب على ذلك الارشاد جملتين شرطيتين إحداهما محذوفة الجزاء ، وثانيتهما محذوفة الشرط ، ليكمل ذلك الارشاد ، ويتم التحقيق فيه .

بيانه : أن قوله : فإذا لم يعارضوه إلى قوله معجوز عنه . هو معنى قوله تعالى : { فإن لم تفعلوا } وهو الشرط الأول ، وقوله : فقد صرح الحق عن محضه ، ووجب التصديق : جوابه .
(٢١٤/١)

التي منها يتعرفون أمر النبي صلى الله عليه وآله وسلم وما جاء به حتى يعثروا على حقيقته وسره وامتنياز حقه من باطله - قال لهم فإذا لم تعارضوه ولم يتسهل لكم ما تبغون وبأن لكم أنه معجوز عنه ، فقد صرح الحق عن محضه ووجب التصديق ؛ فأمنوا وخافوا العذاب (١) المعد لمن كذب . وفيه دليلان (٢) على إثبات النبوة : صحة كون المتحدى به

معجزا ، والإخبار بأنهم لن يفعلوا وهو غيب لا يعلمه إلا الله . فإن قلت : انتفاء إتيانهم بالسورة واجب ، فهلا جيء بـ "إذا" الذي للوجوب دون "إن" الذي للشك . قلت : فيه وجهان : أحدهما أن يساق القول معهم على حسب حسبانهم (٣) وطمعهم ، وأن العجز عن المعارضة كان قبل التأمل كالمشكوك فيه لديهم لاتكالمهم على فصاحتهم واقتدارهم على

الكلام. والثاني: أن يتهمكم بهم كما يقول الموصوف بالقوة الواثق من نفسه بالغلبة على من يقاويه: إن غلبتك لم أبق عليك وهو يعلم أنه غالبه ويتيقنه تهكما به.

-
- (١) قوله: (فآمنوا وخافوا العذاب) هو معنى قوله: { فاتقوا } الآية ، وهو جزاء شرط مقدر ، أي : إذا صرح الحق عن محضه فآمنوا وخافوا العذاب ، يدل على هذا المقدر تصريحه بعد هذا بقوله : إنهم إذا لم يأتوا بها تبين عجزهم عن المعارضة ، فقد عندهم صدق رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ، وإذا صح عندهم صدقه [٧٢٢] ثم لزموا العناد استوجبوا العقاب ، هذا والظاهر ان قوله { فاتقوا } جواب الشرط المذكور ، ولهذا قال المصنف : ما معنى اشتراطه في اتقاء النار انتفاء إتيانهم بسورة من مثله ، فدل هذا على أن { فاتقوا } جواب { فإن لم تفعلوا } .
- (٢) قوله: (وفيه دليلان) أي : في قوله { فإن لم تفعلوا ولن تفعلوا } الآية .
- (٣) قوله: (على حسب حسابهم) لأنهم كانوا يقولون : لو شئنا لقلنا مثل هذا ، ومعنى على من يقاويه ، على من يعارضه ، ومعنى لم أبق عليك ، لم أدعك ، ولم أرحمك .
- (٢١٥/١)

فإن قلت: لم عبر عن الإتيان بالفعل وأي فائدة في تركه إليه؟ قلت: لأنه فعل من الأفعال. تقول: أتيت فلانا. فيقال لك: نعم ما فعلت. والفائدة فيه أنه جار مجرى الكناية (١) التي تعطيك اختصارا ووجازة تغنيك عن طول المكنى عنه. ألا ترى أن الرجل يقول: ضربت زيدا في موضع كذا على صفة كذا، وشمته ونكلت به، ويعد كذا وأفعالا، فتقول: بئسما فعلت. ولو ذكرت ما أنبته عنه، لطال عليك، وكذلك لو لم يعدل عن لفظ الإتيان إلى لفظ الفعل، لاستطيل أن يقال: فإن لم تأتوا بسورة من مثله. ولن تأتوا بسورة من مثله. فإن قلت: { ولن تفعلوا } ما محلها؟ قلت: لا محل لها لأنها جملة اعتراضية. فإن قلت: ما حقيقة "لن" في باب النفي؟ قلت: "لا" و"لن" أختان في نفي المستقبل، إلا أن في "لن" توكيدا وتشديدا.

-
- (١) قوله: (جار مجرى الكناية) قيل : أراد بها الكناية اللغوية ، وهي عدم التصريح بالشيء ، وتسمية الضمائر منها من هذا القبيل ، ويمكن أن تحمل على الاصطلاحية ، وهي أن يبقى العام ، أي : مطلق الفعل لتفني الخاص ، وهو الإتيان بالسورة ، وهذا أبلغ ، قيل : لكن قوله : جار مجرى الكناية لا يساعد عليه ؛ لأن الظاهر ا، قوله : لم يفعلوا

أجري مجرى الضمير في أنه إذا تقدم يجاء به ، أو باسم الإشارة فيعبر بأحدهما
منها كقوله : { إن السمع والبصر والفؤاد كل أولئك كان عنه مسؤولاً } .
(٢١٦/١)

تقول لصاحبك: لا أقيم غدا(١)،

(١) قوله: (تقول لصاحبك: لا أقيم غدا) فإن أنكر عليك قلت : إني لن أقيم إذا ،
ومثاله قولك لحالي الذهن : أنا مقيم غدا ، فإذا شك قلت : إني مقيم غدا ، ثم إذا
أنكر قلت : إني لمقيم غدا ، ولم يفعلوا مجزوم بلم ، لا يان ، لأن ثم عامل شديد
الاتصال بمعموله ، ولم يقع الفعل المستقبل في اللفظ ، وأن يدخل على الماضي في اللفظ
، وعلى الإسم ، نحو { وإن أحد من المشركين } ، قوله : أصله لا أن ، قيل : حذفت همزة
أن لكثرتها في الكلام ، وذهبت الألف من لا في الدرج لاجتماع الساكنين ، فبقي الكلام
من لا والنون ، فجمعا وقيل : لن ، وقد جاء في الشعر على أصله :
قالت يرحي المرء لا أن لا يلاقي***وتعرض دون أقربه خطوب

والمقتضب : المرتجل .

(٢١٧/١)

فإن أنكر عليك قلت: لن أقيم غدا؛ كما تفعل في: أنا مقيم، وإني مقيم، وهي عند الخليل

في إحدى الروايتين عنه أصلها "لا أن" وعند الفراء "لا" أبدلت ألفها نونا. وعند
سيبويه وإحدى الروايتين عن الخليل: حرف مقتضب لتأكيد نفي المستقبل. فإن قلت: من أين
لك أنه إخبار بالغيب على ما هو به حتى يكون معجزة؟ قلت: لأنهم لو عارضوه بشيء لم
يمنتع أن يتواصفه الناس ويتناقضوه، إذ خفاء مثله فيما عليه مبنى العادة محال، لا
سيما والطاعنون فيه أكتف عددا من الذابين عنه، فحين لم ينقل علم أنه إخبار بالغيب
على ما هو به فكان معجزة. فإن قلت: ما معنى اشتراطه في اتقاء النار انتفاء إتيانهم
بسورة(١) من مثله؟ قلت: إنهم إذا لم يأتوا بها وتبين عجزهم عن المعارضة، صح عندهم
صدق رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم

؛

(١) قوله: (ما معنى اشتراطه في اتقاء النار انتفاء إتيانهم بسورة) قيل : أي : كيف يترتب على قوله : { فإن لم تفعلوا } أن لم يأتوا بسورة من مثله ، فاتقوا النار ، قيل : بين عدم إتيانهم بمثله لا يصح أن يكون سببا لاتقاء النار ؛ لأنه قد تقرر أن الشرط سبب للجزاء على أن الكلام مع المرتابين ، وهم ينكرون النار فكيف يتقونها ؟ وأقول : وجه السؤال : أنه كيف يكون عدم الإتيان شرطا للاتقاء ، ولا ملازمة بينهما ، ومن حق الشرط أن يكون بينه وبين الجزاء ملازمة ، وباء السببية فغير واجبة ، فقد حققنا القول في ذلك في قوله تعالى { إن تشكروا فإن الله غني عنكم } قيل : وأجاب أن { فاتقوا } ليس جوابا للمذكور ، بل هو مبني على شرط محذوف ، والظاهر أنه أجاب بأنه لازم للشرط ؛ لأنه كناية عن ترك العناد الذي هو لازم للعجز .

(٢١٨/١)

وإذا صح عندهم صدقه ثم لزموا العناد ولم ينقادوا ولم يشايعوا، استوجبوا العقاب بالنار؛ فليل لهم: إن استبنتم العجز فاتركوا العناد؛ فوضع { فاتقوا النار } موضعه، لأن اتقاء النار لصيقه وضميمه ترك العناد(١)، من حيث أنه من نتائجه؛ لأن من اتقى

النار ترك المعاندة. ونظيره أن يقول الملك لحشمه: إن أردتم الكرامة عندي فاحذروا سخطي. يريد: فأطيعوني واتبعوا أمري، وافعلوا ما هو نتيجة حذر السخط. وهو من باب الكناية التي هي شعبة من شعب البلاغة. وفائدته الإيجاز(٢) الذي هو من حلية القرآن، وتهويل شأن العناد بإنابة اتقاء النار منابه وإبرازه في صورته، مشيعا ذلك بتهويل صفة النار وتفضيع أمرها.

(١) قوله: (لأن اتقاء النار لصيقه وضميمه ترك العناد) ظاهره يوهم أنه من باب المجاز ؛ لأنه مشعر بأن اتقاء النار ملزوم ترك العناد لقوله : اتقاء النار لصيقه ، أي : لازمه ترك العناد ، لكن الشرط في الكناية التساوي بين الملزوم واللازم ، فكان كل واحد منهما ملزوم الآخر ، ولهذا فسر لصيقه بقوله : ضميمه ، ونحوه قولهم : رعينا الغيث .

(٢) قوله: (وفائدته الإيجاز) لأن أصل المعنى : إذا استتم العجز فاتركوا العناد ، والذي يستلزم تركه اتقاء النار فاتقوا النار ، بأن منك المذكور ضعفا ، ولو لم يكن كناية بل كان مجازا لما صح إرادة المجموع ، والضمير في (إبرازه) للعناد ، وفي (صورته) لاتقاء النار ، ومشيعا : حال من اتقاء النار ، والعامل إنابة ، يريد في أن

إثبات الكناية على ... فائدتين آخرتين إحداهما تصوير معنى المكني عنه ، وأن العناد هو النار ، فالسامع عند ذكر النار يستحضر صورتها فيميل قلبه خوفاً ، وثانيهما :
التمكن من ضم قوله { وقودها الناس والحجارة } الآية إليه ، تنميماً لذلك التهويل ،
وترقية للتصوير ، ومعنى فلان فخر قومه : أنه الذي يفتخر به قومه ، فهو بمعنى فاخرهم ،
وكذا : زين بلده .
(٢١٩/١)

والوقود: ما ترفع به النار. وأما المصدر فمضموم، وقد جاء فيه الفتح. قال سيبويه:
وسمعنا من العرب من يقول: وقدت النار وقوداً عالياً. ثم قال: والوقود أكثر، والوقود
الحطب. وقرأ عيسى بن عمر الهمداني - بالضم - تسمية بالمصدر، كما يقال: فلان فخر

قومه وزين بلده. ويجوز أن يكون مثل قولك: حياة المصباح السليط(١)، أي ليس حياته إلا
به؛ فكأن نفس السليط حياته، فإن قلت: صلة "الذي" و "التي" يجب أن تكون قصة معلومة،
للمخاطب، فكيف علم أولئك أن نار الآخرة توقد بالناس والحجارة؟ قلت: لا يمتنع أن
يتقدم لهم بذلك سماع من أهل الكتاب، أو سمعوه من رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم
، أو سمعوا قبل هذه الآية قوله تعالى في سورة التحريم: { نارا وقودها الناس
والحجارة } (التحريم: ٦) فإن قلت: فلم جاءت النار الموصوفة بهذه الجملة منكراً في
سورة التحريم، وههنا معرفة؟ قلت: تلك الآية نزلت بمكة(٢)،

(١) قوله: (حياة المصباح السليط) قيل : ولا يبعد على هذا أن يكون من باب : رجل عدل
، والمعنى : ليس وقود النار إلا الناس ، لأن الناس بمنزلة الحطب ، وعلى الأول يجوز
أن يكون هناك وقود آخر ، وأظن أن الفرق بين الوجه الأول والثاني أنه في الأول جعل
الناس والحجارة نفس الوقود مبالغة ، وفي الثاني : جعل الوقود مغايراً لهما ، حاصلها
بهما .

(٢) قوله: (تلك الآية نزلت بمكة) قيل : فيه نظر ، لأن سورة التحريم مدنية بلا خلاف
، ولأن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم لم يدخل بعائشة ولم يتزوج حفصة إلا في
المدينة ، وقد أجيب بأن الآية التي فيها ذكر النار مكية فقط ، مع أن السورة مدنية .
والذكاء بإتمام اشتعال النار ، هكذا في المعرب والصحاح ، وفي الأساس ، قال هو ما
تولد ، و ... قوله : يدل على ذلك تذكيرهما ، ووجهه الدلالة أن إحدى الآيتين نزلت
بعد الأخرى ، فلو كانت التي ذكرت في إحداهما هي التي ذكرت في الأخرى لكانت معهودة ،

فيجب تعريفها فلما نكرها دل على المغايرة ، ولأنه قال : { لا يصلها إلا الأشتى } وهو يفيد الحصر ، فلم لم يكن ثم نار أخرى نعوذ بالله من النار ، .. فوجب أن لا يكون غير الأشتى ، وهو الشقي مثلا من أهل النار ، وذلك باطل ، والمكان في قوله بمكانهم

معجم ، أي : بهم ، وقيل : هو كناية عن مرتبتهم ، والفاء في (فقرنهم) لتفسير جعلها عذابا لهم .
(٢٢٠/١)

فعرفوا منها نارا موصوفة بهذه الصفة. ثم نزلت هذه بالمدينة مشارا بها إلى ما عرفوه أولا. فإن قلت: ما معنى قوله تعالى: { وقودها الناس والحجارة } ؟ قلت: معناه أنها نار ممتازة عن غيرها من النيران، بأنها لا تتقد إلا بالناس والحجارة، وبأن غيرها إن أريد إحراق الناس بها أو إحماء الحجارة أوقدت أولا بوقود ثم طرح فيها ما يراد إحراقه أو إحماؤه، وتلك - أعاذنا الله منها برحمته الواسعة - توقد بنفس ما يحرق ويحمى بالنار، وبأنها لا إفراط حرها وشدة ذكائها إذا اتصلت بما لا تشتعل به نار، اشتعلت وارتفع لهبها. فإن قلت: أنار الجحيم كلها موقدة بالناس والحجارة، أم هي نيران شتى منها نار بهذه الصفة؟ قلت: بل هي نيران شتى، منها نار توقد بالناس والحجارة، يدل على ذلك تنكيرها في قوله تعالى: { قوا أنفسكم وأهليكم نارا } (التحريم: ٦)، { فأندرتكم نارا تلظى } (الليل: ١٤) ولعل لكفار الجن وشياطينهم نارا وقودها الشياطين، كما أن لكفرة الإنس نارا وقودها هم، جزاء لكل جنس بما يشاكله من العذاب. فإن قلت: لم قرن الناس بالحجارة وجعلت الحجارة معهم وقودا. قلت: لأنهم قرنوا بها أنفسهم في الدنيا، حيث نحتوها أصناما وجعلوها لله أندادا أو عبدوها من دونه: قال الله تعالى: { إنكم وما تعبدون من دون الله حصب جهنم } (الأنبياء: ٩٨) وهذه الآية مفسرة لما نحن فيه. فقلوله: (إنكم وما تعبدون من دون الله) في معنى الناس والحجارة، و(حصب جهنم) في معنى وقودها. ولما اعتقد الكفار في حجارتهم المعبودة من دون الله أنها الشفعاء والشهداء الذين يستشفعون بهم ويستدفعون المضار عن أنفسهم بمكانهم، جعلها الله عذابهم، فقرنهم بها محماة في نار جهنم، إبلاغا في إيلاهم وإعراقا في تحسيرهم(١)،

(١) قوله: (في تحسيرهم) في نسخة الصماصم والمعري بالخاء ، أي : في تلهفهم على ما فات منهم ، وفي بعض النسخ بالخاء المعجمة ، أي : في هلاكهم ..
(٢٢١/١)

ونحوهم ما يفعله بالكانزين الذين جعلوا ذهبهم وفضتهم عدة وذخيرة فشحوا بها ومنعوها من الحقوق، حيث يحمى عليها في نار جهنم فتكوى بها جباههم وجنوبهم. وقيل: هي حجارة الكبريت، وهو تخصيص بغير دليل وذهاب عما هو المعنى الصحيح الواقع المشهود له بمعاني التنزيل { أعدت لهم وجعلت عدة لعذابهم. وقرأ عبد الله، أعتدت، من العتاد بمعنى العدة.

{ وبشر الذين آمنوا وعملوا الصالحات أنهم جنات "حج grB من تحتها الأنهار

كلما رزقوا منها من yJrOج ou؛ رزقا قالوا هذا الذي %sY\$خ-â' من قبل وأتوا به متشابها

ولهم فيها س B-gsج ou× &l'ur-r وهم فيها ر \$scrà"ح# (yz 25) {
(٢٢٢/١)

من عادته عز وجل في كتابه أن يذكر الترغيب مع التهيب، ويشفع البشارة بالإنذار إرادة التشييط، لاكتساب ما يزلف، والتشيط عن اقتراف ما يتلف. فلما ذكر الكفار وأعمالهم وأوعدهم بالعقاب، قفاه ببشارة عباده الذين جمعوا بين التصديق والأعمال الصالحة من فعل الطاعات وترك المعاصي، وحموها من الإحباط بالكفر(١)

(١) قوله: (وحموها من الإحباط بالكفر والكبائر) قال الرازي : القول بالاحباط باطل ، لأن من أتى بالإيمان والأعمال الصالحة ، استحق الثواب الدائم ، فإذا أتى بعده بالكفر استحق العقاب الدائم ، ثم لا يخلوا من أن يوجدوا معا ، وهو محال ، أو أن يبدأ معا وليس زوال الباقي بطريان الطاري ، أولى من اندفاع الطاري لقيام الباقي ، فيبطل القول بالاحباط ، وعند هذا تعين أن يقال : إن العبد لا يستحق على إيقاعه ثوابا ، ولا على المعصية عقابا استحقاقا عقليا واجبا ، وهو قول أهل السنة ، واختيارنا ، وبه يحص الخلاص عن ظلمات هذه الورطة ، وأقول : كيف يكون القول بالاحباط

باطل ، وقد نطق به القرآن الكريم { لئن أشركت ليحبطن عملك } { حبطت أعمالهم } { ولا تبطلوا أعمالكم } وأما قوله : وليس زوال الباقي بطريان الطاري أولى من اندفاع الطاري لقيام الباقي فممنوع ؛ لأن الطارئ إذا وجد استحاله عدمه حال وجوده وهو ظاهر ، ويستحيل وجوده مع بقاء الباقي فيجب عدم الباقي ، والتحقيق فيه أن عدم الطاري حال وجوده مستلزم للمحال ، وهو اجتماع عدمه ووجوده ، وعدم الباقي غير مستلزم لذلك لتقدم وجوده على هذه الحال التي يعدم فيها ، فكان عدمه أولى ، وإلى هذا أشار المتكلمون حيث قالوا : للطاري حق الطرو ، وأيضا لو صح ما قاله لما انتفى ضد بطرو الأضداد ، كالحركة لطريان السكون ، وبالعكس ، والسواد بطرو البياض إلى غير ذلك ، فبطل بهذا ما قاله ، وأيضا لو لم استحق الثواب على الطاعة ، والعقاب على المعصية لبطلت قواعد كثيرة ..
(٢٢٣/١)

والكباثر بالثواب(١). فإن قلت: من المأمور بقوله تعالى: { وبشر } ؟ قلت: يجوز أن يكون رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ، وأن يكون كل أحد. كما قال عليه الصلاة والسلام:

(٢٤) "بشر المشائين إلى المساجد في الظلم بالنور التام يوم القيامة" لم يأمر بذلك واحدا بعينه. وإنما كل أحد مأمور به، وهذا الوجه أحسن وأجزل؛ لأنه يؤذن بأن الأمر لعظمه وفخامة شأنه محقوق بأن يبشر به كل من قدر على البشارة به. فإن قلت: علام عطف هذا الأمر ولم يسبق أمر ولا نهى يصح عطفه عليه؟ قلت: ليس الذي اعتمد بالعطف هو الأمر(٢) حتى يطلب له مشاكل من أمر أو نهى يعطف عليه؛ إنما المعتمد بالعطف هو جملة وصف ثواب المؤمنين، فهي معطوفة على جملة وصف عقاب الكافرين، كما تقول: زيد يعاقب بالقييد والإرهاق، وبشر عمرا بالعفو والإطلاق.

(١) قوله: (بالثواب) متعلق ببشارة

(٢) قوله: (ليس الذي اعتمد بالعطف هو الأمر) يعني إذا حصلت الجهة الجامعة ، وقوي

بينه وبين المعطوف والمعطوف عليه كما وجدت في هاتين الآيتين وهي مبينة التضاد لا يبلى بالاختلاف من حيثية الخبري والطلبي في مفرداتهما ، فإن ذلك إنما يعتبر في عطف المفرد على المفرد

(٢٢٤/١)

ولك أن تقول: هو معطوف على قوله: (فاتقوا)(١)

(١) قوله: (ولك ان تقول : هو معطوف على قوله: (فاتقوا)) قيل : فيه نظر ؛ لأن حكم المعطوف أن يصح قيامه مقام المعطوف عليه ، والمعطوف هنا لا يصح قيامه مقام المعطوف عيه لأن المعطوف عيه جزاء الشرط ، ويمكن أن يجاب عنه بمنع ما ذكر من أن حكم المعطوف

صحة قيامه مقام المعطوف عليه ، ألا ترى إلى قولهم رب شاة وسخلتها ، وإن لم يجرون سخلتها ، وكذا يالزيد والحارث ، فإنه جار وإن لم يجر يا الحارث ، وكذا جاء زيد نفسه ، وعمرا ، وإن اجر زيد ، لقيت عمرا ، أو يمنع أنه لا يصح قيامه [٤٢٤] مقام المعطوف عليه فإنه يصح ، وذلك بأن يكون جزاء الشرط على طريق التعريض ، والتقدير : فإن لم تفعلوا ، أي : إن لم تقدروا على معارضة القرآن ، وظهر كونه معجزة ، وكون محمد صلى الله عليه وآله وسلم صادقا فبشر يا محمد المؤمنين بك وبالقرآن ، ويكون معناه : أنذر الذين لم يؤمنوا لكن يكون مشتملا على الالتفات ، وقدر صاحب المفتاح : فإن قيل : يا أيه الناس ليكون عطفًا عليه هربا من هذا ، وقال بعضهم : كل هذا توهم ؛ لأن المصنف لم يجعل قوله { فاتقوا } جوابا لقوله { فإن لم تفعلوا } حتى يلزم المحذور ، وإنما جعله جزاء لشرط محذوف ، وقد تقدم القول في هذا ، ولا بد من ذلك التقدير لئتم الملازمة ؛ لأن قوله : { وإن كنتم في ريب مما نزلنا } يستدعي ذلك ؛ لأن المقصود منه إزالة الريب ، وإثبات صحة ما ادعاه ، كأنه قيل : وإن كنتم في شك من صحة ثبوته ، وصدق أقواله ، فإن القرآن منزل عله من عند الله ، فاتوا بسورة من مثله ، فإن لم تقدروا على ذلك فقد صح صدقه ، وإذا صح صدقه فليتنق المعاند النار ، وبشر يا محمد المصدق بالجنة .

وأقول : ما المانع على تقدير كون { فاتقوا } هو الجزاء عن تقدير مثل هذا ، أي : إن لم تقدروا على المعارضة فليترك المعاند العناد ، وبشر يا محمد المصدق بالجنة .

وقال بعضهم : هو معطوف على الخبر ، قيل : لا شتماله على معنى الأمر ، كأنه قيل : وأنذر ، وبشر ، وقريب منه ما ذكره صاحب المفتاح رحمه الله حيث قال : إن قوله تعالى : { وامتازوا } عطف على فليمتازوا ، مضمنا { إن اصحاب الجنة } الآية .

كما تقول: يا بني تميم احذروا عقوبة ما جنيتهم، وبشر يا فلان بني أسد بإحساني إليهم.
وفي قراءة زيد بن علي رضي الله عنه: { وبشر { على لفظ المبني للمفعول عطفًا على
(أعدت). والبشارة: الإخبار مما يظهر سرور المخبر به. ومن ثم قال العلماء: إذا قال
لعبيده: أيكم بشرني بقدوم فلان فهو حر، فبشروه فرادى، عتق أولهم، لأنه هو الذي أظهر
سروره بخبره دون الباقين. ولو قال مكان "بشرني" أخبرني "عتقوا جميعا، لأنهم جميعا
أخبروه. ومنه: البشرة لظاهر الجلد. وتباشير الصبح: ما ظهر من أوائل ضوءه. وأما {
فبشرهم بعذاب أليم { (آل عمران: ٢١) فمن العكس (١) في الكلام الذي يقصد به
الاستهزاء

الزائد في غيظ المستهزأ به وتألمه واغتمامه، كما يقول الرجل لعدوه: أبشر بقتل ذريتك
ونهب مالك. ومنه قوله (٢):

فأعتبوا بالصيلم

والصالحة نحو الحسنة في جريها مجرى الاسم
قال الحطيئة:

كيف الهجاء وما تنفك صالحة*** من آل لأم بظهر الغيب تأتيني (٣)

(١) قوله: { فبشرهم بعذاب أليم { (آل عمران: ٢١) فمن العكس أي : من
الاستعارة التهكمية ، استعارة البشارة للأنذار ، بوساطة شبه التضاد ، ثم قيل :
فبشرهم بدل فأنذرهم .

(٢) قوله: (ومنه قوله { أي : قول بشر بن أبي حازم ، وأوله :

غضبت تميم أن يقتل عامر ***يوم البشار فأعتبوا بالصيلم

البشار : ماء لبني عامر ، ويوم البشار : وقعة كانت بين أسد وذبيان على بني جشم بن

معاوية ، يقول : إن تميما غضبت من قتل عامر في هذا الموضع فإزبل غضبهم الداهية ،
وهي قتلهم بالسيوف .

(٣) قوله: (قال الحطيئة:

كيف الهجاء وما تنفك صالحة*** من آل لأم بظهر الغيب تأتيني)

سبب هذا القول أن النعمان دعا بحلة من حلل الملوك ، وقال للوفود وفيهم أوس بن حارثة
بن لام الطائي : احضروا في غد فأني ملبس هذه الحلة أكرمكم ، فلما كان الغد حضروا

إلا أوسا ، فقليل له ؟ فقال : إن كان المراد غيري فأجمل الأشياء بي أن لا أحضر ، وإن كنت المراد فلاأطلب ، فلما جلس النعمان ولم يرى أوسا طلبه ، وقيل له أحصل منا مما خفت ، فحضر وألبس الحلة ، فحسده قوم من أهله ، وقالوا للحطيئة اهجه ، ولك ثلاثمائة ، فقال : كيف الهجاء ... البيت .
والباء في (بظهر الغيب) للحال ، أي : ملتبسا بظهر الغيب ، وتأتيني خبر تنفك .
(٢٢٦/١)

والصالحات: كل ما استقام من الأعمال بدليل العقل والكتاب والسنة، واللام للجنس. فإن قلت: أي فرق بين لام الجنس داخله على المفرد، وبينها داخله على المجموع؟ قلت: إذا دخلت على المفرد كان صالحا(١) لأن يراد به الجنس إلى أن يحاط به، وأن يراد به بعضه إلى الواحد منه. وإذا دخلت على المجموع، صلح أن يراد به جميع الجنس، وأن يراد به بعضه لا إلى الواحد منه؛ لأن وزانه في تناول الجمعية في الجنس وزان المفرد في تناول الجنسية، والجمعية في جمل الجنس لا في وحدانه. فإن قلت: فما المراد بهذا المجموع(٢) مع اللام؟ قلت: الجملة من الأعمال الصحيحة المستقيمة في الدين على حسب حال المؤمن في مواجب التكليف.

والجنة: البستان من النخل والشجر المتكاثف المظلل بالتفاف أغصانه. قال زهير(٣):

(١) قوله: (صالحا) لأن يراد به الجنس (اعلم أن تعريف الجنس عند المصنف بمنزلة المطلق ، أي : اللفظ الشائع على جنسه ، فكما أن المطلق يصح حمله على الحقيقة من حيث

هي ، وعلى بعضها وعلى كلها كذلك هذا المعرف ، وقد صرح بذلك في قوله : { والمطلقات

يتربصن } وإذا صلح لذلك كان دلالة على واحد من ذلك بحسب القرينة

(٢) قوله: (فإن قلت: فما المراد بهذا المجموع) الفاء مسبب كما تقدم ذكره ، أي : إذا كانت اللام داخله على المجموع ، وصلح أن يراد به جميع الجنس وبعضه ، فما المراد بقوله : { وعملوا الصالحات } إن كان الجميع فليس ذلك في وسع المكلف ، وإن كان البعض

فما المخصص ، وأجاب بأن المراد البعض ، والمخصص حال المؤمن ، فما يستطيع من الأعمال

الصالحة بعد حصول [٧٢٥] شرائطه هو المراد ، والمراد بمواجب التكليف مساقطه ، أي :

مواضع وجوبه .

(٣) قوله: (قال زهير) أوله :

كأن عيني في غربي مقفلة***من النواضح يسقى حبه سحقا

يقول : كأن عيني كائنات في دلوين عظيمين لناقة مدللة من السواني تسقي حبه طويلة أشجال النخل ، خص المدللة ، وجعلها من النواضح ؛ لأنه إذا كانت كذلك أخرجت الدلو ملاً ، بخلاف الضعيفة ، فإنه تنفر ، ويسيل الماء من نواحي الغرب ، فلا يبقى منه إلا صباة ، وأراد بالجنة : النخل ، لأنها أحوج إلى الماء ، وخص الطوال منها ؛ لأنها أشد احتياجاً من غيرها .

(٢٢٧/١)

تسقي جنة سحقا

أي نخلا طوالا . والتركيب دائر على معنى الستر، وكأنها لتكائفها وتظليلها سميت بالجنة(١) التي هي المرة، من مصدر جنة إذا ستره، كأنها سترة واحدة لفرط التفافها. وسميت دار الثواب "جنة" لما فيها من الجنان. فإن قلت: الجنة مخلوقة أم لا؟ قلت: قد اختلف في ذلك. والذي يقول إنها مخلوقة يستدل بسكنى آدم وحواء الجنة وبمجيئها في القرآن على نهج الأسماء الغالبة(٢) اللاحقة بالأعلام، كالنبي والرسول والكتاب ونحوها. فإن قلت: ما معنى جمع الجنة وتنكيرها؟ قلت: الجنة(٣)

(١) قوله: (سميت بالجنة) أي : سميت الجنة ، وهي البستان بالجنة التي هي المرة ، من مصدر جنة لما بينهما من المناسبة ، لأن البستان إذا التفت أغصان أشجاره صارت كأنها

سترة واحدة ، وسميت ذات الثواب بالجنة لكثرة جناتها ، وإن كانت مشتملة على أنواع آخر من النعيم ، أو نزلت لتقارب جناتها ، كأنه سترة واحدة .

(٢) قوله: (على نهج الأسماء الغالبة) وذلك لأنها كانت تطلق على كل بستان ، ثم غلبت على ذات الثواب ، قيل : وإنما قال : اللاحقة بالأعلام لكون اللام فيها غير لازمة ، وغلبتها إنما هو بحسب الشرع ، ولهذا قال : (وبمجيئها في القرآن) والأسماء الغالبة لا تكون إلا للموجودات ، وكذلك النبي والرسول فإنهما غالبا بعرف الشرع على محمد صلى الله عليه وآله وسلم ، والكتاب غلب على كتاب سيوه في عرف أهل الأدب .

(٣) قوله: (قلت: الجنة) إلى آخره ، أي : إنما جمعت للدلالة على العدد ، وإنما نكرت

لتدل على التنوع والاختلاف ؛ لأن كل عدد من تلك الاعداد لجماعة فتختلف الجنان بحسب اختلاف مستحقيها ..

(٢٢٨/١)

اسم لدار الثواب كلها، وهي مشتملة على جنان كثيرة مرتبة مراتب على حسب استحقاقات العاملين، لكل طبقة منهم جنات من تلك الجنان، فإن قلت: أما يشترط في استحقاق الثواب بالإيمان والعمل الصالح أن لا يحبطهما المكلف بالكفر والإقدام على الكبائر؛ وأن لا يندم على ما أوجده من فعل الطاعة وترك المعصية؟ فهلا شرط ذلك؟ قلت: لما جعل الثواب مستحقا بالإيمان والعمل الصالح، والبشارة مختصة بمن يتولاهما، وركز في العقول أن الإحسان إنما يستحق فاعله عليه المثوبة والثناء، إذا لم يتعقبه بما يفسده ويذهب بحسنه، وأنه لا يبقى مع وجود مفسده إحسانا، واعلم بقوله تعالى لنبيه صلى الله عليه وآله وسلم وهو أكرم الناس عليه وأعزهم: { لئن أشركت ليحيطن عملك } (الزمر: ٦٥)، وقال تعالى للمؤمنين: { ولا تجهروا له بالقول كجهر بعضكم لبعض أن تحبط أعمالكم } (الحجرات: ٢) كان اشتراط حفظهما من الإحباط والندم كالدخل تحت الذكر. فإن قلت: كيف

صورة جري الأنهار من تحتها؟ قلت: كما ترى الأشجار النابتة (١) على شواطئ الأنهار

الجارية. وعن مسروق: أن أنهار الجنة تجري في غير أخدود. وأنزه البساتين وأكرمها منظرا ما كانت أشجاره مظلمة، والأنهار في خلالها مطردة.

(١) قوله: (كما ترى الأشجار النابتة) هذا تشبيه صورة ما لم يشاهد بصورة ما شوهد ، وإلا فأين أحدهما من الآخر ، وكان القياس أن يقال : كما ترى الأنهار ؛ لأن السؤال عن جري الأنهار ، لكنه لما كان من التشبيه المركب لم يبال بذلك ، والأخدود: الشق المستطيل في الأرض ، ولما جاء الله تعالى بجواب لولا مشفوعا صخ بغير إلا قبله . اللغة العالية : الفصيحة الكثيرة الاستعمال بين الفصحاء ، والاسناد في تطوهم الطريق مجاز ، الأصل يطأهم أهل الطريق ، وهو كناية عن جودهم ، وأنهم يقصدون ، وأفاض ، وكذا صيد عليه ، أي : على الفرس يومان مجاز ، أصله صيد عليه الوحش مدة يومين .

(٢٢٩/١)

ولولا أن الماء الجاري من النعمة العظمى واللذة الكبرى، وأن الجنان والرياض وإن

كانت آنق شيء وأحسنه لا تروق النواظر ولا تبهج الأنفوس ولا تجلب الأريحية والنشاط حتى يجري فيها الماء، وإلا كان الأنس الأعظم فائتاً، والسرور الأوفر مفقوداً، وكانت كتماثيل لا أرواح فيها، وصور لا حياة لها، لما جاء الله تعالى بذكر الجنات مشفوعاً بذكر الأنهار الجارية من تحتها مسوقين على قرن واحد كالشيين لا بد لأحدهما من صاحبه،

ولما قدمه على سائر نعوتها. والنهر: المجرى الواسع فوق الجدول ودون البحر. يقال لبردى: نهر دمشق، وللنيل: نهر مصر. واللغة العالية "النهر" بفتح الهاء. ومدار التركيب على السعة، وإسناد الجري إلى الأنهار من الإسناد المجازي كقولهم: بنو فلان يطؤون الطريق، وصيد عليه يومان. فإن قلت: لم نكرت الجنات وعرفت الأنهار. قلت: أما تنكير الجنات فقد ذكر. وأما تعريف الأنهار (١) فإن يراد الجنس، كما تقول: لفلان بستان فيه الماء الجاري والتين والعنب وألوان الفواكه، تشير إلى الأجناس التي في

علم المخاطب. أو يراد أنهارها، فعوض التعريف باللام من تعريف الإضافة كقوله: { واشتعل الرأس شيباً } (مريم: ٤). أو يشار باللام إلى الأنهار المذكورة في قوله: { فيها أنهار من ماء غير آسن وأنهار من لبن لم يتغير طعمه } (محمد: ١٥) الآية.

(١) قوله: (وأما تعريف الأنهار) ذكر فيه وجوهاً، أحدها: أن يراد الجنس الجاري مجرى المعهود باعتبار كونه في ذهن المخاطب، لكون الهمزة معقودة عند ذكر الجنان. الثاني: أن تراد المعهودة حكماً لتقدم ما يدل عليه؛ لأن الجنان دالة على الأنهار. الثالث: أن يراد العهد الخارجي، لتقدم ذكر الأنهار. (٢٣٠/١)

وقوله: { كلما رزقوا } لا يخلو من أن يكون صفة ثانية لجنات، أو خبر مبتدأ محذوف، أو جملة مستأنفة؛ لأنه لما قيل إن لهم جنات لم يخل خلد السامع أن يقع فيه أثمار تلك الجنات أشباه ثمار جنات الدنيا، أم أجناس آخر لا تشابه هذه الأجناس؟ ف قيل إن ثمارها أشباه ثمار جنات الدنيا، أي أجناسها أجناسها وإن تفاوتت إلى غاية لا يعلمها إلا الله. فإن قلت: ما موقع من { من ثمرة } ؟ قلت: هو كقولك: كلما أكلت من بستانك من الرمان شيئاً حمدتك. فموقع { من ثمرة } موقع قولك من الرمان، كأنه قيل: كلما رزقوا من الجنات من أي ثمرة كانت من تفاحها أو رمانها أو عنبها أو غير ذلك رزقا قالوا ذلك. فمن الأولى والثانية كلتاها لا ابتداء الغاية (١)

(١) قوله: (فمن الأولى والثانية كلتاها لا ابتداء الغاية) قيل : وهما على ما قدره متعلقان بـ { رزقوا } وقيل : كلتاها واقعتان موضع الحال ، وكلما نصب على الظرف ، { رزقا } مفعول به ، وصاحب الحال الأولى { رزقا } والثانية : ضمير الرزق المستكن في الحال ، وتنزيل الكلام حطه درجة درجة كأن أصله كان شيئا آخر ، فنزل إلى هذه المرتبة ، وتحريم الكلام : تحسينه وإصلاحه . فإن قلت : ما معنى قوله أولا موضعه موقع قولك :

من الزمان ، وثانيا : بتنزيله تنزيل أن تقول : رزقني فلان ، وثالثا : تحريره أن رزقا جعل مطلقا .

قلت : الأول لبيان الموقع ، وكونه صلة للفعل ، والثاني : لبيان المعنى ، وإن مرجع من الابتدائية على تقدير السؤال والجواب ، والثالث : لبيان خلاصة المعنى وزيدته . (٢٣١/١)

لأن الرزق قد ابتدئ من الجنات، والرزق من الجنات قد ابتدئ من ثمرة. وتنزيله تنزيل أن تقول: رزقني فلان، فيقال لك: من أين؟ فتقول: من بستانه، فيقال: من أي ثمرة رزقك من بستانه؟ فتقول: من رمان. وتحريره أن "رزقوا" جعل مطلقا مبتدأ من ضمير الجنات، ثم جعل مقيدا بالابتداء من ضمير الجنات، مبتدأ من ثمرة، وليس المراد بالثمرة التفاحة الواحدة(١) أو الرمانة الفضة على هذا التفسير، وإنما المراد النوع من أنواع الثمار. ووجه آخر: وهو أن يكون { من ثمرة } بيانا على منهاج قولك: رأيت منك أسدا(٢). تريد أنت أسد. وعلى هذا يصح أن يراد بالثمرة النوع من الثمار، والجنات الواحدة. فإن قلت: كيف قيل: { هذا الذي رزقنا من قبل } وكيف تكون ذات الحاضر عندهم في الجنة هي ذات الذي رزقوه في الدنيا؟ قلت: معناه هذا مثل الذي رزقناه من قبل.

(١) قوله: (وليس المراد بالثمرة التفاحة الواحدة) على هذا التفسير ، أي : على أن تكون من ابتدائية ؛ لأن ابتداء الرزق بمعنى المرزوق من الجنة ، ليس من ثمرة فذة ، ولا يجوز أن يكون مبتدئا منها ، وإن جاز أن يكون مبتدئا من النوع .

(٢) قوله: (رأيت منك أسدا) أراد أنه من باب التجريد ، وهو أن ينتزع من ذي صفة آخر مثله ، كأنك جردت من المخاطب شيئا يشبه [٧٢٦] الأسد ، وهو نفسه ، كذا هنا جرد من ثمرة رزق ، وهو هي ، قيل : فيكون رزقا أخص من ثمرة ، لأن الثمرة ذات أوصاف ، فانتزع

منها وصف المرزوقية ، أي : التي يقع الأكل عليها لكمال هذا المعنى فيه ، فالرزق على هذا مخرج من قوله { من ثمرة } كما أن الأسد مخرج من زيد ، فلهذا جاز أن يراد الحبة

الواحدة .

(٢٣٢/١)

وشبهه بدليل قوله وأتوا به متشابهها، وهذا كقولك: أبو يوسف أبو حنيفة، تريد أنه لاستحكام الشبه كأن ذاته ذاته(١). فإن قلت: إلام يرجع الضمير في قوله: { وأتوا به } قلت: إلى المرزوق في الدنيا والآخرة جميعا؛ لأن قوله: { هذا الذي رزقنا من قبل } (٢)

(١) قوله: (كأن ذاته ذاته) أراد به تشبيه الحذف أداة التشبيه ووجهه قال صاحب الفوائد : الإشارة لقوله : هذا النوع ، فلا حاجة إلى التأويل الذي ذكره ، قيل : المحجوج إلى التأويل هو قوله : { وأتوا به متشابهها } لأنه جملة معترضة مقررة لما تقدمها ، أو حال مقيدة ، ولهذا قال : بدليل { وأتوا به متشابهها } فهذا إشارة إلى عين الحاضر .

(٢) قوله: (لأن قوله: { هذا الذي رزقنا من قبل }) انطوى تحته ذكر ما رزقوه في الدارين ، فلهذا جاز إفراد الضمير ، أي : إفراده بالنظر إلى المفهوم الواحد الذي تضمنه اللفظان ، ولو رجع إلى الملفوظ ، وهو المشبه والمشبه به لقليل بهما ، وهذا الطريق يسمى في علم البيان بالكناية الایمائية ، ونظيره في رجوع الضمير إلى المعنى ذون اللفظ قوله : { فالله أولى بهما } بعد قوله : { إن يكن غنيا أو فقيرا } إذ لو اعتبر اللفظ لقليل : أولى به على الافراد ؛ لأن الضمير في الشرط ، وهو قوله { إن يكن } راجع إلى المشهود عليه ، فينبغي أن يكون في الجزاء كذلك حتى يطابق الشرط والجزاء ، لكن المانع من الشهادة غالبا إما غنى المشهود عليه ، أو فقره ، عم الصنفين بالضمير ، أي : الله أولى بجنس المتصف بصفة الغنى ، والجنس المتصف بصفة الفقر .

والسكن : بفتح السين ، وسكون الكاف لأهل البيت جمع ساكن ، والمزية : الفضيلة ، والنبقة : واحدة النبق .

(٢٣٣/١)

انطوى تحته ذكر ما رزقوه في الدارين. ونظيره قوله تعالى: { إن يكن غنيا أو فقيرا
فإن الله أولى بهما } (النساء: ١٣٥) أي بجنسي الغني والفقير لدلالة قوله: غنيا أو

فقيرا على الجنسين. ولو رجع الضمير إلى المتكلم به لقليل أولى به على التوحيد. فإن
قلت: لأي غرض يتشابه ثمر الدنيا وثمر الجنة، وما بال ثمر الجنة لم يكن أجناسا آخر؟
قلت: لأن الإنسان بالمألوف آنس، وإلى المعهود أميل، وإذا رأى ما لم يألفه نفر عنه
طبعه وعافته نفسه، ولأنه إذا ظفر بشيء من جنس ما سلف له به عهد وتقدم معه ألف، ورأى
فيه مزية ظاهرة، وفضيلة بيّنة، وتفاوتا بينه وبين ما عهد بليغا، أفرط ابتهاجه
(٢٣٤/١)

واغتباطه، وطال استعجابه واستغرابه، وتبين كنه النعمة فيه، وتحقق مقدار الغبطة به.
ولو كان جنسا لم يعهده وإن كان فائقا، حسب أن ذلك الجنس لا يكون إلا كذلك، فلا
يتبين موقع النعمة حق التبين. فحين أبصروا الرمان من رمان الدنيا ومبلغها في
الحجم، وأن الكبرى لا تفضل عن حد البطيخة الصغيرة، ثم يبصرون رمانة الجنة تشبع
السكن. والنبقة من نبق الدنيا في حجم الفلكة، ثم يرون نبق الجنة كقلال هجر، كما
رأوا ظل الشجرة من شجر الدنيا وقدر امتداده، ثم يرون الشجرة في الجنة يسير الراكب
في ظلها مائة عام لا يقطعها، كان ذلك أبين للفضل، وأظهر للمزية، وأجلب للسرور، وأزيد
في التعجب من أن يفاجئوا ذلك الرمان وذلك النبق من غير عهد سابق بجنسهما. وترديدهم
هذا القول ونطقهم به عند كل ثمرة يرزقونها، دليل على تناهي الأمر وتمادي الحال في
ظهور المزية وتمام الفضيلة، وعلى أن ذلك التفاوت العظيم هو الذي يستملي تعجبهم،
ويستدعي تبجحهم في كل أوان. عن مسروق: "نخل الجنة نضيد من أصلها إلى فرعها، وثمرها
أمثال القلال، كلما نرعت ثمرة عادت مكانها أخرى، وأنهارها تجري في غير أخدود،
والعنقود أثنا عشر ذراعا". ويجوز أن يرجع الضمير في (أتوا به) إلى الرزق، كما أن
هذا إشارة إليه، ويكون المعنى: أن ما يرزقونه من ثمرات الجنة يأتيهم متجانسا في
نفسه (١)، كما يحكى عن الحسن: يؤتى أحدهم بالصحفة فيأكل منها، ثم يؤتى بالأخرى
فيقول: هذا الذي أتينا به من قبل، فيقول الملك: كل، فاللون واحد والطعم مختلف. وعنه
صلى الله عليه وآله وسلم "والذي نفس محمد بيده، إن الرجل من أهل الجنة ليتناول
الثمرة ليأكلها فما هي بواصلة إلى فيه حتى يبدل الله مكانها مثلها" فإذا أبصروها
والهيئة هيئة الأولى قالوا ذلك.

(١) قوله: (متجانسا في نفسه) أي : يجانس بعضه بعضا ، فعلى هذا { من ثمرة { بيان {
رزقا { .
(٢٣٥/١)

والتفسير الأول هو هو(١). فإن قلت: كيف موقع قوله: { وأتوا به متشابها { من نظم
الكلام؟

(١) قوله: (والتفسير الأول هو هو) أي : هو الكامل المعلوم ؛ لأنه لا يبقى على
الثاني عموم كلما ؛ لأنهم إذا رزقوا أولا في الجنة من نوع من الثمرة لا يصح قولهم :
{ هذا الذي رزقنا من قبل { في الجنة ، لأن الفرض أنهم لم يرزقوا قبل ذلك فيها رزقا
، بخلافه على التفسير الأول ، إذ المراد بقوله : { من قبل { حينئذ هو في الدنيا ،
وقيل : هو أولى لأجل النكتة المذكورة ، وهي أن الإنسان إلى المألوف أميل ، وبه آنس
، وأن الثواب ينبغي أن يكون من جنس المألوف ، ولأن الداعي لهم إلى ذلك فرط
استغرابهم وتبجحهم بما وجدوا من التفاوت العظيم في اللذة ، والتشابه البليغ في
الصورة ، وهذا لا يكون على الأول ، ولأنه يفوت أيضا على الثاني غرض الاستئناف ،
وفائدته ، وقد مر أن موقع كلما إما صفة جنات ، أو جملة مستأنفة كما قدره أنمار
الجنات أشباه ثمار الدنيا ، أم أجناس آخر ، وقد تقرر في علم المعاني حسن موقع
الاستئناف في الكلام ، وإنما يكون الاستئناف على الأول دون الثاني ، وإنما قال :
بأن { وأتوا به { جملة معترضة ، ولم يقل بأنها معطوفة على { قالوا { لئلا يلزم
تقييد { وأتوا به { بما يقيد به { قالوا { فيلزم الفساد ، والعرق والمنصب : الأصل ،
وما في قوله (كما الموصوف) كافة .
(٢٣٦/١)

قلت: هو كقولك: فلان أحسن بفلان ونعم ما فعل. ورأى من الرأي كذا وكان صوابا. ومنه

قوله تعالى: { وجعلوا أعزة أهلها أذلة وكذلك يفعلون { (النمل: ٣٤) وما أشبه ذلك من
الجميل التي تساق في الكلام معترضة للتقرير. والمراد بتطهير الأزواج: أن طهرن مما
يختص بالنساء من الحيض والاستحاضة، وما لا يختص بهن من الأقدار والأدناس. ويجوز
لمجيئه مطلقا: أن يدخل تحته الطهر من دنس الطباع وطبع الأخلاق الذي عليه نساء
الدنيا، مما يكتسبن بأنفسهن، ومما يأخذنه من أعراق السوء والمناصب الرديئة

والمناشئ المفسدة، ومن سائر عيوبهن ومثالبهن وخبثهن وكيدهن. فإن قلت: فهلا جاءت
الصفة مجموعة كما في الموصوف؟ قلت: هما لغتان فصيحتان. يقال: النساء فعلن، وهن
فاعلات وفواعل، والنساء فعلت، وهي فاعلة. ومنه بيت الحماسة:
وإذا العذارى بالدخان تقنعت*** واستعجلت نصب القدور فملت (١)
والمعنى وجماعة أزواج مطهرة.

(١) قوله: (وإذا العذارى بالدخان تقنعت*** واستعجلت نصب القدور فملت)
يقول: وإذا أبكار النساء صبرت على دخان النار حتى صار كالقناع لوجهها، ولم تصبر
حتى تدرك ما في القدور فشوت في الملة قدر ما تعلل به أنفسها من اللحم لدفع ضرر
الجوع المفرط من اشتداد السنة، خصت العذارى بالذكر لفرط حيائهن، ولقصورهن عن كثير
مما يتبذل فيه غيرهن، وجعل نصب القدور مفعول استعجلت على السعة، وجواب إذا في
البيت الذي يليه، وهو:

دارت بأرزاق العباد معالق*** بيدي من قمع العشار الجلة
المعالق: القداح في الميسر، والقمع جمع قمعة، وهي القطعة من السنام، والجلة
بكسر الجيم من الإبل: اللسان. [٧٢٧] يقول: إذا صار الزمان كذا دارت القداح في
الميسر بيدي لأقامة أرزاق الطلاب من أسنمة النوق السمان الكبار الحوامل، التي قرب
عهدهما بوضع الحمل، سميت القداح معالق؛ لأن الجزور يعلق عندها، ويهلك بها.
(٢٣٧/١)

وقرأ زيد بن علي "مطهرات" وقرأ عبيد بن عمير: { مطهرة }، بمعنى متطهرة. وفي كلام
بعض العرب: ما أحوجني إلى بيت الله. فأطهر به أطهرة. أي فأطهر به تطهرة. فإن قلت:
هلا قيل طاهرة؟ قلت: في { مطهرة } فخامة لصفتهن ليست في طاهرة، وهي الإشعار بأن
مطهرا طهرهن. وليس ذلك إلا الله عز وجل المرید بعباده الصالحين أن يخولهم كل مزية
فيما أعد لهم.

والخلد: الثبات الدائم والبقاء اللازم الذي لا ينقطع. قال الله تعالى: { وما جعلنا
لبشر من قبلك الخلد، أفإن مت فهم الخالدون } (الأنبياء: ٣٤). وقال امرؤ القيس:
ألا انعم صباحا أيها الطلل البالي*** وهل ينعمن من كان في العصر الخالي (١)

وهل ينعمن إلا سعيد مخلص*** قليل الهموم ما يبيت بأوجال

}

(١) قوله:

(ألا انعم صباحا أيها الطلل البالي*** وهل ينعمن من كان في العصر الخالي
وهل ينعمن إلا سعيد مخلد*** قليل الهموم ما يبيت بأوجال
أنعم صباحا : كلمة تحية ، أي : طاب عيشك في الصبح ، وإنما خص الصباح بها ؛ لأن
الغارات والمكاره تقع صباحا ، والأوجال جمع وجل وهو الخوف ، خاطب الطلل الدارس من
ديار المحبوبة ، ثم قال : وكيف ينعم من كان موجودا في الزمان الماضي ، ثم قال : وهل
ينعمن إلا سعيد مخلد من المخاوف والآفات ، وذلك لا يوجد إلا في دار الخلد والنعيم ،
المعدة للمتقين جعلنا الله من سكانها بكرمه .
وقال بعضهم : لو كان الخلود الدوام لما قيد بالتأيد ، لأن تفييده به على هذا
التقدير لغو ، ولقائل أن يقول : فائدة التأكيد ، وقوله : { هم فيها خالدون } تكميل
في غاية من الحسن ، ونهاية من الكمال .
(٢٣٨/١)

* إن الله لا يستحي أن يضرب مثلا ما بعوضة فما فوقها فأما الذين آمنوا فيعلمون أنه
الحق من ربهم وأما الذين كفروا فيقولون ماذا أراد الله بهذا مثلا يضل به {زجد ٢٧}
ويهدي به {زجد ٢٨} . وما يضل به إلا الفاسقين (٢٦) {
سيقت هذه الآية لبيان أن ما استنكره الجهلة والسفهاء وأهل العناد والمراء من الكفار
واستغربوه من أن تكون المحقرات من الأشياء مضروبا بها المثل ، ليس بموضع للاستنكار
والاستغراب ، من قبل أن التمثيل إنما يصار إليه لما فيه من كشف المعنى ورفع الحجاب
عن الغرض المطلوب ، وإدناء المتوهم من المشاهد . فإن كان الممثل له عظيمًا كان
الممثل به مثله (١) ،

(١) قوله: (فإن كان الممثل له عظيمًا كان الممثل به مثله) لم يرد به التشبيه
المثلي ، ولا الاستعارة التمثيلية ، بل أراد أعم من ذلك ، وفي قوله : { إن الله لا
يستحي } الآية جمع وتقسيم وتفريق وتذييل ، وتفسيره : موافق لذلك ، أما الجمع فقوله
: { إن الله لا يستحي أن يضرب مثلا ما بعوضة فما فوقها } إلا أنها متضمنة لحقية

التميل وما طلبه مستنكر ، وإليه أوماً بقوله : يستنكر ولم يستبدع ، وبقوله : (لأنه مصيب في تمثيله، محق في قوله) ولما كان أصل الكلام مسوقاً لذكر الكفار ، وذكر المؤمنين فيه على التبعية صرح بذكر الكفار ونسب إليهم الاستنكار ، ولم يذكر المؤمنين لكن أثبت فيه الحقيقة ، الي هي منسوبة إليهم .
وأما التقسيم : فالجملتان مصدرتان بأما ؛ لأنهما تفصيلاً ما اشتمل عليه الكلام السابق ، وإليه الإشارة بقوله : وإن المؤمنين وإن الكفار .
وأما التفريق : فقوله : { يضل به كثيراً ويهدي به كثيراً } وإليه الإشارة بقوله : وإن ذلك سبب .. إلى آخره .
وأما التذييل : فقوله : { وما يضل به إلا الفاسقين } .

ومعنى (يحتكمه) يستصحبه ويستلزمه .

(٢٣٩/١)

وإن كان حقيراً كان المتمثل به كذلك. فليس العظم والحقارة في المضروب به المثل إذا إلا أمراً تستدعيه حال المتمثل له وتستجره إلى نفسها، فيعمل الضارب للمثل على حسب تلك القضية. ألا ترى إلى الحق لما كان واضحاً جلياً أبلج، كيف تمثل له بالضياء والنور؟ وإلى الباطل لما كان بضد صفته، كيف تمثل له بالظلمة؟ ولما كانت حال الآلهة التي جعلها الكفار أنداداً لله تعالى لا حال أحقر منها وأقل، ولذلك جعل بيت العنكبوت مثلها في الضعف والوهن، وجعلت أقل من الذباب وأخس قدراً، وضربت لها البعوضة فالذي دونها مثلاً لم يستنكر ولم يستبدع، ولم يقل للمتمثل: استحي من تمثيلها بالبعوضة، لأنه مصيب في تمثيله، محق في قوله. سائق للمثل على قضية مضربه، محتذ على مثال ما يحتكمه ويستدعيه، وليبان أن المؤمنين الذين عادتهم الإنصاف والعمل على العدل والتسوية والنظر في الأمور بناظر العقل، إذا سمعوا بمثل هذا التمثيل علموا أنه الحق الذي لا تمر الشبهة بساحته، والصواب الذي لا يرتع الخطأ حوله. وأن الكفار الذين غلبهم الجهل على عقولهم، وغضبهم على بصائرهم(١)

(١) قوله: (وغضبهم على بصائرهم) قيل : على بصائرهم بدل اشتغال من الضمير المنسوب

في

عصبهم ، والظاهر أنه ليس كذلك بل كأنه من القلب ، أي : غضب بصائرهم عليهم ، والفاء

في قوله : فلا يتفطنون تسبيبه عن غلبهم ، وقوله : (أو عرفوا) متفرق على أن المنكرين طائفتان جاهل ومعاندا ، والفاء في (إذا سمعوه) داخل في خبر أن المفتوحة ؛ لأن اسمها موصوف بالموصوف فحكمه حكم الموصول .
والانهماك : اللجاج ، والحنش : بالتحريك كلما يصاد من الطير والهوام .

والحشرات : صغار دواب الأرض .

(٢٤٠/١)

فلا يتفطنون ولا يلقون أذهانهم، أوعرفوا أنه الحق إلا أن حب الرياسة وهوى الألف والعادة لا يخليهم أن ينصفوا، فإذا سمعوه عاندوا وكابروا وقضوا عليه بالبطلان، وقابلوه بالإنكار، وأن ذلك سبب زيادة هدى المؤمنين وانهماك الفاسقين في غيهم وضلالهم. والعجب منهم كيف أنكروا ذلك وما زال الناس يضربون الأمثال بالبهائم والطيور وأحناش الأرض والحشرات والهوام، وهذه أمثال العرب بين أيديهم مسيرة في حواضرهم وبواديهم قد تمثلوا فيها بأحقر الأشياء فقالوا: أجمع من ذرة (١)، وأجرأ من الذباب، وأسمع من قراد (٢). وأصرد من جرادة، وأضعف من فراشة. واكل من السوس. وقالوا في البعوضة: أضعف من بعوضة، وأعز من مخ البعوض وكلفتني مخ البعوض. ولقد ضربت

الأمثال في الإنجيل بالأشياء المحقرة، كالزوان والنخالة وحب الخردل، والحصاة، والأرضة، والدود، والزناير. والتمثيل بهذه الأشياء وبأحقر منها مما لا تغني استقامته وصحته على من به أدنى مسكة، ولكن ديدن المحجوج المبهوت الذي لا يبقى له متمسك بدليل ولا متشبث بأمانة ولا إقناع، أن يرمي لفرط الحيرة والعجز عن أعمال الحيلة بدفع الواضح وإنكار المستقيم والتعويل (٣) على المكابرة والمغالطة إذا لم يجد سوى ذلك معولا.

(١) قوله: (أجمع من ذرة) الذر : موصوف بجمع القوت ، يزعمون أنها تجمع قوت سبع سنين .

(٢) قوله: (وأسمع من قراد) قيل : إنه يسمع صوت أخفاف الإبل من مسيرة ليلة ، وقيل : من مسيرة سبع ليال ، وعلموا ذلك بأن القردان تخرج وتتحرك من الدمن التي عند المياه قبل وصول الابل إليها بليلة أو سبع ليال ، والزوان : بفتح الزاي وضمها وقد يهمز حيث مر ، فقد يخالط البر ، وفي الأنجيل قد ضرب المثل به وبما يضع بعده مما عنده .

(٣) قوله: (والتعويل) هو ثاني عطف تفسيري على قوله: (وإنكار المستقيم) وإذا لم يجد (ظرف) (أن يرمي) .
(٢٤١/١)

وعن الحسن وقتادة: لما ذكر الله الذباب والعنكبوت في كتابه وضرب للمشركين به المثل، ضحكت اليهود وقالوا: ما يشبه هذا كلام الله. فأنزل الله عز وجل هذه الآية. والحياء تغير وانكسار يعتري الإنسان من تخوف ما يعاب به ويذم. واشتقاقه من الحياة. يقال: حيي الرجل، كما يقال: نسي وحشي وشظي (١) الفرس إذا اعتلت هذه الأعضاء جعل الحيي لما يعتريه من الانكسار والتغير، منتكس القوة منتقص الحياة، كما قالوا: هلك فلان حياء من كذا، ومات حياء، ورأيت الهلاك في وجهه من شدة الحياء. وذاب حياء، وجمد في مكانه خجلا. فإن قلت: كيف جاز وصف القديم سبحانه به ولا يجوز عليه التغير والخوف والذم، وذلك في حديث سلمان (٢)

(١) قوله: (نسي وحشي وشظي) نسي الرجل هو نس ، إذا اشتكى نساء بفتح النون والقصر ،

وهو عرق مخرج من الورك فيستطو ... الفخذين ثم يمر بالعرقوب .
وحشي : بالكسر اشتكى حشاه ، وشظي الفرس : أوجه شظاه ، وهو عظم مستدق منبرق بالذراع

، فإذا تحرك موضعه قيل : شظي الفرس .

(٢) قوله: (وفي حديث سلمان (إن الله حيي كريم) الانتصاف : تأويل الحديث لازم ، وأما الآية فلا تحتاج إلى التأويل ؛ لأن الحياء مسلوب [٧٢٨] عنه تعالى ، فهو كقولك : إنه تعالى ليس بجسم ولا عرض .

الإنصاف : وفي كلام المصنف ما يدل على التأويل إنما يحتاج إليه في الخبر لا في الآية .

والطبيي : يرد طباق الترك في تأويل الحديث ونفيه في تأويل الآية بقوله : لا يترك ضرب المثل . . أراد الطبيي بهذا أنه قد تأول الآية كما تأول الحديث ، والفرق بين قولنا إنه تعالى ليس بجسم ولا عرض ، وما في الآية والحديث هو أن القصد في ذلك النزيه عما لا يجوز نسبته إليه ، وفي الآية القصد إلى تجويز ضرب المثل ، وأن الحياء غير مانع منه .

وأقول : الفرق ظاهر بين قولك : الله لا يجوز عليه الحياء ، والحياء غير حاصل له ، وبين قولك : الله تعالى لا يستحي من فعل كذا ، أي : لا يتركه للحيا ، فإن الثاني يدل على أن الحياء حاصل له ، لكن الترك لأجله غير حاصل ، وهذا قريب مما قالوه من أن التفني إذا أورد على ذات موصوفة بصفة ، أو مقيدة بحال أنه يكون إما ونفيا للصفة ، أو الحال ، وذلك كما إذا قلت : ما جاءني زيد الكريم ، أو ما جاء زيد كريما (٢٤٢/١)

قال:

(٢٦) قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم "إن الله حيي كريم يستحي إذا رفع إليه العبد يديه أن يردهما صفرا حتى يضع فيهما خيرا". قلت: هو جار على سبيل التمثيل مثل تركه تخيب العبد وأنه لا يرد يديه صفرا من عطائه لكرمه بترك من يترك رد المحتاج إليه حياء منه. وكذلك معنى قوله: { إن الله لا يستحي } أي لا يترك ضرب المثل بالبعوضة ترك من يستحي أن يتمثل بها لحقارتها. ويجوز أن تقع هذه العبارة في كلام الكفرة، فقالوا: أما يستحي رب محمد أن يضرب مثلا بالذباب والعنكبوت فجاءت على سبيل المقابلة (١) وإطباق الجواب على السؤال. وهو فن من كلامهم بديع، وطرار عجيب، منه قول أبي تمام:

من مبلغ أفناء يعرب كلها***أنى بنيت الجار قبل المنزل(٢)

(١) قوله: (على سبيل المقابلة) أراد به المشاكلة ، لكن على التقدير ، إذ لولا قولهم : أما يستحي رب محمد أن يضرب مثلا بالذباب ، والعنكبوت على سبيل الانكار ، لم يحسن قوله : { إن الله لا يستحي } وبيت أبي تمام من المشاكلة ، والمشاكلة : ذكر الشيء بلفظ غيره لوقوع في صحبته .

(٢) قوله: (من مبلغ أفناء يعرب كلها***أنى بنيت الجار قبل المنزل

يقال : هو من أفناء الناس ، إذا لم يعلم ممن هو ، وقيل : إنه جمع فنا ، أي : من مبلغ أهل فناء الناس ، ويجمع فناء أيضا على أفنية ، وفناء الدار : ساحتها ، ويعرب : هو يعرب بن قحطان ، سمي به القبيلة ، يقول : من مبلغ جميع هذه القبيلة أنى حصلت الجار قبل فناء المنزل ، فأطلق لفظ البناء على الجار لمشاكلته بناء الدار ، وكأنه مأخوذ من قوله عليه السلام (الجار ثم الدار) وقول الشاهد : إنها لم تجعد عيني جوابا

عن قول شريح : إنك لسبط الشهادة ، يحتمل أن يكون من المطابقة بالنظر إلى اللفظين ، لأن السبط ضد الجعد ، وإن تكون من المشاكلة ، إذ لو قال شريح : إنك لبديه الشهادة لم يحسن منه لم تجعد عيني ، بمعنى لم تمنع عيني ولم تغب ، ولذلك قالوا : لولا سبوة الشهادة تجعيدها ، وكأن لفظ السبط والجعد من حيث أنهما لا يطلقان إلا على الشعر لفظ واحد .

وقوله : (فجاء على سبيل المقابلة) لم يرد به المقابلة الاصطلاحية ، بل أراد به ما يصح أن يقابل به الكلام ؛ لأن قوله : وإطابق الجواب عطف تفسيري عليه .

(٢٤٣/١)

وشهد رجل عند شريح . فقال : إنك لسبط الشهادة . فقال الرجل : إنها لم تجعد عني . فقال :

لله بلادك ، وقبل شهادته . فالذي سوغ بناء الجار وتجعيد الشهادة هو مراعاة المشاكلة . ولولا بناء الدار لم يصح بناء الجار . وسبوة الشهادة لامتنع تجعيدها . والله در أمر التنزيل وإحاطته بفنون البلاغة وشعبها ، لا تكاد تستغرب منها فنا إلا عثرت عليه فيه على أقوم مناهجه وأسد مدارجه . وقد استعير الحياء (١) فيما لا يصح فيه : إذا ما استحين الماء يعرض نفسه***كرعن بسبت في إناء من الورد (٢)

(١) قوله : (وقد استعير الحياء) يتعلق بالجواب الأول تعلق الجملة الحالية بعاملها ، والاستعارة للتبعية قد تقع على سبيل التمثيل ، يعني استعير الحياء للترك بعد التشبيه في كلام الله ، وقد جاء مثله في كلامهم واعترض بين الجواب ومتعلقه بالجواب الثاني على سبيل الاستطراد ، واهتماما بشأنه لما اشتمل على بديع المعاني ، وقد نبه عليه بقوله : والله در التنزيل وإحاطته بفنون البلاغة .

(٢) قوله (إذا ما استحين الماء يعرض نفسه***كرعن بسبت في إناء من الورد) البيت لأبي الطيب ، أي : إذا ما تركت الإبل الماء (كرعن) أي : تناولن بأفواههن من مرضعه ، والسبت : جلد البقر المدبوغ بالقرض ، يصف الإبل وكثرة الماء عندها ، فشبه مشافرها بالسبت ، وشبه نقرة الماء المحفوفة بالأزهار بإناء من الورد ، يقول : إن هذه الإبل إذا تركت شرب الماء حال كونه عارضا لنفسه عليهن ، أي : إذا كان الماء كثير ... سهل المتناول لا يغيب عن نظرهن ، فكأنه عارض نفسه عليهن كرعن فيه ، وعدن إلى شربه بمشافرهن المشبهة بالجلود المذبوغة بالقرض في غدير محفوف بالأزهار حتى كأنه صيغ من الورد ، ومعنى اعتماد المثل : قصده ، والصلة : الزيادة .

وقرأ ابن كثير في رواية شبل: "يستحي" بياء واحدة. وفيه لغتان: التعدي بالجار والتعدي بنفسه. يقولون: استحييت منه واستحييته، وهما محتملتان ههنا. وضرب المثل: اعتماده وصنعه من ضرب اللبن وضرب الخاتم. وفي الحديث:

)

(٢٧) "اضطرب رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم خاتما من ذهب" و { ما هذه إبهامية وهي التي إذا اقترنت باسم نكرة أبهمته إبهاما وزادته شياعا وعموما، كقولك: أعطني كتابا ما، تريد أي كتاب كان. أو صلة للتأكيد، كالتالي في قوله: { فبما نقضهم ميثاقهم } (النساء: ١٥٥) كأنه قيل: لا يستحيي (١) أن يضرب مثلا حقا أو البتة، هذا إذا نصبت { بعوضة } فإن رفعتها فهي موصولة، صلتها الجملة؛ لأن التقدير: هو بعوضة، فحذف صدر الجملة كما حذف في { تماما على الذي أحسن } (الأنعام: ١٥٤) ووجه آخر (٢) حسن جميل،

وهو أن تكون التي فيها معنى الاستفهام لما استنكفوا من تمثيل الله لأصنامهم بالمحقرات قال: إن الله لا يستحيي أن يضرب للأنداد ما شاء من الأشياء المحقرة مثلا، بله البعوضة فما فوقها، كما يقال فلان لا يبالي بما وهب ما دينار وديناران.

(١) قوله: (كأنه قيل: لا يستحيي) فذلك لما سبق، وتلخيص لما فسره، وحقا: صفة لمثلا، قوله (فهي موصولة) أي: .. صلتها الجملة، وهي هو بعوضة، قيل: والخبر محذوف، أي: الذي هو بعوضة مضروب به المثل.

(٢) قوله: (وجه آخر) أي: لقراءة [٧٢٩] الرفع، وعلى هذا فتكون ما مبتدأ أيضا، وبعوضة: الخبر.

والمعنى: أن لله أن يتمثل للأنداد وحقارة شأنها بما لا شيء أصغر منه وأقل، كما لو تمثل بالجزء الذي لا يتجزأ وبما لا يدركه لتناهيه في صغره إلا هو وحده بلطفه، أو بالمعدوم، كما تقول العرب: فلان أقل من لا شيء (١)

(١) قوله: (أقل من لا شيء) في العدد من تنمة المثل ، قال جار الله : شيء مجرور بمن ولا زائدة ، المعنى : فلان في حساب الأشياء كأقل شيء ، أو غير زائدة ، أي : أقل من المبقى ، بمعنى أنه لا يلتفت إليه .

أقول : يحتمل أن تكون لا النافية للجنس ، ويكون الجار إذا دخل عليها منع من بناء المنفي بعدها فحركات بلا مال ، وعقبت بمن لا شيء ، وذلك بتعذر تقدير من بعدها ؛ إذ لا

يجوز بلا من مال ، ومع هذا فقد تفتح نظرا إلى لفظ لا ، نحو بلا مال ، كما تبنى مع لا الزائدة نظرا إلى لفظها كما أنشد الأخفش :

لو لم يكن غطفان لا ذنوب له الي***لهمت ذووا أحسابها عمرا

ويحتمل أن يكون لا هنا بمعنى غير ، ومعنى ا... .. تدل بهذا المعنى ، أي : بالحكم على الشيء بلا شيء .
(٢٤٦/١)

في العدد. ولقد ألم به قوله تعالى: { إن الله يعلم ما يدعون من دونه من شيء } (١) (العنكبوت: ٤٢) وهذه القراءة تعزى إلى رؤية بن العجاج، وهو أمضغ العرب للشيخ والقيصوم والمشهود له بالفصاحة. وكانوا يشبهون به الحسن، وما أظنه ذهب في هذه القراءة إلا إلى هذا الوجه (٢)، وهو المطابق لفصاحته. وانتصب { بعوضة } بأنها عطف بيان لمثالا. أو مفعول ليضرب، و { مثالا } حال عن النكرة (٣) مقدمة عليه. أو انتصبا مفعولين فجري (ضرب) مجرى (جعل). واشتقاق البعوض من البعض وهو كالتقطع كالبعوض والعضب.

يقال: بعضه البعوض. وأنشد:

لنعم البيت بيت أبي دثار***إذا ما خاف بعض القوم بعضا(٤)

(١) قوله: { إن الله يعلم ما يدعون من دونه من شيء } (قال أبو البقاء ما في { ما يدعون } استفهامية منصوبة بتدعون ؛ لأنه ... ومن شيء تبين ، ويجوز أن تكون نافية ، ومن زائدة ، وشيئا مفعول تدعون .

(٢) قوله : (إلا إلى هذا الوجه) وهو أن ما استفهامية ؛ لأنها لو كانت موصولة كان حذف العائدة ضعيفا لكونه غير صلة ، كما في قوله تعالى : { أهذا الذي بعث الله { أي : بعثه الله .

(٣) قوله: (و { مثلاً } حال عن النكرة) أي : عن بعوضة .

قوله : (وانتصبا مفعولين) أي : مثلاً وبعوضة ، قيل : هذا بعيد لندرة كون مفعول جعل وأمثاله نكرتين ؛ لأنها من دواخل المبتدأ والخبر .

(٤) قوله: (لنعم البيت بيت أبي دثار***إذا ما خاف بعض القوم بعضاً

يقول : لنعم البيت الكلة في ، وأبو دثار : كنيته ، إذا خاف بعض القوم قطع

البعوض ، أي : عضه ، والخموش : بفتح الخاء في لغة هذيل من الخمش ، ونسج : بفتح السين وكسرها ، وهو في موضع الحال عن الضمير .

(٢٤٧/١)

ومنه: بعض الشيء لأنه قطعه منه. والبعوض في أصله صفة على فعول كالقطوع فغلبت، وكذلك

الخموش { فما فوقها } فيه معنيان: أحدهما: فما تجاوزها وزاد عليها في المعنى الذي ضربت فيه مثلاً، وهو القلة والحقارة، نحو قولك - لمن يقول: فلان أسفل الناس وأنزلهم -: هو فوق ذاك، تريد هو أبلغ وأعرق فيما وصف به من السفالة والندالة. والثاني: فما زاد عليها في الحجم، كأنه قصد بذلك رد ما استنكروه من ضرب المثل بالذباب والعنكبوت، لأنهما أكبر من البعوضة. كما تقول لصاحبك - وقد ذم من عرفته يشح بأدنى شيء فقال: فلان بخل بالدرهم والدرهمين، -: هو لا يبالي(١)

(١) قوله: (هو لا يبالي) مفعول لقوله : (تقول لصاحبك) هذا الوجه إنما يذهب إليه إذا سمع كلام ذكر فيه ما يحتمل أحقر وأصغر منه ، فيؤتى بما يحتمل من الصغير ليترقى منه إلى ما ذكره المخاطب ، فإن الكفار لما استنكروا ضرب المثل بالذباب والعنكبوت وغلبة مال الدرهم والدرهمين .

الانتاصف : لا يستقيم المعنى على ما أشار إليه الزمخشري ؛ لأن هذا الاستفهام إنما يقع للإنكار بينها بالأدنى على الأعلى ، كما تقول : فلان يعطي الأموال ما الدينار وما الديناران ، وأما هنا فهم أنكروا ضرب المثل بالذباب ولا يستقيم أن يكون البعوضة فما فوقها في الصغر أو الكبر على اختلاف المذهبيين تنبيهاً بالأقل على الأكثر ، إذ هي وما فوقها الأكثر في الحقارة ، ولا نجد لتصحيح المعنى وجهاً ، وإنما أطلت لأنه موضع شيق يبعد فهمه ، وحسبك بمعنى انعكس فيه فهم الزمخشري .

الإنصاف : لو تأمل كلامه لوجد جواب اعتراضه فيه ؛ لأنه قال : أجبوا بأن الله لا يستحي أن يضرب مثلاً من الأمثال ، فما البعوضة فما فوقها ، وذلك لأن المسلوب عن الله

أن يضرب مثلاً ، وهو نكرة في سياق النفي فيعم كل مثل على اختلاف أنواعه عن الله فما البعوضة ، أي : الكل في الجواب سواء فما البعوضة فما دونها في الحقارة ، أو المبالغة في تقليله لا يخرجها عن كونه مثلاً ، والكل جائز ، ولا يلزم في الاستفهام بما أن يكون من باب التشبيه بالأدنى على الأعلى ، وقد يكون الإنكار على من سمع قاعدة قد تقررت فسأل شيئاً من جريانها ، وقال : لم جاء هذا مع وضوح الدليل على جواز الكل ، وأشار إلى أن الجميع قد اشترك في علة وأحكام ، وليس بعجب ما وهم فيه من شيق مجال هذا البحث .

قال الطيبي : وقلت : كلام صاحب الإنصاف يشعر بأن قوله تعالى { بعوضة فما فوقها } من باب التذليل ، وأنه يؤكد معنى العموم في قوله : { أن يضرب مثلاً } ويكون { بعوضة فما فوقها } للاستيعاب والشمول ، كقوله تعالى : { ولهم رزقهم فيها بكرة وعشيا } سواء اعتبرت الصغرى ، أو الكبرى ، والذي يفهم من كلام المصنف أن الوجه الأول من باب التتميم للمبالغة ، كقوله تعالى { الرحمن الرحيم } والثاني من باب الأولوية ، كقوله تعالى : { فلا تقل لهما أف [٧٣٠] ولا تنهرهما } وإلى الأول أشار بقوله : هو أبلغ وأعرف فيما وصفه به ، وإلى الثاني بقوله : كأنك قلت فضلاً عن الدرهم والدرهمين ، وأقول لجار الله أن ينشد :
علي نحت القوافي من معادنها***.

وما ذكره هو الحق الأبلغ ، وما سواه هو الباطل اللجلج ، وذلك أن الكفار إنما أنكروا ضرب المثل بالذباب والعنكبوت لخستهما وحقارتهما في أنفسهما ، فالبعوضة فما فوقها في الصغر مع أنهما أقل وأحققر ، ومما استنكروه إذا جاز أن لا يستحي عن ضرب المثل بهما فبالأولى أن لا يستحق عرض المثل بما هو أكبر منها ، فقد نبه هاهنا بجواز ضرب الأدنى على جواز ضرب الأعلى ، وكون البعوضة وما فوقها أكثر في الحقارة لا يمنع من ذلك ، وهذا كما يقال : فلان لا يستحي أن يعطي سائله الدرهم ، حيث أنكر إعطائه الدرهم

لقلته ، فيقول : لا يستحي عن إعطاء الفللس فما دونه في القلة يريد أنه إذا لم يستح عن إعطاء الفللس فما دونه في القلة فبالأولى أن لا يستحي من إعطاء الدرهم ، وبين الاثبات والنفي في نحو هذا الترتيب فرق ظاهر من غير عكس ، فإنك إذا قلت : فلان يعطي الدينار ، في مقام المدح ، فإنه يدل على أنه يعطي الدرهم بطريق الأولى من غير عكس ، ولو قلت : لا يعطي الدرهم في مقام الذم دل على أنه لا يعطي الدنيا من غير عكس .

أن يبخل بنصف درهم فما فوقه تريد بما فوقه ما بخل فيه وهو الدرهم والدرهمان كأنك قلت: فضلا عن الدرهم والدرهمين. ونحوه في الاحتمالين ما سمعناه في صحيح مسلم عن إبراهيم عن الأسود قال:

(٢٨) دخل شباب من قريش على عائشة رضي الله عنها وهي بمنى وهم يضحكون. فقالت: ما يضحكم؟ قالوا: فلان خر على طنب فسطاط فكادت عنقه أو عينه أن تذهب. فقالت: لا تضحكوا. إني سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال: "ما من مسلم يشاك شوكة (١) فما فوقها إلا كتبت له بها درجة ومحيت بها عنه خطيئة" يحتمل فما عدا الشوكة وتجاوزها في القلة وهي نحو نخبة النملة في قوله عليه الصلاة والسلام:

(٢٩) "ما أصاب المؤمن من مكروه فهو كفارة لخطاياها حتى نخبة النملة" وهي عضتها.

ويحتمل ما هو أشد من الشوكة وأوجع كالخرور على طنب الفسطاط.

. فإن قلت: كيف يضرب المثل بما دون البعوضة وهي النهاية في الصغر؟ قلت: ليس كذلك، فإن جناح البعوضة أقل منها وأصغر بدرجات، وقد

(٣٠) ضربه رسول الله (٢) صلى الله عليه وآله وسلم مثالا للدنيا، وفي خلق الله حيوان

أصغر منها ومن جناحها، ربما رأيت في تضاعيف الكتب العتيقة دويبة لا يكاد يجليها

للبصر الحاد إلا تحركها، فإذا سكنت فالسكون يواربها، ثم إذا لوحت لها بيدك حادت

عنها وتجنب مضرتها، فسبحان من يدرك صورة تلك وأعضاءها الظاهرة والباطنة وتفصيل

خلقتها ويصير بصرها وبطلع على ضميرها، ولعل في خلقه ما هو أصغر منها وأصغر { سبحان

الذي خلق الأزواج كلها مما تنبت الأرض ومن أنفسهم ومما لا يعلمون } (يس: ٣٦)

وأنشدت

لبعضهم (٣):

(١) قوله: (يشاك شوكة) أراد المعنى لا العين، ولو أريد العين ل قيل بشوكة، يقال:

شيك الرجل فهو مشيك، إذا دخل في جسمه شوكة.

(٢) قوله: (وقد ضربه رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم) أي: الجناح، حيث قال:

لو كانت الدنيا تعدل عند الله جناح بعوضة ما سقى كافرا منها شربة ماء).

(٣) قوله:

)

يا من يرى مد البعوض جناحها*** في ظلمة الليل البهيم الأليل
ويرى عروق نياطها في نحرها*** والمخ في تلك العظام النحل
اغفر لعبد تاب من فرطاته*** ما كان منه في الزمان الاول

البهيم : المظلم ، والأليل : الشديد ، والنياط : عرق علق به القلب من الوتين ، فإذا
قطع مات صاحبه ، قال سيبويه في تفسيره : مهما يكن من شيء فزيد ذاهب أراد سيبويه أن
أما بمعنى مهما ، وكيف ، وأما حرف ، ومهما : اسم ، بل قصد ... إلى المعنى البحث ؛
لأن معنى ما ذكر من شيء فزيد ذاهب ، إن كان شيء فزيد ذاهب ، أي : ذاهب البتة ، وما
حرف بمعنى إن وجب حذف شرطها لكثرة استعمالها ، ولكونها في الأصل موضوعة للتفصيل
,

وهو مقتضى تكررها نحو : أما زيد ففقيه ، وأما عمرو فأديب ، فتؤدى إلى الاستقبال
ايضا ، وأيضا لغرض معنوي ، وذلك أنهم أرادوا أن يقع ما هو اللازم في قصد المتكلم
موضع الشرط الذي هو الملزوم ، في جميع الكلام تفسير ذلك أن أصل إما يكن من شيء
فزيد

قائم . إن يكن شيء فزيد قائم ، فهذا قطع لوقوع قيامه ، لأنه جعل وقوعها لازما لوقوع
شيء ما في الدنيا ، الذي لا بد من وقوعه ، ثم لما كان الغرض الأصلي من هذه الملازمة
المذكورة من الشرط والجزاء لوم القيام لزيد حذف الملزوم الذي هو الشرط ، وأقيم
ملزوم القيام ، وهو زيد مقامه ، وبقي الفاء بين المبتدأ والخبر لأن فاء السببية ما

بعدها لازم لما قبلها ، فجعل الغرض الثاني ، وهو لزوم القيام لزيد ، فلهذا الغرض
وتحصيله جاز وقوع الفاء في غير موقعها .
(٢٤٩/١)

يا من يرى مد البعوض جناحها*** في ظلمة الليل البهيم الأليل
ويرى عروق نياطها في نحرها*** والمخ في تلك العظام النحل
اغفر لعبد تاب من فرطاته*** ما كان منه في الزمان الاول

{ وأما { حرف فيه معنى الشرط ، ولذلك يجاب بالفاء . وفائدته في الكلام أن يعطيه فضل
توكيد . تقول : زيد ذاهب . فإذا قصدت توكيد ذاك وأنه لا محالة ذاهب وأنه بصدد الذهاب
وأنه منه عزيمة قلت : أما زيد فذاهب . ولذلك قال سيبويه في تفسيره : مهما يكن من شيء
فزيد ذاهب : وهذا التفسير مدل لفائدتين : بيان كونه توكيدا ، وأنه في معنى الشرط . ففي
إيراد الجملتين مصدرتين به - وإن لم يقل : فالذين آمنوا يعلمون ، والذين كفروا

يقولون - إحماد عظيم (١) لأمر المؤمنين، واعتداد بعلمهم أنه الحق، ونعى على الكافرين إغفالهم حظهم وعنادهم ورميهم بالكلمة الحمقاء (٢). و { الحق } الثابت الذي لا يسوغ إنكاره. يقال: حق الأمر، إذا ثبت ووجب. وحقت كلمة ربك، وثوب محقق: محكم النسخ: و { ماذا } فيه وجهان: أن يكون ذا اسما موصولا بمعنى الذي، فيكون كلمتين. وأن يكون "ذا" مركبة مع { مجعولتين اسما واحدا فيكون كلمة واحدة، فهو على الوجه الأول مرفوع المحل على الابتداء وخبره ذا مع صلتها. وعلى الثاني منصوب المحل في حكم { ما } وحده لو قلت: ما أراد الله.

(١) قوله: (إحماد عظيم) قيل: ليس هو من أحمدته إذا صادفه محمودا، بل من أحمدته بمعنى رضيه، أو حكم بكونه محمودا.

(٢) قوله: (ورميهم بالكلمة الحمقاء) هي التي تصدر لا عن روية، ووصفها بالحقى مجاز، لأن الحق في الحقيقة لصاحبها، قيل: وكان القياس أن يقال: وأما الذين كفروا فلا يعلمون ليطلق قوله: يعلمون، لكن لما قولهم هذا دليلا واضحا على جهلهم عدل إليه على سبيل الكناية، ليكون كالبرهان عليه.

(٢٥٠/١)

والأصوب في جوابه أن يجيء على الأول مرفوعا، وعلى الثاني منصوبا، ليطلق الجواب السؤال. وقد جوزوا عكس ذلك تقول - في جواب من قال: ما رأيت؟ - خير، أي المرئي خير. وفي جواب ما الذي رأيت؟ خيرا، أي رأيت خيرا. وقرئ قوله تعالى: { يسألونك ماذا ينفقون قل العفو } (البقرة: ٢١٩) بالرفع والنصب على التقديرين. والإرادة نقيض الكراهة، وهي مصدر أردت الشيء إذا طلبته نفسك ومال إليه قلبك. وفي حدود المتكلمين: الإرادة معنى يوجب للحي حالا لأجلها يقع منه الفعل على وجه دون وجه. وقد اختلفوا في إرادة الله (١)، فبعضهم على أن للباري مثل صفة المريد منا التي هي القصد، وهو أمر زائد على كونه عالما غير ساه. وبعضهم على أن معنى إرادته لأفعاله هو أنه فعلها وهو غير ساه ولا مكره. ومعنى إرادته لأفعال غيره أنه أمر بها. والضمير في { أنه الحق } للمثل، أو لأن يضرب. وفي قولهم: { ماذا أراد الله بهذا مثلا } استبدال واستحقار كما

)

(١) قوله: (وقد اختلفوا في إرادة الله) اختلف أهل العدل في إرادة الله هل هي كيفية زائدة على العلم أم لا؟ فذهب الجبائيون ومن تابعهما إلى أنها زائدة على العلم،

وأن الله تعالى يريد بإرادة حادثة موجودة لا في محل ، وذهب أبو الحسن البصري
وأتباعه إلى أنها غير زائدة على العلم ، وقال : معنى كون الله تعالى مريدا لأفعاله
أنه فعلها وهو غير ساه عنها ، ولا مكره عليها ، ومعنى كونه مريدا لأفعال غيره أنه
أمر بها
(٢٥١/١)

(٣١) قالت عائشة رضي الله عنها في عبد الله بن عمرو بن العاص: يا عجباً لابن عمرو
هذا(١)؟ { مثلاً } نصب على التمييز(٢) كقولك لمن أجاب بجواب غث: ماذا أردت بهذا
جواباً. ولمن حمل سلاحاً ردياً: كيف تنتفع بهذا سلاحاً؟ أو على الحال(٣)، كقوله: { هذه
ناقة الله لكم آية } (الأعراف: ٧٣).

(١) قوله: (يا عجباً لابن عمرو هذا) قالت عائشة لما بلغها أن عبد الله بن عمرو بن

العاص يأمر النساء إذا اغتسلن بنقض ذوائبهن : يا عجباً لابن عمرو هذا . وبعده : كنت
أغتسل أنا ورسول الله صلى الله عليه وآله وسلم من إناء واحد ، وما أزيد أن أفرغ على
رأسي ثلاث افراغات .

(٢) قوله: ({ مثلاً } نصب على التمييز) اعلم أن الاسم قد يتم في نفسه بدون شيء آخر
، وذلك في الضمير ، نحو ربه رجلاً ، وفي اسم الإشارة كهذا مثلاً ، ومعنى تمامهما في
أنفسهما تعذر اضافتهما لا بالتنوين ونون التثنية والجمع والاضافة ، والعامل في
التمييز في القسمين هو الضمير ، واسم الإشارة ، لتمامهما ومشابهتهما الفعل التام
بفاعله ، فلا يظن الناصب في التمييز في نحو رجلاً هو الفعل ، بل الناصب هو الضمير
كما في ربه رجلاً .

(٣) قوله: (أو على الحال) قال أبو البقاء مثلاً حال من اسم الله ، أو من هذا أي :
متمثلاً أو متمثلاً به ، والمصنف اختار الثاني ، لقوله : { هذه ناقة الله لكم آية } .
(٢٥٢/١)

وقوله: { يضل به كثيراً ويهدي به كثيراً } جار مجرى التفسير(١) والبيان للجملتين
المصدرتين بأما، وأن فريق العالمين بأنه الحق وفريق الجاهلين المستهزئين به كلاهما
موصوف بالكثرة، وأن العلم بكونه حقاً من باب الهدى الذي ازداد به المؤمنون نوراً إلى
نورهم، وأن الجهل بحسن مورده من باب الضلالة التي زادت الجهلة خطاً في ظلماتهم. فإن

قلت: لم وصف المهديون بالكثرة - والقلة صفتهم، { وقليل من عبادي الشكور } (سبأ: ١٣)، { وقليل ما هم } (ص: ٢٤). "الناس كإبل مائة لا تجد فيها راحلة"، (٢)

(١) قوله: (جار مجرى التفسير والبيان للجملتين) لأن كل واحدة منهما مشتملة على الكثرة ، وعلى معنى الضلالة والهدى ، وهو قوله : تعلمون أنه الحق ، وتقولون ماذا أراد الله بهذا ، فبين بقوله { يضل به كثيرا ويهدي به كثيرا } ذلك ، وقوله : وإن فريق العالمين وفريق الجاهلين جار مجرى التفسير لقوله : جار مجرى التفسير والبيان ، وكذا قوله : وإن العلم بكونه حقا ، وإن الجهل بحسن مورده تفسير للتفسير على طريقة أعجبنى زيد وكرمه ، وقيل : قوله { وإن فريقا } عطف على قوله جار من حيث الحق ، بتقدير مضاف ، كأنه قال : وبيان أن فريق ، قيل : ولا يحسن أن يكون عطفا على الجملتين فطر ذلك بالتأمل .

(٢) قوله: ("الناس كإبل مائة لا تجد فيها راحلة") هو حديث معناه : أن المرضي المنتخب من الناس كالنجيب من الإبل القوي على الجمل الذي لا يكاد يوجد في كثير من الإبل . الأزهرى : الراحلة : هي البعير ، القوي على الأسفار والأحمال ، التام الخلق ، يطلق على الذكر والأنثى ، والتاء فيه للمبالغة .

وقال الميداني : يجوز رفع الناس في قولهم : وجدت الناس اخبر ثقله ، على الحكاية ، ومن نصب الناس نصبه بالأمر بعده ، ووجدت بمعنى عرفت ، والهاء في ثقله للسكت بعد حذف

العائد ، وأصله : ثقلهم ، والجملة في محل نصب بوجدت ، أي : وجدت الأمر كذلك .

وقال أبو عبيدة : جاءنا الحديث عن أبي الدرداء ، وقد أخرج الكلام على لفظ الأمر ، ومعناه الخبر ، يريد أنك إذا خبرتهم ... في ذم الناس وسوء معاشرتهم ، وقالوا : اخبر ثقله ، مفعول ثاني لوجدت ، أي : وجتهم مقولا فيهم هذا القول ، ومعناه أن كلا منهم مسخود عند الخبرة .

(٢٥٣/١)

وجدت الناس أخبر ثقله؟ قلت: أهل الهدى كثير في أنفسهم، وحين يوصفون بالقلة إنما يوصفون بها بالقياس إلى أهل الضلال. وأيضا فإن القليل من المهديين كثير في الحقيقة وإن قلوا في الصورة، فسموا ذهابا إلى الحقيقة كثيرا:

إن الكرام كثير في البلاد وإن***قلوا كم غيرهم قل وإن كثروا(١)

(١) قوله:

(إن الكرام كثير في البلاد وإن***قلوا كما غيرهم قل وإن كثروا)

أراد أن الكرام كثير في الحقيقة وإن قلوا في الصورة ، وغيرهم بالعكس من ذلك.

وليس لله بمستنكر أن يجمع العالم في واحد .

الانتصاف : الاستشهاد بالبيت غير مستقيم ؛ لأن معناه أنهم وإن كانوا قليلا فالواحد

منهم كالكثير ، قال : ووحد كالألف إن أمر عني .

الانصاف : المهديون في الآية كثير في أنفسهم ، وقليل بالنسبة إلى غيرهم فليس البيت

من معنى الآية في شيء .

الطبيي : كلامهما اتفق على أن الجواب الأول هو المقصود في تفسير الآية ؛ لأن المعنى

: المهديون كثير في أنفسهم لأنهم كانوا جما غفيرا ، ولكن بالنسبة إلى الكافرين

كانوا قليلين .

وأما الجواب الثاني ، والبيت المستشهد فيه فليس من المعنى في شيء إذ لو أريد هذا

المعنى لقليل : (يضل به قليلا ، ويهدي به كثيرا) وأقول : أصل السؤال أنهم وصفوا أعني

المؤمنين بـ الكثرة في هذه الآية مع أنهم قد وصفوا بالقلّة في غيرها ، والكثرة والقلّة

مما لا يجتمعان في الشيء الواحد وأ في غيرها بالقلّة ، ولاتنافي لاختلاف

الجهة ، وثانيا : أنهم كثير في الحقيقة وإن قلوا في الصورة فجاز أن يوصفوا بالكثرة

بالنظر إلى الحقيقة ، وبالقلّة بالنظر إلى الصورة ، ولا تنافي أيضا لذلك ، والبيت

نظير الآية في هذا المعنى ؛ لأنه وصف الكرام بالكثرة بالنظر إلى الحقيقة ، وبالقلّة

بالنظر إلى الصورة ، وكذلك وصف غيرهم بالقلّة بالنظر إلى الحقيقة ، وبالكثرة بالنظر

إلى الصورة ، وكون المؤمنين كثيرا في أنفسهم [٧٣٢] لا ينافي كثرتهم في الحقيقة ،

فيجوز اعتبار الكثرة فيهم من الجهتين معا ، فلا احتجاج ، ولصاحب الانصاف : كثرتهم

في أنفسهم على عدم إرادة كثرتهم حقيقة ، وكذا كون الواحد من الكرام كالكثير لا

ينافي كثرتهم في الحقيقة .

وأما قول الطبيي : إذ لو أريد هذا المعنى لقليل : يضل به قليلا ويهدي به كثيرا

فممنوع ، فتبين بهذا أن الاستشهاد بالبيت مستقيم .

(٢٥٤/١)

وإسناد الإضلال إلى الله تعالى إسناد الفعل إلى السبب: لأنه لما ضرب المثل فضل به قوم واهتدى به قوم، تسبب لضلالهم وهداهم. وعن مالك بن دينار رحمه الله أنه دخل على محبوس قد أخذ بمال عليه وقيد، فقال: يا أبا يحيى، أما ترى ما نحن فيه من القيود؟

فرفع مالك رأسه فرأى سلة. فقال: لمن هذه السلة؟ فقال: لي، فأمر بها تنزل (١)، فإذا دجاج وأخبصة، فقال مالك: هذه وضعت القيود على رجلك. وقرأ زيد بن علي: { يضل به كثيرا } وكذلك: { وما يضل به إلا الفاسقين } . والفسق: الخروج عن القصد. قال رؤية (٢):

فواسقا عن قصدها جوائر

(١) قوله: (فأمر بها تنزل) بالرفع على حذف أن وهو بدل اشتمال من الضمير في بها ، كقوله تعالى : { والذين اجتنبوا الطاغوت أن يعبدوها } .
(٢) قوله: (رؤية) قبله :

يذهبن في نجد وغورا عابرا***فواسقا عن قصدها جوائر
يصف نوقا بعسفان في مشيهن ، والقصد : الطريق المستقيم ، وغورا : عطف على محل الجار والمجرور .
(٢٥٥/١)

والفاسق في الشريعة الخارج عن أمر الله بارتكاب الكبيرة، وهو النازل بين المنزلتين أي بين منزلة المؤمن والكافر، وقالوا: إن أول من حد له هذا الحد أبو حذيفة واصل بن عطاء رضي الله عنه وعن أشياعه. وكونه بين بين: أن حكمه حكم المؤمن في أنه يناكح ويوارث ويغسل ويصلى عليه ويدفن في مقابر المسلمين. وهو كالكافر في الذم واللعن والبراءة منه واعتقاد عداوته، وأن لا تقبل له شهادة. ومذهب مالك بن أنس والزيديّة: أن الصلاة لا تجزئ خلفه (١). ويقال للخلفاء المردة من الكفار: الفسقة. وقد جاء الاستعمالان (٢) في كتاب الله. { بئس الاسم الفسوق بعد الإيمان } (الحجرات: ١١). يريد اللمز والتنازع { إن المنافقين هم الفاسقون } (التوبة: ٦٧).

(١) قوله: (لا تجزئ خلفه) وذلك لقوله عليه السلام: (لا يؤمكم ذو جرأة في دينه) ولأنه لا يعتمد عليه في الطهارة ، ولأن الامامة منصب تعظيم ، والفاسق ليس من أهل

التعظيم ، والخلعاء : جمع خلع ، وهو الشاطر المتوغل في الغي .
(٢) قوله: (وقد جاء الاستعمالان) أي : استعمال الفاق في صاحب المنزل بين المنزلتين
وفي الكافر .
(٢٥٦/١)

النقض: الفسخ وفك التركيب. فإن قلت: من أين ساغ استعمال النقض في إبطال العهد؟
قلت:

من حيث تسميتهم العهد بالحبل(١) على سبيل الاستعارة، لما فيه من ثبات الوصلة بين
المتعاهدين. ومنه قول ابن التيهان(٢) فيبيعة العقبة:
)

(١) قوله: (من حيث تسميتهم العهد بالحبل) أي : لما سموا العهد بالحبل لما فيه من
بيان العظيمة لما جعل تشبيها بليغا حتى إنه حبل من الحبال ، جعل الوهم يختال أحدا
في تصويره بصورة الحبل ، واختراع ما يلزم الحبل عن النفس ، ثم اطلاق النقض المحقق
على ذلك المخترع على سبيل الاستعارة التخيلية ، ثم اضافته إلى العهد ليكون قرينة
الاستعارة .

(٢) قوله: (ابن التيهان) قيل : هو مفتوح التاء ، في نسخة جاز الله ، وبكسرهما خطأ ،
ذكره المرزوقي ، وفي جامع الأصول : ابن التيهان اسم.. الهاشم مالك بن التيهان بفتح
التاء فوقها نقطتان ، وتشديد الياء تحتها نقطتان ، وكسرهما ، ذكره في موضعين منه ،
وبيعة العقبة هي الثانية ، في ثلاث عشرة من النبوة ، والعقبة الأولى في سنة إحدى
عشرة منها كان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يخرج في الموسم فيعرض نفسه على
القبائل ، فبينما هو عند العقبة لقي رهطا من الخزرج ، فجلس معهم ، وعرض عليهم
الإسلام وتلا عليهم فأجابوه ، وانصرفوا راجعين ، وكانوا ستة نفر ، فلما كان العام
المقبل قدم اثنا عشر رجلا منهم ابن التيهان ، وهو ممن شهد العقبة الأولى أيضا ،
فالحبل في قول ابن التيهان وقعت استعارة عن العهود بقرينة مقتضى المقام ، وقاطعوها
ترشيح لها ، وأن يسكتوا في الكتاب بدل من قولهم : هذا ، أي : سكوتهم عن ذكر الشيء
المستعار . إلى آخره ، من أسرار البلاغة ، وقيل : هذا إشارة إلى مبهم بتنبه إن
يسكتوا ، ثم يرمزوا ، ومعنى (استؤثرها) اطلبها وثيرة ، أي : سمنية ، والوثير في
الأصل : الفراش الوطيء ، قال القطامي :

فكأنما اشتمل الضجيج بريطة*** لا بل تريد وثارة ولبانا
(٢٥٧/١)

٣٣) يا رسول الله، إن بيننا وبين القوم حبالا ونحن قاطعوها. فنخشى إن الله عز وجل أعزك وأظهرك أن ترجع إلى قومك، وهذا من أسرار البلاغة ولطائفها أن يسكتوا عن ذكر الشيء المستعار، ثم يرمزوا إليه بذكر شيء من رواده، فينبهوا بتلك الرمزة على مكانه. ونحوه قولك: شجاع يفترس أقرانه، وعالم يغترف منه الناس، وإذا تزوجت امرأة فاستوثرها. لم تقل هذا(١) إلا وقد نبهت على الشجاع والعالم بأنهما أسد وبحر، وعلى المرأة بأنها فراش.

(١) قوله: (لم تقل هذا) أي: لم يفترس مثلاً إلا وقد دلت به على أن المراد بقولك: شجاع أسد، وأما قول صاحب التقريب: إنها على الاستعارة المرشحة فبعيد؛ لأن القرينة لا تكون ترشيحاً، بل الترشيح قوله من بعد (ميثاقه) لأن الترشيح تفريع على الاستعارة، وتتميم لها، ولا تأتي إلا بعد تمامها.

(٢٥٨/١)

والعهد: الموثق. وعهد إليه في كذا: إذا وصاه به ووثقه عليه. واستعهد منه(١): إذا اشترط عليه واستوثق منه: والمراد بهؤلاء الناقضين لعهد الله: أحبار اليهود المتعنتون، أو منافقوهم، أو الكفار جميعاً. فإن قلت: فما المراد بعهد الله؟ قلت: ما ركز في عقولهم من الحجة على التوحيد كأنه أمر وصاهم به ووثقه عليهم، وهو معنى قوله تعالى: {وأشهدهم على أنفسهم ألست بربكم قالوا بلى} (الأعراف: ١١٢) أو أخذ الميثاق عليهم بأنهم إذا بعث إليهم رسول - يصدق الله بمعجزاته - صدقوه واتبعوه، ولم يكتموا ذكره فيما تقدمه من الكتب المنزلة عليهم، كقوله: {وأوفوا بعهدي أوف بعهدكم} (البقرة: ٤٠).

(١) قوله: (واستعهد منه) عطف على قوله: (عهد إليه) أي: العهد مطلقاً من الموثق، فإذا استعمل بالي كان بمعنى وصاه، وإذا استعمل معنى الاستعهاد، والقدر المشترك الموثق، ولهذا قدر في المعنيين بمن كان علمه، واستوثق منه، ولا بد في الأول من

قبول من يعهد إليه ، وفي الثاني لزوم الوفاء من الطرفين ، يدل عليه استشهاده بقوله
} :

أوفوا بعهدي أوف بعهدكم { وقولهم : بما ركز في عقولهم مناسب لقوله : عهد إليه
في كذا ، فعلى هذا أخذ الميثاق تمثيل بدليل قوله : كأنه أمر وصاهم به ، فقوله : وهو
معنى قوله { وأشهدهم على أنفسهم { بيان لقوله : (ما ركز في عقولهم من الحجة ، وقوله
: (أو أخذ الميثاق عليه عليهم ، مناسب لقوله : (واستعهد منه إذا أصبره عليه) ويدل
عليه التصريح بالشرط في أنهم إذا بعث إليهم رسول الله صدقوه واتبعوه ، وفيما تقدمه
متعلق بقوله : ذكره ، ومعنى (في الانجيل) في حق الانجيل .
(٢٥٩/١)

وقوله في الإنجيل لعيسى صلوات الله عليه : "سأنزل عليك كتابا فيه نبأ بني إسرائيل،
وما أريته إياهم من الآيات (١)، وما أنعمت عليهم وما نقضوا من ميثاقهم الذي واثقوا
به، وما ضيعوا من عهده إليهم" وحسن صنعه للذين قاموا بميثاق الله تعالى وأوفوا
بعهده، ونصره إياهم، وكيف أنزل بأسه ونقمته بالذين غدروا ونقضوا ميثاقهم ولم يوفوا
بعهده، لأن اليهود فعلوا باسم عيسى ما فعلوا باسم محمد صلى الله عليهما وسلم من
التحريف والجحود وكفروا به كما كفروا بمحمد صلى الله عليه وآله وسلم ، وقيل : هو
أخذ الله العهد عليهم أن لا يسفكوا دماءهم، ولا يبغى بعضهم على بعض، ولا يقطعوا
أرحامهم. وقيل: عهد الله إلى خلقه ثلاثة عهود: العهد الأول الذي أخذه على جميع ذرية
آدم، الإقرار بربوبيته وهو قوله تعالى: { وإذ أخذ ربك { (الأعراف: ١٧٢)، وعهد خص به
النبيين أن يبلغوا الرسالة وقيموا الدين ولا يتفرقوا فيه،

(١) قوله: (وما أريته إياهم من الآيات { عطف تفسيري [٧٣٣] لقوله : نبأ بني إسرائيل
، بتقدير مضاف ، أي : نبأ ما أريته إياهم ، وكذلك ما بعده ، وقوله : لأن اليهود
كلام المصنف ، وكلام الله : قيله .
(٢٦٠/١)

وهو قوله تعالى: { وإذ أخذنا من النبيين ميثاقهم { (الأحزاب: ٧)، وعهد خص به
العلماء وهو قوله: { وإذا أخذ الله ميثاق الذين أوتوا الكتاب ليبيننه للناس ولا

يكتمونهم { (آل عمران: ١٨٧). والضمير في ميثاقه للعهد (١) وهو ما وثقوا به عهد الله من قبوله وإلزامه أنفسهم. ويجوز أن يكون بمعنى توثيقه، كما أن الميعاد والميلاد، بمعنى الوعد والولادة. ويجوز أن يرجع الضمير إلى الله تعالى، أي من بعد توثيقه عليهم، أو من بعد ما وثق به عهده من آياته وكتبه وإنذار رسله. ومعنى قطعهم ما أمر الله به أو يوصل: قطعهم الأرحام وموالاته المؤمنين، وقيل: قطعهم ما بين الأنبياء من الوصلة والاتحاد والاجتماع على الحق، في إيمانهم ببعض وكفرهم ببعض. فإن قلت: ما الأمر؟ قلت: طلب الفعل ممن هو دونك وبعثه عليه. وبه سمي الأمر الذي هو واحد الأمور (٢)؛

(١) قوله: (والضمير في ميثاقه للعهد) أي: الضمير فيه إما للعهد، أو لله تعالى، وعلى التقديرين الميثاق إما اسم لما يقع به الوثيقة، أي: الاستحكام، وإما مصدر، فهذه وجوه أربعة، الأول منها مناسب لقوله في الجواب: ما ركز في عقولهم، والرابع مناسب للوجه الثاني في الجواب وهو قوله: أو أخذ الميثاق عليه. إلى آخره، والثاني والثالث عامان، ولهذا لم يقيدهما بشيء، وتقدير الوجه الثاني: المعنى: الذين ينقضون عهد الله من بعد توثيقهم العهد مع الله بالقبول، والتزامه، أو من بعد توثيقه العهد بالشرط الذي شرط، وعلى هذا الوجه الثالث.

(٢) قوله: (واحد الأمور) أي: القصد أو الشأن؛ لأن الأمر المصطلح عليه جمعه أوامر، والضمير المجرور في إليه للأمر، بمعنى البيان، وكذا المنصوب في (يتولاه) و(من) مفعول يدعو، أي: شبه الداعي الذي يدعو من يقصد أمراً بأمر المتولي؛ لأن كل فعل لا بد له من باعث، فشبه ذلك الباعث بالأمر فصار ذل كالفعل كالمأمور به، فسموه بالمصدر كالصيد اسم المصيد ..

(٢٦١/١)

لأن الداعي الذي يدعو إليه من يتولاه شبه بأمر يأمره به، ف قيل له: أمر، تسمية للمفعول به بالمصدر كأنه مأمور به، كما قيل له شأن. والشأن: الطلب والقصد. يقال:

شأنت شأنه، أي قصدت قصده { هم الخاسرون } لأنهم استبدلوا النقض بالوفاء (١)، والقطع بالوصل، والفساد بالصلاح وعقابها بنوابها.

{ الذين ينقضون عهد الله من بعد ميثاقه ويقطعون ما أمر الله به أن يوصل ويفسدون في الأرض أولئك هم الكافرين (٢٧) }

{ كيف تكفرون بالله وكنتم &Y?`uqBr\$ فأحياكم ثم يميّتكم ثم يحييكم ثم إليه ترجعون (٢٨) هو الذي خلق لكم ما في الأرض جميعا ثم استوى إلى السماء فسواهن سبع TMyJy"N`uq؛ وهو بكل شيء t=ndL× و (٢٩) }

(١) قوله: (استبدلوا النقص بالوفاء) قال الطيبي : إشارة إلى أن الاستعارة المستأنفة في قوله : { ينقضون عهد الله من بعد ميثاقه } متضمنة للاستبدال المستعار له البيع والشراء استعارة قوله { اشتروا الضلالة بالهدى } ولهذا ذيل بقوله : { أولئك هم الخاسرون } فإن الخسران لا يستعمل حقيقة إلا في التجارة ، فتكون ترشيحا للاستعارة المقدرة ، والضمير في عقابها يرجع إلى النقص ، والمعطوفين عليه ؛ لأنها جماعة ، وفي ثوابها يرجع إلى نقائصها . (٢٦٢/١)

معنى الهمزة التي في { كيف } مثله في قولك: أنكفرون(١) بالله ومعكم ما يصرف عن الكفر ويدعو إلى الإيمان، وهو الإنكار والتعجب. ونظيره قولك: أظير بغير جناح، وكيف ظير بغير جناح؟ فإن قلت: قولك: أظير بغير جناح إنكار للطيران، لأنه مستحيل بغير جناح، وأما الكفر فغير مستحيل مع ما ذكر من الإماتة والإحياء. قلت: قد أخرج في صورة المستحيل لما قوى من الصارف عن الكفر والداعي إلى الإيمان.

(١) قوله: (معنى الهمزة التي في { كيف } مثله في قولك: أنكفرون) أراد أن كيف سؤال عن الحال ، فإذا قيل : كيف زيد ؟ قيل : أصحيح أم سقيم ؟ إلى غير ذلك لأنه يجاب بمثل ذلك ، فإذا كيف متضمن للهمزة التي معناها الإنكار والتعجب ؛ لأنه متفرع على قوله : أتشعرون ؟ والهمزة فيه لذلك ، وفصل عن المقيد كأنه قال في الفرق بين الهمزة وكيف أن

كيف ؤال تفويض لإطلاقه ، فكأن الله تعالى فوض الأمر إليهم في أن يجيبوا بأي شيء أجابوا ، ولا كذلك الهمزة فإنه حصر وتوقيت ، فإنك تقول جاءك راكبا أم ماشيا ؟ فيؤقت ويحصر ، ومعنى الإطلاق أن كيف سؤال عن الحال ، وهو ينتظم الأحوال كلها ، والكفار حين صدور الكفر لا بد من أن يكونوا على إحدى الحالتين إما عالمين بالله وإما جاهلين به ، فإذا قيل كيف تكفرون ؟ أفاد أفي حال العلم تكفرون أم في حال الجهل ، هذا هو معنى القولين في الآية ، وكيف في موضع النصب على الحال من فاعل تكفرون ،

وهو العامل في الحال ، والتقدير : أمعاندين تكفرون ؟ أم جاهلين ؟ والصارف عن الكفر والداعي إلى الإيمان هو العلم بأن الله تعالى يحييهم ثم يميتهم ، ثم مرجعهم ومصيرهم إليه ، ولهذا وقع : { وكنتم أمواتا } الآية قيدا لقوله : { تكفرون } .
(٢٦٣/١)

فإن قلت: فقد تبين أمر الهمزة وأنها لإنكار الفعل والإيذان باستحالته في نفسه، أو لقوة الصارف عنه، فما تقول في { كيف } (١) حيث كان إنكارا للحال التي يقع عليها كفرهم؟ قلت: حال الشيء تابعة لذاته، فإذا امتنع ثبوت الذات تبعه امتناع ثبوت الحال؛ فكان إنكار حال الكفار لأنها تتبع ذات الكفر وديفها إنكارا لذات الكفر، وثباتها على طريق الكناية، وذلك أقوى لإنكار الكفر وأبلغ. وتحريره: أنه إذا أنكر أن يكون لكفرهم حال يوجد عليها. وقد علم أن كل موجود لا ينفك عن حال وصفة عند وجوده. ومحال أن يوجد بغير صفة من الصفات كان إنكارا لوجوده على الطريق البرهاني.

(١) قوله: (فما تقول في كيف) يعني هلا أنكر عليهم ذات الكفر ؛ لأنه هو المنكر لا حاله ، وكيف للحال ، وحاصل الجواب : أن انكار الذات مستتبع لانكار الحال ، لأن حال الشيء تابع لذاته ، فلو أنكر الذات في هذا المقام لم يكن مبالغة ، كما إذا أنكر الحال فيتبعه انكار الذات ؛ لأن مقتضى الظاهر إنكار الذات ، فلو أنكر لم يكن من الكناية في شيء ، وأما إذا أنكرت الحال لتنتفي الذات كان كناية ، وكان أبلغ ؛ لأنه يلزم من نفيها نفيه بطريق برهاني ؛ لأنه إذا أنكر أن يكون لكفرهم حال يوجد عليها ، وقد علم أن كل موجود لا ينفك عن حال ، فيكون الحال لازما ، ونفي اللازم يستلزم نفي الملزوم ، فكان كدعوى الشيء ببينة ، وهي كناية إيمائية .
(٢٦٤/١)

والواو في قوله: { وكنتم أمواتا } للحال، فإن قلت: فكيف صح أن يكون حالا وهو ماض، ولا يقال جئت وقام الأمير، ولكن وقد قام، لا أن يضمّر قد؟ قلت: لم تدخل الواو على { كنتم أمواتا } وحده، ولكن على جملة قوله: { كنتم أمواتا } إلى { ترجعون } ، كأنه قيل: كيف تكفرون بالله وقصتكم هذه وحالكم أنكم كنتم أمواتا نطفًا في أصلاب آبائكم فجعلكم أحياء ثم يميتكم بعد هذه الحياة، ثم يحييكم بعد الموت، ثم يحاسبكم. فإن قلت:

بعض القصة ماض وبعضها مستقبل، والماضي والمستقبل كلاهما لا يصح أن يقعا حالا حتى يكون فعلا حاضرا وقت وجود ما هو حال عنه، فما الحاضر الذي وقع حالا؟ قلت: هو العلم بالقصة، كأنه قيل: كيف تكفرون وأنتم عالمون بهذه القصة بأولها وآخرها. فإن قلت: فقد آل المعنى(١) إلى قولك: على أي حال تكفرون في حال علمكم بهذه القصة فما وجه صحته؟

قلت: قد ذكرنا أن معنى الاستفهام في { كيف } الإنكار. وأن إنكار الحال متضمن لإنكار الذات على سبيل الكناية، فكأنه قيل: ما أعجب كفركم مع علمكم بحالكم هذه! فإن قلت: إن اتصل علمهم بأنهم كانوا أمواتا فأحياهم ثم يميتهم، فلم يتصل بالإحياء الثاني والرجوع؟ قلت: قد تمكنوا من العلم بهما بالدلائل الموصلة إليه، فكان ذلك بمنزلة حصول العلم.

(١) قوله: (فقد آل المعنى) أي: رجع، ومعنى قوله: { كيف تكفرون } ... أي: حال تكفرون، ومعنى قوله: { وكنتم أمواتا } إلى آخره في حال علمكم بهذه الفتنة، كأنه قال: أجبوا عن حال كفركم، والحال أنكم عالمون بهذه القضية فيلزم أن تكونوا عالمين بها كذلك، وغير عالمين للسؤال عليها، وخلاصة الجواب: أنا قد دلينا على أن مرجع إنكار حال الكفر إلى إنكار ذاته لا حاله، فذكر الحال للمبالغة فقط، وأن الحال قيد للمنكر، المعنى: أتكفرون والحال حال العلم بحصول الكفر من العاقل العالم، مظنة تعجب وتعجيب، والقييل: الملك من ملوك حمير دون الملك الأعظم.

(٢٦٥/١)

وكثير منهم علموا ثم عاندوا. والأموات: جمع ميت، كالأقوال في جمع قيل. فإن قلت: كيف قيل لهم أموات في حال كونهم جمادا، وإنما يقال ميت فيما يصح فيه الحياة من النبي؟ قلت: بل يقال ذلك لعادم الحياة، كقوله { بلدة ميتا } (الفرقان: ٤٩)، { وآية لهم الأرض الميتة } (يس: ٣٣)، { أموات غير أحياء } (النحل: ٢١). ويجوز أن يكون استعارة لاجتماعهما(١) في أن لا روح ولا إحساس، فإن قلت: ما المراد بالإحياء الثاني؟ قلت: يجوز أن يراد به الإحياء في القبر:

(١) قوله: (لاجتماعهما) أي: لاجتماع الجماد وما صح فيه [٧٣٤] الحياة فاستعير اللفظ من أحدهما للآخر، والضمير في (فمنه يكتسب العلم لهم) أي: من استعماله، فعلم أن

الاحياء في القبر للؤال متراخ .

(٢٦٦/١)

وبالرجوع: النشور. وأن يراد به النشور، وبالرجوع: المصير إلى الجزاء. فإن قلت: لم كان العطف الأول بالفاء والإعقاب بـثم؟ قلت: لأن الإحياء الأول قد تعقب الموت بغير تراخ، وأما الموت فقد تراخى عن الإحياء. والإحياء الثاني كذلك متراخ عن الموت - إن أريد به النشور - تراخيا ظاهرا. وإن أريد به إحياء القبر فمنه يكتسب العلم بتراخيه والرجوع إلى الجزاء أيضا متراخ عن النشور. فإن قلت: من أين أنكر اجتماع الكفر(١) مع القصة التي ذكرها الله، لأنها مشتملة على آيات بينات تصرفهم عن الكفر، أم على نعم جسام حقها أن تشكر ولا تكفر؟ قلت: يحتمل الأمرين جميعا، لأن ما عدده آيات وهي مع كونها آيات من أعظم النعم. { لكم } لأجلكم ولانتفاعكم به في دنياكم ودينكم. أما الانتفاع الدنيوي فظاهر. وأما الانتفاع الديني فالنظر فيه وما فيه(٢)

(١) قوله: (من أين أنكر اجتماع الكفر) من : ظرف ، واستعير للتعليل ، ولذلك فصله بقوله : لأنها مشتملة . إلى آخره ، ونحوه في التعليل : إذا ، وحيث لاستواء مؤدى التعليل ، والظرف في قولك ضربته لإساءته ، وضربته إذا أساء ، فضربه في وقت الإساءة إنما كان لأجل الإساءة ، وأجاب بقوله :يحتمل الأمرين جميعا إذ لا منافاة بين المعنيين ، إذ الموت نعمة ، لأنه وصلة إلى الحياة الباقية .

(٢) قوله: (فيه وما فيه) الضميران لما في الأرض كرر للتوطئة على منوال : أعجبني زيد وكرمه ، فما فيه معطوف على الضمير المجرور ، ولا يحتاج إلى إعادة الجار لكونه كالبدل في التوطئة لا في التحية ، فإن لذات زيد في المثال أيضا مدخلا في التعجب منه ، فالمعنى النظر فيما في الأرض في العجائب الكائنة فيه ..

(٢٦٧/١)

من عجائب الصنع الدالة على الصانع القادر الحكيم، وما فيه من التذكير بالآخرة وبنوائها وعقابها، لاشتماله على أسباب الأنس واللذة من فنون المطاعم والمشارب والفواكه والمناكح والمراكب والمناظر الحسنة البهية، وعلى أسباب الوحشة والمشقة من أنواع المكاره كالنيران والصواعق والسباع والأحناش والسموم والغموم والمخاوف. وقد استدلل بقوله: { خلق لكم } على أن الأشياء التي يصح أن ينتفع بها ولم تجر مجرى

المحظورات(١) في العقل خلقت في الأصل مباحة مطلقا(٢) لكل أحد أن يتناولها ويستنفع بها. فإن قلت: هل لقول من زعم أن المعنى خلق لكم الأرض وما فيها وجه صحة؟ قلت: إن أراد بالأرض الجهات السفلية(٣) دون الغبراء كما تذكر السماء وتراد الجهات العلوية: جاز ذلك، فإن الغبراء وما فيها واقعة في الجهات السفلية. و { جميعا } نصب على الحال من الموصول الثاني. والاستواء: الاعتدال والاستقامة. يقال: استوى العود وغيره، إذا قام واعتدل، ثم

)

- (١) قوله: (ولم تجر مجرى المحظورات) كأنه احتراز به عن نحو القاذورات والسموم .
(٢) قوله: (خلقت في الأصل مباحة مطلقا) .
الانتصاف : هذا مذهب فرقة من المعتزلة ، بنوه على التحسين والتقبيح .
الانصاف : قال بهذا جماعة من أهل السنة ، واختاره الرازي في محصوله ، وجعله من القواعد الكلية ، فليس المذهب مختصا بهم كما زعم .
(٣) قوله: (إن أراد بالأرض الجهات السفلية) إلى قوله : (واقعة في الجهات السفلية) معناه : إن أريد بالأرض الجهات السفلية صح أن يراد خلق لكم الأرض وما فيها ، أي : الغبراء وما فيها ؛ لأنها في الجهات السفلية ، وإن أريد بالأرض في الآية الغبراء لم يصح ؛ لأنها لا تكون ظرفا لنفسها
(٢٦٨/١)

ثم قيل: استوى إليه كالسهم المرسل إذا قصده قصدا مستويا، من غير أن يلوي على شيء. ومنه استعير قوله: { ثم استوى إلى السماء } ، أي قصد إليها بإرادته ومشئته بعد خلق ما في الأرض، من غير أن يريد فيما بين ذلك خلق شيء آخر. والمراد بالسماء جهات العلو(١)، كأنه قيل: ثم استوى إلى فوق. والضمير في { فسواهن } ضمير مبهم. و { سبع سماوات } تفسيره، كقولهم: ربه رجلا. وقيل: الضمير راجع إلى السماء. والسماء في معنى الجنس. وقيل: جمع سماء، والوجه العربي هو الأول.

- (١) قوله: (والمراد بالسماء جهات العلو) إنما قال ذلك لجمع الضمير في { فسواهن } مع عدم صحة رجوعه إلى السماء الواحدة ؛ لأنه لو رجع إليها لقال : فسواها ، فأصل الكلام على هذا : ثم استوى إلى فوق فسوى سبع سموات ، وإنما حكم بأن هذا هو الوجه ، أي

الحسن الكامل ، لأن كون السماء جمع سماه مشكوك فيه ، وكون السماء في معنى الجنس لا يقتضي جمع الضمير ، أو لأنه أفضى بحق البلاغة ، ومقام تفصيل خلق السموات على خلق الأرض بدليل إثبات ثم الدال على التراخي في الرتبة ادعى له أفراد السماء لإرادة جهة فوق يؤذن بالتفصيل ، إذ التغيير به تعظيم لها مع أن تصور الفوقية في هذا الجانب يقتضي تصور ضدها في مقابلتها ، ولتربية هذه الفائدة أبهم ضمير السموات ليسوق إلى ما يشته ثم جيء بها مفرقة لم يحصل من ذلك مزيد التفعيم لشأنها ، وانتصاب { سبع سموات } على التمييز ، إن كان الضمير مبهما ، وعلى الحال إن لم يكن مبهما .

(٢٦٩/١)

ومعنى تسويتهم: تعديل خلقهم، وتقديمه، وإخلاقه من العوج والفطور، أو إتمام خلقهم } وهو بكل شيء عليم { فمن ثم خلقهم خلقا مستويا محكما من غير تفاوت، مع خلق ما في الأرض على حسب حاجات أهلها ومنافعهم ومصالحهم، فإن قلت: ما فسرت به معنى الاستواء

إلى السماء يناقضه (١) (ثم) لإعطائه معنى التراخي والمهلة قلت: (ثم) ههنا لما بين الخلقين من التفاوت وفضل خلق السموات على خلق الأرض، لا للتراخي في الوقت كقوله: { ثم كان من الذين آمنوا } (البلد: ١٧). على أنه لو كان لمعنى التراخي في الوقت لم يلزم ما اعترضت به، لأن المعنى حين قصد إلى السماء لم يحدث فيما بين ذلك - أي في تضاعيف القصد إليها - خلقا آخر. فإن قلت: أما يناقض هذا قوله: { والأرض بعد ذلك دحاها } (النازعات: ٣٠)؟ قلت: لا؛ لأن جرم الأرض تقدم خلقه خلق السماء. وأما دحوها فمتأخر. وعن الحسن: خلق الله الأرض في موضع بيت المقدس كهيئة الفهر، عليها دخان ملتزق بها، ثم أصدد الدخان وخلق منه السماوات، وأمسك الفهر في موضعها وبسط منها الأرض، فذلك قوله: { كانتا رتقا } (الأنبياء: ٣٠) وهو الالتزاق.

}

(١) قوله: (يناقضه) أراد أنك فسرت الاستواء بأنه تعالى قصد إلى السماء بعد خلق ما في الأرض من غير أن يريد فيما بين ذلك خلق شيء آخر ، وهذا يقتضي ألا يتخلل بينهما زمان ، ومعنى ثم التراخي في الزمان ، وأجاب أولا بأن ثم هاهنا مستعار للتراخي والرتبة ، كما في قوله { ثم كان من الذين آمنوا } فإن تراخي الإيمان عن فك الرقية والاطعام إنما هو بالرتبة لا الوجود ، لتقدم الإيمان في الوجود عليها ، إذ وجودهما

بدونه كالعدم ، وثانيا : بأن قولنا : إنه تعالى لم يحدث فيما بين ذلك سببا لا يقتضي التعاقب .
(٢٧٠/١)

وإذ قال 'u/ژy7' للملائكة 'oTد' (خ) جاعل في الأرض %s\$٩yz (#ûq=دZpx أتجعل فيها من
يفسد فيها ويسفك الدماء ونحن نسبح ٢؟ôJut%oox8 ونقدس لك قال 'oTد' أعلم
ما لا
تعلمون (٣٠) وعلم آدم الأسماء كلها ثم عرضهم على الملائكة فقال 'دTqن"خ&Rr/٦
بأسماء
هؤلاء إن كنتم صادقين (٣١) قالوا ٢ys6"y7sYك™ لا علم لنا إلا ما !t\$YtFôJ=م
(خy7R

أنت مLد=yè9\$#قOث32٣) (utù:\$# قال يا آدم أنبئهم Nخhح
'ôærلو\$!خ/ فلما أنبأهم
Nخhح 'ôærلو\$!خ/ قال ألم أقل لكم 'oTد' (خ) أعلم غيب دK"uqN"،،9\$#
والأرض وأعلم ما
تبدون وما كنتم تكتمون (٣٣) {

{ وإذ { نصب يا ضممار اذكر. ويجوز أن ينتصب بقالوا. والملائكة: جمع ملائكة على الأصل،
كالشمائل في جمع شمأل. وإلحاق التاء لتأنيث الجمع. و { جاعل { من جعل الذي له
مفعولان، دخل على المبتدأ والخبر وهما قوله: { في الأرض خليفة { فكانا مفعوليه.
ومعناه مصير في الأرض خليفة. والخليفة: من يخلف غيره. والمعنى خليفة منكم، لأنهم
كانوا سكان الأرض فخلفهم فيها آدم وذريته. فإن قلت: فهلا قيل: خلائف، أو خلفاء؟
قلت: أريد بالخليفة آدم. واستغني بذكره عن ذكر بنيه كما ا
(٢٧١/١)

استغني بذكر أبي القبيلة في قولك: مضر وهاشم. أو أريد من يخلفكم، أو خلفا يخلفكم
فوحده لذلك. وقرئ: "خليفة" بالقياف ويجوز أن يريد: خليفة مني(١)، لأن آدم كان خليفة
الله في أرضه وكذلك كل نبي { إنا جعلناك خليفة في الأرض } . فإن قلت: لأي غرض
أخبرهم بذلك؟ قلت: ليسألوا ذلك السؤال ويجابوا بما أجيئوا به فيعرفوا حكمته في
استخلافهم قبل كونهم، صيانة لهم عن اعتراض الشبهة في وقت استخلافهم. وقيل: ليعلم

عباده المشاورة في أمورهم قبل أن يقدموا عليها، وعرضها على ثقاتهم ونصائحهم، وإن كان هو بعلمه وحكمته البالغة غنيا عن المشاورة { أتجعل فيها } تعجب من أن يستخلف (٢)

مكان أهل الطاعة أهل المعصية وهو الحكيم الذي لا يفعل إلا الخير ولا يريد إلا الخير. فإن قلت: من أين عرفوا ذلك حتى تعجبوا منه وإنما هو غيب؟ قلت: عرفوه بإخبار من الله، أو من جهة اللوح، أو ثبت في علمهم أن الملائكة وحدهم هم الخلق المعصومون، وكل خلق سواهم ليسوا على صفتهم: أو قاسوا أحد الثقلين على الآخر حيث أسكنوا الأرض فأفسدوا فيها قبل سكنى الملائكة. وقرئ: "يسفك"، بضم الفاء. ويسفك. ويسفك، من أسفك. وسفك.

(١) قوله: (ويجوز أن يريد خليفة مني) عطف على قوله: (المعنى خليفة منكم) يعني لفظة من مقدرة، وهي صفة للخليفة، أي: كائنة من كم، أو مني، وعلى الأول الخليفة بمعنى الخلف، وهو القرن بعد القرن، وعلى الثاني بمعنى السلطان، فأورد على الوجه الأول أنه كان المناسب أن يجمع الخليفة، فأجاب بما ذكر، وأكد الجواب بالقراءة الشاذة لمناسبتها كون الخليفة بمعنى الجمع، وصيانة: مفعول له، لقوله: أخبرهم بعد قلت [٧٣٥] الدال عليه أخبرهم في السؤال، والضمير للملائكة.

(٢) قوله: (تعجب من أن يستخلف) أي: وكون الهمزة معنى التعجب لاستحالة حملها على الإنكار، والواو في { ونحن } للحال، غرضهم للسؤال عن وجه ترجيحهم مع ذلك إلا العجب والفخر.

(٢٧٢/١)

والواو في { ونحن } للحال، كما تقول: أتحسن إلى فلان وأنا أحق منه بالإحسان. والتسبيح: تبعيد الله عن السوء، وكذلك تقديسه، من سبح في الأرض والماء. وقُدس في الأرض: إذا ذهب فيها وأبعد. و { بحمدك } في موضع الحال، أي نسيح حامدين لك وملتبسين

بحمدك؛ لأنه لولا إنعامك (١) علينا بالتوفيق واللفظ لم نتمكن من عبادتك. { أعلم ما لا تعلمون } أي أعلم من المصالح في ذلك ما هو خفي عليكم. فإن قلت: هلا بين لهم تلك المصالح؟ قلت: كفى العباد أن يعلموا أن أفعال الله كلها حسنة وحكمة، وإن خفي عليهم وجه الحسن والحكمة. على أنه قد بين لهم بعض ذلك فيما أتبعه من قوله { وعلم آدم

الأسماء كلها { واشتقاقهم { آدم { من الأدمة، ومن أديم الأرض، نحو اشتقاقهم (يعقوب) من العقب، و (إدريس) من الدرس، و (إبليس) من الإبلّاس. وما آدم إلا اسم أعجمي: وأقرب أمره أن يكون على فاعل، كآزر، وعازر، وعابر وشالّخ. وفالغ، وأشباه ذلك { الأسماء كلها { أي أسماء المسميات فحذف المضاف إليه لكونه معلوما مدلولاً عليه بذكر الأسماء، لأن الاسم لا بد له من مسمى، وعوض منه اللام كقوله: { واشتعل الرأس { . فإن قلت: هلا زعمت أنه حذف المضاف وأقيم المضاف إليه مقامه، وأن الأصل: وعلم آدم مسميات الأسماء؟ قلت: لأن التعليم وجب تعليقه بالأسماء لا بالمسميات لقوله: { أنبئوني بأسماء هؤلاء { ، { أنبئهم بأسمائهم، فلما أنبأهم بأسمائهم { (البقرة: ٣٣) فكما علق الإنباء بالأسماء لا بالمسميات ولم يقل: أنبئوني بهؤلاء، وأنبئهم بهم، وجب تعليق التعليم بها.

(١) قوله: (لأنه لولا إنعامك) تعليل لتقييد التسبيح بالحمد ، وعرضه أن الحمد كناية عن الإنعام ؛ لأنه ألزمه ، والتقدير : ونحن نسبح ملتبسين بحمدك أي بإنعامك .
(٢٧٣/١)

فإن قلت: فما معنى تعليمه أسماء المسميات؟ قلت: أراه الأجناس التي خلقها، وعلمه أن هذا اسمه فرس، وهذا اسمه بعير، وهذا اسمه كذا، وهذا اسمه كذا، وعلمه أحوالها وما يتعلق بها من المنافع الدينية والدنيوية { ثم عرضهم { أي عرض المسميات. وإنما ذكر لأن في المسميات العقلاء فغلبهم. وإنما استنبأهم وقد علم عجزهم عن الإنباء على سبيل التبكيت { إن كنتم صادقين { يعني في زعمكم أنني أستخلف في الأرض مفسدين سفاكين للدماء إرادة للرد عليهم(١)، وأن فيمن يستخلفه(٢) من الفوائد العلمية التي هي أصول الفوائد كلها، ما يستأهلون لأجله أن يستخلفوا. فأراهم بذلك وبين لهم بعض ما أجمل من ذكر المصالح في استخلافهم في قوله { إني أعلم ما لا تعلمون { . وقوله: { ألم أقل

لكم إني أعلم غيب السماوات والأرض { استحضار لقوله لهم: { إني أعلم ما لا تعلمون { ، إلا أنه جاء به على وجه أبسط من ذلك وأشرح. وقرئ: : "وعلم آدم" على البناء للمفعول. وقرأ عبد الله: "عرضهن". وقرأ أبي: "عرضها".

(١) قوله: (إرادة للرد عليهم) قيل : هو مفعول لقوله : استنبأهم ، واعترض في لفظ الكشف بقول الله تعالى { إن كنتم صادقين { تقريراً لكون الاستثناء على سبيل التبكيت

، وقيل : الوجه أن يكون مفعولا له للعون المقدر عند قوله { إن كنتم صادقين } أي : قال ذلك إرادة للرد عليهم .

(٢) قوله: (وأن فيمن يستخلفه) عطف على الرد ، على أسلوب قوله : علفتها تبنا وماء باردا ، إن قيل : ويجوز أن يعطف على إرادة من حيث المعنى ، أي : إرادة للرد ، وتنبئها لهم على أن فيمن نستخلفه ، وما يستأهلون وفيمن نستخلفه خبره ، ومن الفوائد بيان ما ، وذلك إشارة إلى المذكور كله من قوله : { وعلم الأسماء كلها } إلى آخره ، قيل : فأراهم عطف على أراه إلى آخره ، وقيل : قوله فأراهم ، وبين يتوجهان إلى بعض ما احتمال ، ويجوز أن يكون بين عطفًا على أراهم على سبيل البيان . (٢٧٤/١)

والمعنى عرض مسمياتهن أو مسمياتها: لأن العرض لا يصح في الأسماء. وقرئ: "أنبيهم" بقلب الهمزة ياء. "وأنبيهم" بحذفها والهاء مكسورة فيهما.

{ وإذ %sYù=è\$ للملائكة اسجدوا لآدم فسجدوا إلا {تد=/خ) أبى واستكبر وكان من الكافرين (٣٤) وقلنا يا آدم اسكن أنت وزوجك #\$.sp`Ypgù وكلا منها رغدا ك[xm شئما

ولا (چt/u\$؟ دنة"yd nou#çyfo±9\$ فتكونا من الظالمين (٣٥) فأزلهما الشيطان عنها

زr'sù÷چgy_uك\$J\$ مما كانا فيه وقلنا اهبطوا بعضكم لبعض عدو ولكم في الأرض مستقر

ومتاع إلى حين (٣٦) { (٢٧٥/١)

السجود لله تعالى على سبيل العبادة، ولغيره على وجه التكرمة كما سجدت الملائكة لآدم، وأبو يوسف وإخوته له؟ ويجوز أن تختلف الأحوال والأوقات فيه. وقرأ أبو جعفر:

"للملائكة اسجدوا" بضم التاء للاتباع. ولا يجوز استهلاك الحركة الإعرابية بحركة الاتباع إلا في لغة ضعيفة، كقولهم: "الحمد لله". { إلا إبليس } استثناء متصل، لأنه كان جنيا واحدا بين أظهر الألو ف من الملائكة مغمورا بهم، فغلبوا عليه في قوله: { فسجدوا } ثم استثنى منهم استثناء واحد منهم. ويجوز أن يجعل منقطعا { أبى } امتنع مما أمر به { واستكبر } عنه { وكان من الكافرين } { من جنس كفره الجن وشياطينهم،

فلذلك أبى واستكبر (١) كقوله: { كان من الجن ففسق } (٢) عن أمر ربه { (الكهف: ٥٠).
السكنى من السكون لأنها نوع من اللبث والاستقرار. و { أنت } تأكيد للمستكن في {
اسكن { ليصح العطف (٣) عليه. و { رغدا { وصف للمصدر، أي أكلا رغدا واسعا رافها. و
}
حيث { للمكان المبهم، أي: أي مكان من الجنة { شئما { أطلق لهما الأكل من الجنة على
وجه التوسعة (٤)

-
- (١) قوله: (فلذلك أبى واستكبر) إشارة إلى أن قوله : { وكان من الكافرين { جملة
مذيلة ، أو معترضة واردة على سبيل التعليل .
- (٢) قوله: (كقوله: { كان من الجن ففسق {) أراد أن هذا الترتيب من حيث المعنى
الترتيب من حيث البسط ، والفاء في { ففسق { مؤذنة بأنه إنما صدر منه الفسق لأنه كان
من الجن ، فكونه من الجن ككونه من كفرة الجن ، في غلبة صدر الفسق والتكبر عنه .
- (٣) قوله: (ليصح العطف) وإنما صح العطف مع أنه لا يصح ان يقال : أسكن زوجك ، أذ
الغائب لا يؤمر بلفظ الحاضر . لاندراج الغائب في حكم الحاضر حال عطفه عليه بحكم
التغليب .
- (٤) قوله: (على وجه التوسعة) أي : بالغ في الأمر ليكون م للعذر في
التناول ، وقد بالغ أيضا في النهي حيث قال : { ولا تقربا { الآية أي : لا تجيء ما
حولها فضلا أن تتناولها بالأكل ، وميزها أكمل تمييز بقوله : هذه ، وجعل القرب منها
سببا للاندراج في سلك الظالمين .
- (٢٧٦/١)

البالغة المزيحة للعلة، حين لم يحظر عليهما بعض الأكل ولا بعض المواضع الجامعة
للمأكولات من الجنة، حتى لا يبقى لهما عذر في تناول من شجرة واحدة (١) بين أشجارها
الفائنة للحصر، وكانت الشجرة فيما قيل: (الحنطة) أو (الكرمة) أو (التينة)، وقرئ:
"ولا تقربا" بكسر التاء. وهذي، والشجرة، بكسر الشين. والشيرة بكسر الشين والياء.
وعن أبي عمرو أنه كرهها، وقال يقرأ بها برايرة مكة وسودانها. { من الظالمين { من
الذين ظلموا أنفسهم بمعصية الله { فتكونا { جزم عطف على { تقربا { أو نصب جواب
للهي. الضمير في { عنها { للشجرة. أي فحملهما الشيطان على الزلة (٢) بسببها.
وتحقيقه: فأصدر الشيطان زلتهما عنها. و (عن) هذه، مثلها في قوله تعالى: { وما فعلته

عن أمري { (الكهف: ٨٢). وقوله:

ينهون عن أكل وعن شرب

(١) قوله: (من شجرة واحدة) يحتمل هذه الواحدة أن شخصية فاللام في الشجرة للعهد ، وأن تكون نوعية ، واللام في الشجرة للجنس ، والأول أولى لأزاحة العلة ، والمبالغة في التوسعة ، وبرابر مكة : قوم من أهل المغرب كانوا يأتون للتجارة ، وقيل : هم موالي مكة .

(٢) قوله: (فحملهما الشيطان على الزلة بسببها) إشارة إلى أن أزلهما على أن الضمير في عنها للشجرة مضمن معنى أصدر ، وعن حينئذ للسببية كعن في البيت ، أي : إنما قدر على أخذ نار الزلة عن الشجرة بسبب الوسوسة ، بأن يقول : هذه شجرة الخلد ، فكلا لتخلدا ، أو لأن أكلها سبب لصيرورتكما ملكين ، ومعنى { ما فعلته عن أمري } أي : ما أصدرت ما فعلت عن أجهادي بل عن أمر الله ، وأول البيت .

يمسون دسما حول قبه***ينهون عن أكل وعن شرب

أي : يتناهون في السمن ، ومنه تناهى البعير سمنا ، وجمل نهى ، وناقاة نهية ، أراد أن كون الأصناف متناهين صدر عن الأكل والشرب ، أي : يست تصف مصافا صدر عنه

الأصناف شباعا.

(٢٧٧/١)

وقيل: فأزلهما عن الجنة بمعنى أذهبهما عنها وأبعدهما، كما تقول: زل عن مرتبته. وزل

عنى ذاك: إذا ذهب عنك وزل من الشهر كذا. وقرئ: "فأزالهما" { مما كانا فيه } من النعيم والكرامة. أو من الجنة(١)

(١) قوله: (أو من الجنة) عطف على قوله : (من النعيم) أي : ما في مما كانا فيه إما عبارة عن النعيم والكرامة فيها ، أو من الجنة ، إن كان الضمير في عنها للجنة ، أي : أذهبهما من الجنة فأخرجهما من نعيمها والكرامة فيها ، أو عن الجنة إن كان الضمير في عنها للشجرة ، أي : أصدر الشيطان زلتهما من الشجرة فأخرجهما من الجنة ، وإنما قيده بذلك ؛ لأنه لو كان الضمير في عنها للجنة لم يكن لعطف أخرجهما من الجنة عليه معنى [٧٣٦] إذ الإخراج هو الإذلال ، فيلزم من ذلك عطف الشيء على نفسه ، وترتبه عليه .

الانصاف : يشهد لأن الضمير يعود إلى الجنة قوله تعالى : { كما أخرج أبويكم من الجنة } .

الانصاف : وهو سهو ؛ لأن الذي أعاد الضمير إلى الشجرة قال : فأصدر الشيطان زلتهما عن الشجرة ، وذلك لا ينافي إخراج الشيطان إياهما من الجنة ، ولا يمكن نسبة الإخراج إلى الشجرة ، ولقد كان هذا الوجه قويا ، وعن تأييده غنيا .
(٢٧٨/١)

إن كان الضمير للشجرة في عنها . وقرأ عبد الله : "فوسوس لهما الشيطان عنها" ، وهذا دليل على أن الضمير للشجرة ، لأن المعنى صدرت وسوسته عنها ، فإن قلت : كيف توصل إلى إزالتهما ووسوسته لهما بعدما قيل له : { فأخرج منها فإنك رجيم } (الحجر : ٣٤) . قلت : يجوز أن يمنع دخولها على جهة التقريب والتكرمة كدخول الملائكة ، ولا يمنع أن يدخل على جهة الوسوسة ابتلاء لآدم وحواء . وقيل : كان يدنو من السماء فيكلمهما . وقيل : قام عند الباب فنادى . وروى أنه أراد الدخول فمنعته الخزنة ، فدخل في فم الحية حتى دخلت به وهم لا يشعرون . قيل : { اهبطوا } خطاب لآدم وحواء وإبليس : وقيل : والحية . والصحيح أنه لآدم وحواء والمراد هما وذريتهما ، لأنهما لما كانا أصل الإنس ومنتشعهم جعلنا

كأنهما الإنس كلهم . والدليل عليه قوله : { قال اهبطا منها جميعا بعضكم لبعض عدو } ويدل على ذلك قوله : { فمن تبع هداي فلا خوف عليهم ولا هم يحزنون } ، { والذين كفروا وكذبوا بآياتنا أولئك أصحاب النار هم فيها خالدون } . وما هو إلا حكم يعم الناس كلهم . ومعنى { بعضكم لبعض عدو } (١) ما عليه الناس من التعادي والتباغي وتضليل بعضهم لبعض .

(١) قوله : (ومعنى { بعضكم لبعض عدو }) هذه الجملة الأسمية حال استغني فيها بالضمير عن الواو { ولكم في الأض } الآية حال مقدرة أيضا .
(٢٧٩/١)

والهبوط : النزول إلى الأرض { مستقر } موضع استقرار أو استقرار { ومتاع } وتمتع بالعيش { إلى حين } يريد إلى يوم القيامة (١) . وقيل : إلى الموت .
{ فتلقى آدم من ربه ؛ x=dyJ"M . فتاب عليه إنه هو التواب الرحيم (٣٧) %sYù=è\$

اهبطوا

منها جميعا فإما يأتينكم سة_iB_هدى فمن تبع هداي فلا N \$qyz N خkژtn=و ولا هم
(38"tbqçRu ts†) والذين كفروا وكذبوا !tf\$tf\$FdsY\$/ خ/ أولئك .&ut3/4r"=

النار هم فيها

{ yz (39"# \$tbrà

(١) قوله: (إلى يوم القيامة) قيل : يشكل بقوله { متاع } تمتع بالعيش ؛ لأن التمتع بالعيش لا يكون إلى يوم القيامة ، وأقول : بل التمتع لني جنس المخاصمين إلى يوم القيامة فلا إشكال ، هذا إذا أريد بالقيامة النفخة الأولى و { إلى حين } متعلق بخبر المبتدأ ، وهو لكم ، أي : مستقر ثبت لكم إلى حين ، وإذا جعل مستقر بمعنى المصدر ، وكذا متاع جاز تعلقه بهما ، ولا يجوز إذا أريد بهما الموضع ؛ لأن اسم المكان لا يعمل ، ويجوز أن يكون إلى حين صفة لمتاع ، أي : كائن إلى حين .
(٢٨٠/١)

معنى تلقي الكلمات استقبالها بالأخذ(١) والقبول والعمل بها حين علمها. وقرىء بنصب آدم ورفع الكلمات؛ على أنها استقبلته بأن بلغته واتصلت به. فإن قلت: ما هن؟ قلت: قوله تعالى: { ربنا ظلمنا أنفسنا... الآية } (الأعراف: ٢٣). وعن ابن مسعود رضي الله

عنه: "إن أحب الكلام إلى الله ما قاله أبونا آدم حين اقترف الخطيئة: سبحانك اللهم وبحمدك وتبارك اسمك وتعالى جدك، لا إله إلا أنت ظلمت نفسي فاغفر لي إنه لا يغفر الذنوب إلا أنت". وعن ابن عباس رضي الله عنهما قال: "يا رب ألم تخلقني بيدك؟ قال: بلى. قال: يا رب ألم تنفخ في الروح من روحك؟ قال: بلى. قال: يا رب ألم تسبق رحمتك غضبك؟ قال: بلى. قال: ألم تسكني جنتك؟ قال: بلى. قال: يا رب إن تبت وأصلحت أراجعي(٢) أنت إلى الجنة؟ قال: نعم"، واكتفى بذكر توبة آدم دون توبة حواء، لأنها كانت تبعا له، كما طوى ذكر النساء في أكثر القرآن والسنة لذلك. وقد ذكرها في قوله: { قال ربنا ظلمنا أنفسنا } . { فتاب عليه } فرجع عليه بالرحمة والقبول. فإن قلت: لم كرر: { قلنا اهبطوا } ؟ قلت: للتأكيد ولما نيط به من زيادة قوله: { فإما يأتينكم مني هدى } (٣). فإن قلت: ما جواب الشرط الأول؟ قلت: الشرط الثاني مع جوابه كقولك: إن جئني فإن قدرت أحسنت إليك.

(١) قوله: (استقبالها بالأخذ) .. إلى آخره ، فعلى هذا هو مستعار من استقبال الناس بعض الأعزة إذا قدم بعد طول غيبته ، حيث لا يدعون شيئا من الاكرام إلا أتوه ، وإكرام الكلمات العمل بها .

(٢) قوله: (أراجعي) صح عن نسخة المصنف بالتخفيف ، ومن نسخة زين المشائخ بالتشديد وهو مشكل إلا أن يجعل جمعا ، وهو مستبعد أيضا .

(٣) قوله: (ولما نيط به من زيادة قوله: { فإما يأتينكم مني هدى }) أراد أنه يجوز اهبطوا ليعلق عليه معنى آخر غير الأول اهتماما به ، ويسمى هذا الأسلوب في البديع بالتزويد .

(٢٨١/١)

والمعنى: فإما يأتينكم مني هدى برسول أبعثه إليكم وكتاب أنزله عليكم؛ بدليل قوله: { والذين كفروا وكذبوا بآياتنا } في مقابلة قوله: { فمن تبع هداي } فإن قلت: فلم جيء بكلمة الشك وإتيان الهدى كائن لا محالة لوجوبه؟ قلت: للإيدان بأن الإيمان بالله

والتوحيد لا يشترط فيه بعثة الرسل وإنزال الكتب. وأنه إن لم يبعث رسولا ولم ينزل كتابا، كان الإيمان به وتوحيده واجبا؛ لما ركب فيهم من العقول ونصب لهم من الأدلة ومكنهم من النظر والاستدلال. فإن قلت: الخطيئة التي أهبط بها آدم إن كانت كبيرة فالكبيرة لا تجوز على الأنبياء، وإن كانت صغيرة، فلم جرى عليه ما جرى بسببها من نزع اللباس والإخراج من الجنة والإهباط من السماء كما فعل إبليس ونسبته إلى الغي والعصيان ونسيان العهد وعدم العزيمة والحاجة إلى التوبة؟ قلت: ما كانت إلا صغيرة مغمورة (١) بأعمال قلبه من الإخلاص والأفكار الصالحة التي هي أجل الأعمال وأعظم الطاعات. وإنما جرى عليه ما جرى، تعظيما للخطيئة وتفظيحا لشأنها وتهويلا، ليكون ذلك لطفًا له ولذريته في اجتناب الخطايا واتقاء المآثم، والتنبيه على أنه أخرج من الجنة بخطيئة واحدة، فكيف يدخلها ذو خطايا جمّة. وقرئ: "فمن تبع هدي" على لغة هذيل، "فلا خوف" بالفتح.

{ üسة_ tf"t6@ fدن"u ژ خ } اذكروا نعمتي التي أنعمت عليكم وأوفوا

ü"د%÷kyé/خ/ أوف

بعهدكم { f"خ ur فارهبون (٤٠) وآمنوا بما &Rr"àM9u مصدقا لما معكم ولا

؟s³ûqçRq#)

أول كافر به ولا (#r±n@yIô ثمننا %s=ثد f"خ ur فاتقون (٤١) {

(١) قوله: (مغمورة بإخلاص قلبه) قيل : إنما خص أعمال القلب ؛ لأن آدم عليه السلام لم يلبث في الجنة إلا ساحة واحدة من العصر إلى الغروب ، وفي هذه المدة لم يتمكن من جميع العبادات البدنية ، ومن في مما عدد بيان لما في ما أنعم .
(٢٨٢/١)

إسرائيل { هو يعقوب عليه السلام لقب له، ومعناه في لسانهم: صفوة الله، وقيل: عبد الله. وهو بزنة إبراهيم وإسماعيل غير منصرف مثلهما لوجود العلمية والعجمة. وقرئ "إسرائيل" و "إسرائيل". وذكرهم النعمة: أن لا يخلو بشكرها، ويعتدوا بها، ويستعظموها، ويطيعوا مانحها. وأراد بها ما أنعم به على آبائهم مما عدد عليهم: من الإنجاء من فرعون وعذابه ومن الغرق. ومن العفو عن اتخاذ العجل، والتوبة عليهم، وغير ذلك، وما أنعم به عليهم من إدراك زمن محمد صلى الله عليه وآله وسلم المبشر به في التوراة والإنجيل. والعهد يضاف إلى المعاهد والمعاهد جميعا. يقال أوفيت بعهدي، أي عاهدت عليه كقوله: { ومن أوفى بعهده من الله { وأوفيت بعهدك: أي بما عاهدتك عليه. ومعنى { أوفوا بعهدي { وأوفوا بما عاهدتموني عليه (١) من الإيمان بي والطاعة لي، كقوله: { ومن أوفى بما عاهد عليه الله { ، { ومنهم من عاهد الله { ، { رجال صدقوا ما عاهدوا الله عليه { ، { أوف بعهدكم { بما عاهدتكم عليه من حسن الثواب على حسناتكم { وإياي فارهبون { فلا تنقضوا عهدي. وهو من قولك: زيدا رهبتة. وهو أوكد (٢)

(١) قوله: (وأوفوا بما عاهدتموني عليه) خبر قوله : ومعنى { وأوفوا بعهدي { .
(٢) قوله: (وهو أوكد) في بعض الحواشي قال المصنف فيه وجوه من التأكيد ، تقديم الضمير المنفصل ، وتأخير المتصل ، والفاء الموجبة معطوفا عليه ، تقديره إياي ارهبوا فارهبوني ، أحدهما مضر ، والثاني مظهر ، وما في ذلك من تكرار الرهبة ، وما فيه من معنى الشرط ؛ لأنه جاء بالفاء في فارهبون ، فهذه الفاء تدل على الشرط ، وإنما قدرناه كذلك لئلا يكون عطفا للفعل على الاسم .

وقال القاضي : إنما كان أوكد مع التقديم من تكرير المفعول ، والفاء الجزائية ، الدالة على تضمن الكلام معنى الشرط ، كأنه قيل : إن كنتم راهبين شيئا فارهبون ،

وهذا هو المروي عن عن المصنف أولا .

قال الطيبي : وقلت : هذا على خلاف إرادة المصنف ؛ لأنه جعل التركيب من باب الاضمار على شريطة التفسير ، فإن هذا التركيب أكد في إفادة الاختصاص من { إياك نعبد } إذا قدرت المفسر بعد المنصوب لتكرير الجملة المفيدة للاختصاص ، بخلاف { إياك نعبد } فإن فيه تقدما فقط .

قال صاحب المفتاح : وأما زيدا عرفته فأنت بالخيار إن شئت قدرت المفسر قبل المعرف ،

وجملته على التأكيد ، وإن شئت قدرته بعده ، وجملته على باب التخصيص ، والمقام يقتضي الثاني سياق الكلام ، وأما إذا جعل من باب الشرط فلا وجه لأن يقابل بقوله : { إياك نعبد } إلا لمناسبة بينهما ، وأقول : بل المناسبة باقية ، وهي تقديم المفعول في كل منهما ، وتقدير الشرط لا يمنع من ذلك ، قال ، وإنما جاز عطف الجملة المؤكدة على مؤكدها مع اقتضاء العطف المغايرة لحصول المغاير ؛ لأن المراد بالتكرار الترقى من الأهون إلى الأغلظ ، فالتعقيب يؤذن بإيصال الرهب برهبة هي أعلى منها من غير تخلل شيء آخر ، كقولهم : خذ الأفضل فالأفضل ، قال المصنف في قوله تعالى : { كذبت قبلهم قوم نوح فكذبوا عبدنا } أي : كذبوه تكذيبا على عقيب تكذيب ، وفي الكتاب العزيز { وما أدراك ما يوم الدين ثم ما أدراك ما يوم الدين } وفيه { كلا سوف تعلمون ثم كلا سوف تعلمون } فقد عطف التأكيد في الاثنين على المؤكد ، وكأنه إنما يمتنع عطف التأكيد على المؤكد إذا كان العطف بالواو ، وذلك لسر يظهر للألمعي .

(٢٨٣/١)

في إفادة الاختصاص من { إياك نعبد } . وقرئ "وأوفوا" بالتشديد: أي أبالغ في الوفاء بعهدكم، كقوله: { من جاء بالحسنة فله خير منها } (النمل: ١٨٩). ويجوز أن يريد بقوله: { وأوفوا بعهدي } ما عاهدوا عليه ووعدوه من الإيمان بنبي الرحمة والكتاب المعجز. ويدل عليه قوله: { وآمنوا بما أنزلت مصدقا لما معكم ولا تكونوا أول كافر به { أول من كفر به، أو أول فريق(١) أو فوج كافر به، أو: ولا يكن كل واحد منكم أول كافر به، كقولك: كسانا حلة، أي كل واحد منا. وهذا تعريض بأنه كان يحب أن يكونوا أول من يؤمن به لمعرفتهم به وبصفته. ولأنهم كانوا المبشرين بزمان من أوحى إليه والمستفتحين على الذين كفروا به. وكانوا يعدون أتباعه أول الناس كلهم، فلما بعث كان أمرهم على العكس كقوله: { لم يكن الذين كفروا من أهل الكتاب والمشركين منفكين حتى

تأتيهم البينة { إلى قوله: } وما تفرق الذين أوتوا الكتاب إلا من بعد ما جاءتهم
البينة { فلما جاءهم ما عرفوا كفروا به { . ويجوز أن يراد: ولا تكونوا مثل أول
كافر به، يعني من أشرك به من أهل مكة. أي: ولا تكونوا وأنتم تعرفونه مذكورا في
التوراة موصوفا، مثل من لم يعرفه وهو مشرك لا كتاب له. وقيل: الضمير في (به) لما
معكم، لأنهم إذا كفروا بما يصدقه
فقد كفروا به. والاشتراء استعارة للاستبدال كقوله تعالى: { اشتروا الضلالة بالهدى {
وقوله(٢):

كما شترى المسلم إذ تنصرا
وقوله:

فإني شريت الحلم بعدك بالجهل

(١) قوله: (أو أول فريق) .. إلى آخره إنما قدر هذه التقادير بما أن خبر كان مفرد
لفظا ، والاسم مجموع ، والاستفتاح : الاستنصار .
(٢) قوله: (كما شترى المسلم إذ تنصرا) بيانه . قوله : فإني ، أوله:
فإن تزعميني كنت أجهل فيكم***فإني شريت الحلم بعدك بالجهل .
معناه ظاهر .
(٢٨٤/١)

يعني ولا تستبدلوا بآياتي ثمننا وإلا فالثمن هو المشتري به(١). والثمن القليل
الرياسة التي كانت لهم في قومهم، خافوا عليها الفوات لو أصبحوا أتباعا لرسول الله
صلى الله عليه وآله وسلم فاستبدلوها - وهي بدل قليل ومتاع يسير - بآيات الله
وبالحق الذي كل كثير إليه قليل، وكل كبير إليه حقير، فما بال القليل الحقير. وقيل
كانت عامتهم يعطون أحبارهم من زروعهم وثمارهم، ويهدون إليهم الهدايا، ويرشونهم
الرشا على تحريفهم الكلم، وتسهيلهم لهم ما صعب عليه من الشرائع. وكان ملوكهم يدرون
عليهم الأموال ليكتموا أو يحرفوا.
{ ولا تلبسوا الحق بالباطل وتكتموا الحق وأنتم تعلمون (٤٢) وأقيموا الصلاة وآتوا
الزكاة واركعوا مع ٩\$# (٤٣) }

(١) قوله: (وإلا فالثمن هو المشتري به) وتقديره : أن الاشتراء استعارة للاستبدال ،

ولو لم يكن استعارة له لزم ان يكون الثمن في قوله تعالى { ثمننا قليلا } هو المشتري ،

والثمن في العرف هو المشتريه ، وههنا المشتري به الآيات ؛ لأن الباء تدخل على الثمن ، فلما دخلت على الثاني : صار هو المشتري به ، وصار ثمننا قليلا هو المبيع ، يريد أن هذه الاستعارة استعارة لفظية لا معنوية ، استعير الشراء لمجرد الاستبدال من غير نظر إلى التشبيه كما يستعار لأنف الإنسان المرسن .
قال المصنف في قوله تعالى : { طلعتها كأنه رؤوس الشياطين } فاستعير ، أي : الطلع لما طلع من شجرة الزقوم ، إما استعارة لفظية ، أو معنوية ، ويمكن أن يكون استعارة معنوية بولغ بأن شبه هذا الاستدلال في كونه مرغوبا فيه بالمبيع والشراء ، ثم بولغ ثانيا بأن قلبت القضية فجعل الثمن مبيعا ، والمبيع ثمننا ، ونحوه في القلب { إنما البيع مثل الربا } فجعلت الآيات في الابتدال ، وكونها ذرائع إلى سائر مبائهم ، كالدرهم المبدولة لقضاء الحوائج .
(٢٨٥/١)

الباء التي في { بالباطل } إن كانت صلة مثلها في قولك: لبست الشيء بالشيء خلطته به، كأن المعنى: ولا تكتبوا في التوراة ما ليس منها فيختلط الحق بالمنزل بالباطل الذي كتبتم، حتى لا يميز بين حقها وباطلكم، وإن كانت باء الاستعانة(١) كالتي في قولك: كتبت بالقلم، كان المعنى: ولا تجعلوا الحق ملتبسا مشتبها بباطلكم الذي تكتبونه { وتكتموا } جزم داخل تحت حكم النهي بمعنى: ولا تكتموا. أو منصوب بإضمار أن، والواو بمعنى الجمع، أي ولا تجمعوا ليس الحق بالباطل وتكتمان الحق، كقولك: لا تأكل السمك وتشرب اللبن. فإن قلت: لبسهم وتكتمانهم(٢)

(١) قوله : وإن كانت باء الاستعانة ، والفرق أن اللبس يستدعي مخلوطا ومخلوطا به ، فلو أنه جعلت صلة كان بالباطل مفعولا مثل الأول ، فخلطهم أن يكتبوا شيئا آخر مثل المنزل ، فإذا كتبوه اختلط بالحق ، فالمنهي عنه الكتابة نفسها لاستلزامها الاختلاط ، ومن ثم قال : ولا تكتبوا فيختلط الحق بالباطل ، وجعل فيختلط جوابا للنهي ، وإذا

جعلت للاستعانة كان المنهي عنه جعل مكتوبهم سببا للاشتباه ، ولهذا قال : ولا تجعلوا الحق مشتبها بباطلكم ، أي : بسبب باطلكم ، وقال : الذين يكتبونه ، أي : الذين أنتم مشغولون به ، وهو دأبكم وعادتكم ، فقلوه : ملتبسا . ثاني مفعولي جعل .

(٢) قوله: (لبسهم وكتمانهم) تقريره : أن اللبس والكتمان متلازمان ، فليست المسألة كقولهمك : لا تأكل السمك وتشرب اللبن ، ويجاب بما تلخيصه أن لبس الحق بالباطل على ما بيناه في الوجهين هو أن يكتب في التوراة ما ليس منها ليشبه ما فيها ، وكتمان الحق إخفاء ما في التوراة إما بالقول بأن يقولوا : لا نجد فيها كذا مع كونه فيها ، أو بالفعل بأن بمحو ذلك ، أو يكتبوه على خلاف صفته ، فقوله : أو حكم عطف على صفة محمد ..
(٢٨٦/١)

ليسا بفاعلين متميزين حتى ينهوا عن الجمع بينهما، لأنهم إذا لبسوا الحق بالباطل فقد كتموا الحق؟ قلت: بل هما متميزان، لأن لبس الحق بالباطل ما ذكرنا من كتابتهم في التوراة ما ليس منها. وكتمانهم الحق أن يقولوا: لا نجد في التوراة صفة محمد صلى الله عليه وآله وسلم ، أو حكم كذا. أو يمحوا(١) ذلك. أو يكتبوه على خلاف ما هو عليه. وفي مصحف عبد الله (وتكتمون)(٢) بمعنى كاتمين { وأنتم تعلمون } في حال علمكم أنكم لا بسون كاتمون، وهو أقبح لهم، لأن الجهل بالقبيح ربما عذر راكمه { وأقيموا الصلاة } يعني صلاة المسلمين وركاتهم { واركعوا مع الراكعين } منهم، لأن اليهود لا ركوع في صلاتهم. وقيل: (الركوع) الخضوع والانقياد لما يلزمهم في دين الله. ويجوز أن يراد بالركوع: الصلاة، كما يعبر عنها بالسجود، وأن يكون أمرا بأن يصلى مع المصلين، يعني في الجماعة، كأنه قيل: وأقيموا الصلاة وصلوها مع المصلين، لا منفردين.

}

(١) قوله: (أو يمحوا) عطف على أن يقولوا : ولا يلزم من النهي عن الجميع جواز كل واحد من اللبس والكتمان ، كما في مسألة السمكة ، فإن النهي عن الجميع لا يدل على جواز

فعل البعض ، ولا على عدمه ، وإنما يعلمان من دليل آخر ، كما علمنا في مسألة السمكة جواز البعض من الطب . وعلمنا في الآية عدم جواز البعض بالدليل الذي دل على قبح كل واحد منهما ، وفائدة الجمع مع أن النهي عن كل واحد ثابت لقبحه المبالغة في النعي عليهم ، وإظهار قبح أفعالهم من كونهم جامعين بين الفاعلين اللذين كل واحد منهما مستعمل في القبح ، وعلى قراءة الجزم تفوت فائدة البغي عليهم .

(٢) قوله: (وفي مصحف عبد الله (وتكتمون)) المعنى أنتم تكتمون ، وفيه إشعار بأن استقباح اللبس لما يصحبه من كتمان الحق .

* &Dù's?r قك٢br الناس بالبر وتنسون أنفسكم وأنتم تتلون الكتاب أفلا تعقلون (٤٤)
 واستعينوا بالصبر د٩=٥4qn ء٩X# \$pk@ur خ) ur لكبيرة إلا على
 (sfù:\$# (45 ±èdèstûü
 الذين يظنون هN &k@Xr (qà#) "N-B n=ح5u'h وأنهم إليه ٢٢tbq'è' u'
 { (46

}

أتأمرون { الهمزة للتقرير مع التوبيخ والتعجيب من حالهم. والبر سعة الخير والمعروف.
 ومنه البر لسعته، ويتناول كل خير. ومنه قولهم: صدقت وبررت (١). وكان الأخبار يأمر
 من نصحوه في السر من أقاربهم وغيرهم باتباع محمد صلى الله عليه وآله وسلم ولا
 يتبعونه. وقيل: كانوا يأمرن بالصدقة ولا يتصدقون، وإذا أتوا بصدقات ليفرقوها خانوا
 فيها. وعن محمد بن واسع: بلغني أن ناساً من أهل الجنة اطلعوا على ناس من أهل النار
 فقالوا لهم: قد كنتم تأمروننا بأشياء عملناها فدخلنا الجنة. قالوا: كنا نأمركم بها
 ونخالف إلى غيرها { وتنسون أنفسكم { وتركونها من البر كالمُنسيات (٢) } وأنتم تتلون
 الكتاب { تبيكت مثل قوله: { وأنتم تعلمون { يعني تتلون التوراة وفيها نعت محمد صلى
 الله عليه وآله وسلم ، أو فيها الوعيد على الخيانة وترك البر ومخالفة القول بالعمل {
 أفلا تعقلون { توبيخ عظيم بمعنى: أفلا تفتنون، لقبح ما أقدمتم عليه حتى يصدكم
 استقباحه عن ارتكابه، وكأنكم في ذلك مسلوبو العقول لأن العقول تأباه وتدفعه. ونحوه:
 { أف لكم ولما تعبدون من دون الله أفلا تعقلون { (الأنبياء: ٦٧). }

(١) قوله: (صدقت وبررت) أي: بررت في صدقك كما [٧٣٨] يقال: كذبت وفجرت، أي

: فجرت

في كذبك .

(٢) قوله: (كالمُنسيات) أشار بالكاف إلى أن المراد بقولن { تنسون { يتركون على

الاستعارة التبعية ؛ لأن أحدا لا ينسى نفسه ، بل يحرمها من الخير ، ويتركها كما

يترك المنسي مبالغة لعدم المبالاة والغفلة عما يجب عليه فعله .

واستعينوا { على حوائجكم إلى الله } بالصبر والصلاة { أي بالجمع بينهما، وأن تصلوا صابرين (١) على تكاليف الصلاة، محتملين لمشاقتها وما يجب فيها - من إخلاص القلب، وحفظ النيات، ودفع الوسوس ومراعاة الآداب، والاحتباس من المكاهة مع الخشية والخشوع، واستحضار العلم بأنه انتصاب بين يدي جبار السماوات، ليسأل فك الرقاب عن سخطه وعذابه. ومنه قوله تعالى: { وأمر أهلك بالصلاة واصطبر عليها } (طه: ١٢٣) أو: واستعينوا على البلى والنائب بالصبر عليها والالتجاء إلى الصلاة عند وقوعها. (٣٤) وكان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم "إذا حزبه أمر فزع إلى الصلاة" وعن ابن عباس أنه نعى إليه أخوه "قثم" وهو في سفر، فاسترجع وتنحى عن الطريق فصلى ركعتين أطل فيهما الجلوس، ثم قام يمشي إلى راحلته وهو يقول: واستعينوا بالصبر والصلاة، وقيل: الصبر الصوم،

(١) قوله: (وأن تصلوا صابرين) عطف تفسيري على قوله: الجمع بينهما، والضمير في أنه انتصاب للصلاة، وتذكيره لتذكير الخبر، وليسأل: تعليل انتصاب، وقدم الصبر على الصلاة لتعذر حصولها كاملة الآية، ومعنى: حزبه أمر: نزل به هم وأصابه غم، ومعنى فزع إلى الصلاة: التجأ إليها لدفع ذلك الأمر الحادث، ومعنى: استرجع، قال: إنا لله وإنا إليه راجعون.

لأنه حبس عن المفطرات. ومنه قيل لشهر رمضان: شهر الصبر. ويجوز أن يراد بالصلاة الدعاء، وأن يستعان على البلى بالصبر، والالتجاء إلى الدعاء، والابتهاال إلى الله تعالى في دفعه { وإنها } الضمير للصلاة أو للاستعانة. ويجوز أن يكون لجميع الأمور التي أمر بها بنو إسرائيل ونهوا عنها من قوله: { اذكروا نعمتي } إلى { واستعينوا } . { لكبيرة } لشاقة ثقيلة من قولك: (كبر علي هذا الأمر، كبر على المشركين ما تدعوهم إليه). فإن قلت: ما لها لم تثقل على الخاشعين والخشوع في نفسه مما يثقل؟ قلت: لأنهم يتوقعون ما ادخر للصابرين على متاعبها فتهون عليهم. ألا ترى إلى قوله تعالى: { الذين يظنون أنهم ملاقوا ربهم } أي يتوقعون لقاء ثوابه ونيل ما عنده، ويطمعون فيه. وفي مصحف عبد الله: يعلمون. ومعناه: يعلمون أن لا بد من لقاء الجزاء فيعملون على حسب ذلك. ولذلك (١) فسر (يظنون) يتيقنون. وأما من لم يوقن بالجزاء ولم يرج الثواب.

كانت عليه مشقة خالصة فثقلت عليه كالمناققين والمرائين بأعمالهم. ومثاله من وعد على بعض الأعمال والصنائع أجرة زائدة على مقدار عمله، فتراه يزاوله برغبة ونشاط وانشراح صدر ومضاحكة لحاضريه، كأنه يستلذ مزاولته بخلاف حال عامل يتسخره بعض الظلمة. ومن ثم

قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم :

(٣٥) "وجعلت قرّة عيني في الصلاة"(٢).

)

(١) قوله: (ولذلك) أي : ولأجل قراءة عبد الله ، فالظن هنا بمعنى اليقين ؛ إذ لو لم

يتيقنوا لكانوا كافرين ، والتسخر : تكليف العمل بلا أجرة .

(٢) قوله: (وجعلت قرّة) الحديث (حب إلي من دنياكم ثلاث الطيب والنساء ، وجعلت قرّة

عيني في الصلاة)

(٢٩١/١)

(٣٦) وكان يقول: "يا بلال روحنا"(١) والخشوع. الإخبات والتطامن. ومنه: الخشعة للرملة

المتطامنة. وأما الخضوع فاللين والانقياد. ومنه: خضعت بقولها إذا لينته.

{ تُؤسّة_uf@u"fdن"ؤ خ} اذكروا نعمتي التي أنعمت عليكم 'ur&oTrد

فضلتكم على

العالمين (٤٧) واتقوا يوما لا "ح"grB نفس عن نفس ©x"Z\$ ولا يقبل منها شفاعة ولا

يؤخذ منها عدل ولا هم ينصرون (٤٨) {

}

(١) قوله: ("يا بلال روحنا") عن سالم بن الجعد قال قال رجل من خزاعة : ليتني صليت

فاسترحت ، فكأنهم عابوا ذلك عليه ، فقال سبعت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم

يقول : (يا بلال أرحنا) أي أذن وأقم بالصلاة لنسترح بأدائها من شغل القلب بها ،

وقيل : كان اشتغاله بالصلاة راحة له ؛ لأنه كان يعد غيرها من الأفعال الدنيوية تعباً

، فكان يستريح بها لما فيها من مناجاة الله ، ومعنى (خضعت بقولها) لينته .

(٢٩٢/١)

وأني فضلتكم { نصب عطف على { نعمتي } أي اذكروا نعمتي وتفضيلي { على العالمين } على

الجم الغفير(١) من الناس، كقوله تعالى: { باركنا فيها للعالمين } يقال: رأيت عالماً من الناس يراد الكثرة { يوما } يريد يوم القيامة { لا تجزي } لا تقضي عنها شيئاً من الحقوق. ومنه الحديث في جذعة بن نيار(٢):

)

(١) قوله: (على الجم الغفير) خصص العالمين مع عمومته بالجم الغفير لئلا يلزم تفضيلهم على النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم ، وعلى صحابته الكرام ، فعلى هذا اطلاق العالمين على الأكثر من باب اطلاق الكل على الأكثر ، ومثله في ذلك { وأوتيت من كل شيء } فالتخصيص هذا للبعض بموجب الأشخاص ، وقد يخصص البعض من حيث المكان كما في

قوله تعالى : { باركنا فيها للعالمين } أي : لأهل الشام ، وقد يخص بالبعث من حيث الزمان كما يجوز أن يراد هنا على عالمي زمانهم ، وذلك التفضيل وإن كان في حق الآباء شرف للأبناء . ويحتمل أن يريد بقوله : { فضلناكم } فضلنا أباكم ، كما في قوله تعالى : { خلقناكم من تراب } أي : خلقنا أباكم آدم من تراب .

(٢) قوله: (ومنه الحديث في جذعة بن نيار) أي : في شأن جذعته ، وذلك أنه أتى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وقال : إني نسكت شاتي قبل الصلاة ، وعرفت أن اليوم

يوم أكل وشرب ، وأحببت أن تكون شاتي أول شاة تذبح في بيتي فذبحت شاتي وتغديت قبل أن

أتي الصلاة ، قال : شاتك شاة لحم ، قال : يا رسول الله فإن عندنا عناقاً جذعة هي أب إلي من شاتين أفنجزني عني ؟ قال : نعم ولن تجزي عن أحد بعدك (والجذعة : هي التي دخلت في الثانية ، وابن نيار . بكسر النون ، وتخفيف الياء والدار اسمه عبد الله . (٢٩٣/١)

(٣٧) "تجزي عنك ولا تجزي عن أحد بعدك" و { شيئاً } مفعول به ويجوز أن يكون في موضع مصدر، أي قليلاً من الجزء(١)، كقوله تعالى: { ولا يظلمون شيئاً } (مريم: ٦٠) ومن قرأ "لا تجزي" من أجزأ عنه إذا أغنى عنه، فلا يكون في قراءته إلا بمعنى شيئاً من الإجزاء(٢). وقرأ أبو السرار الغنوي: "لا تجزي نسمة عن نسمة شيئاً". وهذه الجملة

منصوبة المحل صفة ليوما. فإن قلت: فأين العائد منها إلى الموصوف؟ قلت: هو محذوف تقديره: لا تجزي فيه. ونحوه ما أنشده أبو علي: تروحي أجدر أن تقيلي(٣)

-
- (١) قوله: (أي قليلا من الجزاء) فعلى هذا نزل المتعدي منزلة اللازم للمبالغة .
(٢) قوله: (فلا يكون في قراءته إلا بمعنى شيئا من الإجزاء) أراد أنه يتعين على هذه القراءة ، نصبه على المصدر ؛ لأن أجزأ حينئذ لازم لا يتعدى إلا بعن .
(٣) قوله: (تروحي أجدر أن تقيلي) تمامه :
غدا بجنبي بارد ظليل

وصح ما أجدر في عن المعدى ، فما موصوفة ، صفتها أجدر ، ومنصوبة بتروحي ، على تأويل مكانا ، أو مراحا ، وأجدر أفعال التفضيل ، وفاعله ضمير مستكن للمراح ، والباء المقدر في أن صلة جدر ، والمفضل عليه محذوف ، يقول : جدي يا ناقة في السير ، واطليي مراحا ، أحق بأن تقيلي فيه من مكان أنت فيه ، وتروحي من الرواح ، وهو السير فيما بعد الزوال ، وكأنه [استعمله . نخ] : أبعد أيضا في مجرد السير ، وتقيلي من القيلولة ، وإنما وجب تقدير الضمير هنا ليعود من الصفة إلى الموصوف مع أن الصفة ليست بجملة ؛ لأن الوصف هاهنا من قبيل وصف الشيء بوصف ما هو من مسببه ، فلا بد من الضمير ؛ لأن المعنى : تروحي ماء ، أي : مكان القيلولة ، عنده ، أو فيه ، أخذ من القيلولة في غيره ، وفي محتسب ابن جني ، أصله ائتي مكانا أجدر بأن تقيلي فيه ، فحذف ائتي لدلالة تروحي عليه فصار [٧٣٩] تروحي مكانا أجدر بأن تقيلي فيه ، ثم حذف الموصوف الذي هو مكانا ، فصار أجدر بأن تقيلي فيه ، ثم حذف الباء تخفيفا ، فصار أن تقيلي فيه ، ثم حذف في فصار أن تقيله ، ثم حذف الهاء المنصوب فصار كما ترى ، ففيه خمسة اعمال ، وغدا : ظرف تقيلي ، وبارد صفة غدِير ، أو نهر ، أو واد .
(٢٩٤/١)

أي ماء أجدر بأن تقيلي فيه.
أي ماء أجدر بأن تقيلي فيه. ومنهم من ينزل(١) فيقول: اتسع فيه، فأجرى مجرى المفعول به فحذف الجار ثم حذف الضمير كما حذف من قوله: أم مال أصابوا(٢).

(١) قوله: (ومنهم من ينزل) أي : يدرج فقال : التقدير يجري فيه ، ثم يجريه على الاتساع ، ثم يجري على الحذف .

(٢) قوله: (أم مال أصابوا) أوله :

فما أدري أغيرهم تناء*** وطول العهد أم مال أصابوا

التقدير : أصابوه ، وقبله :

ألا أبلغ معاتبتني وقولي*** بني عمرو فقد حسن العتاب

وسل هل كان لي ذنب إليهم*** هم منه فأعتبهم غضاب

كتبت إليهم كتباً مراراً*** فلم إلي بهم جواب

فعهدي دائماً لهم ووودي*** على حال إذا شهدوا وغابوا

والأبيات قائلها الحارث بن كلدة ، قالها وقد خرج إلى الشام ، وكتب إلى بني عمه فلم

يجيبوه ، وقد ذكر أسباب التغير ، وهي البعد وطول العهد ، وإصابة الغنى ؛ لأن أكثر

الناس يغيره ذلك ، وقد لطف في كتابه وأبدع في عتابه وخطابه .

(٢٩٥/١)

ومعنى التنكير أن نفساً من الأنفس لا تجزي عن نفس منها شيئاً من الأشياء، وهو الإقناط الكلي القطاع للمطامع. وكذلك قوله: { ولا يقبل منها شفاعاة ولا يؤخذ منها عدل } أي فدية لأنها معادلة للمفدى. ومنه الحديث: (١) (٣٨) "لا يقبل منه صرف ولا عدل" أي توبة

ولا فدية. وقرأ قتادة: "ولا يقبل منها شفاعاة" على بناء الفعل للفاعل وهو الله عز وجل، ونصب الشفاعاة. وقيل: كانت اليهود تزعم أن آباءهم الأنبياء يشفعون لهم فأويسوا. فإن قلت: هل فيه دليل على أن الشفاعاة لا تقبل للعصاة؟ قلت: نعم، لأنه نفى أن تقضي نفس عن نفس حقاً أخلت به من فعل أو ترك، ثم نفى أن يقبل منها شفاعاة شفيح فعلم أنها لا تقبل للعصاة. فإن قلت: الضمير في { ولا يقبل منها } إلى أي النفسين يرجع؟ قلت: إلى الثانية العاصية غير المجزى عنها، وهي التي لا يؤخذ منها عدل. ومعنى لا يقبل منها شفاعاة: إن جاءت بشفاعة شفيح لم يقبل منها. ويجوز أن يرجع إلى النفس الأولى، على أنها لو شفعت لها لم تقبل شفاعتها، كما لا تجزي عنها شيئاً، ولو أعطت عدلاً عنها(٢)

(١) قوله: (ومنه الحديث) روي أبو هريرة عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أنه

قال : (من تعلم صرف الكلام ليسبي به قلوب الرجال أو الناس لم يقبل الله منه يوم

القيامة صرفا ولا عدلا) [في نسخة (لم يقبل الله له صرفا ولا عدلا يوم القيامة] قيل : صرف الكلام ما يتكلفه الإنسان من الزيادة فيه من وراء الحاجة ، والاستياء افتعال من السبي ، كأنه ينهب بكلامه قلوب السامعين والعدل : الفرض والصرف النافلة ، وقيل : الصرف التوبة ، والعدل : الفدية سميت صرفا ؛ لأنها تصرف من الحال الدنية إلى الحميدة .

(٢) قوله: (ولو أعطت عدلا عنها) الضمير المستتر المرفوع راجع إلى النفس الأولى في قوله { لا تجزي نفس عن نفس } والمجرور راجع إلى الثانية ..
(٢٩٦/١)

لم يؤخذ منها { ولا هم ينصرون } يعني ما دلت عليه النفس المنكرة من النفوس الكثيرة والتذكير بمعنى العباد(١) والأناسي، كما تقول: ثلاثة أنفس.
{ وإذ gwU"Na6 سٹ gwU من آل فرعون يسومونكم ٹكٹ العذاب يذبحون
&sY/r\$!u.N

ويستحيون N!u.N | ، S وفي N٣٩د sCE٩ من ربكم عظيم (٤٩) {

أصل { ءال } أهل، ولذلك يصغر بأهيل، فأبدلت هاؤه ألفا. وخص استعماله بأولى الخطر والشأن كالملوك وأشباههم، فلا يقال آل الإسكاف والحجام. و { فرعون } علم لمن ملك العمالة، كقيصر: لملك الروم، وكسرى: لملك الفرس. ولعتو الفراعنة اشتقوا: تفرعن فلان، إذا عتا وتجبر. وفي ملح بعضهم:
قد جاءه موسى الكليم فزاد في***أقصى تفرعنه وفرط عرامه(٢)
وقرىء: "أنجيناكم" و"نجيتكم" { يسومونكم } من سامه خسفا إذا أولاه ظلما. قال عمرو بن كلثوم:

(١) قوله: (والتذكير بمعنى العباد) عطف على قوله : يعني ما دلت عليه النفس المنكرة ، من حيث المعنى ، أراد أنه خولف الظاهر بجميع الضمير وتذكيره ، والمرجوع إليه مفرد مؤنث ، فالجمع باعتبار أن النفس المنكرة في سياق النفي دلت على أن هناك نفوسا كثيرة ، وكل واحد منها لا يجزي عن الأخرى شيئا ، والتذكير بتأويل أن تلك الأنفس عناد ، وناس كما أن التذكير في ثلاثة أنفس لمعنى الرجال أو الأشخاص ، والعمالة : هم الجبابرة الذي كانوا بالشام ، من بقية قوم عاد ، أولاد عمليق بن لاوذ ، من إرم بن سام بن نوح عليه السلام .

(٢) قوله:

(قد جاءه موسى الكليم فزاد في***أقصى تفرغنه وفرط عرامه)
البيت للمصنف رحمه الله تعالى في صفة مجنون ، أي : قد جاءه موسى الكثير الجراحة ،
فزاد في غاية تجبره وفرط وقاحته ، وسوء خلقه .
(٢٩٧/١)

إذا ما الملك سام الناس خسفا***أبيننا أن يقر الخسف فينا(١)
وأصله من سام السلعة إذا طلبها: كأنه بمعنى ييغونكم { سوء العذاب } ويريدونكم عليه.
والسوء: مصدر السيء: يقال: أعوذ بالله من سوء الخلق وسوء الفعل، يراد قبحهما.
ومعنى { سوء العذاب } . والعذاب كله سيء .: أشده وأفظعه، كأنه قبحه بالإضافة إلى
سأثره. و { يذبحون } : بيان لقوله: { يسومونكم } ولذلك ترك العاطف كقوله تعالى: {
يضاهون قول الذين كفروا } (٢). وقرأ الزهري: " يذبحون " بالتخفيف كقولك: قطعت الشيا

وقطعتها. وقرأ عبد الله: " يقتلون ". وإنما فعلوا بهم ذلك لأن الكهنة أئذروا فرعون
بأنه يولد مولود يكون على يده هلاكه، كما أئذر نمرود. فلم يغن عنهما اجتهداهما في
التحفظ، وكان ما شاء الله. والبلاء المحنة إن أشير بذكلكم إلى صنيع فرعون. والنعمة
إن أشير به إلى الإنجاء.

{ وإذا uZ%ou\$ چ sù بكم u#st79\$ فأنجيناكم !ir\$ ur&sY% آل فرعون
وأنتم تنظرون (٥٠) }

(١) قوله: (إذا ما الملك سام الناس خسفا

تمامه : أبينا أن يقر الخسف فينا

قال ابن الأباري : الملك ، والملك ، لغتان ، وقيل : تخفيف الملك ، و الخسف : الظلم
، والنقصان ، يقول : إذا حمل الملك الناس على الظلم أبينا قرار الظلم فينا
(٢) قوله: (يضاهون) أي : يذبحون بيان ، كقوله يسومون ، كما أن يضاهون بيان لقوله :
ذلك قولهم بأفواههم ، يعني به قول باطل ، فهو كقول المشركين في البطلان ، وعدم
الحجة ، أي : قول اليهود : عزيز ابن الله ، وقول النصارى : المسيح ابن الله ،
يضاهون قول المشركين : الملائكة بنات الله في البطلان .

(٢٩٨/١)

فرقنا { فصلنا بين بعضه وبعض حتى صارت فيه مسالك لكم. وقرىء: فرقنا، بمعنى فصلنا. يقال: فرق بين الشيئين، وفرق بين الأشياء؛ لأن المسالك كانت اثني عشر على عدد الأسباط. فإن قلت: ما معنى { بكم } ؟ قلت: فيه أوجه: أن يراد أنهم كانوا يسلكونه، ويتفرق الماء عند سلوكهم، فكأنما فرق بهم كما يفرق بين الشيئين بما يوسط بينهما، وأن يراد فرقناه بسببكم، وبسبب إنجائكم، وأن يكون في موضع الحال بمعنى فرقناه ملتبسا بكم كقوله (١):

تدوس بنا الجماجم والتربا

أي تدوسها ونحن راكبوها. وروي أن بني إسرائيل قالوا لموسى: أين أصحابنا لا نراهم؟ قال: سيروا فإنهم على طريق مثل طريقكم. قالوا: لا نرضى حتى نراهم. فقال: اللهم أعني على أخلاقهم السيئة. فأوحى إليه: أن قل بعصاك (٢) هكذا، فقال بها على الحيطان. فصارت

فيها كوى. فتراموا وتسامعوا كلامهم { وأنتم تنظرون } إلى ذلك وتشاهدونه لا تشكون فيه.

{ وإذ ur`tRô%ot\$ موسى أربعين Z's#s9 ثم اتخذتم العجل من 3/4nd÷%èt/ وأنتم
ثكqJ="sك (٥١) ثم عفونا عنكم من بعد 7y9N`٩ CE N`٣yès9= تشكرون
{ (٥٢)

(١) قوله: (كقوله) أي: كقول المتنبي:

فمرت غير نافرة عليهم*** تدوس بنا الجماجم والتربا

وقبله: كأن خيولنا كانت قديما*** تسقي في فحولهم الجنبيا

أي: فمرت خيلنا على القتل غير نافرة منهم، تطأ بنا، أي: ملتبسة بنا جماجم القتلى وعظام صدورهم.

(٢) قوله: (أن قل بعصاك) قيل: العرب تجعل القول عبارة عن جميع الأفعال، فتقول:

قال [٧٤٠] بيده، أي أخذه، وقال برجله: أي مشى، وقال بثوبه: أي: رقعته، وقال بالماء على يده، أي: قلبه، ويقال: قال، بمعنى مال وأقبل، وضرب وغير ذلك.

(٢٩٩/١)

لما دخل بنو إسرائيل مصر بعد هلاك فرعون ولم يكن لهم كتاب ينتهون إليه، وعد الله

موسى أن ينزل عليه التوراة، وضرب له ميفاتا ذا القعدة وعشر ذي الحجة. وقيل { أربعين ليلة } (١)

(١) قوله: (وقيل { أربعين ليلة }) أي : في القرآن لا أنه قول مفسر ، إن قيل : في قوله تعالى : { وواعدنا موسى أربعين ليلة } قال المفسرون : وعد موسى المجيء إلى الطور ، وفيه إشكال ، ووجه تقديره ، أن أربعين ينصب إما على الظرف ، أو على أنه مفعول لظهور بعد غيرهما من المنصوبات ، أو امتناعه لا جائز انتصابه على الظرفية ؛ لأن المواعدة لم تقع في أربعين ، ولا جائز انتصابه على المفعولية ؛ لأنه إما أن يقدر حينئذ مضاف أولا يقدر ، لا جاز أن لا يقدر ؛ لأن المواعدة إنما تتعلق بالمعاني والأحداث لا بالحدث ، والأزمنة ، وهو ظاهر ، والجائز أن يقدر مضاف ؛ لأن المقدر حينئذ إما أمر واحد ، أو أمران لا جائز أن يقدر أمران ، لأنه لو قدر أمران فيما أن

يقدر المذكوران عن أهل التفسير ، وهما المجيء والوحي ، أو غيرهما ، والثاني منتف بالأصل ، وبأن المنقول ليس غير هذين ، فيبقى الثاني على أصل الامتناع ، اعني امتناع الاضمار ، والأول ، وهو أن يقدر هذان ممتنع أيضا ؛ لأن تقدير مضافين إلى شيء واحد حذفاً من اللفظ محال ، بخلاف ما لو كانا ملفوظين نحو بين ذراعي وجهه الأسد ، فإن المضافين المذكوران لفظاً ، ولا جائز أن يقدر واحد منهما ؛ لأن أحدهما غير مواعد من الطرفين ، بل هو موعود من طرف واحد ، إذ الوحي موعود من الله دون موسى ، وبالعكس المجيء فلا يصح تقدير واحد منهما فقط مع بقاء المفاعلة فما وجه صحة الآية ؟ . قلت : لم لا يجوز أن ينتصب على أنه مفعول به . قوله : إما أن يقدر مضاف أو لا يقدر ؟ قلنا : يقدر . قوله : المقدر أمر واحد أو أمران ؟ قلنا : أمر واحد . قوله : المنقول عن أهل التفسير الوحي أو المجيء ، ولا يجوز تقدير واحد منهما ؟

قلنا : غرض أهل التفسير بيان المعنى ، وأن الموعود من كل طرف ما هو لا بيان الاعراب ، وأن المقدر لا يجوز أن يكون غيرهما مما لا ينافي معنى هذين ، فنقول : جاز أن يقدر أمر واحد متضمنهما رعاية لصحة المعنى واللفظ ، مثل الملاقاة ، أو المكالمة ، فيكون المضاف واحداً ، ومع ذلك يصح كونه من الطرفين لكن اللقاء الموعود من الله ، والمراد به لقاء الملائكة لأجل الوحي ، واللقاء الموعود من موسى لأجل استماعه . فإن قلت : اللقاء لم يكن في الأربعين ، بل كان متعقباً لها ؟ قلت : لو سلمنا ذلك

يكون إضافة اللقاء إليه من باب إضافة الشيء إلى غيره بأدنى ملابسة ، ويجوز في تفكيك
واعدنا إلى فعلين ، فيجوز إضمار المعنيين المنقولين ، فكأنه قال ، واعدنا نحن وأبي
حنيفة أربعين ، ووعد هو مجيء أربعين فواعدنا وإن كان واحدا لفظا متعددا معنى فصح
إضمار الأمرين بالاعتبارين ، ونظيره قولك : بايع زيد عمرا ، فإنه يؤول المعنى إلى
قولك : باع زيد من عمرو والعكس ، لأن المفاعلة صدرت منهما دفعة فلا بد من التفكيك ،
والله أعلم . ومعنى ؛ لأن الشهور إنما تبتدئ بالليالي شهور العرب .
(٣٠٠/١)

لأن الشهور غررها بالليالي . وقرئ { واعدنا } لأن الله تعالى وعده الوحي ووعد
المجيء للميقات إلى الطور { من بعده } من بعد مضيه إلى الطور { وأنتم ظالمون }
ياشرككم { ثم عفونا عنكم } حين تبتم { من بعد ذلك } من بعد ارتكابكم الأمر
العظيم (١) وهو اتخاذكم العجل { لعلكم تشكرون } إرادة أن تشكروا النعمة في العفو
عنكم.
{ وإذا قال موسى الكتاب والفرقان ٣نN tG÷ksE %ك%yès9 tbr=-٣نN }
(53) وإذا قال موسى لقومه دQqs"tf إنكم ظلمتم أنفسكم باتخاذكم العجل (ûqç/qçGsù# إلى ٣نN ح
ح't\$/
(ûqè=çF%\$\$\$sù# أنفسكم ٣نN ٩د٣ sCE"ضرچ yz لكم عند ٣نN ح ح't\$/
فتاب عليكم إنه هو التواب
الرحيم (٥٤) {
}

(١) قوله: (من بعد ارتكابكم الأمر العظيم) دليل على عظم الأمر الاتيان بذلك ، الذي
هو إشارة إلى البعيد ، والمشار إليه قريب .
(٣٠١/١)

الكتاب والفرقان { يعني الجامع (١) بين كونه كتابا منزلا ، وفرقانا يفرق بين الحق
والباطل: يعني التوراة، كقولك: رأيت الغيث والليث، تريد الرجل الجامع بين الجود
والجراءة. ونحوه قوله تعالى: { ولقد آتينا موسى وهارون الفرقان وضياء وذكرنا }

(الأنبياء: ٤٨) يعني الكتاب الجامع بين كونه فرقانا وضياء وذكرًا: أو التوراة. والبرهان(٢): الفارق بين الكفر والإيمان من العصا واليد وغيرهما من الآيات، أو الشرع الفارق بين الحلال والحرام، وقيل الفرقان: انفراق البحر. وقيل: النصر الذي فرق بينه وبين عدوه، كقوله تعالى: { يوم الفرقان } (الأنفال: ١٤) يريد به يوم بدر. حمل قوله: { فاقتلوا أنفسكم } على الظاهر وهو البخع وقيل: معناه قتل بعضهم بعضًا. وقيل: أمر من لم يعبد العجل أن يقتلوا العبد.

(١) قوله: (يعني الجامع) والواو على هذا هي الواو الداخلة بين الصفات للاعلام

باستقلال كل منهما .

(٢) قوله: (أو التوراة. والبرهان) عطف على قوله : الجامع بين كونه كتابا ، وقوله : أو الشرع الفارق عطف على قوله البرهان ، فعلى هذا العطف إما من باب ، { وملائكته وجبريل وميكال } أو من باب التجريد لاشتمال التوراة على الشرع الفارق بين الحلال والحرام ، فجرد من الكتاب هذه الصفة لكمالها فيه ، ثم عطف عليه ، والبخع : هو أن يبلغ ذبح الشاة القفا ، والمراد به هنا قتل كل واحد نفسه .

(٣٠٢/١)

وروى أن الرجل كان يبصر ولده، ووالده وجاره وقريبه، فلم يمكنهم المضي لأمر الله، فأرسل الله ضبابة وسحابة سوداء لا يتباصرون تحتها، وأمروا أن يحتبوا بأفنية بيوتهم، ويأخذ الذين لم يعبدوا العجل سيوفهم، وقيل لهم: اصبروا، فلعن الله من مد طرفه أو حل حبوته أو اتقى بيد أو رجل، فيقولون: آمين فقتلوهم إلى المساء حتى دعا موسى وهارون وقالوا: يا رب، هلكت بنو إسرائيل، البقية البقية(١)، فكشفت السحابة ونزلت التوبة. فسقطت الشفار من أيديهم، وكانت القتلى سبعين ألفا. فإن قلت: ما الفرق بين الفآت؟ قلت: الأولى للتسبيب لا غير، لأن الظلم سبب التوبة. والثانية للتعقيب(٢)

(١) قوله: (البقية البقية) منصوب بفعل مضمر ، أي : أدرك البقية ، أو أسلم البقية

(٢) قوله: (والثانية للتعقيب) [٧٤١] اعلم أن حمل الفاء على التعقيب يحتمل وجهين : أحدهما بكون قتل أنفسهم عن التوبة فحينئذ يحتاج إلى تقدير فاعزموا على التوبة فاقتلوا لئلا يلزم عطف الشيء على نفسه ، وإليه أشار بقوله من قبل أن الله جعل توبتهم قتل أنفسهم .

وثانيها : أن يكون قتل أنفسهم تنمة للتوبة ، فتكون التوبة عبارة عن القول المتعارف مع الندم والقتل ، فيصح العطف بدون التقدير .
(٣٠٣/١)

لأن المعنى فاعزموا على التوبة فاقتلوا أنفسكم، من قبل أن الله تعالى جعل توبتهم قتل أنفسهم. ويجوز أن يكون القتل تمام توبتهم. فيكون المعنى: فتوبوا، فأتبعوا

التوبة القتل تنمة لتوبتكم، والثالثة متعلقة بمحذوف، ولا يخلو إما أن ينتظم في قول موسى لهم فتتعلق بشرط محذوف، كأنه قال: فإن فعلتم فقد تاب عليكم. وإما أن يكون خطابا من الله تعالى لهم على طريقة الالتفات. فيكون التقدير: ففعلتم ما أمركم به موسى(١) فتاب عليكم بارؤكم. فإن قلت: من أين اختص هذا الموضع بذكر الباري؟ قلت: الباري هو الذي خلق الخلق برينا من التفاوت(٢) {

(١) قوله: (ففعلتم ما أمركم به موسى) والذي أمرهم به موسى هو قوله : { فتوبوا إلى بارئكم فاقتلوا } أي : قال لكم موسى : توبوا إلى بارئكم فبتم فبنا عليكم بالفاء إذن فصيحة ، ولفظ بارئكم في الكشف ، في قوله : (فتاب عليكم بارئكم { مقصود بالذكر وإن لم يكن في التنزيل ، وفائدتها بيان موقع النكتة في الالتفات ، وهي كزبد الاعتناء بلفظ الباري الدال على المعنى الذي تضمنه جوابه عن السؤال الآتي ، كأنه يشير به إلى أن الضمير في { فتاب { يعود إلى الباري ، فيكون لفظ الباري مقصودا بخلافه إذا قيل : قتلنا ؛ لانه لا دلالة عليه ، والمقام يقتضي مزيد التوبيخ والتقريع لا التعظيم ، ومن ثم كرر لفظ الباري ، ولا كذلك في الشرط ؛ لأنه على ظاهره يقتضي العود إلى الباري ، ولهذا لم يصرح بالباري في التقدير .

(٢) قوله: (الباري هو الذي خلق الخلق برينا من التفاوت) ومتميزا بعضه من بعض ، والتفاوت : عدم التناسب ، فكان بعضه يفوت بعضا ، ولا يلائمه ، والتميز لمفارقة ، فاليد متميزة عن الرجل ، لكنها ملائمة لها من حيث الصغر والكبر والغلط ، والدقة ، والتنافر : عطف على التفاوت على سبيل البيان ، و(حتى عرضوا) غاية لقوله : من ترك عبادة العالم ، وغمط النعمة احتقارها ، وعدم شكرها ..
(٣٠٤/١)

ما نرى في خلق الرحمان من تفاوت { (الملك: ٣) ومتميزا بعضه من بعض بالأشكال المختلفة والصور المتباينة، فكان فيه تقريع بما كان منهم من ترك عبادة العالم

الحكيم الذي برأهم بلطف حكمته على الأشكال المختلفة أبرياء من التفاوت والتنافر، إلى عباد البقرة التي هي مثل في الغباوة والبلادة. - في أمثال العرب: أبلد من ثور - حتى عرضوا أنفسهم لسخط الله ونزول أمره بأن يفك ما ركبه من خلقهم، وينثر ما نظم من صورهم وأشكالهم، حين لم يشكروا النعمة في ذلك، وغمطوها بعبادة من لا يقدر على شيء منها.

{ وإذ قلت يا موسى لن تؤمن لك ٤س Lxm® u" tRچ الله Zou چôgy _ فأخذتكم الصاعقة وأنتم

تنظرون (٥٥) ثم ٣نN "٣Y÷Vyèt / من بعد موتكم لعلكم تشكرون (٥٦)

urكsYù=-s\$ عليكم

الغمام ur&Rr"uZ9u\$ عليكم المن والسلوى كلوا من طيبات ما ٣نN "٣Y%y-u' وما ظلمونا

ولكن (ûqçR%#x#. أنفسهم ٥7=دJكtbq (àtf {

(٣٠٥/١)

قيل: القائلون السبعون الذين صعقوا(١). وقيل: قاله عشرة آلاف منهم { جهرة { عيانا. وهي مصدر من قولك: جهر بالقراءة وبالدعاء، كأن الذي يرى بالعين جاهر بالرؤية(٢)، والذي يرى بالقلب مخافت بها، وانتصابها على المصدر، لأنها نوع من الرؤية فنصبت بفعلها كما تنصب القرفصاء بفعل الجلوس، أو على الحال بمعنى ذوي جهرة. وقرئ "جهرة" بفتح الهاء، وهي إما مصدر كالغلبة. وأما جمع جاهر. وفي هذا الكلام دليل(٣)

(١) قوله: (السبعون الذين صعقوا) قيل: إن الله تعالى أمر موسى عليه السلام أن يأتيه في ناس من بني إسرائيل يعتذرون إليه من عبادة العجل، فاختر سبعين فقال لهم: صوموا وتطهروا، فطهروا ثيابكم ففعلوا، فخرج بهم إلى طور سيناء، لميقات ربه، فقالوا: اطلب لنا سماع كلام ربنا، فلما دنا موسى إلى الطور وقع عليه عمود الغمام فضرب دونه الحجاب، وسمعوا تكليم موسى بأمره ونهيهِ، فلما انكشف الغمام قالوا: { لن تؤمن لك حتى نرى الله جهرة فأخذتهم الصاعقة { فلما هلكوا جعل موسى يبكي ويقول:

ماذا أقول لبني إسرائيل فقد أهلكتم خيارهم فلم يزل يناشد ربه حتى أحياهم.

)

(٢) قوله: (كأن الذي يرى بالعين جاهر بالرؤية) يعني استعمال جهرة هاهنا استعارة ، أي : استعير الجهرة للرؤية ، وفائدتها كمال الرؤية .

(٣) قوله: (وفي هذا الكلام دليل) أي : في قولهم : { لن نؤمن لك حتى نرى الله جهرة } لأن لن في النفي بمنزلة أن في الاثبات في كونهما يقعان في صدر الجملة الانكارية أنك تقول لصاحبك : لا أقيم فإن أنكر عليك قلت : لن أقيم ..

(٣٠٦/١)

على أن موسى عليه الصلاة والسلام رادهم القول وعرفهم أن رؤية ما لا يجوز عليه أن يكون في جهة محال وأن من استجاز على الله الرؤية فقد جعله من جملة الأجسام أو الأعراض، فرادوه بعد بيان الحجة ووضوح البرهان، ولجوا فكانوا في الكفر كعبدة العجل، فسلط الله عليهم الصعقة كما سلط على أولئك القتل تسوية بين الكافرين ودلالة على عظمهما بعظم المحنة. و { الصاعقة } ما صعقهم، أي أماتهم. قيل: نار وقعت من السماء فأحرقتهم. وقيل: صيحة جاءت من السماء. وقيل: أرسل الله جنودا سمعوا بحسها فحروا صعقين ميتين يوما وليلة. وموسى عليه السلام، لم تكن صعقته موتا (١) ولكن غشية، بدليل قوله: { فلما أفاق } . والظاهر أنه أصابهم ما ينظرون إليه لقوله: { وأنتم تنظرون } . وقرأ علي رضي الله عنه { فأخذتكم الصاعقة } . { لعلكم تشكرون } نعمة البعث بعد الموت، أو نعمة الله بعدما كفرتموها إذا رأيتم بأس الله في رميكم بالصاعقة وإذاقتكم الموت. { وظللنا } وجعلنا الغمام يظلكم. وذلك في التيه، سخر الله لهم السحاب يسير بسيهرهم يظلمهم من الشمس؛ وينزل بالليل عمود من نار يسيرون في ضوئه، وثيابهم لا تتسخ ولا تبلى، وينزل عليهم { المن } وهو الترنجيبين مثل الثلج (٢).

(١) قوله: (لم تكن صعقته موتا) ولكن غشية (قيل : هذا يوهم أن صعقته كانت في هذه المرة ، وليس كذلك ، بل صعقته وإفاقته في المرة الأولى ، وسيأتي تحقيق هذا في سورة الأعراف .

)

(٢) قوله: (مثل الثلج) بالنصب ، يحتمل أن تكون صفة مصدر محذوف ، أي : نزل نزولا مثل الثلج ، وأن يكون حالا من المن ، أي : لا ينزل عليهم للرحمة بل كونه مثل الثلج .

من طلوع الفجر إلى طلوع الشمس، لكل إنسان صاع، ويبعث الله الجنوب فتحشر عليهم { السلوى { وهي السمانى فيذبح الرجل منها ما يكفيه { كلوا { عن إرادة القول { وما ظلمونا { يعني فظلموا بأن كفروا (١) هذه النعم وما ظلمونا، فاختصر الكلام بحذفه لدلالة { وما ظلمونا { عليه.

{ وإذ #qè\$ %#n\$zô=sYù=è%#yd القرية فكلوا منها ك]xm شتم رгда ur#n\$zô=qè# الباب سجدا وقولوا حطة نغفر لكم خطاياكم وسنزيد المحسنين (٥٨) فبدل

الذين ظلموا قولا غير الذي قيل لهم Rr'sù"uZ9u\$ على الذين ظلموا رجزا من السماء بما

{ كانوا يفسقون (٥٩) }

(١) قوله: (يعني فظلموا بأن كفروا) يريد أن الواو في وما ظلموا يستدعي معطوفا عليه ، وهو مترتب على ما قبله ، كقوله تعالى : { وقالوا الحمد لله { بعد قوله : { ولقد آتينا داود وسليمان علما { والفاء في { فظلموا { مجاز لغيره على أسلوب فذلك أنعمت عليه فكفر ، وإنما قال : { فظلموا { بأن كفروا هذه النعمة ، ولم يقل بأن لم بمثلوا الأمر ، لأنهم امتثلوا الأمر ، ولكن ما عملوا بمقتضاه ، وهو الشكر . (٣٠٨/١)

القرية { بيت المقدس. وقيل: أريحاء (١) من قرى الشام، أمروا بدخولها بعد التيه { الباب { باب القرية. وقيل: هو باب القبة التي كانوا يصلون إليها وهم لم يدخلوا بيت المقدس في حياة موسى عليه الصلاة والسلام. أمروا بالسجود عند الانتهاء إلى الباب شكرا لله وتواضعا. وقيل: "السجود" أن ينحنوا ويتطامنوا داخلين، ليكون دخولهم بخشوع وإخبات. وقيل: طوطىء لهم الباب ليخفضوا رؤوسهم فلم يخفضوها، ودخلوا متزحفين على أوراكنهم { حطة { فعلة من الحط كالجلسة والركبة، وهي خبر مبتدأ محذوف، أي مسألنا حطة، وأمرك حطة. والأصل: النصب بمعنى: حط عنا ذنوبنا حطة. وإنما رفعت لتعطي معنى الثبات، كقوله:

صبر جميل فكلانا مبتلى
والأصل صبرا، على: اصبر(٢)

(١) قوله: (أريحاء) النهاية: بفتح الهمزة ، وكسر الراء ، والحاء المهملة ، اسم قرية بالغور ، قرية من بيت المقدس ، ومعنى طوطئ لهم الباب : خفض .
(٢) قوله: (صبر) أوله :

شكا إلي جملي طول السرى***يا جملي ليس إلي المشتكى
صبر جميل فكلانا مبتلى

يقول : شكا إلي جملي طول السرى ، فقلت له : صبر جميل أمثل من غيره ، فإني مبتلى بالتعب والسهر ، كما أنك مبتلى بالسرى ، والتأويب .
قوله : (أو أمرك حطة) أي : شأنك .
قوله : (وقيل : معناه أمرنا حطة) هذا قول أبي مسلم الأصفهاني ، ورد ذلك بأنه لو كان المراد ذلك لم يكن غفران خطاياهم متعلقا به .

قوله : (وقولوا حطة يغفر [٧٤٢] لكم خطاياكم { يدل على أن غفران الخطايا كان لأجل قولهم : حطة ، قيل : ويمكن الجواب عنه بأنهم لما حطوا في تلك القرية حتى يدخلوها سجدا مع المواضع جاز تعلق العذاب به ، وقيل : يشكل هذا الجواب بقوله تعالى : { فبدل الذين ظلموا قولا غير الذي قيل لهم { لأن التبدل فيه مع أن المراد به أن يخط لا معنى له ، قيل : يمكن ان يقال :والأمر بذلك القول كان لمحض التباعد ، وحين لم يعرفوا وجه الحكمة فيه بدلوه بما عن لهم من الرأي ، فعذبوا لذلك .
(٣٠٩/١)

صبرا. وقرأ ابن أبي عتبة بالنصب على الأصل. وقيل معناه: أمرنا حطة، أي أن نحط في هذه القرية ونستقر فيها. فإن قلت: هل يجوز أن تنصب حطة في قراءة من نصبها بقولوا، على معنى: قولوا هذه الكلمة؟ قلت: لا يبعد. والأجود أن تنصب بإضمار فعلها، وينتصب محل ذلك المضممر بقولوا. وقرئ "يغفر لكم" على البناء للمفعول بالياء والتاء { وسنزيد المحسنين { أي من كان محسنا منكم(١) كانت تلك الكلمة سببا في زيادة ثوابه،

ومن كان مسينا كانت له توبة ومغفرة { فبدل الذين ظلموا { أي وضعوا مكان حطة { قولاً غيرها. يعني أنهم أمروا بقول معناه التوبة والاستغفار، فخالقوه إلى قول ليس معناه

معنى ما أمروا به، ولم يمتثلوا أمر الله. وليس الغرض أنهم أمروا بلفظ بعينه وهو لفظ الحطة فجاءوا بلفظ آخر لأنهم لو جاءوا بلفظ آخر مستقل بمعنى ما أمروا به، لم يؤاخذوا به. كما لو قالوا مكان حطة: نستغفرك ونتوب إليك. أو اللهم اعف عنا وما أشبه ذلك. وقيل: قالوا مكان حطة: حنطة. وقيل: قالوا: بالنبطية(٢):

(١) قوله: (أي من كان محسنا منكم كانت تلك الكلمة سببا في زيادة ثوابه ، ومن كان مسيئا كانت له توبة ومغفرة) أخرج المعطوف والمعطوف عليه وهما يغفر وسنزيد مع متعلقهما مخرج الشرط والجزاء إعلاما بأن كلا منهما جواب للأمر ، وهو قولوا ، وإن كان الثاني غير مجزوم ، وأن اللام في المحسنين للعهد ، يدل عليه قوله : من كان محسنا منكم ، وسنزيد ، وإن كان معطوفا على المجزوم فإنما أخرج عن صورة الجواب إلى الوعد إيهاما بأن المحسن بضد ذلك ، وإن لم يفعله فكيف إذا فعله ، وأنه تعالى يفعله لا محالة ؛ لأن القطع بالزيادة مع الوعد أقوى منها مع السبب عن فعلهم .

(٢) قوله: (النبطية) النبط ، والنبيط : جبل معروف كانوا ينزلون بالبطائح بين البصرة والكوفة ، وقيل : النبط زراع العراق .

قوله (في تكرير الذين ظلموا) أي : في ووضوح المظهر موضع المضمرة إشعارا بالغلبة ، وهي أن إنزال الرجز عليهم كان بسبب ظلمهم ، ولذلك علله بقوله : { بظلمهم } . وقوله تعالى { بما كانوا يفسقون } علة لظلمهم لا للإنزال ، فيكون إنزال العذاب مسببا عن الظلم المسبب عن الفسق ، هذا ويحتمل أن يراد بالفسق التمرد في الظلم ، فكأنه قال : بما كانوا يظلمون ، والاشعار بالغلبة على هذا التقدير أظهر ، والسقيا بالضم من قولك : سقى الله عباده الغيث وأسقاهاهم .

(٣١٠/١)

"حطا سميثا" أي حنطة حمراء، استهزاء منهم بما قيل لهم، وعدولا عن طلب ما عند الله إلى طلب ما يشتهون من أغراض الدنيا. وفي تكرير { الذين ظلموا } زيادة في تقييد أمرهم وإيدان بأن إنزال الرجز عليهم لظلمهم. وقد جاء في سورة الأعراف: { فأرسلنا عليهم { (الأعراف: ١٣٣) على الإضمار. والرجز: العذاب. وقرئ: بضم الراء. وروي: أنه مات منهم في ساعة بالطاعون أربعة وعشرون ألفا. وقيل: سبعون ألفا.

{ * وإذ استسقى موسى لقومه sYù=à)sù\$ اضرب بعصاك چyfyغ\$٩#

ôNu چR\$\$\$sù منه اثنتا

عشرة عينا قد t=dzO كل أناس مشربهم كلوا واشربوا من رزق الله ولا تعثوا في الأرض
مفسدين (٦٠) {
(٣١١/١)

عطشوا في التيه، فدعا لهم موسى بالسقيا فقبل له: { اضرب بعصاك الحجر } واللام إما
للعهد والإشارة إلى حجر معلوم. فقد روي: أنه حجر طوري حمله معه، وكان حجرا مربعا له
أربعة أوجه كانت تنبع من كل وجه ثلاث أعين، لكل سبط عين تسيل في جدول إلى السبط
الذي أمر أن يسقيهم، وكانوا ستمائة ألف، وسعة المعسكر اثنا عشر ميلا، وقيل: أهبطه
آدم من الجنة فتوارثوه، حتى وقع إلى شعيب، فدفعه إليه مع العصا. وقيل: هو الحجر
الذي وضع عليه ثوبه حين اغتسل إذ رموه بالأدرة، ففر به، فقال له جبريل: يقول لك
الله تعالى: ارفع هذا الحجر، فإن لي فيه قدرة ولك فيه معجزة، فحمله في مخلاته. وإما
للجنس، أي اضرب الشيء الذي يقال له الحجر. وعن الحسن: لم يأمره أن يضرب حجرا
بعينه

قال: وهذا أظهر في الحجة وأبين في القدرة. وروى أنهم قالوا: كيف بنا لو أفضينا إلى
أرض ليست فيها حجارة، فحمل حجرا في مخلاته فحيثما نزلوا ألقاه. وقيل: كان يضربه
بعصاه فينفجر، ويضربه بها فيبيس. فقالوا: إن فقد موسى عصاه متنا عطشا، فأوحى إليه:
لا تفرع الحجارة، وكلها تطعك، لعلهم يعتبرون. وقيل: كان من رخام وكان ذراعا في
ذراع. وقيل: مثل رأس الإنسان. وقيل: كان من آس الجنة (١) طوله عشرة أذرع على طول
موسى، وله شعبتان تتقدان في الظلمة، وكان يحمل على حمار { فانفجرت } ، الفاء متعلقة
بمحذوف، أي فضرب فانفجرت.

(١) قوله: (وكان من آس الجنة) في نسخة المصنف (أس) بضم الهمزة ، والسين المشدد ،
قيل : هذا تصحيف ، صوابه من آس الجنة بفتح الهمزة مع المدة ؛ لأن المذكور في
التفاسير هذا ، وأما الذي من آس الجنة فهو الحجر ، ويدل عليه قوله ، وكان يحمل على
حمار .

(٣١٢/١)

أو فإن ضربت فقد انفجرت، كما ذكرنا في قوله: { فتاب عليكم } وهي على هذا فاء
فصيحة (١) لا تقع إلا في كلام بليغ. وقرئ "عشرة" بكسر الشين وبفتحها وهما لغتان {

كل أناس { كل سبط { مشربهم { عينهم التي يشربون منها { كلوا { على إرادة القول { من رزق الله { مما رزقكم من الطعام وهو المن والسلوى ومن ماء العيون. وقيل: الماء ينبت منه الزروع والثمار، فهو رزق يؤكل منه ويشرب.

(١) قوله: (وهي على هذا فاء فصيحة) وظاهره يقضي أن الفاء على التقدير الثاني فصيحة ، لأن هذا إشارة إلى القريب ، وفي كلام صاحب المفتاح ما يشعر بأن الفاء الفصيحة هي التي لا تقع في جزاء الشرط ، ولهذا عرفت الفاء الفصيحة بأنها التي تدل على محذوف غير شرط هو سبب لما بعد الفاء ، فإذا الجواب جملة على الوجه الأول ، ويدل عليه قوله بعد هذا : لا يقع إلا في كلام بليغ ؛ لأن فاء الجزاء يكثر وقوعها في الكلام العامي ، ولا يبعد أن يقال : المراد من قوله على هذا يمتنع إجمالها لهذين المعنيين ، ووجه تسميتها بالفصيحة كونها مختصة لكلام الفصحاء ، وعن المصنف رحمه الله الفاء في { فتاب { فصيحة يستدل بها على فصاحة المتكلم ، يقال : كلام فصيح وكلمة فصيحة ، وصفت

الفاء بها على الاسناد المجازي كما وصف القرآن في قوله تعالى : { ذلك نتلوهُ عليك من الآيات والذكر الحكيم { بصفة من هو بسببه ، وإنما اختصت بكلام البلغاء ؛ لأن المراد

من الحذف الدلالة على أن المأمور لم يتوقف عن اتباع الأمر ، فكان المطلوب من المأمور الانفجار لا الضرب ، ومثل هذا المعنى الدقيق لا يذهب إليه إلا البليغ .

(٣١٣/١)

والعني: أشد الفساد(١)، فقليل لهم: لا تتمادوا في الفساد في حال فسادكم لأنهم كانوا متمادين فيه.

{ }

(١) قوله: (والعني أشد الفساد فقليل لهم : لا تتمادوا) الفاء تتعلق بمحذوف ، المعنى : العني أشد الفساد ، ولما أريد أن ينهى القوم عنه ، وكذا الفعل المنهي عنه بالحال بالحال ، فقليل لهم : لا تتمادوا في الفساد حال فسادكم ؛ لأن القوم كانوا متمادين فيه ، فإن قلت : التقييد بالحال يوهم أن المنهي عنه أشد الفساد لا الفساد مطلقا ؟ . قلت : يختلف المعنى باختلاف المقام ، فالقوم لما كانوا على التماادي في الفساد نهوا عما كانوا عليه ، فالحال إذا مؤكدة ، ومن ثم قال : في حال فسادكم ، أي : الفساد

الذي خص بكم وهو التماذي فيه ، نعم لو نهى بهذا من لم يكن متماديا يلزم أن لا يكون نفس الفساد منهيا عنه ، والحال حينئذ منتقلة ، وإليه ذهب القاضي حيث قال : إنما قيده لأنه وإن غلب في الفساد فقد يكون منه ما ليس بفساد ، كمقابلة الظالم المعتدي بفعله ، ومنه ما يتضمن صلاحا راجحا ، كقتل الخضر الغلام ، وحرقة السفينة ، وعليه قوله تعالى : { فاعتدوا عليه بمثل ما اعتدي عليكم } لكن المقام ناب عنه .

قال أبو البقاء : { مفسدين } حال مؤكدة ، لأن قوله : { لا تعثوا } في معنى لا تفسدوا ، هذا وفي كون { مفسدين } حالا نظر ؛ لأن الحال قد يدل على ما لم يدل عليه الكلام السابق ، والتمادي في الفساد يدل على الفساد وزيادة ، فلا دلالة للحال هنا على شيء لم يدل عليه الكلام السابق ، فإما أن يكون التقدير لا تتمادوا في الفساد حال علمكم بأنكم مفسدين ، وإنما قيد بذلك لأن التماذي حال العلم أقبح ، وإما أن يقال : ما ذكر مخصوص بالحال المنتقلة لا المؤكدة ، ومعنى فنزعوا إلى عكرهم :

اشتاقوا إلى أصلهم ، أو عادتهم ، ومعنى (فأجموا) كرهوا ، والفلاحة : الزراعة ، ومعنى ضربنا : اعتدنا .

(٣١٤/١)

وإذ قلتم يا موسى لن نصبر على طعام n`ur%٧ ني ðt\$ \$sYs9\$ حنف† لنا مما تنبت

الأرض من t/ \$yg(=dyg\$ ح t/ \$!dV%ur وفومها وعدسها \$dyg|=t/ur قال أتستبدلون الذي هو

ء'òTòT&r بالذي هو يزچyz ابطوا #XچءB فإن لكم ما سألتهم وضربت عليهم الذلة

والمسكنة وباءوا بغضب من الله 7dy٩CE بأنهم كانوا يكفرون بآيات الله ويقتلون النبيين بغير الحق 7dy٩CE بما عصوا وكانوا يعتدون (٦١) {

(٣١٥/١)

كانوا فلاحه فنزعوا إلى عكرهم فأجموا ما كانوا فيه من النعمة وطلبت أنفسهم الشقاء { على طعام واحد { أرادوا ما رزقوا في التيه من المن والسلوى. فإن قلت: هما طعامان فما لهم قالوا على طعام واحد؟ قلت: أرادوا بالواحد ما لا يختلف ولا يتبدل، ولو كان على مائدة الرجل ألوان عدة يداوم عليها كل يوم لا يبدلها، قيل: لا يأكل فلان إلا

طعاما واحدا يراد بالوحدة نفي التبدل والاختلاف. ويجوز أن يريدوا أنهما ضرب واحد، لأنهما معا من طعام أهل التلذذ والتترف، ونحن قوم فلاحة أهل زراعات، فما نريد إلا ما ألفتاه وضربنا به من الأشياء المتفاوتة كالحبوب والبقول ونحو ذلك. ومعنى { يخرج لنا } يظهر لنا ويوجد والبقول ما أنبتته الأرض من الخضر. والمراد به أطيب البقول التي يأكلها الناس كالنعناع والكرفس والكراث وأشباهاها. وقرئ "وقثائها" بالضم. والفوم: الحنطة. ومنه فوموا لنا، أي: اخبزوا. وقيل: الثوم. ويدل عليه قراءة ابن مسعود: "وثومها" وهو للعدس والبصل أوفق { الذي هو أدنى } الذي هو أقرب منزلة وأدون مقدارا. والدنو والقرب يعبر بهما عن قلة المقدار فيقال: هو داني المحل وقريب المنزلة، كما يعبر بالبعد عن عكس ذلك فيقال: هو بعيد المحل وبعيد الهمة يريدون الرفعة والعلو. وقرأ و: (١) أدنأ بالهمزة من الدناءة { اهبطوا مصرا } وقرئ "اهبطوا" بالضم: أي انحدروا إليه من التيه. يقال: هبط الوادي إذا نزل به، وهبط منه، إذا خرج. وبلاد التيه: ما بين بيت المقدس إلى قنسرين، وهي اثنا عشر فرسخا في ثمانية فراسخ. ويحتمل أن يريد العلم وإنما صرفه مع اجتماع السببين فيه وهما التعريف والتأنيث، لسكون وسطه كقوله: { ونوحا ولوطا } .

(١) قوله: (زهير الفرقبي) الفرقية والترقية : ثياب مصرية ببعض من كتان ، وروي ثقافي منسوب إلى قين بحذف الواو كسابري في سابوري ، هكذا في بعض الحواشي . (٣١٦/١)

وفيهما العجمة والتعريف، وإن أريد به البلد فما فيه إلا سبب واحد، وأن يريد مصرا من الأمصار وفي مصحف عبد الله وقرأ به الأعمش: "اهبطوا مصر" . بغير تنوين . كقوله: { ادخلوا مصر } . وقيل: هو مصريهم فعرب { وضربت عليهم الذلة } جعلت الذلة محيطة بهم مشتملة عليهم، فهم فيها (١) كما يكون في القبة من ضربت عليه. أو ألصقت (٢)

(١) قوله: (فهم فيها) مبتدأ وخبر ، والكاف في كما صفة مصدر محذوف ، وما مصدرية ، أي : هم مستقرون فيها استقرار من ضربت عليه القبة في القبة .
(٢) قوله: (أو ألصقت) عطف على جعلت ، أي : الاستعارة إما أن تكون في الذلة فإن شبهت بالقبة المضروبة على الشيء شاملة له من كل جانب ، ثم بولغ في التشبيه فحذف المشبه به ، وأقيم المشبه مقامه ، فأثبت له الضرب على طريق التخيلية ، فتكون استعارة

مكنية ، وإما أن تكون في الفعل ، وهو ضربت فاستعير لمعنى ألصقت على سنن التبعية ، فتكون مصرحة ، فإذا لا يكون ترتب في الآية على أسلوب قوله : إن السماحة والمرؤة والندى*** في قبة ضربت على ابن الحشرج

كما ظن ؛ لأنه كناية ، وهذا استعارة ، والمدقعة : الفقر ، كأن الفقر لشدة فقره يلتصق بالدقعاء ، وهي التراب .

(٣١٧/١)

بهم حتى لزمته ضرباً لازماً ، كما يضرب الطين على الحائط فيلزمه ، فاليهود صاغرون أذلاء

أهل مسكنة ومدقعة، إما على الحقيقة وإما لتصاغرهم وتفاقرهم، خيفة أن تضاعف عليهم الجزية { وباءوا بغضب من الله } من قولك: باء فلان بفلان، إذا كان حقيقاً بأن يقتل به، لمساواته له ومكافأته، أي صاروا أحقاء بغضبه { ذلك } إشارة إلى ما تقدم من ضرب الذلة والمسكنة والخلافة بالغضب، أي ذلك بسبب كفرهم وقتلهم الأنبياء وقد قتلت اليهود . لعنوا . شعياً وزكرياً ويحيى وغيرهم، فإن قلت: قتل الأنبياء لا يكون إلا بغير الحق فما فائدة ذكره؟ قلت: معناه أنهم قتلوهم بغير الحق عندهم لأنهم لم يقتلوا ولا أفسدوا في الأرض فيقتلوا. وإنما نصحوهم ودعوهم إلى ما ينفعهم فقتلواهم، فلو سئلوا وأنصفوا من أنفسهم لم يذكروا وجهها يستحقون به القتل عندهم. وقرأ علي رضي الله عنه "ويقتلون" بالتشديد { ذلك } تكرار للإشارة (١)

(١) قوله: ({ ذلك } تكرار للإشارة) إلى آخره . ذكر في ذلك ثلاثة أوجه أحدها : أنه تكرار للأول الذي أشير به إلى ضرب الذلة والمسكنة ، فيكون المعنى على هذا أن ضرب الذلة والمسكنة عليهم بسبب عصيانهم مع كفرهم ، وقتلهم الأنبياء ، وإنما قال : مع إلى آخره .. لأنه قد ذكر قبل أن الضرب بسبب الكفر والقتل فإذا قال بعد : إنه بسبب ال عصيان يلزم ان يكون المراد بسبب العصيان مع ما تقدم لئلا ينافي آخر الكلام أوله وثانيها : أن ذلك إشارة إلى الكفر والقتل ، أي ذلك الكفر والقتل بسبب العصيان ؛ لأن العصيان سبب قسوة القلب ، التي هي سبب الكفر والقتل ، وعلى هذا لا يصح تقدير مع ؛ لأن العصيان لا يكون سبباً للكفر والتقل معهما ، وهو ظاهر .

وثالثها : أن ذلك إشارة إلى الكفر والقتل كما في الثاني ، ولكن الفاء ليست للسببية

، بل هي بمعنى مع ، والتقدير : ذلك الكفر والقتل مع العصيان هو سبب ضرب الذلة ،
والمسكنة عليهم ، على هذا الوجه في الكلام اختصار .
(٣١٨/١)

بما عصوا { بسبب ارتكابهم أنواع المعاصي واعتدائهم حدود الله في كل شيء ، مع كفرهم

بآيات الله وقتلهم الأنبياء . وقيل : هو اعتداؤهم في السبت . ويجوز أن يشار بذلك إلى
الكفر وقتل الأنبياء على معنى أن ذلك بسبب عصيانهم واعتدائهم ؛ لأنهم انهمكوا فيهما
وغلوا حتى قست قلوبهم فجسروا على جحود الآيات وقتل الأنبياء ، أو ذلك الكفر والقتل
مع ما عصوا .

{ إن الذين آمنوا والذين هادوا "u" ٣ "چ" | "Z9\$#ur" والصابئين من آمن بالله واليوم
حج ½ "\$zFy" وعمل "\$=ds" | ١ فلهم أجرهم عند ربهم ولا n=tzkî\$ qyz N و
هم "†ts"cqçRu

(٦٢) { إن الذين آمنوا بألستهم من غير مواطاة القلوب وهم المنافقون { والذين هادوا
{ والذين تهودوا . يقال : هاد يهود . وتهود إذا دخل في اليهودية ، وهو هائد ، والجمع
هود . { والنصارى { وهو جمع نصران . يقال : رجل نصران ، وامرأة نصرانة ، قال : نصرانة (١)
لم تحنف .

والياء في نصراني للمبالغة كالتي في أحمرى . سمو لأنهم نصررو المسيح . { والصابئين {
وهو من صبأ : إذا خرج من الدين وهم قوم عدلوا عن دين اليهودية والنصرانية وعبدوا
الملائكة { من آمن { من هؤلاء الكفرة إيماناً خالصاً ودخل في ملة الإسلام دخولاً أصيلاً
{ وعمل صالحاً فلهم أجرهم { الذي يستوجبونه بإيمانهم وعملهم . فإن قلت : ما محل من
آمن ؟ قلت : الرفع إن جعلته مبتدأ خبره "فلهم أجرهم" والنصب إن جعلته بدلاً من اسم إن
والمعطوف عليه . فخير إن في الوجه الأول الجملة كما هي وفي الثاني فلهم أجرهم .
والفاء لتضمن { من { معنى الشرط .
}

(١) قوله : (نصرانة { أوله :

وكلتاها خرت وأسجد رأسها*** كما سجدت نصرانة لم تحنف
يصف أتاناً صادها ، ثم صاد على عقبها أخرى فخر كلباهما فأسجد رأسها ، معنى أسجد :
طأطأ ، وانحنى ، وسجد وضع جبهته على الأرض ، ومعنى لم تحنف : لم تسلم .

وإذ أخذنا ميثاقكم ورفعنا فوقكم الطور خذوا ما $sY \div s? \# u " \text{ن} 3 \text{ن} N$ بقوة واذكروا ما فيه
 $yès9 = \text{ن} 3 \text{ن} N$ تتقون (٦٣) ثم توليتم من بعد $sCE \text{ن} 9 y7$ فلولا فضل الله عليكم ورحمته
لكنتم

من $tûi \text{خزأ} " 64 (sfù : \$ \#$ ولقد علمتم الذين اعتدوا منكم في السبت $sYù = à) sù \$$
لهم كونوا

$u \text{ثو} \text{چد} \%$ خاسئين (٦٥) فجعلناها نكالا لما بين يديها وما خلفها وموعظة للمتقين
(٦٦)

{

}

وإذ أخذنا ميثاقكم { بالعمل على ما في التوراة { ورفعنا فوقكم الطور { حتى قبلتم
وأعطيتهم الميثاق. وذلك أن موسى عليه السلام جاءهم بالألواح فرأوا ما فيها من الآصار
والتكاليف الشاقة، فكبرت عليهم وأبوا قبولها، فأمر جبريل فقلع الطور من أصله، ورفع
وظلله فوقهم وقال لهم موسى: إن قبلتم وإلا ألقي عليكم، حتى قبلوا (١). { خذوا { على
إرادة القول { ما آتيناكم { من الكتاب { بقوة { بجد وعزيمة { واذكروا ما فيه {
واحفظوا ما في الكتاب وادرسوه ولا تنسوه ولا تغفلوا عنه { لعلكم تتقون { رجاء منكم
أن تكونوا متقين، أو قلنا خذوا واذكروا إرادة أن تتقوا. { ثم توليتم { ثم أعرضتم عن
الميثاق والوفاء به { فلولا فضل الله عليكم { بتوفيقكم للتوبة لحسرتكم. وقرئ: "خذوا
ما آتيتكم، وتذكروا" و "واذكروا" و { السبت { مصدر سبت اليهود إذا عظمت يوم السبت.
وإن ناسا منهم اعتدوا فيه أي جاوزوا ما حد لهم فيه من التجرد للعبادة وتعظيمه
واشتغلوا بالصيد. وذلك أن الله ابتلاهم فما كان يبقى حوت (٢) في البحر إلا أخرج
خرطومه يوم السبت، فإذا مضى تفرقت. كما قال: { تأتيتهم حيتانهم يوم سبتهم شرعا ويوم
لا يستون لا تأتيتهم كذلك نبلوهم { (الأعراف: ١٦٣) فحفروا حياضا عند البحر وشرعوا
إليها الجداول، فكانت الحيتان تدخلها فيصطادونها يوم الأحد.

(١) قوله: (وقال لهم موسى: إن قبلتم وإلا ألقي عليكم، حتى قبلوا) فيه نظر؛ لأن شرط

التكليف عدم الالقاء ، وإذا أمروا بالقبول وقيل لهم [٧٤٤] : اقبلوا ، وإلا ألقى عليكم الطور بعد رفعه فوقهم ، فيضطرون حينئذ إلى القبول ، وينتفي اختيارهم فلا يبقوا مكلفين بالقبول .

)

(٢) قوله: (فما كان يبقى حوت) قيل : كان هنا زائدة ، ويحتمل انها التي يضمم بعدها ضمير البيان والقصة ، ومعنى { شرعا } ظاهرة ، وقيل : رافعة رؤوسها .
(٣٢١/١)

فذلك الحبس في الحياض هو اعتداؤهم: { قردة خاسئين { خبران(١) أي كونوا جامعين بين القردية والخسوء، وهو الصغار والطرود { فجعلناها { يعني المسخة { نكالا { عبرة تنكل من اعتبر بها أي تمنعه. ومنه النكل: القيد { لما بين يديها { لما قبلها { وما خلفها { وما بعدها من الأمم والقرون لأن مسختهم ذكرت في كتب الأولين فاعتبروا بها، واعتبر بها من بلغتهم من الآخرين: أو أريد بما بين يديها: ما بحضرتها من القرى والأمم. وقيل نكالا: عقوبة منكلة لما بين يديها لأجل ما تقدمها من ذنوبهم وما تأخر منها { وموعظة للمتقين { للذين نهوهم عن الاعتداء من صالحى قومهم، أو لكل متق سمعها. }

(١) قوله: ({ قردة خاسئين { خبران) خاسئين خبر بعد خبر ، إذ لو كان صفة لقردة لقيل : خاسئة ، وقيل : يحتمل كونه حالا من اسم كان على بعد .
(٣٢٢/١)

وإذ قال موسى لقومه إن الله Dû'tf قگك أن تذبحوا Zou چ s)t/ #ûqن%s\$٩% أتخذنا
هزوا قال أعوذ بالله أن أكون من رُ d=ü"خg (67 pgù:\$# قالوا ني ٥ث\$# لنا ربك يبين لنا
ما هي قال إنه يقول (pk®X\$ خ) s)tou× / لا فارض ولا بكر عوان بين ٩dy7 sCE
فافعلوا ما
تؤمرون (٦٨) قالوا ني ٥ث\$# sYs9\$ ربك يبين sY©9\$ ما لونها قال إنه يقول
(pk®X\$ خ)

ليراثوه، وطرحوه على باب مدينة ثم جاءوا يطالبون بديته، فأمرهم الله أن يذبحوا بقرة
ويضربوه ببعضها ليحيا فيخبرهم بقاتله { قالوا أتتخذنا هزواً } أتجعلنا مكان هزو(١)،
أو أهل هزو، أو مهزوا بنا، أو الهزو نفسه لفرط الاستهزاء { من الجاهلين } لأن الهزو
في مثل هذا من باب الجهل والسفه(٢). وقرى "هزواً" بضمتيْن. و "هزءاً" بسكون الزاي، نحو
كفؤا وكفؤا. وقرأ حفص: "هزوا" بالضميتين والواو وكذلك "كفوا". والعياذ واللياذ من
واد واحد.

في قراءة عبد الله: "سل لنا ربك ما هي"؟ سؤال عن حالها وصفتها. وذلك أنهم تعجبوا من
بقرة ميتة يضرب ببعضها ميت فيحيا، فسألوا عن صفة تلك البقرة العجيبة الشأن الخارجة
عما عليه البقر. والفارض: المسنة، وقد فرضت فروضا فهي فارض. قال خفاف بن ندبة(٣):

لعمري لقد أعطيت ضيفك فارضا***تساق إليه ما تقوم على رجل

(١) قوله: (أتجعلنا مكان هزو) إلى آخره .. إنما احتاج إلى تأويله بما ذكر لليتخذ
المفعول الثاني والأول ليتخذ ؛ لأنها في الأصل مبتدأ وخبر ، والهزء مصدر فإما أن
يكون لمضاف محذوف ، وهو المكان والأهل ، وإما أن يكون الهزوء بمعنى المهزوء به
كالصيد بمعنى المصيد لشبهه للمفعول به بالمصدر ، أو تجعل الذات نفس الهزء ، مبالغة
كرجل عدل .

(٢) قوله: (لأن الهزو في مثل هذا من باب الجهل والسفه) أي : في مثل هذا المقام ،
وهو مقام الارشاد وتبيين الأحكام ، وفيه إشارة إلى أن الهزوء في غيره من المقامات
قد لا يعد جهلا وسفها ، كما في قوله تعالى : { فبشرهم بعذاب أليم }
(٣) قوله: (خفاف بن ندبة) وندبة اسم أمه :

لعمري لقد أعطيت ضيفك فارضا***تساق إليه ما تقوم على رجل
هذا يهجو المضيف يقول : لعمري لقد أعطيته بقرة مسنة لا تقدر على المشي والقيام على
رجل لهزالها .
(٣٢٥/١)

وكأنها سميت فارضا لأنها فرضت سنها أي قطعتها وبلغت آخرها. والبكر: الفتية. والعوان
النصف. قال(١):

نواعم بين أبكار وعون

وقد عونت. فإن قلت: { بين } يقتضي شيئين فصاعدا فمن أين جاز دخوله على { ذلك } ؟

قلت:

لأنه في معنى شيئين حيث وقع مشارا به إلى ما ذكر من الفارض والبكر. فإن قلت: كيف جاز أن يشار به إلى مؤنثين، وإنما هو للإشارة إلى واحد مذكر؟ قلت: جاز ذلك على تأويل ما ذكر وما تقدم، للاختصار في الكلام، كما جعلوا (فعل) نائبا عن أفعال جمّة تذكر قبله: تقول للرجل: نعم ما فعلت، وقد ذكر لك أفعالا كثيرة وقصة طويلة، كما تقول له: ما أحسن ذلك. وقد يجري الضمير مجرى اسم الإشارة في هذا. قال أبو عبيدة: قلت: لرؤية في قوله:

فيها خطوط من سواد وبلق*** كأنه في الجلد توليع البهق (٢)

(١) قوله: (قال) أي: الطرماح: وقبله:

ضعائن كنت أعهدهن قدما*** وهن لدى الأمانة غير جون

حسان مواضع الثقب الاعالي*** غراث الوضح صامة البرين

طوال مثل أعناق الهوادي*** نواعم بين أبكار وعون

طوال مثل أعناق: أي: طوال الأعناق. غراث الوشح: كناية عن دقة خصورهن، كما أن

صامته البرين كناية عن غلظ سوقهن، والبرين: الخللخال، وصفهن بأنه أكبر من

الأبكار، وأصغر من العون، وذلك أحسن أحوالهن ذوقا ومعاملة، قوله: ومعنى عونت:

صارت عوانا، وفائدة قوله {عوان بين ذلك} بعد قوله {لا فارض ولا بكر} نفي أن

يكون عجلا أو جنينا.

(٢) قوله: (فيها خطوط) قبله:

فود ثمان مثل أمراس الأبق***

أي: أفراس طوال الظهر، والأعناق مثل جمال القنب، و

فيها خطوط من سواد وبلق*** كأنه في الجلد توليع البهق

التوليع: اختلاف الألوان، والبهق: بياض وسواد يظهر في الجلد.

(٣٢٦/١)

إن أردت الخطوط فقل: كأنها. وإن أردت السواد والبلق فقل: كأنهما. فقال: أردت كأن

ذاك ويلك(١)! والذي حسن منه أن أسماء الإشارة تنثيتها وجمعها وتأنيثها ليست على

الحقيقة وكذلك الموصولات. ولذلك جاء الذي بمعنى الجمع {ما تؤمرون} أي ما تؤمرونه

بمعنى تؤمرون به من قوله: أمرتك(٢) أو أمركم بمعنى مأموركم تسمية للمفعول به

بالمصدر، كضرب الأمير.

(١) قوله: (ويلك) أي: هذا سهل لا يسأل عنه.

(٢) قوله: (من أمرتك الخير)

أمرتك الخير فافعل ما أمرت به*** فقد تركتك ذا مال وذا نشب

البيت للعباس بن مرداس، وقيل: لخفاف ابن ندبة، أي: أمرتك الخير بدليل فافعل ما

أمرت به، ولأن الأمر لا يتسعمل إلا بالباء، فقد تركتك ذا مال، أي: ذا إبل، وذا

نشب، والنشب: هو المال الأصيل يجمع الصامت والناطق، قبله:

فقال لي قول ذي رأي ومقدرة*** محذر عاقل نزه عن الريب

حذف في الآية الجار إيجازاً لعدم الالباس، وأوصل الفعل، ثم حذف الضمير.

والوارس: الشديد الصفرة، والورس [٧٤٥] نبت أصفر تتخذ منه الغمرة [الصفرة] والحالك

الحانك: الشديد السواد، والليقق: واللهمق. بالتحريك الشديد البياض، والقاني

والذريحي: الشديد الحمرة، والدهام: الشديد السواد، ويقال للأخضر مدهام لأنه من

شدة الخضرة من الري كأنه أسود، والأورق من الحمام والإبل: هو الذي لونه لون

الرماد، والخطباني: منسوب إلى الخطبان، وهو الحنظل، إذا صارت فيه خطوط خضر،

والأرمك من الإبل هو الذي اشتدت دكنته حتى يدخلها السواد، والردان: الزعفران،

ويقال للشيء الأحمر إذا خلط حمرة صفرة، أحمر رداني.

(٣٢٧/١)

الفقوع: أشد ما يكون من الصفرة وأنصعه. يقال في التوكيد: أصفر فاقع ووارس، كما يقال

أسود حالك وحانك، وأبيض يقق ولهق. وأحمر قاني وذريحي. وأخضر ناضر ومدهام. وأورق

خطباني وأرمك رداني. فإن قلت: فاقع ههنا واقع خبراً عن اللون، فلم يقع توكيداً لصفراء

قلت: لم يقع خبراً عن اللون إنما وقع توكيداً لصفراء، إلا أنه ارتفع اللون به ارتفاع

الفاعل واللون من سببها (١) وملتبس بها، فلم يكن فرق بين قولك (٢) صفراء فاقعة وصفراء

فاقع لونها. فإن قلت: فهلا قيل صفراء فاقعة؟ وأي فائدة في ذكر اللون؟ قلت: الفائدة

فيه التوكيد، لأن اللون اسم للهيئة وهي الصفرة، فكأنه قيل: شديدة الصفرة صفرتها،

فهو من قولك: جد جده (٣)،

(١) قوله: (واللون من سببها) المراد بالسبب هنا الضمير مشبه بالسبب الذي هو الخبل؛

لأنه يحصل به الارتباط ومن فيه للاتصال ، فكأنه قال : اللون متصل بضمير صفر لإضافته إليه فيكون فاقع توكيدا لصفراء كالصفة تتعلق بحال الموصوف فكا تجوز الصفة بحال متعلق الموصوف ، كذلك يجوز التوكيد بحال متعلق الشيء المؤكد .

(٢) قوله: (فلم يكن فرق بين قولك) إلى آخره ... أي : في كونهما مؤكدين لصفراء ، إلا أن في الثاني أؤكد كما ذكره .

(٣) قوله: (من قولك: جد جده) أي : من باب الاسناد المجازي ، قال تأبط شرا: إذا المرء لم يحتل وقد جد جده***أضاع وقاسى أمره وهو مدبر

قال المرزوفي : : جد جده . أراد جد جده جدا ، وحنونك مجنون من قوله :

حنونك مجنون ولست بواجد***طبيبا يداوي من جنون جنون
(٣٢٨/١)

وجنونك مجنون. وعن وهب: إذا نظرت إليها خيل إليك أن شعاع الشمس يخرج من جلدها والسرور لذة في القلب عند حصول نفع أو توقعه. وعن علي رضي الله عنه: (من لبس نعلا صفراء قل همه) (١) لقوله تعالى: { تسر الناظرين } وعن الحسن البصري { صفراء فاقع لونها } : سوداء شديدة السواد(٢). ولعله مستعار من صفة الإبل؛ لأن سوادها تعلوه صفرة. وبه فسر قوله تعالى: { جمالات صفر } (المرسلات: ٣٣). قال الأعشى:
تلك خيلي منه وتلك ركابي***هن صفر أولادها كالزبيب (٣)
}

(١) قوله: (قل همه) في رواية أيضا (لم يزل في سرور إلى أن ينزعهما) وليس المراد هنا سوداء ؛ لأنه قد روي (إياكم وهذه النعال السود فإنها تورث الهم) .

(٢) قوله: (سوداء شديدة السواد) قال صاحب المطلع ، فيه نظر ؛ لأن قوله { فاقع لونها } يرده ، وقال القاضي : لأن الصفراء بهذا المعنى لا تؤكد بالفقوع .

قيل : الجواب ما جاء من أنه جاء أن هذه كلها صفات مبالغة في الألوان ، والصفرة إذا أكدت بالفقوع دل ذلك على خلوص الصفرة فيها ، ثم إذا روعي معنى الاسناد المجازي على أن المراد بذلك التأكيد للمبالغة في الصفرة لا الخلوص فيها ، فدلّت هاتان المبالغتان على أنها بلغت الغاية في بابها ، وكل لون إذا قوي واشتد مال إلى السواد ، ولهذا وصفت الخضرة إذا قويت بالادها .

قوله : (ولعله مستعار) لأن الأصل في الاستعمال الأصفر ، وإرادة الأسود الجمل ، فنقل إلى البقر .

(٣) قوله: (قال الأعشى:

تلك خيلي منه وتلك ركابي***هن صفر أولادها كالزبيب

منه ، أي من الممدوح ، والمراد بصفر سود بدليل قوله : أولادها كالزبيب ، أي : في السواد .

(٣٢٩/١)

ما هي { مرة ثانية تكرير للسؤال عن حالها وصفتها، واستكشاف زائد ليزدادوا بيانا

لوصفها. وعن النبي صلى الله عليه وآله وسلم (٣٩) "لو اعترضوا (١) أدنى بقرة فذبحوها لكفتهم، ولكن شددوا فشدد الله عليهم" والاستقصاء شؤم. وعن بعض الخلفاء أنه كتب إلى عامله بأن يذهب إلى قوم فيقطع أشجارهم ويهدم دورهم، فكتب إليه: بأيهما أبدأ؟ فقال: إن قلت لك بقطع الشجر سألتني: بأي نوع منها أبدأ؟ وعن عمر بن عبد العزيز: إذا أمرتك أن تعطي فلانا شاة سألتني: أضائن أم ماعز؟ فإن بينت لك قلت: أذكر أم أنثى؟ فإن أخبرتك قلت: أسوداء أم بيضاء؟ فإذا أمرتك بشيء فلا تراجعني. وفي الحديث (٤٠) "أعظم الناس جرما من سأل عن شيء لم يحرم فحرم لأجل مسئلته" { إن البقر تشابه علينا { أي إن البقر الموصوف بالتعوين والصفرة كثير فاشتبه علينا أيها نذبح وقرىء: "تشابه"، بمعنى تشابه بطرح التاء وإدغامها في الشين. وتشابهت ومتشابهة ومتشابه. وقرأ محمد ذو الشامة(٢): إن الباقر يشابه، بالياء والتشديد. جاء في الحديث: (٤١) "لو لم يستثنوا لما بينت لهم آخر الأبد" أي: لو لم يقولوا إن شاء الله. والمعنى: إنا لمهتدون إلى البقرة المراد ذبحها.، أو إلى ما خفي علينا من أمر القاتل { لا ذلول { صفة لبقرة بمعنى بقرة غير ذلول، يعني لم تذلل للكراب وإثارة الأرض، ولا هي من النواضح التي يسنى عليها لسقي الحروث، و(لا) الأولى للنفي، والثانية مزيدة لتوكيد الأولى، لأن المعنى: لا ذلول تشير وتسقي. على أن الفعلين صفتان لذلول، كأنه قيل: لا ذلول مثيرة وساقية.

(١) قوله : (لواعترضوا) هو من قولهم : اعترض الشيء ، أي : خذه ولا تسأل عنه .

(٢) قوله: (وقرأ محمد ذو الشامة) هو محمد الباقر عليه السلام ، وسمي الباقر لتبقره

في العلم ، أي : توسعه ، وفيه نكتة لطيفة حيث عدل عن الباقر إلى ذي الشامة

ليدفع إيهام أنه قرأ به موافقة للقبه .

(٣٣٠/١)

وقرأ أبو عبد الرحمان السلمي: لا ذلول، بمعنى لا ذلول هناك: أي حيث هي، وهو نفي

لذله؛ ولأن توصف به فيقال: هي ذلول. ونحوه قولك: مررت بقوم لا بخيل ولا جبان. أي فيهم، أو حيث هم. وقرئ "تسقي" بضم التاء من أسقى { مسلمة } سلمها الله من العيوب أو معفاة من العمل سلمها أهلها منها كقوله:

أو معبر الظهر يني عن وليته*** ما حج ربه في الدنيا ولا اعتمرا (١)

(١) قوله: (كقوله:

أو معبر الظهر يني عن وليته*** ما حج ربه في الدنيا ولا اعتمرا
ربه : باختلاص الحركة من الهاء ، أي : بالتحريك من غير وصل بالواو ليستقيم الوزن ،
والبيت من أبيات الكتاب ، استشهد به سيويه ، لدى ضرورة ، والمعبر من الابل : الذي
يترك وبره ولا يجز سنتين ليتوفر ، وينبي : من نبا الشيء ينو إذا تجافى وتباعد ،
والولية : البرذعة ، والجمع الولايا ، أراد يني وليته فزاد عن وإذا كثر الوبر على
سنامه ثبت وليته ، وارتفعت ، وما حج ربه ، أي : ما قصد صاحبه سفر الحج والعمرة ،
حتى يحتاج إلى جز وبره لتقع وليته عليه ، واختلاس الحركة في ربه ليس من حذفها في
قول الشاعر :

ومطوان مستاقان له أرقاب

(٣٣١/١)

أو مخلصه اللون، من سلم له كذا إذا خلص له، لم يشب صفرتها شيء من الألوان { لا شية
فيها } لا لمعة في نقبتها من لون آخر سوى الصفرة، فهي صفراء كلها حتى قرننها وظلفها.
وهي في الأصل مصدر وشاه وشيا وشية، إذا خلط بلونه لونا آخر، ومنه ثور موشى القوائم
{ جئت بالحق } أي بحقيقة وصف البقرة (١)، وما بقي إشكال في أمرها { فذبحوها } أي
فحصلوا البقرة الجامعة لهذه الأوصاف كلها فذبحوها. وقوله: { وما كادوا يفعلون }
استثقال لاستقصائهم واستبطاء لهم، وأنهم لتطويلهم المفرط وكثرة استكشافهم، ما كادوا
يذبحونها وما كادت تنتهي سؤالاتهم وما كاد ينقطع خيط إسهابهم (٢) فيها وتعمقهم، وقيل

وما كادوا يذبحونها لغلاء ثمنها. وقيل: لخوف الفضيحة في ظهور القاتل. وروي: أنه كان في بني إسرائيل شيخ صالح له عجلة فأتى بها الغيضة وقال: اللهم إني أستودعكها لابني حتى يكبر، وكان برا بوالديه(٣)، فشبت وكانت من أحسن البقر وأسمنه، فساوموها اليتيم وأمه حتى اشتروها بملء مسكها ذهباً، وكانت البقرة إذ ذاك بثلاثة دنانير وكانوا طلبوا البقرة الموصوفة أربعين سنة.

-
- (١) قوله: { بالحق } أي بحقيقة وصف البقرة) أي : لم يتضمن قوله { بالحق } أن ما جئت به كان باطلاً ، وإنما أرادوا أنك جئت بما تحققنا به المراد من البقرة .
- (٢) قوله: (وما كاد ينقطع خيط إسهابهم) خيط استعارة ، وينقطع ترشيح لها .
- (٣) قوله: (وكان برا بوالديه) أي : كان الابن براً بهما ، ومعنى من شق البقر : من عرضها .
- (٣٣٢/١)

فإن قلت: كانت البقرة التي تناولها الأمر بقرة من شق البقر غير مخصصة، ثم انقلبت مخصصة بلون وصفات، فذبحوا المخصصة، فما فعل الأمر الأول؟ قلت: رجع منسوخاً(١) لانتقال الحكم إلى البقرة المخصصة، والنسخ قبل الفعل جائز. على أن الخطاب(٢) كان لإبهامه متناولاً لهذه البقرة الموصوفة كما تناول غيرها، ولو وقع الذبح عليها بحكم الخطاب قبل التخصيص لكان امتثالاً له، فكذلك إذا وقع عليها بعد التخصيص { وإذا قتلتم نفساً } خوطبت الجماعة لوجود القتل فيهم { فادارأتم } فاختلقتم واختصمتم في شأنها، لأن المتخاصمين يدرأ(٣)

-
- (١) قوله: (رجع منسوخاً) لا نتقال الحكم إلى البقرة المخصصة ، وقيل : ليس بنسخ ؛ لأن الأول أمر مطلق ، والثاني والثالث كالبيان [٧٤٦] له ؛ لأنهم لما راجعوه لم يسقط عنهم ذبح البقرة ، بل زيد في أوصافها ، والكشف عن المراد بالأمر الأول.
- وقوله : (والنسخ قبل الفعل جائز) وإنما جاز لحصول التمكن من الفعل ، فلو لم يتمكن من الفعل كما إذا نسخ قبل وقت الفعل لم يجز إلا عند من جوز التكليف بما لا يطاق .
- (٢) قوله: (على أن الخطاب) إشارة إلى عدم النسخ ؛ لأن الأمر الأول باق ؛ لأن الخطاب كان لإبهامه متناولاً لهذه البقرة أيضاً فلا نسخ .

٣) قوله: (لأن المتخاصمين يدرأ) تعليل ؛ لأن ادارأتم بمعنى اختصصتم ، والفاء في (دفدع) بمعنى أن المطروح كالتعليل للتفسير ، ولهذا عطف عليه بقوله : أو لأن الطرح في نفسه دفع . فعلى هذا لا يكون التدافع من الجانبين حقيقة .

وقوله : (أو دفع بعضكم بعضا عن البراءة) عطف على طرح ، قيل : وذلك بأن يقول لصاحبه : أنت متهم ولست ببريء ، فالمدفوع البراءة ، وإنما لم يقل : يدفع عن نفسه التهمة ؛ لأن قوله { فادارأتم } لا يساعد عليه ، فعلى هذين الوجهين حذف متعلق { فادارأتم } فيقدر بواسطة قرينة المقام تارة طرح مثلها بعضهم على بعض ، وأخرى دفع بعضا عن البراءة ، وعلى الوجه الأول منوي فيعم التعلق ، ومن ثم قال اختصصتم في شأنها (٣٣٣/١)

بعضهم بعضا، أي يدفعه ويزحمه. أو تدافعتم، بمعنى بمعنى طرح قتلها بعضكم على بعض، فدفع المطروح عليه الطارح. أو لأن الطرح في نفسه دفع. أو دفع بعضكم بعضا عن البراءة واتهمه { والله مخرج ما كنتم تكتمون } مظهر لا محالة (١) ما كنتم من أمر القتل لا يتركه مكتوما. فإن قلت: كيف أعمل مخرج وهو في معنى المضي؟ قلت: وقد حكى ما كان مستقبلا في وقت التدارؤ. كما حكى الحاضر في قوله: { باسط ذراعيه } (الكهف: ١٨) وهذه

الجملة اعتراض بين المعطوف والمعطوف عليه وهما (ادارأتم) و (فقلنا) والضمير في { اضربوه } إما أن يرجع إلى النفس والتذكير على تأويل الشخص والإنسان، وإما إلى القتل لما دل عليه من قوله: (ما كنتم تكتمون). { ببعضها } ببعض البقرة. واختلف في البعض الذي ضرب به، فقيل: لسانها، وقيل: فخذها اليمنى، وقيل: عجبها، وقيل: العظم الذي يلي الغضروف وهو أصل الأذن، وقيل: الأذن، وقيل: البضعة بين الكتفين. والمعنى: فضربوه فحبي، فحذف ذلك لدلالة قوله: { كذلك يحيي الله الموتى } . وروي: أنهم لما ضربوه قام بإذن الله وأوداجه تشخب دما، وقال: قتلتني فلان وفلان لابني عمه، ثم سقط

ميئا، فأخذا وقتلا ولم يورث قاتل بعد ذلك. { كذلك يحيي الله الموتى } إما أن يكون خطابا للذين حضروا حياة القتل بمعنى وقلنا لهم: كذلك يحيي الله الموتى يوم القيامة { ويربكم آياته } ودلائله على أنه قادر على كل شيء { لعلمكم تعقلون } تعملون على قضية عقولكم. وأن من قدر على إحياء نفس واحدة قدر على إحياء الأنفس كلها لعدم الاختصاص حتى لا تنكروا البعث.

(١) قوله: (مظهر لا محالة) يعني بتنا الفاعل ، وهو مخرج على المبتدأ على البيان ، وتوكيد الحكم والعجب : أصل الذنب ، وهو من ... ما ضمت عليه الورك .
(٣٣٤/١)

وإما أن يكون خطابا للمنكرين(١) في زمن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم

(١) قوله: (وإما أن يكون خطابا للمنكرين) فعلى هذا لا يحتاج إلى تقدير القول ، وكاف الخطاب في قولك : كذلك نحو الخطاب في قوله :
إذا أنت أكرمت الكريم ملكته***
... . مؤاخيا الم عظيم ينبغي أن يخاطب به كل من يصح أن يخاطب ، وينافي منه الاستماع ، فيدخل فيه هؤلاء دخولا أوليا ، ويد عليه قوله : { ويريكم } .
(٣٣٥/١)

فإن قلت: هلا أحياه ابتداء؟ ولم شرط في إحيائه ذبح البقرة وضربه ببعضها؟ قلت: في الأسباب والشروط حكم وفوائد(١). وإنما شرط ذلك لما في ذبح البقرة من التقرب وأداء التكاليف واكتساب الثواب والإشعار بحسن تقديم القرية على الطلب، وما في التشديد عليهم لتشديدهم من اللطف لهم، ولآخرين في ترك التشديد والمصارعة إلى امتثال أوامر الله تعالى وارتسامها على الفور، من غير تفتيش وتكثير سؤال، ونفع اليتيم بالتجارة الرابعة، والدلالة على بركة البر بالوالدين، والشفقة على الأولاد، وتجهيل الهازيء بما لا يعلم كنهه، ولا يطلع على حقيقته من كلام الحكماء، وبيان أن من حق المتقرب إلى ربه أن يتنوق في اختيار ما يتقرب به، وأن يختاره فتي السن غير قحم ولا ضرع، حسن

اللون برياً من العيوب يونق من ينظر إليه، وأن يغالى بثمره، كما يروى عن عمر رضي الله عنه: (٤٢) أنه ضحى بنجية بثلاثمائة دينار، وأن الزيادة في الخطاب نسخ له، وأن النسخ قبل الفعل جائز وإن لم يجز قبل وقت الفعل وإمكانه لأدائه إلى البدء، وليعلم(٢)

(١) قوله: (في الأسباب والشروط حكم وفوائد) تمهيد للجواب ، وهو إنما شرط ذلك .

(٢) قوله: (وليعلم) عطف على قوله : لما ذبح البقرة ، وقال الطيبي ، وفي قول المنصف : إن المؤثر هو المسبب لا الأسباب إبطال لمذهبه في كثير من المواضع ، وأقول : ليت شعري من أين يلزم من هذا إبطال مذهبه ، وإن قال : إن العبد سبب لفعله ، والمسبب هو الله تعالى فيلزم أن يكون الله هو المؤثر في فعل العبد ؟ قلنا : لا يلزم ذلك لأنهم إنما يطلقون السبب على ما ليس بفاعل مختار ، والعبد عندهم فاعل مختار لا موجب ، وإلى هذا أشار المنصف بقوله : لأن الموتين الحاصلتين في الجسمين لا يعقل أن تتولد منهما حياة ، ومعنى تفوق في الأمر : اجتهد في أن تأتي به على أحسن وجوهه ، قال الحريري : والأفصح تأنوق ، واشتقاقه من الأنق ، وهو الإعجاب بالشيء .. والقحم : المشقوق الضرع المهزول ، وقيل : الحديث السن ، والبداء : الندامة .
(٣٣٦/١)

بما أمر من مس الميت بالميت وحصول الحياة عقيبه أن المؤثر هو المسبب لا الأسباب ، لأن الموتين الحاصلين في الجسمين لا يعقل أن تتولد منهما حياة . فإن قلت : فما للقصة لم تقص (١)

(١) قوله: (فما للقصة لم تقص) إلى آخره .. قيل : فيه نظر ؛ لأنه قال : الأصل أن تقدم ذكر القتل والضرب ببعض البقرة على الأمر بالذبح ، وحقه أن يقال : يقدم ذكر القتل والأمر بالذبح على الأمر بالضرب ببعضها كما قدره في لسؤال آخر ، وأجيب : أن المراد أن هذه الآية التي فيها ذكر القتل والضرب كان من حقها أن تقدم على الآية التي فيها الأمر بالذبح ، فكأنه قال : كان من حق الآية الثانية أن تقدم على الأولى ،

ولم يرد أن حق القضية أن يقدم ذكر الضرب ببعض البقرة على الأمر بذبحها ، ولهذا قال المنصف ، وأن يقال ... إلى آخره . فذكر حق الترتيب ، وهو أن يذكر قتل النفس ، فالأمر بالذبح ، فالضرب ، ولا يلزم من تقديم الآية التي فيها ذكر الضرب تقديمه إذ قد تقدم دونه .

وقوله: (وما يتبع ذلك) عطف على تقريعهم ، لا على الاستهزاء ، إذ ليس في تلك القضية غير الاستهزاء وترك المسارعة ، وكذا ما يتبعه عطف على تقريعهم لا على قتل النفس ، إذ ليست الآية العظيمة مما يرد عليها التقريع ، وفيه إشارة إلى صيغة الادماج ، يعني

سيقت القصتان للتقريع ، وأدمج فيهما هذه الفوائد ، و الإشارة بتلك إلى المذكور السابق ، وما يتبعه من الآية العظيمة هو الذي أراد بقوله : وليعلم بما أمر من مس .. إلى آخره ، وهو مستفاد من قوله : { كذلك يحيي الله الموتى } . (٣٣٧/١)

على ترتيبها، وكان حقها أن يقدم ذكر القتل والضرب ببعض البقرة على الأمر بذبحها، وأن يقال: وإذا قتلتم نفسا فادارأتم فيها فقلنا: اذبحوا بقرة واضربوه ببعضها؟ قلت: كل ما قص من قصص بني إسرائيل إنما قص تعديدا لما وجد منهم من الجنايات، وتقريعا لهم عليها، ولما جدد فيهم من الآيات العظام. وهاتان قصتان كل واحدة منهما مستقلة بنوع من التقريع وإن كانتا متصلتين متحدتين، فالأولى لتقريعهم على الاستهزاء وترك المسارعة إلى الامتثال وما يتبع ذلك. والثانية للتقريع على قتل النفس المحرمة وما يتبعه من الآية العظيمة. وإنما قدمت قصة الأمر (١) بذبح البقرة على ذكر القتل لأنه لو عمل على عكسه لكانت قصة واحدة، ولذهب الغرض في تشية التقريع. ولقد روعيت نقطة بعدما استؤنفت الثانية استئناف قصة برأسها أن وصلت بالأولى، دلالة على اتحادهما بضمير البقرة لا باسمها الصريح في قوله: { اضربوه ببعضها } حتى تبين أنهما قصتان فيما يرجع إلى التقريع وتشيته بإخراج الثانية مخرج الاستئناف مع تأخيرها، وأنها قصة واحدة بالضمير الراجع إلى البقرة.

}

(١) قوله: (وإنما قدمت قصة الأمر) هو الجواب [٧٤٧] والسابق كالمقدمة ، له أو التمهيد ، لئلا يلزم التكرار .

وقوله: (ولقد روعيت) عطف على ما قدمت ، وإن وصلت بدل من نقطة ، وبضمير البقرة متعلق

بوصلت ، و(دلالة) مفعول له لوصلت ، قدم على متعلق الفعل للإهتمام ، وإنما جيء بلقد ليؤكد به ما قصده في الجواب ، يريد الذي يؤكد ما ذهبنا إليه من جعل القصة الواحدة اعتبار العائد ، وإليه الإشارة بقوله : حتى تبين أنهما قصتان فيما يرجع إلى التقريع .. إلى آخره ، واسم البقرة وإن كان كالضمير لو أعيد معرfa باللام ، فكان الربط بالضمير أشد لعدم استقلاله .

(٣٣٨/١)

ثم قست قلوبكم من بعد ٧dy7 sCE''٩ فهي دتù:\$\$xعدou'\$y. أو أشد قسوة وإن من د\$:tùdou'\$yفد لما يتفجر منه الأنهار وإن منها لما يشقق فيخرج منه الماء وإن منها لما نفخ ٦÷ooku% من خشية الله وما الله بغافل عما تعملون (٧٤) {

معنى { ثم قست { استبعاد (١) القسوة من بعد ما ذكر مما يوجب لين القلوب ورقتها ونحوه: { ثم أنتم تمثرون { وصفة القلوب بالقسوة والغلظ مثل لنبوها عن الاعتبار (٢) وأن المواعظ لا تؤثر فيها. و { ذلك { إشارة إلى إحياء القليل، أو إلى جميع ما تقدم من الآيات المعدودة { فهي كالحجارة { فهي في قسوتها مثل الحجارة { أو أشد قسوة { منها، وأشد معطوف على الكاف (٣)، إما على معنى أو مثل أشد قسوة، فحذف المضاف وأقيم

المضاف إليه مقامه. وتعضده قراءة الأعمش بنصب الدال عطفا على الحجارة، وإما على: أو هي أنفسها أشد (٤)

-
- (١) قوله: (معنى { ثم قست { استبعاد) يعني ثم موضوعة للتراخي في الزمان ، وهي هنا مجاز للاستبعاد ؛ لأن قسوة قلوبهم لم تتجدد بعد زمان ، والمراد استبعاد القسوة بعد حصول ما ينافيها من الآيات الظاهرة .
- (٢) قوله: (مثل لنبوها عن الاعتبار) أي : قست قلوبكم استعارة تبعية ، واقعة على سبيل التمثيل ، شبهت حال قلوبهم وهي تنبوها عن الاعتبار حال قسوة الحجارة ، في أنها لا يجري فيها لطف .
- (٣) أي : على كاف التشبيه ، ومعنى بنصب الدال ، بفتحها ؛ لأن أشد مجرور غير منصرف .
- (٤) قوله: (وإما على: أو هي أنفسها أشد) هذا على أن لا يقدر مثل ، ويكون أو أشد معطوفا على الكاف .

قوله: (والمعنى أن من عرف حالها) شبهها بالحجارة إشارة إلى ... إحداهما بيان فائدة الفاء في { فهي كالحجارة { وأنها تقتضي بظاهرها أن يكون التشبيه بعد استعارة القسوة لنبو القلب ، فيكون التشبيه فرع الاستعارة ، وهو بالعكس ، ولذلك جعل الترتيب على الشرط والجزاء ، وقال : من عرف حالها شبهها بالحجارة ، وذلك أن عرفان حالها حامل للعارف على التشبيه المؤدي إلى الاستعارة ، وفائدته تصور الجهة الجامعة بين المشبه والمشبّه به ، قيل : ثم إن التشبيه إذا وقع بين حالتي القلب والحجارة كما مر يكون

استعارة تبعية ، وهو المراد من قوله : من عرفان حالها ، شبهها بالحجارة ، وإذا وقع في القلب نفسه يكون استعارة مكنية ، وإليه الإشارة بقوله من عرفها شبهها بالحجارة ، وثانيهما : بيان إفادة أو في قوله : { أو أشد قسوة } لأن أو ظاهرها الشك ، وهو على الله محال ، ومرجعه إلى تشكيك العارف ، وإليه الإشارة بقوله : إن من عرف حالها شبهها بالحجارة ، أو نحو هو أقسى . وقوله : إن من عرف حالها ... إلى آخره بيان قوله : (على معنى أو مثل أشد قسوة) وقوله : (إن من عرفها شبهها بالحجارة بيان قوله : (وإما على أو هي في نفسها) على اللف والنشر .

(٣٣٩/١)

قسوة. والمعنى أن من عرف حالها شبهها بالحجارة أو بجوهر أقسى منها وهو الحديد مثلاً. أو من عرفها شبهها بالحجارة، أو قال: هي أقسى من الحجارة. فإن قلت: لم قيل: أشد قسوة، وفعل القسوة مما يخرج منه أفعل التفضيل وفعل التعجب؟ قلت: لكونه أبين وأدل على فرط القسوة. ووجه آخر: وهو أن لا يقصد معنى الأقسى ولكن قصد وصف القسوة بالشدة،

كأنه قيل: اشتدت قسوة الحجارة، وقلوبهم أشد قسوة(١).

(١) قوله: (وقلوبهم أشد قسوة) أي : في أشد دلالة على اشتداد القسوتين ، واشتغال المفضل عليه على الزيادة في الفضل ، ولو قال أقسى لكان دالا على القسوتين واشتغال المفضل على زيادة في القسوة لا في شدة القسوة . قال صاحب التقريب : وفيه نظر ؛ لأن الأشد لو كان محمولا على القسو أفادهم هذا ، ولكنه محمول على القلوب فيفيد أن قلوبهم أشد قسوة ، لا أن قسوتها أشد قسوة .

وأقول : هذا النظر مضمحل لأنه إنما جعل الشدة للقسوة لمعنى أنها مميزة ، والمميز في هذا فاعل في المعنى ، ولهذا قال جار الله ، أي : اشتدت قسوة الحجارة ، ولم يقل : اشتدت الحجارة فيكون التفضيل في الاشتداد من حيث المعنى للقسوة ، وإن كان من حيث اللفظ للقلوب كما إذا قلت : زيد من أحسن الناس وجها ، فإن المعنى زاد حسن وجه زيد على جميع وجوه الناس ، فالتفضيل في اللفظ لزيد ، وهو في المعنى لوجهه ، كما أن المفضل عليه في اللفظ الناس ، وهو في المعنى الوجه . والله أعلم .

(٣٤٠/١)

وقرىء: "قساوة". وترك ضمير المفضل عليه لعدم الإلباس، كقولك: زيد كريم وعمرو أكرم. وقوله: { وإن من الحجارة } بيان لفضل قلوبهم على الحجارة (١) في شدة القسوة، وتقرير لقوله: (أو أشد قسوة). وقرىء "وإن" بالتخفيف. وهي (إن) المخففة من الثقيلة التي تلزمها اللام الفارقة. ومنها قوله تعالى: { وإن كل لما جميع } (يس: ٣٣). والتفجر: التفتح بالسعة والكثرة. وقرأ مالك بن دينار "ينفجر" بالنون. { يشقق } يتشقق. وبه قرأ الأعمش. والمعنى إن من الحجارة ما فيه خروق واسعة يتدفق منها الماء الكثير الغزير، ومنها ما ينشق انشقاقا بالطول أو بالعرض فينبع منه الماء أيضا { يهبط } يتردى من أعلى الجبل. وقرىء بضم الباء. والخشية مجاز عن انقيادها لأمر الله تعالى وأنها لا تمتنع على ما يريد فيها، وقلوب هؤلاء لا تنقاد ولا تفعل ما أمرت به. وقرىء "يعملون" بالياء والتاء، وهو وعيد.

}

(١) قوله: { وإن من الحجارة } بيان لفضل قلوبهم على الحجارة قال الطيبي: فالواو في قوله { وإن من الحجارة } عطف البيان على المبين، والأولى إنما استثنائية، والجملة كما هي مذيلة للتشبيه، كقوله تعالى: { واتبع ملة إبراهيم حنيفا واتخذ الله إبراهيم خليلا } والدليل على كونها مذيلة قوله: وتقديره لأن المذيلة كالمعتضة مؤكدة، ثم قال: وسيجيء في الأنعام أن التأكيد [٧٤٨] أيضا نوع بيان، وأما أن مقول لم يرد بأنها بيان عطف البيان الاصطلاحي حتى لا تدخل الواو فيها، بل أراد البيان اللغوي.

وقوله: (وإمهالا) يمتنع إلى آخره عطف على التفسير على قوله مجاز عن انقيادها لأمر الله، يعني أثبت للحجارة الخشية على سبيل المجاز لفائدتين أحدهما التصريح بالمبالغة في كونها منقادة لأمر الله، وثانيها التعريض بأن قلوب هؤلاء لا تنقاد البتة، ومن خشية الله متعلق بالكل، أي: كل ذلك من خشية الله.

(٣٤١/١)

* أفتطمعون أن يؤمنوا لكم وقد كان ×، فحج sù منهم يسمعون كلام الله ثم
¼Rqèùhçmtن† من بعد ما عقلوه وهم ث cqك75 (Jn=÷ètف وإذا لقوا
الذين آمنوا

(#qû\$%s آما وإذا خلا بعضهم إلى بعض (#qû\$%s
 NQèRhtBr&outé%د بما فتح الله
 عليكم ليحاجوكم به عند ربكم أفلا تعقلون (٧٦) أولا كtbq ÷ètJn أن الله يعلم ما
 يسرون وما دYtbq ÷èم77 (f {
 }
 (٣٤٢/١)

أفتطمعون { الخطاب لرسول الله صلى الله عليه وآله وسلم والمؤمنين { أن يؤمنوا لكم {
 أن يحدثوا الإيمان لأجل دعوتكم ويستجيبوا لكم، كقوله: { فآمن له لوط { (العنكبوت:
 ٢٦) يعني اليهود، { وقد كان فريق { طائفة فيمن سلف منهم { يسمعون كلام الله { وهو
 ما يتلونه من التوراة { ثم يحرفونه { كما حرفوا صفة رسول الله صلى الله عليه وآله
 وسلم ؛ وآية الرجم، وقيل: كان قوم(١) من السبعين المختارين سمعوا كلام الله حين كلم
 موسى بالطور وما أمر به ونهى، ثم قالوا: سمعنا الله يقول في آخره: إن استطعتم أن
 تفعلوا هذه الأشياء فافعلوا، وإن شئتم فلا تفعلوا فلا بأس. وقرأء "كلم الله" { من
 بعد ما عقلوه { من بعد ما فهموه وضبطوه بعقولهم ولم تبق لهم شبهة في صحته { وهم
 يعلمون { أنهم كاذبون مفترون. والمعنى: إن كفر هؤلاء وحرفوا فلهم سابقة في ذلك. {
 وإذا لقوا { يعني اليهود { قالوا { قال منافقوهم { ءامنا { بأنكم على الحق، وأن
 محمدا هو الرسول المبشر به { وإذا خلا بعضهم { الذين لم ينافقوا { إلى بعض { الذين
 نافقوا { قالوا { عاتبين عليهم { أتحدثونهم بما فتح الله عليكم { بما بين لكم في
 التوراة من صفة محمد.

(١) قوله: (وقيل: كان قوم) عطف من حيث المعنى على قوله : طائفة ، وعلى الأ،ل معنى
 التحريف : التغيير ، والتبديل ، وعلى الثاني إثبات ما ليس من الكتاب فيه وإيهام أنه
 منه .

(٣٤٣/١)

أو قال المنافقون لأعقابهم يرونهم التصلب في دينهم: أتحدثونهم، إنكارا عليهم أن
 يفتحوا عليهم شيئا في كتابهم فينافقون المؤمنين وينافقون اليهود { ليحاجوكم به عند
 ربكم { ليحتجوا عليكم بما أنزل ربكم في كتابه(١)، جعلوا محاجتهم به، وقولهم هو في

كتابكم هكذا محاجة عند الله. ألا تراك تقول: هو في كتاب الله هكذا. وهو عند الله هكذا، بمعنى واحد { يعلم } جميع { ما يسرون وما يعلنون } ومن ذلك إسرارهم الكفر وإعلانهم الإيمان.

}

(١) قوله: (بما أنزل ربكم في كتابه) قيل : إن المصنف جعل عند ربكم بدلا من قوله : لأن ما فتح الله ، وما أنزل ربكم في كتابه واحد ، وقيل : بل قوله { بما أنزل ربكم في كتابه تفسير للآية ، وتلخيص لمعناه ، فلا يكون بدلا من قوله : (لا يحسنون الكتب) قيل : الأمي هو الذي بقي على أصل ولادة أمه ، لم يتعلم الكتابة والحساب . وقوله : (وإن الله يغفر) عطف تفسيري بياني لقوله : من أمانهم ، وابن دأب كان رجلا محدثا من التابعين .

(٣٤٤/١)

ومنهم أميون لا تقرأ الكتاب إلا &T\$stBrd'¥ وإن هم إلا يظنون (٧٨) فويل للذين

يكتبون الكتاب Nخfr÷%oo%ok'خ/ ثم يقولون هذا من عند الله (#r#±uIôyطد٩ به ثمنا

Wxطدs=% فويل لهم مما كتبت Nخfr÷%oogf& وويل لهم مما يكسبون (٧٩) { ومنهم أميون }

لا يحسنون الكتب فيطالعوا التوراة ويتحققوا ما فيها { لا يعلمون الكتاب } التوراة { إلا أمني { إلا ما هم عليه من أمانهم، وأن الله يعفو عنهم ويرحمهم ولا يؤاخذهم بخطاياهم، وأن آباءهم الأنبياء يشفعون لهم وما تمنىهم أحبارهم من أن النار لا تمسهم إلا أياما معدودة. وقيل: إلا أكاذيب مختلفة سمعوها من علمائهم فتقبلوها على التقليد. قال أعرابي لابن دأب في شيء حدث به: أهذا شيء رويته، أم تمنيته، أم اختلقته، وقيل: إلا ما يقرؤون(١) من قوله:

تمنى كتاب الله أول ليلة(٢)

(١) قوله: (وقيل: إلا ما يقرؤون) والقراءة لا تنافي كونهم أميين فلا اعتراض .

(٢) قوله: (تمنى كتاب الله أول ليلة) تمامه :

وآخرها لاقى حمام المقادر

وقيل : آخره : تمني داود الزبور على رسل
 أي : على تؤدة ، قيل : إن الشاعر رثى بهذا عثمان بن عفان ، وأن قرأ القرآن أول ليلة
 ، وآخر تلك الليلة أدركه الموت .
 (٣٤٥/١)

والاشتقاق من منى إذا قدر، لأن المتمني يقدر في نفسه ويحزر ما يتمناه، وكذلك
 المختلق والقارئ يقدر أن كلمة كذا بعد كذا. وإلا أمني: من الاستثناء المنقطع.
 وقرئ: "أمني" بالتخفيف. ذكر العلماء الذين عاندوا بالتحريف مع العلم والاستيقان،
 ثم العوام الذين قلدوهم، ونبه على أنهم في الضلال سواء، لأن العالم عليه أن يعمل
 بعلمه، وعلى العامي أن لا يرضى بالتقليد والظن وهو متمكن من العلم. { يكتبون الكتاب
 { المحرف { بأيديهم { تأكيد، وهو من مجاز التأكيد، كما تقول لمن ينكر معرفة ما
 كتبه: يا هذا كتبه يمينك هذه. { مما يكسبون { من الرشا.
 }

وقالوا لن تمسنا النار إلا &YB\$fr\$ معدودة قل اتخذتم عند الله عهدا فلن #y=دf†
 الله عهده أم تقولون على الله ما لا تعلمون (٨٠) بلى من كسب سيئة &Ms.ô"ur&xmr به
 خطيئته فأولئك أصحاب النار هم فيها #tbràح"81"yz) والذين آمنوا وعملوا
 &M="dys"9\$# أولئك أصحاب الجنة هم فيها #scràح"82"yz) {
 { إلا أياما معدودة { أربعين يوما عدد أيام عبادة العجل. وعن مجاهد: كانوا يقولون:
 مدة الدنيا سبعة آلاف سنة، وإنما نعذب مكان كل ألف سنة يوما. { فلن يخلف الله {
 متعلق بمحذوف تقديره: إن اتخذتم عند الله عهدا فلن يخلف الله عهده(١).

(١) قوله: (تقديره: إن اتخذتم عند الله عهدا فلن يخلف الله عهده) والجملة الشرطية
 معترضة بين المعطوف والمعطوف عليه .
 قوله: (إما أن تكون معادلة) أي : متصلة ؛ لأنها إذا كانت متصلة فهي معادلة للهمزة ،
 لأنه يليها أحد المستويين ، والآخر : الهمزة ، والمعنى أنهما كما إذا قلت : أزيد
 عندك أم عمرو ، والمنقطعة بخلافه ؛ لأنها بمعنى بل والهمزة ، نحو إنها لإبل أم شاء
 ، بمعنى بل هي شاء .

قوله : (يكون أحدهما) ويروى أحدهما ، والأول أصح ، في نسخة المقرئ رحمه الله ،

وأحدهما هو قوله { أم تقولون } لكون الاستفهام للتقرير، وهذا القول كان مسموعا منهم ، وأما اتخاذهم عند الله عهدا فلا ، ومعنى لم يتفصص : لم يتخلص عنها بالتوبة .
(٣٤٦/١)

و { أم } إما أن تكون معادلة بمعنى أي الأمرين كائن على سبيل التقرير، لأن العلم واقع بكون أحدهما. ويجوز أن تكون منقطعة { بلى } إثبات لما بعد حرف النفي وهو قوله: { لن تمسنا النار } أي بلى تمسكم أبدا، بدليل قوله: { هم فيها خالدون } . { من كسب سيئة } من السيئات، يعني كبيرة من الكبائر { وأحاطت به خطيئته } تلك واستولت عليه، كما يحيط العدو ولم يتفصص عنها بالتوبة. وقرئ: "خطاياها" و "خطيئاته". وقيل: في الإحاطة: كان ذنبه أغلب من طاعته. وسأل رجل الحسن عن الخطيئة قال: سبحان الله: ألا أراك ذا لحية(١) وما تدري ما الخطيئة، انظر في المصحف فكل آية نهى فيها الله عنها وأخبرك أنه من عمل بها أدخله النار فهي الخطيئة المحيطة(٢).
}

(١) قوله: (سبحان الله: ألا أراك ذا لحية) تعجب منه ، ومن سؤاله ، يعني بلغت مبلغ الكمال ، وأنت ناقص لم تعلم بعد ما وجب عليك أن تعلمه .
(٢) قوله: (فهي الخطيئة المحيطة) هي ضمير الخطيئة لا الآية كما ظن .
(٣٤٧/١)

وإذ أخذنا ميثاق نوسة /t_@fدن"u (خ) لا تعبدون إلا الله ب\$ûit!د\$9\$uq9خ/ur
إحسانا

وذي القربى واليتامى والمساكين وقولوا للناس حسنا وأقيموا الصلاة وآتوا الزكاة ثم توليتهم إلا Wxد=s% منكم وأنتم لثcqaتحج÷83-B(è) { { لا تعبدون } إخبار في معنى

النهي، كما تقول: تذهب إلى فلان تقول له كذا، تريد الأمر، وهو أبلغ من صريح الأمر والنهي، لأنه كأنه سورع إلى الامتثال والانتفاء، فهو يخبر عنه وتنصره قراءة عبد الله وأبي { لا تعبدوا } (هود: ٢٦) ولا بد من إرادة القول، ويدل عليه أيضا قوله { وقولوا } . وقوله: { وبالوالدين إحسانا } إما أن يقدر: وتحسنون بالوالدين إحسانا. أو وأحسنوا. وقيل: هو جواب قوله: { أخذنا ميثاق بني إسرائيل } إجراء له مجرى القسم،

كأنه قيل: وإذ أقسمنا عليهم لا تعبدون. وقيل: معناه أن لا تعبدوا، فلما حذفت (أن) رفع، كقوله (١):

ألا أيهذا الزاجري أحضر الوغى

(١) قوله: (كقوله) أي: كقول طرفة

ألا أيهذا الزاجري أحضر الوغى ... تمامه:

وأن نشهد اللذات هل أنت مخلدي

الوغى: في الأصل هو الصوت، ومنه قيل للحرب الوغى، تقديره أن احضر فلما حذفت أن حذفت أثره، يقول: أيها اللاتمي على حضور الحرب، وشهود اللذات هل أنت تقدر على تخليدي في الدنيا إن كفت عنهما، والوغى يكتب بالياء؛ لأن الألف يؤذن بقلبه عن الواو، وليس في الأسماء اسم أوله واو وآخره واو إلا الواو.

)

(٣٤٨/١)

ويدل عليه قراءة عبد الله "أن لا تعبدوا" ويحتمل "أن لا تعبدوا" أن تكون (أن) فيه مفسرة، وأن تكون أن مع الفعل بدلا (١) عن الميثاق، كأنه قيل: أخذنا ميثاق بني إسرائيل توحيدهم وقرىء بالتاء حكاية لما خوطبوا به، وبالياء لأنهم غيب { حسنا } قولا هو حسن في نفسه لإفراط حسنه. وقرىء "حسنا" و "حسنى" على المصدر. كبشرى (٢).

ثم توليتم { على طريقه الالتفات أي توليتم عن الميثاق ورفضتموه. } إلا قليلا منكم { قيل: هم الذين أسلموا منهم (٣) } وأنتم معرضون { وأنتم قوم عادتكم الإعراض عن المواثيق، والتولية. }

(١) قوله: (وأن تكون أن مع الفعل بدلا عن الميثاق) وأن على هذا ناصبة، فتجعل

الجملة كما هي عبارة عن معنى التوحيد؛ لأن معنى قوله: { لا تعبدوا إلا الله } التوحيد، وهذا المبدل ليس في حكم المنحى، لقوله: { ميثاق بني إسرائيل } توحيدهم.

(٢) قوله: (وحسنى على المصدر كبشرى) هذا كأنه رد لقول الزجاج؛ لأنه قال: أما حسنى

فغلط لا ينبغي أن يقرأ به ، ونحو باب الأفعال والفعل لا يستعمل بالألف واللام ،
والمراد بقوله : حسنى : ما فيه تخلق وإرشاد .

قوله (ثم توليتم على طريقة الالتفات { أي : من الغيبة إلى الخطاب ، والفائدة فيه
التوبيخ ، استحضروهم [٧٤٩] ثم وبخهم .

(٣) قوله: (قيل: هم الذين أسلموا منهم) وقيل : لعل الخطاب مع الموجودين في عهد رسول
الله صلى الله عليه وآله وسلم مبهم ، ومع من قبلهم على التغليب ، وأنتم قوم عادتكم
الاعراض لفساد المعنى ، لأن التولي والاعراض واحد ، وأقول : لا يسلم الالحاد في
الآية لأن التولي وكونه عادة متغيران .
(٣٤٩/١)

وإذ أخذنا ميثاقكم لا تسفكون دماءكم ولا tbq ـ حج $féB$ أنفسكم من N . حج tf ـ حج
ثم

÷ $n'u\%r$ وأنتم تشهدون (٨٤) ثم أنتم هؤلاء تقتلون أنفسكم
 tbq ـ حج $féBur \$Z$ حج $sù$

منكم من dN حج tf ـ حج تظاهرون عليهم بالإثم ب $è9\$#ur\%ob\`urô$ وإن يأتوكم
 $u"٣$ ـ حج $yTMé$

تفادوهم وهو $utèC\hat{i}P$ عليكم N كـ g ـ $u\#$ ÷ z (خ) أفتؤمنون ببعض الكتاب وتكفرون
ببعض فما

أن! $y"u\#$ ـ من يفعل $y7$ د $s\mathcal{E}''٩$ منكم إلا س"÷ $z^{1/2}$ في $4qu$ ث $9\$#$ الدنيا
ويوم القيامة

tbr ـ u ـ حج f إلى أشد العذاب وما الله بغافل عما تعملون (٨٥) أولئك الذين
 $\#\$©yIô\grave{r}u\#$

الحياة الدنيا ou ـ حج $zFy^{1/2}$ ـ $\$z$ / فلا يخفف عنهم العذاب ولا هم tbr ـ Z م (86) f
{

{ لا تسفكون دماءكم ولا تخرجون أنفسكم { لا يفعل ذلك بعضكم ببعض. جعل غير الرجل
نفسه(١) .

(١) قوله: (جعل غير الرجل نفسه) أي : جعل غير الرجل منسوباً إلى الغير فهو من باب
المجاز بأدنى ملابسة .

وقوله : وقيل : إذا قتل غيره ، فكأنما قتل نفسه ، فهو من باب إطلاق المسبب على السبب .

(٣٥٠/١)

إذا اتصل به أصلاً أو ديناً . وقيل : إذا قتل غيره فكأنما قتل نفسه ، لأنه يقتص منه { ثم أقررتم } بالميثاق واعترفتكم على أنفسكم بلزومه { وأنتم تشهدون } عليها كقولك : فلان مقرر على نفسه بكذا شاهد عليها . وقيل : وأنتم تشهدون (١) اليوم يا معشر اليهود على إقرار أسلافكم بهذا الميثاق { ثم أنتم هؤلاء } استبعاد لما أسند إليهم من القتل والإجلاء والعدوان بعد أخذ الميثاق منهم وإقرارهم وشهادتهم . والمعنى ثم أنتم بعد ذلك هؤلاء المشاهدون ، يعني أنكم قوم آخرون غير أولئك المقرين تنزيلاً ، لتغير الصفة منزلة وتغير الذات ، كما تقول : رجعت بغير الوجه الذي خرجت به . وقوله : { تقتلون } بيان (٢)

(١) قوله : (وأنتم تشهدون) أما تأكيد ، أو حال ، جعل إقرار آبائهم كإقرارهم ، أو شهادتهم كشهادة آبائهم ، حتى حصل الاتحاد ، أو مخصص بالمعاصرين ، وعلى هذا { وأنتم تشهدون } جملة معطوفة على الجملة قبلها ، جيء بها للالزام والتبكي .

(٢) قوله : (كيف نحن ، فجي بقوله : { تقتلون أنفسكم } تفسيراً له .

قوله : (وقيل : هؤلاء موصول بمعنى الذين) قال أبو البقاء : ويضعف أن يكون هؤلاء خبر بمعنى الذين ، ويقتلون صلته ؛ لأن مذهب البصريين أن هؤلاء لا يكون بمنزلة الذين ، وأجازه الكوفيون .

قوله (بحذف التاء وإدغامها) هما قراءتان .

(٣٥١/١)

لقوله : { ثم أنتم هؤلاء } وقيل : هؤلاء موصول بمعنى الذي . وقرئ : "تظاهرون" بحذف التاء وإدغامها . وتظاهرون بإثباتها وتظهرون بمعنى تتظاهرون : أي تتعاونون عليهم . وقرئ : "تفدوهم" ، "وتفادوهم" . "وأسرى" ، "وأسارى" { وهو } ضمير الشأن . ويجوز أن يكون مبهماً تفسيره { إخراجهم أفتؤمنون ببعض الكتاب } أي بالفداء { وتكفرون ببعض } أي

بالقتال والإجلاء. وذلك أن قريظة (١) كانوا حلفاء الأوس، والنضير كانوا حلفاء الخزرج، فكان كل فريق يقاتل مع حلفائه، وإذا غلبوا خربوا ديارهم وأخرجوهم، وإذا أسر رجل من الفريقين جمعوا له حتى يفدوه. فغيرتهم العرب وقالت: كيف تقاتلونهم ثم تفدونهم. فيقولون: أمرنا أن نفديهم (٢) وحرّم علينا قتالهم، ولكننا نستحي أن نذل حلفاءنا. والخزي: قتل بني قريظة وأسرهم وإجلاء بني النضير. وقيل: الجزية. وإنما رد من فعل منهم ذلك إلى أشد العذاب، لأن عصيانه أشد. وقرئ: "يردون"، "ويعملون". بالياء والياء. { فلا يخفف عنهم } عذاب الدنيا بنقصان الجزية، ولا ينصرهم أحد بالدفع عنهم. وكذلك عذاب الآخرة . }

(١) قوله: (وذلك أن قريظة) اعلم أن الكفار الذين كانوا يثرب قبيلتان من اليهود ، بنو قريضة والنضير ، وقبيلتان من المشركين الأوس والخزرج ، وكان بين الأوس والخزرج إحن ومحاربات ، فحالف الأوس بني قريظة ، والخزرج النضير ، لنصرتهم ، ولم يكن بين اليهود مخاصمة ولا قتال ، وإنما كانوا يقاتلون لأجل حلفائهم ، وإذا أسر رجل من الفريقين أي : من بني قريظة والنضير جمعوا . أي : كلا الفريقين له حتى يفدوه من المشركين .

(٢) قوله: (أمرنا أن نفديهم) قيل : إن الله أخذ على بني إسرائيل في التوراة أن لا يقتل بعضهم بعضا ، ولا يخرج بعضهم بعضا من ديارهم ، وأيما عبد أو أمة وجدتموه من

بني إسرائيل فاشتروه بما قام من ثمنه واعتقوه .

(٣٥٢/١)

ولقد sY÷ s?#u\$ ن موسى الكتاب وقفينا من ٣/4دn÷%÷èt/ بالرسل sY÷ \$

urن?#u عيسى ابن

مریم د ur&tRô%÷fr"i t69\$# çmösY"M بروح القدس أفكلما جاءكم رسول بما

لا uq÷ksE"#

أنفسكم ÷Lنznفz\$Z\$ #93tF٩٣حجxسù كذبتهم f\$Z)حجسùur تقتلون

(٨٧) وقالوا %sYç/qè=è\$

غلف بل لعنهم الله dNدحجن٣خ/ sù=دWx ما يؤمنون (٨٨) ولما جاءهم كتاب

من عند

الله مصدق لما معهم وكانوا من قبل يستفتحون على الذين كفروا فلما جاءهم ما
(#qèùuتم كفروا به فلعنة الله على الكافرين (٨٩) {

{ الكتاب { التوراة، آتاه إياها جملة واحدة. ويقال: قفاه إذا أتبعه من القفا. نحو
ذنبه، من الذنب. وقفاه به: أتبعه إياه، يعني: وأرسلنا على أثره الكثير من الرسل،
كقوله تعالى: { ثم أرسلنا رسلنا تترى { (المؤمنون: ٤٤) وهم يوشع وأشمويل وشمعون
وداود وسليمان وشعيا وأرميا وعزير وحزقييل وإلياس واليسع ويونس وزكريا ويحيى وغيرهم.
وقيل: { عيسى { بالسريانية أي شوع. و { مريم { بمعنى الخادم. وقيل: المريم بالعربية
من النساء، كالزير من الرجال. وبه فسر قول رؤية:
قلت لزير لم تصله مريمه
(٣٥٣/١)

ووزن "مريم" عند النحويين "مفعول" لأن فعلا بفتح الفاء لم يثبت في الأبنية كما ثبت
نحو عثير وعليب { البيئات { المعجزات الواضحات والحجج. كإحياء الموتى وإبراء الأكمه
والأبرص والإخبار بالمغيبات. وقرئ: "وآيدناه". ومنه: آجده بالجيم إذا قواه. يقال:
الحمد لله الذي آجدني بعد ضعف، وأوجدني بعد فقر. { بروح القدس { بالروح المقدسة كما
تقول: حاتم الجود، ورجل صدق. ووصفها بالقدس كما قال: { وروح منه { (النساء: ١٧١)
فوصفه بالاختصاص والتقريب للكرامة. وقيل: لأنه لم تضمه الأصباب، ولا أرحام الطوامث.
وقيل: بجبريل. وقيل: بالإنجيل كما قال في القرآن: { وروحا من أمرنا { (الشورى: ٥٢)
وقيل: باسم الله الأعظم الذي كان يحيي الموتى بذكره. والمعنى: ولقد آتينا يابني

إسرائيل أنبياءكم ما آتيناهم { أفكلما جاءكم رسول { منهم بالحق { استكبرتم { عن
الإيمان به، فوسط بين الفاء وما تعلقت به همزة التوبيخ والتعجيب من شأنهم. ويجوز أن
يريد: ولقد آتيناهم ما آتيناهم ففعلتم ما فعلتم. ثم وبخهم على ذلك. ودخول الفاء
لعطفه على المقدر. فإن قلت: هلا قيل وفريقا قتلتم؟ قلت: هو على وجهين: أن تراد
الحال الماضية، لأن الأمر فظيع فأريد استحضاره في النفوس وتصويره في القلوب، وأن
يراد: وفريقا تقتلونهم بعد لأنكم تحومون حول قتل محمد صلى الله عليه وسلم لولا أنني
أعصمه منكم. ولذلك سحرتموه وسممتم له الشاة. وقال
صلى الله عليه وسلم عند موته:

)

(٣٥٤/١)

٤٣) "ما زالت أكلة خيبر تعادني، فهذا أوان قطعت أبهري" { غلف { جمع أغلف، أي هي حلقة وجبله مغطاة بأغطية لا يتوصل إليها ما جاء به محمد صلى الله عليه وسلم ولا تفقهه، مستعار من الأغلف الذي لم يختن، كقولهم: قلوبنا في أكنة مما تدعونا إليه. ثم رد الله أن تكون قلوبهم مخلوقة كذلك لأنها خلقت على الفطرة والتمكن من قبول الحق، بأن الله لعنهم وخذلهم بسبب كفرهم، فهم الذين غلفوا قلوبهم بما أحدثوا من الكفر الزائغ عن الفطرة وتسبوا بذلك لمنع الألفاف التي تكون للمتوقع إيمانهم وللمؤمنين { فقليلًا ما يؤمنون { فإيماننا قليلًا يؤمنون. وما مزيدة، وهو إيمانهم ببعض الكتاب. ويجوز أن تكون القلة بمعنى العدم. وقيل: "غلف" تخفيف "غلف" جمع "غلاف"، أي قلوبنا أوعية للعلم فنحن مستغنون بما عندنا عن غيره. وروي عن أبي عمرو: قلوبنا غلف، (٣٥٥/١)

بضميتين { كتاب من عند الله { هو القرآن { مصدق لما معهم { من كتابهم لا يخالفه. وقرىء: "مصدقًا"، على الحال. فإن قلت: كيف جاز نصبها عن النكرة؟ قلت: إذا وصف النكرة تخصص فصح انتصاب الحال عنه، وقد وصف "كتاب" بقوله: { من عند الله { وجواب لما محذوف وهو نحو: كذبوا به، واستهانوا بمجيئه، وما أشبه ذلك { يستفتحون على الذين كفروا {

يستنصرون على المشركين، إذا قاتلوهم قالوا: اللهم انصرنا بالنبي المبعوث في آخر الزمان الذي نجد نعته وصفته في التوراة، ويقولون لأعدائهم من المشركين: قد أظل زمان نبي يخرج بتصديق ما قلنا فنقتلكم معه قتل عاد وإرم: وقيل معنى { يستفتحون { يفتحون عليهم ويعرفونهم أن نبيا يبعث منهم قد قرب أوانه. والسين للمبالغة، أي يسألون أنفسهم الفتح عليهم، كالسين في استعجب واستسخر، أو يسأل بعضهم بعضا أن يفتح عليهم {

فلما جاءهم ما عرفوا { من الحق { كفروا به { بغيا وحسدا وحرصا على الرئاسة. { على الكافرين { أي عليهم وضعا للظاهر موضع المضمحل للدلالة على أن اللعنة لحققتهم لكفرهم. واللام للعهد. ويجوز أن تكون للجنس ويدخلوا فيه دخولا أوليا. (١)

(١) قوله (قلت لزير لم تصله مريمه

بعده :

ضليل أهواء الصبي يلدمه

هذا البيت من قصيدة قالها رؤبة في أبي جعفر الدوانيقي : والزير من الرجال الذي الذي يحب محادثة النساء ، ومجالستهن ، ومريم مفعول من رame ، يريمه ريم ، أي : فارقه ، ومن ثم قيل : مريم للمرأة التي تكون م الرجل لها ، كأنه سميت بذلك تمليحا ، كما يقال كافور الأسود ، قال أبو البقاء : ومريم : علم أعجمي ولو كان مشتقا من رام يريم كان مريما بفتح الميم ، وسكون الياء ، واللام في الزير بمعنى لأجل وصليل مجرور صفة لزير ، وفاعله يلدمه على الاسناد المجازي ، نحو نهاره صائم ، والعثير : العثار ، وغلبت اسم واد يجوز في الصرف ومنعه .

قوله : (كما تقول حاتم الجود) والأصل حاتم الجواد ثم حاتم الجود فهو من اضافة الموصوف إلى الصفة للمبالغة في الاختصاص ، قيل : ففي الصفة القدس منسوب إليها ، أي روح مقدسة ، وفي الاضافة بالعكس ، نحو مال زيد .

قوله : كما قال : [٧٥٠] { وروح منه } التشبيه واقع في المبالغة في الكرامة ، أي : فوصفها بالقدس للكرامة ، كما وصفه بالاختصاص للكرامة ، والفاء في فوصفه تفسيرية .

قوله : (توسط بين الفاء وما تعلق به همزة التوبيخ ، يعني كلما جاءكم مسبب عن قوله { ولقد آتينا موسى الكتاب } ولقد أدخلت الفاء عليه على تقدير نحن أنعمنا عليكم ببعثة موسى واتيانه الكتاب ، ثم باتباع الرسل بعده { وآتينا عيسى البيئات } لتشكروا تلك النعم بالقبول ، فعكستم بأن كذبتهم فريقا ، وقصدتهم قتل آخرين ، على نحو { وتجعلون رزقكم أنكم تكذبون } ثم أدخل بين السبب والمسبب همزة التوبيخ والتعجيب من تعكيسهم فيما يجب عليهم ، واعام أن ادمال الهمزة في اثناء الكلام خلاف الأصل ؛ لأن زينتها الصدر ، لكنهم يقحمونها للتأكيد .

قال أبو البقاء : دخلت الفاء هنا لتربط ما بعدها بما قبلها .

وقال الزجاج : الألف في { أفأنت } في قوله تعالى : { أفمن حق عليه كلمة العذاب أفأنت تنقذ من في النار } جاءت مؤكدة مفاده لما طال الكلام .

ومعنى : معاووني . مراجعتي ومعاودتي أتوسمها في أوقات معدودة ، وانعداد : أحتاج وجمع اللديغ : إذا تمت له سنة منذ يوم لدغ ، احتاج به الألم ، فقال : عادته اللسعة إذا أنته تعداد قال :

ألاقي من يذكر آل ليلي***كما يلقي السليم من العداد
والأبهر : عرق مستبطن القلب ، فإذا انقطع لم يبق معه حياة .
قوله : (أي هي خلقه وخيله مغشاه) هي مبتدأ مغشاه : خبره ، وخلقه وخيله منصوبان على
التمييز ، أو الحال ، أو الظرف .
قوله : (وهم الذين غلقوا قلوبهم) إلى آخره .
الطبي : فيه إشعار بادعاء التخصيص على ما يقتضيه مذهبه ، يعني هم الذين تسبوا بأن
غلقوا قلوبهم ؛ لا أنها مخلوقة لله ، يدل عليه ادعاؤهم أن قلوبهم مخلوقة على الكفر
، ورد الله قولهم بقوله : { بل لعنهم الله بكفرهم } فقوله : { لعنهم الله } على هذا
وضع موضع غلق الله ، والجواب ما ذكره صاحب الانتصاف : وإنما كذبهم في ادعائهم عدم
الاستطاعة ، والتمكن ، وإنما هم اختاروا الكفر على الإيمان فوق إجبارهم مقارنا
لخلق الله الكفر في قلوبهم بعد ما أنشأهم على الفطرة إقامة للحجة عليهم .
وأنا أقول : ما مثل الطبي وصاحب الانتصاف في هذا الجواب إلا مثل النعامة ، قيل لها
: طيري ، قالت : أنا جمل ، قيل لها : احلمي ، قالت : أنا طائر ؛ لأن أفعال العباد
عندهما إذا كانت من فعل الله تعالى ومن جملتها ادعاء عدم الاستطاعة ، واختيار الكفر
، فالمدعي لعدم الاستطاعة هو الله ، وكذا المختار للكفر هو الله لا الكافر فلا يصل
التكذيب ، وكيف يكذب الكافر إذا ادعى أنه غير مستطيع ، وغير متمكن من الإيمان ، وهو
صادق عندهما ، وذلك لأن الاستطاعة عبارة عن القدرة ، ولو كان قادرا على الإيمان
لوجد منه على رأيهما ؛ لأن القدرة عندهما موجبة للفعل مقارنة له .
قوله : (ما مزيدة) قال أبو البقاء : ما زائدة ، وقليل : صفة مصدر محذوف ، أي : إنما
قليلًا يؤمنون ، وقيل : صفة لظرف ، أي : فرمنا قليلا يؤمنون ، ولا يجوز أن تكون ما
مصدرية ؛ لأن قليلا لا يبقى له ناصب ، فكان يجب رفع قليل ، بأن يكون خبرا ، والمصدر
المعرف بالاضافة مبتدأ ؛ لأن المعنى على تقدير المصدرية : فإنما هم ... قليل ،
ولا يجوز أن تكون نافية ؛ لأن ما بعد النفي لا يعمل فيما قبله .
قوله : (ويجوز أن تكون القلة بمعنى العدم كما جاء في الحديث) إنه كان يقل اللغو ،
أي : لا يلغو أصلا ، ومنه قول الحماسي :
قليل التشكي للمهم يصيبه***
أي : عديمه ، ومعنى (أضل زمان نبي) دنا وقرب ، وهو من قولهم : أضلك فلان ، إذا دنا
منك ، كأنه ألقى عليك ظله .
قوله : (والسين للمبالغة) أي : هو من باب التجريد ، جردوا من أنفسهم أشخاصا وسألوهم

الفتح أي : يا نفس عرفي حق الكافرين ، أن نبيا يبعث إليهم ، وهو المراد بقوله :
يسألون أنفسهم الفتح عليهم ، ومنه قولهم : مر مستعجلا ، أي : مر طالبا للعجل من
نفسه .

قوله: (دخولا أوليا) أي : قصدنا أن لفظ الكافرين يعم اليهود وغيرهم من سائر

المشركين ، لكن اليهود داخلون في هذا العام دخولا قصديا ، لأن الكلام سبق بالاضافة
فيهم ، ونظيره ما إذا قلت : ظلمني فلان فلجنة الله على الظالمين ، فإنه يدخل في
اللجنة أول كل ظالم ؛ لأن الكلام جيء به لأجله .

(٣٥٦/١)

{ بئسما (#\$©yIôzru÷#) به أنفسهم أن يكفروا بما &Rr"tAu الله بغيا أن ينزل الله
من

سùzô#ح&d¾¾ على من يشاء من ¾¾nd¾¾دم فباءوا بغضب على غضب
مU#xtz ur¾¾=s3ù"حچدےf

&RéحtA ح(90g-B) وإذا قيل لهم آمنوا بما &Rr"tAu الله قالوا نؤمن بما &Rr"tAu
علينا

ويكفرون بما وراءه وهو الحق مصدقا لما معهم قل sù=dzN تقتلون أنبياء الله من قبل إن
كنتم ر¾¾Züüد91) (B÷s-B {
(٣٥٧/١)

"ما" نكرة منصوبة(١) مفسرة لفاعل بئس بمعنى بئس شيئا { اشتروا به أنفسهم { والمخصوص
بالذم { أن يكفروا { واشتروا بمعنى باعوا { بغيا { حسدا وطلبا لما ليس لهم، وهو علة
اشتروا { أن ينزل { لأن ينزل أو على أن ينزل، أي حسدوه على أن ينزل الله { من فضله
{ الذي هو الوحي { على من يشاء { وتقتضي حكمته إرساله { فباءوا بغضب على غضب {
فصاروا أحقاء بغضب مترادف(٢)، لأنهم كفروا بنبي الحق وبغوا عليه. وقيل: كفروا بمحمد
بعد عيسى. وقيل: بعد قولهم عزيز ابن الله، وقولهم: يد الله مغلولة، وغير ذلك من
أنواع كفرهم { بما أنزل الله { مطلق فيما أنزل الله من كل كتاب { قالوا نؤمن بما
أنزل علينا { مقيد بالتوراة { ويكفرون بما وراءه { أي قالوا: ذلك والحال أنهم
يكفرون بما وراء التوراة { وهو الحق مصدقا لما معهم { منها(٣)

(١) قوله: ("ما" نكرة منصوبة) قال أبو البقاء : ما نكرة موصوفة ، واشتروا صفتها ، وأن تكفروا مخصوص بالذم ، واشتروا بمعنى باعوا ، وهو من الاضداد ، فالأنفس بمنزلة الثمن ، والكفر بمنزلة المثلث ، وهو على الاستعارة ، أراد أنهم اختاروا الكفر على الإيمان ، و(حسدا وطلبا) قيل : هما تفسيران لقوله { بغيا } وقيل : حسدا تفسير لقوله :

بغيا { وطلبا تفسير لحسدا ، وهو علة اشتروا ، أي : بغيا ، وقال القاضي : فيه علة أن يكفروا دون اشتروا للفصل ، والمعنى مع ال ... ؛ لأن فيه أن يبيع أنفسهم بالكفر إنما كان لمحض الحسد ، و { أن يكفروا } جاز الفصل به لأنه المخصوص بالذم فليس بأجنبي ، حكما لا يجوز الفصل به .

(٢) قوله: (فصاروا أحقاء بغضب مترادف) دل على كونهم أحقاء ، ترتب الحكم على الوصف بالفاء ،

(٣) قوله: (لما معهم { منها } من بيان ، والضمير في منها للتورية ، وقيل : للتبعض ، والضمير للكتب .

قوله: (وفيه رد لمقالتهم { أي : أدمج بإيقاع { يكفرون } حالا من فاعل { نؤمن } هذا المعنى ، معنى : انهم في هذا المعنى شاهدون على أنفسهم بالكذب .
(٣٥٨/١)

غير مخالف له ، وفيه رد لمقالتهم لأنهم إذا كفروا بما يوافق التوراة فقد كفروا بها ثم اعترض عليهم بقتلهم الأنبياء مع ادعائهم الإيمان بالتوراة والتوراة لا تسوغ قتل الأنبياء.

{ * ولقد جاءكم س4yq-B بالبينات ثم اتخذتم العجل من ¼nd÷%èt/ وأنتم
كqJ="sك

(٩٢) وإذا أخذنا ميثاقكم ورفعنا فوقكم الطور خذوا ما آتيناكم بقوة واسمعوا قالوا سمعنا وعصينا (#qç/حجé©&ur في قلوبهم العجل dNحج6àخ/ قل بئسما يأمركم به إيمانكم

إن كنتم ٩3دZü (B÷s-B {
}

(٣٥٩/١)

وأنتم ظالمون { يجوز أن يكون حالا ، أي عبدتم العجل وأنتم واضعون العبادة غير موضعها ، وأن يكون اعتراضا (١) بمعنى : وأنتم قوم عادتكم الظلم . وكرر رفع الطور (٢) لما نيط به من زيادة ليست مع الأول مع ما فيه من التوكيد { واسمعوا } ما أمرتم به في التوراة { قالوا سمعنا } قولك { وعصينا } أمرك . فإن قلت : كيف طابق قوله جوابهم ؟ قلت : طابقه من حيث أنه قال لهم : { اسمعوا } وليكن سماعكم سماع تقبل وطاعة ، فقالوا : { سمعنا } ولكن لا سماع طاعة { وأشربوا في قلوبهم العجل } أي تداخلهم حبه (٣) والحرص على عبادته كما يتداخل الثوب الصبغ . وقوله : { في قلوبهم } بيان لمكان الإشراب كقوله : { إنما يأكلون في بطونهم نارا } . }

(١) قوله : (وأن يكون اعتراضا) قال الطيبي : أي : أنه يقال ... عن المعترضة هي التي اعترضت بين كلام أو بين كلامين متصلين معنى ، و التذييل : ما يؤكد به بعد تمام الكلام ، والفرق بين أن تكون حالا ، وبين أن تكون اعتراضا أن الحال لبيان هيئة المعمول ، والاعتراض لتأكيد الجملة بتمامها ، ومن ثم قال هي في الحال : وأنتم واضعون العبادة غير موضعها ، وفي الاعتراض : وأنتم قوم عادتكم الظلم ، أي الظلم استمر منكم ، وعبادة العجل نوع منه ، وأيضا الجملة الحالية مقيدة للمطلق ، فتكون كالمخصص للعام ، والمعترضة أعم متى اعترضت فيه ، وإليه الإشارة بقوله : وأنتم قوم عادتكم الظلم .

(٢) قوله : (وكرر رفع الطور) لما نيط به من زيادة ليست مع الأولى ، والزيادة قوله : { وأشربوا في قلوبهم } الآية .

(٣) قوله : (أي : تداخلهم حب العجل) أراد أنه حذف الحب ، وأقيم العجل المضاف إليه مقامه ، وفي قلوبهم بيان لمكان الإشراب ، وذلك لأن قوله : { وأشربوا ... حب العجل } منهم كقوله : { رب اشرح لي صدري } فكما أن صدري بيان لقوله : لي ، كذلك { في قلوبهم } فكأنه لبيان الإشراب ، وهو الاسقاء ، ومعنى (إضافة الأمر إلى إيمانهم) نسبته إليه .

(٣٦٠/١)

بكفرهم { بسبب كفرهم } بنس ما يأمركم به إيمانكم { بالتوراة ، لأنه ليس في التوراة عبادة العجائيل . وإضافة الأمر إلى إيمانهم تهكم ، كما قال قوم شعيب { أصلاتك تأمرك }

(هود: ٨٧) وكذلك إضافة الإيمان إليهم وقوله: { إن كنتم مؤمنين } تشكيك في إيمانهم وقدح في صحة دعواهم له.

{ قل إن كانت لكم الدار ن ou چ 1/2 # \$ z Fy عند الله خالصة من دون الناس فتمنوا الموت إن

كنتم صادقين (٩٤) ولن يتمنوه أبدا بما قدمت N خ % o o k % و fr ÷ & والله L v د t و بالظالمين

(٩٥) N ه X y % k @ إ ft G s 9 u r ظف u چ & o m r الناس على ؛ x m o 4 q u ومن الذين أشركوا يود أحدهم لو

يعمر ألف سنة وما هو 3/4 n d m ح " o m u ك ل خ / من العذاب أن u چ J y è f والله بصير بما يعملون

{ (٩٦)

{ خالصة } نصب على الحال من الدار الآخرة (١).

(١) قوله: { خالصة } نصب على الحال من الدار الآخرة قيل : الوجه أن يكون حالا من الضمير المستتر في الخير العائد إلى الدار الآخرة ، لأن اسم كان لا يقع عنه الحال ، وهو ممنوع خصوصا على قول من عده فاعلا ، وقال أبو البقاء : خبر كان لكم ، وعند الله ظرف ، وخالصة حال ، والعامل فيها كان أو الاستقرار ، والخبر عند الله حال ، والعامل فيها إما عند الله ، أو ما يتعلق به ، أو كان ، أو لكم . وقال ابن جني في الدمشقيات : يدل على جواز نصب كان وأخواتها الأحوال قول الشاعر : فكونوا أنتم وبنو أبيكم *** مكان الكلبيتين من الطحال

وقال السيد ابن الشجري في الأمالي . ونعم ما قال . : ومن منع من الجهال إعمال كان في الأحوال فغير مأخوذ بقوله ، فرائحة الفعل تعمل فيها ، فما ظنك بكان ، وهي فعل متصرف يعمل فيه الرفع والنصف في الأسماء الظاهرة والمضمرة ، وليست كان في نصبها الحال بأسوأ حالا من حرف التنبيه ، واسم الإشارة ، ومعنى (جاء على فاقة) جاء على حاجة .

(٣٦١/١)

والمراد الجنة، أي سالمة لكم، خاصة بكم، ليس لأحد سواكم فيها حق. يعني إن صح قولكم

لن يدخل الجنة إلا من كان هودا. و { الناس } للجنس وقيل: للعهد وهم المسلمون { فتمنوا الموت } لأن من أيقن أنه من أهل الجنة اشتاق إليها وتمنى سرعة الوصول إلى النعيم والتخلص من الدار ذات الشوائب، كما روي عن المبشرين بالجنة ما روي. كان علي رضي الله عنه يطوف بين الصفيين في غلالة، فقال له ابنه الحسن: ما هذا بزي المحاربين. فقال: يا بني لا يبالي أبوك على الموت سقط، أم عليه سقط الموت. وعن حذيفة رضي الله عنه أنه كان يتمنى الموت، فلما احتضر قال: حبيب جاء على فاقة، لا أفلح من ندم. يعني على التمني. وقال عمار بصفين: الآن ألقى الأوبة محمدا وحزبه. وكان كل واحد من العشرة (١)

(١) قوله: (كل واحد من العشرة المبشرين بالجنة { وهم : علي والثلاثة وابن عوف**** وسعد منهم وكذا سعيد

كذاك أبو عبيدة فهو منهم**** وطلحة والزبير ولا مزيد
(٣٦٢/١)

يحب الموت ويحن إليه. وعن النبي صلى الله عليه وآله وسلم (٤٤) "لو تمنوا الموت لغص كل إنسان بريقه فمات مكانه وما بقي على وجه الأرض يهودي" { بما قدمت أيديهم { بما أسلفوا من موجبات النار من الكفر بمحمد وبما جاء به، وتحريف كتاب الله، وسائر أنواع الكفر والعصيان. وقوله: { ولن يتمنوه أبدا { من المعجزات لأنه إخبار بالغيب وكان كما أخبر به كقوله: { ولن تفعلوا { فإن قلت: ما أدراك أنهم لم يتمنوا؟ قلت: لأنهم لو تمنوا لنقل ذلك كما نقل سائر الحوادث، ولكان ناقلوه من أهل الكتاب وغيرهم من أولى المطاعن في الإسلام أكثر من الدر، وليس أحد منهم نقل ذلك. فإن قلت: التمني من أعمال القلوب، وهو سر لا يطلع عليه أحد فمن أين علمت: أنهم لم يتمنوا؟ قلت: ليس التمني من أعمال القلوب إنما هو قول الإنسان بلسانه: ليت لي كذا، فإذا قاله قالوا: تمنى، وليت: كلمة التمني، ومحال أن يقع التحدي بما في الضمائر والقلوب ولو كان التمني بالقلوب وتمنوا لقالوا: قد تمنينا الموت في قلوبنا، ولم ينقل أنهم قالوا ذلك فإن قلت: لم يقولوه لأنهم علموا أنهم لا يصدقون. قلت: كم حكى عنهم من أشياء قالوا بها المسلمين من الافتراء على الله وتحريف كتابه وغير ذلك مما علموا أنهم غير مصدقين فيه ولا محمل له إلا الكذب البحت ولم يبالوا، فكيف يمتنعون من أن يقولوا إن

التمني من أفعال القلوب وقد فعلناه، مع احتمال أن يكونوا صادقين في قولهم وإخبارهم عن ضمائرهم، وكان الرجل يخبر عن نفسه بالإيمان فيصدق مع احتمال أن يكون كاذبا لأنه أمر خاف لا سبيل إلى الاطلاع عليه { والله عليم بالظالمين } تهديد لهم { ولتجدنهم }

هو من وجد بمعنى علم المتعدي إلى مفعولين في قولهم: وجدت زيدا ذا الحفاظ ومفعولاه "هم أحرص".
(٣٦٣/١)

فإن قلت: لم قال: { على حياة } بالتنكير؟ قلت: لأنه أراد حياة مخصوصة وهي الحياة المتطاولة، ولذلك كانت القراءة بها أوقع من قراءة من قراءة أبي "على الحياة" { ومن الذين أشركوا } محمول على المعنى لأن معنى أحرص الناس: أحرص من الناس. فإن قلت: ألم يدخل الذين أشركوا تحت الناس؟ قلت: بلى، ولكنهم أفردوا بالذكر لأن حرصهم شديد. ويجوز أن يراد: وأحرص من الذين أشركوا، فحذف لدلالة أحرص الناس عليه. وفيه توبيخ عظيم: لأن الذين أشركوا لا يؤمنون بعاقبة ولا يعرفون إلا الحياة الدنيا، فحرصهم عليها لا يستبعد لأنها جنتهم، فإذا زاد عليهم في الحرص من له كتاب وهو مقر بالجزاء كان حقيقا بأعظم التوبيخ. فإن قلت: لم زاد حرصهم على حرص المشركين؟ قلت: لأنهم علموا. لعلمهم بحالهم. أنهم صائرون إلى النار لا محالة والمشركون لا يعلمون ذلك. وقيل: أراد بالذين أشركوا المجوس (١)، لأنهم كانوا يقولون لملوكهم: عش ألف نيروز وألف مهرجان. وعن ابن عباس رضي الله عنه: هو قول الأعاجم: زي هزار سال. وقيل: "ومن الذين أشركوا" كلام مبتدأ، أي ومنهم ناس { يود أحدهم } على حذف الموصوف كقوله: { وما منا إلا له مقام معلوم } (الصفات: ١٦٤) والذين أشركوا. على هذا. مشار به إلى اليهود (٢)، لأنهم قالوا: عزيز ابن الله. والضمير في { وما هو } لأحدهم و { أن يعمر } فاعل بمزحزحه، أي: وما أحدهم بمن يزحزحه من النار تعميره.

(١) قوله: (وقيل: أراد بالذين أشركوا المجوس) قال المقري رحمه الله: هذا الوجه أحسن وأعذب، وذلك [٧٥٢] أن استعمال هذه الألفاظ عندهم أكثر وأدور، على أن المعنى الأول حاصل فيه.

(٢) قوله: (والذين أشركوا. على هذا. مشار به إلى اليهود) يعني أقيم المظهر مقام

المضمّر، ولهذا قدر: ومنهم ناس، ليؤذن أن الموحد يحب لقاء الله، كما أن المشرك يكره لقاء الله.

وقيل: الضمير لما دل عليه يعمر من مصدره (١)، وأن يعمر بدل منه. ويجوز أن يكون "هو" مبهما (٢)، وأن "يعمر" موضحة. والرحمة: التباعد والإنحاء فإن قلت: يود أحدهم ما موقعه؟ قلت: هو بيان لزيادة حرصهم على طريق الإستئناف. فإن قلت: كيف اتصل لو يعمر بيود أحدهم؟ قلت: هو حكاية لودادتهم. و "لو" في معنى التمني، وكان القياس: لو أعمر (٣)، إلا أنه جرى على لفظ الغيبة لقوله: { يود أحدهم } كقولك: حلف بالله ليفعلن.

{ قل من كان عدوا لـ @fخز٩j9df فإنه نزل على قلبك بإذن الله مصدقا لما بين يديه وهدى وبشرى للمؤمنين (٩٧) من كان عدوا لله وملائكته &د٣/٤ ح#ك'urTM وجبريل وميكايل فإن

الله عدو f`zحجده"98د=s3ù (j9 {

-
- (١) قوله: (دل عليه يعمر من مصدره) كأن قيل: وما المعمر بمزحزحه من العذاب تعميره ، وأن يعمر بدل منه ، أي : بدل من المصدر المدلول عليه .
- (٢) قوله: (ويجوز أن يكون "هو" مبهما ، وأن يعمر موضحة) لم يرد به أنه ضمير شأن ؛ لأن ضمير الشأن لا يفسره إلا جملة ، ودخول الباء في { بمزحزحه } يمنع من كون ما بعده جملة ، بل أراد أنه مبهم كإبهام الضمير في { فسواهن سبع سموات } .
- (٣) قوله: (وكان القياس: لو أعمر) لأن الذي صدر منهم من القرآن هو على حكاية النفس ، لكن نظر إلى ظاهر يود فاجري مجراه ، فهو قريب من المشاكلة
- (٣٦٥/١)

يروى: (٤٥) أن عبد الله بن سوريا من أحبار "فدك" حاج رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ، وسأله عمن يهبط عليه بالوحي، فقال: جبريل، فقال: ذاك عدونا، ولو كان غيره لآمنا بك، وقد عادانا مرارا، وأشدّها أنه أنزل على نبينا أن بيت المقدس سيخرجه بختنصر، فبعثنا من يقتله فلقية ببابل (١) غلاما مسكينا، فدفع عنه جبريل وقال: إن كان ربكم أمره بهلاككم فإنه لا يسلطكم عليه، وإن لم يكن إياه فعلى أي حق تقتلون. وقيل:

أمره الله تعالى أن يجعل النبوة فينا فجعلها في غيرنا.

(١) قوله: (فلقيه بابل) النهاية : بابل هو الصقع المعروف بالعراق ، وألفه غير مهموز ، و(غلاما) توطئة للحال التي هي مسكينا ، ومدارس اليهود : صاحب كتبهم ، وهو أيضا البيت الذي يدرسون فيه ، ومفعال غريب في المكان .
(٣٦٦/١)

وروي: (٤٦) أنه كان لعمر رضي الله عنه أرض بأعلى المدينة، وكان يمره على مدارس اليهود، فكان يجلس إليهم ويسمع كلامهم، فقالوا: يا عمر، قد أحببناك، وإنا لنطمع فيك فقال: والله ما أجيئكم لحبكم، ولا أسألكم لأنني شاك في ديني، وإنما أدخل عليكم لأزداد بصيرة في أمر محمد صلى الله عليه وآله وسلم ، وأرى آثاره في كتابكم، ثم سألهم عن جبريل فقالوا: ذاك عدونا يطلع محمدا على أسرارنا، وهو صاحب كل خسف وعذاب،

وإن ميكائيل يجيء بالخصب والسلام. فقال لهم: وما منزلتهما من الله تعالى قالوا: أقرب منزلة، جبريل عن يمينه، وميكائيل عن يساره. وميكائيل عدو لجبريل. فقال عمر: لن كانا كما تقولون فما هما بعدوين، ولأنتم أكفر من الحمير(١)،

(١) قوله: (ولأنتم أكفر من الحمير) قال الميداني : قولهم : أكفر من حمار ، وهو رجل من عاد ، يقال له : حمار بن مويلع ، وقيل : هو حمار بن مالك الأزدي ، كان مسلما ، وكان له واد طوله مسيرة يومه في عرض أربعة فراسخ ، لم يكن ببلاد العرب أخصب منه ، فخرج بنوه يتصيدون فأصابته صاعقة فأهلكتهم فكفر ، وقال : لا أعبد من قعل هذا ، ودعا قومه إلى الكفر فمن عصاه قتله ، فأهلكه الله ، وأخرب واديه ، فسرت به المثل ، قال الشاعر :

ألم تدر أن حارثة بن بدر***يصلي وهو أكفر من حمار

وقيل : لأن الكفر من الجهل ، ولا شيء أجهل وأبلد من الحمار ، قفشليل .. قيل : هو معرب كنجلتين ...

(٣٦٧/١)

ومن كان عدوا لأحدهما كان عدوا للآخر، ومن كان عدوا لهما كان عدوا لله. ثم رجع عمر

فوجد جبريل قد سبقه بالوحي، فقال النبي صلى الله عليه وآله وسلم لقد وافقك ربك يا عمر. فقال عمر: لقد رأيته في دين الله بعد ذلك أصلب من الحجر. وقرأ: "جبرئيل"، بوزن قفشليل و"جبرئيل" بحذف الياء، و"جبريل" بحذف الهمزة، و"جبريل" بوزن قنديل، و"جبرال" بلام شديدة. و"جبرائيل" بوزن جبراعيل. و"جبرائيل" بوزن جبراعل. ومنع الصرف فيه للتعريف والعجمة. وقيل معناه: عبد الله. الضمير في { نزل } للقرآن. ونحو هذا الإضمار. أعني إضمار ما لم يسبق ذكره. فيه فخامة لشأن صاحبه، حيث يجعل لفرط شهرته كأنه يدل على نفسه، ويكتفي عن اسمه الصريح بذكر شيء من صفاته { على قلبك } أي حفظه

إياك وفهمكه { ياذن الله } بتيسيره وتسهيله. فإن قلت: كان حق الكلام أن يقال: على قلبي. قلت: جاءت على حكاية كلام الله تعالى كما تكلم به، كأنه قيل: قل ما تكلمت به من قولي: من كان عدوا لجبريل فإنه نزل على قلبك. فإن قلت: كيف استقام قوله: "فإنه نزل" جزاء للشرط (١)؟

(١) قوله: (فإن قلت: كيف استقام قوله: "فإنه نزل" جزاء للشرط) اعلم ان المعترض اعترض بأنه لا ملازمة بين الشرط والجزاء هنا ، وأجاب المصنف بأن التقدير : من كان عدوا لجبريل فلا وجه لامعاداته ، أو فلها وجه لأنه نزل على قلبك ، فحذف المعلل ، وجيء بالعلة ، وأدخلت الفاء عليها لدلالة العلة المساوية على المعلول المساوي ، فتكون قرينة المحذوف موجودة ، اعني دلالتها عليه ، فحذف لذلك ، وبيان الوجهين ، أعني لا وجه له ، وله وجه مذكور في الكتاب ، ومعاداة جبريل وإن لم تكن مستلزمة للمقدر أنه جزاء ، فهي مستلزمة للاخبار به ، وعلى هذا فيبين الشرط والجزاء ملازمة .

عبارة أخرى. خلاصة الجواب أن الجزاء هنا مؤول بالاخبار ، والاعلام انكارا على اليهود ، وبيانه من وجهين. أحدهما : قوله : فلا وجه لمعاداته ، يعني من كان من هؤلاء اليهود فإني أعلمكم أنه معاند مكابر لا إنصاف له فلا وجه لمعاداته ؛ لأنه

أنزل كتابا مصدقا لكتابهم ، وكان الواجب أن يتلقاه بالقبول ، لكن ما أنصف ، وهو المراد بقوله : فلو أنصفوا لأحبوه .

وثانيها : قوله : إن عاداه أحد فالسبب في عداوته أنه نزل على قلبك ، وهو نحو قولك : إن أكرمتني الآن فقد أكرمتك أمس ، يعني سبب عداوتهم ما أخبركم به ، وهو أنه نزل على قلبك ما يكرهونه .

قلت: فيه وجهان: أحدهما إن عادى جبريل أحد من أهل الكتاب فلا وجه لمعاداته حيث نزل كتابا مصدقا للكتب بين يديه، فلو أنصفوا لأحبوه وشكروا له صنيعه في إنزاله ما ينفعهم ويصح المنزل عليهم. والثاني: إن عاداه أحد فالسبب في عداوته أنه نزل عليك القرآن مصدقا لكتابهم وموافقا له، وهم كارهون للقرآن ولموافقته لكتابهم، ولذلك كانوا يحرفونه ويجحدون موافقته له، كقولك: إن عاداك فلان فقد أذيتة وأسأت إليه، أفرد الملكان بالذكر لفضلهما كأنهما من جنس آخر، وهو مما ذكر أن التباين في الوصف ينزل منزلة التباين في الذات. وقرئ: "ميكال"، بوزن قنطار. و"ميكائيل" كميكاعيل. و"ميكائيل" كميكاعيل. و"ميكل" كميكعل. و"ميكليل" كميكعيل. قال ابن جني: العرب إذا نطقت بالأعجمي خلطت فيه (١). { عدو للكافرين } أراد عدو لهم فجاء بالظاهر، ليدل على أن الله إنما عاداهم لكفرهم، وأن عداوة الملائكة كفر، وإذا كانت عداوة الأنبياء كفرا فما بال الملائكة وهم أشرف والمعنى من عاداهم عاداه الله وعاقبه أشد العقاب (٢).

}

(١) قوله: (خلطت فيه) أي: نطقت كيف شئت بناء على قولهم: إذا وجدت كلمة معربة فالعب بها.

(٢) قوله: (وعاقبه أشد العقاب) المعاقبة أخذت من معنى العداوة؛ لأن عداوة الله للعبد عبارة عن إرادة انزال العذاب به، وشديد العذاب أخذت من إعادة اسم الله في الجزاء، وهو اسم الذات الجامع المفيد في هذا المقام معنى القهر والأخذ، ووضع الظاهر في الكافرين موضع الضمير.

ولقد &Rr"uZ9u\$ إليك آيات؛ i tösY"M وما يكفر بها إلا الفاسقون (٩٩) أوكلما عاهدوا عهدا نبذه ×، fحجç sù منهم بل Nèd مژr.nY &n لا يؤمنون (١٠٠) ولما جاءهم رسول من

عند الله مصدق لما معهم نبذ ×، fحجç sù من الذين أوتوا الكتاب كتاب الله وراء ظهورهم

كأنهم لا تcقك101 (Jn=÷ètف {

}

إلا الفاسقون { إلا المتمردون من الكفرة. وعن الحسن: إذا استعمل الفسق في نوع من المعاصي وقع على أعظم ذلك النوع من كفر وغيره. وعن ابن عباس رضي الله عنه: (٤٧) قال ابن سوريا لرسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ما جئنا بشيء نعرفه وما أنزل عليك من آية فتبعك لها فنزلت. واللام في { الفاسقون } للجنس والأحسن أن تكون إشارة إلى أهل الكتاب (١) }

(١) قوله: (والأحسن أن تكون إشارة إلى أهل الكتاب) يعني: أن اللام في الفاسقون مع جواز أن تكون للجنس، ويدخل فيه اليهود دخولا [٧٥٣] أوليا علسيل المبالغة، والأحسن حملها على العهد، ووجه حسنه إفادة التخصيص المستفاد من ما، وإلا بهم، ليسجل عليهم خاصة بالتمرد في الكفر، ولأن الترمذ في الكفر أنسب بهم لعلمهم بأن الآيات حق، وإنكارهم لها مع ذلك، ولأنهم قد تمردوا في الكفر بمعاداتهم لجبريل وميائيل مع علمهم بقرب منزلتهما من الله، وأن ما جاء به حق، والمعنى: لا يصدر مثل هذا الفسق إلا من هؤلاء، والترقي من الأهون إلى الأغظ في الإنكار سيما على قراءة أبي الشمال في الاضراب، أثبت أولا أنهم مبالغون في الفسق، ثم أضرب عنه بقوله: { أو كلما عاهدوا عهدا نبذه فريق { أي: ليس هذا أول فسقهم، وكفرهم بآيات الله، بل كلما عاهدوا عهدا نبذ فريق منهم ف... هم من الذين مضوا ثم أضرب عن هذا إلى ما هو أعلى منه بقوله: { بل أكثرهم لا يعلمون { أي: ما صدر النبذ من فريق منهم فقط، بل أكثرهم كافرون، وعلى قراءة أبي الشمال، وهو باللام { أو كلما { عطف من حيث المعنى على صلة الموصول، وأو بمعنى بل لا الشك، قال ابن جني: وهذه هي التي بمعنى أم المنقطعة، وكلتاها بمعنى بل موجودة في الكلام كثيرا. قال ذو الرمة:

بدت مثل قرن الشمس في رونق الضحى*** وصورتها أو أنت في العين أملح

... وكذا قال في قوله تعالى { وأرسلناه إلى مائة ألف أو يزيدون { أي: بل يزيدون، وقال ابن جني: لا يجوز سكون الواو على أنها حرف عطف كقراءة الكافة؛ لأن حرف العطف لم يسكن، وإنما يسكن ما بعده نحو، وهو.

أو كلما { الواو للعطف على محذوف معناه أكرموا بالآيات والبيّنات وكلما عاهدوا. وقرأ أبو السّمّال بسكون الواو على أن الفاسقون بمعنى الذين فسقوا، فكأنه قيل: وما يكفر بها إلا الذين فسقوا، أو نقضوا عهد الله مرارا كثيرة. وقرأ "عاهدوا وعهدوا" واليهود موسومون بالغدر ونقض العهود، وكَم أخذ الله الميثاق منهم ومن آبائهم فنقضوا. وكَم عاهدهم رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فلم يفوا { الذين عاهدت منهم ثم ينقضون عهدهم في كل مرة { (الأنفال: ٥٦). والنبد الرمي بالذمام ورفضه. وقرأ عبد الله "نقضه" { فريق منهم { وقال فريق منهم، لأنّ منهم من لم ينقض { بل أكثرهم لا يؤمنون { بالتوراة وليسوا من الدين في شيء، فلا يعدون نقض المواثيق ذنبا ولا يبطلون به. { كتاب الله { يعني التوراة، لأنّهم يكفروهم برسول الله المصدق لما معهم كافرون بها نابذون لها. وقيل: كتاب الله القرآن، نبذوه بعد ما لزمهم تلقيه بالقبول. { كأنهم لا يعلمون { أنه كتاب الله لا يدخلهم فيه شك (١).

(١) قوله: (لا يدخلهم فيه شك) قيل: هو خير بعد خير، أي: كأنهم يعلمون أنه كتاب الله، ولا يعلمون أنه كتاب مشكوك فيه، أو في تأويل مصدر، أي: كأنهم لا يعلمون أنه كتاب الله علم تحقيق، أو حال من فاعل { لا يعلمون } أي: كأنهم لا يعلمون في حال تيقنهم.

قوله: (إن علمهم بذلك رصين) قيل : ... استفيد رصانة العلم من وضع الذين أوتوا الكتاب موضع الضمير ، يعني عرفوه حق معرفته ، لأنهم قرأوا في كتبهم نعته ، ودارسوه حتى استحكم بذلك علمهم

(٣٧٢/١)

يعني أن علمهم بذلك رصين، ولكنهم كابروا وعاندوا ونبذوه وراء ظهورهم، مثل لتركهم وإعراضهم(١) عنه، مثل بما يرمى به وراء الظهر استغناء عنه وقلة التفات إليه. وعن الشعبي: هو بين أيديهم يقرؤنه، ولكنهم نبذوا العمل به. وعن سفيان: أدرجوه في الديباج والحريز وحلوه بالذهب، ولم يحلوا حلاله ولم يحرموا حرامه.

{ واتبعوا ما تتلو الشياطين على ملك سليمان وما ٢٧٤x چ ٢٧٤ سليمان ولكن الشياطين كفروا يعلمون الناس چ ٩\$# وما ٩\$# أ ح "Ré& على الملكين ببابل هاروت وماروت وما يعلمان من

أحد ٤س Lxm® يقولان إنما نحن ùðpsY÷G× فلا تكفر فيتعلمون منهما ما

٢hç%cqè% حçxمf به

بين المرء وزوجه وما هم بضارين به من &xmr%< إلا بإذن الله ويتعلمون ما يضرهم ولا

ينفعهم ولقد (#كJد=م لمن #©yIôçm1u ما له في ouج½Fy# من

خلاق وليئس ما

{ Jn=÷èt f (102كcq ٢xçru÷# به أنفسهم لو كانوا ٢كcq (102

}

(١) قوله: (مثل لتركهم وإعراضهم) يعني : شبه تركهم كتاب الله بحالة شيء يرمى به

وراء الظهر ، والجامع عدم الالتفات . كتب السحر والشعوذة . في نسخة الصمصام بنصب

الشعوذة ، وهي إظهار الرجل الخارق شيئاً يشتغل به أذهان الناظرين وأعينهم لعمل شيء

آخر على سبيل السرعة ليخفى الأمر على الناظر .

(٣٧٣/١)

واتبعوا { أي نبذوا كتاب الله واتبعوا { ما تتلوا الشياطين { يعني واتبعوا كتب

السحر والشعوذة التي كانت تقرأها { على ملك سليمان { أي على عهد ملكه وفي زمانه (١) .

وذلك أن الشياطين كانوا يسترقون السمع ثم يضمنون إلى ما سمعوا أكاذيب يلفقونها

ويلقونها إلى الكهنة وقد دونوها في كتب يقرؤونها ويعلمونها الناس ، وفشا ذلك في زمن

سليمان عليه السلام حتى قالوا: إن الجن تعلم الغيب ، وكانوا يقولون: هذا علم سليمان ،

وما تم لسليمان ملكه إلا بهذا العلم ، وبه تسخر الأنس والجن والريح التي تجري بأمره

{ وما كفر سليمان { تكذيب للشياطين ودفع لما بهتت به سليمان (٢) من اعتقاد السحر

والعمل به وسماه كفراً { ولكن الشياطين { هم الذين { كفروا { باستعمال السحر وتدوينه

{ يعلمون الناس السحر { يقصدون به إغواءهم (٣) وإضلالهم { وما أنزل على الملكين {

عطف على السحر (٤) ، أي ويعلمونهم ما أنزل على الملكين . وقيل: هو عطف على ما تتلو ،

أي

واتبعوا ما أنزل . }

(١) قوله: (على عهد ملكه وفي زمانه) أي : لا بد من من تقدير مضاف ، وجعل على معنى

في ؛ لأن الملك والعهد لا يقرأ عليهما ولكن يقرأ في زمانهم ، ومعنى (يلفقونها)

يزخرفونها .

- (٢) قوله: (ودفع لما بهتت به سليمان) أي : لقولهم عليه ما لم يفعله ، ودفع تفسيراً لتكذيب الشياطين ، وسماه كفراً حال بتقدير قد من المجرور في به ، ويجوز أن يكون عطفاً من حيث المعنى على دفع ، أي : بهتت ، وسماه كفراً .
- (٣) قوله: (يقصدون به إغواءهم) تفسير لـ { يعلمون الناس } وإنما أوله به ؛ لأنه استئناف على سبيل التعليل ، لقوله : { ولكن الشياطين كفروا } ومجرد تعليم السحر لا يوجب الكفر ، فلا بد من التأويل كما ذكره .
- (٤) قوله: ({ وما أنزل على الملكين } عطف على السحر) أو على ما تتلو ، قيل : وهو من عطف البيان على المبين ، أي : من قبيل العطف التفسيري .
- (٣٧٤/١)

هاروت وماروت { عطف بيان للملكين علما لهما، والذي أنزل عليهما هو علم السحر ابتلاء من الله للناس. من تعلمه منهم وعمل به كان كافراً، ومن تجنبه أو تعلمه لا يعمل به ولكن ليتوقاه ولئلا يغتر به كان مؤمناً:

عرفت الشر لا للشر لكن لتوقيه(١)

-
- (١) قوله: (عرفت الشر لا للشر لكن لتوقيه) تمامه :
- ومن لم يعرف الشر من الناس يقع فيه.

اعرف الشر لا لأجل العلم به ، بل للاحتراز عنه ، والاحتراز عنه فرع معرفته .

(٣٧٥/١)

كما ابتلى قوم طالوت بالنهر، { فمن شرب منه فليس مني ومن لم يطعمه فإنه مني } (البقرة: ٢٤٩). وقرأ الحسن "على الملكين" بكسر اللام، على أن المنزل عليهما علم السحر كانا ملكين ببابل. وما يعلم الملكان أحدا حتى ينبهاه وينصحه ويقول له { إنما نحن فتنه } أي ابتلاء واختبار من الله { فلا تكفر } فلا تتعلم معتقدا أنه حق فتكفر { فيتعلمون } الضمير لما دل عليه من أحد، أي فيتعلم الناس(١) من الملكين { ما يفرقون به بين المرء وزوجه } أي علم السحر الذي يكون سببا في التفريق بين الزوجين من حيلة وتمويه، كالنفث في العقد، ونحو ذلك مما يحدث الله عنده الفرك والنشوز والخلاف ابتلاء منه، لا أن السحر له أثر في نفسه(٢)

(١) قوله: (أي فيتعلم الناس) جعل أحدا بمعنى الناس لوقوعه في سياق النفي ، وقيل :
الفرق بين الأحد والواحد أن الأحد في موضع النفي يعم الجنس يقال : ما في
الدار أحد ، أي : ما فيها واحد ولا من فوقه مطلقا ، بخلاف الواحد فإنه لا يعلم ؛
لأنه يصح [٧٥٤] أن يقال : ما في الدار واحد بل اثنان أو ثلاثة ، و { فيتعلمون } عطف
على { يعلمان } مقدرا قبله أي يعلمان فيتعلمون ، والفرك : بالكسر البعض ، ولم يسمع
هذا في غير الزوجين .

(٢) قوله: (لا أن السحر له أثر في نفسه) قال الرازي : الخلاف في أن الساحر هل يتبع
بسرحة إلى حيث يخلق الله تعالى عقيب أفعاله على سبيل العادة الأجسام والحياة ،
وتغيير البنية ، والشكل أم لا ؟ فالمعتزلة اتفقوا على تكفير من يجوز ذلك ؛ لأنه لا
يعرف حينئذ صدق الأنبياء ، وأجيب بأن من ادعى النبوة وكان كاذبا فيه [أنه] لا يجوز
من الله تعالى إظهار هذه الأشياء لئلا يحصل التلبيس .

وأقول : الظاهر ان الخلاف بين الطائفتين في الذي ذكره ، وفي نحو المحبة والبغض

الحاصلين حقيبه عمل السحر ، هل ذلك فعل الله فعله بمجرد العادة ، أم هو أثر السحر
ومعادله ، فعند المعتزلة : هو فعل الله ؛ لأن عندهم أن العبد لا يقدر أن يفعل فعلا
في غير محل قدرته بدون مماسة ومباشرة ، وكلام المصنف في المتن يدل على هذا .
وعند غيرهم هو أثر السحر ، ولقد عجبت ممن ينفي كون الفعل من العبد ، ويقول : هو فعل
الله ، ثم يقول مع هذا بأن السحر له أثر .

وأما قول الرازي : لا يجوز من الله إظهار هذه الأشياء لئلا يحصل التلبيس فلا يتسنى
له على مذهبه في إبطال القبح والحسن العقلين .

وقوله : فإن كل كذب وتلبيس فعل الله تعالى ، وهو غير قبيح منه .

(٣٧٦/١)

بدليل قوله تعالى: { وما هم بضارين به من أحد إلا بإذن الله } لأنه ربما أحدث الله
عنده فعلا من أفعاله وربما لم يحدث { ويتعلمون ما يضرهم ولا ينفعهم } لأنهم يقصدون
به الشر . وفيه أن اجتنابه أصلح كتعلم الفلسفة التي لا يؤمن أن تجر إلى الغواية.
ولقد علم هؤلاء اليهود أن من اشتراه أي استبدل ما تنلو الشياطين من كتاب الله {
ماله في الآخرة من خلاق } من نصيب { ولبئس ما شروا به أنفسهم } أي باعوها. وقرأ

الحسن: "الشياطون". وعن بعض العرب: بستان فلان حوله بساتون. وقد ذكر وجهه فيما بعد.
 وقرأ الزهري "هاروت وماروت" بالرفع على: هما هاروت وماروت. وهما اسمان أعجميان
 بدليل منع الصرف، ولو كانا من الهرت والمرت - وهو الكسر كما زعم بعضهم -
 لانصرفا. وقرأ طلحة "وما يعلمان" من أعلم، وقرىء "بين المرء" بضم الميم وكسرها مع
 الهمز. والمر بالتشديد على تقدير التخفيف والوقف، كقولهم: فرج، وإجراء الوصل مجرى
 الوقف. وقرأ الأعمش: "وما هم بضاري"، بطرح النون (١) والإضافة إلى أحد والفضل بينهما
 بالظرف، فإن قلت: كيف يضاف إلى أحد وهو مجرور بمن، قلت: جعل الجار جزءا من
 المجرور (٢). فإن قلت: كيف أثبت لهم العلم أولا في قوله: { ولقد علموا } على سبيل

التوكيد القسمي ثم نفاه عنهم في قوله: { لو كانوا يعلمون } ؟ قلت: معناه لو كانوا
 يعملون بعلمهم، جعلهم حين لم يعملوا به كأنهم منسلخون عنه.
 }

(١) قوله: ("وما هم بضاري"، بطرح النون) وليس هذا الطرح كالطرح للنون في . الحافظو
 عورة العشرة ... لأن طرحها على هذا الحد إنما يجوز مع اللام ؛ لأنها اسم م وصول
 بمعنى الذين ، فاستطيل الموصول بصلته فحقيقه بحذف النون .
 (٢) قوله: (جعل الجار جزءا من المجرور) وهو قريب من قول سيويه في الإمالة أن اللام
 زيدت لتأكيد الإضافة .
 (٣٧٧/١)

ولو أنهم آمنوا واتقوا لمثوبة من عند الله ضرح yz لو كانوا رُك103 (Jn=÷èt f) يا
 أيها الذين آمنوا لا تقولوا uZ\$ دم'u وقولوا انظروا واسمعوا رُحجده ur٩d=x6ù
 عذاب
 أليم (١٠٤) ما يود الذين كفروا من أهل الكتاب ولا المشركين أن ينزل عليكم من خير من
 ربكم والله ب GyJômudm3/4 †tGfs چخ/ من يشاء والله ذو الفضل العظيم (١٠٥)
 {
 }
 (٣٧٨/١)

ولو أنهم آمنوا { برسول الله والقرآن } واتقوا { الله فتركوا ما هم عليه من نبد

كتاب الله واتباع كتب الشياطين { لمثوبة من عند الله خير } . وقرىء: "لمثوبة"، كمشورة ومشورة { لو كانوا يعلمون } أن ثواب الله خير مما هم فيه وقد علموا، ولكنه جهلهم لترك العمل بالعلم. فإن قلت: كيف أثرت الجملة الإسمية على الفعلية في جواب لو؟ قلت: لما في ذلك من الدلالة على ثبات المثوبة واستقرارها كما عدل عن النصب إلى الرفع في سلام عليكم لذلك، فإن قلت: فهلا قيل لمثوبة الله خير؟ قلت: لأن المعنى: لشيء من الثواب خير لهم (١). ويجوز أن يكون قوله: { ولو أنهم ءامنوا } تمنيا لإيمانهم على سبيل المجاز عن إرادة الله إيمانهم واختيارهم له، كأنه قيل: وليتهم آمنوا. ثم ابتدئ لمثوبة من عند الله خير. كان المسلمون يقولون لرسول الله صلى الله عليه وآله وسلم إذا ألقى عليهم شيئاً من العلم: راعنا يا رسول الله، أي راقبنا

وانتظرونا وتأن بنا حتى نفهمه ونحفظه. وكانت لليهود كلمة يتسابون بها عبرانية أو سريانية وهي "راعينا" فلما سمعوا بقول المؤمنين: راعنا. افترضوه وخاطبوا به الرسول صلى الله عليه وآله وسلم وهم يعنون به تلك المسبة، فنهى المؤمنون عنها وأمروا بما هو في معناها وهو { انظرنا } من نظره إذا انتظره. وقرأ أبي: "انظرنا" من النظرة، أي أمهلنا حتى نحفظ وقرأ عبد الله بن مسعود: "راعونا"، على أنهم كانوا يخاطبونه بلفظ الجمع للتوقير: وقرأ الحسن: "راعنا"، بالتنوين من الرعن وهو الهوج (٢)،

(١) قوله: (لأن المعنى: لشيء من الثواب خير لهم) يعني أن مقام الترغيب في الثواب يؤذن بذلك .

(٢) قوله: (وهو الهوج) الأهود : الطويل الأحق ، وصف الكلام به مبالغة ..
(٣٧٩/١)

أي لا تقولوا قولاً راعنا منسوباً إلى الرعن بمعنى رعيناً، كدارع ولا بن لأنه لما أشبه قولهم: راعينا، وكان سبباً في السبب اتصف بالرعن { واسمعوا } وأحسنوا سماع ما يكلمكم به رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ويلقي عليكم من المسائل بآذان واعية وأذهان حاضرة، حتى لا تحتاجوا إلى الاستعانة وطلب المراعاة، أو اسمعوا سماع قبول وطاعة، ولا يكن سماعكم مثل سماع اليهود حيث قالوا: سمعنا وعصينا، أو واسمعوا ما أمرتم به بجد حتى لا ترجعوا إلى ما نهيتهم عنه، تأكيداً عليهم ترك تلك الكلمة. وروي: (٤٨) أن سعد بن معاذ سمعها منهم فقال: يا أعداء الله، عليكم لعنة الله، والذي نفسي بيده لئن سمعتها من رجل منكم يقولها لرسول الله صلى الله عليه وآله وسلم لأضربن عنقه.

فقالوا: أولستم تقولونها فنزلت. { وللكافرين } ولليهود (١) الذين تهاونوا برسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وسبوه { عذاب أليم } من الأولى للبيان لأن الذين كفروا جنس تحته نوعان: أهل الكتاب، والمشركون؛ كقوله تعالى: { لم يكن الذين كفروا من أهل الكتاب والمشركين } (البينة: ١) والثانية مزيدة لاستغراق الخير، والثالثة لابتداء الغاية. والخير الوحي (٢)،

(١) قوله: { وللكافرين } ولليهود إشارة إلى أن قوله: للكَافِرِينَ مظهر وضع موضع اليهود .

(٢) قوله: (والخير الوحي) وكذلك الرحمة فعلى هذا قد أقيم المظهر وهو الرحمة مقام المضمّر ، وهو ضمير الوحي من غير لفظه السابق للأبدان بأن الوحي هو غير الرحمة ، وكذلك لفظة الله في قوله { والله يختص } أقيم مقام ضمير ربكم لينبه به على أن تخصيص بعض الناس دون بعض بالخير ملائم للإلهية ، كما أن إنزال الخير على العموم مناسب للربوبية ..
(٣٨٠/١)

وكذلك الرحمة كقوله تعالى: { أهم يقسمون رحمة بك } (الزخرف: ٣٢) والمعنى: أنهم يرون أنفسهم أحق بأن يوحى إليهم فيحسدونكم وما يحبون أن ينزل عليكم شيء من الوحي { والله { يختص بالنبوة { من يشاء { ولا يشاء إلا ما تقتضيه الحكمة { والله ذو الفضل العظيم { إشعار بأن إتياء النبوة من الفضل العظيم (١) كقوله تعالى: { إن فضله كان عليك كبيرا { (الإسراء: ٨٧).

{ * ما ننسخ من آية أو ننسها نأت بخير منها أو B d W ÷ = dyg \$! ألم تعلم أن الله على كل شيء قدير (١٠٦) ألم تعلم أن الله له ملك د 9 \$ # ، ، y J " N ` u q # والأرض وما لكم من دون الله

من c ه' ح > ur ولا نصير (١٠٧) أم ٢ cr ك % f ح e ؟ أن تسألوا رسولكم كما سئل موسى من قبل ومن

يتبدل u ج 6 9 \$ # à بالإيمان فقد ضل سواء السبيل (١٠٨) ود ض ٢ V من أهل الكتاب لو

يردونكم من بعد إيمانكم كفارا # | % Y ، x m من عند أنفسهم من بعد ما تبين لهم الحق فاعفوا واصفحوا ٤ s ® z L x m ' t f d ' A u الله ٤ 3 / 4 د ح g ' D r خ / إن الله على كل

شيء قدير (١٠٩)

وأقيموا الصلاة وآتوا الزكاة وما تقدموا / ن/à، R { من خير تجدوه عند الله إن الله
بما تعملون ضرّجاء 110) (t/ {

(١) قوله: (إشعار بأن إيتاء النبوة من الفضل العظيم) لأن الفضل العظيم يعم جميع
أنواع الفضل ، فقوله { والله ذو الفضل } تذييل ، ولكون الكلام في النبوة دخلت فيه
دخولا أوليا .

(٣٨١/١)

روي أنهم طعنوا في النسخ فقالوا: ألا ترون إلى محمد يأمر أصحابه بأمر، ثم ينهاهم
عنه ويأمرهم بخلافه، ويقول اليوم قولاً ويرجع عنه غداً؟ فنزلت. وقرئ: "ما ننسخ من
آية" وما ننسخ: بضم النون، من أنسخ. أو ننسأها. وقرئ: "ننسخها" و"ننسخها" بالتشديد،
و"ننسخها"، و"ننسخها"، على خطاب رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم . وقرأ عبد الله:
"ما ننسك من آية أو ننسخها" وقرأ حذيفة: "ما ننسخ من آية أو ننسكها". ونسخ الآية:
إزالتها بإبدال أخرى مكانها وإنساخها: الأمر بنسخها، وهو أن يأمر جبريل عليه السلام
بأن يجعلها منسوخة بالإعلام بنسخها. ونسؤها، تأخيرها وإذهابها. لا إلى بدل.
وإنساؤها أن يذهب بحفظها عن القلوب. والمعنى أن كل آية يذهب بها على ما توجه
المصلحة من إزالة لفظها وحكمها معاً (١)، أو من إزالة أحدهما إلى بدل أو غير بدل (٢) {

(١) قوله: (من إزالة لفظها وحكمها معاً) عن عائشة رضي الله عنها أنها قالت : فيما
أنزل من القرآن عشر رضعات يحرم من ثم نسخن .
(٢) قوله: (أو من إزالة أحدهما إلى بدل أو غير بدل) هذا مبني على قوله أولاً نسخ
الآية إزالتها بآية أخرى مكانها ، ونسؤها : تأخيرها ، وإذهابها لا إلى بدل ، وقيل :
لا يستقيم قوله : وإذهابها إلا إلى بدل مع قوله تعالى : { نأت بخير منها أو مثلها }
وأجيب بأنه لا بد في كلامه من تقدير محذوف ، وتعسف ليستقيم ، فقوله : إلى بدل يتعلق
بإزالة لفظها وحكمها معاً ، أو من إزالة أحدهما ، وهو معنى النسخ .

قوله (أو غير بدل) لا يتعلق بالمذكور بل بالإنشاء ، المعنى : ما ننسخ من آية نأت
بخير منها أو مثلها ، وما ننسي من آية لم نأت ببدلها ، فحذف في الجزاء أحد ما يقابل

به ما في الشرط ، ولنا أن نقول : ولا يلزم الإتيان بآية إلا أن يكون بدلا فالحاصل أن الآية التي أتى بها بعد النسخ هي بدل ، ولا بد أن تتعلق بالمنسوخ بوجه ، والآية

التي أتى بها بعد الإنشاء ليست ببدل ، ولا تتعلق لها بالمنسي بوجه .

(٣٨٢/١)

نأت { بآية خير منها للعباد، أي بآية العمل بها أكثر للثواب(١) أو مثلها في ذلك } على كل شيء قدير { فهو يقدر على الخير، وما هو خير منه، وعلى مثله في الخير } له ملك السموات والأرض { فهو يملك أموركم يدبرها ويجريها على حسب ما يصلحكم، وهو أعلم

بما يتبعكم به من ناسخ ومنسوخ. لما بين لهم أنه مالك أمورهم ومدبرها على حسب مصالحهم من نسخ الآيات وغيره، وقرروهم على ذلك بقوله: { ألم تعلم } أراد أن يوصيهم بالثقة به فيما هو أصلح لهم مما يتبعدهم به وينزل عليهم وأن لا يقترحوا على رسولهم ما اقترحه آباء اليهود على موسى عليه السلام من الأشياء التي كانت عاقبتها وبالا عليهم كقولهم: { اجعل لنا إلها } (الأعراف: ١٣٨)، { أرنا الله جهرة } (النساء: ١٥٣)، وغير ذلك { ومن يتبدل الكفر بالإيمان } ومن ترك الثقة بالآيات المنزل، وشك فيها، واقترح غيرها { فقد ضل سواء السبيل } .

)

(١) قوله: (بآية خير منها للعباد، أي بآية العمل بها أكثر ثوابا) فيه إشارة إلى أن الخيرية في الآية باعتبار ثواب العمل بها لا باعتبار الآيات [٧٥٥] في أنفسها ؛ لأنها متساوية ، ومعنى (متبالغا) متناهيا ، وحسدا : مصدر لأن الجملة قبله تدل على الفعل الذي هو ناصبه ، وتقديره حسدوكم حسدا ، أو مفعول له ، أي : ودوا ارادتكم للحسد على توحيد الاسم وجمع الخبر ، والاسم : هو الضمير المستكن في كان ، والخبر هو هوذا .

(٣٨٣/١)

٤٩) روي أن فنحاص بن عازوراء وزيد بن قيس ونفرا من اليهود قالوا لحذيفة بن اليمان وعمار بن ياسر بعد وقعة أحد: ألم يروا ما أصابكم، ولو كنتم على الحق ما هزمتهم،

فارجعوا إلى ديننا فهو خير لكم وأفضل، ونحن أهدى منكم سبيلا، فقال عمار: كيف نقض العهد فيكم؟ قالوا: شديد. قال: فإني قد عاهدت أن لا أكفر بمحمد ما عشت. فقالت

اليهود: أما هذا فقد صبا. وقال حذيفة: وأما أنا فقد رضيت بالله رباً، وبمحمد نبياً، وبالإسلام ديناً، وبالقرآن إماماً، وبالكعبة قبله، وبالمؤمنين إخواناً. ثم أتيا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وأخبراه فقال: "أصبتما خيرا وأفلحتما". فنزلت. فإن قلت: بم تعلق قوله: { من عند أنفسهم } ؟ قلت: فيه وجهان: أحدهما أن يتعلق بود، على معنى أنهم تمنوا أن ترتدوا عن دينكم وتمنيهم ذلك من عند أنفسهم ومن قبل شهورتهم، لا من قبل التدين والميل مع الحق، لأنهم ودوا ذلك من بعد ما تبين لهم أنكم على الحق، فكيف يكون تمنيه من قبل الحق؟ وإما أن يتعلق بحسداً، أي حسداً متبالغا منبعثاً من أصل أنفسهم { فاعفوا واصفحوا } فاسلكوا معهم سبيل العفو والصفح عما يكون منهم من الجهل والعداوة { حتى يأتي الله بأمره } الذي هو قتل بني قريظة وإجلاء بني النضير وإذلالهم بضرب الجزية عليهم { إن الله على كل شيء قدير } فهو يقدر على الانتقام منهم { من خير } من حسنة صلاة أو صدقة أو غيرهما { تجدوه عند الله } تجدوا ثوابه عند الله { إن الله بما تعملون بصير } عالم لا يضيع عنده عمل عامل.

{ وقالوا لن يدخل الجنة إلا من كان هوداً أو ٣"u | tRء تلك أمانهم قل هاتوا برهانكم إن كنتم صادقين (١١١) } بلى من أسلم وجهه لله وهو محسن فله أجره عند ربه ولا i\$qyz عليهم ولا هم (112"tbqçRu ts†) {

(٣٨٤/١)

الضمير في { وقالوا } لأهل الكتاب من اليهود والنصارى. والمعنى: وقالت اليهود: لن يدخل الجنة إلا من كان هوداً، وقالت النصارى: لن يدخل الجنة إلا من كان نصارى، فلف بين القولين ثقة بأن السامع يرد إلى كل فريق قوله، وأما من الإلباس لما علم من التعادي بين الفريقين وتضليل كل واحد منهما لصاحبه. ونحوه: { وقالوا كونوا هوداً أو نصارى تهتدوا } ، والهود: جمع هائد، كعائد وعود، وبازل وبزل. فإن قلت: كيف قيل كان هوداً على توحيد الاسم وجمع الخبر؟ قلت: حمل الاسم على لفظ "من" والخبر على معناه، كقراءة الحسن "إلا من هو صالو الجحيم". وقوله: { فإن له نار جهنم خالدين فيها } (الجن):

(٢٣). وقرأ أبي بن كعب: "إلا من كان يهودياً أو نصرانياً". فإن قلت: لم قيل: { تلك أمانهم } وقولهم: "لن يدخل الجنة" أمنية واحدة؟ قلت: أشير بها إلى الأمانى

المذكورة وهو أمنيته أن لا ينزل على المؤمنين خير من ربهم، وأمنيته أن يردوهم كفارا، وأمنيته أن لا يدخل الجنة غيرهم: أي تلك الأمانى الباطلة أمانيتهم. وقوله: { قل هاتوا برهانكم } متصل بقولهم: { لن يدخل الجنة إلا من كان هودا أو نصارى } . و { تلك أمانيتهم } : اعتراض، أو أريد أمثال تلك الأمنية أمانيتهم(١)،

(١) قوله: (أو أريد أمثال تلك الأمنية أمانيتهم) فعلى هذا المشار إليه بتلك هذه المقالة ، وإنما بعدها لتفطيع شأنها وتفخيمه .
الانتصاف : أو الأمنية الواحدة جمعت إشعارا بأنها بلغت منهم كل مبلغ ، كما قالوا :
معا جياعا ، جمعت لزيادة تأكيد الواحد ، وإضافة زيادته على وحدانه .

الإنصاف : وإنما جمع ليدل على تردد الأمنية في نفوسهم وتكررها فتصير أمانى حقيقة ،
أو أن الأمانى هي الأباطيل والأقاويل ، كما نقله المهدوي ، وهذه الجملة أقاويل ؛
لأنها نفت دخول غيرهم الجنة ، وأثبت دخول النصارى الجنة ، ودخول اليهود الجنة ،
وهي أقاويل وأباطيل حقيقة .
(٣٨٥/١)

على حذف المضاف وإقامة المضاف إليه مقامه. يريد أن أمانيتهم جميعا في البطلان مثل أمنيته هذه. والأمنية أفعولة من التمني، مثل الأضحوة والأعجوبة { هاتوا برهانكم } هلموا حجتكم على اختصاصكم بدخول الجنة { إن كنتم صادقين } في دعواكم، وهذا أهدم شيء

لمذهب المقلدين. وأن كل قول لا دليل عليه فهو باطل غير ثابت. و "هات" صوت بمنزلة هاء، بمعنى أحضر { بلى } إثبات لما نفوه من دخول غيرهم الجنة { من أسلم وجهه لله }

من أخلص نفسه له لا يشرك به غيره { وهو محسن } في عمله { فله أجره } الذي يستوجبه. فإن قلت: من أسلم وجهه كيف موقعه؟ قلت: يجوز أن يكون { بلى } ردا لقولهم، ثم يقع "من أسلم" كلاما مبتدأ(١)، ويكون "من" متضمنا لمعنى الشرط، وجوابه "فله أجره"، وأن يكون "من أسلم" فاعلا لفعل محذوف، أي بلى يدخلها من أسلم، ويكون قوله "فله أجره" كلاما معطوفا على يدخلها من أسلم.

{ وقالت اليهود ليست ٣"u"ج | Z9\$#""ء على شيء وقالت ٣"u"ج | Y9\$#""ء ليست اليهود على شيء

وهم يتلون الكتاب xx"٩dy7. قال الذين لا Jn=÷ètftbq مثل قولهم فالله يحكم ÷gsYكN

/t يوم القيامة فيما كانوا فيه (113=د٤tbqà (tFfs† ومن أظلم ممن y sY"٢B tB، | "f%٥٥y

الله أن x.مf فيها اسمه وسعى في yg\$خ/yz#ج أولئك ما كان لهم أن يدخلوها إلا
رُؤيüح s%! لهم في الدنيا س"÷"z½ ولهم في ouج½Fy\$# عذاب عظيم
{ (١١٤)

}

(١) قوله: (كلاما مبتدأ) أي : مستأنفا جوابا عن سؤال مقدر ، فإنه لما رد على اليهود قولهم ، ب { بلى } أي : ليس الأمر كما يزعمون اتجه لسائل أن يقول : فما الحكم الحق ، والقضاء العدل ؟ ف قيل : { من أسلم وجهه وهو محسن فله أجره } الآية (٣٨٦/١)

على شيء { أي على شيء يصح ويعتد به. وهذه مبالغة عظيمة، لأن المحال والمعدوم يقع عليهما اسم الشيء(١)، فإذا نفى إطلاق اسم الشيء عليه. فقد بولغ في ترك الاعتداد به إلى ما ليس بعده. وهذا كقولهم: أقل من لا شيء { وهم يتلون الكتاب } الواو للحال. والكتاب للجنس أي قالوا ذلك، وحالهم أنهم من أهل العلم والتلاوة للكتب. وحق من حمل التوراة أو الإنجيل أو غيرهما من كتب الله وآمن به أن لا يكفر بالباقي؛ لأن كل واحد من الكتابين مصدق للثاني شاهد بصحته، وكذلك كتب الله جميعا متواردة على تصديق بعضها بعضا { كذلك } أي مثل ذلك الذي سمعت به(٢) على ذلك المنهاج { قال } الجهلة { الذين

{ لا علم عندهم ولا كتاب كعبدة الأصنام والمعطلة ونحوهم قالوا لأهل كل دين: ليسوا على شيء.

(١) قوله: (لأن المحال والمعدوم يقع عليهما اسم الشيء) الانتصاف : لا يصح قوله على مذهب أهل السنة ولا المعتزلة ، لأن الأباطيل التي يستحيل وجودها لا تسمى شيئا مع العلم بأنه مستحيل ، والإخبار عنه بذلك .

(٢) قوله: (أي مثل ذلك الذي سمعت به) قال أبو البقاء : الكاف في موضع نصب نعتا

لمصدر محذوف منصوب ، يقال : وهو مصدر مقدم على الفعل ، التقدير قولاً مثل قول اليهود

والنصارى قال الذين لا يعلمون { فعلى هذا مثل قولهم منصوب بيعلمون ، على أنه مفعول به ، ويجوز أن يكون الكاف في موضع رفع بالابتداء ، والجملة بعده خبر عنه ، والعائد إلى المبتدأ محذوف ، أي : قاله ، ومثل قولهم : صفة مصدر محذوف ، أو مفعول ليعلمون ، والمعنى : مثل قول اليهود والنصارى قال الذين لا يعلمون) اعتقاد اليهود والنصارى .
وارتعاد الفرائص : اضطرابها ، وهي جمع فريضة ، وهي اللحمية بين الجنب والكتف التي لا تزال ترعد من الدابة ، ويكنى بذلك عن شدة الخوف ، وأن يبطشوا مفعول خائفين ، ومعنى (أنهك ضرباً) بولغ في ضربه ، ومعنى (فأبلغ إليه في العقوبة) أفضى إليه بها .
(٣٨٧/١)

وهذا توبيخ عظيم لهم حيث نظموا أنفسهم مع علمهم في سلك من لا يعلم. وروي: (٥٠) أن وفد نجران لما قدموا على رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم اتاهم أحبار اليهود فتناظروا حتى ارتفعت أصواتهم، فقالت اليهود: ما أنتم على شيء من الدين، وكفروا بعبسى والإنجيل. وقالت النصارى لهم نحوه، وكفروا بموسى والتوراة. { فالله يحكم } بين اليهود والنصارى { يوم القيامة } بما يقسم لكل فريق منهم من العقاب الذي استحقه. وعن الحسن: حكم الله بينهم أن يكذبهم ويدخلهم النار { أن يذكر } ثاني مفعولي منع. لأنك تقول: منعه كذا. ومثله { وما منعنا أن نرسل } ، { وما منع الناس

أن يؤمنوا } ويجوز أن يحذف حرف الجر مع أن، ولك أن تنصبه مفعولاً له بمعنى كراهة أن يذكر، وهو حكم عام لجنس مساجد الله، وأن مانعها من ذكر الله مفرط في الظلم، والسبب فيه أن النصارى كانوا يطرحون في بيت المقدس الأذى ويمنعون الناس أن يصلوا فيه، وأن الروم غزوا أهله فخرّبوه وأحرقوا التوراة وقتلوا وسبوا. وقيل: أراد به منع المشركين رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أن يدخل المسجد الحرام عام الحديبية. فإن قلت: فكيف قيل مساجد الله وإنما وقع المنع والتخريب على مسجد واحد وهو بيت المقدس أو المسجد الحرام؟ قلت: لا بأس أن يجيء الحكم عاماً وإن كان السبب خاصاً، كما تقول لمن أذى صالحاً واحداً: ومن أظلم ممن أذى الصالحين. وكما قال الله عز وجل: { ويل لكل همزة لمزة } (الهمزة: ١) والمنزول فيه الأخنس بن شريق { وسعى في خرابها } بانقطاع الذكر أو بتخريب البنيان.

(٣٨٨/١)

وينبغي أن يراد بـ "من" منع العموم كما أريد بمساجد الله، ولا يراد الذين منعوا بأعيانهم من أولئك النصارى أو المشركين { أولئك } المانعون { ما كان لهم أن يدخلوها } أي ما كان ينبغي لهم أن يدخلوا مساجد الله { إلا خائفين } على حال التهيب وارتعاد الفرائض من المؤمنين أن يبطشوا بهم، فضلاً أن يستولوا عليها ويلوها ويمنعوا المؤمنين منها. والمعنى ما كان الحق والواجب إلا ذلك لولا ظلم الكفرة وعتوهم. وقيل: ما كان لهم في حكم الله، يعني: أن الله قد حكم وكتب في اللوح أنه ينصر المؤمنين ويقويهم حتى لا يدخلوها إلا خائفين. روي: أنه لا يدخل بيت المقدس أحد من النصارى إلا متنكراً مسارقة. وقال قتادة: لا يوجد نصراني في بيت المقدس إلا أنهك ضرباً وأبلغ إليه في العقوبة. وقيل: نادى (١) رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم (٥١) "ألا لا يحجن بعد هذا العام مشرك، ولا يطوفن بالبيت عريان" وقرأ أبو عبد الله: "إلا خيفاً"، وهو مثل

صيم(٢). وقد اختلف الفقهاء في دخول الكافر المسجد: فجوزه أبو حنيفة رحمه الله، ولم يجوزه مالك، وفرق الشافعي بين المسجد الحرام وغيره. وقيل: معناه النهي(٣) عن تمكينهم من الدخول والتخليفة بينهم وبينه، كقوله: { وما كان لكم أن تؤذوا رسول الله { { خزي } قتل وسي، أو ذلة بضرب الجزية.

(١) قوله: (وقيل: نادى) عطف على قوله: روى أنه .

(٢) قوله: ("إلا خيفاً"، وهو مثل صيم) أي: في قلب الواو ياء، وروي عن المصنف القياس خوف، وصوم، ولكن لعريه عن الطرف أجري على إعلاله .

(٣) قوله: (وقيل: معناه النهي) عطف على قوله: { ما كان لهم أن يدخلوها } فهو على الأول إخبار، وعلى الثاني نهى، فنهى المؤمنون عن تمكينهم الكفار من الدخول، وهو أبلغ من صريح النهي، فإن قلت: جاء بما هذا السؤال فما ترد على الوجه الثاني، وهو أن يراد بما في السموات والأرض كل من جعلوه (٣٨٩/١)

وقيل: فتح مدائنهم قسطنطينية ورومية وعمورية.

{ والله ن-حج#\$ô±pRùQ<حجpRùQ\$#ur فأينما تولوا فثم وجه الله إن الله

بإTMur

زOث=تو (١١٥) {

{ ولله المشرق والمغرب } أي بلاد المشرق والمغرب والأرض كلها لله هو مالكةا ومتوليها { فأينما تولوا } ففي أي مكان فعلتم التولية، يعني تولية وجوهكم شطر القبلة بدليل قوله تعالى: { فول وجهك شطر المسجد الحرام، وحيثما كنتم فولوا وجوهكم شطره } . { فثم وجه الله } أي جهته التي أمر بها ورضيها. والمعنى أنكم إذا منعتم أن تصلوا في المسجد الحرام أو في بيت المقدس، فقد جعلت لكم الأرض مسجدا فصلوا في أي

بقعة شئتم من بقاعها، وافعلوا التولية فيها فإن التولية ممكنة في كل مكان لا يختص إسكانها في مسجد دون مسجد ولا في مكان دون مكان { إن الله واسع } الرحمة يريد التوسعة على عباده واليسير عليهم { عليهم } بمصالحهم. وعن ابن عمر: نزلت في صلاة

المسافر على الراحلة أينما توجهت. وعن عطاء: عميت القبلة على قوم فصلوا إلى أنحاء مختلفة، فلما أصبحوا تبينوا خطأهم فعذروا. وقيل: معناه فأينما تولوا للدعاء والذكر ولم يرد الصلاة. وقرأ الحسن: فأينما تولوا، بفتح التاء من التولي يريد: فأينما توجهوا القبلة.

{ وقالوا اتخذ الله ولدا $\frac{1}{4}Y\text{ms}\text{c}7\text{ys}^{\text{TM}}$ بل له ما في $uq\text{N}^{\text{yJ}}\text{،}\#9$ والأرض كل له

قانتون (١١٦) {

}

(٣٩٠/١)

وقالوا { وقرىء بغير واو، يريد الذين قالوا المسيح ابن الله وعزير ابن الله والملائكة بنات الله. { سبحانه } تنزيه له عن ذلك وتباعد { بل له ما في السماوات والأرض } هو خالقه ومالكه، ومن جملته الملائكة وعزير والمسيح { كل له قانتون } منقادون، لا يمتنع شيء منه على تكوينه وتقديره ومشيئته، ومن كان بهذه الصفة لم يجانس، ومن حق الولد أن يكون من جنس الوالد. والتنوين في { كل } عوض من المضاف إليه، أي كل ما في السماوات والأرض. ويجوز أن يراد كل من جعلوه لله ولدا له قانتون مطيعون عابدون مقرون بالربوبية منكرون لما أضافوا إليهم. فإن قلت: كيف جاء بما التي لغير أولي العلم مع قوله قانتون؟ قلت: هو كقوله: { سبحانه ما سخركن لنا } (١). وكأنه جاء ب (ما) دون (من) تحقيرا لهم وتصغيرا لشأنهم، كقوله: { وجعلوا بينه وبين الجنة نسبا } (الصفات: ١٥٨).

{ بديع 9\$#،،yJ"N`uqد } والأرض وإذا قضى أمرا فإنما يقول له كن فيكون (١١٧) {
يقال

بدع الشيء فهو بديع، كقولك: بزغ (٢) الرجل فهو بزيع. و { بديع السماوات } من إضافة
الصفة المشبهة إلى فاعلها أي بديع سمواته وأرضه. وقيل: البديع بمعنى المبدع، كما أن
السميع في قول عمرو (٣):

-
- (١) قوله: { سبحان ما سخركن لنا } يخاطب النساء ، وفيه معنى التعجب من تسخيرهن
للرجال مع ما فيهن من الدهاء ، والمكر ، والحيلة .
(٢) قوله: (بزغ) بالباء والزاي ، والغين ، أي : ظرف .
(٣) قوله: (في قول عمرو) أي : عمرو بن معدي كرب :

أمن ريحانة الداعي السميع***يؤرقني وأصحابي هجوع
ريحانه : اسم أخت عمرو ذكره في الأغاني ، يقول : هل من أختي ريحانة هذا الداعي
السميع ، يوقظني وأصحابي نيام ، والتعريف في الداعي [٧٥٦] يحتمل أن يكون كالتعريف
في اللبم في قوله :
ولقد أمر على اللبم يسبني

فيكون (يؤرقني) { صفة له ، ويحتمل أن يكون للعهد إلى داع ، فيكون (يؤرقني) حالا ،
والمراد بالداعي داعي الشرف الذي يدعو ويسمعه الصوت ، قالوا : السميع في هذا البيت
بمعنى المسمع ، أو ذو السمع ، ثم قالوا في البديع : بمعنى المبدع مثله ، قال المصنف
: فيه نظر ، أي : في كونه بمعنى المسمع ، لجواز أن يكون بمعنى السامع ، ولئن سلم فهو
شاذ لا يقاس عليه ، قال المصنف : السميع في البيت بمعنى السامع لأن داعي الشوق لما
دعا الشاعر صار الشاعر سميعا لدعوته ، فقد تسبب بكون الشاعر سميعا ، فأطلق على
الداعي اسم السميع لكونه سببا فيه ، كقوله :
إذا رد عافي القدر من يستعيرها
(٣٩١/١)

أمن ريحانة الداعي السميع
بمعنى المسمع وفيه نظر { كن فيكون } من كان التامة، أي أحدث فيحدث. وهذا مجاز من
الكلام (١) وتمثيل ولا قول ثم، كما لا قول في قوله:

إذ قالت الأنساع للبطن الحق(٢)

وإنما المعنى أن ما قضاه من الأمور وأراد كونه، فأنما يتكون ويدخل تحت الوجود من غير امتناع ولا توقف، كما أن المأمور(٣) المطيع الذي يؤمر فيمثل لا يتوقف ولا يمتنع ولا يكون منه الإباء. أكد بهذا استبعاد الولادة لأن من كان بهذه الصفة من القدرة كانت حاله مباينة لأحوال الأجسام في توالدها. وقرئ: "بديع السموات" مجرورا على أنه بدل من الضمير في له. وقرأ المنصور بالنصب على المدح.

}

(١) قوله: (وهذا مجاز من الكلام) من بيان مجازي ، هذا يسمى في أساليب البلغاء بالمجاز .

وقوله: (تمثيل) عطف تفسيري ، أي : وارد على سبيل الاستعارة التمثيلية ، شبهت الحالة

التي تتصور من تعلق إرادته جل وعز بشيء من المكونات ، وكونه دخل تحت الوجود من غير امتناع ولا توقف بحالة أمر الأمر النافذ تصرفه في المأمور المطيع الذي يؤمر فيمثل ولا يتوقف ولا يتأني ، ثم استعير لهذه الحالة ما كان يستعمل في تلك الحالة ، فإذا لا قول ثمة .

(٢) قوله: (إذ قالت الأنساع للبطن الحق) تمامه :

قدما أفاضت كالفتيق المحنق

النسعة : هي التي تنسخ عريضة للتصدير ، والفتيق : الفحل المكرم ، والمحنق : من الحنق ، وهو الحقد، والقول من الأنساع تمثيل ، إذ لا قول ثمة ، ويقال : مضى قدما بضم القاف ، إذا لم يعرج على شيء ، ومعنى الحق ، اضممر

(٣) قوله: (كما [أن] المأمور) ما كافة ، والمنصور : هو الدوانيقي ، الذي أربى على يريد في ظلم آل محمد عليهم السلام ، واستكبارا مفعول به من قال ، ومعنى يسريه عنه كشف عنه ، ومعنى (ما فعل أبواي) أي : ما فعل بهما .

(٣٩٢/١)

وقال الذين لا Jn=÷ètftkbq لولا يكلمنا الله أو sY\$! د'ù's؟ آية ٧dy'٩xx. قال الذين من NخsV=gd% مثل قولهم تشابهت قلوبهم قد بينا الآيات لقوم يوقنون (١١٨) { وقال الذين لا يعلمون } وقال الجهلة من المشركين. وقيل من أهل الكتاب، ونفى عنهم العلم لأنهم لم يعملوا به. { لولا يكلمنا الله } هلا يكلمنا كما يكلم الملائكة وكلم

موسى؟ استكبارا منهم وعتوا { أو تأتينا آية { جحودا لأن يكون ما أتاهم من آيات الله آيات، واستهانة بها { تشابهت قلوبهم { أي قلوب هؤلاء ومن قبلهم في العمى، كقوله: { أتواصوا به { (الذاريات: ٥٢). و { قد بينا الآيات لقوم { ينصفون فيوقنون أنها آيات يجب الاعتراف بها والإذعان لها والاكتفاء بها عن غيرها.

{ إنا أرسلناك { لأن تبشر وتنذر لا لتجبر على الإيمان، وهذه تسليية لرسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وتسرية عنه، لأنه كان يغتم ويضيق صدره لإصرارهم وتصميمهم على الكفر. ولا نسألك { عن أصحاب الجحيم { ما لهم لم يؤمنوا بعد أن بلغت وبلغت جهدك في دعوتهم، كقوله: { فإنما عليك البلاغ وعلينا الحساب { وقرئ: "ولا تسأل" على النهي. روي أنه قال:

{ (١١٩)

{ إنا أرسلناك { لأن تبشر وتنذر لا لتجبر على الإيمان، وهذه تسليية لرسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وتسرية عنه، لأنه كان يغتم ويضيق صدره لإصرارهم وتصميمهم على الكفر. ولا نسألك { عن أصحاب الجحيم { ما لهم لم يؤمنوا بعد أن بلغت وبلغت جهدك في دعوتهم، كقوله: { فإنما عليك البلاغ وعلينا الحساب { وقرئ: "ولا تسأل" على النهي. روي أنه قال:

(٥٢) "ليت شعري ما فعل أبوي".
فنهى عن السؤال عن أحوال الكفرة والاهتمام بأعداء الله. وقيل: معناه تعظيم ما وقع فيه الكفار من العذاب كما تقول: كيف فلان؟ سائلا عن الواقع في بلية، فيقال لك: لا تسأل عنه. ووجه التعظيم أن المستخبر يجزع أن يجري على لسانه ما هو فيه لفظاعته، فلا تسأله ولا تكلفه ما يضجره، أو أنت يا مستخبر لا تقدر على استماع خبره لإيحاشه السامع وإضجاره، فلا تسأل، وتعضد القراءة الأولى قراءة عبد الله: "ولن تسئل"، وقراءة أبي: "وما تسئل".

}

(٣٩٣/١)

ولن ترضى y7Ztم اليهود ولا ٣"u"ج | ء4" #Y9\$س Lxm® تتبع هJkyBد= قل إن هدى الله هو

الهدى ولئن اتبعت أهواءهم بعد الذي جاءك من العلم ما لك من الله من ع'ح ur> ولا نصير (١٢٠) {

كأنهم قالوا: لن نرضى عنك وإن أبلغت في طلب رضا(١) حتى تتبع ملتنا، إقناطا منهم لرسول الله صلى الله عليه وآله وسلم عن دخولهم في الإسلام، فحكى الله عز وجل كلامهم، ولذلك قال: { قل إن هدى الله هو الهدى { على طريقة إجابتهم عن قولهم، يعني

أن هدى الله الذي هو الإسلام وهو الهدى بالحق والذي يصح أن يسمى هدى، وهو الهدى كله

ليس وراءه هدى، وما تدعون إلى اتباعه ما هو بهدى إنما هو هوى.

(١) قوله: (وإن أبلغت في طلب رضانا) هذه المبالغة مستفادة من قوله: { ولن ترضى } لما مر أن لن رد الجواب منكر ببالغ... ولذلك تعليل لقوله: كأنهم قالوا: لأن قوله: { ولن ترضى عنك اليهود } حكاية لمعنى كلامهم، وأن كلامهم { ولن ترضى عنك } إلى آخره فقوله: { ولن ترضى عنك } بظاهره غير مطابق لقوله: { قل إن هدى الله هو الهدى

{ ووه المطابقة مع المقدر هو أنهم ما قالوا لا نتبع ملتك حتى نتبع ملتنا إلا وقد زعموا أن دينهم حق، ودين الإسلام باطل، فأجيبوا بذلك على القصر القلبي، وفي الآية مبالغات منها إضافة الهدى إلى الله، وتأكيد به بأن، وإعادة الهدى في الخبر على نحو قوله: وشعري شعري، وتسمية الدين بالهدى لمجيئه جوابا عن قولهم: { نتبع ملتنا } وجعله مصدرا، وتوسيط ضمير الفصل، وتعريف الخبر بلام الجنس، ولهذا أكد كلامه بقوله: والذي يصح أن يسمى هذا وهو الهدى كله.. إلى آخره، وأهواءهم: وضع المظهر فيه موضع المضمير من غير لفظه، وهو الملة. (٣٩٤/١)

ألا ترى إلى قوله: { ولئن اتبعت أهواءهم } أي أقوالهم التي هي أهواء وبدع { بعد الذي جاءك من العلم } أي من الدين المعلوم صحته بالبراهين الصحيحة. { الذين مNك"u#s÷Ys الكتاب يتلونه }، xm تلاوته أولئك يؤمنون به ومن يكفر به فأولئك هم tbrمزا"û (121) \$#sfù:تةtf"t6 ٥@fدن"uژ خ اذكروا نعمتي التي أنعمت عليكم 'ur&oTr فضلتكم على العالمين (١٢٢) واتقوا يوما لا تح grB نفس عن نفس ©x"Z\$

ولا يقبل منها عدل ولا تنفعها شفاعة ولا هم tbrمزا"Zم123 f) { الذين آتيناهم الكتاب } هم مؤمنو أهل الكتاب { يتلونه حق تلاوته } لا يحرفونه ولا يغيرون ما فيه من نعت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم { أولئك يؤمنون } بكتابهم دون المحرفين { ومن يكفر به } من المحرفين { فأولئك هم الخاسرون } حيث اشتروا الضلالة بالهدى.

{ * واذ ابتلى d'ud?zO /ج/خ) ربه ؛M"K3=sx /فأتمهن قال 'oTد'خ) جاعلك للناس إماما
قال ومن سةLfح h'èE قال لا ينال عهدي Jd'ü"=©124 (à9\$#) واذ جعلنا البيت مثابة
للناس وأمنا واتخذوا من مقام d'ud?zO /ج/خ) مصلى وعهدنا إلى d'ud?zO /ج/خ)
وإسماعيل أن
#uج dgsغ بيتي ütdع ح !©\$=٩د والعاكفين والركع السجود (١٢٥) {
}
(٣٩٥/١)

ابتلى إبراهيم ربه بكلمات { اختبره بأوامر ونواه. واختبار الله عبده مجاز عن تمكينه
عن اختيار أحد الأمرين: ما يريد الله، وما يشتهي العبد، كأنه يمتحنه ما يكون منه
حتى يجازيه على حسب ذلك. وقرأ أبو حنيفة رضي الله عنه وهي قراءة ابن عباس رضي الله
عنه: "إبراهيم ربه" رفع إبراهيم ونصب ربه. والمعنى: أنه دعاه بكلمات من الدعاء فعل
المختبر هل يجيبه إلهن أم لا؟ فإن قلت: الفاعل في القراءة المشهورة يلي الفعل في
التقدير، فتعلق الضمير به إضمار قبل الذكر. قلت: الإضمار قبل الذكر أن يقال: ابتلى
ربه إبراهيم. فأما ابتلى إبراهيم ربه أو ابتلى ربه إبراهيم، فليس واحدا منهما بإضمار
قبل الذكر. أما الأول فقد ذكر فيه صاحب الضمير قبل الضمير ذكرا ظاهرا. وأما الثاني
فإبراهيم فيه مقدم في المعنى، وليس كذلك: ابتلى ربه إبراهيم، فإن الضمير فيه قد
تقدم لفظا ومعنى فلا سبيل إلى صحته. والمستكن { فأتمهن } في إحدى القراءتين
لإبراهيم بمعنى: فقام بهن حق القيام وأداهن أحسن التأدية من غير تفریط وتوان. ونحو:
{ وإبراهيم الذي وفى } وفى الأخرى لله تعالى بمعنى فأعطاه ما طلبه لم ينقص منه
شيئا. ويعضده ما روي عن مقاتل أنه فسر الكلمات بما سأل إبراهيم ربه في قوله: { رب
اجعل هذا بلدا آمنا } (البقرة: ١٢٦)، { واجعلنا مسلمين لك } ، { وابعث فيهم رسولا
منهم } . { ربنا تقبل منا } فإن قلت: ما العامل في إذ؟ قلت: إما مضمر نحو: واذكر إذ
ابتلى أو إذ ابتلاه كان كيت وكيت، وإما { قال إني جاعلك } .
(٣٩٦/١)

فإن قلت: فما موقع قال؟ قلت: هو على الأول (١) استئناف، كأنه قيل: فماذا قال له ربه
حين أتم الكلمات؟ فقيل: قال إني جاعلك للناس إماما. وعلى الثاني جملة معطوفة على ما

قبلها. ويجوز أن يكون بيانا لقوله: (ابتلى)(٢) وتفسيرا له فيراد بالكلمات ما ذكره من الإمامة وتطهير البيت ورفع قواعده.

)

(١) قوله: (هو على الأول) أي : على إضمار عامل إذ ، وإن كان هذا الوجه في التقدير وجهين ، لكن يجمعهما معنى إضمار العامل ، وعلى الثاني ، أي : وعلى أن يكون العامل قال فيكون قال في التقدير مقدما على إذ رتبة ؛ لأنه عامل ومؤخرا عن حرف العطف ، والجملة معطوفة على جملة قبلها ، وهو قوله لنبي إسرائيل : { اذكروا نعمتي التي أنعمت عليكم } أولا أمرنا بني إسرائيل القريبى معادة خاتمة ، وتقدير الامتنان على بني إسرائيل ، وعودا على بدء تخلصنا إلى قصة دهم وبيان ماأنعم الله عليه .

(٢) قوله: (يجوز أن يكون بيانا لقوله: (ابتلى)) والعامل في إذ (اذكر) [٧٥٧] والضمير في { فأتهمن } لإبراهيم عليه السلام ، ويراد ما ذكره من الإمامة وغيرها إلى آخر الآيات ، وإنما استقام أن يكون بيانا ؛ لأن ما بعده { قال إني } { إذ قال له ربه أسلم } كالشرح والتفصيل لما أجمله في قوله { بكلمات } وصح الابتلاء بها لما تضمنه كل منها من المشاق ، ومعنى (والاسلام قبل ذلك) أي : الإسلام المأمور به قبل الأمر بالإمامة ، وإنما قال ذلك ؛ لأنه متأخر في القرآن عن ذكر الإمامة ، ويعلم منه أن الكلمات إذا لم تفسر بالمذكورات جاز أن تفسر بالعشر إلى الآخرة ، وحينئذ لم يكن بيانا بل كان استنفا ، يعني لما قام إبراهيم بما كلف به من الكلمات قيل : ما فعل الله له جزاء على فعله ؟ فقيل : { قال إني جاعلك } إلى آخره ، قال : والفرق : هو فرق الناصية ، والاستحداد : استعمال الحديدية في حلق العانة ، و التعريف : الوقوف بعرفة .

(٣٩٧/١)

والإسلام قبل ذلك في قوله: { إذ قال له ربه أسلم } وقيل في الكلمات: هن خمس في الرأس: الفرق، وقص الشارب، والسواك، والمضمضة والاستنشاق. وخمس في البدن: الختان، والاستحداد، والاستنجاء، وتقليم الأظفار، ونتف الإبط. وقيل: ابتلاه من شرائع الإسلام بثلاثين سهما: عشر في براءة(١) { التائبون العابدون } (التوبة: ١٢٢)، وعشر

في الأحزاب { إن المسلمين والمسلمات } ، وعشر في المؤمنون (٢) ، وسأل سائل إلى قوله: { والذين هم على صلاتهم يحافظون } (المؤمنون: ٩). وقيل: هي مناسك الحج، كالطواف والسعي والرمي والإحرام والتعريف وغيرهن. وقيل: ابتلاه بالكوكب والقمر والشمس والختان وذبح ابنه والنار والهجرة.

(١) قوله: (عشر في براءة) قيل : فيه نظر ؛ لأنه ليس فيها إلا تسعة ، ويحتمل ان يكون العاشر هو الإيمان ، وقد ذكره في قوله { وبشر المؤمنين } وإنما خالف به إخوانه حيث أمر بالبخارة لأصحابه إظهارا لشرف الإيمان ، ورتأ لمحلّه .

(٢) قوله: (وعشر في المؤمنون) وسأل سائل ليس في كل واحد مهما عشر ، ولكن يحصل من مجموع المذكور فيهما عشرة بعد حذف المتكرر فيهما يظهر ذلك بالتأمل .

(٣٩٨/١)

والإمام اسم من يؤتم به على زنة الإله، كالإزار لما يؤتزر به، أي يأتمون بك في دينهم { ومن ذريتي } عطف على الكاف (١)، كأنه قال: وجاعل بعض ذريتي، كما يقال لك: سأكرمك، فتقول: وزيدا { لا ينال عهدي الظالمين } وقرئ: "الظالمون"، أي من كان ظالما من ذريتك. لا يناله استخلافي وعهدي إليه بالإمامة، وإنما ينال من كان عادلا بريئا من الظلم وقالوا: في هذا دليل على أن الفاسق لا يصلح للإمامة. وكيف يصلح لها من لا يجوز حكمه وشهادته. ولا تجب طاعته؛ ولا يقبل خبره، ولا يقدم للصلاة. وكان أبو حنيفة رحمه الله يفتي سرا بوجوب نصره زيد بن علي (٢)

(١) قوله: ({ ومن ذريتي } عطف على الكاف) في { جاعلك } فيه نظر إن جعلنا الكاف مجرورا ، وهو الظاهر ؛ لأنه عطف على الضمير المجرور بلا إعادة الجار ، اللهم إلا أن يجعل عطفا على محله ؛ لأن الاضافة لفظية ، أو بجعل الكاف منصوبا كما هو رأي بعضهم ، وقيل : إن قوله { لا ينال عهدي الظالمين } لا يطابق الجواب ، إن أريد بالذرية المؤمنون ؛ لأن المطابق أن يقول فسأعطيها المؤمنين ، أو تنال المؤمنين ، وإن أريد

بالذرية الظالمون ، أي : الكافرون ، لم يجز ؛ لأنه لم يسأل الله الإمامة لهم ، وقيل : الجواب مطابق بأبلغ معنى وأتمه ؛ لأن الإمام في الدين إذا لم يكن منه بد ، ولم يجز أن يكون ظالما تعين أن يكون مؤمنا ، ومثاله أن تقول لمن أشرف على الموت اوص لابنك بشيء ، ثم تقول : لا يرث مني اجنبي ، اي كل ما تبقى مني فهو لابني فكيف أوصي

له بشيء ، وقيل : إنه جواب على الأسلوب الحكيم ، وقيل : يسمى نحو هذا عطف التلقين ، كما في المثال الذي ذكره .

(٢) قوله: (وكان أبو حنيفة رحمه الله يفتي سرا بوجوب نصره زيد بن علي) هو زيد بن

علي بن الحسين بن علي عليهم السلام ..

(٣٩٩/١)

رضوان الله عليهما، وحمل المال إليه، والخروج معه على اللص المتغلب (١) المتسمي بالإمام والخليفة، كالدوانيقي وأشباهه. وقالت له امرأة: أشرت على ابني بالخروج مع إبراهيم ومحمد ابني عبد الله بن الحسن حتى قتل. فقال: ليتني مكان ابنك. وكان يقول في المنصور وأشياعه: لو أرادوا بناء مسجد وأرادوني على عد آجره لما فعلت. وعن ابن عيينة: لا يكون الظالم إماما قط. وكيف يجوز نصب الظالم للإمامة، والإمام إنما هو لكف الظلمة. فإذا نصب من كان ظالما في نفسه فقد جاء المثل السائر: من استرعى الذئب ظلم.

(١) قوله: (على اللص المتغلب) قيل : اللام فيهما للجنس ، فمن جعل اللام للجنس ، وفي

وصفه باللص وإيقاع كالدوانيقي مثالا له ، والتلقيب به من المبالغة في تحقير شأنه ما

لا يخفى ، قيل : سمي بالدوانيقي لأنه زاد في الخراج دافعا ، وكان ظالما عسوفًا سفاكا

للدماء ، قطاعا للأرحام ، قيل : إنه قتل في يوم من أولاد فاطمة الزهراء ألفا أو

أكثر ، واعلم أن زيدا لم يخرج على الدوانيقي بل إنما ظهر وادعى الإمامة في زمن هشام

بن عبد الملك بن مروان ، وقتله أمير الكوفة من قبله يوسف بن عمر الثقفي لعنه الله ،

فبين ظهور زيد بن علي ، وبين ظهور المنصور مدة مديدة ، وإنما الذي خرج على المنصور

محمد وإبراهيم ابنا عبد الله بن الحسن بن الحسن بن علي عليهم السلام ، فقتل محمد بن

عبد الله بالمدينة ، وإبراهيم بن عبد الله بباصمري ، ولكن أبا حنيفة يفتي بإمامة

زيد بن علي بعد أن بايعه وأعانه بمال كثير ، واعتذر عن الخروج معه لودائع كانت في

يده ، وعاش أبو حنيفة إلى زمن الدوانيقي ، وكان يفتي بإمامة محمد بن عبد الله أيضا ،

فلما قتل أفتى بإمامة أخيه إبراهيم ، ولذلك طلبه المنصور وسقاه السم فلعل قوله :

كالدوانيقي للتشبيه ، أي : كان يفتي بالخروج على اللص المتغلب هشام المشبه

بالدوانيقي في الظلم ، والعسف وسفك الدماء . والله أعلم .

(٤٠٠/١)

و { البيت } اسم غالب للكعبة، كالنجم للثريا { مثابة للناس } مباءة ومرجعا (١)
للحجاج والعمار، يتفرقون عنه ثم يثوبون إليه أي يثوب إليه أعيان الذين يزورونه (٢)
أو أمثالهم { وأمنا } موضع أمن، كقوله: { حرما آمنا ويتخطف الناس من حولهم }
(العنكبوت: ٦٧) ولأن الجاني (٣) يأوي إليه فلا يتعرض له حتى يخرج. وقرئ: "مثابات"،
لأنه مثابة لكل من الناس (٤) لا يختص به واحد منهم { سواء العاكف فيه والباد } {
واتخذوا } على إرادة القول، أي وقلنا: اتخذوا منه موضع صلاة تصلون فيه. وهو على وجه
الاختيار والاستحباب دون الوجوب. وعن النبي صلى الله عليه وآله وسلم (٥٣) "أنه أخذ
بيد عمر فقال: هذا مقام إبراهيم، فقال عمر: أفلا نتخذه مصلى - يريد أفلا نؤثره
لفضله بالصلاة فيه تبركا به وتيمنا بموطيء قدم إبراهيم - فقال: لم أؤمر بذلك، فلم
تغب الشمس حتى نزلت".

-
- (١) قوله: { مثابة للناس } مباءة ومرجعا عطف تفسيري لمياءة .
(٢) قوله: (أي يثوب إليه أعيان الذين يزورونه) المراد بأعيانهم [٧٥٨] أنفسهم لا
أشرافهم ، كما ظن ، ولهذا قال : وأمنا لهم .
(٣) قوله: (ولأن الجاني) عطف من حي ثالمعنى على قوله : كقوله { حرما آمنا } يريد أن

معنى آمنا ذا أمن ، وموضع أمن ؛ لأن من سكن فيه أمن من خطف الناس ، فالحرم إذن موضع
أمن على الحقيقة ، أو لأن الجاني يأوي إليه فيأمن أن يتعرض له حتى يخرج ، فعلى هذا
إسناد { آمنا } إلى الحرم مجاز ؛ لأن المقصود أمن الملتجئ إليه فأسند إليه للمبالغة

- (٤) قوله: (لأنه مثابة لكل من الناس) تعليل لقراءة الجمع ، يريد أن البيت وإن كان
مثابة في نفسه ، ولكنه مثابات باعتبار القاصدين لكل منهم مباءة ، فلا يختص بواحد
منهم ، والمراد بالناس الذين يقصدونه من كل جانب .
(٤٠١/١)

وعن جابر بن عبد الله: (٥٤) "أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم استلم الحجر
ورمل ثلاثة أشواط ومشى أربعة، حتى إذا فرغ، عمد إلى مقام إبراهيم، فصلى خلفه
ركعتين، وقرأ: { واتخذوا من مقام إبراهيم مصلى } وقيل: مصلى مدعى. ومقام إبراهيم:
الحجر الذي فيه أثر قدميه، والموضع الذي كان فيه الحجر حين وضع عليه قدميه، وهو

الموضع الذي يسمى مقام إبراهيم. وعن عمر رضي الله عنه أنه سأل المطلب بن أبي وداعة: هل تدري أين كان موضعه الأول؟ قال: نعم، فأراه موضعه اليوم. وعن عطاء { مقام إبراهيم } عرفة والمزدلفة والجمار، لأنه قام في هذه المواضع ودعا فيها. وعن النخعي: الحرم كله مقام إبراهيم. وقرأ "واتخذوا" بلفظ الماضي عطفًا على "جعلنا" أي واتخذ الناس من مكان إبراهيم الذي وسم به لاهتمامه به وإسكان ذريته عنده قبلة يصلون إليها { عهدنا { أمرناهما { أن طهرا بيتي { بأن طهرا، أو أي طهرا. والمعنى طهراه من الأوثان والأنجاس وطواف الجنب والحائض والخبائث كلها، أو أخلصاه لهؤلاء لا يغشه غيرهم { والعاكفين { المجاورين الذين عكفوا عنده، أي أقاموا لا يرحلون، أو المعتكفين(١). ويجوز أن يريد بالعاكفين الواقفين يعني القائمين في الصلاة، كما قال: { للطائفين والقائمين والركع السجود } ، والمعنى: للطائفين والمصلين، لأن القيام والركوع والسجود هيآت المصلي.

}

وإذ قال ق d'u؟O (خ) رب اجعل هذا بلدًا آمنًا وارزق أهله من دN"u#yJ"V9\$# من آمن

منهم بالله واليوم حج ½\$zFy# قال ومن uجx x. فأتمعه %s=dWx ثم أضطره إلى عذاب النار

{ O/خ ur مزجاء126 (yJ9\$#)

(١) قوله: (أو المعتكفين { أي : الاعتكاف الشرعي .

(٤٠٢/١)

أي اجعل هذا البلد أو هذا المكان { بلدًا آمنًا { ذا أمن، كقوله { عيشة راضية { . أو آمنًا من فيه، كقوله: ليل نائم. و { من آمن منهم { بدل من أهله، يعني وارزق المؤمنين من أهله خاصة. { ومن كفر { (آل عمران: ٩٧) عطف على من آمن كما عطف { ومن ذريتي {

على الكاف(١) في جاعلك فإن قلت: لم خص إبراهيم صلوات الله عليه المؤمنين حتى رد عليه؟ قلت: قاس الرزق على الإمامة فعرف الفرق بينهما، لأن الاستخلاف استرعاء يختص بمن ينصح للمرعي، وأبعد الناس عن النصيحة الظالم، بخلاف الرزق فإنه قد يكون استدراجًا للمرزوق وإلزامًا للحجة له. والمعنى: وأرزق من كفر فأتمعه. ويجوز أن يكون {

ومن كفر { مبتدأ متضمنا معنى الشرط. وقوله: { فأمته { جوابا للشرط، أي ومن كفر
فأنا أمته. وقرئ: "فأمته فأضره" فألزه إلى عذاب النار لز المضطر الذي لا يملك
الامتناع مما اضطر إليه، وقرأ أبي: "فمنته قليلا ثم نضطره". وقرأ يحيى بن وثاب:
"فأضره"، بكسر الهمزة. وقرأ ابن عباس: "فأمته (٢)

(١) قوله: (كما عطف { ومن ذريتي { على الكاف) أراد أنه مثله في الاعتبار ، وقد سمي
بعطف التلقين ، وفي بعض الحواشي إنما قلنا هاهنا : هو عطف التلقين ، وفيما سبق كأنه
عطف التلقين رعاية للأدب ، وذلك لأن كون الملحن هو الله تعالى لإبراهيم أولى من
العكس ، ومعناه الراشدة والصفة .

(٢) قوله: (وقرأ ابن عباس: "فأمته") وهي شاذة ، قال ابن جني : هذه القراءة تحتمل
وجهين أحدهما وهو الظاهر أن يكون الفاعل في قال ضمير إبراهيم ، وحق إعادة قال طول
الكلام والانتقال من دعاء قوم إلى دعاء آخرين ، فكأنه أخذ في كلام آخر .

والوجه الثاني : أن يكون الفاعل هو الله تعالى ، أي : وأمته يا قادر يا رازق ،
ويخاطب بذلك نفسه على سبيل التجريد ، وعلى هذين الوجهين لا يكون العطف للتلقين
والشفر . بالضم . واحد أشفار العين ، وهي حروف الأجفان ، والساف : الصنف الواحد من
اللبن والطين ، وقيل : هو عرق من الحائط .
(٤٠٣/١)

قليلا ثم اضطره"، على لفظ الأمر. والمراد: الدعاء من إبراهيم دعا ربه بذلك. فإن
قلت: فكيف تقدير الكلام على هذه القراءة؟ قلت: في (قال): ضمير إبراهيم، أي قال
إبراهيم بعد مسئلته اختصاص المؤمنين بالرزق: ومن كفر فأمته قليلا ثم اضطره. وقرأ
ابن محيصن: "فأطره"، يادغام الضاد في الطاء كما قالوا: اطجع، وهي لغة مرذولة، لأن
الضاد من الحروف الخمسة التي يدغم هي فيها ما يجاورها ولا تدغم هي فيما يجاورها،
وهي حروف "ضم شفر".

{ وإذ يرفع ق d'u؟O/چ (خ) القواعد من دMث#t9\$ وإسماعيل ربنا تقبل منا
7R (خ) أنت

السميع ق Oث#d=127 (yè9\$# ربنا واجعلنا ب üyJ÷ûd=،م B لك ومن
Ffد uZ\$h'èCE أمة

B-،=dZpyJ لك وأرنا \$Ys3\$TM!s uZtB وتب !Yn=t\$ (خ) أنت

التواب الرحيم (١٢٨)

ربنا وابعث فيهم رسولا منهم يتلو N خkژn=ت وآياتك ويعلمهم الكتاب

tù:\$#urspyJ3

{ خkژj.u"م7Rfur y خ) أنت العزيز الحكيم (١٢٩) }

(٤٠٤/١)

يرفع { حكاية حال ماضية. و { القواعد } جمع قاعدة وهي الأساس والأصل لما فوقه، وهي صفة غالبية، ومعناها الثابتة. ومنه قعدك الله، أي أسأل الله أن يقعدك أي يثبتك. ورفع الأساس: البناء عليها لأنها إذا بني عليها نقلت عن هيئة الانخفاض إلى هيئة الارتفاع وتناولت بعد التقاصر. ويجوز أن يكون المراد بها سافات البناء لأن كل ساف قاعدة للذي يبنى عليه ويوضع فوقه. ومعنى رفع القواعد: رفعها بالبناء لأنه إذا وضع سافا فوق ساف فقد رفع السافات. ويجوز أن يكون المعنى: وإذا يرفع إبراهيم ما قعد من البيت (١) -

أي استوطأ - يعني جعل هيئته القاعدة المستوطئة مرتفعة عالية بالبناء، وروي: أنه كان مؤسساً قبل إبراهيم فبنى على الأساس. وروي: أن الله تعالى أنزل البيت ياقوته من يواقيت الجنة له بابان من زمرد: شرقي وغربي، وقال لآدم عليه السلام: أهبط لك ما يطاف به كما يطاف حول عرشي، فتوجه آدم من أرض الهند إليه ماشياً، وتلقته الملائكة فقالوا: بر حجك يا آدم، لقد حججنا هذا البيت قبلك بألفي عام وحج آدم أربعين حجة من أرض الهند إلى مكة على رجله، فكان على ذلك إلى أن رفعه الله أيام الطوفان إلى السماء الرابعة فهو البيت المعمور (٢)، ثم إن الله تعالى أمر إبراهيم ببنائه وعرفه جبريل مكانه. وقيل: بعث الله سحابة أظلته: ونودي: أن ابن علي ظلها لا تزد ولا تنقص. وقيل: بناه من خمسة أجبل طورسينا، وطورزيتا، ولبنان، والجودي، وأسسها من حراء.

(١) قوله: (ما قعد من البيت) فعلى هذا الألف واللام في القواعد بمعنى الذي ، أي : الذي قعد من البيت .

(٢) قوله: (إلى السماء الرابعة فهو البيت المعمور) قيل : الرواية الصحيحة أنه في السماء السابعة ، والفاء في قوله المصنف (فهو البيت) لتعقيب الاعلام والإخبار حالا بعد حال ، وحراء يصرف ولا يصرف ، ومعنى (تمخض) تحرك ، واحده المخاض ، وذلك على سبيل

الاستعارة من المرأة المتمخضة بالولد .

(٤٠٥/١)

وجاءه جبريل بالحجر الأسود من السماء. وقيل: تمخض أبو قبيس فانشق عنه، وقد خبيء فيه في أيام الطوفان وكان ياقوتة بيضاء من الجنة، فلما لمستة الحيض في الجاهلية اسود(١). وقيل: كان إبراهيم يني وإسماعيل يناوله الحجارة {ربنا} أي يقولان ربنا. وهذا الفعل في محل النصب على الحال، وقد أظهره عبد الله في قراءته، ومعناه: يرفعانها قائلين ربنا {إنك أنت السميع} لدعائنا {العليم} بضمائرتنا ونياتنا. فإن قلت: هلا قيل: قواعد البيت، وأي فرق بين العبارتين؟ قلت: في إبهام القواعد وتبيينها

بعد الإبهام ما ليس في إضافتها لما في الإيضاح بعد الإبهام من تفخيم لشأن المبين {مسلمين لك} مخلصين لك أوجهنا، من قوله: {أسلم وجهه لله} أو مستسلمين. يقال: أسلم

له وسلم واستسلم، إذا خضع وأذعن. والمعنى: زدنا إخلاصا أو إذعانا لك. وقرئ: "مسلمين" على الجمع، كأنهما أرادا أنفسهما وهماجر، أو أجريا التشية على حكم الجمع لأنها منه(٢) {ومن ذريتنا} واجعل من ذريتنا {أمة مسلمة لك} و {من} للتيعيض أو للتبيين، كقوله: {وعد الله الذين آمنوا منكم} (النور: ٥٥). فإن قلت: لم خصا ذريتهما بالدعاء؟ قلت: لأنهم أحق بالشفقة والنصيحة {قوا أنفسكم وأهليكم نارا} (التحریم: ٦)، ولأن أولاد الأنبياء إذا صلحوا صلح بهم غيرهم وشايعوهم على الخير. ألا ترى أن المقدمين من العلماء والكبراء إذا كانوا على السداد، كيف يتسبون لسداد من وراءهم؟ وقيل: أراد بالأمة أمة محمد صلى الله عليه وآله وسلم {أرنا} منقول من رأى بمعنى أبصر أو عرف.

(١) قوله: (فلما لمستة الحيض في الجاهلية اسود) وقيل: الرواية الصحيحة عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أنه قال: نزل الحجر الأسود من الجنة، وهو أشد بياضا من اللبن، فسودته خطايا بني آدم.

(٢) قوله: (لأنها منه) أي: لأن التشية من مراتب الجمع؛ لأن أقل الجمع اثنان على رأي.

(٤٠٦/١)

ولذلك لم يتجاوز مفعولين، أي وبصرنا متعبداتنا في الحج، أو وعرفناها. وقيل:
مذابحنا. وقرئ: وأرنا بسكون الراء قياسا على فخذ في فخذ. وقد استردلت، لأن الكسرة
منقولة من الهمزة الساقطة دليل عليها، فإسقاطها إجحاف. وقرأ أبو عمرو بإشمام
الكسرة. وقرأ عبد الله: "وأرهم مناسكهم". { وتب علينا } ما فرط منا من الصغائر (١)
أو استتابا لذريتهما { وابعث فيهم } في الأمة المسلمة { رسولا منهم } من أنفسهم.
وروى أنه قيل له: قد استجيب لك وهو في آخر الزمان، فبعث الله فيهم محمدا صلى الله
عليه وآله وسلم. قال عليه الصلاة والسلام: (٥٥) "أنا دعوة (٢) أبي إبراهيم وبشرى
أخي عيسى ورؤيا أُمي. }

(١) قوله: { وتب علينا } ما فرط منا من الصغائر أي: فيما فرط، قال الرازي:
المعتزلة يجوزون الصغائر على الأنبياء، وفيه نظر لأن الصغيرة إذا كانت مكفرة بثواب
فاعليها، والتوبة عنها محال، وعند أهل السنة: هذه التوبة لترك الأولى والأفضل،
وأنها من باب التشديد والتغليظ؛ ليرتدع مرتكب الكبائر، ولا يغفل عن التوبة، وقال
القاضي: وقوله: { وتب علينا } استتابا لذريتهما، أو بما فرط عنهما سهوا، أو
لعلهما قالاهما هضمًا لأنفسهما، وإرشادا لذريتهما، وأقول: إذا كانت التوبة عبارة عن
ترك المعصية، والندم على فعلها، والعزم على ترك المعاودة فلم لا تجوز التوبة عن
الصغيرة مع كونها مكفرة، وما الذي أحال التوبة عنها، وأيضا فإذا جازت التوبة عن
ترك الأولى مع أنه لا ذنب فيه، وعما فرط سهوا فلم لا يجوز التوبة عن الصغيرة، هذا
على أن الإصرار على الصغيرة كبيرة فيجب التوبة عنها.

(٢) قوله: (أنا دعوة أبي) أي: أثر دعوته، أو الدعوة نفسها، ورؤيا أُمي، رأت أمه
آمنة حين وضعته صلى الله عليه وآله وسلم أنه خرج منها نور أضاءت له قصور الشام،
وروي أضاءت به ديار مكة، وملئ ما حوالها نورا.

(٤٠٧/١)

يتلو عليهم آياتك { يقرأ عليهم ويبلغهم ما يوحى إليه من دلائل وحدانيتك وصدق
أنبيائك { ويعلمهم الكتاب { القرآن { والحكمة { الشريعة وبيان الأحكام { ويذكهم {
ويطهرهم من الشرك وسائر الأرجاس، كقوله: { ويحل لهم الطيبات ويحرم عليهم الخبائث {

{ ومن يرغب عن ملة d'us?zo/ج (خ) إلا من سفه نفسه ولقد اصطفتناه في الدنيا وإنه في

ج ½Fy# لمن sitüü="ء٩\$# (١٣٠) إذ قال له ربه &r™=دN قال
أسلمت ةb<uجد٩

{ العالمين (١٣١) }

{ ومن يرغب { إنكار واستبعاد لأن يكون في العقلاء من يرغب عن الحق الواضح الذي هو

ملة إبراهيم. و { من سفه { في محل الرفع على البذل من الضمير في يرغب، وصح البذل
لأن من يرغب غير موجب، كقولك: هل جاءك أحد إلا زيد { سفه نفسه { امتنها واستخف
بها. وأصل السفه: الخفة. ومنه زمام سفيه. وقيل: انتصاب النفس على التمييز(١)، نحو:
غبن رأيه وألم رأسه. ويجوز أن يكون في شذوذ تعريف المميز نحو قوله:
ولا بفزارة(٢) الشعر الرقابا
أجب الظهر ليس له سنام(٣)

(١) قوله: (وقيل: انتصاب النفس على التمييز) [٧٥٩] هو عطف على قوله { سفه نفسه {
لأنها نصبت على هذا التقدير بأنها مفعول بها ، وعلى الثاني { سفه { لازم ، ونفسه
تمييز .

(٢) قوله: (ولا بفزارة) أوله :

فما قومي بتعلبة بن بكر*** ولا بفزارة الشعر الرقابا
وبعده :

وقومي إن سألت هم قریش*** بمكة علموا مضر الضرابا
فزارة ، وتعلبة قبيلتان ، والشعر : جمع أشعر .

(٣) قوله: (أجب الظهر) أوله :

ونمسك بعده بذناب عيش***أجب الظهر ليس له سنام
وقبله :

فإن يهلك أبو قابوس يهلك***ربيع الناس والشهر الحرام

الشعر للناطقة يمدح النعمان بن المنذر ، وربيع الناس قيل : سبب طيب عيشهم ، وقيل :

أريد بالشهر الحرام الأمن ، ويحتمل انه شبهه بالربيع ؛ لأنهم يشبهون الكريم بالربيع
... .. والعيب ، وذناب الشيء. بالكسر. عقيبه ، أي : إن يهلك نبقي

بعده في طرف عيش قد مضى صدره وخيره ، وبقي ذنبه ، وما لا خير فيه ، والأجب : الجمل

المقطوع السنام ، وقيل : يجوز نصب الرقاب والظهر على التشبيه بالمفعول ، لا على

التمييز ، كقولك الحسن الوجه ، وحسن الوجه .

(٤٠٨/١)

وقيل معناه: سفه في نفسه، فحذف الجار، كقولهم: زيد ظني مقيم، أي في ظني. والوجه هو الأول (١). وكفى شاهدا له بما جاء في الحديث: (٥٦) "الكبر أن تسفه الحق وتغمص الناس" وذلك أنه إذا رغب (٢) عما لا يرغب عنه عاقل قط فقد بالغ في إذالة نفسه وتعجيزها، حيث

خالف بها كل نفس عاقبة { ولقد اصطفيناه } بيان لخطأ رأي من رغب عن ملته، لأن من جمع الكرامة عند الله في الدارين، بأن كان صفوته وخيرته في الدنيا وكان مشهودا له بالاستقامة على الخير (٣) في الآخرة، لم يكن أحد أولى بالرغبة في طريقته منه { إذ قال } ظرف لاصطفيناه، أي: اخترناه في ذلك الوقت. أو انتصب بإضمار (اذكر) استشهادا على ما ذكر (٤) من حاله. كأنه قيل: اذكر ذلك الوقت لتعلم أنه المصطفى الصالح الذي لا يرغب عن ملة مثله.

(١) قوله: (والوجه هو الأول) أي : أن يكون { سفه } متعديا ، ونفسه مفعول به ، لا تمييز ، وإنما حكم بأنه الوجه لأن { سفه } لما جاء متعديا كما جاء في الحديث كان نصبه بأنه مفعول به أولى من نصبه على التمييز ؛ لأن انتصابه على التمييز إنما هو على تقدير أن سفه لازم .

(٢) قوله: (وذلك أنه إذا رغب) تعليل لقوله : والوجه هو الأول ؛ لأن المقصود من الآية أن من له رأي سديد ، وعقل كامل إذا رأى الناس مجتمعين على أمر خطير سني لا يرغب عنه عاقل ، وخالفهم وكابر عقله في اتباع ذلك الأمر الخطير فلا يكون ذلك من تجهيله عقله ، وغمض الناس وتحقيرهم ، وهذا المعنى لا يتفق على الوجهين الآخرين ، والخيرة : بمعنى المختار ، وقد يسكن الياء فيها ،

(٣) قوله: (وكان مشهودا له بالاستقامة على الخير) وإنما فسر الصلاح بالاستقامة ، لأنه مقابل للفساد ، الذي هو خروج الشيء عن حال استقامته .

(٤) قوله: (أو انتصب بإضمار (اذكر) استشهادا على ما ذكر) يعني يكون اذكر استشهادا ، أي : يكون جملة مقطوعة مستأنفة مشتملة على بيان الموجب لكونه مصطفى .

(٤٠٩/١)

ومعنى { قال له أسلم } (١) أخطر بباله النظر في الدلائل المؤدية إلى المعرفة

والإسلام و { قال أسلمت } أي فنظر وعرف، وقيل: أسلم: أي اذعن وأطع. وروي: أن عبد الله بن سلام دعا ابني أخيه سلمة ومهاجرا إلى الإسلام فقال لهما: قد علمنا أن الله

تعالى قال في التوراة: إني باعث من ولد إسماعيل نبيا اسمه أحمد، فمن آمن به فقد اهتدى ورشد، ومن لم يؤمن به فهو ملعون. فأسلم سلمة وأبى مهاجر أن يسلم، فنزلت. { ووصى بها ق d'u؟O (ج/خ) بنيه ويعقوب ؤسة tf"t6 إن الله اصطفى لكم الدين فلا تموتن

إلا وأنتم Jtbqكd=،-132 B) {

قرىء: وأوصى، وهي في مصاحف أهل الحجاز والشام. والضمير في { بها } لقوله: { أسلمت

لرب العالمين } على تأويل الكلمة والجملة، ونحوه رجوع الضمير في قوله: { وجعلها كلمة باقية } إلى قوله: { إني براء مما تعبدون إلا الذي فطرني } وقوله: كلمة باقية. دليل على أن التأييد على تأويل الكلمة { ويعقوب } عطف على إبراهيم، داخل في حكمه. والمعنى: ووصى بها يعقوب بنيه أيضا. وقرىء: "ويعقوب"، بالنصب عطفا على بنيه. ومعناه ووصى بها إبراهيم بنيه ونافلته يعقوب { يا بني } على إضمار القول عند البصريين. وعند الكوفيين يتعلق بوصى، لأنه في معنى القول. ونحوه قول القائل: رجلان من ضبة أخبرانا***إنا رأينا رجلا عربانا(٢)

(١) قوله: (ومعنى { قال له أسلم }) أخطر بباله يريد أن { أسلم } أمر جار على المختار ، ويراد به الإلهام ، هذا إذا أريد بالاسلام الإيمان ، فإن أريد به الاذعان والطاعة ، فالأمر على الحقيقة ، وإليه أشار بقوله : أسلم وأذعن ، هكذا قيل .

(٢) قوله (رجلان من ضبة أخبرانا***إنا رأينا رجلا عربانا فهو بتقدير القول عندنا ؛ لأنه لو تعلق بأخبارنا لفتحت أن .

قوله { فلا تموتن } معناه فلا يكن موتكم ، أراد أن لا تموتن لا يستقيم اجراؤه على ظاهره ؛ لأنهم نهوا عن الموت ، وذلك ليس مقدوركم ؛ لأن معناه : فلا يكن موتكم إلا على حال كونكم ثابتين على الإسلام ، وهذا أيضا لا يستقيم على ظاهره ؛ لأن المنهي عنه الكون على الموت ، وهو أيضا غير مقدور ، فرجع حاصله إلى النهي عن كونهم عند الموت على حالة غير الإسلام ، والتقدير : لا يوجد مكن الكفر بحيث يدركم الموت ، وأنتم

عليه ، وهذا معنى قوله : فالنهي في الحقيقة عن كونهم على خلاف حال الإسلام ، وأما قوله : كذلك لا تصل إلا وأنت خاشع ، فإن النهي في الظاهر من الصلاة ، وفي المعنى النهي عن وجود خلاف الخشوع فيها .
(٤١٠/١)

بكسر الهمزة: فهو بتقدير القول عندنا. وعندهم يتعلق بفعل الإخبار. وفي قراءة أبي وابن مسعود: "أن يا بني" { اصطفى لكم الدين } أعطاكم الدين الذي هو صفوة الأديان وهو دين الإسلام. ووفقكم للأخذ به { فلا تموتن } معناه فلا يكن موتكم إلا على حال كونكم ثابتين على الإسلام، فالنهي في الحقيقة عن كونهم على خلاف حال الإسلام إذا ماتوا، كقولك: لا تصل إلا وأنت خاشع، فلا تنهاه عن الصلاة، ولكن عن ترك الخشوع في حال صلاته. فإن قلت: فأني نكتة في إدخال حرف النهي على الصلاة وليس بمنهي عنها؟ قلت:

النكتة فيه (١) إظهار أن الصلاة التي لا خشوع فيها كلا صلاة، فكأنه قال: أنهاك عنها إذا لم تصلها على هذه الحالة. ألا ترى إلى قوله عليه الصلاة والسلام: (٥٧) "لا صلاة لجار المسجد إلا في المسجد" فإنه كالتصريح بقولك لجار المسجد: لا تصل إلا في المسجد: وكذلك المعنى في الآية إظهار أن موتهم لا على حال الثبات على الإسلام موت لا خير فيه، وأنه ليس بموت السعداء، وأن من حق هذا الموت أن لا يحل فيهم. وتقول في الأمر أيضا: مت وأنت شهيد. وليس مرادك الأمر بالموت. ولكن بالكون على صفة الشهداء إذا مات؛ وإنما أمرته بالموت اعتدادا منك بميتته، وإظهارا لفضلها على غيرها، وأنها حقيقة بأن يحث عليها.

}

(١) قوله: (النكتة فيه) الجواب : أن الصلاة والموت إذا قصد بالنهي عنهما نهى عن حالة يقعان فيها إرادة للفضيلة ، والخبر به كان أبلغ ؛ لأن النهي عنهما حينئذ يكون بهما عن حالهما بطريق الكناية ، فقد حوت [٧٦٠] مقتضى الظاهر ، وهو النهي عن الحالين إلى النهي عن الدائين ، فلهذا حصلت المبالغة كما حصلت المبالغة في { كيف

تكفرون } الآية ، حيث خولف الظاهر ، وهو إنكار الذات إلى إنكار الحال ، فالمبالغة في الموضوعين بسبب مخالفة مقتضى الظاهر ، وإن اختلفا في أن النهي هنا نهى عن الذات ، والمراد النهي عن الحال ، كما أن الإنكار هناك للحال إنكار للذات .

أم كنتم شهداء إذ u | ط xm يعقوب الموت إذ قال لبنيه ما تعبدون من بعدي قالوا نعبد إلهك وإله $y7$ ح $nt/\#u\$!$ $d\ddot{u}s?zO$ چ/خ) وإسماعيل وإسحاق إلهها $n\ddot{u}r\%oY\#$ ونحن له

{ (B 133م=Jكtbq

{ أم كنتم شهداء { هي أم المنقطعة ومعنى الهمزة فيها الإنكار (١).

(١) قوله: { أم كنتم شهداء { هي أم المنقطعة ومعنى الهمزة فيها الإنكار اعلم ان أم المنقطعة بمعنى بل والهمزة ، تأتي في الخبر كما تأتي في الاستفهام ، بخلاف أم المتصلة فإنها لا تأتي إلا في الاستفهام ، ولا بد أن يليها أحد المستويين ، ويلي الآخر الهمزة ، ولهذا قدر على تقدير كونها متصلة : أتعون أم كنتم شهداء ، وإذا تقرر هذا فالعلم أن المسلمين كانوا يدعون على الأنبياء كونهم على الإسلام ، ف قيل لهم بعد أن أخبر بأن إبراهيم ويعقوب وصيا بنيهما بالإسلام ، بل أكنتم شهداء ، أي حضورا ، إنكارا لحضورهم ، وتقريراً لدعواهم ، والمراد ما كنتم شهداء ، ولكن علمتم صحة ما دعيتم إليه بالوحي اثباتا عليهم بالأعلام بذلك ، وهذا كلام صحيح على كون تقدير الخطاب للمسلمين ، وإنما لم ينف التعلم واستماع الأنبياء من حفاظها ؛ لأنه قد علم يقينا أنهم ما كانوا من أهل السماع والقراءة ، فلم يبق إلا الوحي ، أو المشاهدة ، فإذا أبقينا المشاهدة تحقق الوحي المقصود بطريق برهاني ، وأما على تقدير كون الخطاب لليهود فلا يصح ذلك ؛ لأن اليهود كانوا يدعون على الأنبياء اليهودية حتى قالوا : ما مات نبي إلا على اليهودية ، فلو قيل : بل أكنتم شهداء كان إنكارا لحضورهم ، وتقريراً لدعواهم كما تقدم مثله في كون الخطاب للمسلمين لكن ما كانت دعواهم باطلة ؛ لأن

الأنبياء براء مما ادعوه عليهم ، امتنع كون أم منقطعة ، فلهذا قدر كونها متصلة فقال : أتعون على الأنبياء اليهودية أم كنتم شهداء ، فيكون إنكارا للدعوى ، وإثباتا للشهادة ، أي : الحضور باعتبار حضور آبائهم ، والمعنى : أن آبائكم كانوا مشاهدين ليعقوب عند وصيته لبنيه بالتوحيد ، والإسلام فما لكم تدعون خلاف ما شاهدوا . قال بعض الفضلاء في كون أم متصلة إشكال ؛ لأن أم المتصلة تقتضي السؤال عن تعيين أحد الأمرين ، وهما كل واحد من دعوى اليهودية على الأنبياء ، وحضور أوائلهم حين احتضر يعقوب ، ووصى بنيه بالتوحيد معلوم عند المتكلم ، وأجاب عنه أنه لما كان الأمران

متساويين في كون كل واحد منهما ممالا يصدر عن العقلاء لكون أحدهما أدعى للشيء من غير علم ، والثاني : أدعى للشيء مع العلم خلافه ، لكن هذا القول يقتضي عدم حضورهم ، فإذا سئلوا عن ذلك فلا شك انهم لا يجيبون بتعيين الأمر الأول فتعيين أن يجيبوا بتعيين الأمر الثاني فحينئذ يقدر ح ... في ذلك الزامهم ، وتقريبهم ، يعني إذا عرفت أن أوائلكم كانوا مشاهدين له ، أو حث بنيه على التوحيد ، ودعاهم إلى الإسلام ، وعلمهم ذلك ، فما بالكم تدعون على الأنبياء ما هم منه براء . تلخيص هذا ان السوالات سؤال تبيكيت وإلزام ، سئلوا عن أمرين أيهما اختاروه لزمتهما الحجة ، ومعنى أراد بنيه على الإسلام حملهم عليه .

(٤١٢/١)

والشهداء جمع شهيد، بمعنى الحاضر: أي ما كنتم حاضرين يعقوب عليه السلام إذ حضره الموت، أي حين احتضر والخطاب للمؤمنين بمعنى: ما شاهدتم ذلك وإنما حصل لكم العلم به

من طريق الوحي. وقيل: الخطاب لليهود، لأنهم كانوا يقولون: ما مات نبي إلا على اليهودية، إلا أنهم لو شهدوه وسمعوا ما قاله لبنيه وما قالوه، لظهر لهم حرصه على ملة الإسلام، ولما ادعوا عليه اليهودية. فالآية منافية لقولهم، فكيف يقال لهم: أم

كنتم شهداء؟ ولكن الوجه أن تكون أم متصلة على أن يقدر قبلها محذوف، كأنه قيل: أئدعون على الأنبياء اليهودية؟ { أم كنتم شهداء إذ حضر يعقوب الموت } يعني أن أوائلكم من بني إسرائيل كانوا مشاهدين له إذ أراد بنيه على التوحيد وملة الإسلام، وقد علمتم ذلك، فما لكم تدعون على الأنبياء ما هم منه براء؟ وقرئ "حضر" بكسر الضاد وهي لغة. { ما تعبدون } أي شيء تعبدون؟ و { ما } عام في كل شيء فإذا علم فرق بما ومن، وكفاك دليلا قول العلماء (من) لما يعقل. ولو قيل: من تعبدون، لم يعم إلا أولي العلم وحدهم. ويجوز أن يقال: { ما تعبدون } سؤال عن صفة المعبود. كما تقول: ما زيد؟ تريد: أفضيه أم طيب أم غير ذلك من الصفات؟ و { إبراهيم وإسماعيل وإسحاق } عطف بيان لآبائك. وجعل إسماعيل وهو عمه من جملة آبائه، لأن العم أب والخالة أم، لانخراطهما في سلك واحد وهو الأخوة لا تفاوت بينهما. ومنه قوله عليه السلام: (٥٨) "عم الرجل صنو أبيه" (١) أي لا تفاوت بينهما كما لا تفاوت بين صنوي النخلة. وقال عليه الصلاة والسلام في العباس: (٥٩) "هذا بقية آبايك" وقال: (٦٠) ردوا علي أبي (٢)،

(١) قوله: (عم الرجل صنو أبيه) قاله لعمر في العباس ، والصنو : المثل ، وأصله أن تطلع الخلتان من عرق واحد ، أي أصل العباس وأصل أبي واحد .
(٢) قوله: (ردوا علي أبي) ...إلى آخره ، قيل : إنه صلى الله عليه وآله وسلم بعث عمه العباس إلى مكة قيل : عام الفتح ليدعوهم الله فأبطأ عليه ، فقال ذلك ، وأما حديث عروة فهو أنه قدم على رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم واستأذنه في الرجوع ، فرجع فدعا قومه إلى الإسلام فأبوا ، فلما كان عند الفجر قام على عروته فأذن بالصلاة وتشهد فرماه [٧٦١] رجل من ثقيف فقتله .

(٤١٣/١)

فإني أخشى أن تفعل به قريش ما فعلت ثقيف بعروة بن مسعود" وقرأ أبي: و"إله إبراهيم"، بطرح آباءك. وقرئ: "أبيك". وفيه وجهان: أن يكون واحدا وإبراهيم وحده عطف بيان له، وأن يكون جمعا بالواو والنون. قال:
وفديننا بالأبيننا (١)

{ إلهها واحدا } بدل من إله آباءك (٢)، كقوله تعالى: { بالناسية ناصية كاذبة }
(العلق: ١٥ - ١٦) أو على الاختصاص، أي نريد بإله آباءك إلهها واحدا { ونحن له مسلمون } حال من فاعل نعبد، أو من مفعوله، لرجوع الهاء إليه في له. ويجوز أن تكون جملة معطوفة على نعبد، وأن تكون جملة اعتراضية مؤكدة، أي ومن حالنا أنا له مسلمون (٣) مخلصون التوحيد أو مذعنون.
{ تلك أمة قد خلت لها ما كسبت ولكم ما كسبتم ولا تسألون عما كانوا يعملون (١٣٤) }
}

(١) قوله: (وفديننا بالأبيننا) أوله :

فلما تبين أصواتنا*** بكيين وفديننا بالأبيننا

أي : قلن : جعل الله تعالى آباءنا فداءكم ، والألف في الأنبياء للأنبياء ، والضمير في تبين ، وبكيين للنساء اللاتي أسرن ، وسعى في تخليصهن الشاعر .

(٢) قوله: ({ إلهها واحدا } بدل من إله آباءك) قال القاضي : وفائدته التصريح بالتوحيد ، ونفي الوهم الناشيء من تكرير المضاف والتأكيد .

(٣) قوله: (أي ومن حالنا أنا له مسلمون) قيل : بيان التقرير يدل على آخر الجملة معترضة ، لا حال ، أي : ومن عادتنا وشأننا ، إذ لو أريد تقرير الحال لقليل : والحال

أنا له مخلصون .

(٤١٤/١)

تلك { إشارة إلى الأمة المذكورة التي هي إبراهيم ويعقوب وبنوهما الموحدون. والمعنى:
أن أحدا لا ينفعه كسب غيره متقدما كان أو متأخرا، فكما أن أولئك لا ينفعهم إلا ما
اكتسبوا، فكذلك أنتم لا ينفعكم إلا ما اكتسبتم. وذلك أنهم افتخروا بأوائلهم. ونحوه
قول رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم (٦١) "يا بني هاشم، لا يأتيني الناس
بأعمالهم وتأتوني بأنسابكم" (١)، { ولا تسألون عما كانوا يعملون } ولا تؤاخذون
بسيئاتهم كما لا تنفعكم حسناتهم.

{ وقالوا كونوا هودا أو "٣u"ج | #rءكR %٥ksE÷t قل بل ملة d`us؟zO د/ج/خ }
وما ZxmدZ\$

كان من المشركين (١٣٥) {

}

(١) قوله: (لا يأتيني الناس بأعمالهم وتأتوني بأنسابكم) قيل : هذا نفي في معنى
النهي ، ولهذا أكد بالنون ، والحاصل أنه نهى عن أن يأتي سائر الناس بالعمل ، وهم
بالنسب ، قيل : والأولى أن يقال : إن الواو للجمع ، و المعنى كالمعنى في قوله :
لا تنه عن خلق وتأتي مثله *** عار عليك إذا فعلت عظيم
(٤١٥/١)

بل ملة إبراهيم { بل تكون ملة إبراهيم أي أهل ملته كقول عدي بن حاتم: (٦٢) (إني من
دين) يريد من أهل دين. وقيل: بل نتبع ملة إبراهيم. وقرئ: { ملة إبراهيم } بالرفع،
أي ملته ملتنا، أو أمرنا ملته، أو نحن ملته بمعنى أهل ملته. و { حنيفا } حال من
المضاف إليه (١)،

(١) قوله: (و { حنيفا } حال من المضاف إليه) الحال إذا كانت من المضاف إليه اشترط
فيها كون المضاف جزءا من المضاف إليه ، حتى تكتسب منه الفاعلية والمفعولية ، ولهذا
جاز رأيت وجه هند قائمة ، ولا يجوز رأيت غلام هند قائمة ، وقيل : انتصاب الحال من
المضاف إليه لا يحسن ، حتى يكون المضاف والمضاف إليه كشيء واحد كقوله تعالى : {

أحب أحدكم أن يأكل لحم أخيه ميتا { حال من الأخ ؛ لأن اللحم والأخ واحد ، وفي قوله : { ملة إبراهيم حنيفا { قد جعل الملة وإبراهيم بمنزلة شيء واحد ، ألا ترى إلى قول ... أي : من ديني ، كأنه قال : أنا متجسم منه ، ولهذا جاز أن تقول : أعجبني زيد دينه ، فتبدله منه ، وقال أبو البقاء : والحال من المضاف ومن المضاف إليه قليل ؛ لأن عامل الحال هو عامل صاحبها ، ولا يصح أن يعمل المضاف في مثل هذا في الحال ، ومن

جعله حالا قدر العامل معنى اللام ، ومعنى الإضافة وهي المصاحبة والملاصقة ، وقيل : حسن جعل { حنيفا { حالا منه ؛ لأن المعنى يتبع إبراهيم حنيفا ، وهذا جيد ؛ لأن الملة هي الدين ، والمتبع إبراهيم عليه السلام ، وهذا مأخوذ من قول الزجاج ، فإنه

قال : ينتصب { حنيفا { على الحال ، أي : بل يتبع ملة إبراهيم في حال حنيفيته ، وقال بعض المحققين : وأما العامل في الحال في نحو { ملة إبراهيم حنيفا { اعني إذا كان الحال عن مجرور بمضاف غير عامل في الحال كما عمل في ضرب زيد راكبا ، فعند من جوز اختلاف العامل في الحال وفي صاحبها لا إشكال ، وأما من منعه فقال بعضهم : العامل فيه معنى الإضافة ؛ لأن الإضافة بمعنى حرف الجر ، والمتعلق بمعنى الفعل ؛ لأن المعنى ملة ثبتت لإبراهيم حنيفا ، وهو ضعيف ؛ لأن معنى الفعل قد انطمس في مثله ، وقال بعضهم : لما كان لا يضاف ما ليس بعامل في الحال الى ذي الحال الآخرة ، نحو انظر الى يد زيد ماشيا ، أو ما يقوم المضاف اليه مقامه لو حذف كقوله : { ملة إبراهيم حنيفا { جاز أن يعمل عامل المضاف في الحال مع أنه لم يعمل في المضاف اليه ؛ لأن المضاف اليه في التقديرين المذكورين كأنه المضاف .

(٤١٦/١)

كقولك: رأيت وجه هند قائمة. والحنيف: المائل عن كل دين باطل إلى دين الحق. والحنف: الميل في القدمين. وتحنف إذا مال. وأنشد:

ولكننا خلقنا إذ خلقنا***حنيفا ديننا عن كل دين(١)

{ وما كان من المشركين { تعريض بأهل الكتاب وغيرهم لأن كلا منهم يدعي اتباع إبراهيم وهو على الشرك { قولوا { خطاب للمؤمنين. ويجوز أن يكون خطابا للكافرين، أي قولوا لتكونوا على الحق، وإلا فأنتم على الباطل وكذلك قوله: { بل ملة إبراهيم { يجوز أن يكون على: بل اتبعوا أنتم ملة إبراهيم، أو كونوا أهل ملته.

{ %qèñûq# آمنة بالله وما tAح"Ré& إلينا وما tAح"Ré& إلى

d'uozO (خ) وإسماعيل

وإسحاق ويعقوب والأسباط وما &Aréd'z موسى وعيسى وما &Aréd'z النبيون من ربهم لا

ن-ح hçRçx بين أحد منهم ونحن له Ktbq=م136 (B) فإن آمنوا بمثل ما آمنتكم به فقد

اهتدوا وإن تولوا فإنما هم في شقاق فسيكفيكمهم الله وهو السميع ق Oثد=yè9\$# (137) {

)

(١) قوله: (ولكننا خلقنا إذ خلقنا***حنيفا ديننا عن كل دين ظاهر قوله: (واحد في معنى الجماعة) والمعنى إذا انقضت جماعة الأنبياء جماعة جماعة ، فلا نفرق بين جمع من جموعهم . (١/٤١٧)

والسبط: الحافد. وكان الحسن والحسين سبطي رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم { والأسباط { حفدة يعقوب ذراري أبنائه الاثني عشر { لا تفرق بين أحد منهم { لا تؤمن ببعض ونكفر ببعض كما فعلت اليهود والنصارى. و { أحد { في معنى الجماعة. ولذلك صح دخول { بين { عليه { بمثل ما آمنتكم به { من باب التبكيت (١)، لأن دين الحق واحد لا مثل له وهو دين الإسلام { ومن يبتغ غير الإسلام دينا فلن يقبل منه { فلا يوجد إذا دين آخر يماثل دين الإسلام في كونه حقا، حتى إن آمنوا بذلك الدين المماثل له كانوا مهتدين، فقيل: فإن آمنوا بكلمة الشك على سبيل الفرض والتقدير، أي: فإن حصلوا دينا آخر مثل دينكم مساويا له في الصحة والسداد فقد اهتدوا. وفيه أن دينهم الذي هم عليه وكل دين سواه مغاير له غير مماثل، لأنه حق وهدى وما سواه باطل وضلال. ونحو هذا قولك للرجل الذي تشير عليه. هذا هو الرأي الصواب، فإن كان عندك رأي أصوب منه فاعمل به، وقد علمت أن لا أصوب من رأيك. ولكنك تريد تبكيت صاحبك، وتوقيفه على أن ما رأيت لا رأي وراءه. ويجوز أن لا تكون الباء صلة (٢) وتكون باء الاستعانة، كقولك: كتبت بالقلم، وعملت بالقدم أي فإن دخلوا في الإيمان بشهادة مثل شهادتكم التي آمنتكم بها.

(١) قوله: (من باب التبكيت) أي : إلزام الخصم ، وهو استدراجه وإرخاء العنان معه ،

ليعشر حيث يراد تبكيته .

(٢) قوله: (ويجوز أن لا تكون الباء صلة) يعني على ما فسرنا كانت صلة .
(٤١٨/١)

وقرأ ابن عباس وابن مسعود: "بما آمنتم به" وقرأ أبي: "بالذي آمنتم به" { وإن تولوا
{ عما تقولون لهم ولم ينصفوا(١) فما هم إلا { في شقاق { أي في مناوأة ومعاداة لا
غير، وليسوا من طلب الحق في شيء. أو: وإن تولوا عن الشهادة والدخول في الإيمان بها
{ فسيكفيكم الله { ضمان من الله لإظهار رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم عليهم،
وقد أنجز وعده بقتل قريظة وسيبهم وإجلاء بني النضير. ومعنى السين(٢) أن ذلك كائن لا
محالة وإن تأخر إلى حين { وهو السميع العليم { وعيد لهم، أي يسمع ما ينطقون به،
ويعلم ما يضمرون من الحسد والغل وهو معاقبهم عليه. أو وعد لرسول الله صلى الله عليه وآله وسلم
وآله وسلم بمعنى: يسمع ما تدعو به ويعلم نيتك وما تريده من إظهار دين الحق، وهو
مستجيب لك وموصلك إلى مرادك.
{ صبغة الله ومن أحسن من الله صبغة ونحن له عابدون (١٣٨) }
}

(١) قوله: { وإن تولوا { عما تقولون لهم ولم ينصفوا) هذا على أن الباء في { بمثل
{ صلة آمنوا ، وقوله : أو حال من تولوا عن الشهادة على أن الباء للاستعانة ، وينصر
القول الأول قوله : { في شقاق { أي : في مناوأة ومعاداة ؛ لأنه مناسب للانصاف ،
وكذا قوله { فسيكفيكم الله } .
(٢) قوله: (ومعنى السين) أي : في { فسيكفيكم الله { قال المصنف : الأصل في السين
التوكيد ؛ لأنها في مقابلة لن ، قال سيبويه : [٧٦٢] إن لن أفعل نفي سأفعل .
(٤١٩/١)

صبغة الله { مصدر مؤكد(١) منتصب على قوله: { آمنا بالله { كما انتصب { وعد الله {
عما تقدمه، وهي (فعلة) من صبغ، كالجلسة من جلس، وهي الحالة التي يقع عليها الصبغ
والمعنى: تطهير الله، لأن الإيمان يطهر النفوس. والأصل فيه أن النصارى كانوا يغمسون
أولادهم في ماء أصفر يسمونه المعمودية، ويقولون: هو تطهير لهم، وإذا فعل الواحد
منهم بولده ذلك قال: الآن صار نصرانيا حقا، فأمر المسلمون بأن يقولوا لهم(٢): {

قولوا آمنا بالله { وصبغنا الله بالإيمان صبغة لا مثل صبغتنا، وطهرنا به تطهيرا لا مثل تطهيرنا. أو يقول المسلمون. صبغنا الله بالإيمان صبغته ولم نصبغ صبغتكم. وإنما

جاء بلفظ الصبغة على طريقة المشاكلة، كما تقول لمن يغرس الأشجار: اغرس كما يغرس فلان(٣)، تريد رجلا يصطنع الكرم { ومن أحسن من الله صبغة } يعني أنه يصبغ عباده بالإيمان. ويظهرهم به من أضرار الكفر فلا صبغة أحسن من صبغته.

(١) قوله: (مصدر مؤكد) أي : لنفسه ، لأن ما قبله وهو قوله تعالى { آمنا بالله } الآية دال على ما يدل عليه ضيعة الله .

(٢) قوله: (فأمر المسلمون بأن يقولوا لهم) قيل : هذا على تقدير أن يكون { قولوا } خطابا للكافرين ، وقوله : (أو يقول المسلمون { هذا على تقدير أن يكون { قولوا } خطابا للمؤمنين .

(٣) قوله: (اغرس كما يغرس فلان) والمشاكلة واقعة من فعل الغارس ، وقول القائل : اغرس ، فإن المراد به اغرس غرس الكرم ، فلولا فعل الغارس لم يحسن كما يغرس فلان ، كما أن قوله { صبغة الله } مشاكل لفعل النصارى ، وإن لم يوجد منهم قول ، يرد قول من زعم أن { صبغة الله } بدل من { ملة إبراهيم } أو نصب على الإغراء لما فيه من فك النظم ، أي : يلزم تخلل أجنبي ، وهو { صبغة الله } بين المعطوف والمعطوف عليه ، وكذا يلزم تخلل أجنبي ، وهو قوله { قولوا ... } إلى { صبغة الله } بين البدل وهو صبغة ، والمبدل منه وهو { ملة إبراهيم } .

(٤٢٠/١)

وقوله: { ونحن له عابدون } عطف على { آمنا بالله } . وهذا العطف يرد قول من زعم أن { صبغة الله } بدل من { ملة إبراهيم } أو نصب على الإغراء بمعنى: عليكم صبغة الله، لما فيه من فك النظم وإخراج الكلام عن التثامه واتساقه، وانتصابها على أنها مصدر مؤكد هو الذي ذكره سيبويه، والقول(١) ما قالت حذام.

{ قل &sYtRqo_!\$ysè?r\$ في الله وهو ربنا وربكم! sYs9ur \$

&rmyJô"=\$sYè ولكم أعمالكم

ونحن له tbqءد=139 fèC أم تقولون إن d'u?zO چ/خ) وإسماعيل وإسحاق ويعقوب

والأسباط كانوا هودا أو ٣"u چ" | tRء قل أنتم أعلم أم الله ومن أظلم ممن كتم شهادة

عنده من الله وما الله بغافل عما تعملون (١٤٠) تلك أمة قد خلت لها ما كسبت ولكم ما كسبتم ولا تسألون عما كانوا يعملون (١٤١) {

(١) قوله: (والقول) أوله :

إذا قالت حذام فصدقوها****فإن القول ما قالت حذام
حذام : امرأة أذرت قومها من غارة فلم يقبلوا قولها ، فلما حلت بهم الغارة ، قالوا
: صدقت حذام فصار مثلاً .
(٤٢١/١)

قرأ زيد بن ثابت "اتحاجونا" بإدغام النون. والمعنى: اتجادلوننا في شأن الله
واصطفائه النبي من العرب (١) دونكم، وتقولون: لو أنزل الله على أحد لأنزل علينا،
وترونكم أحق بالنبوة منا { وهو ربنا وربكم { نشترك جميعاً في أننا عباده، وهو ربنا،
وهو يصيب برحمته وكرامته من يشاء من عباده، هم فوضى في ذلك (٢) لا يختص به عجمي
دون

عربي إذا كان أهلاً للكرامة { ولنا أعمالنا ولكم أعمالكم { يعني أن العمل هو أساس
الأمر وبه العبرة، وكما أن لكم أعمالاً يعتبرها الله في إعطاء الكرامة ومنعها فنحن
كذلك. ثم قال: { ونحن له مخلصون { فجاء بما هو سبب الكرامة، أي ونحن له موحدون
نخلصه بالإيمان فلا تستبعدوا أن يؤهل أهل إخلاصه لكرامته بالنبوة، وكانوا يقولون:
نحن أحق بأن تكون النبوة فينا، لأننا أهل كتاب والعرب عبدة أوثان { أم تقولون {
يحتمل فيمن قرأ بالتاء أن تكون أم معادلة للهمزة في { اتحاجونا { بمعنى أي الأمرين
تأتون: ألمحاجة في حكمة الله أم ادعاء اليهودية والنصرانية على الأنبياء؟ والمراد
بالاستفهام عنهما إنكارهما معاً، وأن تكون منقطعة بمعنى: بل أتقولون، والهمزة للإنكار
أيضاً، وفيمن قرأ بالياء لا تكون إلا منقطعة (٣) }

(١) قوله: (والمعنى: اتجادلوننا في شأن الله واصطفائه النبي من العرب) وإنما علم أن
المجادلة في الاصطفاء بقوله : { ومن أظلم ممن كنتم شهادة عنده من الله { والكلام
تعريض باليهود ، وأنهم كنتم ما في التوراة من دلائل نبوة محمد صلى الله عليه وآله
وسلم .

)

(٢) قوله: (هم فوضى في ذلك) أي : متساوون .

(٣) قوله: (وفيمن قرأ بالياء لا تكون إلا منقطعة) بيان هذا أنه إذا قري بالتاء خطابا يكون مع الخطاب ، يتلونه كالكلام الواحد متصل آيه ، فيجوز كون أم متصلة ، لحصول شرطها ، وأما إذا قرئ بالياء فيكون قوله {أتحاجونا} خطابا لليهود .

قوله : ({ أم تقولون } ليس خطابا لهم) فيكون منقطعا عنه ، ويكون استئناف كلام مع غيرهم ، وإضرابا عن خطابهم إلى الاخبار عنهم بأنهم يقولون ذلك .
(٤٢٢/١)

قل أنتم أعلم أم الله { يعني أن الله شهد لهم بملة الإسلام في قوله: { ما كان إبراهيم يهوديا ولا نصرانيا ولكن كان حنيفا مسلما } (آل عمران: ٦٧). { ومن أظلم ممن كتم شهادة عنده من الله } أي كتم شهادة الله التي عنده أنه شهد بها وهي شهادته لإبراهيم بالحنيفية. ويحتمل معنيين: أحدهما أن أهل الكتاب لا أحد أظلم منهم، لأنهم كتموا هذه الشهادة وهم عالمون بها. والثاني: أنا لو كتمنا هذه الشهادة لم يكن أحد أظلم منا فلا نكتمها. وفيه تعريض (١) بكتمانهم شهادة الله لمحمد صلى الله عليه وآله وسلم بالنبوة في كتبهم وسائر شهاداته. (ومن) في قوله: { شهادة عنده من الله } (٢) مثلها في قولك: هذه شهادة مني لفلان إذا شهدت له، ومثله { براءة من الله ورسوله } (التوبة: ١).

}

(١) قوله: (وفيه تعريض) أي : في المعنى الثاني ، دون الأول لأنه تصريح .

(٢) قوله: ((ومن) في قوله: { شهادة عنده من الله }) قال المصنف : من لا ابتداء الغاية ، متعلق بمحذوف ، وليس بصلة ، كما في قولك : برئت من الدين ، والتقدير : شهادة كائنة من الله ، أو واصلة لمحمد صلى الله عليه وآله وسلم بالنبوة ، وإنما حكم بأنها ليست بصلة ؛ لأن الشهادة لا توصل بمن ، بل باللام ، أو بالباء ، أو بعلی ، في شهد له وعليه ، وبه ، والبراءة وإن وصلت بمن في قولك : برئت من الدين ، حكم ثان مر

في قوله تعالى : { براءة من الله ورسوله } فإنها ليست بصلة ، من حيث أن البراء لا يتعدى بمن إلا إلى المتبرأ منه ، فلو قدر كونها صلة في الآية يلزم كون الله والرسول متبرأ منهما ، كما أن الذين في قولك : برئت من الدين متبرأ منه ، وذلك محال .

(٤٢٣/١)

* سيقول السفهاء من الناس ما ولاهم عن م^Nخ^{Jn=6k}% التي كانوا عليها قل لله
المشرق
حج^{yJ9\$#ur}"^{د%oku÷%} من يشاء إلى ^{ق"u"زاه}ه^{ثة}ت^G، (142) -B
xx.ur"٩dy7

ن^٣س^{Yù=yèy} أمة وسطا لتكونوا شهداء على الناس ويكون الرسول عليكم شهيدا وما
س^{Yù=yèy} القبلة التي كنت عليها إلا لنعلم من يتبع الرسول ممن ^{=د}ت^{Ztf}س على
عقبيه

وإن كانت لكبيرة إلا على الذين هدى الله وما كان الله ليضيع ن^٣س^{YJf"}خ^y إن الله
بالناس ش^uر^âس⁹ رحيم (١٤٣) {
(٤٢٤/١)

سيقول السفهاء { الخفاف الأحلام(١) وهم اليهود لكرهتهم التوجه إلى الكعبة، وأنهم
لا يرون النسخ. وقيل: المنافقون، لحرصهم على الطعن والاستهزاء. وقيل: المشركون،
قالوا: رغب عن قبلة آبائه ثم رجع إليها، والله ليرجعن إلى دينهم. فإن قلت: أي
فائدة في الإخبار بقولهم قبل وقوعه؟ قلت: فائدته أن مفاجأة المكروه أشد، والعلم به
قبل وقوعه أبعد من الاضطراب إذا وقع لما يتقدمه من توطين النفس، وأن الجواب العتيد
قبل الحاجة إليه أقطع للخصم وأرد لشغبه، وقبل الرمي يراش السهم { ما ولاهم { ما
صرفهم { عن قبلتهم { وهي بيت المقدس { لله المشرق والمغرب { أي بلاد المشرق
والمغرب
والأرض كلها { يهدي من يشاء { من أهلها { إلى صراط مستقيم { وهو ما توجه الحكمة(٢)
والمصلحة، من توجيههم تارة إلى بيت المقدس، وأخرى إلى الكعبة { وكذلك جعلناكم {
ومثل ذلك الجعل العجيب(٣) جعلناكم { أمة وسطا { خيارا، وهي صفة بالاسم الذي هو
وسط
الشيء. ولذلك استوى فيه الواحد والجمع والمذكر والمؤنث.

(١) قوله: (السفهاء { [الخفاف] الأحلام) إنما حكم عليهم بالسفه لعدم التفاتهم إلى

الدليل المذكور في التوراة ، الدال على أن نبي العرب يصلى إلى القبلتين .
(٢) قوله: (وهو ما توجه الحكمة) بيان لقوله { يهدي من يشاء } والضمير يعود إلى الهداية التي يدل عليها { يهدي } وذكر باعتبار الخبر ، وهو ما يدل على كونه بيانا إيقاع من توجههم ، بيان لقوله : ما توجه الحكمة من الهداية إلى صراط مستقيم توجيههم تارة إلى بيت المقدس ، وأخرى إلى الكعبة .
(٣) قوله: (ومثل ذلك الجعل العجيب) يريد أن الكاف منصوب المحل على المصدر ، ومعنى (انطوا) اعطوا ، و(الشجرة) الوسط ، ولحقتها تاء التأنيث لانتقالها من الوصفية إلى الأسمية ، والإعوار : الخلل .
(٤٢٥/١)

ونحوه قوله عليه السلام: (٦٣) "وأنطوا الشجرة" يريد الوسيطة بين السمينة والعجفاء وصفا بالشج وهو: وسط الظهر، إلا أنه ألحق تاء التأنيث مراعاة لحق الوصف. وقيل: للخيار: وسط لأن الأطراف يتسارع إليها الخلل، والأعوار والأوساط محمية محوطة. ومنه قول الطائي(١):

كانت هي الوسط المحمي فاكنتف *** بها الحوادث حتى أصبحت طرفا
وقد اكترت بمكة جمل أعرابي للحج فقال: أعطني من سطا تهنة، أراد من خيار الدنانير.
أو عدولا، لأن الوسط عدل بين الأطراف ليس إلى بعضها أقرب من بعض { لتكونوا شهداء على الناس } روي: (٦٤) (أن الأمم يوم القيامة يجحدون تبليغ الأنبياء، فيطالب الله الأنبياء بالبينه على أنهم قد بلغوا وهو أعلم، فيؤتى بأمة محمد صلى الله عليه وآله وسلم فيشهدون، فتقول الأمم: من أين عرفتم؟ فيقولون علمنا ذلك بإخبار الله في كتابه الناطق على لسان نبيه الصادق، فيؤتى بمحمد صلى الله عليه وآله وسلم فيسأل عن حال أمته، فيزكيهم ويشهد بعدالتهم) وذلك قوله تعالى: { فكيف إذا جئنا من كل أمة بشهيد وجئنا بك على هؤلاء شهيدا } (النساء: ٤١).

(١) قوله: (قول الطائي) هو ابوتمام حبيب بن أوس يمدح المعتصم لما فتح عمورية :
كانت هي الوسط المحمي فاكنتف *** بها الحوادث حتى أصبحت طرفا

والوسط : بتحريك العين . ما بين طرفي الشيء بحيث تستوي إليه المساحة من جميع الجوانب ، فهو كمركز الدائرة ، وبالسكون . اسم مبهم لداخل الدائرة ، والثاني [٧٦٣]
لازم للظرفية بخلاف الأول .

فإن قلت: فهلا قيل لكم شهيدا (١) وشهادته لهم لا عليهم. قلت: لما كان الشهيد كالرقيب والمهيمن على المشهود له، جيء بكلمة الاستعلاء. ومنه قوله تعالى: { والله على كل شيء شهيد } (المجادلة: ٧)، { كنت أنت الرقيب عليهم وأنت على كل شيء شهيد } (المائدة: ١٧). وقيل: لتكونوا شهداء على الناس في الدنيا فيما لا يصح إلا بشهادة العدول الأخيار { ويكون الرسول عليكم شهيدا } يذكركم ويعلم بعدالتكم، فإن قلت: لم أخرت صلة الشهادة أولا وقدمت آخرا؟ قلت: لأن الغرض في الأول إثبات شهادتهم على الأمم، وفي الآخر اختصاصهم بكون الرسول شهيدا عليهم (٢) { التي كنت عليها } ليست بصفة للقبلة إنما هي ثاني مفعولي جعل. يريد: وما جعلنا القبلة الجهة التي كنت عليها وهي الكعبة، لأن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم صلى الله عليه وآله وسلم كان يصلي بمكة إلى الكعبة، ثم أمر بالصلاة إلى صخرة بيت المقدس بعد الهجرة تألفا لليهود، ثم حول إلى الكعبة فيقول: وما جعلنا القبلة التي تجب (٣)

(١) قوله: (فهلا قيل لكم شهيدا) أراد أن شهد عليه يستعمل في الأكثر فيما فيه مضرة ، وشهد له فيما فيه منفعة ، ولما كان شهادة الرسول عبارة عن تعديلهم إذا سئل عنهم كان في معنى النفع ، فهلا عدت باللام ، وأجاب بأن الشهيد هاهنا ضمن معنى الرقيب فعدي بعلی تعديته ، والذي اقتضى ذلك مقام المدح ، وهو قوله : { وكذلك جعلناكم أمة وسطا } الآية ، وقيل : ضمن معنى الرقيب ليفيد معنى التزكية ؛ لأن المزكي لا بد من مراقبته لأحوال من يزكيه .

(٢) قوله: (اختصاصهم بكون الرسول شهيدا عليهم) وهو من باب قصر الفاعل على المفعول .

(٣) قوله: (التي تجب) في نسخة بالحاء المهملة ، وهي صفة القبلة ..

أن تستقبلها الجهة التي كنت عليها أولا بمكة، يعني: وما ردودناك إليها إلا امتحانا للناس وابتلاء { لنعلم } الثابت على الإسلام الصادق فيه، ممن هو على حرف ينكص { على عقبه } (١) لقلقه فيرتد كقوله: { وما جعلنا عدتهم إلا فتنة للذين كفروا } الآية.

ويجوز أن يكون بيانا للحكمة في جعل بيت المقدس قبلته. يعني أن أصل أمرك أن تستقبل الكعبة، وأن استقبالك بيت المقدس كان أمرا عارضا لغرض. وإنما جعلنا القبلة الجهة التي كنت عليها قبل وقتك هذا - وهي بيت المقدس، لمنتحن الناس وننظر من يتبع الرسول منهم ومن لا يتبعه وينفر عنه. وعن ابن عباس رضي الله عنه: (٦٥) (كانت قبلته بمكة بيت المقدس إلا أنه كان يجعل الكعبة بينه وبينه) فإن قلت: كيف قال { لنعلم } ولم يزل عالما بذلك؟ قلت: معناه: لنعلمه علما يتعلق به الجزاء، وهو أن يعلمه موجودا(٢)

(١) قوله: { ينكص } على عقبه { } خبر بعد خبر ، والنكوص : الاحجام عن الشيء .
(٢) قوله: (وهو أن يعلمه موجودا) قال الرازي : المسلمون اتفقوا على أنه تعالى عالم ... كلها قبل وقوعها ، ثم قال أبو الحسن البصري من المعتزلة العلم يتغير عند تغير المعلوم ؛ لأن العلم يكون العالم غير موجود ، وأنه سيوجد لو بقي حال وجود العالم لكان جهلا فوجب التغير ، وقال أهل السنة لا يحدث التغير لأن عند ايجاد العالم انقلب ذلك العلم علما بأنه قد حدث ، ولم يلزم حدوث علم الله تعالى ، ونظيره الاخبار بقوله : { لتدخلن المسجد الحرام } فلما دخلوه انقلب ذلك الخبر إلى هذا من غير تغير الخبر الأول .

وأقول : إذا أقر بانقلاب العلم فكيف يقول بأنه لا يتغير ، والتحقيق في هذا أن التغير لا يقع في نفس العلم ، بل يقع في نسبتة إلى المعلوم ، كما أن الله تعالى كان قبل العالم ، وهو الآن موجود مع العالم ، وموجود بعد فناءه ، ومع ذلك لا تغير في ذاته تعالى ، بل التغير إنما هو في النسب ، والله أعلم .

(٤٢٨/١)

حاصلا ونحوه: { ولما يعلم الله الذين جاهدوا منكم ويعلم الصابرين } . وقيل: ليعلم رسول الله والمؤمنون. وإنما أسند علمهم إلى ذاته، لأنهم خواصه وأهل الزلفى عنده. وقيل: معناه لنميز التابع من الناكص، كما قال: { ليميز الله الخبيث من الطيب } فوضع العلم موضع التمييز لأن العلم به يقع التمييز به { وإن كانت لكبيرة هي إن المخففة التي تلزمها اللام الفارقة. والضمير في { كانت } لما دل عليه قوله: { وما جعلنا القبلة التي كنت عليها } من الردة، أو التحويلة، أو الجعلة. ويجوز أن يكون للقبلة }

لكبيرة { لثقيلة شاقة } إلا على الذين هدى الله { إلا على الثابتين الصادقين (١) } في اتباع الرسول الذين لطف الله بهم وكانوا أهلاً للطفه { وما كان الله ليضيع إيمانكم } أي ثباتكم على الإيمان وأنكم لم تزلوا ولم ترتابوا، بل شكر صنيعكم وأعد لكم الثواب العظيم. ويجوز أن يراد: وما كان الله ليترك تحويلكم لعلمه أن تركه مفسدة وإضاعة لإيمانكم. وقيل: من كان صلى إلى بيت المقدس قبل التحويل فصلاته غير ضائعة. عن ابن عباس رضي الله عنه: (٦٦) لما وجه رسول الله إلى الكعبة قالوا: كيف بمن مات قبل التحويل من إخواننا فنزلت. { لرؤوف رحيم } لا يضيع أجورهم ولا يترك ما يصلحهم. ويحكي عن الحجاج أنه قال للحسن: ما رأيك في أبي تراب، فقرأ قوله: { إلا على الذين هدى الله } ثم قال: وعلي منهم، وهو ابن عم رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وختنه على ابنته، وأقرب الناس إليه، وأحبهم. وقرأ: "إلا ليعلم" على البناء للمفعول. ومعنى العلم: المعرفة.

(١) قوله: { إلا على الثابتين الصادقين } إنما فسر { الذين هدى الله } بالثابتين لأنه في معنى من يتبع الرسول ، وهو مقابل لقوله { ممن ينقلب على عقبيه } . (٤٢٩/١)

ويجوز أن يكون (من) متضمنة لمعنى الاستفهام (١) معلقا عنها العلم، كقولك: علمت أزيد

في الدار أم عمرو. وقرأ ابن أبي إسحاق "على عقبيه" بسكون القاف. وقرأ اليزيدي "لكبيرة" بالرفع. ووجهها أن تكون (كان) مزيدة، كما في قوله: وجيران (٢)

(١) قوله: (ويجوز أن يكون (من) متضمنة لمعنى الاستفهام) قيل : هو معطوف على قوله : (ومعنى العلم المعرفة) أي : لا تكون من أفعال القلوب ، وعلى أنه بمعنى المعرفة تكون من م وصوله ، وتتبع الصلة ، فإذا جعلت استفهامية فالعلم من أفعال القلوب ، ومفعولاه اللذان علقا عنهما من ، ويتبع ؛ لأنه ليس بصلة على هذا التقدير ، فهو مفعول ثان ، وقال أبو البقاء : لا يجوز أن تكون من استفهامية ، لأن ذلك يوجب أن يعلق يعلم عن العمل ، وإذا علق عنه لم يبق لقولك : من ينقلب ما يتعلق به ؛ لأن ما بعد كلمة الاستفهام لا يتعلق بما قبله ، ولا يصح تعلقها بمتبع ؛ لأنها في معنى قوله : (متعلقة بيلم) وليس المعنى أي فريق نتبع ممن ينقلب ، بل من يتبع موصولة منصوبة

بـعلم ، والمعنى ليفصل المتبع عن المنقلب ، وهو الذي عناه المصنف قبل هذا ، كقوله :
ليتميز التابع من الناكص ، ويمكن أن يتعلق بـتبع على أنه حال من فاعله ، أي : ليعلم
أي فريق يتبع الرسول مميزا ممن ينقلب على عقبيه .

(٢) قوله: (وجيران) أوله :

فكيف إذا مررت بدار قوم*** وجيران لنا كانوا كرام
قيل : لما أنشد الفرزدق القصيدة التي مستهلها :
قفا يا صاحبي ببال ... نا ***نرى العرصات أو أثر الخيام

وبلغ إلى : كانوا كرام . قال له الحسن : يا أبا فراس . كراما ؟ قال الفرزدق : ما
ولدتني إذن إلا ميسانية إن جاز ما قلت يا أبا سعيد ، وميسانية قرية من قرى العراق ،
أراد أنني لم أكن إذن من العرب العرباء ، وكنت من المولدين ، وقد احتج سيبويه بالبيت
على زيادة كان ، ورد عليه برفعه للضمير ، وأجيب بأن ذلك غير مانع من الزيادة كما لم
يمنع من الغلط عند توسطها ، أو تأخرها اسنادها إلى فاعل .
(٤٣٠/١)

لنا كانوا كرام

والأصل: وإن هي لكبيرة كقولك: إن زيد لمنطلق ثم وإن كانت لكبيرة وقرىء: "ليضيع"
بالتشديد.

{ قد tRچu"٣ تقلب وجهك في السماء فلنولينك %د%Z's#7 ترضاها فول وجهك
©x.ôچu

%د%#،f٩\$yJ#uQ#چys9\$#ك[ثxmur ما كنتم فولوا وجوهكم

¼نؤx.ôچçnu© وإن الذين أوتوا

الكتاب ليعلمون أنه الحق من ربهم وما الله بغافل عما يعملون (١٤٤) ولئن أتيت الذين
أوتوا الكتاب بكل آية ما تبعوا قبلتك وما أنت بتابع %د%kyJn=6هN وما بعضهم بتابع

قبلة بعض ولئن اتبعت أهواءهم من بعد ما جاءك من العلم y7Rخ) إذا لمن

ژà9\$#©="دJü

{ (١٤٥)

{ قد نرى { ربما نرى(١)، ومعناه: كثرة الرؤية، كقوله:

قد أترك القرن مصفرا أنامله

}

(١) قوله: ({ قد نرى { [معناه] ربما) اعلم ان قد يراد بها ضد معناها لشبه التضاد ، ومثله رب ، فإنهما في أصل وضعهما للتقليل ، ثم يستعاران [٧٦٤] للتكثير ، والقرينة مقتضى المقام . قال :

فإن يمس مهجور القنا فربما*** أقام به بعد الوفود وفود
وقال :

قد أترك القرن مصفرا أنامله*** كأن أثوابه مجت بفرصاد
القرن : هو مثل الرجل في الشجاعة . مصفرا أنامله أي : مقتولا خرجت روحه فاصفرت
أناملة . مجت : من (مجد الدين المؤيدي) الرجل الماء من فيه : رمى به ، والفرصاد
للثوب ، أي : مجت بماء فرصاد ، أي : رشت عليها كما يصب على الماء من الفم .
(ولمخالفة اليهود) عطف على قوله : (لأنها قبلة أبيه) .
(٤٣١/١)

تقلب وجهك { تردد وجهك وتصرف نظرك في جهة السماء . وكان رسول الله صلى الله عليه
 وآله وسلم يتوقع من ربه أن يحوله إلى الكعبة ، لأنها قبلة أبيه إبراهيم ، وأدعى للعرب
 إلى الإيمان لأنها مفخرتهم ومزارهم ومطافهم ، ولمخالفة اليهود فكان يراعي نزول جبريل
 عليه السلام والوحي بالتحويل { فلنولينك { فلنعطينك ولنمكنك من استقبالها ، من
 قولك : وليته كذا . إذا جعلته واليا له ، أو فلنجعلنك تلي سمتها (١) دون سمت بيت المقدس
 }

ترضاها { تحبها وتميل إليها لأغراضك الصحيحة التي أضمرتها ووافقت مشيئة الله
 وحكمته { شطر المسجد الحرام { نحوه . قال :
 وأظعن بالقوم شطر الملوك (٢) .

(١) قوله: (أو فلنجعلنك تلي سمتها) أي : جهتها ، هذا الوجه وإن كان موافقا لقوله :
 { فول { لكن الأول أقضى لحق ما يسد عنه .
 قوله : ({ قد نرى تقلب وجهك في السماء {) يؤذن أن الله تعالى يسارع في رضائه ،
 ويملكه ما يتمناه .

(٢) قوله: (وأظعن بالقوم شطر الملوك) تمامه : حتى إذا حقق المخدج . وبعده :

أمرت أصحابي أن ينزلوا***فباتوا قليلا وقد أصبحوا
المخدج : الدبران ؛ لأنه يطلع آخرا ، ويسمى حادي النجوم ، وتزعم العرب أنه يمطر بها ،
ومخادج السماء : أنوارها ، وظعن في المفازة ، يظهن ويظعن . ذهب ، والباء في
بالقوم للتعديّة ، أي : أذهب بقومي في زمان الجذب نحو الملوك ليعيشوا في ظلهم حتى
إذا تلاًّ المخدج للإمطار فأمطر ، أو حتى إذا عدت وأتى زمان الخصب وعادوا كاريين إلى
أوطانهم طاردين للنوم عن أجفانهم ، أمرتهم بأن ينزلوا للاستراحة فباتوا قليلا ،
والحال أنهم قد دخلوا في الصباح ؛ لأنهم قد قطعوا الليل بالسرّ .
(٤٣٢/١)

وقرأ أبي: "تلقاء المسجد الحرام". وعن البراء بن عازب: (٦٧) قدم رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم المدينة فصلى نحو بيت المقدس ستة عشر شهرا ثم وجه إلى الكعبة وقيل: (٦٨) كان ذلك في رجب بعد زوال الشمس قبل قتال بدر بشهرين. ورسول الله صلى الله عليه وآله وسلم في مسجد بني سلمة وقد صلى بأصحابه ركعتين من صلاة الظهر فتحول في الصلاة

واستقبل الميزاب، وحول الرجال مكان النساء والنساء مكان الرجال، فسمي المسجد مسجد القبلتين. و { شطر المسجد } نصب على الظرف، أي اجعل تولية الوجه تلقاء المسجد أي في

جهته وسمته لأن استقبال عين القبلة فيه حرج عظيم(١) على البعيد. وذكر المسجد الحرام دون الكعبة: دليل في أن مراعاة الجهة دون العين { ليعلمون أنه الحق } أن التحويل

إلى الكعبة هو الحق لأنه كان في بشارة أنبيائهم برسول الله أنه يصلي إلى القبلتين { يعملون } قرىء بالياء والتاء { ما تبعوا } جواب القسم المحذوف سد مسد جواب الشرط. { بكل آية } بكل برهان قاطع أن التوجه إلى الكعبة هو الحق، ما تبعوا { قبلتك } لأن تركهم اتباعك ليس عن شبهة تزيلها بإيراد الحجة، إنما هو عن مكابرة وعناد مع علمهم بما في كتبهم من نعتك أنك على الحق { وما أنت بتابع قبلتهم } حسم لأطماعهم إذ كانوا ماجوا في ذلك وقالوا: لو ثبت على قبلتنا لكنا نرجو أن يكون صاحبنا الذي ننتظره وطمعوا في رجوعه إلى قبلتهم.

(١) قوله: (لأن استقبال عين القبلة فيه حرج عظيم) الانتصاف : من قال : بأن الواجب على العبد استقبال عين الكعبة ، يرد عليه صحة صلاة الصف المستطيل زيادة عن سمت

الكعبة ، ومن قال بالجهة يلزمه أن من كان في الشمال مثلاً له أن يصلى إلى الجهات الثلاث ؛ لأنها جهات للكعبة ، والسمت غير مرادة ، ومعنى (ماجوا) اضطربوا ، وشدة الشكيمة : وهي في الأصل الحديدية المعترضة في فم الفلرس ، عبارة عن عدم الانقياد . (٤٣٣/١)

وقرىء: "بتابع قبلتهم" على الإضافة { وما بعضهم بتابع قبلة بعض } يعني أنهم من اتفاقهم على مخالفتك مختلفون في شأن القبلة لا يرجى اتفاقهم، كما لا ترجى موافقتهم لك. وذلك أن اليهود تستقبل بيت المقدس، والنصارى مطلع الشمس. أخبر عز وجل عن تصلب

كل حزب فيما هو فيه وثباته عليه، فالمحق منهم لا يزل عن مذهبه لتمسكه بالبرهان، والمبطل لا يقلع عن باطله لشدة شكيمته في عناده. وقوله: { ولئن اتبعت أهواءهم } بعد الإفصاح عن حقيقة حاله المعلومه عنده في قوله وما أنت بتابع قبلتهم كلام وارد على سبيل الفرض والتقدير، بمعنى: ولئن اتبعتم مثلاً بعد وضوح البرهان والإحاطة بحقيقة الأمر { إنك إذا لمن الظالمين } المرتكبين الظلم الفاحش. وفي ذلك لطف للسامعين

وزيادة تحذير. واستفطاع لحال من يترك الدليل بعد إنارته ويتبع الهوى، وتهيج وإلهاب للشبات على الحق. فإن قلت: كيف قال: (وما أنت بتابع قبلتهم) ولهم قبلتان لليهود قبلة وللنصارى قبلة؟ قلت: كلتا القبالتين باطلة مخالفة لقبلة الحق، فكانتا بحكم الاتحاد في البطالان قبلة واحدة.

}

(٤٣٤/١)

الذين آتيناهم الكتاب ¼çmtRqèù÷ètف كما ètf÷tbqèù÷ètف
Nèduن!&sY/r\$ وإن sùçZ/f\$
منهم ليكتمون الحق وهم tbqك146) ètf÷÷=Jn الحق من 7y/n' فلا تكونن من
تؤخرtûi 5eكyIôJ@J9\$#ن3د9ur وجهة هو موليتها فاستبقوا
دN"u#ç9,y أين ما تكونوا
يأت بكم الله جميعاً إن الله على كل شيء قدير (١٤٨) ومن ك[Mô_u | çxm yz فول
وجهك
uçx.ô© د%fi،yJ9\$#دQ#ç9\$ys وإنه للحق من 7y/n' وما الله بغافل

عما تعملون

(١٤٩) ومن ك[Mô_u | Mzxm فول وجهك ©x.ôç u yJ9\$#,fî%oos

ys9\$#Q#u ك[ثxmur ما كنتم

فولوا وجوهكم ©x.ôçnu¼ لئلا يكون للناس عليكم حجة إلا الذين ظلموا منهم فلا تخشوهم

Tqt±÷z\$#urd' ولأتم نعمتي عليكم ولعلكم تهتدون (١٥٠) كما أرسلنا فيكم رسولا منكم

يتلو عليكم ©sY\$Gd#u"tf#uNà6 ثj.u"مfur ويعلمكم الكتاب

tù:\$#urspyJ6 ويعلمكم ما لم

تكونوا تعلمون (١٥١) 'Trd'مچن.©E\$\$\$sù أذكركم واشكروا لي ولا تكفرون (١٥٢) يا أيها

الذين آمنوا استعينوا بالصبر ©4qnd=œ\$#ur إن الله مع الصابرين (١٥٣) ولا تقولوا لمن يقتل في سبيل الله &N"uqBrv بل أحياء ولكن لا تشعرون (١٥٤) {

(٤٣٥/١)

يعرفونه { يعرفون رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم معرفة جليلة يميزون بينه وبين غيره بالوصف المعين المشخص { كما يعرفون أبناءهم { لا يشبهه عليهم أبناءهم وأبناء غيرهم. وعن عمر رضي الله عنه أنه سأل عبد الله بن سلام عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فقال: أنا أعلم به مني بابني. قال: ولم؟ قال: لأني لست أشك في محمد أنه نبي. فأما ولدي، فلعل والدته خانت، فقبل عمر رأسه. وجاز الإضمار وإن لم يسبق له

ذكر(١) لأن الكلام يدل عليه ولا يلتبس على السامع. ومثل هذا الإضمار فيه تفخيم وإشعار بأنه لشهرته وكونه علما معلوما بغير إعلام. وقيل: الضمير للعلم أو القرآن أو تحويل القبلة. وقوله: (كما يعرفون أبناءهم) يشهد للأول وينصره الحديث عن عبد الله بن سلام. فإن قلت: لم اختص الأبناء؟ قلت: لأن الذكور أشهر وأعرف، وهم لصحبة الآباء ألزم، وبقلوبهم ألصق.

(١) قوله: (وجاز الإضمار وإن لم يسبق له ذكر) قيل: فيه نظر؛ لأن من ابتداء قوله:

{ سيقول السفهاء { إلى هنا قد تكرر فيه الخطاب مع النبي صلى الله عليه وآله وسلم

نحو { قد نرى تقلب وجهك } { ولئن اتبعت } { وما جاءك } و { إنك } يعم فيه التفاوت من الخطاب إلى الغيبة ، فكيف قال : وإن لم يسبق له ذكر ، وقيل : المراد لم يسبق له ذكر في كلام يختص به ؛ لأن الخطاب معه تابع لأمر القبلية ، فإن الآيات السابقة وردت في شأن القبلية ، وهذه في شأن نفسه فليس بينهما مناسبة ، ومن ثم ابتداء { الذين آتيناهم الكتاب } من غير عاطف ، فذكره استطراد في حديث القبلية ، ولهذا جاء بعده { ولكل وجهة هو موليها } يشهد للأول وذلك لأنه لو كان العمل للعلم أو للقرآن لوجب أن يقال : كما يعرفون التوراة ، رعاية للمناسبة ، فلما قال : { كما يعرفون آباءهم } علم أن الضمير لرسول الله صلى الله عليه وآله وسلم .

(٤٣٦/١)

وقال { فريق منهم } استثناء لمن آمن منهم (١)، أو لجهالهم الذين قالوا: يقال فيهم: { ومنهم أميون لا يعلمون الكتاب } . { الحق من ربك } يحتمل أن يكون الحق خبر مبتدأ محذوف. أي هو الحق.

(١) قوله: (استثناء لمن آمن منهم ، أو لجهالهم) هذا الاستثناء معنوي لا اصطلاحي ، والمراد به الإخراج ، والترديد في كل أمة ، بناء على معنى { الذين آتيناهم الكتاب } فإن كان المراد مطلق اليهود كان متناولا للجهال ، وقد جعلوا لتمكنهم من معرفته

كالعارفين له ، وإن أريد العلماء منهم بقريظة { يعرفونه } كان متناولا لمن آمن منهم .

(٤٣٧/١)

أو مبتدأ خبره (من ربك) وفيه وجهان (١): أن تكون اللام للعهد، والإشارة إلى الحق الذي عليه رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ، أو إلى الحق الذي في قوله ليكتُمون الحق. أي: هذا الذي يكتُمونه هو الحق من ربك، وأن تكون للجنس على معنى الحق من الله لا من غيره. يعني أن الحق ما ثبت أنه من الله كالذي أنت عليه، وما لم يثبت أنه من الله كالذي عليه أهل الكتاب فهو الباطل.

(١) قوله: (وفيه وجهان) ذكر الوجهين بعد ذكر الاحتمالين يوجب أن تكون الأقسام أربعة ، لكن ذكر المصنف منها وجهين ، فخص كلا من التقديرين بكل من الاحتمالين ، فحين جعل

اللام للعهد ، قدره خبر مبتدأ محذوف ، وحين جعلها للجنس جعله مبتدأ ، خبره { من ربك } وذلك أن اللام إذا كان للعهد ، والمشار إليه ما سبق فهو إما ما عليه الرسول الدال عليه { يعرفونه كما يعرفون أبناءهم } وأما الحق الذي اشتمل عليه قوله { ليكتُمون الحق } فالضمير المقدر مبتدأ راجع إلى اسم الإشارة ، والخبر معرف باللام فيفيد الحصر الذي نبه عليه بقوله [٧٦٥] : (هذا الذي يكتُمونه هو الحق من ربك) وإذا كانت للجنس ، فالمشار إليه ما في ذهب أهل الحق من الحق الذي هم فيه ، وذكر القاضي وجهها آخر ، وقال : { الحق من ربك } كلام مستأنف مبتدأ وخبر ، واللام للعهد ، والإشارة إلى ما عليه الرسول صلى الله عليه وآله وسلم ، أو إلى الحق الذي يكتُمونه ، بقي وجه آخر ، وهو أن تكون اللام للجنس ، وتكون خبر مبتدأ محذوف فهو ممتنه ؛ لأنه لا معنى لقولك المذكور جنس الحق ، الكائن من ربك ، اللهم إلا على الادعاء ، كما في قولك : حاتم الجواد ، وعلى التقديرين الحصر لازم ، أما على العهد فلما سبق ، وأما على الجنس فلأن حقيقة الحق وماهيته إذا كانت صادرة من الله تعالى لا يكون فرد من أفرادها لغيره ، وإليه الإشارة بقوله : الحق من الله لا من غيره ، هكذا قيل : ولا يخلو من نظر .

(٤٣٨/١)

فإن قلت: إذا جعلت الحق خبر مبتدأ فما محل من ربك؟ قلت: يجوز أن يكون خبرا بعد خبر، وأن يكون حالا (١). وقرأ علي رضي الله عنه: "الحق من ربك". على الإبدال (٢) من الأول، أي يكتُمون الحق، الحق من ربك، { فلا تكونن من الممترين { الشاكين في كتمانهم الحق مع علمهم، أوفي أنه من ربك { ولكل { من أهل الأديان المختلفة { وجهة { قبله. وفي قراءة أبي: "ولكل قبله" { هو موليتها { وجهه، فحذف أحد المفعولين. وقيل هو الله تعالى، أي الله موليتها إياه. وقرئ: "ولكل وجهة" (٣)

(١) قوله: (وأن يكون حالا) فعلى هذا المبتدأ المقدر لفظ هذا ليصح .

(٢) قوله: (على الإبدال) قال المصنف : هذه القراءة تؤكد كون { من ربك { حالا ، وتدل على أن اللام للعهد .

(٣) قوله: (وقرئ: "ولكل وجهة") على الاضافة ، وتوجيهه أن يقدر مضاف مثل : ولكل صاحب وجهة ، فحذف المضاف ، وأقيم المضاف إليه مقامه ، والضمير في { موليتها { راجع

إلى الوجهة ، وهو المفعول الثاني ، ولكنه حذف في الآية ، أي : الله مولي الوجهة كل صاحب وجهة ، وكل مفعول بأن يول ، فلما قدم أدخل اللام لضعف العامل .
قال أبو البقاء : المعنى وكل وجهة الله موليتها أهلها ، واللام مزيدة للتأكيد ، إذ الضمير عليه راجع إلى المصدر .

قال السخاوي : المعنى . الله مولي لكل وجهة تولية ، وهنا يعود إلى التولية المفهومة من موليتها ، واللام كقوله : { إن كنتم للرؤيا تعبرون } ومثاله قول الشاعر :

هذا سراقا للقرآن يدرسه *** والمرء عند الرشا إن يلحقها ذيب

الضمير في يدرسه لمصدره ، لا للقرآن ؛ لأنه لو كان للقرآن لم يكن لإدخال اللام وجه ؛ لأن الفعل قد أخذ مفعوله ، وإذا كان الضمير للمصدر يستقيم ذلك ، وكذا الضمير في ضاربه للمصدر ، ولزيد مفعول به ، أي : لزيد أبوه ضارب الضرب ، وإنما أورد المصنف

المثاليين ليشير إلى أنه يجوز أن يكون الضمير في موليتها للوجهة وأن يكون المصدر الذي هو التولية ، وعلى هذه القراءة يتعين عود الضمير في هذا إلى الله تعالى .

(٤٣٩/١)

على الإضافة. والمعنى وكل وجهة الله موليتها، فزبدت اللام لتقدم المفعول كقولك: لزيد ضربت ولزيد أبوه ضاربه. وقرأ ابن عامر: "هو مولاها"(١) أي هو مولى تلك الجهة وقد وليها. والمعنى: لكل أمة قبلة تتوجه إليها، منكم ومن غيركم { فاستبقوا } أنتم { الخيرات } واستبقوا إليها غيركم من أمر القبلة وغيره. ومعنى آخر: وهو أن يراد: ولكل منكم يا أمة محمد وجهة أي جهة يصلى إليها جنوبية أو شمالية أو شرقية أو غربية فاستبقوا الخيرات { أيما تكونوا يأت بكم الله جميعا } للجزاء من موافق ومخالف لا تعجزونه. ويجوز أن يكون المعنى: فاستبقوا الفاضلات من الجهات وهي الجهات المسامحة للكعبة وإن اختلفت، أيما تكونوا يأت بكم الله جميعا يجمعكم ويجعل صلواتكم كأنها إلى جهة واحدة، وكأنكم تصلون حاضري المسجد الحرام. { ومن حيث

خرجت } أي ومن أي بلد خرجت للسفر { فول وجهك شطر المسجد الحرام } إذا صليت { وإنه }

وإن هذا المأمور به. وقرئ: "يعملون" بالتاء والياء. وهذا التكرير لتأكيد أمر

القبلة وتشديده، لأن النسخ من مظان الفتنة والشبهة وتسويل الشيطان والحاجة إلى التفصلة(٢)

(١) قوله: (وقرأ ابن عامر: "هو مولاها") وعلى هذه القراءة مولى معدى إلى مفعولين الأول ضمير مستتر في مولاها يرجع إلى هو ، والثاني ضمير الوجه ، فقوله : هو يعود إلى كل البتة ، ولا يجوز أن يكون راجعا إلى الله تعالى لاستحالة ذلك من حيث المعنى ، والمعنى لكل الشأن ، والمضاف إليه كل مضممر بمنزلة الملفوظ به ، ولهذا قالوا : لا يجوز إدخال اللام على كل وبعض ؛ لأنهما في تقدير الاضافة ، وقد أجاز سيويه وهو القياس ؛ لأن بعض الشيء بمنزلة جزئه ، وكل الشيء بمنزلة أجزائه ، وإدخال الألف واللام على الجزء والأجزاء جائز ، وكذا على ما هو في معناهما .

(٢) قوله: (والحاجة إلى التفصلة) عطف على (لتأكيد أمر القبلة) أو على الفتنة .. (٤٤٠/١)

بينه وبين البداء، فكرر عليهم ليشبوا ويعزموا ويجدوا، ولأنه نيط بكل واحد ما لم ينط بالآخر فاختلفت فوائدها { إلا الذين ظلموا } استثناء من الناس، ومعناه، لئلا يكون حجة لأحد من اليهود إلا للمعاندين منهم القائلين: ما ترك قبلتنا إلى الكعبة إلا ميلا إلى دين قومه وحبا لبلده، ولو كان على الحق للزم قبلة الأنبياء. فإن قلت: أي حجة كانت تكون للمنصفين منهم لو لم يحول حتى احترز من تلك الحجة ولم يبال بحجة المعاندين؟ قلت: كانوا يقولون ما له لا يحول إلى قبلة أبيه إبراهيم كما هو مذكور في نعته في التوراة؟ فإن قلت: كيف أطلق اسم الحجة على قول المعاندين؟ قلت: لأنهم يسوقونه سياق الحجة. ويجوز أن يكون المعنى: لئلا يكون للعرب عليكم حجة واعتراض في ترككم التوجه إلى الكعبة التي هي قبلة إبراهيم وإسماعيل أبي العرب، إلا الذين ظلموا منهم وهم أهل مكة حين يقولون: بدا له فرجع إلى قبلة آبائه، ويوشك أن يرجع إلى دينهم. وقرأ زيد بن علي رضي الله عنهما: "ألا الذين ظلموا منهم"، على أن ألا للتنبيه ووقف على حجة، ثم استأنف منها { فلا تخشوهم } فلا تخافوا مطاعنهم في قبلكم فإنهم لا يضرونكم { واخشوني } فلا تخالفوا أمري وما رأيته مصلحة لكم. ومتعلق اللام محذوف، معناه: ولإتمامي النعمة عليكم وإرادتي اهتداءكم أمرتكم بذلك: أو يعطف على علة مقدرة، كأنه قيل: واخشوني لأوفقكم ولأتم نعمتي عليكم. وقيل: هو معطوف على (لئلا يكون)(١).

(١) قوله: (وقيل: هو معطوف على (لئلا يكون)) فعلى هذا المعلن مذكور كأنه قيل :
فولوا وجوهكم شطره لئلا يكون للناس عليكم حجة إلا الذين ظلموا ، ولأتم نعمتي عليكم
، أي : أمرتكم بذلك لأجمع لكم خير الدارين ، أما دنيا فلظهور سلطانكم على المخالفين

وأما عقبى فلأنا ننيلكم الثواب الأوفى .

(٤٤١/١)

وفي الحديث: (٦٩) "تمام النعمة دخول الجنة" وعن علي رضي الله عنه: (تمام النعمة
الموت على الإسلام) { كما أرسلنا { إما أن يتعلق بما قبله، أي: ولأتم نعمتي عليكم
في الآخرة بالثواب كما أتممتها عليكم في الدنيا بإرسال الرسول، أو بما بعده: أي كما
ذكرتكم بإرسال الرسول { فاذكروني { بالطاعة { أذكركم { بالثواب { واشكروا لي { ما
أنعمت به عليكم { ولا تكفرون { ولا تجحدوا نعمائي. { أموات بل أحياء { هم أموات بل
هم أحياء { ولكن لا تشعرون { كيف حالهم في حياتهم. وعن الحسن: أن الشهداء أحياء عند
الله تعرض أرزاقهم على أرواحهم، فيصل إليهم الروح والفرح، كما تعرض النار على أرواح
آل فرعون غدوة وعشيا، فيصل إليهم الوجع. وعن مجاهد: يرزقون ثمر الجنة ويجدون ريحها
وليسوا فيها. وقالوا: يجوز أن يجمع الله من أجزاء الشهيد جملة فيحييها ويوصل إليها
النعيم وإن كانت في حجم الذرة. وقيل: نزلت في شهداء بدر وكانوا أربعة عشر.
{ نRuqè=7sYs9ur³نN شيء من {qsfù\$# والجوع ونقص من
ةA"uqBF\$# والآنفس

دN"uJ"W9\$#urجyJ"o0urحجده الصابرين (١٥٥) الذين إذا أصابتهم

%s\$٩نB (#ûq-ءpt7x

إنا لله وإنا إليه ١56"è١٢٣ (u' أولئك Nخkژn=tش¹ | N"uqn= من ربهم
ورحمة وأولئك

هم المهتدون (١٥٧) * إن الصفا والمروة من حجج ©yèx\$! الله فمن kxm¢ البيت أو
uج\$ymJtFô# فلا yy\$Y\$م عليه أن tf.©t\$q بهما ومن تطوع #]نچyz فإن الله
شاكراً

يOثد=tم (١٥٨) {

}

ولنبلونكم { ولنصيينكم بذلك إصابة تشبه فعل المختبر لأحوالكم، هل تصبرون وتثبتون على ما أنتم عليه من الطاعة وتسلمون لأمر الله وحكمه أم لا؟ } بشيء { بقليل من كل واحد من هذه البلايا وطرف منه { وبشر الصابرين { المسترجعين عند البلاء؛ لأن الاسترجاع تسليم وإذعان. وعن النبي صلى الله عليه وآله وسلم (٧٢) "إذا مات ولد

العبد قال الله تعالى للملائكة: أقبضتم ولد عبدي؟ فيقولون: نعم، فيقول: أقبضتم ثمرة قلبه؟ فيقولون: نعم، فيقول الله تعالى: ماذا قال عبدي؟ فيقولون: حمدك واسترجع، فيقول الله تعالى: ابنوا لعبدي بيتا في الجنة وسموه بيت الحمد". والصلاة: الحنو والتعطف، فوضعت موضع الرأفة وجمع بينها (١) وبين الرحمة. كقوله تعالى: { رأفة ورحمة { (الحديد: ٢٧)، { رؤوف رحيم { (التوبة: ١١٧). والمعنى: عليهم رأفة بعد رأفة. ورحمة أي رحمة. { وأولئك هم المهتدون { لطريق الصواب حيث استرجعوا وسلموا لأمر الله.

(١) قوله: (وجمع بينها) أي: وجمع بين الصلوات والرحمة مع اختلاف المعنى في هذا المقام لاختلاف الصيغتين جمعا وإفرادا، وعطف المفرد على المجموع إرادة التكرير في الجمع والتعظيم في المفرد بحسب تنكيره، وإلى الأول الإشارة بقوله: رأفة بعد رأفة، على منوال لبيك وسعديك، وإلى الثاني بقوله: رحمة، أي: رحمة، والنكتة في تكرير أولئك التنبيه على ارتباط [٧٦٦] يناسبه، وأن ما بعده جدير بمن قبله لا كتسابه الخلال المرضية، فقوله: { أولئك عليهم صلوات من ربهم ورحمة { يترتب على قوله { يا أيها الذين آمنوا استعينوا بالصبر والصلاة { الآيتين، وقوله: { وأولئك هم المهتدون { على قوله { ولنبلونكم { الآيتين يدل عليه قوله: { وأولئك هم المهتدون { بطريق الصواب حيث استرجعوا وسلموا لأمر الله.

والصفا والمروة: علمان للجبيلين، كالصمان والمقطم (١)، والشعائر: جمع شعيرة وهي العلامة، أي من أعلام مناسكه وامتعباداته: والحج: للقصد. والاعتماد: الزيارة، فغلبا على قصد البيت وزيارته للنسكين المعروفين، وهما في المعاني كالنجم والبيت في الأعيان. وأصل { يطوف { يتطوف فأدغم. وقرئ: "أن يطوف" من طاف. فإن قلت: كيف

قيل

إنهما من شعائر الله ثم قيل لا جناح عليه أن يطوف بهما؟ قلت: كان على الصفا أساف،

وعلى المروة نائلة، وهما صنمان، يروى أنهما كانا رجلا وامرأة زنيا في الكعبة، فمسخا
حجرين فوضعا عليهما ليعتبر بهما، فلما طالت المدة عبدا من دون الله. فكان أهل
الجاهلية إذا سعوا مسحوهما، فلما جاء الإسلام وكسرت الأوثان كره المسلمون الطواف
بينهما لأجل فعل الجاهلية وأن لا يكون عيلهم جناح في ذلك، فرفع عنهم الجناح. واختلف
في السعي، فمن قائل: هو تطوع بدليل رفع الجناح وما فيه من التخيير بين الفعل
والترك، كقوله: { فلا جناح عليهما أن يتراجعا } ، وغير ذلك، ولقوله: { ومن تطوع
خيرا } كقوله: (فمن تطوع خيرا فهو خير له). ويروى ذلك عن أنس وابن عباس وابن
الزبير، "وتنصره" قراءة ابن مسعود: فلا جناح عليه أن لا يطوف بهما. وعن أبي حنيفة
رحمه الله: أنه واجب وليس بركن وعلى تاركه دم. وعند الأولين لا شيء عليه. وعند مالك
والشافعي: هو ركن، لقوله عليه السلام: (٧٣) "اسعوا فإن الله كتب عليكم السعي"
وقرىء: "ومن يطوع". بمعنى: ومن يتطوع، فأدغم. وفي قراءة عبد الله: "ومن يتطوع
بخير".

}

(١) قوله: (كالصمان والمقطم) قال المصنف: الصمان والمقطم علمان مع الالف واللام ،
كالصفا والمروة ، فلذلك أخبر بهما ، والصمان : موضع إلى جنب رمل عالج ، والمقطم :
جبل بمصر ، ومعنى (الذين يتأتى منهم اللعن) الذي يعتد لمعيتهم وله أثر .
(١/٤٤٤)

إن الذين يكتُمون ما &Rr"uZ9u\$ من البينات والهدى من بعد ما بيناه للناس في الكتاب
أولئك يلعنهم الله ويلعنهم اللاعنون (١٥٩) {

{ إن الذين يكتُمون { من أحبار اليهود { ما أنزلنا في التوراة من البينات { من
الآيات الشاهدة على أمر محمد صلى الله عليه وآله وسلم { والهدى { والهداية بوصفه
إلى أتباعه الإيمان به { من بعدما بيناه { ولخصناه { للناس في الكتاب { في التوراة،
لم ندع فيه موضع إشكال ولا اشتباه على أحد منهم، فعمدوا إلى ذلك المبين الملخص

فكتُموه ولبسوا على الناس { أولئك يلعنهم الله ويلعنهم اللاعنون { الذين يتأتى منهم
اللعن عليهم وهم الملائكة والمؤمنون من الثقلين.

{ إلا الذين تابوا وأصلحوا وبينوا فأولئك أتوب Nخkژn=ت و أنا التواب الرحيم (١٦٠) }

{ وأصلحوا } ما أفسدوا من أحوالهم، وتداركوا ما فرط منهم { وبينوا } ما بينه الله في كتابهم فكتموه، أو بينوا للناس ما أحدثوه من توبتهم ليمحوا سمة الكفر عنهم، ويعرفوا بضد ما كانوا يعرفون به، ويقتدي بهم غيرهم من المفسدين.

{ إن الذين كفروا وماتوا وهم كفار أولئك Nخkژn=ت ولعنة الله والملائكة والناس أجمعين (١٦١) ح\$stüi#yz فيها لا يخفف عنهم العذاب ولا هم ينظرون (١٦٢) وإلهم إله

س%n`ur لا إله إلا هو الرحمن الرحيم (١٦٣) }

(٤٤٥/١)

إن الذين كفروا { يعني الذين ماتوا من هؤلاء الكافرين ولم يتوبوا، ذكر لعنتهم أحياء ثم لعنتهم أمواتا. وقرأ الحسن: "والملائكة والناس أجمعون"، بالرفع عطفا على محل اسم الله، لأنه فاعل في التقدير، كقولك: عجت من ضرب زيد وعمرو، تريد من أن ضرب زيد وعمرو، كأنه قيل: أولئك عليهم أن لعنهم الله والملائكة. فإن قلت: ما معنى قوله: { والناس أجمعين } وفي الناس المسلم والكافر. قلت: أراد بالناس من يعتد بلعنه (١) وهم المؤمنون. وقيل: يوم القيامة يلعن بعضهم بعضا { خالدين فيها } في اللعنة. وقيل: في النار إلا أنها أضمرت تفخيما لشأنها وتهويلا { ولا هم ينظرون } من الإنظار أي لا يمهلون ولا يؤجلون، أو لا ينتظرون ليعتدروا. ولا ينظر إليهم نظر رحمة. { إله واحد } فرد في الإلهية لا شريك له فيها ولا يصح أن يسمى غيره إلها. و { لا إله إلا هو } تقرير للوحدانية بنفي غيره وإثباته { الرحمن الرحيم } المولى لجميع النعم أصولها وفروعها، ولا شيء سواه بهذه الصفة، فإن كل ما سواه إما نعمة وإما منعم عليه. وقيل: كان للمشركين حول الكعبة ثلثمائة وستون صنما، فلما سمعوا بهذه الآية تعجبوا وقالوا:

إن كنت صادقا فأت بآية نعرف بها صدقك فنزلت.

{ إن في خلق qN`uJ"،،y\$#9 والأرض واختلاف الليل والنهار والفلك التي "حجBgr في

حج\$#79st بما ينفع الناس وما &Rr"tAu الله من السماء من ماء فأحيا به الأرض بعد موتها وبث فيها من كل دابة وتصريف ثx"tfحhچ\$#9 والسحاب حجO، |،ك\$#9J بين السماء

والأرض لآيات لقوم يعقلون (١٦٤) {
}

(١) قوله: (أراد بالناس من يعتد ببعته) أشار به إلى أن اللام للعهد والمعهود قوله :
{ ويلعنهم اللاعنون } .
(٤٤٦/١)

إن في خلق السماوات والأرض واختلاف الليل والنهار { واعتقابهما لأن كل واحد منهما
يعقب الآخر، كقوله: { جعل الليل والنهار خلفه } (الفرقان: ٦٢) { بما ينفع الناس }
بالذي ينفعهم مما يحمل فيها أو ينفع الناس(١).

(١) قوله: (أو ينفع الناس) يريد أن ما مصدرية ، وحين جعلها موصولة قد رفعها الراجع
.
(٤٤٧/١)

فإن قلت: قوله: { وبث فيها } عطف على أنزل أم أحيا؟ قلت: الظاهر أنه عطف على أنزل
داخل تحت حكم الصلة(١)،

(١) قوله: (داخل تحت حكم الصلة) أي : أنه أعني { بث } صلة موصولها مقدر ؛ لأنه
معطوف على { أنزل } وهو صلة ، فيكون { بث } أيضا في حكم الصلة ، فيكون قوله { بث }
{

آية مستقلة في الدلالة على التوحيد ، كخلق السموات والأرض ، واختلاف الليل والنهار
، وأما على الوجه الثاني فيكون قوله { بث } مع قوله { أحيا } و { أنزل } جميعا آية
واحدة ، من جملة الآيات ، ويكون التعقيب الحاصل من الفاء في { فأحيا } حاصلًا في
البث ، وعلى هذا لا يجوز ذكر البث دون ذكر أنزال الماء لوجهين لزوم ذهاب التسبب
المعلوم من الفاء ، ولزوم الإضمار قبل الذكر لأن التقدير : وبث به أي بالماء بخلاف
الوجه الأول فإنه يجوز فيه أفراد البث بالذكر ، وإنما لم يحسن عطفه على فأحيا ؛
لأنه معطوف على أنزل ، وأنزل صلة { فأحيا } جزءا لصلة فصار أحيا مع أنزل كشيء واحد

والحاصلان قوله : أحيا مع قوله : أنزل لشيء واحد ، والمجموع صلة واحدة لما ، وقوله : { وبث } جملة معطوفة على قوله : { أنزل } لتكون صلة أخرى مستأنفة ، ويكون التقدير : وما بث ، وإنما كان هذا ظاهرا ؛ لأنه حينئذ يكون العائد الضمير المنصوب المحذوف من { بث } فتكون من للبيان ، وحذف مثل هذا الضمير جائز ؛ لأنه منصوب متصل ،

نصبه فعل ، وعلى الثاني العائد الضمير المجرور المحذوف مع جاره ، وحذف مثل هذا الضمير إنما يحسن لو كان الموصول أو موصوفه ، أو ضمير آخر عائد إليه مجرورا بما جار الله رحمه الله تعالى به هذا الضمير ، نص على جميع ذلك المالكي [٧٦٧] ومن على هذا زائدة في الإثبات ، ولا شك أن الأول أولى لما قلنا ، ولقلة الحذف فيه ، وكون من لا تزداد فيه ، بخلاف الثاني ، فإن قال قائل : ما الفرق بين عطف { بث } على { أنزل } وبين عطف أحيا عليه في أن أحيا معه كشيء ، وأم لعطفه عليه ، وليس كذلك بث ، إذا عطف عليه ؟ قلنا : الفرق أن أحيا معطوف بالفاء السببية ، ولا شك أن السبب والمسبب كشيء واحد بخلاف بث ، فإنه معطوف بالواو المقتضية للمغايرة ، ولهذا منع من عطفه على أحيا ، من حيث الظاهر ؛ لأنه لو عطف عليه لكان مسببا منه ، وكان المجموع كشيء واحد ، والقبول : مهبها من موضع طلوع الشمس عند استواء الليل والنهار ، وتسمى الصبا ، وتقابلها الدبور ، والشمال : التي تهب من ناحية القطب ، وتقابلها الجنوب ، والنكباء : هي التي تهب بين ريحين ، والمناوحة : هي التي تهب من جهات مختلفة ، والعاصف : الشديدة الهبوب ، والعقيم : هي التي لا تلقح شجرا ، ولا تحمل مطرا ، واللواقح : هي التي تلقح الأشجار ، والمعصرات : هي التي تأتي بالأقطار ، والنسيم : هي التي تجيء بنفس ضعيف وروح . [هذه الحاشية مؤخرة في الأصل عن التي بعدها ، ولكن موضعها مقدم عليها] .

(٤٤٨/١)

لأن قوله: (فأحيا به الأرض) عطف على أنزل(١)،

)

١) قوله: (لأن قوله: (فأحيا به الأرض) عطف على أنزل) تعليل لظهور هذا العطف ، وذلك لأن قوله : وأحيا به الأرض ليس مستقلا بنفسه ، فيصح عطفه على صلة الموصول ، ليكون آية أخرى ، مثل إنزال الماء من السماء لأجل ألفا التشبيه والمسبب ، فصارا جميعا

كالصلة الواحدة خلاف قوله : قريبا : ويصح جعل صفة معطوفة على الصلة ، لاستقلاله واشتماله على ما يبين الموصول من قوله { من كل دابة } لقوله ما في العائد المنصوب محذوف ، أي : ما بثه الله من كل دابة ، فيكون آية أخرى ، مثل { أنزل من السماء ماء فأحيا به الأرض بعد موتها } ألا ترى كيف صرح بالبنائين في قوله { وما أنزل في الأرض من ماء وبث فيها من كل دابة } والمطلوب تكثير الآيات فكان هذا ال عطف ظاهرا ، قال الزجاج : هذه الأشياء وجميع ما بث الله في الأرض دالة على أنه واحد كما قال : { وإلهم إله واحد } انتهى كلامه .

وأما إذا عطف على أحيا ، وكان من تنمة الصلة مسبب كما هو المعطوف عليه مسبب عنه فيحتاج إلى تقدير حرف التسبيب ، وإظهار السبب الذي هو الماء ، وجعل من في قوله { من كل دابة } زائدة ، فكان التقدير : وبث فيهما من كل دابة بسبب الماء ؛ لأن تعيشها به ، ولا شك أن هذا التقدير أدق معنى وأخفى من الأول ، لأن الآية حينئذ على وزان قوله تعالى { وأنزلنا من السماء ماء طهورا لنحيي به { الآية ، هذا وقد كنت كتبت الحاشية الأولى في هذه الموضع ما هذا صورته .

]

انتقل إلى الحاشية التي قبل هذه فهي مؤخرة في الكتابة ومقدمة من حيث الموضع [(٤٤٩/١)

فاتصل به وصارا جميعا كالشيء الواحد، فكأنه قيل: وما أنزل في الأرض من ماء وبث فيها من كل دابة. ويجوز عطفه على أحيا على معنى فأحيا بالمطر الأرض وبث فيها من كل دابة؛ لأنهم ينمون بالخصب ويعيشون بالحيا. { وتصريف الرياح } في مهابها: قبولا، ودبورا، وجنوبا، وشمالا. وفي أحوالها: حارة، وباردة، وعاصفة، ولينة. وعقما، ولواقح. وقيل

تارة(١) بالرحمة، وتارة بالعذاب { والسحاب المسخر } سخر للرياح تقلبه في الجو بمشيئة الله يمطر حيث شاء { لآيات لقوم يعقلون } ينظرون بعيون عقولهم ويعتبرون، لأنها دلائل على عظيم القدرة وباهر الحكمة. وعن النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم: (٧٤) "ويل لمن قرأ هذه الآية فمج بها" أي لم يتفكر فيها ولم يعتبر بها. وقرئ: "الفلك" بضمين، "وتصريف الريح"، على الأفراد.

{ ومن الناس من يتخذ من دون الله أندادا يحبونهم كحب الله والذين (ZtB#uûq#ن أشد

حبا لله ولو "tfçu الذين (Kn=sûq#ك إذ tfçtb÷ru العذاب أن القوة لله جميعا

وأن

الله شديد العذاب (١٦٥) إذ تبرأ الذين اتبعوا من الذين اتبعوا ورأوا العذاب وتقطعت بهم الأسباب (١٦٦) وقال الذين اتبعوا لو أن \$sY9 كرة &r چ t6oKsYsù منهم كما تبرءوا

منا 7y9dy. xx. ق Oخ gfحجم f الله أعمالهم BNž u نxm £xم kتž n=و وما هم tûü- حج"y/خ من النار (١٦٧) { }

(١) قوله: (وقيل تارة) عطف على قوله : في أحوالها ، ومعنى (فمح بها) لم يتفكر فيها

(٤٥٠/١)

أندادا { أمثالا من الأصنام. وقيل من الرؤساء الذين كانوا يتبعونهم ويطيعونهم وينزلون على أوامرهم ونواهيهم. واستدل بقوله(١): { إذ تبرأ الذين اتبعوا } . ومعنى: { يحبونهم } يعظمونهم ويخضعون لهم تعظيم المحبوب { كحب الله } كتعظيم الله والخضوع له، أي كما يحب الله تعالى، على أنه مصدر من المبني للمفعول، وإنما استغنى عن ذكر من يحبه لأنه غير ملتبس(٢). وقيل: كحبهم الله، أي يسوون بينه وبينهم في محبتهم لأنهم كانوا يقرون بالله ويتقربون إليه. فإذا ركبوا في الفلك دعوا الله مخلصين له الدين { أشد حبا لله } لأنهم لا يعدلون عنه إلى غيره؛ بخلاف المشركين فإنهم يعدلون عن أندادهم إلى الله عند الشدائد فيفزعون إليه ويخضعون له ويجعلونهم وسائط بينهم وبينه، فيقولون: هؤلاء شفعاؤنا عند الله، ويعبدون الصنم زمانا ثم يرفضونه إلى غيره، أو يأكلونه كما أكلت باهلة إلهها من حيس عام المجاعة { الذين ظلموا } إشارة إلى متخذي الأنداد أي لو يعلم هؤلاء(٣)

(١) قوله: (واستدل بقوله: { إذ تبرأ }) الآية أي : استدل بها على أن المراد بالأنداد الرؤساء .

(٢) قوله: (لأنه غير ملتبس) وذلك بقوله : { والذين آمنوا أشد حبا لله } وباهلة : قبيلة من قيس غيلان ، والحيس : تمر مخلوط بسمن وإقط ، أي : ولو يعلم هؤلاء الذين

ارتكبوا الظلم العظيم ، يريد أن في وضع المظهر موضع المضمّر في قوله { الذين ظلموا } دلالة على أن اتخاذ الأنداد ظلم عظيم .

(٣) قوله: (ولو يعلم هؤلاء ... إذا عاينوا العذاب) يؤذن بأن الرؤية في قوله { ولو يرى } بمعنى العلم ، وفي قوله { إذ يرون العذاب } الإبصار ، وبأن قوله { أن القوة لله جميعا } ساد مسد المفعولين ، وجواب لو محذوف ليدل على التعميم والتهويل بحسب اقتضاء المقام ..

(٤٥١/١)

الذين ارتكبوا الظلم العظيم بشركهم أن القدرة كلها لله على كل شيء من العقاب والثواب دون أندادهم، ويعلمون شدة عقابه للظالمين إذا عاينوا العذاب يوم القيامة، لكان منهم ما لا يدخل تحت الوصف من الندم والحسرة ووقوع العلم بظلمهم وضلالهم، فحذف

الجواب كما في قوله: { ولو ترى إذ وقفوا } (الأنعام: ٢٧)، وقولهم: لو رأيت فلانا والسياط تأخذه. وقرئ: "ولو ترى" بالتاء على خطاب الرسول أو كل مخاطب، أي ولو ترى ذلك لرأيت أمرا عظيما. وقرئ: "إذ يرون" على البناء للمفعول. وإذ في المستقبل كقوله: { ونادى أصحاب الجنة } (الأعراف: ٤٤). { إذ تبرأ } بدل من { إذ يرون العذاب } أي تبرأ المتبوعون وهم الرؤساء من الأتباع. وقرأ مجاهد الأول على البناء للفاعل والثاني على البناء للمفعول أي تبرأ الأتباع من الرؤساء { ورأوا العذاب } الواو للحال، أي تبرؤوا في حال رؤيتهم العذاب { وتقطعت } عطف على تبرأ. و { الأسباب }

الوصل التي كانت بينهم: من الاتفاق على دين واحد، ومن الأنساب، والمحاب، والأتباع، والاستتباع، كقوله: { لقد تقطع بينكم } (١) (الأنعام: ٩٤) { لو } في معنى التمني. ولذلك أوجب بالفاء الذي يجاب به التمني، كأنه قيل: ليت لنا كرة، فنتبرأ منهم { كذلك } مثل ذلك الإراء (٢) الفطيع { يريهم الله أعمالهم حسرات } أي ندامات، وحسرات: ثالث مفاعيل أرى: ومعناه أن أعمالهم تنقلب حسرات عليهم فلا يرون إلا حسرات مكان أعمالهم { وما هم بخارجين } هم بمنزلته في قوله:

هم يفرشون اللبد كل طمرة (٣)

(١) قوله: (كقوله: { لقد تقطع بينكم }) هذا على قراءة الرفع ؛ لأنه أريد هذه

القراءة بمعنى الوصل والأسباب .

(٢) قوله: (مثل ذلك الإراء) قال المصنف رحمه الله : ذكر سيبويه أن العرب تحذف الفاء من الأولة ، وبذلك وقعت الإشارة بكذلك إلى مذكر .
(٣) قوله: (هم يفرشون اللبد كل طمرة) تمامه :

وأجرد سباق يبذ المغاليا

يفرشون : يعم وأنه المرزون ، أي : يجعلون اللبد فراشا لظهر كل طمرة ، أي : رمكة وثابة ، وكل فحل كريم سباح في عدوه غلاب لمقارنه ، سباق في الرهان ، يجوز نصب التقدم يبذ المغاليا ، إن ضمنت الميم جاز أن يراد به السهم نفسه ، أو فرس يغالبه ، وجاز أن يراد به الرافع يده بالسهم يريد به أقصى الغاية ، يقال : بيني وبينك غلوة سهم ، وإن فتحت الميم يكون جمعا للمغلاة ، وهي السهم يتخذ للمغلاة ، والمعنى يسبق السهم في غلوته ، والمعنى : أن هممهم مقصورة على تعهد الخيل وخدمتها ، والتفرس على ظهورها ، ورواية الكتاب يفرشون بفتح الياء ، أي : يفرشون اللبد على كل طمرة ، فحذف الجار ، وأما الأفراس فهو يتعدى إلى مفعولين ، وإنما حكم بأن هم في { وما هم } للتأكيد بتكرير النسبة ، ولم يجوز أن تكون للتخصيص على تقدير التقديم ؛ لأن ما في الآية بمعنى ليس ، فلا بد لها من اسم وهو هم ، ولو قدر كونه غير مبتدأ بأن يكون

تأكيدا للضمير في خارجين ، ثم قدم للتخصيص لزوم بقاء ما بغير اسم ، ولأن ما لا يجوز تقديم خبرها ، بحيث تدخل عليه مع دخول النافية على قول أبي علي الفارسي ، والمصنف رحمه الله ؛ لأن خبر ما إذا قدم بطل عملها ، وحينئذ لا تدخل الفاء في الخبر ، وينتقض هذا بقوله تعالى : { وما أنت عليهم بعزير } وكذا هم في البيت يتعين كونه مبتدأ ولا يحتمل التقديم ، لأن الغرض في البيت مدح أولئك القوم بأنهم يفرشون اللبد الخيل لقتال أعدائهم ، وإنما يكون مدحا تاما إذا كان أعداؤهم مثلهم في ذلك حتى يتم لهم الجرأة والشجاعة ، أما لو كانت الفراسة مخصوصة بهم [٧٦٨] فلا ، وهذا ظاهر لمن له ذوق سليم ، وطبع مستقيم ، وأيضا فإن مقام الإيعاد يناسبه التأكيد لا التخصيص ، وقال الطيبي : قوله : لا على الاختصاص من إشارة إلى مذهبه ، وذلك أن صاحب الكبيرة مخلد في النار إذا لم يتب ، فلو حملت الآية على الاختصاص لزوم خروجه عنها ، وقوله : على قوة أمرهم فيما أسند إليهم معنى دلالة التركيب على تقوي الحكم ، يعني أنهم لا يخرجون البتة لا أن غيرهم يخرجون منها .

وقال القاضي : أصله . وما يخرجون فعديل به إلى هذه العبارة للمبالغة في الخلود ، وإلا فنأظر على الخلاص ، والرجوع إلى الدنيا ، وقال صاحب التقریب : هم للسبب للفصل

فلا يدل على الاختصاص بل على قوة كفرهم .

قال الطيبي : والجواب . أن قوله { وما هم بخارجين } ليس نظير البيت ، لتسلط حرف النفي على الفاعل المعنوي مع أن البيت لا يصلح للاستشهاد لاحتماله التخصيص أيضا بالادعاء ، بل هو نظير قوله : { وما أنت علينا بعزير } فقد قال فيه ما قال ، واتفق أهل هذا الفن على أن مثل هذا التركيب مقطوع به على إفادة الاختصاص .

وقال صاحب الانتصاف : إن دلالة الآية على الاختصاص هو الحق ، فإن العصاة من المسلمين يخرجون من النار ، وقد احتج المصنف في قوله { أم اتخذوا آلهة من الأرض هم ينشرون } { وهم بالآخرة هم يوقنون } لكن هذا الاختصاص لا يوافق مذهبه ، فأعمل الحيلة في صرف الكلام الكلام عنه في جعلها مفيدة للأحقية فإن العصاة وإن خلدوا عنده فالكفار أحق منهم بالخلود .

الانصاف : الآية في من اتخذ أندادا من الكفار ، والكفر أعم من ذلك ، وجميع أهله ليسوا بخارجين من النار ، فلا اختصاص لهؤلاء بالخلود دون غيرهم من الكفار ، والذي قاله المصنف صحيح .

قال الطيبي : وقلت مما ذكرت من إيلاء النفي ضمير الفاعل لا بد من القول بالاختصاص ، والآية عامة في جميع من يخالف المؤمنين من أهل الملل المختلفة ، ويتخذ من دون الله أندادا ، أي : رؤساء يتبعونهم ويطيعونهم ، كما نص عليه المصنف ، وعلى تقدير أن يكون مخصوصا بعبدة الأصنام فهم في مقابلة المؤمنين بدليل { والذين آمنوا أشد حبا لله } أي : تعظيما ، فيكون الكلام في المؤمنين وفي هؤلاء ، فلا يدخل في الحصر غيرهم ، والتركيب من باب القصر القلبي ، فإذا انتفى الحكم من أحد المتقابلين ثبت للآخر ، فإذا قيل في حق غير المؤمنين { وما هم بخارجين من النار } علم أن المؤمنين خارجون منها ، والله در الطيبي ، وحسن تحقيقه وتدقيقه ولم يبق للمصنف أن يجيب عما قال إلا بأن يقول : إن الفساق ليسوا بمؤمنين كما هو مذهبه ، أو يقول : إن آيات الوعيد لما دلت على خلود الفساق ، وجب حمل الآية على تقوي الحكم لا على الاختصاص ؛ لئلا يلزم تناقض الأدلة ، هذا والرجاء في كرم الله الواسع أن لا يدخل أحدا من المؤمنين النار فضلا عن أن يدخلهم ويخرجهم .

(٤٥٢/١)

في دلالة على قوة أمرهم فيما أسند إليهم لا على الاختصاص .

{ يا أيها الناس كلوا مما في الأرض $n=xm^Wx$ طيبا ولا تتبعوا N^{uq} ن الشيطان إنه

لكم عدو (B 168-٧) إنما يأمركم دن 9\$\$\$خ/ والفحشاء وأن تقولوا على الله
ما لا

تعلمون (١٦٩) {

}

(٤٥٣/١)

حلالا { مفعول كلوا، أو حال مما في الأرض { طيبا { طاهرا من كل شبهة (١) } ولا

تبعوا خطوات الشيطان { فتدخلوا في حرام، أو شبهة، أو تحريم حلال، أو تحليل حرام، و
(من) للتبعيض؛ لأن كل ما في الأرض ليس بمأكول. وقرئ: "خطوات" بضميتين، و"خطوات"
بضمة وسكون، و"خطوات" بضميتين وهمزة جعلت الضمة على الطاء كأنها على الواو،
و"خطوات"

بفتحتين و"خطوات" بفتحة وسكون. والخطوة: المرة من الخطو. والخطوة: ما بين قدمي
الخاطي. وهما كالغرفة والغرفة، والقبضة والقبضة. يقال: اتبع خطواته، ووطئ على عقبه
إذا اقتدى به واستن بسنته { مبين { ظاهر العداوة لا خفاء به { إنما يأمركم { بيان
لوجوب الإنهاء عن اتباعه وظهور عداوته. أي لا يأمركم بخير قط إنما يأمركم { بالسوء
{ بالقبيح { والفحشاء { وما يتجاوز الحد في القبح من العظائم، وقيل: السوء ما لا حد
فيه. والفحشاء: ما يجب الحد فيه { وأن تقولوا على الله ما لا تعلمون { وهو قولكم:
هذا حلال وهذا حرام، بغير علم. ويدخل فيه كل ما يضاف إلى الله تعالى مما لا يجوز
عليه. فإن قلت: كيف كان الشيطان آمرا (٢) مع قوله: { ليس لك عليهم سلطان { ؟ (الحجر:
٤٢) قلت: شبه تزيينه وبعثه على الشر بأمر الأمر، كما تقول: أمرتني نفسي بكذا.

(١) قوله: { طيبا { طاهرا من كل شبهة) قيل: الطيب ما يستطيبه الشرع، والشهوة
المستقيمة، إذ الحلال دل على الأول، فينبغي أن يفسر ما تشتهيه النفس الشهوة
المستقيمة، لئلا يتكرر المعنى، والغرفة: المرة الواحدة، وبالضم اسم المفعول.
(٢) قوله: (كيف كان الشيطان آمرا) أي: الأمر مستعل على المأمور، ومتسلط، فكيف
يستقيم هذا مع قوله { ليس لك عليهم سلطان { خلاصة الجواب: أن الكلام فيه استعارة،
وفي الاستعارة كناية رمز به إلى سوء صنيعهم، وتسفيه رأيهم، وتحقير شأنهم، وذلك
بعد الزبدة والخلاصة من الجملة.

(٤٥٤/١)

وتحتته رمز إلى أنكم منه بمنزلة المأمورين لطاعتكم له وقبولكم وساوسه؛ ولذلك قال: {

ولآمرنهم فليبتكن آذان الأنعام ولآمرنهم فليغيرن خلق الله { (النساء: ١١٩) وقال
الله تعالى: { إن النفس لأمارة بالسوء { (يوسف: ٥٣) لما كان الإنسان يطيعها فيعطيهما
ما اشتتهت.

{ وإذا قيل لهم (#مخ"v؟\$# ما &Rr"tAu الله قالوا بل نتبع ما ألفينا عليه آباءنا
أولو كان آباؤهم لا يعقلون ©x"Z\$ ولا يهتدون (١٧٠) ومثل الذين كفروا كمثل الذي
ينعق بما لا يسمع إلا دعاء ونداء صم بكم عمي فهم لا يعقلون (١٧١) {
(٤٥٥/١)

الضمير للناس. وعدل بالخطاب عنهم على طريقة الالتفات للنداء على ضلالهم، لأنه لا
ضال أضل من المقلد، كأنه يقول للعقلاء: انظروا إلى هؤلاء الحمقى ماذا يقولون: قيل:
هم المشركون. وقيل: هم طائفة من اليهود (١) دعاهم رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم
إلى الإسلام فقالوا: { بل نتبع ما ألفينا عليه آباءنا { فإنهم كانوا خيرا منا
وأعلم. وألفينا: بمعنى وجدنا، بدليل قوله: { بل نتبع ما وجدنا عليه آباءنا {
(لقمان: ٢١). { أو لو كان آباؤهم { الواو للحال، والهمزة بمعنى الرد والتعجيب،
معناه: أيتبعونهم ولو كان آباؤهم لا يعقلون شيئا من الدين ولا يهتدون للصواب. لا بد
من مضاف محذوف (٢) تقديره: ومثل داعي الذين كفروا { كمثل الذي ينعق { أو: ومثل الذين
كفروا كبهائم الذي ينعق. والمعنى: ومثل داعيهم (٣)

(١) قوله: (قيل: هم المشركون. وقيل: هم طائفة من اليهود) يعني التعريف في الناس
للعهد، والمعهود إما ما يفهم من قوله { ومن الناس من يتخذ من دون الله أندادا {
إذا أريد بالأنداد الأصنام، أو من قوله { إن الذين يكتُمون ما أنزلنا { قيل: ويجوز
أن يكون التعريف للجنس [٧٦٩]

(٢) قوله: (لا بد من مضاف محذوف) أي: إما عند المشبه، وإما عند المشبه به؛ لأن
تشبيه الكفار بالداعي مع كون التشبيه عرفا لا يستقيم بدون تقديره.

(٣) قوله: (والمعنى: ومثل داعيهم إلى الإيمان) اعلم انه ذكر وجوها مختلفة، أولها

قوله: ومثل داعي الذين كفروا كمثل الذي ينعق، شبه في هذه الوجه الداعي بالناعق،
والكفرة بالمدعويين بالعلم، المنعوق بها، ودعاء الداعي للكفرة بنعيق الناعق

بالبهائم .

وثانيها قوله : (مثل الذين كفروا كبهائم الذي ينطق) أي : بهائم الشخص الذي ينطق بما لا يسمع ، والمراد ألا يسمع البهائم ، المعنى ، ومثل الذين كفروا مع داعيهم في أنهم لا يرفعون رؤوسهم إلى ما يدعوهم إليه كممثل البهائم مع داعيها .

وثالثها : قوله : (ويجوز أن يراد بما لا يسمع الأصم) وهذا مثل الأول ، لكن وضع فيه الرجل الأصم موضع البهائم ، أي : شبه داعيهم بداعي البهيمة ، وشبهوا بالأصم ، وعلى هذا الوجه التشبيه مفرق ، والوجهان الأولان إشارة إلى التقديرين المذكورين في المتن ، والثالث والأول .

ورابعها : قوله : (ومثلهم في اتباعهم آباءهم) هذا الوجه مبني على أن التشبيه مركب تمثيلي ، وهو أن يكون الوجه منتزعا من عدة أمور فلا يحتاج حينئذ إلى تقدير مضاف ، ولهذا قال : ومثلهم في اتباعهم آباءهم كيت وكيت ، وهذا الوجه أشد ملازمة للآية السابقة ، وهي قوله : { وإذا قيل { الآية .

وخامسها : قوله : (ومثله في دعائهم الأصنام) قال القاضي : لا يساعده إلا { دعاء ونداء { لأن الأصنام لا تسمع ، إلا أن يجعل من باب التمثيل المركب .

قال الطيبي . طابت أوقاته . مراد القاضي أن هذا الوجه يحتمل أن يكون من التشبيه المفرق ، وأن يكون من التمثيل ، والأول مردود لفقدان التقابل بين المشبه والمشبه به ، والثاني مقبول ؛ لأنه لا يشترط فيه ذلك ، ومهما أريد التمثيل فلا بد من ذلك ، أي : لا بد من التقابل ؛ لأن المراد أن داعي الأصنام لا يرجع من دعائها إلى شيء ما ، وأنها أدون حالا من البهائم ؛ لأنها تسمع دعاء ونداء ، وهي لا تسمع شيئا قط ، كقوله تعالى { إن تدعوهم لا يسمعوا { الآية ، وإذا لم يوجد في الممثل ما للممثل به يقرب

التقابل من كل وجه ، وذلك غير جائز في التمثيل ؛ لأن الواجب فيه أن يقدر للمثل ما للممثل به من الحالة المتهمة المنتزعة من عدة أمور ، مهما اختلف شيء منها اختلف التمثيل ، اللهم إلا أن يجعل التشبيه مركبا عقليا كما ذكر المصنف في قوله : { مثل الذين ينفقون أموالهم { الآية حيث قال : ومثل نفقة هؤلاء في زكائها عند الله ، وعلى تقدير كونه مركبا عقليا فمعناه : ومثلهم في دعائهم الأصنام في فقد الجدوى كممثل الناقع بما لا يسمع إلا دعاء ونداء ، وهذا أحسن الوجوه المذكورة في الكتاب وأوفق لتأليف النظم ، وذلك لأن العاطف في قوله : ومثل الذين) يستدعي معطوفا عليه ، ولا يحسن عطفه على جملة قوله : وإذا قيل لهم اتبعوا { الآية حسنه أن عطف على قوله : لا

يعقلون شيئاً ، ولا يهتدون على سبب البيان ، فيكون المراد بالذين كفروا آباءهم وضعاً
للمظهر موضع المضمّر من غير لفظه ، للاشعار بغلبة عدم الاهتداء ، وسلب العقول نعيّاً
على التلقب إليهم ، وتسجيلاً بضالّتهم ، وفي عطف الجملة الأسمية على الفعلية إيدان
بأن المراد بالمضارع في قوله { لا يعقلون } و { لا يهتدون } الاستمرار .
(٤٥٦/١)

إلى الإيمان - في أنهم لا يسمعون من الدعاء إلا جرس النغمة ودوي الصوت، من غير
إلقاء أذهان ولا استبصار - كمثل الناقق بالبهائم، التي لا تسمع إلا دعاء الناقق
ونداء الذي هو تصويت بها وزجر لها، ولا تفقه شيئاً آخر ولا تعي، كما يفهم العقلاء
ويعون. ويجوز أن يراد بما لا يسمع: الأصم الأصلح، الذي لا يسمع من كلام الرافع صوته
بكلامه إلا النداء والتصويت لا غير، من غير فهم للحروف. وقيل معناه: ومثلهم في
اتباعهم آباءهم وتقليدهم لهم كمثل البهائم التي لا تسمع إلا ظاهر الصوت ولا تفهم ما
تحتّه، فكذلك هؤلاء يتبعونهم على ظاهر حالهم ولا يفقهون أهم على حق أم باطل؟ وقيل
معناه: ومثلهم في دعائهم الأصنام كمثل الناقق بما لا يسمع، إلا أن قوله: { إلا دعاء

ونداء } لا يساعد عليه، لأن الأصنام لا تسمع شيئاً، والنعيق: التصويت. يقال: نعى
المؤذن، ونعى الراعي بالضأن. قال الأخطل(١):

فانعى بضأنك يا جرير فإنما***منتك نفسك في الخلاء ضاللاً
وأما (نعي الغراب) فبالعين المعجمة { صم } هم صم، وهو رفع على الدم.
{ يا أيها الذين آمنوا كلوا من طيبات ما ٣N-u"٣'sY%y' واشكروا لله إن كنتم ڤn\$ڤخ)
تعبدون (١٧٢) }
}

(١) قوله: (قال الأخطل:

فانعى بضأنك يا جرير فإنما***منتك نفسك في الخلاء ضاللاً
يهجوه بأنه راع ، ويأمره برعيه الغنم التي هي عادته ، ويقول له : منتك نفسك في
الخلوة الفجار ، وذلك ضلال منك وبعد عن الصواب ؛ لأنك لا تقوى على إظهاره بين الناس

(٤٥٧/١)

من طيبات ما رزقناكم { من مستلذاته، لأن كل ما رزقه الله (١) لا يكون إلا حلالا }
واشكروا لله { الذي رزقكموها } إن كنتم إياه تعبدون { إن صح أنكم تخصونه بالعبادة.
وتقرون أنه مولى النعم. وعن النبي صلى الله عليه وآله وسلم (٧٥) "يقول الله تعالى:
إني والجن والإنس في نأ عظيم، أخلق، ويعبد غيري وأرزق ويشكر غيري".
{ إنما xmچtP عليكم الميتة والدم ولحم حجفح "\$Y,د\$٩# وما أهل به لغير الله فمن
اضطر
غير باغ ولا عاد فلا إثم عليه إن الله غفور رحيم (١٧٣) }

(١) قوله: (لأن كل ما رزقه الله تعالى) تعليل لتفسير الطيبات بالمستلذات ، ويرد به
تفسير من فسرهما بالحلال ؛ لأن الحل قد علم من قوله : { رزقناكم } لأن رزق الله لا
يكون إلا حلالا عنده ، فيحمل الطيبات على المستلذات ، حتى يستفاد بالطيبات شيئا لم
يستفد من قوله { رزقناكم } . [٧٧٠]
(٤٥٨/١)

قرئ: "حرم" على البناء للفاعل، و"حرم" على البناء للمفعول (١)،

(١) قوله: (قرئ: "حرم" على البناء للفاعل، و"حرم" على البناء للمفعول) قال الزجاج
: يجوز ان يكون ما في إنما موصولة ، والمختار كونها كافة ، اتباعا لشبه الكناية ،
والمعنى : ما حرم عليكم إلا الميتة ؛ لأن ما يأتي إثباتا لما قبله ، ونفيا لما سواه
، فإن قيل : إنما تفيد قصر الحرمة على ما ذكر ، وكم من حرام ؟ قلنا : لا شك أن إنما
تفيد قصر الحكم على ما ذكر ، ونفي الحكم عن كل ما عداه ، ولكن لا النفي مطلقا بل ما
عداه مما قابله ، ووقع فيه الخطأ ؛ لأن القصريستدعي أن يكون المخاطب قد حكم حكما
مشوبا بصواب وخطأ ، وأريد تحقيق صوابه ، ونفي خطائه ، فعلى هذا إن كان الخطاب في {
عليكم } للمؤمنين بقريئة { يا أيها الذين آمنوا كلوا } فالتقدير أنهم اعتقدوا حرمة
المستلذات ، وحرمة هذه الأشياء أيضا فقل : { إنما حرم عليكم } هذه الأشياء فيفيد
نفي حرمة المستلذات ، وقوله تعالى : { كلوا من طيبات ما رزقناكم } يؤذن بذلك ،
والقصر على هذا هو من قصر الافراد .
وإن كان الخطاب للمشركين فلأنهم اعتقدوا حل هذه الأشياء ، وحرمة السائبة ، والوصيلة
، والحامي ، فقال : { إنما حرم عليكم } هذه الأشياء فيفيد حل ما سواها من الذي

اعتقدوه حراما .

وقوله : (... . الناس كلوا) قرينة لذلك ، والحصر على هذا من قصر القلب ، ومثال ما ذكر ما لو اعتقد معتقد أن زيدا شاعر ومنجم ، والحال أنه شاعر فقط ، فقلت : إنما زيد شاعر ، فإنه يفيد نفي التنجيم دون سائر الصفات .
(٤٥٩/١)

و"حرم" بوزن كرم { أهل به لغير الله } أي رفع به الصوت للصنم، وذلك قول أهل الجاهلية: باسم اللات والعزى { غير باغ } على مضطر آخر بالاستيثار عليه { ولا عاد } سدا الجوعة. فإن قلت: في الميتات ما يحل وهو السمك والجراد. قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم (٧٦) "أحلت لنا ميتتان ودمان". قلت: قصد ما يتفاهمه الناس ويتعارفونه في العادة. ألا ترى أن القائل إذا قال: أكل فلان ميتة، لم يسبق الوهم إلى السمك والجراد، كما لو قال: أكل دما، لم يسبق إلى الكبد والطحال. ولا اعتبار

العادة والتعارف قالوا: من حلف لا يأكل لحما فأكل سمكا لم يحنث - وإن أكل لحما في الحقيقة، قال الله تعالى: { لتأكلوا منه لحما طريا } (النحل: ١٤) وشبهوه بمن حلف لا يركب دابة فركب كافرا لم يحنث - وإن سماه الله تعالى دابة في قوله: { إن شر الدواب عند الله الذين كفروا } (الأنفال: ٥٥). فإن قلت: فما له ذكر لحم الخنزير دون شحمه؟ قلت: لأن الشحم داخل في ذكر اللحم، لكونه تابعا له صفة فيه، بدليل قولهم: لحم سمين، يريدون أنه شحيم.

{ إن الذين يكتُمون ما &Rr"tAu الله من الكتاب رُ cr±oIôur"y به ثَمنا
%s=dx أولئك

ما يأكلون في بطونهم إلا النار ولا يكلمهم الله يوم القيامة ولا ÷e2uiLم"ف ولهم عذاب أليم (١٧٤) أولئك الذين (#مru±oIôy\$#@ الضلالة بالهدى والعذاب ouدچد\$yJ9خ/

فما أصبرهم على النار (١٧٥) 7y٩d"CE بأن الله نزل الكتاب بالحق وإن الذين اختلفوا في الكتاب لفي شقاق بعيد (١٧٦) {

(٤٦٠/١)

في بطونهم { ملء بطونهم(١). يقال: أكل فلان في بطنه، وأكل في بعض بطنه { إلا النار { لأنه إذا أكل ما يلتبس بالنار لكونها عقوبة عليه، فكأنه أكل النار، ومنه قولهم: أكل فلان الدم، إذا أكل الدية التي هي بدل منه. قال: أكلت دما إن لم أرعك بضرة(٢) وقال(٣):
يأكلن كل ليلة إكافا

(١) قوله: ({ في بطونهم { ملء بطونهم) قال أبو البقاء : والجيد أن يكون في بطونهم ظرفا ليأكلون ، فعلى هذا هومبالغة في الأكل ، كأنهم كانوا متمكنين على البطون عند الأكل فملئوها .

(٢) قوله: (أكلت دما إن لم أرعك بضرة) تمامه : بعيدة مهوى القرط طيبة النشر يقول : أكلت بدل الدم وهو الدية بأن يقتل من يعز علي فأخذ ديته وأكلها إن لم أخوفك بتزويج ضرة ، أي : امرأة أخرى طويلة العنق ، طيبة الريح ، وإنما سمي امرأتا الرجل صرتين لأن كل واحدة منهما تريد ضر صاحبها ، وفيه رمز إلى أن المخاطبة فصيرة العنق ،

منتنة ، وإنما دعا على نفسه بذلك ؛ لأنهم كانوا يرون أكل الدية عارا .

(٣) قوله: (يأكلن) أوله :

إن لنا أحمرة عجافا***يأكلن كل ليلة إكافا

الاكاف : البرذعة ، أي : يأكلن كل ليلة علفا بثمان إكاف بدبعة .

(٤٦١/١)

أراد ثمن الإكاف، فسماه إكافا لتلبسه بكونه ثمنا له { ولا يكلمهم الله { تعريض بحرماتهم حال أهل الجنة في تكريمة الله إياهم بكلامه وتركيتهم بالشاء عليهم. وقيل: نفي الكلام عبارة عن غضبه عليهم(١) كمن غضب على صاحبه فصرمه وقطع كلامه. وقيل: لا يكلمهم بما يحبون، ولكن بنحو قوله: { اخسؤا فيها ولا تكلمون { (المؤمنون: ١٠٨). { فما أصبرهم على النار { تعجب من حالهم في التباسهم بموجبات النار من غير مبالاة منهم، كما تقول لمن يتعرض لما يوجب غضب السلطان: ما أصبرك على القيد والسجن، تريد أنه لا يتعرض لذلك إلا من هو شديد الصبر على العذاب. وقيل: فما أصبرهم، فأى شيء

صبرهم(٢). يقال: أصبره على كذا وصبره بمعنى. وهذا أصل معنى فعل التعجب.

(١) قوله: (نفي الكلام عبارة عن غضبه عليهم) مشعر بأنه من باب الكناية ، وكذلك قوله : (تعريض بحرمانهم) لأن التعريض نوع من أنواع الكناية ، وقد أتى في آل عمران في قوله : { ولا يكلمهم الله يوم القيمة ولا ينظر إليهم } أن يكون كناية عن عدم الالتفات ، بل جعله مجازا عنه حيث قال : أصله فيمن يجوز عليه النظر كناية ، ثم جاء فيمن لا يجوز عليه النظر لمجرد المعنى ... الاحسان ، كأنه فرق بين إثبات النظر لله تعالى ، ونفيه ، وفيه يجب ...

(٢) قوله: (فأي شيء صبرهم) إلى قوله : (وهذا أصل معنى فعل التعجب) فرق المصنف بين الأصل والفرع ، وهو كذلك ؛ لأن الأصل الاستفهام ، ويحتمل الإنكار والتوبيخ ، والتعجب ، وغير ذلك ، والفرع نص في انشاء التعجب .
(٤٦٢/١)

والذي روي عن الكسائي أنه قال: قال لي قاضي اليمن بمكة اختصم إلي رجلان من العرب فحلف أحدهما على حق صاحبه فقال له: ما أصبرك على الله، فمعناه: ما أصبرك على عذاب الله { ذلك بأن الله نزل } أي ذلك العذاب بسبب أن الله نزل ما نزل من الكتب بالحق { وإن الذين اختلفوا } في كتب الله فقالوا في بعضها حق وفي بعضها باطل وهم أهل الكتاب { لفي شقاق } لفي خلاف { بعيد } عن الحق، والكتاب للجنس، أو كفرهم ذلك(١) بسبب أن الله نزل القرآن بالحق كما يعلمون، وإن الذين اختلفوا(٢)

(١) قوله: (أو كفرهم ذلك) معطوف على قوله (ذلك العذاب بسبب أن الله أنزل ؛ لأن المشار إليه إما مدلول قوله { لهم عذاب أليم } أو مدلول قوله { أولئك الذين اشتروا الضلالة بالهدى } فعلى الأول الكلام مع اليهود خاصة ، والتعريف في الكتاب للجنس ، والمختلفون هم اليهود ، وعلى الثاني الكلام مع اليهود والمشركين والتعريف للعهد ، والمراد بالكتاب القرآن ، وبالذين اختلفوا المشركين .

(٢) قوله: (وإن الذين اختلفوا) حال من الكتاب ، وقد أقيم مقام الراجع المظهر للموضوع موضعه المعنى : إنما كفر اليهود ؛ لأن الله تعالى نزل القرآن بالحق ، والحال ان المشركين كانوا فيه على شقاق قوي ، واختلاف شديد ، ولم تتفق كلمتهم مع

كلمة المسلمين ، حتى حسرت اليهود على الطعن فيه والكفر به بعد ما عرفوا أنه الحق فاشتروا الضلالة بالهدى ، ولا امتناع في تصدير الجملة الحالية بأن قال الله : { وما أرسلنا قبلك من المرسلين إلا أنهم ليأكلون الطعام } قال أبو البقاء : منصوب بأن لأجل اللام ، وقيل : لو لم تكن اللام كسرت ؛ لأن الجملة [٧٧١] الحالية ؛ إذ المعنى : إلا وهم يأكلون ، هذا خلاصة ما ذكره الطيبي هنا .

وأنا أظن ان الكلام على الأول والثاني مع اليهود ، لكن المراد بالكتاب على الأول جنس الكتب ، والمراد بالمختلفين اليهود ؛ لأنهم قالوا التوراة حق ، وغيرها باطل ، وعلى الثاني المراد به القرآن وبالمختلفين فيه المشركين ، وكأنه لما ذكر هذا قيل له :

إذا كان الكلام مع اليهود فلم ذكر اختلاف المشركين ؟ فأجاب بان اختلاف اليهود سبب اختلاف المشركين ؛ لأنهم لو لم يختلفوا لم يجسر غيرهم على الاختلاف فليتأمل ؛ لأن اليهود تصلي قبل المغرب ، قيل : أراد بحسب أفق مكة ، وذلك جار مجرى التعليل في كون الخطاب لأهل الكتاب .

(٤٦٣/١)

فيه من المشركين - فقال بعضهم: سحر، وبعضهم: شعر، وبعضهم: أساطير - لفي شقاق بعيد. يعني أن أولئك لو لم يختلفوا ولم يشاققوا لما جسر هؤلاء أن يكفروا. { * ليس البر أن تولوا وجوهكم قبل المشرق <حجyJ9\$#ur ولكن البر من آمن بالله واليوم حج½\$zFy# والملائكة والكتاب والنبيين urنA#u' المال على حبه ذوي القربى واليتامى والمساكين وابن السبيل tû،ح#ح!،،ur#9\$ وفي %U\$sحhچ9\$# وأقام الصلاة

urنA#u' الزكاة والموفون بعهدهم إذا عاهدوا والصابرين في البأساء والضراء murstûü

البأس أولئك الذين صدقوا وأولئك هم المتقون (١٧٧) يا أيها الذين آمنوا كتب عليكم القصاص في القتلى "ح:çtù# حhچçtù\$\$/ والعبء بالعبء والأنثى بالأنثى فمن z'إ"مم

له من دmç½&zr شيء فاتباع بالمعروف وأداء إليه بإحسان dy7٩dCE تخفيف من

(460/1)

وعن المبرد: لو كنت ممن يقرأ القرآن (١) لقرأت: ولكن البر، بفتح الباء. وقرئ: "ولكن البار". وقرأ ابن عامر ونافع: "ولكن البر بالتخفيف" { والكتاب { جنس كتب الله، أو القرآن { على حبه { مع حب المال والشح به، كما قال ابن مسعود (٢): (

(١) قوله: (لو كنت ممن يقرأ القرآن) أي: لو اجتري على سبيل افرض لما هو محال، والكتاب جنس كتب الله، أو القرآن هذا إيماء إلى أن هذا الكتاب هو ذلك الكتاب المذكور، فإن أريد به الجنس أو العهد فهذا مثله؛ لأن المعرف إذا أعيد كان غير الأول، هكذا قيل، وفيه نظر؛ لأن المعاد مع اللام معهود بكل حال اللهم إلا أن يراد بكونه مثله أنه صادق على ما صدق عليه.

(٢) قوله: (كما قال ابن مسعود) قيل: كما قال في تفسير { على حبه { وقيل في الحديث الذي رواه، وليس بشيء؛ لأن الحديث من رواية أبي هريرة، فلا معنى لنسبته إلى ابن مسعود.

عن أبي هريرة (جاء رجل إلى النبي صلى الله عليه وآله وسلم فقال: يا رسول الله، أي: الصدقة أعظم أجرا؟ قال: أن تصدق وأنت صحيح شحيح تخشى الفقر، وتحب الغنى، ولا

تمهل إذا بلغت الحلقوم قلت: لفلان كذا، ولفلان كذا) والكاشح: هو الذي يضمم العداوة في كشحه.

(٤٦٦/١)

أن تؤتيه وأنت صحيح شحيح، تأمل العيش وتخشى الفقر، ولا تمهل حتى إذا بلغت الحلقوم قلت لفلان: كذا ولفلان كذا). وقيل: على حب الله. وقيل: على حب الإيتاء، يريد أن يعطيه وهو طيب النفس بإعطائه. وقدم ذوي القربى لأنهم أحق. قال عليه الصلاة والسلام: (٧٨) "صدقتك على المسكين صدقة، وعلى ذي رحمك اثنتان لأنها صدقة وصلة" وقال عليه الصلاة والسلام: (أفضل الصدقة على ذي الرحم الكاشح". وأطلق { ذوي القربى واليتامى { والمراد الفقراء منهم لعدم الإلباس. والمسكين (١): الدائم السكون إلى الناس، لأنه لا شيء له كالمسكين: للدائم السكر و { ابن السبيل { المسافر المنقطع. وجعل ابنا للسبيل لملازمته له، كما يقال للص القاطع: ابن الطريق. وقيل: هو الضيف، لأن السبيل يعرف به { والسائلين { المستطعمين. قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم (٨٠) "للسائل حق وإن جاء على ظهر فرسه" { وفي الرقاب { وفي معاونة المكاتبين حتى يفكوا

رقابهم. وقيل: في ابتياع الرقاب وإعتاقها. وقيل في فك الأسارى. فإن قلت: قد ذكر إيتاء المال في هذه الوجوه ثم قفاه بإيتاء الزكاة فهل دل ذلك على أن في المال حقا سوى الزكاة؟ قلت: يحتمل ذلك. وعن الشعبي: أن في المال حقا سوى الزكاة، وتلا هذه الآية. ويحتمل أن يكون ذلك بيان مصارف الزكاة، أو يكون حثا على نوافل الصدقات والمبار. وفي الحديث: ("نسخت الزكاة كل صدقة" يعني وجوبها. وروي: (٨٢) "ليس في المال حق سوى الزكاة" { والموفون { عطف على من آمن. وأخرج. }

(١) قوله: (والمسكين) .. إلى آخره هذا مذهب أبي حنيفة ، وعند الشافعي : هو الذي

يملك ما يقع موقعا من كفايته ، ولا يكفيه ، ومعنى يعرف به : يأتي به ، ويقدمه .
(٤٦٧/١)

والصابرين { منصوبا على الاختصاص والمدح(١)، وإظهارا لفضل الصبر في الشدائد ومواطن القتال على سائر الأعمال. وقرئ: "والصابرون". وقرئ: "والموفين"، "والصابرين". و { البأساء { الفقر والشدّة { والضراء { المرض والزمانة { صدقوا { كانوا صادقين جادين في الدين. عن عمر بن عبد العزيز، والحسن البصري، وعطاء، وعكرمة، وهو مذهب مالك والشافعي(٢)

(١) قوله: (على الاختصاص والمدح) إظهارا لفضل اصبر عن أبي علي الفارسي ، إذا ذكرت صفات في معرض المدح أو الذم فالأحسن أن يخالف بإعرابها ؛ لأن المقام يقتضي الاطناب ، فإذا خولف في الاعراب كان المقصود أكمل ؛ لأن المعاني عند الاختلاف يتنوع ، وعند الاتحاد يكون فنا واحدا .

(٢) قوله: (وهو مذهب مالك والشافعي) أن الحر لا يقتل بالعبد ، والذكر لا يقتل بالأنثى ، قال صاحب التقريب : وفيه نظر ، إذ مذهب الشافعي أنه يقتل الذكر بالأنثى .

الانتصاف : وهم على الإمامين في مسألة قتل الذكر بالأنثى ، وأقول : انتفاء المجموع قد يكون بانتفاء البعض ، فإذا قال الامامان بأن الحر لا يقتل بالعبد صدق أنهما ما قالا بالمجموع .

(٤٦٨/١)

رحمة الله عليهم: أن الحر لا يقتل بالعبد، والذكر لا يقتل بالأنثى، أخذنا بهذه الآية. ويقولون: هي مفسرة لما أبهم في قوله: { النفس بالنفس } (المائدة: ٥٥) ولأن تلك (١) واردة لحكاية ما كتب في التوراة على أهلها، وهذه خوطب بها المسلمون وكتب عليهم ما فيها. وعن سعيد بن المسيب، والشعبي، والنخعي، وقتادة، والثوري، وهو مذهب أبي حنيفة وأصحابه: أنها منسوخة بقوله: { النفس بالنفس } (المائدة: ٥٥) والقصاص ثابت بين العبد والحر، والذكر والأنثى. ويستدلون بقوله صلى الله عليه وآله وسلم (٨٣) "المسلمون تتكافأ دماؤهم" وبأن التفاضل غير معتبر في الأنفس، بدليل أن جماعة

لو قتلوا واحدا قتلوا به. وروي: (٨٤) "أنه كان بين حيين من أحياء العرب دماء في الجاهلية، وكان لأحدهما طول على الآخر، فأقسموا لقتلن الحر منكم بالعبد منا، والذكر بالأنثى، والاثنين بالواحد، فتحاكموا إلى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم حين جاء الله بالإسلام فنزلت، وأمرهم أن يتباوؤا" { فمن عفي له من أخيه شيء } معناه: فمن عفي له من جهة أخيه شيء (٢)

(١) قوله: (ولأن تلك) عطف من حيث المعنى على قوله: ويقولون ، ومعنى : يتباوؤا . يتقابلوا من بابه إذا كان كفؤا له ، وقيل : الصواب يتباوؤا بواء ، وهو من البواء ، وهو المساواة .

(٢) قوله: (فمن عفي له من جهة أخيه شيء) أي : عفو قليل ، وهو مفعول مطلق ، والفعل مسند إلى المصدر ، كقولك : سير بزيد بعض السير ، وبين كونه مفعولا مطلقا بقوله : من العفو ، وإنما مؤكدة ليظهر كونه مفعولا مطلقا ، وهو نظير قولهم ضربته أنواعا من الضرب ، ولا يصح أن يكون شيء في معنى المفعول به .

روى صاحب الكشف عن بعضهم أنه قال : يمكن أن يكون تقديره : فمن عفي له من أخيه عن

شيء ، فلما حذف الجار ارتفع شيء لوقوعه موقع الفاعل ، كما أنك لو قلت : سير بزيد ، وحذفت الباء قلت : سير زيد ، ويجوز فيه وجه آخر ، وهو أن يكون شيء مرتفعاً بفعل محذوف يدل عليه قوله : عفي ، وهو ترك .

(٤٦٩/١)

من العفو . على أنه كقولك: سير بزيد بعض السير، وطائفة من السير. ولا يصح أن يكون

شيء في معنى المفعول به، لأن (عفا) لا يتعدى إلى مفعول به إلا بواسطة وأخوه: هو ولي المقتول (١)، وقيل له أخوه، لأنه لا يسه، من قبل أنه ولي الدم ومطالبه به، كما تقول للرجل: قل لصاحبك كذا، لمن بينه وبينه أدنى ملابسة أو ذكره بلفظ الأخوة، ليعطف أحدهما على صاحبه بذكر ما هو ثابت بينهما من الجنسية والإسلام فإن قلت: إن عفى يتعدى بعن لا باللام، فما وجه قوله: { فمن عفى له } ؟ قلت: يتعدى بعن إلى الجاني

وإلى الذنب، فيقال: عفوت عن فلان وعن ذنبه. قال الله تعالى: { عفا الله عنك } (التوبة: ٤٣) وقال: { عفا الله عنها } (المائدة: ١٠١) فإذا تعدى إلى الذنب والجاني معا قيل: عفوت لفلان عما جنى، كما تقول: غفرت له ذنبه وتجاوزت له عنه. وعلى هذا ما في الآية (٢)، كأنه قيل: فمن عفى له عند جنائته، فاستغنى عن ذكر الجنائية، فإن قلت: هلا فسرت عفى بترك حتى يكون شيء في معنى المفعول به؟ قلت: لأن عفا الشيء بمعنى تركه

ليس بثبت. ولكن أعفاه. ومنه قوله عليه الصلاة والسلام: (٨٥) "واعفوا للحي" فإن قلت: فقد ثبت قولهم: عفا أثره إذا محاه وأزاله، فهلا جعلت معناه: فمن محي له من أخيه شيء؟ قلت: عبارة قلقلة (٣)

(١) قوله: (وأخوه: هو ولي المقتول) فمن عبارة عن القاتل، ومن لابتداء الغاية، وشيء عبارة عن العفو، وهو عدل عن ترك المستحق من أورش جنائية، أو عقوبة ذنب. (٢) قوله: (وعلى هذا ما في الآية) أي: على تعدي غفر إلى الذنب، وقولهم: عفوت لفلان عما جنى، ورد عفا في الآية، وحذف عن جنائته؛ لأن العفو يستدعي ذلك. (٣) قوله: (عبارة قلقلة) غير قارة في مكانها، فإن الكلام الفصيح هو الذي يستعمل فيه ما هو على السنة الفصحاء أدور [٧٧٢] واستعمالهم له أكثر، وكلام الله تعالى أفصح الكلام لا يجوز مثل هذه العبارة.

نعم: لو اقتضاها المقام كما في قول الشاعر:

وما عقب الرياح له محلا***عفاه من حذائهم وساقا

لأن الكلام في محو آثار ديار المحبوبة، فهو مكان استعماله، والآية واردة في شأن العفو عن الجنائيات، وهو بعيد من استعماله فيه، وهو المراد بقوله: نابية عن مكانه

في مكانها، والعفو في باب الجنایات عبارة متداولة مشهورة في الكتاب والسنة واستعمال الناس، فلا يعدل عنها إلى أخرى قلقة نائية عن مكانها، وترى كثيرا ممن يتعاطى هذا العلم يجترىء - إذا أعزل عليه تخريج وجه للمشكل من كلام الله - على اختراع لغة

وادعاء على العرب ما لا تعرفه، وهذه جرأة يستعاذ بالله منها. فإن قلت؟: لم قيل: شيء من العفو؟ قلت: للإشعار بأنه إذا عفى له طرف من العفو وبعض منه بأن يعفى بعض الدم. أو عفا عنه بعض الورثة تم العفو وسقط القصاص ولم تجب إلا الدية { فاتباع بالمعروف } فليكن اتباع، أو فالأمر اتباع. وهذه توصية للمعفو عنه والعافي جميعا. يعني فليتبع الولي القاتل بالمعروف بأن لا يعنف به ولا يطالبه إلا مطالبة جميلة. وليؤد إليه القاتل بدل الدم أداء بإحسان، بأن لا يمتلئه ولا يبخسه { ذلك تخفيف من ربكم ورحمة فمن اعتدى بعد ذلك فله عذاب أليم } الحكم المذكور من العفو والدية { تخفيف من ربكم ورحمة } لأن أهل التوراة كتب عليهم القصاص البتة وحرم العفو وأخذ الدية، وعلى أهل الإنجيل العفو وحرم القصاص والدية. وخيرت هذه الأمة بين الثلاث: القصاص والدية والعفو، توسعة عليهم وتيسيرا { فمن اعتدى بعد ذلك { التخفيف، فتجاوز ما شرع له من قتل غير القاتل، أو القتل بعد أخذ الدية. فقد كان الولي في الجاهلية (١) يؤمن القاتل بقبوله الدية، ثم يظفر به فيقتله { فله عذاب أليم } نوع من العذاب شديد الألم في الآخرة.

(١) قوله: (فقد كان الولي في الجاهلية) جملة مستطردة لبيان سبب النزول توسطت بين تفسير الجزاء والشرط للإهتمام ، والفاء لشدة الاتصال .
(٤٧١/١)

وعن قتادة: العذاب الأليم أن يقتل لا محالة ولا يقبل منه دية، لقوله عليه السلام:
(٨٦) "لا أعافي أحدا قتل بعد أخذه الدية" { ولكم في القصاص حياة } كلام فصيح لما فيه من الغرابة، وهو أن القصاص قتل وتفويت للحياة، وقد جعل مكانا وظرفا للحياة، ومن إصابة (١) محز البلاغة بتعريف القصاص وتنكير الحياة؛ لأن المعنى: ولكم في هذا الجنس من الحكم الذي هو القصاص حياة عظيمة، وذلك أنهم كانوا يقتلون بالواحد الجماعة، وكم قتل مهلهل بأخيه كليب حتى كاد يفني بكر بن وائل، وكان يقتل بالمقتول غير قاتله

فتثور الفتنة ويقع بينهم التناحر، فلما جاء الإسلام بشرع القصاص كانت فيه حياة أي حياة، أو نوع من الحياة، وهي الحياة الحاصلة بالارتداع عن القتل لوقوع العلم بالاعتصاف من القاتل، لأنه إذا هم بالقتل فعلم أنه يقتص فارتدع منه سلم صاحبه من القتل، وسلم هو من القود، فكان القصاص سبب حياة نفسين.

(١) قوله: (ومن إصابة) عطف على قوله: (من الغرابة) أما الغرابة : فهي حمل الشيء على ضده ، ولم يكتف بهذا القدر بل صرح بالظرفية ، ومعناه : أن الحياة العظيمة الحاصلة بالارتداع إنما تحصل بشرعية القصاص لا غير ، وأما البلاغة فهي أن هذا الكلام مع وجادته دل على معان كثيرة ؛ لأن لام الجنس الداخلة في القصاص تدل على حقيقة هذا الحكم ، وهو مشتمل على الضرب والجرح والقتل ، وما يجري مجراها ، ولو قيل كما قالوا : أَلْقَتْل أَنْفَى لِلْقَتْلِ لَمْ تَفِدْ ذَلِكَ ، ثم إذا نظر إلى تنكير حياة من حيث كونها مطلقة ، وقد حمل عليها قوله في القصاص أفاد التعظيم ، وإذا اقترنت بقرائن الأحوال بالارتداع إفاد التخصيص ، فعلى هذا قوله : أو نوع من الحياة ، عطف على قوله : حياة عظيمة ، والحاصل أن التنكير في حياة إما للتعظيم ، أو لأفراد نوعا ، وقوله : لوقوع العلم تعليل الارتداع . وقوله : (لأنه إذا هم) تعليل للحياة الحاصلة بالارتداع . (٤٧٢/١)

وقرأ أبو الجوزاء: ولكم في القصاص حياة أي فيما قص عليكم من حكم القتل القصاص وقيل القصص القرآن أي: "ولكم في القرآن حياة للقلوب": كقوله تعالى: { روحا من أمرنا { (الشورى: ٥٢)، { ويحيي من حي عن بينة { (الأنفال: ٤٢). { لعلكم تتقون { أي أريتكم ما في القصاص من استبقاء الأرواح وحفظ النفوس { لعلكم تتقون { تعملون عمل أهل التقوى في المحافظة على القصاص والحكم به. وهو خطاب له فضل اختصاص بالأئمة (١). { كتب عليكم إذا زل | طxm أحدكم الموت إن x8u؟ #||جyz الوصية ٩د=uqù"٩د%٥fy÷`١

تûü/خuچF{\$#ur% بالمعروف xm(^\$ على المتقين (١٨٠) فمن بدله بعدما سمعه فإنما إثمه

على الذين يبدلونه إن الله سميع L×د=tو (١٨١) { }

(١) قوله: (وهو خطاب له فضل اختصاص بالأئمة) لأنهم هم المتمكنون من تنفيذ الأحكام المتمكنون من استيفاء القصاص ، وتدل على هذا أنه فسر يتقون { يعملون عمل أهل التقوى في المحافظة على القصاص والحكم به .
(٤٧٣/١)

إذا حضر أحدكم الموت { إذا دنا منه وظهرت أماراته { خيرا { مالا كثيرا . عن عائشة رضي الله عنها: أن رجلا أراد الوصية وله عيال وأربعمئة دينار، فقالت: ما أرى فيه فضلا . وأراد آخر أن يوصي فسأله: كم مالك؟ فقال: ثلاثة آلاف . قالت: كم عيالك؟ قال: أربعة . قالت: إنما قال الله { إن ترك خيرا { وإن هذا الشيء يسير فاتركه لعيالك، وعن علي رضي الله عنه: أن مولى له أراد أن يوصي وله سبعمائة فمنعه . وقال: قال الله تعالى: { إن ترك خيرا { والخير هو المال، وليس لك مال . والوصية فاعل كتب، وذكر فعلها للفاصل، ولأنها بمعنى أن يوصى، ولذلك ذكر الرافع في قوله: { فمن بدله بعد ما سمعه { والوصية للوارث كانت في بدء الإسلام فنسخت بآية الموارث(١)،

(١) قوله: (فنسخت بآية الموارث ، بقوله صلى الله عليه وآله وسلم) في هذا نظر ؛ لأن الكتاب لا ينسخ بخبر الآحاد بالإجماع ، ولأن آية الموارث غير منافية لهذه الآية ، فيجوز الجمع بين حكمهما ، وقيل : تجوز أن تكون آية الموارث مخصصة لهذه ، وذلك لأنها توجب الوصية للأقربين ، وآية الموارث تخرج القريب الوارث ، ويبقى غير الوارث ، ولو قيل : إنها منسوخة بالإجماع بعد وجود دليل ناسخ ، واكتفى بالإجماع عن ذكر الدليل لقنا : لا يصح ؛ لأن من الأمة من أنكر وقوع النسخ ، فكيف يدعى انعقاد الإجماع .

قوله : (وإن كان من الآحاد) يريد أن السلف وإن نقلوه على طريق الآحاد لكن الخلف

ألحقوه بالمتواتر لتلقيهم إياه بالقبول ، أي : أجمعوا على صحته ، ونسخوا به القرآن ، والجواب : أن تلقي الأمة إما على الظن أو القطع ، الأول مسلم ... إلا أن ذلك إجماع منهم على أنه من خبر واحد ، فلا يجوز نسخ القرآن به ، و الثاني ممنوع ؛ لأنهم لو قطعوا بصحته مع أنه من الآحاد لأجمعوا على الخطأ ، وأنه غير جائز .

والثبت : الحجة .

(٤٧٤/١)

وبقوله عليه السلام: (٨٧) "إن الله أعطى كل ذي حق حقه ألا لا وصية لوارث" وتلقي الأمة إياه بالقبول حتى لحق بالمتواتر وإن كان من الآحاد، لأنهم لا يتلقون بالقبول إلا الثبت الذي صحت روايته. وقيل: لم تنسخ، والوارث يجمع له بين الوصية والميراث بحكم الآيتين. وقيل: ما هي بمخالفة لآية الموارث. ومعناها: كتب عليكم ما أوصى به الله من توريث الوالدين والأقربين من قوله تعالى: { يوصيكم الله في أولادكم } (النساء: ١١) أو كتب على المحتضر (١) أن يوصي للوالدين والأقربين بتوفير ما أوصى به الله لهم عليهم، وأن لا ينقص من أنصابتهم { بالمعروف } بالعدل، وهو أن لا يوصي للغني ويدع الفقير ولا يتجاوز الثلث { حقا } مصدر مؤكد، أي حق ذلك حقا { فمن بدله } فمن غير الإيصاء عن وجهه إن كان موافقا للشرع من الأوصياء والشهود { بعد ما سمعه } وتحققه { فإنما إثمهم على الذين يبدلونه } فما إثم الإيصاء المغير أو التبديل إلا على مبدليه دون غيرهم من الموصي والموصى له، لأنهما بريان من الحيف { إن الله سميع عليم } وعيد المبدل { فمن خاف } فمن توقع وعلم، وهذا في كلامهم شائع يقولون: أخاف أن ترسل السماء، يريدون التوقع والظن الغالب الجاري مجرى العلم { جنفا } ميلا عن الحق بالخطأ في الوصية { أو إثمًا } أو تعمدًا للحيف { فأصلح بينهم } بين الموصى لهم وهم الوالدان والأقربون بإجرائهم على طريق الشرع { فلا إثم عليه } حينئذ، لأن تبديله تبديل باطل إلى حق ذكر من يبدل بالباطل ثم من يبدل بالحق ليعلم أن كل تبديل لا يؤثم.

[illegible]

تصوموا ضج yz لكم إن كنتم تعلمون (١٨٤) {
}

(٤٧٦/١)

كما كتب على الذين من قبلكم { على الأنبياء والأمم من لدن آدم إلى عهدكم. قال علي رضي الله عنه: أولهم آدم، يعني أن الصوم عبادة قديمة أصلية ما أدخل الله أمة من افتراضها عليهم، لم يفرضها عليكم وحدكم { لعلكم تتقون } بالمحافظة عليها وتعظيمها لأصالتها وقدمها، أو لعلكم تتقون المعاصي، لأن الصائم أظلف لنفسه وأردع لها من مواقف السوء. قال عليه السلام: (٨٨) "فعليه بالصوم (١) فإن الصوم له وجاء" أو لعلكم تنظمون (٢) في زمرة المتقين، لأن الصوم شعارهم.

(١) قوله: (فعليه بالصوم) أول الحديث (يا معشر الشباب من استطاع منكم الباءة فليتزوج فإنه أغض للبصر، وأحصن للفرج، ومن لم يستطع فعليه بالصوم فإنه له وجاء) الباءة: النكاح، وهو من المباءة المنزل؛ لأن من تزوج امرأة بوأها منزلاً، وقيل: لأن الرجل يبوء من أهله أي يتمكن منها كما يتمكن من منزله، والوجاء: رضي الله عنه عروق الأنثيين مع إبقائهما.

(٢) قوله: (أو لعلكم تنظمون) فسر { تتقون } بوجوه أحدها: أنه مجاز باعتبار ما يؤول إليه، أي: لعلكم تصيرون متقين بتركه المحافظة عليه وتعظيمه؛ لأن من شعائر الله، وتعظيمها كان من تقوى القلوب، وتعليقه بقوله: لأصالتها [٧٧٣] إشارة إلى هذا المعنى، وثانيها: أنه حقيقة لغوية؛ لأن الوقاية في اللغة، فرط الصيانة، وذلك أن الصوم أردع شيء للنفس من المعاصي، وثالثها: أنه كناية إيمانية، وتقدير

أن الصوم لما كان من شعائر الأنبياء والمتقين، فمن اقتفى أثرهم فيه يوشك أن يعد منهم، وينظم في زميرهم، وإنما قلنا: إنه كناية إيمانية؛ لأنه تعالى سماهم متقين، لأنهم اكتسبوا لباسهم، وتزبوا بكم، ومن تزيا بزي قوم فهو منهم، والموتان: الموت الكثير.

(٤٧٧/١)

وقيل معناه: أنه كصومهم (١) في عدد الأيام وهو شهر رمضان، كتب على أهل الإنجيل فأصابعهم موتان، فزادوا عشرا قبله وعشرا بعده. فجعلوه خمسين يوماً. وقيل: كان وقوعه

في البرد الشديد والحر الشديد، فشق عليهم في أسفارهم ومعايشهم فجعلوه بين الشتاء والربيع، وزادوا عشرين يوما كفارة لتحويله عن وقته. وقيل: الأيام المعدودات: عاشوراء، وثلاثة أيام من كل شهر. كتب على رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم صيامها حين هاجر. ثم نسخت بشهر رمضان. وقيل: كتب عليكم كما كتب عليهم أن يتقوا المفطر بعد

أن يصلوا العشاء وبعد أن يناموا، ثم نسخ ذلك بقوله: { أحل لكم ليلة الصيام... } الآية (البقرة: ٨٧). ومعنى { معدودات } موقتات بعدد معلوم. أو قلائل، كقوله: { دراهم معدودة } (يوسف: ٢٠) وأصله أن المال القليل يقدر بالعدد ويتحكر فيه. والكثير يهال هيلا ويحشى حثيا. وانتصاب أياما بالصيام(٢)

(١) قوله: (وقيل معناه: أنه كصومهم) عطف على قوله: (على الأنبياء والأئمة) من حيث المعنى ، وكذا قوله: (وقيل : كتب عليكم كما كتب عليهم) وقوله: (وقيل: الأيام المعدودات) عطف على قوله: (وهو شهر رمضان) وقوله: وقبل وقوعه عطف على قوله: فأصابهم موتان ، ويتحكر فيه ، الحكر : أجمع والإمساك ، فهو فعل بمعنى مفعول ، ومعنى يتحكر فيه يضايق فيه ، والتهيل : ... من غير كيل .

(٢) قوله: (وانتصاب أياما بالصيام) قال الزجاج : الأجود أن يكون العامل في { أياما } الصيام ؛ ولأن المعنى كتب عليكم أن تصوموا أياما معدودات ، وقال القاضي : نصبها ليس بالصيام لوجود الفاصل بينهما ، بل بإضمار صوموا .

وقال صاحب الكشف : كما كتب صفة مصدر محذوف ، والتقدير : كتب عليكم الصيام كتابة مثلما كتب .

وقال أبو البقاء : إنما لم يجر نصب الصيام لأياما ؛ لأنه مصدر ، وقد فرق بينه وبين أيام بقوله : { كما كتب } وما يعمل فيه المصدر كالصلة ، ولا يفرق بين الصلة والموصول بأجنبي .

وقال السخاوندی : لا يعمل ؛ لأن { كما } أجنبي عن العامل إلا أن يجعل مؤولا عن الصيام ، وقال بعض الفضلاء المحققين ، وهو نجم الأئمة الرضوي رحمه الله : ليس كل مؤول بشيء حكمه حكم ما أول به ، فلا منع من تأويله بالحرف المصدر من جهة المعنى ، مع أنه لا يلزمه أحكامه ، فلا يتقدم عليه المفعول الصريح لضعف عمله ، ويجوز الفصل

بينه وبين معموله بأجنبي ، وعلى هذا فلا يقدر الفعل لقوله : { أياما معدودات } .
(٤٧٨/١)

كقولك: نويت الخروج يوم الجمعة { أو على سفر } أو راكب سفر { فعدة } فعليه عدة.
وقرىء بالنصب بمعنى: فليصم عدة وهذا على سبيل الرخصة. وقيل: مكتوب عليهما أن يفطرا
ويصوما عدة { } من أيام آخر { واختلف في المرض المبيح للإفطار، فمن قائل: كل مرض،
لأن الله تعالى لم يخص مرضا دون مرض كما لم يخص سفرا دون سفر، فكما أن لكل مسافر
أن

يفطر، فكذلك كل مريض. وعن ابن سيرين أنه دخل عليه في رمضان وهو يأكل فاعتل بوجع
أصبعه. وسئل مالك عن الرجل يصيبه الرمد الشديد أو الصداع المضر وليس به مرض يضجعه،
فقال: إنه في سعة من الإفطار. وقائل: هو المرض الذي يعسر معه الصوم ويزيد فيه،
لقوله تعالى: { يريد الله بكم اليسر } وعن الشافعي: لا يفطر حتى يجهد الجهد غير
المحتمل. واختلف أيضا في القضاء فعمامة العلماء على التخيير. وعن أبي عبيدة بن
الجراح رضي الله عنه: "إن الله لم يرخص لكم في فطره وهو يريد أن يشق عليكم في
قضائه، إن شئت فواتر، وإن شئت ففرق" (١) وعن علي وابن عمر والشعبي وغيرهم أنه يقضي
كما فات متتابعا. وفي قراءة أبي: "عدة من أيام آخر متتابعات" فإن قلت: فكيف قيل: {
عدة } على التنكير ولم يقل: فعدتها(٢)،

(١) قوله: (إن شئت فواتر، وإن شئت ففرق) تواتر الصوم : أن يصوم يوما ويفطر يوما ،
أو يومين ثم يصوم يوما على هذا يتالي به ويواتر ، أو لا يراد به المواصله كما قد
يتوهم ؛ لأنه من الوتر ، وتفريق الصوم أن يكون المتخلل بين الصومين أكثر من يومين .
(٢) قوله: (ولم يقل: فعدتها) يريد أن مقتضى الظاهر أن يقال : فعدتها ؛ لأن قوله : {
فمن كان منكم مريضا } مرتب على فريضة صوم الأيام المعدودات ، أي : وجب عليكم
صومها

، فمن كان معذورا منكم فليصم عدتها فلم نكرها ؟ وأجاب أنه إنما نكرها لعدم الالباس

..

(٤٧٩/١)

أي فعدة الأيام المعدودات؟ قلت: لما قيل: فعدة والعدة بمعنى المعدود فأمر بأن يصوم

أياما معدودة مكانها، علم أنه لا يؤثر عدد على عددها، فأغنى ذلك عن التعريف
بالإضافة { وعلى الذين يطيقونه } وعلى المطيقين للصيام الذين لا عذر بهم إن أفطروا
{ فدية طعام مسكين } نصف صاع من بر أو صاع من غيره عند أهل العراق، وعند أهل
الحجاز

مد، وكان ذلك في بدء الإسلام: فرض عليهم الصوم ولم يتعودوه فاشتد عليهم، فرخص لهم
في الإفطار والفدية. وقرأ ابن عباس: "يطوقونه"، تفعيل من الطوق إما بمعنى الطاقة أو
القلادة، أي يكلفونه أو يقلدونه ويقال لهم صوموا. وعنه "يتطوقونه" بمعنى يتكلفونه
أو يتقلدونه. "يطوقونه" بإدغام التاء في الطاء. "ويطيقونه" "ويطيقونه" بمعنى
يتطوقونه، وأصلهما يطيقونه ويتطيقونه، على أنهما من فاعل وتفعيل من الطوق، فأدغمت
الياء في الواو بعد قلبها ياء كقولهم: تدير المكان وما بها ديار. وفيه وجهان(١):
أحدهما نحو معنى يطيقونه. والثاني يكلفونه أو يتكلفونه على جهد منهم وعسر وهم
الشيوخ والعجائز، وحكم هؤلاء الإفطار والفدية. وهو على هذا الوجه ثابت غير منسوخ.

(١) قوله: (وفيه وجهان) أي: فيما قرأ به ابن عباس، فإن جميع ما ذكر بعده مروي عنه

وحاصل المعنى يرجع إلى يكلفونه، أو يقلدونه، وهو يحتمل وجهين أحدهما أن من أمر
بالصوم مع كونه شاقا، فكأنه كلفه، وجعله قلادة في عنقه، وإليه الإشارة بقوله:
يقال لهم: صوموا، وثانيهما: أن المكلف إذا داوم عليه وتمرن لم يكن شاقا عليه،
لكن إذا مرض أو هرم فربما شق عليه، وإلى الأول أشار بقوله: يطيقونه، وإلى الثاني
بقوله: على جهد منهم وعسر.
(١/٤٨٠)

ويجوز أن يكون هذا معنى يطيقونه(١)، أي يصومونه جهدهم وطاقتهم ومبلغ وسعهم { فمن
تطوع خيرا } فزاد على مقدار الفدية { فهو خير له } فالتطوع أخير له أو الخير(٢).
وقرىء "فمن يطوع"، بمعنى يتطوع { وأن تصوموا } أيها المطيقون أو المطوقون وحملت
على أنفسكم وجهدتم طاقتكم(٣) { خير لكم } من الفدية وتطوع الخير. ويجوز أن ينتظم في
الخطاب المريض والمسافر أيضا. وفي قراءة أبي: "والصيام خير لكم".
{ مج÷ky رمضان الذي tAح"Ré& فيه القرآن هدى للناس i t/urösY"M من
الهدى والفرقان

فمن %oy ky منكم u÷#kO9\$ فليصمه ومن كان مريضا أو على سفر فعدة من

&yzéu &BQ\$fr

ك%of حجم f الله بكم u،مٹ#\$# ولا ك%of حجم f بكم العسر ولتكمّلوا العدة

ur۹di9x6çGمزة#)

الله على ما هداكم ولعلكم تشكرون (١٨٥) {

(١) قوله: (ويجوز أن يكون هذا معنى يطيقونه) أي : معنى القراءة المشهورة ، وعلى هذا فالآية غير منسوخة ، وجهدهم وطاقتهم نصب على الحال ، أي : مجتهدين مطيقين ، والجهد بالضم : الطاقة ، وبالفتح : المشقة .

(٢) قوله: (أو الخير) الضمير المرفوع ، وهو للتطوع ، أو للخير ، وعلى التقديرين الشرط المذكور في الجزاء ، وفائدته تعظيم الخير ، كقولهم : من أدرك الصمان فقد أدرك المرعى .

(٣) قوله: (وجهدتم طاقتكم) نصب على أنه مفعول [٧٧٤] مطلق .

(٤٨١/١)

الرمضان: مصدر رمض إذا احترق - من الرمضاء - فأضيف إليه الشهر وجعل علما، ومنع

الصرف للتعريف والألف والنون كما قيل "ابن داية" للغراب (١) بإضافة الابن إلى داية البعير، لكثرة وقوعه عليها إذا دبّرت. فإن قلت: لم سمي { شهر رمضان } ؟ قلت: الصوم فيه عبادة قديمة، فكأنهم سموه بذلك لارتماضهم فيه من حر الجوع ومقاساة شدته، كما سموه ناتقا لأنه كان ينتقهم أي يزعجهم إضجارا بشدته عليهم. وقيل: لما نقلوا أسماء الشهور عن اللغة القديمة سموها بالأزمنة التي وقعت فيها، فوافق هذا الشهر أيام رمض الحر. فإن قلت: فإذا كانت التسمية واقعة مع المضاف والمضاف إليه جميعا، فما وجه ما جاء في الأحاديث من نحو قوله عليه الصلاة والسلام: (٨٩) "من صام رمضان إيمانا واحتسابا". (٩٠) "من أدرك رمضان فلم يغفر له". قلت: هو من باب الحذف لأمن الإلباس كما قال (٢):

(١) قوله: (كما قيل "ابن داية" للغراب) أي : رمضان مصدر من الرمضاء ، وهي شدة الحر ، أضيف إليه الشهر ، وجعل المركب علما للشهر ، ومنع من الصرف للعلمية ، والألف والنون ، كما أن داية في ابن داية أخذت من داية البعير ، وهو موضع القتب ، وأضيف

إليها الإبن ، وجعل علما للغراب ، والتسمية وإن وقعت مع المضاف ، لكن قد تحذف لعدم الالباس ، والارتماض : الاحتراق .

(٢) قوله: (كما أعيأ) أوله :

فهل لكما فيما نابني بصير*** بما أعيأ النطاسي حذيما
ويروى : فأتقي خبير .

قال صدر الأفاضل : الواقع في نسخة المفضل : كما أعيأ ، والصواب : بما ، بدليل اول البيت ، ومن أمثالهم : أطب من ابن حذيم ، ويروى لكم ، أي : فهل لكم فيما نسب إلي . كذا رواه الميداني ، وقيل : هل لكم علم وبصيرة فيما يرجع نفعه الي ، ثم أعرض عن المشاورة ، وقال : إنني اعلم بحالي ، فإنني بصير بما أعيأ النطاسي ، أي : الطبيب من التنطس ، وهو دقة النظر ، وأراد ابن حذيم ؛ لأنه هو النطاسي ، لا حذيم . ولكن حذفه لعدم الالباس ، هذا والمصنف رحمه الله ذكر في المفصل أنه من الملتبس .
(٤٨٢/١)

بما أعيأ النطاسي حذيما

أراد ابن حذيم، وارتفاعه على أنه مبتدأ خبره { الذي أنزل فيه القرآن } أو على أنه بدل من الصيام في قوله { كتب عليكم الصيام } (البقرة: ١٨٣) أو على أنه خبر مبتدأ محذوف. وقرئ بالنصب على: صوموا شهر رمضان، أو على الإبدال من { أياما معدودات } ،
أو على أنه مفعول { وأن تصوموا } (١))

(١) قوله: (أو على أنه مفعول { وأن تصوموا }) قال رشيد الدين الوطواط : وفي جعل شهر رمضان مفعول ان تصوموا نظر ؛ لأن شهر رمضان حينئذ على تقدير المضاف إليه ؛ لأن تصوموا ، وهما بمنزلة المبتدأ ، أي : صوم شهر رمضان ، والخبر { خير لكم } وعلى ما قدره يكون الخبر فاصلا من جزء المبتدأ وذلك غير شائع ، ثم قال : فعرضت هذا البحث على المصنف رحمه الله فأذعن له .
وقيل في العذر : إن الفصل جائز ههنا ؛ لأن المفعول فضلة لا جزء كالفاعل ، والإضافة هنا إلى الفاعل لا إلى المفعول ، أي : صومكم شهر رمضان خير لكم .

قال الطيبي : فيقال : هذا وأمثاله لا يليق بمنصب التنزيل ، لأن المقرر أن مفعول المصدر كالفصلة ، فلا يجوز الفصل بالأجنبي .
(٤٨٣/١)

البقرة: (١٨٤). ومعنى: { أنزل فيه القرآن } ابتدء فيه إنزاله. وكان ذلك في ليلة القدر. وقيل: أنزل جملة إلى سماء الدنيا، ثم نزل إلى الأرض نجوما. وقيل: أنزل في شأنه القرآن، وهو قوله: { كتب عليكم الصيام } كما تقول: أنزل في عمر كذا، وفي علي كذا. وعن النبي عليه السلام: (٩١) "نزلت صحف إبراهيم أول ليلة من رمضان، وأنزلت التوراة لست مضين، والإنجيل لثلاث عشرة، والقرآن لأربع وعشرين مضين" { هدى للناس وبينات } نصب على الحال، أي أنزل وهو هداية للناس إلى الحق، وهو آيات واضحات مكشوفات مما يهدي إلى الحق ويفرق بين الحق والباطل. فإن قلت: ما معنى قوله: { وبينات من الهدى } بعد قوله { هدى للناس } (١)؟ قلت ذكر أولا أنه هدى، ثم ذكر أنه بينات من جملة ما هدى به الله، وفرق به بين الحق والباطل من وحيه وكتبه السماوية الهادية الفارقة بين الهدى والضلال { فمن شهد منكم الشهر فليصمه } فمن كان شاهدا، أي حاضرا مقيما غير مسافر في الشهر، فليصم فيه ولا يفطر.

(١) قوله: (ما معنى قوله: { وبينات من الهدى } بعد قوله { هدى للناس }) حاصل السؤال أن النكرة إذا أعيدت معرفة كان الثاني عين الأول ، فما معنى هذا التكرير ، وأجاب بأن المعروف هنا أعم من المنكر ، إذ اللام فيه للجنس لا للعهد الخارجي ، والدليل على كونه جنسا قوله : من جملة ما هدى الله ، وأن معنى الجنس هو ما قال من وحيه وكتبه السماوية الهادية الفارقة ؛ لأن شأن الكتب السماوية كلها الهادية ، والفرقان بين الحق والباطل ، حكم أولا في أنه هدى لا بقادر قدره فيه ، ومع ذلك هو بينات من جملة الهدى ، وكرر ثبوتها لشأنه ورفعها منه ، وتأكيدا لمعنى الهادية فيه ، كما تقول : فلان عالم نحير ، وأنه من زمرة العلماء المتنحرين .
(٤٨٤/١)

والشهر: منصوب على الظرف (١) وكذلك الهاء في { فليصمه } ولا يكون مفعولا به كقولك: شهدت الجمعة، لأن المقيم والمسافر كلاهما شاهدان للشهر { يريد الله } أن ييسر عليكم ولا يعسر، وقد نفى عنكم الحرج في الدين، وأمركم بالحنيفية السمحة التي لا إصر فيها،

وجملة ذلك ما رخص لكم فيه من إباحة الفطر في السفر والمرض. ومن الناس من فرض الفطر على المريض والمسافر، حتى زعم أن من صام منهما فعليه الإعادة. وقرىء: "اليسر، والعسر" - بضميتين.

(١) قوله: (والشهر: منصوب على الظرف) والتقدير: فمن حضر في شهر، ولم يكن مسافرا، قيل في قوله: ولا يكون مفعولا به؛ لأن المقيم والمسافر كلاهما شاهدان للشهر، أي: مبصران له، أعني الهلال، فلو كان مفعولا وقد اشترك المقيم والمسافر في الابصار لزم المسافر الصوم، كالمقيم، والثاني باطل فتعين أن يكون ظرفا، والمراد بالشهود الحضور، أي: من كان حاضرا دار الإقامة في شهر رمضان فليصم فيه، وحينئذ يخرج المسافر؛ نظر؛ لأن المريض والحائض حاضران دار الإقامة مع أنه لا يلزمهما، فإذا جاز إخراجهما بالدليل فلم لا يجوز أن يكون الشهر مفعولا به، ومع هذا يخرج عنه المسافرون، وسائر المعذورين بالدليل.

(٤٨٥/١)

الفعل المعلن محذوف مدلول عليه بما سبق تقدير { ولتكمّلوا العدة وتكبّروا الله على ما هداكم ولعلكم تشكرون } شرع ذلك يعني جملة ما ذكر من أمر الشاهد بصوم الشهر وأمر المرخص له بمراعاة عدة ما أفطر فيه ومن الترخيص في إباحة الفطر، فقوله: { لتكمّلوا } علة الأمر بمراعاة العدة { وتكبّروا } علة ما علم من كيفية القضاء والخروج عن عهدة الفطر { ولعلكم تشكرون } علة الترخيص والتيسير، وهذا نوع من اللف (١)

(١) قوله: (وهذا نوع من اللف) وتقديره أن الفعل المعلن المقدر، وهو قوله: شرع ذلك، مع العلل الثلاث، معطوف على الجملة السابقة بالواو على طريق النشر، وفيه اسم الإشارة، ولا بد له من المشار إليه بحسب كل واحد من العلل المذكورة أولها: { ولتكمّلوا العدة } وهي علة الأمر بمراعاة العدة، والمشار إليه قوله { فعدة } أي: فعليه صوم عدة أيام العذر من غير نقصان.

وثانيها: { وتكبّروا الله } [٧٧٥] وهو علة ما علم من كيفية القضاء، وهدى إليه، والمشار إليه مفهوم قوله: { فعدة من أيام أخر }.

وثالثها: { ولعلكم تشكرون } وهي علة الترخيص، والتيسير، والمشار إليه { يريد

الله بكم اليسر ولا يريد بكم العسر { قيل : وأما لطف مسلكه فلأن اللف هو الذي يستدعي ما يرد عليه النشر من المعاني المناسبة ، وهذا بالعكس ، وتكون تلك المعاني مبنية عليه ، على ترتيبه السابق ، وهذا ليس كذلك . والنقاب : الرجل العلامة ، والمحدث : الملهم .

(٤٨٦/١)

لطيف المسلك لا يكاد يهتدي إلى تبيينه إلا النقاب المحدث من علماء البيان. وإنما عدى فعل التكبير بحرف الاستعلاء لكونه مضمنا معنى الحمد، كأنه قيل: ولتكبروا الله

حامدين على ما هداكم. ومعنى { ولعلكم تشكرون } وإرادة أن تشكروا وقرئ: "ولتكمّلوا" بالتشديد. فإن قلت: هل يصح أن يكون (ولتكمّلوا) معطوفا على علة مقدرة، كأنه قيل لتعملوا ما تعلمون، ولتكمّلوا العدة، أو على اليسر، كأنه قيل: يريد الله بكم اليسر، ويريد بكم لتكمّلوا، كقوله: { يريدون ليطفئوا } ؟ قلت: لا يبعد ذلك والأول أوجه (١). فإن قلت: ما المراد بالتكبير؟ قلت: تعظيم الله والثناء عليه. وقيل: هو تكبير يوم الفطر. وقيل: هو التكبير عند الإهلال.

}

(١) قوله: (والأول أوجه) وهو أن يكون الفعل المعلل محذوفاً ، قيل : إنما كان أوجه لقلة التقدير فيه ، ولما فيه من اللف والنشر ، قيل : ويحتمل أن يراد بالأول أن يكون لتكمّلوا معطوفاً على علة مقدرة ؛ لأن اللام حينئذٍ للعلة ، وهو أظهر من أن تكون صلة ، كقوله : { يريدون ليطفئوا } أو الأول أوجه ، والإهلال رفع الصوت بالتلبية .

(٤٨٧/١)

وإذا سألك عبادي سةim_tد'خ*è=f*سح% أجيب دعوة الداع إذا دعان (u.ftG|qç6#ثù=sù لي وليؤمنوا 'د' لعلهم يرشدون (١٨٦) أحل لكم ليلة الصيام الرفث

إلى Nن ح \$! |، Sد هن لباس لكم وأنتم لباس لهن t=dzN و الله أنكم كنتم تختانون أنفسكم

فتاب عليكم وعفا عنكم فالآن èdr`م³t/ وابتغوا ما كتب الله لكم وكلوا واشربوا

س®Lxm يتبين لكم نف\$sfù الأبيض من إف\$sfù الأسود من

حج \$٩٧ôfx# ثم أتموا

الصيام إلى الليل ولا ىèdrمژا"3t7è؟ وأنتم عاكفون في دf%o" | ،yJ9\$# تلك حدود الله

فلا (چydqç/u\$ 7y? ٩sxx. يبين الله آياته للناس لعلهم يتقون (١٨٧) { (٤٨٨/١)

فإني قريب { تمثيل لحاله في سهولة إجابته لمن دعاه وسرعة إنجاحه حاجة من سأل به حال من قرب مكانه، فإذا دعى أسرع تلبية، ونحوه { ونحن أقرب إليه من حبل الوريد { وقوله عليه الصلاة والسلام: (٩٢) "هو بينكم وبين أعناق رواحلكم" وروي: (٩٣) أن

أعربيا قال لرسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أقرب ربنا فنناجيه، أم بعيد فنناديه؟ فنزلت: { فليستجيبوا لي { إذا دعوتهم للإيمان والطاعة، كما أني أجيبهم إذا دعوني لحوائجهم. وقرىء "يرشدون ويرشدون"، بفتح الشين، وكسرهما. (٩٤) كان الرجل إذا أمسى حل له الأكل والشرب والجماع إلى أن يصلي العشاء الآخرة أو يرقد، فإذا صلاها أو رقد ولم يفطر حرم عليه الطعام والشراب والنساء إلى القابلة، ثم إن عمر رضي الله عنه واقع أهله بعد صلاة العشاء الآخرة، فلما اغتسل أخذ يكي ويلوم نفسه، فأتى النبي وقال: يا رسول الله، إني أعتذر إلى الله وإليك من نفسي هذه الخاطئة وأخبره بما فعل، فقال عليه الصلاة والسلام: "ما كنت جديرا بذلك يا عمر" فقام رجال فاعترفوا بما كانوا صنعوا بعد العشاء، فنزلت. وقرىء: "أحل لكم ليلة الصيام الرفث"، أي أحل الله. وقرأ عبد الله: "الرفوث"، وهو الإفصاح بما يجب أن يكنى عنه، كلفظ النيك، وقد أرفث الرجل. وعن ابن عباس رضي الله عنه أنه أنشد وهو محرم: وهن يمشين بنا هميسا***إن تصدق الطير نك لميسا(١)

(١) قوله: (وهن يمشين بنا هميسا***إن تصدق الطير نك لميسا)

أي : والإبل يمشين بنا مشيا خفيفا ، إن تصدق الطير في القيافة بها والزجر نك المرأة المسماة بلميس .

(٤٨٩/١)

فقليل له: أرفثت؟ فقال: إنما الرفث ما كان عند النساء. وقال الله تعالى: { فلا رفث ولا فسوق { فكنى به عن الجماع(١)، لأنه لا يكاد يخلو من شيء من ذلك. فإن قلت: لم

كنى عنه ههنا بلفظ الرفث الدال على معنى القبح بخلاف قوله: { وقد أفضى بعضكم إلى بعض } (النساء: ٢١)، { فلما تغشاها } ، { بأشروهن } ، { أو لامستم النساء } ، { دخلتم بهن } ، { فأتوا حرثكم } ، { من قبل أن تمسوهن } ، { فما استمتعتم به منهن } ، { ولا تقر بهن } (البقرة: ٢٢٢)؟ قلت: استهجانا لما وجد منهم قبل الإباحة، كما

سماه اختيانا لأنفسهم. فإن قلت: لم عدى الرفث يالى؟ قلت: لتضمينه معنى الإفشاء. لما كان الرجل والمرأة يعتنقان ويشتمل كل واحد منهما على صاحبه في عناقه، شبه باللباس المشتمل عليه. قال الجعدي(٢):

إذا ما الضجيع ثنى عطفها***تثنت فكانت عليه لباسا

(١) قوله: (فكنى به عن الجماع) رتب على قوله: الرفوث هو الافصاح بما يجب أن يكنى عنه ، يعني كنى هاهنا بالرفث عن الجماع ، وكان من حق الظاهر أن يكون عن الرفث ؛ لأنه وإنما عدل إليه ليرتدع من ارتكبه يدل عليه قوله : استهجانا لما وجد منهم قبل الإباحة .

الانتصاف : ويؤيد قول المصنف أنه تعالى لما أباحه قال : { فالآن بأشروهن } فعاد إلى الكنايات المألوفة ، ويشكل بقوله { فلا رفث ولا فسوق ولا جدال في الحج } ولم يسبق منهم فيه فعل ، وجوابه أنه في آية الحج منهي عنه ، فهجنه لينفرهم عن التورط فيه .

(٢) قوله: (قال الجعدي:

إذا ما الضجيع ثنى عطفها***تثنت فكانت عليه لباسا)

يقول : إذا عرفت مضاجعها ، عطفها إلى نفسه التوت عليه ، فكانت لباسا له .

(٤٩٠/١)

فإن قلت: ما موقع قوله: { هن لباس لكم } ؟ قلت: هو استئناف كالبيان لسبب الإحلال، وهو أنه إذا كانت بينكم وبينهن مثل هذه المخالطة والملابسة قل صبركم عنهن وصعب عليكم اجتنابهن، فلذلك رخص لكم في مباشرتهن { تختانون أنفسكم } تظلمونها وتنقصونها حظها من الخير. والاختيان من الخيانة، كالاكتساب من الكسب فيه زيادة وشدة { فتأب عليكم } حين تبتم مما ارتكبتم من المحظور { وابتغوا ما كتب الله لكم } واطلبوا ما قسم الله لكم وأثبت في اللوح من الولد بالباشرة، أي لا تبأشروا لقضاء الشهوة وحدها ولكن لا بتغاء ما وضع الله له النكاح من التناسل. وقيل: هو نهى عن العزل لأنه في

الحرائر. وقيل: وابتغوا المحل الذي كتبه الله لكم وحلله دون ما لم يكتب لكم من المحل المحرم. وعن قتادة: وابتغوا ما كتب الله لكم من الإباحة بعد الحظر. وقرأ ابن

عباس: { واتبعوا } (البقرة: ١٠٢) وقرأ الأعمش: { وأتوا } (البقرة: ٢٥٥) وقيل معناه: واطلبوا ليلة القدر وما كتب الله لكم من الثواب إن أصبتموها وقمتموها، وهو قريب من بدع التفاسير (١) { الخيط الأبيض } هو أول ما يبدو من الفجر المعترض في الأفق كالخيط الممدود. و { الخيط الأسود } ما يمتد معه من غبش الليل، شبهها بخيطين أبيض وأسود. قال أبو داود (٢):

فلما أضاءت لنا سدفه*** ولا ح من الصبح خيط نارا

(١) قوله: (وهو قريب من بدع التفاسير) وذلك لبعده عن معنى الكلام السابق له ، والغبش بالتحريك : ظلمة آخر الليل .

(٢) قوله: (قال أبو داود:

فلما أضاءت لنا سدفه*** ولا ح من الصبح خيط نارا)

السدفه في لغة نجد : الظلمة ، وفي لغة غيرهم الضوء ، فهي من الأضداد ، يقول : فلما أشرقت لنا ظلمة ، أو ضوء ولمع من الصبح خط كالخيط إذا رأى نور الأشياء ، وهو جواب لما ، ويحتمل ان يكون لازما ، وإشراق الظلمة استعارة لاطلامها ، أو يراد به تبينها وظهورها بسبب طلوع الفجر .

(٤٩١/١)

وقوله: { من الفجر } بيان للخيط الأبيض، واكتفى به عن بيان الخيط الأسود. لأن بيان أحدهما بيان للثاني. ويجوز أن تكون (من) للتبعية (١): لأنه بعض الفجر وأوله. فإن قلت: أهذا من باب الاستعارة أم من باب التشبيه؟ قلت: قوله: { من الفجر } أخرجه من باب الاستعارة (٢)، كما أن قولك: رأيت أسدا مجاز. فإذا زدت (من فلان) رجع تشبيها. فإن قلت: فلم زيد { من الفجر } حتى كان تشبيها؟ وهلا اقتصر به على الاستعارة التي هي أبلغ من التشبيه وأدخل في الفصاحة؟ قلت: لأن من شرط المستعار أن يدل عليه الحال أو الكلام، ولو لم يذكر { من الفجر } لم يعلم أن الخيطين مستعاران (٣)، فزيد { من الفجر } فكان تشبيها بليغا وخرج من أن يكون استعارة.

(١) قوله: (ويجوز أن تكون (من) للتبعية) والضмир في لأنه راجع إلى قوله : { أول ما

يبدوا) فعلى هذا يكون { من الفجر } بدلا من الخيطين ، أي : يبين لكم بعض الفجر ، وهو أول ما يبدو ...

(٢) قوله: (أخرجه من باب الاستعارة) وذلك لذكر المشبه ، وهو الفجر ، والمشبّه به ، وهو الخيط الأبيض ، وإنما لم يجعل استعارة في الخيط الأسود مع ترك المشبه ؛ لأنه بمنزلة الملفوظ بحصول ما يدل عليه في الكلام فهو كقوله : أسد علي ، وإلى هذا أشار بقوله ؛ لأن بيان أحدهما بيان للثاني .

(٣) قوله: (ولو لم يذكر { من الفجر } لم يعلم أن الخيطين مستعاران) جواب ؛ لكنه غير تام ، فكون العدول من الاستعارة التي هي أبلغ إلى التشبيه الذي هو أدنى لفقدان القرينة ليس بعذر مع كثرة القرائن ، نحو أن يقال : حتى ينفلق الخيط الأبيض من الخيط الأسود ، أو يشرق ، أو يطلع ، لكن الجواب التام أن يقال : إن المعدول إليه وإن كان تشبيها لكنه بليغ لا يقصر عن مرتبة الاستعارة ؛ لأنه واقع [٧٧٦] على طريق التجريد ، كأنه جرد من الفجر نفس الخيط ، كقولك : رأيت أسدا منك ، قيل : وهو المراد من قوله : فكان تشبيها بليغا .

(٤٩٢/١)

فإن قلت: فكيف التبس على عدي بن حاتم مع هذا البيان حتى قال: (٩٥) عمدت إلى عقالين

أبيض وأسود فجعلتهما تحت وصادتي فكنت أقوم من الليل فأنظر إليهما فلا يتبين لي الأبيض من الأسود، فلما أصبحت غدوت إلى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فأخبرته، فضحك وقال: إن كان وصادك لعريضا" (١) وروي: "إنك لعريض القفا" إنما ذاك بياض النهار وسواد الليل؟ قلت: غفل عن البيان، ولذلك عرض رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قفاه، لأنه مما يستدل به على بلاهة الرجل وقلة فطنته. وأنشدتني بعض البدويات لبدوي(٢):

عريض القفا ميزانه في شماله***قد انحصر من حسب القواريط شاربه

(١) قوله: (إن كان وصادك لعريضا") كناية تلويحية ، فإن عرض الوسادة مشعر بعرض القفا ، وعرض القفا مشعر بالبلاهة ، وعريض القفا كناية رمزية .
)

(٢) قوله: (لبعض البدويات) قيل : هي أم كردس فاضل العرب تلميذ جابر الله وخادمه :
عريض القفا ميزانه في شماله*** قد انحص من حسب القراريط شاربه
أي : هو أحرق لا يهتدي لشيء ، وقد انحرد شعر شاربه من عد القراريط ، قيل : لأن الح
... ان يعد بالشفة ، وقيل : لأن المحاسب إذا أمعن في الحساب وتفكر فيه عض على شفتيه
وشاربه .
(٤٩٣/١)

فإن قلت: فما تقول فيما روي عن سهل بن سعد الساعدي: (٩٦) أنها نزلت ولم ينزل { من
الفجر } فكان رجال إذا أرادوا الصوم ربط أحدهم في رجله الخيط الأبيض والخيط الأسود،
فلا يزال يأكل ويشرب حتى يتبين له، فنزل بعد ذلك { من الفجر } فعلموا أنه إنما
يعني بذلك الليل والنهار؟ وكيف جاز تأخير البيان وهو يشبه العبث، حيث لا يفهم منه
المراد، إذ ليس باستعارة لفقد الدلالة، ولا بتشبيه قبل ذكر الفجر، فلا يفهم منه إذن
إلا الحقيقة وهي غير مرادة؟ قلت: أما من لم يجوز تأخير البيان - وهم أكثر الفقهاء
والمتكلمين، وهو مذهب أبي علي وأبي هاشم - فلم يصح عندهم هذا الحديث. وأما من
يجوزونه فيقول: ليس بعبث. لأن المخاطب يستفيد منه وجوب الخطاب(١)

(١) قوله: (لأن المخاطب يستفيد منه وجوب الخطاب) قيل : فيه نظر ؛ لن من يجوز تأخير
البيان يحمله على ظاهره لعدم القرينة الصارفة حينئذ ، وأجيب بأنك إن أردت القرينة
التفصيلية فمسلم ، ولكن لا يلزم من عدمها جواز الحمل على الظاهر ، وإن أردت
الاجمالية فلا يسلم انتفاؤها ، فإن البليغ لا يرضى بمثل هذا التركيب ، ألا ترى كيف
عنّف رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم عديا حين حمله على الظاهر ، وأقول : لقائل
أن يقول : إنما عنّفه بعد ورود قوله : { من الفجر } لغفلته إذ ذاك عن القرينة
التفصيلية ..
(٤٩٤/١)

ويعزم على فعله إذا استوضح المراد منه { ثم أتموا الصيام إلى الليل } قالوا: فيه
دليل على جواز النية بالنهار في صوم رمضان(١)،

(١) قوله: (فيه دليل على جواز النية بالنهار في صوم رمضان) ووجهه أن معنى قوله : { ثم أتموا الصيام } بعد قوله : { كلوا واشربوا حتى يتبين لكم الخيط الأبيض من الخيط الأسود } ائتوا بالصوم تاما ، فيكون الاتيان بالصوم مأمورا به بعد الفجر ، والنية مع الفعل فلزم إيقاع النية بعد الفجر ، قال صاحب التقريب : وفيه نظر ، إذ تقدم الغسل مع حل الوطء إلى الفجر غير ممكن دون تقدم النية ، ولا يستدل على العكس ، فإن الإتمام مأمور به بعد الفجر ، وهو مسبوق بالأمر بالشروع ، وهو إما بترك المفطر ، وهو لا يلزم قبل افجر ، وأما بالنية ، وهو المطلوب ؛ لأنا نقول : إن أردت بقولك : بعد الفجر عقيبه متصلا به فهو ممنوع ، إذ ثم للتراخي ، فيجوز أن يسبق الشروع بالنية إلى الإتمام ، وهو مع ذلك واقع بعد الفجر .

وأقول : أعلم أنه يمكن أن يستدل على جواز النية بالنهار بأنه إذا جاز تناول المفطرات فاستعمالها إلى الفجر يبين أنه لا يجب الصوم في جزء من الليل ، وهو ظاهر ، وحينئذ لا يجب الصوم إلا بالنهار ؛ لأن صوم الليل لا يجب لجواز إفطار جميع الليل ، وصوم النهار لا يجب أيضا بالليل لتعذره ، ولعدم وجوبه قبل دخول وقته ، وإذا لم يجب الصوم إلا في النهار لم تجب النية إلا فيه ، لأن وجوب النية فرع على وجوب الصوم بالقياس على سائر العبادات الشرعية ، أو نقول : إنما دل على جواز النية بالنهار ؛ لأن ثم للتراخي ، والإتمام المأمور به على سبيل التراخي إما بالنية ، أو بترك المفطر ؛ إذ لا ثالث ، لكن ترك المفطر يجب عقيب الفجر على الفور بالإجماع فتعين النية ، وأيضا ففي الفقهاء من قال بتجديد النية عقيب الأكل ، فعلى هذا إذا جاز الأكل إلى الفجر وجب تجديد النية بالنهار .

(٤٩٥/١)

وعلى جواز تأخير الغسل إلى الفجر ، وعلى نفي صوم الوصال { عاكفون في المساجد } معتكفون فيها . والاعتكاف أن يحبس نفسه في المسجد يتعبد فيه (١) . والمراد بالمباشرة

الجماع لما تقدم من قوله: { أحل لكم ليلة الصيام الرفث إلى نسائكم } ، { فالآن باشروهن } وقيل معناه: ولا تلامسوهن بشهوة ، والجماع يفسد الاعتكاف ، وكذلك إذا لمس أو قبل فأنزل . وعن قتادة كان الرجل إذا اعتكف خرج فباشر امرأته ثم رجع إلى المسجد ، فنهاهم الله عن ذلك . وقالوا: فيه دليل على أن الاعتكاف لا يكون إلا في مسجد ، وأنه لا يختص به مسجد دون مسجد . وقيل: لا يجوز إلا في مسجد نبي وهو أحد المساجد

(٢) قوله: (ويجوز أن يريد بحدود الله محارمه) عطف على قوله : تلك الأحكام التي ذكرت حدود الله ، والحدود ما منع من مخالفتها من الحد ، وهو المنع ، وسميت الأوامر والنواهي حدودا ؛ لأنه قد منع عن مخالفتها .

(٣) قوله: (وهي حدود لا تقرب) يشعر بأن الوجه الأول فيه نظر ، وتكلف ، والحذف يناسب كون المراد بالحدود المحارم ، ومعنى (ألحن بحجته من صاحبه) أقوم بها من صاحبه وأقدر عليها ، من ألحن بالتحريك للحاء ، وهو الفطنة ، وأما لحن الكلام فهو ساكن ، والتوخي : قصد الحق واعتماده ، والاستهام الاقتراع لم يقنع بالتوخي ، فضم إليه القرعة ؛ لأنها أقوى منه ، ثم أمرهما بالتحليل ، ليكون انفصالهما عن يقين ، وفي ذلك دليل على أن حكم القاضي لا ينفذ باطنا .
(٤٩٧/١)

ولا يأكل بعضكم مال بعض { بالباطل } بالوجه الذي لم ييحه الله ولم يشرعه. ولا { تدلوا بها } ولا تلقوا أمرها والحكومة فيها إلى الحكام { لتأكلوا } بالتحاكم { فريقا } طائفة { من أموال الناس بالإثم } بشهادة الزور، أو باليمين الكاذبة، أو بالصلح، مع العلم بأن المقضي له ظالم. وعن النبي صلى الله عليه وآله وسلم أنه قال للخصمين: (٩٨) "إنما أنا بشر وأنتم تختصمون إلي، ولعل بعضكم ألحن بحجته من بعض فأقضي له على نحو ما أسمع منه، فمن قضيت له بشيء من حق أخيه فلا يأخذن منه شيئا، فإنما أفضي له قطعة من نار" فبكيا وقال كل واحد منهما: حقي لصاحبي. فقال:

"اذهبا فتوخيا، ثم استهمل ثم ليحلل كل واحد منكما صاحبه" وقيل: { وتدلوا بها } وتلقوا بعضها إلى حكام السوء على وجه الرشوة. وتدلوا: مجزوم داخل في حكم النهي، أو منصوب بإضمار أن، كقوله: { وتكتموا الحق } . { وأنتم تعلمون } أنكم على الباطل، وارتكاب المعصية مع العلم بقبحها أقبح، وصاحبه أحق بالتوبيخ. (٩٩) وروي أن معاذ بن جبل وثعلبة بن غنم الأنصاري قالا: يا رسول الله، ما بال الهلال يبدو دقيقا مثل الخيط ثم يزيد حتى يمتلىء ويستوي، ثم لا يزال ينقص حتى يعود كما بدا لا يكون على حالة واحدة؟ فنزلت: { مواقيت } معالم يوقت بها الناس مزارعهم ومتاجرهم ومحال ديونهم وصومهم وفطرهم وعدد نسائهم وأيام حيضهن ومدد حملهن وغير ذلك، ومعالم للحج يعرف بها

وقته. كان ناس من الأنصار إذا أحرموا لم يدخل أحد منهم حائطا ولا دارا ولا فسطاطا من باب، فإذا كان من أهل المدر نقب نقبا في ظهر بيته منه يدخل ويخرج، أو يتخذ سلما

يصعد فيه؛ وإن كان من أهل الوبر خرج من خلف الخباء فقليل لهم: { ليس البر } بتخرجكم من دخول الباب { ولكن البر } بر { من اتقى } ما حرم الله. فإن قلت: ما وجه اتصاله بما قبله؟ قلت: كأنه قيل (١)

(١) قوله: (كأنه قيل) اعلم أنه أجاب بثلاثة أجوبة.. الجواب الأول: أنه من باب

الأسلوب الحكيم، وهي تلقي السائل بغير يطلب، بتنزيل سؤاله منزلة غيره لينبه على تعديده عن سؤال هو أليق بحاله، وأهلم له إذا تأمل، وإليه الإشارة بقوله، فدعوا السؤال إلى آخره.

والثاني: أنه من باب الاستطراد، وهو في الأصل أن يطرد الصائد صيدا، ثم يعرض له آخر فيطرده ويصيده، لا على سبيل القصد أولا، ثم استعير لما يقع في الكلام من نحو ذلك، وهو أن يذكر غير ما سيق له الكلام، إذا تعلق به بوجه من الوجوه، وبيان كونه استطرادا؛ لأن السؤال لما كان عن الأهلة، وأجيبوا بذكر المواقيت، ومن جملتها

ميقات الحج، أورد بعض أفعالهم التي كانوا يفعلونها فيه.

والثالث: أنه من قبيل ما لا يستحق الجواب من الأسئلة، لأن الواجب عليهم أن يسألوا عما يفهمهم من منافع الأهلة، وفوائدها ليعملوا بمقتضاها ففكسوا، وسألوا عن أحوالها، أي: مثلهم في العدول عن الطريق المستقيم، كمثل من لا يدخل بيته من بابه، ويدخله من ظهره، قيل: ويحتمل جعل هذا الجواب الضامن الأسلوب الحكيم، والجواب الثاني أوفق لتأليف النظم؛ لأنه تعالى لما استطرذ ذكر عمل من أعمالهم في الحج، وبين قبحه، وبين أن التقوى في عكس ذلك عم التقوى بقوله: { واتقوا الله لعلكم تفلحوا } فاندرج فيها جميع ما يجب اعتباره فيها من الأفعال، والتوقي، فعطف على { واتقوا } بعض ما كان مشتملا عليه، وهو القتال، إشارة إلى الاهتمام بشأنه بحسب الوقت والمفارقة والمخالطة.

(١/٤٩٨)

لهم عند سؤالهم عن الأهلة وعن الحكمة في نقصانها - وتاممها معلوم -: أن كل ما يفعله الله عز وجل لا يكون إلا حكمة بالغة ومصلحة لعباده، فدعوا السؤال عنه وانظروا في واحدة تفعلونها أنتم مما ليس من البر في شيء وأنتم تحسبونها برا. ويجوز أن يجري ذلك على طريق الاستطراد لما ذكر أنها مواقيت للحج، لأنه كان من أفعالهم في الحج. ويحتمل أن يكون هذا لتعكيستهم في سؤالهم، وأن مثلهم فيه كمثل من يترك باب البيت

ويدخله من ظهره. والمعنى: ليس البر وما ينبغي أن تكونوا عليه بأن تعكسوا في مسائلكم، ولكن البر من اتقى ذلك وتجنبه ولم يجسر على مثله. ثم قال: { وأتوا البيوت من أبوابها } أي وباشروا الأمور من وجوهها التي يجب أن تباشر عليها ولا تعكسوا. والمراد وجوب توطين النفوس وربط القلوب على أن جميع أفعال الله حكمة وصواب، من غير اختلاج شبهة ولا اعتراض شك في ذلك حتى لا يسأل عنه؛ لما في السؤال من الاتهام بمقارفة الشك { لا يسأل عما يفعل وهم يسألون } .

(٤٩٩/١)

* يسألونك عن الأهلة قل هي $uqtB''\%d\grave{a}M$ للناس والحج وليس البر بأن تأتوا البيوت من

ظهورها ولكن البر من اتقى وأتوا البيوت من $\&uq/r''/yg\$$ واتقوا الله لعلكم $\grave{e}?$ (189=sdscqك) وقاتلوا في سبيل الله الذين يقاتلونكم ولا تعتدوا إن الله لا يحب المعتدين (١٩٠) واقتلوهم ك xm ثقفتموهم $N\grave{e}dq$ مـ حج $ur\&zr\div$ من ك xm $\&zr\div$ $u\_mq.N$

والفتنة أشد من القتل ولا تقاتلوهم عند $ut\grave{u}:\$ \#$ $Q\#u$ $\#\$pR\grave{u}Q,f\grave{a}\%o$ $s39\$ \#$ (191"حج $y\_z`f"u\#!$ $xx.\hat{a}''y7$ فيه فإن قاتلوكم فاقتلوهم $\#\$qpkyJR\#$)

فإن الله غفور رحيم (١٩٢) وقاتلوهم $Lxm\textcircled{R}$ لا تكون $\grave{u}dpsY\div F\times$ ويكون الدين لله فإن

$\#\$qpkyJR\#$ فلا $\%otb''ur\hat{o}$ مم إلا على الظالمين (١٩٣) {

(٥٠٠/١)

المقاتلة في سبيل الله: هو الجهاد لإعلاء كلمة الله وإعزاز الدين { الذين يقاتلونكم } الذين ينجزونكم (١) القتال دون المحاجزين. وعلى هذا يكون منسوخا بقوله: { وقاتلوا المشركين كافة } (التوبة: ٣٦). وعن الربيع بن أنس رضي الله عنه: هي أول آية نزلت في القتال بالمدينة فكان رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم يقاتل من قاتل ويكف عمن كف. أو الذين يناصرونكم القتال دون من ليس من أهل المناسبة من الشيوخ والصبيان الرهبان والنساء. أو الكفرة كلهم لأنهم جميعا مضادون للمسلمين قاصدون لمقاتلتهم،

فهم في حكم المقاتلة، قاتلوا أو لم يقاتلوا. وقيل: لما صد المشركون رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم عليه وعلى آله وسلم عام الحديبية وصالحوه على أن يرجع من قابل فيخلوا له مكة ثلاثة أيام فرجع لعمره القضاء، خاف المسلمون أن لا يفي لهم قريش ويصدوهم ويقاتلوهم في الحرم وفي الشهر الحرام وكرهوا ذلك نزلت (٢) وأطلق لهم قتال الذين يقاتلونهم منهم في الحرم والشهر الحرام، ورفع عنهم الجناح في ذلك { ولا تعتدوا } بابتداء القتال أو بقتال من نهيتهم عن قتاله من النساء والشيخ والصبيان والذين بينكم وبينهم عهد أو بالمثل أو بالمفاجأة من غير دعوة { حيث ثقفتموهم } حيث وجدتموهم في حل أو حرم. والثقف وجود على وجه الأخذ والغلبة. ومنه: رجل ثقف، سريع الأخذ لأقرانه. قال:

(١) قوله: (الذين يناجزونكم) فسر المقاتلين بالمبارزين دون المحاجزين ، وثانيا بمن يصح منهم القتال دون من لا يصح ، وثالثا : بالمضادين ، وهم الكفرة كلهم ، والمراد بالمقاتلين المضادين مجازا ، ومعنى يناصبونكم : يعادونكم .
(٢) قوله : (نزلت) وفي بعض النسخ (فنزلت) فعلى هذا جواب لما قوله (خاف) وإذا كان جواب لما نزلت ، فالصواب أن يكون حاف بالواو لم يرو ..
(١/٢)

فإما تثقفونني فاقتلوني*** فمن أثقف فليس إلى خلود(١)
{ من حيث أخرجوكم } أي من مكة وقد فعل رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بمن لم يسلم منهم يوم الفتح { والفتنة أشد من القتل } أي المحنة والبلاء الذي ينزل بالإنسان يتعذب به أشد عليه من القتل. وقيل لبعض الحكماء: ما أشد من الموت؟ قال: الذي يتمنى فيه الموت، جعل الإخراج من الوطن من الفتن والمحن التي يتمنى عندها الموت. ومنه قول القائل:

لقتل بحد السيف أهون موقعا*** على النفس من قتل بحد فراق(٢)
وقيل: (الفتنة) عذاب الآخرة { وذوقوا فنتكم } وقيل: الشرك أعظم من القتل في الحرم، وذلك أنهم كانوا يستعظمون القتل في الحرم ويعيبون به المسلمين، فقيل: والشرك الذي هم عليه أشد وأعظم مما يستعظمونه. ويجوز أن يراد: وفتنتهم إياكم بصدكم عن المسجد الحرام أشد من قتلهم إياهم في الحرم، أو من قتلهم إياكم إن قتلوكم فلا تبالوا بقتالهم. وقرئ: "ولا تقتلوهم حتى يقتلوكم"، فإن قتلوكم: جعل وقوع القتل في بعضهم

كوقوعه فيهم. يقال: قتلنا بنو فلان. وقال:

فإن تقتلونا نقتلكم(٣)

}

(١) قوله: (فإما تثقفوني فاقتلوني***فمن أثقف فليس إلى خلود)

اسم ليس ضمير يرجع إلى من يقول : إن تجدوني أيها الأعداء ، وتقدروا على غلبي

فاقتلوني ، فمن أجده منكم فليس هو صائر إلى خلود ، أي : لا بقاء له .

(٢) قوله:

(لقتل بحد السيف أهون موقعا***على النفس من قتل بحد فراق)

أي : قطع الأوصال أهون من قطيعة الوصال ، وضرب الرقاب أيسر [٧٧٨] أيسر من مفارقة

الأحباب .

(٣) قوله: (فإن تقتلونا نقتلكم) لم أظفر بتمامه

(٢/٢)

فإن انتهوا { عن الشرك والقتال، كقوله: { إن ينتهوا يغفر لهم ما قد سلف { حتى لا

تكون فتنة { أي شرك { ويكون الدين لله { خالصا ليس للشيطان فيه نصيب(١) { فإن

انتهوا { عن الشرك { فلا عدوان إلا على الظالمين { فلا تعدوا على المنتهين(٢)

(١) قوله: ({ ويكون الدين لله { خالصا ليس للشيطان فيه نصيب) الخلوص علم من اللام

في لله مع تعريف الدين ، ولهذا فسر الفتنة بالشرك ، حيث وقع مقابلة له ، وتفسيره

الفتنة هنا بالشرك يدل على أن الفتنة السابقة ليس المراد بها الشرك ، وأن هذه

الفتنة غير تلك ؛ إذ لو كانت عينها لجاءت معرفة مثلها ، ولو جاءت الأولى نكرة ،

والثانية نكرة لكانت الثانية غير الأولى بين النكرة ، إذا أعيدت ولم يرد بها

التكرار وجب تعريفها ؛ لأنها حينئذ معهودة ، ولا يجوز تنكير الشيء بعد تعريفه ، بل

الجائز والواقع هو العكس .

(٢) قوله: ({ فلا عدوان إلا على الظالمين { فلا تعدوا على المنتهين) يريد أن قوله

{ فلا عدوان إلا على الظالمين { كناية إيمائية عن فلا تعتدوا على المنتهين .

وقوله:(لأن مقاتلة المنتهين عدوان) تعليل لوضع إلا على الظالمين { موضع المنتهين ،

يعني مقاتلة المنتهين عدوان وظلم ، ومقاتلة الظالمين غير المنتهين حق وصواب ، وأصل الكلام : فإن انتهوا عن الفتنة فلا تقاتلوهم ، فلا عدوان عليهم ، ثم فلا عدوان على المنتهين ، ثم كنى عن هذا المعنى بقوله : { فلا عدوان إلا على الظالمين } فقول المصنف فوضع قوله كذا موضع كذا ، معناه أن مآله إليه راجع .
(٣/٢)

لأن مقاتلة المنتهين عدوان وظلم، فوضع قوله: { إلا على الظالمين } موضع على المنتهين. أو فلا تظلموا(١) إلا الظالمين غير المنتهين، سمي جزاء الظالمين ظلما للمشاكلة، كقوله تعالى: { فمن اعتدى عليكم فاعتدوا عليه } أو أريد(٢) أنكم إن تعرضتم لهم بعد الانتهاء كنتم ظالمين فيسلط عليكم من يعدو عليكم.
}

(١) قوله: (أو فلا تظلموا) عطف على قوله: (فلا تعتدوا) فعلى هذا { إلا على الظالمين } قار في موضعه ، لكن فلا عدوان وضع موضع لا تقاتلوا ، ولا تفرضوا على سبيل المشاكلة بحسب المعنى ، ولهذا قال : فلا تظلموا إلا الظالمين ، ومعنى الحصر على هذا ، فإن انتهوا فلا تقاتلوهم ، وقاتلوا غيرهم ، فوضع لا تظلموا موضع لا تقاتلوا للمشاكلة ، والفرق بين هذا الوجه والأول هو أن قوله { فلا عدوان } الأول كناية عن قوله : فلا تقاتلوهم على سبيل المبالغة ، وعلى الثاني مشاكلة لمجرد تحسين الكلام ، وأن النهي عن العدوان على المنتهين على الأول مقصودون ما يعطيه اللفظ من معنى العدوان على الغير بالحصر ؛ لأن الكناية لا توجب إثبات التصريح كما تقول : فلان طويل النجاد ، فإنه لا يوجب إثبات نجاده وطوله ، وعلى الثاني النهي عن مقاتلتهم ، وإثباتها للغير مقصودان .

(٢) قوله: (أو أريد) وجه آخر على تقدير كون الفاء في فلا جزاء الشرط مقدر لا لهذا المذكور ، يعني : قاتلوهم حتى لا تكون فتنة ، فإن انتهوا عن الفتنة فلا تتعرضوا لهم ، فإنكم إن تعرضتم كنتم ظالمين ، وإذا كنتم ظالمين فلا عدوان إلا عليكم ، فوضع الظالمين موضع المضمر إشعارا بالغلبة ، وقول المصنف : يتسلط من يعدو عليكم ، حاصل المعنى .

قوله : قاتلوهم المشركون عام الحديبية) قيل : فيه نظر ؛ لأن عام الحديبية لم يكن فيه قتال ، بل كان صد ، وأقول : لم لا يجوز تسمية العزم على القتال مع الصد قتالا ، على

أنه قد روي انه كان بينهم في ذلك العام ترام .

(٤/٢)

مج÷#kO9\$#م P#u#ج utù:\$# ح÷kO9\$\$خ/ دQ#u#ج utù:\$#

M`àB"مجur#çtù:\$# قصاص فمن اعتدى عليكم

فاعتدوا عليه بمثل ما اعتدى عليكم واتقوا الله (#ûq#Jn=ô#م ur# \$ أن الله مع المتقين

{ (١٩٤)

قاتلهم المشركون عام الحديبية في الشهر الحرام وهو ذو القعدة، فقبل لهم عند خروجهم

لعمره القضاء وكراهم القتال وذلك في ذي القعدة: { الشهر الحرام بالشهر الحرام {

أي هذا الشهر بذلك الشهر وهتكه بهتكه، يعني تهتكون حرمة عليهم كما هتكوا حرمة

عليكم { والحرمة قصاص { أي وكل حرمة يجري فيها القصاص من هتك حرمة إي حرمة

كانت،

اقتص منه بأن تهتك له حرمة، فحين هتكوا حرمة شهركم فافعلوا بهم نحو ذلك ولا تبالوا،

وأكد ذلك بقوله { فمن اعتدى عليكم فاعتدوا عليه بمثل ما اعتدى عليكم واتقوا الله {

في حال كونكم منتصرين ممن اعتدى عليكم، فلا تعتدوا إلى ما لا يحل لكم.

{ وأنفقوا في سبيل الله ولا تلقوا بأيديكم إلى د #J9\$=è3ps إلى

qû#م(،Z ur&ômr إن

الله يحب المحسنين (١٩٥) {

(٥/٢)

الباء في { بأيديكم { مزيدة مثلها في أعطى بيده للمنقاد. والمعنى: ولا تقبضوا

التهلكة بأيديكم(١)، أي لا تجعلوها آخذة بأيديكم مالكة لكم. وقيل: (بأيديكم)

بأنفسكم: وقيل تقديره: ولا تلقوا أنفسكم بأيديكم، كما يقال: أهلك فلان نفسه بيده،

إذا تسبب لهلاكها. والمعنى: النهي عن ترك الإنفاق في سبيل الله لأنه سبب الهلاك، أو

عن الإسراف في النفقة حتى يفقر نفسه ويضيع عياله. أو عن الاستقتال والإضرار بالنفس،

أو عن ترك الغزو الذي هو تقوية للعدو. وروي: (١٠٠) أن رجلا من المهاجرين حمل على

صف

العدو فصاح به الناس: ألقى بيده إلى التهلكة. فقال أبو أيوب الأنصاري: نحن أعلم

بهذه الآية، وإنما أنزلت فينا، صحبنا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فنصرناه.

وشهدنا معه المشاهد، وآثرناه على أهاليها وأموالنا وأولادنا، فلما فشا الإسلام وكثر

أهله ووضعت الحرب أوزارها، رجعنا إلى أهاليها وأولادنا وأموالنا نصلحها ونقيم فيها.
فكانت التهلكة الإقامة في الأهل والمال وترك الجهاد. وحكى أبو علي في (الحلبيات) عن
أبي عبيدة، التهلكة والهلاك والهلك واحد. قال: فدل هذا من قول أبي عبيدة على أن
التهلكة مصدر. ومثله ما حكاه سيبويه من قولهم التضرة والتسرة ونحوها في الأعيان:
التنضبة والتنفلة. ويجوز أن يقال: أصلها التهلكة كالتجربة والتبصرة ونحوهما، على
أنها مصدر من هلك فأبدلت من الكسرة ضمة، كما جاء الجوار في الجوار.
}

(١) قوله: (والمعنى: ولا تقبضوا التهلكة بأيديكم) بيان لطريق المجاز ، أي : لا
تجعلوا التهلكة مسلطة عليكم فتأخذكم كما يأخذ المالك القاهر يد مملوكه ، فسيل هذا
المجاز سبيل الاستعارة بالكناية ، والاستقتال : الاستسلام للقتل ، والتضرة والتسرة
: الضرر والسرور . والتنضبة [٧٧٩] واحدة التنضب ، وهو شجر يتخذ منه القسي ،
والتنفلة : ولد الثعلب .
(٦/٢)

وَأَتَمُوا ↑ nouç kutù: \$ # urK÷ç è9\$# نè؟&ôméا فما استيسر من
الهدي ولا
(qà#)=trB رءوسكم ءLxm® يبلغ الهدى محله فمن كان منكم مريضا أو به أذى
من رأسه
ففدية من صيام أو صدقة أو نسك فإذا أمتتم فمن تمتع ouç÷ç è9\$#م/خ إلى
ئ\$:#dkutù فما
استيسر من الهدى فمن لم يجد فصيام ثلاثة &Q\$fro في ئ\$:#dkutù وسبعة إذا
رجعتم تلك
عشرة ط's#دy7. x%B%٩dCE s لمن لم يكن أهله "خزائر xm\$%٥f،#9\$yJ
↑Q#utù\$# واتقوا
الله {#↑Jn=ô#ur أن الله شديد العقاب (١٩٦) }
وَأَتَمُوا الْحَجَّ وَالْعُمْرَةَ لِلَّهِ { اتَّوَا بِهِمَا تَامِينَ كَامِلِينَ (١) } بِمَنَاسِكَهُمَا وَشَرَائِطَهُمَا لَوَجْهِ
اللَّهِ مِنْ غَيْرِ تَوَانٍ وَلَا نَقْصَانٍ يَقَعُ مِنْكُمْ فِيهِمَا. قَالَ:
تمام الحج أن تقف المطايا***على خرقاء واضعة اللثام(٢)

(١) قوله: (تامين كاملين) إتمام العبادات من حيث الصورة أن يؤتى بها على وجه يسقط بها عن مؤديها القضاء ظاهرا ، ومن حيث الحقيقة هو أن تكون مقبولة عند الله ، بأن

تكون كاملة بأركانها وشرائطها وهيئاتها وسننها ، وتكون بريئة من الرياء ، وقد أشار إلى ذلك بقوله : بمناسكها وشرائطها لوجه الله .. إلى آخره .

(٢) قوله: (تمام الحج أن تقف المطايا***على خرقاء واضعة اللثام)

البيت لذي الرمة ، وخرقاء اسم محبوبته ، ومعنى واضعة اللثام : مسفرة .

(٧/٢)

جعل الوقوف عليها كبعض مناسك الحج الذي لا يتم إلا به. وقيل: إتمامها أن تحرم بهما من دويرة أهلك (١)، روى ذلك عن علي وابن عباس وابن مسعود رضي الله عنهم. وقيل: أن تفرد لكل واحد منها سفرا كما قال محمد: حجة كوفية وعمرة كوفية أفضل. وقيل: أن تكون النفقة حلالا. وقيل: أن تخلصوهما للعبادة ولا تشوبوهما بشيء من التجارة والأغراض الدنيوية. فإن قلت: هل فيه دليل على وجوب العمرة؟ قلت: ما هو إلا أمر بإتمامهما، ولا دليل في ذلك على كونهما واجبين أو تطوعين، فقد يؤمر بإتمام الواجب والتطوع جميعا، إلا أن تقول: الأمر بإتمامهما أمر بأدائهما (٢)، بدليل قراءة من قرأ "وأقيموا الحج والعمرة" والأمر للوجوب في أصله، إلا أن يدل دليل على خلاف الوجوب كما دل في قوله { فاصطادوا } (المائدة: ٢) { فانتشروا } (الأحزاب: ٥٣) ونحو ذلك، فيقال لك: فقد دل الدليل على نفي الوجوب، وهو ما روي: (١٠١) أنه قيل: يا رسول الله: العمرة واجبة مثل الحج؟ قال: "لا، ولكن أن تعتمر خير لك" وعنه: (١٠٢) "الحج جهاد والعمرة تطوع". فإن قلت: فقد روي عن ابن عباس رضي الله عنه أنه قال: إن العمرة لقريئة الحج. وعن عمر رضي الله عنه: (١٠٣) أن رجلا قال له: إني وجدت الحج والعمرة مكتوبين علي، أهملت بهما جميعا فقال: "هديت لسنة نبك". وقد نظمت مع الحج في الأمر بالإتمام فكانت واجبة مثل الحج؟ قلت: كونها قريئة للحج أن القارن يقرن بينهما، وأنهما يقتربان في الذكر فيقال: حج فلان واعتمر والحجاج والعمار، ولأنها الحج الأصغر، ولا دليل في ذلك على كونها قريئة له في الوجوب.

)

(١) قوله: (أن تحرم بهما من دويرة أهلك) قيل : المراد إذا أمكن الإحرام بهما

والمسير من دويرة أهله في أشهر الحج ، وإلا لم يصح .

(٢) قوله: (الأمر بإتمامهما أمر بأدائهما) على أن ما لا يتم الواجب إلا به ، وكان مقدورا فهو واجب .

(٨/٢)

وأما حديث عمر رضي الله عنه فقد فسر الرجل كونهما مكتوبين عليه بقوله: أهلت بهما(١)، وإذا أهل بالعمرة وجبت عليه كما إذا كبر بالتطوع من الصلاة. والدليل الذي ذكرناه أخرج العمرة من صفة الوجوب فبقي الحج وحده فيها، فهما بمنزلة قولك: صم شهر رمضان وستة من شوال، في أنك تأمره بفرض وتطوع. وقرأ علي وابن مسعود والشعبي رضي الله عنهم "والعمرة لله" بالرفع، كأنهم قصدوا بذلك إخراجها عن حكم الحج(٢) وهو الوجوب { فإن أحصرتم } يقال: أحصر فلان، إذا منعه أمر من خوف أو مرض أو عجز. قال الله تعالى: { الذين أحصروا في سبيل الله } . وقال ابن ميادة(٣):

(١) قوله: (فقد فسر الرجل كونهما مكتوبين عليه بقوله: أهلت بهما) إذ أن قوله : أهلت بهما استفتاء ، أو لبيان الموجب ، المعنى وجدتهما مكتوبين ، ولأنني أهلت بهما .

(٢) قوله: (كأنهم قصدوا بذلك إخراجها عن حكم الحج) يعني قطعوا العمرة عن مشاركتها الحج في الإتمام ، وجعلوها مع الجار والمجرور جملة أخرى إخبارية مستقلة ليؤذن باختلاف حكمهما ، وقيل : هذا القطع يشعر بشدة الاهتمام بشأن العمرة ؛ لأنهم يعدلون من الانشائية إلى الاخبارية لقصد المبالغة سيما وقد أتى بالجملة اسمية مع لام الاختصاص ، ولنا أن نقول : المبالغة والاختصاص لا يدلان على الوجوب لاحتمال أنه إنما فعل ذلك بسبب أن العمرة مظنة التقصير ، لعدم وجوبها بخلاف الحج فإنه و(٣) فليس بمظنة للتقصير ، وقريب من هذا في المعنى أنه قال في قوله تعالى : { من بعد وصية يوصي بها أودين } إنما قدمت الوصية على الدين في الذكر وإن كان مقدما عليها ؛ لأنها مظنة للتقصير بخلاف الدين .

)

(٣) قوله: (وقال ابن ميادة :

وما هجر ليلى أن تكون تباعدت***عليك ولا أن أحصرتك شغول
يقول : ليس الهجر من جانب الحبيبة تباعدها لحاجة ، أو منع وحبس أشغال من جانبك ، وإنما الهجر هو الصدود عن اختيار .

قوله : (هذا هو الأكثر) إشارة إلى ما ذكر من الفرق بين أحصر وحصر .
(٩/٢)

وما هجر ليلي أن تكون تباعدت***عليك ولا أن أحصرتك شغول
وحصر: إذا حبسه عدو عن المضي، أو سجن. ومنه قيل للمحبس: الحصر. وللملك،
الحصر،
لأنه محجوب. هذا هو الأكثر في كلامهم، وهما بمعنى المنع في كل شيء، مثل صده وأصده.
وكذلك قال الفراء وأبو عمرو الشيباني، وعليه قول أبي حنيفة رحمهم الله تعالى، كل
منع عنده من عدو كان أو مرض أو غيرهما معتبر في إثبات حكم الإحصار. وعند مالك
والشافعي منع العدو وحده. وعن النبي صلى الله عليه وآله وسلم (١٠٤) "من كسر أو
عرج (١) فقد حل وعليه الحج من قابل". { فما استيسر من الهدى } فما تيسر منه. يقال:
يسر الأمر واستيسر، كما يقال: صعب واستصعب. والهدي جمع هدية، كما يقال في جدية
السرج جدي، وقرئ: "من الهدى" بالتشديد جمع هدية كمطية ومطي. يعني فإن منعتم من
المضي إلى البيت وأنتم محرمون بحج أو عمرة، فعليكم إذا أردتم التحلل ما استيسر من
الهدى من بغير أو بقرة أو شاة، فإن قلت: أين ومتى ينحر هدي المحصر؟ قلت: إن كان
حاجا فبالحرم متى شاء عند أبي حنيفة يبعث به، ويجعل للمبعوث على يده (٢)

(١) قوله: (من كسر أو عرج) يقال: عرج بالفتح يعرج عرجا إذا غمز من شيء أصابه ،
وعرج بالكسر يعرج عرجا إذا صار أعرج ، أو كان خلقة فيه .
وجدية السرج . بالدال المهملة : شيء محشو تحت دفتي السرج ، وكذا جدية الرجل ، وهما
حديثان ، والجمع جدي .

(٢) قوله: (للمبعوث على يده) الضمير في يده راجع إلى اللام لأنه بمعنى الذي ،
والجار والمجرور مفعول للمبعوث أقيم مقام الفاعل .

قوله : (يوم أمار) مفعول يجعل ، والأمار والإمارة : العلامة ، وقيل : الإمار جمع
الإمارة ، أي : تقول للمبعوث على يده : انحر يوم كذا ، فإذا جاء ذلك اليوم وغلب على
ظنه أنه نحر يتحلل .
(١٠/٢)

يوم أمار وعندهما (١) في أيام النحر وإن كان معتمرا فبالحرم في كل وقت عندهم جميعا.
و (ما استيسر) رفع بالابتداء، أي فعله ما استيسر. أو نصب على: فاهدوا ما استيسر {
ولا تحلقوا رؤوسكم} الخطاب للمحصرين: أي لا تحلقوا حتى تعلموا أن الهدى الذي
بعثتموه إلى الحرم بلغ { محله } أي مكانه الذي يجب نحره فيه. ومحل الدين وقت وجوب
قضائه (٢)، وهو ظاهر على مذهب أبي حنيفة رحمه الله. فإن قلت: (١٠٥) إن النبي صلى
الله عليه وآله وسلم نحر هديه حيث أحصر؟ قلت: كان محصره طرف الحديبية الذي إلى
أسفل

مكة وهو من الحرم، وعن الزهري: (١٠٦) أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال له:
"لعلك أذاك هوامك"؟ قال: نعم يا رسول الله. قال) "أحلق رأسك وصم ثلاثة أيام، أو
أطعم ستة مساكين، أو انسك شاة" وكان كعب يقول: في نزلت هذه الآية، وروي: (١٠٨) أنه
مر به وقد قرح رأسه فقال: "كفى بهذا أذى" وأمره أن يحلق ويطعم، أو يصوم. والنسك
مصدر، وقيل جمع نسيكة. وقرأ الحسن: أو "نسك"، بالتخفيف { فإذا أمنتهم } الإحصار،
يعني فإذا لم تحصروا وكنتم في أمن وسعة { فمن تمتع } أي استمتع { بالعمرة إلى الحج
{ واستمتع بالعمرة إلى وقت الحج: انتفاعه بالتقرب بها إلى الله تعالى قبل
الانتفاع بتقربه بالحج.

(١) قوله: (وعندهما) أي: عند مالك والشافعي، وقيل: عند أبي يوسف ومحمد، فهما لم
يخالفا في المكان، وخالفا في الزمان، يعني مع أبي حنيفة.
(٢) قوله: (ومحل الدين وقت وجوب قضائه) يعني لفظ المحل مشترك بين المكان والزمان،
والذي عليه الكلام هنا هو المكان؛ لأن المراد لا تحلقوا حتى تعلموا أن الهدى الذي
]

٧٨٠] بعثتموه إلى الحرم بلغ مكانه الذي يجب نحره فيه، وهو المراد من قوله: وهو
ظاهر مذهب أبي حنيفة، ولو جعل للزمان لكان بالغا محله في الحال، وهو أن يذبح متى
أحضر.

(١١/٢)

وقيل: إذا حل من عمرته انتفع باستباحة ما كان محرما عليه إلى أن يحرم من الحج { فما
استيسر من الهدى } هو، هدي المتعة، وهو نسك عند أبي حنيفة ويأكل منه. وعند الشافعي:
يجري مجرى الجنايات ولا يأكل منه، ويذبحه يوم النحر عندنا. وعنده يجوز ذبحه إذا

أحرم بحجته (١) { فمن لم يجد { الهدي { فعليه { } صيام ثلاثة أيام في الحج { أي في وقته وهو أشهره ما بين الإحرامين إحرام العمرة وإحرام الحج، وهو مذهب أبي حنيفة رحمه الله. والأفضل أن يصوم يوم التروية وعرفة ويوما قبلهما، وإن مضى هذا الوقت لم يجزئه إلا الدم. وعند الشافعي: لا تصام إلا بعد الإحرام بالحج تمسكا بظاهر قوله: { في الحج { (٢) { وسبعة إذا رجعتكم { بمعنى إذا نفرتم وفرغتم من أفعال الحج عند أبي حنيفة، وعند الشافعي: هو الرجوع إلى أهاليهم. وقرأ ابن أبي عتبة "وسبعة" بالنصب عطفا على محل ثلاثة أيام، وكأنه قيل: فصيام ثلاثة أيام، كقوله: { أو إطعام في يوم ذي مسبغة يتيما { (البلد: ١٥) فإن قلت: فما فائدة الفذلكة؟ قلت: الواو قد تجيء للإباحة في نحو قولك: جالس الحسن وابن سيرين. ألا ترى أنه لو جالسهما جميعا أو واحدا منهما كان ممثلا ففذلكت نفيا لتوهم الإباحة، وأيضا ففائدة الفذلكة (٣)

(١) قوله: (بحجته) بكسر الحاء ، والحج بالكسر : الاسم ، والحجة . بالكسرة . المرة الواحدة ، وهو من الشواذ .
(٢) قوله: (تمسكا بظاهر قوله: { في الحج {) أي: في حال اشتغالكم بأعمال الحج .
(٣) قوله: (والفذلكة) هي في الحساب الإجمال بعد التفصيل ، وذلك بأن يذكر تفاصيل ، ثم يجمال ، ويكتب في مؤخره فذلك كذا وكذا .

قوله: (علمان خير من علم) قال الميداني : أصله أن رجلا وابنه سلكا طريقا ، فقال

الرجل : يا بني استبحث لنا عن الطريق ، قال : إني عالم ، قال : يا بني علمان خير من علم ، فضرب مثلا في مدح المشاورة والبحث .
(١٢/٢)

في كل حساب أن يعلم العدد جملة كما علم تفصيلا ليحاط به، ومن جهتين، فيتأكد العلم. وفي أمثال العرب: علمان خير من علم، وكذلك { كاملة { تأكيد آخر. وفيه زيادة توصية بصيامها وأن لا يتهاون بها ولا ينقص من عددها، كما تقول للرجل إذا كان لك اهتمام بأمر تأمره به وكان منك بمنزل: الله الله لا تقصر. وقيل: كاملة في وقوعها بدلا من الهدي. وفي قراءة أبي: "فصيام ثلاثة أيام متتابعات" { ذلك لمن لم يكن أهله حاضري المسجد الحرام واتقوا الله واعلموا أن الله شديد العقاب { إشارة إلى التمتع، عند أبي حنيفة وأصحابه. لا متعة (١) ولا قران لحاضري المسجد الحرام عندهم، ومن تمتع منهم

أو قرن كان عليه دم وهو دم جنابة لا يأكل منه؛ وأما القارن والمتمتع من أهل الآفاق فدمهما دم نسك يأكلان منه. وعند الشافعي: إشارة إلى الحكم الذي هو وجوب الهدى أو الصيام ولم يوجب عليهم شيئا. وحاضرو المسجد الحرام: أهل المواقيت فمن دونها إلى مكة عند أبي حنيفة. وعند الشافعي: أهل الحرم ومن كان من الحرم على مسافة لا تقصر فيها الصلاة (٢) { واتقوا الله { في المحافظة على حدوده وما أمركم به ونهاكم عنه في الحج وغيره { واعلموا أن الله شديد العقاب { لمن خالف ليكون علمكم بشدة عقابه لطفًا لكم في التقوى.

}

(١) قوله: (لا متعة) جملة مستأنفة منفية ، كقوله : ذلك . إشارة إلى التمتع عند أبي حنيفة ، كأن قائلًا قال : إذا كان ذلك فما حكم حاضري المسجد الحرام قيل : لا متعة ، ولا قران لحاضري المسجد الحرام عملاً بالمفهوم .
(٢) قوله: (لا تقصر فيها الصلاة) في نسخة العربي ، وفي نسخة الصمصام بغير لا ، والأول موافق لمذهب الشافعي ، لأن كل من مسكنه دون مسافة القصر حوالي مكة فهو من الحاضرين .

(١٣/٢)

گ#\$:kutù أشهر معلومات فمن uع uچ sù فيهن #\$:kutù فلا رث ولا -s
ف،èù ولا جدال في

الحج وما تفعلوا من خير يعلمه الله (#ر كٹ s?ur"ru فإن خير الزاد التقوى واتقون يا أولي الألباب (١٩٧) {

أي وقت الحج { أشهر { كقولك: البرد شهران. والأشهر المعلومات: شوال وذو القعدة وعشر

ذي الحجة عند أبي حنيفة. وعند الشافعي: تسع ذي الحجة وليلة يوم النحر. وعند مالك: ذي الحجة كله. فإن قلت: ما فائدة توقيت الحج بهذه الأشهر؟ قلت: فائدته أن شيئاً من أفعال الحج لا يصح إلا فيها، والإحرام بالحج لا ينعقد أيضاً عند الشافعي في غيرها. وعند أبي حنيفة ينعقد إلا أنه مكروه (١). فإن قلت: فكيف كان الشهران وبعض الثالث أشهر؟ قلت: اسم الجمع يشترك فيه ما وراء الواحد (٢).

(١) قوله: (إلا أنه مكروه) لأنه يمتد تمكنه فربما يضطر إلى محظورات الإحرام .

(٢) قوله: (اسم الجمع يشترك فيه ما وراء الواحد) أي : الاسم الذي هو جمع ، لئلا يدخل فيه نحو القوم ، قال صاحب الفوائد : جعل الجمع مشتركا على خلاف النقل والعقل ، ولو كان كما قال لما توقف إطلاق الجمع في نحو هذا على كون المضاف متصلا ، لجاز غلماهما كما جاز قلوبهما ، والجواب عن قوله : خلاف النقل والعقل : أن مجيئ السنة ذكر في تفسيره . قيل : الاثنان فما فوقهما جماعة ؛ لأن معنى الجمع ضم شيء إلى شيء ، فإذا جاز أن يسمى الاثنان جماعة جاز أن يسمى الاثنان وبعض الثالث بلفظ الجمع .

وقال ابن الحاجب : اختلف في أقل ما يطلق عليه أبنية الجمع على مذاهب أحدها : الاثنان بطريق الحقيقة ، ويصح إطلاقه على اثنين مجازا ، وثانيهما : الثلاثة بالحقيقة ، والاثنان بالمجاز قطعا ، وثالثها : الثلاثة بالحقيقة ، ويصح إطلاقه على اثنين مجازا ، وأما توقف إطلاق الجمع على كون المضاف متصلا ، فإنما شرطه القائلون بأن أقل الجمع ثلاثة على أن المصنف نزل الآية على المذهبيين على سبيل الحكاية ، وأما لو قيل : ثلاثة أشهر معلومات ، فلا يكون الاثنان وبعض الثالث ثلاثة ، لأن الأشهر قد حصرت بالعدد في ثلاثة ، ومعنى قوله : يخفق : يضرب .

(١٤/٢)

بدليل قوله تعالى : { فقد صغت قلوبكما } (التحریم: ٤) فلا سؤال فيه إذن، وإنما كان يكون موضعا للسؤال لو قيل: ثلاثة أشهر معلومات. وقيل: نزل بعض الشهر منزلة كله، كما يقال: رأيتك سنة كذا، أو على عهد فلان، ولعل العهد عشرون سنة أو أكثر، وإنما رآه في ساعة منها. فإن قلت: ما وجه مذهب مالك وهو مروي عن عروة بن الزبير؟ قلت: قالوا إن العمرة غير مستحبة فيها عند عمر وابن عمر؛ فكأنها مخصصة للحج لا مجال فيها للعمرة. وعن عمر رضي الله عنه: أنه كان يخفق الناس بالذرة وينهاهم عن الاعتمار فيهن. وعن عمر رضي الله عنه قال لرجل: إن أطعني انتظرت حتى إذا أهملت المحرم خرجت إلى ذات عرق فأهملت منها بعمرة. وقالوا: لعل من مذهب عروة جواز تأخير طواف الزيارة إلى آخر الشهر { معلومات } معروفات عند الناس لا يشكلن عليهم. وفيه أن الشرع لم يأت على خلاف ما عرفوه، وإنما جاء مقرر له { فمن فرض فيهن الحج } فمن ألزم نفسه بالتلبية أو بتقليد الهدي وسوقه عند أبي حنيفة وعند الشافعي بالنية { فلا رفث } فلا جماع؛ لأنه يفسده. أو فلا فحش(١) من الكلام { ولا فسوق } ولا خروج عن حدود الشريعة وقيل: هو السباب والتنازع بالألقاب { ولا جدال } ولا مراء مع الرفقاء والخدم والمكارين:

وإنما أمر باجتنب ذلك. وهو واجب الاجتناب في كل حال لأنه مع الحج أسمح كلبس الحرير

في الصلاة؛ والتطريب (٢) في قراءة القرآن. والمراد بالنفي وجوب انتفائها، وأنها حقيقة بأن لا تكون. وقرىء المنفيات (٣) الثلاث بالنصب وبالرفع.

(١) قوله: (فلا جماع [لأنه يفسده] أو فلا فحش) الأول كناية ، والثاني : حقيقة .

(٢) قوله: (والتطريب) المراد به ما يفعله قراء الأعاجم من الألحان المؤدية إلى زيادة حرف أو تغيير حرف .

)

(٣) قوله: (وقرىء المنفيات .. بالنصب) أي : بالفتح .

(١٥/٢)

وقرأ أبو عمرو وابن كثير الأولين بالرفع؛ والآخر بالنصب: لأنهما حملا الأولين على معنى النهي، كأنه قيل: فلا يكونن رفث، ولا فسوق، والثالث على معنى الإخبار بانتفاء الجدال كأنه قيل: ولا شك ولا خلاف في الحج ذلك أن قريشا كانت تخالف سائر العرب فتقف

بالمشعر الحرام، وسائر العرب يقفون بعرفة؛ وكانوا يقدمون الحج سنة ويؤخرونه سنة وهو النسيء، فرد إلى وقت واحد ورد الوقوف إلى عرفة، فأخبر الله تعالى أنه قد ارتفع الخلاف في الحج. واستدل على أن المنهي عنه هو الرفث والفسوق دون الجدال بقوله صلى الله عليه وآله وسلم (١٠٩) "من حج فلم يرفث ولم يفسق خرج كهية يوم ولدته أمه" وأنه لم يذكر الجدال { وما تفعلوا من خير يعلمه الله } حث على الخير عقيب النهي عن الشر؛ وأن يستعملوا (١) مكان القبيح من الكلام الحسن، ومكان الفسوق البر والتقوى؛ ومكان الجدال الوفاق والأخلاق الجميلة. أو جعل فعل الخير عبارة عن ضبط أنفسهم حتى لا يوجد منهم ما نهوا عنه، وينصره قوله تعالى: { وتزودوا فإن خير الزاد التقوى } أي اجعلوا زادكم إلى الآخرة اتقاء القبائح فإن خير الزاد اتقاؤها. وقيل: (١١٠) كان أهل اليمن لا يتزودون ويقولون: نحن متوكلون ونحن نحج بيت الله أفلا يطعمنا فيكونون كلا على الناس، فنزلت فيهم ومعناه: وتزودوا واتقوا الاستطعام وإبرام الناس والتثقل عليهم، فإن خير الزاد التقوى { واتقون } وخافوا عقابي { يا أولي الألباب } يعني أن قضية اللب (٢)

(١) قوله: (وأن يستعملوا) عطف على قوله (الخبر عقيب النهي) على سبيل البيان ، وقوله : (أوجعل فعل الخير عبارة) عطف على قوله : (حث على الخير) .
وقوله : (وقيل : كان أهل اليمن) عطف على قوله : (وينصره الحديث) .
(٢) قوله: (يعني أن قضية اللب) هذا المعنى يفيدته مخاطبة أولي الأبواب .

والداج : أتباع الحاج كالخدم ، والأجراء ، والحمالين ؛ لأنهم يدجون على الأرض ، أي : يدبون .
(١٦/٢)

تقوى الله، ومن لم يتقه من الألباء فكأنه لا لب له.
{ ليس عليكم $\hat{y}sY$ م أن تبتغوا فضلا من ربكم فإذا أفضتم من $s\hat{u}u^"M$ م فاذكروا الله

عند حج $y\hat{e}\hat{o}\pm yJ9\$ \# Q\#u$ د واذكروه كما هداكم وإن كنتم من $\%s\hat{v}\#$ ح $\&d\frac{3}{4}$ لمن
 $kd,\hat{t}\hat{u}!\$9\#$ (١٩٨) ثم أفيضوا من ك xm أفاض الناس واستغفروا الله إن الله غفور رحيم (١٩٩) فإذا قضيتُم $N\hat{a}6s3$ ، $sY^"B$ فاذكروا الله /ن. حج. x . آباءكم أو أشد
 $\mathcal{E}d\text{ج}X\#$
فمن الناس من يقول $sY/sY\$!$ $u\#\hat{?}u'$ في الدنيا وما له في $ou\text{ج}\frac{1}{2}zFy\#$ من
خلاق (٢٠٠)

ومنهم من يقول $sY/sY\$!$ $u\#\hat{?}u'$ في الدنيا | $xm,ZpuZ$ وفي
 $ou\text{ج}\frac{1}{2}zFy\# ZpuZ$
 $ur\%sY\$$ عذاب النار (٢٠١) أولئك لهم نصيب مما كسبوا والله سريع
ة $\{ (t\hat{u}:\$ \# (202د، | \$<$
}
(١٧/٢)

فضلا من ربكم { عطاء منه وتفضلا، وهو النفع والربح بالتجارة، وكان ناس من العرب يتأثمون أن يتجروا أيام الحج، وإذا دخل العشر كفوا عن البيع والشراء فلم تقم لهم سوق، ويسمون من يخرج بالتجارة الداج. ويقولون هؤلاء الداج وليسوا بالحاج. وقيل:

كانت عكاظ ومجنة وذو المجاز أسواقهم في الجاهلية يتجرون فيها في أيام الموسم. وكانت معاشهم منها، فلما جاء الإسلام تأثموا، فرفع عنهم الجناح في ذلك وأبيح لهم، وإنما يباح ما لم يشغل عن العبادة، وعن ابن عمر رضي الله عنه: (١١١) أن رجلا قال له: إنا قوم نكري في هذا الوجه (١)

(١) قوله: (في هذا الوجه) أي: في وجه الحج، وهو طريقه، ومعنى دفع من موضع كذا: ابتداء السير منه، ودفع نفسه منه ونحاهما، ودفع ناقته حملها على السير، ومعنى (في دقرا) مضى فيه منحدرًا، والضمير للنبي صلى الله عليه وآله وسلم، وذلك عند مسيره إلى بدر، وهو موضع بقرب بدر، ومعنى (يخرش بعيره بمحجنه) يضربه ثم يجذبه إليه، وتحريكه للإسراع، والمحجن { ٧٨١ } عصا معقفة الرأس كالصولجان، والميم زائدة، والمعنى في تفيضون في الحديث، وأفاضوا: خاضوا.

قوله: (عرفات) علم للموقف، قال الجوهري: هو اسم في لفظ الجمع، ولا يجمع، قال الأخفش: إنما صرف لأن التاء بمنزلة الياء والواو في مسلمين ومسلمون؛ لأنه تذكير، وصار التنوين بمنزلة النون، فلما سمي به ترك على حاله، كما يترك مسلمون إذا سمي به على حاله.

الانتصاف: يلزمه إذا سمي امرأة بمسلمات ألا يصرفه، وهو قول روي، والأفصح تنوينه، والمصنف يرى أن تنوين عرفات للتمكين لا للمقابلة، ولم يعد تنوين المقابلة في مفصله بناء منه على أنه راجع إلى تنوين التمكين، ونقل الزجاج فيهما وجهين الصرف وتركه؛ إلا أنه قال: لا يكون إلا مكسورا، وإن سقط التنوين، وقيل: إنما نون وكسر مع العلمية والتأنيث؛ لأن تنوين الجمع تنوين المقابلة لا تنوين التمكين، أي: قابل التنوين نون جمع المذكر.

(١٨/٢)

وإن قوما يزعمون أن لا حج لنا، فقال: سألت رجل رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم عما سألت فلم يرد عليه، حتى نزل { ليس عليكم جناح } فدعا به فقال: أنتم حجاج. وعن عمر رضي الله عنه أنه قيل له: هل كنتم تكرهون التجارة في الحج؟ فقال: وهل كانت معاشنا إلا من التجارة في الحج. وقرأ ابن عباس رضي الله عنهما: "فضلا من ربكم في مواسم الحج". إن تبتغوا في أن تبتغوا { أفضتم } دفعتم بكثرة، وهو من إفاضة الماء

وهو صبه بكثرة، وأصله أفضتم أنفسكم، فترك ذكر المفعول كما ترك في دفعوا من موضع كذا وصبوا. وفي حديث أبي بكر رضي الله عنه: "صب في دقران وهو يخرش بعيره بمحجنه" ويقال:

أفاضوا في الحديث وهضبوا فيه. و { عرفات } علم للموقف سمي بجمع كأذرعات. فإن قلت:

هلا منعت الصرف وفيها السببان: التعريف والتأنيث؟ قلت: لا يخلو من التأنيث إما أن يكون بالتاء التي في لفظها، وإما بتاء مقدرة كما في سعاد؛ فالتى في لفظها ليست

للتأنيث، وإنما هي مع الألف التي قبلها علامة جمع المؤنث ولا يصح تقدير التاء فيها، لأن هذه التاء لا اختصاصها بجمع المؤنث مانعة من تقديرها كما لا يقدر تاء التأنيث في بنت لأن التاء التي هي بدل من الواو لا اختصاصها بالمؤنث كتاء التأنيث فأبت تقديرها. وقالوا: سميت بذلك لأنها وصفت لإبراهيم عليه السلام فلما أبصرها عرفها. وقيل: إن جبريل حين كان يدور به في المشاعر أراه إياها فقال: قد عرفت. وقيل: التقى فيها آدم وحواء فتعارفا.

(١٩/٢)

وقيل: لأن الناس يتعارفون فيها والله أعلم بحقيقة ذلك، وهي من الأسماء المترجلة لأن العرفة لا تعرف في أسماء الأجناس إلا أن تكون جمع عارف(١). وقيل: فيه دليل على وجوب الوقوف بعرفة(٢)

(١) قوله: (إلا أن تكون جمع عارف) قيل: يضعف أن يقال: هو مستثنى من قوله: (وهو من الأسماء المترجلة) إذ يصير التقدير عرفات من الأسماء المترجلة، إلا أن يكون عرفات جمع عارف فإنها تكون حينئذ من الأسماء المنقولة، وهذا ليس بسديد؛ لأن عرفات ليست جمع عارف، بل جمع عرفة، وعرفة جمع عارف، بل هو مستثنى من قوله: إلا أن العرفة لا تعرف في أسماء الأجناس، إذ لو عرفت لجاز أن تكون من الأسماء المنقولة، اللهم إلا أن يقال: إن عرفة جمع عارف كطلبة وطالب، وعرفات جمع الجمع، فحينئذ تكون من الأسماء المنقولة.

وأقول: أي فساد في جعله مستثنى من قوله: (وهي من الأسماء المترجلة) أي: عرفات من الأسماء المترجلة، لا من الأعلام المنقولة، بأن يقال: إنها جمع عرفة، وجعلت علما، والتحقيق أنه استثناء مفرغ منصوب المحل على الحال، أي: هي من الأعلام

المرتجلة في جميع الأحوال ، إلا حال كون عرفة جمع عارف ، وعرفات جمع الجمع ، وعلى تقدير كونها منقولة ، فإنما سميت بالجمع ؛ لأنهم يتعارفون فيها .

(٢) قوله: (وقيل: فيه دليل على وجوب الوقوف بعرفة) وهو قول الزجاج ، وتقديره : أن

الذكر عند الإفاضة من عرفات واجب ، وهو يتوقف على الإفاضة ، وهي على الوقوف ، وما لا يتم الواجب إلا به واجب ، فالوقوف بعرفة واجب .

قال صاحب التقريب : وفيه نظر ؛ لأنه إنما يستقيم أن لو كان الأمر بالذكر مطلقا ، وهو ههنا مقيد مشروط بالإضافة [بالإفاضة] .

وقولك : إن قيل : لك مال ، فذلك لا يقتضي وجوب تحصيل المال ، وإن توقفت عليه الزكاة ، لكون الأمر غير مطلق ، فإن قلت : المأمور من ذكر مقيدا بالحصول عند الإفاضة ، فهو مركب ، ووجوب المركب يستلزم وجوب إحداثه .

قلنا : لا نسلم أن المأمور به ، وهو الذكر مقيد ، وإنما كان يستقيم ذلك لو تعلق الظرف وهو إذا باذكر ، وليس كذلك ، فإنه ظرف متضمن لمعنى الشرط ، ولذلك جيء بالفاء في جوابه ، فليس الواجب ذكرا مقيدا بالإفاضة ، بل إذا حصلت الإفاضة وجب الذكر ، فالإضافة فيه للأمر لا للمأمور به ، وفيه دقة فليتأمل .

ويمكن أن يقال : إذا دل دليل على وجوب الإفاضة لأنها لا تستعمل إلا في موضع يقطع فيه بوقوع المشروط ، ولما كان الواجب أقرب إلى الوقوع من غيره جيء بإذا ، إذ لو لم يكن واجبا في ثان ، وقد ذكر مثل هذا صاحب التقريب في قوله : { فإما يأتينكم مني هدى } فليتأمل .

والمقدمة : هي بالمشعر الحرام على قرح ، كان أهل الجاهلية يوقدون عليها النار .

والمأزم : كل طريق ضيق بين جبلين .

(٢٠/٢)

لأن الإفاضة لا تكون إلا بعده. وعن النبي صلى الله عليه وآله وسلم (١١٢) "الحج عرفة

فمن أدرك عرفة فقد أدرك الحج" { فاذكروا الله } بالتلبية والتهليل والتكبير والثناء

والدعوات. وقيل: بصلاة المغرب والعشاء. و { المشعر الحرام } قرح، وهو الجبل الذي

يقف عليه الإمام وعليه المقدمة. وقيل: المشعر الحرام: ما بين جبل المزدلفة من مأزمي

عرفة إلى وادي محسر، وليس المأزمان ولا وادي محسر من المشعر الحرام. والصحيح أنه

الجبل، لما روى جابر رضي الله عنه: (١١٣) أن النبي صلى الله عليه وآله وسلم لما صلى

الفجر يعني بالمزدلفة بغلس، ركب ناقته حتى أتى المشعر الحرام فدعا وكبر وهلل، ولم يزل واقفا حتى أسفر. وقوله تعالى: { عند المشعر الحرام } معناه مما يلي المشعر الحرام قريبا منه، وذلك للفضل، كالقرب من جبل الرحمة، وإلا فالمزدلفة كلها موقف إلا وادي محسر. أو جعلت أعقاب المزدلفة (١) لكونها في حكم المشعر ومتصلة به عند المشعر.

والمشعر: المعلم، لأنه معلم العبادة. ووصف بالحرم لحرمة. وعن ابن عباس رضي الله عنه أنه نظر إلى الناس ليلة جمع فقال: لقد أدركت الناس هذه الليلة لا ينامون. وقيل: سميت المزدلفة وجمعا: لأن آدم صلوات الله عليه اجتمع فيها مع حواء وازدلف إليها، أي دنا منها. وعن قتادة: لأنه يجمع فيها بين الصلاتين.

(١) قوله: (أو جعلت أعقاب المزدلفة) [٧٨٢] عطف على قوله: (معناه أن المشعر الحرام) وعند المشعر الحرام مفعول ثان لجعلت، يريد أن المشعر الحرام موضع مخصوص، وهو الجبل، وقد شرط أن يذكر الله فيه، وليس كذلك؛ لأن المزدلفة كلها موضع للذكر، وموقف للناس، وأوله أولا بأن تخصيص ذكره مع الجواز في كل المواضع لشرفه، وثانيا: أنه سمي كل المزدلفة ببعضها وهو المشعر الحرام، وذلك أيضا لشرفه، إذ يشترط في إطلاق الجزء على الكل كون الجزء أشرف.

(٢١/٢)

ويجوز أن يقال: وصفت بفعل أهلها، لأنهم يزدلفون إلى الله أي يتقربون بالوقوف فيها { كما هداكم } ما مصدرية أو كافة. والمعنى: واذكروه ذكرا حسنا كما هداكم هداية حسنة، أو اذكروه كما علمكم (١)

(١) قوله: (أو اذكروه كما علمكم) أذ ليس لترديد معنى في كونها مصدرية أو كافة على طريق اللف والنشر، إذ لا يتغير معناها في الوجهين، بل لترديد معنى هداكم، أي: معنى هداكم ذلكم دلالة موصولة إلى البعثة، وعلمكم كيف تذكرونه.

وقوله: (لا تعدلوا عنه) تفسير لقوله: (كيف تذكرونه) أي: علمكم كيف تخصونه بكلمة التوحيد فلا تعدلوا عن تعليمه.

(٢٢/٢)

كيف تذكرونه، لا تعدلوا عنه { وإن كنتم من قبله } من قبل الهدى { لمن الضالين }
الجاهلين، لا تعرفون كيف تذكرونه وتعبّدونه. وإن هي مخففة من الثقيلة واللام هي
الفارقة { ثم أفيضوا } ثم لتكن إفاضتكم { من حيث أفاض الناس } ولا تكن من المزدلفة.
وذلك لما كان عليه الحمس (١) من الترفع على الناس والتعالي عليهم وتعظيمهم عن أن
يساووهم في الموقف. وقولهم: نحن أهل الله وقطان حرمه فلا نخرج منه، فيقفون بجمع
وسائر الناس بعرفات؟ فإن قلت: فكيف موقع ثم؟ قلت: نحو موقعها في قولك: أحسن إلى
الناس ثم لا تحسن إلى غير كريم، تأتي بثم لتفاوت ما بين الإحسان إلى الكريم.

(١) قوله: (لما كان عليه الحمس) الحمس : جمع أحمس ، وهو الشجاع ، وهم قريش وكنانة
'
وجديلة قيس ، سموا حمسا ؛ لأنهم تحمسوا في دينهم ، أي : تشددوا ، والحماسة الشجاعة
'
، كانوا يقفون في المزدلفة لا بعرفة ، ويقولون : نحن أهل الله فلا نخرج من الحرم ،
وكانوا لا يدخلون البيوت من ابوابها وهم محرمون .
(٢٣/٢)

والإحسان إلى غيره وبعد ما بينهما؛ فكذاك حين أمرهم بالذكر عند الإفاضة من عرفات
قال: ثم أفيضوا لتفاوت ما بين الإفاضتين، وأن إحداهما صواب (١)

(١) قوله: (وأن إحداهما صواب) عطف تفسيري على قوله : { لتفاوت ما بين الإفاضتين }
يعني أن الإفاضة من عرفات الدال عليها قوله : { فإذا أفضم من عرفات } وبين هذه
الإفاضة المشار إليها بقوله : ثم أفيضوا من حيث أفاض الناس { فكلاهما صواب ، وإذا
اعتبر بين الإفاضة من عرفات ، وبين الإفاضة من مزدلفة فهي غير مذكورة في التنزيل
فلا يصح العطف عليها بثم ، وأيضاً لا يقال : بين الصواب والخطأ أنهما متفاوتان في
الرتبة ، بل يقال هما بيان ، والجواب : أن العطف ليس هو على الإفاضة من مزدلفة ، بل
على قوله { فاذكروا } والتفاوت هنا ليس في الرتبة ، بل في مجرد أن أحدهما صواب ،

والأخرى خطأ ، ولما كان قوله : { ثم أفيضوا من حيث أفاض الناس } يدل على أن لا
تفيضوا من حيث أفاض غيرهم ، لأنه لو لم يفيض غيرهم من حيث لم يفيضوا لما كان لإسناد
الإفاضة إليهم معنى ، ولأن الغرض به التعريض ، فكأنه قيل : لا تفيضوا من مزدلفة
فإنه خطأ فينطبق عليه المثال ، ووجه التطبيق أن قوله : فإذا أفضم من عرفات فاذكروا

الله { في معنى أفيضوا من عرفات ، يدل عليه قوله : وقيل : فيه دليل ..إلى آخره .
وقوله : (ثم أفيضوا من حيث أفاض الناس) في تأويل لا تفيضوا من مزدلفة على سبيل
التعريض ، وإنما قلنا بالتعريض ، لأن التعريف في الناس للجنس ، والمراد به المؤمنون
، فتدل على الكمال تعريضا بالحمس .

قوله : (وقيل ثم أفيضوا من حيث أفاض الناس وهم الحمس) فعلى هذا اللام للعهد ، وثم
مثل ظاهره .

وقال محيي السنة : قال بعضهم : ثم أفيضوا من حيث أفاض الناس { أي : من جمع ، وكيف
يسوغ { فإذا أفضتكم من عرفات فاذكروا الله { ثم أفيضوا من عرفات ، والجواب أن ثم فيه
مثلا في قوله : { ثم كان من الذين آمنوا { وفي قوله :
يرى غمرات الموت ثم يزورها

والمقصود منه أن الإفاضة من حيث أفاض الناس أعلى رتبة من مطلق الإفاضة مع الذكر .
(٢٤/٢)

والثانية خطأ. وقيل: ثم أفيضوا من حيث أفاض الناس وهم الحمس، أي من المزدلفة إلى
منى بعد الإفاضة من عرفات. وقرئ: "من حيث أفاض الناس". بكسر السين. أي الناسي
وهو آدم، من قوله: { ولقد عهدنا إلى آدم من قبل فنسي { (طه: ١١٥) يعني أن الإفاضة
من عرفات شرع قديم فلا تخالفوا عنه { واستغفروا الله { من مخالفتكم في الموقف ونحو
ذلك من جاهليتكم { فإذا قضيت مناسككم { أي فإذا فرغتم من عبادتكم الحجية ونفرتكم {
فاذكروا الله كذكركم آباءكم { فأذكروا ذكر الله وبالغوا فيه كما تفعلون في ذكر
آبائكم ومفاخرهم وأيامهم. وكانوا إذا قضوا مناسكهم وقفوا بين المسجد بمنى وبين

الجبيل، فيعددون فضائل آبائهم ويذكرون محاسن أيامهم. { أو أشد ذكرا { في موضع جر
عطف

على ما أضيف إليه الذكر(١)

(١) قوله: ({ أو أشد ذكرا { في موضع جر عطف على ما أضيف إليه الذكر) قال صاحب
التقريب : وفيه نظر ، إلا أن يخصص المنع بالمجرور بحرف [٧٨٣] دون المجرور بالمضاف

، وهذا النظر أورده ابن الحاجب في الأمالي ، فإنه قال : فيه نظر لما يلزم منه من

العطف على المضممر المجرور ، وذلك لا يجوز عنده ، وقد رد قراءة حمزة أقبح رد ، أي :

في { تساءلون به والأرحام } بالجر .

وأجيب : بأنه إنما رد في البيت العطف على المضممر المجرور لعللة شدة الإتصال ، ولهذا صح نحو مررت بزيد وعمرو لضعف الإتصال ، وههنا إضافة المصدر إلى الفاعل ، وهو في حكم

الانفصال ، على أنه من الجائز أن يكون الفاصل بين المعطوفين هو المصحح للعطف ، كما في العطف على المرفوع المتصل ، ولنا أن نقول أيضا : إن المضممر نوع على المظهر ، وقد ثبت أن اتصال الجار والمجرور أشد من اتصال المضاف والمضاف إليه ، ولهذا لا يجوز الفصل بين الجار والمجرور مطلقا ، ويجوز الفصل بين المضاف والمضاف إليه إما مطلقا ، أو بالظرف ، كقول دربي :

لله در اليوم من لامها

وإذا كان اتصال الجار بالمجرور المظهر أشد من اتصال المضاف إليه جاز المنع من العطف على المضممر المجرور بحر فمن دون إعادة الجار ؛ لأن الجار بمنزلة جار الله رحمه الله تعالى المجرور ، فالعطف عليه كالعطف على جزء الكلمة ، ولم يجز المنع من العطف على المضممر المجرور بالمضاف لفقد هذا المعنى . والله أعلم .

(٢٥/٢)

في قوله { كذاكم } كما تقول كذاكر قريش آباءهم ، أو قوم أشد منهم ذكرا . أو في موضع نصب عطف على آباءكم ، بمعنى أو أشد ذكرا من آباءكم ، على أن ذكرا من فعل المذكور (١)

}

(١) قوله: (على أن ذكرا من فعل المذكور) أي : يكون المصدر من ذكر المجهول لا من ذكر

المعلوم ، قال المصنف : المصدر يأتي من فعل كما يأتي من فعل ، كقوله تعالى : { من بعد غلبهم سيغلبون } أي : من بعد تركهم مغلوبين ، فكذلك قوله : { أو أشد ذكرا } معناه ، أو قوم أبلغ في كونهم مذكورين ، وقدر القاضي : أو كذاكم أشد مذكورا من آباءكم ، وقال ابن الخلف في الأمالي في قوله : إن ذكرا من فعل المذكور نظر لما يؤدي إلى أن يكون أفعال للمفعول ، وهو شاذ لم يرجع إليه إلا وأفعل لا يكون إلا للفاعل ، كقولهم : هو أضرب الناس ، على أنه فاعل للضرب سواء أضفته ، أو نصبت عنه

تميزا ، والوجه أن يقدر جملتين ، أي : فاذكروا الله ذكرا مثل ذكركم آباءكم ، أو اذكروا الله في حال كونكم أشد ذكرا من ذكر آبائكم ، فيكون الكاف نعتا لمصدر محذوف ، وأشد حالا ، وهذا أولى ؛ لأنه حذف الكاف فيه على ظاهرها ، إذ لا يلزم ما ذكره في أن المعطوف يشارك المعطوف عليه في العامل ، لأن ذلك في المفردات ، وأجيب بأن المصنف

نظر إلى التوافق بين المعطوف والمعطوف عليه ، وأن من جعلهما من عطف المفرد على المفرد لا من عطف الجملة على الجملة ؛ لأن جعل أحدهما مصدرا والآخر حالا له عامل آخر مما يؤدي إلى تنافر النظم ، وقد ذكر مثله في قوله : { يخشون الناس كخشية الله أو أشد خشية } وأجيب عما قاله فإنه إنما يلزم ذلك أن لو كان أفعل بني من الذكر ، ولم يبين منه ، بل إنما بني مما يصح بناؤه منه للفاعل ، وهو أشد ، وجعل ذكر الذي بمعنى المذكور تميزا ، كأنه قيل : أشد مذكورا ، وهو إذن مثل سائر ما يمنع منه بناؤه نحو اقبح عورا ، وأكثر شغلا ، وفيه بحث ..
(٢٦/٢)

فمن الناس من يقول { معناه أكثروا ذكر الله ودعاهه فإن الناس من بين مقل (١) لا يطلب بذكر الله إلا أعراض الدنيا ، ومكثر يطلب خير الدارين ، فكونوا من المكثرين } آتانا في الدنيا { اجعل إيتاءنا أي إعطاءنا في الدنيا خاصة { وما له في الآخرة من خلاق } أي

من طلب خلاقي وهو النصيب . أو ما لهذا الداعي في الآخرة من نصيب ، لأن همه مقصور على

الدنيا . والحسنتان ما هو طلبه الصالحين في الدنيا من الصحة والكفاف والتوفيق في الخير ، وطلبتهم في الآخرة من الثواب . وعن علي رضي الله عنه : الحسنه في الدنيا المرأة الصالحة (٢) ، وفي الآخرة الحوراء . وعذاب النار : امرأة السوء . { أولئك لهم نصيب مما كسبوا والله سريع الحساب } الداعون بالحسنتين { لهم نصيب مما كسبوا } أي نصيب من جنس ما كسبوا من الأعمال الحسنه ، وهو الثواب الذي هو المنافع الحسنه . أو من أجل ما كسبوا ، كقوله : (مما خطيئاتهم أغرقوا) . أو لهم نصيب مما دعوا به نعطيهم ما يستوجبونه بحسب مصالحهم في الدنيا واستحقاقهم في الآخرة . وسمى الدعاء كسبا لأنه من الأعمال ، والأعمال موصوفة بالكسب : بما كسبت أيديكم .

(١) قوله : (فإن الناس من بين مقل ... ومكثر) قيل : أراد أن الفاء في قوله { فمن

الناس { تفصيلية ، والمجمل ما عليه الناس في نفس الأمر مما علم من سياق الآيات ،
وبيان النظم .

(٢) قوله: (الحسنة في الدنيا المرأة الصالحة) قال صلى الله عليه وآله وسلم في حديث
(الدنيا متاع وخير متاعها المرأة الصالحة) وقال لعمر : (ألا أخبرك بخبر ما يكنز
المرء المرأة الصالحة إذا نظر إليها سرتة ، وإذا أمرها أطاعته ، وإذا غاب عنها
حفظته) .
(٢٧/٢)

ويجوز أن يكون (أولئك) للفريقين (١) جميعا، وأن لكل فريق نصيبا من جنس ما كسبوا {
والله سريع الحساب { يوشك أن يقيم القيامة ويحاسب العباد. فبادروا إكثار الذكر وطلب
الآخرة، أو وصف نفسه بسرعة حساب الخلائق على كثرة عددهم وكثرة أعمالهم ليدل على
كمال قدرته ووجوب الحذر منه. روي: أنه يحاسب الخلق في قدر حلب شاة. وروى في
مقدار

فواق ناقة. وروي في مقدار لمحة.

{ * واذكروا الله في &Q\$fr٥رثN`y؛ %÷B`è فمن تعجل في يومين فلا إثم عليه
ومن

ur#\$Jn=ôkûq# أنكم إليه
téB³ | tbr
{ (٢٠٣)

(١) قوله: (ويجوز أن يكون (أولئك) للفريقين) عطف على قوله : (أولئك الداعون ، وعلى
أن المشار إليه الداعون بالحسنتين ، فقوله : { مما كسبوا { إما مجرى على حقيقته ،
أو مجاز عن الدعاء بقرينة قولهم : { ربنا { وعلى الحقيقة من إما [٧٨٤] بيان ، وهو
المراد من قوله : أي نصيب من جنس ما كسبوا من الأعمال .
قوله : (وهو الثواب) بيان لجنس ما كسبوا ، والحسنة بقدر الحسنة ، وابتداء وهو المراد
من قوله : من أجل ما كسبوا ، وعلى أن يراد بما كسبوا الدعاء ، فهو من وضع المظهر
موضع المضمّر من غير لفظ السابق ؛ لأن المفهوم من قول : { ربنا آتانا في الدنيا حسنة
{ الدعاء لا الكسب ، وسمي كسبا ؛ لأنه من الأعمال ، وهي توصف بالكسب .
وفواق الناقة : هو قدر ما بين الحلبتين من الوقت ، يضم فاءه ويفتح .

والأيام المعدودات. أيام التشريق، وذكر الله فيها: التكبير في أدبار الصلوات وعند الجمار. وعن عمر رضي الله عنه: أنه كان يكبر في فسطاطه بمنى فيكبر من حوله، حتى يكبر الناس في الطريق وفي الطواف { فمن تعجل } فمن عجل في النفر أو استعجل النفر. وتعجل، واستعجل: يجيئان مطاوعين بمعنى عجل. يقال: تعجل في الأمر واستعجل: ومتعدين، يقال: تعجل الذهاب واستعجله. والمطاوعة أوفق لقوله: { ومن تأخر } كما هي كذلك في قوله:

قد يدرك المتأني بعض حاجته***وقد يكون مع المستعجل الزلل(١)
لأجل المتأني { في يومين } (٢) بعد يوم النحر يوم القر وهو اليوم الذي يسميه أهل مكة يوم الرؤوس، واليوم بعده ينفر إذا فرغ من رمي الجمار كما يفعل الناس اليوم وهو مذهب الشافعي ويروى عن قتادة. وعند أبي حنيفة وأصحابه ينفر قبل طلوع الفجر { ومن تأخر } حتى رمى في اليوم الثالث. والرمي في اليوم الثالث يجوز تقديمه على الزوال عند أبي حنيفة. وعند الشافعي لايجوز. فإن قلت: كيف قال: { فلا إثم عليه } عند التعجل والتأخر جميعاً؟ قلت: دلالة على أن التعجل والتأخر مخير فيهما، كأنه قيل: فتعجلوا أو تأخروا. فإن قلت: أليس التأخر بأفضل؟ قلت: بلى، ويجوز أن يقع التخيير بين الفاضل والأفضل(٣)

(١) قوله: (قد يدرك المتأني بعض حاجته***وقد يكون مع المستعجل الزلل)
أي: قد يدرك المتأني بعض وطره بتركه الرفق، وقد يكون مع المستعجل الزلل؛ لأن العجلة من الشيطان.
(٢) قوله: ({ في يومين }) قال المصنف: معناه في آخر يومين؛ إلا أنه ورد مجملاً كقوله تعالى: { فمن فرض فيهن الحج } وهو في بعض الأشهر لا في كلها، ويوم القر: ثاني النحر؛ لأن الناس يقرون فيه، أي: يسكنون.
(٣) قوله: (ويجوز أن يقع التخيير بين الفاضل والأفضل) [والمفضول].

الانتصاف: والتساوي في الفاضل والمفضول يوجب التساوي، وينافي طلب أحد الطرفين، وكيف يستقيم اجتماع ما طلب ورجح وجوده، وما ليس كذالك، إنما المصنف أدخل في التفسير التفسير، فلزمه السؤال، وهو غير لازم، فإن نفي الحرج عن الأمرين لا يلزم

منه التخيير ، وغايته اشتراكهما في رفع الحرج ، ولكن أحدهما مطلوب دون الآخر ، فلا يحتاج إلى الجواب ؛ لاندفاع السؤال .

قال الطيبي : ما نظر صاحب الانتصاف إلى المقام ، فإن نفي الحرج إنما يوجب التخيير ابتداء ، نظرا إلى اللفظ ، أما إذا كان مسبوقا بخلاف فلا ، ألا ترى كيف عطف على سبيل البيان .
(٢٩/٢)

كما خير المسافر بين الصوم والإفطار وإن كان الصوم أفضل وقيل: إن أهل الجاهلية كانوا فريقين(١): منهم من جعل المتعجل آثما، ومنهم من جعل المتأخر آثما فورد القرآن بنفي المآثم عنهما جميعا { لمن اتقى } أي ذلك التخيير(٢)، ونفي الإثم عن المتعجل والمتأخر لأجل الحاج المتقي: لئلا يتخالج في قلبه شيء منهما فيحسب أن أحدهما يرهق

صاحبه آثام في الإقدام عليه، لأن ذا التقوى حذر متحرز من كل ما يريبه، ولأنه هو الحاج على الحقيقة عند الله. ثم قال: { واتقوا الله } ليعبأ بكم. ويجوز أن يراد ذلك الذي مر ذكره من أحكام الحج وغيره لمن اتقى، لأنه هو المنتفع به دون من سواه، كقوله: { ذلك خير للذين يريدون وجه الله } .

{ ومن الناس من } fm÷èy7ç6 قوله في 4qudu#ت9\$ys الدنيا ويشهد الله على ما في قلبه

وهو ألد الخصام (٢٠٤) وإذا تولى سعى في الأرض ليفسد فيها 7dy=مôgfur الحرث والنسل

والله لا يحب الفساد (٢٠٥) وإذا قيل له اتق الله أخذته العزة بالإثم فحسبه م_L©èygy ولبئس المهاد (٢٠٦) { }

(١) قوله: (وقيل: إن أهل الجاهلية كانوا فريقين) عطف على قوله: (دلالة على أن التعجيل والتأخير مخير فيهما .

وأما قوله : كيف يستقيم اجتماع ما طلب ، ورجح وجوده ، وما ليس كذلك ؟ فجوابه ما المانع من اجتماعهما وتساويهما في نفي الحرج ، خصوصا مع اجتماع الواجب والمباح في نفي الحرج .

(٢) قوله: (أي ذلك التخيير) يعني قوله : { لمن اتقى } خبر مبتدأ محذوف ، وهو اسم

الإشارة ، والمشار إليه ما سبق ، واللام متعلق بمحذوف ، وهي إما للاختصاص أو التعليل ، وإلى الأول أشار بقوله : دون ما سواه ، واستشهد بقوله { ذلك خير للدين يريدون } وإلى الثاني بقوله : لأجل الحاج المتقي ، ولذلك اعتبر وصف التقوى في التعليل .

(٣٠/٢)

من يعجبك قوله { أي يروقك ويعظم في قلبك . ومنه : الشيء العجيب الذي يعظم في النفس . وهو الأخنس بن شريق كان رجلا حلو المنطق ، إذا لقي رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ألان له القول وادعى أنه يحبه وأنه مسلم وقال : يعلم الله أنني صادق . وقيل : هو عام في المنافقين ، كانت تحلو لي ألسنتهم ، وقلوبهم أمر من الصبر ، فإن قلت : بم يتعلق قوله : { في الحياة الدنيا } ؟ قلت : بالقول ، أي يعجبك ما يقوله في معنى الدنيا ؛ لأن

إدعائه المحبة بالباطل يطلب به حظا من حظوظ الدنيا ولا يريد به الآخرة ، كما تراد بالإيمان الحقيقي والمحبة الصادقة للرسول ؛ فكلامه إذا في الدنيا لا في الآخرة . ويجوز أن يتعلق بـ يعجبك ، أي قوله حلو فصيح في الدنيا فهو يعجبك ، ولا يعجبك في الآخرة لما يرهقه في الموقف من الحبسة واللكنة ، أو لأنه لا يؤذن له في الكلام فلا يتكلم حتى يعجبك كلامه { ويشهد الله على ما في قلبه } أي يحلف ويقول : الله شاهد على ما في قلبي من محبتك ومن الإسلام . وقرئ : " ويشهد الله " . وفي مصحف أبي : " ويستشهد الله " : { وهو ألد الخصام } وهو شديد الجدال والعداوة للمسلمين . وقيل : كان بينه وبين ثقيف خصومة فيبتهم ليلا وأهلك ومواشيهم وأحرق زروعهم . والخصام : المخاصمة . وإضافة الألد بمعنى في ، كقولهم : ثبت الغدر (١) . أو جعل الخصام ألد على المبالغة . وقيل الخصام : جمع خصم ، كصعب وصعاب ، بمعنى وهو أشد الخصوم خصومة { وإذا تولى } عنك وذهب بعد الإلانة

القول وإحلاء المنطق { سعى في الأرض ليفسد فيها } كما فعل بثقيف . وقيل : { وإذا تولى } وإذا كان واليا فعل ما يفعل ولاية السوء من الفساد في الأرض يهلك الحرث والنسل . وقيل : يظهر الظلم حتى يمنع الله بشؤم ظلمه القطر فيهلك الحرث والنسل .

(١) قوله : (كقولهم : ثبت الغدر) أي : ثبت في الغدر ، وهو الأحقيق ، أي : عفى حجرة البراتيع ، يضرب هذا مثلا للثابت القدم في الخطوب كالقتال .

(٣١/٢)

وقرىء: (ويهلك الحرث والنسل)، على أن الفعل للحرث والنسل، والرفع للعطف على سعى.
 وقرأ الحسن بفتح اللام، وهي لغة. نحو: أبى يأبى. وروى عنه: "ويهلك"، على البناء
 للمفعول { أخذته العزة بالإثم } من قولك: أخذته بكذا، إذا حملته عليه وألزمته إياه،
 أي حملته العزة التي فيه وحمية الجاهلية على الإثم الذي ينهى عنه، وألزمته ارتكابه،
 وأن لا يخلي عنه ضرارا ولجاجا. أو على رد قول الواعظ.
 }

ومن الناس من "حج±o" نفسه ابتغاء مرضاة الله والله رءوف بالعباد (٢٠٧) {
 { يشري نفسه { يبيعها أي يبذلها في الجهاد. وقيل: يأمر بالمعروف وينهي عن المنكر
 حتى يقتل، وقيل: (١١٤) نزلت في صهيب بن سنان: أرادته المشركون على ترك الإسلام
 وقتلوا نفرا كانوا معه، فقال لهم: أنا شيخ كبير، إن كنت معكم لم أنفعكم وإن كنت
 عليكم لم أضركم، فخلوني وما أنا عليه وخذوا مالي. فقبلوا منه ماله وأتي المدينة {
 والله رؤوف بالعباد { حيث كلفهم الجهاد فعرضهم لثواب الشهداء.
 { يا أيها الذين آمنوا (#ن=qèzط\$# في السلم كافة ولا تتبعوا V"uqنن الشيطان
 إنه

لكم عدو (xüû×-v 208) B) { فإن زلتم من بعد ما جاءكم sY"àM #s 69t i
 sù\$ \$÷=Jnك(#ûq

أن الله عزيز Oثإ 209) xm {

{ السلم { بكسر السين وفتحها. وقرأ الأعمش بفتح السين واللام، وهو: الإستسلام
 والطاعة، أي استسلموا لله وأطيعوه { كافة { لا يخرج أحد منكم يده عن طاعته. وقيل هو
 الإسلام. والخطاب لأهل الكتاب لأنهم آمنوا بنبيهم وكتابهم، أو للمنافقين لأنهم
 آمنوا بألسنتهم. ويجوز أن يكون كافة حالا (١) من السلم، لأنها تؤنث كما تؤنث الحرب.
 قال(٢):

(١) قوله: (ويجوز أن يكون { كافة { حالا) عطف على قوله : لا يخرج منكم أحد من حيث
 المعنى .

(٢) قوله: قال :

السلم تأخذ منها ما رضيت به***والحرب يكفيك من أنفاسها من أنفاسها جرع

الجرعة من الماء : حسوة منه ، قيل : معناه الصلح تأخذ منه ما فيه رضاءك من تنقص قومك ، وأكلهم عيبه ، والحرب يكفيك منها جرع ، ويروى : السلم تشرب منها ما أطعت له ، أي : المصالحة جرأتك على شربهم وأكلهم تربصا ، وقيل : معناه أن الصلح له مجال واسع ومنافع يرضى ببعض منها ، وأما الحرب فلها مضائق لا تقاسى ، وقليل منها مهلك ، يحرضه على الصلح ، ويشطه عن الحرب ، وكأنه أراد بأنفاسها أوائلها .

(٣٢/٢)

السلم تأخذ منها ما رضيت به***والحرب يكفيك من أنفاسها من أنفاسها جرع

على أن المؤمنين أمروا بأن يدخلوا في الطاعات كلها. وأن لا يدخلوا في طاعة دون طاعة. أو في شعب الإسلام وشرائعه كلها، وأن لا يخلوا بشيء منها. وعن عبد الله بن سلام. (١١٥) أنه استأذن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أن يقيم على السبت وأن يقرأ من التوراة في صلاته من الليل و (كافة) من الكف، كأنهم كفوا أن يخرج منهم أحد باجتماعهم(١) { فإن زلتم } عن الدخول في السلم { من بعد ما جاءكم بينات } أي الحج والشواهد على أن ما دعيتم إلى الدخول فيه هو الحق ، قيل { فاعلموا أن الله عزيز } (٢) غالب لا يعجزه الانتقام منكم { حكيم } لا ينتقم إلا بحق. وروي أن قارئا قرأ غفور رحيم، فسمعه أعرابي فأنكره ولم يقرأ القرآن وقال: إن كان هذا كلام الله فلا يقول كذا الحكيم، لا يذكر الغفران عند الزلل، لأنه إغراء عليه. وقرأ أبو السمال: "زلتم" بكسر اللام وهما لغتان، نحو: ظللت وظللت.

{ هل ينظرون إلا أن يأتيهم الله في @n=àك من الغمام والملائكة وقضي الأمر وإلى الله ترجع الأمور (٢١٠) }

(١) قوله: (باجتماعهم) أي : بسبب اجتماعهم ، معناه أن اجتماعهم بمنعهم عن أن يخرج منهم أحد .

(٢) قوله: (قيل { فاعلموا أن الله عزيز }) لأنها صفة قهر وغلبة ، المعنى : فإن تحيتم عن القصد ، وامتنعتم عن الدخول في الإسلام بعد مجيء الدلائل الدالة على حقيقته فاعلموا أن الله عزيز غالب [٧٨٥] لا يعجزه الانتقام منكم .

(٣٣/٢)

حرفوا آيات الكتب(٢) الدالة على دين محمد صلى الله عليه وآله وسلم . فإن قلت : كم استفهامية أم خبرية؟ قلت : تحتل الأمرين(٣).

(١) قوله: (و { نعمة الله } آياته، وهي أجل نعمة من الله) يريد أن ذكرهم الله هنا

من وضع المظهر موضع المضمّر من غير لفظه السابق للإشعار بتعظيم الآيات ، وتقبيح كفرانهم تلك النعمة العظمى ، وهو مزيلها .

(٢) قوله: (أو حرفوا آيات الكتب) عطف على قوله : إن الله أظهرها) لأن التبديل على ما قال في آخر سورة إبراهيم التغيير ، وذلك فقد يكون في الذات ، نحو بدلت الدراهم دنانير ، وفي الأوصاف نحو بدلت الحلقة خاتما ، والوجه الأول منزل على المعنى الثاني ، والثاني على الأول ، ثم الأول مفرع على قوله : قيل هذا من آية بينة على أيدي أنبيائهم ، وهي معجزاتهم ، والثاني مفرع على قوله : نزل به في الكتب شاهدة على صحة دين الإسلام .

(٣) قوله: (تحتل الأمرين) قال القاضي : فحكمه النصب على المفعولية ، والرفع بالابتداء على حذف العائد من الخبر ، وأنه مميز بها ، ومن للفصل .

وقال أبو البقاء : الأحسن إذا فصل بين كم ومميزها أن يؤتى بمن ، وقال مكّي : كم في موضع المفعول لأتيناكم ، وإن شئت جعلتها في موضع رفع على إضمار العائد ، أي : كم آتيناكموه ، وفيه ضعف لحذف الضمير ، وعن بعضهم : أن محل كم آتيناكم نصب على المصدرية ، أي : سل بني إسرائيل هذا السؤال ، ومثله قول صدر الأفاضل في قول الحريري سأله اهتديت ، أي : سأله هذا السؤال .

(٣٥/٢)

ومعنى الاستفهام فيها للتقرير . فإن قلت : ما معنى { من بعد ما جاءته } (١) . قلت : معناه من بعد ما تمكن من معرفتها أو عرفها، كقوله: ثم يحرفونه من بعد ما عقلوه؟ لأنه إذا لم يتمكن من معرفتها أو لم يعرفها، فكأنها غائبة عنه: وقرئ { ومن يبدل } بالتخفيف .

{ زين للذين كفروا الحياة الدنيا ويسخرون من الذين آمنوا والذين اتقوا فوقهم يوم القيامة والله يرزق من يشاء بغير حساب (٢١٢) }

المزين هو الشيطان زين لهم الدنيا وحسنها في أعينهم بوساوسه وحببها إليهم فلا

يريدون غيرها. ويجوز أن يكون الله قد زينها لهم بأن خذلهم(٢)

)

(١) قوله: { ما معنى { من بعد ما جاءته { } أراد أنه لا يصح تبديل الآيات إلا من بعد مجيئها فلم صرح بها ، وما فائدة تصريحه ؟ والجواب : أنه ربما وجد البديل بدون خبرة ومعرفة بالمبدل ، فيقدر فاعله ، وهؤلاء على خلاف ذلك ، والفائدة في ذلك مزيد السبب والنعراج ؛ لأن فيه تصوير المجيء المؤذن بزيادة التقريع والتفطيع .
(٢) قوله: (ويجوز أن يكون الله قد زينها لهم بأن خذلهم) فهي من إطلاق المسبب على السبب ، أو جعل إمهال المزين ترتيبا ، فالإسناد على هذا مجاز نحو بنى الأمير المدينة ؛ لأن المزين هو الشيطان ، ولكن لما أمله الله تعالى جاز نسبة التزيين إليه ، وتدل على أن المزين هو الله تعالى وإن كان مختارا .

قراءة من قرأ { زين } بالبناء للفاعل وأن المزين على هذه القراءة هو الله تعالى إذ لم يبق للشيطان ذكر ، فيضمر قوله : أي : لا يريدون غيرها تفسير لقوله : { زين للذين كفروا الحياة الدنيا } وكناية إيمائية ، والذي يصحح هذا التفسير إيقاع قوله : { ويسخرون من الذين آمنوا } حالا من الذين كفروا ، أو جاء هم في قوله : وهم يسخرون ، ليستقيم كون المضارع مع الواو حالا ؛ لأن الجملة حينئذ اسمية .
(٣٦/٢)

حتى استحسنتها وأحبوها، أو جعل إمهال المزين له تزيينا، ويدل عليه قراءة من قرأ { زين للذين كفروا الحياة الدنيا } على البناء للفاعل { ويسخرون من الذين آمنوا } كانت الكفرة يسخرون من المؤمنين الذين لا حظ لهم من الدنيا كابن مسعود وعمار وصهيب وغيرهم، أي لا يريدون غيرها. وهم يسخرون ممن لا حظ له فيها، أو ممن يطلب غيرها { والذين اتقوا فوقهم(١) يوم القيامة } لأنهم في عليين من السماء، وهم في سجين من الأرض أو حالهم عالية لحالهم؛ لأنهم في كرامة وهم في هوان. أو هم عالون عليهم متناولون يضحكون منهم كما يتناول هؤلاء عليهم في الدنيا ويرون الفضل لهم عليهم، {

فاليوم الذين آمنوا من الكفار يضحكون } (المطففين: ٣٤) { والله يرزق من يشاء بغير حساب } بغير تقدير، يعني أنه يوسع على من توجب الحكمة التوسعة عليه كما وسع على قارون وغيره، فهذه التوسعة عليكم من جهة الله لما فيها من الحكمة وهي استدراجكم

بالنعمة. ولو كانت كرامة لكان أولياؤه المؤمنون أحق بها منكم. فإن قلت: لم قال: { من الذين آمنوا } ثم قال: { والذين اتقوا } ؟ قلت: ليريك أنه لا يسعد (٢)

(١) قوله: ({ والذين اتقوا فوقهم }) .. إلى آخره ، التفرقة بين الوجوه في معنى العلو هي أن الفوقية على الأول مكانية ، وعلى الثاني رتبية ، وعلى الثالث استعلائية.

(٢) قوله: (ليريك أنه لا يسعد) خلاصة الجواب : أن هذه الأسلوب من باب إقامة المظهر مقام المضمّر من غير لفظه السابق للعلية ، وفائدة التعليل أما تعظيم من اتصف بالتقوى ، أو تفخيم هذه الصفة ، والجواب الأول مبني على الأول ، والثاني على الثاني .

وقال صاحب الانتصاف : في كلامه إشارة إلى مذهبه في وجوب وعيد العصاة بقوله : لا يسعد عنده إلا المؤمن المتقي ؛ لأن فيه إشارة إلى أن المضمّر على الكبيرة شقي حتما كالساخرين من الذين آمنوا ، ويتوجه عليهم الرد من كلامه ، وأن العمل عندهم ، والتقوى داخل في حقيقة الإيمان ، ومن أخل بذلك فهو فاسق عندهم ليس بمؤمن ولا كافر ، وكلامه يناقضه فإنه قال عقيبه : ليعث المؤمن على التقوى ، والجواب : أنه قد علم من كلام المصنف في فاتحة الصورة المخالفة بين المؤمن والمتقي ، وأن المتقي أرفع منزلة من المؤمن فإذا قصد فيه ترغيب المؤمنين [٧٨٦] في التوقي ، ولئن سلمت الموافقة فالقصد في إيراد الوصف الإيدان بشرف التقوى ، ورفعة شأنها ليكون بعثا للمؤمنين على الثبات عليها ، كما وصف الله الملائكة بالإيمان في قوله : { ويؤمنون به } لإظهار شرف الإيمان ، وأما قوله : إن المصر على الكبيرة شقي حتما كالساخرين فهو بهم أن الساخرين ليسوا بأشقياء حتما ، وذلك فاسد لتحتم شقاوتهم ، فهم كانوا كفارا .

(٣٧/٢)

عنده إلا المؤمن المتقي، وليكون بعثا للمؤمنين على التقوى إذا سمعوا ذلك.

{ كان الناس أمة n"ur%Zoy فبعث الله النبيين رُحجدهمBم ومنذرين

معهم ur&Rr"tAu

الكتاب بالحق ليحكم بين الناس فيما اختلفوا فيه وما اختلف فيه إلا الذين أوتوه من

بعد ما جاءتهم i t69\$#sY"àM بغيا Oك÷ gsY/ فهدى الله الذين آمنوا لما اختلفوا

فيه

{ من الحق بإذنه والله يهدي من يشاء إلى صراط مستقيم (L، tG، 213-B) - }

(٣٨/٢)

كان الناس أمة واحدة { متفقين على دين الإسلام } فبعث الله النبيين { يريد: فاختلّفوا فبعث الله (١). وإنما حذف لدلالة قوله: { ليحكم بين الناس فيما اختلفوا فيه } عليه. وفي قراءة عبد الله: "كان الناس أمة واحدة فاختلّفوا فبعث الله". والدليل عليه (٢) قوله عزّ وعلا { وما كان الناس إلا أمة واحدة فاختلّفوا } (يونس: ١٩) وقيل: كان الناس أمة واحدة كفارا، فبعث الله النبيين، فاختلّفوا عليهم. والأول الوجه (٣). فإن قلت: متى كان الناس أمة واحدة متفقين على الحق؟ قلت: عن ابن عباس رضي الله عنهما: أنه كان بين آدم وبين نوح عشرة قرون على شريعة من الحق فاختلّفوا. وقيل: هم نوح ومن كان معه في السفينة { وأنزل معهم الكتاب } يريد [به] الجنس (٤)،

(١) قوله: (يريد: فاختلّفوا فبعث الله) يريد أن الفاء في (فبعث الله) فصيحة ليؤذن أن البعثة لم تتخلف عن الاختلاف .

(٢) قوله: (والدليل عليه) بعد قوله: (لدلالة قوله) ليس بتكرار ؛ لأن الدليل الأول للدلالة على أن المنذر من جنس المذكور ، والثاني دليل آخر منصوص عليه وارد للتوافق بين الأثنين ، فإن قوله : { وما اختلف فيه إلا الذين أوتوه } يؤذن بأنه لم يسبق اختلاف ، قلت : يحمل هذا على الشدة فيه ، وإليه الإشارة بقوله : جعلوا نزول الكتاب سببا في شدة الاختلاف .

)

(٣) قوله: (والأول الوجه) وذلك لسبق الإسلام ؛ لأن كل مولود يولد على الفطرة ، ولرواية ابن عباس ، ولأنهم لو كانوا متفقين على الكفر قبل الاختلاف لما توقفت البعثة على الاختلاف ، بل كانت بعثة الرسل إذ ذاك أولى .

(٤) قوله: (الكتاب { يريد به الجنس) أو مع كل واحد منهم كتابه ، وعلى الثاني فلفظ التبيين وإن كان عاما فهو خاص لتقيده بقوله : { وأنزل معهم الكتاب } المشهورين الذين أنزل معهم الكتاب ..

(٣٩/٢)

أو مع كل واحد منهم كتابه { ليحكم } الله، أو الكتاب، أو النبي المنزل عليه { فيما اختلفوا فيه } في الحق ودين الإسلام الذي اختلفوا فيه بعد الإتفاق { وما اختلف فيه { في الحق } إلا الذين أوتوه { إلا الذين أوتوا الكتاب المنزل لإزالة الاختلاف، أي ازدادوا في الاختلاف لما أنزل عليهم الكتاب، وجعلوا نزول الكتاب سببا في شدة الاختلاف واستحكامه { بغيا بينهم } حسدا بينهم وظلما لحرصهم على الدنيا وقلة إنصاف منهم. و { من الحق } بيان لما اختلفوا فيه، أي فهدى الله الذين آمنوا للحق الذي اختلف فيه من اختلف.

{ أم OçF6،xm أن تدخلوا الجنة ولما يأتكم مثل الذين خلوا من نۓۓ=ۓ% مستهم

البأساء والضراء (#qن ح"م-4ur ۓLxm يقول الرسول والذين آمنوا معه متى مٓا nS الله

{ ألا إن نصر الله ز=fحج214 (s% }
(٤٠/٢)

منقطعة، ومعنى الهمزة فيها للتقرير وإنكار الحسبان واستبعاده(١). ولما ذكر ما كانت عليه الأمم من الاختلاف على النبيين بعد مجيء البينات - تشجيعا لرسول الله صلى الله عليه وآله وسلم والمؤمنين على الثبات والصبر مع الذين اختلفوا عليه من المشركين وأهل الكتاب وإنكارهم لآياته وعداوتهم له - قال لهم على طريقة الالتفات(٢) التي هي أبلغ: أم حسبتم { ولما يأتكم مثل الذين خلوا من قبلكم مستهم البأساء والضراء وزلزلوا حتى يقول الرسول والذين آمنوا معه متى نصر الله ألا إن

نصر الله قريب { فيها معنى التوقع، وهي في النفي نظيرة "قد" في الإثبات. والمعنى أن إتيان ذلك متوقع منتظر { مثل الذين خلوا { حالهم التي هي مثل في الشدة.

(١) قوله: (ومعنى الهمزة فيها للتقرير وإنكار الحسبان واستبعاده) اعلم أنه لا منافاة بين التقرير والإنكار ؛ لأن معنى التقرير أنه وجد منكم الحسبان ، ومعنى الإنكار قد وجد والواجب أن لا يوجد ، ومعنى الاستبعاد قريب من معنى الإنكار ، لأن معناه أن الحسبان الذي وجد منكم ينبغي أن يكون يفيد الوقوع ، وإذا كان كذلك فينبغي أن لا يقع .

(٢) قوله: (على طريقة الالتفات) أي : من الغيبة إلى الخطاب ، وذلك لأن ذكر اختلاف

الأمم بعد مديء البيئات لما كان الغرض منه تشجيع الرسول والمؤمنين على الثبات ،
والصبر مع الذين اختلفوا عليه ، فكأن الرسول والمؤمنين مرادون في هذه الكلام غائبون ،
ويؤيده قوله : { فهدى الله الذين آمنوا } .
(٤١/٢)

و { مستهم } بيان للمثل وهو استئناف، كأن قائلًا قال: كيف كان ذلك المثل؟ ف قيل:
مستهم البأساء { وزلزلوا } وأزعجوا إزعاجا شديدا شبيها بالزلزلة بما أصابهم من
الأهوال والأفزع { حتى يقول الرسول } إلى الغاية التي قال الرسول ومن معه فيها {
متى نصر الله } أي بلغ بهم الضجر ولم يبق لهم صبر حتى قالوا ذلك. ومعناه طلب الصبر
وتمنيه (١)، واستطالة زمان الشدة. وفي هذه الغاية دليل على تناهي الأمر في الشدة
وتماديه في العظم، لأن الرسل لا يقادر قدر ثباتهم واصطبارهم وضبطهم لأنفسهم، فإذا
لم يبق لهم صبر حتى ضجوا كان ذلك الغاية في الشدة التي لا مطمح وراءها { ألا إن نصر
الله قريب } على إرادة القول، يعني فليل لهم ذلك إجابة لهم إلى طلبتهم من عاجل
النصر. وقرئ: { حتى يقول } بالنصب على إضمار أن ومعنى الاستقبال؛ لأن "أن" علم له.
وبالرفع على أنه في معنى الحال، كقولك: شربت الإبل حتى يجيء البعير يجرب بطنه. إلا
أنها حال ماضية محكية.

يسألونك ماذا ينفقون قل ما أنفقتم من خير ب
F{\$#ur%u/خ/tûü

واليتامى والمساكين وابن السبيل وما تفعلوا من خير فإن الله به ز Oت=د و (٢١٥) {

(١) قوله: (ومعناه طلب الصبر وتمنيه) فإن المتمني يطلب ما لا يرجى حصوله ، يعني كتب
الله بنصرنا ، وهو قليل على تناهي الأمر في اشددة ، قال أبو البقاء : موضع متى رفع ؛
لأنه خبر المصدر ، وقال الأخفش : هو ظرف والمصدر فاعله ، ومعنى (لا مطمح وراءها) لا
موضع يرفع البصر إليه ، ومن عاجل النصر : بيان لطلبتهم .
(٤٢/٢)

فإن قلت: كيف طابق الجواب السؤال في قوله: { قل ما أنفقتم } وهم قد سألوا عن بيان
ما ينفقون وأجبوا ببيان المصروف؟ قلت: قد تضمن قوله ما أنفقتم { من خير } بيان ما

ينفقونه وهو كل خير، وبنى الكلام على ما هو أهم (١) وهو بيان المصرف؛ لأن النفقة لا يعتد بها إلا أن تقع موقعها. قال الشاعر (٢):
إن الصنعة لا تكون صنعة*** حتى يصاب بها طريق المصنع

(١) قوله: (وبنى الكلام على ما هو أهم) قال الشيخ السكاكي : سألوا عن بيان ما ينفقون فأجيبوا ببيان المصرف ، نزل سؤال السائل منزلة سؤال غير سؤاله لتوخي التنبيه له بالطف وجه على تعديده عن موضع سؤال هو أليق بحاله ، أو أهم له إذا تأمل، والذي قاله المصنف بخلاف ذلك ؛ لأن الجواب عنده مطابق من حيث الإشارة ، فإن ظاهره مسوق لبيان المصرف ، وقد أدمج فيه بيان ما ينفق ، وهو الخير ، تقديره : فأما عمدته من انفاق الخير مكانه ، ومصرفه الوالدان والأقربون ، واليتامى ، والمساكين ، وابن السبيل ، وهو مع هذا غير خارج عن الأسلوب الحكيم . [٧٨٧]
(٢) قوله : (إن الصنعة لا تكون صنعة*** حتى يصاب بها طريق المصنع)
بعده :

فإذا صنعت صنعة فاعمد بها*** لله أو لذوي القربة أو دع
يقول : إن الإحسان لا يعتد به إلا إذا وقع موقعه ، قال صلى الله عليه وآله وسلم (إذا أراد الله بعبد خيرا جعل صنائعه في أهل الحفاظ) والبيت التالي نوع معنى الأول ، والصنعة ما أصطنعت لأحد من خير ، والمصنع : محل الصنعة ، أو مصدر ميمي .
قوله : (وعن ابن عباس) جواب مطابق لظاهر الجواب في الآية ، لكن السؤال متضمن لذكر المتفق مع المتفق عليه ، تقديره : ماذا ينفقون ؟ وأين يضعونه .
والهم . بالكسر . : الشيخ الفاني .
(٤٣/٢)

وعن ابن عباس رضي الله عنهما: أنه جاء عمرو بن الجموح وهو شيخ هم وله مال عظيم فقال: ماذا ننفق من أموالنا؟ وأين نضعها؟ فنزلت. وعن السدي: هي منسوخة بفرض الزكاة. وعن الحسن: هي في التطوع.
{ كتب عليكم القتال وهو كره لكم وعسى أن (#qèduچ \$Z"s? ©x وهو ضرتچ yz لكم وعسى أن تحبوا ©x"Z\$ وهو شر لكم والله يعلم وأنتم لا تعلمون (٢١٦) }
{ وهو كره لكم } من الكراهة (١) بدليل قوله: { وعسى أن تكرهوا شيئا } ثم إما أن يكون

بمعنى الكراهة على وضع المصدر موضع الوصف مبالغة، كقولها:

فأنما هي إقبال وإدبار

كأنه في نفسه لفرط كراحتهم له. وإما أن يكون فعلا بمعنى مفعول كالخبز بمعنى
المخبوز، أي وهو مكروه لكم. وقرأ السلمي - بالفتح - على أن يكون بمعنى المضموم،
كالضعف والضعف، ويجوز أن يكون بمعنى الإكراه على طريق المجاز، كأنهم أكرهوا عليه
لشدة كراحتهم له ومشقته عليهم. ومنه قوله تعالى: { حملته أمه كرها ووضعته كرها }
(الأحقاف: ١٥)، وعلى قوله (٢) تعالى: { وعسى أن تكرهوا شيئا } جميع ما كلفوه، فإن
النفوس تكرهه وتنفر عنه وتحب خلافه { والله يعلم } ما يصلحكم وما هو خير لكم {
وأنتم لا تعلمون ذلك } .
}

(١) قوله: (من الكراهة) أي: لا من الإكراه؛ لأنهم لم يكرهوا على القتال، ولم
يجبروا عليه، ولكن كانوا كارهين له، ولهذا أسند إليهم الكراهة في: { وعسى أن
تكرهوا شيئا } ولو كان من الإكراه لما أسند إليهم.
(٢) قوله: (وعلى قوله) أي: جميع ما كلفوه على نسق قوله: { وعسى أن تكرهوا }
(٤٤/٢)

يسألونك عن حج÷#kO9\$#Q#uد ys9\$# قتال فيه قل قتال فيه ضر÷#x٦. وصد
عن سبيل الله
وكفر به &dr÷#ح&د¾ ur(خz÷#l#uك #s\$٩yQ#uد yJ9\$#ur،f١%و
منه مژ&y9.r عند الله
والفتنة مژ&y92r من القتل ولا tf"u#٩٠tbq يقاتلونكم ٤سLxm® يردوكم عن
دينكم إن
استطاعوا ومن ðتدو%s؟tf منكم عن دينه فيمت وهو كافر فأولئك ðمsحxm٧
أعمالهم في
الدنيا د ouج ½#ur\$Fy z وأولئك أصحاب النار هم فيها ژScrà#(217"yz) إن
الذين آمنوا
والذين هاجروا وجاهدوا في سبيل الله أولئك يرجون رحمة الله والله غفور رحيم (٢١٨) {
)
(٤٥/٢)

١١٦) بعث رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم عبد الله بن جحش على سرية في جمادى الآخرة قبل قتال بدر بشهرين ليرصد عيرا لقريش فيها عمرو بن عبد الله الحضرمي وثلاثة (١) معه، فقتلوه وأسروا اثنين واستاقوا العير وفيها من تجارة الطائف، وكان ذلك أول يوم من رجب وهم يظنون من جمادى الآخرة، فقالت قريش: قد استحل محمد الشهر

الحرام شهرا يأمن فيه الخائف ويذعر فيه الناس إلى معاشهم فوقف رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم العير، وعظم ذلك على أصحاب السرية وقالوا: ما نبرح حتى تنزل توبتنا، ورد رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم العير والأسارى، وعن ابن عباس رضي الله عنه: لما نزلت أخذ رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم الغنيمة. والمعنى: يسألك الكفار أو المسلمون عن القتال في الشهر الحرام. و { قتال فيه } بدل الاشتغال من الشهر. وفي قراءة عبد الله: "عن قتال فيه"، على تكرير العامل، كقوله: { للذين استضعفوا لمن آمن منهم } (الأعراف: ٧٥) وقرأ عكرمة: "قتل فيه قل قتل فيه كبير"، أي إثم كبير. وعن عطاء: أنه سئل عن القتال في الشهر الحرام؟ فحلف بالله ما يحل للناس أن يغزوا في الحرم ولا في الشهر الحرام إلا أن يقاتلوا فيه، وما نسخت (٢). وأكثر الأقاويل على أنها منسوخة بقوله: { فاقتلوا المشركين حيث وجدتموهم } (التوبة: ٥).

)

١) قوله: (وثلاثة) روي أنهم الحكم بن كيسان، وعثمان بن عبد الله بن المغيرة، ونوفل بن عبد الله، ومعنى (ويذعر) يتفرق، ومعنى (حتى تنزل توبتنا) حتى ينزل قبولها.

٢) قوله: (وما نسخت) تنمة قول عطاء، وعلى قول الأكثر: إنها منسوخة، يكون ذلك من باب نسخ الخاص بالعام، وفيه خلاف، وقيل: الأولى منع دلالة الآية على حرمة القتال في الشهر الحرام مطلقا، فإن قتال فيه نكرة في حيز... فلا يعم.

(٤٦/٢)

وصد عن سبيل الله { مبتدأ وأكبر خبره، يعني وكبائر قريش من صدهم عن سبيل الله وعن المسجد الحرام، وكفرهم بالله وإخراج أهل المسجد الحرام وهم رسول الله والمؤمنون } أكبر عند الله { مما فعلته السرية من القتال في الشهر الحرام على سبيل الخطأ

والبناء على الظن { والفتنة أكبر من القتل ولا يزالون يقاتلونكم حتى يردوكم عن دينكم إن استطاعوا ومن يرتدد منكم عن دينه فيمت وهو كافر فأولئك حبطت أعمالهم في الدنيا والآخرة وأولئك أصحاب النار هم فيها خالدون }
الإخراج أو الشرك. والمسجد الحرام: عطف على سبيل الله (١)،

(١) قوله: (والمسجد الحرام: عطف على سبيل الله) والتقدير على هذا: وصد عن سبيل الله، وعن المسجد الحرام، فالمسجد الحرام من صلة الصد، كما أن السبيل صلته؛ لأن المعطوف على الصلة في حكم الصلة، فكيف صح عطف { وكفر به } على قوله: { وصد عن

سبيل الله } قبل الفراغ منه، هذا معنى قول المصنف في الحاشية كيف صح العطف قبل الفراغ من المعطوف عليه، وقد منعوا من ذلك، وأجاب المصنف عنه بوجهين أحدهما: أن قوله: { وكفر به } في معنى الصد عن سبيل الله فأيجادهما هو الذي سوغ ذلك، وقيل: مراده أن قوله: { وكفر به } عطف على { وصد عن سبيل الله } على سبيل التفسير، كأنه قيل: وصد عن سبيل الله، أي: كفر به، والمسجد الحرام، فاعترض بين المعطوف والمعطوف عليه بالتفسير، وثانيهما: أن موضع .. إلى آخره.

قال أبو البقاء: الجيد أن يكون متعلقا بفعل محذوف دل عليه الصد، أي: ويصدون عن المسجد الحرام.
(٤٧/٢)

ولا يجوز أن يعطف على الهاء في { به } (١). { ولا يزالون يقاتلونكم } إخبار عن دوام عداوة الكفار للمسلمين وأنهم لا ينفكون عنها حتى يردوهم عن دينهم، وحتى معناها التعليل كقولك: فلان يعبد الله حتى يدخل الجنة، أي يقاتلونكم كي يردوكم. و { إن استطاعوا } استبعاد (٢) لاستطاعتهم كقول الرجل لعدوه: إن ظفرت بي فلا تبقي علي. وهو واثق بأنه لا يظفر به { ومن يرتدد منكم } ومن يرجع عن دينه إلى دينهم ويطاوعهم على رده إليه (٣) { فيمت وهو كافر فأولئك حبطت أعمالهم في الدنيا والآخرة وأولئك أصحاب النار هم فيها خالدون } على الردة { فأولئك حبطت أعمالهم في الدنيا والآخرة } لما يفوتهم بإحداث الردة مما للمسلمين في الدنيا من ثمرات الإسلام، وباستدامتها والموت عليها من ثواب الآخرة. وبها احتج الشافعي (٤)

(١) قوله: (ولا يجوز أن يعطف على الهاء في { به }) وذلك لعدم جواز العطف على الضمير المجرور بدون إعادة الجار ، ولفساد المعنى أيضا ؛ إذ لا معنى لقوله : { وكفر بالمسجد الحرام } .

(٢) قوله: (و { إن استطاعوا { استبعاد) أي : لا تكون استطاعة ، وتفيد كونها معرض كما يعرض المجازات لدلالة استعمال إن في مقام التحقيق على ذلك ، وحتى على هذه التعليل لا للغاية .

(٣) قوله: (على رده إليه) هذا من حذف الفاعل ، وإضافة الرد إلى مفعوله ، أي : تطاوعهم على ردهم إياه إلى دينهم .

(٤) قوله: (وبها احتج الشافعي) رحمه الله ، وجه الاحتجاج أن الآية دلت على أن الردة إنما توجب الحبوط بشرط الموت عليها ، فإذا لم يوجد الشرط لم يوجد المشروط ، ولا يعارض هذا بقوله : { ومن يكفر بالإيمان فقد حبط عمله } لأن هذا من باب حمل المطلق على المقيد ، لأننا لو جعلنا مجرد الردة مؤثرا في الحبوط لم يبق للموت على الردة أثر

في الحبوط وصلى ..ولو حملنا المطلق على المقيد لعملنا بمقتضى الدليلين ، وفائدة الخلاف تظهر فيما إذا صلى المسلم ثم ارتد ، ثم أسلم ، قال الشافعي : لا قضاء عليه ، وقال أبو حنيفة : عليه القضاء [قضاء ما أدى] نخ.
(٤٨/٢)

على أن الردة لا تحبط الأعمال حتى يموت عليها. وعند أبي حنيفة أنها تحبطها وإن رجع مسلما. { إن الذين آمنوا والذين هاجروا } روي أن عبد الله بن جحش وأصحابه حين قتلوا الحضرمي، ظن قوم أنهم إن سلموا من الإثم فليس لهم أجر، فنزلت { أولئك يرجون رحمة الله } وعن قتادة: هؤلاء خيار هذه الأمة، ثم جعلهم الله أهل رجاء كما تسمعون. وإنه من رجا طلب، ومن خاف هرب.

{ * يسألونك عن حجج #Jy,9\$ô والميسر قل فيهما إثم ضرخ ٢٧ كد sYtBur للناس وإثمهما

مثر &y92r من نفعهما ويسألونك ماذا ينفقون قل العفو ٧dy9xx. يبين الله لكم الآيات لعلكم تتفكرون (٢١٩) في الدنيا ج ou ١/2zFy\$#ur ويسألونك عن اليتامى قل إصلاح لهم

ضرخ yz وإن تخالطوهم نN ٣z÷R`uqخ* sù والله يعلم المفسد من ثx=d#J9 ولو شاء الله

(١١٧) نزلت في الخمر أربع آيات نزلت بمكة { ومن ثمرات النخيل والأعناب تتخذون منه سكرا } (النحل: ٦٧) فكان المسلمون يشربونها وهي لهم حلال. ثم إن عمر ومعاذا ونفرا من الصحابة قالوا؛ يا رسول الله، أفتنا في الخمر فإنها مذهب للعقل مسلبة للمال، فنزلت: { فيهما إثم كبير ومنافع للناس } فشربها قوم وتركها آخرون. ثم دعا عبد الرحمن بن عوف ناسا منهم فشربوا وسكروا فأمر بعضهم فقرا: قل يا أيها الكافرون أعبد ما تعبدون فنزلت: { لا تقربوا الصلاة وأنتم سكارى } فقل من يشربها. ثم دعا عتب بن مالك قوما فيهم سعد بن أبي وقاص فلما سكروا افتخروا وتناشدوا حتى أنشد سعد شعرا فيه هجاء الأنصار فضربه أنصاري بلحي يعير فشجّه موضحة (١)، فشكا إلى رسول الله صلى الله

عليه وآله وسلم . فقال عمر: اللهم بين لنا في الخمر بيانا شافيا، فنزلت { إنما الخمر والميسر } إلى قوله: { فهل أنتم منتهون } فقال عمر رضي الله عنه: انتهينا يا رب. وعن علي رضي الله عنه: لو وقعت قطرة في بئر فبنيت مكانها منارة لم أؤذن عليها ولو وقعت في بحر ثم جف ونبت فيه الكأ لم أرعه. وعن ابن عمر رضي الله عنهما: لو أدخلت أصبعي فيه لم تتبعني. وهذا هو الإيمان حقا، وهم الذين اتقوا الله حق تقاته. والخمر: ما غلى واشتد وقذف بالزبد من عصير العنب، وهو حرام، وكذلك نقيع الزبيب أو التمر الذي لم يطبخ، فإن طبخ حتى ذهب ثلثاه ثم غلى واشتد ذهب خبثه ونصيب الشيطان، وحل شربه ما دون السكر إذا لم يقصد بشربه اللهو والطرب عند أبي حنيفة. وعن بعض أصحابه: لأن أقول مرارا هو حلال، أحب إلي من أن أقول مرة هو حرام، ولأن ولأن آخر من السماء فأتقطع قطعاً أحب إلي من أن أتناول منه قطرة. وعند أكثر الفقهاء هو حرام كالخمر، وكذلك كل ما أسكر من كل شراب.

(١) قوله: (فشجّه موضحة) يفيد موضحة بأنها مفعول مطلق من شجّه ، ومعنى (قمرته) :

غلبته في القامار ، ومعنى يخاطر : يراهن .

وكانها سميت بالمصدر من "خمرة خمرا" إذا ستره للمبالغة. والميسر: القمار، مصدر من يسر، كالموعد والمرجع من فعلهما. يقال: يسرته، إذا قمرته، واشتقاقه من اليسر، لأنه أخذ مال الرجل بيسر وسهولة من غير كدر ولا تعب، أو من اليسار. لأنه سلب يساره. وعن ابن عباس رضي الله عنهما: كان الرجل في الجاهلية يخاطر على أهله وماله قال: أقول لهم بالشعب إذ ييسروني(١)

أي يفعلون بي ما يفعل الباسرون بالميسور. فإن قلت: كيف صفة الميسر؟ قلت: كانت لهم عشرة أقداح، وهي: الأزام والأقلام، والفد، والتوأم، والرقيب، والحلس، والنافس،

والمسبل، والمعلی والمنيح والسفيح، والوغد. لكل واحد منها نصيب معلوم من جزور ينحرونها ويجزونها عشرة أجزاء. وقيل: ثمانية وعشرين إلا لثلاثة، وهي المنيح والسفيح والوغد. ولبعضهم(٢):

لي في الدنيا سهام*** ليس فيهن ربيع

(١) قوله: (أقول لهم بالشعب إذ ييسروني) *** ألم تعلموا أني ابن فارس زهدم [٧٨٨] البيت للشخير بن وييل ، أي : أقول لهم بهذا الموضع إذ يقطعوني بالضرب : ألم تعلموا أني ابن صاحب هذا الفرس ، من اليسر القطع ، وقيل : أراد تأخذون فدائي ، جعل اقتسامهم لفدائه كإقتسامهم لنفسه ، وزهدم في الأصل اسم لفرخ البازي ، سمي به الفرس لسرعته ، وفي رواية : ألم تياسوا : موضع ألم تعلموا ، وهي لغة البخع ، وروي إذ يأسروني ، أي : يأخذونني أسيرا .

(٢) قوله: (ولبعضهم) هو للمصنف :

لي في الدنيا سهام*** ليس فيهن ربيع

وأساميهن وغد*** وسفيح ومنيح

والبرم : هو الذي لا يدخل مع القوم في الميسر ، وقيل : هو اللثيم ، والجهد . بالضم . الوسع والطاقة ، وبالفتح : المشقة ، وقيل : هما لغتان في الوسع والطاقة ، وأما في المشقة فبالفتح لا غير .

(٥١/٢)

وأساميهن وغد*** وسفيح ومنيح

للفد سهم، وللتوأم سهمان، وللرقيب ثلاثة، وللحلس أربعة، وللنافس خمسة، وللمسبل ستة؛ وللمعلی سبعة يجعلونها في الربابة وهي خريطة، ويضعونها على يدي عدل، ثم يجعلونها

ويدخل يده فيخرج باسم رجل رجل قدحا منها. فمن خرج له قدح من ذوات الأنصباء أخذ
النصيب المرسوم به ذلك القدح. ومن خرج له قدح مما لا نصيب له لم يأخذ شيئا وغرم ثمن
الجزور كله. وكانوا يدفعون تلك الأنصباء إلى الفقراء ولا يأكلون منها. ويفتخرون
بذلك ويذمون من لم يدخل فيه، ويسمونهم البرم. وفي حكم الميسر: أنواع القمار، من
النرد والشطرنج وغيرهما. وعن النبي صلى الله عليه وآله وسلم (١١٨) "إياكم وهاتين
اللعبتين المشؤمتين فإنهما من ميسر العجم" وعن علي رضي الله عنه: أن النرد والشطرنج

من الميسر وعن ابن سيرين: كل شيء فيه خطر فهو من الميسر. والمعنى: يسألونك عما في
تعاطيها، بدليل قوله تعالى: { قل فيهما إثم كبير } ، { وإثمهما أكبر من نفعهما
ويسألونك ماذا ينفقون قل العفو كذلك يبين الله لكم الآيات لعلكم تتفكرون } وعقاب
الإثم في تعاطيها { أكبر من نفعهما } وهو الالتذاذ بشرب الخمر والقمار، والطرب
فيهما، والتوصل بهما إلى مصادقات الفتيان ومعاشراتهم، والنيل من مطاعمهم ومشاربهم
وأعطياتهم، وسلب الأموال بالقمار، والافتخار على الأبرام. وقرئ: "إثم كثير" -
بالثاء - وفي قراءة أبي: "وإثمهما أقرب". ومعنى الكثرة: أن أصحاب الشرب والقمار
يقترفون فيهما الآثام من وجوه كثيرة { العفو كذلك يبين الله لكم الآيات لعلكم
تتفكرون } نقيض الجهد؛ وهو أن ينفق مالا يبلغ إنفاقه منه الجهد واستفراغ الوسع،
قال (١):

(١) قوله: (خذي العفو مني تستديمي مودتي ...)
الشعر لأبي الأسود الدؤلي يخاطب به امرأته . تمامه :

ولا تنطقي في سورتني حين أغضب
وبعده :

فإني رأيت الحب في الصدر والأذى *** إذا اجتمعا لم يلبث الحب يذهب
أي : خذي صفو أخلاقي ، أي : صافيتها ، أو خذي ما سهل ولم يشق علي حتى تستديمي
محبتني

، ولا تنطقي في حال حدتي وشدة غضبي ، فإنني الحب والأذى إذا دخلا في الصدر لا يلبث
الحب مع الأذى ؛ لأنهما ضدان لا يجتمعان .
(٥٢/٢)

خذي العفو مني تستديمي مودتي

ويقال للأرض السهلة: العفو. وقرىء بالرفع والنصب. وعن النبي صلى الله عليه وآله وسلم . (١١٩) أن رجلا أتاه بيضة من ذهب أصابها في بعض المغازي فقال: خذها مني صدقة، فأعرض عنه رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ؛ فأتاه من الجانب الأيمن فقال مثله فأعرض عنه، ثم أتاه من الجانب الأيسر فأعرض عنه؛ فقال: هاتها مغضبا، فأخذها فخذفه بها(١) خذفا لو أصابه لشجه أو عقره، ثم قال: "يجيء أحدكم بماله كله يتصدق به

ويجلس يتكفف الناس! إنما الصدقة عن ظهر غنى" { في الدنيا والآخرة } إما أن يتعلق بتفكرون، فيكون المعنى: لعلكم تتفكرون فيما يتعلق بالدارين؛ فتأخذون بما هو أصلح لكم؛ كما بينت لكم أن العفو أصلح من الجهد في النفقة، وتتفكرون في الدارين فتؤثرون أبقاهما وأكثرهما منافع. ويجوز أن يكون إشارة إلى قوله: { وإثمهما أكبر من نفعهما } لتفكروا في عقاب الإثم في الآخرة والنفع في الدنيا. حتى لا تختاروا النفع العاجل على النجاة من العقاب العظيم.

(١) قوله: (فخذفه بها) فرماه بها ، ومعنى (يتكفف الناس) يمد كفه إليهم لسؤالهم ، ومعنى (عن ظهر غنى) أنه قد حصل عن ظهر غنى ، وقيل : الظهر مقحم .
(٥٣/٢)

وإما أن يتعلق بيبين(١) على معنى: يبين لكم الآيات في أمر الدارين وفيما يتعلق بهما لعلكم تتفكرون، لما نزلت { إن الذي يأكلون أموال اليتامى ظلما } (النساء: ١٠) اعتزلوا اليتامى وتحاموهم وتركوا مخالطتهم والقيام بأموالهم والاهتمام بمصالحهم، فشق ذلك عليهم وكاد يوقعهم في الحرج. ف قيل { إصلاح لهم خير } أي مداخلتهم على وجه الإصلاح لهم ولأموالهم خير من مجانبتهم { وإن تخالطوهم } وتعاشروهم ولم تجانبوهم { ف { هم { إخوانكم والله يعلم المفسد من المصلح ولو شاء الله لأعنتكم إن الله عزيز حكيم } في الدين، ومن حق الأخ أن يخالط أخاه، وقد حملت المخالطة على المصاهرة { والله يعلم المفسد من المصلح } أي لا يخفى على الله من داخلهم بإفساد وإصلاح فيجازهه على حسب مداخلته، فاحذروه ولا تتحروا غير الإصلاح { ولو شاء الله لأعنتكم } لحملكم على العنت وهو المشقة وأخرجكم فلم يطلق لكم مداخلتهم. وقرأ طاوس: "قل إصلاح إليهم".

(١) قوله: (وإما أن يتعلق بيبين) عطف على قوله: (إما أن يتعلق ببيتفكرون) فعلى أن يتعلق ببيتفكرون المشار إليه بقوله: كذلك، أما جواب السؤال الثاني: وهو قوله: قل

العفو، وهو لكونه إرشادا إلى الأصلح في النفقة، وقد وقع مشبها به لبيان الآيات، ويدخل فيه سائر الأحكام الشرعية مما له مدخل في مجرى الأصلح، وأما ما يتعلق بالجواب الأول، وهو قوله: وأتمها، وعلى أن يعلق بقوله بيبين، فكون قوله { يتفكرون } عاما فيما يتفكروا فيه، أو مطلقا، ويكون المشار إليه بكذلك جميع ما مر من أول السورة، أو جميع ما بين في التنزيل، والمعنى مثل هذا البيان المذكور في كل ما يأتون ويذرون يبين الله لكم الآيات في أمر الدنيا والآخرة، لعلكم تتفكرون في جميع ذلك، أو تكونون من أهل التفكير.

(٥٤/٢)

ومعناه إيصال الصلاح وقرىء: "لعتنكم"، بطرح الهمزة وإلقاء حركتها على اللام، وكذلك { فلا إثم عليه }. { إن الله عزيز } غالب يقدر على أن يعنت عباده ويخرجهم ولكنه { حكيم } لا يكلف إلا ما تتسع فيه طاقتهم.

{ ولا تنكحوا المشركات } س Lxm® يؤمن B÷s-BpB{ur îpsY× ضرچ yz من pxv.خرث³-B ولو

أعجبتمكم ولا تنكحوا المشركين } س Lxm® يؤمنوا ولعبد ي B÷s-Bد` ضرچ yz من ٧٨خرث³-B ولو

أعجبكم أولئك يدعون إلى النار والله (#mûq%ôtf إلى الجنة دoudچدے ur\$#9yJ

يأذنه

ويبين آياته للناس لعلهم tbrمچھ.221) (xtGtf { }

(٥٥/٢)

ولا تنكحوا { وقرىء بضم التاء (١)، أي لا تتزوجوهن أو لا تزوجوهن. و { المشركات } الحرييات، والآية ثابتة. وقيل المشركات الحرييات والكتابات جميعا، لأن أهل الكتاب من أهل الشرك، لقوله تعالى: { وقالت اليهود عزير ابن الله وقالت النصارى المسيح ابن الله } إلى قوله تعالى: { سبحانه عما يشركون }، وهي منسوخة بقوله تعالى: {

والمحصنات من الذين أوتوا الكتاب من قبلكم { . وسورة المائدة كلها ثابتة لم ينسخ منها شيء قط. وهو قول ابن عباس والأوزاعي وروي (١٢٠) أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بعث مرثد بن أبي مرثد الغنوي إلى مكة ليخرج منها ناسا من المسلمين وكان يهوى امرأة في الجاهلية اسمها عناق، فأنته وقالت: ألا نخلو؟ فقال: ويحك! إن الإسلام قد حال بيننا.

(١) قوله: ({ ولا تنكحوا } وقرئ بضم التاء) قال الزجاج : هذا وجه ، ولا أعلم أحدا قرأ به .
(٥٦/٢)

فقلت: فهل لك أن تتزوج بي؟ قال: نعم، ولكن أرجع إلى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فاستأمره، فاستأمره فنزلت { ولأمة مؤمنة خير } ولا امرأة مؤمنة حرة كانت أو مملوكة، وكذلك { ولعبد مؤمن } لأن الناس كلهم عبيد الله وإماؤه { ولو أعجبكم } ولو كان الحال أن المشركة تعجبكم وتحبونها، فإن المؤمنة خير منها مع ذلك { أولئك يدعون إلى النار والله يدعوا إلى الجنة والمغفرة بإذنه وبين آياته للناس لعلهم يتذكرون } إشارة إلى المشركات والمشركين، أي يدعون إلى الكفر فحقهم أن لا يوالوا ولا يصاهروا ولا يكون بينهم وبين المؤمنين إلا المناصبة والقتال { والله يدعوا إلى الجنة } يعني وأولياء الله (١) وهم المؤمنون يدعون إلى الجنة { والمغفرة بإذنه وبين آياته للناس لعلهم يتذكرون } وما يوصل إليهما فهم الذين تجب موالاتهم ومصاهرتهم، وأن يؤثروا على غيرهم (٢) { بإذنه وبين آياته للناس لعلهم يتذكرون } بتيسير الله وتوفيقه للعمل الذي تستحق به الجنة والمغفرة. وقرأ الحسن: "والمغفرة بإذنه" - بالرفع - أي والمغفرة حاصلة بتيسيره.

}

(١) قوله: (يعني وأولياء الله) أراد أنه حذف المضاف وأقيم المضاف إليه مقامه تفخيما لشأنهم ، وإنما قد رالمضاف ؛ لأن قوله { بإذنه } لا يستقيم من غير تقدير ، إذ لا تقول : الله يدعوا بإذنه ، ولأنه في مقابلة { أولئك يدعون إلى النار } وهم أعداء الله فقبول بأوليائه .

(٢) قوله: (وأن يؤثروا على غيرهم) صح بغير لا في نسخة المعري ، وفي نسخة الصمصام :

)

(١) قوله: (شأنك بأعلاها) أي : استمتع بما فوق فرجها ، فإنه غير مضيق عليك ، وشأنك منصوب بإضمار فعل ، ويجوز رفعه على الابتداء .
(٥٩/٢)

وقد جاء ما هو أرخص من هذا عن عائشة رضي الله عنها أنها قالت: يجتنب شعار الدم(١) وله ما سوى ذلك وقرئ "يطهرن" بالتشديد، أي يتطهرن، بدليل قوله: { فإذا تطهرن } وقرأ عبد الله: "حتى يتطهرن". و"يطهرن" بالتخفيف. والتطهر: الاغتسال. والطهر: انقطاع دم الحيض. وكلتا القراءتين مما يجب العمل به، فذهب أبو حنيفة إلى أن له أن يقربها في أكثر الحيض بعد انقطاع الدم وإن لم تغتسل، وفي أقل الحيض لا يقربها حتى تغتسل أو يمضي عليها وقت صلاة. وذهب الشافعي إلى أنه لا يقربها حتى تطهر وتطهر، فتجمع بين الأمرين، وهو قول واضح(٢). ويعضده قوله: { فإذا تطهرن } . { من حيث أمركم الله { من المأتى الذي أمركم الله به وحلله لكم وهو القبل { إن الله يحب التوابين { مما عسى يندر منهم(٣)

(١) قوله: (يجتنب شعار الدم) الشعار : العلامة ، وشعار الدم : الخرقه أو الفرج على الكناية ، لأن كلا منهما علم للدم ، وعلى هذا إن أريد بالشعار الإزار فهو قول أبي حنيفة ، وإن أريد به الفرج والكرسف ، فهو قول محمد ، وفي قول محمد قد جاء ما هو أرخص من هذا إشعار بأن امراد بالشعار الكرسف والفرج ، وعن المصنف : يجوز أن يراد بشعار الدم الخرقه والإزار ، ويجعل كناية عن العضو لملاسته له ، ويجوز أن يراد بشعار الدم علم الدم [٧٨٩] وهو الفرج .

(٢) قوله: (وهو قول واضح) أي : ظاهر الآية يدل عليه ، فإن قوله : { فاعتزلوا النساء في المحيض } حكم مترتب على الوصف المناسب ، فعلم أن الموجب كونه أذى ، فإذا انتفى الأذى يجوز قربهن ، ثم قوله : { ولا تقربوهن حتى يطهرن } لا بد له من فائدة زائدة على ذلك ، فإن أريد بالطهارة انقطاع الدم كان تكريرا ، والمقام لا يقتضيه فيجب حمله على الاغتسال .

)

٣) قوله: (مما عسى يندر منهم) بالياء ، والتاء ، وفي نسخة الصمصام بالياء والنون ،
والبادرة : البديهة ، ندرت إلى الشيء أشرفت وبدرت منه بواذر غضب ، أي : خطأ ..
(٦٠/٢)

من ارتكاب مانهوا عنه من ذلك { ويحب المتطهرين } المتنزهين عن الفواحش. أو إن الله
يحب التوابين الذين يطهرون أنفسهم بطهرة التوبة من كل ذنب، ويحب المتطهرين من جميع
الأقذار: كمجامعة الحائض والطاهر قبل الغسل، وإتيان ما ليس بمباح، وغير ذلك { حرث
لكم } مواضع الحرث لكم. وهذا مجاز(١)،

(١) قوله: (مواضع الحرث لكم. وهذا مجاز) لم يرد بكونه مجازاً أنه استعارة لوجود
المشبه ، وهو النساء ، والمشبه به وهو الحرث في الكلام ، أي : نساؤكم مواضع حرث لكم
، فهو على هذا تشبيه بليغ ، بل أراد أن وضع حرث موضع مواضع حرث مجاز باعتبار حكم
الكلمة ، كما في { واسأل القرية }

وقوله : وشبههن بالمحارث) جملة مستأنفة لبيان التركيب ، وصحة تشبيه النساء بمواضع
الحرث ، وأما قوله { فأتوا حرثكم أنى شئتم } تمثيل ، ثم قوله : (من الكنايات) فإنما
جعله تمثيلاً باعتبار انتزاع وجه الشبه من عدة أمور ، وهي إتيان المرأة من أي وجه
شاء بعد توخي موضع الحرث ، ولجري رضا الله مثلت هذه الحالة بحالة الزراع الذي له أن
يأتي أراضيه المملوكة للحرث من أي جهة شاء لا يمنعه مانع ، فالوجه المنتزع من عدة
أمور متوهمة هو عدم الحرج والتضييق في الإتيان بعد أن يكون المقصد واحداً ، وأما
الكناية باعتبار أخذ الزبدة والخلاصة من هذا المجموع قوله { هو أذى } مبتدأ
والمذكورات بعده معطوفة عليه ، ومن الكنايات الخبر ، أي : المذكورات الأربع ، كل
واحد منهما من الكنايات اللطيفة ، والتعريضات المستحسنة ، والتعريضات عطف على
الكنايات على سبيل البيان ، أراد أنها تعريضات واقعة على طريق الكناية ، دون المجاز
، أما قوله : { هو أذى } فكناية عن قوله : شيء مستقذر كما قدره ؛ لأن المستقذرات

مستلزمة للأخف ، ووجه حسنها أن المراد الاجتناب عنه فيجب أن يكنى عنه بلفظ يوحش
السامع ، وأما قوله : { فاعتزلوا النساء } فهو كناية عن اجتناب قريهن ، ووجه حسنها
لفظ الاعتزال ، فإنه يدل على البعد عنهن ليناسب الأول ، وإظهار لفظ النساء وتحريض
المحيض وترتيب الحكم على تلك الصفة ، وأما قوله : (من حيث أمركم الله { فكناية عن

أتیانهن في أقبالهن ، ووجه حسنا الإشعار بأن في المأمور به فوائد غير ما ورد الكلام له من طلب النساء ، والتحصن وغير ذلك ، وأما قوله : { فأتوا حرثكم أنى شئتم } فعلى ما سبق ، والمخية : المنكبة على وجهها كهياة الساجد .
(٦١/٢)

شبهن بالمحارث تشبيها لما يلقي في أرحامهن من النطف التي منها النسل بالبذور .
وقوله : { فأتوا حرثكم أنى شئتم } تمثيل ، أي فأتوهن كما تأتون أراضيكم التي تريدون أن تحرثوها من أي جهة شئتم . لا تحظر عليكم جهة دون جهة ، والمعنى : جامعوهن من أي شق

أدرتم بعد أن يكون المأتى واحدا وهو موضع الحرث . وقوله : { هو أذى فاعتزلوا النساء } ، { من حيث أمركم الله } ، { فأتوا حرثكم أنى شئتم } من الكنايات اللطيفة والتعريضات المستحسنة . وهذه وأشباهها في كلام الله آداب حسنة على المؤمنين أن يتعلموها ويتأدبوا بها ويتكلفوا مثلها في محاورتهم ومكاتبتهم . وروي : (١٢٣) أن اليهود كانوا يقولون : من جامع امرأته وهي مجيبة من دبرها في قبلها كان ولدها أحول ، فذكر ذلك لرسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فقال كذبت اليهود ونزلت { وقدموا لأنفسكم } ما يجب تقديمه من الأعمال الصالحة وما هو خلاف ما نهيتكم عنه .
(٦٢/٢)

وقيل : هو طلب الولد ، وقيل : التسمية على الوطاء { واتقوا الله } فلا تجترئوا على المناهي { واعلموا أنكم ملاقوه } فتزودوا ما لا تفتضحون به { وبشر المؤمنين } المستوجبين للمدح والتعظيم بترك القبائح وفعل الحسنات فإن قلت : ما موقع قوله : {

نساؤكم حرث لكم } مما قبله؟ قلت : موقعه موقع البيان والتوضيح لقوله : { فأتوهن من حيث أمركم الله } يعني أن المأتى الذي أمركم الله به هو مكان الحرث ، ترجمة له وتفسيرا ، أو إزالة للشبهة (١) ، ودلالة على أن الغرض الأصيل في الإتيان هو طلب النسل لا قضاء الشهوة ، فلا تأتوهن إلا من المأتى الذي يتعلق به هذا الغرض . فإن قلت : ما بال { ويسألونك } جاء بغير واو ثلاث مرات ، ثم مع الواو ثلاثا؟ قلت : كان سؤالهم عن تلك الحوادث الأول وقع في أحوال متفرقة ، فلم يؤت بحرف العطف لأن كل واحد من السؤالات سؤال مبتدأ . وسألوا عن الحوادث الأخر في وقت واحد ، فجاء بحرف الجمع لذلك ،

كأنه قيل: يجمعون لك بين السؤال عن الخمر والميسر، والسؤال عن الإنفاق، والسؤال عن كذا وكذا.

}

(١) قوله: (ترجمة له وتفسيرا، أو إزالة للشبهة) نصب على أنها مفعول له بقوله: موقع البيان، ويجوز أن يكون مفعولا مطلقا، أو حالا لما ورد، قوله: {نساؤكم حرث لكم} بغير عاطف صلح أن يكون بيانا لقوله: {فأتوهن من حيث أمركم الله} لا يدل بالمنطوق على الموضع المبهم، ومن حيث المفهوم على شيئين آخرين؛ لأن الأمر بإتيانهن قد يتوهم منه أن يكون لمجرد الشهوة، أو لطلب الولد، فبين بقوله: {نساؤكم حرث لكم} الموضع الذي ينبغي أن يؤتى فيه، وأزيل طلب مجرد الشهوة، فإن الحرث مختص بالمكان الذي يتأتى فيه البذر والزرع، والمعرض للأمر: المنصوب له.

(٦٣/٢)

ولا تجعلوا الله عرضة لأيمانكم أن تبروا وتتقوا (è?ur=ssq# بين الناس والله سميع Oت=دتو (٢٢٤) لا يؤاخذكم الله باللغو في أيمانكم ولكن يؤاخذكم بما كسبت قلوبكم والله غفور (xm (225=دL× {

لعرضة: فعلة بمعنى مفعول، كالقبضة والغرفة، وهي اسم ما تعرضه دون الشيء من عرض العود على الإناء فيعترض دونه ويصير حاجزا ومانعا منه. تقول: فلان عرضة دون الخير. والعرضة أيضا: المعرض للأمر. قال(١): فلا تجعلوني عرضة للوائم

(١) قوله: (فلا تجعلوني) أوله :

دعوني أنح وجدي كنوح الحمام***فلا تجعلوني عرضة للوائم ورواية عين المعاني :

متى كان سمعي عرضة للوائم. [٧٩٠] وكيف صغت للعاذلين عزائي . يقال : فلان عرضة للناس لا يزالون يقعون فيه ، وجعلت فلانا عرضة لكذا ، إذا أنصفته له .

(٦٤/٢)

ومعنى الآية على الأولى(١): أن الرجل كان يحلف على بعض الخيرات، من صلة رحم، أو

إصلاح ذات بين، أو إحسان إلى أحد، أو عبادة، ثم يقول: أخاف الله أن أحنث في يميني، فيترك البر إرادة البر في يمينه، فقليل لهم: { ولا تجعلوا الله عرضة لأيمانكم } أي حاجزا لما حلفتكم عليه. وسمي المحلوف عليه يميننا لتلبسه باليمين، كما قال النبي صلى الله عليه وآله وسلم لعبد الرحمان بن سمرة: (١٢٤) "إذا حلفت على يمين (٢) فرأيت غيرها خيرا منها فأأت الذي هو خير وكفر عن يمينك" أي على شيء مما يحلف عليه. وقوله: { أن تبروا وتتقوا وتصلحوا } عطف بيان لأيمانكم (٣)، أي للأمر المحلوف عليها التي هي البر والتقوى والإصلاح بين الناس. فإن قلت: بم تعلقت اللام في لأيمانكم؟ قلت: بالفعل (٤)، أي ولا تجعلوا الله لأيمانكم برزخا وحجازا.

-
- (١) قوله: (ومعنى الآية على الأولى) أي: على اللغة الأولى، وهي أن يكون معنى عرضة اسم ما يعرضه دون الشيء.
- (٢) قوله: (إذا حلف على يمين) جعل المصنف اليمين بمعنى المحلوف عليه مجازا، وقيل: على يمين معناه ما يتعلق به اليمين، وهو من إقامة المصدر مقام المفعول، سمي المحلوف عليه يميننا؛ لأنهما بمعنى الحلف.
- (٣) قوله: (أن تبروا عطف بيان لأيمانكم) بناء على أن الأيمان بمعنى المحلوف فيه، فإذا أن تبروا بمعنى لأن تبروا.
- (٤) قوله: (قلت: بالفعل) تقرير الجواب من وجهين، أحدهما: أن تكون اللام صلة إما لقوله: { لا تجعلوا } أو لعرضة، على الأول لا تجعلوا متعد إلى ثلاثة مفاعيل، لكن الثالث منها بواسطة اللام، وعلى الثاني إلى مفعولين، وبأيمانكم على التقديرين بمعنى المحلوف عليه، وأن تبروا بيان له، وثانيهما: أن تكون اللام للتعليل، ويرجع معنى أن تبروا إلى أنه مفعول له، والأيمان على هذا جمع اليمين بمعنى الحلف.
- (٦٥/٢)

ويجوز أن يتعلق بـ { عرضة } لما فيها من معنى الاعتراض، بمعنى لا تجعلوه شيئا يعترض البر، من اعترضني كذا. ويجوز أن يكون اللام للتعليل، ويتعلق أن تبروا بالفعل أو بالعرضة، أي ولا تجعلوا الله لأجل أيمانكم به عرضة لأن تبروا. ومعناها على الأخرى: ولا تجعلوا الله معرضا لأيمانكم فتبتذلوه بكثرة الحلف به، ولذلك ذم من أنزل فيه { ولا تطع كل حلاف مهين } (القلم: ١٠) بأشنع المذام وجعل الحلاف مقدمتها. وأن تبروا علة للنهي، أي إرادة أن تبروا (١) وتتقوا وتصلحوا، لأن الحلاف مجترىء على الله (٢)،

(١) قوله: (أي إرادة أن تبروا) قيل : إنما قدر إرادة ليتحقق شرط حذف اللام ، وهو المقاربة ، لأن البر والتقوى والإصلاح لم تكن مقارنة للنهي قيل : والأولى أن يقدر الإرادة ليكون فعلا لفاعل الفعل المعلن ، والتقدير نهاكم عن ذلك إرادة أن تبروا ، وقيل : لا يحتاج إلى تقدير الإرادة ، فإن حذف اللام على القياس المستمر مع إن .
(٢) قوله: (لأن الحلاف مجتريء على الله) علة لجعل الحلاف علة لمقدمة المذام ، وقوله (وأن تبروا) معترض بين العلة والمعلول .

وقوله : (ولذلك ذم) علة لمعلل محذوف ، المعنى : ولا تجعلوا الله معرضا لأيمانكم فنبذلوهم ؛ لأن تبروا وتتقوا ، أي : لأجل أن تكونوا أبرارا أتقياء ، يثق بكم الناس ، ويدخلونكم في وساطتهم ، تبذلون الله بكثرة الحلف ، وهذا من أشنع الأفعال ، ولذلك ذم الله من أنزل فيه : { ولا تطع كل حلاف مهين } وجعل الخلاف مقدمة المذام ؛ لأن الحلاف مجتريء .. إلى آخره .
(٦٦/٢)

غير معظم له، فلا يكون برا متقيا، ولا يثق به الناس فلا يدخلونه في وساطاتهم وإصلاح ذات بينهم. اللغو: الساقط الذي لا يعتد به من كلام وغيره. ولذلك قيل لما لا يعتد به في الدية من أولاد الإبل "لغو" واللغو من اليمين: الساقط الذي لا يعتد به في الأيمان، وهو الذي لا عقد معه. والدليل عليه { ولكن يؤاخذكم بما عقدتم الأيمان } (المائدة: ٨٩)، { بما كسبت قلوبكم } واختلف الفقهاء فيه، فعند أبي حنيفة وأصحابه هو أن يحلف على الشيء يظنه على ما حلف عليه، ثم يظهر خلافه. وعند الشافعي: هو قول العرب: لا والله، وبلى والله، بما يؤكدون به كلامهم ولا يخطر ببالهم الحلف. ولو قيل لواحد منهم: سمعتك اليوم تحلف في المسجد الحرام(١) لأنكر ذلك، ولعله قال: لا والله ألف مرة. وفيه معنيان: أحدهما { لا يؤاخذكم } أي لا يعاقبكم بلغو اليمين الذي يحلفه أحدكم بالظن، ولكن يعاقبكم بما كسبت قلوبكم، أي اقترفته من إثم القصد إلى الكذب في اليمين وهو أن يحلف على ما يعلم أنه خلاف ما يقوله وهي اليمين الغموس. والثاني: { لا يؤاخذكم } أي لا يلزمكم الكفارة بلغو اليمين الذي لا قصد معه، ولكن يلزمكم الكفارة بما كسبت قلوبكم، أي بما نوت قلوبكم وقصدت من الإيمان، ولم يكن كسب اللسان

وحده { والله غفور حلیم } حيث لم يؤاخذكم باللغو في أيمانكم.
}

(١) قوله: (في المسجد الحرام) فيه نكتة بمعنى الحلف مع انضمام ما يعد تغليظا باعتبار المكان ، يعد في العرف اجتراء ، وسميت اليمين الفاجرة التي يقطع بها الحالف مال غيره غموسا ؛ لأنها تغمس صاحبها في الإثم ، أو في النار .
(٦٧/٢)

للذين يؤلون من Nخgح |\$! ، pSد، كبژ/ uچs؟ أربعة أشهر فإن فاءوا فإن الله غفور رحيم
(٢٢٦) وإن (t"Buq#م التطلاق فإن الله سمیع ز Oتد=ت و (٢٢٧) والمطلقات لئىء-
yItfz/

بأنفسهن ثلاثة قروء ولا يحل لهن أن يكتمن ما خلق الله في أرحامهن إن كن يؤمن بالله
واليوم حج ½\$zFy# وبعولتهن ' &xmr، £ ددژت uچخ/ في 7dy٩CEٳ إن أرادوا
إصلاحا ولهن مثل

الذي £ خkژٳ n=ت المعروف A\$y_ح hچ=د ur£ خkژٳ n=ت درجة والله عزيز
{ (xm 228٣iL

قرأ عبد الله: "آلوا من نسائهم". وقرأ ابن عباس: "يقسمون من نسائهم": فإن قلت: كيف
عدي بمن، وهو معدى بعلی؟ قلت: قد ضمن في هذا القسم المخصوص معنى البعد، فكأنه
قيل:

يعدون من نسائهم مؤلین أو مقسمین. ويجوز أن يراد: لهم { من نسائهم تربص (١)

(١) قوله: (لهم { من نسائهم تربص {) من لا ابتداء الغاية ، قال أبو البقاء : اللام
في { للذين { متعلق بمحذوف ، وهو الاستقرار ، وهو خبر والمبتدأ تربص ، وعلى قول
الأخفش : هو فعل وفاعل ، وأما { من { فقييل يتعلق بيؤلون ، يقال : آلى من امرأته ،
وعلى امرأته ، وقيل : الأصل على ، ولا يجوز أن يقام مقام على ، فعند ذلك يتعلق
بمعنى الاستقرار في إضافة التربص إلى الأشهر إضافة المصدر إلى المفعول فيه في
المعنى ، وذلك بعد أن توسع فيه ، وأجري مجرى المفعول به ، وقد وضع المصنف الضمير
في

لهم موضع الموصول مع صلته فيا لتنزيل ليظهر تعلق من بالجار والمجرور لا بالصلة ،

والغيل : أن يجامع الرجل زوجته وهي مرضع ، وكذلك الحمل مع الارضاع واللبن الذي يشربه الولد ، يقال له الغيب أيضا .

وقوله : (لأجل الفئنة) متعلق بقوله : { يغفر لكم } وعلى قول الشافعي عطف من حيث المعنى على قوله : ومعنى قوله : فإن فادى .
(٦٨/٢)

أربعة أشهر { كقوله: لي منك كذا. والإيلاء من المرأة أن يقول: والله لا أقربك أربعة أشهر فصاعدا على التقليد بالأشهر. أو لا أقربك على الإطلاق. ولا يكون في ما دون أربعة أشهر، إلا ما يحكى عن إبراهيم النخعي. وحكم ذلك: أنه إذا فاء إليها في المدة بالوطء إن أمكنه أو بالقول إن عجز: صح الفيء، وحث القادر، ولزمته كفارة اليمين، ولا كفارة على العاجز. وإن مضت الأربعة بانت بتطليقة عند أبي حنيفة. وعند الشافعي: لا يصح الإيلاء إلا في أكثر من أربعة أشهر ثم يوقف المولى، فإما أن يفيء وإما أن

يطلق وإن أبى طلق عليه الحاكم. ومعنى قوله: { فإن فآءوا } فإن فآءا في الأشهر، بدليل قراءة عبد الله: "فإن فآءا فيهن" { فإن الله غفور رحيم } يغفر للمولين ما عسى يقدمون عليه من طلب ضرار النساء بالإيلاء وهو الغالب، وإن كان يجوز أن يكون على رضا منهن إشفافا منهن على الولد من الغيل، أو لبعض الأسباب لأجل الفئنة التي هي مثل التوبة { وإن عزموا الطلاق } فتربصوا إلى مضي المدة { فإن الله سميع عليم } وعيد على إصرارهم وتركهم الفئنة، وعلى قول الشافعي رحمه الله معناه { فإن فآءوا } { وإن عزموا } بعد مضي المدة.
(٦٩/٢)

فإن قلت: كيف موقع الفاء (١) إذا كانت الفئنة قبل انتهاء مدة التربص؟ قلت: موقع صحيح لأن قوله { فإن فآءوا } ، { وإن عزموا } تفصيل لقوله { للذين يؤلون من نسائهم } والتفصيل يعقب المفصل، كما تقول: أنا نزيلكم هذا الشهر، فإن أحمدتكم أقمت عندكم إلى آخره، وإلا لم أقم إلا ريثما أتحوّل. فإن قلت: ما تقول في قوله: { فإن الله سميع عليم } وعزمهم الطلاق بما يعلم ولا يسمع؟ قلت: الغالب أن العازم للطلاق وترك الفئنة والضرار، لا يخلو من مقابلة ودمدمة ولا بد له من أن يحدث نفسه ويناجيها بذلك، وذلك حديث لا يسمعه إلا الله كما يسمع وسوسة الشيطان { والمطلقات } أراد المدخول بهن من

(١) قوله: (كيف موقع الفاء) أي : الفاء تقتضي الترتيب والتعقيب فكيف يصح مذهب أبي حنيفة ، والفيء يصح ، وكذا الطلاق ، أي : عزمه قبل مضي الأشهر الأربعة لا بعده ، وأجاب أن عطف قوله : { وإن عزموا } على قوله { فإن فإوا } يدل على أن كليهما كالتفصيل لما أجمل في قوله : { للذين يؤلون من نسائهم تربص أربعة أشهر } والتفصيل يتعقب المجهول في الذكر لا في الوجود ، وقد أجيب عن هذا بأن الفيء وعدم الطلاق مشروعان عقيب حصول الإيلاء والتربص ، فلا بد أن يكون مدخول الفاء واقعا بعد هذين

الأمريين ، والمثال المذكور ليس منه ؛ لأن الفاء فيه مذكورة عقيب شيء واحد ، وأيضا التنزيل لا يخلو من مقالة ... أحد الأمرين إما أنهم يراعون حقه ، أو يتركونه ولا يلتفتون إليه ، ولا ثالث فيصح التفصيل ، وأما المولي فله حالة ثالثة غير الفيء والطلاق ، وهو التربص فلا يكون التفصيل حاصرا ، على أن التربص يدفعهما ؛ لأن معناه الإنتظار والتوقف ، والتنزيل : الضيف ، والدمدمة : الكلام الخفي .
(٧٠/٢)

فإن قلت: كيف جازت إرادتهن خاصة واللفظ يقتضي العموم؟ قلت: بل اللفظ مطلق في تناول الجنس(١)

(١) قوله: (بل اللفظ مطلق في تناول الجنس) أي : اللفظ شائع في جنسه منتف ههنا بفيدين ، وهما { ثلاثة قروء } { ولا يحل لهن أن يكتمن ما خلق الله في أرحامهن } فالأول يدل على أنهن من ذوات الأقرء ، والثاني يدل على كونهم مفعولا بهن .

وقوله: (صالح لكله وبعضه) أراد به ما ذكره صاحب المفتاح أن الحقيقة من حيث هي صالحة للتوحيد ، والتكثير ، والحكم بأحدهما حذف بالقربة ، كاللفظ المشترك .
(٧١/٢)

صالح لكله وبعضه، فجاء في أحد ما يصلح له كالاسم المشترك. فإن قلت: فما معنى الإخبار عنهن بالتربص؟ قلت: هو خبر في معنى الأمر. وأصل الكلام: ولتربص المطلقات. وإخراج الأمر في صورة الخبر تأكيد للأمر، وإشعار بأنه مما يجب أن يتلقى بالمسارعة

إلى امتثاله، فكأنهن امتثلن الأمر بالتربص. فهو يخبر عنه موجودا. ونحوه قولهم في الدعاء: رحمك الله، أخرج في صورة الخبر ثقة بالاستجابة، كأنما وجدت الرحمة فهو يخبر عنها، وبناءؤه على المبتدأ مما زاده أيضا فضل تأكيد (١). ولو قيل: ويتربص المطلقات، لم يكن بتلك الوكادة. فإن قلت: هلا قيل: يتربصن ثلاثة قروء، كما قيل { تربص أربعة أشهر } وما معنى ذكر الأنفس؟ قلت: في ذكر الأنفس تهيج لهن على التربص وزيادة بعث، لأن فيه ما يستكفن منه فيحملهن على أن يتربصن، وذلك أن أنفس النساء طوامح إلى

الرجال، فأمرن أن يقمعن أنفسهن ويغلبنها على الطموح ويجبرنها على التربص. والقروء: جمع قرء أو قرء، وهو الحيض، بدليل قوله عليه الصلاة والسلام: (١٢٥) "دعي الصلاة أيام أقرائك" وقوله: (١٢٦) "طلاق الأمة تطليقتان، وعدتها حيضتان" ولم يقل طهران. وقوله تعالى { واللاتي ينسن من المحيض من نسائكم إن ارتبتم فعدتهن ثلاثة أشهر } فأقام الأشهر مقام الحيض دون الأطهار. ولأن الغرض الأصيل في العدة استبراء الرحم، والحيض هو الذي تستبرأ به الأرحام دون الطهر، ولذلك كان الاستبراء من الأمة بالحيضة. ويقال أقرأت المرأة، إذا حاضت. وامرأة مقرىء. وقال أبو عمرو بن العلاء: دفع فلان جاريته إلى فلانة تقرأها، أي تمسكها عندها حتى تحيض للاستبراء.

(١) قوله: (وبناءؤه على المبتدأ مما زاده أيضا فضل تأكيد) وذلك لتكرار الحكم إذ ذاك ؛ لأن الخبر مسندا إلى المبتدأ ، ثم إذا أسند إلى ضميره إذا كان فيه ضمير تكرر الإسناد ، واكتسى الحكم قوة .
(٧٢/٢)

فإن قلت: فما تقول: في قوله تعالى: { فطلقوهن لعدتهن } (١) والطلاق الشرعي، إنما هو في الطهر؟ قلت: معناه مستقبلات لعدتهن، كما تقول: لقيته لثلاث بقين من الشهر، تريد مستقبلات لثلاث، وعدتهن الحيض الثلاث. فإن قلت: فما تقول في قول الأعشى (٢):

(١) قوله: (فما تقول: في قوله تعالى: { فطلقوهن لعدتهن }) أراد أن اللام للوقت ، أي : وقت عدتهن ، كما في قوله تعالى : { ونضع الموازين القسط ليوم القيامة } أي : في يوم القيامة ، وهذا الوقت لا ينبغي أن يكون وقت الحيض ؛ لأن الطلاق فيه منهي عنه .
(٢) قوله: (فما تقول في قول الأعشى) أي : يلزمك على تفسيرك قوله { لعدتهن } بمستقبلات ، أن تقول في قول الأعشى :

أفي كل عام أنت جاشم غزوة*** تشد لأقصاها عزيزم عرائكا
مورثة مالا وفي لحي رقعة*** لما ضاع فيها من قروء نساكا
التقدير : مستقبلا للذي ضاع من قروء نساك ، أي : من حيضهن ، لكن الحيض لا يوصف

بالضياع ، وإنما يوصف بالضياع الطهر ، وأجاب بأن القروء في البيت مستعار لطول المدة ،
لكن بمرتين ، ففي المرتبة الأولى هو مجاز عن العدة ، لقوله : من عدة نساك ، ثم
المراد من العدة لازمها ، هو مجاز العدة ، لقوله : من عدة نساك ، ... وهو طول
المدة ، يدل عليه إيقاع قوله : أي : مدة طويلة تفسيرا له . ولما شرط في الجاز الذي
هو في المرتبة الأولى أن يكون مشهورا بالغا مبلغ الحقيقة في التبادر إلى الذهن ،
قال لشهرة القروء عندهم في الاعتداد بهن ، وثانيا بأن المراد بالقروء الوقت ، ذكره
أبو عمرو بن العلاء ، وقال : وهو يصلح للحيض والظهر ، يقال : هذا قاري الرياح لوقت
هبوبها ، وأنشد :

سبقت العصر عصر بني شليل*** إذا هبت لقارئها الرياح

أي : لوقت هبوبها ، وشدة بردها ، ومعنى البيتين للأعشى : أتكلف نفسك كل عام غزوة
تشد لأبعدها وأشققها عزيمة صبرك ، وتلك الغزوة مورثة مالا كثيرا ، أي : معقبة له ،
ورفعة عظيمة في الحي ، ومورية إما مجرورة بدلا من لفظ غزوة ، أو منصوبة بدلا من
محلها ، ويجوز كونها صفة لغزوة .

(٧٣/٢)

لما ضاع فيها من قروء نساكا

قلت: أراد: لما ضاع فيها من عدة نساك، لشهرة القروء عندهم في الاعتداد بهن، أي من
مدة طويلة كالمدة التي تعتد فيها النساء، استطال مدة غيبته عن أهله كل عام لاقتحامه
في الحروب والغارات. وأنه تمر على نساك مدة كمدة العدة ضائعة لا يضاجعن فيها، أو
أراد من أوقات نساك، فإن القراء والقاريء جاء في معنى الوقت، ولم يرد لا حيضا ولا
طهرا. فإن قلت: فعلام انتصب { ثلاثة قروء } ؟ قلت: على أنه مفعول به كقولك: المحتكر
يتربص الغلاء، أي يتربصن مضي ثلاثة قروء، أو على أنه ظرف، أي: يتربصن مدة ثلاثة
قروء فإن قلت: لم جاء المميز على جمع الكثرة دون القلة التي هي الأقرء؟ قلت:
يتسعون في ذلك(١) فيستعملون كل واحد من الجمعين مكان الآخر لاشتراكهما في الجمعية.

ألا ترى إلى قوله: { بأنفسهن } وما هي إلا نفوس كثيرة، ولعل القروء كانت أكثر استعمالاً في جمع قرء من الأقرء، فأوثر عليه تنزيلاً لقليل الاستعمال منزلة المهمل، فيكون مثل قولهم: ثلاثة شسوع. وقرأ الزهري: "ثلاثة قرو"، بغير همزة { ما خلق الله في أرحامهن } من الولد أو من دم الحيض. وذلك إذا أرادت المرأة فراق زوجها فكتمت حملها لئلا ينتظر بطلاقها أن تضع (٢)،

(١) قوله: (يتسعون في ذلك) قال الحريري في درة الغواص: المعنى لتتربص كل واحدة من المطلقات بثلاثة أقرء، فلما أسند إلى جماعتهن، والواجب على كل واحدة منهن ثلاثة، أتى بلفظ قروء ليدل على الكثرة المرادة، والمعنى المملوح، وقال القاضي، ولعل الحكم لما عم المطلقات ذوات الأقرء تضمن معنى الكثرة، فحسن بناؤها، ومثل هذا ذكره المصنف في تفسير قوله تعالى: { وما ربك بظلام للعبيد } (٢) قوله: (لئلا ينتظر بطلاقها أن تضع) أي: لئلا تنتظر الوضع بسبب طلاقها.

وقوله: (أو كتبت) عطف على قوله: (فكتمت) وهو مسند ... [٧٩٢] لقوله: من الولد، أو من دم الحيض، وقيل: الأشبه أن يكون المراد بما في الأرحام الولد لقوله: { هو الذي يصوركم في الأرحام } ولأن الدم ليس في الرحم، بل هو خارج للرحم. (٧٤/٢)

ولئلا يشفق على الولد فيترك تسريحها، أو كتبت حيضها وقالت وهي حائض: قد طهرت، استعجالاً للطلاق. ويجوز أن يراد اللاتي يبعين إسقاط ما في بطونهن من الأجنة فلا يعترفن به ويحججهن لذلك، فجعل كتمان ما في أرحامهن كناية عن إسقاطه { إن كن يؤمن بالله (١) واليوم الآخر } تعظيم لفعلهن، وأن (٢) من آمن بالله وبعقابه لا يجترئ على مثله من العظام. والبعولة: جمع بعل، والتاء لاحقة لتأنيث الجمع كما في الحزونة والسهولة. ويجوز أن يراد بالبعولة المصدر من قولك: بعل حسن البعولة، يعني: وأهل بعولتهن { أحق بردهن } برجعتهن. وفي قراءة أبي: "بردتتهن" { في ذلك } في مدة ذلك

التربص. فإن قلت: كيف جعلوا أحق بالرجعة، كأن للنساء حقاً فيها؟ قلت: المعنى أن الرجل إن أراد الرجعة وأبتها المرأة وجب إثارة قوله على قولها وكان هو أحق منها، لا أن لها حقاً في الرجعة (٣) { إن أرادوا } بالرجعة { إصلاحاً } لما بينهم وبينهن وإحساناً إليهن ولم يريدوا مضارتهن { ولهن مثل الذي عليهن } ويجب لهن من الحق على

الرجال مثل الذي يجب لهم عليهن { بالمعروف } بالوجه الذي لا ينكر في الشرع وعادات الناس فلا يكلفنهم ما ليس لهن ولا يكلفونهن ما ليس لهم ولا يعنف أحد الزوجين صاحبه.

- (١) قوله: ({ إن كن يؤمن بالله } ليس المراد تفييد نفي الحل بأيمانهن ، بل التنبيه على أن ذلك مما ينافي الإيمان ، وأن من آمن حقيق بأن لا يجترئ عليه .
- (٢) قوله: (وأن) عطف على تعظيم من حيث المعنى ، أي : وإيذان بأن من آمن ، وقيل : هو عطف تفسيري عليه ، يعني ارتكبن عظيما ، وإنما نشأ التعظيم من لفظة { إن } حيث شكك الناس في إيمانهن ، وأدخلهن في زمرة من لم يترجح إيمانه على كفره تغليظا .
- (٣) قوله: (لا أن لها حقا في الرجعة) يشير إلى أن تسمية إباء المرا' بالرجعة للتلبس إما للتغليب ، أو المشاكلة ، أو من باب الصيف أحر من الشتاء .
- (٧٥/٢)

والمراد بالمماثلة مماثلة الواجب الواجب في كونه حسنة، لا في جنس الفعل، فلا يجب عليه إذا غسلت ثيابه أو خبزت له أن يفعل نحو ذلك، ولكن يقابله بما يليق بالرجال { درجة { زيادة في الحق وفضيلة. قيل: المرأة تنال من اللذة ما ينال الرجل، وله الفضيلة بقيامه عليها وإنفاقه في مصالحها.

{ الطلاق مرتان فإمساك بمعروف أو تسريح بإحسان ولا يحل لكم أن تأخذوا مما آتيتموهن \$, "x© إلا أن يخافا ألا يقيما حدود الله فإن ن÷Lê z½2 ألا يقيما حدود الله فلا yy\$Y _n=tzkخyJ\$ فيما افتدت به تلك حدود الله فلا تعتدوها ومن يتعد حدود الله فأولئك هم ك÷Mtbq="229©) (à9\$# فإن طلقها فلا تحل له من بعد ٤س®Lxm تنكح زوجا غيره

فإن طلقها فلا جناح !yJ\$خk÷tnو أن \$!#yèy_Itfzإن ظنا أن يقيما حدود الله وتلك

حدود الله يبينها لقوم كtbq(230÷ètf { Jn=÷ètf
}

(٧٦/٢)

الطلاق { بمعنى التطليق كالتسليم، أي التطليق الشرعي تطليقة بعد تطليقة على التفريق(١) دون الجمع والإرسال دفعة واحدة، ولم يرد بالمرتين التشية

ولكن التكرير، كقوله: (ثم ارجع البصر كرتين) أي كرة بعد كرة، لا كرتين اثنتين. ونحو ذلك من الثاني التي يراد بها التكرير قولهم: ليك وسعديك وحنانيك وهذا ذيك ودوايك. وقوله تعالى: { فإمسك بمعروف أو تسريح بإحسان } تخيير لهم بعد أن علمهم (٢) كيف يطلقون، بين أن يمسكوا النساء بحسن العشرة والقيام بمواجههن، وبين أن يسرحوهن السراح الجميل الذي علمهم. وقيل: معناه الطلاق الرجعي (٣) مرتان، لأنه لا رجعة بعد الثلاث، فإمسك بمعروف أي برجعة، أو تسريح بإحسان أي بأن لا يراجعها حتى تبين بالعدة، أو بأن لا يراجعها مراجعة يريد بها تطويل العدة عليها وضرارها. وقيل: بأن يطلقها الثالثة في الطهر الثالث.

(١) قوله: (على التفريق) أي : تطلق في قرء طلقة ، وفي آخر أخرى ، وفي ثالث ثالثة ، لا أن تطلق في قرء واحد ثلاثا متفرقة .

(٢) قوله: (بعد أن علمهم) فيه تقديم وتأخير ؛ لأن الأصل تخيير لهم بين أن يمسكوا النساء ، وبين أن يسرحوهن بعد أن علمهم ، ومعنى بعد مستفاد من الفاء في قوله : { فإمسك } .

(٣) قوله: (وقيل: معناه الطلاق الرجعي) عطف على قوله : التطليق الشرعي ، فاللام على الأول للجنس ، والمراد بقوله : { مرتان } التكرير ، وعلى هذا للعهد ، والمعهود ما علم من قوله : { وبعولتهن أحق بردهن } أي : برجعتهن ، ومرتان للعدد لا للتكرير . (٧٧/٢)

وروي: (١٢٧) أن سائلا سأل رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أين الثالثة؟ فقال عليه الصلاة والسلام: "أو تسريح بإحسان" وعند أبي حنيفة وأصحابه: الجمع بين

التطليقتين والثلاث بدعة، والسنة أن لا يوقع عليها إلا واحدة في طهر لم يجامعها فيه، لما روي في حديث ابن عمر: (١٢٨) أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال له: "إنما السنة أن تستقبل الطهر استقبالا فتطلقها لكل قرء تطليقة" وعند الشافعي. لا بأس بإرسال الثلاث. (١٢٩) لحديث العجلاني الذي لا عن امرأته فطلقها ثلاثا بين يدي رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فلم ينكر عليه. روي: (١٣٠) أن جميلة بنت عبد الله بن أبي كانت تحت ثابت بن قيس بن شماس وكانت تبغضه وهو يحبها. فأنت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فقالت: يا رسول الله، لا أنا ولا ثابت (١)، لا يجمع رأسي ورأسه شيء، والله ما أعيب عليه في دين ولا خلق، ولكني أكره الكفر (٢) في الإسلام، ما

أطبقه بغضا، إني رفعت جانب الخباء فرأيتته أقبل في عدة فإذا هو أشدهم سوادا وأقصرهم قاما وأقبحهم وجها فنزلت، وكان قد أصدقها حديقة فاختلعت منه بها وهو أول خلع كان في الإسلام. فإن قلت: لمن الخطاب في قوله: { ولا يحل لكم أن تأخذوا } ؟ إن قلت للأزواج لم يطابقه قوله { فإن خفتن } (٣)

(١) قوله: (لا أنا ولا ثابت) أي : لا أجتمع أنا وثابت ، وأعنت . بالتاء المنقوطة من تحت . وفي رواية بالتاء المنقوطة من فوق .

(٢) قوله: (أكره الكفر) أي : كفر العشير ، وهو الزوج ، وهو عبارة عن جحد إحسانه إليها .

(٣) قوله: (لم يطابقه قوله { فإن خفتن }) لأن الخطاب منه للأئمة والحكام ..
(٧٨/٢)

ألا يقيما حدود الله { وإن قلت للأئمة والحكام فهؤلاء ليسوا بآخذين منهم ولا بمؤتيهم؟ قلت: يجوز الأمران جميعا: أن يكون أول الخطاب للأزواج، وآخره للأئمة والحكام، ونحو ذلك غير عزيز في القرآن وغيره، وأن يكون الخطاب كله للأئمة والحكام، لأنهم الذين يأمرون بالأخذ والإيتاء عند الترافع إليهم، فكأنهم الآخذون والمؤتون { مما آتيتموهن { مما أعطيتموهن من الصدقات { إلا أن يخافا ألا يقيما حدود الله { إلا

أن يخاف الزوجان ترك إقامة حدود الله فيما يلزمهما من مواجب الزوجية، لما يحدث من نشوز المرأة وسوء خلقها { فلا جناح عليهما { فلا جناح على الرجل فيما أخذ ولا عليها فيما أعطت { فيما افتدت به { فيما فدت به نفسها واختلعت به من بذل ما أوتيت من المهر. والخلع بالزيادة على المهر مكروه وهو جائز في الحكم. وروي أن امرأة نشزت على زوجها فرفعت إلى عمر رضي الله عنه، فأباتها في بيت الزبل ثلاث ليل ثم دعاها فقال: كيف وجدت مبيتك؟ قالت: ما بت منذ كنت عنده أقر لعيني منهن. فقال لزوجها: اخلعها ولو بقرطها(١). قال قتادة: يعني بمالها كله، هذا إذا كان النشوز منها، فإن كان منه كره له أن يأخذ منها شيئا. وقرئ "إلا" أن يخافا، على البناء للمفعول وإبدال أن لا يقيما من ألف الضمير، وهو من بدل الاشتغال كقولك: خيف زيد تركه إقامة حدود الله. ونحوه { وأسروا النجوى الذين ظلموا { ويعضده قراءة عبد الله "إلا أن تخافوا" وفي قراءة أبي: "إلا أن يظنا". ويجوز أن يكون الخوف بمعنى الظن.

(١) قوله: (ولو بقرطها) فيه تمليح ، قال الميداني : أصل المثل خذه ولو بقرطي مارية ، وهي مارية بنت ظالم ، وأختها هند الهنود امرا' حجر آكل المرار الكندي ، قال أبو عبيد : هي أم ولد جفنة ، يقال : إنها أهدت إلى الكعبة قرطها ، وعليهما درتان كبيضتي حمام ، لم ير الناس مثلهما ، يضرب في الشيء الثمين ، وقيل : كانت قيمة الدرتين أربعين ألف دينار .
(٧٩/٢)

يقولون: أخاف أن يكون كذا، وأفرق أن يكون، يريدون أظن { فإن طلقها } الطلاق المذكور الموصوف بالتكرار في قوله تعالى: { الطلاق مرتان } واستوفى نصابه. أو فإن طلقها مرة ثالثة بعد المرتين { فلا تحل له من بعد } من بعد ذلك التطليق. { حتى تنكح زوجا غيره } حتى تتزوج غيره، والنكاح يسند إلى المرأة كما يسند إلى الرجل كما الزوج. ويقال:

فلانة ناكح في بني فلان(١). وقد تعلق من اقتصر على العقد في التحليل بظاهره وهو سعيد ابن المسيب. والذي عليه الجمهور أنه لا بد من الإصابة، لما روى عروة عن عائشة رضي الله عنها: (١٣١) أن امرأة رفاعة جاءت إلى النبي صلى الله عليه وآله وسلم فقالت: إن رفاعة طلقني فبت طلاقي وإن عبد الرحمان بن الزبير تزوجني، وإنما معه مثل هدبة الثوب وإنه طلقني قبل أن يمسنني، فقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أتريدين أن ترجعي إلى رفاعة؟ لا، حتى تذوقي عسيلته(٢) ويدوق عسيلتك. وروي: (١٣٢) أنها لبثت ما شاء الله، ثم رجعت فقالت: إنه كان قد مسني، فقال لها: كذبت في قولك الأول، فلن أصدقك في الآخر، فلبثت حتى قبض رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فأتت أبا بكر رضي الله عنه فقالت: أأرجع إلى زوجي الأول. فقال: قد عهدت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم حين قال لك ما قال، فلا ترجعي إليه، فلما قبض أبو بكر رضي الله عنه قالت مثله لعمر رضي الله عنه فقال: إن أتيتني بعد مرتك هذه لأرجمنك، فمنعها. فإن قلت فما تقول في النكاح المعقود بشرط التحليل؟ قلت: ذهب سفيان والأوزاعي وأبو عبيد ومالك وغيرهم إلى أنه غير جائز، وهو جائز عند أبي حنيفة مع الكراهة.

(١) قوله: (فلانة ناكح في بني فلان) أن لها زوجا منهم .
(٢) قوله: (عسيلته) شبه لذة الجماع بذوق العسل ، فاستعار لها ذوقها ، وإنما أنث لأنه أراد قطعة من العسل وقيل : العسل في الأصل يذكر ويؤنث ، وإنما صغر ؛ لأنه أراد القدر القليل الذي يحصل به الحل .

وعنه أنهما إن أضمرنا التحليل ولم يصرحا به فلا كراهة. وعن النبي صلى الله عليه وآله وسلم (١٣٣) أنه لعن المحلل والمحلل له وعن عمر رضي الله عنه: لا أوتى بمحلل ولا محلل له إلا رجمتها وعن عثمان رضي الله عنه: لا إلا نكاح رغبة (١) غير مدالسة { فإن طلقها { الزوج الثاني. { أن يتراجعا { أن يرجع كل واحد منهما إلى صاحبه بالزواج {

إن ظنا { إن كان في ظنهما أنهما يقيمان حقوق الزوجية. ولم يقل: إن علما أنهما يقيمان، لأن البقين مغيب عنهما لا يعلمه إلا الله عز وجل. ومن فسر الظن ههنا بالعلم فقد وهم من طريق اللفظ والمعنى، لأنك لا تقول: علمت أن يقوم زيد (٢)، ولكن: علمت أنه يقوم، ولأن الإنسان لا يعلم ما في الغد، وإنما يظن ظنا.

}

-
- (١) قوله: (لا إلا نكاح رغبة) أي : لا أجوز النكاح بشرط التحليل .
 (٢) قوله: (لأنك لا تقول: علمت أن يقوم زيد) إشارة إلى بيان الخطأ من طريق اللفظ ، وإنما لم يجز هذا ؛ لأن أن الناصبة للفعل المستقبل ينافي التحقيق ، وعلمت له ، ولكن علمت أنه يقوم ، إنما جاز هذا لأن أن المشددة للتحقيق فلا منافاة .

وإذا طلقتم النساء فبلغن أجلهن فأمسكوهن بمعروف أو سرحوهن بمعروف ولا تمسكوهن ضرارا

لتعتدوا ومن يفعل $s\mathbb{E}^{9dy7}$ فقد ظلم نفسه ولا تتخذوا آيات الله هزوا واذكروا نعمة الله عليكم وما $\&Rr"tAu$ عليكم من الكتاب والحكمة يعظكم به واتقوا الله $ur\#\$_{mKn}=\hat{o}\hat{u}q\#$ أن الله بكل شيء $t=\text{د}L\times$ و (٢٣١) وإذا طلقتم النساء فبلغن أجلهن فلا

تعضلوهن أن ينكحن $\mathbb{L}_{\&gy\_ur-r}$ إذا $(q\# | t\mathbb{u}^s$ ؟ بينهم بالمعروف

$s\mathbb{E}^{9dy7}$ يوعظ به من

كان منكم يؤمن بالله واليوم حج $\#\$zFy^{1/2}$ / $s\mathbb{E}^{9d3}$ أزكى لكم وأطهر والله يعلم وأنتم لا

تعلمون (٢٣٢) {

{ فبلغن أجلهن { أي آخر عدتهن(١) وشارفن منتهاها. والأجل يقع على المدة كلها، وعلى آخرها، يقال لعمر الإنسان: أجل، وللموت الذي ينتهي به: أجل، وكذلك الغاية والأمد، يقول النحويون "من" لابتداء الغاية، و "إلى" لانتهاى الغاية. وقال: كل حي مستكمل مدة العمر***ومود إذا انتهى أمده

(١) قوله: { فبلغن أجلهن { أي آخر عدتهن) اعلم ان البلوغ حقيقة تطلق على الوصول إلى الشيء ، ويطلق مجازا على المشاركة والدنو ، وكذلك الأجل موضوع للمدة كلها ، يقال : لعمر الإنسان أجله ، وأول أمرها ويطلق مجازا على آخر المدة فيقال

للموت الذي ينتهي به عمر الإنسان أجل ، وكذلك الغاية والأمد يقعان على المدة كلها ، وعلى آخرها ، قال ... أوله :

كل حي مستكمل مدة العمر***ومود إذا انتهى أمده
أي : كل حي أخذ مدة عمره بالتمام ، وهالك إذا انتهى مدة عمره .
(٨٢/٢)

ويتسع في البلوغ أيضا فيقال: بلغ البلد إذا شارفه وداناه. ويقال: قد وصلت، ولم يصل وإنما شارف، ولأنه قد علم(١) أن الإمساك بعد تقضي الأجل لا وجه له، لأنها بعد تقضيه غير زوجة له في غير عدة منه، فلا سبيل له عليها { فأمسكوهن بمعروف { فإذا أن يراجعها من غير طلب ضرار بالمراجعة { أو سرحوهن بمعروف { وإما أن يخليها حتى تنقضي عدتها وتبين من غير ضرار { ولا تمسكوهن ضرارا { كان الرجل يطلق المرأة ويتركها حتى يقرب انقضاء عدتها، ثم يراجعها لا عن حاجة، ولكن ليطول العدة عليها، فهو الإمساك ضرارا { لتعتدوا { لتظلموهن. وقيل: لتلجئوهن إلى الافتداء { فقد ظلم نفسه { بتعريضها لعقاب الله { ولا تتخذوا آيات الله هزوا { أي جدوا في الأخذ بها والعمل بما فيها، وارعوها حق رعايتها، وإلا فقد اتخذتموها هزوا ولعبا. ويقال لمن يجد في الأمر: إنما أنت لا عب وهازىء. ويقال: كن يهوديا(٢) وإلا فلا تلعب بالتوراة. وقيل: كان الرجل يطلق ويعتق ويتزوج ويقول: كنت لاعبا.

(١) قوله: (ولأنه قد علم) عطف من حيث المعنى على قوله: (والأجل يقع على المدة كلها) لأنه في معنى التقييد ، والتعليل ، يعني أننا قلنا : إن معنى قوله تعالى : { فبلغن أجلهن { شافن منتهى الأجل ؛ لأن الاستعمال وارد عليه ، ولأن المقام يقتضيه ، أي :

لا يمكن حمل الأجل على جميع المدة ، والبلوغ على الوصول ؛ لأنه لا يمكن الإمساك بعد انقضاء الأجل [٧٩٣] فتعين الحمل على المشاركة .

(٢) قوله: (كن يهوديا) كانوا يقولون لليهودي الذي لا يعمل بالتوراة ، حق العمل هذا .
(٨٣/٢)

وعن النبي صلى الله عليه وآله وسلم صلى الله عليه وآله وسلم (١٣٤) "ثلاث جدهن جد

وهزلهن جد: الطلاق والنكاح والرجعة" { واذكروا نعمة الله عليكم { بالإسلام(١)
وبنبوة محمد صلى الله عليه وآله وسلم { وما أنزل عليكم من الكتاب والحكمة { من
القرآن والسنة وذكرها مقابلتها بالشكر والقيام بحقها { يعظكم به { بما أنزل عليكم {
فبلغن أجلهن فلا تعضلوهن { إما أن يخاطب به الأزواج الذين يعضلون نساءهم بعد انقضاء
العدة ظلما وقسرا، ولحمية الجاهلية لا يتركونهن يتزوجن من شئن من الأزواج. والمعنى:
أن ينكحن أزواجهن الذين يرغبن فيهم ويصلحون لهن، وإما أن يخاطب به الأولياء في
عضلهن أن يرجعن إلى أزواجهن روي: (١٣٥) أنها نزلت في معقل بن يسار حين عضل أخته
أن

ترجع إلى الزوج الأول. وقيل: في جابر بن عبد الله حين عضل بنت عم له.

(١) قوله: { نعمة الله عليكم { بالإسلام ونبوة محمد صلى الله عليه وآله وسلم (وإنما خص نعمة الله بما ليدل على أن ذلك الفعل ، وهو إمساك النساء للضرار كان فعل
الجاهلية ، وكان معصية عظيمة ، فأزال الله ذلك بنعمة الإسلام ، وبعثه محمد ،
والتحقيق أن السياق يدل على ذلك التقييد ، وهو تعليم الأحكام الشرعية ، ولأن قوله :
{ وما أنزل عليكم من الكتاب والحكمة { يشعر بذلك إما لأنه عطف تفسيري للنعمة ، أو
عطف غير تفسيري ، و { يعظكم به { إما جملة مستأنفة لبيان موجب الإنزال ، أو حال ،
أو معترضة .

(٨٤/٢)

والوجه أن يكون خطابا للناس(١)، أي لا يوجد فيما بينكم عضل، لأنه إذا وجد بينهم وهم
راضون كانوا في حكم العاضلين. والعضل: الحبس والتضييق. ومنه: عضلت الدجاجة إذا
نشب

بيضها فلم يخرج. وأنشد لابن هرمة(٢):

وإن قصائدي لك فاصطنعني***عقائل قد عضلن عن النكاح

(١) قوله: (والوجه أن يكون خطابا للناس) قيل : إنما كان أولى لأنه يلزم على الأول الوجوه : المجاز باعتبار ما يؤول إليه في قوله : { أزواجهن } لأن التقدير من شئ

من الأزواج ، ومن ثانيها : إسناد الطلاق إلى الأولياء على المجاز أيضا ، أو اختلاف المخاطب في طلقتم ، فلا تعضلوهم الموجب لتنافر النظم ، بخلاف الثالث من الوجوه ، فإنه سالم من ذلك ، فلهذا كان أولى ؛ ولأن قوله { ذلك يوعظ به من كان منكم } الآية كالتعليل لشرعه هذا الحكم ، والامتنان على جميع الأمة ، وفيه أن لكل إنكار هذا العضل إذا وجد فيما بينهم .

وقوله : (أي لا يوجد فيما بينكم عضل) تفسير للخطاب العام ؛ لأن النهي إنما يتوجه إلى من يباشر الفعل ، أو يعزم عليه ، فإذا توجه إلى المجموع كانوا في حكم شخص واحد ، فإذا انتهوا بأسرهم لم يوجد عضل .

(٢) قوله: (ابن هرمة)

وإن قصائدي لك فاصطنعني***عقائل قد عضلن عن النكاح

عقيلة كل شيء : أكرمه ، والعقيلة من النساء : ألتي عقلت في بيتها ، أي : قصرت وحبست ، يقول : إن قصائدي مثل عقائل النساء ، وقد عضلن عن النكاح ، فلا أمدح بها غيرك ، فاصطنعني ، أي : أولني معروفك بمدحي إياك بها .

(٨٥/٢)

وبلوغ الأجل على الحقيقة (١). وعن الشافعي رحمه الله: دل سياق الكلامين على افتراق البلوغين { إذا تراضوا } إذا تراضى الخطاب والنساء { بالمعروف } بما يحسن بالدين والمروءة من الشرائط وقيل: بمهر المثل. ومن مذهب أبي حنيفة رحمه الله أنها إذا زوجت نفسها بأقل من مهر مثلها فللأولياء أن يعترضوا. فإن قلت: لمن الخطاب في قوله: { ذلك يوعظ به } ؟ قلت: يجوز أن يكون لرسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ولكل أحد. ونحوه (ذلك خير لكم وأطهر) { أذكى لكم وأطهر } من أدناس الآثام، وقيل: (أذكى وأطهر) أفضل وأطيب { والله يعلم } ما في ذلك من الزكاء والطهر { وأنتم لا تعلمون } هـ، أو والله يعلم ما تستصلحون به من الأحكام والشرائع وأنتم تجهلون.

}

(١) قوله: (وبلوغ الأجل على الحقيقة) أي : على انتهاء الغاية لا على المجاز ، وهو المشاركة ، كما في الآية السابقة ، لعدم المانع عن حمله على الحقيقة .)

(٨٦/٢)

* ك\$N`ٓtد!ur#uq9\$ يرضعن أولادهن ب!qxm, ÷û كاملين لمن أراد أن يتم الرضاعة وعلى المولود له رزقهن وكسوتهن بالمعروف لا تكلف نفس إلا وسعها لا تضار ٨\$otد!ur بولدها ولا مولود له 4/٣nd\$uq!s/ وعلى الوارث مثل 7y٩dCEٓ فإن أرادا فصلا عن >ع#u#s؟
منهما وتشاور فلا Y\$ssyy_ \$Jyكztnم وإن أردتم أن (#qûمèتI@n, @n, yIك#qûمJn=ôك#qûم\$ur# \$ أن الله بما تعملون ضجاء233/ t) { } { يرضعن { مثل يترصدن في أنه خبر في معنى الأمر المؤكد { كاملين { تأكيد كقوله { تلك عشرة كاملة { لأنه مما يتسامح فيه فتقول: أقمت عند فلان حولين، ولم تستكملهما. وقرأ ابن عباس رضي الله عنهما: "أن يكمل الرضاعة": وقرئ: "الرضاعة". بكسر الراء. "والرضعة". "وأن تتم الرضاعة" و"أن يتم الرضاعة"، برفع الفعل تشبيها لـ "أن" بـ "ما" (١)

(١) قوله: (تشبيها لـ "أن" بـ "ما") أي : شبه أن المصدرية بما لتشابههما في التأويل بالمصدر ، و المهيّب به : المصيخ .. به .

ومعنى (ليس ذلك بوقت) أي : بحد .

(٨٧/٢)

لتأخيرهما في التأويل. فإن قلت: كيف اتصل قوله: { لمن أراد { بما قبله؟ قلت: هو بيان لمن توجه إليه الحكم، كقوله تعالى: { هيت لك { (يوسف: ٢٣) لك بيان للمهيّب به، أي هذا الحكم لمن أراد إتمام الرضاع. وعن قتادة: حولين كاملين، كقوله تعالى: { هيت لك { (يوسف: ٢٣) لك بيان للمهيّب به، أي هذا الحكم لمن أراد إتمام الرضاع. وعن قتادة:

حولين كاملين، ثم أنزل الله اليسر والتخفيف فقال: { لمن أراد أن يتم الرضاعة } أراد أنه يجوز النقصان، وعن الحسن: ليس ذلك بوقت لا ينقص منه بعد أن لا يكون في الفطام ضرر. وقيل: اللام متعلقة بيرضعن، كما تقول: أرضعت فلانة لفلان ولده، أي يرضعن حولين لمن أراد أن يتم الرضاعة من الآباء، لأن الأب يجب عليه إرضاع الولد دون الأم، وعليه

أن يتخذ له ظئرا إلا إذا تطوعت الأم بإرضاعه، وهي مندوبة إلى ذلك ولا تجبر عليه. ولا يجوز استئجار الأم عند أبي حنيفة رحمه الله ما دامت زوجة أو معتدة من نكاح. وعند الشافعي يجوز. فإذا انقضت عدتها جاز بالاتفاق. فإن قلت: فما بال الوالدات مأمورات بأن يرضعن أولادهن؟ قلت: إما أن يكون أمرا على وجه الندب، وإما على وجه الوجوب إذا لم يقبل الصبي إلا ثدي أمه، أو لم توجد له ظئر، أو كان الأب عاجزا عن الاستئجار. وقيل: أراد الوالدات المطلقات (١). وإيجاب النفقة والكسوة لأجل الرضاع { وعلى المولود له } وعلى الذي يولد له وهو الوالد. و }

(١) قوله: (وقيل: أراد [الوالدات] المطلقات) فعلى هذا التعريف في الوالدات للعهد، والمشار إليه ما يفهم من قوله: { وإذا طلقتم النساء } . (٨٨/٢)

له رزقهن وكسوتهن بالمعروف لا تكلف نفس إلا وسعها لا تضار والدة بولدها ولا مولود له بولده وعلى الوارث مثل ذلك فإن أرادا فصلا عن تراض منهما وتشاور فلا جناح عليهما وإن أردتم أن تسترضعوا أولادكم فلا جناح عليكم إذا سلمتم ما آتيتكم بالمعروف واتقوا الله واعلموا أن الله بما تعملون بصير { في محل الرفع على الفاعلية، نحو { عليهم { (الفاتحة: ٧) في { المغضوب عليهم { (الفاتحة: ٧) فإن قلت لم قيل { المولود { له دون الوالد. قلت: ليعلم أن الوالدات إنما ولدن لهم، لأن الأولاد للآباء، ولذلك ينسبون إليهم لا إلى الأمهات. وأنشد للمأمون بن الرشيد (١):
فإنما أمهات الناس أوعية*** مستودعات وللآباء أبناء

(١) قوله: (فإنما أمهات الناس أوعية*** مستودعات وللأبناء آباء) ويروى: وللآباء أبناء. قبله:

لا تزرين فتى من أن يكون له*** أم من الروم أو سوداء دعجاء

أزرى به : إذا عابه ، والدعج : شدة سواد الحدقة ، وشدة بياضها ، وكانت أمه أم ولد ، يقال لها مراحل .

(٨٩/٢)

فكان عليهم أن يرزقوه (١) ويكسوهن إذا أرضعن ولدهم، كالأظار. ألا ترى أنه ذكره باسم

الوالد حيث لم يكن هذا المعنى (٢)، وهو قوله تعالى: { واخشوا يوما لا يجزي والد عن ولده ولا مولود هو جاز عن والده شيئا } (لقمان: ٣٣)، { بالمعروف } تفسيره ما يعقبه، وهو أن لا يكلف واحد منهما ما ليس في وسعه ولا يتضارا. وقرئ "لا تكلف" بفتح التاء؛ و { لا تكلف } (الأنعام: ١٥٢) بالنون. وقرئ: "لا تضار" بالرفع على الإخبار، وهو يحتمل البناء للفاعل والمفعول، وأن يكون الأصل: تضار بكسر الراء، وتضار بفتحها. وقرأ { لا تضار } بالفتح أكثر القراء. وقرأ الحسن بالكسر على النهي، وهو محتمل للبناءين أيضا. ويبين ذلك أنه قرئ "لا تضار"، ولا "تضار"، بالجزم وفتح الراء الأولى وكسرها. وقرأ أبو جعفر: لا "تضار"، بالسكون مع التشديد على نية الوقف. وعن الأعرج "لا تضار" بالسكون والتخفيف، وهو من ضاره يضره. ونوى الوقف كما نواه أبو جعفر، أو اختلس الضمة فظنه الراوي سكونا. وعن كاتب عمر بن الخطاب: "لا تضرر". والمعنى: لا تضار والدته زوجها بسبب ولدها، وهو أن تعنف به وتطلب منه ما ليس بعدل من الرزق والكسوة، وأن تشغل قلبه بالتفريط في شأن الولد، وأن تقول بعد ما ألفها الصبي: اطلب له ظئرا، وما أشبه ذلك؛ ولا يضار مولود له امرأته بسبب ولده، بأن يمنعها شيئا مما وجب عليه من رزقها وكسوتها؛ ولا يأخذ منها وهي تريد إرضاعه، ولا يكرهها على الإرضاع.

(١) قوله: (فكان عليهم أن يرزقوه) الفاء تدل على أن الوالدات إنما ولدها أنهم ... وصف مناسب لهذا الحكم ، وهو إيجاب الرزق والكسوة عليهم .

(٢) قوله: (أنه ذكره باسم الوالد حيث لم يكن هذا المعنى) أي : حيث لم يكن على الوالد إيجاب شيء .

(٩٠/٢)

وكذلك إذا كان مبنيا للمفعول فهو نهى عن أي يلحق بها الضرر من قبل الزوج، وعن أن

يلحق بها الضرر بالزوج من قبلها بسبب الولد، ويجوز أن يكون { تضار } بمعنى تضر، وأن تكون الباء من صلته، أي لا تضر والدته بولدها، فلا تسيء غذاءه وتعهده، ولا تفرط

فيما ينبغي له، ولا تدفعه إلى الأب بعد ما ألفها. ولا يضر الوالد به بأن ينتزعه من يدها أو يقصر في حقها فتقصر هي في حق الولد. فإن قلت: كيف قيل بولدها وبولده؟ قلت: لما نهيت المرأة عن المضارة أضيف إليها الولد استعطافاً لها عليه وأنه ليس بأجنبي منها. فمن حقها أن تشفق عليه وكذلك الوالد { وعلى الوارث } عطف على قوله: { وعلى المولود له رزقهن وكسوتهن } ، وما بينهما تفسير للمعروف معترض بين المعطوف والمعطوف عليه. فكان المعنى: وعلى وارث المولود له مثل ما وجب عليه من الرزق والكسوة، أي إن مات المولود لزم من يرثه أن يقوم مقامه في أن يرزقها ويكسوها بالشريطة التي ذكرت من المعروف وتجنب الضرر. وقيل: هو وارث الصبي الذي لو مات الصبي ورثه. واختلفوا، فعند ابن أبي ليلى كل من ورثه، وعند أبي حنيفة من كان ذا رحم محرم منه. وعند الشافعي: لا نفقة فيما عدا الولاد (١). وقيل من ورثه من عصبته مثل الجد والأخ وابن الأخ والعم وابن العم. وقيل: المراد وارث الأب وهو الصبي نفسه، وأنه إن مات أبوه وورثه وجبت عليه أجرة رضاعه في ماله إن كان له مال، فإن لم يكن له مال أجبرت الأم على إرضاعه. وقيل (على الوارث) على الباقي من الأبوين من قوله: (١٣٦) "واجعله الوارث منا" (٢) {

(١) قوله: (لا نفقة فيما عدا الولاد) أي : فيما عدا الأصول والفروع .

(٢) قوله: (واجعله الوارث منا) أي : الباقي ، أوله :

اللهم متعنا بأسماعنا وأبصارنا وقوتنا ما أحييتنا ، واجعله الوارث منا ، واجعل ثأرنا على من ظلمنا) والمعنى : ابق ذلك ، أي : السابق ذكره صحيحاً إلى الموت ، وإذا بقي إلى الموت جعله كأنه باق بعده .

(٩١/٢)

فإن أراداً فصلاً { صادراً } عن تراض منهما وتشاور فلا جناح عليهما { في ذلك، زادا على الحولين أو نقصا، وهذه توسعة بعد التحديد (١). وقيل: هو في غاية الحولين لا يتجاوز، وإنما اعتبر تراضيتهما في الفصل وتشاورهما: أما الأب فلا كلام فيه، وأما

الأم فلأنها أحق بالتربية وهي أعلم بحال الصبي. وقرئ: "فإن أراد". استرضع: منقول من أرضع. يقال: أرضعت المرأة الصبي، واسترضعتها الصبي، لتعديه إلى مفعولين، كما

تقول: أنجح الحاجة، واستنجحته الحاجة والمعنى: أن تسترضعوا المراضع أولادكم، فحذف أحد المفعولين للاستغناء عنه، كما تقول: استنجحت الحاجة ولا تذكر من استنجحته، وكذلك حكم كل مفعولين لم يكن أحدهما عبارة عن الأول { إذا سلمتم } إلى المراضع { ما آتيتم } ما أردتم إيتاءه، كقوله تعالى: { إذا قمتم إلى الصلاة } (المائدة: ٦) وقرئ: "ما آتيتم"، من أتى إليه إحسانا إذا فعله.

(١) قوله: (وهذه توسعة بعد التحديد) فإن قلت: هذا مخالف لما سبق من قوله: أراد أنه يجوز النقصان تفسيرا لقول قتادة: ثم أنزل الله اليسر والتخفيف، وقال { لمن أراد أن يتم الرضاغة } وقول الحسن: ليس ذلك توقيت لا ينقص. قلت: المراد بالتحديد الوقت المقرون فما نقص دون ما أراد، وقد دل الأول على جواز النقصان فقط للآباء دون الأمهات، والثاني على جواز النقصان والزيادة للآباء والأمهات، والغاية [٧٩٤] في قوله: (وقيل هو في غاية الحولين) بمعنى جميع المدة.

(٩٢/٢)

ومنه قوله تعالى: { إنه كان وعده مأثيا } (مريم: ٦١) أي مفعولا. وروى شيبان عن عاصم: "ما أوتيتم"، أي ما آتاكم الله وأقدركم عليه من الأجرة، ونحوه { وأنفقوا مما جعلكم مستخلفين فيه } (الحديد: ٧) وليس التسليم بشرط للجواز والصحة، وإنما هو ندب إلى الأولى. ويجوز أن يكون بعثا (١) على أن يكون الشيء الذي تعطاه المرضع من أهني ما يكون، لتكون طيبة النفس راضية، فيعود ذلك إصلاحا لشأن الصبي واحتياطا في أمره، فأمرنا بإيتائه ناجزا يدا بيد، كأنه قيل: إذا أديتم إليهن يدا بيد ما أعطيتموهن { بالمعروف } متعلق بسلمتم، أمروا أن يكونوا عند تسليم الأجرة مستبشري الوجوه. ناطقين بالقول الجميل، مطيعين لأنفس المراضع بما أمكن، حتى يؤمن تفريطهن بقطع معاذيرهن.

}

(١) قوله: (ويجوز أن يكون بعثا) قيل: هو عطف على قوله: إنما هو ندب إلى الأول، أي: التسليم ليس بشرط للجواز والصحة، وأن كان ظاهره أنه كذلك، بل هذا ندب إلى الأولى، ويجوز أن يجرى على الوجوب مبالغة، ليكون بعثا على أن يكون المعطى منجزا، وقيل: هو عطف على ما أردتم إيتاءه، فلا يحتاج إلى تقدير الإرادة، ولهذا قال: إذا أديتم لهن يدا بيد، وعلى الأول يكون قوله: إذا أديتم إليهن يدا بيد ما

أعطيتموهن ، حاصل المعنى لا التقدير .
(٩٣/٢)

والذين يتوفون منكم ويذرون %&ur-r`z &ur-r`z yItfz u/ء`z بأنفسهن أربعة أشهر
urمô³t]#
فإذا بلغن أجلهن فلا yy\$Yم_ عليكم فيما فعلن في أنفسهن إر\$فك\$÷\$J9\$ء/خ والله
بما

تعملون ضريح(234 yz) ولا yy\$Yم_ عليكم فيما عرضتم به من د7ô½z
النساء أو
&OçF^sY2r في أنفسكم t=dzN و الله أنكم ستذكرونهن ولكن لا تواعدوهن سرا إلا
أن

تقولوا قولاً معروفاً ولا (Bمq#ح"÷ès؟ عقدة النكاح ءس®Lxm يبلغ الكتاب أجله
(ur#مJn=ôûq# أن الله يعلم ما في أنفسكم فاحذروه (ur#مJn=ôûq# أن
الله غفور

زOث=235 (xm {
}
(٩٤/٢)

والذين يتوفون منكم { على تقدير حذف المضاف(١)، أراد: وأزواج الذين يتوفون منكم
يتربصن. وقيل: معناه يتربصن بعدهم، كقولهم: السمن منوان بدرهم. وقرئ: "يتوفون"
بفتح الياء أي يستوفون آجالهم، وهي قراءة علي رضي الله عنه. والذي يحكى: "أن أبا
الأسود الدؤلي كان يمشي خلف جنازة، فقال له رجل: من المتوفي - بكسر الفاء، فقال
الله تعالى. وكان أحد الأسباب الباعثة لعلي رضي الله عنه على أن أمره بأن يضع كتاباً
في النحو، تناقضه هذه القراءة(٢) { يتربصن بأنفسهن أربعة أشهر وعشراً { يعتدّن هذه
المدة وهي أربعة أشهر وعشرة أيام، وقيل عشراً ذهاباً إلى الليالي والأيام داخله معها،
ولا تراهم قط يستعملون التذكير فيه ذاهبين إلى الأيام.

(١) قوله: (على تقدير حذف المضاف) لأن الخبر { يتربصن } وليس فيه ضمير يرجع إلى
المبتدأ فوجب أن يقدر ما يرجع إليه الضمير في الخبر ، عن أبي البقاء قال سيويه :

إن الذين مبتدأ والخبر محذوف تقديره : وفيما يتلى عليكم للذين يتوفون منكم ، وقوله : { يتربصن } بيان الحكم المتلو ، وقال الأخفش : يتربصن بعدهم ، وقال غيرهم : أزواجهم يتربصن وحذف أزواجهم ؛ لأن في الكلام دليلا عليه ، وهو صواب ، المعنى وأزواج الذين يتوفون منكم يتربصن .

(٢) قوله: (تناقضه هذه القراءة) لأن هذه القراءة تقتضي صحة السؤال عن الميت ، بالمتوفي بالكسر ، والحكاية تنافيها ، وذكر صاحب المفتاح رحمه الله أن المسؤل هو علي لا أبو الأسود ، وأنه لم يقل فلان ، بل قال : الله ، موردا لكلام مخطيا إياه منبها له بذلك على أنه كان يجب أن تقول : من المتوفى بلفظ اسم المفعول : يريد أن السائل لم يكن بليغا حتى يدرك المعنى الدقيق من هذا اللفظ فما استحق الجواب لذلك .

(٩٥/٢)

تقول: صمت عشرا، ولو ذكرت خرجت من كلامهم(١).

(١) قوله: (ولو ذكرت خرجت من كلامهم) أراد أن العرب لا تستعمل العدد غالبا ذاهبين إلى الأيام بل يستعملونه بغيرها ذاهبين إلى الليالي ، والأصل فيه أن التاريخ هو لضبط جزء من الزمان بالعدد ، والعرب أرخت بالليالي ؛ لأن الشهر قمري ، ومبتدأ ظهوره من الليالي ، والليل سابق النهار ، فحصرها بالذكر ، وحكى الفراء : صمنا عشرا من شهر رمضان ، والصوم إنما يكون في الأيام ، ولكن التأنيث مغلب في هذه الأيام والليالي ، بإجماع أهل اللغة ، يقولون : سرنا خمسا من بين يوم وليلة ، وقال سيويوه : هذا باب المؤنث الذي استعمل في التأنيث والتذكير ، والتأنيث أصله ، وليس بين البصريين والكوفيين خلاف في الباب .

قوله: (ومن البين فيه) أي : ومن الدليل البين في استعمال العدد بغير التاء في

الأيام ذهابا إلى معنى الليالي . قوله تعالى : { إن لبثتم إلا عشرا } فإن المراد بها الأيام ، وإنما أنث ذهابا إلى ... الليالي ، بدليل قوله : { إن لبثتم إلا يوما } .

(٩٦/٢)

ومن البين فيه قوله تعالى: { إن لبثتم إلا عشرا } (طه: ١٠٣) ثم { إن لبثتم إلا يوما

{ طه: ١٠٤ } فإذا بلغن أجلهن { فإذا انقضت عدتهن { فلا جناح عليكم { أيها الأئمة وجماعة المسلمين { فيما فعلن في أنفسهن { من التعرض للخطاب { بالمعروف { بالوجه الذي لا ينكره الشرع. والمعنى أنهن لو فعلن ما هو منكراً كان على الأئمة أن يكفوهن. وإن فرطوا كان عليهم الجناح { فيما عرضتم به { هو أن يقول لها إنك لجميلة أو صالحة أو نافقة (١) ومن غرضي أن أتزوج، وعسى الله أن ييسر لي امرأة صالحة، ونحو ذلك من الكلام الموهوم أنه يريد نكاحها حتى تحبس نفسها عليه إن رغبت فيه، ولا يصرح بالنكاح، فلا يقول: إني أريد أن أنكحك، أو أتزوجك، أو أخطبك. وروى ابن المبارك عن عبد الله بن سليمان عن خالته قالت: دخل علي أبو جعفر محمد بن علي وأنا في عدتي فقال: قد علمت

قرايتي من رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وحق جدي علي وقدمي في الإسلام (٢)، فقلت: غفر الله لك! أتخطبني في عدتي وأنت يؤخذ عنك؟ فقال: أوقد فعلت (٣)! إنما أخبرتك بقرايتي من رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وموضعي، قد دخل رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم علي أم سلمة وكانت عند ابن عمها أبي سلمة فتوفي عنها، فلم يزل يذكر لها منزلته من الله وهو متحامل على يده حتى أثر الحصر في يده من شدة تحامله عليها، فما كانت تلك خطبة.

(١) قوله: (أو صالحة أو نافقة) إذ للتخيير والإباحة عطف الأولين بأو، والآخرين بالواو؛ لأن المعنى أن يذكر أحد المذكورات أو.. مع أحد الأمرين بأن يقول: إنك لجميلة، ومن غرضي أن أتزوج مثلاً.

(٢) قوله: (وقدمي في الإسلام) في نسخة المعري بفتح القاف، أي: ثباتي، وفي نسخة

الصمصام بكسر القاف.

(٣) قوله: (أوقد فعلت) قال المصنف: الأوجه أن تكون تضم إليها أي: أو قد خطبت، وقد روي بكسرها، والمعنى: أو قد أجبت بمثل هذا على سبيل الإنكار.

(٩٧/٢)

فإن قلت: أي فرق بين الكناية والتعريض؟ قلت: الكناية أن تذكر الشيء بغير لفظه الموضوع له (١)، كقولك: (طويل النجاد والحمائل) لطول القامة وكثير الرماد للمضياف. والتعريض: أن تذكر شيئاً تدل به على شيء لم تذكره، كما يقول المحتاج للمحتاج إليه: جئتكم لأسلم عليكم، ولأنظر إلى وجهك الكريم. ولذلك قالوا (٢):

(١) قوله: (الكناية أن تذكر الشيء بغير لفظه الموضوع له) مع قرينة غير مانعة ؛
لإرادة الموضوع له ، وكذا التعريض هو اللفظ المشار به إلى جانب بحيث يوم أن الغرض
جانب آخر ، وبين الكناية والتعريض عموم وخصوص من وجه لوجود الكناية بدون التعريض في
قولك : فلان طويل النجاد ، والتعريض دون الكناية كقولك في عرض من يؤذيك لغير المؤذي
: آذيتني فستعرف ، واجتماعهما معا كقولك في عرض من يؤذي المؤمنين ، المؤمن هو الذي
يصلي ويؤذي ولا يؤذي أخاه المسلم ، ويتوصل بذلك إلى نفي الإيمان عن المؤذي ، ومن
هو بصدده ، والتلويح : الإشارة إلى المطلوب من بعد ، كقولك : فلان كبير القدر ، ففي
كلام المصنف تسامح .

(٢) قوله: (وحسبك) أوله :

أروح بتسليم عليك [٧٩٥] وأغتدي*** وحسبك بالتسليم مني تقاضيا
وقيل : أوله :

أروح بتسليم وأغدوا بمثله.

يقول : أروح ملتبسا بتسليم ، وأغدوا ملتبسا بمثله ، ويكفيك التسليم مني طلبا لقضاء
حاجتي .

(٩٨/٢)

وكأنه إمالة (١) الكلام إلى عرض يدل على الغرض ويسمى التلويح لأنه يلوح منه ما يريده
{ أو أكنتم في أنفسكم } أو سترتم وأضرتم في قلوبكم فلم تذكروه بألسنتكم لا
معترضين ولا مصرحين { علم الله أنكم ستذكرونهن } لا محالة ولا تنفكون (٢) عن النطق

برغبتكم فيهن ولا تصبرون عنه، وفيه طرف من التوبيخ كقوله: { علم الله أنكم كنتم
تختانون أنفسكم } . فإن قلت: أين المستدرك بقوله: { ولكن لا تواعدوهن } ؟ قلت: هو
محذوف لدلالة ستذكرونهن عليه، تقديره: علم الله أنكم ستذكرونهن فاذكروهن، ولكن لا
تواعدوهن سرا. والسر وقع كناية عن النكاح الذي هو الوطاء، لأنه مما يسر. قال
الأعشى (٣):

ولا تقرين من جارة إن سرها*** عليك حرام فانكحن أو تأبدا

(١) قوله: (وكأنه إمالة) أي : كأن التعريض إمالة للكلام يريد أن الكلام له دلالة

ظاهرة على معنى فيميله إلى جانب آخر لقريظة اقتضاء المقام ؛ لأنه حين سلمت على من يستجديه أشرت بالتسليم إلى غرضك ، ولا دلالة للتسليم على الاستعطاء حقيقة ، ولا مجازا لكن في التسليم استرقاق واستعطاف ، وهما يؤديان إلى استرضاء المسلم عليه بالعطاء أو غيره .

(٢) قوله: (ولا تنفكون) وفي بعض النسخ (ولا ينفكون) .

(٣) قوله: (قال الأعشى :

ولا تقرين من جارة إن سرها***عليك حرام فانكحن أو تأبدا)

يقول : لا تنكح جارة لك إن نكاحها عليك حرام ، أي : وطؤها حرام ، فطأن ، أو تعزبن ... ، وأصل التأبد التوجس ، ومنه أوابد الإبل ، فكنى به عن ترك النكاح ، والنفرة عنه ، والألف في تأبدا بدل من النون الخفيفة .

(٩٩/٢)

ثم عبر به (١) عن النكاح الذي هو العقد لأنه سبب فيه كما فعل بالنكاح { إلا أن تقولوا قولاً معروفاً } وهو أن تعرضوا ولا تصرحوا. فإن قلت: بم يتعلق حرف الاستثناء؟ (٢) قلت: بلا تواعدوهن، أي لا تواعدوهن مواعدة قط إلا مواعدة معروفة غير منكورة. أي لا تواعدوهن إلا بأن تقولوا، أي لا تواعدوهن إلا بالتعريض. ولا يجوز أن يكون استثناء منقطعاً من { سرا } لأدائه إلى قولك لا تواعدوهن إلا التعريض. وقيل معناه: لا تواعدوهن جماعاً (٣)،

(١) قوله: (ثم عبر به) أي : ثم عبر بالسر ههنا عن العقد بعد ما جعل كناية عن الوطء ؛

لأن العقد سبب الوطء ، فيكون مجازاً عن الكناية من إطلاق لفظ المسبب على السبب ، كما فعل بالنكاح الذي هو الوطء ، فإنه عبر به عن العقد بكونه سبباً فيه ، ولو جعل السر كناية عن النكاح الذي هو الوطء ثم جعل عبارة عن العقد ليكون كناية تلويحية لجاز .

(٢) قوله: (بم يتعلق حرف الاستثناء؟) هذا يؤذن أن حرف الاستثناء يتعلق بالفعل

باعتبار أنه عامل فيما بعده بوساطته .

(٣) قوله: (وقيل معناه: لا تواعدوهن سرا ، أي : جماعاً) اعلم أنه فسر السر هنا تارة

بعقد النكاح ، وما يتعلق به كناية تلويحية ، وأخرى بالجماع كناية رمزية ، ومرة مع

ما يتصل به كناية إيمائية ، عما يستهجن منه ، أما الأول فعلى وجهين ، أحدهما : قوله : لا تواعدوهن مواعدة قط ، أي : لا تواعدوهن مواعدة فيها ألفاظ تستعمل في عقد النكاح إلا مواعدة فيها لفظ التعريض ، والمستثنى منه أعم علم المصدر .

وثانيهما : قوله : إلا بأن تقولوا ، المعنى : لا تواعدوهن بشيء من الأقوال التي تتعلق بعقد النكاح إلا بالمعروف ، وهو التعريض والمستثنى منه أعم عام المفعول به على حذف الجار ، وإيصال الفعل ، وعلى هذا القول ، وهو أن يراد بالسر عقد النكاح لا يجوز أن يكون الاستثناء منقطعا ؛ لأنه يؤدي إلى أن يكون التعريض موعود ، وغير موعود ، ولأنه واقع في الحال ، وقيل : ظاهر كلام المصنف يفهم منه الاستثناء على الوجهين متصل أيضا ، ولا مانع من أن يكون منفصلا ، وهو الذي يدل عليه كلامه ؛ لأن التعريض ليس من جنس الجماع ، ولا من جنس ما يستهجن .

(١٠٠/٢)

وهو أن يقول لها إن نكحتك كان كيت وكيت، يريد ما يجري بينهما تحت اللحاف. إلا أن تقولوا قولاً معروفاً يعني من غير رفث ولا إفحاش في الكلام. وقيل: لا تواعدوهن سرا: أي في السر على أن المواعدة في السر(١) عبارة عن المواعدة بما يستهجن، لأن مسارتهن في الغالب بما يستحيا من المجاهرة به. وعن ابن عباس رضي الله عنهما { إلا أن تقولوا

قولاً معروفاً } ، هو أن يتواتفا أن لا تتزوج غيره { ولا تعزموا عقدة النكاح } من عزم الأمر وعزم عليه، وذكر العزم مبالغة في النهي عن عقدة النكاح في العدة. لأن العزم على الفعل يتقدمه، فإذا نهى عنه كان عن الفعل أنهى(٢) ومعناه: ولا تعزموا عقد عقدة النكاح. وقيل: معناه ولا تقطعوا عقدة النكاح: وحقيقة العزم: القطع، بدليل قوله عليه السلام. (١٣٧) "لا صيام لمن لم يعزم الصيام من الليل" وروي "لمن لم يبيت الصيام" { حتى يبلغ الكتاب أجله } يعني ما كتب وما فرض من العدة { يعلم ما في أنفسكم } من العزم على ما لا يجوز { فاحذروه } ولا تعزموا عليه. { غفور حلیم } لا يعاجلكم بالعقوبة.

}

(١) قوله: (على أن المواعدة في السر) أي : بناء على أن المواعدة في السر .

(٢) قوله: (فإذا نهى عنه كان عن الفعل أنهى) يعني لا بد لكل فعل من تقدمه عقد القلب

(۱۰۱/۲)

(۱۰۲/۲)

فرضتم: إثبات للجناح المنفي ثمة، والمتعة درع وملحفة وخمار على حسب الحال عند أبي حنيفة، إلا أن يكون مهر مثلها أقل من ذلك. فلها الأقل من نصف مهر المثل ومن المتعة،

ولا ينقص من خمسة دراهم؛ لأن أقل المهر عشرة دراهم فلا ينقص من نصفها. و { الموسع }

الذي له سعة. و { المقتر { الضيق الحال. { قدره { مقداره الذي يطيقه، لأن ما يطيقه هو الذي يختص به. وقرىء بفتح الدال. والقدر والقدر لغتان. وعن النبي صلى الله عليه وآله وسلم . (١٣٨) أنه قال لرجل من الأنصار تزوج امرأة ولم يسم لها مهرا، ثم طلقها قبل أن يمسه: "أمتعتها"؟ قال: لم يكن عندي شيء. قال: "متعها بقلنسوتك". وعند أصحابنا لا تجب المتعة إلا لهذه وحدها، وتستحب لسائر المطلقات ولا تجب. { متاعا { تأكيد لمتعوهن، بمعنى تمتيعا { بالمعروف { بالوجه الذي يحسن في الشرع والمروءة { حقا { صفة لمتاعا، أي متاعا واجبا عليهم. أو حق ذلك حقا { على المحسنين { على الذين يحسنون إلى المطلقات بالتمتع، وسماهم قبل الفعل محسنين كما قال صلى الله عليه وآله وسلم . (١٣٩) "من قتل قتيلا فله سلبه" { إلا أن يعفون { يريد المطلقات. فإن قلت: أي فرق بين قولك: الرجال يعفون. والنساء يعفون؟ قلت: الواو في الأول ضميرهم، والنون علم الرفع. والواو في الثاني لام الفعل والنون ضميرهن، والفعل مبني لا أثر في لفظه للعامل وهو في محل النصب ويعفون: عطف على محله. (١٠٣/٢)

و { الذي بيده عقدة النكاح { الولي يعني إلا أن تعفو المطلقات عن أزواجهن فلا

يطالبهن بنصف المهر، وتقول المرأة: ما رأيي ولا خدمته ولا استمتع بي فكيف آخذ منه شيئا، أو يعفو الولي الذي يلي عقد نكاحهن، وهو مذهب الشافعي (١). وقيل هو الزوج، وعفوه أن يسوق إليها المهر كاملا، وهو مذهب أبي حنيفة والأول ظاهر الصحة (٢). وتسمية الزيادة على الحق عفوا فيها نظر، إلا أن يقال كان الغالب عندهم أن يسوق إليها المهر عند الزوج، فإذا طلقها استحق أن يطالبها بنصف ما ساق إليها، فإذا ترك المطالبة فقد عفا عنها. أو سماه عفوا على طريق المشاكلة. وعن جبير بن مطعم أنه تزوج امرأة وطلقها قبل أن يدخل بها فأكمل لها الصداق وقال: أنا أحق بالعفو. وعنه: أنه دخل على سعد بن أبي وقاص فعرض عليه بنتا له فتزوجها، فلما خرج طلقها وبعث إليها بالصداق كاملا، فقيل له: لم تزوجتها؟ فقال: عرضها علي فكرهت رده. قيل: فلم بعثت بالصداق؟ قال: فأين الفضل؟ و { الفضل { التفضل. أي ولا تنسوا أن يتفضل بعضكم على بعض وتتمروا ولا تستقصوا، وقرأ الحسن "أن يعفو الذي" بسكون الواو وإسكان الواو والياء في موضع النصب تشبيه لهما بالألف لأنهما أختاهما. وقرأ أبو نهيك: "وأن يعفو"، بالياء. وقرىء: "ولا

تنسو الفضل"، بكسر الواو.

})

(١) قوله: (وهو مذهب الشافعي) أي : المراد بالذي يعفو الولي .

الانتصاف : هذا الذي عزاه إلى الشافعي ليس بصحيح ، بل مذهبه كمذهب أبي حنيفة .
الأنصاف : عند الشافعي قولان ، فالمصنف نقل احد قوله ، وقال القاضي : وذلك إذا كانت المرأة صغيرة ، وهو قول قديم .

(٢) قوله: (والأول ظاهر الصحة) لأن العفو فيه مجرى على ظاهره ، وأما المال فهو غير ظاهر الصحة ؛ لأنه سمي فيه الزايد على الواجب عفوا ، وذلك لا يصح إلا بالحمل على الغالب كما ذكره ، ومعنى (تتمروا) تصيروا أصحاب مروءة .

(١٠٤/٢)

قانتين (٢٣٨) فإن xm"دےàدے" على دے#N"uqnd دے#o4qnd ur#الوسطى وقوموا لله

قانتين (٢٣٨) فإن

سُؤ حج_w\$y" z½لOçF أو ركبانا فإذا أمتهم فاذكروا الله كما علمكم ما لم تكونوا

تعلمون

{ (٢٣٩)

{ الصلاة الوسطى } أي الوسطى بين الصلوات، أو الفضلى، من قولهم للأفضل: الأوسط.
وإنما أفردت وعطفت على الصلاة لانفرادها بالفضل وهي صلاة العصر. وعن النبي صلى الله عليه وآله وسلم أنه قال يوم الأحزاب. (١٤٠) "شغلونا عن الصلاة الوسطى صلاة العصر، ملأ الله بيوتهم نارا" وقال عليه السلام. (١٤١) "إنها الصلاة التي شغل عنها سليمان بن داود حتى توارت بالحجاب" وعن حفصة أنها قالت لمن كتب لها المصحف. (١٤٢) إذا بلغت

هذه الآية فلا تكتبها حتى أمليها عليك كما سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يقرؤها، فأملت عليه: والصلاة الوسطى صلاة العصر وروي عن عائشة وابن عباس رضي الله عنهم: والصلاة الوسطى وصلاة العصر؛ بالواو. فعلى هذه القراءة يكون التخصيص لصلاتين: إحداهما الصلاة الوسطى، إما الظهر، وإما الفجر وإما المغرب، على اختلاف الروايات فيها، والثانية: العصر، وقيل: فضلها لما في وقتها من اشتغال الناس بتجاراتهم ومعايشهم. وعن ابن عمر رضي الله عنهما: هي صلاة الظهر لأنها في وسط النهار، وكان

رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يصليها بالهاجرة، ولم تكن صلاة أشد على أصحابه منها. وعن مجاهد: هي الفجر لأنها بين صلاتي النهار وصلاتي الليل. وعن قبيصة بن ذؤيب: هي المغرب، لأنها وتر النهار (١) ولا تنقص في السفر من الثلاث وقرأ عبد الله: "وعلى الصلاة الوسطى": وقرأت عائشة رضي الله عنها "والصلاة الوسطى" بالنصب على المدح والاختصاص. وقرأ نافع: "الوصطى"، بالصاد { وقوموا لله } في الصلاة { قانتين } ذاكرين لله في قيامكم.

(١) قوله: (لأنها وتر النهار) سماها وتر النهار وإن كانت ليلية لقربها من النهار .
(١٠٥/٢)

والقنوت: أن تذكر الله قائماً: وعن عكرمة كانوا يتكلمون في الصلاة فنهوا. وعن مجاهد:

هو الركود وكف الأيدي والبصر. وروي: إنهم كانوا إذا قام أحدهم إلى الصلاة هاب الرحمان أن يمد بصره أو يلتفت، أو يقلب الحصى، أو يحدث نفسه بشيء من أمور الدنيا { فإن خفتهم } فإن كان بكم خوف من عدو أو غيره { فرجالاً } فصلوا راجلين، وهو جمع راجل كقائم وقيام، أو رجل يقال: رجل رجل، أي راجل. وقرئ: "فرجالاً". بضم الراء، "ورجالاً" بالتشديد "ورجالاً". وعند أبي حنيفة رحمه الله: لا يصلون في حال المشي والمسابقة ما لم يمكن الوقوف: وعند الشافعي رحمه الله: يصلون في كل حال، والراكب يومئ ويسقط عنه التوجه إلى القبلة { فإذا أمنتهم } فإذا زال خوفكم { فاذكروا الله كما علمكم ما لم تكونوا تعلمون } من صلاة الأمن، أو فإذا أمنتهم فاشكروا الله على الأمن، واذكروه بالعبادة، كما أحسن إليكم بما علمكم من الشرائع، وكيف تصلون في حال الخوف وفي حال الأمن.

{ والذين يتوفون منكم ويذرون %&ur-r""] وصية Oخg!_ur-X متاعاً إلى الحول غير

٨u#l#جz÷خ) فإن u_ô`z`yz فلا Y\$ssyyم_ عليكم في ما فعلن في أنفسهن من معروف والله

عزيز L×(240xm) {
(١٠٦/٢)

تقديره فيمن قرأ وصية بالرفع: ووصية الذين يتوفون، أو وحكم الذين يتوفون وصية

لأزواجهم، أو والذين يتوفون أهل وصية لأزواجهم. وفيمن قرأ بالنصب: والذين يتوفون يوصون وصية، كقولك: إنما أنت سير البريد، بإضمار تسير. أو والزم الذين يتوفون وصية. وتدل عليه قراءة عبد الله: "كتب عليكم الوصية لأزواجكم متاعا إلى الحول"، مكان قوله: { والذين يتوفون منكم ويذرون أزواجا وصية لأزواجهم متاعا إلى الحول } وقرأ أبي(١): "متاع لأزواجهم متاعا". وروي عنه: "فمتاع لأزواجهم". ومتاعا نصب بالوصية، إلا إذا أضمرت يوصون، فإنه نصب بالفعل. وعلى قراءة أبي متاعا نصب بمتاع، لأنه في معنى التمتع؛ كقولك: الحمد لله حمد الشاكرين، وأعجبنى ضرب لك زيدا ضربا شديدا. و {

غير إخراج { مصدر مؤكد كقولك: هذا القول غير ما تقول. أو بدل من متاعا. أو حال من الأزواج، أي غير مخرجات. والمعنى أن حق الذين يتوفون(٢)

(١) قوله: (وقرأ أبي: "متاع {) أي : مكان وصية ، وروي عنه فمتاع . [٧٩٦] لأن الذين متضمن للمعنى الشرط فجاز إدخال الفاء في الخبر .
(٢) قوله: (والمعنى أن حق الذين يتوفون) .. إلى آخره ، هذا على تقدير الحال ظاهر ، ومن ثم قدر ولا يخرج من مساكنهن .

وأما على تقدير المصدر فالمعنى يمسكن في البيوت إمساكا غير إخراج ، فإنه لما قال : إنهم يوصون لأزواجهم ما يمتنع به حولا دل على أنهم لا يخرجون ، فأكد ذلك بقوله : { غير إخراج } وعلى تقدير البدل : فحق الذين يتوفون عن أزواجهم أي يوصوا لهم أن لا يخرجوا عن مساكنهن حولا كاملا ، وعلى التقديرين لا يكون في الآية ما يدل على إيجاب النفقة .

(١٠٧/٢)

عن أزواجهم أن يوصوا قبل أن يحتضروا بأن تمتع أزواجهم بعدهم حولا كاملا، أي ينفق عليهن من تركته ولا يخرجن من مساكنهن، وكان ذلك في أول الإسلام، ثم نسخت المدة بقوله: { أربعة أشهر وعشرا } وقيل: نسخ ما زاد منه على هذا المقدار، ونسخت النفقة بالإرث الذي هو الربع والثلث. واختلف في السكنى، فعند أبي حنيفة وأصحابه: لا سكنى لهن { فيما فعلن في أنفسهن } من التزين والتعرض للخطاب { من معروف } مما ليس بمنكر شرعا. فإن قلت: كيف نسخت الآية المتقدمة المتأخرة؟ قلت: قد تكون الآية متقدمة في التلاوة وهي متأخرة في التنزيل، كقوله تعالى: { سيقول السفهاء } مع قوله { قد نرى

تقلب وجهك في السماء { .

{ وللمطلقات متاع إرگ\$÷\$J9yê/خ/\$xm على المتقين (٢٤١) 7yد9xx.

يبين الله لكم

آياته Nن³=9èsy تعقلون (٢٤٢) {

}

(١٠٨/٢)

وللمطلقات متاع { عم المطلقات بإيجاب المتعة (١) لهن بعد ما أوجبها لواحدة منهن وهي المطلقة غير المدخول بها، وقال: { حقا على المتقين { كما قال ثمة: حقا على

المحسنين. وعن سعيد بن جبير وأبي العالية والزهري: أنها واجبة لكل مطلقة. وقيل قد

تناولت التمتع الواجب والمستحب جميعا. وقيل: المراد بالمتاع نفقة العدة.

{ * ألم sچu؟ إلى الذين (u_مq#yz من dNدحج"tfدث وهم ألوف حذر الموت

فقال لهم الله

موتوا ثم أحياهم إن الله لذو فضل على الناس ولكن &nY2rzu الناس لا يشكرون (٢٤٣)

وقاتلوا في سبيل الله (#ûq#Jn=ôur# أن الله سميع Oتد=تو (٢٤٤) {

}

(١) قوله: (عم المطلقات بإيجاب المتعة) ينافي مذهبه في تفسير الآية السابقة ، وهي

قوله : (عند أصحابنا لا تجب المتعة إلا لهذه) أي : المطلقة غير المدخول بها ،

واستحب لسائر المطلقات ؛ لأنه أوجبها هاهنا لجميعهن ، وأكد ذلك بقول سعيد بن جبير

وغيره ، قيل : والتفصي منه لا يحصل إلا بتخصيص المنطوق بالمفهوم ، كما قال القاضي :

إفراد بعض العام بالحكم لات خصيصه إلا إذا جوزنا تخصيص المنطوق بالمفهوم ، ولهذا

أوجبها ابن جبير لكل مطلقة ، وأول غيره بما يعم التمتع الواجب والمستحب ، قيل :

ويلزم تقديم التخصيص على هذا على المخصص ؛ لأنه قال بعد ما أوجبه لواحدة منهن ،

ويحتمل أن تكون هذه الآية متقدمة في النزول على تلك ، ولكن لما تقدمت تلك في

المصحف

قال ذلك ، وقوله : وقيل قد تناولت التمتع الواجب والمستحب جميعا مبني على جواز

تناول الأمر لهما معا ، وعلى هذا فلا تنافي في الآية السابقة ، وقيل : يجوز كون

اللام للعهد ، والتكرار للتأكيد ، أو لتكرار القصة .

ألم تر { تقرير لمن سمع بقصتهم من أهل الكتاب وأخبار الأولين، وتعجب من شأنهم. ويجوز أن يخاطب (١) به من لم يرد ولم يسمع، لأن هذا الكلام جرى مجرى المثل في معنى التعجب. روي: أن أهل داوردان قرية قبل واسط وقع فيها الطاعون فخرجوا هاربين، فأماتهم الله ثم أحياهم ليعتبروا ويعلموا أنه لا مفر من حكم الله وقضائه. وقيل مر عليهم حزقيل بعد زمان طويل وقد عريت عظامهم وتفرقت أوصالهم فلوى شدقه وأصابه تعجبا مما رأى، فأوحى إليه: ناد فيهم أن قوموا يا ذن الله، فنادى، فنظر إليهم (٢) قياما يقولون: سبحانك اللهم وبحمدك لا إله إلا أنت. وقيل: هم قوم من بني إسرائيل دعاهم ملكهم إلى الجهاد فهربوا حذرا من الموت، فأماتهم الله ثمانية أيام ثم أحياهم { وهم ألوف } فيه دليل على الألوف الكثيرة (٣). واختلف في ذلك، فقيل: عشرة، وقيل: ثلاثون، وقيل: سبعون. ومن بدع التفاسير (٤) { ألوف } متألفون، جمع آلف كقاعد وقعود.

(١) قوله: (ويجوز أن يخاطب) عطف على قوله: تقرير لمن سمع بقصتهم.

(٢) قوله: (فنظر إليهم) الفاء فصيحة، أي: فحيوا فقاموا، فنظر إليهم قياما.

(٣) قوله: (فيه دليل على الألوف الكثيرة) لأنه من أبنية الكثرة، فينبغي أن يكون لما زاد على العشرة.

(٤) قوله: (ومن بدع التفاسير) قال ذلك؛ لأن الألوف جمع ألف.

فإن قلت: ما معنى قوله: { فقال لهم الله موتوا } ؟ قلت: معناه فأماتهم، وإنما جيء به على هذه العبارة للدلالة على أنهم ماتوا ميتة رجل واحد بأمر الله ومشيتته، وتلك ميتة خارجة عن العادة، كأنهم أمروا بشيء فامتثلوه امتثالا من غير إباء ولا توقف، كقوله تعالى: { إنما أمره إذا أراد شيئا أن يقول له كن فيكون } (يس: ٨٢) وهذا تشجيع للمسلمين على الجهاد والتعرض للشهادة، وأن الموت إذا لم يكن منه بد ولم ينفع منه مفر، فأولى أن يكون في سبيل الله { لذو فضل على الناس } حيث يبصرهم ما يعتبرون به ويستبصرون، كما بصر أولئك، وكما بصركم باقتصاص خبرهم. أو لذو فضل على الناس حيث أحبب أولئك ليعتبروا فيفوزوا، ولو شاء لتركهم موتى إلى يوم البعث. والدليل على أنه ساق هذه القصة بعثا على الجهاد: ما أتبعه من الأمر بالقتال في سبيل الله { واعلموا

أن الله سميع { يسمع ما يقوله المتخلفون والسابقون(١) } عليم { بما يضمرونه وهو من وراء الجزاء(٢).
}

من ذا الذي قعج)م f الله قرضا \$ |YZ،xm فيضاعفه له أضعافا كثيرة والله يقبض ويبسط وإليه ترجعون (٢٤٥) {

(١) قوله: (ما يقوله المتخلفون والسابقون) أي من التنفير عن الجهاد والترغيب فيه
(٢) قوله: (وهو من وراء الجزاء) مثل ، يريد أنه تعالى لا بد أن يجازي المتخلف
والسابق ، كما أن سائق الشيء من ورائه لا بد أن يوصله إلى ما يريد ، والمعنى
مستفاد من قوله : { إن الله سميع عليم } في مقام التهديد .
(١١١/٢)

إقراض الله: مثل(١) لتقديم العمل الذي يطلب به ثوابه. والقرض الحسن: إما المجاهدة
في نفسها، وإما النفقة في سبيل الله { أضعافا كثيرة } قيل: الواحد بسبعمئة. وعن
السدي: كثيرة لا يعلم كنهها إلا الله { والله يقبض ويبسط } يوسع على عباده ويقتر،
فلا تبخلوا عليه بما وسع عليكم لا يبد لكم الضيقة بالسعة { وإليه ترجعون } فيجازيكم
على ما قدمتم.

{ ألم uچ؟ إلى الملا من ũسة_t / ٥@fدن u• ژ خ) من بعد موسى إذ قالوا
&cسة>uZ٩د لهم

ابعث لنا tB=dZ6\$ نقاتل في سبيل الله قال هل عسيتم إن كتب عليكم القتال ألا تقاتلوا
قالوا وما لنا ألا نقاتل في سبيل الله وقد sYô\$_حج÷zé& من tR\$حج"tfد٤ uZ\$ح
ur&sY/r\$! فلما كتب عليهم القتال تولوا إلا Wx٤=س% منهم والله O٧٤=تو
ژünd=©\$9àخ/ (٢٤٦) (٢)

(١) قوله: (إقراض الله: مثل) قال الزجاج : القرض في اللغة أصله ما يعطيه الرجل
ليجازى عليه ، والله تعالى لا يستقرض من عورة ، ولكن يبلوا الأخيار ، والقرض : اسم
للمصدر ، وهو الإقراض ، ويجوز أن يكون بمعنى المقروض ، وهو المال فيكون مفعولا ،
وهو على هذا صفة لمصدر محذوف ، أي : يقرض الله مالا إقراضا حسنا ، أو للمال ، ويكون
الحسن بمعنى الطيب ، أو الكثير .

(٢) قوله تعالى : { فلما كتب عليهم القتال } عن ابن الأعرابي فإن قيل : أليس موضع قوله : { فلما كتب عليهم القتال تولوا } بعد قوله { وقال لهم نبيهم إن الله قد بعث

لكم طالوت ملكا } ؟ قلت : نعم ، لأن ورود قوله : { ألم تر إلى الملاء من بني اسرائيل للتعجيب من قبائح اليهود ، وليبان بعض ما أعطوا من العهود بأن يجاهدوا أعداء الدين بعدما كانوا هم الطالبين له على الإجمال .

وقوله : { وقال لهم نبيهم } إلى آخر الآيات كالتفصيل لذلك المجمل ، لتكرير التعبير والتوبيخ ، يدل عليه قوله تعالى في التفصيل : { فلما جاوزه هو والذين آمنوا معه قالوا لا طاقة لنا اليوم } وتفسير المصنف الضمير في { قالوا لا طاقة لنا } بالكثير الذين انخذلوا ، والذين يظنون أنهم ملاقوا ربهم بالقليل الذين ثبتوا معه .
(١١٢/٢)

{
} وقال لهم نبيهم إن الله قد بعث لكم طالوت %١٣٣% (١١٣/٢) أي يكون له الملك

علينا ونحن '،&xmr بالملك منه ولم يؤت سعة من المال قال إن الله اصطفاه عليكم وزاده بسطة في العلم O،ur\$#f9 والله 'sd÷fم ملكه من يشاء والله ur™
زOتد=ت (٢٤٧)

{

}

(١١٣/٢)

طالوت { اسم أعجمي كجالوت وداود. وإنما امتنع من الصرف لتعريفه وعجمته، وزعموا أنه من الطوال لما وصف به من البسطة في الجسم. ووزنه إن كان من الطول " فعلوت" منه، أصله طولوت، إلا أن امتناع صرفه يدفع أن يكون منه، إلا أن يقال: هو اسم عبراني وافق عربيا، كما وافق حنطا حنطة، ويشمالا لها رخمانا رخيمًا بسم الله الرحمان الرحيم، فهو من الطول كما لو كان عربيا، وكان أحد سببيه العجمة لكونه عبرانيا { أي يكون له الملك علينا ونحن أحق بالملك منه ولم يؤت سعة من المال قال إن الله اصطفاه عليكم وزاده بسطة في العلم والجسم والله يؤتي ملكه من يشاء والله واسع عليم { كيف ومن

أين، وهو إنكار لتملكه عليهم واستبعاد له. فإن قلت، ما الفرق بين الواوين في { ونحن أحق } ، { ولم يؤت } ؟ قلت: الأولى للحال (١)، والثانية لعطف الجملة على الجملة الواقعة حالا، قد انتظمتها معا في حكم واو الحال. والمعنى: كيف يملك علينا والحال

أنه لا يستحق التملك لوجود من هو أحق بالملك، وأنه فقير ولا بد للملك من مال يعتضد به. وإنما قالوا ذلك لأن النبوة كانت في سبط لاوي بن يعقوب والملك في سبط يهوذا ولم يكن طالوت من أحد السبطين (٢)، ولأنه كان رجلا سقاء أو دباغا فقيرا.

(١) قوله: ([الواو] الأولى للحال) [٧٩٧] والثانية: لعطف الجملة على الجملة الواقعة حالا، الحال الأولى هي المقررة لجهة الإنكار، والثانية لتتميم معناها، والمبالغة فيه

(٢) قوله: (ولم يكن [طالوت] من أحد السبطين) قيل: كان من سبط بنيامين، وهو أدون الأسباط.

(١١٤/٢)

وروي: أن نبيهم دعا الله تعالى حين طلبوا منه ملكا، فأتى بعضا يقاس بها من يملك عليهم، فلم يساوها إلا طالوت { قال إن الله اصطفاه عليكم } يريد أن الله هو الذي اختاره عليكم، وهو أعلم بالمصالح منكم ولا اعتراض على حكم الله. ثم ذكر مصلحتين (١) أنفع مما ذكروا من النسب والمال وهما العلم المبسوط والجسامة. والظاهر أن المراد بالعلم المعرفة بما طلبوه لأجله من أمر الحرب. ويجوز أن يكون عالما بالديانات وبغيرها. وقيل: قد أوحى إليه ونىء. وذلك أن الملك لا بد أن يكون من أهل العلم، فإن الجاهل مزدرى غير منتفع به، وأن يكون جسيما يملأ العين جهازة (٢) لأنه أعظم في النفوس وأهيب في القلوب. والبسطة: السعة والامتداد. وروي أن الرجل القائم كان يمد يده فينال رأسه { يؤتي ملكه من يشاء } أي الملك له غير منازع فيه، فهو يؤتيه من يشاء: من يستصلحه للملك { والله واسع } الفضل والعطاء، يوسع على من ليس له سعة من المال ويغنيه بعد الفقر { عليهم } بمن يصطفيه للملك.

{ وقال لهم نبيهم إن آية ملكه أن يأتيكم التابوت فيه سكينه من ربكم وبقيته مما }
سجx8u؟ آل موسى وآل هارون تحمله الملائكة إن في 7y9dCE لآية لكم إن كنتم
رؤd248Z (B÷s-B) {
}

(١) قوله: (ثم ذكر مصلحتين) يريد أن قوله : إن الله اصطفاه { وقع جوابا عن قولهم :
}

أنى يكون له الملك علينا { الآية على طريق الاستئناف ، والرد عليهم ، وأن قوله :
{ وزاده بسطة في العلم والجسم { إلى آخره شروع في تفضيله .
(٢) قوله: (يملاً العين جهارة) قيل : منظرا ، وفي الأساس : جهرنى فلان : راعني بحاله
وهيئته ، وجهرت الجيش وأجهرتهم كثروا في عيني ، والدقيق : السير السريع ، والهفافة
: الساكنة الطيبة ، والرماض : القباب
(١١٥/٢)

التابوت { صندوق التوراة. وكان موسى عليه السلام إذا قاتل قدمه فكانت تسكن نفوس بني
إسرائيل ولا يفرون. والسكينة: السكون والطمأنينة، وقيل: هي صورة كانت فيه من زبرجد
أو ياقوت، لها رأس كرأس الهر وذنب كذنبه وجناحان، فتئن فيزف التابوت نحو العدو وهم
يمضون معه، فإذا استقر ثبتوا وسكنوا ونزل النصر، وعن علي رضي الله عنه كان لها وجه
كوجه الإنسان وفيها ريح هفافة { وبقية { هي رضاض الألواح وعصى موسى وثيابه وشيء من
التوراة، وكان رفعه الله تعالى بعد موسى عليه السلام فنزلت به الملائكة تحمله وهم
ينظرون إليه، فكان ذلك آية لاصطفاء الله طالوت. وقيل: كان مع موسى ومع أنبياء بني
إسرائيل بعده يستفتحون به. فلما غيرت بنو إسرائيل غلبهم عليه الكفار فكان في أرض
جالوت، فلما أراد الله أن يملك طالوت أصابهم بلاء حتى هلكت خمس مدائن، فقالوا: هذا
بسبب التابوت بين أظهرنا، فوضعه على ثورين، فساقهما الملائكة إلى طالوت. وقيل كان
من خشب الشمشام مموها بالذهب. نحوا من ثلاثة أذرع في ذراعين. وقرأ أبي وزيد بن
ثابت: "التابوت" بالهاء وهي لغة الأنصار. فإن قلت: ما وزن التابوت؟ قلت: لا يخلو من
أن يكون فعلوتا أو فاعولا، فلا يكون "فاعولا" لقلته، نحو: سلس (١) وقلق، ولأنه تركيب
غير معروف فلا يجوز ترك المعروف إليه، فهو إذا "فعلوت" من التوب، وهو الرجوع: لأنه
ظرف توضع فيه الأشياء وتودعه، فلا يزال يرجع إليه ما يخرج منه، وصاحبه يرجع إليه

فيما يحتاج إليه من مودعاته. وأما من قرأ بالهاء فهو "فاعول" عنده، إلا فيمن جعل
هائه بدلا من التاء، لاجتماعهما في الهمس وأنهما من حروف الزيادة. ولذلك أبدلت من
تاء التأنيث.

(١) قوله: (لقلة نحو سلس) أي : قل في كلام العرب لفظ فاؤه ولامه من جنس واحد ، فلا يجوز القياس على مثل هذا ، وإذا لم يجز فلا يقال : تابوت في تبت ، وأما من قرأ بالهاء فهو يقول : لأن فعلوه غير موجود .
(١١٦/٢)

وقرأ أبو السمال: "سكينة"، بفتح السين والتشديد وهو غريب. وقرئ: "يحمله"، بالياء، فإن قلت: من { آل موسى وآل هارون } ؟ قلت: الأنبياء من بني يعقوب بعدهما. لأن عمران هو ابن قاهث(١) بن لاوي بن يعقوب فكان أولاد يعقوب آلهما. ويجوز أن يراد: مما تركه موسى وهارون. والآل مقحم لتفخيم شأنهما.
{ فلما فصل طالوت بالجنود قال إن الله نأ6د=مF9تB 9جYgsx/ فمن شرب منه فليس

سة_iد ومن لم يطعمه فإنه سة_iد إلا من #Syİîzt\$u غرفة 3/4د%uخ/
فشربوا منه إلا

ثدWx%s= منهم فلما جاوزه هو والذين آمنوا معه قالوا لا طاقة لنا اليوم بجالوت 3/4دndمZم_ur قال الذين يظنون أنهم (qà#)n=-B" الله كم من فئة #A'sثد=s% غلبت فئة

كثيرة بإذن الله والله مع الصابرين (٢٤٩) {
{ فصل { عن موضع كذا: إذا انفصل عنه وجاوزه، وأصله: فصل نفسه، ثم كثر محذوف المفعول
حتى صار في حكم غير المتعدي كأنفصل. وقيل: فصل عن البلد فصولا(٢).

(١) قوله: (هو ابن قاهث) صوابه : عمران بن يصر بن قاهث ، يدل عليه ما سيذكره في آل عمران .

(٢) قوله: (وقيل: فصل عن البلد فصولا) معطوف على قوله : صار ، أي : حتى صار في حكم

اللازم ، واستعمل استعماله فجيء بمصدره على طريقة مصدر اللازم ، وقيل : فصل فصولا .

وقوله : (ويجوز أن يكون معطوفا على جملة قوله وأصله ... بنفسه ، أي : أصله التعدي ، ثم جعل لازما ، ويجوز أن يكون في أصله لازما ومتعديا ، كوقف وصد ، فإنهما جاءا

لازمين ومتعدين ، ومعنى قيظا : شديد الحر .

(١١٧/٢)

ويجوز أن يكون: فصله فصلا، وفصل فصولا كوقف وصد ونحوهما. والمعنى: انفصل عن بلده
}

بالجنود { روي أنه قال لقومه: لا يخرج معي رجل بنى بناء لم يفرغ منه، ولا تاجر
مشتغل بالتجارة، ولا رجل متزوج بامرأة لم يبن عليها، ولا أبتغي إلا الشاب النشيط
الفارغ. فاجتمع إليه مما اختاره ثمانون ألفا، وكان الوقت قيظا وسلخوا مفازة، فسألوا
أن يجري الله لهم نهرا، ف { قال إن الله مبتليكم { بما اقترحتموه من النهر { فمن
شرب منه { فمن ابتدأ شربه من النهر بأن كرع فيه { فليس مني { فليس بمتصل بي (١)
ومتحد معي، من قولهم: فلان مني، كأنه بعضه؛ لاختلاطهما واتحادهما. ويجوز أن يراد
فليس من جملتي وأشياعي { ومن لم يطعمه { ومن لم يذقه، من طعم الشيء، إذا ذاقه. ومنه
طعم الشيء، لمذاقه. قال (٢):
وإن شئت لم أطعم نقاخا ولا بردا

(١) قوله: (فليس بمتصل بي) يريد أن من في { مني { للاتصال ، ويجوز أن تكون للتبعض
، وإلى الثاني أشار بقوله : فليس من جملة أشياعي .

(٢) قوله: (قال) أوله :

فإن شئت حرمت النساء سواكم*** وإن شئت لم أطعم نقاخا ولا بردا
أي : فإن شئت حرمت على نفسي النساء سواك ، وجاء بلفظ الجمع تعظيما .
وإن شئت لم أذق ماء عذبا باردا ، سمي نقاخا ؛ لأنه ينقح العطش ، أي : يكسره ، ولا
نوما فالمراد بالطعم في البيت الذوق لا الأكل ، ولولا ذلك لما استقام عطف النوم
عليه ؛ لأن النوم لا يوصف بالأكل كما يوصف بالذوق .

(١١٨/٢)

ألا ترى كيف عطف عليه البرد وهو النوم. ويقال: ما ذقت غماضا. ونحوه من الابتلاء: ما
ابتلى الله به أهل أيلة من ترك الصيد مع إتيان الحيتان شرعا، بل هو أشد منه
وأصعب (١). وإنما عرف ذلك طالوت بإخبار من النبي. وإن كان نبيا - كما يروي عن
بعضهم - فبالوحي. وقرئ "بنهر" بالسكون. فإن قلت: مم استثنى قوله: { إلا من اغترف

{ ؟ قلت: من قوله: { فمن شرب منه فليس مني } والجملة الثانية في حكم المتأخرة، إلا أنها قدمت للعناية(٢) كما قدم { والصابئون } (المائدة: ٦٩) في قوله: { إن الذين آمنوا والذين هادوا والصابئون } ومعناه: الرخصة في اعتراف الغرفة باليد دون الكروع، والدليل عليه(٣)

(١) قوله: (بل هو أشد منه وأصعب { أي : الابتلاء بالنهر أشد من ابتلاء أهل أيلة ، لما حصل لهم من مشقة السفر مع بعد الشقة ، وكون الوقت قيظا ، بخلاف أهل أيلة لقلة احتياجهم إلى الحيتان ، إذ لهم أطعمة سواها مع كونهم حاضرين .

(٢) قوله: (إلا أنها قدمت للعناية) لأن المطلوب أن لا يذاق من الماء رأسا ، والاغتراف بالغرفة رخصة ، فقدم ، ومن لم يطعمه فإنه مني { للعناية به ؛ لأنه عزيمة ، وهو المطلوب الأولي ، والكروع في الماء : شربه بالفم ، والمصنف عبر عن شربهم بالكروع للإيذان بالافراط فيه .

(٣) قوله: (والدليل عليه) أي : على الاستثناء من قوله : { فمن شرب منه فليس مني } لا من قوله : { ومن لم يطعمه } .

قوله : { فشربوا منه إلا قليلا } لأنه لو كان منه لقليل فطعموه .
(١١٩/٢)

قوله: { فشربوا منه { أي فكرعوا فيه { إلا قليلا منهم } وقرئ: "غرفة" بالفتح بمعنى المصدر، وبالضم بمعنى المغروف. وقرأ أبي والأعمش: "إلا قليل"، بالرفع. وهذا من ميلهم مع المعنى والإعراض عن اللفظ جانبا، وهو باب جليل من علم العربية. فلما كان معنى { فشربوا منه { في معنى فلم يطيعوه، حمل عليه، كأنه قيل: فلم يطيعوه إلا قليل منهم. ونحوه قول الفرزدق(١) :

وعض زمان يا بن مروان لم يدع ... *** من المال إلا مسحت أو مجلف

(١) قوله: (قول الفرزدق) وصدده :

وعض زمان يا بن مروان لم يدع ... *** من المال إلا مسحت أو مجلف
وقبله :

إليك أمير المؤمنين رمت بنا*** شعوب النوى والهوجل المتعسف
الهوجل : المفازة ، والمسحت : المستأصل ، والمجلف : الذي أخذت جوانبه ، فذهب بعضه

وبقي منه شيء ، وروي المصنف في طه : إلا مسحاً أو مجلف .
يقول : زمان القحط لم يترك من المال إلا مستأصلاً ، أو مهلكاً ، أو مجلفاً مقشوراً ،
وروي أن الفرزدق قال لمن قال له : لم لا تقل إلا مسحاً أو مجلفاً . أو إلا مسحت أو
مجلف ، لما يسوؤك وينوؤك ، علي القول ، وعليك الاستشهاد ، إنما أردت أو مجلف كذلك
على الاستئناف .

قوله: (وقيل الضمير في قالوا) معطوف من حيث المعنى [٧٩٨] على قوله : { والذين
آمنوا } يعني القليل ، كأنه قال : الضمير للذين آمنوا ، وهم الأقلون ، وقيل :
الضمير للذين كفروا ، وهم الأكثرون .
(١٢٠/٢)

كأنه قال: لم يبق من المال إلا مسحت أو مجلف. وقيل: لم يبق مع طالوت إلا ثلثمائة
وثلاثة عشر رجلاً { والذين آمنوا } يعني القليل { قال الذين يظنون } يعني الخلف منهم
الذين نصبوا بين أعينهم لقاء الله وأيقنوه. أو الذين تيقنوا أنهم يستشهدون عما قريب
ويلقون الله، والمؤمنون مختلفون في قوة اليقين ونصوع البصيرة. وقيل: الضمير في {
قالوا لا طاقة لنا } للكثير الذين انخدلوا، والذين يظنون هم القليل الذين ثبتوا
معه، كأنهم تفاولوا بذلك والنهر بينهما. يظهر أولئك عذرهم في الانخدال، ويرد عليهم
هؤلاء ما يعتذرون به. وروي: أن الغرفة كانت تكفي الرجل لشربه وإداوته. والذين شربوا
منه اسودت شفاههم وغلبهم العطش.

{ ولما (u-r#t/ لجالوت 3/4ndمقM-ur قالوا !Y\$u' حجùr& علينا
#]٩ | وثبت

&sYtB#y%oo%or\$ وانصرنا على القوم الكافرين (٢٥٠) ygسù"BuمNèdq ياذن
الله وقتل داوود

جالوت وآتاه الله ك=y7ù spyJ6ك#urJ9\$# tò:\$# وعلمه مما يشاء ولولا دفع الله
الناس

بعضهم ببعض لفسدت الأرض ولكن الله ذو فضل على العالمين (٢٥١) {
(١٢١/٢)

{ جالوت } جبار من العمالقة من أولاد عمليق بن عاد، وكانت بيضته فيها ثلثمائة
رطل(١) { وثبت أقدامنا } وهب لنا ما نثبت به في مداحض الحر من قوة القلوب وإلقاء

الرعب في قلب العدو ونحو ذلك من الأسباب. كان أيشى أبو داود في عسكر طالوت مع ستة

من بنيهِ، وكان داود سابعهم وهو صغير يرعى الغنم، فأوحى إلى اشمويل أن داود بن أيشى هو الذي يقتل جالوت، فطلبه من أبيه، فجاء وقد مر في طريقه بثلاثة أحجار دعاه كل واحد منها أن يحمله وقالت له: إنك تقتل بنا جالوت، فحملها في مخلاته ورمى بها جالوت فقتله، وزوجه طالوت بنته. وروي أنه حسده وأراد قتله ثم تاب { وآتاه الله الملك } في مشارق الأرض المقدسة ومغاربها، وما اجتمعت بنو إسرائيل على ملك قط قبل داود { والحكمة } والنبوة { وعلمه مما يشاء } من صنعة الدروع، وكلام الطير والدواب وغير ذلك { ولولا دفع الله الناس } ولولا أن الله يدفع بعض الناس ببعض ويكف بهم فسادهم، لغلب المفسدون وفسدت الأرض وبطلت منافعها وتعطلت مصالحها من الحرث والنسل وسائر ما

يعمر الأرض. وقيل: ولولا أن الله ينصر المسلمين(٢) على الكفار لفسدت الأرض بيعث الكفار فيها وقتل المسلمين. أو لو لم يدفعهم بهم لعم الكفر ونزلت السخطة فاستؤصل أهل الأرض.

{ تلك آيات الله نتلوها عليك بالحق وإنك لمن رُؤى=TMyجك252} J9\$# { }

(١) قوله: (بيضته فيها ثلثمائة رطل) من باب التجريد ، أي : هي في نفسها ثلاثمائة رطل .

(٢) قوله: (ولولا أن الله ينصر المسلمين) هذا على أن التعريف في الناس للعهد ، وهم المؤمنون والكفار ، وعلى الأول كان للجنس .
(١٢٢/٢)

تلك آيات الله { يعني القصص التي اقتصها، من حديث الألو ف وإماتتهم وإحيائهم، وتمليك طالوت وإظهاره بالآية التي هي نزول التابوت من السماء، وغلبة الجبابرة على يد صبي } بالحق { باليقين الذي لا يشك فيه أهل الكتاب لأنه في كتبهم كذلك } وإنك لمن المرسلين { حيث تخبر بها من غير أن تعرف بقراءة كتاب ولا سماع أخبار .
* تلك الرسل sù=sYù\$ بعضهم على بعض منهم من كلم الله ورفع بعضهم درجات ÷sY\$

وغفر له ما تقدم من ذنبه وما تأخر وهو خاتم الأنبياء فدخل عليه السلام فقال: فيم أنتم؟ فذكرنا له.

(١٢٤/٢)

فقال: لا ينبغي لأحد أن يكون خيرا من يحيى بن زكريا، فذكر أنه لم يعمل سيئة قط ولم يهمل بها. فإن قلت: فلم خص موسى وعيسى من بين الأنبياء بالذكر؟ قلت: لما أوتيا من الآيات العظيمة والمعجزات الباهرة. ولقد بين الله وجه التفضيل حيث جعل التكليم من الفضل وهو آية من الآيات، فلما كان هذان النبيان قد أوتيا ما أوتيا من عظام الآيات خصا بالذكر في باب التفضيل. وهذا دليل بين أن من زيد تفضيلا بالآيات منهم فقد فضل على غيره. ولما كان نبينا صلى الله عليه وآله وسلم هو الذي أوتي منها ما لم يؤت أحد في كثرتها وعظمها. كان هو المشهود له بإحراز قصبات الفضل غير مدافع، اللهم ارزقنا شفاعته يوم الدين { ولو شاء الله { مشيئة إلقاء وقسر { ما اقتتل الذين { من بعد الرسل، لاختلافهم في الدين، وتشعب مذاهبهم، وتكفير بعضهم بعضا { ولكن اختلفوا فمنهم من آمن { لالتزامه دين الأنبياء { ومنهم من كفر { لإعراضه عنه { ولو شاء الله ما اقتتلوا { كرهه للتأكيد { ولكن الله يفعل ما يريد { من الخذلان والعصمة { أنفقوا مما رزقناكم { أراد الإنفاق الواجب لاتصال الوعيد به (١) { من قبل أن يأتي يوم { لا تقدرون فيه على تدارك ما فاتكم من الإنفاق لأنه { لا يبيع فيه { حتى تبتاعوا ما تنفقونه { ولا خلة { حتى يسامحكم أخلاؤكم به. وإن أردتم أن يحط عنكم ما في ذمتكم من الواجب لم تجدوا شفيعا يشفع لكم في حط الواجبات.

(١) قوله: (لاتصال الوعيد به) أراد به قوله { من قبل أن يأتي يوم لا يبيع فيه { الآية .

(١٢٥/٢)

لأن الشفاعة ثمة في زيادة الفضل لا غير { والكافرون هم الظالمون { أراد والطاركون الزكاة هم الظالمون، فقال { والكافرون { للتغليظ، كما قال في آخر آية الحج { ومن كفر { مكان: ومن لم يحج، ولأنه جعل ترك الزكاة (١) من صفات الكفار في قوله: { وويل للمشركين الذين لا يؤتون الزكاة { (فصلت: ٦) وقرئ: "لا يبيع فيه ولا خلة ولا شفاعة" بالرفع.

{ الله لا إله إلا هو 9\$# 'ys القيوم لا تأخذه سنة ولا نوم له ما في 9\$#،،yJ"N`uq

وما في الأرض من ذا الذي يشفع عنده إلا بإذنه يعلم ما بين أيديهم وما خلفهم ولا يحيطون بشيء من علمه إلا بما شاء وسع كرسيه $yJ"N^uq$ ،،9\$# والأرض ولا ينوده حفظهما

وهو گ'ج؟#yè9\$ العظيم (٢٥٥) { }

(١) قوله: (ولأنه جعل ترك الزكاة) عطف على قوله : التعليل ، فهو على هذا تعريض بالمؤمنين ، وبعث لهم على أداء الزكاة ، وتخويف شديد من منع ما قيل ، فهو على هذا مجاز باعتبار ما يؤول إليه ، سمي المؤمنين عند مشارفتهم لاكتساء لباس الكفر الذي هو منع الزكاة كافرين للتعليل .
(١٢٦/٢)

الحى { الباقي الذي لا سبيل عليه للفناء، وهو على اصطلاح المتكلمين الذي يصح أن يعلم ويقدر. و { القيوم { الدائم القيام بتدبير الخلق وحفظه. وقرئ: "القيام"، "والقيم" والسنة: ما يتقدم النوم من الفتور(١) الذي يسمى النعاس. قال ابن الرقاع العاملي(٢):
وسنان أقصده النعاس فرنقت

(١) قوله: (والسنة: ما يتقدم النوم من الفتور[قبل النوم]) حال يعرض للحويان من استرخاء أعصاب الدماغ من رطوبات الأبخرة المتصاعدة ، بحيث تقف الحواس الظاهرة عن الإحساس رأسا ، قيل : تقديم السنة عليها وقياس المبالغة العكس ليكون على ترتيب الوجود ، أي : ليطابق الوضع الطبع ، وقيل : بل المذكورة أبلغ من عكسه ، وهو من باب فحوى الخطاب ، والتميم ، وذلك أن قوله تعالى : { لا تأخذه سنة } يفيد انتفاء السنة

فاندرج تحته انتفاء النوم بالطريق الأولى ، على نحو قوله : { ولا تقل لهما أف ولا تنهرهما } ثم جيء بقوله : { ولا نوم } تأكيدا للنوم المنفي ضمنا ، ولو عكس كان من باب الترقي ، ومنه قوله تعالى : { ما لهذا الكتاب لا يغادر صغيرة ولا كبيرة } فإن قوله : { ولا كبيرة } وقع تأكيدا لما علم ضمنا من قوله : { لا يغادر صغيرة } وقيل : النوم والسنة متغايران ، لأن السنة في الرأس ، والنوم في العين ، ونفي أحدهما لا يستلزم نفي الآخر ، فلا سؤال ، وقيل : أراد أن يعضد دلالة الالتزام بدلالة المطابقة

لأنها الأقوى .

(٢) قوله: (قال ابن الرقاع العاملي:

وسنان أقصده النعاس فرنقت*** في عينه سنة وليس بنائم

قبله :

وكأنها وسط النساء أعارها*** عينيه أجود من جاذر جاسم

جاسم : قرية بالشام ، أقصدة من أقصد الرجل إذا أصبته بالسهم ، فلم يخط مقاتله ،

ورنق الطائر : رفرح حول الشيء ، أي : دار حوله ليقع عليه ، وقيل : رنق الطائر إذا

خفق بجناحيه في الهواء ، وثبت ولم يطر .

(١٢٧/٢)

أي لا يأخذه نعاس ولا نوم وهو تأكيد للقيوم؛ لأن من جاز عليه ذلك استحال أن يكون
قيوماً. ومنه حديث موسى. (١٤٤) أنه سأل الملائكة (وكان ذلك من قومه كطلب الرؤية):

أيام ربنا؟ فأوحى الله إليهم أن يوقظوه ثلاثاً ولا يتركوه ينام، ثم قال: خذ بيدك

قارورتين مملوءتين. فأخذهما، وألقى الله عليه النعاس فضرب إحداهما على الأخرى

فانكسرتا، ثم أوحى إليه: قل لهؤلاء إني أمسك السموات والأرض بقدرتي، فلو أخذني نوم

أو نعاس لزلتا { من ذا الذي يشفع عنده { بيان لملكوته وكبريائه. وأن أحدا لا

يتمالك أن يتكلم يوم القيامة إلا إذا أذن له في الكلام، كقوله تعالى: { لا يتكلمون

إلا من أذن له الرحمان { (النبا: ٣٨) { يعلم ما بين أيديهم وما خلفهم { ما كان

قبلهم وما يكون بعدهم. والضمير لما في السموات والأرض لأن فيهم العقلاء، أو لما دل

عليه { من ذا { من الملائكة والأنبياء { من علمه { من معلوماته { إلا بما شاء { إلا

بما علم. الكرسي. ما يجلس عليه، ولا يفضل عن مقعد القاعد. وفي قوله { وسع كرسيه {

أربعة أوجه: أحدها أن كرسيه لم يضق عن السموات (١) والأرض لبسطته وسعته، وما هو إلا

تصوير لعظمته وتخيل فقط، ولا كرسي ثمة ولا قعود، ولا قاعد، كقوله: { وما قدروا

الله حق قدرته والأرض جميعا قبضته يوم القيامة والسموات مطويات بيمينه { من غير

تصور قبضة وطي ويمين، وإنما هو تخيل لعظمة شأنه وتمثيل حسي. ألا ترى إلى قوله: {

وما قدروا الله حق قدره { والثاني: وسع علمه وسمي العلم كرسيا تسمية بمكانه الذي هو

كرسي العالم.

(١) قوله: (أن كرسيه لم يضق عن السموات) .. إلى آخره لا يناقض قوله : لا كرسي ثمة ؛

لأن إثبات الكرسي أولاً بحسب مروي اللغة ، وتفسير اللفظ من غير النظر إلى استقامته
في حق الله تعالى أم لا . وأما نفيه فبالنظر إلى نسبته إلى الله ، وأنه يجب حمله
على العظمة والكبرياء على سبيل الكناية ، وأخذ الزبدة من مجموع الكلام .
(١٢٨/٢)

والثالث: وسع ملكه تسمية بمكانه الذي هو كرسي الملك والرابع: ما روي: أنه خلق كرسي
هو بين يدي العرش دونه السموات والأرض، وهو إلى العرش كأصغر شيء. وعن الحسن (١):
الكرسي هو العرش { ولا يؤوده } ولا يثقله ولا يشق عليه { حفظهما } حفظ السموات
والأرض { وهو العلي } الشأن { العظيم } الملك والقدرة. فإن قلت: كيف ترتبت الجمل في
آية الكرسي من غير حرف عطف؟ قلت: : ما منها جملة إلا وهي واردة على سبيل البيان (٢)
لما ترتبت عليه والبيان متحد بالمبين، فلو توسط بينهما عاطف لكان كما تقول العرب:
بين العصا ولحائها (٣)، فالأولى بيان لقيامه بتدبير الخلق وكونه مهيمنا عليه غير ساه
عنه. والثانية لكونه مالكا لما يدبره. والثالثة لكبرياء شأنه.

(١) قوله: (وعن الحسن) ليس هذا وجهها خامسا ، بل هو كالتمة للواقع ، وحاصله أن

الكرسي جسم عظيم ، إما بين يدي العرش ، أو العرش نفسه ، ويمكن أن يقال : إنه أراد
بالوجوه الأربعة المختارة ثم ذكر عن الحسن وجهها ضعيفا .

(٢) قوله: (على سبيل البيان لما ترتبت عليه) أي : لما ترتبت على الجمل ، وهو الجملة
الأولى ، أعني { الله لا إله إلا هو الحي القيوم } فإن كل واحدة منها بيان بها من
وجه ، أو لما ترتبت الجملة الواحدة عليه ، وهو الجملة السابقة عليها ، وقوله فالأولى
: أي : الأولى من الجمل التي وقعت بيانا ، وهي قوله : { لا تأخذه سنة ولا نوم }
والثانية { له ما في السموات والأرض } والثالثة من { من ذا الذي يشفع عنده إلا
بإذنه } والرابعة { يعلم ما بين أيديهم وما خلفهم } والخامسة { وسع كرسيه السموات
والأرض } وليست الأولى { لا إله إلا هو الحي القيوم } وأنها بيان لقوله { الله }
كما ظن ؛ لأن { لا إله } تنمة للجملة الأولى التي تثبت بجميع الجمل ، أو بالجملة
الأولى منها .

(٣) قوله: (بين العصا ولحائها) يضرب مثلا للأجنبي المتوسط بين المتوفقين . [٧٩٩]

(١٢٩/٢)

والرابعة لإحاطته بأحوال الخلق، وعلمه بالمرتضى منهم المستوجب للشفاعة، وغير المرتضى. والخامسة لسعة علمه وتعلقه بالمعلومات كلها (١)، أو لجلاله وعظم قدره. فإن قلت: لم فضلت هذه الآية حتى ورد في فضلها ما ورد منه قوله صلى الله عليه وآله وسلم (١٤٥) ما قرئت هذه الآية في دار إلا اهتجرتها الشياطين ثلاثين يوما ولا يدخلها ساحر ولا ساحرة أربعين ليلة، يا علي علمها ولدك وأهلك وجيرانك، فما نزلت آية أعظم منها وعن علي رضي الله عنه: سمعت نبيكم صلى الله عليه وآله وسلم على أعواد المنبر وهو يقول: (١٤٦) "من قرأ آية الكرسي في دبر كل صلاة مكتوبة لم يمنعه من دخول الجنة إلا الموت، ولا يواظب عليها إلا صديق أو عابد، ومن قرأها إذا أخذ مضجعه أمنه الله على نفسه وجاره وجار جاره والأبيات حوله وتذاكر الصحابة رضوان الله عليهم أفضل ما في

القرآن، فقال لهم علي رضي الله عنه. (١٤٧) أين أنتم عن آية الكرسي، ثم قال: قال لي رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم "يا علي، سيد البشر آدم، وسيد العرب محمد ولا فخر، وسيد الفرس سلمان، وسيد الروم صهيب، وسيد الحبشة بلال، وسيد الجبال الطور، وسيد الأيام يوم الجمعة، وسيد الكلام القرآن، وسيد القرآن البقرة، وسيد البقرة آية الكرسي" قلت: لما فضلت له سورة الإخلاص لاشتمالها على توحيد الله وتعظيمه وتمجيده وصفاته العظمى، ولا مذكور أعظم من رب العزة فما كان ذكرا له كان أفضل من سائر الأذكار. وبهذا يعلم أن أشرف العلوم وأعلاها منزلة عند الله علم أهل العدل والتوحيد ولا يغرنك عنه كثرة أعدائه: ف

إن العرانيين تلقاها محسدة**** ولا ترى للناس حسادا(٢)

(١) قوله: (وتعلقه بالمعلومات كلها) هذا إذا كان الكرسي مأولا بالعلم .

قوله: (لجلاله وعظم قدره) هذا إذا كان مؤلا بالملك ، وبتصوير العظمة .

(٢) قوله: ف:

إن العرانيين تلقاها محسدة****

تمامه :

ولا ترى للناس حسادا)

الفاء في فإن كافة ، والعرانيين جمع العرنيين ، وهو طرف الأنف ، وعرانيين الناس

ساداتهم ، قيل لبعض المهالبة : ما أكثر حسادكم فأنشد البيت .

(١٣٠/٢)

{ لا on#u.ج.خ) في الدين قد تبين الرشد من الغي فمن يكفر بالطاغوت ويؤمن بالله فقد استمسك ourم9\$è/ الوثقى لا انفصام لها والله سميع ILندt و (٢٥٦) {
 { لا إكراه في الدين { أي لم يجر الله أمر الإيمان على الإجبار والقسر، ولكن على
 التمكين والاختيار. ونحوه قوله تعالى: { ولو شاء ربك لآمن من في الأرض كلهم جميعا
 أفأنت تكره الناس حتى يكونوا مؤمنين { أي لو شاء لقسرهم على الإيمان ولكنه لم يفعل،
 وبنى الأمر على الاختيار { قد تبين الرشد من الغي { قد تميز الإيمان من الكفر
 بالدلائل الواضحة { فمن يكفر بالطاغوت { فمن اختار الكفر بالشيطان أو الأصنام

والإيمان بالله { فقد استمسك بالعروة الوثقى { من الحبل الوثيق المحكم، المأمون
 انفصامها، أي انقطاعها. وهذا تمثيل للمعلوم بالنظر، والاستدلال بالمشاهد المحسوس،
 حتى يتصوره السامع كأنه ينظر إليه بعينه، فيحكم اعتقاده واليقين به. وقيل: هو إخبار
 في معنى النهي(١)، أي لا تتكروها في الدين. ثم قال بعضهم: هو منسوخ بقوله: { جاهد
 الكفار والمنافقين واغلظ عليهم { وقيل: هو في أهل الكتاب(٢)

(١) قوله: (وقيل: هو إخبار في معنى النهي) هو عطف على قوله: (لم يجر الله أمر
 الإيمان) .

(٢) وقوله: (وقيل هو في أهل الكتاب) معطوف من حيث المعنى على قوله: (قال بعضهم)
 أي

: هو عام في جميع الكفار فيكون منسوخا ؛ لأنه وجد الإكراه لقوله : { جاهد الكفار {
 و { اقتلوا المشركين { ، أو هو خاص بأهل الكتاب فلم يكن منسوخا .

وقوله: (وروي انه كان) متفرع على القول الثاني .
 (١٣١/٢)

خاصة لأنهم حصنوا أنفسهم بأداء الجزية وروي. (١٤٨) أنه كان لأنصاري من بني سالم بن
 عوف ابنان فتنصرا قبل أن يبعث رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ، ثم قدما المدينة
 فلزمهما أبوهما وقال: والله لا أدعكما حتى تسلما، فأبيا فاختصموا إلى رسول الله صلى
 الله عليه وآله وسلم فقال الأنصاري: يا رسول الله أيدخل بعضي النار وأنا أنظر؟

فنزلت: فخلاهما

{ الله ولي الذين آمنوا Oكغم_حج÷ومf من الظلمات إلى النور والذين كفروا أولياؤهم
الطاغوت NكRqgtم_حج÷ومf من النور إلى الظلمات أولئك أصحاب النار هم فيها
ح\$crà"#yz
{ (٢٥٧)

{ الله ولي الذين آمنوا { أي أرادوا أن يؤمنوا يلفظ بهم حتى يخرجهم بلطفه وتأيدته
من الكفر إلى الإيمان { والذين كفروا { أي صمموا على الكفر أمرهم على عكس ذلك. أو
الله ولي المؤمنين(١) يخرجهم من الشبه في الدين - إن وقعت لهم - بما يهديهم
ويوفقهم له من حلها، حتى يخرجوا منها إلى نور اليقين { والذين كفروا أولياؤهم {
الشياطين { يخرجونهم { من نور البينات التي تظهر لهم إلى ظلمات الشك والشبهة.
}

(١) قوله: (أو الله ولي المؤمنين يخرجهم من الشبه في الدين) يعني أن النور والظلمات
يجوز أن يكونا مستعارين للإيمان والكفر ، شبه الدين في ظهور آياته بإشراق النور ،
والكفر بالعكس ، ويجوز أن يكونا مستعارين لليقين والشك ، والوجه الثاني أوجه ؛ لأن
في الأول تسمية المؤمن مجاز باعتبار ما يؤول إليه ، بخلاف الثاني ، ولأنه يلزم
تخصيصه بمن كان كافرا من المؤمنين .
(١٣٢/٢)

ألم uچ؟ إلى الذي حاج d`u؟zN (خ) في ربه أن آتاه الله y7ù=ك#J9\$ إذ قال
م d`u؟N (خ) ربي الذي يحيي ويميت قال أنا أحيي وأميت قال م d`u؟N (خ) فإن
الله

'Aù'tfد' بالشمس من المشرق فأت بها من ة<حجyJ9\$# فهت الذي uچx.
والله لا "د%oo÷%ku

القوم Jstûü="258© (à9\$#) أو كالذي مر على قرية { durs' خاوية على عروشها
قال أنى

يحيي دنة"yd الله بعد موتها فأماته الله مئة عام ثم بعثه قال كم لبثت قال لبثت
يوما أو بعض يوم قال بل لبثت مئة عام فانظر إلى 7yèsdyB غ 7y#ؤu° لم
يتسنه

وانظر إلى ur۹dm y7n=yèôfuZdyJ\$'حx8 آية للناس وانظر إلى العظام كيف
ننشزها ثم

نكسوها لحما فلما تبين له قال أعلم أن الله على كل شيء قدير (٢٥٩) {
ألم تر { تعجب من محاجة نمروذ في الله وكفره به { أن آتاه الله الملك { متعلق بحاج
على وجهين:
أحدهما: حاج لأن آتاه الله الملك(١)، على معنى أن إيتاء الملك أبطره وأورثه الكبير
والعتو فحاج لذلك، أو على أنه وضع المحاجة في ربه موضع ما وجب عليه من الشكر على
أن

آتاه الله الملك، فكأن المحاجة كانت لذلك، كما تقول: عاداني فلان لأنني أحسنت إليه،
تريد أنه عكس ما كان يجب عليه من الموالاة لأجل الإحسان. ونحوه قوله تعالى: {
تجعلون رزقكم أنكم تكذبون } .

(١) قوله: (حاج لأن آتاه الله الملك) واللام مثلها في قوله: { ليكون لهم عدوا } .
(١٣٣/٢)

والثاني: حاج وقت أن آتاه الله الملك(١). فإن قلت: كيف جاز أن يؤتي الله الملك
الكافر؟ قلت: فيه قولان: آتاه ما غلب به وتسلب من المال والخدم والأتباع، وأما
التغليب والتسليط فلا. وقيل: ملكه امتحانا لعباده. و { إذ قال { نصب بحاج(٢) أو بدل
من آتاه إذ جعل بمعنى الوقت { أنا أحيي وأميت { يريد أعفو عن القتل وأقتل. وكان
الاعتراض عتيدا(٣) ولكن إبراهيم لما سمع جوابه الأحق لم يحاجه فيه، ولكن انتقل إلى
ما لا يقدر فيه على نحو ذلك الجواب لبيهته أول شيء. وهذا دليل على جواز الانتقال
للمجادل من حجة إلى حجة(٤).

(١) قوله: (وقت أن آتاه الله الملك) أي: وقت إيتاء الملك، وأن عليه السلام
بالوجهين مصدرية .
(٢) قوله: (و { إذ قال { نصب بحاج) على تقدير حذف اللام في { أن آتاه الله { أو بدل
من { أن آتاه الله { على تقدير حذف المضاف .
(٣) قوله: (وكان الاعتراض عتيدا) أي: اعتراض إبراهيم عليه السلام على نمروذ خاصرا
متهينا سهلا غير خاف على ذي لب .
(٤) قوله: (وهذا دليل على جواز الانتقال للمجادل من حجة إلى حجة) قيل: ليس هذا

انتقالاً من حجة إلى حجة ، بل هو انتقال من مثال إلى مثال أوضح ، لا تتأتى فيه المنازعة كما تأتت في الأول ، وقيل : هو انتقال من حجة ، ولكن بعد تمامها ، وإلزام الخصم بها إلى حجة أخرى تأكيداً ، وتقريراً لها ، ومن مراد المصنف ، ولهذا قال : وكان الاعتراض عتيداً ، ولكن لما سمع جوابه الأحمق لم يحاجه فيه ؛ لأنه لم يكن يستحق الجواب ، وظهر إفحامه ، ولهذا عارض اللعين لا نقطاعه بأمر باطل ، ولما خالف إبراهيم عليه السلام الاشتباه على اقوم انتقل دفعا للإشتباه إلى ما هو حال عما يوجب لبسا ، وذلك حسن عند تمام الحجة ، وخوف الإشتباه .

قوله: ({ فبهت الذي كفر }) أي : فغلب ، قال الزجاج : بهت : انقطع وتحير وسكت للحيرة .

(١٣٤/٢)

وقريء: " فبهت الذي كفر " أي فغلب إبراهيم الكافر . وقرأ أبو حيوة: " فبهت " ، بوزن قرب . وقيل: كانت هذه المحااجة حين كسر الأصنام وسجنه نمروذ، ثم أخرجه من السجن ليحرقه فقال له: من ربك الذي تدعو إليه؟ فقال: ربي الذي يحيي ويميت. { أو كالذي { معناه. أو أرايت مثل الذي مر فحذف لدلالة { ألم تر { عليه؛ لأن كليهما كلمة تعجيب (١).

(١) قوله: (لأن كليهما كلمة تعجيب) وذلك أن أرايت استخبار ، قال المصنف : لما كانت رؤية الأشياء ومشاهدتها طريقاً إلى الاحاطة بها علماً وصحة الخبر عنها استعملوا أرايت بمعنى أخبر ، ومعنى التعجيب فيه أن إجراءه على ظاهره غير جائز لاستحالة الاستخبار من علام الغيوب ، فهو تنبيه بما يجب على ما شاهده وعلمه إظهاراً لمعنى الغواية فيه ، وأما ألم تر ففيه تنبيه للمخاطب على التعجيب مما شاهده ، تقول : أم تر إلى فلان كيف صنع ، إذا أردت التعجيب من صنعته .

واعلم ان في عطف قوله تعالى { أو كالذي مر { على قوله { ألم تر { إشكالا لا يتخلص عنه من وجهين ، أحدهما : أن يعطف الجملة على الجملة من غير اعتبار مفرداتهما ، فيقدر هاهنا أرايت مثل الذي لدلالة ألم تر عليه ؛ لأن كليهما كلمة تعجيب كما مر ، وإنما أوثر أرايت على ألم تر لعدم الحذف في الأول .

وقال صاحب التقريب : لأن الأول تعدى بنفسه ، والثاني يالى ، فتقديره [٨٠٠] أشهد ؟ وهذا توهم أن الثاني لا يتعدى بنفسه لكنه قد جاء معدى بنفسه { ألم تر أنا أرسلنا { إلا إن يحمل على الأغلب ، وأما ما قيل من أن تقدير { ألم تر { ينافي التعجب فليس

بشيء ، وقد بسطنا القول في الجواب عن ذلك في درر الأصداف .
وثانيها : أن تجعل من عطف المفرد على المفرد ، وموضع الإبتداء مكان { ألم تر }
وتجعل الكاف اسما فيعطف المثل على المثل .
قال مكّي : والكاف في موضع نصب معطوفة على معنى الكلام تقديره : عند الفراء ،
والكسائي : هل رأيت كالذي حاج ، أو كالذي مر على قرية .

وقال الرازي : ألم تر إلى الذي حاج بمعنى رأيت كالذي مر ، وهو قول الكسائي والفراء ،
وأبي علي ، وأكثر النحويين ، ونظيره قوله تعالى : { قل لمن الأرض ومن فيها إن
كنتم تعلمون سيقولون لله } ثم قال : { من رب السموات السبع ورب العرش العظيم
سيقولون لله } فهذا حمل على المعنى ؛ لأن معناه لمن السموات ؟ فقل : لله .
(١٣٥/٢)

ويجوز أن يحمل على المعنى دون اللفظ، كأنه قيل: رأيت كالذي حاج إبراهيم أو كالذي
مر على قرية. والمار كان كافرا(١)

(١) قوله: (والمار كان كافرا) لا نظامه بنمرود . الإنتصاف : لا لة على أن
المار كان كافرا لا نظامه بنمرود / معارض بانتظامه مع إبراهيم ، فإن قلت : انتظامه
مع الكافر أقوى ، فإ، قصة المار عطف على قصة نمرود عطف شريك في الفعل منطوقا به
في

الأولى محذوفا في الثانية مدلولا عليه بذكره أولا ، وقصة إبراهيم مصدرة بالواو التي
تأتي لتحسين النظم ، فيتوسط بين جمل متقاطعة للتحسين بخلاف أو فإنها لا تستعمل إلا
مشتركة . عارضناه بما بين قصة المار ، وبين قصة إبراهيم عليه السلام من التناسب
المعنوي ، فإن كليهما طلبا معاينة الإحياء ، واعتبار المعنى أولى ، ويؤكد إيمان
المار تحرزه في قوله : { يوما أو بعض يوم } حذرا من لكذب ، ولا يحصل الحذر من معطل
، فإن قال : إنما قال ذلك بعد أن آمن ، قلنا : على القول بكفره ما آمن إلا بعد تبين
الآيات لقوله تعالى : { فلما تبين له قال أعلم أن الله على كل شيء قدير } وعلى
الحكاية التي أوردتها المصنف من أن المار أماته الله صلى فلما رأى بقية من الشمس قال
: { أو بعض يوم } إشكال ؛ إذ كان يجب أن يقول : بل بعض يوم مضربا عما اعتقده أولا
بالجزم الذي حصل ثانيا ، والظاهر ان المار كان جازما أولا ثم شك لا غير ، واتباع
ظاهر الآية أولى من اتباع حكاية لا تثبت .

قال صاحب الانصاف : كلام صاحب الانتصاف حسن ، إلا قوله : مثل هذا التحرز لا يصدر من

معطل ، فإنه ليس كذلك ، فإن الغرض إذا انتفى ترجح الصدق عند كل أحد ، لا سيما من يشك عند ظهور آية باهرة ، وإن لم يؤمن بعد ، لا سيما إذا أريد إرشاد داهش متحير فسئل ليعلم ، فإنه لا يكذب غالبا .

وأقول : لقائل أن يرجح ما قال المصنف بأن قصة المار لما عطف على قصة نمرود لمشاركتها لها في معنى التعجيب من حاجته نمرود ، ومن قول المار : { أنى يحيى هذه الله { إنكارا لقدرة الله على الإحياء كان المار كافرا إذ لو كان مؤمنا غير منكر لذلك لما كان موضعا للتعجيب من قوله : { كما لم يعجب من قول إبراهيم عليه السلام ، لا يقال التعجيب من الإحياء لا من قوله : لأن الإحياء في قصة إبراهيم موجود مع عدم التعجيب ، وقوله : وأما الإشكال الذي ذكره فغير وارد لوجهين أحدهما أن الإضراب ، والإتيان ببل إنما يلزم لو كان الآتي بعد أو متيقنا ، فأما إذا كان مشكوكا فيه فلا ، وأيضا فما المخصص الموجب للإضراب على تقدير كون المار كافرا [٨٠١] دون ان يكون مؤمنا ، والثاني : لم لا يجوز ان تكون أو بمعنى بل ، كما في قول الشاعر :
بدت مثل قرص الشمس في رونق الضحى **** وصورتها أو أنت في العين أملح
وكما في قوله تعالى : { وأرسلناه إلى مائة ألف أو يزيدون { وقوله : { بالبصر أو هو أقرب { .
(١٣٦ / ٢)

بالبعث ، وهو الظاهر لانتظامه مع نمرود في سلك ولكلمة الاستبعاد التي هي : أنى يحيى .
وقيل : هو عزيز أو الخضر ، أراد أن يعاين إحياء الموتى ليزداد بصيرة كما طلبه إبراهيم عليه السلام . وقوله : { أنى يحيى { اعتراف بالعجز عن معرفة طريقة الإحياء ، واستعظام لقدرة المحيي . والقرية : بيت المقدس (١) حين خربه بختنصر . وقيل : هي التي خرج منها الألوف { وهي خاوية على عروشها { تفسيره فيما بعد { يوما أو بعض يوم { بناء على الظن . روي أنه مات ضحى وبعث بعد مائة سنة قبل غيوبة الشمس ، فقال قبل النظر إلى الشمس : يوما ، ثم التفت فرأى بقية من الشمس فقال : أو بعض يوم . وروي : أن طعامة كان

تينا وعنبا . وشرابه عصيرا أو لبنا ، فوجد التين والعنب كما جنيا ، والشراب على حاله { لم يتسنه { لم يتغير (٢) ، والهاء أصلية أو هاء سكت . واشتقاقه من السنة على الوجهين ،

لأن لامها هاء أو واو، وذلك أن الشيء يتغير بمرور الزمان. وقيل: أصله يتسنن(٣)،

(١) قوله: (والقربة: بيت المقدس) أي: أهلها بدليل { أنى يحيي هذه الله بعد موتها }

(٢) قوله: { لم يتسنه } لم يتغير بمرور الزمان ، قال الزجاج { لم يتسنه } يجوز
بإثبات الهاء ، وإسقاطها ، ومعناه لم تغيره السنون ، فمن قال : السنة من سانهت ،
فالهاء من أصل الكلمة ، ومن قال : من سانهت فهي لبيان الحركة ، وذلك إشارة إلى وجه
اشتقاقه من السنة ، ووجه القراءة اثباتها على كل حال عليها بغير وصل إن كانت لبيان
الحركة ، قيل : إنما أفراد الضمير في لم يتسنه ؛ لأن الطعام والشراب كالجنس الواحد
، وقيل : لما لم يتغيرا جعلاً كأنهما واحد .

(٣) قوله: (أصله يتسنن) قال أبو البقاء : هو من قوله : { حمأ مسنون } فلما اجتمعت
ثلاث نونات قلبت الأخيرة ياء ، كما قلبت في تظنين ، ثم أبدلت الياء ألفا ، ثم حذفت
للجزم ، وكتقضي البازي ، من قول العجاج :
أسر جربان قضاه فانكدر***تقضي البازي إذا البازي كسر

وانقضا الطائر هويه في طيرانه ، ولم يستعملوا منه الفعل إلا مبدلاً استثقلوا ثلاث
صادات فأبدلوا من أحدها ياء ، وكسر الطائر ضم جناحه لينقض ، وانكدر : أسرع وانقض .
قوله : (لم يتسنه) لم تمر عليه السنون ، أبو البقاء : أصل الألف واو من قولك : أسنى
تسنى إذا مضت عليه السنون ، وأصل سنة سنوه لقولهم : سنوات ، ومعنى يهذه : يسردها ،
وأصل الهذ الاسراع في القطع .
(١٣٧/٢)

من الحمأ المسنون، فقلبت نونه حرف علة، كتقضي البازي. ويجوز أن يكون معنى { لم
يتسنه } لم تمر عليه السنون التي مرت عليه، يعني هو بحاله كما كان كأنه لم يلبث

مائة سنة. وفي قراءة عبد الله: "فانظر إلى طعامك وهذا شرايك لم يتسن". وقرأ أبي:
"لم يسنه"، بإدغام التاء في السين { وانظر إلى حمارك } كيف تفرقت عظامه ونخرت، وكان
له حمار قد ربطه. ويجوز أن يراد: وانظر إليه سالما في مكانه كما ربطته، وذلك من
أعظم الآيات أن يعيشه مائة عام من غير علف ولا ماء، كما حفظ طعامه وشرابه من التغير
{ ولنجعلك آية للناس } فعلنا ذلك يريد إحياءه بعد الموت وحفظ ما معه، وقيل: أتى

قومه راكب حماره وقال: أنا عزيز، فكذبوه، فقال: هاتوا التوراة فأخذ فأخذ يهذهما هذا عن ظهر قلبه وهم ينظرون في الكتاب، فما خرم حرفاً، فقالوا: هو ابن الله. ولم يقرأ التوراة ظاهراً أحد قبل عزيز، فذلك كونه آية (١). وقيل: رجع إلى منزله فرأى أولاده شيوخاً وهو شاب، فإذا حدثهم بحديث قالوا: حديث مائة سنة { وانظر إلى العظام } هي عظام الحمار أو عظام الموتى الذين تعجب من إحيائهم { كيف ننشرها } كيف نحياها. وقرأ الحسن: "ننشرها"، من نشر الله الموتى، بمعنى: أنشرهم فنشروا، وقرئ بالزاي، بمعنى نحركها ونرفع بعضها إلى بعض للتركيب. وفاعل { تبين } مضممر تقديره (٢):

- (١) قوله: (فذلك كونه آية) إشارة إلى قوله: عرف التوراة عن ظهر قلبه، وعلى الأول الآية إحياءه بعد الموت، وحفظ ما معه.
- (٢) قوله: (وفاعل { تبين } مضممر تقديره) أي: هو من باب تنازع العاملين، وهذا على تقدير أن المار كان كافراً.

وقوله: (ويجوز فلما تبين له ما أشكل عليه) على تقدير أنه كان مؤمناً، وقوله: (قال اعلم) على صيغة الأمر إقبال على نفسه على سبيل التجريد والتوبيخ، أو الله قال له ذلك، والرفع على الإخبار.

(١٣٨/٢)

فلما تبين له أن الله على كل شيء قدير { قال أعلم أن الله على كل شيء قدير } فحذف الأول لدلالة الثاني عليه، كما في قولهم: ضربني وضربت زيدا. ويجوز: فلما تبين له ما

أشكل عليه، يعني أمر إحياء الموتى. وقرأ ابن عباس رضي الله عنهما: "فلما تبين له" على البناء للمفعول. وقرئ: "قال اعلم"، على لفظ الأمر: وقرأ عبد الله: "قيل اعلم". فإن قلت: فإن كان المار كافراً فكيف يسوغ أن يكلمه الله؟ قلت: كان الكلام بعد البعث (١) ولم يكن إذ ذاك كافراً.

{ وإذا قال ق d"u؟O/چ/خ) رب أرني كيف تحيي ء sAqyJ9\$## قال أولم تؤمن قال بلى ولكن

ليطمئن قلبي قال فخذ أربعة من الطير sùzèd` إليك ثم اجعل على كل ٥@t6y_ـ منهن

جزءاً ثم ك'gم٥ث\$ #y7sY د'ù'tf سعيًا واعلم أن الله عزيز L×ب260xm

{
}

(١) قوله: (كان الكلام بعد البعث) ولم يكن إذ ذاك كافرا .
الانتصاف : لا نسلم امتناع ما ذكره ، فإن الله خاطب ابليس بقوله : { أخرج منها }
والكفار بقوله : { اخسؤا فيها ولا تكلمون } وكذا قوله : { ولا يكلمهم الله } أي :
لا يسرهم ، وجوابه أعجب ؛ لأن الإيمان إنما حصل بعدما تبين له أمر الإمامة والإحياء
، وكان قبل ذلك مكلما بقوله : كم لبثت وكيث وذيت ، وكان إذ ذاك كافرا .
وأقول : لقائل أن يقول : الظاهر أن تكليم الله إذا لم يكن على وجه الطرد والإهانة
لا يكون إلا مع المؤمن ، ويحتمل انه آمن عقيب بعثه ، قبل سؤاله كم لبثت ؟ ، ولا
مانع من تبين أمر الإمامة والإحياء عقيب البعث قبل السؤال .
(١٣٩/٢)

أرني { بصرني ، فإن قلت : كيف قال له { أو لم تؤمن } وقد علم أنه أثبت الناس إيمانا؟
قلت : ليجيب بما أجاب به لما فيه من الفائدة الجلية (١) للسامعين . و { بلى } إيجاب
لما بعد النفي ، معناه بلى آمنت { ولكن ليطمئن قلبي } ليزيد سكونا وطمأنينة بمضامة
علم الضرورة علم الاستدلال وتظاهر الأدلة أسكن للقلوب وأزيد للبصيرة واليقين ، ولأن
علم الاستدلال يجوز معه التشكيك بخلاف العلم الضروري ، فأراد بطمأنينة القلب العلم
الذي لا مجال فيه للتشكيك . فإن قلت : بم تعلقت اللام في { ليطمئن } ؟ قلت : بمحذوف

تقديره : ولكن سألت ذلك إرادة طمأنينة القلب { فخذ أربعة من الطير } قيل : طاوسا
وديكا وغرابا وحمامة { فصرهن إليك } بضم الصاد وكسرهما بمعنى فأملهن واضممنهن إليك
قال :

ولكن أطراف الرماح تصورها (٢)

وقال (٣) :

وفرع يصير الجيد وحف كأنه***على الليت قنوان الكروم الدوالح

(١) قوله: (من الفائدة الجلية) وروي (الجلية) وهي أن يعملوا أنه إنما طلب ذلك
لطمأنينة لا لعدم الإيمان .

(٢) قوله: (ولكن أطراف الرماح تصورها) قيل البيت للفرزدق ، وأوله :

وما يقتل الأحياء من حب خندق .

يقول : سالم الأعداء خندق ، ويقتل الأحياء ، أي : القبائل ، قولها للحب ، ولكن رماحها تعطفها إليها صاغرة . وقيل : أوله

وما صير الأعناق فيهم جبلة . الصيد بالتحريك مصدر الأصيد ، يريد [٨٠٢] الذي يرفع رأسه كبيرا ، والصور : الميل ، أي : ليس ميل أعناقهم خلقة ، بل اطراف الرماح أمالتها

(٣) قوله: (وفرع يصير الجيد وحف كأنه***على الليت قنوان الكروم الدوالج)

الفرع : الشعر الوحف بالحاء المهملة الشعر الكثير الأسود ، والليت : صفحة العنق ،

وقنوان : جمع قنون ، وهو العنقود ، والدوالج ، المثيلات ، أي : الثقال .

(١٤٠/٢)

وقرأ ابن عباس رضي الله عنه "فصرهن" بضم الصاد وكسرهما وتشديد الراء، من صره يصره ويصره إذا جمعه، نحو ضره ويضره ويضره. وعنه "فصرهن" من التصرية وهي الجمع أيضا { ثم اجعل على كل جبل منهن جزءا { يريد: ثم جزئنهن وفرق أجزاءهن على الجبال. والمعنى: على كل جبل من الجبال التي بحضرتك وفي أرضك. وقيل: كانت أربعة أجبل. وعن السدي: سبعة }

ثم ادعهن { وقال لهن: تعالين ياذن الله { يأتينك سعيًا { ساعيات مسرعات في طيرانهن أو في مشيهن على أرجلهن: فإن قلت: ما معنى أمره بضمها إلى نفسه بعد أن يأخذها؟ قلت: ليتأملها ويعرف أشكالها وهيئاتها وحلاها لئلا تلتبس عليه بعد الإحياء ولا يتوهم

أنها غير تلك ولذلك قال: يأتينك سعيًا. وروي أنه أمر بأن يذبحها وينتف ريشها ويقطعها ويفرق أجزائها ويخلط ريشها ودماءها ولحومها، وأن يمسك رؤسها، ثم أمر أن يجعل بأجزاءها على الجبال، على كل جبل ربعا من كل طائر. ثم يصيح بها: تعالين ياذن الله، فجعل كل جزء يطير إلى الآخر حتى صارت جثثا ثم أقبلن فانضممن إلى رؤسهن، كل جثة إلى رأسها. وقرئ: "جزأ" بضميتين. "وجزا"، بالتشديد. ووجهه أنه خفف بطرح همزته، ثم شدد كما يشدد في الوقف، إجراء للوصل مجرى الوقف(١).

{ م@tûiB`sW%©!\$(tbqà د@مOفBr`uq9s& 'خû

ب@خTMy`!\$(B@xVy.s<xp6

Rr;/FuMtô &yvyTMy@ن@خ'ûب@eن. Y'vç7#sكTM

ps`è\$xp6p7iB!\$#urك#è`نمzf

{ ٩dyJ' "t±o\$!ân ur#\$!ه ur#TMي Oتد=t و ائدتب }

(١) قوله: (إجراء للوصل مجرى الوقف) ونحو ميل الحريق ، ونفق القصباء ، وإنما قلنا :
إنه إجراء للوصل مجرى الوقف ؛ لأن القوافي إذا حركت فإنما تحرك للوصل .
(١٤١/٢)

مثل الذين ينفقون { لا بد من حذف مضاف، أي مثل نفقتهم كمثل حبة، أو مثلهم كمثل باذر حبة. والمنبت هو الله، ولكن الحبة لما كانت سببا أسند إليها الإنبات كما يسند إلى الأرض وإلى الماء. ومعنى إنباتها سبع سنابل، أن تخرج ساقا يتشعب منها سبع شعب، لكل واحدة سنبله وهذا التمثيل تصوير للإضعاف، كأنها ماثلة بين عيني الناظر: فإن قلت: كيف صح هذا التمثيل والممثل به غير موجود(١)؟ قلت: بل هو موجود في الدخن والذرة وغيرهما، وربما فرخت ساق البرة في الأراضي القوية المقلدة فيبلغ حبها هذا المبلغ، ولو لم يوجد لكان صحيحا على سبيل الفرض والتقدير: فإن قلت: هلا قيل: سبع سنبلات، على حقه من التمييز بجمع القلة كما قال: { وسبع سنبلات خضر { (يوسف: ٥٣)؟ قلت: هذا

لما قدمت عند قوله: { ثلاثة قروء { من وقوع أمثلة الجمع متعاورة مواقعها { والله يضاعف لمن يشاء { أي يضاعف تلك المضاعفة لمن يشاء، لا لكل منفق، لتفاوت أحوال

المنفقين. أو يضاعف سبع المائة ويزيد عليها أضعافها لمن يستوجب ذلك.

#\$!" TMy٦خ@ب' ûخ' &gs9"uqBrكf NمZدے(tbqà #\$!©%دستüi {
f !\$tBمG÷٧خèw tbqن NèO
دمy%oY &ô_rمچNçl°; Nèd &CER[" xYtB Iwur\$ &Rrےqà)x#)
نn=tغثwur î\$qyz Oن 'n/uخgخN
{ ائدتب stf"cqçRuث wur Nèد

المن أن يعتد على من أحسن إليه بإحسانه، ويريد أنه اصطنعه وأوجب عليه حقا له:
وكانوا يقولون: إذا صنعتهم صنيعة فانسوها. ولبعضهم(٢):

(١) قوله: (والممثل غير موجود) أي : الممثل به .

(٢) قوله: (ولبعضهم) هو للمصنف :

وإن امرأ أسدى إلى صنيعه*** وذكرنيها مرة لبخيل
[في نسخة إنه لبخيل] يقول : إن امرأ أعطاني خيرا ، وذكرنيها مرة لعظيم البخل ، ومعنى
صنوان : مثلان ، والآلاء : النعم ، واحدها ألى ، بفتح الهمزة ، على وزن فعال ، شجر
حسن المنظر مر الطعم ، أي : النعم مع المر أمر من طعم الآلاء .
(١٤٢/٢)

وإن امرأ أسدى إلى صنيعة*** وذكرنيها مرة للئيم

وفي نوابغ الكلم: صنوان من منح سائله ومن، ومن منع نائله وضمن. وفيها طعم الآلاء

أحلى من المن وهي أمر من الآلاء مع المن. والأذى: أن يتناول عليه بسبب ما أزال

إليه: ومعنى "ثم" إظهار التفاوت بين الإنفاق وترك المن والأذى، وأن تركهما خير من

نفس الإنفاق، كما جعل الاستقامة على الإيمان خيرا من الدخول فيه بقوله: { ثم

استقاموا } (فصلت: ٣٠). فإن قلت: أي فرق بين قوله: { لهم أجرهم } وقوله فيما بعد: {

فلهم أجرهم } ؟ قلت: الموصول لم يضمن ههنا معنى الشرط. وضمنه ثمة. والفرق بينهما من

جهة المعنى أن الفاء فيها دلالة على أن الإنفاق به استحق الأجر، وطرحها عار عن تلك

الدلالة.

iB 7ps%y%o | 1`yz ضچ tBur ےچدè`B îou÷مچ\$ش %Aqs× * }
ur#;\$!ھ &œr[" èt7÷Ktfم!\$yg
نZtB#umq#) #;\$!©%ođtf tûi~"ygofr\$ اندجب xm=دٹO ز xîءسے-
s%y%o | 1"Gد۳نè? N٧د=w (#qèں
s\$!ntB u\$!s&م¼ fمYےد،ك .x%\$۹©ة" sœF{\$#ur"۳ /خ'd'yJ9\$!۱
fمB÷دس`ك wurں Z9\$#"۳\$۳"ح' وء

sVyJx. @ب sVyJsù#é&¼ #zFy½ حج Qqu9\$#ur د/\$\$!"
 ؟èçu#<م mn=tد¹ |Ab#uq
 yIsù #V\$ù# |¹ wju۲ur ¼çm#/\$خ@× çmt/\$ |¹r'sù¼
 iBdJ£\$ "xنس& تم f 4'n?t(%oos'crâژ
 s39\$#"حچدےôgtf tPqs)9\$# z`f%oos" w۷ ur#\$!ھ ۲۷ | qç7#)
 }اثدح

{ ائد حب }

(۱۴۳/۲)

قول معروف { رد جميل { ومغفرة { وعفو عن السائل إذا وجد منه ما يثقل على المسؤل أو
ونيل مغفرة من الله بسبب الرد الجميل، أو وعفو من جهة السائل لأنه إذا رده ردا
جميلا عذره { خير من صدقة يتبعها أذى { وصح الإخبار عن المبتدأ النكرة لاختصاصه
بالصفة (١) { والله غني { لا حاجة به إلى منفق يمن ويؤدي { حلیم { عن معاجلته
بالعقوبة، وهذا سخط منه ووعيد له. ثم بالغ في ذلك بما أتبعه { كالذي ينفق ماله { أي
لا تبطلوا صدقاتكم باليمن والأذى كإبطال المنافق الذي ينفق ماله { رءاء الناس { لا
يريد بإنفاقه رضاء الله ولا ثواب الآخرة { فمثله كمثله صفوان { مثله ونفقته التي لا
ينتفع بها البتة بصفوان بحجر أملس عليه تراب. وقرأ سعيد بن المسيب: "صفوان" بوزن
كروان { فأصابه وابل { مطر عظيم القطر { فتركه صلدا { أجرد نقيا من التراب الذي كان
عليه. ومنه صلد جبين الأصلع إذا برق { لا يقدرُونَ على شيء مما كسبوا { كقوله: {
فجعلناه هباء منثورا { (الفرقان: ٢٣) ويجوز أن تكون الكاف في محل نصب على
الحال (٢): أي لا تبطلوا صدقاتكم مماثلين الذي ينفق. فإن قلت: كيف قال: { لا يقدرُونَ
{ بعد قوله: { كالذي ينفق { ؟ قلت: أراد بالذي ينفق الجنس أو الفريق الذي ينفق،
ولأن "من" و "الذي" يتعاقبان فكأنه قيل: كمن ينفق.

}

(١) قوله: (وصح الإخبار عن المبتدأ النكرة لاختصاصه بالصفة) هذا يصح في المعطوف
عليه ، لا في المعطوف ، وهو { مغفرة { لعدم وصفها ، فيحتمل أن يقال : تخصصت
بالعطف
على ما هو مخصص ، أو بالوصف المتقدر ؛ لأن المعنى مغفرة من الله ، أو من السائل .
)

(٢) قوله: (ويجوز أن تكون الكاف في محل نصب على الحال) عطف على قوله: (كإبطال
المنافق الذي ينفق ماله) فإن الكاف حينئذ في محل نصب ، على المصدر ، و { رياء {
مفعول له ، أو حال بمعنى مرأيا ، أو مصدر بمعنى إنفاق رياء .
(١٤٤/٢)

م@tûiBurWt%©!\$# (cqa`دYمفNكBr`uq9&g

ن!\$G/تB\$Nد\$|تج\$!\$G\خ[ur?s

δ N d i g à , & R r ب @ Y y . Op V J x . s < ou q / u خ /
 \$ r | \$ & y g t / × @ خ / # \$ t ? s ò ur ò Ms
 \$ é = à y g n & ÷ ÷ x ü : ÷ è ات b * \$ p k N © 9 s ò : إم × @ خ / # ur
 s @ @ s ! \$ # J y \$ ur / ÷ è = y J t b q ?

{ يرچاء / t اندخب }

{ وتثببتا من أنفسهما } وليثبتوا منها بئذ المال الذي هو شقيق الروح. وبئذله أشق شيء
 على النفس على سائر العبادات الشاقة وعلى الإيمان؛ لأن النفس إذا ربيضت بالتحامل
 عليها (١) وتكليفها ما يصعب عليها ذلت خاضعة لصاحبها وقل طمعها في اتباعه لشهواتها،
 وبالعكس، فكان إنفاق المال تثببتا لها على الإيمان واليقين. ويجوز أن يراد: وتصديقا
 للإسلام. وتحقيقا للجزاء من أصل أنفسهما؛ لأنه إذا أنفق المسلم ماله في سبيل الله،
 علم أن تصديقه وإيمانه بالثواب من أصل نفسه ومن إخلاص قلبه. "ومن" على التفسير
 الأول للتبعيض (٢)، مثلها في قولهم: هز من عطفه، وحرك من نشاطه. وعلى الثاني لابتداء
 الغاية، كقوله تعالى: { حسدا من عند أنفسهما } ويحتمل (٣) أن يكون المعنى: وتثببتا من
 أنفسهما عند المؤمنين أنها صادقة الإيمان مخلصه فيه. وتعضده قراءة مجاهد: "وتثببتا
 من أنفسهما".

(١) قوله: (بالتحامل عليها) يقال: تحامل عليها إذا مال، وتحامل على نفسه إذا فعل
 الشيء على مشقة.

(٢) قوله: ("ومن" على التفسير الأول للتبعيض) فيكون مفعولا به للمصدر، أي: إذا
 تحمل هذه البعض من النفس خلاف ما جبلت النفس عليه يتأتى من سائرها سائر العبادات.
 (٣) قوله: (ويحتمل) عطف على قوله: (ويجوز أن يراد) ومن للإبتداء أيضا، فمعنى

يحملون أنفسهما على الإنفاق، لأجل الثبات في الإسلام، حتى يثابوا عند الله،
 وليظهر مثابهم فيه عند المسلمين.

(١٤٥/٢)

فإن قلت: فما معنى التبعيض؟ قلت: معناه أن من بذل ماله لوجه الله فقد ثبت بعض نفسه،
 ومن بذل ماله وروحه معا فهو الذي ثبتها كلها { وتجاهدون في سبيل الله بأموالكم
 وأنفسكم } (الصف: ١١) والمعنى: ومثل نفقة هؤلاء (١)

(١) قوله: (والمعنى: ومثل نفقة هؤلاء) ذكر في هذا التشبيه طريقتين ، وقد فيهما مضافا محذوفا ؛ لأن ذوات المتقين لا يحسن وقوع التشبيه فيها ؛ لأنها لا مناسبة بينها وبين الجنة ، فقدّر في الطريق الأول النفقة ، ليكون الأمر الذي يشترك فيه الطرفان الذكاء ، وهو عقلي ، وفي الثاني الحال ؛ ليكون الوجه منتزعا من عدة أمور متوهمة فيكون تشبيها تمثيلا ، ولا بد في هذا الوجه من بيان تلك الأمور لئلا يشتبه العقلي بالوهمي ، ومن ثم قال : أو مثل حالهم عند الله بالجنة إلى آخره ، وليس التشبيه من التشبيهات الواقعة على منوال قوله :

كأن قلوب الطير رطبا ويابساً*** لدى وكرها العناب والحشف البالي
أي : المقدمة كما ظن ؛ لأن قوله : أو مثل حالهم يأباه ، ومن هذين التشبيهين يعبر على الفرق بين التمثيلي والعقلي ، وهو أخذ الزبدة ، وإخلاصه من المجموع ، والتمثيلي انتزاع الحالة المتوهمة من الأمور المتعددة ضعفين مثل ما كانت تثمر ، أي : بثمره ، وبسبب متعلق بقوله : قانت .

قال القاضي : المراد بالضعف المثل ، كما أريد بالزوج الواحد في قوله : من كل زوجين اثنين ، وقيل : أربعة أمثال ، ونصبه على الحال ، أي : مضاعفا .
(١٤٦/٢)

في زكائها عند الله { كمثل جنة } وهي البستان { بربوة } بمكان مرتفع . وخصها لأن الشجر الشجر فيها أزكى وأحسن ثمرا { أصابها وابل } مطر عظيم القطر { فأتت أكلها } ثمرتها { ضعفين } مثلي ما كانت تثمر بسبب الوابل { فإن لم يصبها وابل فطل } فمطر

صغير القطر يكفيها لكرم منبتها . أو مثل حالهم عند الله بالجنة على الربوة ، ونفقتهم الكثيرة والقليلة بالوابل والطل ، وكما أن كل واحد من المطرين يضعف أكل الجنة ، فكذلك نفقتهم كثيرة كانت أو قليلة - بعد أن يطلب بها وجه الله ويبدل فيها الوسع - زاكية عند الله ، زائدة في زلفاهم وحسن حالهم عنده . وقرئ: "كمثل حبة" ، و"ربوة" - بالحرركات الثلاث - و"أكلها" بضميتين .

{ -ث } &Na2ك%&tnr% &br &çms9 ¼ s? _د` iB
@5ثد, 5<Rô\$Y&rur "حج?ofs
`yg\$B\$Fss? مج"yg\$çms9 ¼ \$F{RF÷yg`ùد` Bب2@e
du`Nر1|/\$çmt#9\$WJ&ur

متى ١٤٧/٢

ض' | ء (مخ) دm ù ض'Rt

م ١٤٧/٢

دM N" #Fyft ٣= 9yès ٣ cr مج © ٣x ٣Gs t؟

{ ائدب

(١٤٧/٢)

الهمزة في { أيود أحدكم } للإنكار. وقرىء: له جنات، وذرية ضعاف. والإعصار: الريح التي تستدير في الأرض، ثم تسطع نحو السماء كالعمود. وهذا مثل لمن يعمل الأعمال الحسنة لا يبتغي بها وجه الله. فإذا كان يوم القيامة وجدها محبطة، فيتحسر عند ذلك حسرة من كانت له جنة من أبهى الجنان وأجمعها للثمار فبلغ الكبير، وله أولاد ضعاف والجنة معاشهم ومنتعشهم، فهلك بالصاعقة. وعن عمر رضي الله عنه أنه سأل عنها الصحابة فقالوا: الله أعلم، فغضب وقال: قولوا نعلم أو لا نعلم، فقال ابن عباس رضي الله عنه: في نفسي منها شيء يا أمير المؤمنين. قال: قل يا ابن أخي ولا تحقر نفسك. قال: ضربت مثلاً لعمل (١). قال: لأي عمل؟ قال: لرجل غني يعمل الحسنات. ثم بعث الله له الشيطان فعمل بالمعاصي حتى أغرق أعماله كلها. وعن الحسن رضي الله عنه: هذا مثل قل والله يعقله من الناس: شيخ كبير (٢) ضعف جسمه وكثر صبياناه أفقر ما كان إلى جنته، وإن أحدكم والله أفقر ما يكون إلى عمله إذا انقطعت عنه الدنيا.

)

(١) قوله: (لعمل) أي: لصاحب عمل، ومعنى غني، اهتم، ومعنى أغرق أعماله: أضعافها بمعاصيه.

(٢) قوله: (شيخ كبير) هذا بيان المشبه، ثم شرع في بيان المشبه بقوله، وإن أحدكم، روي أفقر مرفوعاً ومنصوباً، فالنصب على أنه ظرف لقوله: ضعف جسمه، وما مصدرية، والوقت مقدر، والمضاف محذوف، أي: ضعف جسمه زمان أفقر أزمنته إلى جنته، على أن إسناد أفقر إلى الزمان نحو إسناد صائم إليه، والرفع على أنه خبر مبتدأ محذوف، والجملة صفة لموصوف محذوف، والمعنى ضعف جسمه زماناً هو أفقر أزمنته إلى جنته، والاسناد أيضاً مجازي، وقيل: أفقر خبر شيخ.

(١٤٨/٢)

فإن قلت: كيف قال { جنة (١) من نخيل وأعناب } ثم قال: { له فيها من كل الثمرات } قلت: النخيل والأعناب لما كانا أكرم الشجر وأكثرها منافع، خصهما بالذكر، وجعل الجنة منهما - وإن كانت محتوية على سائر الأشجار - تغليبا لهما على غيرهما، ثم أردفهما ذكر كل الثمرات. ويجوز أن يريد بالثمرات المنافع التي كانت تحصل له فيها كقوله: { وكان له ثمر } (الكهف: ٣٤) بعد قوله: { جنتين من أعناب وحفناهما بنخل } (الكهف: ٣٢) فإن قلت: علام عطف قوله: { وأصابه الكبر } (٢)؟ قلت: الواو للحال لا للعطف. ومعناه أن تكون له جنة وقد أصابه الكبر. وقيل: يقال: وددت أن يكون كذا ووددت لو كان كذا، فحمل العطف على المعنى، كأنه قيل: أيود أحدكم لو كانت له جنة وأصابه الكبر.

}

(١) قوله: (فإن قلت: كيف قال { جنة }) وجه السؤال أن النخيل والأعناب داخلان تحت قوله: { فيها من كل الثمرات } فما معنى اختصاصهما بالذكر ، ثم اتباعهما بقوله: { من كل الثمرات } وأجاب عنه بجوابين أحدهما: أنه من باب التميم على منوال الرحمن الرحيم، ذكر أولا ما هو أفضل الجنس وأكمله نفعا ، ثم أردفه بما يشتمل على الجنس ، ليكون كاللتممة والرديق ، وثانيهما أنه من باب التكميل ، فيكون ذكرهما من باب إطلاق أعظم الشيء على الشيء كله ، فعلم بذكرها أن له جنة الأشجار والثمار ، ولم يعلم أن له فيها منافع آخر غيرها ، فقيل له: { فيها من كل الثمرات } ليعلم أن له غيرها ، يدل عليه تنظيره بقوله: { وكان له ثمر } وفسره بقوله: أي كانت له الجنتين الموصوفتين لأموال الدثرة من الدراهم والذهب وغيرهما . والله أعلم .

(٢) قوله: (علام عطف قوله: { وأصابه الكبر }) يعني أن الواو تستدعي معطوفا عليه ، ولا يصح ال عطف على أن يكون ؛ لأنه مضارع ، وأجاب بأن الواو ليست للعطف ، بل للحال وصاحبها أحدكم ، وقد مقدرة ، ويجوز ان تكون عاطفة على تأويل أن تكون بالماضي .

(١٤٩/٢)

Bd` &Rrد(qà#)نZtB#uûq#) #s!©%دtf tûi"- 'ygofr\$

٢، | tB OçF\$ حث6"Md

wur ٢ #}\$F'اع iBد`s9 z٣نN &zr÷چ Bur \$sYô_uJل\$!
 Bdy,9\$# çm÷Z٧خ JلJus? yك(#q
 ؟Jèدqà#) &br (خHw /خ"t\$}دmf s9ur،Yè? NçGدے(tbqà
 &ur ``br#\$Jn=ôكù (#ûqdm
 ©!#\$؛سة%ooxi î١ثJxmادذب }

{ من طيبات ما كسبتم { من جياذ مكسوباتكم { ومما أخرجنا لكم { من الحب والثمر
 والمعادن وغيرها. فإن قلت: فهلا قيل: وما أخرجنا لكم(١)، عطفًا على { ما كسبتم { حتى
 يشتمل الطيب على المكسوب والمخرج من الأرض؟ قلت معناه: ومن طيبات ما أخرجنا لكم
 إلا

أنه حذف لذكر الطيبات { ولا تيمموا الخبيث { ولا تقصدوا المال الرديء { منه تنفقون
 { تخصصونه بالإنفاق، وهو في محل الحال(٢). وقرأ عبد الله: "ولا تأمموا"، وقرأ ابن
 عباس: "ولا تيمموا"، بضم التاء. ويممه وتيممه وتأممه، سواء في معنى قصده { ولستم
 بأخذيهِ { وحالكم أنكم لا تأخذونه في حقوقكم { إلا أن تغمضوا فيه { إلا بأن تتسامحوا
 في أخذه وتترخصوا فيه من قولك: أغمض فلان عن بعض حقه، إذا غض بصره. ويقال للبائع:
 أغمض، أي لا تستقص، كأنك لا تبصر.

(١) قوله: (فهلا قيل: وما أخرجنا لكم) يعني لم لم يترك لفظة من في { مما أخرجنا {

ليكون عطفًا على ما كسبتم ، فيدخل المخرج من الأرض في حكم الطيبات ؛ لأن المطلوب
 من

النفقة الطيبات ، لقوله : { ولا تيمموا الخبيث منه تنفقون { والآن هو عطف على { من
 طيبات { فلا يدخل في حكمها ، وأجاب بأن المضاف مقدر ، وهو الطيبات لوقوعه مقابلاً
 لقوله : { ولا تيمموا الخبيث منه { فأغنى ذلك عن ذكره ، والفائدة في هذا هي الإيجاز
 مع التنبيه على استقلال كل واحد من المعطوف والمعطوف عليه بالقصد .

(٢) قوله: (وهو في محل الحال) قال القاضي : { تنفقون { حال مقدرة من فاعل { تيمموا
 { والضمير في { منه { للمال ، ويجوز أن يتعلق منه بتنفقون ، ويكون الضمير للخبيث ،
 والحملة حال منه .

(١٥٠/٢)

وقال الطرماح(١):

لم يفتنا بالوتر قوم*** وللضمير رجال يرضون بالإغماض
 وقرأ الزهري: "تغمضوا". وأغمض وغمض بمعنى. وعنه: "تغمضوا"، بضم الميم وكسرهما. من
 غمض يغمض ويغمض. وقرأ قتادة: "تغمضوا"، على البناء للمفعول، بمعنى إلا أن تدخلوا
 فيه وتجذبوا إليه. وقيل: إلا أن توجدوا مغمضين. وعن الحسن رضي الله عنه: لو وجدتموه
 في السوق يباع ما أخذتموه حتى يهضم لكم من ثمنه. وعن ابن عباس رضي الله عنهما:
 كانوا يتصدقون بحشف التمر وشراره فنهوا عنه.

Bù'tfurمجمNà2 #s\$٩x(چèt f u%٥٥نNم O±9\$#s`ك }
 ètfد%٥٥ن.ur N#\$!ه /خ\$ \$٩t±sx\$!دن
 ZouچدےZ ur#\$!ه sùurziB WxôB çm÷Z` ur™ ur#ت=تO

اُتدرب {
 أي يعدكم في الإنفاق { الفقر } ويقول لكم أن عاقبة إنفاقكم أن تفتقروا. وقرئ:
 "الفقر"، بالضم. "والفقر" - بفتحتين - والوعد يستعمل في الخير والشر(٢). قال
 الله تعالى: { النار وعدها الله الذين كفروا } (الحج: ٧٢) { ويأمركم بالفحشاء }
 ويغريكم على البخل ومنع الصدقات إغراء الأمر للمأمر. والفاحش عند العرب: البخل {
 والله يعدكم { في الإنفاق { مغفرة } لذنوبكم وكفارة لها { وفضلا } وأن يخلف عليكم
 أفضل مما أنفقتم، أو وثوبا عليه في الآخرة.
 }

s9\$# f spyJ6مtBur | N÷s` "t±o\$!s9\$# `tB âf spyJ6مA÷sد'
 yz# &Aréd'ô%٥٥sù z
 { #}t69F"=ة &rè'٩nq#(خ Ot f Hw٢مچ tBur\$ ٢W#چدW }
 }

(١) قوله: (الطرماح):

لم يفتنا بالوتر قوم*** وللضمير رجال يرضون بالإغماض
 يقول : لم يسبقنا بالثأر قوم عند طلبهم ، والحال أن بعض الرجال بالإغضاء عن بعض
 حقوقهم لضعفهم .

(٢) قوله: (والوعد يستعمل في الخير والشر) يقال : وعده خيرا ، وأوعده شرا ، فإذا
 أسقطوا الخير والشر ، قالوا في الخير الوعد ، وفي الشر الإيعاد والوعيد ، فإذا
 أدخلوا الباء في الشر جاؤا بالألف .

يؤتي الحكمة { يوفق للعلم والعمل به. والحكيم عند الله: هو العالم العامل وقرىء:
 "ومن يؤت الحكمة" بمعنى ومن يؤته الله الحكمة. وهكذا قرأ الأعمش. و { خيرا كثيرا }
 تنكير تعظيم، كأنه قال: فقد أوتي أي خير كثير وما يذكر إلا أولو الألباب. يريد
 الحكماء العلام العمال(١). والمراد به الحث على العمل بما تضمنت الآي في معنى
 الإنفاق.

iB د` Nè?'xtR &R ÷rr`٧ps)x< iB د` &Rr٧tBur OçF)x\$! }
 Jn=÷ètفكسù ©!\$# ¼çm*خ9'~R c
 { &Rrء | '\$B A د` ô ٩ د=à©"=JdJü tBur\$
 { وما أنفقتم من نفقة { في سبيل الله، أو في سبيل الشيطان { أو نذرتم من نذر { في
 طاعة الله، أو في معصيته { فإن الله يعلمه { لا يخفي عليه وهو مجازيكم عليه { وما
 للظالمين { الذين يمنعون الصدقات أو ينفقون أموالهم في المعاصي، أو لا يفون
 بالنذور، أو يندرون في المعاصي { من أنصار { ممن ينصرهم من الله ويمنعهم من عقابه.
 ur (ب خ) (ك#٦%è؟ M"y%os%٩\$ #JدèسùZ { 'b d خ) ur
 è? \$y dqè?÷sè?ur,÷٧\$y dqà
 fNà6Ztms3٧e مجد yz Nà6©9ضج gsùكuq #s٩٧àج u#!ن ur
 ur#\$!ه TMhyح"t\$؟iB Nà6`
 { yJ\$ /خ ÷è=yJ=tbqè؟ ضجyz٦ ائذب }

(١) قوله: (يريد الحكماء العلام العمال) بعد قوله: (والحكيم عند الله هو العالم

العامل بنيته) على أن قوله: { أولوا الألباب { مظهر وقع في موقع المضمّر من غير
 لفظه، وأن العامل الكامل المتناهي هو الذي بالغ واجتهد في الجمع بين العلم والعمل
 [٨٠٤] وأنفق فيهما، وشرح بما قدمه.

وأما قوله: والمراد به الحث على العمل، بما تضمنت الآي في معنى الإنفاق إشارة
 إلى بيان التوفيق النظم بين الآي، وأن المنفق في سبيل الله هو العالم الرياني،
 والحكيم المحق، ومن فقد ذلك فقد حرم أن يسمى حكيمًا.

"ما" في { نعماً } (النساء: ٥٨) نكرة غير موصولة ولا موصوفة. ومعنى { فنعماً هي }
 فنعم شيئاً إبدأؤها (١). وقرئ بكسر النون وفتحها (٢) { وإن تخفوها وتؤتوها الفقراء }
 وتصيبوا بها مصارفها (٣) مع الإخفاء { فهو خير لكم } فالإخفاء خير لكم. والمراد
 الصدقات المتطوع بها، فإن الأفضل في الفرائض أن يجاهر بها.

(١) قوله: (فنعم شيئاً إبدأؤها) قال ابن جني: ما في قوله: { فنعماً هي } منصوبة لا
 غير؛ لأنها ليست موصولة، والتقدير فنعم شيئاً إبدأؤها، فحذف الإبداء، وأقيم
 المضاف إليه مقامه، ألا ترى إلى قوله: { وإن تخفوها وتؤتوها الفقراء فهو خير لكم }
 والتذكير يدل على ما ذكرناه، واستعملت هنا غير موصولة ولا موصوفة، لما فيها من
 الشيعاء.

(٢) قوله: (بكسر النون وفتحها) أي: مع إسكان العين وكسرها، وقال أبو البقاء:
 إسكان العين مع الإدغام بعيد لما فيه من الجمع بين الساكنين، يعني لا على حده،
 وقيل: إن الراوي لم يضبط القراءة؛ لأن القارئ اختلس كسرة العين فظنه إسكاناً.

(٣) قوله: (وتصيبوا بها مصارفها مع الإخفاء) عطف تفسيري لقوله: (وإن تخفوها
 وتؤتوها الفقراء)

(١٥٣/٢)

وعن ابن عباس رضي الله عنهما: "صدقات السر في التطوع تفضل علانيتهما سبعين ضعفاً،
 وصدقة الفريضة علانيتهما أفضل من سرها بخمسة وعشرين ضعفاً" وإنما كانت المجاهرة
 بالفرائض أفضل، لنفي التهمة، حتى إذا كان المزكي ممن لا يعرف باليسار كان إخفاؤه

أفضل، والمتطوع إن أراد أن يقتدي به كان إظهاره أفضل { نكفر } وقرئ بالنون مرفوعاً
 عطفاً على محل ما بعد الفاء (١)، أو على أنه خبر مبتدأ محذوف، أي ونحن نكفر. أو على
 أنه جملة من فعل وفاعل مبتدأة، ومجزوما عطفاً على محل الفاء وما بعده، لأنه جواب
 الشرط. وقرئ: "ويكفر"، بالياء مرفوعاً، والفعل لله أو للإخفاء. وتكفر بالياء،
 مرفوعاً ومجزوماً، والفعل للصدقات. وقرأ الحسن رضي الله عنه بالياء والنصب بإضمار أن
 ومعناه: إن تخفوها يكن خيراً لكم، وأن يكفر عنكم.

{ * } ث ٩ =t 7n yO ك%èd 1y g £ "٦ ur s 9 ©! \$ # "د%gtf %ò ى tB

أن!±o\$ "t qà\$ (# Bur tZè؟

د`9 B 6Nà yz، àBur \$t |RL ٦cqà) دZè؟ (خ

tBur\$ #\\$!" mō_urد #\$/F٤t\\$!٥u
w٥ ur&êRr٥L÷ (خ f Nà6s9مyz O\$uqچB 9د`Zè? ôد٤? (qà#)
{Kn=àèمcqث ائذب ؟
}

(١) قوله: (عظفا على محل ما بعد الفاء) لا بد أن الأصل في جزاء الشرط أن يكون فعلا ، فالواقع بعد الفاء في محل الفعل ، فيجوز العطف عليه على هذا التأويل ، وعلى هذا يكون قوله : { نكفر } متصلا بما قبله ، وقوله : أي ونحن نكفر ، فالجملة معطوفة على قوله : { هو خير لكم } ويجوز أن يكون { نكفر } جملة من فعل وفاعل مبتدأة ، أي : مقتطعة منفصلة عن خبر الجزاء ، فتكون معطوفة على جملة الشرط والجزاء ، قيل : المعنى ليحصل منكم إبداء الصدقات ، وإخفاؤها ، ومنا تكفير ذنوبكم .
(١٥٤/٢)

ليس عليك هداهم { لا يجب عليك أن تجعلهم مهديين إلى الانتهاء عما نهوا عنه من المن والأذى والإنفاق من الخبيث وغير ذلك، وما عليك إلا أن تبلغهم النواهي فحسب } ولكن الله يهدي من يشاء { يلطف بمن يعلم أن اللطف ينفع فيه فينتهي عما نهى عنه } وما تنفقوا من خير { من مال { فلاأنفسكم } فهو لأنفسكم لا ينتفع به غيركم فلا تمنوا به على الناس ولا تؤذوهم بالتطاول عليهم { وما تنفقون } وليست نفقتكم إلا لا بتغاء وجه

الله(١) ولطلب ما عنده، فما بالكم تمنون بها وتنفقون الخبيث الذي لا يوجه مثله إلى الله؟ { وما تنفقوا من خير يوف إليكم } ثوابه أضعافا مضاعفة، فلا عذر لكم في أن ترغبوا عن إنفاقه، وأن يكون على أحسن الوجوه(٢) وأجملها. وقيل: حجت أسماء بنت أبي بكر رضي الله عنهما فأنتها أمها تسألها وهي مشركة، فأبت أن تعطيها، فنزلت وعن سعيد بن جبير رضي الله عنه: كانوا يتقون أن يرضخوا لقراباتهم من المشركين. وروي: أن ناسا من المسلمين كانت لهم أصهار في اليهود ورضاع وقد كانوا ينفقون عليهم قبل الإسلام، فلما أسلموا كرهوا أن ينفقوهم. وعن بعض العلماء: لو كان شر خلق الله، لكان لك ثواب نفقتك. واختلف في الواجب، فجوز أبو حنيفة رضي الله عنه صرف صدقه الفطر إلى أهل الذمة، وأباه غيره.

{ دن!u#٤à=ùد ٩د٤%٥!\$#)مچء&ômé' ûخ ب@خ٦y™
w٥ #\\$!" ث٤م٤د٤tf,\\$/٤ |ت

'خ û وُك'F'#\$}ق Oك | 7gç،ts†م @u\$#f9\$ند Zîr & بُد
 ة'#N\$G9èyكgèùحج÷ès؟
 Nك"Jyث،خ/ و t=cqè="9\$ysù\$]Y9\$#`\$tf {خ \$Bur t
 qà#)دè? Z`9د Bçyz*سù
 ©!\$# ¼mdخ/ ي Oت=ت واذجب {

- (١) قوله: (وليست نفقتكم إلا لا بتغاء وجه الله) { وما تنفقون { يجوز كونه حالا ،
 كأنه قال : وما تنفقوا من خير فلاأنفسكم غير منفقين إلا لا بتغاء وجه الله .
 (٢) قوله: (وأن يكون على أحسن الوجوه) عطف على إنفاقه لا على أن ترغبوا ، والرضخ :
 العطاء القليل .
 (١٥٥/٢)

الجار متعلق بمحذوف (١). والمعنى: اعمدوا الفقراء، واجعلوا ما تنفقون للفقراء، كقوله
 تعالى: { في تسع آيات { (النمل: ١٢) ويجوز أن يكون خبر مبتدأ محذوف، أي صدقاتكم
 للفقراء. و { الذين أحصروا في سبيل الله { هم الذين أحصرهم الجهاد { لا يستطيعون {
 لا اشتغالهم به { ضربا في الأرض { للكسب. وقيل هم أصحاب الصفة، وهم نحو من أربعمئة
 رجل من مهاجري قريش لم يكن له مساكن في المدينة ولا عشائر، فكانوا في صفة المسجد

- وهي سقيفته - يتعلمون القرآن بالليل، ويرضخون النوى بالنهار. وكانوا يخرجون
 في كل سرية بعثها رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ، فمن كان عنده فضل أتاهم به
 إذا أمسى. وعن ابن عباس رضي الله عنهما: (١٤٩) وقف رسول الله صلى الله عليه وآله
 وسلم يوما على أصحاب الصفة فرأى فقرهم وجهدهم وطيب قلوبهم فقال: "أبشروا يا
 أصحاب

الصفة، فمن بقي من أمتي على النعت الذي أنتم عليه راضيا بما فيه فإنه من رفقائي في
 الجنة" { يحسبهم الجاهل { بحالهم { أغنياء من التعفف { مستغنين من أجل تعففهم عن
 المسألة { تعرفهم بسيماهم { من صفرة الوجه وورثاة الحال. والإلحاف: الإلحاح، وهو
 الزوم وأن لا يفارق إلا بشيء يعطاه. من قولهم: لحفني من فضل لحافه، أي أعطاني من
 فضل ما عنده. وعن النبي صلى الله عليه وآله وسلم .)

- (١) قوله: (الجار متعلق بمحذوف والمعنى اعمدوا) وإنما لم يعلقه بتنفقوا لبعده عنه

سيما مع فصل الآية بقوله : { لا يظلمون } ولأنه إذا أطلق ما تنفقوا ليعم المصارف ،
ثم جيء بالمذكورين علم الإغتناء بما بهم ، وكثرت الفائدة باختلاف التقدير أيضا .
ومعنى رضح النوى : كسره ، كانوا يرضخونه بالآجرة .
(١٥٦/٢)

(١٥٠) "إن الله تعالى يحب الحيي الحليم المتعفف، ويبغض البذي السئال الملحف" ومعناه:
أنهم إن سألوا سألوا بتلطف ولم يلحوا(١) وقيل: هو نفى للسؤال والإلحاف جميعا
كقوله(٢):

على لاحب لا يهتدى بمناره

يريد نفى المنار والاهتداء به.

{ رُتْد%٢!# \$cqà) دَمY O فكBr`uq9s & ب@ث٩\$\$/خ/
ح'v#ur \$Z9`ygچا™ Zpu رثurxt
O نèd gn=sù رمجr_ô & Y%دمN خg'u/n 'و ur î\$qyz
O تgn=و رwur Nèd رثRu`cqç stf" ائذحب {
}

(١) قوله: (سألوا بتلطف ولم يلحوا) يحتمل ان يراد أن إلحافا منصوب على المصدر ؛ لأن
السؤال بالتلطف نوع ، أو على الحال ، والبذي : الفاحش من البذاء ، وهو الفحش .
(٢) قوله: (على لاحب لا يهتدى بمناره) تمامه في رواية الزجاج :

إذا شافه العود الدباقي جرجرا

وقيل : هو آخر بيت أوله : سدى بيديه ثم أج يسيره ***

اللاحب : الطريق الواضح ، والشوف : الشم ، والعود : الجمل المسن ، ودباق : قرية
يسكنها النبط ، ومعنى جرجر : صوف ، والمد ومد اليد نحو الشيء ، والمراد تذرع الناقة
الناقة بيديها ، واتساع خطوها ، ومعنى أج عدى ، قال الزجاج : ألمعنى ليس بها منار
فيهتدى به ، وكذلك ليس من هؤلاء سؤال فيقع فيه إلحاف .

وقيل : في اقول الأول ، وهو أنهم إن سألوا سألوا بتلطف ، ولم يلحوا ضعف ؛ لأن الله
تعالى وصفهم بالتعفف عن السؤال بقوله : { يحسبهم الجاهل أغنياء من التعفف } ثم قال {
تعرفهم بسيماهم } وذلك ينافي صدور السؤال [٨٠٥] عنهم ، وأجيب بأن المراد فرض
السؤال

ur&B\$S%rmaq#) # \$٩ء¢"=dys"Md
 gs9 كO # \$٩""٢ur no4qânâqs?#u#) # \$٩ء¢=no4qn
 wur î\$qyz ٧ 'n/uخgخN دم%٥٥Z &ô_rمچNèd
 tf"-'ygofr\$ ائذب stf"cqçRu ٧ wur Nèd ٧ n=tغخN
 # \$٩"(qà#) نZtB#uq#) # \$!©%٥iد ٧
 .OçFZ (خb # \$٩حh/B (##qtد`t/ z+!râ'sCEur \$tB z#) # \$!©
 sù*خb ائذب B÷s-BdZdtûü
 # \$!" iBد`z /خys<s? (#qçRsCEù'sù 5٧N©9 (#qè=yè
 ur OçF6è? Nà6n=sù(خu'ur b™كqدا&د¾¼
 ؟Jn=àèكcq ٧ wur ٧ ؟às=Jكcq ٧ w ٧ &uqBr`٩â' Nà6ân`râ
 (خb ur ٧ ou ٧ rèCE ;ou ٧ ur(خb
 ؟sء | %٥٥٧%qè#) ur&y ٧ ÷ tB brjou؛ (خ>àsYsù 4'nچدïou
 ض٧OçFZ (خyz Oà6©9 b
 ù دmثد èè_èyمcq ٧ qà)""\$#ur \$YBqtf#) ائرب ؟Jn=÷èsكcq ٧
 ؟NèO 4'`ûuqè # \$!" (خ>'n
 { @'ن. >٧tR \$`B ôMt6٧tbq ٧ Nèdur ٧ ٢مKn=àمf ائرب }
 }
 (١٥٩/٢)

الربوا { كتب بالواو على لغة من يفخم كما كتبت الصلاة والزكاة وزيدت الألف بعدها
 تشبيها بواو الجمع { لا يقومون } إذا بعثوا من قبورهم { إلا كما يقوم الذي يتخبطه
 الشيطان } أي المصروع. وتخط الشيطان من زعمات العرب (١)، يزعمون أن الشيطان يخبط
 الإنسان فيصرع. والخبط الضرب على غير استواء كخبط العشواء، فورد على ما كانوا
 يعتقدون. والمس: الجنون. ورجل ممسوس، وهذا أيضا من زعماتهم، وأن الجني يمسسه
 فيختلط
 عقله، وكذلك جن الرجل: معناه ضربته الجن ورأيتهم لهم في الجن قصص وأخبار وعجائب،
 وإنكار ذلك عندهم كإنكار المشاهدات. فإن قلت: بم يتعلق قوله: { من المس } ؟ قلت:
 بلا يقومون، أي لا يقومون من المس الذي بهم إلا كما يقوم المصروع. ويجوز أن يتعلق
 بيقوم، أي كما يقوم المصروع من جنونه. والمعنى أنهم يقومون يوم القيامة مخبلين

كالمصروعين، تلك سيماهم يعرفون بها عند أهل الموقف. وقبل الذين يخرجون من الأحداث يوفضون، إلا أكلة الربا فإنهم ينهضون ويسقطون كالمصروعين، لأنهم أكلوا الربا فأرباه الله في بطونهم حتى أثقلهم، فلا يقدرّون على الإيفاض { ذلك بأنهم قالوا إنما البيع مثل الربوا وأحل الله البيع وحرم الربوا فمن جاءه موعظة من ربه فانتهى فله ما سلف وأمره إلى الله ومن عاد فأولئك أصحاب النار هم فيها خالدون } العقاب بسبب قولهم { إنما البيع مثل الربوا } . فإن قلت { .

(١) قوله: (من زعمات العرب) قيل : لأن حقيقة المس والصرع من الشيطان باطل ، لأن الله تعالى لا يمكنه من ذلك ، وليس هذا بإنكار الجن ، على ما ظن ، بل هو إنكار لقدرتهم على ذلك ؛ لأن الخبل بسكون الباء فساد الأعضاء ، يقال : خبل الحب قلبه إذا أفسده .

(١٦٠/٢)

فإن قلت: هلا قيل إنما الربا مثل البيع لأن الكلام في الربا لا في البيع فوجب أن يقال إنهم شبهوا الربا بالبيع فاستحلوه، وكانت شبهتهم أنهم قالوا: لو اشترى الرجل ما لا يساوي إلا درهما بدرهمين جاز، فكذلك إذا باع درهما بدرهمين؟ قلت: جيء به على طريق المبالغة (١)، وهو أنه قد بلغ من اعتقادهم في حل الربا أنهم جعلوه أصلا وقانونا في الحل حتى شبهوا به البيع. وقوله: { وأحل الله البيع وحرم الربا } إنكار لتسويتهم بينهما، ودلالة على أن القياس يهدمه النص، لأنه جعل الدليل على بطلان قياسهم إحلال الله وتحريمه { فمن جاءه موعظة } فمن بلغه وعظ من الله وزجر بالنهاي عن الربا { فانتهى } فتنعى النهي وامتنع { فله ما سلف } فلا يؤخذ بما مضى منه، لأنه أخذ قبل نزول التحريم { وأمره إلى الله } يحكم في شأنه يوم القيامة، وليس من أمره إليكم شيء فلا تطالبوه به { ومن عاد } إلى الربا { فأولئك أصحاب النار هم فيها خالدون } وهذا دليل بين على تخليد الفساق (٢).

(١) قوله: (على طريق المبالغة) لأن حق المشبه أن يكون أعرف بجهة التشبيه وأقوى ، فإذا عكس صار المشبه أقوى .

(٢) قوله: (وهذا دليل بين على تخليد الفساق) يعني أن قوله : { الذين يأكلون الربا } عام في الكفار والفساق ، وكذا قوله : { فمن جاءه موعظة من ربه } وكذا { ومن عاد }

وأن قوله : { فأولئك أصحاب النار هم فيها خالدون } مترتب عليه ، فوجب أن يتعلق في حكم هذا الوعيد .

الانتصاف : مفعول { ومن عاد } محذوف ، ولا نسلم أن المراد العود إلى الربا ، بل عاد إلى ما سلف ذكره ، وهو فعل الربا ، واعتقاد حله ، والاحتجاج عليه بقياس في معرض النص ، ومن فعل الربا واعتقد حله كفر ، وقيل : المراد ومن عاد إلى استحلال الربا حتى يصير كافرا ، فعلى هذا قوله : { فأولئك أصحاب النار هم فيها خالدون } مخصوص بهؤلاء ، أقصى ما في الباب أنا خالفنا هذا الظاهر ، وأدخلنا سائر الكفار فيه ، وهذا التقدير مشترك الإلزام ؛ لأنه يدخل غير هؤلاء من الفساق في حكم الخلود ، فقد خالف الظاهر أيضا .
(١٦١/٢)

وذكر فعل الموعظة لأن تأنيثها غير حقيقي، ولأنها في معنى الوعظ. وقرأ أبي والحسن: "فمن جاءته" { يمحق الله الربا } يذهب ببركته ويهلك المال الذي يدخل فيه. وعن ابن مسعود رضي الله عنه: الربا وإن كثر إلى قل. { ويربي الصدقات } ما يتصدق به بأن يضاعف عليه الثواب ويزيد المال الذي أخرجت منه الصدقة ويبارك فيه. وفي الحديث. (١٥١) "ما نقصت زكاة من مال قط" { كل كفار أثيم } تغليظ في أمر الربا وإيذان بأنه من فعل الكفار لا من فعل المسلمين. "ما نقصت زكاة من مال قط" { كل كفار أثيم } تغليظ في أمر الربا وإيذان بأنه من فعل الكفار لا من فعل المسلمين. أخذوا ما شرطوا على الناس من الربا وبقيت لهم بقايا، فأمرُوا أن يتركوها ولا يطالبوا بها. وروي: أنها نزلت في ثقيف، وكان لهم على قوم من قريش مال فطالبوهم عند المحل بالمال والربا. وقرأ الحسن رضي الله عنه: "ما بقي"، بقلب الياء ألفا على لغة طيء: وعنه "ما بقي" بياء ساكنة. ومنه قول جرير(١):
هو الخليفة فارضوا ما رضي لكم***وماضي العزيمة ما في حكمه جنف }

(١) قوله: (قول جرير :

هو الخليفة فارضوا ما رضي لكم***ماضي العزيمة ما في حكمه جنف
يقول : هو الخليفة لا غيره ، وإذا كان كذلك فارضوا بالحكم الذي رضيه لكم ، هو نافذ

العزم ليس في حكمه جور وميل عن الحق . ما رضي بياء ساكنة ، كما في يقي ، ومعنى لا يدي لنا بكذا لا طاقة لنا به .

(١٦٢/٢)

إن كنتم مؤمنين { إن صح إيمانكم، يعني أن دليل صحة الإيمان وثباته امتثال ما أمرتم به من ذلك { فأذنوا بحرب { فاعلموا بها، من أذن بالشيء إذا علم به. وقرئ: "فأذنوا"، فاعلموا بها غيركم، وهو من الإذن وهو الاستماع، لأنه من طرق العلم. وقرأ الحسن: "فأيقنوا"، وهو دليل لقراءة العامة. فإن قلت: هلا قيل بحرب الله ورسوله؟ قلت: كان هذا أبلغ، لأن المعنى: فأذنوا بنوع من الحرب عظيم عند الله ورسوله. وروي أنها لما نزلت قالت ثقيف: لا يدي لنا بحرب الله ورسوله { وإن تبتم { من الارتباء { فلکم رؤوس أموالکم لا تظلمون { المديونين بطلب الزيادة عليها { ولا تظلمون { بالنقصان منها. فإن قلت: هذا حكمهم إن تابوا، فما حكمهم لو لم يتوبوا قلت: قالوا: يكون مالهم فينا للمسلمين(١)، وروى المفضل عن عاصم: لا تظلمون ولا تظلمون { وإن كان ذو عسرة { وإن وقع غريم من غرمائكم ذو عسرة أو ذو إعسار: وقرأ عثمان رضي الله عنه. "ذا عسرة" علي وإن كان الغريم ذا عسرة. وقرئ: ومن كان ذا عسرة { فنظرة { أي فالحكم أو فالأمر نظرة وهي الإنظار. وقرئ: "فنظرة" بسكون الظاء. وقرأ عطاء: "فناظرة".

(١) قوله: (يكون مالهم فينا للمسلمين) قيل: هذا إنما يصح إذا كان الخطاب مع المؤمنين، لقوله تعالى: { يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله وذروا ما بقي { الآية، فحكمهم إن كانوا ذوي شوكة حكم البغاة في أن مالهم لا يكون فينا، فإن لم يكونوا كذلك عزروا إلا أن يتوبوا، ويمكن أن يقال: إن مراد المصنف أن هذا حكمهم في زمن الرسول؛ لأن المؤمنين لو أكلوا الربا في وقته لم يكونوا إلا مرتدين، كما أن مانعي الزكاة في وقته ووقت خلفائه كانوا كفارا، دون سائر الأوقات، والعلة في ذلك أن المعاصي إذ ذاك لم تكن تصدر إلا عن الكفار والمنافقين، وطائفة الفساق، ولم يكونوا حينئذ.

(١٦٣/٢)

بمعنى فصاحب الحق ناظره: أي منتظره، أو صاحب نظرتة على طريقة النسب كقولهم: مكان عاشب وباقل، أي ذو عشب وذو بقل. وعنه: فناظره، على الأمر بمعنى فسامحه بالنظرة

وياسره بها { إلى ميسرة } إلى يسارا وقرىء بضم السين، كمقبرة ومقبرة ومشركة ومشركة.
 وقرىء بهما مضافين بحذف التاء عند الإضافة كقوله (١):
 وأخلفوك عدا الأمر الذي وعدوا

وقوله تعالى: { وإقام الصلاة } (النور: ٣٧) { وأن تصدقوا خير لكم } ندب إلى أن
 يتصدقوا برؤس أموالهم على من أعسر من غرمائهم أو ببعضها، كقوله تعالى: { وأن تغفوا
 أقرب للتقوى } وقيل: أريد بالتصدق الإنظار لقوله صلى الله عليه وآله وسلم . (١٥٢)
 "لا يحل دين رجل مسلم فيؤخره (٢) إلا كان له بكل يوم صدقة" { إن كنتم تعلمون } أنه
 خير لكم فتعملوا به، جعل من لا يعمل به وإن علمه كأنه لا يعلمه. وقرىء "تصدقوا"
 بتخفيف الصاد على حذف التاء { ترجعون } قرىء على البناء للفاعل والمفعول: وقرىء:
 "يرجعون" بالياء على طريقة الالتفات. وقرأ عبد الله: "تردون": وقرأ أبي: "تصيرون".
 وعن ابن عباس: أنها آخر آية نزل بها جبريل عليه السلام، وقال: ضعها في رأس المائتين

والثمانين من البقرة. وعاش رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بعدها أحدًا وعشرين
 يوما. وقيل: أحدًا وثمانين. وقيل: سبعة أيام. وقيل: ثلاث ساعات.
 }

(١) قوله: (وأخلفوك عدا الأمر الذي وعدوا) أوله :

إن الخليط أجودوا البين وانجردوا

وقيل : أوله :

بان الخليط بسحره فتبددوا

وهو سهو لأنه من وزن آخر . الخليط : الذي يخالطك في ماله ، وذات يده ، وهو بمعنى

الجمع ، وعد الأمر عدته فحذف الهاء عند الإضافة ، وانجراد السير : امتداده.

(٢) قوله: (فيؤخره) روي منصوبا ، وقيل : الرفع أجود للمبالغة ، أي : فإنه يؤخره ،

قوله : وأريد بالتصدق الإنظار ، قيل : هذا ضعيف لأن الإنظار قد علم مما قيل ، فلا

بد من حمله على فائدة جديدة .

(١٦٤/٢)

êZtf#y%os? نL (خ sœ# نZtB#uûq#) #s!©%iđ tf"-ygoifr\$

-B.wK|' &y_r@ه (خ >n'# /خ%Aûiÿ

/خAô%oyè9\$ð ٢س\$؟د=vuZ÷ / ٣çñqç7çF2\$\$sù =çG3u9ur N

&x. br%؟د=ù'tf ë<wur z ں
ur۹ٹمٹJ=د@ب ۛG6uù=sù= # \$! ھ ۛmyJ̄=t ۛ ںF3tf \$yJ= |
ys9\$#،' ۛmn=تد # \$!©%د"
sù *x© b"B \$Zدwur y,7tf ۛm÷Z ں 'u/Gu9ur ©!\$# ¼ ۛm،ب
ۛmn=تد # \$!©%د" .tb%
&br "o،tGكد w ں &rr÷ ت |دè،\$ &y™ ÷rrدےٹys9\$# \$·g،'
ù=sùٹمٹJ=د@ f uqèدJد@"
kyخ%ۛۛiۛy ب hō±tF™\$#urخ%ۛكr#) /خAô%ۛۛyè9\$ \$ؤ ur۹دۛmo¼
sù N©9*خh' bح`y%۹دB Nà6`
B ۛur `J̄J#\$Dگz&b\$s?r ب sùچu_م@× 'u_م=û÷ün ب tfۛنRq\$
&y%ۛۛpk'9\$# br#! دن Bد`s? zتج |tbq
(خg1y%ۛۛ÷nكe2xۛFsù \$yJچا u (خg1y%ۛۛ÷nكs? \$yJإز@"
y%ۛۛpk'9\$###!ù'tf â<wur z ں # \$}zW÷چu"ۛ
؟ۛnqۛ7ۛF3s &s? br،"Jتكwur (#ûq ں ممكٹB (#q\$ (خsCE#
ۛچۛۛ# | ۛچۛۛۛ ۛ ۛ ۛrr÷ ¹
ur&Puq%ۛrم # \$!" دمy%ۛۛZ &r%ۛ، | نف sCE"۹دۛنN &y_r#ح&د³¼
&wr ur&rٹoTô'# ۹د=pkO"%ۛۛoyd
tn %ۛژارZou ؟dyf"چs? ،ouۛنcqژ &br (خs? Hwچ؟ûqۛ/\$s#)
/sY÷ tۛنè? N%ۛۛdfمج\$ygtRr
؟ydqۛ7ۛF3s\$ &wr _ۛۛy\$uZ وn=tۛن/ n=sùٹ{
wur ں ؟OۛF÷ètف\$т6s (خsCE# ur&gô©rخ%ۛۛكrل#)
s? لur(#qè=yè(خgx© bخ%ۛۛس wur ں .x%ۛۛ؟د=zف ںزمf\$!'
/خèù Nà6،sù 8-q*خ¼ ۛmR
/خe@à6 ب ur#\$! ھ # \$! ھ furمk=yèJكNà6م # \$!© qà)؟؟\$#ur#)
<نس"x ز Oٹ=تو اثرٹب } *
.x%ۛۛ؟dfs? \$Y6ۛۛۛكy™ Ns9ur (#rلxچ۹ م؟t'ئ .ۛur OۛFZ(خb
sù*خqۛ7)"B ÷ب | sù ×pحچyd"ض
Jè?t\$# د`z # \$!©%د" ù=sùمxsدژٹ /èt÷زèt/ \$V÷زàۛنN &Brد`z
Gu9ur،ب &tBr"¼ ۛmtFuZ

ygO±9\$# `tBur "%JçG3s? noyكwur (#qن 'u/çm¼ # \$!©

نO#uNض sù*خçm R¼ ے \$ygôJçG6tf

{ إذا تداينتم } إذا دايين بعضكم بعضا. يقال: دايئت الرجل عاملته { بدين { معطيا أو

آخذًا كما تقول: بايعته إذا بعته أو باعك. قال رؤية(١):

(١) قوله: (قال رؤية :

داينت أروى والديون تقضى***فمطلت بعضا وأدت بعضا

أروى : اسم محبوبة رؤية ، والمطل : الدفع ، والواو في والديون واو الحال ، لو لم يذكره لوجب أن يقال فاكثبوها ، فاكثبوا الدين ، قيل : فيه إشكال ، إذ من الجائز أن

[٨٠٦] يقال : فاكثبوها ، والضمير لمصدر المدائنة ، وقال العلامة الرازي : إن

المدائنة مفاعلة ، وحقيقتها أن يجعل من كل واحد منهما دين ، وذلك هو منع الدين بالدين ، وهو باطل بالاتفاق ، فجاء بالدين ليصير المعنى إذا تعاملتم بدين فاكثبوه ،

كما قدره المصنف ، فلو رجع الضمير إلى مصدر تداينتم لزم المحذور .

قال القاضي : فائدة ذكر الدين أن لا يتوهم المعنى المجازي ، كما في بيت ذي الرمة ،

ومعنى فلم يكن يكن النظم بذلك الحسن أن المراد بالتداين إما بيع الدين بالدين فعلى

هذا لا يتجاوز آخر الكلام وأوله ، والمعاملة بالدين ، وعلى تقدير حذف الدين لا يفيد

تداينتم تعاملتم بالدين إلا بتكلف فلا يحسن ذلك الحسن ... ، وقيل : إنما ذكر { بدين

{ ليعلم ان الكتابة مندوب إليها ، بأي دين كان قليلا أو كثيرا ، ومعنى : ولأنه أبين

لتنويع الدين على مؤجل وحال ، وذلك أن التنكير فيه يدل على التنويع فجاء بالاسم

الحامل له ليدل على العموم ، ولو لم يذكر لم يفد هذا المعنى ، ومعنى لعدم التسمية .

لعدم التعيين .

(١٦٥/٢)

داينت أروى والديون تقضى***فمطلت بعضا وأدت بعضا

والمعنى: إذا تعاملتم بدين مؤجل فاكثبوه. فإن قلت: هلا قيل: إذا تداينتم إلى أجل

مسمى وأي حاجة إلى ذكر "الدين" كما قال: داينت أروى، ولم يقل: بدين؟ قلت: ذكر ليرجع

الضمير إليه في قوله: { فاكثبوه } إذ لو لم يذكر لوجب أن يقال: فاكثبوا الدين، فلم

يكن النظم بذلك الحسن. ولأنه أبين بتنويع الدين إلى مؤجل وحال. فإن قلت: ما فائدة قوله: { مسمى } قلت: ليعلم أن من حق الأجل أن يكون معلوما كالتوقيت بالسنة والأشهر والأيام، ولو قال: إلى الحصاد، أو الدياس، أو رجوع الحاج، لم يجز لعدم التسمية. وإنما أمر بكتابة الدين، لأن ذلك أوثق وآمن من النسيان وأبعد من الجحود، والأمر للندب. وعن ابن عباس: أن المراد به السلم، وقال: لما حرم الله الربا أباح السلف. وعنه: أشهد أن الله أباح السلم المضمون إلى أجل معلوم في كتابه وأنزل فيه أطول آية. { بالعدل } متعلق بكاتب (١) صفة له، أي كاتب مأمون على ما يكتب، يكتب بالسوية والاحتياط. لا يزيد على ما يجب أن يكتب ولا ينقص. وفيه (٢): أن يكون الكاتب فقيها عالما بالشروط حتى يجيء مكتوبه معدلا بالشرع.

(١) قوله: { بالعدل } متعلق بكاتب قيل: المراد بالتعلق أن يكون متمما لما يتعلق به صفة، قال أبو البقاء: هو يتعلق بقولن: { وليكتب كاتب } أي: ليكتب بالحق، وقيل: هو م تعلق بكاتب، أي: كاتب موصوف بالعدل.

(٢) قوله: (وفيه) إشارة إلى أن الكلام مسوق لمعنى، ومدمج فيه معنى آخر، يعني دل إشارة النص وتقييد الكاتب بالعدل على إدماج معنى الفقهية؛ لأن مراعاة العدل والتسوية في الأمور الخطيرة، فلا يتمكن منها إلا الفقيه الكامل العالم بكتابة الشروط والصكوك.

(١٦٦/٢)

وهو أمر للمتدائنين بتخير الكاتب، وأن لا يستكتبوا إلا فقيها دينيا { ولا يأب كاتب } ولا يمتنع أحد من الكتاب وهو معنى تنكير كاتب { أن يكتب كما علمه الله } مثل ما علمه الله كتابة الوثائق لا يبدل ولا يغير. وقيل هو قوله تعالى (١): { وأحسن كما أحسن الله إليك } (القصص: ٧٧) أي ينفع الناس بكتابته كما نفعه الله بتعليمها. وعن الشعبي: هي فرض كفاية، وكما علمه الله: يجوز أن يتعلق بأن يكتب، ويقول فليكتب. فإن قلت: أي فرق بين الوجهين؟ قلت: إن علقته بأن يكتب فقد نهى عن الامتناع من الكتابة المقيدة، ثم قيل له { فليكتب } يعني فليكتب تلك الكتابة لا يعدل عنها للتوكيد (٢)،

(١) قوله: (وقيل هو قوله تعالى: { وأحسن } عطف على قوله: { مثل ما علمه الله } كتابة الوثائق، ويجوز على هذا التفسير أن يحمل الكاتب الثاني على الأول، كرر ليناط به زيادة لم ينط بها أولا، وهو معنى الإستحسان على ما أوتي من نعمة التعليم

، وهو المراد من قوله : { وأحسن كما أحسن الله إليك } وفيه إشعار بتعظيم أمر الكتابة ، وعلى الأول يحمل على غيره ، وهو الأصل ؛ لأن النكرة إذا أعيدت كانت الثانية غير الأولى ، فيحمل الكاتب الثاني على الجنس ؛ لأن الأول نوع منه ، مقيد بصفة العدالة ، وإلى الجنس الإشارة بقوله : ولا يمتنع أحد من الكتاب .

(٢) قوله: (للتوكيد) يتعلق بقوله : ثم قيل له : فليكتب ، يعني نهى أولا عن الإباء عن الكتابة المتصفة ، ثم أمر ثانيا بالكتابة المطلقة ، بقوله : { فليكتب } فليحمل على المقيد تأكيدا ، ولا يعدل يجوز أن رفعه على الحال ، وجزمه بالعطف على { فليكتب } .. {

(١٦٧/٢)

وإن علقته بقوله فليكتب فقد نهى عن الامتناع من الكتابة على سبيل الإطلاق، ثم أمر بها مقيدة(١) { وليملل الذي عليه الحق } ولا يكن المملي إلا من وجب عليه الحق(٢)،

(١) قوله: (ثم أمر بها مقيدة) قيل : إنما لم يقل في هذا الوجه للتوكيد ، لأن النهي

عن امتناع مطلق الكتابة لا يدل على الأمر بالكتابة المخصوصة ، فخصص بالكتابة الشرعية ، حيث لم يدل عليه النهي ، فلا يكون للتأكيد ، ويمكن أن يقال : إن التأكيد إنما يحصل من التكرير ، وإذا نهى عن امتناع مطلق الكتابة دخل في النهي امتناع الكتابة الشرعية ضمنا ، ثم إذا أمر بها صريحا كان أقوى مما لو أمر بها أمرا مقيدا بدون سبق نهى ، وعلى هذا ، فإنما لم يذكره لسبق ذكره .

(٢) قوله: ({ وليملل الذي عليه الحق } ولا يكن المملي إلا من وجب عليه الحق) الحصر مستفاد من نطق الحكم بأحد وصفي الذات ؛ لأنه عدول عن المديون إلى الذي عليه الحق ؛ لأن المديون هو الأصل ، كقوله تعالى : { إذا تداينتم } وليست الفائدة إلا ما ذكره ، ونحوه (مطل الغني ظلم) ولأن ترتب الحكم على الوصف المناسب مشعر بالعلية ، والأصل نفي علة أخرى ، ومن ثم عليهم السلام الحصر بقوله : بأنه هو المشهود على ثباته في ذمته [٨٠٧] ومعنى الاختصاص الذي يعطيه ضمير الفعل في هذه العلة ، نحو معنى تقديم الخبر على المبتدأ ، وهو عليه الحق .

قوله : أو مختلا ، المختل : الضعيف الجسم ، وترجمان عطف على وكيل ، لا وصي .

(١٦٨/٢)

لأنه هو المشهود على ثباته في ذمته وإقراره به. والإملاء والإملال لغتان قد نطق بهما القرآن { فهي تملأ عليه } (الفرقان: ٥). { ولا يبخص منه } من الحق { شيئاً } والبخص: النقص. وقرئ "شياً"، بطرح الهمزة: "وشياً"، بالتشديد { سفيهاً } محجوراً عليه لتبذيره وجهله بالتصرف { أو ضعيفاً } صبيهاً أو شيخاً مختلاً { أو لا يستطيع أن يمل هو } أو غير مستطيع للإملاء بنفسه لعي به أو خرس { فليملل وليه } الذي يلي أمره من وصي إن كان سفيهاً أو صبيهاً، أو وكيل إن كان غير مستطيع، أو ترجمان يمل عنه وهو يصدق. وقوله تعالى: { أن يمل هو } فيه أنه غير مستطيع (١) ولكن بغيره، وهو الذي يترجم عنه { واستشهدوا شهيدين } واطلبوا أن يشهد لكم شهيذان على الدين { من رجالكم } من رجال

المؤمنين. والحرية والبلوغ شرط مع الإسلام عند عامة العلماء. وعن علي رضي الله عنه: لا تجوز شهادة العبد في شيء. وعند شريح وابن سيرين وعثمان البتي أنها جائزة، ويجوز عند أبي حنيفة شهادة الكفار بعضهم على بعض على اختلاف الممل. { فإن لم يكونا } فإن لم يكن الشهيذان { رجلين فرجل وامرأتان } فليشهد رجل وامرأتان، وشهادة النساء مع الرجال مقبولة عند أبي حنيفة فيما عدا الحدود والقصاص (٢) { ممن ترضون } ممن تعرفون عدالتهم { أن تضل أحدهما } أن لا تهتدي أحدهما للشهادة بأن تنساها، من ضل الطريق إذا لم يهتد له. وانتصابه على أنه مفعول له أي إرادة أن تضل. فإن قلت: كيف يكون ضلالها مراداً لله تعالى؟ قلت: لما كان الضلال (٣)

-
- (١) قوله: (فيه أنه غير مستطيع) بنفسه ، يعني أدمج في سياق الكلام معنى التأكيد بأن أكد ضمير الفاعل المستكن بالمرفوع لرفع التجويز .
- (٢) قوله: (فيما عدا الحدود والقصاص) وعند الشافعي في الأموال فقط .
- (٣) قوله: (لما كان الضلال) ... إلى آخره قال الزجاج : من كسر إن فالكلام على الجزاء ، والمعنى : إن تنس أحدهما تذكرها الذاكرة فتذكر ، قال : وزعم سيويو والخليل والمحققون أن المعنى استشهدوا امرأتين ؛ لأن تذكر أحدهما الأخرى ، ومن أجل أن تذكر أحدهما الأخرى ، وهذا على تقدير فتح أن ، قال سيويو : فإن قيل : لم جاز أن تضل ، وإنما أعد هذا للإدكار ؟ فالجواب عنه أن الإدكار لما كان سببه الإضلال جاز أن يذكران ، لأن الإضلال هو السبب الذي به وجب الإدكار ، قال : ومثله : أعددت هذا ان يميل الحائط ، فأدعته ، إنما أعددته للدعم لا للميل ؛ لأنه سبب الدعم ، كما ذكر الإضلال ؛ لأنه مسبب الادكار .

وقال أبو البقاء : معنى المثال : لأدعم بالخشية الحائط إذا مال ، وكذلك الآية ، معناها لأن تذكر إحداهما الأخرى إذا ضلت ، كقوله : { ومن عاد فينتقم الله منه } أي : فهو ينتقم .

قال الطيبي : المعنى فهي تذكر إحداهما ، والضمير المحذوف للشهادة ، أي : فالشهادة تذكر إحداهما الأخرى ، وعلى الأول الضمير للذاكرة ، وإحداهما مظهر وضع موضع المضمّر ، وهذا مطرد في جميع المواضع التي يذكر فيها الشرط موضع حرف ... مع الفاء ، والجزء جماعة تنوب عن الناس مجتمعة ، والجمع الأجوبة .
(١٦٩/٢)

سببا للإذكار، والإذكار مسببا عنه، وهم ينزلون كل واحد من السبب والمسبب منزلة الآخر لالتباسهما واتصالهما، كانت إرادة الضلال المسبب عنه الإذكار إرادة للإذكار، فكأنه قيل: إرادة أن تذكر إحداهما الأخرى إن ضلت. ونظيره قولهم: أعددت الخشبة أن يميل الحائط فأدعمه، وأعددت السلاح أن يحيى عدو فأدفعه. وقرئ: "فتذكر" بالتخفيف والتشديد، وهما لغتان. و"فتذكر". وقرأ حمزة: "إن تضل إحداهما" على الشرط. فتذكر: بالرفع والتشديد، كقوله: { ومن عاد فينتقم الله منه } (المائدة: ٩٥) وقرئ: "أن تضل إحداهما" على البناء للمفعول والتأنيث. ومن بدع التفاسير: فتذكر، فتجعل إحداهما الأخرى ذكرا، يعني أنهما إذا اجتمعتا كانتا بمنزلة الذكر { إذا ما دعوا } ليقموا الشهادة. وقيل: ليستشهدوا. وقيل لهم شهداء قبل التحمل، تنزيلا لما يشارف منزلة الكائن. وعن قتادة: كان الرجل يطوف (في) الحواء العظيم فيه القول فلا يتبعه منهم أحد، فنزلت. كني بالسأم عن الكسل(١)، لأن الكسل صفة المنافق. ومن الحديث: (١٥٣) "لا

يقول المؤمن كسلت" ويجوز أن يراد من كثرت مدايناته؛ فاحتاج أن يكتب لكل دين صغير أو كبير كتابا، فربما مل كثرة الكتب. والضمير في { تكتبوه } للدين أو الحق { صغيرا أو كبيرا } على أي حال كان الحق من صغر أو كبير.

(١) قوله: (كني بالسأم عن الكسل) يعني : أراد أن يقول : لا تكسلوا أن تكتبوه صغيرا أو كبيرا ، فقال : { لا تسأموا } ؛ لأن من لم يسرع في الشيء لا يقال له : سئم ، أي :

بل يقال : كسل ، وإنما عدل عن لفظ كسل لأنه مما يوحش لكونه من صفات المنافقين ، ويجوز أن يحمل الملal على حقيقته فيمن كثرت مدايناته .
(١٧٠/٢)

ويجوز أن يكون الضمير للكتاب؛ وأن يكتبوه مختصرا أو مشبعا لا يخلوا بكتابته { إلى أجله } إلى وقته الذي اتفق الغريمان على تسميته { ذلكم } إشارة إلى أن تكتبوه، لأنه في معنى المصدر، أي ذلكم الكتب { أقسط } أعدل من القسط { وأقوم للشهادة } وأعون على إقامة الشهادة { وأدنى ألا ترتابوا } وأقرب من انتفاء الريب. فإن قلت: مم بني أفعلا التفضيل، أعني: أقسط، وأقوم؟ قلت: يجوز على مذهب سيويه أن يكونا مبنيين من أقسط وأقام(١)، وأن يكون أقسط من قاسط على طريقة النسب بمعنى ذي قسط، وأقوم من قويم. وقرئ: "ولا يسأموا أن يكتبوه" بالياء فيهما. فإن قلت: ما معنى { تجارة حاضرة } وسواء أكانت المبايعة بدين أو بعين فالتجارة حاضرة؟ وما معنى إدارتها بينهم؟ قلت أريد بالتجارة ما يتجر فيه من الأبدال(٢). ومعنى إدارتها بينهم تعاطيهم إياها يدا بيد.

(١) قوله: (قلت: يجوز على مذهب سيويه أن يكونا مبنيين من أقسط وأقام) لأن عند سيويه بناء أفعال التفضيل من باب أفعال ، مع كونه ذا زيادة قياس ، ويستدل بكثرة السماع كقولهم : هو أعطاهم للدنيا ، وأولاهم للمعروف ، وإنما جوزه لقلّة التغير ؛ لأنك تحذف الهمزة ، وترده إلى الثلاثي ، ثم تبني منه أفعال التفضيل ، فتخلف همزة التفضيل همزة الأفعال ، وهو شذوذه سماعي مع كثرة ، ولهذا عدوه شاذا ، وإن يكون أقسط من قاسط ، أي : اشتق من القسط بالكسر ، وهو العدل قاسط ، ثم اشتق أقسط من قاسط

، وكذا اشتق أقوم من قوئم ، وقيده بقوله على طريق النسب ؛ لئلا يتوهم أنه اسم فاعل من القسوط ، وهو الجور .

(٢) قوله: (ما يتجر فيه من الأبدال) هذا مجاز من إطلاق اسم السبب على المسبب ، لأن التجارة أي : العفو سبب الأبدال التي هي الإيمان وغيرها ، والأول أن تكون من باب

تسمية المحل باسم الحال ، وذلك لأن العقد ليس يسبب الأبدال بل لا ستحقاقها فافهم .
(١٧١/٢)

والمعنى: إلا أن تتبايعوا بيعا ناجزا يدا بيد فلا بأس أن لا تكتبوه، لأنه لا يتوهم فيه ما يتوهم في التداين. وقرئ: تجارة حاضرة بالرفع على كان التامة. وقيل: هي الناقصة على أن الاسم (تجارة حاضرة) والخبر (تديرونها) وبالنصب على: إلا أن تكون التجارة تجارة حاضرة كبيت الكتاب (١) .

بني أسد هل تعلمون بلاءنا***إذا كان يوما ذا كواكب أشنعا

(١) قوله: (كبيت الكتاب) وهو لعمر بن شاس .

بني أسد هل تعلمون بلاءنا***إذا كان يوما ذا كواكب أشنعا

هكذا رواية البصريين على كان الناقصة ، ورواية الكوفيين على كان التامة ، يقول :

بني أسد هل تعرفون مقاتلتنا المحمودة إذا كان اليوم يوما شديدا ، وإذا وجد يوم قبيح شديد ، ورؤية الكواكب في اليوم عبارة عن [٨٠٨] شدة الحرب ، وأن عين الشمس تنسد بالغبار حتى كأنها كاسفة ، فتبدو الكواكب . ومثله للنابعة :

تبدو كواكبه والشمس طالعة***لا النور نور ولا الإظلام إظلام

وهذا يبعد أن يريد بالكواكب السيوف اللوامع وسط الغبار ، كما في قوله :

كأن مثار النقع فوق رؤوسنا***وأسيافنا ليل تهاوى كواكبه

والأشنع : الذي شهر سره .

(١٧٢/٢)

أي إذا كان اليوم يوما { وأشهدوا إذا تبايعتم } أمر بالإشهاد على التبايع مطلقا، ناجزا أو كالتا لأنه أحوط وأبعد مما عسى يقع من الاختلاف. ويجوز أن يراد: وأشهدوا إذا تبايعتم هذا التبايع يعني التجارة الحاضرة، على أن الإشهاد كاف فيه دون الكتابة. وعن الحسن: إن شاء أشهد وإن شاء لم يشهد. وعن الضحاك: هي عزيمة (١) من الله ولو على باقة بقل { ولا يضار } يحتمل البناء للفاعل والمفعول. والدليل عليه قراءة عمر رضي الله عنه: "ولا يضارر"، بالإظهار والكسر. وقراءة ابن عباس رضي الله عنه: "ولا يضارر"، بالإظهار والفتح. والمعنى نهى الكاتب والشهيد عن ترك الإجابة إلى ما يطلب منهما. وعن التحريف والزيادة والنقصان، أو النهي عن الضرر بهما بأن يعجلا عن مهم، ويلزأ، أو لا يعطي الكاتب حقه من الجعل، أو يحمل الشهيد مؤنة مجيئه من بلد وقرأ الحسن: "ولا يضار"، بالكسر { وإن تفعلوا } وإن تضاروا { فإنه ءاثم قلبه والله

بما تعملون عليهم { فإن الضرار { فسوق بكم { وقيل: وإن تفعلوا شيئاً مما نهيتهم عنه (٢) { على سفر { مسافرين. وقرأ ابن عباس وأبي رضي الله عنهما "كتاباً".

-
- (١) قوله: (وعن الضحاك: هي عزيمة من الله ولو على باقة بقل) الباقية : الحزمة.
(٢) قوله: (وقيل: وإن تفعلوا شيئاً مما نهيتهم عنه) عطف على : وأن يضاروا ، والثاني أبلغ ، لأن مثل هذا الفعل غالباً يجيء كناية عن أفعال شتى .
(١٧٣/٢)

وقال ابن عباس: رأيت (١) إن وجدت الكاتب ولم تجد الصحيفة والدواة. وقرأ أبو العالية: "كتبا". وقرأ الحسن: "كتاباً"، جمع كاتب { فرهان { فالذي يستوثق به رهن. وقرئ "فرهن" بضم الهاء وسكونها، وهو جمع رهن، كسقف وسقف. "وفرهان". فإن قلت:: لم شرط السفر في الارتهان ولا يختص به سفر دون حضر وقد (١٥٤) رهن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم درعه في غير سفر. قلت: ليس الغرض تجويز الارتهان في السفر خاصة، ولكن السفر لما كان مظنة لإعواز الكتب والإشهاد، أمر على سبيل الإرشاد إلى حفظ المال من كان على سفر، بأن يقيم التوثق بالارتهان مقام التوثق بالكتب والإشهاد. وعن مجاهد والضحاك أنهما لم يجوزاه إلا في حال السفر أخذاً بظاهر الآية، وأما القبض فلا بد من اعتباره. وعند مالك يصح الارتهان بالإيجاب والقبول بدون القبض { فإن أمن بعضكم بعضاً { فإن أمن بعض الدائنين بعض المديونين لحسن ظنه به. وقرأ أبي "فإن أومن" أي آمنه الناس ووصفوا المديون بالأمانة والوفاء والاستغناء عن الارتهان من مثله { فليؤد الذي أوّتمن أمانته { حث المديون على أن يكون عند ظن الدائن به وأمنه منه وائتمانه له، وأن يؤدي إليه الحق الذي ائتمنه عليه فلم يرتهن منه.

(١) قوله: (أرأيت) أي : أخبرني إن وجد الكاتب ، أي : إذا وجدت الكاتب ولم يجد ما ما به تتم الكتابة ، من الدواة والصحيفة وغيرها هل تجوز المداينة بلا رهن ، وأما إذا لم يجد كاتباً يلزم الارتهان بأي شيء فقد من هذه الأشياء ، أشار بهذا إلى ترجيح قراءته ، وإن كتاباً أولى من كاتباً ليشمل الجميع ، أعني ما إذا لم يوجد الكاتب أو الصحيفة ، أو الدواة ؛ لأن وجود الكتاب مستلزم لوجود مجموعهما ، بخلاف وجود الكاتب ، فكذا نفي الكتاب مستلزم لنفي المجموع بطريق الكناية .

وسمي الدين أمانة وهو مضمون (١) لائتمانه عليه بترك الارتهان منه. والقراءة أن تنطق بهمزة ساكنة بعد الذال أو ياء، فتقول: الذي أوْتَمَن، أو الذي تَمَن. وعن عاصم أنه قرأ: "الذي اتمن"، يادغام الياء في التاء، قياسا على اتسر في الافتعال من اليسر، وليس بصحيح (٢). لأن الياء منقلبة عن الهمزة، فهي في حكم الهمزة و "اتزر" عامي، وكذلك ربا في رؤيا { آثم } خبر إن. و { قلبه } رفع بآثم على الفاعلية، كأنه قيل: فإنه يأثم قلبه. ويجوز أن يرتفع قلبه بالابتداء. وآثم خبر مقدم، والجملة خبر إن. فإن قلت: هلا اقتصر على قوله: { فإنه آثم } ؟ وما فائدة ذكر القلب - والجملة هي الآثمة لا القلب وحده - ؟ قلت: كتمان الشهادة: هو أن يضمرها ولا يتكلم بها، فلما كان إثما مقترفا بالقلب أسند إليه (٣)، لأن إسناد الفعل إلى الجارحة التي يعمل بها أبلغ. ألا تراك تقول إذا أردت التوكيد: هذا مما أبصرته عيني ومما سمعته أذني، ومما عرفه قلبي، ولأن القلب هو رئيس الأعضاء والمضغة التي إن صلحت صلح الجسد كله وإن فسدت فسد الجسد

كله، فكأنه قيل: فقد تمكن الإثم في أصل نفسه، وملك أشرف مكان فيه. ولئلا يظن أن كتمان الشهادة من الآثام المتعلقة باللسان فقط، وليعلم أن القلب أصل متعلقه ومعدن اقترافه، واللسان ترجمان عنه.

(١) قوله: (وسمي الدين أمانة وهو مضمون) هذا جواب لسؤال مقدر ، وهو أن يقال : إن الأمانة غير مضمونة ، والدين مضمون ، فكيف يسمى أمانة ؟ وجوابه : أنه إنما سمي أمانة لمشابهته للأمانة باعتبار الدائين المديون بترك الارتهان منه كائتمان المودع المودع بترك طلب الوثيقة منه .

(٢) قوله: (وليس بصحيح) لأنه ليس على قانون العربية .

(٣) قوله: (فلما كان إثما مقترفا بالقلب أسند إليه) يعني أسند الفعل إلى القلب لدفع توهم المجاز ، فصرح بالجارحة التي هي سببه ، وهو المراد بقوله : إذا

ولأن أفعال (١) القلوب أعظم من أفعال سائر الجوارح وهي لها كالأصول التي تتشعب منها. ألا ترى أن أصل الحسنات والسيئات الإيمان والكفر، وهما من أفعال القلوب، فإذا جعل

كتمان الشهادة من آثام القلوب فقد شهد له بأنه من معاصم الذنوب. وعن ابن عباس رضي الله عنهما: أكبر الكبائر الإشراك بالله لقوله تعالى: { فقد حرم الله عليه الجنة { (المائدة: ٧٢) وشهادة الزور، وكتمان الشهادة. وقرئ: "قلبه"، وبالنصب، كقوله: { سفه نفسه { وقرأ ابن أبي عتبة: "أثم قلبه"، أي جعله آثما.

ur { °! tB\$ 'خ ù qd "N"yJ، \$tBur\$ 9\$ 'ùع' b'F\$ {خ ur
(#r ك% \$tBv è? 'خ Nà6، ì ò &Rr
÷ &rr ÷ N، ÷ è? ن ٣٧ y\$TM غم f دm /خ \$!# مجد ے yJ `usù ٩
â!n \$t±o <èjy`Bt fur
â!n \$t±o " \$!#t?n'4م ب 2@à e& نس"x يج fد% s% اترحب `tB#u زن
م AqكTM ٩\$ #! yJ\$خ/
Aت "Ré& د9ms (خ `Bد 3/4 دm خ tbq' /nZد ÷Bك \$ur#J9 @>ن.
u`B#t زن "\$!\$خ/
3/4 دm دFs ح "tBur=n 3/4 دm خ Fvçن. ur 3/4 د& ح #كTM ur`â و ن-
ح hچx ےRç ُ ÷ ÷xmr% 7/ üt/ `د iB
3/4 د& ح #كTM q#) 'و ٩\$ ÷è\$uZ \$ur %د ÷سY \$TM جy&r ur
u#tRy7چ ےنYs \$i/ ٩s7y' (خ ur
{ مرجء #J9y اترحب }

(١) قوله: (ولأن أفعال) وجه آخر مبناه على الكناية ، وتقديره : أن عظم الذنب بحسب المحل الصادر منه ، فلما كان القلب أعظم خطرا في الإنسان كان الذنب الصادر منه أعظم ،

وعلى هذه الطاعة الصادرة منه كالإيمان والمحبة وغيرهما ، ويشهد لهذه الكناية قوله : (فقد شهد له بأنه معاصم الذنوب) .

(١٧٦/٢)

وإن تبدوا ما في أنفسكم أو تخفوه { يعني من السوء يحاسبكم به الله فيغفر لمن يشاء لمن استوجب المغفرة بالتوبة مما أظهر منه(١) أو أضمره { ويعذب من يشاء { ممن استوجب العقوبة بالإصرار. ولا يدخل فيما يخفيه الإنسان: الوسواس وحديث النفس، لأن ذلك مما

ليس في وسعه الخلو منه، ولكن ما اعتقده وعزم عليه. وعن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما أنه تلاها فقال: لئن آخذنا الله بهذا لنهلكن، ثم بكى حتى سمع نسيجه فذكر لابن عباس فقال: يغفر الله لأبي عبد الرحمان. قد وجد المسلمون منها مثل ما وجد فنزل { لا يكلف الله { وقرىء: "فيغفر" و"يعذب"، مجزومين عطفًا على جواب الشرط، ومرفوعين على: فهو يغفر ويعذب. فإن قلت: كيف يقرأ الجازم؟ قلت: يظهر الراء ويدغم الباء. ومدغم الراء في اللام لاحن مخطيء(٢) خطأ فاحشا. وراويه عن أبي عمرو ومخطيء مرتين، لأنه يلحن وينسب إلى أعلم الناس بالعربية ما يؤذن بجهل عظيم. والسبب في نحو هذه الروايات قلة ضبط الرواة، والسبب في قلة الضبط قلة الدراية، ولا يضبط نحو هذا إلا أهل النحو.

(١) قوله: (مما أظهر منه) قيل: الضمير المستتر عائد إلى من في من استوجب، والمحدوف إلى ما، وفي منه إلى السوء، ومنه بيان لما أظهر، وقيل: من في مما أظهر متعلق بقوله: فيغفر، وما فيه موصولة، أي: فيغفر لمن يشاء من الذي أظهره المكلف من السوء، وأضمر منه، ويجوز أن تتعلق من بالتوبة، والنشيج: غص التالي بالبكاء في حلقه من غير انتحاب.

(٢) قوله: (لاحن مخطيء) لأن الراء في حكم حرفين، ولهذا إذا وقفت عليه يتغير لسانك لما فيه من التكرير، فإدغام الراء في اللام يبطل هذه الفائدة، وقيل: مثل هذا الطعن غير جائز في أئمة القرآن، ولم لم يسمعه أبو عمرو لم يقرأ به، وقراءته دلالة على جوازه.

)

(١٧٧/٢)

وقرأ الأعمش: "يغفر" بغير فاء مجزوما على البدل من يحاسبكم، كقوله(١): متى تأتينا تلمم بنا في ديارنا***تجد خطبا جزلا ونارا تأججا ومعنى هذا البدل التفصيل لجملة الحساب، لأن التفصيل أوضح من المفصل(٢)، فهو جار مجرى بدل البعض من الكل(٣) أو بدل الاشتمال، كقولك: ضربت زيدا رأسه، وأحب زيدا عقله، وهذا البدل واقع في الأفعال وقوعه في الأسماء لحاجة القيلين إلى البيان. { والمؤمنون { إن عطف على الرسول كان الضمير - الذي التنوين نائب عنه في كل - راجعا إلى الرسول والمؤمنين، أي كلهم آمن بالله وملائكته وكتبه ورسله من المذكورين. ووقف عليه. وإن كان مبتدأ كان الضمير للمؤمنين(٤).

(١) قوله: (متى تأتينا تلمم بنا في ديارنا***تجد حطبا جزلا ونارا تأججا)
تلمم : تنزل ، وهو بدل من تأتينا ، والجزل : الغليظ ، والتأجج : الاشتعال ، وفي تأجج
ثلاثة أوجه ، أحدها : أن تجعل الألف للتثنية ، والضمير للحطب والنار ، وذكر لتغليب
الحطب [٨٠٩] والثاني : أن تكون الألف للإطلاق ، والضمير للحطب ، والثالث : أن تكون
كذلك ، والضمير للنار بتأويل الشهاب .

(٢) قوله: (أوضح من المفصل) عني بالمفصل ما وقع فيه ، أو لأجله التفصيل ، وهو
المجمل .

(٣) قوله: (فهو جار مجرى بدل البعض من الكل) قيل : إن أريد بقوله : { يحاسبكم }
معناه الحقيقي ، فيكون يغفر من بدل الإشتمال ، وإن أريد به المجاز فهو من بدل البعض

(٤) قوله: (وإن كان مبتدأ كان الضمير للمؤمنين) قال أبو البقاء : والمؤمنون معطوف
على الرسول ، فيكون الكلام تاما ، وقيل : المؤمنون مبتدأ ، وكل مبتدأ ثان ،
والتقدير : كل منهم ، وآمن خبر المبتدأ الثاني ، والجملة خبر الأول ، وقال
السخاوي : كل مبتدأ ولو كان توكيدا لقوله : { والمؤمنون } لقليل كلهم .

وقلت : الوجه الأول أقضى لحق البلاغة ، لكون الرسول فيه أصلا لحكم المؤمنين ، بما

أنزل إليه والمؤمنون تابعون له ، ويلزم على الثاني أن يكون حكم المؤمنين أقوى من
حكم الرسول ، لكون الجملة إسمية مؤكدة ، وعلى أسلوب التقوى مع إفادة الاستقلال في
الحكم .

(١٧٨/٢)

ووحده ضمير كل في آمن على معنى: كل واحد منهم آمن، وكان يجوز أن يجمع، كقوله: {
وكل

أتوه داخرين } (النمل: ٨٧). وقرأ ابن عباس: "وكتابه"، يريد القرآن أو الجنس وعنه
الكتاب أكثر من الكتب(١). فإن قلت: كيف يكون الواحد أكثر من الجمع؟ قلت: لأنه إذا
أريد بالواحد الجنس - والجنسية قائمة في وحدان الجنس كلها - لم يخرج منه شيء.
فأما الجمع فلا يدخل تحته إلا ما فيه الجنسية من الجموع { لا نفرق } يقولون لا
نفرق. وعن أبي عمرو: "يفرق" بالياء، على أن الفعل لكل. وقرأ عبد الله: "لا يفرقون".

و { أحد } في معنى الجمع، كقوله تعالى(٢): { فما منكم من أحد عنه حاجزين } (الحاقة: ٤٧) ولذلك دخل عليه بين. { سمعنا } أجبتنا { غفرانك } منصوب بإضمار فعله. يقال: غفرانك لا كفرانك، أي نستغفرك ولا نكفرك وقرئ: "وكتبه ورسله" بالسكون.

(١) قوله: (وعنه الكتاب أكثر من الكتب) قال صاحب التقريب : وفيه نظر ، ووجه كونه أكثر أن معنى المفرد موجود في الواحد والاثنين والجمع بخلاف معنى الجمع ، فإنه لا يوجد إلا في الجمع فقط ، وقيل : مراد المصنف أن تناول الواحد حين يراد به الجنس أكثر من تناول الجمع إذا أريد به الجنس ؛ لأن كتابه يدل على ما يعلمه كل أحد أنه كتبه على سبيل الجمعية ، ولكن أن يخرج منه كتاب أو كتابان ، وهذا هو المراد من قول صاحب المفتاح ، استغراق المفرد أشمل من استغراق الجمع ، وبين ذلك بأن ليس يصدق لا رجل في الدار لنفي الحصر إذا كان فيها رجل أو رجلان ، ويصدق : لا رجال في الدار ، وعلى هذا فالاستغراق في الجمع آحاده أفراد الجموع حقيقة ، وفي المفرد آحاده كل واحد من الأفراد حقيقة .

(٢) قوله: ({ فما منكم من أحد } أي : هو ، ومعنى الجمع ، ولهذا قيل : { حاجزين } . (١٧٩/٢)

١٧٩/٢
 r \$ygs9 \$tBم™ygyè\$ (خ tR w ٢\$ # \$!ه f k=s3د#د w ١
 ur \$tBمn=tجx. \$pk.ôMt6 |
 &S ÷rr°،!uZ\$! (خ xsè? b#}دw ! \$tR ١ 'u/tF.\$# \$sY.ôMt6 |
 wur ١ 'u/sY\$ &zr÷.tRù's\$
 yJx. ¼çmtFù=yJxm 'n?t\$ (خ ô¹X# م n=tجJss? ! \$uZد@
 'u/s% \$uZ٦=دB \$uZ` # \$!©%١د
 /خ mد¾ sYs9\$ غ w sps%\$s ١ dJysè? \$tBد=wur \$sYù ١
 î\$#ur \$sYs9م جد ١ ur \$Yt#\$ôm#د
 م R\$\$\$ù 'n?tءف uZ9s9qtB \$tR\$ &uZôJxm'\$#ur | MRr\$!
 { Qqs)9\$#د ١ ج ١ x69\$#" ائردب
 (١٨٠/٢)

الوسع: ما يسع الإنسان ولا يضيق عليه ولا يحرج فيه، أي لا يكلفها إلا ما يتسع فيه طوقه ويتيسر عليه دون مدى الطاقة والمجهود. وهذا إخبار عن عدله ورحمته كقوله تعالى: { يريد الله بكم اليسر } لأنه كان في إمكان الإنسان وطاقته أن يصلي أكثر من الخمس، ويصوم أكثر من الشهر، ويحج أكثر من حجة. وقرأ ابن أبي عبلة "وسعها" بالفتح { لها ما كسبت وعليها ما اكتسبت } ينفعها ما كسبت من خير ويضرها ما اكتسبت من شر، لا يؤاخذ بذنبها غيرها ولا يثاب غيرها بطاعتها. فإن قلت: لم خص الخير بالكسب، والشر بالاكتساب؟ قلت: في الاكتساب اعتمال، فلما كان الشر مما تشتهي النفس وهي منجذبة إليه وأماره به، كانت في تحصيله أعمل وأجد، فجعلت لذلك مكتسبة فيه. ولما لم تكن كذلك في باب الخير وصفت بما لا دلالة فيه على الاعتمال. أي لا تؤاخذنا بالنسيان أو الخطأ إن فرط منا. فإن قلت: النسيان والخطأ متجاوز عنهما، فما معنى الدعاء بترك المؤاخذه بهما؟ قلت: ذكر النسيان والخطأ والمراد بهما ما هما مسببان عنه من التفريط والإغفال. ألا ترى إلى قوله: { وما انسانيه إلا الشيطان } (الكهف: ٦٣) والشيطان لا يقدر على فعل النسيان، وإنما يوسوس فتكون وسوسته سببا للتفريط الذي منه النسيان، ولأنهم كانوا متقين الله حق تقاته، فما كانت تفرط منهم فرطة إلا على وجه النسيان والخطأ، فكان وصفهم بالدعاء بذلك إيذانا ببراءة ساحتهم عما يؤاخذون به، كأنه قيل: إن كان النسيان والخطأ مما يؤاخذ به، فما فيهم سبب مؤاخذه إلا الخطأ والنسيان، ويجوز أن يدعو الإنسان بما علم أنه حاصل له قبل الدعاء من فضل الله لاستدامته والاعتداد بالنعمة فيه. والإصر: العبء الذي يأصر حامله أي يحبسه مكانه لا يستقل به لنقله، استعير للتكليف الشاق، من نحو قتل النفس، وقطع موضع النجاسة من الجلد (١) والثوب وغير ذلك.

(١) قوله: (وقطع موضع النجاسة من الجلد) أي: من جلد الخف والعروة .

وقرىء: "آصارا" على الجمع. وفي قراءة أبي: "ولا تحمل" علينا بالتشديد. فإن قلت: أي فرق بين هذه التشديد والتخفيف في { ولا تحملنا } ؟ قلت: هذه للمبالغة (١) في حمل عليه، وتلك لنقل حمله من مفعول واحد إلى مفعولين { ولا تحملنا ما لا طاقة لنا به } من العقوبات النازلة بمن قبلنا، طلبوا الإعفاء عن التكليفات الشاقة التي كلفها

قبلهم، ثم عما نزل عليهم من العقوبات(٢) على تفريطهم في المحافظة عليها. وقيل: المراد به الشاق الذي لا يكاد يستطاع من التكليف. وهذا تكرير لقوله: { ولا تحمل علينا إصرا } . { مولانا } سيدنا ونحن عبيدك. أو ناصرنا. أو متولي أمورنا { فانصرنا } { (٣) }

(١) قوله: (هذه للمبالغة) أنه لا بد للتضعيف من فائدة ، أما النقل أو المبالغة ، ولا نقل هنا فتفيد المبالغة .

(٢) قوله: (ثم عما نزل عليهم من العقوبات) وإنما حملة على العقوبات كي لا يلزم التكرار ؛ لأن معناهما واحد ، والذي يدل على المقدر قوله : { لا تحمل علينا إصرا } لأن التفريط فيه سبب للمغالبة .

وقوله : (وقيل : المراد به الشاق) عطف على قوله : ما نزل عليهم ، فعلى هذا يكون تكريرا ، وفائدته تعليق الزيادة به من قوله : { واعف عنا } الآية .

(٣) قوله: ({ مولانا } سيدنا ونحن عبيدك. أو ناصرنا. أو متولي أمورنا { فانصرنا }) .. إلى آخره .

فعلى هذا يكون هذا من باب القول بترتيب الحكم على الوصف المناسب ؛ لكنه مع الفرق بين هذه الاعتبارات ، لأن النسبة بين السيد والعبد القاصر ، والمنصور ليست كالأولى ، لكن من أتصف بصفة النصر فعليه نصره المظلومين ، لكن لا يجب عليه نصره كلهم ؛ ففوة النسبة من جانب الناصر [٨١٠] وإليه الإشارة بقوله : فإن ذلك عادتك ، يعني هذه الصفة مستمرة فيك ، وفي التشبيه بين من يحتاج إلى قيم يقوم بأحواله ، أو يفتقر إلى متوكل يتولى أموره ، وبين مولاه قواما من جانب العبد ، ولهذا قال : فإن ذلك من أمورنا التي عليك توليها ، والفسطاط : الخيمة ، أو المدينة الجامعة .

(١٨٢/٢)

فمن حق المولى أن ينصر عبيده. أو فإن ذلك عادتك. أو فإن ذلك من أمورنا التي عليك توليها. وعن ابن عباس. (١٥٥) "أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم لما دعا بهذه الدعوات، قيل له عند كل كلمة: قد فعلت" وعنه عليه السلام. (١٥٦) "من قرأ الآيتين من آخر سورة البقرة في ليلة كفتاه" وعنه عليه السلام. (١٥٧) "أوتيت خواتيم سورة البقرة من كنز تحت العرش لم يؤتاهن نبي قبلي" وعنه عليه السلام. (١٥٨) "أنزل الله آيتين من كنوز الجنة كتبهما الرحمان بيده قبل أن يخلق الخلق بألفي سنة من قرأهما بعد العشاء

الآخرة أجزأته عن قيام الليل". فإن قلت: هل يجوز أن يقال: قرأت سورة البقرة أو قرأت البقرة. قلت: لا بأس بذلك. وقد جاء في حديث النبي صلى الله عليه وآله وسلم "من آخر سورة البقرة" و "خواتيم سورة البقرة" و "خواتيم البقرة".
(١٨٣/٢)

وعن علي رضي الله عنه "خواتيم سورة البقرة من كنز تحت العرش" وعن عبد الله بن مسعود رضي الله عنهما أنه رمى الجمرة ثم قال "من ههنا - والذي لا إله غيره - رمى الذي أنزلت عليه سورة البقرة" ولا فرق بين هذا وبين قولك سورة الزخرف وسورة الممتحنة وسورة المجادلة. وإذا قيل: قرأت البقرة، لم يشكل أن المراد سورة البقرة كقوله: { واسأل القرية } (يوسف: ٨٢) وعن بعضهم أنه كره ذلك وقال: يقال قرأت السورة التي تذكر فيه البقرة. عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم (١٥٩) "السورة التي تذكر فيها البقرة فسقاط القرآن فتعلموها فإن تعلمها بركة وتركها حسرة ولن تستطيعها البطلة (١). قيل: وما البطلة؟ قال: السحرة".

(١) قوله: (ولن تستطيعها البطلة) قيل: البطلة جمع باطل، إما بمعنى صاحب البطالة، أي: لا يستطيع قراءة ألفاظها، وتدبر معانيها، والعمل بأوامرها ونواهيها أصحاب البطالة، والكسالة، والبطلة: السحرة، لا يقدر السحرة على الإتيان بمثلها، فمن أتى بمثلها لا يكون ساحرا، والمراد أنها من المعجزات التي لا يتقدر السحرة أن يعارضوها بالسحر، بخلاف المعجزات المحسوسة، فإنه قد يمكن الساحر أن يحاول معارضتها بالسحر.. والله أعلم.
(١٨٤/٢)

بسم الله الرحمن الرحيم
{ يا أيها الناس (qà#)\$؟" ربكم الذي خلقكم من نفس؛ n`urD%oooy وخلق منها زوجها وبث
منهما رجالا # [زجدWx. [ن!\$ |، Surد، واتقوا الله الذي تساءلون به والأرحام إن الله كان
عليكم رقيبا اتب
}
(١/٣)

يا أيها الناس { يا بني آدم { خلقكم من نفس واحدة { فرعكم من أصل واحد وهو نفس آدم أبيكم. فإن قلت: علام عطف قوله: { وخلق منها زوجها { ؟ قلت: فيه وجهان: أحدهما أن يعطف على محذوف، كأنه قيل: من نفس واحدة أنشأها أو ابتدأها، وخلق منها زوجها. وإنما حذف للدلالة المعنى عليه. والمعنى: شعبكم من نفس واحدة هذه صفتها، وهي أنه أنشأها من تراب وخلق زوجها حواء من ضلع من أضلاعها { وبث منهما { نوعي جنس الإنس وهما الذكور

والإناث، فوصفها بصفة هي بيان وتفصيل بكيفية خلقهم منها. والثاني: أن يعطف على خلقكم، ويكون الخطاب في { يا أيها الناس { للذين بعث إليهم رسول الله . والمعنى: خلقكم من نفس آدم، لأنهم من جملة الجنس المفرع منه، وخلق منها أمكم حواء وبث منهما }

رجالا كثيرا ونساء { غيركم من الأمم الفاتنة للحصر. فإن قلت: الذي يقتضيه سداد نظم الكلام وجزالته أن يجاء عقيب الأمر بالتقوى بما يوجبها أو يدعو إليها ويحث عليها، فكيف كان خلقه إياهم من نفس واحدة على التفصيل الذي ذكره موجبا للتقوى وداعيا إليها؟ قلت: لأن ذلك مما يدل على القدرة العظيمة. ومن قدر على نحوه كان قادرا على كل شيء، ومن المقدورات عقاب العصاة، فالنظر فيه يؤدي إلى أن يتقي القادر عليه ويخشى عقابه، ولأنه يدل على النعمة السابعة عليهم، فحقهم أن يتقوه في كفرانها والتفريط فيما يلزمهم من القيام بشكرها. أو أراد بالتقوى تقوى خاصة وهي أن يتقوه فيما يتصل بحفظ الحقوق بينهم، فلا يقطعوا ما يجب عليهم وصله، ف قيل: اتقوا ربكم الذي وصل بينكم، حيث جعلكم صنوانا مفرعة من أرومة واحدة. فيما يجب على بعضكم لبعض، فحافظوا عليه ولا تغفلوا عنه. وهذا المعنى مطابق لمعاني السورة. وقرئ: "وخالق منها زوجها. وبث منهما"، بلفظ اسم الفاعل، وهو خبر مبتدأ محذوف تقديره: وهو خالق { تساءلون به { تتساءلون به، فأدغمت التاء في السين.

(٢/٣)

و قرئ "تساءلون" بطرح التاء الثانية، أي يسأل بعضكم بعضا بالله وبالرحم. فيقول: بالله وبالرحم أفعل كذا على سبيل الاستعطاف. وأناشدك الله والرحم. أو تسألون غيركم بالله والرحم، ف قيل "تفاعلون" موضع "تفعلون" للجمع، كقولك: رأيت الهلال وتراءيناه. وتنصره قراءة من قرأ: "تسلون به". مهموز أو غير مهموز. و قرئ "والأرحام" بالحركات

الثلاث، فالنصب على وجهين: إما على: واتقوا الله والأرحام، أو أن يعطف على محل الجار والمجرور، كقولك: مررت بزيد وعمرا. وينصره قراءة ابن مسعود: "تسألون به وبالأرحام"، والجر على عطف الظاهر على المضمَر، وليس بسديد؛ لأن الضمير المتصل متصل

كاسمه، والجار والمجرور كشيء واحد، فكانا في قولك: (مررت به وزيد) و(هذا غلامه

وزيد) شديدي الاتصال، فلما اشتد الاتصال لتكرره أشبه العطف على بعض الكلمة، فلم يجز ووجب تكرير العامل، كقولك: (مررت به وبزيد) و(هذا غلامه وغلام زيد) ألا ترى إلى صحة قولك: (رأيتك وزيدا) و(مررت بزيد وعمرو) لما لم يقو الاتصال، لأنه لم يتكرر، وقد تمحل لصحة هذه القراءة بأنها على تقدير تكرير الجار ونظيرها.

فما بك والأيام من عجب

(٣/٣)

والرفع على أنه مبتدأ خبره محذوف، كأنه قيل: والأرحام كذلك، على معنى: والأرحام مما يتقى أو والأرحام مما يتساءلون به. والمعنى أنهم كانوا يقولون بأن لهم خالقا، وكانوا يتساءلون بذكر الله والرحم، فقليل لهم: اتقوا الله الذي خلقكم، واتقوا الذي تتناشدون به واتقوا الأرحام فلا تقطعوها. أو واتقوا الله الذي تتعاطفون باذكاره وبإذكار الرحم. وقد آذن عز وجل إذ قرن الأرحام باسمه - أن صلتها منه بمكان، كما قال: { أن لا تعبدوا إلا إياه وبالوالدين إحسانا } (الإسراء: ٢٣)، وعن الحسن: إذا سألك بالله فأعطه، وإذا سألك بالرحم فأعطه. وللرحم حجنة عند العرش، ومعناه ما روي عن ابن عباس رضي الله عنه: الرحم معلقة بالعرش فإذا أتاها الواصل بشت به وكلمته، وإذا أتاها القاطع احتجبت منه. وسئل ابن عيينة عن قوله عليه الصلاة والسلام: (٢٥٠) (وتخيروا لنطفكم). فقال: يقول لأولادكم وذلك أن يضع ولده في الحلال. ألم تسمع قوله تعالى: { واتقوا الله الذي تساءلون به والأرحام } وأول صلتها أن يختار له الموضع الحلال، فلا يقطع رحمه ولا نسبه فإنما للعاهر الحجر، ثم يختار الصحة ويجتنب الدعوة، ولا يضعه موضع سوء يتبع شهوته وهواه بغير هدى من الله.

وأتوا اليتامى وNhs9`uqBr ولا تتبدلوا [y]خ#\$sfùv بالطيب ولا (Nhs9`uqBr=ù's.؟)

&Nçlm;`uqBr إلى Nhs9`uqBr إنه كان حوبا # [زجخ ٦x. اثب }

اليتامى { الذين مات آباؤهم فانفردوا عنهم. واليتيم الانفراد. ومنه: الرملة اليتيمة

والدرة اليتيمة. وقيل: اليتيم في الأناسي من قبل الآباء. وفي البهائم من قبل الأمهات. فإن قلت: كيف جمع اليتيم - وهو فعيل كمريض - على يتامى؟ قلت: فيه وجهان: أن يجمع على يتمى كأسرى، لأن اليتيم من وادي الآفات والأوجاع، ثم يجمع فعلى على فعالى كأسارى. ويجوز أن يجمع على فعائل لجري اليتيم مجرى الأسماء، نحو صاحب وفارس، فيقال: يتائم، ثم يتامى على القلب. وحق هذا الاسم أن يقع على الصغار والكبار لبقاء معنى الانفراد عن الآباء، إلا أنه قد غلب أن يسموا به قبل أن يبلغوا مبلغ الرجال، فإذا استغنوا بأنفسهم عن كافل وقائم عليهم وانتصبوا كفاة يكفلون غيرهم ويقومون عليهم، زال عنهم هذا الاسم، وكانت قريش تقول لرسول الله صلى الله عليه وسلم: يتيم أبي طالب، إما على القياس وإما حكاية للحال التي كان عليها صغيرا ناشئا في حجر عمه توضيحا له. وأما قوله عليه السلام: (٢٥١) "لا يتم بعد الحلم". فما هو إلا تعليم شريعة لا لغة، يعني أنه إذا احتلم لم تجر عليه أحكام الصغار. فإن قلت: فما معنى قوله: { وآتوا اليتامى أموالهم }؟ قلت: إما أن يراد باليتامى الصغار، ويأتينهم الأموال: أن لا يطمع فيها الأولياء والأوصياء وولاية السوء وقضائه ويكفوا عنها أيديهم الخاطفة، حتى تأتي اليتامى إذا بلغوا سالمة غير محذوفة. وإما أن يراد الكبار تسمية لهم يتامى على القياس، أو لقرب عهدهم - إذا بلغوا - بالصغر، كما تسمى الناقة عشراء بعد وضعها. على أن فيه إشارة إلى أن لا يؤخر دفع أموالهم إليهم عن حد البلوغ، ولا يمتطوا إن أونس منهم الرشد، وأن يؤتوها قبل أن يزول عنهم اسم اليتامى والصغار.

)

٢٥٢) وقيل: هي في رجل من غطفان كان معه مال كثير لابن أخ له يتيم، فلما بلغ طلب المال فمنعه عمه فترافعا إلى النبي صلى الله عليه وسلم فنزلت، فلما سمعها العم قال: أطلعنا الله وأطلعنا الرسول، نعوذ بالله من الحوب الكبير، فدفع ماله إليه؛ فقال النبي

عليه السلام: "ومن يوق شح نفسه ويضع ربه هكذا فإنه يحل داره - يعني جنته - فلما قبض ألفوا ماله أنفق في سبيل الله، فقال النبي صلى الله عليه وسلم: "ثبت الأجر،

ثبت الأجر وبقي الوزر"، قالوا: يا رسول الله، قد عرفنا أنه ثبت الأجر كيف بقي الوزر وهو ينفق في سبيل الله؟ فقال: "ثبت أجر الغلام، وبقي الوزر على والده". { ولا تبدلوا الخبيث بالطيب { ولا تستبدلوا الحرام وهو مال اليتامى بالحلال وهو مالكم وما أبيع لكم من المكاسب ورزق الله المبتوث في الأرض فتأكلوه مكانه. أو لا تستبدلوا الأمر الخبيث وهو اختزال أموال اليتامى بالأمر الطيب وهو حفظها والتورع منها والتفعل بمعنى الاستفعال غير عزيز. منه التعجل بمعنى الاستعجال، والتأخر بمعنى الاستئخار. قال ذو الرمة:

فيا كرم السكن الذين تحملوا ... عن الدار والمستخلف المتبدل
(٦/٣)

أراد: ويا لؤم ما استخلفته الدار واستبدلته. وقيل: هو أن يعطي رديئا ويأخذ جيدا. وعن السدي: أن يجعل شاة مهزولة مكان سمينية، وهذا ليس بتبدل، وإنما هو تبديل إلا أن يكارم صديقا له فيأخذ منه عجفاء مكان سمينية من مال الصبي { ولا تأكلوا أموالهم إلى أموالكم { ولا تنفقوها معها. وحقيقتها: ولا تضموها إليها في الإنفاق، حتى لا تفرقوا بين أموالكم وأموالهم قلة مبالاة بما لا يحل لكم. وتسوية بينه وبين الحلال. فإن قلت: قد حرم عليهم أكل مال اليتامى وحده ومع أموالهم، فلم ورد النهي عن أكله معها؟ قلت: لأنهم إذا كانوا مستغنين عن أموال اليتامى بما رزقهم الله من مال حلال. وهم على ذلك يطمعون فيها. كان القبح أبلغ والذم أحق ولأنهم كانوا يفعلون كذلك نعي عليهم فعلهم وسمع بهم، ليكون أزر لهم. والحبوب: الذنب العظيم. ومنه قوله عليه السلام: (٢٥٣) "إن طلاق أم أيوب لحبوب" فكأنه قيل: إنه كان ذنبا كبيرا. وقرأ الحسن "حوبا" بفتح الحاء وهو مصدر حاب حوبا. وقرئ: "حابا". ونظير الحوب والحاب: القول والقال. والطرود والطرود.

وإن نـ½ z ألا تقسطوا في اليتامى فانكحوا ما طاب لكم من النساء مثنى وثلاث ورباع

فإن OçF z½ ألا تعدلوا , n"uqsù%oooy أو ما ملكت أيما نكم ٧dy7 sœ
&rث# 'oTô ألا تعولوا

اجب

(٧/٣)

ولما نزلت الآية في اليتامى وما في أكل أموالهم من الحوب الكبير، خاف الأولياء أن يلحقهم الحوب بترك الإقساط في حقوق اليتامى، وأخذوا يتخرجون من ولايتهم، وكان الرجل منهم ربما كان تحته العشر من الأزواج والثمان والست فلا يقوم بحقوقهن ولا يعدل بينهن، فقليل لهم: إن خفتهم ترك العدل في حقوق اليتامى فتخرجتم منها، فخافوا أيضا ترك العدل بين النساء فقللوا عدد المنكوحات، لأن من تخرج من ذنب أو تاب عنه وهو مرتكب مثله فهو غير متخرج ولا تائب، لأنه إنما وجب أن يتخرج من الذنب ويتاب عنه لقبحه، والقبح قائم في كل ذنب، وقيل: كانوا لا يتخرجون من الزنا وهم يتخرجون من ولاية اليتامى، فقليل: إن خفتهم الجور في حق اليتامى فخافوا الزنا. فانكحوا ما حل لكم من النساء، ولا تحوموا حول المحرمات. وقيل: كان الرجل يجد اليتيمة لها مال وجمال أو يكون وليها، فيتزوجها ضنا بها عن غيره، وربما اجتمعت عنده عشر منهن، فيخاف - لضعفهن وفقد من يغضب لهن - أن يظلمهن حقوقهن ويفرط فيما يجب لهن، فقليل لهم: إن خفتهم أن لا تقسطوا في يتامى النساء فانكحوا من غيرهن ما طاب لكم. ويقال للإناث اليتامى كما يقال للذكور، وهو جمع يتيمة على القلب، كما قيل: أيامى، والأصل: أيام ويتائم. وقرأ النخعي "تقسطوا" بفتح التاء على أن لا مزيدة مثلها في { لنلا يعلم } (الحديد: ٢٩) يريد: وإن خفتهم أن تجوروا { ما طاب } ما حل { لكم من النساء } لأن منهن ما حرم كاللاتي في آية التحريم. وقيل: (ما) ذهابا إلى الصفة. ولأن الإناث من العقلاء يجزى غير العقلاء: ومنه قوله تعالى: { أو ما ملكتم أيما نكم } { مثنى وثلاث ورباع } معدولة عن أعداد مكررة، وإنما منعت الصرف لما فيها من العدلين: عدلها عن صيغها، وعدلها عن تكررها، وهي نكرات يعرفن بلام التعريف.

(٨/٣)

تقول: فلان ينكح المثنى والثلاث والرابع، ومحلهن النصب على الحال مما طاب، تقديره: فانكحوا الطيبات لكم معدودات هذا العدد، ثنتين ثنتين، وثلاثا ثلاثا، وأربعا أربعا. فإن قلت: الذي أطلق للنكاح في الجمع أن يجمع بين ثنتين أو ثلاث أو أربع، فما معنى التكرير في مثنى وثلاث ورباع؟ (قلت): الخطاب للجميع، فوجب التكرير ليصيب كل نكاح يريد الجمع ما أراد من العدد الذي أطلق له، كما تقول للجماعة: اقتسموا هذا المال - وهو ألف درهم - درهمين درهمين، وثلاثة ثلاثة، وأربعة أربعة. ولو أفردت لم يكن له معنى. فإن قلت: فلم جاء العطف بالواو دون أو؟ قلت: كما جاء بالواو في المثال

الذي حدوته لك. ولو ذهبت تقول: اقتسموا هذا المال درهمين درهمين، أو ثلاثة ثلاثة، أو أربعة أربعة: أعلمت أنه لا يسوغ لهم أن يقتسموه إلا على أحد أنواع هذه القسمة، وليس لهم أن يجمعوا بينها فيجعلوا بعض القسم على تشية، وبعضه على تثليث، وبعضه على تربيع. وذهب معنى تجويز الجمع بين أنواع القسمة الذي دلت عليه الواو. وتحريره: أن الواو دلت على إطلاق أن يأخذ الناكحون من أرادوا نكاحها من النساء على طريق الجمع، إن شاءوا مختلفين في تلك الأعداد، وإن شاءوا متفقين فيها، محظورا عليهم ما وراء ذلك. وقرأ إبراهيم: وثلاث وربع، على القصر من ثلاث ورباع { فإن خفتم ألا تعدلوا } بين هذه الأعداد كما خفتم ترك العدل فيما فوقها { فواحدة } فالزموا: أو فاختاروا واحدة وذروا الجمع رأسا. فإن الأمر كله يدور مع العدل، فأينما وجدتم العدل فعليكم به. وقرء "فواحدة" بالرفع على: فالمقنع واحدة، أو فكفت واحدة، أو فحسبكم واحدة { أو ما ملكت أيما نكم } سوى في السهولة واليسر بين الحرة الواحدة وبين الإماء، من غير حصر ولا توقيت عدد. ولعمري أنهن أقل تبعة وأقصر شغبا وأخف مؤنة من المهنات، لا عليك أكثرت منهن أم أقللت، عدلت بينهن في القسم أم لم تعدل، عزلت عنهن أم لم تعزل.

(٩/٣)

وقرأ ابن أبي عتبة. "من ملكت" { ذلك } إشارة إلى اختيار الواحدة والتسري { أدنى ألا تعولوا } أقرب من أن لا تميلوا، من قولهم: عال الميزان عولا، إذا مال. وميزان فلان عائل، وعال الحاكم في حكمه إذا جار. وروى أن أعرابيا حكم عليه حاكم فقال له: أتعول علي. وقد روت عائشة رضي الله عنها عن النبي صلى الله عليه وسلم: (٢٥٤) "ألا تعولوا: أن لا تجوروا" والذي يحكى عن الشافعي رحمه الله أنه فسر (أن لا تعولوا) أن لا تكثر عيالكم. فوجهه أن يجعل من قولك: عال الرجل عياله يعولهم، كقولهم: مانهم يمولهم، إذا أنفق عليهم، لأن من كثر عياله لزمه أن يعولهم، وفي ذلك ما يصعب عليه المحافظة على حدود الكسب وحدود الورع وكسب الحلال والرزق الطيب. وكلام مثله من أعلام العلم وأئمة الشرع ورؤوس المجتهدين، حقيقي بالحمل على الصحة والسداد، وأن لا يظن به تحريف تعيلوا إلى تعولوا، فقد روى عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه: لا تظن بكلمة خرجت من في أخيك سوءا وأنت تجد لها في الخير محملا. وكفى بكتابنا المترجم بكتاب "شافعي العي، من كلام الشافعي" شاهدا بأنه كان أعلى كعبا وأطول باعا في علم كلام العرب، من أن يخفى عليه مثل هذا، ولكن للعلماء طرقا وأساليب. فسلك في تفسير هذه الكلمة طريقة الكنايات. فإن قلت: كيف يقل عيال من تسرى، وفي السرائر نحو ما في المهنات؟ قلت: ليس

كذلك، لأن الغرض بالتزوج التوالد والتناسل بخلاف التسري، ولذلك جاز العزل عن السراري بغير أذنهن، فكان التسري مظنة لقلّة الولد بالإضافة إلى التزوج، كتزوج الواحدة بالإضافة إلى تزوج الأربع. وقرأ طاوس: "أن لا تعيلوا"، من أعال الرجل إذا كثر عياله. وهذه القراءة تعضد تفسير الشافعي رحمه الله من حيث المعنى الذي قصده.

وآتوا النساء ٢٠% ك٠% | ١ | Udz's#t فإن طبن لكم عن شيء منه نفسا فكلوه
 ZydZ\$
 Z\$ "fحگ D احب
 }
 (١٠/٣)

صدقاتهن { مهورهن، وفي حديث شريح: قضى ابن عباس لها بالصدقة. وقرئ: "صدقاتهن" بفتح الصاد وسكون الدال على تخفيف صدقاتهن. و"صدقاتهن" بضم الصاد وسكون الدال جمع صدقة

بوزن غرفة. وقرئ: "صدقتهن"، بضم الصاد والدال على التوحيد، وهو تثقيل صدقة، كقولك في ظلمة ظلمة { نحلة } من نحله كذا إذا أعطاه إياه ووهبه له عن طيبة من نفسه نحلة ونحلا. ومنه (٢٥٥) حديث أبي بكر رضي الله عنه: إني كنت نحلتك جداد عشرين وسقا بالعالية. وانتصابها على المصدر لأن النحلة والإيتاء بمعنى الإعطاء فكأنه قيل: وانحلوا النساء صدقاتهن نحلة، أي أعطوهن مهورهن عن طيبة أنفسكم، أو على الحال من المخاطبين، أي آتوهن صدقاتهن ناحلين طيبين النفوس بالإعطاء، أو من الصدقات، أي منحولة معطاة عن طيبة الأنفس. وقيل: نحلة من الله عطية من عنده وتفضلا منه عليهن، وقيل: النحلة الملة، ونحلة الإسلام خير النحل. وفلان ينتحل كذا: أي يدين به. والمعنى: آتوهن مهورهن ديانة، على أنها مفعول لها. ويجوز أن يكون حالا من الصدقات، أي دينا من الله شرعه وفرضه. والخطاب للأزواج. وقيل: للأولياء، لأنهم كانوا يأخذون مهور بناتهم، وكانوا يقولون: هنيئا لك النافجة، لمن تولد له بنت، يعنون: تأخذ مهرها فتتفج به مالك أي تعظمه. الضمير في (منه) جار مجرى اسم الإشارة كأنه قيل عن شيء من ذلك، كما قال الله تعالى: { قل أُنبيئكم بخير من ذلكم } بعد ذكر الشهوات، ومن الحجج المسموعة من أفواه العرب ما روى عن رؤية أنه قيل له في قوله:

أردت لكيما (١) لا ترى لي عثرة

ومن ذا الذي يعطى الكمال فيكمل

(١) قوله: ... ومن ذا الذي يعطى الكمال فيكمل

@أردت لكيما لا ترى لي عثرة

ذكره الزجاج وقد زبدت في قوله تعالى { وإذ بوأنا لإبراهيم } لقوله : { ولقد بوأنا بني إسرائيل } .

(١١/٣)

فقال: أردت كأن ذاك. أو يرجع إلى ما هو في معنى الصدقات وهو الصداق، لأنك لو قلت: وآتوا النساء صداقهن، لم تخل بالمعنى، فهو نحو قوله: { فأصدق وأكن من الصالحين } (المنافقون: ١٢٠) كأنه قيل: أصدق. و { نفسا } تمييز، وتوحيدها لأن الغرض بيان الجنس والواحد يدل عليه. والمعنى: فإن وهبن لكم شيئا من الصداق وتجاغت عنه نفوسهن طيبات غير مخبئات بما يضطرهن إلى الهبة من شكاسة أخلاقكم وسوء معاشرتكم { فكلوه } فأنفقوه. قالوا: فإن وهبت له ثم طلبت منه بعد الهبة، علم أنها لم تطب منه نفسا، وعن الشعبي: أن رجلا أتى مع امرأته شريحا في عطية أعطتها إياه وهي تطلب أن ترجع، فقال شريح: رد عليها. فقال الرجل: أليس قد قال الله تعالى: { فإن طبن لكم } قال: لو طابت نفسها عنه لما رجعت فيه. وعنه: أقيلاها فيما وهبت ولا أقيله، لأنهن يخدعن. وحكي أن رجلا من آل معيط أعطته امرأته ألف دينار صداقا كان لها عليه، فلبث شهرا ثم طلقها، فخاصمته إلى عبد الملك بن مروان، فقال الرجل: أعطتني طيبة بها نفسها، فقال عبد الملك: فأين الآية التي بعدها فلا تأخذوا منه شيئا؟ اردد عليها. وعن عمر رضي الله عنه أنه كتب إلى قضاته: إن النساء يعطين رغبة ورهبة. فأیما امرأة أعطت ثم أرادت أن ترجع فذلك لها، وعن ابن عباس:

كأنه في الجلد توليع البهقⁱ

(١٢/٣)

٢٥٦) أن رسول الله صلى الله عليه وسلم سئل عن هذه الآية فقال: "إذا جادت لزوجها بالعطية طائعة غير مكرهة لا يقضي به عليكم سلطان ولا يؤاخذكم الله به في الآخرة". وروي: أن أناسا كانوا يتأثمون أن يرجع أحد منهم في شيء مما ساق إلى امرأته، فقال الله تعالى إن طابت نفس واحدة من غير إكراه ولا خديعة فكلوه سائغا هنيئا. وفي الآية

- وقيل له إنها تدنيك من الدنيا -: لئن أدنتني من الدنيا لقد صاننتي عنها.
 وكانوا يقولون: اتجروا واكتسبوا، فإنكم في زمان إذا احتاج أحدكم كان أول ما يأكل
 دينه، وربما رأوا رجلا في جنازة فقالوا له: اذهب إلى دكانك { وارزقوهم فيها }
 واجعلوها مكانا لرزقهم بأن تتجروا فيها وتتربحوا، حتى تكون نفقتهم من الأرباح لا من
 صلب المال فلا يأكلها الإنفاق. وقيل: هو أمر لكل أحد أن لا يخرج ماله إلى أحد من
 السفهاء، قريب أو أجنبي، رجل أو امرأة، يعلم أنه يضعه فيما لا ينبغي ويفسده { قولا
 معروفا } قال ابن جريج: عدة جميلة، إن صلحتم ورشدتم سلمنا إليكم أموالكم. وعن عطاء:
 إذا ربحت أعطيتك، وإن غنمت في غزاتي جعلت لك حظا. وقيل: إن لم يكن ممن وجبت
 عليك

نفقته فقل: عافانا الله وإياك، بارك الله فيك. وكل ما سكنت إليه النفس وأحبته لحسنه
 عقلا أو شرعا من قول أو عمل، فهو معروف، وما أنكرته ونفرت منه لقبحه، فهو منكر.
 (١٤/٣)

وابتلوا اليتامى #س Lxm® إذا بلغوا النكاح فإن آنستم منهم رشدا
 #مùòùèù\$ù\$ù\$
 Nخkز9س (خ &Nçlm;`uqBr ولا تأكلوها إسرافا وبدارا أن (r#مژy93tf ومن كان
 Yxîw\$
 فليستعفف ومن كان # [رُجعة] sù فليأكل بالمعروف فإذا دفعتم Nخkز9س (خ
 &Nçlm;`uqBr
 #ر%خ N sù kôr'خkزt=n ووكفى بالله \$Y7ط، xm ادب
 }
 (١٥/٣)

وابتلوا اليتامى { واختبروا عقولهم وذوقوا أحوالهم ومعرفتهم بالتصرف، قبل البلوغ
 حتى إذا تبينتم منهم رشدا - أي هداية - دفعتم إليهم أموالهم من غير تأخير عن حد
 البلوغ. وبلوغ النكاح. أن يحتلم لأنه يصلح للنكاح عنده، ولطلب ما هو مقصود به وهو
 التوالد والتناسل. والإيناس: الاستيضاح فاستعير للتبيين. واختلف في الابتلاء

والرشد، فالابتلاء عند أبي حنيفة وأصحابه: أن يدفع إليه ما يتصرف فيه حتى يستبين
 حاله فيما يجيء منه. والرشد: التهدي إلى وجوه التصرف. وعن ابن عباس: الصلاح في

العقل والحفظ للمال. وعند مالك والشافعي: الابتلاء أن يتتبع أحواله وتصرفه في الأخذ والإعطاء، ويتبصر مخايله وميله إلى الدين. والرشد: الصلاح في الدين، لأن الفسق مفسدة للمال. فإن قلت: فإن لم يؤنس منه رشد إلى حد البلوغ؟ قلت: عند أبي حنيفة رحمه الله ينتظر إلى خمس وعشرين سنة، لأن مدة بلوغ الذكر عنده بالسن ثماني عشرة سنة، فإذا زادت عليها سبع سنين وهي مدة معتبرة في تغير أحوال الإنسان لقوله عليه السلام: (٢٥٧) "مروهم بالصلاة لسبع" دفع إليه ماله أونس منه الرشد أو لم يؤنس. وعند أصحابه: لا يدفع إليه أبدا إلا بإيناس الرشد. فإن قلت: ما معنى تنكير الرشد؟ قلت: معناه نوعا من الرشد وهو الرشد في التصرف والتجارة، أو طرفا من الرشد ومخيلة من مخايله حتى لا ينتظر به تمام الرشد. فإن قلت: كيف نظم هذا الكلام؟ قلت: ما بعد { حتى } إلى { فادفعوا إليهم أموالهم } جعل غاية للابتلاء، وهي "حتى" التي تقع بعدها الجمل. كالتالي في قوله:

فما زالت القتلى تمج دماءها ... بدجلة حتى ماء دجلة أشكل
(١٦/٣)

والجملة الواقعة بعدها جملة شرطية لأن إذا متضمنة معنى الشرط، وفعل الشرط بلغوا النكاح وقوله: { فإن آنستم منهم رشدا فادفعوا إليهم أموالهم } جملة من شرط وجزاء واقعة جوابا للشرط الأول الذي هو إذا بلغوا النكاح، فكأنه قيل: وابتلوا اليتامى إلى وقت بلوغهم، فاستحقاقهم دفع أموالهم إليهم بشرط إيناس الرشد منهم. وقرأ ابن مسعود: "فإن أحسيتم" بمعنى أحسستم قال: أحسن به فهن إليه شوس
(١٧/٣)

وقرىء: "رشدا"، بفتحيتين، "ورشدا"، بضميتين { إسرافا وبادارا } مسرفين ومبادرين كبيرهم، أو لإسرافكم ومبادرتكم كبيرهم، تفرطون في إنفاقها، وتقولون ننفق كما نشتهي قبل أن

يكبر اليتامى فينتزعوها من أيدينا. ثم قسم الأمر بين أن يكون الوصي غنيا وبين أن يكون فقيرا، فالغني يستعف من أكلها ولا يطمع، ويقتنع بما رزقه الله من الغنى إشفاقا على اليتيم، وإبقاء على ماله. والفقير يأكل قوتا مقدرا محتاطا في تقديره على وجه الأجرة، أو استقراضا على ما في ذلك من الاختلاف ولفظ الأكل بالمعروف والاستعفاف،

مما يدل على أن اللوصي حقا لقيامه عليها. وعن النبي : (٢٥٨) أن رجلا قال له: إن في حجري يتيما أفاكل من ماله؟ قال: بالمعروف غير متأثر مالا ولا واق مالك بماله فقال: أفأضربه؟ قال: مما كنت ضاربا منه ولدك؛ وعن ابن عباس: أن ولي اليتيم قال له: أفأشرب من لبن إبله؟ قال: إن كنت تبغي ضالتها، وتلوط حوضها، وتهنأ جرباها وتسقيها يوم ردها، فأشرب غير مضر بنسل، ولا ناهك في الحلب وعنه: يضرب بيده مع أيديهم، فليأكل بالمعروف، ولا يلبس عمامة فما فوقها. وعن إبراهيم: لا يلبس الكتان والحلل. ولكن ما سد الجوعة ووارى العورة. وعن محمد بن كعب يتقرم تقرم البهيمة وينزل نفسه منزلة الأجير فيما لا بد منه. وعن الشعبي: يأكل من ماله بقدر ما يعين فيه. وعنه: كالميتة يتناول عند الضرورة ويقضي. وعن مجاهد: يستسلف، فإذا أيسر أدى. وعن سعيد بن جبير: إن شاء شرب فضل اللبن وركب الظهر ولبس ما يستره من الثياب وأخذ القوت ولا يجاوزه فإن أيسر قضاؤه، وإن أعسر فهو في حل.

(١٨/٣)

وعن عمر بن الخطاب رضي الله عنه: إني أنزلت نفسي من مال الله منزلة والي اليتيم، إن استغنيت استعفت، وإن افتقرت أكلت بالمعروف، وإذا أيسرت قضيت واستعفت أبلغ من عف، كأنه طالب زيادة العفة { فأشهدوا عليهم } بأنهم تسلموها وقبضوها وبرئت عنها ذممكم، وذلك أبعد من التخاصم والتجاحد وأدخل في الأمانة وبراءة الساحة. ألا ترى أنه إذا لم يشهد فادعى عليه صدق مع اليمين عند أبي حنيفة وأصحابه. وعند مالك والشافعي لا يصدق

إلا بالبين، فكان في الإشهاد الاستحراز من توجه الحلف المفضي إلى التهمة أو من وجوب الضمان إذا لم يقم البينة { وكفى بالله حسيبا } أي كافيا في الشهادة عليكم بالدفع والقبض، أو محاسبا. فعليكم بالتصادق، وإياكم والتكاذب.

ةA%yح`hچ=دj9 نصيب مما x8uچ؟ بb#tد!ا\$#uq9\$

F{\$#ur%چtbqç/u وللنساء نصيب مما

x8uچ؟ بb#tد!ا\$#uq9\$ بb#tد!ا\$#uq9\$ چcç/u بb#tد!ا\$#uq9\$ ف{\$#ur%چ مما قل منه أو كثر نصيبا

مفروضا (٧) وإذا

u | طxm القسم أولو القربى واليتامى والمساكين فارزقوهم منه وقولوا لهم قولا معروفا

ارب

الأقربون { هم المتوارثون من ذوي القربيات دون غيرهم } مما قل منه أو كثر { بدل مما ترك بتكرير العامل. و { نصيبا مفروضا } نصب على الاختصاص، بمعنى: أعني نصيبا مفروضا مقطوعا واجبا لا بد لهم من أن يحوزوه ولا يستأثر به. ويجوز أن ينتصب انتصاب المصدر المؤكد كقوله: { فريضة من الله } (النساء: ١١) كأنه قيل: قسمة مفروضة.

)

(١٩/٣)

٢٥٩) وروي أن أوس بن الصامت الأنصاري ترك امرأته أم كحة وثلاث بنات، فروى ابنا عمه سويد وعرفطة أو قتادة وعرفجة ميراثه عنهن، وكان أهل الجاهلية لا يورثون النساء والأطفال، ويقولون: لا يرث إلا من طاعن بالرماح وذاد عن الحوزة وحاز الغنيمة، فجاءت أم كحة إلى رسول الله في مسجد الفضيف فشكت إليه، فقال: "ارجعي حتى أنظر ما يحدث الله" فنزلت، فبعث إليهما لا تفرقا من مال أوس شيئا فإن الله قد جعل لهن نصيبا ولم يبين حتى فنزلت { يوصيكم الله } (النساء: ١١) فأعطى أم كحة الثمن، والبنات الثلثين، والباقي ابني العم { وإذا حضر القسمة } أي قسمة التركة { أولوا القربى } ممن لا يرث { فارزقوهم منه } الضمير لما ترك الوالدان والأقربون، وهو أمر على الندب قال الحسن: كان المؤمنون يفعلون ذلك، إذا اجتمعت الورثة حضرهم هؤلاء فرضخوا لهم بالشيء من رثة المتاع. فحضرهم الله على ذلك تأديبا من غير أن يكون فريضة. قالوا: ولو

كان فريضة لضرب له حد ومقدار كما لغيره من الحقوق، وروى أن عبد الله بن عبد الرحمان بن أبي بكر رضي الله عنه قسم ميراث أبيه وعائشة رضي الله عنها حية؟ فلم يدع في الدار أحدا إلا أعطاه، وتلا هذه الآية. وقيل: هو على الوجوب. وقيل: هو منسوخ بآيات الميراث كالوصية. وعن سعيد بن جبير: أن ناسا يقولون نسخت، والله ما نسخت، ولكنها مما تهاونت به الناس. والقول المعروف أن يلففوا لهم القول ويقولوا: خذوا بارك الله عليكم، ويعتذروا إليهم، ويستقلوا ما أعطوهم ولا يستكثروه، ولا يمتنوا عليهم. وعن الحسن والنخعي: أدركنا الناس وهم يقسمون على القربيات والمساكين واليتامى من العين، يعينان الورق والذهب. فإذا قسم الورق والذهب وصارت القسمة إلى الأرضين والرقيق وما أشبه ذلك، قالوا لهم قولا معروفا، كانوا يقولون لهم: بورك فيكم.

(٢٠/٣)

وليخش الذين لو (#u.نqس؟ من خلفهم Zpfح h'èCE ضعافا خافوا عليهم فليتقوا الله

وليقولوا قولاً سديداً ازب

لو مع ما في حيزه صلة للذين. والمراد بهم: الأوصياء، أمروا بأن يخشوا الله فيخافوا على من في حجوهرهم من اليتامى ويشفقوا عليهم، خوفهم على ذريتهم لو تركوهم ضعافاً وشفقتهم عليهم وأن يقدروا ذلك في أنفسهم ويصوروه حتى لا يجسروا على خلاف الشفقة والرحمة. ويجوز أن يكون المعنى: وليخشوا على اليتامى من الضياع. وقيل: هم الذين يجلسون إلى المريض فيقولون: إن ذريتك لا يغنون عنك من الله شيئاً، فقدم مالك، فيستغرقه بالوصايا، فأمرؤا بأن يخشوا ربهم، أو يخشوا على أولاد المريض ويشفقوا عليهم شفقتهم على أولاد أنفسهم لو كانوا. ويجوز أن يتصل بما قبله وأن يكون أمراً بالشفقة للورثة على الذين يحضرون القسمة من ضعفاء أقاربهم واليتامى والمساكين وأن يتصوروا أنهم لو كانوا أولادهم بقوا خلفهم ضائعين محتاجين. هل كانوا يخافون عليهم الحرمان والخيبة؟ فإن قلت: ما معنى وقوع { لو تركوا } وجوابه صلة للذين؟ قلت:

معناه: وليخش الذين صفتهم وحالهم أنهم لو شارفوا أن يتركوا خلفهم ذرية ضعافاً، وذلك عند احتضارهم خافوا عليهم الضياع بعدهم لذهاب كافلهم وكاسبهم، كما قال القائل:

لقد زاد الحياة إلي حبا ... بناتي إنهن من الضعاف
أحاذر أن يرين البؤس بعدي ... وأن يشربن رنقا بعد صافي
(٢١/٣)

وقرىء: "ضعفاء"، "ضعافى"، "ضعافى". نحو سكارى، وسكارى. والقول السديد من الأوصياء:

أن لا يؤذوا اليتامى ويكلموهم كما يكلمون أولادهم بالأدب الحسن والترحيب، ويدعوهم بيا بني ويا ولدي، ومن الجالسين إلى المريض أن يقولوا له إذا أراد الوصية: لا تسرف في وصيتك فتجحف بأولادك، مثل قول رسول الله صلى الله عليه وسلم لسعد: (٢٦٠) "إنك إن

تترك ولدك أغنياء خير من أن تدعهم عالة يتكففون الناس" وكان الصحابة رضي الله عنهم يستحبون أن لا تبلغ الوصية الثلث وأن الخمس أفضل من الربع والربع أفضل من الثلث. ومن المتقاسمين ميراثهم أن يلففوا القول ويجملوه للحاضرين.

إن الذين يأكلون &tA`uqBr اليتامى ظلماً إنما يأكلون في بطونهم ناراً وسيصلون

#[تجد TMèy اتةب

{ ظلما { ظالمين، أو على وجه الظلم من أولياء السوء وقضاته { في بطونهم { ملء
بطونهم يقال: أكل فلان في بطنه، وفي بعض بطنه. قال:
كلوا في بعض بطنكموا تعفوا

ومعنى يأكلون نارا: ما يجر إلى النار، فكأنه نار في الحقيقة. وروى: (٢٦١) أنه يبعث
أكل مال اليتيم يوم القيامة والدخان يخرج من قبره ومن فيه وأنفه وأذنيه وعينه
فيعرف الناس أنه كان يأكل مال اليتيم في الدنيا. وقرئ "وسيصلون" بضم الياء وتخفيف
اللام وتشديددها { سعيرا { نارا من النيران مبهمة الوصف.
(٢٢/٣)

قنثد^١م^٢فم^٣الله في أولادكم حج^٤.x.©%#٩د مثل xmJe الأنثيين فإن كن
[ن!\$ |، دS فوق

اثنتين فلهن ثلثا ما s^١x8u؟ وإن كانت m^٢ur%oZoy فلها النصف
n^٣ur%o٧ لكل m÷fuqt/{ur^٤d
منهما السدس مما s^١x8u؟ إن كان له ولد فإن لم يكن له ولد وورثه أبواه فلأمه الثلث

فإن كان له إخوة فلأمه السدس من بعد وصية يوصي بها أو دين آباؤكم
ن.ن.ن ur&t!\$sY/r لا

تدرون أيهم <u%&r لكم نفعا Zp نzfحج^١sù من الله إن الله كان J, \$تد=tm
\$VJ\$ث^٢xm٣ اتتب
}
(٢٣/٣)

يوصيكم الله { يعهد إليكم ويأمركم { في أولادكم { في شأن ميراثهم بما هو العدل
والمصلحة. وهذا إجمال تفصيله { للذكر مثل حظ الأنثيين { فإن قلت: هلا قيل: للأنثيين
مثل حظ الذكر أو للأنثى نصف حظ الذكر؛ قلت ليبدأ ببيان حظ الذكر لفضله، كما ضوعف
حظه لذلك، ولأن قوله: { للذكر مثل حظ الأنثيين { قصد إلى بيان فضل الذكر. وقولك:
للأنثيين مثل حظ الذكر، قصد إلى بيان نقص الأنثى، وما كان قصدا إلى بيان فضله، كان
أدل على فضله من القصد إلى بيان نقص غيره عنه: ولأنهم كانوا يورثون الذكور دون
الإناث وهو السبب لورود الآية، فقليل: كفى الذكور أن ضوعف لهم نصيب الإناث، فلا
يتماذى في حظهن حتى يحرم من إدلائهن من القرابة بمثل ما يدلون به. فإن قلت: فإن حظ

الأنثيين الثلثان، فكأنه قيل للذكر الثلثان. قلت: أريد حال الاجتماع لا الانفرد أي إذا اجتمع الذكر والأنثيان كان له سهمان، كما أن لهما سهمين. وأما في حال الانفرد، فالابن يأخذ المال كله والبنتان يأخذان الثلثين. والدليل على أن الغرض حكم الاجتماع، أنه أتبعه حكم الانفرد، وهو قوله: { فإن كن نساء فوق اثنتين فلهن ثلثا ما ترك } والمعنى للذكر منهم، أي من أولادكم، فحذف الرجوع إليه لأنه مفهوم، كقولهم: السمن منوان بدرهم { فإن كن نساء } فإن كانت البنات أو المولودات نساء خلصا. ليس معهن رجل يعني بنات ليس معهن ابن { فوق اثنتين } يجوز أن يكون خبرا ثانيا لكان وأن يكون صفة لنساء أي نساء زائدات على اثنتين { وإن كانت واحدة } وإن كانت البنت أو المولودة منفردة فذة ليس معها أخرى { فلها النصف } وقرئ: "واحدة" بالرفع على كان التامة والقراءة بالنصب أوفق لقوله: { فإن كن نساء } وقرأ زيد بن ثابت "النصف"

بالضم. والضمير في { ترك } للميت: لأن الآية لما كانت في الميراث، علم أن التارك هو الميت.

(٢٤/٣)

فإن قلت: قوله: { للذكر مثل حظ الأنثيين } كلام مسوق لبيان حظ الذكر من الأولاد، لا لبيان حظ الأنثيين، فكيف صح أن يردف قوله: { فإن كن نساء } وهو لبيان حظ الإناث؟ قلت: وإن كان مسوقا لبيان حظ الذكر، إلا أنه لما فقه منه وتبين حظ الأنثيين مع أخيهما؛ كان كأنه مسوق للأمرين جميعا. فلذلك صح أن يقال: { فإن كن نساء } : فإن قلت. هل يصح أن يكون الضميران في "كن" و"كانت" مبهمين، ويكون "نساء" و"واحدة" تفسيراً لهما، على أن كان تامة؟ قلت: لا أبعد ذلك. فإن قلت: لم قيل { فإن كن نساء } ولم يقل: وإن كانت امرأة؟ قلت: لأن الغرض ثمة خلوصهن إناثا لا ذكر فيهن، ليميز بين ما ذكر من اجتماعهن مع الذكور في قوله: { للذكر مثل حظ الأنثيين } وبين انفردهن. وأريد هاهنا أن يميز بين كون البنت مع غيرها وبين كونها وحدها لا قرينة لها. فإن قلت: قد ذكر حكم البنتين في حال اجتماعهما مع الابن وحكم البنات والبنت في حال الانفرد، ولم يذكر حكم البنتين في حال الانفرد فما حكمهما، وما باله لم يذكر؟ قلت: أما حكمهما فمختلف فيه، فابن عباس أبى تنزيلهما منزلة الجماعة. لقوله تعالى: { فإن كن نساء فوق اثنتين } فأعطاهما حكم الواحدة وهو ظاهر مكشوف. وأما سائر الصحابة فقد أعطوهما حكم الجماعة، والذي يعلل به قولهم: أن قوله: { للذكر مثل حظ الأنثيين } قد دل على أن حكم الأنثيين حكم الذكر، وذلك أن الذكر كما يحوز الثلثين مع الواحدة،

فالأنثيان كذلك يحوزان الثلثين، فلما ذكر ما دل على حكم الأنثيين قيل: { فإن كن نساء فوق اثنتين فلهن ثلثا ما ترك } على معنى: فإن كن جماعة بالغات ما بلغن من العدد فلهن ما للأنثيين وهو الثلثان لا يتجاوزنه لكثرتهم ليعلم أن حكم الجماعة حكم الشنتين بغير تفاوت. وقيل: إن الشنتين أمس رحما بالميت من الأختين فأوجبوا لهما ما أوجب الله للأختين. ولم يروا أن يقصروا بهما عن حظ من هو أبعد رحما منهما.
(٢٥/٣)

وقيل: إن البنت لما وجب لها مع أخيها الثلث كانت أخرى أن يجب لها الثلث إذا كانت مع أخت مثلها. ويكون لأختها معها مثل ما كان يجب لها أيضا مع أخيها لو انفردت معه، فوجب لهما الثلثان { ولأبويه } الضمير للميت. و { لكل واحد منهما } بدل من { لأبويه } بتكرير العامل. وفائدة هذا البدل أنه لو قيل: ولأبويه السدس، لكان ظاهره اشتراكهما فيه. ولو قيل: ولأبويه السدسان، لأوهم قسمة السدسين عليهما على التسوية وعلى خلافها. فإن قلت: فهلا قيل: ولكل واحد من أبويه السدس: وأي فائدة في ذكر الأبوين أولا، ثم في الإبدال منهما؟ قلت: لأن في الإبدال والتفصيل بعد الإجمال تأكيدا وتشديدا، كالذي تراه في الجمع بين المفسر والتفسير. والسدس: مبتدأ. وخبره: لأبويه. والبدل متوسط بينهما للبيان. وقرأ الحسن ونعيم بن ميسرة "السدس" بالتخفيف، وكذلك الثلث والرابع والثلثون. والولد: يقع على الذكر والأنثى، ويختلف حكم الأب في ذلك. فإن كان ذكرا اقتصر بالأب على السدس، وإن كانت أنثى عصب مع إعطاء السدس. فإن

قلت: قد بين حكم الأبوين في الإرث مع الولد: ثم حكمهما مع عدمه، فهلا قيل: فإن لم يكن له ولد فلأمه الثلث. وأي فائدة في قوله: { وورثه أبواه } ؟ قلت معناه: فإن لم يكن له ولد وورثه أبواه فحسب، فلأمه الثلث مما ترك، كما قال: { لكل واحد منهما السدس مما ترك } لأنه إذا ورثه أبواه مع أحد الزوجين، كان للأم ثلث ما بقي بعد إخراج نصيب الزوج، لا ثلث ما ترك، إلا عند ابن عباس. والمعنى: أن الأبوين إذا خلصا تقاسما الميراث: للذكر مثل حظ الأنثيين، فإن قلت: ما العلة في أن كان لها ثلث ما بقي دون ثلث المال؟ قلت: فيه وجهان: أحدهما أن الزوج إنما استحق ما يسهم له بحق العقد لا بالقربة. فأشبه الوصية في قسمة ما وراءه.
(٢٦/٣)

والثاني: أن الأب أقوى في الإرث من الأم، بدليل أنه يضعف عليها إذا خلاصا ويكون صاحب فرض وعصبة، وجامعا بين الأمرين، فلو ضرب لها الثلث كملا لأدى إلى حط نصيبه عن نصيبها. ألا ترى أن امرأة لو تركت زوجا وأبوين فصار للزوج النصف وللأم الثلث والباقي للأب، حازت الأم سهمين والأب سهما واحدا، فينقلب الحكم إلى أن يكون للأنثى مثل حظ الذكركين { فإن كان له إخوة فلأمه السدس } الإخوة يحجبون الأم عن الثلث وإن كانوا لا يرثون مع الأب، فيكون لها السدس وللأب خمسة الأسداس، ويستوي في الحجب الاثنان فصاعدا إلا عند ابن عباس. وعنه أنهم يأخذون السدس الذي حجبوا عنه الأم. فإن قلت: فكيف صح أن يتناول الإخوة الأخوين. والجمع خلاف التثنية؟ قلت: الإخوة تفيد معنى الجمعية المطلقة بغير كمية، والتثنية كالتثليث والتربيع في إفادة الكمية، وهذا موضع الدلالة على الجمع المطلق، فدل بالإخوة عليه. وقرئ: "فإله"، بكسر الهمزة إتباعا للجرة: ألا تراها لا تكسر في قوله: { وجعلنا ابن مريم وأمه آية } (المؤمنون: ٥٠)، { من بعد وصية } متعلق بما تقدمه من قسمة الموارث كلها، لا بما يليه وحده، كأنه قيل قسمة هذه الأنصبة من بعد وصية يوصى بها. وقرئ "يوصى بها" بالتخفيف والتشديد. و"يوصى بها" على البناء للمفعول مخففا. فإن قلت: ما معنى أو؟ قلت: معناها الإباحة: وأنه إن كان أحدهما أو كلاهما، قدم على قسمة الميراث، كقولك: جالس الحسن أو ابن سيرين.

(٢٧/٣)

فإن قلت: لم قدمت الوصية على الدين والدين مقدم عليها في الشريعة؟ قلت: لما كانت الوصية مشبهة للميراث في كونها مأخوذة من غير عوض، كان إخراجها مما يشق على الورثة ويتعاضد بهم ولا تطيب أنفسهم بها، فكان أداؤها مظنة للتفريط، بخلاف الدين فإن نفوسهم مطمئنة إلى أدائه، فلذلك قدمت على الدين بعثا على وجوبها والمسارة إلى إخراجها مع الدين، ولذلك جيء بكلمة "أو" للتسوية بينهما في الوجوب، ثم أكد ذلك ورغب فيه بقوله:

}

آباؤكم وأبناؤكم { أي لا تدرون من أنفع لكم من آباؤكم وأبناؤكم الذين يموتون، أمن أوصى منهم أمن لم يوص؟ يعني أن من أوصى ببعض ماله فعرضكم لثواب الآخرة بإمضاء وصيته

فهو أقرب لكم نفعا وأحضر جدوى ممن ترك الوصية، فوفر عليكم عرض الدنيا وجعل ثواب الآخرة أقرب وأحضر من عرض الدنيا، ذهابا إلى حقيقة الأمر، لأن عرض الدنيا وإن كان

عاجلا قريبا في الصورة، إلا أنه فان، فهو في الحقيقة الأبعد الأقصى. وثواب الآخرة وإن كان آجلا إلا أنه باق فهو في الحقيقة الأقرب الأدنى. وقيل: إن الابن إن كان أرفع درجة من أبيه في الجنة سأل أن يرفع أبوه إليه فيرفع. وكذلك الأب إن كان أرفع درجة من ابنه، سأل أن يرفع إليه ابنه. فأنتم لا تدرون في الدنيا أيهم أقرب لكم نفعا. وقيل: قد فرض الله الفرائض على ما هو عنده حكمة. ولو وكل ذلك إليكم لم تعلموا أيهم لكم أنفع، فوضعتم أنتم الأموال على غير حكمة. وقيل: الأب يجب عليه النفقة على الابن إذا احتاج، وكذلك الابن إذا كان محتاجا فهما في النفع بالنفقة لا يدري أيهما أقرب نفعا. وليس شيء من هذه الأقاويل بملائم للمعنى ولا مجاوب له، لأن هذه الجملة اعتراضية. ومن حق الاعتراضي أن يؤكد ما اعترض بينه ويناسبه، والقول ما تقدم { فريضة { نصبت نصب المصدر المؤكد، أي فرض ذلك فرضا { إن الله كان عليما { بمصالح خلقه { حكيما { في كل ما فرض وقسم من الموارد وغيرها.

(٢٨/٣)

* ولكم نصف ما چx8u Nà6م-s? ur-r` إن لم يكن لهن ولد فإن كان لهن ولد فلکم الربع
 مما چz`2u s؟ من بعد وصية يوصين بها أو دين ولهن الربع مما OçF.u چs؟ إن لم يكن لكم
 ولد فإن كان لكم ولد فلهن الثمن مما Lنê2u چs؟ من بعد وصية توصون بها أو دين وإن كان
 رجل يورث كلاله أو چu&or× \$B# وله أخ أو أخت ب@eن3د= 7%و= sù urن
 منهما السدس فإن
 من &nY2rژu ۲ ۛ%ûqçR#) من 7دy7 sCE`۹ فهم شركاء في الثلث من بعد وصية يوصى بها أو دين غير
 مضار وصية من الله والله يOتد=ت و zOتد=xm اتشb
 }

فإن كان لهن ولد { منكم أو من غيركم. جعلت المرأة على النصف من الرجل بحق الزواج، كما جعلت كذلك بحق النسب. والواحدة والجماعة سواء في الربع والثمن { وإن كان رجل { يعني الميت. و { يورث { من ورث، أي يورث منه وهو صفة لرجل. و { كلاله { خبر كان، أي

وإن كان رجل موروث منه كالالة، أو يجعل يورث خبر كان، وكالالة حالا من الضمير في يورث. وقرىء "يورث" و"يورث" بالتخفيف والتشديد على البناء للفاعل، وكالالة حال أو مفعول به. فإن قلت: ما الكالالة؟ قلت: ينطلق على ثلاثة على من لم يخلف ولدا ولا والدا، وعلى من ليس بولد ولا والد من المخلفين، وعلى القرابة من غير جهة الولد والوالد. ومنه قولهم: ما ورث المجد عن كالالة، كما تقول: ما صمت عن عي، وما كف عن جبن. والكالالة في الأصل: مصدر بمعنى الكلال، وهو ذهاب القوة من الإعياء. قال الأعشى:

فأليت لا أرثي لها من كالالة

(٢٩/٣)

فاستعيرت للقرابة من غير جهة الولد والوالد، لأنها بالإضافة إلى قرابتهما كالة ضعيفة، وإذا جعل صفة للموروث أو الوارث فبمعنى ذي كالالة. كما تقول: فلان من قرابتي، تريد من ذوي قرابتي. ويجوز أن تكون صفة كالهجاجة والفقاقة للأحمق. فإن قلت: فإن جعلتها اسما للقرابة في الآية فعلام تنصيها؟ قلت: على أنها مفعول له أي يورث لأجل الكالالة أو يورث غيره لأجلها، فإن قلت: فإن جعلت يورث على البناء للمفعول من أورث، فما وجهه؟ قلت: الرجل حينئذ هو الوارث لا الموروث. فإن قلت: فالضمير في قوله: { فلكل واحد منهما } إلى من يرجع حينئذ؟ قلت: إلى الرجل وإلى أخيه أو أخته، وعلى الأول إليهما. فإن قلت: إذا رجع الضمير إليهما أفاد استواءهما في حيازة السدس من غير مفاضلة الذكر الأنثى، فهل تبقى هذه الفائدة قائمة في هذا الوجه؟ قلت: نعم، لأنك إذا قلت السدس له أو لواحد من الأخ أو الأخت على التخيير فقد سويت بين الذكر والأنثى. وعن أبي بكر الصديق رضي الله عنه، أنه سئل عن الكالالة فقال: أقول فيه

برأبي، فإن كان صوابا فمن الله، وإن كان خطأ فمني ومن الشيطان والله منه بريء.

الكالالة: ما خلا الولد والوالد. وعن عطاء والضحاك: أن الكالالة هو الموروث. وعن سعيد بن جبير: هو الوارث. وقد أجمعوا على أن المراد أولاد الأم. وتدل عليه قراءة أبي: "وله أخ أو أخت من الأم". وقراءة سعد بن أبي وقاص: "وله أخ أو أخت من أم".

(٣٠/٣)

وقيل: إنما استدل على أن الكالالة هاهنا الإخوة للأم خاصة بما ذكر في آخر السورة من أن للأختين الثلثين وأن للإخوة كل المال، فعلم هاهنا - لما جعل للواحد السدس،

وللأثنين الثلث، ولم يزدوا على الثلث شيئاً - أنه يعني بهم الإخوة للأم، وإلا فالكلالة عامة لمن عدا الولد والوالد من سائر الإخوة الأخياف والأعيان وأولاد العلات وغيرهم { غير مضار } حال، أي يوصي بها وهو غير مضار لورثته وذلك أن يوصي بزيادة على الثلث، أو يوصي بالثلث فما دونه، ونيتته مضارة ورثته ومغاضبتهم لا وجه الله تعالى. وعن قتادة: كره الله الضرار في الحياة وعند الممات ونهى عنه. وعن الحسن: المضارة في الدين أن يوصي بدين ليس عليه ومعناه الإقرار { وصية من الله } مصدر مؤكد، أي يوصيكم بذلك وصية، كقوله: { فريضة من الله } (النساء: ١١) ويجوز أن تكون منصوبة بغير مضار، أي لا يضار وصية من الله وهو الثلث فما دونه بزيادته على الثلث أو وصية من الله بالأولاد وأن لا يدعهم عالة بإسرافه في الوصية. وينصر هذا الوجه قراءة الحسن: "غير مضار وصية من الله" بالإضافة { والله عليم } بمن جار أو عدل في وصيته { حلیم } عن الجائر لا يعالجه. وهذا وعيد. فإن قلت: في { يوصى } ضمير الرجل إذا جعلته الموروث، فكيف تعمل إذا جعلته الوارث؟ قلت: كما علمت في قوله تعالى: { فلهن ثلثا ما ترك } (النساء: ١١) لأنه علم أن التارك والموصي هو الميت. فإن قلت: فأين ذو الحال فيمن قرأ "يوصى بها" على ما لم يسم فاعله؟ قلت يضمير يوصي

فيتنصب عن فاعله لأنه لما قيل { يوصي بها } علم أن ثم موصيا، كما قال: { يسبح له فيها بالغدو والآصال } (النور: ٣٦) على ما لم يسم فاعله، فعلم أن ثم مسبحا، فأضمير يسبح فكما كان رجال فاعل ما يدل فاعل ما يدل عليه يسبح، كان غير مضار حالا عما يدل عليه يوصي بها.

(٣١/٣)

تلك حدود الله ومن يطع الله ورسوله $f\%o\%z\hat{o}^{1/2}\#\hat{u}\&M$ جنات "حج^٥fs؟" من تحتها الأنهار

ث^٦idح#yz فيها 7dy٩"Eur s الفوز العظيم (١٣) { ومن يعص الله ورسوله ويتعد حدوده

$f\%o\%z\hat{o}^{1/2}\#\hat{u}\&M$ نارا $\$V\#حyz$ فيها وله ز $U\#\text{xt}$ م ر $g-B\hat{u}$ اتحب { تلك } إشارة إلى الأحكام التي ذكرت في باب اليتامى والوصايا والمواريث. وسماها حدودا، لأن الشرائع كالحدود المضروبة المؤقتة للمكلفين، لا يجوز لهم أن يتجاوزها ويتخطوها إلى ما ليس لهم بحق { يدخله } قرىء بالياء والنون، وكذلك { يدخله نارا } وقيل: يدخله، وخالدين حملا على لفظ "من" ومعناه. وانتصب خالدين وخالدا على الحال.

فإن قلت: هل يجوز أن يكونا صفتين لجنتان ونارا؟ قلت: لا، لأنهما جريا على غير من هما له. فلا بد من الضمير وهو قولك: خالدين هم فيها. وخالدا هو فيها.

واللاتي يأتين الفاحشة من 6Nà ح! \$، | pSد، فاستشهدوا عليهن أربعة منكم فإن
(#r%ooخky)

فأمسكوهن في البيوت ٤س®Lxm يتوفاهن الموت أو يجعل الله لهن سبيلا (١٥) واللذان يأتينها منكم فأذوهما فإن تابا وأصلحا (#qàتحجòم'sùr عنهما إن الله كان توابا
رحيما اتدب

}

(٣٢/٣)

يأتين الفاحشة { يرهقنها. يقال أتى الفاحشة وجاءها وغشيها ورهقها بمعنى. وفي قراءة ابن مسعود: "يأتين بالفاحشة". والفاحشة: الزنا لزيادتها في القبح على كثير من القبائح { فأمسكوهن في البيوت { قيل معناه: فخلدوهن محبوسات في بيوتكم، وكان ذلك عقوبتهن في أول الإسلام. ثم نسخ بقوله تعالى: { الزانية والزاني... } الآية (النور: ٢) ويجوز أن تكون غير منسوخة بأن يترك ذلك الحد لكونه معلوما بالكتاب والسنة، ويوصي بإمساكنهن في البيوت، بعد أن يحددن صيانة لهن عن مثل ما جرى عليهن بسبب الخروج من البيوت والتعرض للرجال { أو يجعل الله لهن سبيلا { هو النكاح الذي يستغنين به عن السفاح. وقيل: السبيل هو الحد، لأنه لم يكن مشروعا ذلك الوقت. فإن قلت: ما معنى يتوفاهن الموت - والتوفي والموت بمعنى واحد، كأنه قيل: حتى يميتهن الموت -؟ قلت: يجوز أن يراد حتى يتوفاهن ملائكة الموت، كقوله: { الذين تتوفاهم الملائكة { (النحل: ٢٨) { إن الذين توفاهم الملائكة { (النساء: ٩٧)، { قل يتوفاكم ملك الموت { (السجدة: ١١) أو حتى يأخذهن الموت ويستوفي أرواحهن { واللذان يأتينها منكم { يريد الزاني والزانية { فأذوهما { فوبخوهما وذموهما وقولوا لهما: أما استحييتما، أما خفتما الله { فإن تابا وأصلحا { وغيرا الحال { فأعرضوا عنهما { وأقطعوا التوبيخ والمذمة، فإن التوبة تمنع استحقاق الذم والعقاب، ويحتمل أن يكون خطابا للشهود العاثرين على سرهما، ويراد بالإيذاء ذمهما وتعنيفهما وتهديدهما بالرفع إلى الإمام والحد، فإن تابا قبل الرفع إلى الإمام فأعرضوا عنهما ولا تتعرضوا لهما. وقيل: نزلت الأولى في السحاقات وهذه في اللواطين. وقرئ: "واللذان" بتشديد النون. "واللذان": بالهمزة وتشديد النون.

(٣٣/٣)

إنما التوبة على الله للذين يعملون نفاقاً، أولئك هم المفلحون ٩٥ فحجس% فأولئك يتوب الله N كزكz n=t m وكان الله J, \$ J, \$ تd=م K\ \$ ١7٦ (xm) وليست التوبة للذين يعملون

السيئات #س Lxm® إذا u | طxm أحدهم الموت قال 'oTدخ) تبت الآن ولا الذين يموتون وهم

كفار أولئك أعتدنا لهم عذاباً أليماً اترب

{ التوبة } من تاب الله عليه إذا قبل توبته وغفر له، يعني إنما القبول والغفران واجب على الله تعالى لهؤلاء { بجهالة } في موضع الحال أي يعملون السوء جاهلين سفهاء، لأن ارتكاب القبيح مما يدعو إليه السفه والشهوة، لا مما تدعو إليه الحكمة والعقل. وعند مجاهد: من عصى الله فهو جاهل حتى ينزع عن جهالته { من قريب } من زمان قريب. والزمان القريب: ما قبل حضرة الموت. ألا ترى إلى قوله: { حتى إذا حضر أحدهم الموت } فبين أن وقت الاحتضار وهو الوقت الذي لا تقبل فيه التوبة فبقي ما وراء ذلك في حكم القريب. وعن ابن عباس: قبل أن ينزل به سلطان الموت. وعن الضحاك: كل توبة قبل

الموت فهو قريب. وعن النخعي: ما لم يؤخذ بكظمه. وروى أبو أيوب عن النبي صلى الله عليه وسلم: (٢٦٢) "إن الله تعالى يقبل توبة العبد ما لم يغرغر" وعن عطاء: ولا قبل موته بفوق ناقة.

(٣٤/٣)

وعن الحسن: (٢٦٣) أن إبليس قال حين أهبط إلى الأرض: وعزتك لا أفارق ابن آدم ما دام روحه في جسده. فقال تعالى: وعزتي لا أغلق عليه باب التوبة ما لم يغرغر. فإن قلت: ما معنى { من } في قوله: { من قريب } ؟ قلت: معناه التبعيض، أي يتوبون بعض زمان قريب، كأنه سمي ما بين وجود المعصية وبين حضرة الموت زماناً قريباً، ففي أي جزء تاب من أجزاء هذا الزمان فهو تائب من قريب، وإلا فهو تائب من بعيد. فإن قلت: ما فائدة قوله: { فأولئك يتوب الله عليهم } بعد قوله: إنما التوبة على الله لهم؟ قلت: قوله: { إنما التوبة على الله } إعلام بوجوبها عليه كما يجب على العبد بعض الطاعات. وقوله: { فأولئك يتوب عليهم } عدة بأنه يفي بما وجب عليه، وإعلام بأن الغفران كائن لا محالة كما يعد العبد الوفاء بالواجب { ولا الذين يموتون } عطف على الذين يعملون

السيئات. سوى بين الذين سوفوا توبتهم إلى حضرة الموت، وبين الذين ماتوا على الكفر في أنه لا توبة لهم، لأن حضرة الموت أول أحوال الآخرة، فكما أن المائت على الكفر قد فاتته التوبة على اليقين، فكذلك المسوف إلى حضرة الموت لمجازة كل واحد منهما أوان التكليف والاختيار { أولئك أعتدنا لهم } في الوعيد نظير قوله: { فأولئك يتوب الله عليهم } في الوعد ليتبين أن الأمرين كائنان لا محالة. فإن قلت: من المراد بالذين يعملون السيئات.

(٣٥/٣)

أهم الفساق من أهل القبلة أم الكفار؟ قلت: فيه وجهان: أحدهما أن يراد الكفار، لظاهر قوله: { وهم كفار } ، وأن يراد الفساق، لأن الكلام إنما وقع في الزانيين، والإعراض عنهما إن تابا وأصلحا، ويكون قوله: { وهم كفار } واردا على سبيل التعليل كقوله: { ومن كفر فإن الله غني عن العالمين } (آل عمران: ٩٧) وقوله: { فليمت إن شاء الله يهوديا أو نصرانيا } ، "من ترك الصلاة متعمدا فقد كفر" لأن من كان مصدقا ومات وهو لم يحدث نفسه بالتوبة، حاله قريبة من حال الكافر، لأنه لا يجترئ على ذلك إلا قلب مصمت.

يا أيها الذين آمنوا لا يحل لكم أن (#qèOحجس النساء كرها ولا تعضلوهن لتذهبوا ببعض ما آتيتموهن إلا أن يأتين بفاحشة #èdröpsY٧ i t6-Bمراurتم المعروف فإن #èdq`كجF÷حجx. فعسى أن (#qèduجZ\$?x"© ويجعل الله فيه #yz]ح]# [جدW٢ اترب (٣٦/٣)

كان يبلون النساء بضروب من البلايا ويظلمونهن بأنواع من الظلم، فخرجوا عن ذلك: كان الرجل إذا مات له قريب من أب أو أخ أو حميم عن امرأة، ألقى ثوبه عليها وقال أنا أحق بها من كل أحد. فقيل { لا يحل لكم أن ترثوا النساء كرها } أي أن تأخذوهن على سبيل الإرث كما تحاز المواريث وهن كارهات لذلك: أو مكراهات. وقيل: كان يمسكها حتى تموت. فقيل: لا يحل لكم أن تمسكوهن حتى ترثوا منهن وهن غير راضيات بامساكنكم. وكان الرجل

إذا تزوج امرأة ولم تكن من حاجته حبسها مع سوء العشرة والقهر. لتفتدي منه بمالها وتختلع، فقيل: ولا تعضلوهن لتذهبوا ببعض ما آتيتموهن. والعضل: الحبس والتضييق. ومنه: عضلت المرأة بولدها، إذا اختنقت رحمها به فخرج بعضه وبقي بعضه { إلا أن يأتين

بفاحشة مبينة { وهي النشوز وشكاسة الخلق وإيذاء الزوج وأهله بالبذاء والسلطة، أي إلا أن يكون سوء العشرة من جهتهن فقد عذرتن في طلب الخلع. ويدل عليه قراءة أبي: "إلا أن يفحشن عليكم"، وعن الحسن: الفاحشة الزنا، فإن فعلت حل لزوجها أن يسألها الخلع. وقيل: كانوا إذا أصابت امرأة فاحشة أخذ منها ما ساق إليها وأخرجها. وعن أبي قلابة ومحمد بن سيرين: لا يحل الخلع حتى يوجد رجل على بطنها. وعن قتادة: لا يحل أن يحبسها ضرارا حتى تفتدي منه، يعني وإن زنت. وقيل: نسخ ذلك بالحدود، وكانوا يسيئون معاشرة النساء فقليل لهم: { وعاشروهن بالمعروف } وهو النصفة في المبيت والنفقة، والإجمال في القول: { فإن كرهتموهن } فلا تفارقوهن لكرهة الأنفس وحدها فرما كرهت النفس ما هو أصلح في الدين وأحمد وأدنى إلى الخير، وأحبت ما هو بضد ذلك، ولكن للنظر في أسباب الصلاح.

(٣٧/٣)

وإن أردتم استبدال زوج مكان زوج وآتيتن إحداهن قنطارا فلا تأخذوا منه شيء، ©x\$
 تأخذونه بهتاناً وإثماً YY\$ خ ٦-20 B) وكيف تأخذونه وقد أفضى بعضكم إلى بعض
 وأخذن

منكم ميثاقا xi=Za\$ اثتب

وكان الرجل إذا طمحت عينه إلى استطراف امرأة؟ بهت التي تحته وربما بفاحشة حتى يلجئها إلى الافتداء منه بما أعطاها ليصرفه إلى تزوج غيرها. فقيل: { وإن أردتم استبدال زوج { الآية. والقنطار: المال العظيم، من قنطرت الشيء إذا رفعته، ومنه القنطرة، لأنها بناء مشيد. قال:

قنطرة الرومي أقسم ربها ... لتكتفن حتى تشاد بقرمد

(٣٨/٣)

وعن عمر رضي الله عنه أنه قام خطيباً فقال: أيها الناس، لا تغالوا بصدق النساء، فلو

كانت مكرمة في الدنيا أو تقوى عند الله لكان أولاكم بها رسول الله صلى الله عليه وسلم، ما أصدق امرأة من نسائه أكثر من اثني عشر أوقية، فقامت إليه امرأة فقالت له: يا أمير المؤمنين، لم تمنعنا حقاً جعله الله لنا والله يقول: { وآتيتن إحداهن قنطاراً { فقال عمر: كل أحد أعلم من عمر ثم قال لأصحابه: تسمعونني أقول مثل هذا القول فلا

تذكرونه علي حتى ترد علي امرأة ليست من أعلم النساء واليهتان: أن تستقبل الرجل بأمر قبيح تقذفه به وهو بريء منه، لأنه يبهت عند ذلك، أي يتحير. وانتصب { بهتاناً } علي الحال، أي باهتين وآثمين، أو علي أنه مفعول له وإن لم يكن غرضاً، كقولك: قعد عند القتال جنباً. والميثاق الغليظ: حق الصحبة والمضاجعة، كأنه قيل: وأخذن به منكم ميثاقاً غليظاً، أي بإفشاء بعضكم إلي بعض. ووصفه بالغلظ لقوته وعظمه، فقد قالوا: صحبة عشرين يوماً قرابة، فكيف بما يجري بين الزوجين من الاتحاد والامتزاج؟ وقيل: هو قول الولي عند العقد: أنكحتك علي ما في كتاب الله من إمساك بمعروف أو تسريح بإحسان. وعن النبي صلى الله عليه وسلم: (٢٦٤) استوصوا بالنساء خيراً فإنهن عوان في أيديكم أخذتموهن بأمانة الله، واستحللتم فروجهن بكلمة الله.

(٣٩/٣)

ولا تنكحوا ما نكح آبؤكم من النساء إلا ما قد سلف إنه كان فاحشة F)tBur]\$ وساء سبيلاً (٢٢) hMtB حm عليكم أمهاتكم ٣N ur è? \$sYt/ur ur&Nà6è?`uqyzz وعما تكم وخالاتكم N\$sYt/ur الأخ كN\$sYt/ur الأخت وأمهاتكم اللاتي ٣N ur è? \$sYt/ur | ت'r' ur&Nà6è?`uqyzz من الرضاة وأمهات ٣N ح! \$، | دS، وربائبكم اللاتي في حجوركم من ٣N ح! \$، | دS، اللاتي دخلتم بهن فإن لم تكونوا دخلتم بهن فلا yy\$S Yم_ عليكم م@ ح' n=xmur"&sY/r\$! حNà6م الذين من أصلابكم وأن تجمعوا بين الأختين إلا ما قد سلف إن الله كان غفوراً رحيماً اثجب

(٤٠/٣)

وكانوا ينكحون روابهم، وناس منهم يمقتونه من ذي مروآتهم، ويسمونهم نكاح المقت. وكان المولود عليه يقال له المقتي. ومن ثم قيل: { ومقتاً } كأنه قيل: هو فاحشة في دين الله بالغة في القبح، قبيح ممقوت في المروءة ولا مزيد علي ما يجمع القبحين. وقرئ: "لا تحل لكم" بالناء، علي أن ترثوا بمعنى الوراثه. وكرها - بالفتح، والضم - من الكراهة والإكراه. وقرئ { بفاحشة مبينة } (النساء: ٢١٩) من أبانت بمعنى تبينت أو

بينت، كما قرىء "مبينة" بكسر الياء وفتحها. و { يجعل الله } بالرفع، على أنه في موضع الحال: { وآتيتهم إحداهن } بوصل همزة إحداهن. كما قرىء "فلا إثم عليه". فإن قلت: تعضلوهن، ما وجه إعرابه؟ قلت: النصب عطفًا على أن ترثوا. و(لا) لتأكيد النفي. أي لا يحل لكم أن ترثوا النساء ولا أن تعضلوهن. فإن قلت: أي فرق بين تعدية ذهب بالياء، وبينها بالهمزة؟ قلت: إذا عدي بالياء فمعناه الأخذ والاستصحاب، كقوله تعالى: { فلما ذهبوا به } (يوسف: ١٥) وأما الإذهاب فكالإزالة. فإن قلت: { إلا أن يأتين } (النساء: ١٩) ما هذا الاستثناء؟ قلت: هو استثناء من أعم عام الطرف أو المفعول له، كأنه قيل: ولا تعضلوهن في جميع الأوقات إلا وقت أن يأتين بفاحشة. أو: ولا تعضلوهن لعله من العلل إلا لأن يأتين بفاحشة. فإن قلت: من أي وجه صح قوله: { فعسى أن تكرهوا } جزاء للشرط؟ قلت: من حيث أن المعنى: فإن كرهتموهن فاصبروا عليهن مع الكراهة، فلعل لكم فيما تكرهونه خيرا كثيرا ليس فيما تحبونه فإن قلت كيف استثنى ما قد سلف مما نكح آبائكم؟ قلت: كما استثنى (غير أن سيوفهم) من قوله: (ولا عيب فيهم) يعني: إن أمكنكم أن تنكحوا ما قد سلف، فأنكحوه، فلا يحل لكم غيره. وذلك غير ممكن. والغرض المبالغة في تحريمه وسد الطريق إلى إباحته، كما يعلق بالمحال في التأييد نحو قولهم: حتى يبيض القار، وحتى يلج الجمل في سم الخياط.

(٤١/٣)

معنى { حرمت عليكم أمهاتكم } تحريم نكاحهن لقوله: { ولا تنكحوا ما نكح آبائكم من

النساء } (النساء: ٢٢) ولأن تحريم نكاحهن هو الذي يفهم من تحريمهن، كما يفهم من تحريم الخمر تحريم شربها، ومن تحريم لحم الخنزير تحريم أكله. وقرىء "وبنات الأخت" بتخفيف الهمزة. وقد نزل الله الرضاة منزلة النسب، حتى سمى المرضعة أما للرضيع، والمرضاة أختا، وكذلك زوج المرضعة أبوه وأبواه جداه، وأخته عمته، وكل ولد ولد له من غير المرضعة قبل الرضاع وبعده فهم إخوته وأخواته لأبيه. وأم المرضعة جدته، وأختها خالته، وكل من ولد لها من هذا الزوج فهم إخوته وأخواته لأبيه وأمه، ومن ولد لها من غيره فهم إخوته وأخواته لأمه. ومنه قوله صلى الله عليه وسلم: (٢٦٥) "يحرم من الرضاع ما يحرم من النسب" وقالوا: تحريم الرضاع كتحریم النسب إلا في مسألتين: إحداهما أنه لا يجوز للرجل أن يتزوج أخت ابنه من النسب ويجوز أن يتزوج أخت ابنه من الرضاع، لأن المانع في النسب وطؤه أمها. وهذا المعنى غير موجود في الرضاع. والثانية: لا يجوز أن يتزوج أم أخيه من النسب، ويجوز في الرضاع، لأن المانع في

النسب وطء الأب إياها، وهذا المعنى غير موجود في الرضاع { من نسائكم } متعلق برائبتكم. ومعناه أن الربيبة من المرأة المدخول بها محرمة على الرجل حلال له إذا لم يدخل بها. فإن قلت: هل يصح أن يتعلق بقوله: { وأمهات نسائكم } ؟ قلت: لا يخلو إما أن يتعلق بهن وبالرئاب، فتكون حرمتهم وحرمة الرئاب غير مبهمتين جميعا، وإما أن يتعلق بهن بدون الرئاب فتكون حرمتهم غير مبهمة وحرمة الرئاب مبهمة فلا يجوز الأول، لأن معنى (من) مع أحد المتعلقين، خلاف معناه مع الآخر. ألا تراك أنك إذا قلت: وأمهات نسائكم من نسائكم اللاتي دخلتم بهن فقد جعلت (من) لبيان النساء. وتمييز المدخول بهن من غير المدخول بهن.

(٤٢/٣)

وإذا قلت ورئابتكم من نسائكم اللاتي دخلتم بهن فإنك جاعل (من) لابتداء الغاية، كما تقول: بنات رسول الله صلى الله عليه وسلممن خديجة، وليس بصحيح أن يعني بالكلمة الواحدة في خطاب واحد معنيين مختلفان. ولا يجوز الثاني لأن ما يليه هو الذي يستوجب التعليق به، ما لم يعترض أمر لا يرد، إلا أن تقول: أعلقه بالنساء والرئاب، وأجعل (من) للاتصال، كقوله تعالى: { المنافقون والمنافقات بعضهم من بعض } (التوبة: ٦٧) فإنني لست منك ولست مني. ما أنا من دد ولا الدد مني: وأمهات النساء متصلات بالنساء لأنهن أمهاتهن كما أن: الرئاب متصلات بأمهاتهن لأنهن بناتهن. هذا وقد اتفقوا على أن تحريم أمهات النساء مبهم دون تحريم الرئاب، على ما عليه ظاهر كلام الله تعالى (٢٦٦) وقد روي عن النبي صلى الله عليه وسلم في رجل تزوج امرأة ثم طلقها قبل أن يدخل بها أنه قال: "لا بأس أن يتزوج ابنتها، ولا يحل له أن يتزوج أمها"، وعن عمر وعمران بن الحصين رضي الله عنهما: أن الأم تحرم بنفس العقد، وعن مسروق: هي مرسله فأرسلوا ما أرسل الله. وعن ابن عباس: أبهموا ما أبهم الله، إلا ما روي عن علي وابن عباس وزيد وابن عمر وابن الزبير: أنهم قرءوا: "وأمهات نسائكم اللاتي دخلتم بهن". وكان ابن عباس يقول: والله ما نزل إلا هكذا. وعن جابر روايتان.

(٤٣/٣)

وعن سعيد بن المسيب عن زيد: إذا ماتت عنده فأخذ ميراثها، كره أن يخلف على أمها. وإذا طلقها قبل أن يدخل بها فإن شاء فعل: أقام الموت مقام الدخول في ذلك، كما قام مقامه في باب المهر. وسمي ولد المرأة من غير زوجها ربيبا وربيبة، لأنه يربهما كما

يرب ولده في غالب الأمر، ثم اتسع فيه فسميا بذلك وإن لم يربهما. فإن قلت: ما فائدة قوله في حجورك؟ قلت: فائدته التعليل للتحريم، وأنهن لا احتضانكم لهن أو لكونهن بصد احتضانكم، وفي حكم التقلب في حجورك إذا دخلتم بأمهاتهن، وتمكن بدخولكم حكم الزواج

وثبتت الخلطة والألفة، وجعل الله بينكم المودة والرحمة، وكانت الحال خليفة بأن تجروا أولادهم مجرى أولادكم، كأنكم في العقد على بناتهن عاقدون على بناتكم. وعن علي

رضي الله عنه: أنه شرط ذلك في التحريم. وبه أخذ داود. فإن قلت: ما معنى { دخلتم بهن } ؟ قلت: هي كناية عن الجماع، كقولهم: بنى عليها وضرب عليها الحجاب يعني أدخلتموهن الستر. والباء للتعدية واللمس. ونحوه؛ يقوم مقام الدخول عند أبي حنيفة. وعن عمر رضي الله عنه أنه خلا بجارية فجردها، فاستوهبها ابن له فقال: إنها لا تحل لك. وعن مسروق أنه أمر أن تباع جاريته بعد موته وقال: أما إني لم أصب منها إلا ما يحرمها على ولدي من اللمس والنظر. وعن الحسن في الرجل يملك الأمة فيغمزها لشهوة أو يقبلها أو يكشفها: أنها لا تحل لولده بحال وعن عطاء وحمام بن أبي سليمان: إذا دخل بالأم فعرها ولمسها بيده وأغلق الباب وأرخى الستر، فلا يحل له نكاح ابنتها. وعن ابن عباس وطاوس وعمرو بن دينار: أن التحريم لا يقع إلا بالجماع وحده { الذين من أصلا بكم } دون من تبنيتم. (٢٦٧) وقد تزوج رسول الله صلى الله عليه وسلم زينب بنت جحش الأسدية بنت عمته أمة بنت عبد المطلب حين فارقتها زيد بن حارثة، وقال عز وجل: { لكيلا يكون على المؤمنين حرج في أزواج أدعيائهم } (الأحزاب: ٣٧). { (٤٤/٣)

وأن تجمعوا { في موضع الرفع عطف على المحرمات، أي وحرم عليكم الجمع بين الأختين. والمراد حرمة النكاح، لأن التحريم في الآية تحريم النكاح وأما الجمع بينهما في ملك اليمين، فعن عثمان وعلي رضي الله عنهما أنهما قالوا: أحلتها آية وحرمتها آية يعينان هذه الآية وقوله: { أو ما ملكت أيمانكم } (النساء: ٣) فرجح علي التحريم، وعثمان التحليل. { إلا ما قد سلف } ولكن ما مضى مغفور بدليل قوله: { إن الله كان غفورا رحيمًا } .

* J9\$#urكs| sY"àM من النساء إلا ما ملكت أيمانكم كتاب الله عليكم وأحل لكم ما وراء

sCE"٩دNà6 أن تبتغوا ن٩د٣'uqBr"خ/ محصنين غير مسافحين فما استمتعتم به

منهن فآتوهن

أجورهن زفحج sù ولا yy\$Yم_ عليكم فيما OçF ÷ | ت"ج s؟ به من بعد
دو زفحج x\$٩# إن

الله كان J, \$, Jتد=م VJ\$ (24٣) xm ومن لم يستطع منكم طولا أن ينكح
J9\$#ك | sY"Mد

J9\$#ك B÷s sY"Mد فمن ما ملكت أيما نكم من فتياتكم د J9\$#ك B÷s sY"Mد
والله أعلم بإيمانكم

بعضكم من بعض فانكحوهن بإذن £`خ g÷=dr & وآتوهن أجورهن بالمعروف
tèC | sY"BM غير

مسافحات ولا x`V د, Bم أخذان فإذا أحصن فإن آتين بفاحشة £`خ kز sù yè=n
نصف ما على

J9\$#ك | sY"Mد من العذاب y7د CE" s لمن خشي العنت منكم وأن (#r مزة ٩ s؟
ضج yz لكم

والله غفور رحيم ائخب
}

(٤٥/٣)

والمحصنات { القراءة بفتح الصاد. وعن طلحة بن مصرف أنه قرأ بكسر الصاد. وهن ذوات
الأزواج. لأنهن أحصن فزوجهن بالتزويج. فهن محصنات ومحصنات { إلا ما ملكت أيما نكم
}

يريد: ما ملكت أيما نهم من اللاتي سبين ولهن أزواج في دار الكفر فهن حلال لغزاة
المسلمين وإن كن محصنات. وفي معناه قول الفرزدق:
وذات حليل أنكحتها رماحنا ... حلال لمن يبني بها لم تطلق

}

(٤٦/٣)

كتاب الله عليكم { مصدر مؤكد، أي كتب الله ذلك عليكم كتابا وفرضه فرضا، وهو تحریم
ما حرم. فإن قلت: علام عطف قوله: { وأحل لكم } ؟ قلت: على الفعل المضمر الذي نصب

(كتاب الله) أي كتب الله عليكم تحريم ذلك، وأحل لكم ما وراء ذلكم. ويدل عليه قراءة اليماني: "كتب الله عليكم"، "وأحل لكم". وروى عن اليماني: كتب الله عليكم، على الجمع والرفع أي هذه فرائض الله عليكم. ومن قرأ: "وأحل لكم"، على البناء للمفعول، فقد عطفه على حرمت. { أن تبتغوا } مفعول له بمعنى بين لكم ما يحل مما يحرم، إرادة أن يكون ابتغاءكم { بأموالكم } التي جعل الله لكم قياما في حال كونكم { محصنين غير مسافحين } لئلا تضيعوا أموالكم وتفقدوا أنفسكم فيما لا يحل لكم فتخسروا دنياكم ودينكم، ولا مفسدة أعظم مما يجمع بين الخسرانين. والإحصان: العفة وتحصين النفس من الوقوع في الحرام، والأموال: المهور وما يخرج في المناكح. فإن قلت: أين مفعول

تبتغوا؟ قلت: يجوز أن يكون مقدرًا وهو النساء. والأجود أن لا يقدر، وكأنه قيل: أن تخرجوا أموالكم. ويجوز أن يكون (أن تبتغوا) بدلا من (وراء ذلك) والمسافح الزاني، من السفح وهو صب المني. وكان الفاجر يقول للفاجرة: سافحيني وماذيني من المذي { فما استمتعتم به منهن } فما استمتعتم به من المنكوحات من جماع أو خلوة صحيحة أو عقد عليهن { فآتوهن أجورهن } عليه، فأسقط الراجع إلى (ما) لأنه لا يلبس، كقوله: { إن ذلك من عزم الأمور } (لقمان: ١٧) بإسقاط منه. ويجوز أن تكون (ما) في معنى النساء، و(من) للتبويض أو البيان، ويرجع الضمير إليه على اللفظ في به، وعلى المعنى في { فآتوهن } وأجورهن مهورهن لأن المهر ثواب على البضع { فريضة } حال من الأجور بمعنى مفروضة أو وضعت موضع إيتاء لأن الإيتاء مفروض أو مصدر مؤكد. أي فرض ذلك فريضة { فيما تراضيتن به من بعد الفريضة } فيما تحط عنه من المهر، أو تهب له من كله أو يزيد لها على مقداره.

(٤٧/٣)

وقيل فيما تراضياه به من مقام أو فراق وقيل: نزلت في المتعة التي كانت ثلاثة أيام حين فتح الله مكة على رسوله عليه الصلاة والسلام ثم نسخت، كان الرجل ينكح المرأة وقتا معلوما ليلة أو ليلتين أو أسبوعا بثوب أو غير ذلك، ويقضي منها وطره ثم يسرحها. سميت متعة لاستمتاعه بها أو لتمتيعه لها بما يعطيها. وعن عمر: لا أوتي برجل تزوج امرأة إلى أجل إلا رجمتها بالحجارة. وعن النبي صلى الله عليه وسلم أنه أباحها، ثم أصبح يقول: (٢٦٨) "يا أيها الناس إني كنت أمرتكم بالاستمتاع من هذه النساء: ألا إن الله حرم ذلك إلى يوم القيامة"، وقيل: أباح مرتين وحرم مرتين. وعن ابن عباس هي محكمة يعني لم تنسخ، وكان يقرأ: "فما استمتعتم به منهن إلى أجل مسمى". ويروى أنه

رجع عن ذلك عند موته وقال: اللهم إني أتوب إليك من قولي بالمتعة، وقولي في الصرف (١).

الطول: الفضل، يقال: لفلان على فلان طول أي زيادة وفضل. وقد طاله طولاً فهو طائل.

قال:

لقد زادني حبا لنفسي (٢) أنني

(١) قوله وقولي في الصرف قيل أنه كان يفتي بجواز الصرف نسيئة، وقيل كان يفتي بجواز الربوا فيه إذا كان نقداً ويمنعه إذا كان نسيئة.

(٢) قوله: لقد زادني حبا لنفسي أنني بغيض إلى كل امرأ غير طائل... بغيض إلى كل امرئ غير طائل

وإنما زاده ذلك محبة لنفسه لاستدلاله بذلك على فضلها وكمالها، قال أبو الطيب: وإذا أتت مذمتي من ناقص فهي الشهادة لي بأني فاضل. وبعد البيت الأول:

وإني شقي باللثام ولا ترى شقيا بهم إلا كريم الشمائل
إذا ما رأيني قطع الطرق وبيني فعل العارف المتجاهل
(٤٨/٣)

ومنه قولهم: ما حلا منه بطائل، أي بشيء يعتد به مما له فضل وخطر. ومنه الطول في الجسم لأنه زيادة فيه، كما أن القصر قصور فيه ونقصان. والمعنى: ومن لم يستطع زيادة في المال وسعة يبلغ بها نكاح الحرة فلينكح أمه. قال ابن عباس: من ملك ثلاثمائة درهم فقد وجب عليه الحج وحرم عليه نكاح الإماء وهو الظاهر، وعليه مذهب الشافعي رحمه الله. وأما أبو حنيفة رحمه الله فيقول: الغني والفقير سواء في جواز نكاح الأمة، ويفسر الآية بأن من لم يملك فراش الحرة، على أن النكاح هو الوطء (١)، فله أن ينكح أمة. وفي رواية عن ابن عباس أنه قال: ومما وسع الله على هذه الأمة نكاح الأمة واليهودية والنصرانية وإن كان موسراً. وكذلك (٢) قوله: { من فتياكم المؤمنات } الظاهر أن لا يجوز نكاح الأمة الكتابية، وهو مذهب أهل الحجاز.

(١) قوله: على أن النكاح هو الوطء هو حال من الضمير في يفسر وسط الحال بين من وخبره وإنما فعل ذلك لأن تفسير { من لم يستطع منكم طولاً } الآية بعدم ملك مراش

الحرّة مبني على أن النكاح هو الوطئ ، قال أبو التّقا طولاً مفعول يستطع وقيل هو مفعول له وفيه القدرة أو الفضل والنكاح قوة وفضل وبأيهما إن يكون منصوباً بطولاً أي ومن لم

يستطع أن ينال نكاح المحصنات من قولك طلته أي بـلته ، ويجوز أن يقدر حذف الحرف أي ومن لم يستطع وصلة إلى نكاح المحصنات.

(٢) قوله : وكذلك أي وكما أن قوله { ومن لم يستطع منكم طولاً أن ينكح المحصنات } ظاهر فيما مر كذلك قوله ل { من فتياكم المؤمنات } ظاهر في أنه لا يجوز نكاح الأمة. (٤٩/٣)

وعند أهل العراق يجوز نكاحها، ونكاح الأمة المؤمنة أفضل، فحملوه على الفضل لا على الوجوب، واستشهدوا على أن الإيمان ليس بشرط بوصف الحرائر به (١)، مع علمنا أنه ليس بشرط فيهن على الاتفاق، ولكنه أفضل. فإن قلت: لم كان نكاح الأمة منحطاً عن نكاح الحرّة؟ قلت: لما فيه من اتباع الولد الأم في الرق، ولشبهت حق المولى فيها وفي استخدامها، ولأنها ممتحنة مبتدلة خراجة ولاجة وذلك كله نقصان راجع إلى النكاح ومهانة، والعزة من صفات المؤمنين. وقوله: { من فتياكم } أي من فتيات المسلمين، لا من فتيات غيركم وهم المخالفون في الدين. فإن قلت: فما معنى قوله: { والله أعلم بإيمانكم } ؟ قلت: معناه أن الله أعلم بتفاضل ما بينكم وبين أرفائكم في الإيمان ورجحانه ونقصانه فيهم وفيكم، وربما كان إيمان الأمة أرجح من إيمان الحرّة، والمرأة أفضل في الإيمان من الرجل وحق المؤمنين أن لا يعتبروا إلا فضل الإيمان لا فضل الأحساب والأنساب، وهذا تأنيس بنكاح الإماء وترك الاستكاف منه { بعضكم من بعض } أي

أنتم وأرفائكم متواصلون (٢) متناسون لا شراككم في الإيمان، لا يفضل حر عبداً إلا برجحان فيه { بإذن أهلهم } اشتراط لإذن المولي في نكاحهن.

(١) قوله بوصف الحرائر به أي بالإيمان في قوله يعني واستشهدوا لدعواهم بوصف الحرائر بالإيمان في قوله تعالى { أن ينكح المحصنات المؤمنات } فإن الوصف بالمؤمنات هنا ليس إلا لعلة الأفضلية اتفاقاً وكذا في قوله { من فتياكم المؤمنات } قياساً عليه ، وأجيب بأن الأصل في أمثال هذه الصفات اعتبار فائدة التعييد بالصفة وهو التخصيص إلا أن

يمنع مانع كما في المحصنات المؤمنات وهو قوله تعالى : { والمحصنات من المؤمنات والمحصنات من الذين أوتوا الكتاب من قبلكم } ولا مانع في الثاني فوجب الحمل على

التخصيص.

(٢) قوله : متواصلون يريد أن من في قوله من بعض للاتصال.

(٥٠/٣)

ويحتج به لقول أبي حنيفة أن لهن أن يباشرن العقد بأنفسهن(١)، لأنه اعتبر إذن الموالي لا عقدهم. { وآتوهن أجورهن بالمعروف } وأدوا إليهن مهورهن بغير مطل وضرار وإحواج إلى الاقتضاء واللز. فإن قلت: الموالي هم ملاك مهورهن لا هن، والواجب أدائها إليهن لا إليهن، فلم قيل: وآتوهن؟ قلت: لأنهن وما في أيديهن مال الموالي، فكان أدائها إليهن أداء إلى الموالي(٢). أو على أن أصله: فآتوا مواليهن، فحذف المضاف { محصنات } عفائف. والأخذان: الأخلاء في السر، كأنه قيل: غير مجاهرات بالسفاح ولا مسرات له { فإذا أحصن } بالتزويج.

(١) قوله : ويحتج به لقول (ح) أن لهن أن يباشرن العقد بأنفسهن. قال صاحب التقريب: وفيه نظر لأن العاقد إذن في الاستحلال فلعله المراد ، وقال القاضي واعتبار أنهم له بذلك ، وقال صاحب الانتصاف: فيحمل على الإذن للوكيل في العقد على أمته فلا يلزم مباشرتها العقد. فأقول: لا نظر لأن الإذن أعم من أن يكون عاقدا أو غير عاقد ولا دلالة للعام على الخاص ولأن الأذن لا يستعمل فيما يباشره الإنسان بنفسه بل إنما يستعمل فيما يفعله الغير إذا رضي به ، ولأن الكلام في العقد لا في الاستحلال التصديق .

(٢) قوله : فكان أدائها إليهن أدائها إلى الموالي، قال صاحب التقريب: وفيه نظر وجه النظر وإن لم يذكره المنع أي لا نسلم أن الأداء إليهن أداء إلى الموالي ، ولهذا لا تحصل البراءة بالأداء إليهن ، ويقول مراده أن الأداء إليهن أداء إلى الموالي إذا أدنوا وإنما لم يذكر الأذن هنا اكتفاء بذكره في النكاح فكأنه قيل فانكحوهن بإذن

أهلهن وآتوهن أجورهن بإذنهم، وقال الطيبي: الفائدة في الأمر بالأداء إليهن الدلالة على وكادة إيجاب مهور النساء لا سيما الحرائر لأنها أجور لابضاعهن والسيد إنما يأخذ من جهة ملك اليمين لأنهن وما في أيديهن ملك للموالي لا من جهة أجور ابضاعهن صيانة من الوهمية.

(٥١/٣)

وقرىء: "أحسن" { نصف ما على المحصنات { أي الحرائر { من العذاب { من الحد كقوله:

وليشهد عذابهما { (النور: ٢) { ويدرء عنها العذاب { (النور: ٨٠) ولا رجم عليهن، لأن
الرجم لا يتنصف { ذلك { إشارة إلى نكاح الإمام { لمن خشي العنت { لمن خاف الإثم
الذي يؤدي إليه غلبة الشهوة. وأصل العنت: انكسار العظم بعد الجبر، فاستعير لكل مشقة
وضرر، ولا ضرر أعظم من مواجهة المآثم. وقيل: أريد به الحد، لأنه إذا هويها خشي أن
يواقعها فيحد فيتزوجها (١) { وأن تصبروا { في محل الرفع على الابتداء، أي وصبركم عن
نكاح الإمام متعففين { خير لكم { وعن النبي صلى الله عليه وسلم: (٢٦٩) "الحرائر
صلاح البيت، والإماء هلاك البيت".

ك%٠٠fحچم f الله ليبين لكم ويهديكم ك%٠٠f z` sY ك%٠٠f z` f TM # \$ ٩ © من %s٦=دNà6
ويتوب عليكم والله
يOتد=تو ز Oتإ26٣xm) والله ك%٠٠fحچم f أن يتوب عليكم ك%٠٠fحچم fur
الذين يتبعون
دN`uqpkO9\$# أن تميلوا ميلا عظيما (٢٧) ك%٠٠fحچم f الله أن يخفف عنكم
ت،د=ن zur الإنسان
ضعيفا اثرب
}

(١) قوله فيتزوجها جواب لشرط محذوف أي إذا كان كذلك فهو يتزوجها فيترتب على حشي

قوله الحرائر صلاح البيت قال:

ومن لم يكن في بيته قهرمانه ... فذلك بيت لا أبا لك ضائع.

والقهرمانه المهيرة.

(٥٢/٣)

يريد الله ليبين لكم { أصله يريد الله أن يبين لكم فزیدت اللام مؤكدة (١) لإرادة
التبيين كما زیدت في: لا أبالك، لتأكيد إضافة الأب. والمعنى: يريد الله أن يبين لكم
ما هو خفي عنكم من مصالحكم وأفاضل أعمالكم، وأن يهديكم مناهج من كان قبلكم من

الأنبياء والصالحين والطرق التي سلكوها في دينهم لتقتدوا بهم { ويتوب عليكم }
ويرشدكم إلى طاعات (٢)

(١) قوله فزیدت اللام مؤكدة قال صاحب الفراید: لا یبعد أن یكون مفعول تريد محذوفا
للعلم به كأنه قيل يريد إيراد هذه الأحكام ليبين لكم وكذا في قوله تعالى : { يريدون
ليطفئوا نور الله } أي يريدون كيدهم وعنادهم ليطفئوا ، وقال هذا الوجه أقرب إلى
التحقيق لأنه مبدع فلا بد له من مفعول به. وأقول: إذا اقتضى المقام التأكيد بزيادة
اللام فلا مانع منه ، فأما قوله لأنه متعد فلا بد من مفعول به فنحن نقول المفعول به
أن يبين لكم ولكن اللام زیدت للتأكيد وزيادتها لذلك لا يمنع من كون ما بعدها مفعولا
به هنا مثل الأم في

(٢) قوله :ويرشدكم إلى طاعات إشارة إلى أن قوله : { ويتوب عليكم } من وضع المسبب
موضع السبب ، وقوله بعد في تفسير قوله : { والله يريد أن يتوب عليكم } أن تفعلوا ما
تستوجبون به أن يتوب عليكم إشارة إلى ذلك أيضا لكنه خالف بين معنى التوبة أولا
وثانيا لئلا يلزم التكرار وإنما لم يحمل التوبة على ظاهرها لأن الخطاب في لكم وما
بعده للرسول وأصحابه ، وإرادته للتوبة عليهم حقيقة إنما يكون بعد توبتهم وتوبتهم
إنما تكون بعد صدور المعصية عنهم ولم تصدر عنهم إذ ذاك معاصي حتى يتوبوا عنها ويتاب
عليهم ولهذا قال كانت كفارات للسيئاتكم وأراد بالسيئات الصغائر ..
(٥٣/٣)

إن قمتم بها كانت كفارات لسيئاتكم فيتوب عليكم ويكفر لكم { والله يريد أن يتوب عليكم
{ أن تفعلوا ما تستوجبون به أن يتوب عليكم } ويريد { الفجرة } الذين يتبعون الشهوات
أن تميلوا ميلا عظيما { وهو الميل عن القصد والحق، ولا ميل أعظم منه بمساعدتهم
وموافقتهم (١) على اتباع الشهوات. وقيل: هم اليهود. وقيل: المجوس: كانوا يحلون نكاح
الأخوات من الأب وبنات الأخ وبنات الأخت، فلما حرمهن الله قالوا: فإنكم تحلون بنت
الخالة والعمة، والخالة والعمة عليكم حرام، فانكحوا بنات الأخ والأخت، فنزلت، يقول
تعالى يريدون أن تكونوا زناة مثلهم { يريد الله أن يخفف عنكم } إحلال نكاح الأمة
وغيره من الرخص { } وخلق الإنسان ضعيفا { لا يصبر عن الشهوات وعلى مشاق الطاعات.
وعن سعيد بن المسيب: ما أيسر الشيطان (٢)

(١) قوله: بمساعدتهم وموافقتهم يتعلق بقوله وهو الميل، وقوله ولا ميل أعظم منه اعتراض.

(٢) قوله : ما أيس الشيطان من بني آدم قط إلا أتاها من قبل النساء معناه ما حصل له اليأس من اغوائهم بحيلة من الحيل إلا أتاها بهذه الحيلة فهو استثناء مفرغ على التقديرين. قيل: وقد بنى المصنف ذلك على التغاير بين الكلامين نفياً وإيجاباً وقدر لكن فقوله تعالى : { لا تأكلوا أموالكم بينكم بالباطل } تقتضي إيجاب الأمر بعد لكن ولهذا قال ولكن اقصدوا كون تجارة عن تراض منكم أو قوله { إلا أن تكون تجارة عن تراض منكم } يدل بحسب المفهوم على أن عدم التراضي منهي عنه ومن ثم قدر ولكن كون تجارة عن

تراض منكم غير منهي عنه فكأنه قيل المنهي عنه هو أن يكون التصرف بالباطل وعدم الرضى لكن عبر المنهي هو أن يكون التصرف بالحق وحصول التراضي هذا حاصل المعنى على التقديرين لا بيان التقدير اللفظي ، وأقول أنه إنما قدر المعنى كذلك لأن المستثنى المنقطع يقتضي أن يكون الواقع بعد إلا كلاماً يقدره كلاماً قد حذف منه بعض أجزائه لدلالة الكلام السابق عليه..وأعلم أن ما بعد إلا عند سيبويه مفرد سواء كان الاستثناء متصلاً أو منقطعاً وهو منتصب بما قبل إلا من الكلام فالأول لم يكن حرف عطف إلا أنها كلكن العاطفة للمفرد على المفرد في وقوع المفرد بعدها فلهذا وجب فتح أن الواقعة بعدها كقولك زيد غني إلا أنه بخيل والمتأخرون إلا بمعنى لكن قالوا أنها الناصبة بنفسها لكن للإبهام وخبرها في الأغلب محذوف نحو قولك جاءني القوم إلا حماراً أي لكن حماراً لم يجيء ، قالوا :وقد يجيء خبرها ظاهراً نحو قوله تعالى : { إلا قوم يونس لما آمنوا كشفنا عنهم .. } الآية.

(٥٤/٣)

من بني آدم قط إلا أتاها من قبل النساء، فقد أتى علي ثمانون سنة وذهبت إحدى عيني وأنا أعشو بالأخرى. وإن أخوف ما أخاف علي فتنة النساء. وقرئ: "أن يميلوا" بالياء. والضمير للذين يتبعون الشهوات. وقرأ ابن عباس: "وخلق الإنسان" على البناء للفاعل ونصب الإنسان وعنه رضي الله عنه: ثمان آيات في سورة النساء هي خير لهذه الأمة مما طلعت عليه الشمس وغربت: { يريد الله ليعين لكم } ، { والله يريد أن يتوب عليكم } ، { يريد الله أن يخفف عنكم } ، { إن تجتنبوا كبائر ما تنهون عنه } (النساء: ٣١)، { إن الله لا يغفر أن يشرك به } (النساء: ٤٠)، { إن الله لا يظلم مثقال ذرة } (النساء:

(٤٨) و { من يعمل سوءا أو يظلم نفسه { (النساء: ١٤٧)، { ما يفعل الله بعذابكم { (النساء: ١٤٧).

يا أيها الذين آمنوا لا (Mà6sY÷ t &s9`uqBrۛûqè=à2ù's? N#) /بالباطل إلا أن تكون

چou, Bpg" عن >ع#u#s؟ منكم ولا (ûqè=çF)s#)؛ أنفسكم إن الله كان بكم رحيما (٢٩) ومن

يفعل 7y7`urô`%sCE \$ZR`مم وظلما فسوف دmتد=çR ناراً وكان

7y7`urô`sCE على الله #||زچا،"o

اجتب

}

(٥٥/٣)

بالباطل { بما لم تبحه الشريعة من نحو السرقة والخيانة والغصب والقمار وعقود الربا { إلا أن تكون تجارة { إلا أن تقع تجارة. وقرىء "تجارة" على: إلا أن تكون التجارة تجارة. { عن تراض منكم { والاستثناء منقطع. معناه: ولكن اقصدوا كون تجارة عن تراض منكم. أو ولكن كون تجارة عن تراض غير منهى عنه. وقوله: (عن تراض) صفة لتجارة، أي تجارة صادرة عن تراض. وخص التجارة بالذكر. لأن أسباب الرزق أكثرها متعلق بها. والتراضي رضا المتبايعين بما تعاقدوا عليه في حال البيع وقت الإيجاب والقبول، وهو مذهب أبي حنيفة رحمه الله تعالى. وعند الشافعي رحمه الله تفرقهما عن مجلس العقد

متراضيين. { ولا تقتلوا أنفسكم { من كان من جنسكم من المؤمنين. وعن الحسن: لا تقتلوا إخوانكم، أو لا يقتل الرجل نفسه كما يفعله بعض الجهلة.

(٢٧٠) وعن عمرو بن العاص: أنه تأوله في التيمم لخوف البرد فلم ينكر عليه رسول الله صلى الله تعالى عليه وعلى آله وسلم. وقرأ علي رضي الله عنه: "ولا تقتلوا" بالتشديد { إن الله كان بكم رحيما { ما نهاكم عما يضركم إلا لرحمته عليكم. وقيل: معناه أنه أمر بني إسرائيل بقتلهم أنفسهم ليكون توبة لهم وتمحيصا لخطاياهم، وكان بكم يا أمة محمد رحيما حيث لم يكلفكم تلك التكاليف الصعبة. { ذلك { إشارة إلى القتل، أي ومن يقدم على قتل الأنفس { عدوانا وظلما { لا خطأ ولا اقتصاصا. وقرىء: "عدوانا" بالكسر. و"نصليه" بتخفيف اللام وتشديد ها. و"نصليه" بفتح النون من صلاة يصليه. ومنه شاة مصلية، "ويصليه" بالياء والضمير لله تعالى، أو لذلك، لكونه سببا للصلي { ناراً { أي

نارا مخصوصة شديدة العذاب { وكان ذلك على الله يسيرا } لأن الحكمة تدعو إليه، ولا صارف عنه من ظلم أو نحوه.

إن تجتنبوا uجح! ٢Ut6\$ ما تنهون عنه نكفر عنكم سيئاتكم Nà6ù=1/2zô%oçRur

Wxyzô%-B

VJf\$حجx. اجتب

}

(٥٦/٣)

كبائر ما تنهون عنه { وقرىء: "كبير ما تنهون عنه"، أي ما كبر من المعاصي التي ينهاكم الله عنها والرسول { نكفر عنكم سيئاتكم } نمط ما تستحقونه من العقاب في كل وقت على صغائركم، ونجعلها كأن لم تكن، لزيادة الثواب المستحق على اجتنابكم الكبائر وصبركم عنها، على عقاب السيئات. والكبيرة والصغيرة إنما وصفنا بالكبر والصغر بإضافتهما إما إلى طاعة أو معصية (١) أو ثواب فاعلهما. والتكفير: إمطة المستحق من العقاب بثواب أزيد، أو بتوبة. والإحباط: تقيضه، وهو إمطة الثواب المستحق بعقاب أزيد أو بندم على الطاعة. وعن علي رضي الله عنه: الكبائر سبع: الشرك، والقتل، والقذف، والزنا، وأكل مال اليتيم، والفرار من الزحف، والتعرب بعد الهجرة. وزاد ابن عمر: السحر، واستحلال البيت الحرام.

(١) قوله : بإضافتها إما إلى طاعة أو معصية أو ثواب فاعلهما وذلك لأن الكبيرة والصغيرة من الأمور النسبية فلا بد من أمر ينسب إلى شيء وهو أحد هذه الأمور وذلك كما إذا قلنا أن الزنى كبيرة إما بالنسبة إلى الصلاة مثلا التي هي طاعة لبطلان ثوابها أو بالنسبة إلى ثواب الزاني لأن عقاب الزاني أزيد من ثوابه على ما يفعله من الطاعات والفرق بين هذا وبين الأول أن الأول نظر فيه إلى الصلاة وإلى ثوابها فقط وهذا ينظر فيه إلى ثوابه على جميع الطاعات أو بالنسبة إلى مثلا أو كما إذا قلنا أن النظر صغيرة إما بالنظر إلى طاعة الناظر كالتوحيد مثلا أو بالنظر إلى ثواب الناظر وأنه أكثر من عقابه على النظر أو بالنظر إلى معصية الزاني والزحف الجيش الدهم الذي يرى لكثرة كانه يزحف سمي بالمصدر والتعرب بعد الهجرة العود إلى البداية والإقامة مع الأعراب بعدها وكان من رجع بعد الهجرة إلى موضعه من البداية من غير عذر يعد مرتدا وعلى هذا فالتعرب عبارة عن الإرتداد واستحلال البيت الحرام عبارة عن استحلال

حرماته.

(٥٧/٣)

وعن ابن عباس: أن رجلا قال له: الكبائر سبع؟ فقال: هي إلى سبعمائة أقرب، لأنه لا صغيرة مع الإصرار، ولا كبيرة مع الاستغفار. وروى إلى سبعين. وقرئ: "يكفر"، بالياء. و"مدخلا" بضم الميم وفتحها، بمعنى المكان والمصدر فيهما.

ولا تتمنوا ما فضل الله به بعضكم على بعض ةA%yح`hج=د9j نصيب مما اكتسبوا وللنساء

نصيب مما اكتسبن واسألوا الله من ٤٣/د&ح#ôزsù إن الله كان بكل شيء ءVJ\$ث=دtم اجنب

}

(٥٨/٣)

ولا تتمنوا { نهوا عن التحاسد وعن تمنى ما فضل الله به بعض الناس على بعض من الجاه والمال، لأن ذلك التفضيل قسمة من الله صادرة عن حكمة وتدبير وعلم بأحوال العباد، وبما يصلح المقسوم له من بسط في الرزق أو قبض { ولو بسط الله الرزق لعباده لبغوا في

الأرض { فعلى كل أحد أن يرضى(١) بما قسم له علما بأن ما قسم له هو مصلحته، ولو كان خلافه(٢) لكان مفسدة له، ولا يحسد أخاه على حظه { للرجال نصيب مما اكتسبوا { جعل ما

قسم لكل من الرجال والنساء على حسب ما عرف الله من حاله الموجبة للبسط أو القبض كسبا له { واسألوا الله من فضله { ولا تتمنوا أنصباء غيركم من الفضل، ولكن سلوا الله من خزائنه التي لا تنفد. وقيل: كان الرجال قالوا: إن الله فضلنا على النساء في الدنيا: لنا سهمان ولهن سهم واحد، فنرجو أن يكون لنا أجران في الآخرة على الأعمال ولهن أجر واحد، فقالت أم سلمة ونسوة معها: ليت الله كتب علينا الجهاد كما كتبه على الرجال فيكون لنا من الأجر مثل ما لهم. فنزلت.

٥@à6e_z=yèy_ù\$S'urح">Bqtu مما ٥uچs؟

بt#b\$!#`9uq\$u/çqç%ur\$#F{والذين

عقدت أيمانكم فآتوهم نصيبهم إن الله كان على كل شيء شهيدا (٣٣)

}

(١) قوله: فعلى كل أحد أن يرضى بما قسم له علما علما يجوز أن يكون حالا من ضمير يرضى وأن يكون مفعولا له أي علما أو للعلم ويجوز أن يتعلق بما دل عليه القسم لأنه يدل على أن ثم قاسما فيكون حالا أو مفعولا له أيضا أي عليه أن يرضى بما قسم الله تعالى له حال كونه عالما بالمصلحة أو لعلمه بها ، والأول أظهر.

(٢) قوله : ولو كان خلافه عطف على قوله هو مصلحته.

(٥٩/٣)

مما ترك { تبين لكل، أي: ولكل شيء (١) مما ترك { الوالدان والأقربون { من المال جعلنا موالى وراثا يلونه ويحزونه: أو ولكل قوم (٢) جعلناهم موالى، نصيب مما ترك الوالدان والأقربون على أن { جعلنا موالى { صفة لكل، والضمير الراجع إلى كل محذوف، والكلام مبتدأ وخبر، كما تقول: لكل من خلقه الله إنسانا من رزق الله، أي حظ من رزق الله، أو: ولكل أحد جعلنا موالى (٣) مما ترك، أي وراثا مما ترك، على أن (من) صلة موالى، لأنهم في معنى الوراث، وفي (ترك) ضمير كل، ثم فسر الموالى بقوله: { الوالدان والأقربون { كأنه قيل: منهم هم؟ فقول: الوالدان والأقربون { والذين عقدت أيمانكم { مبتدأ ضمن معنى الشرط.

(١) قوله : أي ولكل شيء ان أدان ما أضيف إليه كل محذوف وهو شيء والمفعول الأول لجعلنا هو موالى والثاني لكل { ومما ترك { متعلق بمحذوف هو صفة لكل المعنى وجعلنا لكل ما يتركه الوالدان والأقربون وراثا يحوزونه. قال السحاويدي: وفيه ضعف الفصل بين الموصوف والصفة إذ يصير بمنزلة من يقول لكل رجل جعلت درهما فقير.

(٢) قوله : ولكل قوم على هذا لكل قوم خبر والمبتدأ متعلق مما ترك وهو نصب المقدر أي لكل من جعلناه وراثا نصيب من التركة.

(٣) قوله: أو لكل أحد جعلنا موالى على هذا لكل أحد مفعول جعلنا وموالى بمعنى الوالدات ومما ترك صلته المعنى وجعلنا لكل موروث وراثا حائز التركة ثم كأنه قيل من الوارث فقيل الوالدان والأقربون ، قال القاضي: وفيه خروج الأولاد فإن الأقربين لا يتناولهم كما لم يتناول الوالدين وحاصل الوجوه أن كل إما أن يراد به المال أو الشخص فإن أريد به المال فهو الوجه الأول وإن أريد به الشخص فإما أن يراد به الوارث فهو الثاني أو الميت فهو الثالث.

فوقع خبره مع الفاء وهو قوله: { فآتوهم نصيبهم } ويجوز أن يكون منصوبا على قولك: زيدا فاضربه، ويجوز أن يعطف على الوالدان، ويكون المضمرة في (فآتوهم) للموالي (١)، والمراد بالذين عاقدت أيمانكم: موالي الموالاة كان الرجل يعاقد الرجل فيقول: دمي دمك، وهدمي هدمك، وثأري ثأرك، وحربي حربك، وسلمي سلمك، وترثني وأرثك. وتطلب بي وأطلب بك، وتعقل عني وأعقل عنك، فيكون للحليف السدس من ميراث الحليف، فنسخ.

وعن

النبي صلى الله عليه وسلم أنه خطب يوم الفتح فقال: (٢٧١) "ما كان من حلف في الجاهلية فتمسكوا به، فإنه لم يزد الإسلام إلا شدة، ولا تحدثوا حلفا في الإسلام" وعند أبي حنيفة: لو أسلم رجل على يد رجل وتعاقدا على أن يتعاقلا ويتوارثا صح عنده وورث بحق

الموالاة خلافا للشافعي. وقيل: المعاقدة النبي. ومعنى عاقدت أيمانكم: عاقدتهم أيديكم وما سحتموهم. وقرئ "عقدت" بالتشديد والتخفيف بمعنى عقدت عهودهم أيمانكم. م%A%yح`hچ\$#٩قB`qsacq% على النساء بما فضل الله بعضهم على بعض وبما أنفقوا من

خNدgد٩Br`àM &uqys"=ء\$٩\$سù قانتات M×ا`دسxm للغيب بما xلدM الله واللاتي

تخافون نشوزهن فعظوهن واهجروهن في المضاجع واضربوهن فإن أطعنكم فلا تبغوا

ل`خkزtnم

سيلا إن الله كان w\$طد=tm# [زخج٦٦٢ احجب

}

(١) قوله : ويكون المضمرة في فآتوهم للموالي فيدخل فيه الذين عاقدت وعلى الوجهين الأولين كان الضمير مختصا بالذين عاقدت قيل وعلى هذا الوجه الفاء جزاء شرط مقدر أي إذا كان كذلك فآتوهم نصيبهم ، ومعنى هدمي هدمك ما أهدمه وأهدره فهو مهدوم مهدور لك والجمالة بالفتح الدية التي يحملها الرجل ويغرمها ، والقسامة بالفتح اليمين والعقل الدية .

قوامون على النساء { يقومون عليهن آمرين ناهين، كما يقوم الولاة على الرعايا. وسموا قوما لذلك. والضمير في { بعضهم } للرجال والنساء جميعا، يعني إنما كانوا مسيطرين عليهن بسبب تفضيل الله بعضهم وهم الرجال، على بعض وهم النساء. وفيه دليل على أن الولاية إنما تستحق بالفضل، لا بالتغلب والاستطالة والقهر. وقد ذكروا في فضل الرجال: العقل، والحزم، والعزم، والقوة، والكتابة - في الغالب، والفروسية، والرمي، وأن منهم الأنبياء والعلماء، وفيهم الإمامة الكبرى والصغرى، والجهاد، والأذان، والخطبة، والاعتكاف، وتكبيرات التشريق عند أبي حنيفة، والشهادة في الحدود، والقصاص، وزيادة السهم، والتعصيب في الميراث، والحماية، والقسامة، والولاية في النكاح والطلاق والرجعة، وعدد الأزواج، واليهم الانتساب، وهم أصحاب اللحي والعمائم { وبما أنفقوا } وبسبب ما أخرجوا في نكاحهن من أموالهم في المهور والنفقات. وروى:

)

(٢٧٢) أن سعد بن الربيع وكان نقيبا من نقباء الأنصار نشزت عليه امرأته حبيرة بنت زيد بن أبي زهير. فلطمها. فانطلق بها أبوها إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال: أفرشته كريمتي فلطمها فقال: { لتقتص منه } فنزلت، فقال صلى الله عليه وسلم: أردنا أمرا وأراد الله أمرا، والذي أراد الله خيرا، ورفع القصاص. واختلف في ذلك، فقيل لا قصاص بين الرجل وامرأته فيما دون النفس ولو شجها، ولكن يجب العقل. وقيل: لا قصاص إلا في الجرح والقتل. وأما اللطمة ونحوها فلا { قانتات } مطيعات قائمات بما عليهن للأزواج { حافظات للغيب } الغيب خلاف الشهادة. أي حافظات لمواجب الغيب (١) إذا كان الأزواج غير شاهدين لهن حفظهن ما يجب عليهن حفظه في حال الغيبة. من الفروج والبيوت والأموال.

(١) قوله: لمواجب الغيب قيل المواجب جمع الموجب والمراد بموجب الغيب ما يوجبه الغيب

ما تجب المحافظة عليه في حال غيبة الزوج.

(٦٢/٣)

وعن النبي صلى الله عليه وسلم: (٢٧٣) "خير النساء امرأة إن نظرت إليها سرتك، وإن أمرتها أطاعتك وإذا غبت عنها حفظتك في مالها ونفسها" (١)، وتلا الآية وقيل: (لـلغيب) لأسرارهم { بما حفظ الله } بما حفظهن الله حين أوصى بهن الأزواج في كتابه وأمر

رسوله عليه الصلاة والسلام فقال: (٢٧٤) "استوصوا بالنساء خيرا" أو بما حفظهن الله وعصمهن ووقفهن لحفظ الغيب، أو بما حفظهن حين وعدهن الثواب (٢) العظيم على حفظ الغيب،

وأوعدهن بالعذاب الشديد على الخيانة. و(ما) مصدرية. وقرئ "بما حفظ الله" بالنصب على أن ما موصولة، أي حافظات للغيب بالأمر الذي يحفظ حق الله وأمانة الله، وهو التعفف والتحصن والشفقة على الرجال والنصيحة لهم. وقرأ ابن مسعود: "فالصالح قوائم حواظ للغيب بما حفظ الله فأصلحو إلهن". نشوزها ونشوصها: أن تعصي زوجها، ولا تطمئن إليه وأصله الانزعاج { في المضاجع } في المراقدة.

)

(١) قوله في مالها أضاف المال إليها وإن كان لملاستها له بالتصرف فيه ونحوه { ولا تؤتوا السفهاء أموالكم } والمراد أموالهم فاضافها إلى الأولياء لتصرفهم فيها وملاستهم لها.

(٢) قوله: أو بما حفظهن حين وعدهن الثواب قيل أنه فسر الحفظ بوجوه ثلاثة أحدها أنه مجاز من باب إطلاق اسم المسبب على السبب لأن الظاهر أن يقال حافظات للغيب بسبب أن

الله وصى الأزواج بحفظهن. وثانيها : أنه حقيقة أي حافظات للغيب بسبب أن الله حفظهن من أن يقعن في الريب وعصمهن ، وقوله وعصمهن عطف تفسيري. وثالثها: أنه من باب الكناية أي أنهن حافظات للغيب بسبب أن الله وعدهن الثواب عليه ولذلك سعين في حفظ الغيب كأنه قيل احفظن الغيب حتى لا يضيع أجركن لما يلزم من عدم ضياع الأجر بقاؤه، ومعنى فأصلحو إلهن فأحسنوا إلهن. والهजार جبل يشد به البعير إلى رجله مخالف السكال. والمشجب بكسر الميم وفتح الجيم عيدان يضم رؤوسها ويفرج بين قوامها يوضع عليها الثياب.

(٦٣/٣)

أي لا تدخلوهن تحت اللحد أو هي كناية عن الجماع. وقيل: هو أن يوليها ظهره في المضجع وقيل: في المضاجع: في بيوتهن التي يبتن فيها. أي لا تبايتوهن. وقرئ: "في المضجع"، و"في المضطجع". وذلك لتعرف أحوالهن وتحقق أمرهن في النشوز أمر بوعظهن أولاً، ثم هجرانهن في المضاجع، ثم بالضرب إن لم ينجع فيهن الوعظ والهجران. وقيل: معناه

أكرهوهن على الجماع واربطوهن، من هجر البعير إذا شده بالهجار. وهذا من تفسير الثقلاء. وقالوا: يجب أن يكون ضربا غير مبرح لا يجرحها ولا يكسر لها عظما ويجتنب الوجه. وعن النبي صلى الله عليه وسلم: (٢٧٥) "علق سوطك حيث يراه أهلك" وعن أسماء بنت أبي بكر الصديق رضي الله عنهما: كنت رابعة أربع نسوة عند الزبير بن العوام، فإذا غضب على إحداها ضربها بعود المشجب حتى يكسره عليها. ويروى عن الزبير أبيات منها:

ولولا بنوها (١) حولها لخطبتها

}

فلا تبغوا عليهن سبيلا { فأزيلوا عنهن التعرض بالأذى والتوبيخ والتجني، وتوبوا عليهن واجعلوا ما كان منهن كأن لم يكن بعد رجوعهن إلى الطاعة والانقياد وترك النشوز { إن الله كان عليا كبيرا { فاحذروه واعلموا أن قدرته عليكم أعظم من قدرتكم على من تحت أيديكم. ويروى: (٢٧٦) أن أبا مسعود الأنصاري رفع سوطه ليضرب غلاما له، فبصر به رسول الله ، فصاح به: "أبا مسعود، لله أقدر عليك منك عليه" فرمى بالسوط وأعتق الغلام. أو إن الله كان عليا كبيرا وإنكم تعصونه على علو شأنه وكبرياء سلطانه، ثم تتوبون فيتوب عليكم فأنتم أحق بالعفو عمن يجني عليكم إذا رجع.

(١) قوله :

ولولا بنوها حولها لخطبتها ... بهامة كخبط فروح ولم أتلعثم
خبط الشجر ضربه بالعصا لاستقاط ورقه، والتلعثم التآني والمقنع الرضا الذي يقنع بقوله ويرضى به ويقضا به.

(٦٤/٣)

وإن $\frac{1}{2}z$ شقاق $uK\$$ خكب $\div t$ فابعثوا $VJs3xm\$$ من

$\frac{3}{4}d\div\#ح VJs3xmur\$ \&dr\div=dyg\$$ من

إن $y\%of\#$ حچم f إصلاحا يوفق الله بينهما إن الله كان $J\div t=$ # [زخج yzv اجخب

{ شقاق بينهما { أصله: شقاقا بينهما، فأضيف الشقاق إلى الطرف على طريق الإلتصاف،

كقوله: { بل مكر الليل والنهار { وأصله: بل مكر في الليل والنهار. أو على أن جعل

البين مشاقا والليل والنهار ماكرين، على قولهم: نهارك صائم. والضمير للزوجين. ولم

يجر ذكرهما لجري ذكر ما يدل عليهما، وهو الرجال والنساء { حكما من أهله { رجلا

مقنعا رضيا يصلح لحكومة العدل والإصلاح بينهما، وإنما كان بعث الحكمين من أهلهما، لأن الأقارب أعرف ببواطن الأحوال، وأطلب للصالح، وإنما تسكن إليهم نفوس الزوجين، ويرى إليهم ما في ضمائرهما من الحب والبغض وإرادة الصلح والفرقة، وموجبات ذلك ومقتضياته وما يزويانه عن الأجانب ولا يحبان أن يطلعوا عليه. فإن قلت: فهل يليان الجمع بينهما والتفريق إن رأيا ذلك؟ قلت: قد اختلف فيه، فقليل: ليس إليهما ذلك إلا

بإذن الزوجين. وقيل: ذلك إليهما، وما جعلنا حكمين إلا وإليهما بناء الأمر على ما يقتضيه اجتهداهما. وعن عبيدة السلماني (١): شهدت عليا رضي الله عنه وقد جاءته امرأة وزوجها ومع كل واحد منهما فئام من الناس، فأخرج هؤلاء حكما وهؤلاء حكما. فقال علي رضي الله عنه للحكمين: أتدريان ما عليكما؟ إن عليكما إن رأيتما أن تفرقا ففرقتما، وإن رأيتما أن تجمعما جمعتما. فقال الزوج: أما الفرقة فلا. فقال علي: كذب والله لا تبرح حتى ترضى بكتاب الله لك وعليك.

(١) قوله: وعن عبيدة السلماني فتح اللام في السلماني رواية الكتاب وفي جامع الأصول عبيدة بفتح العين وكسر الباء وسكون الياء والسلماني بفتح السين المهملة وسكون اللام، والفئام الجماعة الكثيرة ولا واحد له من لفظه وهو مهموز، ومعنى أحسنوا بهما أحسنوا إليهما. (٦٥/٣)

فقلت المرأة: رضيت بكتاب الله لي وعلي. وعن الحسن: يجمعان ولا يفرقان. وعن الشعبي: ما قضى الحكمان جاز. والألف في { إن يريد إصلاحا } للحكمين. وفي { يوفق الله بينهما } للزوجين أي إن قصدا إصلاح ذات البين وكانت نيتهم صحيحة وقلوبهم ناصحة لوجه الله، بورك في وساطتهما، وأوقع الله بطيب نفسهما وحسن سعيهما بين الزوجين الوفاق والألفة، وألقى في نفوسهما المودة والرحمة. وقيل: الضميران للحكمين، أي إن قصدا إصلاح ذات البين والنصيحة للزوجين يوفق الله بينهما، فيتفقان على الكلمة الواحدة، ويتساندان في طلب الوفاق حتى يحصل الغرض ويتم المراد. وقيل: الضميران للزوجين. أي: إن يريد إصلاح ما بينهما وطلبا الخير وأن يزول عنهما الشقاق يطرح الله بينهما الألفة، وأبدلهم بالشقاق وفاقا وبالبغضاء مودة. { إن الله كان عليما خبيرا } يعلم كيف يوفق بين المختلفين ويجمع بين المفترقين { لو أنفقت ما في الأرض جميعا ما ألفت بين قلوبهم ولكن الله ألف بينهم } (الأنفال: ٦٣).

لا يجتو بنا مجاورا أبدا ... ذو رحم أو مجاور جنب
أي لا يكن هنا مجاور ذو قرابة أو مجاور أجنبي.
)

(٢) قوله: المسافر المنقطع به يقال انقطع به فهو منقطع به ولا يستعمل إلا مجهولا
وذلك إذا عجز عن سفره لذهاب نفقته أو نفاق راحلته أو نحو ذلك.
(٦٧/٣)

الذين ييخلون { بدل من قوله: { من كان مختالا فخورا { (النساء: ٣٦) أو نصب على
الذم. ويجوز أن يكون رفعا عليه، وأن يكون مبتدأ خبره محذوف (١)، كأنه قيل: الذين
ييخلون ويفعلون ويصنعون، أحقاء بكل ملامة. وقرئ "بالبخل" بضم الباء وفتحها.
وبفتحتين. وبضميتين: أي ييخلون بذات أيديهم، وبما في أيدي غيرهم. فيأمرونهم بأن
ييخلوا به مقتا للسخاء ممن وجد. وفي أمثال العرب: أبخل من الضنين بنائل غيره. قال:
وإن امرءا ضنت يداه (٢) علما مرءا امرئ
بنيل يد من غيره لبخيل

(١) قوله: وإن يكون مبتدأ خبره محذوف الجملة على هذا الوجه منقطعة عما قبلها جيء
بها مستطردة لحكاية من يمنع إحسانه عن الوالدين والأقربين وعلى تقدير أن يكون خبر
مبتدأ محذوف يكون الجملة متصلة بقوله مخيالا فجوز..... بأنهم الذين لا يحبهم الله
وهو أبلغ من البدل لا يذانه بان البخل أخص اوصافهم وأنه هو الذي حملهم على التكبر عن
إكرام الأقارب والأصحاب وأنهم مغرقون مشهورون بالإحسان والفخر لما يقرر أن النصب أو
الرفع على المدح أو الذم يقتضي أن يكون الموصوف مشهورا معروفا والصفة صالحة لما قصد
بها والوجه الاتصال، لأن قوله: { إن الله لا يحب من كان مختالا فخورا { تذييل
لقوله: { واعبدوا الله ولا تشركوا به شيئا وبالوالدين إحسانا { في معنى المذيل
ليكمل النظم ويبلغ الغاية.

(٢) قوله: ... بنيل يد من غيره لبخيل
• @ وإن امرءا ضنت يداه علما مرءا امرئ

يداه عبارة عن جملته يقول إن امرأ بخل على امرأ بسبب نائل غيره لشديد البخل.
(٦٨/٣)

ولقد رأينا ممن بلي بداء البخل، من إذا طرق سمعه أن أحدا جاد على أحد. شخص به (١)
وحل حبوته، واضطرب، ودارت عيناه في رأسه، كأنما نهب رحله وكسرت خزانته، ضجرا من ذلك

وحسرة على وجوده. وقيل: هم اليهود، كانوا يأتون رجالا من الأنصار يتنصحنون لهم ويقولون: لا تنفقوا أموالكم فإننا نخشى عليكم الفقر ولا تدرن ما يكون. وقد عابهم الله بكتمان نعمة الله وما آتاهم من فضل الغنى والتفاقر إلى الناس. وعن النبي صلى الله عليه وسلم: (٢٧٧) "إذا أنعم الله على عبد نعمة أحب أن ترى نعمته على عبده" وبنى عامل للرشيد قصرا حذاء قصره، فتم به عنده. فقال الرجل: يا أمير المؤمنين إن الكريم يسره أن يرى أثر نعمته، فأحببت أن أسرك بالنظر إلى آثار نعمتك، فأعجبه كلامه. وقيل: نزلت في شأن اليهود الذين كتموا صفة رسول الله .
والذين ينفقون كNqBr9& رءاء الناس ولا يؤمنون بالله ولا باليوم حج½Fy\$z#
ومن

يكن الشيطان له YYf\$حج%s فساء YYf\$حج38 (s% وماذا Nخkz=tnم لو
آمنوا بالله واليوم
حج½Fy\$z# وأنفقوا مما رزقهم الله وكان الله بهم J,تد=tm اجزب
}

(١) قوله شخص يقال للرجل إذا ورد عليه أمرا اقلقه شخص به وذلك إذا فتح عينيه ولم يطرف ومعنى والمرزية النقص.
(٦٩/٣)

رءاء الناس { للفخار، وليقال: ما أسخاهم وما أجودهم! لا ابتغاء وجه الله. وقيل:
نزلت في مشركي مكة المنفقين أموالهم في عداوة رسول الله صلى الله عليه وسلم: { فساء
قرينا { حيث حملهم على البخل والرياء وكل شر. ويجوز أن يكون وعيدا لهم بأن الشيطان
يقربهم في النار { وماذا عليهم { وأي تبعة ووبال عليهم في الإيمان والإنفاق في
سبيل الله، والمراد الذم والتوبيخ. وإلا فكل منفعة ومفلة في ذلك. وهذا كما يقال
للمنتقم: ما ضرك لو عفوت. وللعاق: ما كان يرزؤك لو كنت بارا. وقد علم أنه لا مضرة
ولا مرزأة في العفو والبر. ولكنه ذم وتوبيخ وتجهيل بمكان المنفعة { وكان الله بهم

عليما { وعيد.

إن الله لا م $\text{atf}=\text{dN}$ مثقال ذرة وإن تك | xm,ZpuZ يضاعفها ويؤت من لدنه أجرا عظيمًا

)

٤٠) فكيف إذا جئنا من كل $\&\text{Op}^{\text{Bé}}$ بشهيد وجئنا بك على هؤلاء $\text{ky}\% \text{Y}\#$

(٤١) يومئذ يود

الذين كفروا وعصوا الرسول لو تسوى مNخkح الأرض ولا يكتُمون الله حديثا احثب (٧٠/٣)

الذرة النملة الصغيرة. وفي قراءة عبد الله: "مثقال نملة"، وعن ابن عباس: أنه أدخل يده في التراب فرفعه ثم نفخ فيه فقال: كل واحدة من هؤلاء ذرة. وقيل: كل جزء من أجزاء الهباء في الكوة ذرة. وفيه دليل على أنه لو نقص من الأجر أدنى شيء وأصغره، أو زاد في العقاب لكان ظلما، وأنه لا يفعله لاستحالة في الحكمة لا لاستحالته في القدرة { وإن تك حسنة { وإن يكن مثقال ذرة حسنة وإنما أنث ضمير المثقال (١) لكونه مضافا إلى مؤنث. وقرئ - بالرفع - على كان التامة { يضاعفها { يضاعف ثوابها لاستحقاقها عنده الثواب في كل وقت من الأوقات المستقبلية غير المتناهية. وعن أبي عثمان النهدي أنه قال لأبي هريرة: (٢٧٨) بلغني عنك أنك تقول سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: "إن الله تعالى يعطي عبده المؤمن بالحسنة ألف ألف حسنة" قال أبو هريرة: لا، بل سمعته يقول: إن الله تعالى يعطيه ألفي ألف حسنة ثم تلا هذه الآية. والمراد: الكثرة لا التحديد { ويؤت من لدنه أجرا عظيما { ويعط صاحبها من عنده (٢) على سبيل التفضل عطاء عظيما وسماه (أجرا) لأنه تابع للأجر لا يثبت إلا بثباته.

-
- (١) قوله : وإنما أنث ضمير المثقال أي في تلك لكونه مضافا إلى مؤنث ويمكن أن يكون تأنيثه لتأنيث الخبر ، وأصل بك يكون فسقطت الضمة للجزم والواو لبقاء الساكنين وهما الواو والنون وسقطت النون لكثرة الاستعمال تشبيها بحروف اللين لأنها ساكنة فحذفت استخفافا كما قالوا لا أدر ولم أبل والأصل لا أدري ولم أبال.
- (٢) قوله: ويعط صاحبها من عنده جعل من لدنه بمعنى من عنده ، قال الزجاج :لذن لا

يتمكن تمكن عند لأنك تقول هذا القول عندي صواب ولا تقول لدني صواب ويقول عندي مال

عظيم ولا يقول والمال غائب ولدن لما لا غير ، والتحقيق أن عند تقع على المكان وغيره بخلاف لدن فهي أخص من عند.
(٧١/٣)

وقرىء: "يضعفها" بالتشديد والتخفيف، من أضعف وضعف: وقرأ ابن هرمز: "نضاعفها" بالنون { فكيف { يصنع هؤلاء الكفرة من اليهود وغيرهم { إذا جئنا من كل أمة بشهيد { يشهد عليهم بما فعلوا وهو نبيهم، كقوله: { وكنت عليهم شهيدا ما دمت فيهم { (المائدة: ١١٧). { وجئنا بك على هؤلاء { المكذبين { شهيدا { وعن ابن مسعود: (٢٧٩) أنه قرأ سورة النساء على رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى بلغ قوله: { وجئنا بك على هؤلاء شهيدا { فبكى رسول الله (١) صلى الله عليه وسلم وقال: "حسبنا" { لو تسوى بهم الأرض { لو يدفنون فتسوى بهم الأرض كما تسوى بالموتى (٢). وقيل: يودون أنهم لم يبعثوا وأنهم كانوا والأرض سواء وقيل: تصير البهائم ترابا، فيودون حالها { ولا يكتمون الله حديثا { ولا يقدرُونَ على كتمانهِ لأن جوارحهم تشهد عليهم. وقيل الواو للحال (٣)،

(١) قوله : فبكى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال المصنف هذا بكاء فرح لا بكاء جزع.

(٢) قوله يسوى بالموتى قيل هذا بدل على أن الباقي يسوى بهم بمعنى على كقوله : { ومنهم من إن تأمنه بدینار { ويجوز أن يكون للسببية أي بسبب دفنهم وعلى القولين الآخرين بمعنى مع.

(٣) قوله: وقيل الواو للحال أي في : { ولا تكتمون { وهو على الأول منقطع عما قبله ، وقيل عطف على قوله : { لو تسوى بهم الأرض { قال صاحب المرشد الوقف على الأرض كاف

وليس بحسن لأن قوله : { ولا يكتمون الله حديثا { داخل في التمني لأن جوارحهم تنطق بما فعلوه من الشرك وسو الأفعال فيتمنون أن الأرض لو سويت بهم وأنهم لا يكتمون الله حديثا لأن قولهم : { والله ربنا ما كنا مشركين { كذب وكتمان فإذا شهدت عليهم جوارحهم ودوا أنهم لم يكذبوا ولم يكتموا الله حديثا فإن حمل على الاستئناف لأن ما

عملوا ظاهر عند الله لا يقدرّون على كتمانهم ولا يكون داخلا في التمني حسن
الوقف..وقوله ولا يكذبون عطف على : { ولا يكتُمون الله حديثا } ، قيل على سبيل
البيان والتفسير لأن المعنى بالكتمان هو جحدهم شركهم وذلك أدنى إلى الختم على
أفواههم وتكلم جوارحهم بتكذيبهم وافتضاحهم فحينئذ تمنوا أن يدفنوا في الأرض وأنهم
لم يتفوهوا بالكذب.
(٧٢/٣)

أي يودون أن يدفنوا تحت الأرض وأنهم لا يكتُمون الله حديثا. ولا يكذبون في قولهم:
والله ربنا ما كنا مشركين، لأنهم إذا قالوا ذلك وجحدوا شركهم، ختم الله على أفواههم
عند ذلك، وتكلمت أيديهم وأرجلهم بتكذيبهم والشهادة عليهم بالشرك فلشدة الأمر عليهم
يتمنون أن تسوى بهم الأرض: وقرئ: "تسوى"، بحذف التاء من تتسوى. يقال: سويته فتسوى
نحو: لو يته فتلوى. وتسوى يادغام التاء في السين، كقوله: يسمعون، وماضيه أسوى كأزكى.
يا أيها الذين آمنوا لا (ج#qç/u#s؟ الصلاة وأنتم "u"ج"3ك™ ٤س Lxm® تعلموا
ما تقولون

ولا جنبوا إلا "حجخ/t\$ سبيل ٤س Lxm® تغتسلوا وإن كنتم مرضى أو على سفر أو جاء
أحد

منكم من إفح !t9\$# أو لامستم النساء فلم تجدوا ماء فتيمموا صعيدا طيبا فامسحوا
بوجوهكم وأيديكم إن الله كان عفوا غفورا احجب
روي:

(٢٨٠) أن عبد الرحمان بن عوف صنع طعاما وشرابا فدعا نفرا من أصحاب رسول الله حين
كانت الخمر مباحة، فأكلوا وشربوا، فلما ثملوا وجاء وقت صلاة المغرب قدموا أحدهم
ليصلي بهم، فقرا: أعبد ما تعبدون، وأنتم عابدون ما أعبد، فنزلت، فكانوا لا يشربون
في أوقات الصلوات، فإذا صلوا العشاء شربوها فلا يصبحون إلا وقد ذهب عنهم السكر
وعلموا ما يقولون. ثم نزل تحريمها. ومعنى { لا تقربوا الصلاة } لا تغشوها ولا
تقوموا إليها واجتنبوها. كقوله: { ولا تقربوا الزنا } (الإسراء: ٣٢)، { لا تقربوا
الفواحش } ، وقيل معناه: ولا تقربوا مواضعها وهي المساجد، لقوله عليه الصلاة

والسلام: (٢٨١) "جنبوا مساجدكم صبيانكم ومجانينكم، وقيل: هو سكر النعاس وغلبة
النوم، كقوله:
(٧٣/٣)

ورأوا ... بسكر سناتهم كل (١) الربون

(١) قوله : كل والعين ما يتركب القلب والسنان جمع سنة وهي مقدمة النوم من المصراع الأول ووجد في ديوان الطرماع من قصيدة هكذا:
وركب قد نعت إلى ردا نا طلائح مثل اخلاف الحقوب
مخافة أن يرين القوم فيهم كل الربون .
(٧٤/٣)

وقرىء: "سكارى"، بفتح السين، "وسكرى"، على أن يكون جمعا، نحو: هلكى، وجوعى، لأن السكر علة (١) تلحق العقل. أو مفردا بمعنى: وأنتم جماعة سكرى، كقولك: امرأة سكرى، وسكرى بضم السين كحبلى. على أن تكون صفة للجماعة. وحكى جناح بن حبيش: كسلى وكسلى،
بالفتح والضم { ولا جنبا } عطف على قوله: { وأنتم سكارى } لأن محل الجملة مع الواو النصب على الحال، كأنه قيل: لا تقربوا الصلاة سكارى ولا جنبا. والجنب: يستوي فيه الواحد والجمع والمذكر والمؤنث، لأنه اسم جرى مجرى المصدر الذي هو الإجناب { إلا عابري سبيل } استثناء من عامة أحوال المخاطبين (٢). وانتصابه على الحال. فإن قلت (٣): كيف جمع بين هذه (٤) الحال والحال التي قبلها؟ قلت: كأنه قيل: لا تقربوا الصلاة في حال الجنابة، إلا ومعكم حال أخرى تعذرون فيها، وهي حال السفر. وعبر السبيل: عبارة عنه.

(١) قوله: لأن السكر علة إشارة إلى أن باب فعلى يأتي للعلل والأمراض.
(٢) قوله : من عامة أحوال المخاطبين أراد بهم الم..... ولهم أحوال جمعة ما عدى حال السفر فنهوا عن قربان الصلاة إلا في حال السفر يعني لا تقربوا الصلاة وأنتم جنب في حال من الأحوال إلا في حال السفر.
(٣) قوله: قلت: هو كما يقول الانتصاف ويحتمل أن يعود الهاء في منه على الحدث المذكور كما يقال تيممت من الجنابة ، وأقول هذا ترك للظاهر الصريح إلى غيره فلا

يحسن ولأن عود الضمير إلى الأقرب أولى على أن قوله فتيمموا مسبب عن كونهم محدثين لأنه جواب الشرط فلا يحتاج إلى تعليل آخر لئلا يلزم التكرار.

(٤) قوله : بين هذه يريد إلا عابري سبيل والحال التي قبلها يريد جنبا.

(٧٥/٣)

ويجوز أن لا يكون حالا (١) ولكن صفة، لقوله (جنبا) أي ولا تقربوا الصلاة جنبا غير عابري سبيل، أي جنبا مقيمين غير معذورين، فإن قلت: كيف تصح صلاتهم على الجنابة (٢) لعذر السفر؟ قلت: أريد بالجنب: الذين لم يغتسلوا كأنه قيل: لا تقربوا الصلاة غير مغتسلين. حتى تغتسلوا، إلا أن تكونوا مسافرين. وقال: من فسر الصلاة بالمسجد معناه: لا تقربوا المسجد جنبا إلا مجتازين فيه، إذا كان الطريق فيه إلى الماء (٣)، أو كان الماء فيه أو احتلتم فيه. وقيل: إن رجلا من الأنصار كانت أبوابهم في المسجد، فتصيبهم الجنابة ولا يجدون ممرا إلا في المسجد، فرخص لهم. وروي: (٢٨٢) أن رسول الله صلى الله عليه وسلم لم يأذن لأحد أن يجلس في المسجد أو يمر فيه وهو جنب إلا لعلي رضي الله عنه. لأن بيته كان في المسجد فإن قلت: أدخل في حكم الشرط أربعة: وهم المرضى، والمسافرون، والمحدثون، وأهل الجنابة فيمن تعلق الجزاء الذي هو الأمر بالتيمم عند عدم الماء منهم. قلت: الظاهر أنه تعلق بهم جميعا وأن المرضى إذا عدموا الماء لضعف حركتهم وعجزهم عن الوصول إليه فلهم أن يتيمموا. وكذلك السفر إذا عدموه. بعده. والمحدثون وأهل الجنابة كذلك إذا لم يجدوه لبعض الأسباب.

(١) قوله: ويجوز أن لا يكون حالا ولكن صفة وإلا على الصفة بمعنى غير، قيل والفرق بين أن تكون حالا وبين أن تكون صفة هو أنه على تقدير الحال يفيد الحصر وأنه لا يجوز قربان الصلاة في حال الجنابة إلا أن يكون المجتنب مسافرا وعلى تقدير الصفة لا يفيد ذلك.

(٢) قوله : كيف يصح صلاتهم على الجنابة لعذر السفر هذا السؤال وارد على مفهوم قوله

لا تقربوا الصلاة جنبا مقيمين غير معذورين لأن مفهوم الوصف دل على جواز قربان الصلاة للجنب المسافر لعذر السفر.

(٣) قوله : إذا كان الطريق فيه إلى الماء هذا مذهب (ح) رحمه الله وجوز الشافعي رحمه الله للجنب عبور المسجد مطلقا.

(٧٦/٣)

وقال الزجاج: الصعيد وجه الأرض، ترابا كان أو غيره. وإن كان صخر لا تراب عليه لو

ضرب المتيمم يده عليه ومسح. لكان ذلك ظهوره. وهو مذهب أبي حنيفة رحمة الله عليه. فإن قلت: فما يصنع بقوله تعالى في سورة المائدة: { فامسحوا بوجوهكم وأيديكم منه } (المائدة: ٦) أي بعضه، وهذا لا يتأتى في الصخر الذي لا تراب عليه؟ قلت: قالوا إن (من) لا ابتداء الغاية. فإن قلت: قولهم إنها لا ابتداء الغاية قول متعسف. ولا يفهم أحد من العرب من قول القائل: مسحت برأسه من الدهن ومن الماء ومن التراب، إلا معنى التبعيض. قلت: هو كما تقول. والإذعان للحق أحق من المراء { إن الله كان عفوا غفورا } كناية عن الترخيص والتيسير. لأن من كانت عادته أن يعفو عن الخطائين ويغفر لهم، أثر أن يكون ميسرا غير معسر.

(٧٧/٣)

فإن قلت: كيف نظم في سلك واحد (١) بين المرضى والمسافرين، وبين المحدثين والمجنبيين، والمرض والسفر سببان من أسباب الرخصة، والحدث سبب لوجوب الوضوء. والجنابة سبب لوجوب

الغسل؟ قلت: أراد سبحانه أن يرخص للذين وجب عليهم التطهر وهم عادمون الماء في التيمم بالتراب، فخص أول من بينهم مرضاهم وسفرهم، لأنهم المتقدمون في استحقاق بيان الرخصة لهم بكثرة المرض والسفر وغلبتهما على سائر الأسباب الموجبة للرخصة، ثم عم كل من وجب عليه التطهر وأعوزه الماء لخوف عدو أو سبب أو عدم آلة استقاء أو إرهاق في مكان لا ماء فيه وغير ذلك بما لا يكثر كثرة المرض والسفر.

(١) قوله: كيف نظم في مثلك واحد أي هذه المذكورات أسباب الأشياء المختلفة اثنان منها سببان لوجوب الوضوء والغسل واثنان آخران سببان للتخص فكيف جمعت بحرف النسق

والجهة الجامعة مفقودة وخلاصة الجواب: أن المسببات وإن اختلفت لكن قد جمعها حكم واحد وهو الرخصة في التيمم لأن الخطاب في قوله: { يا أيها الذين آمنوا } لجميع الأمة الذين وجب عليهم التطهر وأعوزهم الماء لأعذار جملة من المرض والسفر والخوف من العدو والسبب والحبس وعدم آلة الاستقاء وغير ذلك مما يدخل تحت هذا المعنى وأقدمها في ذلك وأغلبها وقوعا السفر والمرض فخصصهما بالذكر بقوله { وإن كنتم مرضى أو على سفر } ثم عطف عليهما قوله: { أو جاء أحد منكم من الغائط أو لا مستم النساء } على إرادة أنهما مشتملان على سائر ما يدخل تحت العذر على طريقة قوله: { ولقد آتيناك سبعا من المثاني والقرآن العظيم } فعلى هذا أو في قوله: { أو جاء أحد منكم من

من الذين هادوا s39\$#=#dzN †outحhتbqèù عن مواضعه ويقولون
 xœدسY÷è\$ وعصينا واسمع
 غير مسمع u'urدمuZ\$ ليا خNتkèJ، r٩'خ/ وطعنا في الدين ولو &k®XrھN
 قالوا
 xœدسY÷è\$ وأطعنا واسمع وانظرنا لكان # [زجyz لهم وأقوم ولكن لعنهم الله
 ÷L؟حجعن٣خ/
 فلا يؤمنون إلا Wxتدs=% احذب

{ من الذين هادوا } بيان للذين أوتوا نصيبا من الكتاب: لأنهم يهود (١) ونصارى.
 وقوله: { والله أعلم } ، { وكفى بالله } ، { وكفى بالله } جمل توسطت بين البيان
 والمبين على سبيل الاعتراض أو بيان لأعدائكم، وما بينهما اعتراض أو صلة لنصير، أي
 ينصركم من الذين هادوا، كقوله: { ونصرناه من القوم الذين كذبوا } (الأنبياء: ٧٧)
 ويجوز أن يكون كلاما مبتدأ، على أن { يحرفون } صفة مبتدأ محذوف تقديره: من الذين
 هادوا قوم يحرفون. كقوله:
 وما الدهر إلا تارتان (٢) فمنهما

(١) قوله : لأنهم يهود بتوين يهود وإن كان فيه علمية لأنه أريد به التكثير أي
 مسمون بيهود وفي نسخة بغير تنوين ، قال المصنف من الأسماء ما تعاقب عليه التعريفان
 التعريف بالعلمية وباللام كاليهود ويهود المحسوس ومحسوس فعلى هذا لا يعرف يهود هذا
 كله نقلته من بعض الحواشي، ومعنى لا يستنصحوهم لا يقبلوا نصيحتهم.
)

(٢) قوله : ... أموت وأخرى أبتغي العيش أكدح
 وما الدهر إلا تارتان فمنهما أموت ... وأخرى أنعى العيش أكدح
 أي ليس الدهر إلا قسمين قسم يموت فيه الشخص وقسم يعيش فيه ولكن في تعب لأجل
 السعي
 والكسب يريد أنه لا راحة فيه ، والكدح العمل والسعي والكسب.
 (٨٠/٣)

أي فمنهما تارة أموت فيها { يحرفون الكلم عن مواضعه } يميلونه عنها ويزيلونه؛ لأنهم
 إذا بدلوه ووضعوها مكانه كلما غيره، فقد أمالوه عن مواضعه التي وضعها الله فيها،

وأزالوه عنها، وذلك نحو تحريفهم (أسمر ربعة) عن موضعه في التوراة بوضعهم (آدم طوال) مكانه، ونحو تحريفهم (الرجم) بوضعهم (الحد) بدله: فإن قلت: كيف قيل هاهنا (عن مواضعه) وفي المائدة (من بعد مواضعه) قلت: أما (عن مواضعه) فعلى ما فسرناه من إزالته عن مواضعه التي أوجبت حكمة الله وضعه فيها بما اقتضت شهواتهم من إبدال غيره مكانه. وأما (من بعد مواضعه) فالمعنى: أنه كانت له مواضع هو قمن بأن يكون فيها، فحين حرفوه تركوه كالغريب الذي لا موضع له بعد مواضعه ومقاره، والمعنيان متقاربان. وقرئ: "يحرفون الكلام". والكلم - بكسر الكاف وسكون اللام -: جمع كلمة تخفيف كلمة. قولهم: { غير مسمع } حال من المخاطب، أي اسمع وأنت غير مسمع (١)، وهو قول ذو

وجهين، يحتمل الذم أي اسمع منا مدعوا عليك - بلا سمعت - لأنه لو أجيب دعوتهم عليه لم يسمع، فكان أصم غير مسمع. قالوا ذلك اتكالا على أن قولهم - لا سمعت - دعوة مستجابة أو اسمع غير مجاب إلى ما تدعو إليه. ومعناه غير مسمع جوابا يوافقك، فكأنك لم تسمع شيئا. أو اسمع غير مسمع كلاما ترضاه، فسمعك عنه ناب. ويجوز على هذا أن يكون (غير مسمع) مفعول اسمع، أي اسمع كلاما غير مسمع إياك، لأن أذنك لا تعيه نبوا عنه. ويحتمل المدح، أي اسمع غير مسمع مكروها، من قولك: أسمع فلان فلانا إذا سبه. وكذلك قولهم: { راعنا } يحتمل راعنا نكلمك، أي ارقبنا وانتظرنا.

)

(١) قوله : ويجوز على هذا أن يكون المعنى أسمع غير مسمع كلاما يرضاه وعلى الوجه الأول كان غير مسمع حالا من فاعل اسمع ولا مفعول له مقدر بتقدير أنه لازم أو تقدر له مفعول أعني جوابا أو كلاما.

(٨١/٣)

ويحتمل شبه كلمة عبرانية أو سريانية كانوا يتسابون بها، وهي: راعينا، فكانوا - سخرية (١) بالدين وهزوا برسول الله صلى الله عليه وسلم يكلمونه بكلام محتمل، ينوون به الشتيمة والإهانة ويظهرون به التوقير والإكرام { ليا بالسنتهم } فتلا بها وتحريفا، أي يفتلون بالسنتهم (٢) الحق إلى الباطل، حيث يضعون (راعنا) موضع (انظرنا) و(غير مسمع) موضع: لا أسمعت مكروها. أو يفتلون بالسنتهم ما يضمرونه من الشتم إلى ما يظهرونه من التوقير نفاقا. فإن قلت: كيف جاؤوا بالقول المحتمل ذي الوجهين بعد ما

صرحوا وقالوا: سمعنا وعصينا؟ قلت: جميع الكفرة كانوا يواجهونه بالكفر والعصيان. ولا يواجهونه بالسب ودعاء السوء. ويجوز أن يقولوه (٣) فيما بينهم. ويجوز أن لا ينطقوا بذلك، ولكنهم لما لم يؤمنوا جعلوا كأنهم نطقوا به. وقرأ أبي: "وأنظرنا"، من الإنظار وهو الإمهال. فإن قلت: إلام يرجع الضمير في قوله: { لكان خيرا لهم } قلت: إلى (أنهم قالوا) لأن المعنى. ولو ثبت قولهم سمعنا وأطعنا.

(١) قوله: فكانوا يقولون سخرية مسبب عن قوله وهو قول ذو وجهين يعني إذا كان هذا القول ذا وجهين فهم أهل سخرية فكانوا يتكلمون بالكلام ذي الوجهين سخرية واستهزاء. (٢) قوله: يفتلون بألسنتهم إشارة إلى أن ليا حال من فاعل يقولون، قال أبو البقاء: ليا مفعول له أو مصدر في موضع الحال أي لاوين ألسنتهم استهزاء وكذلك وطعنا. (٣) قوله: ويجوز أن يقولوه أي سمعنا وعصينا وهو إيمانهم بمن خلقهم أي بالله مع كفرهم بغيره أي بالرسول واليوم الآخر وإنما وصف الإيمان بالخالق بالضعف بسبب أنه لم ينتف عنهم به سمة الكفر. (٨٢/٣)

لكان قولهم ذلك خيرا لهم { وأقوم } وأعدل وأسد { ولكن لعنهم الله بكفرهم } أي خذلهم بسبب كفرهم، وأبعدهم عن أطفاه { فلا يؤمنون إلا } إيماننا { قليلا } أي ضعيفا ركيكا لا يعأ به، وهو إيمانهم بمن خلقهم مع كفرهم بغيره، أو أراد بالقللة العدم، كقوله (١):

قليل التشكي للمهم يصيبه
أي عديم التشكي، أو إلا قليلا منهم (٢) قد آمنوا.
يا أيها الذين أوتوا الكتاب آمنوا بما نزلنا مصدقا لما معكم من قبل أن نطمس وجوها
تسود على حدها أو نلعنهم كما لعنا | السبت
وكان أمر الله
مفعولا احذب
}

(١) قوله: كقوله أي كقول الحماسي:
قليل التشكي للمهم يصيبه
تمامه

كثير الهوى شتى النوى والمسالك

أي هو كثير الهم مختلف الوجه والطرف لا يقف أمله على شيء واحد صبور على النوائب لا يكاد يشتكي منها استعمل لفظ القليل وقصد به نفي الكل والمعنى على هذا ليس لهم إيمان إلا إيمان يدل على أن لا إيمان لهم البتة كقوله تعالى : { لا يذوقون فيها الموت إلا الموتة الأولى } .

(٢) قوله : أو إلا قليلا منهم الاستثناء على الأول من مصدر يؤمنون وعلى الثاني من فاعله .

(٨٣/٣)

أن نظمس وجوها { أي نمحو تخطيط صورها، من عين وحاجب وأنف وفم } فتردها على أدبارها

{ فجعلها على هيئة أدبارها، وهي الأقفاء مطموسة مثلها. والفاء للتسبيب (١)، وإن جعلتها للتعقيب على أنهم توعدوا بعقابين: أحدهما عقيب الآخر، ردها على أدبارها بعد طمسها؛ فالمعنى أن نظمس وجوها فننكسها، الوجوه إلى خلف، والأقفاء إلى قدام. ووجه آخر (٢): وهو أن يراد بالطمس القلب والتغيير، كما طمس أموال القبط فقلبها حجارة. وبالوجوه، رؤوسهم ووجهاؤهم أي من قبل أن نغير أحوال وجهائهم، فنسلبهم إقبالهم ووجاهتهم ونكسوهم صغارهم وإدبارهم أو نردهم (٣) إلى حيث جاؤا منه. وهي: أذرع الشام، يريد: إجلاء بني النضير. فإن قلت: لمن الراجع في قوله: (أو نلنهم)؟ قلت:

للوجوه إن أريد الوجهاء، أو لأصحاب الوجوه. لأن المعنى من قبل أن نظمس وجوه قوم أو يرجع إلى (الذين أوتوا الكتاب) على طريقة الالتفات { أو نلنهم } أو نجزيهم بالمسخ، كما مسخنا أصحاب السبت.

(١) قوله : والفاء للتسبيب قيل: فيكون إرادة الطمس سببا لردها على أدبارها أي على أن من قبل أن يريد ردها على أدبارها فيفعل ذلك فلا يكون الرد غير الطمس ، ولهذا قال فيجعلها على هيئة أدبارها.

(٢) قوله: ووجه آخر عطف من حيث المعنى على قوله نحو تخطيط صورها يريد أن الطمس مشترك بين محو الأثر وقلب الحقيقة والمعنى الثاني لما لم يكن ظاهرا في الوجوه جعل الوجوه عبارة عن الوجوهات وفسر الطمس بتغيير أحوالهم بالباسهم ثوب الذل والصغار بعد العزة والفخار .

(٣) قوله : أو نرددهم عطف على قوله فيسلبهم والفاء في فيسلبهم للتسبب لا غير كما سبق لأن معنى سلب اقبالهم ومعنى تغيير أحوال وجهاتهم واحد والفاء في فيرددهم المقدر فعل يحتمل التعقيب أيضا على معنى أن يكون الإجلاء بعد تغيير أحوالهم فيكون عقابا عقب عقاب والتسبب أظهر لقوله بعده فإن كان الطمس تبديل أحوال رؤسائهم أو إجلاءهم إلى الشام.
(٨٤/٣)

فإن قلت: فأين وقوع الوعيد. قلت: هو مشروط بالإيمان(١). وقد آمن منهم ناس. وقيل: هو منتظر، ولا بد من طمس ومسح لليهود قبل يوم القيامة، ولأن الله عز وجل أوعدهم(٢)

(١) قوله : هو مشروط بالإيمان أي بعدم الإيمان حذف المضاف وأقام المضاف إليه مقامه لعدم الالتباس.

(٢) قوله: ولأن الله أوعدهم جواب آخر يعني أنه تعالى جاء بأو في قوله : { أو يلعنهم } فلا بد من وقوع أحد الأمرين إما الطمس أو اللعن ثم الطمس إن أريد به سلب الاقبال أو الإجلاء إلى الشام فقد حصلا وإن أريد به طمس الوجوه حقيقة كما في الوجه الأول فهو وإن لم يحصل فقد حصل اللعن وقوله والظاهر عطف على قوله أو يخزيهم بالمسح ،

والسؤال لا يرد على هذا إلا أن اللعن واقع فإنهم ملعونون بكل لسان وبين وجه الظهور بقوله تعالى : { قل هل أنبئكم بشر من ذلكم } الآية لأنه تعالى عطف وجعل منهم القردة والخنازير وهو المسخ على قوله لعنه الله فيكون اللعن غير المسخ لوجوب مغايرة المعطوف للمعطوف عليه والمراد بأحد الأمرين في قوله فقد كان أحد الأمرين بمعنى فقد وقع أحدهما الطمس واللعن أي فقد وقع الطمس والمراد به تغيير أحوال رؤسائهم ووجهاتهم وقد وجد ذلك كله وكان القياس أن يقول فإن كان الطمس تبديل أحوال رؤسائهم بإجلائهم لأن الإجلاء تفسير لقوله فنردها لكنه لما ذكر أن الفاء إما للتسبب أو للتعقيب أشار بقوله أو إجلائهم إلى أنها للتعقيب لا للتسبب لأن الإجلاء متعقب للتبديل وليس بمسبب عنه ، هكذا في بعض الحواشي، وقد ظن بعضهم أن الأمرين هما تبديل أحوال الرؤساء

والإجلاء نظرا إلى أو في أو إجلائهم وليس كذلك ، والتحقيق أن أو هنا للتفصيل إذ قد تأتي له في الخبر كما تقول الممكن إما جوهر أو عرض ، وإنما جاز تفصيل الطمس إلى تبديل أحوال الرؤساء والإجلاء وقد قرر ما بدل على أن الإجلاء ليس بطمس بل هو متعقب

له لأن المراد بالطمس مسيبه وهو سلب الوجاهة والإقبال ولا شك أنه قسيم الإجلاء لأن الرد إما أن يراد به سلب الاقبال والوجاهة والإجلاء فالأول على تقدير كون الفاء للتسبيب ، والثاني على تقدير كونها للتعقيب، واعلم أنه إذا أريد بالطمس المسح فاللعن هو المتعارف ، وإن أريد التغيير لأحوال الرؤساء فاللعن هو المسح وإنما كان كذلك لتحقيق التباين بين الطمس واللعن ، لا يقال إذا أريد بالطمس سلب الاقبال أو الإجلاء وباللعن المتعارف وقد حصل الجميع فكان الواجب أن يؤتى بالواو دون أو لأننا نقول أن أو قد يقع موقع الواو كما في قول الشاعر:

جاء الخلافة أو كانت له قدرا ... كما أتى ربه موسى على قدر وقوله الآخر :

قوم إذا نفع الصريح رأيتهم ... ما بين ملجم مهرة أو سافع

ونحوه قول امرأ القيس:

فطل لمها اللحم من بين أو مديد معجل

ونحو قول الآخر:

فقالوا لنا لا بد منهما ... صدور رماح أسرع أو سلاسل

(٨٥/٣)

بأحد الأمرين، بطمس وجوه منهم، أو بلعنهم فإن الطمس تبديل أحوال رؤسائهم، أو إجلائهم إلى الشام، فقد كان أحد الأمرين وإن كان غيره فقد حصل اللعن. فإنهم ملعونون بكل لسان، والظاهر اللعن المتعارف دون المسخ ألا ترى إلى قوله تعالى: { قل هل أنبئكم بشر من ذلك مثوبة عند الله من لعنه الله وغضب عليه وجعل منهم القردة والخنازير } (المائدة: ٦٠) { وكان أمر الله مفعولا } فلا بد أن يقع أحد الأمرين إن لم يؤمنوا.

إن الله لا يغفر أن يشرك به ويغفر ما دون sCE^{9dy7} لمن يشاء ومن يشرك بالله فقد

$\#SyIù\grave{u}$ إثما عظيما احرب

فإن قلت: قد ثبت أن الله عز وجل يغفر الشرك لمن تاب منه، وأنه لا يغفر ما دون الشرك من الكبائر إلا بالتوبة، فما وجه قول الله تعالى: { إن الله لا يغفر أن يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء } ؟ قلت: الوجه أن يكون الفعل (١) المنفي والمثبت جميعا موجهين إلى قوله تعالى: { لمن يشاء } كأنه قيل إن الله لا يغفر لمن يشاء الشرك، ويغفر لمن يشاء ما دون الشرك على أن المراد بالأول من لم يتب، وبالثاني من تاب.

ونظيره قولك: إن الأمير لا يبذل الدينار ويبذل القنطار لمن يشاء. تريد: لا يبذل الدينار لمن لا يستأهله، ويبذل القنطار لمن يستأهله { فقد افترى إثما } أي ارتكبه وهو مفتر مفتعل ما لا يصح كونه.

(١) قوله : الوجه أن يكون الفعل إلى آخره خلاصة الجواب أن فائدة التقييد أن يبين به عدم التوبة في الأول وحصولها في الثاني ، قال بعضهم فيه تعسف لأنه جعل الأمرين المتنافيين متوجهين إلى معنى واحد يراد به معنيان متضادان ، وقيل فيما ذكره تقييد من غير دليل وليس عموم آيات الوعيد بالمجادلة بأولى من عموم آيات الوعد والظاهر خلاف ما ذكره.
(٨٦/٣)

ألم uچ؟ إلى الذين tbq"u."م f أنفسهم بل الله 'j1u"م f من يشاء ولا fJn=àتbq

فتيلا (٤٩) انظر كيف tbq"u."م f على الله الكذب وكفى به إثما Z.\$ خ B-٧ اختب { الذين يزكون أنفسهم } اليهود والنصارى، قالوا: نحن أبناء الله وأحباؤه، وقالوا: لن يدخل الجنة إلا من كان هودا أو نصارى. وقيل: (٢٨٣) جاء رجال من اليهود إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم بأطفالهم فقالوا: هل على هؤلاء ذنب؟ قال: (لا). قالوا: والله ما نحن إلا كهيتهم، ما عملناه بالنهار كفر عنا بالليل، وما عملناه بالليل كفر عنا بالنهار. فنزلت. ويدخل فيها كل من زكى نفسه ووصفها بركاء العمل (١) وزيادة الطاعة والتقوى والزلفى عند الله. فإن قلت: أما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (٢٨٤) "والله إني لأمين في السماء أمين في الأرض؟" قلت: إنما قال ذلك: حين قال له المنافقون: اعدل في القسمة، إكذابا لهم إذ وصفوه بخلاف ما وصفه به ربه، وشتان من شهد الله له بالتزكية، ومن شهد لنفسه أو شهد له من لا يعلم { بل الله يزكي من يشاء } إعلام بأن تزكية الله هي التي يعتد بها. لا تزكية غيره لأنه هو العالم بمن هو أهل للتزكية. ومعنى يزكي من يشاء: يزكي المرتضين من عباده الذين عرف منهم الزكاء فوصفهم به { ولا يظلمون فتىلا } أي الذين يزكون أنفسهم يعاقبون على تزكيتهم أنفسهم حق جزائهم. أو من يشاء يثابون على زكائهم ولا ينقص من ثوابهم. ونحوه { فلا تركوا أنفسكم هو أعلم بمن اتقى } (النجم: ٣٢) { كيف يفترون على الله الكذب } في زعمهم أنهم عند الله أركياء { وكفى } بزعمهم هذا { إثما مبينا } من بين سائر آثامهم.

(١) قوله : ووصفها بركاء العمل إلى آخره عطف على زكى نفسه على سبيل البيان كأن الذي ذكره هو حد.....
(٨٧/٣)

ألم uچ s؟ إلى الذين أوتوا نصيبا من الكتاب يؤمنون دf9\$\$\$M6خ/ والطاغوت ويقولون للذين كفروا هؤلاء أهدى من الذين آمنوا سبيلا (٥١) أولئك الذين لعنهم الله ومن يلعن

الله فلن تجد له #¶٥٢ (tR)

الجب: الأصنام وكل ما عبد من دون الله: الطاغوت: الشيطان. وذلك أن حيي بن أخطب وكعب بن الأشرف اليهوديين خرجا إلى مكة مع جماعة من اليهود يحالفون قريشا على محاربة رسول الله ، فقالوا: أنتم أهل كتاب، وأنتم أقرب إلى محمد منكم إلينا، فلا نأمن مكرهم، فاسجدوا لآلهتنا حتى نطمئن إليكم ففعلوا فهذا إيمانهم { بالجب والطاغوت } لأنهم سجدوا للأصنام وأطاعوا إبليس فيما فعلوا. وقال أبو سفيان: أنحن أهدى سبيلا أم محمد. فقال كعب: ماذا يقول محمد؟ قالوا: يأمر بعبادة الله وحده وينهى عن الشرك. قال: وما دينكم؟ قالوا: نحن ولاة البيت، ونسقي الحاج، ونقري الضيف، ونفك العاني، وذكروا أفعالهم، فقال: أنتم أهدى سبيلا.
÷Pr& لهم نصيب من الملك فإذا لا يؤتون الناس #¶٥٣ (tR) { أم يحسدون الناس على

ما آتاهم الله من 3/4د&ح#òزù فقد !u#s÷ Yن آل d"u٤tLج/خ) الكتاب
tù:\$#urdsyJ3

Mك"u#g÷ s?#u"Y÷ -Bù% ,3ù=ur % عظيم (٥٤) فمنهم من آمن به ومنهم من صد عنه وكفى بجهنم

#¶٥٤yè™م اخب
(٨٨/٣)

وصف اليهود بالبخل والحسد وهما شر خصلتين(١): يمنعون ما أوتوا من النعمة ويتمنون أن تكون لهم نعمة غيرهم فقال: { أم لهم نصيب من الملك } (٢) على أن أم منقطعة ومعنى الهمزة لإنكار أن يكون لهم نصيب من الملك ثم قال: { فإذا لا يؤتون } أي لو كان لهم نصيب من الملك فإذا لا يؤتون أحدا مقدار نقيير لفرط بخلهم: والنقيير: النقرة في ظهر النواة وهو مثل في القلة، كالفتيل والقطير. والمراد بالملك: إما ملك أهل الدنيا.

وإما ملك الله كقوله تعالى: { قل لو أنتم تملكون خزائن رحمة ربي إذا لأمسكنكم خشية الإنفاق } (الإسراء: ١٠٠) وهذا أوصف لهم بالشح، وأحسن لطباقة (٣) نظيره من القرآن.

(١) قوله : فقال وهما شر خصلتين أي إذا اعتبر الخصال خصلتين خصلتين فهما شر كل خصلتين خصلتين وإنما أفرد شر لجواز الافرد والمطابقة مع كون الأفراد أخصر .)

(٢) قوله: فقال { أم لهم نصيب } يتعلق بقوله وصف اليهود يعني أراد أن يصفهم بالبخل فقال : { أم لهم نصيب من الملك } وبالحسد فقال : { أم يحسدون الناس } .
(٣) قوله : لطباقة الضمير لهذا وقد أضيف إلى الفاعل ونظيره مفعول وإنما كان أوصف لهم بالشح وأحسن لطباق القرآن لأنه أبلغ في بيان بخلهم حيث جعل الملك ملك الله الذي لا ملك أوسع منه ووصف بخلهم بشيء لا شيء أقل منه وهو النقيض .
(٨٩/٣)

ويجوز أن يكون معنى الهمزة (١) في أم: لإنكار أنهم قد أوتوا نصيبا من الملك، وكانوا أصحاب أموال وبساتين وقصور مشيدة كما تكون أحوال الملوك. وأنهم لا يؤتون أحدا مما يملكون شيئا. وقرأ ابن مسعود: "فإذا لا يؤتوا"، على إعمال إذا عملها (٢)

(١) قوله: ويجوز أن يكون معنى الهمزة في أم إنكار أنهم إلى آخره والفرق بين هذا وبين الأول أن الإنكار في الأول متوجه إلى أن يكون لهم نصيب من الملك فقط لا إلى ما بعده والمراد ما كان لهم نصيب من الملك ولو كان لما أعطوا الناس نقيرا ، والفاء في فإذن جزاء شرط مقدر ، ولهذا فسر الملك بملك أهل الدنيا لا بجنس الملك ليحصل المبالغة في ذمهم ، وثانيا بملك الله لذلك مع كونه أبلغ في ذمهم وفي الثاني متوجه إلى أن يكون لهم نصيب من الملك وإلى ما بعده وهو أنهم لا يؤتون أحدا شيئا أي إلى المجموع المركب من هذين الأمرين ، وإن كان المجموع قد يكون بإنكار جزئيه معا وقد يكون بإنكار أحدهما وهو هنا بإنكار الجزء الثاني ، وهو الإيتاء مع أن لهم نصيبا من الملك وأنت إذا حققت علمت أن الإنكار في الوجه الأول بمعنى لم يكن ولا يكون لهم نصيب من الملك لأن المراد بالملك ملك أهل الدنيا أو ملك الله ، ولم يكن لهم ذلك ولا يكون ، وفي الثاني بمعنى لم كان عدم الإيتاء مع أن لهم جنس الملك إذ لو لم يكن لهم

من الملك شيء لما أنكر عليهم عدم الإيتاء حينئذ.

)

٢) قوله : على اعمال إذن عملها الذي هو النصب قال سيبويه إذا أتيت بإذن مع الواو والفاء قلت فإذن أكرمك بالنصب وإن رفعت فمن نصب بها جعل الفاء ملصقة بها في اللفظ والمعنى ، ومن رفع جعل إذن لغوا وجعل الفاء متعلقة بأكرمك ، والمعنى فأكرمك إذن وتأويل إذن إذا كان الأمر كما ذكرت أو كما جرى ، وتحقيق جواب النصب والرفع بعد إذن إذا وليت حرف العطف أنها عطف جملة مستقلة على جملة مستقلة فمن حيث كون إذن في

أول جملة مستقلة إذن متصدره فيجوز انتصاب الفعل بعده ومن حيث كون ما بعد العاطف من تمام ما قبله تسبب ربط حرف العطف بعض الكلام ببعض هو متوسط.

(٩٠/٣)

الذي هو النصب، وهي ملغاة في قراءة العامة، كأنه قيل: فلا يؤتون الناس نقيرا (١) إذا { أم يحسدون الناس } بل أيحسدون رسول الله والمؤمنين على إنكار الحسد (٢) واستقبحه. وكانوا يحسدونهم على ما آتاهم الله من النصر والغلبة وازدياد العز والتقدم كل يوم { فقد آتينا } (٣) إلزام لهم بما عرفوه من إيتاء الله الكتاب والحكمة { آل إبراهيم } الذين هم أسلاف محمد ، وأنه ليس ببدع أن يؤتاه الله مثل ما أتى أسلافه. وعن ابن عباس: الملك في آل إبراهيم ملك يوسف وداود وسليمان. وقيل: استكثروا نساءه فقليل لهم: كيف استكثرت له التسع وقد كان لداود مائة ولسليمان ثلاثمائة مهيرة وسبعمائة سرية؟ { فمنهم } فمن اليهود { من آمن به } أي بما ذكر من حديث آل إبراهيم { ومنهم من صد عنه } وأنكره مع علمه بصحته. أو من اليهود من آمن برسول الله ، ومنهم من أنكر نبوته.

(١) قوله كأنه قيل { فلا يؤتون الناس نقيرا } إذن ولما كان إذن جواب وجزاء فلا بد من تقدير ما يكون جزاء له فكأنه لما قيل { أم لهم نصيب من الملك } على سبيل الإنكار بمعنى أنه ليس يصيب منه اتجه لسائل أن يقول فلو قدر أن لهم نصيبا من الملك فماذا يكون حينئذ ، فقليل فلا يؤتون الناس نقيرا ثم أقحم إذن توكيدا.

)

٢) قوله : على إنكار الحسد متعلق بقوله بل أيحسدون من حيث المعنى يعني أم منقطعة بمعنى بل والهمزة ، وأراد على إنكار الحسد.

(٣) قوله : { فقد أتينا { إلزام لهم بما عرفوه الفاء في فقد مثلها في قوله تعالى :
 { فقد جاءكم بشير ونذير { وقوله : { فقد كذبوكم بما يقولون { وفي قول الشاعر: فقد
 جئنا خراسانا ، والمعنى أن حسدتموه على إيتاء الكتاب والحكمة والملك فقد علمتم أن
 ذلك ليس ببدع لأن أسلافه قد أوتوا ذلك وأسلافه صح بالرفع لأن أوتي أسند إليه
 ومفعوله الثاني محذوف أي أوتي أسلافه إياه.
 (٩١/٣)

أو من آل إبراهيم من آمن بإبراهيم، ومنهم من كفر، كقوله: { فمنهم مهتد وكثير منهم
 فاسقون { .
 إن الذين كفروا بآياتنا $\text{N}^{\text{TM}} \text{qy}^{\text{TM}} \text{t}^{\text{TM}} \text{k}^{\text{TM}} \text{z}^{\text{TM}} \text{R}^{\text{TM}} \text{c}$ نارا كلما نضجت جلودهم بدلناهم جلودا
 غيرها

ليذوقوا العذاب إن الله كان عزيزا $\text{VJ\$}$ ث xm^{TM} اخذب
 { بدلناهم جلودا غيرها { أبدلناهم إياها. فإن قلت: كيف تعذب مكان الجلود العاصية
 جلود لم تعص؟ قلت: العذاب للجلمة الحساسة، وهي التي عصت لا للجلد. وعن فضيل:
 يجعل
 النضيج غير نضيج (١). وعن رسول الله : (٢٨٥) "تبدل جلودهم كل يوم سبع مرات"، وعن
 الحسن: سبعين مرة يبدلون جلودا بيضاء كالقراطيس { ليذوقوا العذاب { ليدوم لهم ذوقه
 ولا ينقطع. كقولك للعزيز: أعزك الله، أي أدامك على عزك وزادك فيه { عزيزا { لا
 يمتنع عليه شيء مما يريد به بالمجرمين { حكيما { لا يعذب إلا بعدل من يستحقه.
 والذين آمنوا وعملوا $\text{M}^{\text{TM}} \text{dys}^{\text{TM}} \text{c}^{\text{TM}} \text{q}^{\text{TM}} \text{\#} \text{O}^{\text{TM}} \text{z}^{\text{TM}} \text{\%} \text{g}^{\text{TM}} \text{e}^{\text{TM}} = \frac{1}{2}$ جنات
 "حج grB من تحتها الأنهار

$\text{B} - \text{gs}^{\text{TM}} \text{ou}^{\text{TM}} \text{x}^{\text{TM}} \text{\&l}^{\text{TM}} \text{ur}^{\text{TM}} - \text{r}$ فيها أبدأ لهم فيها س $\text{yz}^{\text{TM}} \text{\#} \text{d}^{\text{TM}} \text{t}^{\text{TM}} \text{u}^{\text{TM}} \text{i}$
 $\text{N}^{\text{TM}} \text{Rur}^{\text{TM}} \text{\%} \text{g}^{\text{TM}} \text{e}^{\text{TM}} = \frac{1}{2} \text{z}^{\text{TM}} \text{\%} \text{c}^{\text{TM}} \text{Rur}^{\text{TM}} \text{\&l}^{\text{TM}} \text{ur}^{\text{TM}} - \text{r}$ ظلا $\text{x}^{\text{TM}} \text{d}^{\text{TM}} \text{s}^{\text{TM}} \text{\&l}^{\text{TM}} \text{ur}^{\text{TM}} - \text{r}$ (٥٧)
 * إن الله يأمركم أن تؤدوا الأمانات إلى $\text{yg}^{\text{TM}} \text{dys}^{\text{TM}} \text{\&l}^{\text{TM}} \text{ur}^{\text{TM}} - \text{r}$ وإذا $\text{O}^{\text{TM}} \text{c}^{\text{TM}} \text{F}^{\text{TM}} \text{o}^{\text{TM}} \text{Js}^{\text{TM}} \text{3xm}^{\text{TM}}$ بين الناس
 أن

تحكموا بالعدل إن الله نعماء يعظكم به إن الله كان سميعا $\text{\#} \text{[زجاء]t}^{\text{TM}} / \text{اخر}$
 }

(١) قوله : وعن فضيل يجعل النضيج غير نضيج على هذا المغايرة في الصفة لا في الذات

والفيضان الكثير ، الأفنان المنبسط المتصل الذي لا فرج فيه لالتفاف الأشجار ،
والسحسح المعتدل، والسادن الخادم.
(٩٢/٣)

ظليلا { صفة مشتقة من لفظ الظل لتأكيد معناه. كما يقال: ليل أليل. ويوم أيوم، وما أشبه ذلك. وهو ما كان فينا لا جوب فيه، ودائما لا تنسخه الشمس، وسجسجا لا حر فيه ولا برد، وليس ذلك إلا ظل الجنة. رزقنا الله بتوفيقه لما يزلف إليه التفؤ تحت ذلك الظل. وفي قراءة عبد الله: "سيدخلهم" بالياء { أن تؤدوا الأمانات { الخطاب عام لكل أحد في كل أمانة. وقيل نزلت في عثمان بن طلحة بن عبد الدار وكان سادن الكعبة. وذلك: (٢٨٦) أن رسول الله حين دخل مكة يوم الفتح أغلق عثمان باب الكعبة وصعد السطح، وأبى أن يدفع المفتاح إليه، وقال: لو علمت أنه رسول الله لم أمنعه، فلوى علي بن أبي طالب رضي الله عنه يده (١). وأخذه منه وفتح، ودخل رسول الله صلى ركعتين. فلما خرج سأل العباس أن يعطيه المفتاح ويجمع له السقاية والسدانة. فنزلت، فأمر عليا أن يرده إلى عثمان ويعتذر إليه فقال عثمان لعلي: أكرهت وآذيت ثم جئت ترفق؟ فقال: لقد أنزل الله في شأنك قرآنا، وقرأ عليه الآية، فقال عثمان: أشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أن محمدا رسول الله، فهبط جبريل وأخبر رسول الله أن السدانة في أولاد عثمان أبدا. وقيل: هو خطاب للولادة بأداء الأمانات والحكم بالعدل. وقرئ: "الأمانة"، على التوحيد { نعمنا يعظكم به { (ما) إما أن تكون منصوبة (٢)

(١) قوله: فلوى علي يده قيل: فإن قلت: كيف لوى يده وهو على سطح الكعبة والباب مغلق وعلي رضي الله عنه لم يتخلص إليه؟. قلت: في الكلام حذف يعني صعد عثمان ودعاه فنزل وجاءه فطلب منه المفتاح فامتنع ، وأقول إني رأيت في بعض الكتب أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم حمل عليا عليه السلام على كتفه حتى صعد إلى سطح الكعبة وأخذ المفتاح من عثمان وفي ذلك الكتاب أن عليا عليه السلام. قال لقد خيل إلي أني لو أردت لبلغت السماء.

(٢) قوله: أما أن تكون منصوبة أي على التمييز وإما أن تكون مرفوعة أي بالفاء عليه موصولة به أي والمخصوص بالمدح محذوف على التقدير من قوله وهو المأمور به أي الإشارة بذلك إلى المأمور به هو المخصوص بالمدح كما توهم بعضهم ، قال أبو البقاء نعمنا يعظكم به الجملة خبر إن وما إما بمعنى الشيء معرفة ويعظكم صفة موصوف

محذوف وهو المخصوص بالمدح أي نعم الشيء شيء يعظكم به ، ويجوز نعم الشيء شيئاً يعظكم

به والمخصوص بالمدح محذوف أو ما بمعنى الذي وما بعدها صلتها وهو فاعل نعم والمخصوص

محذوف أي نعم الذي يعظكم به بأداء الأمانة والحكم بالعدل. قيل : في كلامه نظر لأنه قد تقرر أن فاعل نعم إذا كان مظهرها التزم أن يكون محلي بلام الجنس أو مضاف إليه ذكره في المفصل، ثم قيل الجواب ما قال ابن الحاجب في قوله تعالى : { بئسما اشتروا به أنفسهم } جاز أن يكون ما بمعنى الذي وجاز أن يقع فاعله لما فيها من الإبهام كالمعرف باللام أي بلام الجنس.
(٩٣/٣)

موصوفة بيعظكم به، وإما أن تكون مرفوعة موصولة به، كأنه قيل: نعم شيئاً يعظكم به. أو نعم الشيء الذي يعظكم به. والمخصوص بالمدح محذوف، أي نعماً يعظكم به ذاك، وهو المأمور به من أداء الأمانات والعدل في الحكم. وقرئ "نعماً" بفتح النون. يا أيها الذين (YtB#uûq#ن أطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأولي الأمر منكم فإن ÷uZs"uêôLن؟ في شيء فردوه إلى الله والرسول إن كنتم تؤمنون بالله واليوم حج ½\$zFy#

yzضج sCE٩dy7 وأحسن تأويلاً اخرب
(٩٤/٣)

لما أمر الولاة بأداء الأمانات إلى أهلها وأن يحكموا بالعدل، أمر الناس بأن يطيعوهم وينزلوا على قضايهم. والمراد بأولي الأمر منكم: أمراء الحق؛ لأن - أمراء الجور - الله ورسوله بريئان منهم، فلا يعطفون على الله ورسوله في وجوب الطاعة لهم، وإنما يجمع بين الله ورسوله والأمراء الموافقين لهما في إثارة العدل واختيار الحق

والأمر بهما والنهي عن أضدادهما كالخلفاء الراشدين ومن تبعهم بإحسان. وكان الخلفاء يقولون: أطيعوني ما عدلت فيكم، فإن خالفت فلا طاعة لي عليكم. وعن أبي حازم (١) أن مسلمة بن عبد الملك قال له: ألتستم أمرتم بطاعتنا في قوله: { وأولي الأمر منكم } قال: أليس قد نزعتم عنكم إذا خالفتكم الحق بقوله: { فإن تنازعتم في شيء فردوه إلى الله والرسول } وقيل: هم أمراء السرايا وعن النبي : (٢٨٧) "من أطاعني فقد أطاع الله

ومن عصاني فقد عصى الله، ومن يطع أميري فقد أطاعني ومن يعص أميري فقد عصاني"،
وقيل:

هم العلماء الدينون الذين يعلمون الناس الدين ويأمرونهم بالمعروف وينهونهم عن
المنكر. { فإن تنازعتم في شيء } فإن اختلفتم أنتم وأولوا الأمر منكم في شيء من أمور
الدين، فردوه إلى الله ورسوله، أي: ارجعوا فيه إلى الكتاب والسنة.

(١) قوله : وعن أبي حازم هو أبو حازم سلمة بن دينار المدني العاص كان من عباد أهل
المدينة وتقاتهم و المشهور من نابغتهم ، روى عنه مالك والموري وابن وغيرهم
. والسرايا جمع سرية وهي طائفة من العسكر أكثرها أربعمئة تبعث إلى العدو وسموا
بذلك لكونهم خيار العسكر من الشيء السري.
(٩٥/٣)

وكيف تلزم طاعة أمراء الجور وقد جنح الله الأمر بطاعة أولي الأمر بما لا يبقى معه
شك، وهو أن أمرهم أولا بأداء الأمانات وبالعدل في الحكم وأمرهم آخر بالرجوع إلى
الكتاب والسنة فيما أشكل، وأمراء الجور لا يؤدون أمانة ولا يحكمون بعدل، ولا يردون
شيئا إلى كتاب ولا إلى سنة، إنما يتبعون شهواتهم حيث ذهبت بهم، فهم منسلخون عن
صفات

الذين هم أولو الأمر عند الله ورسوله، وأحق أسمائهم: اللصوص المتغلبة { ذلك }
إشارة إلى الرد إلى الكتاب والسنة { خير } لكم وأصلح { وأحسن تأويلا } وأحسن عاقبة.
وقيل: أحسن تأويلا من تأويلكم أنتم.
ألم sچ؟ إلى الذين يزعمون أنهم آمنوا بما tأحRé" إليك وما tأحRé" من
%s٦=dy7

تبر%fحجمf أن (#ûqكx.\$yغFft إلى الطاغوت وقد (#رfكDé& أن
يكفروا به ك%fحجمfur

الشیطان أن یضلهم ضلالا بعيدا (٦٠) وإذا قيل لهم تعالوا إلى ما &Rr"tAu الله وإلى
الرسول رأيت المنافقين يصدون عنك صدودا (٦١) فكيف إذا أصابتهم ٧٨ptثء-B بما
قدمت

Nخ%gf÷&fr ثم جاءوك tbqàد=†ts بالله إن !&u'rثRô\$ إلا إحسانا
وتوفيقا (٦٢) أولئك

الذين يعلم الله ما في قلوبهم عحج r'sùðم عنهم urdgàN وقل لهم في أنفسهم قولاً
Z\$ثد=t/ ادجب
(٩٦/٣)

روي: (٢٨٨) أن بشرا المنافق خاصم يهوديا فدعاه اليهودي إلى رسول الله ودعاه المنافق إلى كعب بن الأشرف، ثم إنهما احتكما إلى رسول الله فقضى لليهودي فلم يرض المنافق وقال: تعال نتحاكم إلى عمر بن الخطاب. فقال اليهودي لعمر: قضى لنا رسول الله فلم يرض بقضائه. فقال للمنافق: أكذلك؟ قال: نعم. فقال عمر: مكانكما حتى أخرج إليكما فدخل عمر فاشتعل على سيفه، ثم خرج فضرب به عنق المنافق حتى برد (١) ثم قال: هكذا أقضي لمن لم يرض بقضاء الله ورسوله، فنزلت. وقال جبريل: إن عمر فرق بين الحق والباطل، فقال له رسول الله: "أنت الفاروق". والطاغوت: كعب بن الأشرف، سماه الله (طاغوتا) لإفراطه في الطغيان وعداوة رسول الله. أو على التشبيه بالشیطان والتسمية باسمه. أو جعل اختيار التحاكم إلى غير رسول الله على التحاكم إليه تحكما إلى الشيطان، بدليل قوله (٢): { وقد أمروا أن يكفروا به ويريد الشيطان أن يضلهم } (النساء: ٦٠). وقرىء { بما أنزل... وما أنزل } (النساء: ٦٠) على البناء للفاعل. وقرأ عباس بن الفضل (٣): "أن يكفروا بها"، ذهابا بالطاغوت إلى الجمع، كقوله: { أولياؤهم الطاغوت يخرجونهم } وقرأ الحسن "تعالوا" بضم اللام على أنه حذف اللام من تعاليت تخفيفا، كما قالوا: ما باليت به بالة، وأصلها بالية كعافية، وكما قال الكسائي في (آية) إن أصلها (آية) فاعلة، فحذفت اللام، فلما حذفت وقعت واو الجمع بعد اللام من تعال فضمت، فصار (تعالوا)، نحو: تقدموا.

-
- (١) قوله: وقد جنح أي جعل له جناحين، ومعنى حتى يرد حتى مات.
(٢) قوله: بدليل قوله وقد أمروا أن يكفروا به لأنهم لم يؤمروا بالكفر بكعب ابن الأشرف ولكن أمروا بالكفر بالشیطان في قوله فمن يكفر بالطاغوت ويؤمن بالله، وهذا وإن كان خبرا لكنه مشتمل على الأمر.
(٣) قوله: وقرأ عباس ابن الفضل الأنصاري المقرئ بالموصل وكان قد ولي القضاء وهو والي (هي) الحديث.
(٩٧/٣)

ومنه قول أهل مكة: تعالي، بكسر اللام للمرأة، وفي شعر الحمداني (١):
تعالي أقاسمك الهموم تعالي

(١) قوله: وفي سفر الحمداني هو الأمير أبو فراس سعيد بن حمدان يخاطب حمامة، وقبله:
أقول وقد ناحت بقربي حمامة ... أيا جارتا هل ناب حالك حالي
معاذ الهوى ما ذقت طارقة النوى ... وما خطرت منك الهموم ببالي
وأوله :

أيا جارتا ما أنصف الدهر ... بيننا تعالي أقاسمك الهموم تعالي
وبعده :

تعالي تري روحي لدي ضعيفة ... تردد في جسم معذب بالي
أيضحك مأسور وتبكي طليقة ... ويسكت معزون ويندب سالي
(٩٨/٣)

والوجه فتح اللام { فكيف } يكون حالهم، وكيف يصنعون؟ يعني أنهم يعجزون عند ذلك فلا
يصدرون أمرا ولا يوردونه { إذا أصابتهم مصيبة بما قدمت أيديهم } من التحاكم إلى
غيرك واتهامهم لك في الحكم { ثم جأؤوك } حين يصابون فيعتذرون إليك { ويحلفون } ما
أردنا بتحاكمنا إلى غيرك { إلا إحسانا } لا إساءة { وتوفيقا } بين الخصمين، ولم نرد
مخالفة لك ولا تسخطا لحكمك، ففرج عنا بدعائك وهذا وعيد لهم على فعلهم، وأنهم
سيندمون عليه حين لا ينفعهم الندم. ولا يغني عنهم الاعتذار عند حلول بأس الله.
وقيل: جاء أولياء المنافق (١) يطلبون بدمه وقد أهدره الله فقالوا: ما أردنا بالتحاكم
إلى عمر إلا أن يحسن إلى صاحبنا بحكومة العدل والتوفيق بينه وبين خصمه، وما خطر

ببالنا أنه يحكم له بما حكم به { فأعرض عنه } لا تعاقبهم لمصلحة في استبقائهم، ولا
تزد على كفهم بالموعظة والنصيحة عما هم عليه { وقل لهم في أنفسهم قولا بليغا } بالغ
في وعظهم بالتخفيف والإنذار. فإن قلت: بم تعلق قوله: { في أنفسهم } ؟ قلت: بقوله:
(بليغا) أي: قل لهم قولا بليغا في أنفسهم مؤثرا في قلوبهم يغمون به اغتماما،
ويستشعرون منه الخوف استشعارا، وهو التوعد بالقتل والاستئصال إن نجم منهم النفاق
وأطلع قرنه، وأخبرهم أن ما في نفوسهم من الدغل والنفاق معلوم عند الله، وأنه لا فرق
بينكم (٢)

(١) قوله: وقيل جاء أولياء المنافق قيل هو عطف على قوله فكيف يكون حالهم وكيف يصغون فعلى الأول الاستفهام في كف تعجيب للسامع من حال عجزهم عند الاعتذار ، وعلى الثاني استبعاد لما يصدر منهم من الأفعال التي كل واحد منها أبعد من الآخر .

(٢) قوله : وإنه لا فرق بينكم عطف على قوله إن ما في نفوسهم من حيث المعنى فكأنه قال وخاطبهم بأنه لا فرق بينكم وبين المشركين وفيه إلتفات عن الغيبة إلى الخطاب وهو قريب من الالتفات في قوله تعالى : { ستعلمون وتحشرون } بالياء والتاء ، والمكافئة المحاجة..

(٩٩/٣)

وبين المشركين، وما هذه المكافئة إلا لإظهاركم الإيمان وإسراكم الكفر وإضماره، فإن فعلتم ما تكشفون به غطاءكم لم يبق إلا السيف. أو يتعلق بقوله: { قل لهم } أي قل لهم في معنى أنفسهم الخبيثة وقلوبهم المطوية على النفاق قولاً بليغاً، وأن الله يعلم ما في قلوبكم(١) لا يخفي عليه فلا يغني عنكم إبطانه. فأصلحوا أنفسكم وطهروا قلوبكم وداووها من مرض النفاق، وإلا أنزل الله بكم ما أنزل بالمجاهرين بالشرك من انتقامه، وشراً من ذلك وأغلظ. أو قل لهم في أنفسهم - خالياً بهم، ليس معهم غيرهم، مساراً لهم بالنصيحة، لأنه في السر أنجع، وفي الإمحاض أدخل - قولاً بليغاً يبلغ منهم ويؤثر فيهم.

وما أرسلنا من رسول إلا ليطاع بإذن الله ولو أنهم إذ (#ûq=OJnك أنفسهم جاءوك فاستغفروا الله ٤u xچur\$#tG™ لهم الرسول لوجدوا الله تواباً رحيماً (٦٤) فلا وربك لا يؤمنون ٤s®Lxm يحكموك فيما ٤u چO ©t٤yfx÷gsY/ ثم لا يجدوا في أنفسهم

%]٤u چxm مما

قضيت ويسلموا \$VJ٤د=،n@ ادخب
}

(١) قوله : وإن الله يعلم ما في قلوبكم عطف تفسيري على قوله { قولاً بليغاً } وقوله { وقل لهم في أنفسهم } عطف على قوله : { قل لهم } في معنى أنفسهم وقوله ويؤثر في فيهم عطف تفسيري على قوله يبلغ منهم معنى يتمكن فيهم من جهة الإبلاغ و..... الاعتذار.

(١٠٠/٣)

وما أرسلنا من رسول { وما أرسلنا رسولا قط { إلا ليطاع بإذن الله { بسبب إذن الله في طاعته، وبأنه أمر المبعوث إليهم بأن يطيعوه ويتبعوه، لأنه مؤد عن الله، فطاعته طاعة الله ومعصيته معصية الله { ومن يطع الرسول فقد أطاع الله { ويجوز أن يراد بتيسير الله وتوفيقه في طاعته { ولو أنهم إذ ظلموا أنفسهم { بالتحاكم إلى الطاغوت { جاؤوك { تائبين من النفاق متوصلين عما ارتكبوا { فاستغفروا الله { من ذلك بالإخلاص، وبالغوا في الاعتذار إليك من إيدائك برد قضائك، حتى انتصبت شفيعا لهم إلى الله ومستغفرا { لوجدوا الله توابا { لعلموه توابا، أي لتاب عليهم. ولم يقل. واستغفرت لهم، وعدل عنه إلى طريقة الالتفات، تفخيما لشأن رسول الله وتعظيما لاستغفاره، وتنبيها على أن شفاعته من اسمه الرسول من الله بمكان { فلا وربك { معناه فوربك كقوله تعالى: { فوربك لنسألنهم { و(لا) مزيدة لتأكيد معنى القسم(١)،

(١) قوله: ولا مزيدة لتأكيد معنى القسم كما زيدت في { لنلا يعلم { ولا يؤمنون ، جواز القسم إلى آخر ما ذكره من السؤال والجواب ، قال صاحب التقريب وفيه نظر إذ يحتمل أن يقال أنه تأكيد للنفي في المنفي فقط بل وجه المنع أن لا حينئذ تنمة الجواب فيلزم

الفصل بين أجزاء الجواب بالجملة القسمية ، واقول هذا النظر مردود لأن ما قاله جار الله من أنه لتأكيد القسم أولى لكونه شاملا للنفي والإثبات فيكون أقرب إلى الضبط وأبعد عن الانتشار لاطراده على أن في وجه المنع الذي ذكره نظر إلا أن الفصل بين أجزاء الجواب إنما هو والجملة القسمية ليست هذا واعلم أنهم قالوا فائدة الحرف الزائد في كلام العرب إما معنوية وإما لفظية فالمعنوية تأكيد لمعنى كما تقدم في لا أنه لتأكيد معنى القسم ، وكما في من الاستغراقية والباء في خبر ما وليس ، إن قيل فيجب أن لا يكون زائدة إذا أفادت فائدة معنوية ، قلنا : إنما سميت زائدة لأنه لا يتغير بها أصل المعنى بل لا مزيد بسببها إلا تأكيدا لمعنى التأنيث وتقويته فكأنها لم تغد شيئا لما لم يغائر فائدتها العارضة الفائدة الحاصلة قبلها ويلزم على هذا أن تكون أن ولام التأكيد وألفاظ التأكيد اسما كانت أو لا زوائد ولم يقل به أحد ، وأما التأثير اللفظي فيؤثر بعضها في أن يعمل علما كالياء ومن الزائدين وبعضها لا يؤثر نحو { فيما رحمة { وأما الفائدة اللفظية فهي تزيين اللفظ وكونه بسبب الزيادة أفصح أو كون الكلمة أو الكلام بسببها لاستقامة وزن الشعر أو لحسن السجع أو غير ذلك من الفوائد اللفظية ولا يجوز خلوها من الفوائد اللفظية والمعنوية معا وإلا لعدت

عبثا وذلك لا يجوز لوردها في كلام الله والرسول وقد تجتمع الفائدةان في حرف ، وقد تنفرد أحدهما عن الأخرى وتسمى حروف الزيادة حروف الصلة لأنه يتوصل بها إلى زيادة الفصاحة وإلى إقامة وزن أو شعر أو سجع أو غير ذلك . قال صاحب الانتصاف : أراد المصنف أنها لما زيدت حيث لا يكون القسم نفيا دل على أنها إنما تزداد لتأكيد القسم فجعلت كذلك في النفي والظاهر عندي أنها هاهنا لتوطئة القسم وهو لم يذكر مانعا منه إنما ذكر أنها تأتي مجملا لغير هذا وذلك لا يأبى مجيئها في النفي على الوجه الآخر

من التوطئة على أن دخولها على المثبت فيه نظر فلم تأت في الكتاب العزيز إلا مع القسم بالفعل : { لا أقسم بهذا البلد } { لا أقسم بيوم القيامة } { لا أقسم بمواقع النجوم } { لا أقسم بما تبصرون } ولم تأت إلا في القسم بغير الله وله سر يأتي أن تكون هنا لتأكيد القسم وذلك أن المراد بها تعظيم المقسم به في الآيات المذكورة فكأنه بدخولها يقول إعظامي لهذه الأشياء المقسم بها كلا إعظام إذ هي تستوجب فوق ذلك وانما يذكر هذا لتوهم وقوع عدم تعظيمها فتؤكد بذلك ويفعل القسم ظاهرا وفي القسم بالله الوهم زائل فلا يحتاج إلى تأكيد فتعين حملها على التوطئة ولا تكاد تجدها في غير الكتاب العزيز داخل على قسم مثبت ، أما في النفي فكثير . وأقول ما ذكره صاحب الانتصاف فيه نظر لأن اللام الموطئة للقسم هي اللام التي تدخل على الشرط بعد تقدم القسم لفظا أو تقديرا لتؤذن بأن الجواب له لا للشرط وهذا معنى توطئتها للقسم وما ذكره عن هذا بمعزل ، وأيضا على تقدير أنه أريد بها تعظيم المقسم به وذلك لا ينافي كونها مؤكدة للقسم بل تؤيده لأن تعظيم المقسم به يلزم منه تأكيد القسم ، وأيضا في قوله لم تأت في الكتاب العزيز إلا مع القسم بالفعل ركة لأنه كان ينبغي أن يقول لم تأت إلا مع التصريح بفعل القسم.

(١٠١/٣)

كما زيدت في { لنلا يعلم } (الحديد: ٢٩) لتأكيد وجود العلم. و { لا يؤمنون } جواب القسم فإن قلت: هلا زعمت أنها زيدت لتظاهر (لا) في (لا يؤمنون)؟ قلت: يأبى ذلك استواء النفي والإثبات فيه، وذلك قوله: { فلا أقسم بما تبصرونه وما لا تبصرونه إنه لقول رسول كريم } (التكوير: ١٩) { فيما شجر بينهم } فيما اختلف بينهم واختلط، ومنه الشجر لتداخل أغصانه { خرجا } ضيقا، أي لا تضيق صدورهم من حكمك، وقيل: شكا، لأن الشاك في ضيق من أمره حتى يلوح له اليقين { ويسلموا } وينقادوا ويدعونا لما تأتي به

من قضائك، لا يعارضوه بشيء، من قولك: سلم الأمر لله وأسلم له، وحقيقة سلم نفسه (١) وأسلمها، إذا جعلها سالمة له خالصة، و { تسليمًا } تأكيد للفعل (٢) بمنزلة تكريره. كأنه قيل: وينقادوا لحكمه انقيادا لا شبهة فيه، بظاهرهم وباطنهم. قيل: نزلت في شأن المنافق واليهودي. وقيل: (٢٨٩) في شأن الزبير وحاطب بن أبي بلتعة؛ (٣) وذلك أنهما اختصما إلى رسول الله في شراح من الحرة.

(١) قوله وحقيقته سلم نفسه له يعني سلم متعدد إلى مفعولين أحدهما بنفسه والثاني بواسطة فحذف الأول للإطلاق والثاني لقربة الكلام.

(٢) قوله : وتسليما تأكيد للفعل بمنزلة تكريره قال الزجاج المصادر المؤكدة بمنزلة ذكر الفعل ثانيا كأنك إذا قلت سلمت تسليمًا فقد قلت سلمت سلمت.

(٣) قوله: نزلت في شأن الزبير وحاطب بن أبي بلتعة ، قيل هذا سهو لما روى البخاري ومسلم وغيرهما عن عروة ابن الزبير قال خاصم الزبير رجل من الأنصار في شراح الحرة وهي جمع شرح وهو مسيل الماء والحرة أرض ذات حجارة سود وحاطب أجل رتبة من أن يتكلم

بما يتغير به رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ويغضب لأنه كان بدريا وكان حليفا للزبير وهو حاطب ابن راشد اللحي ، وقيل كان حليفا لقريش ، وقيل أنه من مذحج ، وقيل من أهل اليمن ، وقيل كان حليفا لبني أسد فلا خلاف إذن أنه لم يكن أنصاريا. (١٠٢/٣)

كانا يسقيان بها النخل، فقال: "اسق يا زبير ثم أرسل الماء إلى جارك"، فغضب حاطب وقال: لأنه كان ابن عمك (١) فتغير وجه رسول الله ، ثم قال: "اسق يا زبير ثم احبس الماء حتى يرجع إلى الجدر واستوف حقك، ثم أرسله إلى جارك" كان قد أشار على الزبير برأي فيه السعة له ولخصمه؛ فلما أحفظ رسول الله ، استوعب للزبير حقه في صريح الحكم، ثم خرجا فمرا على المقداد، فقال: لمن كان القضاء؟ فقال الأنصاري: قضى لابن عمته، ولوى شذقه. ففطن يهودي كان مع المقداد فقال: قاتل الله هؤلاء، يشهدون أنه رسول الله

ثم يتهمونهم في قضاء يقضى بينهم، وإيم الله، لقد أذنبنا ذنبا مرة في حياة موسى، فدعانا إلى التوبة منه وقال: اقتلوا أنفسكم، ففعلنا، فبلغ قتلانا سبعين ألفا في طاعة ربنا حتى رضي عنا. فقال ثابت بن قيس بن شماس: أما والله إن الله ليعلم مني الصدق، لو أمرني محمد أن أقتل نفسي لقتلتها. وروى أنه قال ذلك ثابت وابن مسعود

وعمار بن ياسر، فقال رسول الله : "والذي نفسي بيده إن من أمتي رجالا الإيمان أثبت في قلوبهم من الجبال الرواسي". وروى عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه أنه قال: والله لو أمرنا ربنا لفعلنا، والحمد لله الذي لم يفعل بنا ذلك، فنزلت الآية في شأن حاطب، ونزلت في شأن هؤلاء.

ولو أنا N\$ sY;tFx. n=tzkم أن (#Fç=èq%\$# أنفسكم أو اخرجوا من N.حج"تفدث ما فعلوه

إلا @×@ثد=s% منهم ولو &k®XrN فعلوا ما يوعظون به لكان # [جyz لهم وأشد تثبيتا (٦٦)

وإذا Nك"y` s?÷ sY من لدنا أجرا عظيما (٦٧) Nك"g "9ur%y%÷fY\$W غ"u"ةVJ\$-B,tG

ادرب

}

(١) قوله: لأن كان ابن عمك أي لأجل أنه كان ابن عمك فإن مخففة من الثقيلة وكانت أم الزبير صفية بنت عبد المطلب.
(١٠٣/٣)

ولو أنا كتبنا عليهم أن اقتلوا أنفسكم { أي لو أوجبنا عليهم مثل ما أوجبنا على بني إسرائيل من قتلهم أنفسهم، أو خروجهم من ديارهم حين استتبوا من عبادة العجل { ما فعلوه إلا { ناس { قليل منهم { وهذا توبيخ عظيم. والرفع على البدل من الواو في (فعلوه). وقرئ: "إلا قليلا"، بالنصب على أصل الاستثناء، أو على إلا فعلا قليلا { ما يوعظون به { من اتباع رسول الله وطاعته. والانقياد لما يراه ويحكم به، لأنه الصادق المصدوق الذي لا ينطق عن الهوى { لكان خيرا لهم { في عاجلهم وآجلهم { وأشد تثبيتا { لإيمانهم وأبعد من الاضطراب فيه { وإذا { جواب لسؤال مقدر، كأنه قيل وماذا يكون لهم أيضا بعد التثبيت، فقيل: وإذا لو ثبتوا { لاتيناهم { لأن إذا جواب وجزاء (١) }

)

(١) قوله: لأن إذن جواب وجزاء تعليل للتقدير يعني لما قال لكان خيرا لهم وأشد تثبيتا اتجه لسائل أن يسأل عن جزائهم على التثبيت على الإيمان فأوقع إذا لآتيناهم جوابا لهذا السؤال وجزاء على التثبيت ، واللام في لآتيناهم جواب للو محذوفا كما قدره. قيل : وفي هذا التقدير تكلفات شتى : أحدها أنه لم يعلم على أي شيء عطف هذه الجملة أعني : { وإذا لآتيناهم } . وثانيها تقدير السؤال مع الإستغناء عنه .
وثالثها حذف لو لفظا وتقديره معنى من غير ضرورة ولا دليل ثم قيل الظاهر أنها معطوفة أعني جملة قوله { وإذا لآتيناهم } على قوله : { لكان خيرا لهم } على أنها جواب آخر لقوله { ولو أنهم فعلوا ما يوعظون به } ويؤيده ما قال المرز ، وفي قوله : قوله : معنى التعجب وذلك كما في قول القائل:

غلب باب كليت بواوها. فإن المصنف قال في فحوى هذا الفعل دليل التعجب من غير لفظ تعجب أراد من غير صيغة التعجب ، وهي ما أفعله وأفعل به وتحقيق ذلك أن صيغتي التعجب لا يأتیان إلا من فعل مضموم العين في أصل الوضع أو من المنقول إلى فعل إذا كان من غيره نحو ما أضر به ليدل بذلك على أن المتعجب منه كان كالغريزة إذ باب فعل موضوع لهذا المعنى.

(١٠٤/٣)

من لدنا أجرا عظيما { (النساء: ٤٠) كقوله: { ويؤت من لدنه أجرا عظيما } في أن لمراد العطاء المتفضل به من عنده وتسميته أجرا، لأنه تابع للأجر لا يشبث إلا بشأته { ولهديناهم { وللطفتنا بهم ووفقناهم لازدياد الخيرات.

ومن يطع الله والرسول فأولئك مع الذين أنعم الله Nخkژt=nم من النبيين والصديقين والشهداء sdtîü="s#ur z`ur ف،xmur أولئك رفيقا (٦٩) dy7٩CE" الفضل

من الله وكفى

بالله dVJ\$=tم (٧٠)

(١٠٥/٣)

الصديقون: أفاضل صحابة الأنبياء الذين تقدموا في تصديقهم كأبي بكر الصديق رضي الله عنه وصدقوا في أقوالهم وأفعالهم. وهذا ترغيب للمؤمنين في الطاعة، حيث وعدوا مرافقة

أقرب عباد الله إلى الله وأرفعهم درجات عنده { وحسن أولئك رفيقا } فيه معنى التعجب كأنه قيل: وما أحسن أولئك رفيقا لاستقلاله بمعنى التعجب (١). قرىء: "وحسن"، بسكون السين. يقول المتعجب: حسن الوجه وجهك! وحسن الوجه وجهك، بالفتح والضم مع التسكين.

والرفيق: كالصديق والخليط في استواء الواحد والجمع فيه، ويجوز أن يكون مفردا، بين به الجنس في باب التمييز. وروي: (٢٩٠) أن ثوبان مولى رسول الله كان شديد الحب لرسول الله قليل الصبر عنه، فأتاه يوما وقد تغير وجهه ونحل جسمه وعرف الحزن في وجهه فسأله رسول الله عن حاله، فقال: يا رسول الله، ما بي من وجع غير أنني إذا لم أرك اشتقت إليك واستوحشت وحشة شديدة حتى ألقاك، فذكرت الآخرة، فخفت أن لا أراك هناك، لأنني عرفت أنك ترفع مع النبيين وإن أدخلت الجنة كنت في منزل دون منزل، وإن لم أدخل فذاك (٢) حين لا أراك أبدا، فنزلت، فقال رسول الله: "والذي نفسي بيده لا يؤمن عبد حتى أكون أحب إليه من نفسه وأبويه وأهله وولده والناس أجمعين".

(١) قوله: ولا استقلاله بمعنى التعجب قرئ وحس بسكون السين يعني القياس في الفعل الماضي الصحيح أن يكون متحرك الوسط وإنما يكن وسط حسن هنا لاستقلاله بمعنى التعجب

لأنه لما استقل بمعنى التعجب شأنه نعم وبئس المستقلين بمعنى المدح والذم فخفف تخفيفهما والله أعلم.

(٢) قوله: فذاك أي فذاك الوقت الذي أخاف إلا أراك، وروي حين مفتوحا لإضافته إلى غير متمكن.

(١٠٦/٣)

وحكى ذلك عن جماعة من الصحابة { ذالك } مبتدأ و { الفضل } صفته و { من الله } الخبر، ويجوز أن يكون ذلك مبتدأ، والفضل من الله خبره، والمعنى: أن ما أعطي المطيعون من الأجر العظيم ومرافقة المنعم عليهم (١) من الله لأنه تفضل به عليهم تبعاً لثوابهم { وكفى بالله علما } بجزاء من أطاعه أو أراد أن فضل المنعم عليهم ومزيتهم من الله، لأنهم اكتسبوه بتمكينه وتوفيقه وكفى بالله علما بعباده فهو يوفقهم على

حسب أحوالهم.

tf"~'r%oJpk\$ الذين آمنوا خذوا حذرکم فانفروا ثبات أو انفروا جميعا (٧١)

{ خذوا حذرکم } الحذر والحذر بمعنى، كالأثر والأثر، يقال: أخذ حذره، إذا تيقظ واحترز من المخوف، كأنه جعل الحذر آله (٢) التي بقي بها نفسه ويعصم بها روحه. والمعنى: احذروا واحترزوا من العدو ولا تمكنوه من أنفسكم { فانفروا } إذا نفرتم إلى العدو. إما { ثبات } جماعات متفرقة سرية بعد سرية، وإما { جميعا } أي مجتمعين كوكبة واحدة (٣) ، ولا تتخاذلوا فتلقوا بأنفسكم إلى التهلكة. وقرئ: "فانفروا" بضم الفاء.

(١) قوله: أو أراد أن فعل المنعم عليهم عطف من حيث المعنى على قوله والمعنى أن ما أعطي المطيعون يريد أن المشار إليه بذلك إلى ما أعطي من يطع الله والرسول على الوجه الأول أو إلى ما دل عليه قوله: { الذين أنعم الله عليهم من النبيين } ثم فسر قوله: وكفى بالله عليمًا على كل واحد من الوجهين بما يناسبه ، وقيل أن المشار إليه في الأول مضمون الآيات الثلاث من قوله : { وإذن لآتيناهم } إلى قوله { رفيقا } .
(٢) قوله : { كأنه جعل الحذر آله يعني استعار للسلاح الحذر بقرينة خذوا.
(٣) قوله : كوكبة واحدة كوكب الشيء معظمة وكوكب الروضة نورها واستعمالها هنا مجاز.
(١٠٧/٣)

ur(خb منكم لمن لبيطن فإن أصابتكم 7×ptثاء-B قال قد أنعم الله علي إذ لم أكن معهم

ky%Y# (٧٢) ولئن أصابكم فضل من الله ليقولن كأن لم تكن ٣N ÷ t/sY
1/4çmsY ÷ t/ur

مودة سة _Gtثn="tf كنت معهم فأفوز فوزا عظيما (٧٣)

اللام في (لمن) للابتداء بمنزلتها في قوله: { إن الله لغفور } (النحل: ١٨) وفي { لبيطن } جواب قسم محذوف تقديره: وإن منكم لمن أقسم بالله لبيطن، والقسم وجوابه (١)

(١) قوله : والقسم وجوابه صلة من اعلم أن صلة الموصول لا يجوز أن يكون جملة إنشائية ولا طلبية نحو جاء الذي بعثه قاصدا لإنشاء المبيع وجاء الذي هل قام لأن نحو ذلك لا

يفيد تعيين ما قصد ، وأما قول الشاعر :

وإني لراج نظرة قبل التي يصلى ... وإن شطت نواها أزورها

فمتأول بمقول فيها. وإذا تقرر هذا وقد ثبت أن الجملة القسمية إنشا فلا يصلح أن تكون

صلة للموصول، قال ابن الحاجب في شرح المفصل القسم جملة إنشائية تولد بها جملة أخرى

، وعلى هذا فإما أن يكون القسم مع جوابه صلة بتقدير مقول فيه والله ليبطن أو يكون الصلة بالحقيقة جواب القسم ، ولكن القسم وجوابه لما ينزلا منزلة جملة واحدة كجملي الشرط والجزاء جاز اطلاق ذلك ، والمراد ما ذكرت هذا وقد جوز بعضهم وقوع الجملة القسمية صلة محتجا بهذه الآية قائلا بأنه لا وجه لمنع وقوعها صلة وكأنه ألحق ، وقد استدل بعضهم بوقوعها صلة على أنها خبرية.

(١٠٨/٣)

صلة من، والضمير الراجع منها إليه ما استكن في { ليبطن } والخطاب لعسكر رسول الله والمبطئون منهم المنافقون لأنهم كانوا يغزون معهم نفاقا. ومعنى (ليبطن) ليتناقلن ولتخلفن عن الجهاد وبطأ بمعنى: أبطأ كغتم بمعنى: أغتم، إذا أبطأ، وقرئ "ليبطن" بالتخفيف يقال: بطأ علي فلان وأبطأ علي وبطؤ نحو: ثقل، ويقال: ما بطأ بك، فيعدى بالباء، ويجوز أن يكون منقولاً (١) من بطؤ، نحو؟ ثقل من ثقل، فيراد ليبطن غيره وليشبطنه عن الغزو، وكان هذا ديدن المنافق عبد الله بن أبي، وهو الذي ثبط الناس يوم أحد { فإن أصابتكم مصيبة } من قتل أو هزيمة { فضل من الله } من فتح أو غيمة { ليقولن } وقرأ الحسن (٢) "ليقولن" بضم اللام إعادة للضمير إلى معنى (من) لأن قوله: (لمن ليبطن) في معنى الجماعة، وقوله: { كأن لم تكن بينكم وبينه مودة } (٣)

(١) قوله : ويجوز أن يكون منقولاً أي متعدياً بالتثنية وهو عطف على قوله ومعنى ليبطن ليتناقلن .

(٢) قوله: وقرأ الحسن ليقولن إلى آخره ، قال صاحب الإنتصاف في هذه القراءة نكتة غريبة وهي العود إلى معنى من بعد الجمل على لفظها في ليبطين ، وقال : وعلي وأكن

وشهيدا وقد أنكر بعضهم وجوده في القرآن لما يلزم من الإجمال بعد البيان وهو خلاف البلاغة ، لأنه يؤدي إلى أن العود إلى لفظها ليس بمفصح عن معناها بل تناوله للمعنى المبهم فوقوعه بعد البيان عسر ومبهم من عد وجوده في القرآن في مواضع هذه القراءة. ثالثها.

(٣) قوله : : { كأن لم يكن بينكم وبينه مودة } اعتراض ، قيل هذا الاعتراض في غاية الجزالة إذ يفيد أنهم يحسدونكم على ما لم يصل إليكم من الخير كأن لم يكن بينكم

وبينهم مودة ، قال الطيبي : وقلت التحقيق فيه أن قولهم { يا ليتني كنت معهم فأفوز فوزا عظيما } طلب لما لا يمكن حصوله وهذا القول منهم بسببه مصاحبة من كان يوافقه ويصل إليه منه المبرات فأنس من ذلك فكان قوله { كأن لم يكن بينكم وبينه مودة } أي مصاحبة مؤكدة لهذا المعنى لكن إنما يحسن استعمال مثل هذا فيما إذا استعمل في محبة صافية ومودة صادقة إما تلهفا على قرب المحبوب ومصافاته أو تغيير المن بغير ذلك وانقلب عدوا مبغضا ، ولما لم يكن حال المنافقين في شيء من هذين الوصفين قال فكيف يوصفون بالمودة إلا على وجه العكس أي الإستعارة التهكمية.

(١٠٩/٣)

اعتراض بين الفعل الذي هو (ليقولن) وبين مفعوله وهو { يا ليتني } والمعنى كأن لم تتقدم له معكم مودة، لأن المنافقين كانوا يوادون المؤمنين ويصادقونهم في الظاهر، وإن كانوا يبعون لهم الغوائل في الباطن، والظاهر أنه تهكم لأنهم كانوا أعدى عدو للمؤمنين وأشدّهم حسدا لهم، فكيف يوصفون بالمودة إلا على وجه العكس تهكما بحالهم. وقرئ: "فأفوز" بالرفع عطفًا على كنت معهم لينتظم الكون معهم، والفوز معنى التمني، فيكونا متمنين جميعا، ويجوز أن يكون خبر مبتدأ محذوف، بمعنى فأنا أفوز في ذلك الوقت.

* فليقاتل في سبيل الله الذين رث cr مؤثر³ tf الحياة الدنيا ou^{1/2} \$zFy خ/ ومن يقاتل في

سبيل الله فيقتل أو =d= tf فسوف نؤتيه أجرا عظيما (٧٤) وما لكم لا تقاتلون في سبيل

الله والمستضعفين من ة%y`A ح<sup>٩</sup> \$٩# والنساء ب\$`t!b q9\$#ur الذين يقولون 'u/sY\$!

ur٩dw\$ من لدنك &zr÷حج sYô\$ من دنة"yd القرية الظالم أهلها واجعل لنا من لدنك ur٩dw\$ واجعل sY©9\$

من لدنك #||ثجاء75 (tR الذين آمنوا يقاتلون في سبيل الله والذين كفروا يقاتلون في سبيل الطاغوت (#=ûqè"G sù" أولياء الشيطان إن كيد الشيطان كان ضعيفا اذنب }

(١١٠/٣)

يشرون { بمعنى يشترون ويبيعون(١) قال ابن مفرغ:(٢)

وشريت بردا ليتني ... من بعد برد كنت هامة

(١) قوله : يشرون بمعنى يشترون ويبيعون ، والفاء في قوله فالذين يشرون تفصيلية
بدليل قوله والذي يبيعون ، والتفصيل مبني على تفسير الذين يشرون فإذا عبر به عن
المبطلين كان بمعنى يشرون وإذا عبر به عن التائبين المخلصين كان بمعنى يبيعون وهذا
يدور على معنى الفاء في فليقاتل إن جعلت للتعقيب رجوع المعنى الى يشرون لأنها رابطة
لهذا المعنى بقوله : { وإن منكم لمن ليبطئن } الآية فيكون تعبيراً لهم بما هم عليه
من النفاق وإليه الإشارة بقوله وعظوا وإن جعلت بجزء لشرط محذوف رجوع المعنى إلى
يبيعون وإليه أشار بقوله والمعنى أن صد هؤلاء وقد وضع الذين يشرون موضع الضمير على
التقديرين .

(٢) قوله : وشريت بردا ليتني من بعد برد كنت هامة.

بعده : هامة تشكوا الصدى بين المسقر واليمامة
برد اسم غلام الشاعر باعه وندم عليه فتمنى الموت لأن الهامة عندهم عبارة عن الموت
ومن زعماتهم أن عظام الميت تصير هامة وتطير وأن الرجل إذا قتل ولم يقتص به وأخذت
ديته خرجت من رأسه تصيح وافلاتاه واعطشاه والصدى العطش والمسقر واليمامة موضعان
وكأنه تمنى القتل بعده بقربة يشكوا الصدى.
(١١١/٣)

فالذين يشترون الحياة الدنيا بالآخرة هم المبطلون، وعظوا بأن يغيروا ما بهم من
النفاق ويخلصوا الإيمان بالله ورسوله، ويجاهدوا من سبيل الله حق الجهاد، والذين
يبيعون هم المؤمنون الذين يستحبون الآجلة على العاجلة ويستبدلون بها، والمعنى: إن
صد الذين مرضت قلوبهم وضعفت نياتهم عن القتال فليقاتل الثابتون المخلصون في واعد
المقاتل في سبيل الله ظافراً أو مظفورا به إيتاء الأجر العظيم على اجتهاده في إعزاز
دين الله { والمستضعفين } فيه وجهان أن يكون مجروراً عطفاً على سبيل الله أي في سبيل
الله وفي خلاص المستضعفين ومنصوباً على اختصاص يعني واختص من سبيل الله خلاص
المستضعفين لأن سبيل الله عام في كل خير، وخلاص المستضعفين من المسلمين من أيدي
الكفار من أعظم الخير وأخصه والمستضعفون هم الذين أسلموا بمكة وصددهم المشركون عن
الهجرة فبقوا بين أظهرهم مستذلين مستضعفين يلقون منهم الأذى الشديد، وكانوا يدعون
الله بالخلاص ويستنصرونه فيسر الله لبعضهم الخروج إلى المدينة، وبقي بعضهم إلى

الفتح حتى جعل الله لهم من لدنه خير ولي وناصر وهو محمد فتولاهم أحسن التولي ونصرهم أقوى النصر (١) ، ولما خرج استعمل على أهل مكة عتاب بن أسيد فرأوا منه الولاية والنصرة كما أرادوا، قال ابن عباس: كان ينصر الضعيف من القوي حتى كانوا أعز بها من الظلمة. فإن قلت: لم ذكر الولدان؟ قلت: تسجيلا بإفراط ظلمهم، حيث بلغ أذاهم الولدان غير المكلفين، إرغاما (٢)

(١) قوله: ونصرهم أقوى النصر قال المصنف لما صيروا جاء بالمهاجر إليه إليهم لحسن صبرهم ، قال المتنبى وليس الذي يتبع الوبل رابدا كمن جاءه في داره رايد الوبل ، ومعنى ينصر الضعيف من القوي ينتقم من القوي ، وقيل من بمعنى على .
(٢) قوله : قول ارغاما مفعول له لقوله بلغ إذا هم وحذف اللام ونصب لأن بلغ أذاهم في معنى يؤذون فيكون فعلا لفاعل الفعل المعلن..
(١١٢/٣)

لآبائهم وأمهاتهم ومبغضة لهم لمكانهم، ولأن المستضعفين كانوا يشركون صبيانهم في دعائهم استنزالا لرحمة الله بدعاء صغارهم الذين لم يذنبوا، كما فعل قوم يونس وكما وردت السنة بإخراجهم في الاستسقاء، وعن ابن عباس: كنت أنا وأمي من المستضعفين من

النساء والولدان، ويجوز أن يراد بالرجال والنساء الأحرار والحرائر، وبالولدان العبيد والإماء، لأن العبد والأمة يقال لهما الوليد والوليدة، وقيل للولدان والولائد (الولدان) لتغليب الذكور على الإناث كما يقال الآباء والإخوة. فإن قلت: لم ذكر الظالم وموصوفه (١) مؤنث؟ قلت: وهو وصف للقرية إلا أنه مسند إلى أهلها. فأعطي إعراب القرية لأنه صفتها، وذكر لإسناده إلى الأهل كما تقول من هذه القرية التي ظلم أهلها، ولو أنت فقيل: الظالمة أهلها، لجاز لا لتأنيث الموصوف، ولكن لأن الأهل يذكر ويؤنث. فإن قلت: هل يجوز من هذه القرية الظالمين أهلها؟ قلت: نعم، كما تقول: التي ظلموا أهلها، على لغة من يقول: أكلوني البراغيث. ومنه { وأسروا النجوى الذين ظلموا } (الأنبياء: ٣)، رغب الله المؤمنين ترغيبا وشجعهم تشجيعا بإخبارهم أنهم إنما يقاتلون في سبيل الله. فهو وليهم وناصرهم، وأعداؤهم يقاتلون في سبيل الشيطان فلا ولي لهم إلا الشيطان، وكيد الشيطان للمؤمنين إلى جنب كيد الله للكافرين أضعف شيء وأوهنه.

(١) قوله : لم ذكر الظالم وموصوفه مؤنث وحاصل الجواب : أنه وصف بحال متعلق الموصوف

فلا يتبعه في التأنيث وتذكيره بحسب تذكير الفاعل وهو إلا هل ومعنى كع جبن.
(١١٣/٣)

ألم uچ؟ إلى الذين قيل لهم (#'ûq'ن. أيدىكم وأقيموا الصلاة وآتوا الزكاة sù<Hs\$ كتب مNخk=tnم القتال إذا ×،fحج sù منهم يخشون الناس كخشية الله أو أشد خشية وقالوا

'u/sY\$ لم كتبت علينا القتال لولا !sYs\$؟ج'zr إلى @&y_r=و f=حج s% قل متاع الدنيا

×@=د s% ن ouج½ur#zFy\$ ضرج yz لمن اتقى ولا Jn=àètbq؟ فتبلى اذذب }
(١١٤/٣)

كفوا أيدىكم { أي كفوها عن القتال وذلك أن المسلمين كانوا مكفوفين عن مقاتلة الكفار ما داموا بمكة، وكانوا يتمنون أن يؤذن لهم فيه { فلما كتب عليهم القتال { بالمدينة كع فريق منهم لا شكا في الدين ولا رغبة عنه، ولكن نفورا من الإخطار بالأرواح وخوفا

من الموت { كخشية الله { من إضافة المصدر إلى المفعول، فإن قلت: ما محل (كخشية الله) من الإعراب؟ قلت: محله النصب على الحال من الضمير في (يخشون) أي يخشون الناس

مثل أهل خشية الله، أي مشبهين لأهل خشية الله (١) { أو أشد خشية { بمعنى أو أشد خشية من أهل خشية الله، وأشد معطوف على الحال.

(١) قوله إني مستهين لأهل خشية الله أي أشد خشية من أهل خشية الله خشية فيكون أشد حالا أيضا فالمعنى يخشون الناس حال كونهم مستهين لأهل خشية الله أو حال كونهم أشد خشية من أهل خشية الله.
(١١٥/٣)

فإن قلت: لم عدلت عن الظاهر وهو كونه صفة للمصدر ولم تقدر يخشون خشية مثل خشية

الله، بمعنى مثل ما يخشى الله؟ قلت: أبى ذلك قوله: { أو أشد خشية } لأنه وما عطف عليه في حكم واحد، ولو قلت يخشون الناس أشد خشية؟ لم يكن إلا حال عن ضمير الفريق ولم ينتصب انتصاب المصدر (١)،

(١) قوله : إتي ذلك إلى قوله ولم ينتصب إنتصاب المصدر ، وإنما لم يجر أن يكون أشد خشية صفة للمصدر الذي هو خشية لأن ذلك يؤدي إلى أن يوصف الخشية بأنها تخشى وهذا على

تقدير نصب خشية لأنها إذا نصبت كانت تميزا عن النسبة في أشد الذي هو أفعال التفضيل والتمييز فاعل في المعنى فيكون التقدير على هذا خشية أشدت خشيتها ، وإذا أضيفت فقلت أشد خشية جاز أن تصير صفة للخشية لأن أشد أفعال التفضيل فيكفي المصدر به من المضاف إليه لأن حكمه حكم ما أضيف إليه فكأنك قلت يخشون الأشد من الخشيات ، والمعنى

حيث يخشون خشية أشد الخشيات ، وذكر ابن الحاجب في الأمالي أن في قوله : إني ذلك وأشد خشية لأنه وما عطف عليه في حكم واحد نظرا لم لا يكون أشد منصوبا بفعل مضمر دل عليه يخشون الأول أي يخشون الناس خشية مثل خشية الله أو يخشون الناس أشد خشية ، فيكون الكاف نعتا لمصدر محذوف ، وأشد حالا وهذا أولى لأنه يوجب حمل حرف الكاف على

ظاهرها ولا يلزم ما ذكره من أن المعطوف يشارك المعطوف عليه في العامل لأن ذلك في المفردات وهذه جملة ولأن قوله : { أذكروا الله كذكركم آباءكم أو أشد ذكرا } لا يجوز فيه الحال ولا يستقيم إلا على هذا فينبغي أن يكون هذا مثله لموافقة له في اللفظ.. (١١٦/٣)

لأنك لا تقول خشي فلان أشد خشية (١)،

(١) قوله : لا يقول خشي فلان أشد خشية فت نصب خشية وأنت تريد المصدر إنما تقول أشد خشية فتجرها ، قال أبو البقاء في قوله تعالى أو أشد ذكرا : أفعال يضاف إلى ما بعدها إذا كان من جنس ما قبلها كقولك ذكرك أشد ذكر ووجهك أحسن وجه أي أشد الذاكر وأحسن

الوجه وإذا نصبت ما بعدها كان غير الذي قبلها كقولك زيد أفره عبدا فالفراة للعبد

لا لزيد والمذكور قبل أشد هو الذكر لا يذكر حتى يقال الذكر أشد ذكرا وإنما يقال أشد ذكر بالإضافة لأن الثاني هو الأول. وقال أبو علي وابن جني : أنه جعل الذكر ذاكرا على المجاز كما يقال زيد أشد ذكرا من عمرو والذي قاله أبو البقاء قد وافقه سائر النحاه في ذلك ، وقالوا أن أفعل التفضيل إذا أضيف إلى شيء فالذي يجري عليه أفعل التفضيل بعض المضاف إليه نحو هذا الثوب أحسن ثوب وإن نصبت ما بعده على التمييز فالمنصوب سبب لمن جرى عليه أفعل ومتعلقه نحو زيد أحسن منك ثوبا ففي قولك زيد أفره عبد هو العبد وفي قولك زيد أفره عبدا هو مولى العبد ، هذا وما قالوا غير مطرد ألا ترى أنك تقول هو أشجع الناس رجلا وهما خير الناس أثنين على ما أورده سيبويه أي هو أشجع الناس من رجل ، وهما خير الناس من أثنين كما تقول حسنك بزيد رجلا ومن رجل ، قال تعالى : { فالله خير حافظا } انتصب حافظا على التمييز بمعنى خير من حافظ فهو والجزاء سواء نحو خير حافظ وخير حافظا فالله هو الحافظ في الوجهين..

(١١٧/٣)

فتنصب خشية وأنت تريد المصدر، إنما تقول أشد خشية فتجرها، وإذا نصبتها لم يكن أشد

خشية إلا عبارة عن الفاعل حالا منه، اللهم إلا أن تجعل الخشية خاشية وذات خشية، على قولهم جد جده فتزعم أن معناه يخشون الناس خشية مثل خشية الله، أو خشية أشد خشية من خشية الله، ويجوز على هذا (١) أن يكون محل (أشد) مجرورا عطفا على (خشية الله) تريد كخشية الله أو كخشية أشد خشية منها { لولا أخرتنا إلى أجل قريب } استزادة في مدة الكف (٢)، واستمهال إلى وقت آخر، كقوله: { لولا أخرتني إلى أجل قريب فأصدق } (المنافقون: ١٥). { ولا تظلمون فتيلا } ولا تنقصون أدنى شيء من أجوركم على مشاق القتال فلا ترغبوا عنه، وقرئ: "ولا يظلمون"، بالياء.

(١) قوله : ويجوز على هذا أي إذا جعلت كخشية الله صفة مصدر محذوف جاز أن يكون

محل

أشد نصبا عطفا على الكاف التي هي مضافة إلى الخشية فتكون صفة للمصدر المحذوف ، ويجوز أن يكون محلة جرا عطفا على المضاف إليه فيكون صفة المصدر هو الكاف فقط وهو مضاف إلى خشية وأشد عطف على خشية ويكون التقدير حينئذ يخشون الناس خشية كخشية الله

أو كأشد خشية من خشية الله ، لكن قال المصنف أشد من خشية الله وهما في المعنى سيان

بل التحقيق ما ذكر لأنك إذا قلت خشية كأشد خشية من خشية الله يكون أشد صفة موصوف محذوف ويكون المعنى خشية كخشية أشد خشية من خشية الله.

(٢) قوله : استزادة في مدة الكف أراد أن في لولا معنى التمني والطلب المعنى ليتك أخرتنا.

(١١٨/٣)

&yJsY÷fr\$ تكونوا يدرككم الموت ولو كنتم في بروج؛ oy%ot±-B وإن تصبهم

xm.puZ | ×

يقولوا yd"ةn3/4 من عند الله وإن تصبهم سيئة يقولوا yd"ةn3/4 من عندك قل كل من عند

الله فمال هؤلاء القوم لا يكادون يفقهون حديثا (٧٨) ما أصابك من xm.puZ | ٧ فمن الله

وما أصابك من سيئة فمن نفسك ur&sYù=yTM'r"y7 للناس رسولا وكفى بالله

ky%Y# اذنب

قرىء "يدرككم" بالرفع وقيل: هو على حذف الفاء، كأنه قيل: فيدرككم الموت، وشبهه (١) بقول القائل:

من يفعل الحسنات الله يشكرها

ويجوز أن يقال: حمل على ما يقع موقع (٢) }

(١) قوله : لو لا معنى السؤال. قوله : شبه أي في حذف الفاء بقوله :

من يفعل الحسنات الله يشكرها ،تمامه : والشر بالشر عند الله مثلان ويروى سيان والتقدير فالله يشكرها أي يشيب فاعلها ثوبا مضاعفا.

(٢) قوله : ويجوز أن يقال حمل على ما يقع موقع أينما تكونوا وهو أينما كنتم أراد

أنه يجوز أن يقع الماضي في الشرط موقع المضارع وعلى تقدير كون الشرط ما ضيا يجوز الرفع في الجزاء فرفع يدرككم على توهم أن الشرط ماض لأن وضع الماضي موضع المضارع معهود كثيرا كما أن دخول الباء في خبر ليس لما كان معهودا كثيرا لا باعث في قوله :

مشأتم ليسوا مصلحين عشيرة ولا باعث إلا بنين عرابها

على توهم دخول الباء في مصلحين ، فكأنه قال ليس بمصلحين ولولا هذا التوهم لقال ولا

باعثا فرفع يدرككم كرفع زهير في قوله
وإن أباه حليل يوم مسغبة ... يقول لا غائب مالي ولا حرم
هو الجواد الذي يعطيك نافلة ... عفوا وتظلم فيظلم

الحليل الفقير والخلة الحاجة والفقر أي أباه محتاج يوم حاجة مدح زهير بهذا هزم بن
سنان يقول إذا أتاه فقير يوم حاجة وسأله شيئا من ماله لا يعتل بأنه غائب بل يقول لا
غائب مالي أي بل هو حاضر ولا حرم أي لا حرمان لك مني ، قال سيبويه وإنما رفع يقول
وهو جواب الشرط على نية التقدم كأنه قال يقول أن أباه حليل وهو عند الكوفيين على
إضمار الفاء وعند المصنف لأن الشرط ماض فيجوز فيه الرفع والحرم وهكذا ذكر بعض
الأفاضل ، وأقول : مذهب الكوفيين وجوب الرفع إذا كان الجزاء مضارعا والشرط ماض لأن
الجزم في الجواب عندهم للجزاءات فإذا لم يجزم الشرط لم يجزم الجزاء ، وعند سائر
النحاه الرفع في ذلك لأحد وجهين إما لكونه في نية التقدم ، وإما لإضمار الفاء ،
قيل: الفعل وفيما قالوه نظر لأن هذين الوجهين مختصان بالضرورة وكلامنا في حال السعة

والأولى ما ذهب إليه المصنف من أن الرفع إنما جاز لضعف أن في هذه الصورة عن جزم
الجزاء لحيلولة الماضي بينها وبينه غير معمول ، فلما لم يعمل في الشرط لم يعمل في
الجزاء فتكون إن جازمة لشيء واحد وهو الشرط تقديرا كما تجزم سائر الجوازم فعلا
واحدا كلم ولما ولام الأمر ولا في النهي ، وهكذا يقول المبرد فيما تقدم عليه ما هو
الجزاء معنى يقول هو جزاء غير معمول فيه لضعف أن عن العمل في المتقدم عليها ، وأما
الجزم فإنما جاز لأنها لما كانت هي الأصل في الجزم وقد عملت في الشرط تقديرا لا
لفظا لكونه مبنيا غير قابل للعمل اللفظي جاز أن يعمل في الجزاء لفظا لكونه معربا
قابلا للعمل اللفظي وحيلولة الماضي غير معمول فيه غير مانعة كما لم تمنع مع العمل ،
ولأن العمل التقديري كاللفظي الانتصاف في قوله حمل على ما يقع موقع أينما تكونوا
وهو أينما كنتم نظر و ليس نظير ولا باعث ، لأن الباء اطرء دخولها في خبر ليس توطئة
فجاز الحمل عليه ، وأما تقدير أينما كنتم في معنى كلام آخر يرتفع منه يدرككم فلم
يشتهر ولم يوجد له نظير ، وبيت زهير محمول على نقل سيبويه على التقديم والتأخير
فليس من قبيل ولا ناعث ، وأقول إنما كان نظير ولا ناعث بالنظر إلى أن الماضي يقع
موقع المضارع في باب الشرط وقوعا مطردا ومنكر ذلك مكابر لا بالنظر إلى هذه المادة
المعينة كما أن الياء إنما اطرء دخوله في خبر ليس على الإطلاق لا في هذه المادة
المعينة وهي مصلحين ، وقول سيبويه بالتقديم ليس بصحيح عند المصنف حتى يرد عليه.

أينما تكونوا { ، وهو أينما كنتم، كما حمل "ولا ناعب"، على ما يقع موقع (ليسوا مصلحين) وهو ليسوا بمصلحين، فرفع كما رفع زهير:
يقول لا غائب مالي ولا حرم
وهو قول نحوي سيبوي(١). ويجوز أن يتصل بقوله: { ولا تظلمون فتيلًا } أي ولا تنقصون شيئًا مما كتب من آجالكم. أينما تكونوا في ملاحم حروب أو غيرها، ثم ابتداء قوله: {
يدرككم الموت ولو كنتم في بروج مشيدة } والوقف على هذا الوجه على أينما تكونوا.

(١) قوله : وهو قوله نحوي سيبوي القياس نسبي لأنه مركب ولكنه على قولهم وعبسمي في أنه صاغه من المجموع والملاحم جمع ملحمة وهي الواقعة العظيمة في الفتنة.
(١٢٠/٣)

والبروج: الحصون. مشيدة مرفعة. وقرىء "مشيدة" من شاد القصر إذا رفعه أو طلاه بالشيد وهو الجص. وقرأ نعيم بن ميسرة "مشيدة" بكسر الياء وصفا لها بفعل فاعلها مجازا كما قالوا: قصيدة شاعرة، وإنما الشاعر فارضها. السيئة تقع على البلية والمعصية. والحسنة على النعمة والطاعة. قال الله تعالى: { وبلوناهم بالحسنات والسيئات لعلهم يرجعون } (الأعراف: ١٩٨) وقال: { إن الحسنات يذهبن السيئات } (هود: ١١٤). والمعنى: وإن تصبهم

نعمة من خصب ورخاء نسبوها إلى الله، وإن تصبهم بلية من قحط وشدة أضافوها إليك وقالوا: هي من عندك، وما كانت إلا بشؤمك، كما حكى الله عن قوم موسى: { وإن تصبهم سيئة يطيروا بموسى ومن معه } (الأعراف: ١٣١) وعن قوم صالح: { قالوا اطيرونا بك وبمن معك } (النمل: ٤٧) وروي عن اليهود - لعنت - أنها تشاءمت برسول الله فقالوا: منذ دخل المدينة نقصت ثمارها وغلت أسعارها، فرد الله عليهم { قل كل من عند الله } يسط الأرزاق ويقبضها على حسب المصالح { لا يكادون يفقهون حديثا } فيعلموا أن الله هو الباسط القابض، وكل ذلك صادر عن حكمة وصواب ثم قال { ما أصابك } يا إنسان خطابا عاما { من حسنة } أي من نعمة وإحسان { فمن الله } تفضلا منه وإحسانا وامتنانا وامتحانا { وما أصابك من سيئة } أي من بلية ومصيبة فمن عندك، لأنك السبب فيها بما

اكتسبت يداك { وما أصابكم من مصيبة فبما كسبت أيديكم ويعفو عن كثير { (الشورى: ٣٠)
وعن عائشة رضي الله عنها: ما من مسلم يصيبه وصب ولا نصب، حتى الشوكة يشاكها(١)،

)

(١) قوله : حتى الشوكة الشوكة هاهنا المرة من شك ولو أرادت واحدة البنات لقالت شك بها وبديل على أنها المرة من المصدر جعلها غاية للمعاني وعطف المعنى عليها والضمير في يشاكها للشوكة..
(١٢١/٣)

وحتى انقطاع شسع نعله إلا بذنب، وما يعفو الله أكثر { وأرسلناك للناس رسولا { أي رسولا للناس جميعا(١) لست برسول العرب وحدهم، أنت رسول العرب والعجم، كقوله: { وما أرسلناك إلا كافة للناس { (سبأ: ٢٨)، { قل يا أيها الناس إني رسول الله إليكم جميعا { (الأعراف: ١٥٨)، { وكفى بالله شهيدا { على ذلك، فما ينبغي لأحد أن يخرج عن طاعتك واتباعك.

من يطع الرسول فقد أطاع الله ومن تولى فما &sYù=y™'r"y7 عليهم
(xm 80Zà\$
}

(١) قوله: أي رسولا للناس جميعا يريد أن تقديم للناس على عاملة وهو رسولا يفيد في هذا المقام معنى القصر القلبي وبيانه أن اللام في الناس للإستغراق وهو في مقابله البعض لأنه رد لزعم اليهود أنه مبعوث إلى العرب وحدهم دون كل الناس وإليه الإشارة بقوله لست برسول للعرب وحدهم أنت رسول العرب والعجم أي جميع أصناف الناس لأن معنى

القصر القلبي رد المخاطب إلى إثبات ما ينفيه ونفي ما ينسه من الحكم قال أبو البقاء رسولا حال مؤكدة أي ذا رسالة ويجوز أن مصدر أو للناس متعلق بأرسلنا ، وقال القاضي رسولا حال قصد بها التأكيد إن علق الجار بالفعل والتعميم إن علق بها أي رسولا للناس ، وإنما اختار المصنف هذا الوجه لتطابق المقام لأن الكلام مع اليهود كما سبق ، ولهذا استشهد بالآيتين الداليتين على العموم على أن كافة صفة مصدر محذوف والمرتسم الممثل.

(۱۲۲/۲۳)

من يطع الرسول فقد أطاع الله { لأنه لا يأمر إلا بما أمر الله به ولا ينهى إلا عما نهى الله عنه فكانت طاعته في امتثال ما أمر به والانتفاء عما نهى عنه طاعة لله، وروى أنه قال: (٢٩١) "من أحيى فقد أحب الله، ومن أطاعني فقد أطاع الله" فقال

المنافقون: ألا تسمعون إلى ما يقول هذا الرجل، لقد قارف الشرك وهو ينيى أن يبعد غير الله! ما يريد هذا الرجل إلا أن نتخذه ربا كما اتخذت النصارى عيسى، فنزلت: { ومن تولى { عن الطاعة فأعرض عنه { فما أرسلناك { إلا نذيرا، لا حفيظا ومهيمننا عليهم تحفظ عليهم أعمالهم وتحاسبهم عليها وتعاقبهم، كقوله: { وما أنت عليهم بوكيل { (الأنعام: ١٠٧).

{
قۇتۈنqà)tfur۹ طاعة فإذا (/tچu-mr# من عندك بيت pxxح s\$غ منهم غير
الذي تقول والله
يكتب ما يبيتون فأعرض عنهم @ه. uqs?ur على الله وكفى بالله وكيلا ارتب

(۱۲۳/۳)

ويقولون { إذا أمرتهم بشيء { طاعة } بالرفع أي أمرنا وشأننا طاعة. ويجوز النصب بمعنى أطعناك طاعة. وهذا من قول المرتسم: سمعا وطاعة. وسمع وطاعة. ونحوه قول سيبويه: وسمعنا بعض العرب الموثوق بهم يقال له: كيف أصبحت؟ فيقول: حمد الله وثناء عليه، كأنه قال أمري وشأني حمد الله. ولو نصب حمد الله وثناء عليه. كان على الفعل والرفع يدل على ثبات الطاعة واستقرارها { بيت طائفة } زورت طائفة (١) وسوت { غير الذي تقول } خلاف ما قلت وما أمرت به. أو خلاف ما قالت وما ضمنت من الطاعة، لأنهم أبطلوا الرد لا القبول، والعصيان لا الطاعة. وإنما ينافقون بما يقولون ويظهرون. والتبیت: إما من البيتوتة لأنه قضاء الأمر وتدبيره بالليل، يقال: هذا أمر بيت ليل. وإما من أبيات الشعر، لأن الشاعر يدبرها ويسويها { والله يكتب ما يبيتون } يشته في صحائف أعمالهم، ويجازيهم عليه على سبيل الوعيد. أو يكتبه في جملة ما يوحى إليك فيطلعك على أسرارهم فلا يحسبوا أن إبطانهم يغني عنهم { فأعرض عنهم } ولا تحدث نفسك بالانتقام منهم { وتوكل على الله } في شأنهم، فإن الله يكفيك معرفتهم وينتقم لك منهم إذا قوي أمر الإسلام وعز أنصاره. وقرئ "بيت طائفة" (٢) بالإدغام وتذكير الفعل،

لأن تأنيث الطائفة غير حقيقي، ولأنها في معنى الفريق والفوج.

)

(١) قوله: روزت طائفة بتقديم الرا على الواو بعدها الزاي المعجمة أي دبرت ورواه أبو عبيد بتقديم الزاي وقد خطئ وليس بخطأ لأن المصنف ذكر في الفايق في كتاب الزاي فجاء أبو بكر فما ترك شيئاً مما زور به قال أبو زيد كلام مروز أي محسن وقيل مهيا مقوى ، وفي النهاية في حديث عمر زورت في نفسي مقالة أي هيأت وأصلحت والمعرفة الأمر القبيح المكروه والأذى وهي مفعلة من العرو هو الحرب.

(٢) قوله : وقرأ بيت طائفة بالإدغام قرأ أبو عمرو وحمزة بالإدغام قيل يجوز أن يكون من ببي يبي إذا قصد فالحقت به تاء التأنيث ثم ادغمت في الطاء.

(١٢٤/٣)

أفلا يتدبرون القرآن ولو كان من عند غير الله لوجدوا فيه اختلافاً كثيراً [٢٥٧] (١)

(١) قوله: { أفلا يتدبرون القرآن } الآية قال المصنف في هذه الآية فوائد منها ودوب النظر في الحجج والدلالات وبطلان التقليد وبطلان قول من يقول القرآن لا يفهم المراد بظاهره وبطلان قول من يقول أن المعارف الدينية ضرورية والدلالة على صحة القياس والدلالة على أن أفعال العباد ليست بخلق الله لوجود التناقض فيها.

(١٢٥/٣)

تدبر الأمر: تأمله والنظر في إدباره وما يؤول إليه في عاقبته ومنتهاه، ثم استعمل في كل تأمل؛ فمعنى تدبر القرآن: تأمل معانيه وتبصر ما فيه { لوجدوا فيه اختلافاً كثيراً } لكان الكثير منه مختلفاً متناقضاً قد تفاوت نظمها وبلاغتها ومعانيها، فكان بعضها بالغا حد الإعجاز (١)، وبعضه قاصراً عنه يمكن معارضته، وبعضه إخباراً بغيب قد وافق المخبر عنه، وبعضه إخباراً مخالفاً للمخبر عنه، وبعضه دالاً على معنى صحيح عند علماء المعاني (٢). وبعضه دالاً على معنى فاسد غير ملتئم، فلما تجاوب كله بلاغة معجزة فائتة لقوى البلغاء وتناصر صحة معان وصدق إخبار، علم أنه ليس إلا من عند قادر على ما لا يقدر عليه غيره، عالم بما لا يعلمه أحد سواه.

(١) قوله: فكان بعضه بالغا حد الإعجاز وبعضه قاصرا عنه يمكن معارضته وفي هذا الكلام

بحث وهوانة لو كان من عند غير الله كيف يكون بعضه بالغا حد الإعجاز ولو كان بعضه ما أتى به غير الله بالغا حد الإعجاز للزم الإقحام فالمراد بقوله لو كان من عند غير الله أي لو كان البعض من عند غير الله لأنه بمعنى لو لم يكن كله من عند الله لأن الغرض بيان أنه الكل من عند الله فقولنا لو لم يكن من عند الله يحتمل معنيين أحدهما أن الكل من عند الغير ، والثاني : أن البعض من عند الله والبعض الآخر من عند غيره والمراد هاهنا هو الثاني وإذا كان البعض من عنده فهو البالغ حد الإعجاز والبعض الذي من عند غيره هو القاصر عنه وهذا هو المراد ، والله أعلم.

(٢) قوله: عند علماء المعاني إنما خصهم لأن جل تراكيب التنزيل وارد لا على مقتضى الظاهر ، فمن لم يمارس هذا العلم ولم يمنح سلامة واستقامة طبيعة وشدة ذكاء وصفاء قريحة لم يعتد بقوله. السحاويدي : الاختلاف المنفي عنه المراد به التناقض والاختلاف الذي يتوهمه الجاهل لا أثر له.

(١٢٦/٣)

فإن قلت: أليس نحو قوله: { فإذا هي ثعبان مبين } (الأعراف: ١٠٧)، { كأنها جان } (النمل: ١٠)، { فوركك لنسألهم أجمعين } (الحجر: ٩٢)، { فيومئذ لا يسئل عن ذنبه إنس ولا جان } (الرحمان: ٣٩) من الاختلاف؟ قلت: ليس باختلاف عند المتدبرين. وإذا جاءهم أمر من الأمن أو الخوف أذاعوا به ولو ردوه إلى الرسول $\#n' > \text{ur}$ أولي حج $\text{BF}\} \# \$$ منهم $\text{yès9}=\text{çmyJ}$ الذين يستنبطونه منهم ولولا فضل الله عليكم ورحمته لاتبعتم

الشیطان إلا Wx تد=83 $\text{s\%}$ فقاتل في سبيل الله لا تكلف إلا نفسك اع h چmurx المؤمنين

عسى الله أن يكف بأس الذين كفروا والله أشد بأسا وأشد تنكيلا (٨٤)

(١٢٧/٣)

هم ناس من ضعفة المسلمين (١) الذين لم تكن فيهم خبرة بالأحوال ولا استبطان للأمر. كانوا إذا بلغهم خبر عن سرايا رسول الله من أمن وسلامة أو خوف وخلل { أذاعوا به } وكانت إذاعتهم مفسدة، ولو ردوا ذلك الخبر إلى رسول الله وإلى أولي الأمر منهم -

وهم كبراء الصحابة البصراء بالأمر أو الذين كانوا يؤمرون منهم - { لعلمه } لعلم تدبير ما أخبروا به { الذين يستنبطونه } الذين يستخرجون تدبيره بفطنهم وتجاربهم ومعرفتهم بأمر الحرب ومكايدها. وقيل: كانوا يقفون من رسول الله وأولي الأمر على أمن ووثوق بالظهور على بعض الأعداء، أو على خوف واستشعار، فيذيعونه فينتشر فيبلغ الأعداء، فتعود إذاعتهم مفسدة. ولو ردوه إلى الرسول وإلى أولي الأمر وفوضوه إليهم وكانوا كأن لم يسمعوا، لعلم الذين يستنبطون تدبيره كيف يدبرونه وما يأتون ويدرون فيه. وقيل: كانوا يسمعون من أفواه المنافقين شيئاً من الخبر عن السرايا مظنوناً غير معلوم الصحة فيذيعونه، فيعود ذلك وبالا على المؤمنين. ولو ردوه إلى الرسول وإلى أولي الأمر وقالوا: نسكت حتى نسمعه منهم ونعلم هل هو مما يذاع أو لا يذاع، لعلمه الذين يستنبطونه منهم، لعلم صحته وهل هو مما يذاع أو لا يذاع هؤلاء المذيعون، وهم الذين يستنبطونه من الرسول وأولي الأمر، أي يتلقونه منهم ويستخرجون علمه من جهتهم. يقال: أذاع السر، وأذاع به (٢).

(١) قوله: هم من ضعفة المسلمين أي هم في و إذا جاءهم أمر من اللأمن وقوله: كانوا إذا بلغهم جملة مبنية ومن ثم لم يؤتى فيها بالعطف. قوله : وفوضوه وكذا وقالوا تفسير لقوله ولو ردوه أتى بالواو كما في قوله : { ولو ردوه } وليست للعطف. (٢) قوله: وإذاع به ونحوه ، قوله تعالى : { وأصلح لي في ذريتي } ومعنى أذاع به جعله موضعاً للإذاعة .. الإنتصاف في إجتماع الهمزة والباء نظر لأنهما متعاقبات وهو الذي حمل المصنف أن قال فعلوا به الإذاعة ليخرجها عن الباء المعاقبة للهمزة الإنصاف على الأول لا يجعل الهمزة للتعدية بل ذاع وأذاع معنى فلا يمتنع مجامعتها للباء نحو سرى به وأسرى به، أبو البقاء الألف في أذاعوا يدل من يقال : ذاع الأمر يذيع والباء زائدة ، وقيل جمل على معنى يحدثوا به ، وقد ذكر في معنى ذلك ثلاثة أقوال من في الوجهين الأولين ثنائية تجريدية وفي الثالث ابتدائية ولهذا قال فيه الذين يستنبطونه من الرسول وأولي الأمر أي يتلقونه ويستخرجونه من جهتهم هكذا قيل في معنى من. (١٢٨/٣)

قال:

أذاع به في الناس (١) حتى كأنه

ويجوز أن يكون المعنى فعلوا به الإذاعة، وهو أبلغ من أذاعوه، وقرىء "لعلمه" بإسكان اللام كقوله:

فإن أهجه يضجر كما ضجر بازل ... من الآدم دبرت صفحته وغاربه

(١) قوله: أذاع به في الناس حتى كأنه بعلياء نار أوقدت يقول أفشي هذا الشر في الناس حتى صار كأنه نار أوقدت بما يوقد به تربية عالية ، وقيل عليا أسم موضع وال ما يبعث به النار أي أوقدت ، وقيل : ... بعلياء نار أوقدت بثقوب أمنت على الشر أمرء غير حازم ... ولكنه في النصح غير مربب قوله: كقوله وهو بيت الصحاح والإصلاح للأخطل:

فإن أهجه يضجر كما ضجر بازل من الآدم دبرت صفحته وغار به
وقبله : ألم تراني وابن عمي مالكا ... على كل حال يجتذيني عقاره
يجتذيني بالجيم والبدال غير المعجمة من الجذب ال أي فإن أهجه يضجر بهجاي كالبازل الدبر إذا أنعله الجمل ضجر أي ضجر فخفف والبازل الذي فطر بابه أي اتسق وذلك في السنة التاسعة وربما نزل في الثامنة والبازل أسم للسن أيضا والآدم جمع آدم وآدم وهو الأبيض من الإبل وقيل الأبيض الأسود المقلتين ودبرت دبرت بكسر الباء فخففت ، وصفحته جانباه ، وغارية مقدم سنامه وإنما خص الآدم لأنها اضعف وكذا خص البازل لأنه أشد رغا فيظهر بذلك ضجره.

قوله : فيما

(١٢٩/٣)

والنبط: الماء يخرج من البئر أول ما تحفر، وإنباطه واستنباطه: إخراج واستخراجه، فاستعير لما يستخرجه الرجل بفضل ذهنه من المعاني والتدابير فيما يعضل ويهم } ولولا فضل الله عليكم ورحمته } وهو إرسال الرسول، وإنزال الكتاب، والتوفيق } لاتبعتم

الشيطان } لبقيتم على الكفر(١) }

(١) قوله: } لاتبعتم الشيطان } لبقيتم على الكفر إلا قليلا منكم أو إلا اتباعا قليلا ، الأول استثناء من فاعل اتبعتم ، والثاني : من مصدره في هذا نظر لانه فسر

الفضل والرحمة بإرسال الرسول وإنزال الكتب والتوفيق وكون الإستثناء مما ذكره على هذا يدل على أن القليل منهم لا يتبعون الشيطان أي لا يبقون على الكفر مع انتفاء الفضل والرحمة المعبر بهما عن إرسال الرسول وإنزال الكتب والتوفيق أو على أنهم لا يتبعون الشيطان الاتباع القليل مع انتفاء ذلك وذلك لأن لولا لما كانت حرف امتناع دلت على أن اتباع المؤمنين للشيطان في الكفر إنما (لم يكن) كان لوجود الفضل والرحمة فالفضل والرحمة هما المانعان من اتباع الشيطان فإذا كان الإستثناء من ذلك دل على أن البعض لا يتبعونه أو على أنهم لا يتبعونه إلا اتباع قليل القليل مع انتفاء فضل الله ورحمته عنهم وذلك محال لأن إرسال الرسول وإنزال الكتب وإن جاز تقدير إنتفائهما لكنه يمتنع تقدير انتفاء التوفيق عمن لم يكفر ، وقال القاضي أبو بكر الإستثناء يعود إلى ما قبل الجملة الأخيرة واستدل بهذا الآية على انتفاء الجزم بعود الإستثناء إذا تعقب جملا إلى الأخيرة ، وقيل الاستثناء راجع إلى قوله : { أذاعوا } .. وقيل : هو راجع إلى قوله : { لعلمه الذين يستنبطونه منهم } ، وقال الفراء والمبرد القول الأول أولى لأن ما يعلم بالاستنباط فالأقل يعلمه والأكثر يجهله ، وأقول : لا نسلم أن الأقل من المستنبطين يعلمونه بل الأكثر يعلمونه إنما لا يعلمه الأكثر من المجموع لا الأكثر من المستنبطين ، وقيل عود الاستثناء إلى ما قبله ، ويتصل به أولى لكن فسر الفضل والرحمة بشيء خاص منهم من قال المراد بهما إنزال القرآن وبعثة محمد صلى الله عليه وآله وسلم المعنى لولا بعثة محمد وإنزال القرآن لاتبعتم الشيطان وكفرتم به إلا

القليل منكم ما اتبعوا الشيطان وما كفروا مثل قس بن ساعدة وورقة بن نوفل وزيد بن عمر بن نفيل ومنهم من فسرها بالنصرة والمعونة المعنى ولولا حصول النصرة والظفر على سبيل التابع لاتبعتم الشيطان وتركتم الدين إلا القليل منكم وهم أهل البصائر النافذة والعزائم المتمكنة.

(١٣٠/٣)

إلا قليلا { منكم. أو إلا اتباعا قليلا، لما ذكر في الآي قبلها(١)

(١) قوله: { لاتبعتم الشيطان } لبقيتهم على الكفر إلا قليلا منكم أو إلا اتباعا قليلا ، الأول استثناء من فاعل اتبعتم ، والثاني : من مصدره في هذا نظر لانه فسر الفضل والرحمة بإرسال الرسول وإنزال الكتب والتوفيق وكون الإستثناء مما ذكره على هذا يدل على أن القليل منهم لا يتبعون الشيطان أي لا يبقون على الكفر مع انتفاء

الفضل والرحمة المعبر بهما عن إرسال الرسول وإنزال الكتب والتوفيق أو على أنهم لا يتبعون الشيطان الاتباع القليل مع انتفاء ذلك وذلك لأن لولا لما كانت حرف امتناع دلت على أن اتباع المؤمنين للشيطان في الكفر إنما (لم يكن) كان لوجود الفضل والرحمة فالفضل والرحمة هما المانعان من اتباع الشيطان فإذا كان الاستثناء من ذلك دل على أن البعض لا يتبعونه أو على أنهم لا يتبعونه إلا اتباع قليل القليل مع انتفاء فضل الله ورحمته عنهم وذلك محال لأن إرسال الرسول وإنزال الكتب وإن جاز تقدير إنتفائهما لكنه يمتنع تقدير انتفاء التوفيق عمن لم يكفر ، وقال القاضي أبو بكر الاستثناء يعود إلى ما قبل الجملة الأخيرة واستدل بهذا الآية على انتفاء الجزم بعود الاستثناء إذا تعقب جملاً إلى الأخيرة ، وقيل الاستثناء راجع إلى قوله : { أذاعوا } .. وقيل : هو راجع إلى قوله : { لعلمه الذين يستنبطونه منهم } ، وقال الفراء والمبرد القول الأول أولى لأن ما يعلم بالاستنباط فالأقل يعلمه والأكثر يجهله ، وأقول : لا نسلم أن الأقل من

المستنبطين يعلمونه بل الأكثر يعلمونه إنما لا يعلمه الأكثر من المجموع لا الأكثر من المستنبطين ، وقيل عود الاستثناء إلى ما قبله ، ويتصل به أولى لكن فسر الفضل والرحمة بشيء خاص منهم من قال المراد بهما إنزال القرآن وبعثة محمد صلى الله عليه وآله وسلم المعنى لولا بعثة محمد وإنزال القرآن لاتبعتم الشيطان وكفرتم به إلا القليل منكم ما اتبعوا الشيطان وما كفروا مثل قس بن ساعدة وورقة بن نوفل وزيد بن عمر بن نفيل ومنهم من فسرهما بالنصرة والمعونة المعنى ولولا حصول النصرة والظفر على سبيل التابع لاتبعتم الشيطان وتركتم الدين إلا القليل منكم وهم أهل البصائر النافذة والعزائم المتمكنة.

(١٣١/٣)

تنبطهم عن القتال، وإظهارهم الطاعة وإضمارهم خلافها. قال: { فقاتل في سبيل الله } إن أفردوك وتركوك وحدك { لا تكلف إلا نفسك } غير نفسك وحدها (١) أن تقدمها إلى الجهاد، فإن الله هو ناصرك لا الجنود، فإن شاء نصرك وحدك كما ينصرك وحولك الألو ف. وقيل: دعا الناس في بدر الصغرى إلى الخروج، وكان أبو سفيان واعد رسول الله اللقاء فيها، فكره بعض الناس أن يخرجوا فنزلت، فخرج وما معه إلا سبعون لم يلو على أحد، ولو لم يتبعه أحد لخرج وحده، وقرئ { لا تكلف } (النساء: ٨٤) بالجزم على النهي، و"لا تكلف": بالنون وكسر اللام، أي لا تكلف نحن إلا نفسك وحدها { وحرص المؤمنين } وما عليك في شأنهم إلا التحريض فحسب، لا التعنيف بهم { عسى الله أن يكف بأس الذين كفروا

{ وهم قريش، وقد كف بأسهم(٢) فقد بدا لأبي سفيان وقال: هذا عام مجذب، وما كان معهم زاد إلا السوق، ولا يلقون إلا في عام مخصب فرجع بهم { والله أشد بأسا { من قريش { وأشد تنكيلا { تعذيبا.

B^{...} يشفع شفاعته | xm،ZpuZ يمكن له نصيب منها ومن يشفع شفاعته سيئة يكن له كفل منها

وكان الله على كل شيء B-(F]\$ ارحب

(١) قوله: غير نفسك وحدها لم يرد به أن إلا هنا بمعنى غير بل أراد أن هذا الإستثناء

مفرع وفيه الحذف (القصر) ولهذا أكد به بقوله وحدها لا تكلف شيئا إلا أن تقدم نفسك إلى الجهاد ، وقوله إن يقدمها للجهاد بيان لقوله نفسك، ومعنى لم يلو على أحد لم يقم عليه ولم ينتظره.

(٢) قوله: وقد كف بأسهم أتى بقدر مشيرا به إلى أن عسى استعمل للتحقيق ، قال الزجاج عسى في اللغة للطمع والطمع من الله واجب كأنه قال إن الله سيكف بأس الذين كفروا ، ومعنى لا يلقون لا يقاتلون.

(١٣٢/٣)

الشفاعة الحسنة: هي التي روعي بها حق مسلم، ودفع بها عنه شر أو جلب إليه خير. وابتغي بها وجه الله ولم تؤخذ عليها رشوة، وكانت في أمر جائز(١) لا في حد من حدود الله ولا في حق من الحقوق. والسيئة: ما كان بخلاف ذلك. وعن مسروق أنه شفع شفاعته فأهدى إليه المشفوع جارية، فغضب وردّها وقال: لو علمت ما في قلبك لما تكلمت في حاجتك، ولا أتكلم فيما بقي منها وقيل: الشفاعة الحسنة: هي الدعوة(٢) للمسلم، لأنها في معنى الشفاعة إلى الله. وعن النبي : (٢٩٢) "من دعا لأخيه المسلم بظهر الغيب استجيب له قال له الملك: ولك مثل ذلك، فذلك النصيب"، والدعوة على المسلم بضد ذلك }

مقبى { شهيدا حفيظا. وقيل: مقتدرا. وأقات على الشيء، قال الزبير بن عبد المطلب:

وذى ضغن(٣) نفيت السوء عنه

وقال السموأل(٤):

- (١) قوله : وكانت في أمر جائز أي في أمر لا يجب فعله ولا تركه إشارة إلى أنه لا يجوز الشفاعة في ترك الواجب ولا في فعل القبيح.
- (٢) قوله: هي الدعوة أي الدعاء بالخير.
- (٣) قوله: ... وكنت على إساءته مقيتا
وذي ضغن كفتت السوء عنه ... وكنت على إساءته مقيتا
ويروى كفتت النفس عنه ويروى على مسأته يقول ورب رجل ذي حقد علي منعت سوئي عنه
أو
منعت نفسي عنه أن تناله بسوء وكنت على الإساءة إليه مقيتا.
- (٤) قوله: وقال السمؤل هو ابن عادي اليهودي الذي ضرب به المثل في الوفاء وهو من أبيات الإصلاح وقبله :
ليت شعري وأشعرن إذا ما قربوها مطوية ودعيت
والمشهور ميسورة ويروى حملوها.

إلى الفصل أم علي إذا حوسبت أني على الحساب مقيت

يقول ليتني علمت ولأعلمن نفسا لا محالة إذا قربوا صحيفة أعمالي يوم العرض في القيامة ميسورة أي مبسطة ودعيت لقرائتها إلى الفصل في الحساب لوقود حسناتي أم علي لكثرة ذنوبي أني حفيظ مقتدر على الحساب في الدنيا لو نفعني عند الله في الآخرة هذا على رواية من روى أني بالكسر وهي الصحيحة ومن روى بالفتح يريد إلى الفصل بأن أكون مقتدرا على قراءة ما في الكتاب إن كتب أم علي ، وروى السيرافي ربي على الحساب مقيت ومعناه أنا مقتدر على الحساب في الدنيا أفأكون بهذه الصفة في الآخرة.

(١٣٣/٣)

ألي الفضل أم علي إذا حو ... سبت إني على الحساب مقيت

واشتقاقه من القوت لأنه يمسك النفس ويحفظها.

وإذا حييتم بتحية فحيوا بأحسن منها أو ردوها إن الله كان على كل شيء شاملا، (٨٦) (xm)

الأحسن منها أن تقول: (وعليكم السلام ورحمة الله) إذا قال: (السلام عليكم) وأن تريد (وبركاته) إذا قال: (ورحمة الله) وروي أن: (٢٩٣) رجلا قال لرسول الله : السلام

عليك، فقال: "وعليك السلام ورحمة الله" وقال آخر: السلام عليك ورحمة الله، فقال: "وعليك السلام ورحمة الله وبركاته" وقال آخر: السلام عليك ورحمة الله وبركاته، فقال: "وعليك". فقال الرجل: نقصتني، فأين ما قال الله؟ وتلا الآية. فقال: "إنك لم تترك لي فضلا فرددت عليك مثله" { أو ردوها } أو أجيبوها بمثله. ورد السلام ورجعه: جوابه بمثله، لأن المجيب يرد قول المسلم ويكرره، وجواب التسليمة واجب، والتخيير إنما وقع بين الزيادة وتركها. وعن أبي يوسف رحمه الله: من قال لآخر: أقرىء فلانا السلام، وجب عليه أن يفعل. وعن النخعي: السلام سنة والرد فريضة. وعن ابن عباس: الرد واجب. وما من رجل يمر على قوم مسلمين فيسلم عليهم ولا يردون عليه إلا نزع عنهم روح القدس (١) وردت عليه الملائكة. ولا يرد السلام في الخطبة، وقراءة القرآن، جهرا

ورواية الحديث، وعند مذاكرة العلم، والأذان، والإقامة، وعن أبي يوسف: لا يسلم على لاعب النرد والشطرنج، والمغني، والقاعد لحاجته، ومطير الحمام، والعاري من غير عذر في حمام أو غيره. وذكر الطحاوي: أن المستحب رد السلام على طهارة. وعن النبي : (٢٩٤)

أنه تيمم لرد السلام. قالوا: ويسلم الرجل إذا دخل على امرأته.

(١) قوله: الانزع عنهم روح القدس المراد به التوفيق لأنه سبب حياة النفوس والقلوب والدين ، وقيل المراد به الطهارة أي نزع الطهارة عن نفوسهم لتلوثها بالذنوب والسام الموت.

(١٣٤/٣)

ولا يسلم على أجنبية. ويسلم الماشي على القاعد. والراكب على الماشي، وراكب الفرس على راكب الحمار، والصغير على الكبير، والأقل على الأكثر. وإذا التقيا ابتدرا. وعن أبي حنيفة: لا تجهر بالرد يعني الجهر الكثير. وعن النبي : (٢٩٥) "إذا سلم عليكم أهل الكتاب فقولوا: وعليكم" أي وعليكم ما قلتم؛ لأنهم كانوا يقولون: السام عليكم. وروى: (٢٩٦) "لا تبدئ اليهودي بالسلام، وإن بدأك فقل وعليك". وعن الحسن: يجوز أن تقول للكافر: وعليك السلام، ولا تقل: ورحمة الله، فإنها استغفار. وعن الشعبي أنه قال لنصراني سلم عليه: وعليك السلام ورحمة الله. فقليل له في ذلك، فقال: أليس في رحمة الله يعيش؟ وقد رخص بعض العلماء في أن يبدأ أهل الذمة بالسلام إذا دعت إلى ذلك حادثة تحوج إليهم. وروى ذلك عن النخعي. وعن أبي حنيفة: لا تبدأه بسلام في كتاب ولا

غيره. وعن أبي يوسف لا تسلم عليهم ولا تصحافهم، وإذا دخلت فقل: السلام على من اتبع الهدى. ولا بأس بالدعاء له بما يصلحه في دنياه { على كل شيء حسيبا } أي يحاسبكم على كل شيء من النحية وغيرها.

هـ!\$# لا إله إلا هو ليجمعنكم إلى يوم القيامة لا ريب فيه ومن أصدق من الله حديثا

ارذب

}

(١٣٥/٣)

لا إله إلا هو { إما خبر المبتدأ. وإما اعتراض والخبر { ليجمعنكم } . ومعناه: الله

والله ليجمعنكم(١) { إلى يوم القيامة } أي ليحشرنكم(٢) إليه. والقيامة والقيام.

كالطالبة والطلاب، وهي قيامهم من القبور أو قيامهم للحساب. قال الله تعالى: { يوم يقوم الناس لرب العالمين } { ومن أصدق من الله حديثا } لأنه عز وعلا صادق لا يجوز عليه الكذب. وذلك أن الكذب مستقل بصارف عن الإقدام عليه وهو قبحه. ووجه قبحه الذي هو كونه كذبا وإخبارا عن الشيء بخلاف ما هو عليه. فمن كذب لم يكذب إلا لأنه محتاج إلى أن يكذب ليجر منفعة أو يدفع مضرة. أو هو غني عنه إلا أنه يجهل غناه. أو هو جاهل بقبحه. أو هو سفيه لا يفرق بين الصدق والكذب في إخباره ولا يبالى بأيهما نطق، وربما كان الكذب أحلى على حنكه من الصدق. وعن بعض السفهاء أنه عوتب على الكذب فقال: لو

غرغت لهواتك(٣)

(١) قوله: الله والله ليجمعنكم فالقسم مع جوابه خبر الله والبحث فيه كالبحث في لمن لبيطن.

(٢) قوله: أي ليحشرنكم قال أبو البقاء إلى يوم القيامة ، قيل التقدير في يوم القيامة ، وقيل هي على ما بها أي ليجمعنكم من القبور فعلى هذا يجوز أن يكون حالا أي ليجمعنكم مفضين إلى حساب يوم القيامة ، والمصنف ما ذهب إلى الحال ولا إلى التضمين بل سلك فيه طريق المجاز بحسب مقتضى التركيب فإن القسم في قوله والله ليجمعنكم إلى يوم القيامة يوجب إظهار الناس إلى أن يجتمعوا فيه وهو معنى ليحشرنكم إليه أي ليضطرنكم إلى المحشر ، قال في الأساس حشرت السنة الناس اضطرتهم إلى الأمصار ، ومعنى

مستقل مستند بما يصرف.

(٣) قوله: لو عززت به لهواتك ، معنى عززت رددت ، واللهوات جمع لهاه وهي اللحم المطبقة على أقصى سقف الفم وإنما خصها بالذكر لأن التلذذ ينتهي إليها نصب على الحال وفي المنافقين حال من فثنين أي متفرقين فيهم أو من في الضمير أي فمالكم متفرقين فيهم ، ومعنى المدينة وعدم استمرار الطعام بها ، وقيل

بكرهة الإقامة ويسار كان علاما نبويا وهو مولى رسول الله وراعيه.

(١٣٦/٣)

به ما فارقتة. وقيل لكذاب: هل صدقت قط؟ فقال: لولا أنني صادق في قولي (لا) لقلتها. فكان الحكيم الغني الذي لا يجوز عليه الحاجات العالم بكل معلوم، منزها عنه، كما هو منزّه عن سائر القبائح.

* فما لكم في (تؤت) دے "Q Rù Ç Y s s # فتئين والله أركسهم بما (7 Ç q û , x. tbr ك% f حç ? è & أن

تهدوا من أضل الله ومن ب @ د= ò م f الله فلن تجد له سبيلا ارب

}

(١٣٧/٣)

فتئين { نصب على الحال، كقولك: مالك قائما؟ روى أن قوما من المنافقين استأذنوا رسول الله في الخروج إلى البدو معتلين باجتواء المدينة، فلما خرجوا لم يزالوا راحلين مرحلة مرحلة حتى لحقوا بالمشرّكين، فاختلف المسلمون فيهم، فقال بعضهم: هم كفار. وقال بعضهم: هم مسلمون. وقيل: كانوا قوما هاجروا من مكة، ثم بدا لهم فرجعوا وكتبوا إلى رسول الله : إنا على دينك وما أخرجنا إلا اجتواء المدينة والاشتياق إلى بلدنا. وقيل: هم قوم خرجوا مع رسول الله يوم أحد ثم رجعوا. وقيل: هم العريون الذين أغاروا على السرح وقتلوا بسارا. وقيل: هم قوم أظهروا الإسلام وقعدوا عن الهجرة. ومعناه) ما لكم اختلفتم في شأن قوم نافقوا نفاقا ظاهرا وتفرقتم فيه فرقتين وما لكم تبتوا القول بكفرهم { والله أركسهم { أي ردهم في حكم المشركين كما كانوا { بما كسبوا { من ارتدادهم ولحقوقهم بالمشرّكين واحتيالهم على رسول الله . أو أركسهم في الكفر بأن خذلهم حتى أركسوا فيه(١). لما علم من مرض قلوبهم، { أتريدون أن تهدوا { أن تجعلوا من جملة المهتدين { من أضل الله { من جعله من جملة الضلال، وحكم عليه بذلك أو خذله

حتى ضل. وقرىء: "ركسهم". و"ركسوا فيها".

(١) قوله: ركسوا فيها يعني في قوله تعالى : { كلما ردوا إلى الفتنة أركسوا فيها } وإنما ذكره هاهنا لأن كلاهما من باب الأفعال فريا في القراءة الشاذة بالتفعيل مع أنهما من أصل واحد وليس مراده أنه قرئ وركسوا فيها في هذه الآية لفساد المعنى ، ومعنى متساوين.
(١٣٨/٣)

ودوا لو تكفرون كما كفروا فتكونون سواء فلا تتخذوا منهم أولياء ٤س Lxm® يهاجروا في سبيل الله فإن تولوا فخذوهم واقتلوهم ك]xm وجدتموهم ولا تتخذوا منهم وليا ولا #||ژچاء89 (tR) إلا الذين يصلون إلى قوم Nن٣ ÷ sY / وبينهم ميثاق أو جاءوكم xma||ژNu
صدورهم أن يقتلوهم أو يقتلوا قومهم ولو شاء الله لسلطهم عليكم فلقاتلوكم فإن N.نq.٩n"uIô#\$مIلم يقتلوكم وألقوا إليكم السلم فما جعل الله لكم Nخkژt=nم سبيلا

(٩٠) tbr%٠%tûi ftFy™ حح#u yz#٠%٠%فحجم f أن يأمنوكم ويأمنوا قومهم كل ما ردوا إلى

الفتنة أركسوا فيها فإن لم O.نq.٩ن ح"ù(àq#) ÷ ètf =yIمfur إليكم السلم #)٣'ûq#tfur

أيديهم فخذوهم واقتلوهم ك]طxm ثقفتموهم وأولئك جعلنا لكم Nخkژt=nم سلطانا YY\$ خ٦-B

ازتب

}

(١٣٩/٣)

فتكونون { عطف على { تكفرون } ولو نصب على جواب التمني لجاز. والمعنى: ودوا كفركم فكونكم معهم شرعا واحدا فيما هم عليه من الضلال واتباع دين الآباء. فلا تتولوهم وإن آمنوا(١) حتى يظاهروا إيمانهم بهجرة صحيحة هي لله ورسوله - لا لغرض من أغراض الدنيا - مستقيمة ليس بعدها بداء(٢) ولا تعرب. }

(١) قوله: فلا يتولهم وإن آمنوا تفسير لقوله فلا تتخذوا منهم أولياء وهو مسبب عن قوله ودوا لو تكفرون وودوا بدل من قوله بما كسبوا أو الكلام مصبوب في قالب واحد بمعنى مالكم تختلفون في أمر أقوام منافقين والحال أن الله أركسهم ردهم في حكم المشركين بسبب ما كسبوا وهو ودادهم كفرهم فإذا كان كذلك فلا تختلفوا فيهم ولا تتولوهم حتى يهاجروا في سبيل الله أي يرجعوا من جميع ذلك بالمهاجرة عن الأوطان فإن تولوا عن هذه المهاجرة فحكمهم حكم المشركين بأن يقتلوا حيث وجدوا وبأن يجانبوا مجانية كلية ، ثم أن المصنف وضع موضع فخذوهم واقتلوهم. قوله يقتلون حيث وجدوا وموضع

لا يتخذوا منهم وليا ولا نصيرا جانبوهم مجانية كلية إلى آخره بيانا لمعنى الإستمرار، وأما قوله وجانبوهم فوضع للطلب في موضع الخبر إذ كان ينبغي أن يقول ويجانبون ليتفق خبرين للإيدان بشدة الجناية بشأن المجانية وذلك من تكرير قوله فلا تتخذوا منهم أولياء ولا تتخذوا منهم وليا ، ثم بالغ فيه حيث قال مجانية كلية ، وإن بذلوا لكم الولاية والنصرة يعني لا يوجد منكم ولاية لهم قط فدوموا على العداوة.

(٢) قوله: ليس بعدها بدا ولا تعرب مثل لترك أي نزول بالبادية وعود إلى الكفر.

(١٤٠/٣)

فإن تولوا { عن الإيمان المظاهر بالهجرة الصحيحة المستقيمة، فحكمهم حكم سائر المشركين يقتلون حيث وجدوا في الحل والحرم، وجانبوهم مجانية كلية، وإن بذلوا لكم الولاية والنصرة فلا تقبلوا منهم { إلا الذين يصلون { استثناء (١)

(١) قوله: استثناء من قوله فخذوهم واقتلوهم أي من الضمير المنصوب فيه لا من الضمير في لا تتخذوا وإن كان أقرب لأن اتخاذ الولي منهم ومعنى أتصلت به قال:

إذا اتصلت قالت ليكر بن وائل ... ويكر سبوها والأنوف رواغم

(١٤١/٣)

من قوله: { فخذوهم واقتلوهم { ومعنى { يصلون إلى قوم { (النساء: ٩٠) ينتهون إليهم

ويتصلون بهم. وعن أبي عبيدة: هو من الانتساب. وصلت إلى فلان واتصلت به إذا انتميت إليه. وقيل: إن الانتساب لا أثر له في منع القتال، فقد قاتل رسول الله بمن معه من هو من أنسابهم، والقوم هم الأسلميون، كان بينهم وبين رسول الله عهد، وذلك أنه وادع وقت خروجه إلى مكة هلال بن عويمر الأسلمي على أن لا يعينه ولا يعين عليه، وعلى أن من وصل إلى هلال ولجأ إليه فله من الجوار مثل الذي لهلال. وقيل: القوم بنو بكر بن زيد مناة كانوا في الصلح { أو جاءوكم } لا يخلو من أن يكون معطوفاً على صفة قوم (١)، كأنه قيل: إلا الذين يصلون إلى قوم معاهدين، أو قوم ممسكين عن القتال لا لكم ولا عليكم، أو على صلة الذين، كأنه قيل: إلا الذين يتصلون بالمعاهدين، أو الذين لا يقاتلونكم والوجه العطف على الصلة (٢)

(١) قوله: على صفة قوم وهي قوله بينكم وبينه ميثاق.
(٢) قوله: والوجه العطف على الصلة لقوله فإن اعتزلوكم أراد أن مجيئ قوله: { فإن اعتزلوكم } بعد قوله { فخذوهم واقتلوهم } يشعر بأن السبب في المنع عن التعرض لهم شيئان أحدهما اتصالهم بقوم معاهدين وثانيهما كفهم عن القتال فيكون قوله { فإن اعتزلوكم } مقرر السبب الثاني، يعني أن جاؤكم يريدون الإمساك عن القتال لا لكم ولا عليكم فإن تموا على هذا بأن اعتزلوكم وألقوا إليكم السلم فلا تتعرضوا لهم البتة، وإذا عطف على الصفة يبقى سبب عدم التعرض واحد وهو أن يصلوا إلى قوم معاهدين أو إلى قوم كافين، فلا يكون قوله: { وألقوا إليكم السلم } مقرر القول { حصرت صدورهم أن يقاتلوكم } لأن ذلك وصف لقوم آخرين غير مترتب عليه قوله: { فإن اعتزلوكم } لأنهم مترتب على قوله: { فخذوهم واقتلوهم }، وإيضاً لو كان عطفاً على الصفة لكان المناسب أن يقال: فإن اتصلوا بهم لا فإن اعتزلوكم..
(١٤٢/٣)

لقوله: { فإن اعتزلوكم فلم يقاتلوكم وألقوا إليكم السلم فما جعل الله لكم عليهم سبيلاً } بعد قوله: { فخذوهم واقتلوهم حيث وجدتموهم } فقرر أن كفهم عن القتال أحد سببي استحقاقهم لنفي التعرض عنهم وترك الإيقاع بهم. فإن قلت: كل واحد من الاتصاليين له تأثير في صحة الاستثناء، واستحقاق إزالة التعرض بالاتصال بالمعاهدين والاتصال بالمكافين، لأن الاتصال بهؤلاء أو هؤلاء دخول في حكمهم، فهلا جوزت أن يكون العطف على صفة قوم، ويكون قوله: { فإن اعتزلوكم } تقريراً لحكم اتصالهم بالمكافين

واختلاطهم بهم وجريهم على سننهم؟ قلت: هو جائز، ولكن الأول أظهر وأجرى على أسلوب الكلام (١).

(١) قوله: أظهر وأجرى على أسلوب الكلام قيل كان أظهر لسلامته عن التأويل بخلاف

الثاني فإنه يحتاج إلى التأويل وهو جعل المتصل بالكاف في حكمة وأجرى على أسلوب الكلام لما ذكر من المناسبة ، وقيل إنما كان كذلك لأن قوله : { ستجدون آخرين يريدون أن يأمنوكم ويأمنوا قومهم } مساوية لقوله { جاؤكم حصرت صدورهم أن يقاتلوكم أويقاتلوا قومهم } وقد رتب عليه قوله : { فإن لم يعتزلوكم ويلقوا إليكم السلم } الآية فالأولى جري الكلام على أسلوب واحد وإن يترتب قوله { فإن اعتزلوكم } على قوله : { أو جاؤكم } حتى يكون المراد من قوله { فخذوهم واقتلوهم } وقوله : { أو جاؤكم } وقوله { فإن اعتزلوكم } هم الذين تولوا وأعرضوا عن الإيمان ، وقوله : { ولو شاء الله لسلطهم عليكم } جملة معترضة للإمتنان على المؤمنين وتعليل بأن حصر صدورهم ما كان إلا بقذف الله الرعب فيها وفاعل قوله فقرر مجيئ قوله { فإن اعتزلوكم } بعد قوله { فخذوهم } ، وعلى هذا فاعل { فإن اعتزلوكم } تقرير لحكم إيصالهم. (١٤٣/٣)

وفي قراءة أبي: "بينكم وبينهم ميثاق جاؤكم حصرت صدورهم"، بغير أو ووجهه أن يكون (جاؤكم) بيانا ليصلون (١)، أو بدلا أو استثناء، أو صفة بعد صفة لقوم. حصرت صدورهم في موضع الحال بإضمار قد. والدليل عليه قراءة من قرأ: "حصرة صدورهم"، و"حصرات صدورهم". و"حصرات صدورهم". وجعله المبرد صفة لموصوف محذوف على: أو جاؤكم قوما (٢)

حصرت صدورهم. وقيل: هو بيان لجاؤكم (٣)، وهم بنو مدلج جاؤوا رسول الله غير مقاتلين.

(١) قوله ووجهه أن يكون بيانا ليصلون أو بدلا واستثناء في كونه بيانا نظر لأن البيان يجب ألا يخالف معناه معنى المبين والمحيى إلى المسلمين المخاطبين غير الوصول إلى المعاهدين لهم ، اللهم إلا أن يجعل الوصول إلى المعاهدين بمنزلة الوصول إلى المسلمين المخاطبين وبالعكس فحينئذ يصح وعلى تقدير البدلية هو من بدل الإشتمال لأن الوصول إلى المعاهدين مشتمل على المحيى إلى المعاهدين بحسب العرف والعادة ، أو من

بدل الكل على أن الإتصال بالمعاهد إتصالا بالمعاهد ، أو من بدل البعض على أن الجائين إلى المسلمين بعض الواصلين إلى المعاهدين فيكون نفي التعرض على هذا مخصوصا بمن جاء إلى المسلمين منهم ، أو صفة بعد صفة بتقدير قوم معاهدين جائين.

(٢) قوله :أو على جاؤوكم قوما حصرت صدورهم فعلى هذا قوما حال موطئة مثل قرآنا في قوله: { قرآنا عربيا } .

(٣) قوله: وقيل هو بيان لجاؤوكم ، قيل وذلك لأن مجيئهم غير مقاتلين وحصر صدورهم عن القتال في معنى واحد فكنت كتبت في الحاشية الأولى أنه إنما كان بيانا للمجيئ باعتبار أنه بيان لحاله اللازمة له وبيان الحال بيان لصاحبها بطريق الكناية وقريب منه ما ذكره في تفسير قوله تعالى : { كيف تكفرون بالله } الآية أنه إنكار للحال التي يقع عليها الكفر فكان إنكار الكفر بطريق الكناية وهو مدلج بصرف مدلج لأنه إسم للأب والقبيلة مدلج وهم قبيلة من كنانة وال..... منهم.

(١٤٤/٣)

والحصر الضيق والانقباض { أن يقاتلوكم } عن أن يقاتلوكم. أو كراهة أن يقاتلوكم. فإن قلت: كيف يجوز أن يسلط الله الكفرة على المؤمنين؟ قلت: ما كانت مكافئهم إلا لقذف الله الرعب في قلوبهم، ولو شاء لمصلحة يراها من ابتلاء ونحوه لم يقدفه، فكانوا متسلطين مقاتلين غير مكافين، فذلك معنى التسليط. وقرئ: "فلقتلوكم"، بالتخفيف والتشديد { فإن اعتزلوكم } فإن لم يتعرضوا لكم { وألقوا إليكم السلم } (النساء: ٩٠) أي الانقياد والاستسلام. وقرئ بسكون اللام مع فتح السين { فما جعل الله لكم عليهم سبيلا } فما أذن لكم في أخذهم وقتلهم { ستجدون آخرين } هم قوم من بني أسد وغطفان، كانوا إذا أتوا المدينة أسلموا وعاهدوا ليامنوا المسلمين، فإذا رجعوا إلى قومهم كفروا ونكثوا عهودهم { كلما ردوا إلى الفتنة } كلما دعاهم قومهم إلى قتال المسلمين { أركسوا فيها } قلبوا فيها أقبح قلب (١) وأشنعته، وكانوا شرا فيها من كل عدو { حيث ثقتموهم } حيث تمكنتم منهم { سلطانا مبينا } حجة واضحة لظهور عداوتهم وانكشاف حالهم في الكفر والغدر، وإضرارهم بأهل الإسلام أو تسلطا ظاهرا حيث أذنا لكم في قتلهم.

(١) قوله: أقبح قلب وذلك أن الإركاس هو القلب على الرأس ذكره في الأساس والأطم حصن من حصون المدينة.

(١٤٥/٣)

وما كان لمؤمن أن يقتل مؤمناً إلا $yzs"Z\$$ ومن قتل مؤمناً $stGsù$ مج f ح $yzs"Z\$$ رقبة

ودية $B÷s-B÷psYv$ - $B.îpyJ=$ إلى $\frac{3}{4}d\&dr÷\#ح$ إلا أن يصدقوا فإن كان من قوم عدو لكم

وهو مؤمن مج f ح $stGsù$ رقبة $B÷s-B÷psYv$ وإن كان من قوم N $3t/$ $sY÷$ O t/ur $gsY÷$ ميثاق

فدية $B.îpyJ=$ إلى $\frac{3}{4}d\&dr÷\#ح$ مج f ح $trBur$ رقبة $B÷s-B÷psYv$ فمن لم $ftf\%ô$ فصيام

ب $ûüu$ $ج$ $ôgx©$ متتابعين توبة من الله وكان الله J $t=$ J $VJ\$$ ٩2٦ xm ومن يقتل مؤمناً

$yz" \#ح$ $V\#$ جهنم $yfsù"t\! \#u\&dJyètG-B$ $\frac{1}{4}çn\%ôY\#$ عليه ولعنه وأعد له عذاباً

عظيماً (٩٣)

}

(١٤٦/٣)

وما كان لمؤمن { وما صح له ولا استقام ولا لاق بحاله، كقوله: { وما كان لنبي أن يغفل { (آل عمران: ١٦١)، { وما يكون لنا أن نعود فيها { (الأعراف: ٨٩)، { أن يقتل مؤمناً { ابتداء غير قصاص { إلا خطأ { إلا على وجه الخطأ. فإن قلت: بم انتصب خطأ؟ قلت: بأنه مفعول له، أي ما ينبغي له أن يقتله لعله من العلل إلا للخطأ وحده. ويجوز أن يكون حالاً بمعنى لا يقتله في حال من الأحوال إلا في حال الخطأ. وأن يكون صفة للمصدر إلا قتلاً خطأ. والمعنى أن من شأن المؤمن أن ينتفي عنه وجود قتل المؤمن ابتداء البتة، إلا إذا وجد منه خطأ من غير قصد، بأن يرمي كافراً فيصيب مسلماً، أو يرمي شخصاً على أنه كافر فإذا هو مسلم. وقرئ: "خطأ" - بالمد - و"خطأ"، بوزن عَمَى - بتخفيف الهمزة - وروى: (٢٩٧) أن عياش بن أبي ربيعة - وكان أخاً أبي جهل لأمه - أسلم وهاجر خوفاً من قومه إلى المدينة، وذلك قبل هجرة رسول الله ، فأقسمت أمه لا

تأكل ولا تشرب ولا يؤويها سقف حتى يرجع. فخرج أبو جهل ومعه الحرث بن زيد بن أبي أنيسة فأتياه وهو في أطم فقتل منه أبو جهل في الذروة والغارب (١)، وقال: أليس محمد يحنك على صلة الرحم، انصرف وبر أمك وأنت على دينك، حتى نزل وذهب معهما، فلما فسحا

عن المدينة كثفاه، وجلده كل واحد مائة جلدة. فقال للحارث: هذا أخي، فمن أنت يا حارث؟ لله علي إن وجدتك خاليا أن أقتلك، وقدماء به على أمه، فحلفت لا يحل كثفاه أو يرتد.

(١) قوله: فقتل منه في الذروة والغارب كناية عن الخديعة والمكر، والذروة أعلى السنام، والغارب مقدمة، والأصل فيه أن الرجل إذا أراد إيناس الجمل الصعب ليرمه فينقاد له جعل يمر يده عليه ويمسح غاربه، ويقبل وبره حتى يستأنس ويضع عليه الزمام والكثاف الحبل والكثف شديدي الرحل إلى خلف ومعنى أنحي عليه أقبل ومال ومعنى فسحا بعدا، و حر الوجه الخد و.... النفس.

(١٤٧/٣)

ف فعل ثم هاجر بعد ذلك وأسلم، وأسلم الحارث وهاجر، فلقبه عياش بظهر قباء - ولم يشعر بإسلامه - فأنحى عليه فقتله، ثم أخبر بإسلامه فأتى رسول الله فقال: قتلته ولم أشعر بإسلامه، فنزلت { فتحرير رقبة } فعليه تحرير رقبة. والتحرير: الإعتاق. والحر والعتيق: الكريم، لأن الكرم في الأحرار كما أن اللؤم في العبيد. ومنه: عتاق الخيل، وعتاق الطير لكرامها. وحر الوجه: أكرم موضع منه. وقولهم للئيم (عبد) وفلان عبد الفعل: أي لئيم الفعل. والرقبة: عبارة عن النسمة، كما عبر عنها بالرأس في قولهم: فلان يملك كذا رأسا من الرقيق. والمراد برقبة مؤمنة: كل رقبة كانت على حكم الإسلام عند عامة العلماء. وعن الحسن: لا تجزىء إلا رقبة قد صلت وصامت، ولا تجزىء الصغيرة. وقاس عليها الشافعي كفارة الظهار، فاشتراط الإيمان. وقيل: لما أخرج نفسا مؤمنة عن جملة الأحياء لزمه أن يدخل نفسا مثلها في جملة الأحرار، لأن إطلاقها من

قيد الرق كإحيائها من قبل أن الرقيق ممنوع من تصرف (١) الأحرار { مسلمة إلى أهله } مؤداة إلى ورثته يقتسمونها كما يقتسمون الميراث، لا فرق بينها وبين سائر التركة في كل شيء، يقضي منها الدين، وتنفذ الوصية وإن لم يبق وارثا فهي لبيت المال، لأن المسلمين يقومون مقام الورثة كما قال رسول الله : (٢٩٨) "أنا وارث من لا وارث له".

وعن عمر رضي الله عنه: (٢٩٩) أنه قضى بدية المقتول، فجاءت امرأته تطلب ميراثها من عقله فقال: لا أعلم لك شيئاً، إنما الدية للعصبة الذين يعقلون عنه. فقام الضحاك بن سفيان الكلابي فقال: كتب إلي رسول الله يأمرني أن أورث امرأة أشيم الضبابي من عقل زوجها أشيم.

(١) قوله: من قيل ان الرفيق ممنوع من التصرف يعني كما أن الميت ممنوع منه والعقل الدية ، ومعنى يعقلون يعطون الدية والعاملة العصبة الأقارب من قبل الأب وهي صلة أي الجماعة العاقلة فأصلها اسم فاعله من العقل وهي من الصفات الغالبة.

(١٤٨/٣)

فورثها عمر، وعن ابن مسعود: يرث كل وارث من الدية غير القاتل. وعن شريك: لا يقضي من الدية دين، ولا تنفذ وصية. وعن ربيعة: الغرة لأم الجنين وحدها، وذلك خلاف قول الجماعة. (فإن قلت): على من تجب الرقبة والدية؟ قلت: على القاتل إلا أن الرقبة في ماله، والدية تتحملها عنه العاقلة، فإن لم تكن له عاقلة فهي في بيت المال، فإن لم يكن ففي ماله { إلا أن يصدقوا } إلا أن يتصدقوا عليه بالدية ومعناه العفو، كقوله: { إلا أن يعفون } ونحوه { وأن تصدقوا خير لكم } وعن النبي : (٣٠٠) (٣٠٠) "كل معروف صدقة"، وقرأ أبي: "إلا أن يتصدقوا". فإن قلت: بم تعلق أن يصدقوا، وما محله؟ قلت: تعلق بعليه (١)، أو بمسلمة، كأنه قيل: وتجب عليه الدية أو يسلمها، إلا حين يتصدقون عليه. ومحلهما النصب على الظرف بتقدير حذف الزمان، كقولهم: اجلس ما دام زيد جالسا. ويجوز أن يكون حالا من أهله بمعنى { من قوم عدو لكم } من قوم كفار أهل

الحرب وذلك نحو رجل أسلم في قومه الكفار وهو بين أظهرهم لم يفارقهم، فعلى قاتله الكفارة إذا قتله خطأ وليس على عاقلته لأهله شيء. لأنهم كفار محاربون. وقيل: كان الرجل يسلم؛ ثم يأتي قومه وهم مشركون فيغزوهم جيش المسلمين، فيقتل فيهم خطأ لأنهم يظنونهم كفارا مثلهم { وإن كان من قوم } كفره لهم ذمة كالمشركين الذين عاهدوا المسلمين وأهل الذمة من الكتابيين، فحكمه حكم مسلم من المسلمين (٢) {

(١) قوله: تعلق بعلقة المقدر عند قوله { فتحرير رقبة } والاستثناء في قوله: إلا أن يصدقوا مفرغ. (صوابه منقطع).

(٢) قوله: فحكمه حكم مسلم من المسلمين أي في وجوب الكفارة والدية والإبراق والإرعاد

عبارة عن الوعيد والتهديد..

(١٤٩/٣)

فمن لم يجد { رقة، بمعنى لم يملكها ولا ما يتوصل به إليه } ف { عليه } صيام شهرين متتابعين توبة من الله { قبولاً من الله ورحمة منه، من تاب الله عليه إذا قبل توبته يعني شرع ذلك توبة منه، أو نقلكم من الرقة إلى الصوم توبة منه. هذه الآية فيها من التهديد والإيعاد والإبراق والإرعاد أمر عظيم وخطب غليظ. ومن ثم روى عن ابن عباس ما روى من أن توبة قاتل المؤمن عمداً غير مقبولة. وعن سفيان: كان أهل العلم إذا سئلوا قالوا: لا توبة له، وذلك محمول منهم على الاقتداء بسنة الله في التغليظ والتشديد، وإلا فكل ذنب ممحوا بالتوبة. وناهيك بمحو الشرك دليلاً. وفي الحديث: (٣٠١) "لزوال الدنيا أهون على الله من قتل امرئ مسلم" وفيه: (٣٠٢) "لو أن رجلاً قتل بالمشرك وآخر رضي بالمغرب لأشرك في دمه" وفيه: (٣٠٣) "إن هذا الإنسان ببيان الله. ملعون من هدم بنيانه"، وفيه: (٣٠٤) "من أعان على قتل مؤمن بشطر كلمة (١)

(١) قوله: بشطر كلمة قال سفيان الكلمة أن يقول في أقبل أف كما قال

كفى بالسيف شاه. أي شاهداً.

(١٥٠/٣)

جاء يوم القيامة مكتوب بين عينيه آيس من رحمة الله". والعجب من قوم يقرؤون هذه الآية

ويرون ما فيها ويسمعون هذه الأحاديث العظيمة، وقول ابن عباس بمنع التوبة. ثم لا تدعهم أشعبيتهم وطماعيتهم (١) الفارغة واتباعهم هواهم وما يخيل إليهم منهاهم، أن يطمعوا في العفو عن قاتل المؤمن بغير توبة { أفلا يتدبرون القرآن أم على قلوب أقفالها } ثم ذكر الله (٢) سبحانه وتعالى التوبة في قتل الخطأ، لما عسى يقع من نوع تفريط فيما يجب من الاحتياط والتحفظ فيه حسم للأطماع وأي حسم، ولكن لا حياة لمن تنادي (٣). فإن قلت: هل فيها دليل على خلود من لم يتب من أهل الكبائر؟ قلت: ما أبين الدليل وهو تناول قوله: { ومن يقتل } أي قاتل كان، من مسلم أو كافر، تائب أو غير تائب، إلا أن التائب أخرجه الدليل. فمن ادعى إخراج المسلم غير التائب فليأت بدليل مثله.

(١) قوله: أشعبيتهم وطماعتهم الثاني تفسير للأول وكان أشعب مولى لابن الزبير مشهور بكثرة الطمع.

(٢) قوله: ثم ذكر الله قيل هو عطف على الجملة المتقدمة من حيث المعنى أي ترك ذكر التوبة في هذه الآية مع الاحتياج إليها مانع عن الطمع ثم ذكرها في قتل الخطأ مع عدم الحاجة إليها حسم للطمع لأن معنى قوله والعجب إلى آخره هو أن قوله تعالى : { ومن يقتل مؤمنا متعمدا } إلى آخره مانع عن الطمع ، وقيل هو عطف على قوله هذه الآية فيها من التهديد والإبعاد.

(٣) قوله: ولكن لا حياة لمن تنادي . أوله: لقد أسمعت لو ناديت حيا . وقبله: ونار لو نفخت بها أضاءت ولكن أنت تنفخ في رماد والتهويك(والتهوك) التحير ، وقيل الوقوع في الشيء والسقوط فيه والعاقول من النهر والوادي والرمل المعوج منه.

(١٥١/٣)

tf"~'r%oJpk\$ الذين (ZtB#uûq#ن إذا ضربتم في سبيل الله فتبينوا ولا تقولوا لمن ألقى إليكم السلام لست مؤمنا تبتغون ثكچuتم ٤quso4\$٩ys الدنيا فعند الله مغام

٢ou×چ٧d٩xx. كنتم من قبل فمن الله عليكم (Z" t7tFsùûq#ن إن الله كان بما تعملون # [زجخ٩4yz)

}

(١٥٢/٣)

فتبينوا { وقرىء: "فتثبتوا"، وهما التفعّل بمعنى الاستفعال. أي اطلبوا بيان الأمر وثباته ولا تتهوكوا فيه من غير روية. وقرىء: "السلم". و"السلام" وهما الاستسلام. وقيل: الإسلام. وقيل: التسليم الذي هو تحية أهل الإسلام { لست مؤمنا } وقرىء "مؤمنا" بفتح الميم من آمنه، أي لا نؤمنك، وأصله: (٣٠٥) أن مرداس بن نهيك رجلا من أهل فدك أسلم ولم يسلم من قومه غيره، فغزتهم سرية لرسول الله كان عليها غالب بن فضالة الليثي، فهربوا وبقي مرداس لثقتة بإسلامه، فلما رأى الخيل ألجأ غنمه إلى عاقول من الجبل وصعد، فلما تلاحقوا وكبروا كبر ونزل وقال: لا اله إلا الله محمد

رسول الله، السلام عليكم، فقتله أسامة بن زيد واستاق غنمه، فأخبروا رسول الله فوجد
 وجدا شديدا وقال: قتلتموه إرادة ما معه، ثم قرأ الآية على أسامة، فقال: يا رسول
 الله استغفر لي. قال: فكيف بلا إله إلا الله (١)، قال أسامة: فما زال يعيدها حتى
 وددت أن لم أكن أسلمت إلا يومئذ (٢)،

(١) قوله : فكيف بلا إله إلا الله قيل معناه كيف يصنع إذا خاصمك هذه الكلمة ويحتمل
 أن مراده بهذه الكلمة وهي مانعة عن الاستغفار لقائل قائلها.
 (٢) قوله: حتى وددت أني لم أكن أسلمت إلا يومئذ يعني أنه تمنى إسلاما لا ذنب فيه
 لأن القتل لو صدر منه في حال الكفر ثم يعقبه الإسلام لزال اثمه..
 (١٥٣/٣)

ثم استغفر لي وقال: أعتق رقبة { تبتغون عرض الحياة الدنيا { تطلبون الغنيمة التي هي
 حطام سريع النفاد، فهو الذي يدعوكم إلى ترك الثبوت وقلة البحث عن حال من تقتلونهم {
 فعند الله مغانم كثيرة { يغنمكموها تغنيكم عن قتل رجل يظهر الإسلام ويتعوذ به من
 التعرض له لتأخذوا ماله { كذلك كنتم من قبل { أول ما دخلتم في الإسلام سمعت من
 أفواهكم كلمة الشهادة، فحصنت دماءكم وأموالكم من غير انتظار الاطلاع على مواطاة
 قلوبكم لألسنتكم { فمن الله عليكم { بالاستقامة والاشتهار بالإيمان والتقدم، وإن

صرتم أعلاما فعليكم أن تفعلوا (١) بالداخلين في الإسلام كما فعل بكم، وأن تعتبروا
 ظاهر الإسلام في المكافة، ولا تقولوا إن تهليل هذا لاتقاء القتل لا لصدق النية،
 فتجعلوه سلما إلى استباحة دمه وماله وقد حرمهما الله وقوله: { فتبينوا { تكبير
 للأمر بالتبين ليؤكد عليهم { إن الله كان بما تعملون خبيرا { فلا تنهافتوا في
 القتلوكونوا محترزين محتاطين في ذلك.

w يستوي القاعدون من المؤمنين مثج xī أولي الضرر والمجاهدون في سبيل الله
 O خgد'uqBr''خ / N خgà!k ur&Rr فضل الله المجاهدين
 O خgد'uqBr''خ / N خgà!k ur&Rr على
 القاعدين درجة وكلا وعد الله ءس_çtù.o # \$ فضل الله المجاهدين على القاعدين أجرا
 عظيما (٩٥) درجات منه Zou جد Bur t ورحمة وكان الله غفورا رحيم (٩٦)
 }

(١) قوله: فعليكم أن تفعلوا إلى آخره تفسير لقوله والتهافت السقوط.

(١٥٤/٣)

غير أولي الضرر { قرىء بالحركات الثلاث، فالرفع صفة للقاعدون(١)، والنصب استثناء منهم أو حال عنهم، والجر صفة للمؤمنين. والضرر: المرض، أو العاهة من عمى أو عرج أو زمانة أو نحوها. وعن زيد بن ثابت: (٣٠٦) كنت إلى جنب رسول الله فغشيت السكينة، فوقع فخذته على فخذي حتى خشيت أن ترضها، ثم سري عنه فقال: اكتب فكتبت في كتف }

يستوي القاعدون من المؤمنين { والمجاهدون { (النساء: ٩٥) فقال ابن أم مكتوم وكان أعمى: يا رسول الله، وكيف بمن لا يستطيع الجهاد من المؤمنين. فغشيت السكينة كذلك، ثم قال: اقرأ يا زيد، فقرأت { لا يستوي القاعدون من المؤمنين { فقال غير أولي الضرر. قال زيد: أنزلها الله وحدها، فألحقها. والذي نفسي بيده لكأني أنظر(٢) إلى ملحقتها عند صدع في الكتف. وعن ابن عباس: لا يستوي القاعدون عن بدر والخارجون إليها. وعن مقاتل: إلى تبوك.

(١) قوله فالرفع صفة للقاعدون إنما جاز وقوع غير صفة للقاعدون على قراءة الرفع

وللمؤمنين على قراءة الجر لأنه لا توقيت فيهما أي لا عهد ، وقيل يجوز أن يكون الرفع على الاستثناء أي لا يستوي القاعدون والمجاهدون إلا أولوا الضرر، فإنهم يساؤون المجاهدين ،وعلى تقدير النصب على الحال المعنى لا يستوي القاعدون في حال صحتهم والمجاهدون والمراد بالسكينة ما كان يعرض له من السكون وال.....عند نزول الوحي ، وقيل أراد بها هنا الرحمة والرض الدق ، ومعنى سري عنه كشف عنه ، وأزيل ما نزل به من الوحي.

(٢) قوله لكأني أنظر أي كأن ذلك بمرأى مني الآن والملحق موضع الإلحاق والمراد بالكشف كشف الشاه كانوا يكتبون فيها لقلة القراطيس ، وقيل أراد به اللخاف الذي واحدته لخافة وهي حجارة بيض ، ومعنى ليهاب به ليدعي من أهاب الداعي إذا صاح بها.

(١٥٥/٣)

فإن قلت: معلوم أن القاعد بغير عذر والمجاهد لا يستويان، فما فائدة نفي الاستواء؟
قلت: معناه الإذكار بما بينهما من التفاوت العظيم والبون البعيد، ليأنف القاعد
ويترفع بنفسه عن انحطاط منزلته، فيهتز للجهد ويرغب فيه وفي ارتفاع طبقتة، ونحوه {
هل يستوي الذين يعلمون والذين لا يعلمون { (الزمر: ٩) أريد به التحريك من حمية
الجاهل وأنفته ليهاب به إلى التعلم، ولينهض بنفسه عن صفة الجهل إلى شرف العلم { فضل
الله المجاهدين { جملة موضحة لما نفي من استواء القاعدين والمجاهدين كأنه قيل: ما
لهم لا يستوون، فأجيب بذلك. والمعنى على القاعدين غير أولي الضرر (١) لكون الجملة
بيانا للجملة الأولى المتضمنة لهذا الوصف { وكلا { وكل فريق من القاعدين والمجاهدين
{ وعد الله الحسنى { أي المثوبة الحسنى وهي الجنة وإن كان المجاهدون مفضلين على
القاعدين درجة. وعن النبي: (٣٠٧) "لقد خلفتم بالمدينة أقواما ما سرتهم مسيرا ولا
قطعتهم واديا إلا كانوا معكم" وهم الذين صحت نياتهم (٢)

(١) قوله: والمعنى على القاعدين غير أولي الضرر، قيل فيه نظر والصواب على القاعدين
أولي الضرر بدل عليه.

(٢) قوله: وصحت نياتهم هو من باب قولهم نهاره صائم مبالغة في إخلاصهم وت.....
ويجوز أن يكون كناية كقوله:

بيت بمنجاة من اللوم بيتها
(١٥٦/٣)

ونصحت جيوبهم وكانت أفئدتهم تهوى إلى الجهاد، وبهم ما يمنعونهم من المسير من ضرر أو
غيره. فإن قلت: قد ذكر الله تعالى مفضلين درجة ومفضلين درجات، فمن هم؟ قلت: أما
المفضلون درجة (١)

(١) قوله: أما المفضلون درجة فهم المفضلون على القاعدين الأضرأ والحاصل أن المراد
بقوله { لا يستوي القاعدون من المؤمنين غير أولي الضرر والمجاهدون في سبيل الله
بأموالهم وأنفسهم { أن المجاهدين والقاعدون غير الأضرأ بونا بعيدا وإن ليس بين
المجاهدين والقاعدين الأضرأ هذا البون لكن بينهم تفاوت فاحتاج هذا التفاوت إلى

البيان فبين بقوله { فضل الله } في الموضوعين هذا التفاوت وكلتا الجملتين بيان لا الجملة الأولى كما يشعر به كلام صاحب الكشف ، وفي كلامه تناقض وقد أجيب عن هذا النظر بأن المراد من قول المصنف أن فضل الله المجاهدين جملة موضحة لما بقي من استواء القاعدين والمجاهدين لأنه وما عطف عليه من قوله وفضل الله ، الثاني كلاهما بيان وإيضاح للجملة الأولى وهي قوله { لا يستوى القاعدون من المؤمنين غير أولى الضرر والمجاهدون } ولا بد من التطابق بين البيان والمبين والمذكور في البيان سببان فليس في المبين سوى ذكر غير أولى الضرر فالواجب أن يقدر ما يوافقه من قوله { لا يستوى القاعدون } أولوا الضرر وغير أولى الضرر وهو من أسلوب الجمع التقديري لدلالة التفصيل على المفضل وعليه قوله : { ومن يستنكف عن عبادته ويستكبر فسيحشرهم إليه جميعا فأما الذين آمنوا } الآية فعلى قوله (هذا) فضل الله المجاهدين جملة موضحة معناه الكلام الذي ذكر فيه هذا اللفظ أي فضل الله ، وهو مجموع الآيتين ، وقوله المعنى على القاعدين غير أولى الضرر معناه على من اشتمل عليه هذا الكلام المذكور

ومقدرا وهو على ما سبق منطوق على أولى الضرر ، وغير أولى الضرر وعلى في قوله المعنى على القاعدين غير أولى الضرر متعلق بهذا المقدر ، وهو مطلق فضل الله لا المذكور أولا أو ثانيا في التنزيل أي فضل الله المجاهدين على القاعدين أولى الضرر وغير أولى الضرر يدل عليه أنه لم يعيد قوله فضل الله المجاهدين جملة موضحة بأحد أعني درجة ودرجات بل أورده مطلقا مبهما ، ومن ثم توجه عليه السؤال الذي أورده وأجاب عنه بالتفصيل ، ولو كان الكلام مفصلا كان الكلام مستدركا والفاء في فمنهم يدل على الإنكار، وقيل في الجواب عما أورده من النظر أن الله تعالى لما ذكر عدم استواء القاعدين غير أولى الضرر والمجاهدين بينه بوجهين أحدهما بطريق اللزوم والثاني بطريق المطابقة بأن قال : أولا في البيان فضل الله المجاهدين على القاعدين الأضرء ، وإذا فضلوا عليهم كان تفضيلهم على غير الأضرء أولى وثانيا وفضل الله المجاهدين على القاعدين أي غير أولى الضرر درجات فكل واحد من الجملتين بيان لقوله { لا يستوى القاعدون من المؤمنين غير أولى الضرر والمجاهدون } على ما قرناه آنفا والله أعلم.

(١٥٧/٣)

واحدة فهم الذين فضلوا على القاعدين الأضرء وأما المفضلون درجات فالذين فضلوا على القاعدين الذين أذن لهم في التحلف اكتفاء بغيرهم، لأن الغزو فرض كفاية. فإن قلت: لم نصب (درجة) و(أجرا) و(درجات)؟ قلت: نصب قوله: (درجة) لوقوعها موقع المرة من

التفضيل، كأنه قيل فضلهم تفضيلة واحدة. ونظيره قولك: ضربه سوطا، بمعنى ضربه ضربة. وأما (أجرا) فقد انتصب بفضل، لأنه في معنى أجرهم أجرا ودرجات، ومغفرة، ورحمة: بدل من أجر. أو يجوز أن ينتصب (درجات) نصب درجة. كما تقول: ضربه أسواطاً بمعنى ضربات، كأنه قيل: وفضله تفضيلات. ونصب { أجرا عظيما } على أنه حال عن النكرة التي هي درجات مقدمة عليها، وانتصب مغفرة ورحمة بإضمار فعلهما بمعنى: وغفر لهم ورحمهم، مغفرة ورحمة.

b" (خ) الذين توفاهم الملائكة ظالمي N خ à ! k & R r قالوا فيم كنتم قالوا كنا مستضعفين في الأرض (#\$%\$٩nûq% ألم تكن أرض الله ur™Zpyè فتهاجروا فيها فأولئك مأواهم م _L©èygy وساءت # ٩٧ (tB) إلا المستضعفين من ةA%y`ح hج\$٩# والنساء بb"t!\$ur#q9 لا يستطيعون ms#Z's ولا tbr%٥%ku%ot% سيلا (٩٨) فأولئك عسى الله أن يعفو عنهم وكان الله عفوا غفورا (٩٩) }

(١٥٨/٣)

توفاهم { يجوز أن يكون ماضيا كقراءة من قرأ: "توفتهم". ومضارعا بمعنى تتوفاهم(١)، كقراءة من قرأ: "توفاهم"، على مضارع وفيت، بمعنى أن الله يوفى الملائكة أنفسهم فيتوفونها. أي يمكنهم من استيفائها فيستوفونها { ظالمي أنفسهم { في حال ظلمهم أنفسهم(٢) { قالوا { قال الملائكة للمتوفين { فيم كنتم { في أي شيء كنتم من أمر دينكم. وهم ناس من أهل مكة أسلموا ولم يهاجروا حين كانت الهجرة(٣) فريضة. فإن قلت: كيف صح وقوع قوله: { كنا مستضعفين في الأرض { جوابا عن قولهم: { فيم كنتم { ؟ وكان حق الجواب أن يقولوا: كنا في كذا أو لم نكن في شيء؟ قلت: معنى { فيم كنتم { للتوبيخ بأنهم لم يكونوا في شيء من الدين، حيث قدروا على المهاجرة ولم يهاجروا، فقالوا: كنا مستضعفين اعتذارا مما وبخوا به واعتلالا بالاستضعاف، وأنهم لم يتمكنوا من الهجرة حتى يكونوا في شيء، فبكتهم الملائكة بقوله: { ألم تكن أرض الله واسعة فتهاجروا

فيها { أرادوا أنكم كنتم قادرين على الخروج من مكة إلى بعض البلاد التي لا تمنعون فيها من إظهار دينكم ومن الهجرة إلى رسول الله كما فعل المهاجرون إلى أرض الحبشة.

(١) قوله: ومضارعا بمعنى يتوفاهم ، وعلى هذا يكون من باب حكاية الحال الماضية ولذلك وقع قالوا خبرا لأن ، قال أبو البقاء والعائد محذوف أي قالوا لهم ويجوز أن يكون قالوا حالا من الملكية وقد معه مقدرة وخبر إن فأولئك ودخلت الفاء لما في الذين من الإبهام المشابه للشرط.

)

(٢) قوله: في حال ظلمهم أنفسهم ، قال الزجاج والأصل ظالمين أنفسهم فحذفت النون استخفا والمعنى على ثبوتها.

(٣) قوله: حين كانت الهجرة فريضة يعني قبل الفتح.

(١٥٩/٣)

وهذا دليل على أن الرجل إذا كان في بلد لا يتمكن فيه من إقامة أمر دينه كما يحب، لبعض الأسباب والعوائق عن إقامة الدين لا تنحصر (١)، أو علم أنه في غير بلده أقوم بحق الله وأدوم على العبادة - حقت عليه المهاجرة. وعن النبي : (٣٠٨) "من فر بدينه من أرض إلى أرض وإن كان شبرا (٢) من الأرض استوجبت له الجنة، وكان رفيق أبيه إبراهيم ونبيه محمد عليهما الصلاة والسلام". اللهم إن كنت تعلم أن هجرتي إليك لم تكن إلا للفرار بديني فاجعلها سببا في خاتمة الخير ودرك المرجو من فضلك والمبتغى من رحمتك وصل جوارى لك بعكوفي عند بيتك، بجوارك في دار كرامتك يا واسع المغفرة، ثم استثنى من أهل الوعيد المستضعفين الذين لا يستطيعون حيلة في الخروج لفقرهم وعجزهم ولا معرفة لهم بالمسالك. وروي: (٣٠٩) أن رسول الله بعث بهذه الآية إلى مسلمي مكة، فقال جندب بن ضمرة أو ضمرة بن جندب لنبيه: احملوني، فإني لست من المستضعفين، وإني لأهتدي الطريق، والله لا أبيت الليلة بمكة. فحملوه على سرير متوجها إلى المدينة وكان شيخا كبيرا فمات بالتنعيم.

(١) قوله: والعوائق عن إقامة الدين لا تنحصر جملة معترضة بين المعطوف وهو علم وبين المعطوف عليه وهو لا يتمكن وحقت جواب إذا وقوله بلدة مطهرة وضع موضع المضممر الراجع

إلى بلد وقيل واعلم عطف على كان.

(٢) قوله: فإن كان شبرا الضمير في كان يعود إلى ما دل عليه الكلام أي وإن كان ما بين الأرضين شبرا استوجب له الجنة ، قيل معناه وجبت وحقيقته طلب الجنة له الوجوب ويروى استوجب مجهولا والسعي موضع بقرب مكة عند مسجد عائشة.
(١٦٠/٣)

فإن قلت: كيف أدخل الولدان في جملة المستثنين (١) من أهل الوعيد، كأنهم كانوا

يستحقون الوعيد مع الرجال والنساء لو استطاعوا حيلة واهتدوا سبيلا؟ قلت: الرجال والنساء قد يكونون مستطيعين مهتدين وقد لا يكونون كذلك.

(١) قوله: كيف أدخل الولدان في جملة المستثنين توجيه السؤال أنه قيد المستثنين بأنهم لا يستطيعون حيلة ولا يهتدون سبيلا وهذا يوهم أن الولدان لو استطاعوا واهتدوا لتناولهم الوعيد وهو محال لأنه لا تكليف عليهم وحاصل الجواب أن هذا القيد أعني عدم الإستطاعة والإهتداء لازم للولدان لا محالة فلا يتوجه إليهم الوعيد وأما الرجال والنساء فالمستطيعون منهم يتوجه إليهم الوعيد دون غيرهم هذا بيان الوجه الأول. ويرد عليه أنهم إذا لم يخرجوا بالإستثناء فلم أدرجوا في المستثنين ؟. وأجيب عن هذا بأنهم إنما قرنوا بهم لبيان أن الرجال والنساء الذين لا يستطيعون حيلة ولا يهتدون سبيلا منزلون في إعفاء الذنب عنهم منزلة الولدان مبالغة لأن المعطوف عليه قد يكتسي معنى المعطوف ليشاركهما في الحكم ، قال المصنف في قوله تعالى : { سنكتب ما قولوا وقتلهم الأنبياء بغير حق } جعل قتل الأنبياء قرينة لقولهم { إن الله فقير ونحن أغنياء } إيذانا بأنهما في العظم أخوان وبأن هذا ليس بأول ما ارتكبه من العظائم ، ويحتمل أنهم إنما قرنوا بهم للمبالغة في أمر الهجرة وأتهام أنهم لو استطاعوا تقديرا لوجب عليهم الهجرة مع كونهم غير مكلفين ، فكيف بمن يكون مكلفا إذا استطاع ، قال القاضي : إنما قرنهم بهم للمبالغة في الأمر والإشعار بأنهم على صدد وجوب الهجرة فإنهم إذا بلغوا قدروا على الهجرة فلا محيص لهم عنها ، وإن قومهم يجب عليهم أن يهاجروا بهم متى تمكنوا.
(١٦١/٣)

وأما الولدان فلا يكونون إلا عاجزين عن ذلك، فلا يتوجه عليهم وعيد: لأن سبب خروج

الرجال والنساء من جملة أهل الوعيد إنما هو كونهم عاجزين، فإذا كان العجز متمكنا في الولدان لا ينفكون عنه، كانوا خارجين من جملتهم ضرورة. هذا إذا أريد بالولدان

الأطفال ويجوز أن يراد المراهقون منهم الذين عقلوا ما يعقل الرجال والنساء فيلحقوا بهم في التكليف. وإن أريد بهم العبيد والإماء البالغون فلا سؤال. فإن قلت: الجملة التي هي { لا يستطيعون } ما موقعها؟ قلت: هي صفة للمستضعفين أو للرجال والنساء والولدان. وإنما جاز ذلك والجمال نكرات، لأن الموصوف وإن كان فيه حرف التعريف فليس لشيء بعينه، كقوله:

ولقد أمر على اللئيم يسيني
فإن قلت: لم قيل { عسى الله أن يعفو عنهم } بكلمة الإطماع؟ قلت: للدلالة على أن ترك الهجرة أمر مضيق لا توسعة فيه (١)، حتى أن المضطر البين الاضطرار من حقه أن يقول عسى الله أن يعفو عني، فكيف بغيره.

* ومن يهاجر في سبيل الله يجد في الأرض WxچمB # [رچدWx. وسعة ومن يخرج من بيته

مهاجرا إلى الله 3/4د&qك u'ur™ ثم يدركه الموت فقد وقع أجره على الله وكان الله غفورا رحيمًا

{ مراغما { مهاجرا (٢) وطريقا يراغم بسلوكه قومه، أي يفارقهم على رغم أنوفهم. والرغم: الذل والهوان. وأصله لصوق الأنف بالرغام - وهو التراب - يقال: راغمت الرجل إذا فارقتة وهو يكره مفارقتك لمذلة تلحقه بذلك. قال النابغة الجعدي.
كطود يلاذ بأركانه ... عزيز المراغم (٣)

(١) قوله: لا توسعة فيه أي في ترك الهجرة.

(٢) قوله: مراغما مهاجرا ، قال الزجاج معنى مراغم مهاجر لأن المهاجر لقومه والمراغم لهم بمنزلة واحدة ، وإن اختلفت الكلمتان فمعنى أرغمت فلانا هجرته وعاديته.
(٣) قوله:

كطود يلاذ بأركانه عزيز المراغم والمذهب

ورواية العين والمهرب ، يقول هو جبل عظيم ملتجأ بنوا أخيه منيع المفارق لصعوبة مسالكه والمذهب أو المهرب.

قوله من غيري شتى لم أضربه. وقبله :

عجبت والدهر كثير عجبه ... غيري منسوب إلى قبيلة عنتره

قال ابن جني: أراد ثم يدركه حرم غير انه يؤتى الوقف على الكلمة فنقل الحركة من

الهاء إلى الكاف فلما ثقلت الضمة صار يدركه فحرك الهاء بالضم على أول حالها ثم لم يعد إليها الضمة التي كان نقلها إلى الكاف عنها بل أقر الكاف على ضميتها قال يدركه الموت : أنشد محمد بن الحسن :

إن ابن الأحوص معروف في ساعديه ... إذا رام العلى قصر

أراد ثم نقل الضمة من الهاء إلى العين فصار ثم حرك الهاء بالضم وأقر ضمة العين عليها بحالها ، فقال وذلك أنهم قد أكثروا نقل هذه الضمة عن هذه الهاء فإذا نقلت إلى موضع قرت عليه وثبتت ثبات الواجب فيه فاعرفه.

قوله: والحق بالحجاز فاستريحا. أوله:

سأترك منزلي لبني تميم . في النصب في الآية والبيت إشكال لأنه إنما أجاز النصب بإضمار أن بعد الفاء إذا وقعت في جواب الأشياء الستة ونحوها ولهذا حملوا النصب في البيت على الضرورة وليس شيء منها موجودا هنا ولم يذكر أحد من أهل الأدب النصب بإضمار أن بعد ثم ، وقد أجيب: بأن الفعل المضارع بمنزلة التمني والترجي ، وقال ابن جني: الآية أقوى على كل حال من ذلك لتقدم الشرط قبل المعطوف عليه ، وقيل: هو مثل أكرمني وأكرمك أي ليكن منك إكرام وإكرام مني والمعنى من يكن له خروج من بيته وأدركه الموت والتقدير في البيت سيكون ترك وإلحاق.

(١٦٢/٣)

والمذهب

وقرىء "مرغما". وقرىء { ثم يدركه الموت } بالرفع على أنه خبر مبتدأ محذوف. وقيل: رفع الكاف منقول من الهاء كأنه أراد أن يقف عليها، ثم نقل حركة الهاء إلى الكاف، كقوله:

من عنزي سبني لم أضربه .

وقرىء "يدركه" بالنصب على إضمار أن، كقوله:

وألحق بالحجاز فأستريحا .

(١٦٣/٣)

فقد وقع أجره على الله { فقد وجب ثوابه عليه: وحقيقة الوجوب: الوقوع والسقوط } فإذا وجبت جنوبها { (الحج: ٣٦) ووجبت الشمس: سقط قرصها. والمعنى: فقد علم الله كيف يشيئه (١) وذلك واجب عليه. وروى في قصة جندب بن ضمرة: أنه لما أدركه الموت أخذ يصفق

بيمينه على شماله ثم قال: اللهم هذه لك (٢)، وهذه لرسولك، أبايعك على ما بايعك عليه رسولك. فمات حميدا فبلغ خبره أصحاب رسول الله فقالوا: لو توفي بالمدينة لكان أتم أجرا، وقال المشركون وهم يضحكون: ما أدرك هذا ما طلب. فنزلت. وقالوا: كل هجرة لغرض ديني - من طلب علم، أو حج، أو جهاد، أو فرار إلى بلد يزداد فيه طاعة أو قناعة وزهدا في الدنيا، أو ابتغاء رزق طيب - فهي هجرة إلى الله ورسوله. وإن أدركه الموت في طريقه، فأجره واقع على الله .

(١) قوله : فقد علم الله كيف يبينه وذلك واجب عليه إنما تأول الوقوع بالعلم والوجوب لتراخي الثواب عن الموت وعدم تعقبه له . والحاصل: أنه ذكر الوقوع وأراد ملزومه وهو العلم ، وفي إقامة المظهر مقام المضمّر في قوله على الله ملا يخفى من تعظيم الأجر ، وفي مقارنة هذا الشرط للشرط السابق دلالة على أن من هاجر له إحدى الحسينين إما أن يورث عدو الدين مذلة بمفارقته إياه ويصل إلى سعة الرزق والخير ، وإما أن يدركه الموت ويصل إلى السعادة الحقيقية والنعيم الدائم ، وإنما قدم المراغم على السعة لتقدمه عليها في الوجود ولأن ابتهاج الإنسان برغم الأعداء أشد من إبتهاجه بسعة الرزق، وقال المصنف إنما قيل ثم يدركه الموت لبيان أن الأجر إنما يستقيم إذا لم يحبط العمل إلى يجيئ الموت.

(٢) قوله: اللهم إن هذه لك أي البيعة وإشارة على الصفقة وهذه لرسولك قيل معناه كبيعة رسولك لا كبيعة سائر الناس ويحتمل هذه البيعة أيضا لرسولك ، والمراد بالقصد وعدم تجاوز الحد ، ومعنى اعتمرت قصدت.

(١٦٤/٣)

وإذا ضربتم في الأرض فليس عليكم جناح أن (#rمزفا)s؟ من ٩٤# \$=o4qnd إن ÷Lنêمz1/2 أن

يفتنكم الذين كفروا إن z`fحچدے"s39\$## كانوا لكم عدوا YZ\$ خv-B انةتب

الضرب في الأرض: هو السفر، وأدنى مدة السفر الذي يجوز فيه القصر عند أبي حنيفة: مسيرة ثلاثة أيام ولياليهن سير الإبل ومشى الأقدام على القصد، ولا اعتبار بإبطاء

الضارب وإسراعه. فلو سار مسيرة ثلاثة أيام ولياليهن في يوم، قصر. ولو سار مسيرة يوم في ثلاثة أيام، لم يقصر. وعند الشافعي أدنى مدة السفر أربعة برد مسيرة يومين. وقوله: { فليس عليكم جناح أن تقصروا من الصلاة } ظاهره التخيير بين القصر والإتمام، وأن الإتمام أفضل. وإلى التخيير ذهب الشافعي. وروي عن النبي : (٣١٠) أنه أتم في السفر. وعن عائشة رضي الله عنها: (٣١١) اعتمدت مع رسول الله من المدينة إلى مكة حتى إذا قدمت مكة قلت يا رسول الله، بأبي أنت وأمي، قصرت وأتممت، وصمت وأفطرت. فقال: أحسنت يا عائشة وما عاب علي. وكان عثمان رضي الله عنه يتم ويقصر. وعند أبي حنيفة رحمه الله: القصر في السفر عزيمة غير رخصة لا يجوز غيره. وعن عمر رضي الله عنه: (٣١٢) صلاة السفر ركعتان تمام غير قصر على لسان نبيكم. وعن عائشة رضي الله عنها: (٣١٣) أول ما فرضت الصلاة فرضت ركعتين ركعتين، فأقرت في السفر، وزيدت في الحضر. فإن

قلت: فما تصنع بقوله: { فليس عليكم جناح أن تقصروا } ؟ قلت: كأنهم ألفوا الإتمام فكانوا مظنة لأن يخطر ببالهم أن عليهم نقصانا في القصر فنفي عنهم الجناح لتطيب أنفسهم بالقصر ويطمئنوا إليه. وقرئ: "تقصروا" من أقصر. وجاء في الحديث (٣١٤) إقصار الخطبة بمعنى تقصيرها. وقرأ الزهري "تقصروا" بالتشديد. (١٦٥/٣)

والقصر ثابت بنص الكتاب (١) في حال الخوف خاصة، وهو قوله: { إن خفتهم أن يفتنكم الذين

كفروا } وأما في حال الأمن فبالسنة، وفي قراءة عبد الله: "من الصلاة أن يفتنكم" ليس فيها { إن خفتهم } على أنه مفعول له، بمعنى: كراهة أن يفتنكم. والمراد بالفتنة: القتال والتعرض بما يكره.

وإذا كنت Nخkژد ù فأقمت لهم الصلاة فلتقم pxح s\$غ منهم B`y7y
وليأخذوا

NhkyJys=دr& فإذا سجدوا فليكونوا من 6Nà ح #!ur'u ولتأت pxîح
s\$غ ٢u÷zé& لم

يصلوا فليصلوا معك وليأخذوا حذرهم ur&r™=dkyJysهN ود الذين كفروا لو تغفلون
عن

نNدFysد&r™=د وأمتعتكم فيميلون عليكم n`urد%Z's#`B Zoy ولا
yy\$sYم_ عليكم إن كان
بكم أذى من مطر أو كنتم مرضى أن (#tûمèنNز? Gysد&r™=دت وخذوا
حذرکم إن الله أعد
tûiحجدة"s3ù=۹ عذابا YY\$خ102 (g-B) فإذا قضيت الصلاة فاذكروا الله قياما
وقعودا
وعلى جنوبكم فإذا اطمأننتم فأقيموا الصلاة إن الصلاة كانت على المؤمنين كتابا
موقوتا اتعجب
}

(١) قوله: والقصر ثابت بنص الكتاب في حال الخوف خاصة وهو قوله { إن خفتم أن يفتنكم
الذين كفروا } قيل هذه شريطة باعتبار الغالب في ذلك الوقت ولذلك لم يعتبر مفهومها
كما لم يعتبر في قوله : { إن أردن تحصنا إن خفتم أن لا يقيما حدود الله فلا جناح
عليهما فيما افتدت به } وقد تظاهرت السنن على جوازه أيضا في حال الأمن.
(١٦٦/٣)

وإذا كنت فيهم فأقمت لهم الصلاة { يتعلق بظاهره من لا يرى صلاة الخوف بعد رسول الله
(١) حيث شرط كونه فيهم: وقال من رآها بعده: إن الأئمة نواب عن رسول الله في كل عصر،
قوام بما كان يقوم به فكان الخطاب له متناولا لكل إمام يكون حاضر الجماعة في حال
الخوف، عليه أن يؤمهم كما أم رسول الله الجماعات التي كان يحضرها. والضمير في
(فيهم) للخائفين { فلتقم طائفة منهم معك } فاجعلهم طائفتين(٢) فلتقم إحدهما معك
فصل بهم { وليأخذوا أسلحتهم } الضمير إما للمصلين وإما لغيرهم فإن كان للمصلين
فقالوا: يأخذون من السلاح ما لا يشغلهم عن الصلاة كالسيف والخنجر ونحوهما. وإن كان
لغيرهم فلا كلام فيه { فإذا سجدوا فليكونوا } يعني غير المصلين(٣) }

(١) قوله: من لا يرى صلاة الخوف بعد رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قيل هو أبو
يوسف.

(٢) قوله: فاجعلهم طائفتين فلتقم طائفة أراد أن الفاء في فلتقم تفصيلية بدليل عطف قوله ولتأت طائفة أخرى عليه فلا بد من تقدير المجل قبله وهو جعلهم طائفتين لأنه المناسب للتفصيل.

)

(٣) قوله: يعني غير المصلين في الحال أي الفارغين من السجود الذاهبين إلى العدو ومع أنهم في الصلوة بعد قوله فيؤدي الركعة بغير قراءة وذلك أن الإمام قد قرأ في الركعة الثانية وهم كانوا في الصلوة وإن كانوا في وجه العدو بخلاف الطائفة الأخرى لأنهم اقتدوا بالإمام في الركعة الثانية وأتم الإمام صلاته فلا بد لهم من القراءة في ركعتهم الثانية ، إذ ليسوا بمقتدين بالإمام حينئذ وقوله ويعضده أي ويعضد قول (ك) لأن قوله ولتأت طائفة أخرى لم يصلوا فليصلوا معك يدل بالمفهوم على أن الطائفة الأولى قد صلوا ويدل على أن الطائفة الثانية يصلون معه ولا ينفردون ويسلمون معه ولأن حمل الصلاة على حقيقتها أولى من حملها على السجود..

(١٦٧/٣)

من ورائكم } يحرسونكم وصفة صلاة الخوف عند أبي حنيفة: أن يصلي الإمام بإحدى الطائفتين ركعة إن كانت الصلاة ركعتين - والأخرى بإزاء العدو - ثم تقف هذه الطائفة بإزاء العدو وتأتي الأخرى فيصلّي بها ركعة ويتم صلاته. ثم تقف بإزاء العدو، وتأتي الأولى فتؤدي الركعة بغير قراءة وتتم صلاتها ثم تحرس، وتأتي الأخرى فتؤدي الركعة بقراءة وتتم صلاتها. والسجود على ظاهره عند أبي حنيفة. وعند مالك بمعنى الصلاة، لأن الإمام يصلي عنده بطائفة ركعة ويقف قائما حتى تتم صلاتها وتسلم وتذهب، ثم يصلي بالثانية ركعة ويقف قاعدا حتى تتم صلاتها. ويسلم بهم ويعضده } ولتأت طائفة أخرى لم يصلوا فليصلوا معك } . وقرئ: "وأمتعاتكم": فإن قلت: كيف جمع بين الأسلحة وبين الحذر في الأخذ. قلت: جعل الحذر وهو التحرز والتيقظ آلة يستعملها الغازي، فلذلك جمع بينه وبين الأسلحة في الأخذ، وجعلا مأخوذين(١). ونحوه قوله تعالى: { والذين تبوءوا الدار والإيمان } جعل الإيمان مستقرا لهم ومتبوا لتمكنهم فيه فلذلك جمع بينه وبين الدار في التبوء { فيميلون عليكم } فيشدون عليكم شدة واحدة. ورخص لهم

في وضع الأسلحة إن ثقل عليهم حملها بسبب ما يلهم في مطر أو يضعفهم من مرض، وأمرهم

مع ذلك بأخذ الحذر لئلا يغفلوا فيهمج عليهم العدو.

(١) قوله: وجعلنا مأخوذين يريد أنه نظم الحذر المعقول بعد الإستعارة في سلك المحسوس وهو الأسلحة في حكم الأخذ مبالغة في الحذر كما نظم الإيمان في سلك الدار في حكم ال..... فيه بمكثهم في الدار والشدة الجملة.
(١٦٨/٣)

فإن قلت: كيف طابق الأمر بالحذر (١) قوله: { إن الله أعد للكافرين عذابا مهينا } ؟
قلت: الأمر بالحذر من العدو يومهم توقع غلبته واعتزازه. فنفي عنهم ذلك الإيهام بإخبارهم أن الله يهين عدوهم ويخذله وينصرهم عليه، لتقوي قلوبهم، وليعلموا أن الأمر بالحذر ليس لذلك، وإنما هو تعبد من الله كما قال: { ولا تلقوا بأيديكم إلى التهلكة } { فإذا قضيت الصلاة } فإذا صليتم في حال الخوف (٢)

(١) قوله: كيف طابق الأمر بالحذر أراد أن مجيء قوله أعداء الله للكافرين بعد قوله :
{ وخذوا حذركم } يومهم أنه علة للأمر بالحذر ، وليس كذلك بل أمر بالحذر مسبب عن اعتزاز العدو وغلبته ، وأجاب بأنه تعالى لما أمرهم بالحذر من العدو أوهمهم به غلبة العدو لأن الحذر في الغالب لا يكون إلا ممن يوقع عليه منه الغلبة فأراد أن يبين أن هذا الأمر على خلاف المتعارف فقال : { إن الله أعد للكافرين عذابا مهينا } ليعلموا أن ذلك الأمر غير مغلل بعلتهم ، وحاصل ذلك أن قوله { خذوا حذركم } له معنيان قريب وهو التحرز من العدو بسبب شوكته وبوقع غلبته وهذا ليس بمراد ، وبعيد وهو القيام بأمر الجهاد وربط الجأش في القتال ويعود السقط وهذا هو المراد ولذلك علل بقوله : { إن الله أعد للكافرين عذابا مهينا } يعني إنما شرع الأمر بالحذر لإقامة الجهاد مع العدو والتحفظ في الحرب ليهين الله العدو وينصركم عليه في الحرب ونحوه قوله : { ولا

تلقوا بأيديكم إلى التهلكة } فإنه في الظاهر أمر بالإحجام عن الحرب وهذا معناه القريب وهو غير مراد وهو في الحقيقة أمر بالقيام بالجهاد والقتال وهو معناه البعيد المراد من الآية الاعتزاز التقوي.

(٢) قوله: فإذا صليتم في حال الخوف فالقضاء هاهنا بمعنى الأداء وفي قوله بعد ، وقيل معناه فإذا قضيت صلاة الخوف بمعنى فإذا فرغتم والمثخن المثقل الموهن..
(١٦٩/٣)

والقتال { فاذكروا الله } فصلوها { قياما } مسابفين ومقارعين { وقعودا } جائئين على
الركب مرامين { وعلى جنوبكم } متخنيين بالجراح { فإذا اطمأننتم } حين تضع الحرب
أوزارها وأمنتهم { فأقيموا الصلاة } فاقضوا ما صليتم في تلك الأحوال التي هي أحوال
القلق والانزعاج { إن الصلاة كانت على المؤمنين كتابا موقوتا } محدودا بأوقات لا
يجوز إخراجها عن أوقاتها على أي حال كنتم، خوف أو أمن. وهذا ظاهر على مذهب
الشافعي(١) رحمه الله في إيجابه الصلاة على المحارب في حالة المسابقة والمشي
والاضطراب في المعركة إذا حضر وقتها، فإذا اطمأن فعليه القضاء. وأما عند أبي حنيفة
رحمه الله فهو معذور في تركها إلى أن يطمئن. وقيل: معناه فإذا قضيت صلاة الخوف
فأديموا ذكر الله مهللين مكبرين مسبحين داعين بالنصرة والتأييد في كافة أحوالكم من
قيام وقعود واضطجاع، فإن ما أنتم فيه من خوف وحرب جدير بذكر الله ودعائه واللجأ
إليه { فإذا اطمأننتم } فإذا أقمتهم { فأقيموا الصلاة } فأتموها.
ولا تهنؤا في ابتغاء القوم إن تكونوا تألمون فإنهم يألمون كما تألمون ﴿سُورَةُ التَّوْبَةِ آيَاتٌ ٢٠﴾
الله ما لا يرجون وكان الله ﴿سُورَةُ التَّوْبَةِ آيَاتٌ ٢٠﴾

ولا تهنوا { ولا تضعفوا ولا تتوانوا { في ابتغاء القوم { في طلب الكفار بالقتال
والعرض به لهم، ثم أزمهم الحجة بقوله: { إن تكونوا تألمون { أي ليس ما تكابدون من
الألم بالجرح والقتل مختصا بكم، إنما هو أمر مشترك بينكم وبينهم يصيبهم كما يصيبكم،
ثم إنهم يصبرون عليه ويتشجعون. فما لكم لا تصبرون مثل صبرهم، مع أنكم أولى منهم
بالصبر لأنكم { ترجون من الله ما لا يرجون { من إظهار دينكم على سائر الأديان، ومن

الثواب العظيم في الآخرة. وقرأ الأعرج: "أن تكونوا تألمون"، بفتح الهمزة، بمعنى: ولا تهنوا لأن تكونوا تألمون. وقوله: { فإنهم يألمون كما تألمون } تعليل. وقرئ: "فإنهم يبلون كما تبلون" (١). وروي أن هذا في بدر الصغرى، كان بهم جراح فتواكلوا (٢) { وكان الله عليهما حكيمًا } لا يكلفكم شيئًا ولا يأمركم ولا ينهاكم إلا لما هو عالم به مما يصلحكم.

إنا! &Rr"uZ9u\$ إليك الكتاب بالحق لتحكم بين الناس بما أراك الله ولا تكن
ح Zstüü

!j9د=y,ù\$ خصيما (١٠٥) حجد ur tG™\$#ur الله إن الله كان غفورا رحيمًا اتةدب

(١) قوله: وقرئ فإنهم كسر حرف المضارعة فانقلبت الهمزة باء.
(٢) قوله: فتواكلوا أي فشلوا وضعفوا عن القتال وفي الأساس يقال فلان وكل ووكله ثكله مواكل ضعيف يتكل على غيره وحقيقة تواكلوا وكل بعضهم أمر الحرب إلى بعض ، وطعمة بفتح
الطاعن الصنعاني وروي بكسرها.
(١٧١/٣)

روي: (٣١٥) أن طعمة بن أبيرق أحد بني ظفر سرق درعا من جار له اسمه قتادة بن النعمان

في جراب دقيق، فجعل الدقيق ينتثر من خرق فيه، وخبأها عند زيد بن السمين رجل من اليهود، فالتصت الدرع عند طعمة فلم توجد وحلف ما أخذها، وما له بها علم، فتركوه واتبعوا أثر الدقيق حتى انتهى إلى منزل اليهودي فأخذوها، فقال: دفعها إلي طعمة، وشهد له ناس من اليهود. فقالت بنو ظفر: انطلقوا بنا إلى رسول الله ، فسألوه أن يجادل عن صاحبهم وقالوا: إن لم تفعل هلك واقتضح وبريء اليهودي، فهم رسول الله أن يفعل وأن يعاقب اليهودي. وقيل: هم أن يقطع يده فنزلت. وروي أن طعمة هرب إلى مكة وارتد ونقب حائطًا بمكة ليسرق أهله فسقط الحائط عليه فقتله { بما أراك الله } (١) بما عرفك وأوحى به إليك. وعن عمر رضي الله عنه: لا تقولن أحدكم قضيت بما أراني الله، فإن الله لم يجعل ذلك إلا لنبيه ، ولكن ليجتهد رأيه، لأن الرأي من رسول الله كان مصيبًا، لأن الله كان يريه إياه، وهو منا الظن والتكلف { ولا تكن للخائنين خصيما } ولا تكن لأجل الخائنين مخاصمًا للبراء. يعني لا تخاصم اليهود لأجل بني ظفر { واستغفر الله } مما هممت به من عقاب اليهودي.

(١) قوله: بما أريك الله بما يروك يعني أراك من الرأي لا من العلم لأنه يستدعي ثلاثة مفاعيل ، قال أبو البقاء الفعل رأيت الشيء وهو من الرأي الذي هو الاعتقاد وهو متعد إلى مفعول واحد وبعد الهمزة إلى مفعولين أحدهما الكاف والآخر محذوف أي أراكه ، ومعنى ليسرق أهله ليسرق متاع أهله.

(١٧٢/٣)

ولا تجادل عن الذين يختانون أنفسهم إن الله لا يحب من كان $R\#qyz\$$ أثيما (١٠٧) يستخفون من الناس ولا يستخفون من الله وهو معهم إذ يبيتون ما لا يرضى من القول وكان الله بما يعملون محيطا (١٠٨) ها أنتم هؤلاء جادلتم عنهم في $ys9\$ \#o4qu$ الدنيا فمن

يجادل الله عنهم يوم القيامة أم من يكون N $x\#kz\#n=t$ موكيلا (١٠٩) ومن يعمل $\#n1\#q\#u\#$ أو

$\#n1\#q\#u\#$ نفسه ثم حجد $\#o,tG$ "الله $\#o,tG$ الله غفورا رحيم (١١٠)

}

(١٧٣/٣)

يختانون أنفسهم { يخونونها بالمعصية. كقوله: { علم الله أنكم كنتم تختانون أنفسكم { جعلت معصية العصاة خيانة منهم لأنفسهم كما جعلت ظلما لها: لأن الضرر راجع إليهم. فإن قلت: لم قيل (للخائنين) و { يختانون أنفسهم { وكان السارق طعمة وحده؟ قلت: لوجهين، أحدهما: أن بني ظفر شهدوا له بالبراءة ونصروه، فكانوا شركاء له في الإثم. والثاني: أنه جمع ليتناول طعمة وكل من خان خيانتة، فلا تخاصم لخائن قط ولا تجادل عنه. فإن قلت: لم قيل { خوانا أثيما { على المبالغة؟ قلت: كان الله عالما من طعمة بالإفراط في الخيانة وركوب المآثم، ومن كانت تلك خاتمة أمره لم يشك في حاله. وقيل: إذا عثرت من رجل على سيئة فاعلم أن لها أخوات. وعن عمر رضي الله عنه أنه أمر بقطع يد سارق، فجاءت أمه تبكي وتقول: هذه أول سرقة سرقها فاعف عنه. فقال: كذبت، إن الله لا يؤاخذ عبده في أول مرة { يستخفون { يستترون (١) { من الناس { حياء منهم وخوفا من ضررهم { ولا يستخفون من الله { ولا يستحيون منه { وهو معهم { وهو عالم بهم مطلع عليهم لا يخفى عليهم خاف من سرهم، وكفى بهذه الآية ناعية على الناس ما هم من قلة الحياء والخشية من ربهم، مع علمهم إن كانوا مؤمنين أنهم في حضرته لا ستره ولا غفلة

ولا غيبة، وليس إلا الكشف الصريح والافتضاح { يبيتون } يدبرون ويزورون وأصله أن يكون بالليل { ما لا يرضى من القول } وهو تدبير طعمة أن يرمي بالدع في دار زيد ليسرق دون ويحلف ببراءته.

(١) قوله: يستخفون يستترون لا فرق بين تفسير الإستخفا في الموضوعين لأنه جعل الغاية في الأول الخباً لينبه على أن يستخفون في الأول والثاني كناية عن الخبا فاكتموا في الثاني بذلك إيجاز أو تمكن أن يقال إن الإستخفا من الله محال فجعله مجازاً عن الحياء بخلاف الناس فيجوز أن يحمل على الحقيقة أولاً وعلى الكناية ثانياً ، وتوريك الذنب حملة على الغير.

(١٧٤/٣)

فإن قلت: كيف سمى التدبير قولاً، وإنما هو معنى في النفس؟ قلت لما حدث بذلك نفسه سمي

قولاً على المجاز. ويجوز أن يراد بالقول: الحلف الكاذب الذي حلف به بعد أن بيته، وتوريكه الذنب على اليهودي { ها أنتم هؤلاء } ها للتنبيه في أنتم. وأولاء، وهما مبتدأ وخبر. و { جادلتم } جملة مبنية لوقوع أولاء خبراً، كما تقول لبعضاً لسخياء: أنت حاتم، تجود بمالك، وتؤثر على نفسك. ويجوز أن يكون (أولاء) اسماً موصولاً بمعنى الذين، وجادلتم صلته. والمعنى: هبوا أنكم خاصمتهم عن طعمة وقومه في الدنيا. فمن يخاصم عنهم في الآخرة إذا أخذهم الله بعذابه. وقرأ عبد الله: "عنه"، أي عن طعمة { وكيلاً } حافظاً ومحامياً من بأس الله وانتقامه { ومن يعمل سوءاً؟ } قبيحاً متعدياً يسوء به غيره، كما فعل طعمة بقتادة واليهودي { أو يظلم نفسه } بما يختص به كالحلف الكاذب. وقيل: ومن يعمل سوءاً من ذنب دون الشرك. أو يظلم نفسه بالشرك. وهذا بعث لطمعة على الاستغفار والتوبة لتلزمه الحجة، مع العلم بما يكون منه (١). أو لقومه (٢) لما فرط منهم من نصرته والذنب عنه.

tBur` يكسب إثماً فإنما يكسبه على نفسه وكان الله \$, Jتد=tm VJ\$ط111xm (من

ومن يكسب

خطيئة أو إثماً ثم يرم به \$Z"فحج/t/ فقد احتمل YY\$k÷tو واثما YY\$خ٦-

B اتشب

}

(١) قوله: مع العلم بما سيكون منه أي مع علم الله بما يكون من طعمة من الإرتداد ،
وثقب الحائط إلى آخره أراد أن الله تعالى كان عالما بأنه لا يتوب ولا يغفر له ولا
يرحمه ومع ذلك قال : { ثم يستغفر الله { الآية لئلا يكون لطعمه حجة باذن الله ما
أمرني بالتوبة حتى أتوب.

(٢) قوله: أو لقومه أي بعث لهم على الإستغفار والتوبة لا لإلزام الحجة .
(١٧٥/٣)

فإنما يكسبه على نفسه { أي لا يتعداه ضرره إلى غيره فليبق على نفسه من كسب السوء {
خطيئة { صغيرة { أو إثما { أو كبيرة { ثم يرم به بريئا { (١) كما رمى طعمة زيدا {

فقد احتمل بهتاناً وإثماً { لأنه بكسب الإثم "آثم" (٢) ويرمي البريء "باهت" فهو جامع
بين الأمرين. وقرأ معاذ بن جبل رضي الله عنه: "ومن يكسب"، بكسر الكاف والسين
المشددة وأصله يكتسب.

ولولا فضل الله عليك ورحمته لهمت بـpxxح!© غ منهم أن يضلوك وما يضلون إلا
أنفسهم

وما يـy7tRroظطo" من شيء ur&Rr"tAu الله عليك الكتاب ur s spyJ3#tù:
urym7yJ=t ما لم

تكن تعلم وكان فضل الله عليك عظيما (١١٣)
}

(١) قوله: ثم يرم به قال أبو البقا الضمير للإثم وفي ذلك دليل على أن الخطيئة في
حكم الإثم ، وقيل الضمير للكسب.

(٢) قوله يكسب الأثم اثم يرمي البري باهت إشارة إلى أن في لفظ التنزيل لفا ونشرا من
غير ترتيب ، وقد رتب في التفسير والأسلوب من باب تكرير الشرط والجزاء نحو من أدرك
الصمان فقد أدرك المرعى ، وعلى هذا التكثير في بهتاناً وإثماً للتفخيم والتعظيم وقد
دل ثم على بعد مرتبة البهتان من إرتكاب الإثم نفسه.

(١٧٦/٣)

ولولا فضل الله عليك ورحمته { أي عصمته وألطافه وما أوحى إليك من الاطلاع على سرهم
{ لهمت طائفة منهم { من بني ظفر { أن يضلوك { عن القضاء بالحق وتوخي طريق العدل،

يراد: ومن يأمر بذلك، فعبر عن الأمر بالفعل كما يعبر به عن سائر الأفعال، وقرئ:
"يؤتيه"، بالياء.

(١) قوله: كيف قال إلا من أمر يتخلص (تلخيص) السؤال أن قوله ومن يفعل بديل لقوله {
إلا من أمر بصدقه أو معروف أو إصلاح بين الناس } ، ووجوب مطابقة التذييل للمذيل
يقتضي أن يقال ومن يأمر بذلك ، وخلاصة الجواب أنه لا بد من التأويل إما بجعل
القريبة الأولى كناية عن الفاعل بطريق الأولى أو بجعل الثانية كناية عن الأمر
لشموله وتناوله إياه.
(١٧٨/٣)

tBur` يشاقق الرسول من بعد ما تبين له الهدى ويتبع غير سبيل المؤمنين
ما uqçR!kd&د3/4
تولى د3/4ح&#çRur# جهنم وساءت #||ثجاء115 (tB إن الله لا يغفر أن يشرك به
ويغفر ما
دون sœ"٩dy7 لمن يشاء ومن يشرك بالله فقد ضل ضلالا بعيدا (١١٦) إن يدعون من
دونه
إلا إنا وإنا يدعون إلا شيطانا #Y%ofحج117 (B لعنه الله وقال B٥fbdx} من
عبادك
نصيبا مفروضا (١١٨) ولأضلنهم ولأمنينهم NكRuçمBUyur فليبتكن آذان الأنعام
Nك®XzDuyur cمثةiçتمٹn=sù خلق الله ومن يتخذ الشيطان وليا من دون
الله فقد
uچا،yz \$ZR#u،ن\$YY z خ٦-119 (B يعدهم NخkژدmiYyJfur وما
يعدهم الشيطان إلا غرورا
(١٢٠) أولئك مأواهم جهنم ولا يجدون عنها محيصا (١٢١)
}
(١٧٩/٣)

ويتبع غير سبيل المؤمنين { وهو السبيل الذي هم عليه من الدين الحنيفي القيم، وهو
دليل على أن الإجماع حجة لا تجوز مخالفتها، كما لا تجوز مخالفة الكتاب والسنة، لأن
الله عز وعلا جمع بين اتباع سبيل غير المؤمنين، وبين مشاققة الرسول في الشرط، وجعل

جزاءه الوعيد الشديد، فكان اتباعهم واجبا كموالاة الرسول عليه الصلاة والسلام.
 قوله: { نوله ما تولى } نجعله واليا لما تولى من الضلال، بأن نخذله ونخلي بينه وبين
 ما اختاره { ونصله جهنم } وقرىء: "ونصله"، بفتح النون، من صلاه. وقيل: هي في طعمة
 وارتداده وخروجه إلى مكة { إن الله لا يغفر أن يشرك به } تكرير للتأكيد، وقيل: كرر
 لقصة طعمة، وروي: أنه مات مشركا. وقيل: (٣١٧) جاء شيخ من العرب إلى رسول الله فقال:
 إني شيخ منكم في الذنوب، إلا أنني لم أشرك بالله شيئا منذ عرفته وآمنت به، ولم أتخذ
 من دونه وليا، ولم أوقع المعاصي جرأة على الله ولا مكابرة له، وما توهمت طرفة عين
 أني أعجز الله هربا، وإني لنادم تائب مستغفر، فما ترى حالي عند الله؟ فنزلت. وهذا
 الحديث ينصر قول من فسر { من يشاء } (النساء: ٤٩) بالتائب من ذنبه { إلا إنانا } هي

اللات والعزى ومناة. وعن الحسن لم يكن حي من أحياء العرب إلا ولهم صنم يعبدونه
 يسمونه أنثى بني فلان. وقيل: كانوا يقولون في أصنامهم هن بنات الله. وقيل: المراد
 الملائكة. لقولهم: الملائكة بنات الله. وقرىء "أنثا"، جمع أنيث أو أناث. "ووثنا".
 "وأثنا"، بالتخفيف والتثنية جمع وثن، كقولك أسد وأسد وأسد. وقلب الواو ألفا نحو
 "أجوه" في وجوه. وقرأت عائشة رضي الله عنها: "أوثانا" { وإن يدعون } وإن يعبدون
 بعبادة الأصنام { إلا شيطانا } لأنه هو الذي أغراهم على عبادتها فأطاعوه فجعلت
 طاعتهم له عبادة.

(١٨٠/٣)

و { لعنه الله وقال لأتخذن } صفتان بمعنى شيطانا مريدا جامعاً (١) بين لعنة الله وهذا
 القول الشنيع { نصيبا مفروضا } مقطوعا واجبا فرضته لنفسه من قولهم: فرض له في
 العطاء، وفرض الجند رزقه. قال الحسن: من كل ألف تسعمائة وتسعين إلى النار {
 ولأمنيهم } الأمانى الباطلة من طول الأعمار، وبلوغ الآمال، ورحمة الله للمجرمين
 بغير توبة والخروج من النار بعد دخولها بالشفاعة ونحو ذلك. وتبتيكهم الآذان فعلهم
 بالبحائر، كانوا يشقون أذن الناقة إذا ولدت خمسة أبطن وجاء الخامس ذكرا، وحرموها على
 أنفسهم الانتفاع بها. وتغييرهم خلق الله: فقء عين الحامي (٢) وإعفاؤه عن الركوب.
 وقيل: الخصاء، وهو في قول عامة العلماء مباح في البهائم. وأما في بني آدم فمحظور.
 وعند أبي حنيفة: يكره شراء الخصيان وإمساكهم واستخدامهم، لأن الرغبة فيهم تدعو إلى
 خصائهم. وقيل: فطرة الله التي هي دين الإسلام، وقيل للحسن: إن عكرمة يقول هو
 الخصاء، فقال: كذب عكرمة (٣)،

(١) قوله: جامعا بين لعنة الله وهذا القول الشنيع وذلك لأن الواو لما توسطت بين الصفتين أفادت مجرد الجمعية دون المغايرة ، وقال أبو البقاء : يجوز أن يكون لعنة مستأنفا على الدعاء أي فعل ما استحق به اللعن فعلى هذا وقال لأتخذن جملة مستطردة ولعنه الله معترضه.

)

(٢) قوله: فقو عين الحامي أي فعلها والحامي العجل الذي طال مكثه عنهم فإذا لقح ولد ولده حمى ظهره عندهم فلا يركب ولا يخز وبره ولا يمنع من مرعى واعفاؤه تركه.

(٣) قوله: فقال كذب عكرمة هو دين الله قال الطيبي يعني أن قوله { لأتخذن من عبادك نصيبا مفروضا } يقتضي تفسير تغيير خلق الله بما هو أبلغ من الحصا فإذا المراد بتغييره الخلق ما أشار إليه الحديث ((كل مولود يولد على الفطرة)) إلى آخره.. وأقول: إذا جاز التصريح بتبتيك آذان الأنعام بعد قوله : { لأتخذن من عبادك نصيبا مفروضا } فلم لا يجوز تفسير التغيير بالحصا على أن ذكر التبتيك قرينة دالة على أن المراد بالتغيير الحصا، ثم قال: قول عكرمة أن يقول أن قول الشيطان { لأضلنهم } قد دل على التغيير في الدين ولكنه أطلق ليشمل كلما يصح فيه الإضلال والتمنية . وقوله: { لآمرنهم } إلى آخره دل على التغيير في الخلق الظاهر في الأنعام تارة وفي الإنسان تارة. ، وأقول : فعلى هذا لم خصص التبتيك بالذكر وقدم مع دخوله في تغيير الخلق. والواشرات : اللاتي يحددن أطراف الأسنان والمتمصات اللاتي ينتفن شعور وجوههن ، والموشمات الطالبات للوشم ، وهو غرز الإبرة في الجلد ثم حشو موضع الغرز بالكحل أو النيل

(١٨١/٣)

هو دين الله. وعن ابن مسعود: هو الوشم. وعنه: (٣١٨) لعن الله الواشرات والمتمصات والمستوشمات المغيرات خلق الله. وقيل التخث.

ur#s!©%#idآمنوا وعملوا دTMZyم%gè=1/2zôكO #s\$٩ء¢="=dys"M

جنات "حجBgr من تحتها الأنهار

yz#"#s\$dtûi فيها أبدا وعد الله y)xm\$ ومن أصدق من الله قيلا اتشبت

{ وعد الله حقا { مصدران: الأول مؤكد لنفسه، والثاني مؤكد لغيره { ومن أصدق من الله

قيلا { تأكيد ثالث (١) بليغ. فإن قلت: ما فائدة هذه التوكيدات؟ قلت: معارضة مواعيد الشيطان (٢) الكاذبة وأمانيه الباطلة لقرنائه بوعده الله الصادق لأوليائه، ترغيبا

للعباد في إثثار ما يستحقون به تنجز وعد الله، على ما يتجرعون في عاقبته غصص إخلاف مواعيد الشيطان.

(١) قوله: تأكيد ثالث بليغ وذلك أن الجملة تذييل للكلام السابق والتذييل مؤكد للمذيل وأما المبالغة فمن الإستفهام الوارد لإنكار أن يكون أحد أصدق من الله ، وتقدير أنه أصدق من كل قائل مع ذكر اسم الدأب الجامع وبناء الفعل عليه تمييزا ، وكل ذلك إعلام منه بأن حديثه صدق محض وإنكار لأن يكون قول الصدق يقابل آخر أولى منه. (٢) قوله: معارضة مواعيد الشيطان الكاذبة إشارة إلى بيان النظم وأنه كما وقع قوله { يعدمهم ويمنيهم { الآية تذييلا لقوله { إن يدعون من دونه إلا أنا { الآية أوقع قوله { وعد الله حقا { الآية خاتمة لقوله { والذين آمنوا وعملوا الصالحات { ليوازي بين الوعدين ويقابل بين الترغيبين فيختار المؤمنون الأعمال الصالحة على ما يدعوا إليه الشيطان بأمانيه الباطلة ومواعيده الكاذبة فيتخلصوا من إخلاف مواعيده بما يفوزون به من انجاز وعد الله تعالى ، ثم وازن بين قوله : { وما يعدمهم الشيطان إلا غرورا { وبين قوله { ومن أصدق من الله قيلا { من أجل وضع المظهر موضع المضمهر فيهما ، ومن النفي المستفاد من الإستفهام ، ومن ما إلى غير ذلك لتتحقق المعارضة. (١٨٢/٣)

ليس بأمانيكُم ولا &T\$TBr d'c ا أهل الكتاب من يعمل #نqûk"u TM ٢ن ٢ به ولا يجد له من دون الله وليا ولا # [٢٣١٢] (tR) ومن يعمل من دs"Ms"=ء٩\$# من ذكر أو أنثى وهو مؤمن فأولئك يدخلون الجنة ولا fJn=àتbq # [٢٣١] tR اتشحب (١٨٣/٣)

في { ليس { ضمير وعد الله، أي ليس ينال ما وعد الله من الثواب { بأمانيكُم ولا { ب { أمانى أهل الكتاب { والخطاب للمسلمين لأنه لا يتمنى وعد الله إلا من آمن به،

وكذلك ذكر أهل الكتاب معهم لمشاركتهم لهم في الإيمان بوعده الله. وعن مسروق والسدي: هي في المسلمين. وعن الحسن: ليس الإيمان بالتمني، ولكن ما قر في القلب (١) وصدقه

العمل، إن قوما ألهمهم أمانى المغفرة حتى خرجوا في الدنيا ولا حسنة لهم، وقالوا: نحسن الظن بالله وكذبوا، لو أحسنوا الظن بالله لأحسنوا العمل له. وقيل: إن المسلمين وأهل الكتاب افتخروا، فقال أهل الكتاب: نبينا قبل نبيكم، وكتابتنا قبل كتابكم، وقال المسلمون: نحن أولى منكم، نبينا خاتم النبيين وكتابتنا يقضي على الكتب التي كانت قبله. فنزلت. ويحتمل أن يكون الخطاب للمشركين لقولهم: إن كان الأمر كما يزعم هؤلاء نكونون خيرا منهم وأحسن حالا { لأوتين مالا وولدا } (مريم: ٧٧)، { إن لي عنده للحسنى } (فصلت: ٥٠) وكان أهل الكتاب يقولون: نحن أبناء الله وأحباؤه. لن تمسنا النار إلا أياما معدودة، وبعضه (٢) تقدم ذكر أهل الشرك قبله. وعن مجاهد: إن الخطاب للمشركين.

(١) قوله: ولكن ما قر في القلب ، قيل الوقر الأثر يقال قر في الصخرة إذا أثر فيها وهو كناية عن ثبات الإيمان في القلب وظهور أثره فيه من الخشية والرجاء، وقيل معنى قر في القلب سكن فيه وثبت من الوقار يقال قر يقر وقارا ، والمعنيان متقاربان ، ومعنى يقضي على الكتب يحكم عليها بالنسخ.

(٢) قوله: وبعضه أي ويعضد أن الخطاب للمشركين تقدم ذكر أهل الشرك يعني قوله : { إن يدعون من دونه إلا إنا } وإقسام الشيطان في قوله: { لأضلنهم } الآية.

(١٨٤/٣)

قوله: { من يعمل سو؟ءا يجز به } وقوله: { ومن يعمل من الصالحات } بعد ذكر تمني أهل الكتاب، نحو من قوله: { بلى من كسب سيئة وأحاطت به خطيئته } ، وقوله: { والذين آمنوا وعملوا الصالحات } عقيب قوله: { وقالوا لن تمسنا النار إلا أياما معدودة } وإذا أبطل الله الأمانى وأثبت أن الأمر كله معقود بالعمل، وأن من أصلح عمله فهو الفائز. ومن أساء عمله فهو الهالك: تبين الأمر ووضح، ووجب قطع الأمانى وحسم المطامع، والإقبال على العمل الصالح. ولكنه نصح لا تعيه الآذان ولا تلقى إليه

الأذهان. فإن قلت: ما الفرق بين (من) الأولى والثانية؟ قلت: الأولى للتبعض، أراد ومن يعمل بعض الصالحات؛ لأن كلا لا يتمكن من عمل كل الصالحات لاختلاف الأحوال، وإنما يعمل منها ما هو تكليفه وفي وسعه. وكم من مكلف لا حج عليه ولا جهاد ولا زكاة،

وتسقط عنه الصلاة في بعض الأحوال. والثانية لتبيين الإبهام (١) في { من يعمل } فإن قلت: كيف خص الصالحون بأنهم لا يظلمون وغيرهم مثلهم في ذلك؟ قلت: فيه وجهان (٢)، أحدهما: أن يكون الراجع في (ولا يظلمون) لعمال السوء وعمال الصالحات جميعا.

(١) قوله: والثانية لتبيين الإبهام في من يعمل قال أبو البقا من ذكر أو أنثى في موضوع الحال من المستكن في يعمل ومن للبيان أو حال من الصالحات ، ومن للإبتداء أي كائنة من ذكر أو أنثى ومن الأولى زائدة عند الأخفش وصفة عند سيويه.

(٢) قوله: قلت: فيه وجهان حاصل الوجه الأول أن الضمير للفريقين وحاصل الثاني أنه لأحدهما فقط ولكن ذكره عند أحدهما دليل على ذكره عند الآخر أي على تقديره فاستغنى عن ذكره عند الآخر وقوله ولأن ظلم المسيء إلى آخره دليل آخر على عدم التخصيص معطوف

على قوله لأن كلا الفريقين مجربون.

(١٨٥/٣)

والثاني أن يكون ذكره عند أحد الفريقين دالا على ذكره عند الآخر، لأن كلا الفريقين مجزيون بأعمالهم لا تفاوت بينهم، ولأن ظلم المسيء أن يزداد في عقابه، وأرحم الراحمين معلوم أنه لا يزيد في عقاب المجرم، فكان ذكره مستغنى عنه وأما المحسن فله ثواب (١) وتوابع للثواب من فضل الله هي في حكم الثواب، فجاز أن ينقص من الفضل لأنه ليس بواجب. فكان نفي الظلم دلالة على أنه لا يقع نقصان في الفضل.

ومن أحسن ديننا ممن أسلم وجهه لله وهو محسن واتبع ملة d'uٲzO (ج/خ)

ZxmdZ\$ واتخذ

الله d'uٲzO (ج/خ) Wxٲd=yz اتتخب

}

(١) قوله: وأما المحسن فله الثواب(.....) من فضل الله هي في حكم الثواب فجاز أن ينقص من الفضل لأنه ليس بواجب فكأن نفي الظلم دلالة على أنه لا نقصان في الفضل الذي ليس بواجب ، وقال صاحب التقريب في قوله : وأما المحسن فجاز أن ينقص من ثوابه فلذلك خصه نظر أراد بالنظر أن الثواب و(٣) على الله عند المصنف وإذا كان واجبا لم يجز النقص منه ، وأنا أقول: إن هذا النظر إنما يرد على صاحب التقريب لأنه مسح عبارة

الكشاف وغيرها وذلك أن صاحب الكشاف لم يجوز النقصان من الثواب الواجب بل من تابعة الذي هو تفضل ليس بواجب ، وإنما جعل النقصان من التفضل ظلما وإن لم يكن واجبا على سبيل المبالغة في نفي الظلم عن ذاته لأنه إذا لم ينقص من التفضل الذي سبق وعده به مع عدم وجوبه فبالأولى ألا ينقص من الثواب الذي هو واجب .
(١٨٦/٣)

أسلم وجهه لله { أخلص نفسه لله وجعلها سالمة له لا تعرف لها ربا ولا معبودا سواه } وهو محسن { وهو عامل للحسنات تارك للسيئات } حنيفا { حال من المتبع ، أو من إبراهيم كقوله: { بل ملة إبراهيم حنيفا وما كان من المشركين } وهو الذي تحنف أي مال عن الأديان كلها إلى دين الإسلام } واتخذ الله إبراهيم خليلا { مجاز عن اصطفاؤه واختصاصه بكرامة تشبه كرامة الخليل (١) عند خليله . والخليل: المخال، وهو الذي يخالك أي يوافقك في خلالك (٢) ، أو يسايرك في طريقك، من الخل: وهو الطريق في الرمل، أو يسد خللك كما تسد خلله، أو يداخلك خلال منازلك وحجبك . فإن قلت: ما موقع هذه الجملة؟ قلت: هي جملة اعتراضية لا محل لها من الإعراب، كنحو ما يجيء في الشعر من قولهم:
والحوادث جملة (٣)

(١) قوله: نسبة كرامة الجليل بعد قوله : مجاز عن إطفائة إيذان بأن المجاز من باب الإستعارة التمثيلية.

(٢) قوله: في خلالك أي خصالك.

(٣) قوله: والحوادث جملة. من بيت لامرء القيس وهو:

ألا هل أتاها والحوادث جملة ... بأن أمرء القيس بن تملك ينفرا

تملك اسم أمه وينفر بمعنى مات أو انتقل من بلد إلى بلد والباء في بأن مزيدة في

الفاعل أي هل أتاها

(١٨٧/٣)

فائدتها تأكيد وجوب اتباع ملته، لأن من بلغ من الزلفى عند الله أن اتخذه خليلا، كان جديرا بأن تتبع ملته وطريقته. ولو جعلتها معطوفة على الجملة قبلها لم يكن لها معنى (١). وقيل: إن إبراهيم عليه السلام بعث إلى خليل له بمصر في أزمة أصابت الناس يمتار منه. فقال خليله: لو كان إبراهيم يطلب الميرة لنفسه لفعلت، ولكنه يريد بها

للأضياف، فاجتاز غلمانهم ببطحاء لينة فملؤا منها الغرائر حياء من الناس.

(١) قوله: لم يكن لها معنى ، قال الطيبي لأنه لا يخلوا من أن يعطف على قوله { ومن أحسن دينا { أو على صلة من أو على خبر الجملة الحالية وهو محسن لا يجوز الأول لأن قوله : { ومن أحسن دينا { اعتراض وتوكيد لمعنى قوله : { ومن يعمل من الصالحات من ذكر أو أنثى وهو مؤمن { وبيان أن الصالحات ما هي وإن المؤمن من هو وليس في : { واتخذ الله إبراهيم خليلا { ذلك (دليل) على أن عطف الاخبارية على الإنشائية من غير جامع قوي يدعوا إليه ممتنع ، ولا يجوز الثاني والثالث من له أدنى مسكة ، وأقول: إن مراده أنها ليست بمعطوفة على الجملة قبلها التي هي قوله { واتبع ملة إبراهيم حنيفا { لأنها جملة معطوفة على { أسلم وجهه { الذي هو صلة من عطف هذه الجملة التي هي { واتخذ الله إبراهيم خليلا { على جملة قوله { واتبع ملة إبراهيم { كانت معطوفة علا { أسلم وجهه { ولا يصح عطفها عليها إذ لا معنى لقولك ومن أحسن دينا ممن { أسلم وجهه { } واتخذ الله إبراهيم خليلا { ولم يجعل حالا لئلا يفوت الفائدة التي ذكرها المصنف على تقدير كونها معترضة والسنة اللازمة القليلة المطر، ومعنى فحملته عيناه فعليه اليوم ، وجواري بضم الحاء ووتشديد الواو وفتح الراء ما حور أي أبيض.

(١٨٨/٣)

فلما أخبروا إبراهيم عليه السلام ساءه الخبر، فحملته عيناه وعمدت امرأته إلى غرارة منها فأخرجت أحسن حوارى، واختبرت واستنبت إبراهيم عليه السلام فاشتتم رائحة الخبز، فقال: من أين لكم؟ فقالت امرأته: من خليلك المصري. فقال: بل من عند خليلي الله عز وجل، فسماه الله خليلا.

ولله ما في 9\$#،،yJ"N`uq وما في الأرض وكان الله بكل شيء محيطا (١٢٦) { ولله ما في السماوات وما في الأرض { متصل بذكر العمال الصالحين (١) والطالحين. معناه: أن له ملك أهل السماوات والأرض، فطاعته واجبة عليهم { وكان الله بكل شيء محيطا { فكان عالما بأعمالهم فمجازيهم على خيرها وشرها. فعليهم أن يختاروا لأنفسهم ما هو أصلح لها.

ur"o,tG_y7tRqçG في النساء قل الله يفتيكم فيهن وما يتلى عليكم في الكتاب في

يتامى

النساء اللاتي لا تؤتونهن ما كتب لهن وترغبون أن تنكوهن والمستضعفين من

بب#q9\$!bٲt وأن تقوموا لليتامى بالقسط وما تفعلوا من خير فإن الله كان به

٧J\$ط=تm

اتنذب

}

(١) قوله: متصل بذكر العمال الصالحين والطالحين أراد أنه كالتعليل لوجوب العمل ولهذا جاء بأن في قوله إن له ملك السموات والأرض فطاعته واجبة عليهم ويكون { ومن أحسن ديناً { اعتراضاً بين العلة والمعلول حثاً على الترغيب في العمل الصالح وردعاً عن المعاصي على أبلغ وجه.
(١٨٩/٣)

ما يتلى { في محل الرفع(١). أي الله يفتيكم والمتلو { في الكتاب { في معنى اليتامى، يعني قوله: { وإن خفتهم أن لا تقسطوا في اليتامى { وهو من قولك: أعجيني زيد وكرمة. ويجوز أن يكون. { ما يتلى عليكم { مبتدأ و { في الكتاب { خبره على أنها جملة معترضة، والمراد بالكتاب اللوح المحفوظ تعظيماً للمتلو عليهم(٢)، وأن العدل والنصفة في حقوق اليتامى من عظام الأمور المرفوعة الدرجات عند الله التي تجب مراعاتها والمحافظة عليها، والمخل بها ظالم متهاون بما عظمه الله. ونحوه في تعظيم القرآن: { وإنه في أم الكتاب لدينا لعلي حكيم { ويجوز أن يكون مجروراً على القسم، كأنه قيل: قل

الله يفتيكم فيهن، وأقسم بما يتلى عليكم في الكتاب. والقسم أيضاً لمعنى التعظيم، وليس بسديد أن يعطف على المجرور في (فيهن)، لاختلاله من حيث اللفظ (٣) والمعنى، فإن قلت بم تعلق قوله: { في يتامى النساء { ؟ قلت: في الوجه الأول هو صلة (يتلى) أي يتلى عليكم في معنهن.

(١) قوله: ما يتلى في محل الرفع ، قال أبو البقاء هو معطوف على اسم الله أو على ضمير الفاعل في بقيتكم وجرى ذكر الجار والمجرور مجرى التوكيد أراد أبو البقاء أنه إنما جاز العطف على الضمير المتصل من غير تأكيده للفصل.

(٢) قوله: تعظيماً للمتلو عليهم مفعول لقوله المراد بالكتاب اللوح المحفوظ ، وإنما فسره على هذا الوجه باللوح المحفوظ لأنه لا معنى لآخبارهم بأن الذي يتلى عليهم في القرآن فيه إذ لا فائدة في ذلك بخلاف ما إذا أخبر بأنه في اللوح المحفوظ فإن

الفائدة في ذلك حاصلة مع قصد التعظيم.

(٣) قوله: من حيث اللفظ والمعنى أما من حيث اللفظ فلعدم جواز العطف على الضمير المجرور بدون إعادة الجار ، وأما من حيث المعنى فلأنه لا يصح أن يقال الله يفتيكم في حق ما يتلى عليكم.
(١٩٠/٣)

ويجوز أن يكون (في يتامى النساء) بدلا من (فيهن) وأما في الوجهين الآخرين فبدل لا غير (١). فإن قلت: الإضافة في (يتامى النساء) ما هي؟ قلت: إضافة بمعنى (من) كقولك: عندي سحق عمامة. وقرئ: "في يتامى النساء" بياءين على قلب همزة أيامى ياء { لا تؤتونهن ما كتب لهن } وقرئ: "ما كتب الله لهن". أي ما فرض لهن من الميراث. وكان الرجل منهم يضم اليتيمة إلى نفسه وما لها. فإن كانت جميلة تزوجها وأكل المال، وإن كانت دميمة عضلها عن الزوج حتى تموت فيرثها { وترغبون أن تنكحوهن } يحتمل في أن تنكحوهن لجمالهن، وعن أن تنكحوهن لدمامتهن. وروى أن عمر بن الخطاب رضي الله عنه كان

إذا جاءه ولي اليتيمة نظر، فإن كانت جميلة غنية قال: زوجها غيرك والتمس لها من هو

خير منك، وإن كانت دميمة ولا مال لها قال: تزوجها فأنت أحق بها { والمستضعفين } مجرور معطوف على يتامى النساء، وكانوا في الجاهلية إنما يورثون الرجال القوام بالأموال دون الأطفال والنساء.

(١) قوله: وأما في الوجهين فبدل لا غير وذلك لامتناع كونه صلة ليتلى إذ لا معنى لقولك والتملو في اللوح فيهن ولا لقولك أقسم بما يتلى عليكم في الكتاب فيهن لأن الإقسام ليس هو بالتملو فيهن فقط بل بجميع المتلو في القرآن.
(١٩١/٣)

ويجوز أن يكون خطابا للأوصياء (١) كقوله: { ولا تبدلوا الخبيث بالطيب } { وأن تقوموا } مجرور كالمستضعفين بمعنى: يفتيكم في يتامى النساء، وفي المستضعفين. وفي أن تقوموا. ويجوز أن يكون منصوبا بمعنى: ويأمركم (٢) أن تقوموا، وهو خطاب للأئمة في أن ينظروا لهم ويستوفوا لهم حقوقهم، ولا يخلوا أحدا يهتضمهم.
وإن امرأة خافت من $\text{\textit{et}}=\text{\textit{dyg}}$ /نشوزا أو إعراضا فلا $\text{\textit{yy}}\text{\textit{s}}\text{\textit{Y}}$ _ $\text{\textit{J}}\text{\textit{S}}\text{\textit{!}}$ $\text{\textit{K}}\text{\textit{Z}}\text{\textit{n}}$ و أن

\$ys=مف

بينهما صلحا والصلح ضئح yz وأحضرت الأنفس الشح وإن تحسنوا وتتنقوا فإن الله كان بما تعملون # [ئجخ 128٦ yz]

(١) قوله: ويجوز أن يكون خطابا للأوصيا عطف على قوله أي الله يفتيكم والمتملو في الكتاب في معنى اليتامى وقوله وكان الرجل منهم يضم اليتيمة إلى آخره متفرع على ذلك التقدير فعلم منه أن الخطاب كان للأولياء أو لاستفتاء في بيان الأزواج اليتامى وتوريثهن وعلى هذا الوجه الكلام في شأن أموالهن لأن الأوصيا لا تصرف لهم في الأموال فالحاصل أن الخطاب إن كان للأولياء كان المستفتى فيه حكم الزواج والتوريث والمراد بالتملو قوله : { وإن خفتم ألا تقسطوا } الآية ، وإن كان للأوصياء كان المستفتى فيه الأموال والمراد بالتملو قوله { ولا تبدلوا } الآية رعاية للمناسبة في جميع ذلك.

(٢) قوله: ويجوز أن يكون منصوبا بمعنى ويأمركم أن تقوموا وهو خطاب للأئمة فيكون عطفا على قوله يفتيكم ، وإراد بكونه منتصبا أنه نصب باتصال الفعل ونزع الخافض. (١٩٢/٣)

خافت من بعلمها { توقعت منه ذلك لما لاح لها مخايله وأماراته. والنشوز: أن يتجافى عنها بأن يمنعها نفسه ونفقته والمودة والرحمة التي بين الرجل والمرأة، وأن يؤذيها بسبب أو ضرب والإعراض: ؤن يعرض عنها بأن يقل محادثتها ومؤانستها، وذلك لبعض الأسباب

من طعن في سن، أو دمامة، أو شيء في خلق أو خلق، أو ملال، أو طموح عين إلى أخرى، أو غير ذلك فلا بأس بهما في أن يصلحا بينهما. وقرىء: يصلحا. ويصالحا، بمعنى: يتصالحا، ويصطلحا. ونحو أصلح: أصبر في اصطبر { صلحا } في معنى مصدر كل واحد من الأفعال الثلاثة. ومعنى الصلح: أن يتصالحا على أن تطيب له نفسا عن القسمة أو عن بعضها، كما فعلت سودة بنت زمعة حين كرهت أن يفارقها رسول وعرفت مكان عائشة من قلبه، فوهبت لها يومها. وكما روى أن امرأة أراد زوجها أن يطلقها لرغبته عنها وكان لها منه ولد فقالت: لا تطلقني ودعني أقوم (١) على ولدي وتقسم لي في كل شهرين فقال: إن في هذا يصلح فهو أحب إلي، فأقرها. أو تهب له بعض المهر، أو كله، أو النفقة؛ فإن لم تفعل

فليس له إلا أن يمسكها بإحسان أو يسرحها { والصلح خير } من الفرقة أو من النشوز والإعراض وسوء العشر. أو هو خير من الخصومة في كل شيء. أو الصلح خير من الخيور (٢)،

-
- (١) قوله: ودعني أقوم رفع أقوم على الاستئناف أي أنا أقوم.
(٢) قوله: خير من الخيور قال المصنف الخيور ورد في كلام فصيح فاقتديت به وهو قياس والمراد بالخيور الخيرات..
(١٩٣/٣)

كما أن الخصومة شر من الشرور وهذه الجملة اعتراض، وكذلك قوله { وأحضرت الأنفس الشح

{ ومعنى إحضار الأنفس الشح أن الشح جعل حاضر لها لا يغيب عنها أبدا ولا تنفك عنه، يعني أنها مطبوعة عليه والغرض أن المرأة لا تكاد تسمح بقسمتها وبغير قسمتها (١)،

والرجل لا تكاد نفسه تسمح بأن يقسم لها وأن يمسكها إذا رغب عنها وأحب غيرها { وإن تحسنوا { بالإقامة على نسائكم وإن كرهتموهن وأحببتم غيرهن، وتصبروا على ذلك مراعاة لحق الصحبة { وتتقوا { النشوز والإعراض وما يؤدي إلى الأذى والخصومة { فإن الله كان بما تعملون { من الإحسان والتقوى { خيرا { وهو يشيكم عليه. وكان عمران بن حطان الخارجي من آدم بني آدم، وامراته من أجملهم، فأجالت في وجهه نظرها يوما ثم تابعت الحمد لله، فقال: مالك؟ قالت: حمدت الله على أني وإياك من أهل الجنة. قال: كيف؟ قالت: لأنك رزقت مثلي فشكرت، ورزقت مثلك فصبرت، وقد وعد الله الجنة عباده الشاكرين والصابرين.

الميل

فندروها كالمعلقة وإن (كq#è=د؟ وتتقوا فإن الله كان عفورا رحيمًا (١٢٩) }

-
- (١) قوله: وبغير قسمتها قيل المراد أن تهب له بعض المهر أو كله أو النفقة وهو رد في أول الكلام وهو قوله أن تطيب نفسا عن القسمة أو تهب له بعض المهر أو كله ، وأقول يحتمل أن يريد بغير قسمتها قسمة غيرها من الأزواج في لا يطيب بقسمة غيرها وإن لم

يكن لها فكيف بقسمتها ، وهذا مبالغة في وصفها بالشح.

(١٩٤/٣)

ولن تستطيعوا { ومحال أن تستطيعوا العدل { بين النساء { والتسوية حتى لا يقع ميل البتة ولا زيادة ولا نقصان فيما يجب لهن، فرفع لذلك عنكم تمام العدل وغايته، وما كلفتكم منه إلا ما تستطيعون بشرط أن تبدلوا فيه وسعكم وطاقتكم: لأن تكليف ما لا يستطاع داخل في حد الظلم { وما ربك بظلام للعبيد { وقيل: معناه أن تعدلوا في المحبة. وعن النبي : (٣٢٠) أنه كان يقسم بين نسائه فيعدل ويقول "هذه قسمتي فيما أملك فلا تؤاخذهني فيما تملك ولا أملك" يعني المحبة؛ لأن عائشة رضي الله عنها كانت أحب إليه. وقيل: إن العدل بينهن أمر صعب (١) بالغ من الصعوبة حدا يوهم أنه غير

مستطاع، لأنه يجب أن سوى بينهن في القسمة والنفقة والتعهد والنظر والإقبال والممالحة والمفاكهة والمؤانسة وغيرها مما لا يكاد الحصر (٢) يأتي من ورائه، فهو كالخارج من حد الاستطاعة. هذا إذا كن محبوبات كلهن؛ فكيف إذا مال القلب مع بعضهن { فلا تميلوا كل الميل { فلا تجوروا على المرغوب عنها كل الجور فتمنعوها قسمتها من غير رضی منها، يعني: أن اجتناب كل الميل مما هو في حد اليسر والسعة؛ فلا تفرطوا فيه إن وقع منكم التفريط في العدل كله. وفيه ضرب من التوبيخ { فتدروها كالمعلقة { وهي التي ليست بذات بعل ولا مطلقة قال:

هل هي إلا حظة (٣)

(١) قوله: وقيل إن العدل بينهن عطف على قوله ومحال أن يستطيعوا والحاصل أن المراد بعدم الإستطاعة إما الإستحالة أو الصعوبة ، والممالحة قيل هي باللسان فقط والمفاكهة به وبغيره.

(٢) قوله: مما لا يكاد الحصر يأتي من ورائه بمثل أي يحيط به إحاطة تامة كما يحيط العدو .

(٣) قوله: هل هي إلا حظة أو تطليق ... أو صلف أو بين ذلك تعليق ... أو صلف أو بين ذلك تعليق

الحظة والحظوة أن يحظو المرأة عند زوجها أي تكون محبوبة عنده ذات حظ ، والصلف ضد

ذلك وهو أن يرضيها بلسانة فقط والتعليق تركها غير ذات بعل ولا مطلقة أي لا تكون قصة هذه المرأة إلا هذه الأمور المذكورة ، والشعر لأبيّة الحمارس أنشده ابن السكيت وبعده:

قد وجب المهر إذا غاب الحوق
هو ما أحاط بالكمرة من حروفها.
(١٩٥/٣)

أو تطليق

وفي قراءة أبي: فتذروها كالمسجونة. وفي الحديث:
(٣٢١) "من كانت له امرأتان يميل مع إحداهما جاء يوم القيامة وأحد شقيه مائل.
وروى أن عمر بن الخطاب رضي الله عنه بعث إلى أزواج رسول الله بمال، فقالت عائشة رضي
الله عنها: أألى كل أزواج رسول الله بعث عمر مثل هذا؟ قالوا: لا، بعث إلى القرشيات
بمثل هذا وإلى غيرهن بغيره، فقالت: ارفع رأسك(١) فإن رسول الله كان يعدل بيننا في

القسمة بماله ونفسه. فرجع الرسول فأخبره، فأتم لهن جميعا وكان لمعاذ امرأتان، فإذا
كان عند إحداهما ولم يتوضأ في بيت الأخرى، فماتتا في الطاعون فدفنهما في قبر واحد {
وإن تصلحوا} ما مضى من ميلكم وتتداركوه بالتوبة {وتتقوا} فيما يستقبل، غفر الله
لكم.

ur(خb يتفرقا يغن الله كلا من سعته وكان الله ur \$VJ™è•\$ ثإxm اتجبةب
وقرىء: وإن يتفارقا، بمعنى وإن يفارق كل واحد منهما صاحبه { يغن الله كلا } يرزقه
زوجا خيرا من زوجه وعيشا أنها من عيشه. والسعة الغني. والمقدرة: والواسع: الغني
المقتدر.

ولله ما في دق#yJ"N"uq،9\$# وما في الأرض ولقد وصينا الذين أوتوا الكتاب من
%s٦=دNà6

ur(خf\$.ن أن ur(خ#(qà#)\$؟" الله وإن تكفروا فإن لله ما في دق#yJ"N"uq،9\$# وما
في الأرض

وكان الله غنيا حميدا (١٣١) ولله ما في دق#yJ"N"uq،9\$# وما في الأرض وكفى بالله
وكيلا (١٣٢) إن يشأ يذهبكم أيها الناس ويأت بآخرين وكان الله على sCE ``٩dy7
%s%٥٥dfج#X

اتججب

}

(١) قوله: أرفع رأسك كناية عن التنبيه والإيقاظ أي أفطن لأمرك فإنك غافل بمنزلة
النائم والنائم يتنبه برفع رأسه.
(١٩٦/٣)

من قبلكم { متعلق بوصينا، أو بأوتوا { وإياكم { عطف على الذين أوتوا { الكتاب { اسم
للجنس يتناول الكتب السماوية { أن اتقوا { بأن اتقوا. وتكون أن المفسرة، لأن
التوصية في معنى القول: وقوله: { وإن تكفروا فإن الله { عطف على اتقوا: لأن المعنى:
أمرناهم وأمرناكم بالتقوى(١)،

(١) قوله: أمرناهم وأمرناكم بالتقوى وقلنا لهم ولكم إن تكفروا. قال الطيبي: هذا
يؤذن أن قوله وإن تكفروا مقول للقول المحذوف والجملة معطوفة على جملة وصينا مع
معموله ثم قوله وإن تكفروا عطف على اتقوا مخالف لذلك ، وأنا أقول: إن اتقوا مفسر
لوصينا فالعطف عليه وعلى وصينا واحد فلا مخالفة ، ثم قال ويمكن أن يقال أنه من باب
قوله :

علقتها تبنا وماء باردا

إذ لا يجوز أن يقال أمرناكم أن تكفروا فإن الله وإنما كرر أمرنا وقد قال وإياكم قيل
للتنبيه على أن العطف من باب التقدير لا إيدانا بتكرير التوصية وأنها توصية
عقب توصية ، وقوله : أمرناهم بالتقوى يؤذن بأن أن مصدرية وقد دخلت على الأمر وقد
سوغه سيويه.

(١٩٧/٣)

وقلنا لهم ولكم: إن تكفروا فإن الله. والمعنى: إن الله الخلق كله وهو خالقهم ومالكهم
والمنعم عليهم أصناف النعم كلها، فحقه أن يكون مطاعا في خلقه غير معصي. يتقون عقابه
ويرجون ثوابه. ولقد وصينا الذين أوتوا الكتاب من الأمم السالفة ووصيناكم أن اتقوا
الله، يعني أنها وصية قديمة ما زال يوصي الله بها عباده، لستم بها مخلصين، لأنهم
بالتقوى يسعدون عنده، وبها ينالون النجاة في العاقبة، وقلنا لهم ولكم: وإن تكفروا

فإن لله في سمواته وأرضه من الملائكة والثقلين من يوحدده ويعبدده ويتقيه { وكان الله
 { مع ذلك { غنيا { عن خلقه وعن عبادتهم جميعا، مستحقا لأن يحمد لكثرة نعمه وإن لم
 يحمده أحد منهم وتكرير قوله: { لله ما في السماوات وما في الأرض { تقرير لما هو
 موجب تقواه ليتقوه فيطيعوه ولا يعصوه، لأن الخشية والتقوى أصل الخير كله { إن يشأ
 يذهبكم { يفتنكم ويعممكم كما أوجدكم وأنشأكم { ويأتي بآخرين { ويوجد إنسا آخرين
 مكانكم أو خلقا آخرين غير الإنس { وكان الله على ذلك { من الإعدام والإيجاد { قديرا
 { بليغ القدرة لا يمتنع عليه شيء أرادته، وهذا غضب عليهم وتخويف وبيان لاقتداره.
 وقيل: هو خطاب (١) لمن كان يعادي رسول الله من العرب. أي: إن يشأ يمتكم ويأت بأناس
 آخرين يوالونه.

ويروى: (٣٢٢) أنها لما نزلت ضرب رسول الله بيده على ظهر سلمان وقال: "إنهم قوم هذا"
 يريد أبناء فارس.

من كان كـ %f حجم f ثواب الدنيا فعند الله ثواب الدنيا جـ 1/2 ur\$# فy z وكان الله
 سميعا

[رُجَاء 134] (t/ *

}

(١) قوله: وقيل هو خطاب لمن كان يعادي رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وعلى

الأول كان خطابا عاما تابعا للكلام السابق وتقرير المعنى التهديد والوعيد ، وإنما
 قال بليغ القدرة لمجئى قدير لا قادر ولتخصيص الاسم الجامع بالذكر والإشارة بذلك إلى
 القريب والجملة بدليل.
 (١٩٨/٣)

من كان يريد ثواب الدنيا { كالمجاهد يريد بجهاده الغنيمة { فعند الله ثواب الدنيا
 والآخرة { فماله يطلب أحدهما دون الآخر والذي يطلبه أحسهما، لأن من جاهد لله خالصا
 لم تخطئه الغنيمة، وله من ثواب الآخرة ما الغنيمة إلى جنبه كلا شيء. والمعنى: فعند
 الله ثواب الدنيا والآخرة له إن أرادته (١) حتى يتعلق الجزاء بالشرط.

يا أيها الذين آمنوا كونوا %B`qsdtûü بالقسط شهداء لله ولو على أنفسكم أو
 بـ %tûü`٩d %tûü`٩d # \$ur% ف { إن يكن غنيا أو # [رُجَاء] sù فالله
 أولى yJ\$ كحـ فلا

تتبعوا الهوى أن تعدلوا وإن تلووا أو (#qàتحج÷èè؟ فإن الله كان بما تعملون #زجخyz
اتجخب
}

(١) قوله: إن اراده حتى يتعلق الجزاء بالشرط يعني لا بد من تقدير هذا لبيان الربط
لأنه لا بد من ضمير يعود من الجزاء إلى الشرط وقوله تعالى : { وكان الله سميعا بصيرا
{ بديل لمعنى التوبيخ والوعيد.
(١٩٩/٣)

قوامين بالقسط { مجتهدين في إقامة العدل حتى لا تجوروا { شهداء لله { تقيمون
شهادتكم لوجه الله كما أمرتم بإقامتها { ولو على أنفسكم { ولو كانت الشهادة على
أنفسكم أو آبائكم أو أقاربكم. فإن قلت: الشهادة على الوالدين والأقربين أن تقول:
أشهد أن فلان على والدي كذا، أو على أقاربي. فما معنى الشهادة على نفسه؟ قلت: هي
الإقرار على نفسه، لأنه في معنى الشهادة عليها بإلزام الحق لها. ويجوز أن يكون
المعنى: وإن كانت الشهادة وبالا على أنفسكم، أو على آبائكم وأقاربكم، وذلك أن يشهد
على من يتوقع ضرره من سلطان ظالم أو غيره { إن يكن { إن يكن المشهود عليه { غنيا {
فلا تمنع الشهادة عليه لغناه طلبا لرضاه { أو فقيرا { فلا تمنعها ترحما عليه {

فالله أولى بهما { بالغني والفقير أي بالنظر لهما وإرادة مصلحتهما، ولولا أن
الشهادة عليهما مصلحة لهما لما شرعها، لأنه أنظر لعباده من كل ناظر.
(٢٠٠/٣)

فإن قلت: لم ثنى الضمير في (أولى بهما) وكان حقه أن يوحد، لأن قوله: { إن يكن غنيا
أو فقيرا { في معنى إن يكن أحد هذين؟ قلت: قد رجع الضمير إلى ما دل (١)

(١) قوله: إلى ما دل عليه قوله { إن يكن غنيا أو فقيرا { لا إلى المذكور قال أبو
البقاء: اسم كان مضمرا فيها دل عليه تقدم ذكر الشهادة أي إن كان الخصم أو كل واحد من
المشهود عليه والمشهود له وذلك أن كل واحد منهما يجوز أن يكون غنيا وأن يكون فقيرا
وقد يكونا غنيين وقد يكونان فقيرين فلما كانت الأقسام عند التفصيل على ذلك ولم تذكر
أتى بأو لتشمل هذا التفصيل فعلى هذا الضمير في بهما عائد إلى المشهود له والمشهود

عليه على أي وصف كانا عليه لا على المذكور ، وقيل الضمير عائد إلى ما دل عليه الكلام والتقدير فالله أولى بالغني والفقير ، وخلاصة مراد المصنف الذهاب إلى التعميم في الجنس ليدخل في العموم المراد دخولا أوليا ، وقال صاحب التقريب فيما ذكره المصنف نظر لأن سؤال التثنية لأن التقدير حنيئذ أن يكن أحد هذين الجنسين بل الجواب أن أو للتنويع فلا يمتنع الجمع بينهما أي إن يكن غنيا وفقيرا ، نحو جالس الحسن أو ابن سيرين، وأقول : مراد جار الله من السؤال أنه كان ينبغي أن يقول فالله أولى بهما (به) حتى يرجع الضمير إلى ما رجع إليه في يكن ليتلائم ويأخذ بعضه بحجزة بعض ومراده من الجواب أنه لا يرجع الضمير إلى ما رجع إليه في يكن بل يرجع إلى جنسي الغني والفقير والغرض من ذلك المبالغة في المعنى المقصود ، وذلك لأنه إذا كان أولى بجنبي الغني والفقير والمشهود عليه داخل في أحد الجنسين البتة كان أولى به أيضا فقد تناوله الكلام تناولا أوليا فهو بمنزلة ذكر الشيء مع دليل يدل عليه ولو قال أولى به

لم يكن كذلك ، وقول صاحب التقريب أن أو للتنويع فلا يمتنع الجمع بينهما أي إن يكن غنيا وفقيرا إن أراد به لا يمتنع الجمع بينهما في الخارج في واحد فذلك ممنوع وإن أراد أنه لا يمتنع الجمع بين ضميرهما مسلم ولكن ليس جواز الجمع بين ضميرهما من حيث أن أو للتنويع بل من حيث سبق ذكر ما يدل عليهما ألا ترى أنه يجوز أن يقول الجسم إما أسود أو أبيض والله خالقهما فبان أن النظر ليس بوارد والله أعلم.
(٢٠١/٣)

عليه قوله: { إن يكن غنيا أو فقيرا } لا إلى المذكور، فلذلك ثنى ولم يفرد، وهو جنس الغني وجنس الفقير، كأنه قيل: فالله أولى بجنسي الغني والفقير، أي بالأغنياء والفقراء، وفي قراءة أبي: فالله أولى بهم وهي شاهدة (١) على ذلك. وقرأ عبد الله: "إن يكن غني أو فقير"، على (كان) التامة { أن تعدلوا } يحتمل العدل والعدل، كأنه قيل: فلا تتبعوا الهوى، كراهة أن تعدلوا بين الناس، أو إرادة أن تعدلوا عن الحق { وإن تلوا أو تعرضوا } وإن تلوا ألسنتكم عن شهادة الحق أو حكومة العدل، أو تعرضوا عن الشهادة بما عندكم وتمنعوها. وقرأ: "وإن تلوا، أو تعرضوا"، بمعنى: وإن وليتم إقامة الشهادة أو أعرضتم عن إقامتها { فإن الله كان بما تعملون خبيرا } وبمجازاتهم عليه. يا أيها الذين (YtB#uûq#ن آمنوا بالله ¾&د!qكurTM والكاتب الذي نزل على

¾&د!qكurTM والكاتب الذي &Rr"tAu من قبل ومن يكفر بالله وملائكته وكتبه

(١) قوله: وهي شاهدة على ذلك أي على أن المراد الجنس إذ لو لم يرد الجنس لما جاز الجمع ، والتحقيق أن الجمع والجنس المطلق يلتقيان في العموم ولهذا فسر جنسي الغني والفقير بالأغنيا والفقرا .

(٢٠٢/٣)

يا أيها الذين آمنوا { خطاب للمسلمين. ومعنى { آمنوا } اثبتوا على الإيمان وداوموا عليه وازدادوه { والكتاب الذي أنزل من قبل { المراد به جنس ما أنزل على الأنبياء

قبله من الكتب، والدليل عليه قوله: { وكتبه { قرىء: "وكتابه" على إرادة الجنس. وقرىء: "نزل". "وأنزل"، على البناء للفاعل. وقيل: الخطاب لأهل الكتاب، لأنهم آمنوا ببعض الكتب والرسل وكفروا ببعض. وروي: (٣٢٣) أنه لعبد الله بن سلام، وأسد وأسيد ابني كعب، وثعلبة بن قيس، وسلام بن أخت عبد الله بن سلام، وسلمة ابن أخيه، ويامين بن يامين، أتوا رسول الله وقالوا: يا رسول الله، إنا نؤمن بك وبكتابك وموسى والتوراة وعزيز ونكفر بما سواه من الكتب والرسل، فقال عليه السلام: "بل آمنوا بالله ورسوله محمد وكتابه القرآن وبكل كتاب كان قبله، فقالوا: لا نفعل، فنزلت، فأمنوا كلهم. وقيل: هو للمنافقين، كأنه قيل: يا أيها الذين آمنوا نفاقا آمنوا إخلاصا. فإن قلت: كيف قيل لأهل الكتاب { والكتاب الذي أنزل من قبل { وكانوا مؤمنين بالتوراة والإنجيل؟ قلت: كانوا مؤمنين بهما فحسب، وما كانوا مؤمنين بكل ما أنزل من الكتب، فأمرنا أن يؤمنوا بالجنس كله، ولأن إيمانهم ببعض الكتب لا يصح إيمانا به، لأن طريق الإيمان به هو المعجزة، ولا اختصاص لها ببعض الكتب دون بعض، فلو كان إيمانهم بما آمنوا به لأجل المعجزة لآمنوا به كله، فحين آمنوا ببعضه علم أنهم لم يعتبروا المعجزة، فلم يكن إيمانهم إيمانا. وهذا الذي أراد عز وجل في قوله: { ويقولون نؤمن ببعض ونكفر ببعض ويريدون أن يتخذوا بين ذلك سبيلا أولئك هم الكافرون حقا { (النساء: ١٥٠).

(٢٠٣/٣)

فإن قلت: لم قيل (نزل على رسوله) و(أنزل من قبل)؟ قلت: لأن القرآن نزل مفرقاً (١) منجماً في عشرين سنة، بخلاف الكتب قبله، ومعنى قوله: { ومن يكفر بالله } الآية: ومن يكفر بشيء من ذلك { فقد ضل } لأن الكفر ببعضه كفر ب كله. ألا ترى كيف قدم الأمر بالإيمان به جميعاً.

b (خ) الذين آمنوا ثم كفروا ثم آمنوا ثم كفروا ثم ازدادوا X#ج ن. لم يكن الله uد uد لهم ولا Nku%oo%ooku%د سيلا (١٣٧) }

)

(١) قوله : لأن القرآن نزل مفرقاً في عشرين سنة ، الصحيح في ثلاث وعشرين سنة لأنه صلى الله عليه وآله وسلم بعث وهو ابن أربعين سنة وتوفي وهو ابن ثلاث وستين سنة وما زال القرآن ينزل عليه إلى وقت وفاته.
(٢٠٤/٣)

لم يكن الله ليغفر لهم ولا ليهديهم سيلاً { نفي للغفران والهداية وهي اللطف على سبيل المبالغة (١) التي يعطيها اللام، والمراد بنفيهما نفي ما يقتضيهما وهو الإيمان الخالص الثابت. والمعنى: إن الذين تكرر منهم الارتداد وعهد منهم ازدياد الكفر والإصرار عليه، يستبعد منهم أن يحدثوا ما يستحقون به المغفرة ويستوجبون اللطف من إيمان صحيح ثابت يرضاه الله، لأن قلوب أولئك الذين هذا ديدنهم قلوب قد ضربت بالكفر ومرنت على الردة، وكان الإيمان أهون شيء عنده وأدونه، حيث (٢) يبدو لهم فيه كرة بعد أخرى وليس المعنى أنهم لو أخلصوا الإيمان بعد تكرار الردة ونصحت توبتهم لم يقبل منهم ولم يغفر لهم، لأن ذلك مقبول حيث هو بذل للطاقة واستفراغ للوسع، ولكنه استبعاد له واستغراب، وأنه أمر لا يكاد يكون، وهكذا ترى الفاسق الذي يتوب ثم يرجع ثم يتوب ثم يرجع، لا يكاد يرجي منه الثبات. والغالب أنه يموت على شر حال وأسمج صورة. وقيل: هم اليهود (٣)، آمنوا بالتوراة وبموسى ثم كفروا بالإنجيل وب عيسى. ثم ازدادوا كفراً بكفرهم بمحمد

خز١e٣o0 المنافيين بأن لهم عذاباً أليماً (١٣٨) الذين يتخذون z`fحجدة"s39\$# أولياء من

دون المؤمنين أيتغون عندهم العزة فإن العزة لله جميعاً اتجرب

}

(١) قوله : على سبيل المبالغة التي يعطيها اللام أي اللام في { ليغفر لهم وليهديهم } والمبالغة حاصلة سواء قلنا أن اللام زائدة لتأكيد النفي أو أنها متعلقة بمقدر أي وما كان الله مريدا ليغفر لهم لأن نفي الإرادة التي هي سبب الفعل أبلغ من نفي الفعل.

(٢) قوله حيث بيدولهم فاعل بيد ومصدره المضمر وهو البدا يقال بدا له في هذا الأمر

بدا أي نشأ له رأي ، وقوله حيث هو بذل تعليل للقبول.

(٣) قوله: وقيل هم اليهود عطف على قوله المعنى أن الذين تكرر منهم الإرتداد.
(٢٠٥/٣)

بشر المنافقين { وضع (بشر) مكان: أخبر، تهكما بهم. و { الذين { نصب على الذم ، أو رفع بمعنى أريد الذين، أو هم الذين. وكانوا يميلون الكفرة ويوالونهم ويقول بعضهم لبعض: لا تيم مأمروا محمد فتولوا اليهود. { فإن العزة لله جميعا { يريد لأوليائه الذين كتب لهم العز والغلبة على اليهود وغيرهم، وقال: { والله العزة ولرسوله وللمؤمنين } .

وقد نزل عليكم في الكتاب أن إذا سمعتم آيات الله يكفر بها $ur"ç,kyJ÷"u&é$ بها فلا تقعدوا معهم $Lxm®$ يخوضوا في حديث $د3/4$ $xī$ إنكم إذا مثلهم إن الله جامع

المنافقين $tûi$ $س39$#ur$ في جهنم جميعا (١٤٠) الذين tbq $فء/$ $yItfz$ u بكم فإن كان

لكم فتح من الله $س$٩نûq\#$ ألم نكن معكم وإن كان $tûi$ $س3ù=$ $د=٩$ نصيب $س$٩نûq\#$ ألم

نستحوذ عليكم ومنعكم من المؤمنين فالله يحكم $نN$ $ت3$ $سY÷$ يوم القيامة ولن يجعل الله $tûi$ $س3ù=$ $د=٩$ على المؤمنين سبيلا (١٤١)

}

(٢٠٦/٣)

أن إذا سمعتم { هي أن المخففة من الثقيلة. والمعنى أنه إذا سمعتم، أي نزل عليكم أن

الشأن كذا والشأن ما أفادته الجملة بشرطها وجزائها، و(أن) مع ما في حيزها في موضع الرفع بنزل، أو في موضع النصب بنزل، فيمن قرأ به. والمنزل عليهم في الكتاب: هو ما نزل عليهم بمكة من قوله: { وإذا رأيت الذين يخوضون في آياتنا فأعرض عنهم حتى يخوضوا في حديث غيره } (الأنعام: ٦٨) وذلك أن المشركين كانوا يخوضون في ذكر القرآن في مجالسهم فيستهزؤون به، فنهى المسلمون عن القعود معهم ما داموا خائضين فيه. وكان أحرار اليهود بالمدينة يفعلون نحو فعل المشركين، فنهوا أن يقعدوا معهم كما نهوا عن مجالسة المشركين بمكة. وكان الذين يقاعدون الخائضين في القرآن من الأحرار هم المنافقون، فقليل لهم إنكم إذا مثل الأحرار في الكفر { إن الله جامع المنافقين

والكافرين { يعني القاعدون والمقعود معهم. فإن قلت: الضمير في قوله: { فلا تقعدوا معهم } إلى من يرجع؟ قلت: إلى من دل عليه { يكفر بها ويستهزأ بها } كأنه قيل: فلا تقعدوا مع الكافرين بها والمستهزئين بها. فإن قلت: لم يكونوا مثلهم بالمجالسة إليهم في وقت الخوض؟ قلت: لأنهم إذا لم ينكروا عليهم كانوا راضين. والراضي بالكفر كافر. فإن قلت: فهلا كان المسلمون بمكة - حين كانوا يجالسون الخائضين من المشركين - منافقين؟ قلت: لأنهم كانوا لا ينكرون لعجزهم وهؤلاء لم ينكروا مع قدرتهم، فكان ترك الإنكار لرضاهم { الذين يترصون } إما بدل من الذين يتخذون وإما صفة للمنافقين أو نصب على الذم(١)

(١) قوله: أو نصب على الذم منهم إنما قال منهم أي من المنافقين لأن المنسوب على المدح أو الذم لا بد من تعلقة بمتقدم، والإخفاق الخيبة وعدم الظفر، ومعنى مرضوا فرطوا وقصروا وخيبوا.. (٢٠٧/٣)

منهم { يترصون بكم } أي ينتظرون بكم ما يتجدد لكم من ظفر أو إخفاق { ألم نكن معكم } مظاهرين فأسهموا لنا في الغنيمة { ألم نستحوذ عليكم } ألم نغلبكم ونتمكن من قتلكم وأسرهم فأبقينا عليكم { ومنعكم من المؤمنين } بأن ثبطناهم عنكم. وخيلنا لهم ما ضعفت بهقلوبكم ومرضوا في قتالكم، وتوانينا في مظاهرتهم عليكم، فهاتوا نصيبا لنا بما أصبتم. وقرئ "ومنعكم" بالنصب إضمار أن، قال الحطية(١):
ألم أك جاركم ويكون بيني ... وبينكم المودة والإخاء

فإن قلت: لم سمى ظفر المسلمين فتحا، وظفر الكافرين نصيبا؟ قلت: تعظيما لشأن المسلمين وتخصيضا لحظ الكافرين؛ لأن ظفر المسلمين أمر عظيم تفتح لهم أبواب السماء حتى ينزل على أوليائه، وأما ظفر الكافرين، فما هو إلا حظ دني ولمظة من الدنيا يصيونها.

ب"خ) المنافقين يخادعون الله وهو خادعهم وإذا (#B\$smûq% إلى دن#œ4qن\$ء# قاموا

كسالى tbrâ!تن#uچمf الناس ولا يذكرون الله إلا Wxثد= (142) %s خ/tûü /x-B/x بين

7y٩d٢CE لا إلى هؤلاء ولا إلى هؤلاء ومن ب@aد=ðزمf الله فلن تجد له سبيلا (١٤٣) }

(١) قوله: أو نصب على الذم منهم إنما قال منهم أي من المنافقين لأن المنسوب على المدح أو الذم لا بد من تعلقة بمتقدم، والإخفاق الخيبة وعدم الظفر، ومعنى مرضوا فرطوا وقصروا وخيبروا.
(٢٠٨/٣)

يخادعون الله { يفعلون ما يفعل المخادع من إظهار الإيمان وإبطان الكفر } وهو خادعهم { وهو فاعل بهم ما يفعل الغالب في الخداع حيث تركهم معصومي الدماء والأموال في الدنيا وأعد لهم الدرك الأسفل من النار في الآخرة، ولم يخلهم في العاجل من فضيحة وإحلال بأس ونقمة ورعب دائم. والخادع: اسم فاعل من خادعته فخدعته إذا غلبته وكنت أخدع منه. وقيل: يعطون على الصراط نورا كما يعطي المؤمنون فيمضون بنورهم ثم يطفأ نورهم ويبقى نور المؤمنين، فينادون: انظرونا نقتبس من نوركم { كسالى } قرىء بضم الكاف وفتحها، جمع كسلان، كسكارى في سكران، أي يقومون متثاقلين متقاعسين، كما ترى من يفعل شيئا على كره لا عن طيبة نفس ورغبة { يراؤون الناس } يقصدون بصلاتهم الرياء والسمعة { ولا يذكرون الله إلا قليلا } ولا يصلون إلا قليلا لأنهم لا يصلون قط غائبين عن عيون الناس إلا ما يجاهرون به (١)، وما يجاهرون به قليل أيضا لأنهم ما وجدوا مندوحة من تكلف ما ليس في قلوبهم لم يتكلفوه. أو ولا يذكرون الله بالتسبيح والتهليل إلا ذكرا قليلا في النادرة، وهكذا ترى كثيرا من المتظاهرين بالإسلام لو صحبته الأيام والليالي لم تسمع منه تهليلة ولا تسبيحة ولا تحميدة، ولكن حديث (٢)

الدنيا يستغرق به أوقاته لا يفتر عنه. ويجوز أن يراد بالقلة العدم. فإن قلت: ما معنى المراعاة وهي مفاعلة من الرؤية؟ قلت: فيها وجهان، أحدهما: أن المرائي يريهم عمله وهم يرونه استحسانه. والثاني: أن يكون من المفاعلة بمعنى التفعيل، فيقال: رآى الناس. يعني رآهم، كقولك: نعمه وناعمه، وفنقه وفائقه (٣) وعيش مفائق.

)

(١) قوله: إلا ما يجاهرون به استثناء منقطع.

(٢) قوله: ولكن حديث أي ولكن يستمع حديث.

(٣) قوله: وفيقة وفائقة أي نعمة وناعمة و..... واسع ذو نعمة والرجوان

جانبا البير ، وقواهم يرمي به الرجوان عبارة عن إلقائه في المهالك ، والدببة بالضم الطريقة .

(٢٠٩/٣)

روى أبو زيد: رأت المرأة المرأة الرجل، إذا أمسكتها لترى وجهه، ويدل عليه قراءة ابن أبي إسحاق: يراؤنهم بهمة مشددة: مثل. يرعونهم، أي يبصرونهم أعمالهم ويرأؤنهم كذلك { مذبذبين } إما حال نحو قوله: (ولا يذكرون) (١) عن واو يراؤن، أي يراؤنهم غير ذاكرين مذبذبين، أو منصوب على الذم. ومعنى (مذبذبين)ذبذبهم الشيطان والهوى بين الإيمان والكفر، فهم مترددون بينهما متحيرون. وحقيقة المذبذب الذي يذب عن كلا الجانبين أي يذاذ ويدفع فلا يقر في جانب واحد، كما قيل: فلان يرمى به الرجوان إلا أن الذبذبة فيها تكرير ليس في الذب كأن المعنى: كلما مال إلى جانب ذب عنه. وقرأ ابن عباس "مذبذبين" بكسر الذال، بمعنى يذبذبون قلوبهم أو دينهم أو رأيهم. أو بمعنى يتذبذبون. كما جاء: صلصل وتصلصل بمعنى. وفي مصحف عبد الله. متذبذبين. وعن أبي جعفر: "مذبذبين"، بالذال غير المعجمة وكأن المعنى: أخذ بهم تارة في دبة وتارة في دبة، فليسوا بماضين على دبة واحدة. والدبة: الطريقة ومنها: دبة قريش. و { ذلك } إشارة إلى الكفر والإيمان { لا إلى هؤلاء } لا منسويين إلى هؤلاء فيكونون مؤمنين { ولا إلى هؤلاء } ولا منسويين إلى هؤلاء فيسمون مشركين.

tf"~'r%٠pk\$ الذين آمنوا لا تتخذوا z`f حچدے"s39\$# أولياء من دون المؤمنين

تbr%٠fحچ&è?r أن تجعلوا لله عليكم سلطانا Y.\$ خ٦-144 (B

{ لا تتخذوا الكافرين أولياء { لا تشبهوا بالمنافقين في اتخاذهم اليهود وغيرهم من أعداء الإسلام أولياء { سلطانا { حجة بينة، يعني أن موالاته الكافرين بينة على

النفاق. وعن صعصعة بن صوحان أنه قال لابن أخ له: خالص المؤمن، وخالق الكافر والفاجر؛ فإن الفاجر يرضى منك بالخلق الحسن، وإنه يحق عليك أن تخالص المؤمن.

(١) قوله: لا إنما فسر به لا يتخذوا لأن الكلام السابق واللاحق في

المنافقين.

(٢١٠/٣)

١٤٥)) إلا {b" (خ tûüة) "دے\$sYçRùQ# في الدرك الأسفل من النار ولن تجد لهم #||ثجاء tR

(145)) إلا

الذين تابوا وأصلحوا واعتصموا بالله وأخلصوا OكgsYfدث لله فأولئك مع المؤمنين

t\$qy™ur يؤت الله المؤمنين أجرا عظيما اتحدب

}

(٢١١/٣)

الدرك الأسفل { الطبقة الذي في قعر جهنم، والنار سبع دركات، سميت بذلك لأنها متدركة متتابعة بعضها فوق بعض، وقرئ بسكون الراء، والوجه التحريك (١)، لقولهم: أدراك جهنم.

فإن قلت: لم كان المنافق أشد عذابا من الكافر؟ قلت: لأنه مثله في الكفر، وضم إلى

كفره الاستهزاء بالإسلام وأهله ومداجاتهم { وأصلحوا { ما أفسدوا من أسرارهم

وأحوالهم في حال النفاق { واعتصموا بالله { ووثقوا به كما يثق المؤمنون بالخلص {

وأخلصوا دينهم لله { لا يبتغون بطاعتهم إلا وجهه { فأولئك مع المؤمنين { فهم أصحاب

المؤمنين ورفقاؤهم في الدارين { وسوف يؤت الله المؤمنين أجرا عظيما { فيشاركونهم

فيه ويساهمونهم. فإن قلت: من المنافق؟ قلت: هو في الشريعة من أظهر الإيمان وأبطن

الكفر. وأما تسمية من ارتكب ما يفسق به بالمنافق فللتغليظ، كقوله: (٣٢٤) "من ترك

الصلاة متعمدا فقد كفر" ومنه قوله عليه الصلاة والسلام: (٣٢٥) "ثلاث (٢) من كن فيه

فهو منافق، وإن صام وصلى وزعم أنه مسلم: من إذا حدث كذب، وإذا وعد أخلف، وإذا

اتمنى

خان، "وقيل لحذيفة رضي الله عنه: من المنافق؟ فقال: الذي يصف الإسلام ولا يعمل به.

وقيل لابن عمر: ندخل على السلطان ونتكلم بكلام فإذا خرجنا تكلمنا بخلافه فقال: كنا نعهده من النفاق. وعن الحسن: أتى على النفاق زمان وهو مقروع فيه، فأصبح وقد عمم وقلد وأعطى سيفاً، يعني الحجاج.

ما يفعل الله بعذابكم إن شكرتم وآمنتم وكان الله شاكراً $\$VJS$ ت=د (١٤٧) *

-
- (١) قوله: والوجه التحريك لقولهم إدراك أراد أن أفعالا جمع فعل بالتحريك كجمل واجمال وليس بقياس في جمع فعل بالتسكين والمداحاه المداراه.
- (٢) قوله: ثلاث من كن فيه ثلاث مبتدأ وقوله من كن فيه إلى آخره صفة والخبر من إذا إلى آخره والمضاف محذوف أي خصال من إذا ، والمقروع المقهور والمرتدع.
- (٢١٢/٣)

ما يفعل الله بعذابكم { أيتشفى به من الغيظ، أم يدرك به الثار، أم يستجلب به نفعاً، أم يستدفع به ضرراً كما يفعل الملوك بعذابهم، وهو الغني الذي لا يجوز عليه شيء من ذلك. وإنما هو أمر أوجبه الحكمة أن يعاقب (١) المسيء، فإن قمتم بشكر نعمته وآمنتم به فقد أبعدتم عن أنفسكم استحقاق العذاب { وكان الله شاكراً { مثيباً موفياً أجوركم { عليمًا { بحق شكركم وإيمانكم. فإن قلت: لم قدم الشكر على الإيمان؟ قلت: لأن العاقل ينظر إلى ما عليه من النعمة العظيمة في خلقه وتعرضه للمنافع، فيشكر (٢)

-
- (١) قوله: إن يعاقب المسيء بدل من هو أي وإنما معاقبة المسيء أمر أوجبه الحكمة والتعريض للأمر النصب له.
- (٢) قوله: فيشكر شكرًا مبهماً إلى قوله فكان الشكر متقدماً على الإيمان وكأنه أصل التكليف ومداره وتحقيق هذا أن الإنسان في أول كمال عقله يدرك النعمة فيشكر شكرًا مبهماً ثم يمعن النظر حتى يعرف المنعم فيؤمن به ثم يشكر شكرًا مفصلاً.. قال صاحب التقريب: وفيه نظر لأن الإيمان لا يستدعي عرفان المؤمن به بداية بل يعارض فكان حاصلًا حين ما عرف الإنعام فما أوجب الشكر أوجب الإيمان فالجواب أن الواو لا توجب الترتيب ، وأقول : عند العدلية أن الشكر من الواجبات العقلية وأنه سبب وجوب النظر الذي هو سبب المعرفة ولهذا قال وكأنه أصل التكليف ومداره ، وإذا كان كذلك فهو متقدم على الإيمان ، وقال الطيبي: في جوابه نظر لأن كل تقديم في القرآن لله تعالى فيه

إسرار لا يعلم كنهها إلا هو والعالم المتقن لعلمي الفصاحة والبلاغة لا يرضى بمثل هذا الجواب ، ثم قال وتقرير الجواب: أن الملكف في بدئ الحال إذا نظر إلى ما عليه من نعمة الخلق والرزق والتربية ينبعث منه حركة إلى معرفة المالك المنعم فهذه الحركة تسمى باليقظة والشكر القلبي والشكر المبهم فإذا شكر العبد هذا الشكر وفق لنعمة أرفع من تلك النعمة وهي المعرفة بأنه الواحد الأحد الصمد الواسع الرحمة المكلف المعاقب فيسجد شكرا فوق ذلك ويضيف إلى الشكر القلبي بأداب الجوارح والندا على الجميل وهو الذي عناه بقوله يشكر شكرا مفصلا وحاصله أن الكلام فيه إيجاز لأن الشكر المذكور في التلاوة شكر منهم وموجبة نعمة سابقة مستتبعة لمعرفة مبهمة والإيمان المذكور إيمان مفصل مستتبع لشكر مفصل غير مذكور.

(٢١٣/٣)

شكرا مبهما، فإذا انتهى به النظر إلى معرفة المنعم آمن به ثم شكر شكرا مفصلا، فكان الشكر متقدما على الإيمان، وكأنه أصل التكليف ومداره.

لا يحب الله ج#u ôgyf9\$# دن 9\$\$،ûq خ/ من القول إلا من ã=dzO ك وكان الله سميعا

تJ, \$m=د (١٤٨) إن تبدوا #||# ٢z أو تخفوه أو تعفوا عن &ûqك™ فإن الله كان عفوا

قديرا (١٤٩)

{ إلا من ظلم } إلا جهر من ظلم استثنى من الجهر الذي لا يحبه الله جهر المظلوم. وهو أن يدعو على الظالم ويذكره بما فيه من سوء. وقيل: هو أن يبدأ بالشتيمة فيرد على الشاتم { ولمن انتصر بعد ظلمه } (الشورى: ٤١) وقيل: ضاف رجلا قوما فلم يطعموه، فأصبح

شاكيا، فعوتب على الشكاية فنزلت، وقرئ "إلا من ظلم" على البناء للفاعل للانقطاع (١). أي ولكن الظالم راكب ما لا يحبه الله فيهجرجر بالسوء. ويجوز أن يكون (من ظلم) مرفوعا، كأنه قيل: لا يحب الله الجهر بالسوء، إلا الظالم على لغة (٢)

(١) قوله: للانقطاع أي الاستثناء المنقطع.

(٢) قوله: على لغة من يقول أي على لغة بني تميم وعليه قول الشاعر :

غشيته ما يغني الرماح مكانها ولا النبيل إلا المشرفي المصمم

ونقل عن سيبويه أنه قال : أصل قولك ما جاءني إلى زيد إلا عمرو ما جاءني إلا عمرو فهو استثناء مفرغ يلزم منه نفي المجيء عن كل أحد عدا عمرا ثم أدخل فيه لفظ زيد تأكيدا لنفي المجيء عن زيد ، ومنه قوله تعالى : { لا يعلم من في السماوات والأرض الغيب إلا الله } فالأصل لا يعلم الغيب إلا الله ثم أدخل لفظ { من في السماوات والأرض } تأكيدا لنفي علم الغيب عنهم فقوله { لا يحب الجهر } على هذا تقديره لا يحب الجهر بالسوء إلا الظالم فأدخل لفظ الله تأكيدا لنفي محبة الله تعالى له. (٢١٤/٣)

من يقول: ما جاءني زيد إلا عمرو، بمعنى ما جاءني إلا عمرو. ومنه { لا يعلم من في السماوات والأرض الغيب إلا الله } (النمل: ٦٥) ثم حث على العفو، وأن لا يجهر أحد لأحد بسوء وإن كان على وجه الانتصار، بعد ما أطلق الجهر به (١) وجعله محبوبا، حثا على الأحب إليه، والأفضل عنده والأدخل في الكرم والتخشع والعبودية، وذكر إبداء الخير وإخفائه تنبيها للعفو، ثم عطفه (٢)

(١) قوله: بعدما أطلق الجهر به وجعله محبوبا أراد بعدما أباحه بقوله إلا من ظلم فإن الاستثناء يدل على أنه مباح محبوب والمراد بالإباحة عدم الحرمة فقط وبالمحبة الإرادة وليس المراد الإباحة التي هي تساوي جواز الفعل وترك إذ لو كان كذلك لم يكن مراد الله على مذهب المصنف فالمحبة تؤذن بأن الانتصار مندوب، هذا وفيه نظر لأنه لو كان مندوبا لم يحسن الحث على العفو ولو لم يكن مندوبا لم يكن محبوبا فليتأمل هذا والتشبيب التوطئة والتمهيد من شبيب القصيدة وهوترتيبها بما يتقدم على المدح من الغزل.

(٢) قوله: ثم عطفه عليهما أعيد إذا بذلك وذلك لأن ذكر الشيء بعد ذكر ما هو ذريعة إلى ذكره دليل على الإعتداد به ورفع منزلته عند المتكلم وعلى أنه أقوى مما جعل

ذريعة إلى ذكره ، وأظن أن الإعتداد به باعتبار أن العفو عن السوء كان داخلا في جملة ما يبدوا به أو يخفونه عند (غير) خارج عنه فلما أعيد ذكره كان تخصيصا له وذكر له بطريق التفصيل بعد الإجمال وذلك دليل على الإعتداد به ، والاعتناء بشأنه وهذا كما في قوله : { والصلاة والوسطى } فإن تخصيصها بالذكر بعد اشتغال الصلاة عليها دليل

على الإعتداد بها والاعتناء بشأنها ، ومما يدل على الإعتناء بشأن العفو افراد ذكره
في الجزاء، ومعنى وسيطا : رافعا ..
(٢١٥/٣)

عليهما اعتدادا به وتنبهها على منزلته، وأن له مكانا في باب الخير وسيطا والدليل
على أن العفو هو الغرض المقصود بذكر إبداء الخير وإخفائه قوله: { فإن الله كان عفوا
قديرا } أي يعفو عن الجانين مع قدرته على الانتقام، فعليكم أن تقتدوا بسنة الله.
b" (خ) الذين يكفرون بالله ¼&ح#ك'ur™â ٣cr%فحجمfur أن
(#qè%حhچxمف بين الله
¼&ح#ك'ur™â ويقولون نؤمن ببعض ونكفر ببعض ٣cr%فحجمfur أن يتخذوا
بين 7y٩دsCE
سيلا (١٥٠) أولئك هم الكافرون y)xm\$ وأعتدنا tûiحجدهs3ù=د٩ عذابا
YY\$طخ-B-g اتخبت
(٢١٦/٣)

جعل الذين آمنوا بالله وكفروا برسله أو آمنوا بالله وبعض رسله وكفروا ببعض كافرين
بالله ورسله جميعا لما ذكرنا من العلة، ومعنى اتخاذهم بين ذلك سيلا: أن يتخذوا
دينا وسطا بين الإيمان والكفر كقوله: { ولا تجهر بصلاتك ولا تخافت بها وابتغي بين
ذلك سيلا } (الإسراء: ١١٠) أي طريقا وسطا في القراءة وهو ما بين الجهر والمخافتة.
وقد أخطؤوا، فإنه لا واسطة (١) بين الكفر والإيمان ولذلك قال: { أولئك هم الكافرون
حقا } أي هم الكاملون (٢) في الكفر. و(حقا) تأكيد لمضمون الجملة، كقولك: هو عبد الله
حقا، أي حق ذلك حقا، وهو كونهم كاملين في الكفر، أو هو صفة لمصدر الكافرين، أي هم
الذين كفروا كفرا حقا ثابتا يقينا لا شك فيه.
والذين آمنوا بالله ¼&ح#ك'ur™â ولم (#qè%حhچxمف بين أحد منهم أولئك
TMt\$qq يؤتيهم

أجورهم وكان الله غفورا رحيمًا (١٥٢)

(١) قوله: وأنه لا واسطة بين الكفر والإيمان أي لا واسطة بين الكفر بالجميع
والإيمان بالجميع لأن الكفر ببعض مستلزم للكفر بالكل ، قال بعضهم هذا مناف لقوله

بالمنزلة بين المنزلتين، وأقول: لا منافاة لأنه أراد أنه لا واسطة بين الإيمان بالله وبجميع الرسل وبين الكفر بالجميع بحسب الاعتقاد والتدين والمنزلة بين المنزلتين إنما هي بحسب الأفعال والتروك لا بحسب الاعتقاد والتدين.
(٢) قوله: هم الكاملون في الكفر يدل عليه توسط الفصل بين المبتدأ والخبر المعروف بلام الجنس.
(٢١٧/٣)

فإن قلت: كيف جاز دخول { بين } على { أحد } وهو يقتضي شيئين فصاعدا؟ قلت: إن أحدا

عام في الواحد المذكر والمؤنث وتشبيهما وجمعهما، تقول: ما رأيت أحدا، فتقصد العموم، ألا تراك تقول: إلا بني فلان، وإلا بنات فلان؛ فالمعنى: ولم يفرقوا بين اثنين منهم أو بين جماعة ومنه قوله تعالى: { لستن كأحد من النساء } (الأحزاب: ٣٢)، { سوف يؤتيهم أجورهم } (١) معناه: أن إتياءها كائن لا محالة وإن تأخر فالغرض به تأكيد الوعد وتشبيته لا كونه متأخرا.

(١) قوله: سوف يؤتيهم أجورهم معناه أن إتياءها كائن لا محالة وإن تأخر عن المصنف رحمه الله أنه قال في المفصل بفعل الذي هو للإستقبال موضع له لمعنى الإستقبال بصيغة فإذا دخل عليه سوف أكد ما هو موضوع له من إثبات الفعل في المستقبل إلا أن يعطي (لا أن يعطيه) ما ليس من أصله فهو في مقابله لن ومنزلته من يفعل كمنزلة لن من لا يفعل لنفي المستقبل ، فإذا وجمع لن موضع لا أكد المعنى الثابت وهو نفي المستقبل فإذا كل واحد من لن وسوف حقيقته التوكيد ولهذا قال سيويه : لن يفعل نفي سوف بفعل ، وقال صاحب التقريب: فيه نظر لأن سوف للمستقبل أما جزم وقوعه فمن خارج. أقول: لا نظر مع ما قلنا عن المصنف ، قيل: ولنا أن نقول أن إفادتها لذلك بحسب المقام وذلك لما تقرر

أن عسى ولعل وسوف من الكريم الجزم بوقوع الفعل المرجو منه وإيجاب له إذ يصنع من الكريم بالإيماضة والتبسمه والنظرة الحلوة وقد ذكر مثل هذا في مواضع من هذا الكتاب، ومعنى اقترحوا ذلك ابتدعوا تمنيه، والتعيب: اللجاج.
(٢١٨/٣)

أهل الكتاب أن تنزل N خkz n=t من كتابا من السماء فقد سألوا موسى أكبر من

7ydy7q`#CEs\$9sù) أرنا الله Zouجyô_ فأخذتهم الصاعقة بظلمهم ثم
اتخذوا العجل من

بعد ما جاءتهم i t69\$#sY"àM فغفونا عن 7ydy7u`#s?÷Y\$CEs\$ موسى
سلطانا YZ\$خv-B

(١٥٣) ورفعنا فوقهم الطور بميثاقهم sYù=è%ur\$ لهم (#qè=نذت\$# الباب
سجدا sYù=è%ur\$

لهم لا تعدوا في السبت وأخذنا منهم ميثاقا (154=دZà\$ (xî فيما Nخkإص) tR
ميثاقهم

Ndحجعن. ur. بآيات الله مNخgد÷=ur%Fs الأنبياء بغير d,xm٩ وقولهم
%sYç/qè=è\$ غلف بل

طبع الله عليها Ndحجعن3خ/ فلا يؤمنون إلا Wx=د (155) %s
Ndحجعن3خ/ ur وقولهم على

مريم \$Z.k"÷Fتو ه عظيم (١٥٦) وقولهم إنا قتلنا المسيح عيسى ابن مريم رسول الله وما
قتلوه وما صلبوه ولكن شبه لهم وإن الذين اختلفوا فيه لفي شك منه ما لهم به من علم
إلا اتباع الظن وما قتلوه يقينا (١٥٧) بل رفعه الله إليه وكان الله عزيزا \$K\ثإxm٣
(١٥٨) وإن من أهل الكتاب إلا ليؤمنن به قبل موته ويوم القيامة يكون Nخkتn=م
#Y%وX ky (١٥٩)
(٢١٩/٣)

روي: (٣٢٦) أن كعب بن الأشرف وفنحاص بن عازورا وغيرهما قالوا لرسول الله : إن كنت
نبيا صادقا فأتنا بكتاب من السماء جملة كما أتى به موسى. فنزلت. وقيل: كتابا إلى
فلان وكتابا إلى فلان أنك رسول الله، وقيل: كتابا نعاينه حين ينزل. وإنما اقترحوا
ذلك على سبيل التعنت، قال الحسن: ولو سألوه لكي يتبينوا الحق لأعطاهم، وفيما آتاهم
كفاية { فقد سألو موسى { جواب لشرط مقدر. معناه: إن استكبرت ما سألوه منك فقد
سألو موسى. { أكبر من ذلك { وإنما أسند السؤال إليهم وإن وجد من آبائهم في أيام

موسى وهم النقباء السبعون، لأنهم كانوا على مذهبيهم وراضين بسؤالهم ومضاهين لهم في
التعنت { جهرة { عيانا بمعنى أرناه نره جهرة { بظلمهم { بسبب سؤالهم الرؤية. ولو
طلبوا أمرا جائزا لما سموا ظالمين ولما أخذتهم الصاعقة، كما سأل إبراهيم عليه
السلام أن يريه إحياء الموتى فلم يسمه ظالما ولا رماه بالصاعقة، فتبا للمشبهة ورميا

بالصواعق { آتينا موسى سلطانا مبينا { تسلطا واستيلاء ظاهرا عليهم حين أمرهم بأن يقتلوا أنفسهم حتى يتاب عليهم فأطاعوه، واحتبوا بأفئتهم والسيوف تتساقط عليهم فيالك من سلطان(١) مبين { بميثاقهم { بسبب ميثاقهم ليخافوا فلا ينقضوه { وقلنا لهم { والطور مظل عليهم { ادخلوا الباب سجدا { ولا تعدوا في السبت، وقد أخذ منهم الميثاق على ذلك، وقولهم سمعنا وأطعنا، ومعاهدتهم على أن يتموا عليه ثم نقضوه بعد. وقرىء: "لا تعتدوا". "ولا تعدوا"، بادغام التاء في الدال { فبما نقضهم { فبنقضهم. و(ما) مزيدة للتوكيد.

(١) قوله: فيالك من سلطان مبين قيل المنادى محذوف ومن لبيان المنادى له ومعنى مظل عليهم مشرف عليهم بطلله.
(٢٢٠/٣)

فإن قلت: بم تعلق الباء؟ وما معنى التوكيد؟ قلت: إما أن يتعلق بمحذوف، كأنه قيل: فبما نقضهم ميثاقهم فعلنا بهم ما فعلنا، وإما أن يتعلق بقوله: { حرمنا عليهم { على أن قوله: { فبظلم من الذين هادوا { (النساء: ١٦٠) بدل من قوله: { فبما نقضهم ميثاقهم { وأما التوكيد فمعناه تحقيق(١) أن العقاب أو تحريم الطيبات لم يكن إلا بنقض العهد وما عطف عليه من الكفر وقتل الأنبياء وغير ذلك. فإن قلت: هلا زعمت أن المحذوف الذي تعلق به الباء ما دل عليه قوله: { بل طبع الله عليها { فيكون التقدير: فبما نقضهم ميثاقهم طبع الله على قلوبهم، بل طبع الله عليها بكفرهم.

(١) قوله: فمعناه تحقيق أن العقاب هذا على أن يكون الباء متعلقا بمحذوف أي فيما نقضهم عاقبناهم كذى وكذا وقوله: أو تحريم على أن يتعلق بقوله حرمنا.
(٢٢١/٣)

قلت: لم يصح(١)

(١) قوله: قلت لم يصح هذا التقدير، أعلم أن المصنف إنما حكم بعدم صحة هذا التقدير لأن قوله تعالى { بل طبع الله عليها بكفرهم { متعلق بقولهم { قلوبنا غلف { رد وإنكار له كما جاء متعلقا به صريحا في قوله { وقالوا قلوبنا غلف بل لعنهم الله

بكفرهم فقليلًا ما يؤمنون { فلو قدر لقوله { فيما نقضهم { متعلقًا مثله يصير التقدير فيما نقضهم ميثاقهم وكفرهم وقولهم قلوبنا غلف طبع الله عليها بل طبع الله عليها بكفرهم فيكون ردا لهذا الكلام وإنكارا له لا لقولهم قلوبنا غلف ، والمعنى عليه وهذا فاسد ، وأيضا لا يجوز الإضراب عن إثبات الطبع بالنقض والكفر وقتل الأنبياء وقولهم قلوبنا غلف إلى إساءة بالكفر فقط وذلك لوجهين أحدهما : أن المجموع علة للطبع فلا يجوز قصر العلية بالإضراب على البعض ، والثاني أن الإضراب يلزم فيه رعاية المرتبة والترقي من الأهون إلى ما فوقه وعلى هذا التقدير يلزم العكس ، وذلك لأن النقص والكفر والقتل في باب الطبع أقوى من الكفر فقط فلا يجوز الإضراب عنها إليه وهذا التقدير لا مزيد عليه فلا يلتفت إلى ما في التقريب وغيره من تقرير كلام المصنف وتزييفه.. الانتصاف هؤلاء القوم زعموا أن لهم على الله حجة يخلق قلوبهم غير قابلة للحق ولا متمكنة منه فكذبهم بأنه تعالى خلق قلوبهم على الفطرة والإيمان من جنس مقدورهم كما هو من جنس مقدور المؤمنين وهو المعبر عنه بالتمكين فقامت حجة الله عليهم فالإنسان يفرق بين دخوله في الإيمان والطيران في الهواء بإمكان الأول دون الثاني فلله الحجة فاتجه الرد عليهم لا من الوجه الذي زعمه المعتزلة من إثبات قدرة يخلقون بها ، وافق مشيئة الله أم لا فلذا قال : { قل لله الحجة البالغة فلو شاء لهداكم أجمعين { فرد عليهم ورد الأمور إلى المشيئة ، وأنا أقول : إذا كان صاحب

الانتصاف يقول بالجبر المحض وبأن القدرة موجبة للفعل مقارنة له وأن الكافر لا قدرة له على الإيمان ولم يتعلق مشيئة الله به إذ لو كان قادرا عليه وتعلقت به المشيئة لوجد منه كما وجد من المؤمن وإذا كان كذلك استحال وقوعه منه وحينئذ لا فرق بينه وبين الطيران في الهواء بالنسبة إليه ويلزمه على هذا أن يكون للكافر حجة بالغة على الحق لأنه إذا قال له لم لم تؤمن يقول له لأن الإيمان لم يكن مقدورا لي بل كان وقوعه مستحيلا مني لفقد قدرتي عليه وفقد مشيئتك له وخلقك لصدده في وهو الكافر ومشيئتك

له ، وإنما لا يكون للكافر حجة على الله إذا كان الكافر متمكنا من الإيمان قادرا عليه فاعلا للكفر باختياره والله أعلم.

(٢٢٢/٣)

هذا التقدير لأن قوله: { بل طبع الله عليها بكفرهم { رد وإنكار لقولهم: { قلوبنا غلف { فكان متعلقا به، وذلك أنهم أرادوا بقولهم: (قلوبنا غلف) أن الله خلق قلوبنا

غلغا، أي في أكنة لا يتوصل إليها شيء من الذكر والموعظة، كما حكى الله عن المشركين وقالوا: { لو شاء الرحمان ما عبدناهم } (الزخرف: ٢٠) وكمذهب المجبرة أخزاهم الله، فقليل لهم: بل خذلها الله ومنعها الألفاف بسبب كفرهم، فصارت كالمطبوع عليها، لا أن تخلق غلغا غير قابلة للذكر ولا متمكنة من قبوله. فإن قلت: علام عطف قوله: { وكفرهم } ؟ قلت: الوجه أن يعطف (١)

(١) قوله: الوجه أن يعطف على { فبما نقضهم } وإنما كان الوجه لأن : { فبما نقضهم } مقصود بالذات في الكلام فكان اعتباره أولى من اعتبار ما ذكر استطرادا ، وحاصل السؤال الوارد على الوجهين أنه يلزم فيهما عطف الشيء على نفسه وقد أجاب المصنف عنه بثلاثة أجوبة : أولها أن العطف من باب عطف المفرد على المفرد والكفر المعطوف مغاير للمعطوف عليه فالكفر الأول المراد به الكفر بموسى بقرينة ذكره بعد قوله { لا تعدوا في السبت وأخذنا منهم ميثاقهم } مع ذكر النقص قبله ، والكفر الثاني المراد به الكفر

بعيسى لاقتراحه بقوله: { وقولهم على مريم بهتاناً عظيماً وقولهم إنا قتلنا المسيح عيسى } والكفر الثالث المراد به الكفر بمحمد صلى الله عليه وآله وسلم لوقوعه في حير الإضراب والأواقع جواباً عن بغيتهم وقولهم قلوبنا غلف وتذيله بقوله: { فلا يؤمنون إلا قليلاً } وإلى هذا أشار بقوله قد تكرر منهم الكفر إلى آخره. وثانيها : أنه من عطف المجموع على المجموع وإن كان الكفر الثاني أعني المعطوف هو الأول ولا يلزم عطف الشيء على نفسه لأن للهيئة الاجتماعية اعتبار غير اعتبار الأفراد. وثالثها: أنه من عطف المجموع على المفرد والترتبة النسبة إلى الزنى .. (٢٢٣/٣)

على (فبما نقضهم) ويجعل قوله: { بل طبع الله عليها بكفرهم } كلاماً تبع قوله: { وقالوا قلوبنا غلف } على وجه الاستطراد، يجوز عطفه على ما يليه من قوله: (بكفرهم). فإن قلت: ما معنى المجيء بالكفر معطوفاً على ما فيه ذكره، سواء عطف على ما قبل حرف الإضراب، أو على ما بعده، وهو قوله: { وكفرهم بآيات الله } وقوله: { بكفرهم } ؟ قلت: قد تكرر منهم الكفر، لأنهم كفروا بموسى، ثم بعيسى، ثم بمحمد صلوات الله عليهم، فعطف بعض كفرهم على بعض، أو عطف مجموع المعطوف على مجموع المعطوف عليه، كأنه قيل:

فبجمعهم بين نقض الميثاق، والكفر بآيات الله، وقتل الأنبياء وقولهم: قلوبنا غلف،

وجمعهم بين كفرهم وبهتهم مريم، وافتخارهم بقتل عيسى، عاقبناهم. أو بل طبع الله عليها بكفرهم وجمعهم بين كفرهم وكذا وكذا. والبهتان العظيم: هو التزنية. فإن قلت: كانوا كافرين بعيسى عليه السلام، أعداء له، عامدين لقتله، يسمونه الساحر بن الساحرة، والفاعل بن الفاعلة، فكيف قالوا: (إنا قتلنا المسيح عيسى ابن مريم رسول الله)؟ قلت: قالوه على وجه الاستهزاء، كقول فرعون { إن رسولكم الذي أرسل إليكم لمجنون } (الشعراء: ٢٧) ويجوز أن يضع الله الذكر الحسن مكان ذكرهم القبيح في

الحكاية عنهم رفعاً لعيسى عما كانوا يذكرونه به وتعظيماً لما أرادوا بمثله كقوله: { ليقولن خلقهن العزيز العليم الذي جعل لكم الأرض مهذا } (الزخرف: ٩) روي أن رهطاً من اليهود سبوه وسبوا أمه فدعا عليهم "اللهم أنت رب يوبكلمتك خلقتني، اللهم العن من سبني وسب والدتي"، فمسح الله من سبهما قردة وخنازير، فأجمعت اليهود على قتله، فأخبره الله بأنه يرفعه إلى السماء ويظهره من صحبة اليهود، فقال لأصحابه: أيكم يرضى أن يلقي عليه شبيهي فيقتل ويصلب ويدخل الجنة؟ فقال رجل منهم: أنا. فألقي عليه شبهه فقتل وصلب.

(٢٢٤/٣)

وقيل: كان رجلاً ينافق عيسى، فلما أرادوا قتله قال: أنا أدلكم عليه، فدخل بيت عيسى فرفع عيسى وألقي شبهه على المنافق، فدخلوا عليه فقتلوه وهم يظنون أنه عيسى، ثم اختلفوا فقال بعضهم: إنه اله لا يصح قتله. وقال بعضهم: إنه قتل وصلب. وقال بعضهم إن كان هذا عيسى فأين صاحبنا؟ وإن كان هذا صاحبنا فأين عيسى؟ وقال بعضهم رفع إلى السماء وقال بعضهم: الوجه وجه عيسى والبدن بدن صاحبنا. فإن قلت: { شبه } مسند إلى ماذا؟ إن جعلته مسنداً إلى المسيح، فالمسيح مشبه به وليس بمشبه، وإن أسندته إلى المقتول فالمقتول لم يجر له ذكر قلت: هو مسند إلى الجار والمجرور وهو { من } كقولك خيل إليه، كأنه قيل: ولكن وقع لهم التشبيه. ويجوز أن يسند إلى ضمير المقتول: لأن قوله: إنا قتلنا يدل عليه، كأنه قيل: ولكن شبه لهم من قتلوه { إلا اتباع الظن } استثناء منقطع لأن اتباع الظن ليس من جنس العلم، يعني: ولكنهم يتبعون الظن. فإن قلت: قد وصفوا بالشك والشك (١) أن لا يترجح أحد الجائزين، ثم وصفوا بالظن والظن أن يترجح أحدهما، فكيف يكونون شاكين ظانين؟ قلت: أريد أنهم شاكون ما لهم من علم قط، ولكن إن لاحظت لهم أمانة فظنوا (٢)، فذاك { وما قتلوه يقينا } وما قتلوه قتلاً يقيناً.

(١) قوله: والشك لا يترجح والظن أن يترجح تفسير للشيء بلازمه.

)

(٢) قوله: فطنوا عطف على لاحت وفذك جواب الشرط أي فذاك غير علم والمراد بالشك نفي العلم أو فذك قصارى أمرهم أو فذك هو الظن يريد أنهم من الشاكين اللذين لا يترجح لهم أحد الجائزين قط لكن يحصل لهم أحيانا بما تلوح لهم من أماراة الترجيح ثم إذا خفيت الأماراة عادوا إلى التردد وهذه الحالة في التحير أبلغ من مجرد الشك وإليه الإشارة بقوله فذك أي فذك الرجحان ليس برجحان لأنه لا ينقذهم من ورطة الشك فقوله من علم مبتدأ ومن زائدة لتأكيد النفي والظرف المقدم خبر وبه حال من الضمير المستكن في الظرف.

(٢٢٥/٣)

أو ما قتلوه متيقنين، كما ادعوا ذلك في قولهم: (إنا قتلنا المسيح) أو يجعل(١) (يقينا) تأكيدا لقوله: { وما قتلوه } كقولك: ما قتلوه حقا أي حق انتفاء قتله حقا. وقيل: هو من قولهم: قتلت الشيء علما ونحرته علما إذا تبلى فيه علمك. وفيه تهكم، لأنه إذا نفى عنهم العلم نفيا كلياً بحرف الاستغراق. ثم قيل: وما علموه علم يقين وإحاطة لم يكن إلا تهكما بهم { ليؤمنن به } جملة قسمية واقعة صفة لموصوف محذوف تقديره: وإن من أهل الكتاب(٢) أحد إلا ليؤمنن به.

(١) قوله: أو يجعل يقينا تأكيدا عطف على قوله وما قتلوه يقينا يعني يقينا يجوز أن يكون صفة مصدر محذوف ، وأن يكون حالا وعلى التقديرين يعود المعنى إلى عدم تيقن القتل منهم يعني أنهم شاكون في أنهم هل قتلوه ، ثم أكد ذلك بأنهم قتلوا ذلك الشخص الذي قتلوه لا على يقين أنه عيسى لأنهم حين قتلوه كانوا شاكين هل هو عيسى أم لا ويجوز أن يكون تأكيدا لقوله ما قتلوه فيعود المعنى إلى تيقن عدم القتل يعني أنهم شاكون في أنهم هل قتلوه يقينا ثم أخبر محمدا صلى الله عليه وآله وسلم أن اليقين حاصل في أنهم ما قتلوه ، وهذا الاحتمال أولى من الأول لقوله : { بل رفعه الله إليه } لأنه إنما يصح هذا الإضراب إذا تقدم القطع واليقين بعدم القتل ، وأما قول المصنف

لم يكن إلا تهكما فمعناه أن الله إذا نفى عنهم أن يعلموه علم يقين وإحاطة يفهم منه أنهم علموه على الجملة ولا يستقيم هذا مع قوله { ما لهم بذلك من علم } إلا بأن يقال أن نفى ذلك عنهم ورد تهكما بهم.

(٢) قوله : تقديره وإن من أهل الكتاب أحد إلى آخره أي التقدير ليس من أهل الكتاب أحد بمنصف نصفه ما إلا بأن يقال في حقه والله ليؤمنن به ، لأن الجملة القسمية كالإنشائية لا تقع صفة إلا تأويل وإنما كان التقدير كذلك لأن الاستثناء مفرغ فهو من أعم عام الصفات ولا بد للصفة من موصوف فقدر أخذتم متصف بصفة ما لظهور ذلك. (٢٢٦/٣)

ونحوه: { وما منا إلا له مقام معلوم } (الصفات: ١٦٤) { وإن منكم إلا واردها { (مريم: ٧١) والمعنى: وما من اليهود والنصارى أحد إلا ليؤمنن قبل موته بعيسى، وبأنه عبد الله ورسوله، يعني: إذا عاين قبل أن ترهق روحه حين لا ينفعه إيمانه لانقطاع وقت التكليف. وعن شهر بن حوشب: قال لي الحجاج: آية ما قرأتها إلا تخالج في نفسي شيء منها يعني هذه الآية، وقال: إني أوتى بالأسير من اليهود والنصارى فأضرب عنقه فلا أسمع منه ذلك، فقلت: إن اليهودي إذا حضره الموت ضربت الملائكة دبره ووجهه وقالوا: يا عدو الله، أذاك موسى نبيا فكذبت به فيقول: آمنت أنه عبد نبي. وتقول للنصراني: أذاك عيسى نبيا فرعمت أنه الله أو ابن الله، فيؤمن أنه عبد الله ورسوله حيث لا ينفعه إيمانه. قال: وكان متكئا فاستوى جالسا فنظر إلي وقال: ممن؟ قلت: حدثني محمد بن علي بن الحنفية (١)، فأخذ ينكت الأرض بقضيبه ثم قال: لقد أخذتها من عين صافية، أو من معدنها. قال الكلبي: فقلت له: ما أردت إلى أن تقول (٢) أ حدثني محمد بن علي بن الحنفية. قال: أردت أن أغبطه، يعني بزيادة اسم علي، لأنه مشهور بابن الحنفية. وعن ابن عباس أنه فسره كذلك، فقال له عكرمة: فإن أتاه رجل فضرب عنقه قال: لا تخرج نفسه حتى يحرك بها شفتيه. قال: وإن خر من فوق بيت أو احترق أو أكله سبع قال: يتكلم بها في الهواء ولا تخرج روحه حتى يؤمن به. وتدل عليه قراءة أبي: "إلا ليؤمنن به قبل موتهم" بضم النون على معنى: وإن منهم أحد إلا سيؤمنون به قبل موتهم، لأن أحدا يصلح للجمع.

(١) قوله: ابن الحنفية بدل من محمد بن علي أو عطف بيان له لأنه مشهور به فهو كاللف. (٢) قوله: ما أردت إلى أن يقول أي ما أنهى إرادتك إلى قولك . (٢٢٧/٣)

فإن قلت: ما فائدة الإخبار بإيمانهم بعيسى قبل موتهم؟ قلت: فائدته الوعيد، وليكون

علمهم بأنهم لا بد لهم من الإيمان به عن قريب عند المعاينة، وأن ذلك لا ينفعهم،
بعثا لهم وتنبيها على معالجة الإيمان به في أوان الانتفاع به، وليكون إلزاما للحجة
لهم، وكذلك قوله: { ويوم القيامة يكون عليهم شهيدا } يشهد على اليهود بأنهم كذبوه،
وعلى النصارى بأنهم دعوه ابن الله. وقيل: الضميران لعيسى، بمعنى: وإن منهم أحد إلا
ليؤمنن بعيسى قبل موت عيسى، وهم أهل الكتاب الذين يكونون في زمان نزوله. روي:
(٣٢٧)

أنه ينزل من السماء في آخر الزمان، فلا يبقى أحد من أهل الكتاب إلا يؤمن به، حتى
تكون الملة واحدة وهي ملة الإسلام، ويهلك الله في زمانه المسيح الدجال، وتقع الأمانة
حتى ترتع الأسود مع الإبل، والنمور مع البقر، والذئاب مع الغنم، ويلعب الصبيان
بالحيات، ويلبث في الأرض أربعين سنة، ثم يتوفى ويصلي عليه المسلمون ويدفنونه. ويجوز
أن يراد أنه لا يبقى أحد من جميع أهل الكتاب إلا ليؤمنن به، على أن الله (١) يحييهم
في قبورهم في ذلك الزمان، ويعلمهم نزوله وما أنزل له، ويؤمنون به حين لا ينفعهم
إيمانهم. وقيل: الضمير في (به) يرجع إلى الله تعالى. وقيل: إلى محمد .

(١) قوله: على أن الله أي بناء على أن الله.

(٢٢٨/٣)

وOù=فàخ sù من الذين هادوا \$YB\$ Nxm خkژn=طيات أحلت لهم
وبصدهم عن سبيل الله

#[١٦٠] (Wx. وأخذهم) #/qt٤hچ\$٩# وقد نهوا عنه Nخgd=ur&r.
&tA`uqBr الناس

بالباطل وأعتدنا tûiحچدے"s3ù=د٩ منهم عذابا أليما (١٦١) لكن tbqم،TMچ\$٩#
في العلم

منهم والمؤمنون يؤمنون بما tA"حRé& إليك وما tA"حRé& من %s٦=dy7
والمقيمين الصلاة

والمؤتون الزكاة والمؤمنون بالله واليوم حج 1/2\$zFy# أولئك Nخkژد÷؟mYyTM أجرا
عظيما

اتدثب

}

فبظلم من الذين هادوا { فبأي ظلم منهم. والمعنى ما حرمننا (١) عليهم الطيبات إلا لظلم عظيم ارتكبه. وهو ما عدد لهم من الكفر (٢) والكبائر العظيمة.

(١) قوله: والمعنى ما حرمننا عليهم الطيبات إلا لظلم عظيم الحصر مستفاد من تقديم الجار والمجرور على العامل والتعظيم من ظلم.

(٢) قوله: وهو ما عدد لهم من الكفر والكبائر العظيمة ، أعلم أنه قرر أولاً أن الباء في { فيما نقضهم } إما أن تتعلق بمحذوف أي فعلنا بهم ما فعلنا ، وإما أن تتعلق بحرمننا على أن قوله فبظلم من الذين هادوا بدل من قوله { فيما نقضهم ميثاقهم } قال أبو البقاء : وتكرير الفاء في البديل لطول الكلام ، فقوله وهو ما عدد لهم من الكفر والكبائر إشارة إلى أن البديل هو المختار ، قال الطيبي: فيلزم أن يكون كفرهم بمحمد صلى الله عليه وآله وسلم وبعبسى أيضا موجبين لتحريم الطيبات وليس كذلك فإن الذي حرم عليهم إنما حرم عليهم في شرع موسى عليه السلام وإليه الإشارة بقوله تعالى { وعلى الذين هادوا حرمننا { الآية قال : وإذا تقرر ذلك فالوجه أن يكون { فيما نقضهم } متعلق بمحذوف ، وهو فعلنا بهم ما فعلنا ليتخلص من هذه الورطة ، وكذلك { وبصدهم } ويكون قوله { واعتدنا للكافرين منهم عذابا } على ذلك المقدر لاقتضائه معطوفا عليه وقد أقيم الكافرين مقام الضمير للإشعار بالعلية والمقدر من نحو اللعنة وضرب الذلة والمسكنة واستحقاق غضب الله وما أشبه ذلك ليجتمع لهم نكال الدارين ، وروي عن صاحب الكشف المنع من دخول الفاء في البديل ، واقول : إذا جعلنا وبكفرهم عطفًا على بكفرهم الواقع في حيز الإضراب المذكور استطرادا لهم لم يلزم ما ذكره ، وحصل الخلاص عما زعم أنه ورطة.

والطيبات التي حرمت عليهم: ما ذكره في قوله: { وعلى الذين هادوا حرمننا كل ذي ظفر } وحرمت عليهم الألبان، وكلما أذنبوا ذنبا صغيرا أو كبيرا حرم عليهم بعض الطيبات في المطاعم وغيرها { وبصدهم عن سبيل الله كثيرا } ناسا كثيرا أو صدا كثيرا { بالباطل } بالرشوة التي كانوا يأخذونها من سفلتهم في تحريف الكتاب { لكن الراسخون } يريد من آمن منهم، كعبد الله بن سلام وأضرابه، والراسخون في العلم الثابتون فيه المتقنون

المستبصرون { والمؤمنون } يعني المؤمنين منهم، أو المؤمنون من المهاجرين والأنصار. وارتفع الراسخون على الابتداء. و { يؤمنون } خبره. و { المقيمين } نصب على المدح لبيان فضل الصلاة، وهو باب واسع. وقد كسره سيبويه على أمثلة وشواهد. ولا يلتفت إلى ما زعموا من وقوعه لحنا في خط المصحف. وربما التفت إليه من لم ينظر في الكتاب ولم يعرف مذاهب العرب وما لهم في النصب على الاختصاص من الافتنان، وغبي عليه أن السابقين الأولين الذين مثلهم في التوراة ومثلهم في الإنجيل كانوا أبعد همة في الغيرة على الإسلام وذب المطاعن عنه، من أن يتركوا في كتاب الله ثلثة (١) ليسدها من بعدهم وخرقا يرفوه من يلحق بهم. وقيل: هو عطف على { بما أنزل إليك } أي يؤمنون بالكتاب وبالمقيمين الصلاة وهم الأنبياء. وفي مصحف عبد الله: "والمقيمون"، بالواو. وهي قراءة مالك بن دينار، والجحدري، وعيسى الثقفي.

(١) قوله: من أن يتركوا في كتاب الله ثلثة ليشدها من بعدهم لم يرد أنهم وجدوا ثلثة فأصلحوها إلا هذه بل أراد أنهم ما وجدوها أصلا قيتركوها أي لا وجدان ولا ترك. (٢٣١/٣)

* إنا &uZxm÷rr\$ إليك كما &uZxm÷rr\$ إلى نوح والنبيين من /èt÷%oond³⁄₄ !

ur&xm÷rr\$تuZ\$ إلى d"uٲدٲٲ/خ) وإسماعيل وإسحاق ويعقوب والأسباط وعيسى وأيوب ويونس وهارون وسليمان urٲsY÷ s?#u\$ داوود زبورا (١٦٣) ورسلا قد Nك"ٲsY"ء | ٲsء % عليك من قبل ورسلا لم نقصهم عليك وكلم الله موسى VJ\$تد=١64٦ (s? رسلا tûiخزٲ-B-e³t6 ومنذرين لئلا يكون للناس على الله حجة بعد الرسل وكان الله عزيزا VJ\$تٲٲ١65٣ xm) لكن الله يشهد بما &Rr"tAu إليك &Rr"u!s&¼م بعلمه والملائكة يشهدون وكفى بالله ky'خ% # اتدب }

إنا أوحينا إليك { جواب لأهل الكتاب عن سؤالهم رسول الله أن ينزل عليهم كتابا من السماء. واحتجاج عليهم بأن شأنه في الوحي إليه كشأن سائر الأنبياء الذين سلفوا. وقرئ "زبوراً" بضم الزاي جمع زبر وهو الكتاب { ورسلاً { نصب بمضمر في معنى: أوحينا إليك وهو: أرسلنا، ونبأنا، وما أشبه ذلك. أو بما فسره قصصناهم. وفي قراءة أبي: "ورسل قد قصصناهم عليك من قبل ورسل لم نقصصهم". وعن إبراهيم ويحيى بن وثاب: أنهما قرآ { وكلم الله { بالنصب. ومن بدع التفسير أنه من الكلم، وأن معناه وجرح الله موسى بأظفار المحن ومخالب الفتن { رسلاً مبشرين ومنذرين { الأوجه أن ينتصب على المدح (١). ويجوز انتصابه على التكرير. فإن قلت: كيف يكون للناس على الله حجة قبل الرسل، وهم محجوجون بما نصبه الله من الأدلة التي النظر فيها موصل إلى المعرفة، والرسل في أنفسهم لم يتوصلوا إلى المعرفة إلا بالنظر في تلك الأدلة، ولا عرف أنهم رسل الله إلا بالنظر فيها؟ قلت: الرسل منبهون عن الغفلة، وباعثون على النظر، كما ترى علماء أهل العدل والتوحيد مع تبليغ ما حملوه من تفضيل أمور الدين وبيان أحوال التكليف وتعليم الشرائع، فكان إرسالهم إزاحة للعلة وتتميماً للإلزام بالحجة، لئلا يقولوا: لولا أرسلت إلينا رسولا فيوقظنا من سنة الغفلة وينبهنا لما وجب الانتباه له. وقرأ السلمي: لكن الله يشهد، بالتشديد.

)

(١) قوله: الأوجه أن ينتصب على المدح أراد أنه يجوز نصبه على التكرير مع تعلق شيء به لم يتعلق به أولاً وأن ينتصب على المدح وقد علم أن الشرط فيه أن يكون الممدوح مشهوراً معروفاً بصفات الكمال ويكون هذا الوصف المذكور غاية في بابه فكم بين الاعتبارين.

فإن قلت: الاستدراك لا بد له من مستدرك فما هو قوله: { لكن الله يشهد { ؟ قلت: لما سأل أهل الكتاب إنزال الكتاب من السماء وتعتنوا بذلك واحتج عليهم بقوله: { إنا أوحينا إليك { قال: { لكن الله يشهد { ؟ قلت: لما سأل أهل الكتاب إنزال الكتاب من السماء وتعتنوا بذلك واحتج عليهم بقوله: { إنا أوحينا إليك { قال: لكن الله يشهد،

بمعنى أنهم لا يشهدون لكن الله يشهد. وقيل: لما نزل { إنا أوحينا إليك } قالوا: ما نشهد لك بهذا، فنزل { لكن الله يشهد } ومعنى شهادة الله بما أنزل إليه: إثباته لصحته بإظهار المعجزات، كما تثبت الدعاوى بالبينات. وشهادة الملائكة: شهادتهم بأنه حق وصدق. فإن قلت: بم يجابون لو قالوا: بم يعلم أن الملائكة يشهدون بذلك؟ قلت: يجابون بأنه يعلم بشهادة الله، لأنه لما علم بإظهار المعجزات أنه شاهد بصحته علم أن الملائكة يشهدون بصحة ما شهد بصحته؛ لأن شهادتهم تبع لشهادته. فإن قلت: ما معنى قوله: { أنزله بعلمه } وما موقعه من الجملة التي قبله؟ قلت: معناه أنزله ملتبسا بعلمه الخاص (١)

(١) قوله: أنزله ملتبسا بعلمه الخاص، اعلم أن قوله أنزله بعلمه إما أن يجري على المجاز أو على الحقيقة والجار والمجرور على الأول حال من المفعول، ويحتمل أمرين في الثاني إما المعنى على الوجه الأول فهو ما ذكره أنزله ملتبسا بعلمه الخاص الذي لا يعلمه غيره فالعلم على هذا مجاز عن التأليف على نظم معجز والعلاقة هي النسبة التي بين الفاعل والفعل لأن الفاعل الحكيم لا يصدر عنه إلا الفعل المحكم البديع ولا ارتياب في أن مثل هذا العلم الخاص يصح أن يستشهد به على صحة الدعوى ولهذا كان قوله: { أنزله بعلمه } بيانا للشهادة وعلى الثاني الجار والمجرور إما حال من الفاعل والمعنى أنزله وهو عالم بأنك أهل لأنزله إليك لأنك من أولي العزم أو من المفعول والمعنى أنزله ملتبسا بما علم من المصالح مشتملا عليه بدل من الحال.. (٢٣٤/٣)

الذي لا يعلمه غيره، وهو تأليفه على نظم وأسلوب يعجز عنه كل بليغ وصاحب بيان، وموقعه مما قبله موقع الجملة المفسرة لأنه بيان للشهادة، وأن شهادته بصحته أنه أنزله بالنظم المعجز الفائق للقدرة. وقيل أنزله وهو عالم بأنك أهل لأنزله إليك وأنك مبلغه. وقيل: أنزله مما علم من مصالح العباد مشتملا عليه. ويحتمل: أنه أنزل (١) وهو عالم به رقيب عليه حافظ له من الشياطين برصد من الملائكة، والملائكة يشهدون بذلك، كما قال في آخر سورة الجن. ألا ترى إلى قوله تعالى: { وأحاط بما لديهم } والإحاطة بمعنى العلم { وكفى بالله شهيدا } وإن لم يشهد غيره، لأن التصديق بالمعجزة هو الشهادة حقا { قل أي شيء أكبر شهادة قل الله }.
إن الذين كفروا وصدوا عن سبيل الله قد ضلوا ضلالا بعيدا (١٦٧) إن الذين كفروا

وظلموا لم يكن الله uچدے۹دو لهم ولا كNك%odgtfك۹دو\$،fحج sغ (١٦٨)
 إلا t,fحج sغ
 جهنم \$dtûح"yz" فيها أبدا وكان 7dy٩ sCE٢٢ على الله # [ج،و] "١٦٩)
 }

(١) قوله: ويحتمل أنه أنزله وهو عالم به تفسير آخر ضمن فيه العلم معنى الرقيب
 والحافظ ، وجعل الجار والمجرور فيه حالا من الفاعل وقرينة التضمين ذكر المليكة بعده
 وعلى هذين الوجهين أنزله لا يكون بيانا.
 (٢٣٥/٣)

كفروا وظلموا { جمعوا بين الكفر والمعاصي، وكان بعضهم كافرين(١)

(١) قوله: أو كان بعضهم كافرين وبعضهم ظالمين قال بعض الأفاضل المعنى الثاني لا
 يصلح أن يكون مرادا لأنه لو كان مرادا لوجب إعادة الموصول لأتهما فريقان مختلفان
 حينئذ فيقال إن الذين كفروا والذين ظلموا كما في قوله تعالى : { إن الذين آمنوا
 والذين هادوا } ، ثم قال: وجواب هذا الاعتراض أن يقال قد ينسب الفعل الصادر من
 بعضهم إلى جميعهم كما يقال : قتل بنو فلان زيدا وإن كان قتله واحد منهم فكذا يقول
 هنا لما صدر الكفر عن بعضهم نسب إلى جميعهم ف قيل الذين كفروا وظلموا فتأمل ، وقلت
 وتأملنا فوجدنا الجواب غير صحيح لوجهين أحدهما أنه إنما يجوز نسبة
 القتل إلى بني فلان إذا رضوا بقتله ومثل هذا لا يمكن فيما نحن فيه لأن الظالم لم
 يرض بالكفر إذ لو رضي به لكان كافرا والكافر قد لا يرضى بظلم الفاسق ولا يخطر بباله
 فضلا أن يرضى به ، والثاني : أن الفرق ظاهر بين ما نحن فيه وبين ما مثل به لأن بني
 فلان طائفة واحدة صدر فعل عن واحد منهم فجاز نسبته إلى جميعهم والكافرون والظالمون
 على هذا التقدير طائفتان صدر عن كل من واحد من الطائفتين فعل غير الذي صدر عن
 الأخرى ، والجواب عما ذكره أنه قد يسقط الموصول المعطوف على موصول قبله للعلم به مع
 تفاصيله كقول حسان:

أمن يهجو رسول الله منكم ... ويمدحه وينصره سواء
 التقدير أمن يهجو رسول الله منكم أيها المشركون ومن يمدحه منا وينصره سواء ، وكقول
 الآخر

منا الذي دأبه احتياط وحزم ... وهواه أطاع يستويان
أراد الذي هواه أطاع ، وكقول الآخر في حذف الموصول وإن لم يعطف على الموصول آخر .
لعمري لأنت البيت أكرم أهله ... واقعد في أفنائه الأصائل
أراد الذي أكرم أهله ، وقال الكوفيون في قوله تعالى : { وما منا إلا له مقام معلوم
{ التقدير إلا من له مقام معلوم ، ونحوه قول أبي الطيب :
بيئس الليالي سهرت من طربي

ولا وجه لمنع متقدمي البصريين من ذلك من حيث القياس إذ قد يحذف بعض حروف الكلمة
وإن
كان فاء أو عينا أو لا ما ، وليس اتصال الصلة بالموصول بأشد من اتصاله بالكلمة ، هذا
والظاهر وسياق الآيات يدل على أن المراد بالذين كفروا وظلموا الذين كفروا وصدوا وهم
كفار أهل الكتاب .
(٢٣٦/٣)

وبعضهم ظالمين أصحاب كبائر ، لأنه لا فرق بين الفريقين في أنه لا يغفر لهما إلا
بالنوبة { ولا ليهديهم طريقا { لا يلفظ بهم فيسلكون الطريق الموصول إلى جهنم(١) . أو
لا يهديهم يوم القيامة طريقا إلا طريقها { يسيرا { أي لا صارف له عنه .
tf"~'r%oJpk\$ الناس قد جاءكم الرسول بالحق من ربكم فآمنوا # [زج yz لكم وإن
تكفروا فإن
الله ما في 9\$#،،yJ"N`uq والأرض وكان الله 9\$#،،yJ"N`uq (xm 170٣) يا
أهل الكتاب
لا تغلوا في دينكم ولا تقولوا على الله إلا الحق إنما المسيح عيسى ابن مريم رسول
الله ے ur۲=دçmçFyJ¼ ألقاها إلى مريم وروح منه فآمنوا بالله ۴د&ح#ك'urTM
ولا تقولوا
ثلاثة انتهوا # [زج yz لكم إنما الله إله س m`urد%و ے m`urد%و ے 7"çmsY¼ أن يكون
له ولد له ما
في 9\$#،،yJ"N`uq وما في الأرض وكفى بالله وكيلا اتذنب
}

(١) قوله: فيسلكون الطريق الموصل إلى جهنم هذا على أن المراد بالهدى الدلالة الموصلة إلى البغية وهو من باب التهكم كقوله تحيته سهم ضرب وجميع ، وقوله أولا يهديهم يوم القيامة على أن الهداية مجرد الدلالة هكذا ، قال الطيبي: والظاهر أن أراد بالهداية أولا اللطف ، وثانيا الدلالة الموصلة إلى البغية على سبيل التهكم فليتأمل ذلك.
(٢٣٧/٣)

فأمنوا خيرا لكم { وكذلك } انتهوا خيرا لكم { انتصابه بمضمر، وذلك أنه لما بعثهم على الإيمان وعلى الانتهاء عن التثليث علم أنه يحملهم على أمر فقال: { خيرا لكم } أي اقصدا، أو ائتوا أمرا خيرا لكم مما أنتم فيه من الكفر والتثليث. وهو الإيمان والتوحيد { لا تغلوا في دينكم } غلت اليهود في حط المسيح عن منزلته، حيث جعلته مولودا لغير رشدة. وغلت النصارى في رفعه عن مقداره حيث جعلوه لها { ولا تقولوا على الله إلا الحق } وهو تنزيهه عن الشريك والولد. وقرأ جعفر بن محمد "إنما المسيح"

بوزن السكيت. وقيل لعيسى (كلمة الله) (وكلمة منه) لأنه وجد بكلمته وأمره لا غير، من غير واسطة أب ولا نطفة. وقيل له: روح الله، وروح منه، لذلك، لأنه ذو روح وجد من غير جزء من ذي روح، كالنطفة المنفصلة من الأب الحي وإنما اخترع اختراعا عند الله وقدرته خالصة. ومعنى { ألقاها إلى مريم } أوصلها إليها وحصلها فيها { ثلاثة } خبر مبتدأ محذوف، فإن صحت الحكاية عنهم أنهم يقولون: هو جوهر واحد ثلاثة أقانيم، أقنوم الأب، وأقنوم الابن، وأقنوم روح القدس. وأنهم يريدون بأقنوم الأب: الذات، وبأقنوم الابن: العلم، وبأقنوم روح القدس: الحياة، فتقديره الله ثلاثة؛ وإلا فتقديره: الآلهة ثلاثة. والذي يدل عليه (١) القرآن التصريح منهم بأن الله والمسيح ومريم ثلاثة آلهة، وأن المسيح ولد الله من مريم. ألا ترى إلى قوله: { ءأنت قلت للناس اتخذوني وأمي الهين من دون الله } ، { وقالت النصارى المسيح ابن الله } والمشهور المستفيض عنهم أنهم يقولون: في المسيح لاهوتية وناسوتية من جهة الأب والأم.

(١) قوله: والذي يدل عليه يعني حكى عن النصارى المذهبان والذي يدل عليه القرآن الثاني.
(٢٣٨/٣)

ويدل عليه(١) قوله: { إنما المسيح عيسى ابن مريم } فأثبت أنه ولد لمريم اتصل بها اتصال الأولاد بأمهاتها، وأن اتصاله بالله تعالى من حيث أنه رسوله، وأنه موجود بأمره وابتداعه جسدا حيا من غير أب، فنفي أن يتصل به اتصال الأبناء بالآباء.

وقوله(٢): { سبحانه أن يكون له ولد } وحكاية الله أوثق من حكاية غيره. ومعنى { سبحانه أن يكون له ولد } سبحة تسبيحا من أن يكون له ولد. وقرأ الحسن: "إن يكون"، بكسر الهمزة ورفع النون: أي سبحانه ما يكون له ولد. على أن الكلام جملتان(٣) { له وما في السماوات وما في الأرض } بيان لتزده عما نسب إليه، يعني أن كل ما فيهما خلقه وملكه، فكيف يكون بعض ملكه جزءا منه، على أن الجزء إنما يصح في الأجسام وهو متعال عن صفات الأجسام والأعراض { وكفى بالله وكيفا } يكل إليه الخلق كلهم أمورهم، فهو الغني عنهم وهم الفقراء إليه.

لن يستنكف المسيح أن يكون عبدا لله ولا الملائكة المقربون ومن يستنكف عن عبادته

رّة ٩٦٦ G٩٦ tG٩٦ Nèdtfur | م٣ su، à³sù إليه جميعا اتذب

}

(١) قوله: ويدل عليه أي على أنهم يقولون في المسيح اللاهوتية والناسوتية رده تعالى عليهم بإنما فإنه من القصر الإفرادي نفى بقوله: { إنما المسيح عيسى بن مريم } أحد ما وهو اللاهوتية وقصر الحكم على الآخر وهو الناسوتية ، وقوله سبحانه عطف على قوله إنما المسيح.

(٢) قوله: سبحانه بلا واو قيل قوله على أنه فاعل فبقي أن

(٣) قوله: على أن الكلام جملتان وكان على القراءة الأولى جملة واحدة.

(٢٣٩/٣)

لن يستنكف المسيح { لن يأنف ولن يذهب بنفسه عزة من نكفت الدمع، إذا نحيته عن خدك بأصابعك } ولا الملائكة المقربون { ولا من هو أعلى منه قدرا(١) وأعظم منه خطرا وهم الملائكة الكروبيون(٢) الذين حول العرش، كجبريل وميكائيل وإسرافيل، ومن في طبقتهم. فإن قلت: من أين دل قوله: { ولا الملائكة المقربون } على أن المعنى: ولا من فوقه؟ قلت: من حيث أن علم المعاني لا يقتضي غير ذلك. وذلك أن الكلام إنما سيق لرد مذهب النصارى وغلوهم في رفع المسيح عن منزلة العبودية، فوجب أن يقال لهم: لن يترفع عيسى

عن العبودية، ولا من هو أرفع منه درجة، كأنه قيل: لن يستكف الملائكة المقربون من العبودية، فكيف بالمسيح؟ ويدل عليه دلالة ظاهرة بينة، تخصيص المقربون (٣) لكونهم أرفع الملائكة درجة وأعلاهم منزلة. ومثاله قول القائل:

وما مثله ممن يجاود (٤)

(١) قوله: ولا من هو أعلى رتبة منه ، قال بعض الأفاضل هذا إنما يصح أن لو كان المراد رد مذهب النصارى فقط أما إذا كان المراد رد مذهب عبدة الملائكة فلا يتم ما

قاله، أقول: إن سياق هذه الآية وما قبلها من قوله لا تعلوا يدل على أن المراد مذهب النصارى فقط إذ لم يجر لمذهب عبدة الملائكة ذكر وهذه الآية وإن دلت على رد مذهبهم لكن المقصود بالكلام غيرهم.

(٢) قوله: الكروبيون هم سادة الملائكة منهم جبريل وميكائيل وإسرافيل وهو من كرب إذا قرب ، ومعنى القرب في أشد والياء للمبالغة لا للتشبه مثلها في أحمرى و.....

(٣) قوله: ويدل عليه تخصيص المقربين قال ذلك الفاضل وجوابه أنه خص المقربين لأنهم كانوا يعبدونهم دون غيرهم ، وقلت هذا الجواب بناء على أنه رد لقول عابدي الملائكة لا لقول النصارى وقد بينا ما فيه.

(٤) قوله: وما مثله ممن يجاود حاتم ... ولا البحر ذو الأمواج يلتج زاخره ولا التجرد والأمواج تلج زاخرة

أي وما مثل الممدوح ممن يغالبه حاتم في الجود والتجرد والأمواج تضطرب وترتفع طامئة وقوله يلج في محل الحال وكان جود البحر من هذه الحال فوق جوده حال سكونه فهذه الحال مشابهة للصفة في قوله المقربون في دلالة كل منهما على فضل الملائكة والبحر على عيسى وحاتم.

وما مثله ممن يجاود حاتم .. البيت . أي لا به في الكرم حاتم ولا من فوقه وهو البحر ، وفيه نظر لأن المثال لا يصحح به الكلي ولأنه إنما يدل لسبق زيادة البحر على حاتم أما إذا قلت لا يفعله زيد ولا عمرو لا يفهم التفضيل فدلالته على تفضيل الملائكة تتوقف على معرفة فضيلتهم وبالعكس فيدور ولأن الواو لا توجب الترتيب ، ولأنه يدل على أن جميع الملائكة أفضل لأنها جمع معرف فيفيد العموم لا أن كل واحد أفضل وهو المطلوب ، وإن ادعى أنه ذوقي وحداني فالوحدانيات لا يستدل بها على الخصم ،

وأقول: لما قال علم المعاني إلى آخره اضمحلت أكبر الأنظار التي أوردتها لأن أدلة علماء المعاني أكثرها خطاييات يقتنع فيه بما يفيد الظن أما الأول فلأن علماء المعاني يصححون بالمثل الكلي وأما الثاني فالجواب عنه أن المدعى أن فوقه(.....)

البحر علمت من تأخيره في مقام المدح عن المجاودة وذلك لا ينافي أن يكون له فوقية في نفسه وإنما قلنا ذلك لأنه يترقى في مثل هذا المقام من الأدنى إلى الأعلى أما لو تساوى المعطوف والمعطوف عليه في نفس الأمر فأنت بالخيار في تقديم أيهما شئت كما في نحو لا يفعله زيد ولا عمرو فكذلك في الآية لما كان المقام مقام إظهار العبودية وعدم الإستنكاف وقد وقع الاتفاق على عدم تساوي عيسى والملائكة فحينئذ إما أن يكون الملائكة أفضل من عيسى أو بالعكس فإن كان الأول فهو المدعى وإن كان الثاني لم يجز لمخالفة القياس الذي هو الترقى من الأدنى إلى الأعلى وليس نظير ما في البيت والآية ما مثل به من قوله لا يفعله زيد ولا عمرو بل نظير ما فيهما أن يقول لا يقاوم زيد عمرو ولا الأسد ولا يستنكف عن الاعتراف بفضله عمرو ولا العلماء المبرزيون ولا شك أن فحوى الكلام يدل على أن شجاعة الأسد وفضل العلماء المبرزين فوق شجاعة عمرو وفضله ، أما الثالث فالجواب عنه أنا لم نستفد الترتيب من الواو فقط حتى يقول الواو ليست للترتيب بل استفدناه من الواو بالنظر إلى المقام ، وأما الرابع فالجواب عنه أن السابق إلى الفهم في مثل هذا المقام أن كل واحد من الملائكة لا يستكف عن العبودية لا المجموع من حيث هو مجموع ، وأما قوله إن ادعى أنه ذوقي إلى آخره فليس بشيء بعد تسليم أنه بحسب المعاني لأن الذوق حجة عندهم على صاحب علم المعاني إذا أنصف من نفسه

وطرح رداء التعصب.

(٢٤٠/٣)

حاتم

لا شبهة في أنه قصد بالبحر ذي الأمواج: ما هو فوق حاتم في الجود. ومن كان له ذوق فليذق(١)

(١) قوله: ومن كان له ذوق فليذق إلى آخره أراد أن تأخير الملائكة عن المسيح مع

وصفهم بالقرب في مقام نفى الاستكاف عنهم يدل على أفضليتهم كما إذا قلت لن يستكف عمرو ولا الفضلاء المبررون عن الاعتراف بفضل زيد فإنه يفهم منه أن الفضلاء المبررين

أفضل من عمرو وكما إذا قلت: لن يستكف الوزير عن هذا ولا السلطان ولو عكست الكلام وقلت لن يستكف السلطان ولا الوزير لرسفت بسهام الملام لخروجك عن مقتضى المقام والسنن الذي عليه بريت الكلام إذ في مثل هذا المقام يلزم الترقى من الأدنى إلى الأعلى ، ثم قال ذلك الفاضل : ولقائل أن يقول ما ادعاه المصنف من الذوق لا يدل عليه الذوق ولا غيره بل لما عجز المصنف عن الجواب أحال على الذوق لئلا يجتري أحد على الإنكار لئلا يقال للمنكر لا ذوق لك وأمثال ذلك لا يعتد بها ، أقول: أي سؤال ورد على المصنف حتى يقال أنه قال ذلك لما عجز عن الجواب عنه ، وأما قوله إن الذوق لا يدل عليه فمسلم إن أراد ذوق نفسه إذ ربما لا يكون من أهل الذوق وإن أراد ذوق غيره ممن ألهم الصواب وأوتي حظا من البلاغة وفصل الخطاب فلا يسلم أنهم لا يدركون ذلك ومن أين علم أنهم لا يدركون ذلك بذوقهم ، ونظير هذا ما لو قال رجل أن حاد النصر يدرك السهى فإنه ليس لأحد منع ذلك اللهم إلا أن يحكي عن نفسه لضعف بصره..
(٢٤١/٣)

مع هذه الآية قوله: { ولن ترضى عنك اليهود ولا النصارى } حتى يعترف بالفرق (١) البين. وقرأ علي رضي الله عنه: "عبدا لله"، على التصغير. وروي (٣٢٨) أن وفد نجران قالوا لرسول الله: لم تعيب صاحبنا؟ قال: ومن صاحبكم؟ قالوا: عيسى. قال: وأي شيء أقول؟ قالوا: تقول: إنه عبد الله ورسوله. قال: إنه ليس بعار أن يكون عبدا لله. قالوا: بلى، فنزلت: أي لا يستكف عيسى من ذلك فلا تستكفوا له منه، فلو كان موضع استكاف لكان هو أولى بأن يستكف لأن العار ألصق به.

(١) قوله: حتى يعترف بالفرق البين قيل المراد يعترف بالفرق بين الواوين فإن الواو في هذه الآية تدل بحسب المقام على الترقى من الأدنى إلى الأعلى كما قرره و في الآية الأخرى الآية لا تدل على شيء مما ذكره إذ لم يساعدها المقام حتى تدل ،

وقال: الطيبي تعرف بالفرق بين ما قبل الواو وبين ما بعدها في الآيتين ليعرف الفرق بينهما في معنى الأفضلية وذلك أن قوله: { ولن ترضى عنك اليهود ولا النصارى } كلام وارد في انتفاء الرضى عن الفريقين على المبالغة فنفى الرضى أولا عمن هو أبعد في الرضى وهم اليهود ثم عمن هو أقرب إليه وهم النصارى على معنى لا يرضى عنك من هو

أقرب

إلى الرضى لقلّة عداوته وهم النصارى أي فكيف بمن هو أبعد منه لشدة عداوته وهم اليهود
كما أن معنى هذه الآية على زعمه لن يستنكف الملائكة المقربون مع جلالهم وقربهم من
أن يكونوا عبيد الله فكيف بالمسيح الذي هو دونهم ، وقال صاحب التقريب : قيل يقتضي
علم المعاني دلالة الآية على تفضيل الملائكة أي لن يستنكف عيسى عن عبوديته ولا من
فوقه من الملائكة المقربين كقوله :

(٢٤٢/٣)

فإن قلت: علام عطف قوله: { ولا الملائكة } ؟ قلت: لا يخلو إما أن يعطف على المسيح،
أو على اسم (يكون) أو على المستتر في (عبدا) لما فيه من معنى الوصف، لدلالته على
معنى العبادة، كقولك: مررت برجل عبد أبوه، فالعطف على المسيح هو الظاهر لأداء غيره
إلى ما فيه بعض انحراف عن الغرض، وهو أن المسيح لا يأنف أن يكون هو(١) ولا من فوقه
موصوفين بالعبودية، أو أن يعبد الله هو ومن فوقه. فإن قلت: قد جعلت الملائكة وهم
جماعة عبدا لله في هذا العطف، فما وجهه؟ قلت: فيها وجهان: أحدهما أن يراد: ولا كل
واحد من الملائكة أو ولا الملائكة المقربون أن يكونوا عبادا لله، فحذف ذلك لدلالة
(عبد الله) عليه إيجازا. وأما إذا عطفهم على الضمير في (عبدا) فقد طاح هذا السؤال.
قرئ "فسيحشرهم" بضم الشين وكسرهما وبالنون.

فأما الذين آمنوا وعملوا الصالحات فليس لهم أجرهم أجورهم Nèd ك%فح"tfur من
سùد3/4ح&#ز
وأما الذين استنكفوا (مژ#ur\$F™t93y فيعذبهم عذابا أليما ولا يجدون لهم من دون
الله وليا ولا # [زچاء173) tR) يا أيها الناس قد جاءكم برهان من ربكم
ur&Rr"uZ9u\$!

ن9س9خ) نورا YY\$ خ٦-174) B) فأما الذين آمنوا بالله واعتصموا به
سù، |م%gè=1/2zôN
في رحمة منه @Nzùur خsùur Njô@%د%ook÷%our%ku إليه W\$ غu"زاه
B,tG- اتذخب VJ\$طّة

(١) قوله: لا يأنف أن يكون هو ولا من فوقه هذا على تقدير العطف على اسم يكون ،
وإنما كان منحرفا لأن اسناد عدم الاستنكاف حينئذ إليه لا إلى الملائكة والذي سيق له

الكلام عدم استنكاف الملائكة ، وقال صاحب التريب : وجود لا في المعطوف يستدعي العطف على المسيح لأنه المنفي أولا .
(٢٤٣/٣)

فإن قلت: التفصيل غير مطابق للمفصل؛ لأنه اشتمل على الفريقين، والمفصل على فريق واحد. قلت: هو مثل قولك: جمع الإمام الخوارج، فمن لم يخرج عليه كساه وحمله، ومن خرج عليه نكل به، وصحة ذلك لوجهين، أحدهما: أن يحذف ذكر أحد الفريقين لدلالة التفصيل عليه، ولأن ذكر أحدهما يدل على ذكر الثاني، كما حذف أحدهما في التفصيل في قوله عقيب هذا { فأما الذين بالله واعتصموا به } والثاني، وهو أن الإحسان(١) إلى غيرهم مما يغمهم، فكان داخلا في جملة التكيل بهم فكأنه قيل: ومن يستنكف عن عبادته ويستكبر، فسيعذب بالحسرة إذا رأى أجور العاملين وبما يصيبه من عذاب الله. البرهان والنور المبين: القرآن. أو أراد بالبرهان دين الحق أو رسول الله . وبالنور المبين: ما يبينه ويصدق من الكتاب المعجز { في رحمة منه وفضل } في ثواب مستحق وتفضل { ويهديهم إليه } إلى عبادته { صراطا مستقيما } وهو طريق الإسلام. والمعنى: توفيقهم وتثبيتهم.

(١) قوله: والثاني وهو أن الإحسان حاصلة أن قوله { فسيحشرهم إليه جميعا } وعيد للمستنكفين بالعذاب ، وقوله { فأما الذين آمنوا } تفصيل للعذاب وقد فصله بنوعين أحدهما النكال وثانيهما عذاب الحسرة وشماتة الأعداء ، وحاصل الجوابين أن قوله { فسيحشرهم إليه جميعا } من اللف أما على الحف أو على التضمين فعند التحقيق التفصيل على الوجه الأول مطابق للمفصل باعتبار المعنى لا باعتبار اللفظ وعلى الثاني مطابق له باعتبار اللفظ.
(٢٤٤/٣)

يستفتونك قل الله يفتيكم في الكلالة إن (#\$Dفگ\$) هلك ليس له ولد وله أخت فلها نصف

ما 8u xç؟ وهو !O\$ygeçtf إن لم يكن لها ولد فإن كانتا اثنتين فلهما الثلثان مما 8u xç؟ وإن (#%Rçû. إخوة رجالا [!\$|، Surç.x%#@=sù مثل

إلمJe الأنثيين يبين

الله لكم أن تضلوا والله بكل شيء O٧تد=و (١٧٦) {
(٢٤٥/٣)

روي أنه آخر ما نزل من الأحكام. (٣٢٩) كان رسول الله في طريق مكة عام حجة الوداع،
فأتاه جابر بن عبد الله فقال: إن لي أختا، فكم آخذ من ميراثها إن ماتت؟ وقيل: (٣٣٠)
كان مريضا فعاده رسول الله فقال: إني كلاله فكيف أصنع في مالي؟ فنزلت { إن امرؤ هلك
{ ارتفع امرؤ بمضمر يفسره الظاهر. ومحل { ليس له ولد { الرفع على الصفة لا النصب
على الحال (١). أي: إن هلك امرؤ غير ذي ولد. والمراد بالولد الابن (٢) وهو اسم مشترك
يجوز إيقاعه على الذكر وعلى الأنثى؛ لأن الابن يسقط الأخت، ولا تسقطها البنت إلا في
مذهب ابن عباس، وبالأخت التي هي لأب وأم (٣) دون التي لأم، لأن الله تعالى فرض لها
النصف وجعل أخاها عصبة وقال: { للذكر مثل حظ الأنثيين { وأما الأخت للأم فلها السدس
في آية المواريث مسوى بينها وبين أخيها { وهو يرثها { وأخوها يرثها إن قدر الأمر
على العكس من موتها وبقائه بعدها { إن لم يكن لها ولد { أي ابن؛ لأن الابن يسقط
الأخ دون البنت.

(١) قوله: لا للنصب على الحال لأن ذا الحال نكرة غير موصوفة لأن هلك مفسر للفعل
المحذوف لا صفة.

(٢) قوله: والمراد بالولد الابن إلى آخره قيل الأولى أن يجري الولد على عمومته ليشمل
الابن والبنت فإن الأخت مع وجود البنت الواحدة ترث بالعصبة بخصوصية كون النصب ،
ويوضح ذلك قوله تعالى : { فإن كانتا اثنتين { فإن البنتين إنما يحوزان الثلثين بشرط

عدم الولد لا بشرط عدم الابن فقط ، والحاصل أنه تعالى فرض للخت النصف عند عدم الولد
وهو مطرد لا اشكال في منطوقه ، وأما إذا انتفى قيد عدم الولد فالحكم أيضا ظاهر لأنه
إن كان له ابن أو ابن وبنت فلا شيء للأخت وإن كان له بنتان فليس لها النصف وكذا إن
كان له بنت لأنها حينئذ ترث بالعضوية لا بالعرضية .

(٣) قوله: وبالأخت التي هي لأب وأم أو لأب دون التي لأم عطف على قوله بالولد الابن
يريد أن قوله وله أخت وإن كان مطلقا لكنه مقيد.

(٢٤٦/٣)

فإن قلت: الابن لا يسقط الأخ وحده فإن الأب نظيره في الإسقاط، فلم اقتصر على نفي الولد؟ قلت: بين حكم انتفاء الولد (١)، ووكل حكم انتفاء الوالد إلى بيان السنة، وهو قوله عليه السلام: (٣٣١) "ألحقوا الفرائض بأهلها فما بقي فأولى عصبه ذكر" والأب أولى من الأخ، وليس بأول حكمين بين أحدهما بالكتاب والآخر بالسنة. ويجوز أن يدل بحكم انتفاء الولد على حكم انتفاء الوالد، لأن الولد أقرب إلى الميت من الوالد، فإذا ورث الأخ عند انتفاء الأقرب (٢)، فأولى أن يرث عند انتفاء الأبعد: ولأن الكلالة تتناول انتفاء الوالد والولد جميعا، فكان ذكر انتفاء أحدهما دالا على انتفاء الآخر. فإن قلت: إلى من يرجع ضمير التثنية والجمع في قوله: { فإن كانتا اثنتين } وإن كانوا إخوة؟ قلت: أصله: فإن كان من يرث بالأخوة اثنتين، وإن كان من يرث بالأخوة ذكورا وإناثا: وإنما قيل: فإن كانتا، وإن كانوا، كما قيل: من كانت أمك. فكما أنث ضمير (من) لمكان تأنيث الخبر، كذلك ثني وجمع ضمير من يرث في كانت وكانوا، لمكان تثنية الخبر وجمعه، والمراد بالإخوة، الإخوة لا الأخوات، تغليبا (٣)

(١) قوله: بين حكم انتفاء الولد أي من حكم اشتراط انتفاء الولد على حذف المضاف وإقامة المضاف إليه مقامة، أوسمي الشرط حكما ولما كان هذا أعني انتفاء الولد شرطا للارث سماه حكما.

)

(٢) قوله: فإذا ورث الأخ عند انتفاء الأقرب فأولى أن يرث عند انتفاء الأبعد، قال صاحب التقريب وفيه نظر ووجه النظر أن الأولوية إنما هي في الإثبات هنا كما يقال إذا ورث عند وجود الابن فأولى أن يرث عند وجود الأب لأنه أبعد من الأبن، وأما في النفي فلا لأن الحكم إذا ثبت لانتفاء الصارف القوي لا يلزم لانتفاء الصارف الضعيف. (٣) قوله: تغليبا هو مفعول له لأن قوله والمراد في معنى قولك أراد بالأخوة فهو فعل لفاعل الفعل المعلن فحذف اللام، ويجوز أن يكون مفعولا مطلقا أي غلب حكم الذكورة تغليبا ..

(٢٤٧/٣)

لحكم الذكورة { أن تضلوا } مفعول له. ومعناه: كراهة (١) أن تضلوا. عن النبي: (٣٣٢) "من قرأ سورة النساء فكأنما تصدق على كل مؤمن ومؤمنة ورث ميراثا، وأعطى من الأجر كمن اشترى محررا، وبرىء من الشرك وكان في مشيئة الله من الذين يتجاوز عنهم.

سورة المائدة

بسم الله الرحمن الرحيم

{ يا أيها الذين (YtB#uûq# ن أوفوا بالعقود أحلت لكم kJpY٥خ الأنعام إلا

ما يتلى

عليكم غير محلي الصيد وأنتم حرم إن الله يحكم ما كf%٥ حجم f اتب
يقال وفي بالعهد وأوفى به ومنه: والموفون بعهدهم. والعقد: العهد الموثق، شبه بعقد
الحبل ونحوه، قال الحطية(٢):

قوم إذا عقدوا عقدا لجارهم ... شدوا العناج وشدوا فوقه الكربا

(١) قوله: ومعناه كراهة أن تضلوا قال الكوفيون: التقدير لنلا تضلوا كما في قوله
تعالى: { إن الله يمسك السماوات والأرض أن تزولا } أي لئلا تزولا ومحل أن يضلوا
مجرور أي لا تنفأ ضلالكم ، وقال البصريون: حذف لا غير جائز بخلاف حذف المضاف فإنه
جائز كثير فهو على حذف المضاف كما قاله المصنف.

(٢) سورة المائدة

بسم الله الرحمن الرحيم

قوله: : قوم إذا عقدوا عقدا لجارهم ... شدوا العناج وشدوا فوقه الكربا
مدح الحطية بذلك بني أنف الناقة وبعده:

قوم هم الأنف والأدبار غيرهم ... ومن يساوي بأنف الناقة الدنيا

العناج حبل يشد في أسفل الدلو والكرب الحبل الذي يشد في وسط العراقي ، والعرقوبان
الخشيتان المعروضان على الدلو لما أراد وصفهم بوفاء العهد استعار عقد الحبل على
الدلو ثم رشح الإستعارة بشدة العناج ثم بشد الكرب لأنهما لتوثيق والاحتياط وموجب
التكليف قيل هي مساقطة وهي جميع ما يتعلق به التكليف.

(٢٤٨/٣)

وهي عقود الله التي عقدعا على عباده وألزمها إياهم من مواجب التكليف. وقيل: هي ما
يعقدون بينهم من عقود الأمانات ويتحالفون عليه ويتماسحون من المبيعات ونحوها.
والظاهر أنها عقود(١) الله عليهم في دينه من تحليل حلاله وتحريم حرامه وأنه كلام
قدم مجملا ثم عقب بالتفصيل وهو قوله: { أحلت لكم } وما بعده. البهيمة: كل ذات أربع
في البر والبحر، وإضافتها إلى الأنعام للبيان، وهي الإضافة التي بمعنى (من) كخاتم

فضة. ومعناه: البهيمة من الأنعام { إلا ما يتلى عليكم } إلا محرم ما يتلى (٢) عليكم من القرآن، من نحو قوله: { حرمت عليكم الميتة } ، وإلا ما يتلى عليكم (٣) آية تحريمه. والأنعام: الأزواج الثمانية.

(١) قوله: والظاهر أنها عقود الله عليهم والفرق بين هذا وبين الأول أن الأول شامل لجميع أنواع التكليف وهذا خاص بالتحليل والتحريم ، وإنما حكم بأنه الظاهر لأنه تعالى أمر المكلفين بالوفاء بالعقود وأتى بقوله { أحلت لكم بهيمة الأنعام } مفصلاً عنه على سبيل البيان وعقبه بما هو مشتمل على التحريم والتحليل ، وقيل الظاهر هو الأول لأن العقود جمع محلي بالألف واللام فيستغرق جميع العقود من غير تخصيص.

(٢) قوله: إلا محرم ما يتلى وإنما قدر المضاف لان الإستثناء متصل فلا بد من أن يكون المستثنى داخلاً في المستثنى منه من جنسة وما يتلى ليس من جنس البهيمة فقد محرم ما يتلى ليصح الإستثناء ، وقوله من نحو قوله حرمت بيان ما يتلى لا بيان المحرم فعلى هذا يكون من في من القرآن للتبويض حالا من ضمير يتلى أو من القرآن بيان ما ومن نحو يدل منه فإن القرآن يطلق على بعضه .

(٣) قوله: أو إلا ما يتلى عليكم أنه تحريمه فيكون يتلى في الأصل مسند إلى أنه وهي مضافه إلى تحريم المضاف إلى الضمير فلما حذف المضاف والمضاف إليه أسند يتلى إلى الضمير الذي كان مجروراً فانقلب مرفوعاً مستتراً في يتلى فهو مثل قوله: أسأل النجار أي أسأل سقياً سحابة.

(٢٤٩/٣)

وقيل: (بهيمة الأنعام) (١) الطباء وبقر الوحش ونحوها كأنهم أرادوا ما يماثل الأنعام ويدانيها من جنس البهائم في الاجترار وعدم الأنياب، فأضيفت إلى الأنعام لملازمة الشبه { غير محلي الصيد } نصب على الحال من الضمير في (لكم) أي أحلت لكم هذه الأشياء لا محلين الصيد. وعن الأخفش أن انتصابه عن قوله: { أوفوا بالعقود } وقوله: { وأنتم حرم } (٢) حال عن محلي الصيد، كأنه قيل: أحللنا لكم بعض الأنعام (٣) في حال امتناعكم من الصيد وأنتم محرمون، لئلا نخرج عليكم { إن الله يحكم ما يريد } من الأحكام، ويعلم أنه حكمة (٤) ومصلحة. والحرم: جمع حرام وهو المحرم.

(١) قوله: وقيل بهيمة الأنعام الضبا عطف على قوله والبهيمة كل ذوات أربع والحاصل

البدن، وتعطف على الهدى للاختصاص وزيادة التوصية بها لأنها أشرف الهدى، كقوله: { وجبريل وميكال } كأنه قيل: والقلائد منها خصوصاً. والثاني: أن ينهي عن التعرض لقلائد الهدى مبالغة في النهي عن التعرض للهدى، على معنى: ولا تحلوا قلائدها فضلاً أن تحلوها (١)، كما قال: { ولا يبدن زينتهن } فنهى عن إبداء الزينة مبالغة في النهي عن إبداء مواقعها { ولا آمين } ولا تحلوا قوماً قاصدين المسجد الحرام { يبتغون فضلاً من ربهم } وهو الثواب { ورضوانا } وأن يرضى عنهم، أي لا تتعرضوا لقوم هذه صفتهم، تعظيماً (٢) لهم واستنكاراً أن يتعرض لمثلهم. قيل: هي محكمة. وعن النبي: (٣٣٣) "المائدة من آخر القرآن نزولاً، فأحلوا حلالها وحرّموا حرامها" وقال الحسن: ليس فيها منسوخ. وعن أبي ميسرة: فيها ثماني عشرة فريضة وليس فيها منسوخ. وقيل: هي منسوخة.

-
- (١) قوله: فضلاً أن يحلوها أي خاصة وانتصابه على المصدر.
- (٢) قوله: تعظيماً عله لمقدر أي قال ذلك تعظيماً واستنكاراً أن يتراض لمثلهم قيل هو عطف تفسيري لقوله تعظيماً لهم.
- (٢٥٢/٣)

وعن ابن عباس: كان المسلمون والمشركون يحجون جميعاً، فنهى الله المسلمين أن يمنعوا أحداً عن حج البيت بقوله: { لا تحلوا } ثم نزل بعد ذلك: { إنما المشركون نجس } ، { ما كان للمشركين أن يعمرُوا مساجد الله } وقال مجاهد والشعبي: { لا تحلوا } نسخ بقوله: { واقتلوهم حيث وجدتموهم } . وفسر ابتغاء الفضل بالتجارة، وابتغاء الرضوان بأن المشركين كانوا يظنون في أنفسهم أنهم على سداد من دينهم، وأن الحج يقربهم إلى الله، فوصفهم الله بظنهم. وقرأ عبد الله: "ولا أُمي البيت الحرام" (١)، على الأضافة.

وقرأ حميد بن قيس (٢) والأعرج: "تبتغون"، بالناء (٣) على خطاب المؤمنين { فاصطادوا } إباحة للاصطياد بعد حظره عليهم، كأنه قيل: وإذا حللتكم فلا جناح عليكم أن تصطادوا. وقرئ بكسر الفاء. وقيل: هو بدل من كسر الهمزة عند الابتداء. وقرئ: "وإذا أحللتكم"، يقال حل المحرم وأحل. (جزم) يجري مجرى (كسب) في تعديده إلى مفعول واحد واثنين. تقول:

جزم ذنباً، نحو كسبه. وجزمته ذنباً، نحو كسبته إياه. ويقال: أجرمته ذنباً، على نقل المتعدي إلى مفعول بالهمزة إلى مفعولين، كقولهم: أكسبته ذنباً. وعليه قراءة عبد الله: "ولا يجزمنكم" بضم الياء، وأول المفعولين على القراءتين ضمير المخاطبين،

والثاني: { أن تعتدوا } . و { أن صدوكم } بفتح الهمزة، متعلق بالشأن بمعنى العلة،
والشأن: شدة البغض.

(١) قوله: ولا آمي البيت الحرام قال أبو البقاء ولا آمين آمين ويبتغون في
موضع الحال من الضمير في آمين فلا يجوز أن يكون صفة لآمين لأن اسم الفاعل إذا وصف
لم يعمل في الاختيار.
)

(٢) قوله: وقرأ حميد بن قيس والأعرج وفي نسخة الأعرج بلا واو وهو الأصح في جامع
الأصول أبو سفين حميد بن قيس الأعرج المكي.
(٣) قوله: يبتغون بالتاء هو رفع على الاستئناف أو نصب على الحال من الضمير فلا
يخلوا قوله وقرئ بكسر الفاء أي فاصطادوا ، وقوله وقيل إلى آخره تعليل كسر الفاء.
(٢٥٣/٣)

وقرئ بسكون النون. والمعنى: ولا يكسبنكم بغض قوم لأن صدوكم الاعتداء، ولا يحملنكم
عليه. وقرئ: "إن صدوكم"، على (إن) الشرطية. وفي قراءة عبد الله: "إن يصدوكم" (١).
ومعنى صدوهم إياهم عن المسجد الحرام: منع أهل مكة رسول الله والمؤمنين يوم الحديبية
عن العمرة، ومعنى الاعتداء: الانتقام منهم بالحق مكروه بهم { وتعاونوا على البر
والتقوى } على العفو والإغضاء { وتعاونوا على الإثم والعدوان } على الانتقام
والتشفي. ويجوز أن يراد العموم لكل بر وتقوى وكل إثم وعدوان، فيتناول بعمومه العفو
والانتصار.

(١) قوله: وفي قراءة عبد الله أن يصدوكم على الشرط والجواب محذوف على القرائتين قيل
فيه ضعف من حيث أنهم لا يقدرّون على الضد بعد فتح مكة وهذا الإيراد ضعيف لأن
المحالات قد تعرض لغرض فكيف ما ليس بمحال في الفعل والوقف على تعبدوا لازم لأن
الإعتداء منهى عنه والتعاون مأمور به فلو وصل لتوهم دخوله تحت النهي ويقوي غير
متصرفه وأصلها وقيا فقلبت ياؤها واوا على قياس باب فعلى من الياء اسما ثم قلبت
الواو الأولى كما في يقا وحتف أنفها مفعول مطلق من تموت كأنه قال موت أنفها فإنمن
مات بالمرض يقال مات حتف أنفه والحتف الهلاك لأن حياته تنقطع بخروج النفس من أنفه
وقيل كانوا يتخيلون أن روح المريض تخرج من أنفه وروح المجروح تخرج من جراحته ،

والمباعر موضع البعر وهي الأمعاء والا الابهان ، ومعنى تشخب تسيل.
(٢٥٤/٣)

hômTب حmچم عليكم الميتة والدم ولحم حجف"Yfù\$# وما أهل لغير الله به
والمنخقة

والموقوذة J9\$#urكIzùجذèptf والنطيحة وما أكل السبع إلا ما بنLنٲه. sCE
وما ذبح على

النصب وأن تستقسموا بالأزلام Nن٣د٣٩ sCE فسق اليوم يئس الذين كفروا من دينكم فلا
تخشوهم واخشون اليوم أكملت لكم Nن٣Yfدث وأتممت عليكم نعمتي ورضيت لكم
الإسلام دينا

فمن اضطر في مخمصة غير متجانف \OO٥ { فإن الله غفور رحيم (٣)
كان أهل الجاهلية يأكلون هذه المحرمات: البهيمة التي تموت حتف أنفها، والفصيد وهو
الدم في المباعر، يشووننا ويقولون: لم يحرم من فزد له { وما أهل لغير الله به { أي
رفع الصوت به لغير الله، وهو قولهم: باسم اللات والعزى عند ذبحه { والمنخقة { التي
خنقوها حتى ماتت، أو انخنقت بسبب { والموقوذة { التي أثخنوها ضربا بعصا أو حجر أو
ماتت { والمتردية { التي تردت من جبل أو في بئر فماتت { والنطيحة { التي نطحتها
أخرى فماتت بالنطح { وما أكل السبع { بعضه { إلا ما ذكيتم { إلا ما أدركتم ذكاته
وهو يضطرب اضطراب المذبوح(١) وتشخب أوداجه. وقرأ عبد الله "والمنطوحة". وفي رواية
عن أبي عمرو "السبع" بسكون الباء. وقرأ ابن عباس: "وأكيل السبع" { وما ذبح على
النصب { كانت لهم حجارة منصوبة حول البيت يذبحون عليها ويشرحون اللحم عليها،
ويعظمونها بذلك ويتقربون به إليها، تسمى الأنصاب، والنصب واحد. قال الأعشى(٢):

-
- (١) قوله: وهو يضطرب اضطراب المذبوح فيه نظر لأن تلك الحال لا تغيير التذكية فيها
عند الشافعي والشياني والذكاة في الشرع قطع الحلقوم والمري بمحدد.
(٢) قوله: وذا النصب المنسوب لا تعبدنه : تمامه : لعاقبة والله ربك فاعبد

أي لا تعبد هذا النصب أي الوثن المنسوب لرجاء عاقبة حسنة منه و لا تعبد غير الله لو
لم يكن النصب واحدا لقال المنصوبات أو المنصوبة ولقال ذي مكان ذا ولا تعبدنها والألف
في فاعبدا بدل من النون الخفيفة والفعل ما لا علامة له والطنة القصد ، ومعنى اجالها

عودا أو أعادها عودا .

(٢٥٥/٣)

وذا النصب المنسوب لا تعبدنه ... لعاقبة والله ربك فاعبدا

وقيل: هو جمع، والواحد نصاب. وقرئ: "النصب" بسكون الصاد { وأن تستقسموا بالأزلام {

وحرم عليكم الاستقسام بالأزلام أي بالقداح. كان أحدهم إذا أراد سفرا أو غزوا أو
تجارة أو نكاحا أو أمرا من معاطم الأمور ضرب بالقداح، وهي مكتوب على بعضها: نهاني
ربي، وعلى بعضها: أمرني ربي، وبعضها غفل؛ فإن خرج الأمر مضى لطيته، وإن خرج الناهي
أمسك، وإن خرج الغفل أجالها عودا. فمعنى الاستقسام بالأزلام: طلب معرفة ما قسم له
مما لم يقسم له بالأزلام. وقيل: هو الميسر. وقسمتهم الجزور على الأنصباء المعلومه {
ذلكم فسق { الإشارة إلى الاستقسام: أو إلى تناول ما حرم عليهم؛ لأن المعنى حرم
عليكم تناوله الميتة وكذا وكذا. فإن قلت: لم كان استقسام المسافر وغيره بالأزلام
لتعرف الحال فسقا؟ قلت: لأنه دخول في علم الغيب الذي استأثر به علام الغيوم وقال: {
لا يعلم من في السماوات والأرض الغيب إلا الله { واعتقاد أن إليه طريقا وإلى
استنباطه، وقوله: أمرني ربي، ونهاني ربي: افتراء على الله. وما يدرية أنه أمره أو
نهاه. والكهنة والمنجمون بهذه المثابة. وإن كان أراد بالرب الصنم - فقد روي أنهم
كانوا يجيلونها عند أصنامهم - فأمره ظاهر { اليوم { لم يرد به يوما بعينه، وإنما
أراد به الزمان الحاضر وما يتصل به ويدانيه من الأزمنة الماضية والآتية، كقولك: كنت
بالأمس شابا، وأنت اليوم أشيب، فلا تريد بالأمس اليوم الذي قبل يومك، ولا باليوم
يومك. ونحوه (الآن) في قوله (١):

الآن لما ابيض مسرأتي ... وعضضت من نابي على جذم

(١) قوله: الآن لما أبيض مسرأتي ... وعضضت من نابي على جذم

المسريرة بضم الراء الشعر المستدف الذي يأخذ من الصدر إلى السرة، والخدم الأصل بقوله
اتخذعني الآن وأنا بهذه الصفة أراد أنه مجرب قد عرف بصرف الدهر وحلب أشطره.

(٢٥٦/٣)

وقيل: أريد يوم نزولها، وقد نزلت يوم الجمعة، وكان يوم عرفة بعد العصر في حجة
الوداع { يئس الذين كفروا من دينكم { يئسوا منه أن يطلوه وأن ترجعوا محللين لهذه

الخبائث بعد ما حرمت عليكم. وقيل: يئسوا من دينكم أن يغلبوه؛ لأن الله عز وجل وفي بوعده من إظهاره على الدين كله { فلا تخشوهم } بعد إظهار الدين وزوال الخوف من الكفار وانقلابهم مغلوبين مقهورين بعدما كانوا غالبين { وأخشوني } وأخلصوا (١) لي الخشية { أكملت لكم دينكم } كفيتكم أمر عدوكم (٢)، وجعلت اليد العليا لكم، كما تقول الملوك: اليوم كمل لنا الملك وكمل لنا ما نريد، إذا كفوا من ينازعهم الملك ووصلوا إلى أغراضهم ومباغيتهم. أو أكملت لكم ما تحتاجون إليه في تكليفكم من تعليم الحلال والحرام والتوقيف على الشرائع وقوانين القياس وأصول الاجتهاد { وأتممت عليكم نعمتي } بفتح مكة (٣)

-
- (١) قوله: وأخلصوا إلى دل على الخلوص وورد الأمر بعد النهي.
- (٢) قوله: كفيتكم أمر عدوكم يريد أن قوله { اليوم أكملت لكم دينكم } جملة مستأنفة لبيان موجب النهي عن الخشية وهو بظاهره لا يدل على ذلك فأوله بقوله كفيتكم أمر عدوكم على سبيل الكناية أي لا تخشوهم وأخشوني لأنني كفيت شرهم وجعلت اليد العليا لكم.
- (٣) قوله: وأتممت عليكم نعمتي بفتح مكة قيل هذا متفرع على قوله: كفيتكم أمر عدوكم على التكميل إذ قد علم من الأول زوال الخوف وحصول الأمن ومن الثاني قهر الأعداء فإنه لما وصفهم بحصول الأمن وكفاية شر الأعداء رأى الوصف غير تام فكمل بالفتح والنصرة وقهر الأعداء ، وقوله أو أتممت عليكم نعمتي بإكمال أمر الدين والشرائع متفرع على قوله: وأكملت لكم ما تحتاجون إليه في تكليفكم فالإتمام بمعنى التتميم الإصطلاحي فإن قوله وأكملت لكم دينكم دل بمفهومه على نعمة خطيرة فينبه وتممه بقوله وأتممت عليكم نعمتي وإليه الإشارة بقوله وأتممت عليكم نعمتي بذلك أي بإكمال الدين.. (٢٥٧/٣)

ودخولها آمين ظاهرين، وهدم منار الجاهلية ومناسكهم وأن لم يحج معكم مشرك، ولم يطف بالبيت عريان. أو أتممت نعمتي عليكم بإكمال أمر الدين والشرائع كأنه قال: اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتي بذلك، لأنه لا نعمة أتم من نعمة الإسلام { ورضيت لكم الإسلام ديناً } يعني اخترته (١) لكم من بين الأديان، وأذنتكم بأنه هو الدين المرضي وحده { ومن يبتغ غير الإسلام ديناً فلن يقبل منه } ، { إن هذه أمتكم أمة واحدة } . فإن قلت: بم اتصل قوله: { فمن اضطر } ؟ قلت: بذكر المحرمات. وقوله: { ذلكم فسق } اعتراض أكد به معنى التحريم، وكذلك ما بعده؛ لأن تحريم هذه الخبائث من

جملة الدين الكامل والنعمة التامة والإسلام المنعوت بالرضا دون غيره من الملل.
ومعناه: فمن اضطر إلى الميتة أو إلى غيرها { في مخمصة } في مجاعة { غير متجانف لإثم
{ غير منحرف إليه، كقوله: { غير باغ ولا عاد } . { فإن الله غفور } لا يؤاخذ به بذلك.
o,"y7tRqè=t" ماذا أحل لهم قل أحل لكم الطيبات وما علمتم من
حy'#\$:uqpgù# مكليين
تعلمونهن مما علمكم الله فكلوا مما أمسكن عليكم واذكروا اسم الله عليه واتقوا الله
إن الله سريع ة<\$ |، \$:tù# احب

(١) قوله: اخترته يعني ضمن الرضى معنى الاختيار ولهذا عدي باللام تعديته ودل
الاختيار على المختار منه وهو سائر الأديان.
(٢٥٨/٣)

في السؤال معنى القول (١) ، فلذلك وقع بعده { ماذا أحل لهم } كأنه قيل: يقولون لك
ماذا أحل لهم. وإنما لم يقل: ماذا أحل لنا، حكاية لما قالوه لأن يسألونك بلفظ
الغيبة، كما تقول أقسم زيد ليفعلن. ولو قيل: لأفعلن وأحهل لنا، لكان صوابا. و
(ماذا) مبتدأ، و (أحل لهم) خبره كقولك: أي شيء أحل لهم؟ ومعناه: ماذا أحل لهم من
المطاعم كأنهم حين تلا عليهم ما حرم عليهم من خبيثات المأكّل سألوا عما أحل لهم
منها، فقيل: { أحل لكم الطيبات } أي ما ليس بخبيث منها، وهو كل ما لم يأت تحريره في
كتاب أو سنة أو قياس مجتهد. { وما علمتم من الجوارح } عطف على الطيبات أي أحل لكم
الطيبات وصيد ما علمتم فحذف المضاف. أو تجعل (ما) شرطية (٢)، وجوابها (فكلوا)
والجوارح: الكواكب من سباع البهائم والطيور، كالكلب والفهد والنمر والعقاب والصقر
والبازي والشاهين.

(١) قوله: في السؤال معنى القول وإنما قال ذلك لأن مفعول سأل يكون مفردا لا جملة
وقد وقع هنا جملة.
(٢) قوله: أو يجعل ما شرطية عطف على قوله وصد ما علمتم فحذف المضاف فما على
الأول

موصولة ومن الخوارج يناله وعلى هذا أن شرطية على تقدير المضاف أيضا قيل للمصنف
تقدير المضاف يبطل كون ما شرطية فقال لا لأن المضاف إلى الاسم الحامل لمعنى الشرط

في حكم المضاف إليه يقول غلام من يضرب أضرب وذلك لاتحاد الجار بالمجرور وعلى هذا
فالمعنى الموجب للتصدر بقدر ، قبل المضاف فتقدير غلام من يضرب أضرب أن يضرب
غلام

زيد أو فلانا أو فلانا اضرب قيل ويجوز الا تقدر المضاف وتجعل الجملة الشرطية معطوفة
على جملة ، قوله أحل لكم فعلى هذا أو تجعل عطف على قوله { وما علمتم من الجوارح {
عطف على الطيبات ومعنى مضررتها معرتها والمدرب المجرب ، ومعنى أقتل أهله علما أبلغهم
، وهو مجاز يقال قتلت الشيء خيرا وعلمنا .

(٢٥٩/٣)

والمكلب: مؤدب الجوارح ومضربها بالصيد لصاحبها، ورائضها لذلك بما علم من الحيل
وطرق

التأديب والتثقيف، واشتقاقه من الكلب، لأن التأديب أكثر ما يكون في الكلاب فاشتق من
لفظه لكثرة من جنسه. أو لأن السبع يسمى كلبا. ومنه قوله عليه السلام: (٣٣٤) "اللهم
سلط عليه كلبا من كلابك" فأكله الأسد. أو من الكلب الذي هو بمعنى الضراوة. يقال: هو
كلب بكذا، إذا كان ضاريا به. وانتصاب { مكليين } على الحال من علمتم. فإن قلت: ما
فائدة هذه الحال وقد استغنى عنها بعلمتم؟ قلت: فائدتها أن يكون من يعلم الجوارح
نحريرا في علمه مدريا فيه، موصوفا بالتكليب. و { تعلمونهن } حال ثانية أو استئناف.

وفيه فائدة جلييلة، وهي أن على كل آخذ علما أن لا يأخذه إلا من أقتل أهله علما
وأنحرهم دراية وأغوصهم على لطائفه وحقائقه، وإن احتاج إلى أن يضرب إليه أكباد(١)
الإبل، فكم من آخذ عن غيره متقن، قد ضيع أيامه وعض عند لقاء النحارير أنامله { مما
علمكم الله { من علم التكليب، لأنه إلهام من الله ومكتسب بالعقل. أو مما عرفكم(٢)
أن تعلموه من اتباع الصيد بإرسال صاحبه، وانزجاره بزجره. وانصرافه بدعائه، وإمساك
الصيد عليه وأن لا يأكل منه. وقرئ: "مكليين" بالتخفيف. وأفعل وفعل يشتركان كثيرا.

(١) قوله: أن تضرب إليه أكباد الإبل أي تركب وتضرب على أكبادها في المسير إليه.
(٢) قوله: أو ما عرفكم أن تعلموه أن تعلموه مفعول لأن لعرفكم في والضمير في تعلموه
عائد إلى ما ومفعوله الثاني محذوف أي مما عرفكم الله أن تعلموه الكلب ومن اتباع
بيان لما فعلى هذا الوجه يجب أن يكون الصائد عالما بالشرائط المعتبرة في الشرع من
اتباع الصيد بإرسال صاحبه وانزجاره بزجره وانصرافه بدعائه وإمساك الصيد عليه وأن لا

يأكل منه وعلى الأول ينبغي أن يكون مدربا في تلك الصفة عالما بلطائف الحيل وطرق
التأديب فيها.
(٢٦٠/٣)

والإمساك على صاحبه أن لا يأكل منه، لقوله عليه السلام لعدي بن حاتم: (٣٣٥) "وإن
أكل منه فلا تأكل إنما أمسك على نفسه" وعن علي رضي الله عنه: إذا أكل البازي فلا
تأكل. وفرق العلماء، فاشتراطوا في سباع البهائم ترك الأكل لأنها تؤدب بالضرب، ولم
يشترطوه في سباع الطير. ومنهم من لم يعتبر ترك الأكل أصلا ولم يفرق بين إمساك الكل
والبعض. وعن سلمان، وسعد بن أبي وقاص، وأبي هريرة رضي الله عنهم: إذا أكل الكلب
ثلاثه وبقي ثلثه وذكرت اسم الله عليه فكل. فإن قلت: إلام رجع الضمير في قوله: {
واذكروا اسم الله عليه} ؟ قلت: إما أن يرجع إلى ما أمسكن على معنى وسموا عليه إذا
أدركتم ذكاته، أو إلى ما علمتم من الجوارح. أي سموا عليه عند إرساله.

اليوم أحل لكم الطيبات وطعام الذين أوتوا الكتاب حل لكم وطعامكم حل لهم
J9\$# كB÷sdsY"Mد من sçRùQ\$#urء | sY"àM
sçRùQ\$#urء | sY"àM من الذين أوتوا الكتاب من
Nن=د٣s٦% إذا آتيتموهن أجورهن محصنين غير مسافحين ولا متخذي أخدان ومن يكفر
بالإيمان فقد xفخxm٦ عمله وهو في ouچ ½Fy\$z# من f`zخزإ"sfù\$:#
اخب
}
(٢٦١/٣)

وطعام الذين أوتوا الكتاب { قيل: هو ذبائحهم. وقيل: هو جميع مطاعمهم. ويستوي في ذلك
جميع النصارى. وعن علي رضي الله عنه: أنه استثنى نصارى بني تغلب وقال: ليسوا على
النصرانية ولم يأخذوا منها إلا شرب الخمر، وبه أخذ الشافعي. وعن ابن عباس أنه سئل
عن ذبائح نصارى العرب فقال: لا بأس. وهو قول عامة التابعين، وبه أخذ أبو حنيفة
وأصحابه. وحكم الصابئين حكم أهل الكتاب عند أبي حنيفة. وقال صاحباه: هم صنفان:
صنف

يقرؤون الزبور ويعبدون الملائكة. وصنف لا يقرؤون كتابا ويعبدون النجوم؛ فهؤلاء ليسوا
من أهل الكتاب. وأما المجوس فقد سن بهم سنة أهل الكتاب في أخذ الجزية منهم دون أكل

ذبائحهم ونكاح نسائهم. وقد وري عن أبي المسيب أنه قال: إذا كان المسلم مريضاً فأمر المجوسي أن يذكر اسم الله ويذبح فلا بأس. وقال أبو ثور: وإن أمره بذلك في الصحة فلا بأس وقد أساء { وطعامكم حل لهم } فلا عليكم أن تطعموهم، لأنه لو كان حراماً عليهم طعام المؤمنين لما ساغ لهم إطعامهم { المحصنات } الحرائر أو العفائف وتخصيصهن بعث على تخير المؤمنين لنطفهم والإماء من المسلمات يصح نكاحهن بالاتفاق، وكذلك نكاح غير العفائف منهن، وأما الإماء الكتابيات، فعند أبي حنيفة: هن كالمسلمات، وخالفه الشافعي، وكان ابن عمر لا يرى نكاح الكتابيات، ويحتج بقوله: { ولا تنكحوا المشركات حتى يؤمن } ويقول: لا أعلم شركاً أعظم من قولها: إن ربها عيسى. وعن عطاء: قد أكثر الله المسلمات، وإنما رخص لهم يومئذ { محصنين } أعفاء { ولا متخذي أخدان } صدائق، والخذن يقع على الذكر والأنثى { ومن يكفر بالإيمان } (١) بشرائع الإسلام وما أحل الله وحرم.

(١) قوله: { ومن يكفر بالإيمان } بشرائع الإسلام أراد أن قوله: { ومن يكفر } الآية كالتذييل والتأكيد لقوله: { اليوم أحل لكم الطيبات } تعظيماً لشأن ما أحل الله وحرم وتعليظاً على من خالف ذلك.
(٢٦٢/٣)

يا أيها الذين (YtB#uûq#ن إذا قمتم إلى د#\$٩=٥4qn# فاغسلوا وجوهكم وأيديكم إلى ب،yJ9\$#ù#u#ج وامسحوا برءوسكم وأرجلكم إلى الكعبين وإن كنتم جنباً فاطهروا وإن كنتم مرضى أو على سفر أو جاء أحد منكم من إفح! t9\$## أو لامستم النساء فلم تجدوا ماء فتيمموا صعيداً طيباً فامسحوا بوجوهكم وأيديكم منه ما ك%فحجم f الله ليجعل عليكم من xmجlu٨ ولكن ك%فحجم Nf. u.فجdgسثد٩ وليتم نعمته عليكم لعلكم تشكرون ادب
}
(٢٦٣/٣)

إذا قمتم إلى الصلاة { كقوله: { فإذا قرأت القرآن فاستعذ بالله } وكقولك: إذا ضربت

غلامك فهون عليه، في أن المراد إرادة الفعل. فإن قلت: لم جاز أن يعبر عن إرادة الفعل بالفعل؟ قلت: لأن الفعل يوجد بقدرة الفاعل عليه وإرادته له وهو قصده إليه وميله وخلوص داعيه، فكما عبر عن القدرة عن الفعل بالفعل في قولهم: الإنسان لا يطير، والأعمى لا يبصر، أي لا يقدران على الطيران والإبصار. ومنه قوله تعالى: { نعيده وعدا علينا إنا كنا فاعلين } يعني إنا كنا قادرين على الإعادة، كذلك عبر عن إرادة الفعل بالفعل، وذلك لأن الفعل مسبب عن القدرة والإرادة، فأقيم المسبب مقام السبب للملابسة بينهما، ولا يجاز الكلام ونحوه من إقامة المسبب مقام السبب قولهم: كما تدين تدان، عبر عن الفعل المبتدأ الذي هو سبب الجزاء بلفظ الجزاء الذي هو مسبب عنه. وقيل: معنى قمتم إلى الصلاة (١) قصدتموها؛ لأن من توجه إلى شيء وقام إليه كان قاصداً له لا محالة، فعبر عن القصد له بالقيام إليه.

)

(١) قوله: وقيل معنى { قمتم إلى الصلاة } قصدتموها والقصد وإن كان بمعنى الإرادة فالفرق بين هذا الوجه والأول أن المعنى على الأول إذا أردتم القيام إلى الصلاة وعلى هذا إذا أردتم الصلاة نفسها لأن الإرادة يصح تعلقها بالصلاة كما يصح تعلقها بالقيام.

(٢٦٤/٣)

فإن قلت: ظاهر الآية يوجب الوضوء على كل قائم إلى الصلاة محدث وغير محدث، فما وجهه؟

قلت: يحتمل أن يكون الأمر للوجوب، فيكون الخطاب للمحدثين خاصة، وأن يكون للندب (١).

وعن رسول الله والخلفاء بعده/ (٣٣٦) أنهم كانوا يتوضئون لكل صلاة. وعن النبي : (٣٣٧) "من توضأ على طهر كتب الله له عشر حسنات.

(١) قوله: وأن يكون للندب ، قال صاحب الفرائد : لا يجوز أن يكون للندب لأن الإجماع منعقد على أن الوضوء للصلاة فرض ولأن الأمر للوجوب إلا لمانع ، وأقول: متى لا يجوز أن يكون للندب إذا كان الخطاب للمحدثين أم إذا كان لغيرهم ، الأول مسلم والثاني ممنوع ولم يقل المصنف أنه للندب إلا على تقدير كونه خطاباً لغير المحدثين وغير

المحدثين لا يجب عليهم الوضوء بالإجماع وإنما لم يكن الأمر للوجوب على هذا التقدير لمانع وهو الإجماع على عدم وجوبه ثم قال صاحب الفرائد وأما الجواب عن السؤال الذي أورده في الكشف فهو أن يقال تقدير الآية وأنتم محدثون لوجهين أحدهما أن يستحيل بدون هذا التقدير يفضي الملكف عن عهدة التكليف لأنه إذا أراد القيام إلى الصلوة وجب عليه أن يتوضأ فإذا توضأ وأراد القيام إلى الصلاة وجب عليه مرة أخرى أن يتوضأ وهلم جراء ، وثانيهما: أن التيمم بدل من الوضوء لقوله: { فلم تجدوا ماء فتيمموا صعيدا طيبا } والبدل لا يمكن أن يكون مخالفا للمبدل منه في السبب وإلا لا يكون البدل بدلا فلما كان وجوب التيمم عند عدم الماء حالة الجذب كان كذلك في الوضوء لأنه إما سبب أو شرط ، وأقول: إن هذا الجواب الذي ذكره وأوهم أنه مبتدعه ومختصره هو الجواب الذي

ذكره المصنف أولا لأنه قال يحتمل أن يكون الأمر للوجوب فيكون الخطاب للمحدثين خاصة على أنا نقول أن الأمر لا يقتضي التكرار وإذا أيضا ليست بأداة للتكرار فلا يتم تعليله ، ولو استدل بالإجماع على عدم وجوب الوضوء على غير المحدثين لاستراح عما ذكره من التطويل.

(٢٦٥/٣)

وعنه عليه السلام: (٣٣٨) أنه كان يتوضأ لكل صلاة، فلما كان يوم الفتح مسح على خفيه وصلى الصلوات الخمس بوضوء واحد، فقال له عمر: صنعت شيئا لم تكن تصنعه فقال: (عمدا)

فعلته يا عمر) يعني بيانا للجواز؟ فإن قلت: هل يجوز أن يكون الأمر شاملا للمحدثين وغيرهم لهؤلاء على وجه الإيجاب، ولهؤلاء على وجه الندب. قلت: لا، لأن تناول الكلمة لمعنيين مختلفين من باب الإلغاز والتعمية (١). وقيل: كان الوضوء لكل صلاة واجبا (٢) أول ما فرض. ثم نسخ (إلى) تفيد معنى الغاية مطلقا. فأما دخولها في الحكم وخروجها، فأمر يدور مع الدليل، فما فيه دليل على الخروج قوله: { فنظرة إلى ميسرة } لأن الإعسار علة الأنذار. وبوجود الميسرة تزول العلة، ولو دخلت الميسرة فيه لكان منظرا في كلتا الحالتين معسرا وموسرا. وكذلك: { ثم أتموا الصيام إلى الليل } لو دخل الليل لوجب الوصال. ومما فيه دليل على أن الدخول قولك: حفظت القرآن من أوله إلى آخره لأن الكلام مسوق لحفظ القرآن كله. ومنه قوله تعالى: { من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى } لوقوع العلم بأنه لا يسرى به إلى بيت المقدس من غير أن يدخله.

(١) قوله: الإلغاز والتعمية لم يرد به الإلغاز المتعارف وهو أن يطلق لفظة لها معنيان قريب وبعيد ويراد بها البعيد بلا قرينة بل مراده أن اللفظ عند إرادة الحقيقة لا يحتاج إلى القرينة وعند إرادة المجاز يفتقر إليها فلو جوز تناول اللفظ بمعنى الحقيقة والمجاز لم يعلم المقصود قطعاً ومن قال بالمشترك وهو رجحان الفعل على الترك لا يلزمه الإلغاز ، وقد أجاز ذلك الشافعي وغيره من أئمة الأصول.

)

(٢) قوله: وقيل كان الوضوء لكل صلاة واجبا أو ما فرض ثم نسخ ، قيل هذا القول ضعيف لقوله صلى الله عليه وآله وسلم: (المائدة من آخر القرآن نزولا فأحلوا حلالها وحرّموا حرامها).

(٢٦٦/٣)

وقوله: { إلى المرافق } و { إلى الكعبين } لا دليل فيه على أحد الأمرين فأخذ كافة العلماء بالاحتياط فحكموا بدخولها في الغسل. وأخذ زفر وداود بالمتيقن فلا يدخلها. وعن النبي (٣٣٩) أنه كان يدير الماء على مرفقيه. { وامسحوا برؤوسكم } المراد إلصاق المسح بالرأس. وماسح بعضه ومستوعبه بالمسح، كلاهما ملصق للمسح برأسه. فقد أخذ مالك

بالاحتياط فأوجب الاستيعاب أو أكثره على اختلاف الرواية، وأخذ الشافعي باليقين فأوجب أقل ما يقع عليه اسم المسح وأخذ أبو حنيفة ببيان رسول الله وهو ما روي: (٣٤٠) أنه مسح على ناصيته. وقدر الناصية بربع الرأس. قرأ جماعة "وأرجلكم" بالنصب، فدل على أن الأرجل مغسولة فإن قلت: فما تصنع بقراءة الجر ودخولها في حكم المسح؟ قلت: الأرجل من بين الأعضاء الثلاثة المغسولة تغسل بصب الماء عليها، فكانت مظنة للإسراف المذموم المنهي عنه، فعطفت على الثالث (١) الممسوح لا لتمسح، ولكن لينبه على وجوب الاقتصاد في صب الماء عليها.

(١) قوله: فعطف على الرابع وفي نسخة على الثالث وقيل هذا أشبه بإيراد القرآن ولكن لما كانت الأعضاء المغسولة عبارة عن الوجه واليدين والرجلين فالرابع هذا بالضرورة ، وقيل الرابع أحسن لإيراد الكتاب لأنه جعل المغسولة ثلاثة فالرابع هو الممسوح ونحوه ما سبق في تفسير قوله تعالى : { مثلهم كمثل الذي استوقد ناراً } حيث قال فما مرجعه في الثاني فإنه أراد بالثاني الأول.

وقيل: { إلى الكعبيين } فجيء بالغاية إمطة لظن ظان يحسبها ممسوحة، لأن المسح لم تضرب له غاية (١) في الشريعة. وعن علي رضي الله عنه: أنه أشرف على فتية من قريش فرأى

في وضوئهم تجوزاً (٢)، فقال: ويل للأعقاب من النار، فلما سمعوا جعلوا يغسلونها غسلًا ويدلكونها ذلكا. وعن ابن عمر: (٣٤١) كنا مع رسول الله فتوضأ قوم وأعقابهم بيض تلوح فقال: (ويل للأعقاب من النار) وفي رواية جابر: (٣٤٢) "ويل للعراقيب" وعن عمر أنه رأى رجلاً يتوضأ فترك باطن قدميه، فأمره أن يعيد الوضوء، وذلك للتغليظ (٣)

(١) قوله: لأن المسح لم يضرب له غاية في هذا التعليل نظر لأن ضرب الغاية إنما يدل على أن المراد الغسل لا المسح لو كان كل غسل في الشريعة له غاية وليس كذلك فإن الوجه قد أمر بغسلة من دون ضرب غاية ولا يجب من ضرب الغاية في بعض الغسل وهو اليدين

أن يكون كل ما ضرب له غاية غسلًا وإذا تقرر هذا فقول من قال أن جر الأرجل على الجواز ضعيف لأن الجر على الجوار إنما يحسن حيث لا البأس كما في نحو حجر صب حرف لا يصح

كونه صفة لصب فتعين أن يكون صفة لحجر ولكنه جر على الجوار ، وعلى هذا كل ما جر على

الجوار ، وهاهنا لو قلنا بأن الجر على الجوار حصل الإلباس لأن المسح يصح في الأرجل كما صح في الرأس.

(٢) قوله: فرأى في وضوئهم تجوزاً يقال تجوز في صلاته إذا خففها وأسرع بها والمراد هنا التخفيف والتساهل.

(٣) قوله: وذلك للتغليظ إشارة إلى الأمر بالإعادة وإنما كان للتغليظ لأن الواجب هو غسل باطن القدمين فقط. والمنشط والمكره مصدران يعني النشاط والكراهة.

عليه، وعن عائشة رضي الله عنها لأن تقطعا أحب إلي من أن أمسح على القدمين بغير خفين. وعن عطاء: والله ما علمت أن أحدا من أصحاب رسول الله مسح على القدمين. وقد ذهب بعض الناس إلى ظاهر العطف فأوجب المسح. وعن الحسن: أنه جمع بين الأمرين. وعن

الشعبي: نزل القرآن بالمسح والغسل سنة. وقرأ الحسن: وأرجلكم، بالرفع بمعنى وأرجلكم مغسولة أو ممسوحة إلى الكعبين. وقرئ: "فأطهروا" أي فطهروا أبدانكم، وكذلك ليظهركم.

وفي قراءة عبد الله: "فأموا صعيدا" { ما يريد الله ليجعل عليكم من حرج { في باب الطهارة، حتى لا يرخص لكم في التيمم { ولكن يريد ليظهركم { بالتراب إذا أعوزكم التطهر بالماء { وليتم نعمته عليكم { وليتم برخصه إنعامه عليكم بعزائمه { لعلكم تشكرون { نعمته فيثيبكم.

واذكروا نعمة الله عليكم وميثاقه الذي واثقكم به إذ قلتم $Jy^{TM} dsY \div è\$$ $ur\&r\&SsY \div ès$

واتقوا الله إن الله $ث=د\&O\&v$ وبذات الصدور اذب

{ واذكروا نعمة الله عليكم { وهي نعمة الإسلام { وميثاقه الذي واثقكم به { أي عاقدكم به عقدا وثيقا هو الميثاق الذي أخذه على المسلمين حين بايعهم رسول الله على السمع والطاعة في حال اليسر والعسر والمنشط والمكره فقبلوا وقالوا: سمعنا وأطعنا. وقيل: هو الميثاق ليلة العقبة وفي بيعة الرضوان.

يا أيها الذين آمنوا كونوا $ث\&B\&qsü\&\%$ لله شهداء بالقسط ولا $حج\&ftf\&Nà6\&ZtB$ $©sYx\&b\$t\&m$

قوم على ألا تعدلوا اعدلوا هو $\&r\&\%u<$ ج $\&r\&\%$ للتعوى واتقوا الله إن الله خبير بما تعملون (٨) وعد الله الذين آمنوا وعملوا $د\&ys\&"M\&=د\&\$9\&\$¢\&\#$ لهم $ou\&\times\&چد\&B\&٧$ وأجر عظيم (٩) والذين

كفروا وكذبوا $!\&FsY\&"tf\$t\&\%$ خ/ أولئك أصحاب $إ\&O\&\$:\&spg\&ù\&\%$ اتب (٢٦٩/٣)

عدى { يجرمنكم { بحرف الاستعلاء مضمنا معنى فعل يتعدى به، كأنه قيل: ولا يحملنكم. ويجوز أن يكون قوله: { أن تعتدوا { (١) بمعنى على أن تعتدوا، فحذف مع أن ونحوه قوله عليه السلام: (٣٤٣) "من اتبع (٢) على ملئ فليتبِع" لأنه بمعنى أحيل. وقرئ: { شأن { بالسكون. ونظيره في المصادر (ليان) والمعنى: لا يحملنكم بغضكم للمشركين على أن تركوا العدل فاعتدوا عليهم بأن تنتصروا منهم وتشفوا بما في قلوبكم من الضغائن بارتكاب ما لا يحل لكم من مثلة أو قذف أو قتل أولاد أو نساء أو نقض عهد أو ما أشبه ذلك { اعدلوا هو أقرب للتعوى { نهاهم أولا أن تحملهم البغضاء على ترك العدل، ثم استأنف فصرح لهم بالأمر بالعدل تأكيدا وتشديدا، ثم استأنف فذكر لهم وجه الأمر

بالعدل وهو قوله: { هو أقرب للتقوى } أي العدل أقرب إلى التقوى، وأدخل في مناسبتها.
أو أقرب إلى التقوى لكونه لطفا فيها. وفيه تنبيه عظيم على أن وجود العدل مع الكفار
الذين هم أعداء الله إذا كان بهذه الصفة من القوة، فما الظن بوجوبه مع المؤمنين
الذين هم أوليائه وأحبائه؟ { لهم مغفرة وأجر عظيم } بيان للوعد بعد تمام الكلام
قبله، كأنه قال: قدم لهم وعدا (٣)

(١) قوله: ويجوز أن يكون قوله: أن تعتدوا بمعنى على أن تعتدوا يريد أن قوله { لا
يجرمكم } لما عدي هنا بعلى على تضمين لا يحملكم يجوز أن تعدى أيضا في أول السورة
إلى أن يعبدوا بالتضمين وتقدير على لاستوائهما في تأدية المعنى وكان مفعولا ثانيا
فيما سبق.

(٢) قوله: من اتبع أي عدى الاتباع بعلى لتضمنه معنى الاحالة.
(٣) قوله: كأنه قال قدم لهم وعدا إذ أنه لما كان قوله { لهم مغفرة وأجر
عظيم } بيان لقوله : { وعد الله الذين آمنوا وعملوا الصالحات } على سبيل الاستئناف
وقد أتى في البيان باللام وجب تأويل المبين بما يشتمل عليها رعاية للمطابقة الواجبة
بين البيان والمبين ولذلك قال كأنه قيل قدم لهم وعدا ليكون مورد السؤال المتضمن
لللام وهو أي وعدهم. قوله: إلى قوله ويهون عليهم السكرات فيه لف
ونشر من غير ترتيب هكذا قيل واستروج وأراح واستراح بمعنى.
(٢٧٠/٣)

ف قيل: أي شيء وعده لهم؟ ف قيل: لهم مغفرة وأجر عظيم. أو يكون على إرادة القول بمعنى
وعدهم وقال لهم مغفرة. أو على إجراء وعد مجرى قال: لأنه ضرب من القول. أو يجعل
واقعا على الجملة التي هي لهم مغفرة، كما وقع (تركنا) على قوله: { سلام على نوح }
(الصفات: ١١٩) كأنه قيل: وعدهم هذا القول وإذا وعدهم من لا يخلف الميعاد هذا
القول، فقد وعدهم مضمونه من المغفرة والأجر العظيم. وهذا القول يتلقون به عند الموت
ويوم القيامة، فيسرون به ويستروحون إليه ويهون عليهم السكرات والأهوال قبل الوصول
إلى الثواب.

يا أيها الذين آمنوا اذكروا نعمة الله عليكم إذ هم قوم أن (#uqnf، tf٦ إليكم أيديهم
فكف أيديهم عنكم واتقوا الله وعلى الله ب@ه. ٥Guqtuqٹù=sù المؤمنين (١١) *

روي:

)
(٢٧١/٣)

٣٤٤) أن المشركين رأوا رسول الله وأصحابه قاموا إلى صلاة الظهر يصلون معا، وذلك بعسفان في غزوة ذي أنمار. فلما صلوا ندموا أن لا كانوا أكبوا عليهم(١)، فقالوا: إن لهم بعدها صلاة هي أحب إليهم من آبائهم وأبنائهم، يعنون صلاة العصر وهموا بأن يوقعوا بهم إذا قاموا إليها. فنزل جبريل بصلاة الخوف. وروي: (٣٤٥) أن رسول الله أتى بني قريظة ومعه الشيخان وعلي رضي الله عنهم يستقرضهم دية مسلمين قتلها عمرو بن أمية الضمري خطأ يحسبهما مشركين. فقالوا: نعم يا أبا القاسم، اجلس حتى نطعمك ونقرضك، فأجلسوه في صفة وهموا بالفتك به، وعمد عمرو بن جحاش إلى رجا عظيمة يطرحها

عليه، فأمسك الله يده ونزل جبريل فأخبره، فخرج. وقيل: (٣٤٦) نزل منزلا وتفرق الناس في العضاء يستظلون بها، فعلق رسول الله سلاحه بشجرة، فجاء أعرابي فسل سيف رسول الله ثم أقبل عليه فقال: من يمنعك مني؟ قال: الله، قالها ثلاثا، فشام الأعرابي السيف فصاح رسول الله بأصحابه فأخبرهم، وأبى أن يعاقبه. يقال: بسط إليه لسانه إذا شتمه، وبسط إليه يده إذا بطش به { ويبسطوا إليكم أيديهم وألسنتهم بالسوء } (المتحنة:) ومعنى (بسط اليد) مدها إلى المبطوش به. ألا ترى إلى قولهم: فلان بسيط الباع، ومديد الباع، بمعنى { فكف أيديهم عنكم } فمنعها أن تمتد إليكم.

(١) قوله: إلا كانوا أكبوا أي هلا كانوا وهي كلمة تنديم والجملة مبنية لقوله ندموا وقيل أصله ندموا على أن لا كانوا فحذف على وادغم أن في اللام. ومعنى فشام السيف فأغمدته وهو من الأضداد يستعمل في السل والإغماد ، و أريحا بفتح الهمزة وكسر الراء وتسيكن الياء وفتح الحاء بالقصر، و..... بكسر اللام عن المصنف وهو القياس بعد التعريب.

(٢٧٢/٣)

ولقد أخذ الله ميثاق ناسة @fدن"ž خ) وبعثنا منهم اثني عشر نقيبا وقال الله 'oTd خ) معكم لئن أقمتם الصلاة وآتيتم الزكاة وآمنتم 'ج؟ك™مچخ/ وعزرتموهم مNçGôتچ%ur&r% الله قرضا \$|YZ bu،xm جدعcۛۛ عنكم سيئاتكم ur}_Nà6"Zn=½zô جنات

"حج grB من تحتها الأنهار فمن u چ x ٢ بعد ٩ dy7 sCE منكم فقد ضل سواء السبيل (١٢) فيما

†out چ h c q è ù قاسية ثلوبهم sYù=yèy_ur\$ tR(ص k ا ن خ

عن x69\$#=dzO

مواضعه ونسوا yàxm\$ مما ذكروا به ولا u # A s" ؟ كد = s. © ؟ على psY٧ ح ! s% }

منهم إلا

%s=د Wx منهم فاعف عنهم واصفح إن الله يحب المحسنين (١٣)

(٢٧٣/٣)

لما استقر بنو إسرائيل بمصر بعد هلاك فرعون أمرهم الله بالمسير إلى أريحاء أرض الشام وكان يسكنها الكنعانيون الجبابرة، وقال لهم: إني كتبتها لكم دارا قرارا، فخرجوا إليها وجاهدوا من فيها، وإني ناصركم، وأمر موسى عليه السلام بأن يأخذ من كل سبط نقيبا يكون كفيلا على قومه بالوفاء بما أمروا به توثقة عليهم، فاختار النقباء وأخذ الميثاق على بني إسرائيل، وتكفل لهم به النقباء وسار بهم، فلما دنا من أرض كنعان بعث النقباء يتجسسون، فرأوا أجراما عظيمة وقوة وشوكة فهابوا ورجعوا وحدثوا قومهم وقد نهاهم موسى عليه السلام أن يحدثوهم، فنكثوا الميثاق، إلا كالب بن يوفنا من سبط يهوذا، ويوشع بن نون من سبط أفرايم بن يوسف، وكانا من النقباء. والنقيب: الذي ينقب عن أحوال القوم ويفتش عنها، كما قيل له: عريف، لأنه يتعرفها { إني معكم } أي ناصركم ومعينكم { عززتموهم } نصرتموهم من أيدي العدو. ومنه التعزير، وهو التكيل والمنع من معاودة الفساد. وقرىء بالتخفيف يقال: عززت الرجل إذا حطته وكنته. والتعزير والتأزير من واد واحد. ومنه: لأنصرك نصرا مؤزرا (١)، أي قويا. وقيل معناه (٢): ولقد أخذنا ميثاقهم بالإيمان والتوحيد وبعثنا منهم اثني عشر ملكا يقيمون فيهم العدل ويأمرونهم بالمعروف وينهونهم عن المنكر.

)

- (١) قوله: نصرا مؤزرا. قال ذلك ورقة بن نوفل.
- (٢) قوله: وقيل معناه عطف من حيث المعنى على قوله لما استقر بنوا إسرائيل إلى آخره أي أخذ الميثاق يحتمل معنيين أحدهما ميثاق الوفاء بالجهاد فالتقيا على هذا نفيا العسكر والمناسب على هذا أن يفسر إني معكم بناصركم ومعينكم ، والتعزير بالمنع

والنصر وثانيهما ميثاق العهد بالإيمان والتوحيد فالتقيا على هذا الملوك العادلون
الحاملون على ذلك والمراد بالتعزير التعظيم والتوقير كما في قوله : { وتعزروه
وتوقروه } وذلك لأن التعزير حقيقة في الرد والمنع وكناية عن التعظيم والنصرة.
(٢٧٤/٣)

واللام في { لن أقمتم } موطئة للقسم (١) وفي { لأكفرن } (٢) جواب له، وهذا الجواب
ساد مسد جواب القسم والشرط جميعا { بعد ذلك } بعد ذلك الشرط (٣) المؤكد المعلق
بالوعد العظيم. فإن قلت: من كفر قبل ذلك أيضا فقد ضل سواء السبيل. قلت: أجل، ولكن
الضلال بعده أظهر وأعظم، لأن الكفر إنما عظم قبحه لعظم النعمة المكفورة، فإذا زادت
النعمة زاد قبح الكفر وتمادى { لعناهم } طردناهم وأخرجناهم من رحمتنا. وقيل:
مسخناهم. وقيل: ضربنا عليهم الجزية { وجعلنا قلوبهم قاسية } خذلناهم ومنعناهم
الأنطاف حتى قست قلوبهم. أو أملينا لهم ولم نعالجهم بالعقوبة حتى قست.

(١) قوله: موطئة للقسم أي مؤسسة له بمعنى أنها دالة على أن الجواب الآتي بعدها جواب
للقسم لا للشرط.

(٢) قوله: لا أكفرن إلى قوله الأنهار ومن قال أن الوعد بمعنى الوعيد فقد سهى ، وقال
الطبي: لو أريد هذا المعنى لقليل بعد ذلك الشرط المعلق به الوعد العظيم كما قال
القاضي لأنه لا يقال الشرط معلق بالجزاء بل الجزء معلق بالشرط والحق أن الوعد
العظيم هو قوله { إني معكم } وعظمه باعتبار استمالة على جميع ما يصح فيه الوعد
وتعلق الشرط به من حيث المعنى كما تقول لصاحبك أما معتن بأمرك جدا إن جد متني لم
أضيع سعيك أفعل بك كيت وكيت فالشرط مع الجزاء مقرر لمعنى الجملة الأولى وحاصل
معنى

قوله الشرط المعلق بالوعد تعود إلى الشرط (الوعد المعلق بالشرط) المعلق بالوعد ،
وأقول كما لا يقال الشرط معلق بالجزاء لا يقال الشرط معلق بغير الجزاء فإن قال أردت
بكونه معلقا به أنه مقرر لمعناه قلنا فلم لا يجوز أن يراد بكون الشرط معلقا بالجزاء
استلزامه له ولم لا يجوز أن يكون التركيب من سعة القلب.

(٣) قوله: بعد ذلك الشرط المؤكد المعلق بالوعد العظيم الشرط المؤكد لأن أقمتم إلى
آخره وتأكيده للقسم والوعد.

(٢٧٥/٣)

وقرأ عبد الله: "قسية"، أي ردية مغشوشة، من قولهم: درهم قسي وهو من القسوة؛ لأن الذهب والفضة الخالصين فيهما لين والمغشوش فيه ييس وصلابة، والقاسي والقاسح - بالحاء - أخوان في الدلالة على الييس والصلابة وقرئ: "قسية"، بكسر القاف للإتباع { يحرفون الكلم } بيان لقسوة قلوبهم، لأنه لا قسوة أشد من الافتراء على الله وتغيير وحيه { ونسوا حظا } وتركوا نصيبا جزيلا وقسطا وافيا { مما ذكروا به } من التوراة، يعني أن تركهم وإعراضهم عن التوراة إغفال حظ عظيم، أو قست قلوبهم(١) وفسدت فحرفوا التوراة وزالت أشياء منها عن حفظهم. وعن ابن مسعود رضي الله عنه: قد ينسى المرء بعض العلم بالمعصية. وتلا هذه الآية. وقيل: تركوا نصيب أنفسهم مما أمروا به من الإيمان بمحمد وبيان نعتة { ولا تزال تطلع } أي هذه عاداتهم وهجيراتهم وكان عليها أسلافهم كانوا يخونون الرسل وهؤلاء يخونونك ينكثون عهودك ويظاهرون المشركين على حربك ويهمون بالفتك بك وأن يسموك { على خائنة } على خيانة، أو على فعلة ذات خيانة، أو على نفس، أو فرقة خائنة. ويقال: رجل خائنة، كقولهم: رجل راوية للشعر للمبالغة.

(١) قوله: أو قست قلوبهم عطف على قوله يحرفون بيان لقسوة قلوبهم ، وقوله لأنه لا قسوة أشد من الافتراء على الله تعليل لاتحاد معنى البيان والمبين لأن معنى قولهم

قلوبهم قاسية فيه نوع جفا وقد أزيل بقوله يحرفون ، وعلى الوجه الثاني يحرفون استئناف جواب لسؤال مقدر وهو ما فعلوا إذن ولذلك أتى بفاء السببية في قوله فحرفوا والمراد بالنسيان على هذا حقيقته لا الترك وعلى الأول المراد به الترك والمراد بالخط على الأول التوراة كلها وعلى الثاني بعضها بدل المصنف على ذلك كله وقوله : وقيل: تركوا نصب أنفسهم عطف على قوله وتركوا نصيبا جزيلا فالتكثير في حظا على الأول للتكثير والتعظيم وعلى الثاني للنوع وإلى ذلك أشار المصنف.

(٢٧٦/٣)

قال(١):

حدثت نفسك بالوفاء ولم تكن ... للغدر خائنة مضل الأصبغ

وقرئ على خيانة { منهم } إلا قليلا منهم { وهم الذين آمنوا منهم } فاعف عنهم { بعث

أخذنا ميثاقهم { أخذنا من النصارى ميثاق من ذكر قبلهم من قوم موسى، أي مثل ميثاقهم بالإيمان بالله والرسول وبأفعال الخير، وأخذنا من النصارى ميثاق أنفسهم بذلك. فإن قلت: فهلا قيل: من النصارى؟ قلت: لأنهم إنما سمو أنفسهم بذلك ادعاء لنصرة الله، وهم الذين قالوا لعيسى: نحن أنصار الله، ثم اختلفوا بعد: نستورية، ويعقوبية،

وملكانية. أنصارا للشيطان { فأغرينا { فألصقنا وألزمنا من غري بالشيء إذا لزمه ولصق به وأغراه غيره. ومنه الغراء الذي يلصق به { بينهم { بين فرق النصارى المختلفين. وقيل: بينهم وبين اليهود. ونحوه { وكذلك نولي بعض الظالمين بعضا { (الأنعام: ١٢٩)، { أو يلبسكم شيعا ويذيق بعضكم بأس بعض { (الأنعام: ٦٩). { يا أهل الكتاب { خطاب لليهود والنصارى { مما كنتم تخفون { من نحو صفة رسول الله ، ومن نحو الرجم { ويعفو عن كثير { مما تخفونه لا يبينه إذا لم تضطر إليه مصلحة دينية، ولم يكن فيه فائدة إلا اقتضاء حكم وصفته مما لا بد من بيانه، وكذلك الرجم وما فيه إحياء شريعة وإماتة بدعة. وعن الحسن: ويعفو عن كثير منكم لا يؤاخذ { قد جاءكم من الله نور وكتاب مبين { يريد القرآن، لكشفه ظلمات الشرك والشك، لإبانه ما كان خافيا عن الناس من الحق. أو لأنه ظاهر الإعجاز { من اتبع رضوانه { من آمن به { سبل السلام { طرق السلامة والنجاة من عذاب الله أو سبل الله. ٩ u ©%s)çx ٢٥٤ الذين (٩#ûq%s إن الله هو المسيح ابن مريم قل فمن 7d=Jtfô من الله \$,"x © إن أراد أن 7dy=gôم المسيح ابن مريم وأمه ومن في الأرض جميعا والله ملك 9\$#،،yJ"N`uqد والأرض وما بينهما يخلق ما يشاء والله على كل شيء قدير اتذب (٢٧٨/٣)

قولهم: { إن الله هو المسيح { معناه بت القول(١)، على أن حقيقة الله هو المسيح لا غير. قيل: كان في النصارى قوم يقولون ذلك. وقيل: ما صرحوا به ولكن مذهبهم يؤدي إليه، حيث اعتقدوا أنه يخلق ويحيي ويميت ويدبر أمر العالم { فمن يملك من الله شيئا { فمن يمنع من قدرته ومشيتته شيئا { إن أراد أن يهلك { من دعوه الها من المسيح وأمه دلالة(٢) على أن المسيح عبد مخلوق كسائر العباد. وأراد بعطف { من في الأرض { (٣) (يونس: ٩٩) على (المسيح وأمه) أنهما من جنسهم لا تفاوت بينهما وبينهم في البشرية { يخلق ما يشاء { أي يخلق من ذكر وأنثى ويخلق من أنثى من غير ذكر كما خلق عيسى، ويخلق من غير ذكر وأنثى كما خلق آدم. أو يخلق ما يشاء كخلق الطير على يد عيسى معجزة له، وكإحياء الموتى وإبراء الأكمة والأبرص، وغير ذلك. فيجب أن ينسب إليه ولا ينسب إلى البشر المجرى على يده.

(١) قوله: بت القول على أن حقيقة الله هو المسيح وذلك أن الخبر إذا صح عرف أفاد القصر فإذا ضم معه ضمير الفعل ضاعف تأكيد معنى القصر فإذا صدرت الجملة بأن بلغ الكمال في التحقيق.

(٢) قوله: دلالة على أن المسيح مفعول له أي قال الله تعالى هذا القول دلالة .

(٣) قوله وأراد بعطف من في الأرض عطف على جملة قوله قال الله تعالى هذا القول دلالة قوله اتساع إن الله هذا مع قوله لو كنتم أبناء الله لكنتم من جنس الأب ولا مع قوله { بل أنتم بشر ممن خلق } وأجيب بأنهم أرادوا بما ادعوه اختصاصهم بابني الله على زعمهم وأن لهم مزية على سائر الخلق فأريد بقوله { بل أنتم بشر ممن خلق } نفي ما ادعوه من الاختصاص والمزية وأراد بقوله لكنتم من جنس غير فاعلين للقيح أنكم لو كنتم أشياء ابني الله والابن يحب أن يكون من جنس الأب في ذلك أي في عدم فعل القبيح والمشايع يجب أن يكون من جنس الأب ولا يخلوا هذا عن حرارة. (٢٧٩/٣)

وقالت اليهود "u" | ء Y9\$#ur نحن &sY/r"-às# الله وأحباؤه قل sù=dzN يعذبكم

بذنوبكم بل أنتم ضئ | 00³ ممن خلق يغفر لمن يشاء ويعذب من يشاء والله ملك yJ9\$#،،yJ"N`uqد والأرض وما بينهما وإليه مرجأء#yJ9\$# اترب { أبناء الله } أشياء ابني الله عزيز والمسيح، كما قيل لأشباع أبي خبيب وهو عبد الله بن الزبير (الخببيون) وكما كان يقول رهط مسيلمة: نحن أنبياء الله. ويقول أقرباء الملك وذووه وحشمه: نحن الملوك. ولذلك قال مؤمن آل فرعون: لكم الملك اليوم { فلم يعذبكم بذنوبكم } فإن صح أنكم أبناء الله وأحباؤه فلم تذبون وتعذبون بذنوبكم فتمسخون وتمسكم النار أياما معدودات على زعمكم. ولو كنتم أبناء الله، لكنتم من جنس الأب، غير فاعلين للقبائح ولا مستوجبين للعقاب. ولو كنتم أحباؤه، لما عصيتموه ولما عاقبكم { بل أنت بشر } من جملة من خلق من البشر { يغفر لمن يشاء } وهم أهل الطاعة }

ويعذب من يشاء { وهم العصاة.

يا أهل الكتاب قد جاءكم رسولنا يبين لكم على فترة من الرسل أن تقولوا ما جاءنا من بشير ولا نذير فقد جاءكم ضئجد±00 ونذير والله على كل شيء قدير (١٩)

}

يبين لكم { إما أن يقدر المبين وهو الدين والشرائع، وحذفه لظهور ما ورد الرسول لتبيينه. أو يقدر ما كنتم تخفون، وحذفه لتقدم (١) ذكره. أو لا يقدر ويكون المعنى. يبدل لكم البيان، ومحلله النصب على الحال، أي مبينا لكم. { على فترة { متعلق بجاءكم، أي جاءكم على حين فتور من إرسال الرسل وانقطاع من الوحي { أن تقولوا { كراهة أن تقولوا { فقد جاءكم { متعلق بمحذوف، أي لا تعتذروا فقد جاءكم. وقيل: كان بين عيسى ومحمد صلوات الله عليهما خمسمائة وستون سنة. وقيل: ستمائة. وقيل: أربعمائة ونيف وستون. وعن الكلبي: كان بين موسى وعيسى ألف وسبعمائة سنة وألف نبي وبين عيسى ومحمد

صلوات الله عليهم أربعة أنبياء. ثلاث من بني إسرائيل، وواحد من العرب: خالد بن سنان العيسي. والمعنى: الامتنان عليهم، وأن الرسول بعث إليهم حين انطمست آثار الوحي أحوج (٢) ما يكون إليه، ليهشوا إليه ويعدوه أعظم نعمة من الله، وفتح باب إلى الرحمة، وتلزمهم الحجة فلا يعتلوا غدا بأنه لم يرسل إليهم من ينههم عن غفلتهم.

(١) قوله: لتقدم ذكره وهو قوله تعالى : { قد جاءكم رسولنا يبين لكم كثيرا مما كنتم تخفون } .

(٢) قوله: أحوج ما تكونون إليه أحوج منصوب على الظرفية بدلا من قوله حين انطمست وما مصدرية وكان تامة أي أحوج أوقاتهم على اسناد الاحتياج إلى الوقت مجازا كما في أخطب ما يكون الأمير قائما وأحوج الأوقات عبارة عن الوقت الذي كانوا فيه . (٢٨١/٣)

ur(خÆ قال موسى لقومه دQqs)"tf اذكروا نعمة الله عليكم إذ جعل فيكم أنبياء وجعلكم

Z.qè=-B% وآتاكم ما لم يؤت أحدا من العالمين (٢٠) دQqs)"tf

(#qè=ن#zط\$# الأرض

المقدسة التي كتب الله لكم ولا ترتدوا على /ن.ح'\$ô/ت&r(#7çq=دùFsZt s)

خاسرين (٢١)

قالوا يا موسى إن فيها قوما جبارين وإنا لن ندخلها ٤s®Lxm يخرجوا منها فإن يخرجوا

الجزء.

(٢٨٣/٣)

الجبار (فعال) من جبره على الأمر بمعنى أجبره عليه وهو العاتي الذي يجبر الناس على ما يريد { قال رجلان { هما كالب ويوشع { من الذين يخافون { من الذين يخافون الله ويخشونه، كأنه قيل: رجلان من المتقين. ويجوز أن تكون الواو لبني إسرائيل والراجع إلى الموصول محذوف تقديره: من الذين يخافهم بنو إسرائيل وهم الجبارون، وهما رجلان منهم { أنعم الله عليهما { بالإيمان فآمنا، قالوا لهم: إن العمالقة أجسام لا قلوب فيها، فلا تخافوهم وازحفوا إليهم فإنكم غالبوهم يشجعانهم على قتالهم. وقراءة من

قرأ(١): "يخافون" بالضم شاهدة له، وكذلك أنعم الله عليهما، كأنه قيل: من المخوفين. وقيل: هو من الإخافة(٢)، ومعناه من الذين يخوفون من الله بالتذكرة والموعظة.

(١) قوله: وقراءة من قرأ تخافون شاهدة له أي للوجه الثاني وهو أن التقدير من الذين تخافهم بنو إسرائيل ، وإنما شهدت له لأن المخوفين هم العمالقة والخائفين هم بنو إسرائيل فإذا كان الخائفون على هذه القراءة هم بنو إسرائيل فكذا في القراءة لئلا يلزم التناقض ، وكذلك أنعم الله عليهما يشهد أيضا للوجه الثاني لأنهما لو كانا من بني إسرائيل لم يخصا بالإنعام فكان يجب أن يقال أنعم الله عليهم لأن المراد بالإنعام بالإيمان وهو شامل لبني إسرائيل غير مخصوص بإثنين منهم أو الإنعام به وبسائر النعم الشاملة لهم في قوله : { نعمتي التي أنعمت عليكم { هذا ولقائل أن يقول إنهما من بني إسرائيل وإنما خصا بالذكر لأنهما كانا مخصوصين بنعمة التوفيق للثبات على الحق والإمتثال لأمر الله.

(٢) قوله وقيل هو من الإخافة وعلى هذا فهما من بني إسرائيل وعلى الأول هما من العمالقة ، قال أبو البقاء يقرأ يخافون بضم الياء وله معنيان أحدهما أنه من قولك خيف الرجل إي خوف والثاني أن يكون المعنى يخافهم غيرهم كقولك فلان مخوف أي يخافه الناس ، جاء لازما ومتعديا ، والصعداء النفس الباردة الطويل.

(٢٨٤/٣)

أو يخوفهم وعيد الله بالعقاب. فإن قلت: ما محل أنعم الله عليهما؟ قلت: إن انتظم مع قوله: (من الذين يخافون) في حكم الوصف لرجلان فمرفوع، وإن جعل كلاما معترضا فلا محل

له. فإن قلت: من أين علما أنهم غالبون؟ قلت: من جهة إخبار موسى بذلك. وقوله تعالى: { كتب الله لكم } وقيل: من جهة غلبة الظن وما تبينا من عادة الله في نصرته رسله، وما عهدا من صنع الله لموسى في قهر أعدائه، وما عرفا من حال الجبابة. والباب: باب

قريتهم { لن ندخلها } نفي لدخولهم في المستقبل على وجه التأكيد المؤيس. و { أبدا } تعليق للنفي المؤكد بالدهر المتطاول. و { ما داموا فيها } بيان للأبد { فاذهب أنت وربك } يحتمل أن لا يقصدوا حقيقة الذهاب، ولكن كما تقول: كلمته فذهب يجيبني، تريد معنى الإرادة والقصد للجواب، كأنهم قالوا: أريد قتالهم. والظاهر أنهم قالوا ذلك استهانة بالله ورسوله وقلة مبالاة بهما واستهزاء، وقصدوا ذهابهما حقيقة بجهلهم وجفاهم وقسوة قلوبهم التي عبدوا بها العجل وسألوا بها رؤية الله عز وجل جهرة. والدليل عليه مقابلة ذهابهما بعودهم ويحكي أن موسى وهارون عليهما السلام خرا لوجوهما قدامهم لشدة ما ورد عليهما، فهموا برجمهما. ولأمر ما قرن الله اليهود بالمشركين وقدمهم عليهم في قوله تعالى: { لتجدن أشد الناس عداوة للذين آمنوا اليهود والذين أشركوا } (المائدة: ٨٢).

%tA\$s رب 'oTدخ لا &Br=dà7 إلا نفسي ستپ ur&r فافرق t\$ ÷ sYsY/

وبين القوم الفاسقين

(٢٥) قال فإنها چîptB N utèC خkz n=t أربعين سنة يتيهون في الأرض فلا تأس على

القوم

الفاسقين (٢٦)

(٢٨٥/٣)

لما عصوه وتمردوا عليه وخالفوه وقالوا ما قالوا من كلمة الكفر ولم يبق معه مطيع موافق يتق له إلا هارون { قال رب إني لا أملك } لنصرة دينك { إلا نفسي وأخي } وهذا من البث والحزن والشكوى إلى الله والحسرة ورقة القلب التي بمثلها تستجلب الرحمة وتستنزّل النصر ونحوه قول يعقوب عليه السلام { إنما أشكو بثي وحزني إلى الله } (يوسف: ٨٦). وعن علي رضي الله عنه أنه كان يدعو الناس على منبر الكوفة في قتال البغاة، فما أجابه إلا رجلان فتنفس الصعداء. ودعا لهما وقال: أين تقعان مما أريد؟ وذكر في إعراب (أخي) وجوه: أن يكون منصوبا عطفا على نفسي أو على الضمير في (إني) بمعنى: ولا أملك إلا نفسي وإن أخي لا يملك إلا نفسه. ومرفوعا عطفا على محل إن

واسمها. كأنه قيل: أنا لا أملك إلا نفسي، وهارون كذلك لا يملك إلا نفسه أو على الضمير في لا أملك. وجاز للفصل. مجرورا عطفا على الضمير في نفسي، وهو ضعيف لقبح العطف على ضمير المجرور إلا بتكرير الجار. فإن قلت: أما كان معه الرجلان المذكوران؟ قلت: كأنه لم يثق بهما كل الوثوق ولم يطمئن إلى ثباتهما، لما ذاق على طول الزمان واتصال الصحبة من أحوال قومه وتلونهم وقسوة قلوبهم، فلم يذكر إلا النبي المعصوم الذي لا شبهة في أمره، ويجوز أن يقول ذلك لفرط ضجره عندما سمع منهم تقليلا لمن يوافقه. ويجوز أن يريد: ومن يؤاخيني على ديني { فافرق } فافصل { بيننا } وبينهم بأن تحكم لنا بما نستحق، وتحكم عليهم بما يستحقون، وهو في معنى الدعاء عليهم.

(٢٨٦/٣)

ولذلك وصل به (١) قوله: { فإنها محرمة عليهم } على وجه التسيب، أو فباعد بيننا وبينهم وخلصنا من صحبتهم كقوله: { ونحني من القوم الظالمين } (القصص: ٢١) { فإنها } فإن الأرض المقدسة { محرمة عليهم } لا يدخلونها ولا يملكونها، فإن قلت: كيف يوفق بين هذا وبين قوله: { التي كتب الله لكم } (المائدة: ٢١)؟ قلت: فيه وجهان، أحدهما: أن يراد كتبها لكم بشرط أن تجاهدوا أهلها فلما أبوا الجهاد قيل: فإنها محرمة عليهم. والثاني: أن يراد فإنها محرمة عليهم أربعين سنة، فإذا مضت الأربعون كان من كتب، فقد روي أن موسى سار بمن بقي من بني إسرائيل وكان يوشع على مقدمته ففتح أريحاء وأقام فيها ما شاء الله ثم قبض صلوات الله عليه. وقيل: لما مات موسى بعث يوشع نبيا، فأخبرهم بأنه نبي الله، وأن الله أمره بقتال الجبابرة، فصدقوه وبايعوه وسار بهم إلى أريحاء وقتل الجبارين وأخرجهم، وصار الشام كله لبني إسرائيل.

(١) قوله: ولذلك وصل به قوله فإنها محرمة عليهم على وجه التسيب يعني لما دعا موسى عليه السلام بقوله { فافرق } عقب الله تعالى ذلك بما يدل على استجابة دعائه بقوله

فإنها محرمة عليهم ولا شك أن الحصول في التية أربعين سنة والمنع من دخول الأرض المقدسة من أشد البلاء ولو لا استمال دعائه على الدعاء عليهم لم يحسن هذا التعقيب ، هذا إذا قدر أن موسى عليه السلام كان معهم في التية وكان روحا له وسلاما لا عقوبة أو فباعد بيننا وبينهم هذا إذا قيل أنه عليه السلام لم يكن معهم.

(٢٨٧/٣)

وقيل: لم يدخل الأرض المقدسة أحد ممن قال: { إنا لن ندخلها } (المائدة: ٢٢) وهلكوا في التيه ونشأت نواشيه من ذرياتهم فقاتلوا الجبارين ودخلوها والعامل (١) في الظرف إما (محرمه) وإما (يتيهون) ومعنى { يتيهون في الأرض } يسرون فيها متحيرين لا يهتدون طريقا. والتيه: المفازة التي يتاه فيها. روى أنهم لبثوا أربعين سنة في ستة فراسخ يسرون كل يوم جادين، حتى إذا سئموا وأمسوا إذا هم بحيث ارتحلوا عنه، وكان الغمام يظللهم من حر الشمس، ويطلع لهم عمود من نور بالليل يضيء لهم، وينزل عليهم المن والسلوى، ولا تطول شعورهم، وإذا ولد لهم مولود كان عليه ثوب كالظفر يطول بطوله. فإن قلت: فلم كان ينعم عليهم بتظليل الغمام وغيره، وهم معاقبون؟ قلت: كما ينزل بعض النوازل على العصاة عركا لهم، وعليهم مع ذلك النعمة متظاهرة. ومثل ذلك مثل الوالد المشفق يضرب ولده ويؤذيه ليتأدب ويتقف (٢) ولا يقطع عنه معروفه وإحسانه. فإن قلت: هل كان معهم في التيه موسى وهارون عليهما السلام؟ قلت: اختلف في ذلك، ف قيل لم يكونا معهم لأنه كان عقابا، وقد طلب موسى إلى ربه أن يفرق بينهما وبينهم. وقيل: كانا معهم إلا أنه كان ذلك روحا لهما وسلامة، ولا عقوبة، كالنار لإبراهيم، وملائكة العذاب. وروي أن هارون مات في التيه. ومات موسى بعده فيه بسنة. ودخل يوشع أريحاء بعد موته بثلاثة أشهر.

(١) قوله: والعامل في الظرف أي في أربعين إما محرمه وإما ينتهون قال أبو البقاء أربعين ظرف لمحرمه فالتحريم على هذا مؤقت وينهون حال من الضمير المجرور ، وقيل في ظرف لينهون فالتحريم على هذا غير مؤقت ، وقال الزجاج نصيها بمحرمه خطأ لأنه جاء في الفسیر أنها محرمه عليهم أبدا .

(٢) قوله: قيل سنة به في بياضة والعرك التأديب والتثقيف التقويم والتنويه.

(٢٨٨/٣)

ومات النقباء في التيه بغتة، إلا كالب ويوشع { فلا تأس } فلا تحزن عليهم لأنه ندم على الدعاء عليهم، ف قيل: إنهم أحقاء لفسقهم بالعذاب، فلا تحزن ولا تندم.

* واتل Nخkژtnم نبأ ابني آدم بالحق إذ قربا قربانا فتقبل من أحدهما ولم يتقبل من حج\$yzFy# قال %y7`Yn=çF } قال إنما يتقبل الله من المتقين (٢٧) لئن بسطت إلي يدك

سَة_٩n=çF)tG ما أنا بباسط يدي إليك %y7n=çF } 'oTدخ) أخاف الله رب العالمين (٢٨)

'oTدخ) أريد أن ûqç6s&r؛ يائمي وإثمك فتكون من أصحاب النار ٩dy7 sCEur"y"t"u#)

الظالمين (٢٩) فطوعت له نفسه قتل دمًا &zr½ فقتله فأصبح من رُؤخا sfù:\$# (30) فبعث

الله غرابا يبحث في الأرض ليريه كيف "ح fmuq" سوأة &m½zr قال يا ويلتا أعجزت أن

أكون مثل هذا الغراب y"ح uré'sù" سوأة ستپ &r فأصبح من النادمين (٣١) من أجل sCE"٩dy7

٢usY;tF\$ على ũسة_ /t_ ٩dy7 f@u دن" (خ) أنه من قتل نفسا بغير نفس أو فساد في الأرض فكأنما

قتل الناس جميعا ومن أحيأها فكأنما أحيأ الناس جميعا ولقد جاءتهم رسلنا بالبينات ثم إن [رُجد Wx# منهم بعد ٩dy7 sCE" في الأرض لمسرفون اجثب (٢٨٩/٣)

هما ابنا آدم لصلبه قابيل وهابيل، أوحى الله إلى آدم أن يزوج كل واحد منهما توأمة الآخر، وكانت توأمة قابيل أجمل واسمها (إقليم) فحسد عليها أخاه وسخط. فقال لهما آدم: قربا قربانا، فمن أيكما تقبل زوجها، فقبل قربان هابيل بأن نزلت نار فأكلته؛ فازداد قابيل حسدا وسخطا، وتوعده بالقتل. وقيل: هما رجلان من بني إسرائيل { بالحق { تلاوة (١) ملتبسة بالحق والصحة. أو اتله نبأ ملتبسا بالصدق موافقا لما في كتب

الأولين. أو بالغرض الصحيح وهو تقبيح الحسد؛ لأن المشركين وأهل الكتاب كلهم كانوا يحسدون رسول الله ويبغون عليه. أو اتل عليهم وأنت محق صادق. و { إذ قربا { نصب بالنبا أي قصتهم وحديثهم في ذلك الوقت، ويجوز أن يكون بدلا من النبا، أي اتل عليهم النبا نبأ ذلك الوقت، على تقدير حذف المضاف. والقربان: اسم ما يتقرب به (٢) إلى الله من نسيسة أو صدقة، كما أن الحلوان اسم ما يحلى أي يعطى. يقال: قرب صدقة وتقرب بها، لأن تقرب مطاوع قرب: قال الأصمعي: تقربوا قرف (٣)

(١) قوله: تلاوة ملتبسة بالحق الباء للملابسة والجار والمجرور في محل نصب إما صفة

للتلاوة أو حال عن البناء وعن فاعل وقوله أو بالعرض عطف على قوله بالصدق
وليست نافية للتسبيب كما قال صاحب التقريب بل هي صلة ملتبسا يدل عليه قوله في سورة
الأحقاف إلا خلقا ملتبسا بالحكمة والغرض الصحيح.

(٢) قوله: والقربان اسم ما يتقرب به إلى الله قال أبو البقاء هو في الأصل مصدر وقد
وقع هنا موقع المفعول به والأصل إذ قربا قربانين ولم يشن للمح الأصل، وقال أبو علي
تقديره إذ قرب كل واحد منهما قربانا .

(٣) قوله: تقربوا قرف القمع القرف الوسيح والقمع الوعاء الذي يترك في رأس
الطرف بالمائعات أراد تقربوا مني بأقرب القمع تحقيرا لهم واستخفافا بهم كأنه شبههم
به في الذلة ، وقيل معناه تقربوا القمع من القمع وأنه ماله
و

(٢٩٠/٣)

القمع فيعدى بالياء حتى يكون بمعنى قرب. فإن قلت: كيف كان قوله: { إنما يتقبل الله
من المتقين } جوابا لقوله: { لأقتلنك } ؟ قلت: لما كان الحسد لأخيه على تقبل قربانه
هو الذي حمّله على توعده بالقتل قال له: إنما أتيت من قبل نفسك لانسلاخها من لباس
التقوى، ولا من قبلي، فلم تقتلني؟ ومالك لا تعاتب نفسك ولا تحملها على تقوى الله

التي هي السبب في القبول؟ فأجابه بكلام حكيم مختصر جامع لمعان. وفيه دليل على أن
الله تعالى لا يقبل طاعة إلا من مؤمن متق، فما أنعاه على أكثر العاملين أعمالهم.
وعن عامر بن عبد الله أنه بكى حين حضرته الوفاة فقليل له: ما يبكيك فقد كنت وكنت؟
قال إني أسمع الله يقول: { إنما يتقبل الله من المتقين } . { ما أنا بباسط يدي إليك
لأقتلك } قيل: كان أقوى من القاتل وأبطش منه، ولكنه تخرج عن قتل أخيه واستسلم له
خوفا من الله؛ لأن الدفع لم يكن مباحا في ذلك الوقت. قاله مجاهد وغيره { إني أريد
أن تبوء بإثمي وإثمك } أن تحتل إثم قتلي لك لو قتلتك وإثم قتلك لي. فإن قلت: كيف
يحمل إثم قتله له ولا تزر وازرة وزر أخرى؟ قلت: المراد بمثل إثمي على الاتساع في
الكلام، كما تقول: قرأت قراءة فلان، وكتبت كتابته، تريد المثل وهو اتساع فاش مستفيض
لا يكاد يستعمل غيره. ونحوه قوله عليه الصلاة والسلام: (٣٤٧) "المستبان ما قالا
فعلى البادي(١)

(١) قوله: ما وما فعلى البادي جملة اسمية

متضمنة لمعنى الشرط لأن ما بمعنى الذي خبر للمبتدأ وما فيما لم يعتد مصدرية فيها
معنى المدة وهي طرف لمتعلق الجار والمجرور المعنى المستبان الذين قالاه استقر ضرره
على الذي بدأ بالسبب مدة عدم اعتدائه المظلوم أي مالم يتجاوز المظلوم حد ما سببه
البادي فإذا جاوزه استقر ضرر ما جاوزه عليه..
(٢٩١/٣)

ما لم يعتد المظلوم" على أن البادي عليه إثم سبه، ومثل إثم سب صاحبه؛ لأنه كان سببا
فيه، إلا أن الإثم محطوط عن صاحبه معفو عنه، لأنه متكافئ مدافع عن عرضه. ألا ترى
إلى قوله: (ما لم يعتد المظلوم) لأنه إذا خرج من حد المكافأة واعتدى لم يسلم. فإن
قلت: فحين كف هابيل قتل أخيه واستسلم وتخرج عما كان محظورا في شريعته من الدفع،
فأين الإثم حتى يتحمل أخوه مثله فيجتمع عليه الإثمان؟ قلت: هو مقدر (١) فهو يتحمل

الإثم المقدر، كأنه قال: إني أريد أن تبوء بمثل إثمي لو بسطت يدي إليك. وقيل:
(ياثمى) ياثم قتلي (وإثمك) الذي من أجله لم يتقبل قربانك فإن قلت: فكيف جاز أن يريد
شقاوة أخيه وتعذيبه؟ قلت: كان ظالما وجزاء الظالم حسن جائز أن يراد. ألا ترى إلى
قوله تعالى: {وذلك جزاء الظالمين} وإذا جاز أن يريد الله، جاز أن يريد العبد؛
لأنه لا يريد إلا ما هو حسن.

(١) قوله: قلت هو مقدر ... إلى آخره أن قيل لم يتحمل مثل الإثم المقدر قلنا لأنه
فعل سببه وهو قصد قتل أخيه وفاعل السبب بمنزلة من فعل المسبب إن لم يوجد السبب
وتحقيق هذا أن قابيل متحمل لأثمين أحدهما أثم قتل أخيه لأنه قتله ، وهذا ظاهر ،
إليه الإشارة بقوله { وإثمك } وأثم قتلك لي ، والثاني مثل قتل أخيه المقدر وجوده لو
قتله دفاعا من نفسه لأن الدفع كان حراما في شرعهم وإنما استحق مثله لاثباته بسببه
وهو ال..... على أخيه ولكنه لم يوجد لمانع آخر من قتل أخيه وهو تورعه عنه وحجر
نفسه عن ذلك فمن حيث أنه قد وجد سببه من جهة قابيل ينزل منزلة الموجود ويستحق قابيل
أثمه. ومثال هذا أن الضال المضل له إثمان إثم الضلال وإثم الإضلال وإن لم يؤثر
الإضلال لمانع موجود فيمن قصد إضلاله من توفيق الله ونحوه فإثم الإضلال عليه وإن لم
يؤثر إضلاله فكأن قابيل استحق بقتله لأخيه أثمين قتله لأخيه من غير نظر إلي شيء آخر
واثم قتله له من حيث أنه سبب في قتل قابيل دفاعا وإن لم يوجد.

(٢٩٢/٣)

والمراد بالإثم وبال القتل وما يجره من استحقاق العقاب، فإن قلت: لم جاء الشرط بلفظ الفعل والجزاء بلفظ اسم الفاعل وهو قوله: { لئن بسطت... ما أنا بباسط } ؟ قلت: ليفيد أنه لا يفعل (١) ما يكتسب به هذا الوصف الشنيع. ولذلك أكدته بالباء المؤكدة للنفي، { فطوعت له نفسه قتل أخيه } فوسعته له ويسرته، من طاع له المرتع: إذا اتسع.

وقرأ الحسن: "فطاوعت". وفيه وجهان: أن يكون مما جاء من فاعل بمعنى فعل، وأن يراد أن قتل أخيه كأنه دعا نفسه إلى الإقدام عليه فطاوعته ولم تمتنع، وله لزيادة الربط (٢) كقولك: حفظت لزيد ماله. وقيل: قتل وهو ابن عشرين سنة، وكان قتله عند عقبة حراء، وقيل: بالبصرة في موضع المسجد الأعظم { فبعث الله غرابا } روي: أنه أول قتيل قتل على وجه الأرض من بني آدم. ولما قتله تركه بالعراء لا يدري ما يصنع به، فخاف عليه السباع فحمله في جراب على ظهره سنة حتى أروح وعكفت عليه السباع، فلعث الله غرابين فاقتتلا فقتل أحدهما الآخر، فحفر له بمنقاره ورجليه ثم ألقاه في الحفرة { قال يا ويلتنا أعجزت أن أكون مثل هذا الغراب } ويروى أنه لما قتله اسود جسده وكان أبيض، فسأله آدم عن أخيه فقال: ما كنت عليه وكيلا، فقال: بل قتلته ولذلك اسود جسدي. وروي أن آدم مكث بعد قتله مائة سنة لا يضحك وأنه رثاه بشعر (٣)،

(١) قوله: ليفيد أنه لا يفعل ما يكتسب به هذا الوصف قيل أي لا يفعل فلا يسبق منه هذا الوصف وهو أن يقال مثلا هو باسط اليد فإن فعل الصادر عن الشخص ملزوم كونه فاعلا فإذا نفى اللازم ليدل به على انتفاء الملزوم على الكناية كان أبلغ وأدل على سياغة بالفعل.

(٢) قوله: وله لزيادة الربط كقولك حفظت لزيد ماله أي حفظت مال زيد والغرا بالمد الفضاء بلا ستر .

(٣) قوله: ورثاه بشعر وهو قوله:

تغيرت البلاد ومن عليها ... فوجه الأرض مغير قبيح
تغير كل ذي لون وطعم ... وقل بشاشة الوجه المليح

حكم بكونه متحولا لأنه لجواب ابن جبير الأنصاري ومنهم من عزاه إلى زهير وأبو علي قال هو لجئوب بن خبير والعلم عند الله ، ومعنى كون الشعر متحولا أن ينسب إلى غير قائله وحكم بكونه ملحونا على تقدير أن يكون المليح مرفوعا لأنه صفة الوجه والوجه

مجرور وإنما لم يجر المليح لئلا يلزم الأقوى.

(٢٩٣/٣)

كذب بحت، وما الشعر إلا منحول ملحون. وقد صح أن الأنبياء عليهم السلام معصومون من الشعر. { ليريه } ليريه الله. أو ليريه الغراب، أي ليعلمه؛ لأنه لما كان سبب تعليمه، فكأنه قصد تعليمه على سبيل المجاز { سوء أخيه } عورة أخيه وما لا يجوز أن ينكشف من جسده. والسوءة: الفضيحة لقبحها. قال:

يا لقوم للسوءة (١) السوء

أي للفضيحة العظيمة فكنى بها عنها { فأواري } بالنصب على جواب الاستفهام. وقرئ بالسكون على: فأنا أواري. أو على التسكين في موضع النصب للتخفيف { من النادمين } على قتله، لما تعب فيه من حمله وتحيره في أمره، وتبين له من عجزه، وتلمذه للغراب، واسوداد لونه وسخط أبيه، ولم يندم ندم التائبين { من أجل ذلك } بسبب ذلك وبعلة. وقيل: أصله من أجل شرا إذا جناه يأجله أجلا. ومنه قوله:

كأنك إذا قلت: من أجلك فعلت كذا، أردت من أن جنيت فعله وأوجبت، ويدل عليه قولهم: من جراك فعلته، أي من جررت به بمعنى جنيته. وذلك إشارة إلى القتل المذكور، أي من أن جني ذلك القتل الكتب وجره { كتبنا على بني إسرائيل } (من) لابتداء الغاية، أي ابتدأوا الكتب نشأ من أجل ذلك. ويقال: فعلت كذا لأجل كذا. وقد يقال: أجل كذا، يحذف الجار وإيصال الفعل قال: أجل إن الله قد فضلكم (٢).

(١) قوله: يا لقوم للسوءة السوء . أوله لم يهب حرمة النديم وحفت .

السوءة السوء الخلة القبيحة.

قوله: أو على التسكين في موضع النصب للتخفيف ، قال المبرد هذا من الضرورات الحسنة التي يجوز مثلها في النشر.

قوله: صالح ذات بينهم ... قد أخبروا في عاجل أبا آجلة

هو لمضر بن مالك التميمي يقول كم من أهل حبا مجتمعين مؤتلفين لا وحشة بينهم قد

وقعوا في شرعاجل وتحاربوا من أجله ، يصف نفسه بأنه مهتاج للفتن ، وقال

ذات بينهم نظرا إلى الصحبة والإلفة وفي أجله اتهام لذكره مع العاجل .

(٢) قوله: هل أن الله قد فضلكم . تمامه فوق من أحكا يازار

أي فوق من شد الشعر لعذري من زيد ويرى فوق من أحكى بصلب وإزار ،ويروى فوق ما أحكى

من الحكاية أي فوق ما أقول ومعنى يدلي بتوصل.

(٢٩٤/٣)

وقرىء: "من اجل ذلك"، بحذف الهمزة وفتح النون لإلقاء حركتها عليها. وقرأ أبو جعفر: "من اجل ذلك"، بكسر الهمزة وهي لغة فإذا خففت كسر النون ملقيا لكسرة الهمزة عليها { بغير نفس } بغير قتل نفس، لا على وجه الاقتصاص { أو فساد } عطف على نفس بمعنى أو بغير فساد { في الأرض } وهو الشرك. وقيل: قطع الطريق { ومن أحيائها } ومن استنقذها من بعض أسباب الهلكة قتل أو غرق أو حرق أو هدم أو غير ذلك. فإن قلت: كيف شبه الواحد

بالجميع وجعل حكمه كحكمهم؟ قلت: لأن كل إنسان يدلي بما يدلي به الآخر من الكرامة على الله وثبوت الحرمة، فإذا قتل فقد أهين ما كرم على الله وهتكت حرمة وعلى العكس، فلا فرق إذا بين الواحد والجميع في ذلك. فإن قلت: فما الفائدة (١) في ذكر ذلك؟ قلت: تعظيم قتل النفس وإحيائها في القلوب ليشمئز الناس عن الجسارة عليها، ويتراغبوا في المحاماة على حرمتها؛ لأن المتعرض لقتل النفس إذا تصور قتلها بصورة قتل الناس جميعها عظم ذلك عليه فثبطه، وكذلك الذي أراد إحياءها. وعن مجاهد: قاتل النفس جزاؤه جهنم، وغضب الله، والعذاب العظيم. ولو قتل الناس جميعا لم يزد على ذلك. وعن الحسن: يا ابن آدم، أرأيت لو قتلت الناس جميعا أكنت تطمع أن يكون لك عمل يوازي ذلك فيغفر لك به؟ كلا إنه شيء سولته لك نفسك والشيطان، فكذلك إذا قتلت واحدا { بعد ذلك } بعدما كتبنا عليهم وبعد مجيء الرسلبالآيات { لمسرفون } يعني في القتل لا يبالون بعظمته.

(١) قوله: فما الفائدة في ذكر ذلك أي في ذكر المذكورين تشديد أمر قتل النفس وإحيائها فعلم ذلك من الجواب وذلك في قوله عظم ذلك إشارة إلى المتوصل ، والضمير المستتر في فثبطه عائد إلى المتصور(المنصوب) أو إلى العظم ، والضمير المنطوق عائد إلى المتعرض.

(٢٩٥/٣)

إنما (y"t'u#_ الذين ح/tbqç/out\$† الله ورسوله ويسعون في الأرض فسادا أن fم(ûqè=G# أو fم(=ûqç6# أءم f أو تقطع أيديهم وأرجلهم من n=1/2z"#A

ينفوا من الأرض

سCE٩dy7 لهم س "÷" z½ في الدنيا ولهم في د ouج ½Fy#\$ عذاب عظيم (٣٣)

إلا الذين تابوا

من قبل أن تقدروا Nخkz٣nم (#Jnكûq÷و\$\$\$ أن الله غفور رحيم (٣٤)

}

(٢٩٦/٣)

يحاربون الله ورسوله { يحاربون رسول الله ، ومحاربة المسلمين(١) في حكم محاربته }
ويسعون في الأرض فسادا { مفسدين(٢)، أو لأن سعيهم في الأرض لما كان على طريق
الفساد

نزل منزلة: ويفسدون في الأرض فانتصب فسادا. على المعنى، ويجوز أن يكون مفعولا له،
أي الفساد. نزلت في قوم هلال بن عويمر وكان بينه وبين رسول الله عهد وقد مر بهم قوم
يريدون رسول الله فقطعوا عليهم. وقيل: في العرنيين، فأوحى إليه أن من جمع بين القتل
وأخذ المال قتل وصلب ومن أفرد القتل قتل. ومن أفرد أخذ المال قطعت يده لأخذ المال،
ورجله لإخافة السبيل. ومن أفرد الإخافة نفي من الأرض. وقيل: هذا حكم كل قاطع
طريق(٣) كافرا كان أو مسلما. ومعناه { أن يقتلوا } من غير صلب، إن أفردوا القتل {
أو يصلبوا } مع القتل إن جمعوا بين القتل والأخذ.

(١) قوله: ومحاربة المسلمين في حكم محاربته أي محاربة رسول الله صلى الله عليه وآله
وسلم ففيه تمهيد بعد تمهيد فذكر الله (الرسول) تمهيد لذكر المسلمين لأن قطاع الطريق
إنما يحاربون غير رسول الله هكذا قال الطيبي وقد صدق في قوله أن ذكر الله تمهيد
لذكر رسوله ، وأما قوله أن ذكر الرسول تمهيد لذكر المسلمين فإنما يصح لو ذكر
المسلمون بعد الرسول لكن لم يجر لهم ذكر ومراد المصنف أن قطاع الطريق إذا حاربوا
المسلمين فهم بمنزلة من حارب الرسول فذكر الله محاربة الرسول وأراد محاربة
المسلمين.

(٢) قوله: فسادا مفسدين أراد أنه مصدر وقع موقع الحال وفي الوجه الثاني هو مفعول
مطلق ليسعون لانه بمعنى يفسدون لأن سعيهم كان فسادا.

)

٣) قوله: وقيل هذا حكم كل قاطع طريق أكثر العلماء على أن هذه الآية في حق قاطع الطريق من المسلمين دون الكفار والمرتدين واحتجوا لذلك بقوله تعالى: {إلا الذين تابوا من قبل أن تقدروا عليهم} لأن توبة الكافر مسقطه للعقوبة عنه وجدت قبل القدرة أو بعدها .
(٢٩٧/٣)

قال أبو حنيفة ومحمد رحمهما الله، يصلب حيا، ويطعن حتى يموت {أو تقطع أيديهم وأرجلهم من خلاف} إن أخذوا المال {أو ينفوا من الأرض} إذا لم يزيدوا على الإخافة. وعن جماعة منهم الحسن والنخعي: أن الإمام مخير بين هذه العقوبات في كل قاطع طريق من غير تفصيل. والنفي: الحبس عند أبي حنيفة، وعند الشافعي: النفي من بلد إلى بلد، لا يزال يطلب وهو هارب فرعا، وقيل: ينفي من بلده، وكانوا ينفونهم إلى (دهلك) وهو بلد في أقصى تهامة، و(ناصر) وهو بلد من بلاد الحبشة {خزي} ذل وفضيحة }

إلا الذين تابوا {استثناء من المعاقبين عقاب قطع الطريق خاصة. وأما حكم القتل والجراح وأخذ المال فإلى الأولياء، إن شأوا عفوا، وإن شأوا استوفوا. وعن علي رضي الله عنه: أنه الحرث بن بدر جاءه تائبا بعدما كان يقطع الطريق، فقبل توبته ودرأ عنه العقوبة.

tf"~'ygoifr\$ الذين آمنوا (qà#) # \$ "؟ الله (tG/\$#urûq#) إليه الوسيلة وجاهدوا في

٣/٤ & # ح ٦ y T م لعلكم ر ك c q = s د ع ؟ اجنب

الوسيلة: كل ما يتوسل به أي يتقرب من قرابة أو صنعة أو غير ذلك، فاستعيرت لما يتوسل به إلى الله تعالى من فعل الطاعات وترك المعاصي. وأنشد للبيد (١):
أرى الناس لا يدرون ما قدر أمرهم أمرهم ... ألا كل ذي لب إلى الله واسل

(١) قوله: أرى الناس لا يدرون ما قدر أمرهم ... إلا كل ذي لب إلى الله واسل أراد أن الناس لا يعلمون ما مقدار حياتهم وكيف عاقبة حالهم والغافل من توسل إلى الله وتقرب إليه بطاعته ومعنى واسل ذو وسيلة كلابي وتأمر .
(٢٩٨/٣)

إن الذين كفروا لو أن لهم ما في الأرض جميعا ومثله معه ليفتدوا به من عذاب يوم

القيامة ما تقبل منهم ولهم عذاب أليم (٣٦) $\text{ف}^{\text{حجم}} \text{ف}^{\text{oo}} \text{ك}^{\text{cr}}$ أن يخرجوا من النار وما هم $\text{ü}_\text{حج}^{\text{sf}} \text{؟}$ منها ولهم عذاب $\text{L} \times$ (ب) -B اجذب

ليفتدوا به { ليجعلوه فدية لأنفسهم. وهذا تمثيل للزوم العذاب (١) لهم، وأنه لا سبيل لهم إلى النجاة منه بوجه. وعن النبي : (٣٤٨) "يقال للكافر يوم القيامة: أرأيت لو كان لك ملء الأرض ذهباً أكنت تفتدي به، فيقول: نعم، فيقال له: قد سئلت أيسر من ذلك" و (لو) مع ما في حيزه خبر (أن). فإن قلت: لم وحد الراجع في قوله: { ليفتدوا به } وقد ذكر شيئان؟ قلت: نحو قوله:

فإني وقيار (٢) بها لغريب

(١) قوله: وهذا تمثيل للزوم العذاب لهم. معنى قوله { لوأن ما في الأرض } الآية إذا بجملة كأنه من لزوم العذاب لهم من غير نظر إلى مفردات التركيب ، قيل ويمكن أن يكون كناية عن كون الوسائل حينئذ غير نافعة.

(٢) قوله: وإني وقتار بها قبله :دعاك الهوى والشوق لما ترنمت ... هبوف الضحى بين الغصون طروب

..... الحام لصونها فكل لكل مستعد ومجيب

فمن يك أمسى بالحدينة رحله ... فإنني وقتار بها لغريب
الشعر لصابي بن الحرث وقتار اسم قرينة أو علامة أو جملة والتقدير إن لغريب وقتار كذلك فهو على نية التقديم والعطف بعد تمام الجملة والتقدير في الآية ليفتدوا به أي بما في الأرض وبمثله فحذف وبمثله لدلالة ما قبله عليه.
(٢٩٩/٣)

أو على إجراء الضمير مجرى اسم الإشارة، كأنه قيل: ليفتدوا بذلك. ويجوز أن يكون الواو (١) في (مثله) بمعنى (مع) فيتوحد المرجوع إليه. فإن قلت: فبم ينصب المفعول معه؟ قلت: بما يستدعيه (لو) من الفعل، لأن التقدير: لو ثبت أن لهم ما في الأرض. قرأ أبو واقد "أن يخرجوا" بضم الياء من أخرج. ويشهد لقراءة العامة قوله: (بخارجين). وما يروى عن عكرمة أن نافع بن الأزرق قال لابن عباس: يا أعمى البصر أعمى القلب تزعم أن قوما يخرجون من النار، وقد قال الله تعالى: { وما هم بخارجين منها } فقال: ويحك،

اقرأ ما فوقها. هذا للكفار. فما لفقته المجبرة وليس بأول تكاذيبهم وفراهم. وكفاك بما فيه من مواجهة ابن الأزرق ابن عم رسول الله وهو بين أظهر أعضاده من قريش

وأنضاده من بني عبد المطلب وهو حبر الأمة وبحرها ومفسرها، بالخطاب الذي لا يجسر على مثله أحد من أهل الدنيا، ويرفعه إلى عكرمة دليلين ناصين أن الحديث فرية ما فيها مرية.

والسارق والسارقة (sù\$%èsmûq# أيديهما Lن!y"u#_ بما كسبا نكالا من الله والله عزيز زOث38٣xm) فمن تاب من بعد ظلمه وأصلح فإن الله يتوب عليه إن الله غفور رحيم

(٣٩) ألم تعلم أن الله له ملك 9\$#،،yJ"N`uqد يشاء

والله على كل شيء قدير احبب
}

(١) قوله: ويجوز أن يكون الواو في { ومثله } بمعنى مع فعلى هذا معه للتأكيد .
(٣٠٠/٣)

والسارق والسارقة { رفعهما على الابتداء والخبر محذوف عند سيبويه، كأنه قيل: وفيما فرض عليكم السارق والسارقة أي حكمهما. ووجه آخر وهو أن يرتفعا بالابتداء، والخبر { فاقطعوا أيديهما } ودخول الفاء لتضمنهما معنى الشرط، لأن المعنى: والذي سرق والتي سرقت فاقطعوا أيديهما، والاسم الموصول يضمن معنى الشرط.
(٣٠١/٣)

وقرأ عيسى بن عمر بالنصب، وفضلها(١)

(١) قوله: وفضلها سيبويه على قراءة العام لأجل الأمر لأن زيدا فاضريه أحسن من زيد فاضريه ، اعلم أن قوله تعالى : { والسارق والسارقة فاقطعوا أيدهما } وكذا { الزانية والزاني فاجلوا كل واحد منهما } في أول بدىء النظر مستجمعان لشرائط النصب المختار فيما أضمر عاملة على شريطة التفسير لأن ما بعد الفاء قد يعمل فيما قبلها كما في نحو { وربك فكبر } { وأما اليتيم فلا تقهر } إلا أن عامة القراء لما اتفقوا على الرفع مع كون النصب مختارا مع الطلب ولا يجوز اتفاق العامة في القرآن المجيد على غير المختار تمحل النحاة وجها يخرج به ذلك عن اختيار النصب فيه فقالوا أن ما بعد الفاء

إنما يعمل فيما قبلها إذا كانت زائدة كما في قوله تعالى : { إذا جاء نصر الله والفتح } إلى قوله { فسبح } أو واقعة في غير موقعها لغرض كما هو في { وربك فكبر } { وأما اليتيم فلا تقهر } فأما إذا كانت غير زائدة وواقعة في موقعها فيما بعدها لا يعمل فيما قبلها ، وفي الآية الفاء كذلك لكون الألف واللام في السارق والزانية مبتدأ موصولا فيه معنى الشرط واسم الفاعل الذي هو صلته كالشرط فخبر المبتدأ كالجاء ، وهذا مذهب الفراء والمبرد فالفاء واقعة في موقعها وإلى هذا أشار المصنف بقوله ووجه آخر ، وقال سيويه الكلام جملتان أي السارق وكذا الزانية مبتدأ محذوف المضاف أي حكم السارقة وكذا حكم الزانية والخبر محذوف أي فيما يتلى عليكم بعد أو فيما فرض عليكم والفاء عنده أيضا للسببية واقعة موقعها أي أن يثبت سرقتهما فاقطعوا أو زناهما فاجلدوا فتفصيل سيويه لقراءة النصب على قراءة العامة إنما هو على تقدير عدم كون الكلام جملتان فلا استدراك في ذلك على المصنف فيما رواه عن سيويه ولا على سيويه فيما قاله..

(٣٠٢/٣)

سيويه على قراءة العامة لأجل الأمر لأن (زيدا فاضربه) أحسن من (زيد فاضربه) { أيديهما } يديهما، ونحوه: { فقد ضعت قلوبكما } (التحریم: ٤) اكتفى بتثنية المضاف إليه عن تثنية المضاف. وأريد باليدين اليمينان، بدليل قراءة عبد الله: "والسارقون والسارقات فاقطعوا أيما نهم"، والسارق في الشريعة: من سرق من الحرز: والمقطع. الرسغ. وعند الخوارج: المنكب. والمقدار الذي يجب به القطع عشرة دراهم عند أبي حنيفة، وعند مالك والشافعي رحمهما الله ربع دينار. وعن الحسن درهم وفي مواعظه: احذر من قطع يدك في درهم { جزاء } و { نكالا } مفعول لهما { فمن تاب } من السارق { من بعد ظلمه } من بعد سرقته { وأصلح } أمره بالتفصي عن التبعات { فإن الله يتوب عليه } ويسقط عنه عقاب الآخرة. وأما القطع فلا تسقطه التوبة عند أبي حنيفة وأصحابه وعند الشافعي في أحد قوليه تسقطه { من يشاء } من يجب في الحكمة تعذيبه والمغفرة له من المصرين والتائبين. وقيل: يسقط حد الحربي إذا سرق بالتوبة، ليكون أدعى له إلى الإسلام وأبعد من التنفير عنه، ولا يسقطه عن المسلم: لأن في إقامته الصلاح للمؤمنين والحياة { ولكن في القصاص حياة } (البقرة: ١٧٩). فإن قلت: لم قدم التعذيب على المغفرة؟ قلت: لأنه قوليل بذلك تقدم(١) السرقة على التوبة.

التهافت في السقوط في الشر وأسرع نصب على الحال وأفعل التفضيل إذا أضيف إلى النكرة
جاز وقوعه حالا نحو جاءني زيد أحسن ما كان عليه أي تهافتم فيه مسرعين وإذا ظرف
لقوله لم يحطبوها والجملة مبينة لما قبلها .

(٢) قوله: وبأفواههم متعلق بقالوا لا بآمنا ، وفائدة قوله بأفواههم مع أن القول لا
يكون إلا بالأفواه الإشارة إلى أنهم لم يؤمنوا بقلوبهم أو التصوير والتأكيد كما في
قوله { فويل لهم مما كتبت أيديهم } وإنما لم يجر تعلقه بآمنا لأنهم قالوا آمنا فقط
وما قالوا آمنا بالأفواه ، وأيضا لو قيدوا بالإيمان بأنه بالأفواه لكان القياس أن
يقال آمنا بأفواهنا.

(٣٠٥/٣)

وقيل: سماعون(١) إلى رسول الله لأجل أن يكذبوا عليه بأن يمسخوا ما سمعوا منه
بالزيادة والنقصان والتبديل والتغيير، سماعون من رسول الله لأجل قوم آخرين من
اليهود وجهوهم عيوننا ليلغوهم ما سمعوا منه. وقيل: السماعون: بنو قريظة. والقوم
الآخرون: يهود خيبر { يحرفون الكلم } يميلونه ويزيلونه { عن موضعه } التي وضعه
الله تعالى فيها، فيهملونه بغير مواضع بعد أن كان ذا مواضع { إن أوتيتم هذا }
المحرف(٢) (٢) المزال عن موضعه { فخذوه } واعلموا أنه الحق واعلموا به { وإن لم تؤتوه
{ وأفناكم محمد بخلافه } فاحذروا { وإياكم وإياه فهو الباطل والضلال.

(١) قوله: وقيل سماعون لرسول الله لأجل أن يكذبوا عليه عطف على قوله قائلون فعلى
هذا أصله سماعون في الموضوعين محذوفة واللام فيهما للتعليل وعلى الأول اللام صلة
سماعون لأنه يقال سمع إليه بمعنى أصغى إليه.

(٢) قوله: فإن أوتيتم هذا المحرف المزال عن موضعه هذا ليس بمقول لهم بل المصنف
وضعه موضع مقولهم كقوله تعالى : { إنا قتلنا المسيح عيسى بن مريم } قال فيه يجوز أن
يكون وضع الله الذكر الحسن مكان ذكرهم القبيح والمراد بالمحرف المزال هو جلد المحصن
وذلك أن الجلد في التوراة هو حد البكر فإذا جعلوه حد المحصن فقد أزالوه عن موضعه
فالجلد محرف لإزالته عن موضعه ، والرجم أيضا محرف باعتبار أن غيره قد وضع في موضعه
ولكن الإشارة بهذا إلى الجلد والتحميم تسويد الوجه من الحممة وهي الفحمة.

(٣٠٦/٣)

وروي: (٣٤٩) أن شريفا من خير زنى بشريفة وهما محصنان وهدما الرجم في التوراة، فكرهوا رجمهما لشرفهما فبعثوا رهطا منهم إلى بني قريظة ليسألوا رسول الله عن ذلك، وقالوا: إن أمركم محمد بالجلد والتحميم فاقبلوا وإن يأمركم بالرجم فلا تقبلوا، وأرسلوا الزانيين معهم، فأمرهم بالرجم فأبو أن يأخذوا به فقال له جبريل: اجعل بينك وبينهم ابن صوريا، فقال: (هل تعرفون شابا أمرد أبيض أعور يسكن فدك يقال له: ابن صوريا)؟ قالوا: نعم وهو أعلم يهودي على وجه الأرض ورضوا به حكما. فقال له رسول الله: "أنشدك الله الذي لا إله إلا هو الذي فلق البحر لموسى ورفع فوقكم الطور وأنجاكم وأغرق آل فرعون والذي أنزل عليكم كتابه (١) وحلاله وحرامه، هل تجدون فيه الرجم على من أحصن؟" قال: نعم، فوثب عليه سفلة اليهود، فقال: خفت إن كذبتك أن ينزل علينا العذاب. ثم سأل رسول الله عن أشياء كان يعرفها من أعلامه (٢) فقال: أشهد أن لا إله إلا الله وأنت رسول الله النبي الأمي العربي الذي بشر به المرسلون، وأمر رسول الله بالزانيين فرجما عند باب مسجده { ومن يرد الله فتنته } تركه مفتونا وخذلانه { فلن تملك له من الله شيئا } فلن تستطيع له من لطف الله وتوفيقه شيئا { أولئك الذين لم

يرد الله } أن يمنحهم من ألطافه ما يطهر به قلوبهم؛ لأنهم ليسوا من أهلها، لعلمه أنها لا تنفع فيهم ولا تنجح { إن الذين لا يؤمنون بآيات الله لا يهديهم الله } (النحل: ١٠٤)، { كيف يهدي الله قوما كفروا بعد إيمانهم } (آل عمران:).

(١) قوله: كتابة وحلاله وحرامه عطف حلاله وحرامه على كتابه من قبيل عطف الخاص على العام نحو ملائكته وجبريل وميكائيل والحلال والحرام وإن لم يكونا شرف ما فيه لكن مقام حكم الزنا وأنه محرم اقتضى ذلك.

(٢) قوله: من أعلامه أي من أعلام رسول الله أراد بها العلامات المذكورة في التوراة له والعراصة هدنة القادم من سفره.

(٣/٣٠٧)

للكذب أكالون للسحت فإن جاءوك فاحكم بينهم أو أعرض عنهم وإن عجزت عنهم فلن يضروك

©x"Z\$ وإن | MōJs3xm فاحكم بينهم بالقسط إن الله يحب المقسطين (٤٢) وكيف †z3ut١Kpy7tRq وعندهم التوراة فيها حكم الله ثم يتولون من بعد sCE٩dy7 وما أولئك

السحت { كل ما لا يحل كسبه، وهو من - سحته - إذا استأصله لأنه مسحوت البركة كما قال تعالى: { يمحق الله الربا { (البقرة: ٢٧٦) والربا باب منه. وقرئ: "السحت" بالتخفيف والتثقيل. والسحت بفتح السين على لفظ المصدر من سحته. "والسحت"، بفتحيتين.

"والسحت"، بكسر السين. وكانوا يأخذون الرشا على الأحكام وتحليل الحرام. وعن الحسن: كان الحاكم في بني إسرائيل إذا أتاه أحدهم برشوة جعلها في كفه فأراها إياه وتكلم بحاجته فيسمع منه ولا ينظر إلى خصمه، فيأكل الرشوة ويسمع الكذب. وحكى أن عاملاً قدم من عمله فجاءه قومه، فقدم إليهم العراضة وجعل يحدثهم بما جرى له في عمله، فقال أعرابي من القوم: نحن كما قال الله تعالى: { سماعون للكذب أكالون للسحت { وعن النبي : (٣٥٠) "كل لحم انبته السحت فالنار أولى به" قيل: كان رسول الله مخيراً - إذا

تحاكم إليه أهل الكتاب - بين أن يحكم بينهم (١) وبين أن لا يحكم. وعن عطاء والنخعي والشعبي: أنهم إذا ارتفعوا إلى حكام المسلمين، فإن شاءوا حكموا وإن شاءوا أعرضوا. وقيل: هو منسوخ بقوله: { وأن احكم بينهم بما أنزل الله { وعند أبي حنيفة رحمه الله: إن احتكموا إلينا حملوا على حكم الإسلام، وإن زنى منهم رجل بمسلمة أو سرق من مسلم شيئاً أقيم عليه الحد. وأما أهل الحجاز فإنهم لا يرون إقامة الحدود عليهم، يذهبون إلى أنهم قد صولحوا على شركهم وهو أعظم الحدود.

(١) قوله: وبين أن يحكم بينهم وبين أن لا يحكم، قيل الصواب أن يقال بين أن يحكم بينهم وألا يحكم لأن لفظ بين يقتضي الإشتراك فلا يدخل إلا على مثنى أو مجموع كقولك المال بينهما أو بينهم فلا حاجة إلى تكرير لفظ بين، اللهم إلا دخل على الضمير المجرور فإنه يلزم تكريره للزوم إعادة الجار مع الضمير.

ويقولون: إن النبي رجم اليهوديين قبل نزول الجزية { فلن يضروك شيئاً { (١) لأنهم كانوا لا يتحاكمون إليه إلا لطلب الأيسر والأهون عليهم، كالجلد مكان الرجم. فإذا

أعرض عنهم وأبى الحكومة لهم، شق عليهم وتكرهوا إعراضه عنهم وكانوا خلقاء بأن يعادوه
ويضاروه، فأمن الله سريته (٢) { بالقسط } بالعدل والاحتياط كما حكم بالرجم { وكيف
يحكمونك } تعجيب من تحكيمهم لمن لا يؤمنون به وبكتابه، مع أن الحكم منصوص في
كتابهم

الذي يدعون الإيمان به { ثم يتولون من بعد ذلك } ثم يعرضون من بعد تحكيمك عن حكمك
الموافق لما في كتابهم لا يرضون به { وما أولئك بالمؤمنين } بكتابهم كما يدعون. أو
وما أولئك بالكاملين في الإيمان على سبل التهمك بهم. فإن قلت: { فيها حكم الله } ما
موضعه من الإعراب؟ قلت: إما أن ينتصب حالا من التوراة (٣)

(١) قوله فلن يضروك شيئا لأنهم علة لمحذوف أي إنما قال فلن يضروك لأنهم ، وقيل أصل

الكلام وإن تعرض عنهم فلا تخف منهم فإنهم لن يضروك شيئا فوضع لن يضروك موضع لا
يخف

، وإنما قدر لا يخف لأنهم كانوا لا يتحاكمون إليه إلى آخره.

(٢) قوله: فأمن الله سريته بالكسر أي نفسه ويروى بالفتح وهو الطريق.

(٣) قوله: حالا من التوراة وهي مبتدأ خبره عندهم. قال أبو البقاء كيف يحكمونك كيف
حال من ضمير الفاعل في يحكمونك وعندهم التوراة الجملة في موضع الحال والتوراة مبتدأ
وعندهم الخبر ، ويجوز أن يرتفع التوراه بالظرف وفيها حكم الله أيضا حال والعامل ما
في عند من معنى الفعل وحكم الله مبتدأ أو معمول الظرف ففي الكلام أحوال متداخلة ،
قليل وقول المصنف حالا من التوراة أي من الضمير في خبر التوراة ..
(٣/٣١٠)

وهي مبتدأ خبره عندهم وإما أن يرتفع خبرا عنها كقولك: وعندهم في التوراة ناطقة بحكم
الله وإما أن لا يكون له محل وتكون جملة مبنية، لأن عندهم ما يغنيهم عن التحكيم،
كما تقول: عندك زيد ينصحك ويشير عليك بالصواب، فما تصنع بغيره؟ فإن قلت: لم أنثت
التوراة (١)؟ قلت: لكونها نظيرة لمومة ودودة ونحوها في كلام العرب. فأن قلت: علام
عطف ثم يتولون؟ قلت: على يحكمونك.

إنا &Rr"uZ9u\$ التوراة فيها هدى ونور يحكم بها النبيون الذين أسلموا للذين هادوا
والربايون والأخبار بما استحفظوا من كتاب الله وكانوا عليه شهداء فلا تخشوا الناس
واخشون ولا (@yIô±nمژr#) بآياتي ثمنا Wxثدs% ومن لم يحكم بما

هم الكافرون احب

{ فيها هدى { يهدي للحق والعدل { ونور { يبين ما استبهم من الأحكام { الذين أسلموا
{ (٢)

(١) قوله: فإن قلت: لم أنش التوراة أراد أن التوراة ليست بعربية بل عجمية وحينئذ
يكون باؤها من نفس الكلمة فلم أثبت ؟ وأجاب بأنها أثبتت حملا على مواربها وهو موماه
وهي المفازة وأصلها موموه على فعله فقلبت واوه الأخيرة ألفا فهو مضاعف، والدوداه
أرجوحة الصبي.
)

(٢) قوله: الذين أسلموا صفة أجريت على التبيين على سبيل المدح لا للتفصيلة والتوضيح
الانتصاف وفيه نظر فلا يجوز مدح نبي بكونه رجلا مسلما لأن النبوة أعظم من الإسلام
فالوجه أن الصفة ذكرت لتعظيم نفسها وتنويه شأنها إذ وصف بها عظيم القدر ومنه وصف
الأنبياء بالصالح والملائكة بالإيمان في قوله { الذين يحملون العرش { إلى قوله: {
ويؤمنون به { ، وقد قيل أوصاف الأشراف أشراف الأوصاف، وقال:
ولئن مدحت محمدا بقصيدتي ... فلقد مدحت قصيدتي بمحمد

ولولا حملها على هذا لخرجنا عن قانون البلاغة في الترقى من الأدنى إلى الأعلى لأن
النزول على عكسه كما قال

شمس ضحاها هلال ليلتها ... در زبرجدها

فنزل على الشمس إلى الهلال ، وعن الدر إلى الزبرجد فمضغت اللسن عرض بلاغته ومزقت
أديم صناعته ، وأقول لصاحب الإنتصاف الراكب في اعتراضه على العلامة ممن الاعتساف
يلزمك على مقتضى قولك أن لا يجوز إجراء صفات الله عليه لأن الإلهية أعظم من كل صفة
أجريت عليه على سبيل المدح وكونها دالة على فضل الإسلام وشرفه في نفسه لا ينافي أن
يكون أجراؤها على الأنبياء لمدحهم بل يؤكد ذلك ومتى اعترف بأن أوصاف الأشراف
الأوصاف فلم لا يجوز مدح الأشراف بصفاتهم ، وأما حديث الترقى فإنما يراد أن لو ذكرت
صفة أخرى للنبيين غير صفة الإسلام وقدمت عليها مع كونها أشرف من الإسلام وأيضا
فالصفة مختصرة في أنها إما للكشف أو للتوضيح أو للتوكيد أو للمدح أو لصدده إذ لا
خامس فإذا لم يكن لواحد مما عدا المدح تعين كونها له وما ذكره من أنها ذكرت لتعظيم

نفسها وتنويه شأنها إنما تسببت له إذا كانت ما دحة وإلا فلا .
وانهم بعداء أي وبيان انهم بعداء فإنهم عطف على التعريض.
(٣١١/٣)

صفة أجريت على النبيين على سبيل المدح، كالصفات الجارية على القديم سبحانه لا
للتفصلة والتوضيح، وأريد بإجرائها التعريض باليهود، وأنهم بعداء من ملة الإسلام
التي هي دين الأنبياء كلهم في القديم والحديث، وأن اليهودية بمعزل منها. وقوله: {
الذين أسلموا للذين هادوا} مناد (١) على ذلك { والربانيون والأحبار } والزهاد
والعلماء من ولد هارون، الذين التزموا طريقة النبيين وجانبوا دين اليهود { بما
استحفظوا من كتاب الله } بما سألهم أنبياءهم حفظه من التوراة، أي بسبب سؤال
أنبيائهم إياهم أن يحفظوه من التغيير والتبديل، و (من) في (من كتاب الله)
للتبيين (٢) { وكانوا عليه شهداء } رقباء لئلا يبدل.

(١) قوله: الذين أسلموا للذين هادوا مناد على ذلك يعني في وصف الأنبياء بكونهم
مسلمين بعد ذكر التوراة تعريض باليهود وأنهم بعداء عن الإسلام ودين الأنبياء ثم في
افتراء من الدين أسلموا لقوله (ثم في اقتران الذين أسلموا بقوله للذين هادوا) للذين
هادوا لإرادة أن الأنبياء المسلمين يحملون اليهود على أحكام التوراة تصريح بما عرض
به أولا ، والحاصل أن في كل من اللفظين أعني الإسلام واليهودية رمز إلى معنى وإشارة
إلى دققة على سبيل الإدماج .

(٢) قوله: ومن في من كتاب الله للنبيين ، قيل هذا لا يوافق تفسيره وهو قوله بسبب
سؤال أنبيائهم لأن من التبيينية تستدعي أن يكون ما موصولة وتفسيره يني بأنها
مصدرية ، وأجيب: بأن مراده تلخيص المعنى .
(٣١٢/٣)

والمعنى يحكم بأحكام التوراة النبيون بين موسى وعيسى وكان بينهما ألف نبي(قوله: وعن
الشعبي هذه في أهل الإسلام عطف على قوله وصف لهم بالعتو في كفرهم وكلام ابن عباس
وارد على ذلك المعنى وعلى قول الشعبي أنما وصف المسلمون بالكفر على سبيل التغليظ
والكافر إذا وصف بالظلم والفسق أشعر بعتوه في الكفر ، والسمت الطريق ، ومعنى لتركبن

لتتبعن يقال ركب أثره وطريقه إذا تبعه ومعنى حذو القذة بالقذة مثلاً (مثل) يضرب في التسوية بين السببين والقذة من القذ وهو القطع.) وعيسى للذين هادوا يحملونهم على

أحكام التوراة (١) لا يتركونهم أن يعدلوا عنها، كما فعل رسول الله من حملهم على حكم الرجم وإرغام أنوفهم، وإبائه عليهم ما اشتوه من الجلد. وكذلك حكم الريانيون والأخبار والمسلمون بسبب ما استحفظهم أنبياءهم من كتاب الله والقضاء بأحكامه، ويسبب كونهم عليه شهداء.

(١) قوله: للذين هادوا يحملونهم على أحكام التوراة اللام في للذين هادوا بمعنى لأجل وليست بصلة بحكم وعلى ليست بدل عن اللام كما يوهمه كلام المصنف لأنه يقال حكم له وعليه وبه بل المراد أنهم إذا حكموا لأجل من يخالفهم فلا بد بعد الحكم لهم من حملهم على الحق ومنعهم من العدول عنه كما فعل رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم باليهود بين حيث رحمهما.

(٣/٣١٣)

ويجوز أن يكون الضمير في (استحفظوا) للأنبياء والريانيين والأخبار جميعاً ويكون الاستحفاظ من الله، أي كلفهم الله حفظه وأن يكونوا عليه شهداء { فلا تخشوا الناس } نهي للحكام عن خشيتهم غير الله في حكوماتهم وإدهانهم فيها وإمضائها على خلاف ما أمروا به من العدل لخشية سلطان ظالم أو خيفة أذية أحد من القرباء والأصدقاء { ولا تشتروا } ولا تستبدلوا ولا تستعوضوا { بآيات الله } وأحكامه { ثمنًا قليلاً } وهو الرشوة وابتغاء الجاه ورضا الناس، كما حرف أخبار اليهود كتاب الله وغيروا أحكامه رغبة في الدنيا وطلباً للرياسة فهلكوا { ومن لم يحكم بما أنزل الله } مستهيناً به { فأولئك هم الكافرون } والظالمون والفساقون: وصف لهم بالعتو في كفرهم حين ظلموا آيات الله بالاستهانة. وتمردوا بأن حكموا بغيرها. وعن ابن عباس رضي الله عنهما: أن الكافرين والظالمين والفساقين: أهل الكتاب. وعنه: نعم القوم أنتم، ما كان من حلو فلکم، ومن كان من مرج فهو لأهل الكتاب، من جحد حكم الله كفر، ومن لم يحكم به وهو مقرر فهو ظالم فاسق. وعن الشعبي (١): هذه في أهل الإسلام والظالمون في اليهود،

والفساقون في النصارى. وعن ابن مسعود: هو عام في اليهود وغيرهم. وعن حذيفة: أنتم أشبه الأمم سمناً بني إسرائيل: لتركن طريقهم حذو النعل بالنعل والقذة بالقذة، غير أنني لا أدري أتعبدون العجل أم لا؟.

(١) قوله: وعن الشعبي هذه في أهل الإسلام عطف على قوله وصف لهم بالعتو في كفرهم وكلام ابن عباس وارد على ذلك المعنى وعلى قول الشعبي أنما وصف المسلمون بالكفر على سبيل التعليل والكافر إذا وصف بالظلم والفسق أشعر بعتوه في الكفر ، والسمت الطريق ، ومعنى لتركن لتبعن يقال ركب أثره وطريقه إذا تبعه ومعنى حذو القذة بالقذة مثلاً (مثل) يضرب في التسوية بين السببين والقذة من القذ وهو القطع.

(٣١٤/٣)

بالأنف والأذن
بالأذن والسن بالسن والجروح قصاص فمن ساء به فهو كفارة له ومن لم يحكم بما
أمر الله فأولئك هم المفلطون

(٣١٥/٣)

في مصحف أبي (١): وأنزل الله على بني إسرائيل فيها: وفيه: وأن الجروح قصاص. والمعطوفات كلها قرئت منصوبة ومرفوعة، والرفع للعطف على محل أن النفس (٢)، لأن المعنى وكتبنا عليهم النفس بالنفس، إما لإجراء كتبنا مجرى قلنا، وإما لأن معنى الجملة التي هي قولك النفس بالنفس مما يقع عليه الكتاب كما تقع عليه القراءة (٣). تقول: كتبت الحمد لله، وقرأ سورة أنزلناها. ولذلك قال الزجاج: لو قرئ: إن النفس بالنفس، بالكسر؛ لكان صحيحاً. أو للاستئناف. والمعنى: فرضنا عليهم فيها { أن النفس مأخوذة } بالنفس { مقتولة بها إذا قتلتها بغير حق } و { كذلك } العين { مفقودة } بالعين والأنف { مجدوع } بالأنف والأذن { مصلومة } بالأذن والسن { مقلوعة } بالسن والجروح قصاص { ذات قصاص، وهو المقاصة، ومعناه: ما يمكن فيه القصاص وتعرف المساواة.

وعن ابن عباس رضي الله عنهما: كانوا لا يقتلون الرجل بالمرأة فنزلت: { فمن تصدق } من أصحاب الحق { به } بالقصاص وعفا عنه { فهو كفارة له } فالتصدق به كفارة للمتصدق يكفر الله من سيئاته ما تقتضيه الموازنة كسائر طاعاته، وعن عبد الله بن عمر يهدم عنه من ذنوبه بقدر ما تصدق به، وقيل: فهو كفارة للجاني، إذا تجاوز عنه صاحب الحق

سقط عنه ما لزمه، وفي قراءة أبي: فهو كفارة له يعني فالمتصدق(٤)

(١) قوله: في مصحف أبي وأنزل الله على بني إسرائيل فيها يعني أن ذلك في مصحفه بدل وكتبنا عليهم فيها.

(٢) قوله على محل أن النفس لأن المعنى إشارة إلى أن محل أن النفس رفع وإنما احتاج إلى هذه المَعْدَرَة لأنه إنما يعطف على محل اسم إن المكسورة دون المفتوحة .

(٣) قوله: كما تقع عليه القراءة يعني بكون محل أن النفس بالنفس مرفوعا على الحكاية والعين بالعين معطوف عليه على هذا التقدير. وقوله أو للاستئناف عطف على قوله والرفع للعطف.

(٤) قوله: يعني فالمتصدق كفارته أي تصدقه له ..

(٣١٦/٣)

كفارته له أي الكفارة التي يستحقها له لا ينقص منها، وهو تعظيم لما فعل، كقوله تعالى { فأجره على الله } (١) (الشورى: ٤٠) وترغيب في العفو.

وقفينا على **urO#u** حج **dN** عيسى ابن مريم مصدقا لما بين يديه من التوراة **÷sY"çm**

urO#u الإنجيل فيه هدى ونور ومصدقا لما بين يديه من التوراة وهدى وموعظة للمتقين

(٤٦) وليحكم أهل الإنجيل بما **&Rr"tAu** الله فيه ومن لم يحكم بما **&Rr"tAu** الله

فأولئك

هم الفاسقون احذب

(١) قوله كقوله فأجره على الله أراد أن قوله تعالى { فهو كفارته } على قراءة أبي

وعد من الله مؤكدا بقوله له كما يقول زيد ماله له فإن له تأكيد لدفع توهم من يتوهم

أن المال الذي في يده لغيره كما أن قوله على الله تأكيد للوعد لما يقتضيه من الوجوب

هكذا قيل وأنا أظن أنه شبهه به في الإبهام ومنه تعظيم ما فعل لأن في

إبهام الأجر تعظيما له ويلزم منه سبب تعظيمة وهو الطاعة .

(٣١٧/٣)

قفيته مثل عقبته، إذا اتبعته ثم يقال قفيته بفلان وعقبته به، فتعديه إلى الثاني

بزيادة الباء، فإن قلت: فأين المفعول الأول في الآية؟ قلت: هو محذوف(١) والظرف الذي

هو { على آثارهم { كالساد مسده؛ لأنه إذا قفى به على أثره فقد قفى به إياه، والضمير في آثارهم للنبيين في قوله: { يحكم بها النبيون الذين أسلموا } . وقرأ الحسن: الإنجيل " بفتح الهمزة؛ فإن صح عنه فالأنة أعجمي خرج لعجمته عن زناة العربية، كما خرج هابيل وآجر { ومصدقا { عطف على محل { فيه هدى { ومحلّه النصب على الحال { وهدى وموعظة { يجوز أن ينتصبا على الحال. كقوله: { مصدقا { وأن ينتصبا مفعولا لهما، كقوله: { وليحكم { كأنه قيل. وللهدى والموعظة آتيانه الإنجيل، وللحكم بما أنزل الله فيه من الأحكام. فإن قلت: فإن نظمت { هدى وموعظة { في سلك مصدقا، فما تصنع بقوله وليحكم قلت: اصنع به ما صنعت بهدى وموعظة حين جعلتهما مفعولا لهما، فأقدر: وليحكم أهل الإنجيل بما أنزل الله آتيانه إياه. وقرئ: "وليحكم" على لفظ الأمر بمعنى: وقلنا ليحكم.

(١) قوله: قلت هو محذوف وكان الأصل وقفيّناهم على آثارهم بعيسى بن مريم فسد بقوله على آثارهم مسد المفعول الأول وقوله: لأنه تحقيق لسد الظرف مسد المفعول الأول أي إذا قلت قفيت تريد على ابن عمر وفقد قفيت عمر أنه قوله يجوز أن ينصبا على الحال لأن ما تقدمهما من قوله ومصدقا حال ويجوز ان ينتصبا مفعولا لهما لأن ما تأخرهما من قوله وليحكم مفعول له فيكون التقدير وللهدى والموعظة والحكم بما أنزل الله فيه من الأحكام آتيانه الإنجيل ، وإنما فصل المصنف بين التعليين والثالث لوقوع الفصل في التنزيل بقوله للمتقين ولينبه على أن الثالث ليس فعلا لفاعل الفعل المعلل ومن ثم أتى باللام .
(٣١٨/٣)

وروي في قراءة أبي: "وأن ليحكم"، بزيادة (أن) مع الأمر على أن (أن) موصولة (١)

بالأمر، كقولك: أمرته بأن قم كأنه قيل: وآتيانه الإنجيل وأمرنا بأن يحكم أهل الإنجيل. وقيل: إن عيسى عليه السلام كان متعبدا بما في التوراة من الأحكام؛ لأن الإنجيل مواعظ وزواجر والأحكام فيه قليلة. وظاهر قوله: { وليحكم أهل الإنجيل بما أنزل الله فيه { يرد ذلك (٢)، وكذلك قوله: { لكننا جعلنا منكم شرعة ومنهاجا { وإن ساغ لقائل أن يقول: معناه: وليحكموا بما أنزل الله فيه من إيجاب العمل بأحكام التوراة.
ur&Rr"uZ9u\$! إليك الكتاب بالحق مصدقا لما بين يديه من الكتاب ومهيئنا عليه فاحكم

كO ÷Ygs/ بما &Rr"tAu الله ولا تتبع أهواءهم عما جاءك من الحق @eoن ٩٣د
_sYù=yèy\$

منكم Zpt مزأ° ومنهاجا ولو شاء الله لجعلكم أمة n·urs%oZoy ولكن ليلوكم في ما
آتاكم

فاستبقوا N·u#نچy,9\$ إلى الله مرجعكم جميعا فينبئكم بما كنتم فيه
tFfrB=دtbqà

احرب

(١) قوله: على أن أن موصولة بالأمر أراد بالموصولة ما لا يتم إلا بما بعده نحو أريد
أن يفعل وجاءني الذي عرفته .

(٢) قوله: يرد ذلك أي يرد القول بأنه كان متعبدا بما في التوراة أو يريد القول بأن
الأحكام في الإنجيل قليلة إذا أريد بالقلة العدم .
(٣١٩/٣)

فإن قلت: أي فرق بين التعريفين في قوله: { وأنزلنا إليك الكتاب } وقوله: { لما بين
يديه من الكتاب } ؟ قلت: الأول: تعريف العهد، لأنه عنى به القرآن. والثاني: تعريف
الجنس، لأنه عنى به جنس الكتب المنزلة: ويجوز أن يقال: هو للعهد؛ لأنه لم يرد به ما
يقع عليه اسم الكتاب على الإطلاق، وإنما أريد نوع معلوم (١) منه، وهو ما أنزل من
السماء سوى القرآن { ومهيمننا } ورقيبا على سائر الكتب؛ لأنه يشهد لها بالصحة
والثبات. وقرئ: "مهيمننا عليه" بفتح الميم، أي هو من عليه بأن حفظ من التغيير
والتبديل، كما قال: { لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه } (فصلت: ٤٢) والذي
هيمن الله عليه عز وجل أو الحفاظ في كل بلد، لو حرف حرف منه أو حركة أو سكون لتنبه
عليه كل أحد، ولا شأزوا رادين ومنكرين. ضمن { لا تتبع } معنى ولا تنحرف؛ فلذلك عدي
بعن كأنه قيل: ولا تنحرف (٢) عما جاءك من الحق متبعا أهواءهم { لكل جعلنا منكم }
أيها الناس { شرعة } شريعة. وقرأ يحيى بن وثاب بفتح الشين { ومنهاجا } وطريقا واضحا
في الدين تجرون عليه.

(١) قوله: نوع معلوم منه وهو ما أنزل الله من السماء سوى القرآن قيل وحاصل الوجه
الأول يرجع على هذا لأن الكتاب مطلق فيما يصح أن يقال أنه كتاب ولا إرتياب أن الكتب

الباطلة غير محصورة فلا يكون القرآن مصدقا لها فيرجع على أن الكتب السماوية هي التي تستحق أن تسمى كتباً لكمالها ، وأن غيرها كأنها ليست بكتاب فعم الفرق من حيث المبالغة .

(٢) قوله: ولا تنحرف عما جاءك من الحق متبعا أهوائهم هذه الضوابط المذكورة هي التي تعول عليها في التضمن حيث أوقع الفعل المضمن فيه حالا واقام المضمن مقامه لنعم الفائدة .

(٣/٣٢٠)

وقيل: هذا دليل على أنا غير متعبدین بشرائع من قبلنا { لجعلكم أمة واحدة } جماعة متفقة على شريعة واحدة، أو ذوي أمة واحدة أي دين واحد لا اختلاف فيه { ولكن } أراد { ليلوكم فيما آتاكم } من الشرائع المختلفة، هل تعلمون بها مدعين معتقدين أنها مصالح قد اختلفت على حسب الأحوال والأوقات، معترفين بأن الله لم يقصد باختلافها إلا ما اقتضته الحكمة؟ أم تتبعون الشبه وتفردون في العمل؟ { فاستبقوا الخيرات } فابتدروها وتسابقوا نحوها { إلى الله مرجعكم } استئناف في معنى التعليل لاستباق الخيرات { فينبئكم } فيخبركم بما لا تشكون معه من الجزاء الفاصل بين محققكم ومبطلكم، وعاملكم ومفردكم في العمل.

وأن احكم بينهم بما &Rr"tAu الله ولا تتبع أهواءهم واحذرهم أن tfدFZمx8q عن بعض ما

&Rr"tAu الله إليك فإن تولوا فاعلم أنما كf%0fحجمf الله أن يصيبهم ببعض

qçRèCEهكخN

وإن # [ژچدWx. من الناس لفاسقون (٤٩)

(٣/٣٢١)

فإن قلت: { وأن احكم بينهم } معطوف على ماذا؟ قلت: على (الكتاب) في قوله: { وأنزلنا إليك الكتاب } كأنه قيل: وأنزلنا إليك أن احكم على أن (أن) وصلت بالأمر لأنه فعل كسائر الأفعال: ويجوز أن يكون معطوفا على (بالحق) أي أنزلناه بالحق وبأن احكم { أن يفتنوك عن بعض ما أنزل الله إليك } أن يضلوك عنه ويستزلوك: وذلك: (٣٥١) أن كعب بن أسيد وعبد الله بن صوريا وشاس بن قيس من أحبار اليهود قالوا: اذهبوا بنا إلى محمد نفتنه عن دينه، فقالوا: يا محمد قد عرفت أن أحبار اليهود، وأنا إن اتبعناك اتبعنا اليهود كلهم ولم يخالفونا، وإن بيننا وبين قومنا خصومة فنتحاكم إليك فتقضي لنا

عليهم، ونحن نؤمن بك ونصدقك، فأبى ذلك رسول الله ، فنزلت { فإن تولوا } عن الحكم بما أنزل الله إليك وأرادوا غيره { فاعلم أنما يريد الله أن يصيبهم ببعض ذنوبهم } يعني بذنب التولي عن حكم الله وإرادة خلافه، فوضع { ببعض ذنوبهم } موضع ذلك وأراد أن لهم ذنوبا جمّة كثيرة العدد، وأن هذا الذنب مع عظمه بعضها وواحد منها، وهذا الإيهام لتعظيم التولي واستسرافهم في ارتكابه. ونحو البعض في هذا الكلام ما في قول لبيد:
أو يرتبط (١)

(١) قوله: أو يرتبط . أوله:

تراك إذا لم أرضها أو ير ... تبط بعض النفوس حمامها
وقبله :

أولم يكن يدري نوار بأني ... وصال عقد حبال جذامها
تراك خبر بعد خبر كجذام أي ألم يدر نوار أني وصال عقد من يحاول مودتي وقطاع لمن نصر مني وأني تراك أمكنه إذا لم أرضها أو لم آتي أمرت فيها أراد أنه كثير الترحل والتنقل وأنه لا يقيم على الخسف والضيم إلا أن يرتبط بعض النفوس حمامها فلا يمكنه الترك بسبب الحمام وهو الموت ، وأراد ببعض النفوس نفسه وإنما سكن الطاء وكان القياس النصب بإضمار أن بعد أو لأن أو بمعنى إلا إن أولى أن الضرورة الشعر كما سكن أمرء القيس التا في قوله :
فاليوم أشرب غير مستخفت ... اثما من الله ولا واعل

وقيل أو يرتبط مجزوم للعطف على أرضها.
(٣٢٢/٣)

بعض النفوس حمامها

أراد نفسه: وإنما قصد تفخيم شأنها بهذا الإيهام، كأنه قال: نفسا كبيرة، ونفسا أي نفس، فكما أن التنكير يعطي معنى التكبير وهو معنى البعوضة، فكذلك إذا صرح (١) بالعوض { الفاسقون } المتمردون في الكفر معتدون فيه، يعني أن التولي عن حكم الله من التمرد العظيم والاعتداء في الكفر

كN3z &ssùr دp=تد="g\$yf9\$# يغون ومن أحسن من الله حكما لقوم يوقنون

(٥٠)

أفحكم الجاهلية يبغون { فيه وجهان، أحدهما: أن قريظة والنضير طلبوا (٢) إليه أن يحكم بما كان يحكم به أهل الجاهلية من التفاضل (٣) بين القتلى: وروي:

(١) قوله: فكذلك إذا صرح به بالبعض أراد أنه كما وضع التنكير للتقليل الذي فيه معنى البعضية وقد يراد به التكثير كذلك البعض قد يراد به التكثير .

(٢) قوله: طلبوا إليه أي جاؤوا إليه طالبين.

(٣) قوله: من التفاضل بين القتلى أي بين دمائهم ودياتهم ، ومعنى بواء سواء قالت

ليلى الأخيلية في مقتل توبة بن الحمير: فإن يكن القتلى بواء فإنكم في ما قتلتم آل

عوف بن عامر

(٣٢٣/٣)

أن رسول الله قال لهم: "القتلى بواء" فقال بنو النضير: نحن لا نرضى بذلك فنزلت: والثاني: أن يكون تعبيراً (١) لليهود بأنهم أهل كتاب وعلم، وهم يبغون حكم الملة الجاهلية التي هي هوى وجهل، لا تصدر عن كتاب ولا ترجع إلى وحي من الله تعالى: وعن الحسن: هو عام في كل من يبغى غير حكم الله: والحكم حكمان: حكم بعلم فهو حكم الله، وحكم بجهل فهو حكم الشيطان. وسئل طاوس عن الرجل يفضل بعد ولده على بعض، فقرأ هذه

الآية: وقرئ: "تبغون"، بالتاء والياء: وقرأ السلمي: "أفحكم الجاهلية يبغون"، برفع الحكم على الابتداء، وإيقاع يبغون خبراً وإسقاط الراجع عنه كإسقاطه عن الصلة في { أهذا الذي بعث الله رسولا { (الفرقان: ٣١) وعن الصفة في: الناس رجالان: رجل أهنت،

ورجل أكرمت. وعن الحال في (مررت بهند يضرب زيد) وقرأ قتادة: { أفحكم الجاهلية {

(المائدة: ٥٠) على أن هذا الحكم الذي يبغونه إنما يحكم به أفعى نجران (٢)،

(١) قوله: إن يكون تعبير لليهود وعلى الأول كان ترسيخاً أي يريدون أن يحكموا كما حكم

أولئك القوم ولم يكن مفهوم الجاهلية منظوراً إليه بخلافه في الثاني ليصح التعبير بالجهل ولذلك قال بأنهم أهل كتاب وعلم وقدر المضاف في الأول الأهل والملة في الثاني

(٢) قوله: أفعى نجران هو اسم رجل من حكام العرب يسمى به لدهائه قال المعري:

وما كان أفعى أهل نجران مثله ... ولكن للأنس الفضيلة في السمع
(٣٢٤/٣)

أو نظيره من حكام الجاهلية، فأرادوا بسفهمهم أن يكون محمد خاتم النبيين حكما كأولئك
الحكام. اللام في قوله: { لقوم يوقنون } (١) للبيان كاللام في (هيت لك) أي هذا
الخطاب وهذا الاستفهام لقوم يوقنون، فإنهم الذين يتيقنون أن لا أعدل من الله ولا
أحسن حكما منه.

* يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا اليهود #u"چ | ء Z9\$#ur أولياء بعضهم أولياء بعض
ومن يتولهم منكم فإنه منهم إن الله لا يهدي القوم Jdûü"=©51 (à9\$# yIsùju" الذين

في قلوبهم ضع u"چ B"ق ممحج" | ، "ç N خkژدù يقولون نخشى أن sYt7\$ ء è?
ou×چ #y! ط فعى

الله أن Àù'tf'd'z بالفتح أو أمر من Y%oond¾ دم فيصبحوا على ما أسروا في
Nخk! | à&Rr

نادمين (٥٢) ويقول الذين (#uûq#ZtB#م هؤلاء الذين أقسموا بالله جهد
Nخkب" [÷fr&y

NهX®kخ) لمعكم Msôمخxm٦ أعمالهم فأصبحوا خاسرين اخجب

(١) قوله: اللام في لقوم يوقنون كاللام في هيت لك أي هي بيان لا صلة. قال أبو
البقاء لقوم هو في المعنى عند قوم وليس المعنى أن الحكم لهم ، وقوله ولا أحسن حكما
منه إشارة إلى أن الإستفهام في قوله من أحسن للإنكار .
(٣٢٥/٣)

لا تتخذوهم أولياء تنصرونهم وتستنصرونهم وتؤاخذونهم وتصافونهم وتعاشرونهم معاشرة

المؤمنين. ثم علل النهي بقوله: { بعضهم أولياء بعض } أي إنما يوالي بعضهم بعضا
لاتحاد ملتهم واجتماعهم في الكفر، فما لمن دينه(١) خلاف دينهم ولموالاتهم { ومن
يتولهم منكم فإنه } من جملتهم وحكمه حكمهم. وهذا تغليظ من الله وتشديد في وجوب
مجانبة المخالف في الدين واعتزاله، كما قال رسول الله (٣٥٣) "لا تراءى ناراهما"(٢)

(١) قوله فما لمن دينه خلاف دينهم وموالاتهم أي فما يصنع بموالاتهم.

(٢) قوله: تفاعل من الرؤية يقال تراءى القوم إذا رأى بعضهم بعضا واسناد الترائي إلى مجاز من قولهم داري ينظر إلى دار فلان أي يقابلهما يقول بارا بهما مختلفان هذه يدعوا إلى الله وهذه إلى الشيطان فكيف يتفقدان والأصل في ترائي فحذف إحدى التائين تحقيقا والمعنى لا ينبغي لمسلم أن ينزل بموضع إذا أوقدت فيه ناره يظهر ضوءها للمشارك أو أوقدت نار المشارك في موضع ويظهر ضوءها للمؤمن والإنكماش الإسراع والشفافة قرحة تخرج في أسفل القدم تكوى فتذهب يقال في المثل استأصل الله شافته أي أذهبه فالشفافة هنا يراد بها الأصل ..

(٣/٣٢٦)

ومنه قول عمر رضي الله عنه لأبي موسى في كتابه النصراني: لا تكرموهم إذ أهانهم الله، ولا تأمنوهم إذ خونهم الله، ولا تدنوهم إذ أقصاهم الله: وروي: أنه قال له أبو موسى: لا قوام للبصرة إلا به، فقال: مات النصراني والسلام، يعني هب أنه قد مات، فما كنت تكون صانعا حينئذ فاصنعه الساعة، واستغن عنه بغيره { إن الله لا يهدي القوم الظالمين } يعني الذين ظلموا أنفسهم بموالات الكفر يمنعه الله أطفاه ويخذلهم مقتا لهم { يسارعون فيهم } ينكمشون في موالاتهم ويرغبون فيها ويعتذرون بأنهم لا يأمنون أن تصيبهم دائرة من دوائر الزمان، أي صرف من صروفه ودولة من دوله، فيحتاجون إليهم وإلى معونتهم، وعن عبادة بن الصامت رضي الله عنه (٣٥٤) أنه قال لرسول الله : إن لي

من موالي من يهود كثيرا عددهم، وإنني أبرأ إلى الله ورسوله من ولايتهم وأوالي الله ورسوله فقال عبد الله بن أبي: إنني رجل أخاف الدوائر لا أبرأ من ولاية موالي وهم يهود بني قينقاع. { فعسى الله أن يأتي بالفتح } لرسول الله على أعدائه وإظهار المسلمين { أو أمر من عنده } يقطع شأفة اليهود ويجلبهم عن بلادهم، فيصبح المنافقون نادمين على ما حدثوا به أنفسهم: وذلك أنهم كانوا يشكون في أمر رسول الله ويقولون: ما نظن أن يتم له أمر، وبالبحري أن تكون الدولة والغلبة لهؤلاء. وقيل أو أمر من عنده: أو أن يؤمر النبي بإظهار أسرار المنافقين وقتلهم فيندموا على نفاقهم. وقيل: أو أمر من عند الله لا يكون فيه للناس فعل كبني النضير الذين طرح الله في قلوبهم الرعب.

(٣/٣٢٧)

فأعطوا بأيديهم من غير أن يوجف عليهم بخيل ولا ركاب { ويقول الذين آمنوا } (١) قرىء بالنصب عطفًا على أن يأتي. وبالرفع على أنه كلام مبتدأ، أي: ويقول الذين آمنوا في ذلك الوقت (٢): وقرىء: "يقول": بغير واو، وهي في مصاحف مكة والمدينة والشام كذلك على

أنه وجوب قائل يقول: فماذا يقول المؤمنون حينئذ؟ فقل: يقول الذين آمنوا هؤلاء الذين أقسموا. فإن قلت: لمن يقولون هذا القول؟ قلت: إما أن يقوله بعضهم لبعض تعجبا من حالهم واغترابا بما من الله عليهم من التوفيق في الإخلاص { هؤلاء الذين أقسموا لكم بإغلاظ الأيمان أنهم أولياؤكم ومعاضدكم على الكفار. وإما أن يقولوه لليهود لأنهم حلفوا لهم بالمعاضدة والنصرة. كما حكى الله عنهم { وإن قوتلتهم لننصرنكم } (الحشر: ١١). { حبطت أعمالهم } من جملة قول المؤمنين، أي بطلت أعمالهم التي كانوا يتكلفونها في رأى أعين الناس.

(١) قوله: ويقول الذين آمنوا قرأ بالنصب عطفًا على أن يأتي وهي قراءة أبي عمرو فإن قيل كيف يجوز أن يقال عسى الله أن يقول الذين آمنوا لأن أن تأتي خبر عسى والمعطوف عليه في حكمه فيفتقر إلى ضمير يرجع إلى الاسم عسى ولا ضمير في قوله يقول الذين ، قلنا الجواب عن هذا من وجهين أحدهما أنه محمول على المعنى لأنه وإن قيل فعسى الله أن يأتي بالفتح لكنه عطف عليه على تقدير أنه قيل فعسى أن يأتي الله بالفتح لأنه قد عهد كثير أن يجعل اسم عسى أن مع المضارع فكأنه قيل فعسى أن يأتي الله بالفتح ويقول الذين آمنوا كما أنه عطف وأكن على فاصدق على تقدير حذف الفاء ، وثانيهما أن يكون المعنى فعسى الله أن يأتي بالفتح وينصر المؤمنين فيقولوا هذا القول فحذف النصر الذي هو السبب وأقيم القول المسبب مقامه ، وقيل أنه يحتمل أنه عطف على الفتح أو على فتصيحوا.

(٢) قوله: في ذلك الوقت أي وقت الفتح.

(٣/٣٢٨)

وفيه معنى التعجيب كأنه قيل: ما أحبط أعمالهم! فما أخسرهم! أو من قول الله عز وجل شهادة لهم بحبوط الأعمال وتعجباف من سوء حالهم.

يا أيها الذين آمنوا من يرتد منكم عن دينه فسوف 'أؤتف' الله يقوم يحبهم ويحبونه
أذلة على المؤمنين أعززة على 'z`f`حجده' s39\$# يجاهدون في سبيل الله ولا يخافون لومة
Oo ح ٩Iw y7 دCE فضل الله يؤتيه من يشاء والله بما urTM ي Oتد=ت و احب
(٣٢٩/٣)

وقرىء: "من يرتد" ومن "يرتد"، وهو في الإمام بدالين، وهو من الكائنات التي أخبر
عنها في القرآن قبل كونها. وقيل: بل كان أهل الردة إحدى عشرة فرقة: ثلاث في عهد
رسول الله : بنو مدلج، ورئيسهم ذو الحمار(١) وهو الأسود العنسي، وكان كاهنا تنبأ
باليمن واستولى على بلاده، وأخرج عمال رسول الله ، فكتب رسول الله إلى معاذ بن جبل
وإلى سادات اليمن، فأهلكه الله على يدي فيروز الديلمي بيته فقتله وأخبر رسول الله
بقتله ليلة قتل، فسر المسلمون وقبض رسول الله من الغد. وأتى خبره في آخر شهر ربيع
الأول. وبنو حنيفة، قوم مسيلمة تنبأ وكتب إلى رسول الله : من مسيلمة رسول الله إلى
محمد رسول الله. أما بعد فإن الأرض نصفها لي ونصفها لك. فأجاب عليه الصلاة والسلام:

"من محمد رسول الله إلى مسيلمة الكذاب. أما بعد، فإن الأرض لله يورثها من يشاء من
عباده والعاقبة للمتقين" فحاربه أبو بكر رضي الله عنه بجنود المسلمين، وقتل على يدي
وحشي قاتل حمزة. وكان يقول: قتلت خير الناس في الجاهلية، وشر الناس في الإسلام،
أراد في جاهليتي وإسلامي. وبنو أسد: قوم طليحة بن خويلد تنبأ فبعث إليه رسول الله
خالدًا فانهزم بعد القتال إلى الشام ثم أسلم وحسن إسلامه. وسبع في عهد أبي بكر رضي
الله عنه: فزاره قوم عيينة بن حصين وغطفان قوم قرّة بن سلمة القشيري، وبنو سليم قوم
الفجاءة بن عبد يا ليل. وبنو يربوع، قوم مالك بن نويرة وبعض تميم قوم سجاح بنت
المنذر المتنبئة التي زوجت نفسها مسيلمة الكذاب، وفيها يقول أبو العلاء المعري في
كتاب استغفر(٢)

(١) قوله: ذو الحمار قيل سمي بذلك لأنه كان يعتد الحمار أو لأن أصحابه كانوا
يتعطرون بروث حمارة وروى بالخاء المعجمة المكسورة ، قيل سمي بذلك أن نساء أصحابه
كن

يعقدن في خمرهن روث حمارة فيتعطرن به.

(٢) قوله: في كتاب استغفر واستغفري سمي بذلك لأنه التزم في جميع قصائده لفظ
استغفروا استغفري:

أمت سجاح ووالاها مسيلمة ... كذابة في بني الدنيا وكذاب
روى أمت بالمد والتخفيف من الأئمة وأمت بالتشديد من الإمامة وهو السماع المناسب
لقوله ووالاها والمفتعلة الكاذبة والمتفعلة المتصوفة.
(٣٣٠/٣)

واستغفري:

أمت سجاح ووالاها مسيلمة ... كذابة في بني الدنيا وكذاب

وكندة، قوم الأشعث بن قيس، وبنو بكر بن وائل بالبحرين قوم الحطيم بن زيد، وكفى الله
أمرهم على يد أبي بكر رضي الله عنه. وفرقة واحدة في عهد عمر رضي الله عنه: غسان قوم
جبله ابن الأيهم نصرته اللطيمة وسيرته إلى بلاد الروم بعد إسلامه { فسوف يأتي الله
بقوم } قيل: (٣٥٥) لما نزلت أشار رسول الله إلى أبي موسى الأشعري فقال: "قوم هذا"

وقيل: هم ألفان من النخع، وخمسة آلاف من كندة وبجيلة، وثلاثة آلاف من أفناء الناس
جاهدوا يوم القادسية. وقيل: هم الأنصار. وقيل: (٣٥٦) سئل رسول الله عنهم فضرب يده
على عاتق سلمان وقال: "هذا وذووه" ثم قال: لو كان الإيمان معلقا بالثريا لناله رجال
من أبناء فارس { يحبهم ويحبونه } محبة العباد لربهم طاعته وابتغاء مرضاته، وأن لا
يفعلوا ما يوجب سخطه وعقابه، ومحبة الله لعباده أن يشبههم أحسن الثواب على طاعتهم
ويعظمهم ويشني عليهم ويرضى عنهم: وأما ما يعتقدونه أجعل الناس وأعداهم للعلم وأهله
وأماقتهم للشرع وأسوأهم طريقة، وإن كانت طريقتهم عند أمثالهم من الجهلة والسفهاء
شيئا، وهم الفرقة المفتعلة المتفعلة من الصوف، وما يدينون به من المحبة والعشق،
والتغني على كراسيهم خربها الله، وفي مراقصهم عطلها الله، بأبيات الغزل المقولة في
المردان الذين يسمونهم شهداء، وصعقاتهم التي أين عنها صعقة موسى عند ذلك الطور،
فعالى الله عنه علوا كبيرا، ومن كلماتهم: كما أنه بذاته يحبهم كذلك يحبون ذاته،
فإن الهاء راجعة إلى الذات دون النعوت والصفات. ومنها: الحب شرطه أن تلحقه سكرات
المحبة، فإذا لم يكن ذلك لم تكن فيه حقيقة. فإن قلت: أين الراجع من الجزاء إلى
الاسم المتضمن لمعنى الشرط؟ قلت: هو محذوف معناه: فسوف يأتي الله بقوم مكانهم أو
بقوم غيرهم، أو ما أشبه ذلك { أدلة } جمع دليل. وأما ذلول فجمعه ذلل.

(٣٣١/٣)

ومن زعم أنه من الدل الذي هو نقيض الصعوبة، فقد وغى عنه أن ذلولا لا يجمع على أذلة. فإن قلت: هلا قيل أذلة للمؤمنين أعزة على الكافرين؟ قلت: فيه وجهان، أحدهما أن يضمن الدل معنى الحنو والعطف (كأنه قيل: عاطفين عليهم على وجه التذلل والتواضع. والثاني: أنهم مع شرفهم (١) وعلو طبقتهم وفضلهم على المؤمنين خافضون لهم أجنتهم. ونحوه قوله عز وجل: { أشداء على الكفار رحماء بينهم } (الفتح: ٢٩) وقرىء: أذلة وأعزة بالنصب

على الحال { ولا يخافون لومة لائم } يحتمل أن تكون الواو للحال، على أنهم يجاهدون وحالهم في المجاهدة خلاف حال المنافقين، فإنهم كانوا موالين لليهود - لعنت - فإذا خرجوا في جيش المؤمنين خافوا أولياءهم اليهود، فلا يعملون شيئا مما يعلمون أنه يلحقهم فيه لوم من جهتهم. وأما المؤمنون فكانوا يجاهدون لوجه الله لا يخافون لومة لائم قط. وأن تكون للعطف (٢)،

(١) قوله: والثاني أنهم مع شرفهم يعني استعين على بدل اللام ليؤذن بأنهم غلبوا غيرهم من المؤمنين في التواضع حتى غلوهم بهذه الصفة وإلى المبالغة أشار بقوله خافضون لهم أجنتهم وإنما قال مع شرفهم وعلو طبقتهم ليؤذن بمعنى التكميل فإنه لما قال { أذلة على المؤمنين } أوهم أنهم أذلاء محقرون فكمل بقوله { أعزة على الكافرين } بمعنى أنهم مع عزتهم وعلو طبقتهم متواضعون مبالغون فيه لمن يجب أن يتواضع له ونحوه قول الشاعر:

جلوس في مجالسهم رزان ... وإن ضيف ألم فهم حفوف

(٢) قوله: وإن يكون للعطف إذا جعل حالا كان قيذا لتجاهدون ليكون تعريضا بمن لم يكن على هذه الحال من المنافقين وإذا جعل عطفا كان تميميا لمعنى يجاهدون فبعد المبالغة والاستيعاب وإليها الإشارة بقوله:

مضوا فيه كالمسامير المحماه . وإلى الاستيعاب بقوله لا يزغهم أي لا يكفهم إلى قوله لا يخافون شيئا قط.

(٣/٣٣٢)

على أن من صفتهم المجاهدة في سبيل الله، وأنهم صلاب في دينهم، إذا شرعوا في أمر من أمور الدين إنكار منكر أو أمر بمعروف، مضوا فيه كالمسامير المحماة، لا يربهم قول

قائل ولا اعتراض معترض ولا لومة لائم، يشق عليه جدهم في إنكارهم وصلابتهم في أمرهم. واللومة: المرة من اللوم، وفيها وفي التنكير (١) مبالغتان كأنه قيل: لا يخافون شيئاً قط من لوم أحد من اللوام. و { ذلك } إشارة إلى ما وصف به القوم من المحبة والذلة والعزة والمجاهدة وانتفاء خوف اللومة { يؤتية } يوفق له { من يشاء } ممن يعلم أن له لطفاً { واسع } كثير الفواضل والألطف { عليم } بمن هو من أهلها. إنما وليكم الله ورسوله والذين آمنوا الذين يقيمون الصلاة ويؤتون الزكاة وهم

'u'.dètbq اخخب

(١) قوله: وفيها وفي التنكير مبالغتان لأنه ينتفي بانتفاء الخوف من اللومة الواحدة الخوف من كل لوم لأن النكرة في سياق النفي تعم ، ثم لما اضم إليها تنكير اللام ثم الذي هو فاعل اللومة استوعب انتفاء خوف جميع اللوام وهذا تتميم في تتميم أي لا يخافون شيئاً من اللوم من أحد من اللوام .

(٣٣٣/٣)

عقب النهي عن موالاة من تجب معاداتهم ذكر من تجب موالاتهم بقوله تعالى: { إنما وليكم الله ورسوله والذين آمنوا } ومعنى (إنما) وجوب اختصاصهم بالموالاة. فإن قلت: قد ذكرت جماعة فهلا قيل: إنما أولياؤكم؟ قلت: أصل الكلام: إنما وليكم الله، فجعلت الولاية لله على طريق الأصالة، ثم نظم في سلك إثباتها له إثباتها لرسول الله والمؤمنين على سبيل التبع (١)، ولو قيل: إنما أولياؤكم الله ورسوله والذين آمنوا، لم يكن في الكلام أصل وتبع وفي قراءة عبد الله: "إنما مولاكم". فإن قلت: { الذين يقيمون } ما محله؟ قلت: الرفع على البدل (٢) من الذين آمنوا، أو على: هم الذين يقيمون. أو النصب على المدح. وفيه تمييز للخلص من الذين آمنوا نفاقاً، أو واطأت قلوبهم ألسنتهم إلا أنهم مفروطون في العمل { وهم راعون } الواو فيه للحال، أي يعلمون ذلك في حال الركوع وهو الخشوع والإخبات والتواضع لله إذا صلوا وإذا زكوا.

(١) قوله: على سبيل التبع والتقدير وكذلك رسوله والمؤمنون.

(٢) قوله: الرفع على البدل إلى آخره. قال الطيبي: وإنما عدل عن الوصف لأن الموصول وضع وصلة إلى وصف المعارف بالجمل والوصف لا يوصف إلا بالتأويل ، وأقول: يحتمل أنه إنما عدل عن الوصف باعتبار أن الموصوف يجب أن يكون أعرف من الصفة أو مساوي لها

ولما كان تعريف الموصول بواسطة الصلة وكانت صلة الموصول الثاني أعرف من صلة الموصول

الأول امتنع كون الثاني صفة للأول ، وقوله وفيه تمييز أي في الكلام السابق وقوله تمييز للخلص على أن يكون الذين يقيمون بدلا تعريضا بالمنافقين ، وقوله أو وطاب على أن يكون مدحا تعريضا بالمفرطين من المؤمنين والمعنى على الأول لا يكون مؤمنا من آمن نفاقا وعلى الثاني لا يكون ممدوحا مقربا عند الله من آمن ولم يعمل صالحا ، وإنما جعلناه تعريضا لقوله تمييز لأن المدح لا يكون تمييزا إلا على سبيل التعريض.
(٣٣٤/٣)

وقيل: هو حال من يؤتون الزكاة، بمعنى يؤتونها في حال ركوعهم في الصلاة، و (٣٥٧) أنها نزلت في علي كرم الله وجهه حين سألته وهو راكع في صلاته فطرح له خاتمه. كأنه كان مرجا في خنصره، فلم يتكلف لخلعه كثير عما تفسد بمثله صلاته، فإن قلت: كيف صح أن يكون لعلي رضي الله عنه واللفظ لفظ جماعة؟ قلت: جيء به على لفظ الجمع وإن كان

السبب فيه رجلا واحدا، ليرغب (١) الناس في مثل فعله فينالوا مثل ثوابه، ولينبه على أن سجية المؤمنين يجب أن تكون على هذه الغاية من الحرص على البر والإحسان وتفقد الفقراء، حتى إن لزهم أمر لا يقبل التأخير وهم في الصلاة، لم يؤخروه إلى الفراغ منها.

ومن يتول الله ورسوله والذين آمنوا فإن حزب الله هم (٥٦) (٣٥٧/٣)

(١) قوله: يرغب الناس يعني به تعظيم ذلك الفعل وإن لا يباشره من الناس إلا من يكون عظيما ينزل منزلة الجماعة كقوله تعالى : { إن إبراهيم كان أمة قانتا لله حنيفا } فإنه مما لا يختص به أحد دون أحد فيسارع اليأس فيه لنيل الكمال وقوله ولينبه على أن نتيجة المؤمن فيه تعظيم الفاعل بمعنى يحب على من أنتم بسمة الإيمان أن يتخلق بخلقته

(٣٣٥/٣)

فإن حزب الله { من إقامة الظاهر مقام المضمّر. ومعناه: فإنهم هم الغالبون، ولكنهم بذلك جعلوا أعلاما لكونهم حزب الله. وأصل الحزب؟ القوم يجتمعون لأمر حزبهم. ويحتمل

أن يريد بحزب الله: الرسول (١) والمؤمنين. ويكون المعنى: ومن يتولهم فقد تولى حزب الله، واعتضد بمن لا يغالب.

tf"~'r%oJpk\$ الذين آمنوا لا تتخذوا الذين اتخذوا دينكم هزوا ولعبا من الذين أوتوا الكتاب من O ن٣=د٦s% والكفار أولياء واتقوا الله إن كنتم Zdtüü (57د B÷s-B) وإذا

ناديتم إلى #s٩ء٤=o4qnd اتخذوها هزوا ولعبا sCE"٩dy7 بأنهم قوم لا يعقلون (٥٨)

(١) قوله: يحتمل أن يريد بحزب الله الرسول والمؤمنين عطف على قوله فإن حزب الله من إقامة المظهر موضع المضمّر يعني أقيم حزب الله موضع المضمّر من غير لفظه السابق للإعلام بأنهم أعلام فيه لما أن قوله { ومن يتول الله ورسوله { متضمن لكونهم حزب الله أو جعل جزاء الشرط في معنى الشرط كقوله من أدرك الصمان فقد أدرك المرعى أي من توليتهم فقد تولى من يحق له الولاية وهو المراد بقوله فقد تولى حزب الله واعتضد بمن لا يغالب.

(٣٣٦/٣)

روي أن رفاعه بن زيد وسويد بن الحرث كانا قد أظهرنا الإسلام ثم نافقا، وكان رجال من المسلمين يؤادونهما، فنزلت. يعني أن اتخاذهما دينكم هزوا ولعبا لا يصح أن يقابل باتخاذكم إياهم أولياء، بل يقابل ذلك بالبغيضاء والشنآن والمنايضة. وفصل المستهزئين بأهل الكتاب والكفار - وإن كان أهل الكتاب من الكفار - إطلاقا للكفار على المشركين خاصة. والدليل عليه قراءة عبد الله: "ومن الذين أشركوا". وقرئ: "والكفار" بالنصب والجر. وتعضد قراءة الجر قراءة أبي: "ومن الكفار" { واتقوا الله { في موالاة الكفار وغيرها { إن كنتم مؤمنين { حقا؛ لأن الإيمان حقا يأبى موالاة أعداء الدين { اتخذوها { الضمير للصلاة أو للمناداة. قيل: كان رجلا من النصارى بالمدينة إذا سمع المؤذن يقول: (أشهد أن محمدا رسول الله) قال: حرق الكاذب، فدخلت خادمته (١) بنار ذات ليلة وهو نائم، فتطايرت منها شرارة في البيت فاحترق البيت، واحترق هو وأهله. وقيل:

فيه دليل على ثبوت الأذان بنص الكتاب (٢) لا بالمنام وحده { لا يعقلون { لأن لعبهم وهزؤهم من أفعال السفهاء والجهلة، فكأنه لا عقل لهم.

@%è يا أهل الكتاب هل تنقمون منا إلا أن آمنا بالله وما tAح"RéY\$ &st9س (خ) وما tAح"Ré من قبل وأن /ن.رژu.&nY فاسقون اخرب

- (١) قوله: قد جلب خادمة الخادم واحد الخدم غلاما كان أو جارية.
- (٢) قوله: وقيل فيه دليل على ثبوت الأذان بنص الكتاب لا بالمنام وحده وذلك أنه تعالى أخبر أن نداء الصلاة سبب لا اتخاذهم إياها هنزوا وعلله بجهلهم فدلّت الآية على سبيل الإدماج وإشارة النص على ثبوته وأما حديث المنام فهو أن عبد الله بن زيد الأنصاري رأى الأذان في منامه لما اغتم رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وتفكر في فعل أمر يجمع الناس إلى الصلاة .
- (٣/٣٣٧)

قرأ الحسن: "هل تنقمون" بفتح القاف. والفصيح كسرهما. والمعنى هل تعيبون منا وتتكرون إلا الإيمان بالكتب المنزلّة كلها { وأن أكثركم فاسقون } . فإن قلت: علام عطف قوله: { وإن أكثرهم فاسقون } ؟ قلت: فيه وجوه: منها أن يعطف على أن آمنا، بمعنى: وما تنقمون منا إلا الجمع (١) بين إيماننا وبين تمردكم وخروجكم عن الإيمان، كأنه قيل: وما تنكرون منا إلا مخالفتكم حيث دخلنا في دين الإسلام وأنتم خارجون منه. ويجوز أن يكون على تقدير حذف المضاف، أي واعتقاد أنكم فاسقون ومنها أن يعطف على المجرور، أي

وما تنقمون منا إلا الإيمان بالله وبما أنزل وبأن أكثركم فاسقون. ويجوز أن تكون الواو بمعنى مع، أي وما تنقمون منا إلا الإيمان مع أن أكثركم فاسقون. ويجوز أن يكون تعليلا معطوفا على تعليل محذوف، كأنه قيل: وما تنقمون منا إلا الإيمان لقلة إنصافكم وفسقكم واتباعكم الشهوات. ويدل عليه تفسير الحسن: بفسقكم نقمتم ذلك علينا. قل هل أنبئكم بشر من sCE٩dy7 مثوبة عند الله من لعنه الله وغضب عليه وجعل منهم

noyثuة) #fج-ur\$:#\$ufùz وعبد الطاغوت أولئك شر مكانا وأضل

عن سواء السبيل

(٦٠) وإذا جاءوكم (#ûqنs% آمنا وقد دخلوا حج ٣٩\$\$\$خ/ وهم قد

(#qم_جyz به والله

أعلم بما كانوا يكتمون (٦١)

(١) قوله: وما ينقمون منا إلا الجمع بين إيماننا وتمردكم قال أبو البقاء هذا كقولك للرجل ما كرهت مني إلا أنني محبب إلى الناس وأنتك مبغض وإن كان لا يعترف بأنه مبغض . (٣٣٨/٣)

وروي: (٣٥٨) أنه أتى رسول الله نفر من اليهود فسألوه عمن يؤمن به من الرسل؟ فقال: "أومن بالله وما أنزل إلينا إلى قوله: ونحن له مسلمون" فقالوا حين سمعوا ذكر عيسى عليه السلام: ما نعلم أهل دين أقل حظا في الدنيا والآخرة منكم، ولا ديناً أشر من دينكم. فنزلت. وعن نعيم بن مسيرة: "وإن أكثركم"، بالكسر. ويحتمل أن ينتصب (وأن أكثركم) بفعل محذوف يدل عليه هل تنقمون، أي: ولا تنقمون أن أكثركم فاسقون، أو يرتفع على الابتداء والخبر محذوف، أي فسقكم ثابت معلوم عندكم، لأنكم علمتم أنا على الحق وأنكم على الباطل، إلا أن حب الرياسة وكسب الأموال لا يدعكم فتتصفوا { ذلك } إشارة إلى المنقوم، ولا بد من حذف مضاف (١) قبله، أو قبل (من) تقديره: بشر من أهل ذلك، أو دين من لعنه الله. و { من لعنه الله } في محل الرفع على قولك: هو من لعنه الله، كقوله تعالى: { قل أفأنبئكم بشر من ذلكم النار } (الحج: ٧٢) أو في محل الجر على البدل من شر. وقرئ: "مثنوية". "ومثنوية". ومثالهما: مشورة، ومشورة. فإن قلت: المثنوية مختصة بالإحسان، فكيف جاءت في الإساءة؟ قلت: وضعت المثنوية موضع العقوبة على طريقة قوله: شع تحية (٢)

(١) قوله: ولا بد من حذف مضاف قبله أي قبل ذلك وهو المنقوم أو قيل من أي لعنه الله لأن الإيمان المشار إليه غير مطابق لقوله من لعن الله في معنى مشترك فيه لفظ ليس من لعنه الله من جنس الإيمان حتى يفعل عليه في السر فيقدر الأهل عند

الإيمان أو الذين عند من لعنه الله ليحصل التجانس والمعنى هل أنبئكم بشر من أهل الإيمان على زعمكم أو هل أنبئكم بشر من الإيمان بزعمكم هو دين من لعنه الله. (٢) قوله: على طريقة: ...

تحيته بينهم ضرب وجيع
(صدره : خيل قد دلفت.....بخيل)

يعني على طريقة الإدعاء في المبالغة والنهكم ولم يرد أن من الاستعارة

..... لأن المشبه والمشبه به وهما الضرب والتحية المذكوران في المثال وفي الآية قد شبهت العقوبة بالمتوبة والمذكور هو المتوبة فقط.
(٣٣٩/٣)

بينهم ضرب وجيع
ومنه { فيشرهم بعذاب أليم } (آل عمران: ٢١). فإن قلت: المعاقبون من الفريقين هم اليهود، فلم شورك بينهم في العقوبة؟ قلت: كان اليهود - لعنوا - يزعمون أن المسلمين ضالون مستوجبون للعقاب، ف قيل لهم: من لعنه الله شر عقوبة (١) في الحقيقة واليقين من أهل الإسلام في زعمكم ودعواكم { وعبد الطاغوت } عطف على صلة (من) كأنه قيل: ومن عبد الطاغوت. وفي قراءة أبي "وعبدوا الطاغوت"، على المعنى. وعن ابن مسعود: "ومن عبدوا". وقرئ: "وعابد الطاغوت" عطفًا على القردة. "وعابدي". "وعباد". "وعبد". "وعبد". ومعناه: الغلو في العبودية، كقولهم، رجل حذر وفطن، للبليغ في الحذر والفطنة. قال:
أبني لبينى إن أمكم ... أمة (٢) وإن أباكمو عبد

(١) قوله: من لعنه الله شر عقوبة في الحقيقة واليقين من أهل الإسلام في زعمكم، قال الطيبي: فإن قلت أليس كلامه مشعر بأن لفظه شر استعملت بالنسبة إلى من لعنه الله بالحقيقة وبالنسبة إلى أهل الإيمان بالمجاز ، قلت: لا لأنه تعالى جعل المفضل والمفضل عليه من جنس واحد على سبيل المبالغة أحدهما بالحقيقة والآخر بالإدعاء على زعم الكفرة ثم فضل أحدهما على الآخر جريا على سنن إرخاء العنان والكلام المنصف ومثله في الأسلوب جعل المال والبنين وسلامة القلب من جنس واحد حيث استثنى القلب من المال والبنين في قوله تعالى : { يوم لا ينفع مال } الآية .
)

(٢) قوله: انني إن أمكم أمه وإن أباكم عبد
..... من بني أسد بن وائلة يقول أنني هذه المرأة إن أمكم جارية وإن أباكم بليغ في العبودية.
(٣٤٠/٣)

وعبد بوزن حطم. وعبيد. وعبد - بضمين - جمع عبيد: وعبد بوزن كفرة. وعبد، وأصله

عبدة، فحذفت التاء للإضافة (١). أو هو كخدم في جمع خادم. وعبد وعباد. وأعبد، وعبد الطاغوت، على البناء للمفعول، وحذف الراجع، بمعنى: وعبد الطاغوت فيهم، أو بينهم، وعبد الطاغوت بمعنى صار الطاغوت معبودا من دون الله، كقولك (أمر) إذا صار أميرا. وعبد الطاغوت، بالجر عطفًا على { من لعنه الله } . فإن قلت: كيف جاز أن يجعل الله منهم عباد الطاغوت؟ قلت: فيه وجهان، أحدهما: : أنه خذلهم حتى عبدوه. والثاني: أنه حكم عليهم بذلك (٢)

(١) قوله: فحذف التاء للإضافة مثل حذفها في واخلفوك عد الأمر أي عدته وإنما حذف التاء حال الإضافة كراهة لاجتماع زيادتين في آخر الكلمة التاء والمضاف إليه .
(٢) قوله: والثاني أنه حكم عليهم بذلك قال بعض الأفاضل وتابعه الطيبي ويلزم من هذا الوجه استعمال اللفظ المشترك في مفهومته لأنه في المعطوف عليه بمعنى صير وفي المعطوف بمعنى حكم ، وقلت: ليت شعري لم خصص الفاصلان الوجه الثاني بذلك مع أنه يلزم

من الوجه الأول أيضا استعمال اللفظ في معنيين مختلفين لأنه في المعطوف عليه بمعنى صيرهم وفي المعطوف بمعنى خذلهم وإذا تقرر هذا فالجواب على الوجهين معا أن المراد بالجعل على الوجه الأول الخذلان وهو شامل للقردة والخنازير وعابدي الطاغوت لأنه لولا الخذلان لما عصوا ولو لم يعصوا لما مسخوا قردة وخنازير وعبدوا الطاغوت والمراد به على الوجه الثاني الحكم وهو شامل للفريقين أيضا لأنه كما حكم على عابدي الطاغوت بعبادتهم للطاغوت ووصفهم بذلك فقد حكم على القردة والخنازير بكونهم قردة وخنازير ووصفهم بذلك فقد صح بهذا أن المعنى المراد في الجميع واحد وقريب من هذا الجواب ما

ذكره المصنف في تفسير قوله تعالى : { ألم تر أن الله يسجد له من في السماوات } إلى قوله { والشجر والدواب } ..
(٣/٤١)

ووصفهم به، كقوله تعالى: { وجعلوا الملائكة الذين هم عباد الرحمان إناثا } (الزخرف: ١٩) وقيل: الطاغوت: العجل؛ لأنه معبود من دون الله، ولأن عبادتهم للعجل مما زين لهم الشيطان، فكانت عبادتهم له عبادة للشيطان وهو الطاغوت. وعن ابن عباس رضي الله تعالى عنه: أطاعوا الكهنة، وكل من أطاع أحدا في معصية الله فقد عبده. وقرأ الحسن: "الطواغيت". وقيل: وجعل منهم القردة أصحاب السبت، والخنازير كفار أهل مائدة عيسى.

وقيل: كلا المسخين من أصحاب السبت، فشبانهم مسخوا قردة، ومشايخهم مسخوا خنازير. وروي أنها لما نزلت كان المسلمون يعيرون اليهود ويقولون: يا أخوة القردة والخنازير فينكسون رءوسهم { أولئك } الملعونون الممسوخون { شر مكانا } جعلت الشرارة للمكان وهي لأهلها. وفيه مبالغة ليست في قولك: أولئك شر وأصل، لدخوله في باب الكناية التي هي أخت المجاز. نزلت في ناس من اليهود كانوا يدخلون على رسول الله يظهرون له الإيمان نفاقا، فأخبره الله تعالى بشأنهم وأنهم يخرجون من مجلسك كما دخلوا، لم يتعلق بهم شيء مما سمعوا به من تذكيرك بآيات الله ومواعظك. وقوله: (بالكفر) و (به) حالان، أي دخلوا كافرين وخرجوا كافرين. وتقديره: ملتبسين بالكفر. وكذلك قوله: (وقد دخلوا) (١) (وهم قد خرجوا) ولذلك دخلت (قد) تقريبا للماضي في الحال. ولمعنى آخر (٢):

(١) قوله: وكذلك قوله { وقد دخلوا بالكفر } (وهم قد خرجوا به { يعني أنهما حالان مترادفتان وكل واحدة منهما مشتملة على ذي حال فيكونان متداخلتين .
(٢) قوله: ولمعنى آخر عطف على قوله ولذلك دخلت الفاء ومن حق الظاهر أن يدخل قد على

ما يتوقعه المخاطب من الفعل والمتوقع كما قال إظهار ما كنتم المنافقون لكن لما كان قوله وقد دخلوا بالكفر وهم قد خرجوا به إخبارا عن نوع من نفاقهم وإظهار

.....

وأنهم يخرجون من مجلسك كما دخلوا لم يتعلق بهم شيء مما سمعوا من تذكيرك بآيات الله مع قولهم آمنا كان إظهارا لما يتوقعه من إظهار كتمانهم إن ما جعل المتوقع هو الإظهار لا النفاق لأن المتوقع ينبغي ألا يكون حاصلًا منهم معلوما له صلى الله عليه وآله وسلم فيجب المصير إلى أن المتوقع هو إظهار النفاق.
(٣/٢٤٢)

وهو أن أمارات النفاق كانت لائحة عليهم، وكان رسول الله متوقعا لإظهار الله ما كتموه، فدخل حرف التوقع وهو متعلق بقوله: (قالوا آمنا) أي قالوا ذلك وهذه حالهم.
"u?ur s#]جدWx. منهمtbqمصحج" |، "ç" في الإثم ب ur%b`ur#9\$è
ق Oخgd=r&ur السحت

لبئس ما كانوا يعملون (٦٢) لولا ينهاتهم الربانيون والأحبار عن قولهم الإثم
ق Oخgd=r&ur السحت لبئس ما كانوا (63:Yt63tf)

الإثم الكذب (١) بدليل قوله تعالى: { عن قولهم الإثم } . { العدوان } الظلم. وقيل:
 الإثم كلمة الشرك. وقولهم عزيز ابن الله. وقيل: الإثم ما يختص بهم. والعدوان: ما
 يتعداهم إلى غيرهم. والمسارة في الشيء الشروع فيه بسرعة { لبئس ما كانوا يصنعون }
 كأنهم جعلوا آثم من مرتكبي المناكير (٢) لأن كل عامل لا يسمى صانعا، ولا كل عمل يسمى
 صناعة حتى يتمكن فيه ويتدرب وينسب إليه، وكأن المعنى في ذلك أن مواقع المعصية معه
 الشهوة التي تدعوه إليها وتحمله على ارتكابها، وأما الذي ينهاه فلا شهوة معه في فعل
 غيره، فإذا فرط في الإنكار كان أشد حالا من المواقع. ولعمري إن هذه الآية مما يقد
 السامع وينعي على العلماء توانيهم. وعن ابن عباس رضي الله عنهما: هي أشد آية في
 القرآن. وعن الضحاك: ما في القرآن آية أخوف عندي منها.

(١) قوله: الإثم الكذب بدليل قوله عن قولهم الإثم والشرك وإن كان مقولا كالكذب لكن
 خص به في الوجه الأول لقربة قوله قبل { قالوا آثما } وإنما لم يعد العدوان كما
 أعاد الإثم وأكل السحت للإيذان بأن الإثم الذي هو الكذب وأكل السحت أفحش وأثما
 الأصل في العدوان.

(٢) قوله: جعلوا آثم من مرتكبي المناكير إنما افرد آثم مع أن المفعول الأول لجعل
 جمع لأنه أفعل التفضيل استعمل بمن(.....) ومعنى يعد السامع والوقد ضرب الإنسان حتى
 يسترخي ويشرف على الموت أن الآية مما يحرض السامع على الأمر بالمعروف والنهي عن
 المنكر ويردعه عن التواني ، وقوله ينبغي على العلماء إشارة إلى أن لولا للتحضيض وهي
 إذا دخلت على الماضي كانت للتنديد والتوبيخ ومعنى يبغي يذم والبغي في الأصل خبر
 الموت.

Ms9\$%ours اليهود يد الله ى s!qè=tB' غلت Nخ&fr÷%oo%ok ولعنوا بما
 قالوا بل يده
 مبسوطتان ينفق كيف يشاء وليزيدن # [تجدVx. منهم ما tAح&Ré" إليك من y7خ/n'
 طغيانا
 X#جےن.ur وألقينا بينهم #nour`y%oyè9\$# والبغضاء إلى يوم القيامة كلما أوقدوا

نارا

للحرب أطفأها الله ويسعون في الأرض فسادا والله لا يحب المفسدين (٦٤)
(٣/٤٥)

غل اليد وبسطها مجاز (١) عن البخل والجود، ومنه قوله تعالى: { ولا تجعل يدك مغلولة إلى عنقك ولا تبسطها كل البسط } (الإسراء: ٢٩) ولا يقصد من يتكلم به إثبات يد ولا غل ولا بسط، ولا فرق عنده بين هذا الكلام (٢) وبين ما وقع مجازا عنه لأنهما كلامان متعقبان على حقيقة واحدة، حتى أنه يستعمله في ملك لا يعطي عطاء قط ولا يمنعه إلا بإشارته من غير استعمال يد وبسطها وقبضها، ولو أعطى الأقطع إلى المنكب عطاء جزيا لقالوا: ما أبسط يده بالنوال، لأن بسط اليد وقبضها عبارتان وقعتا متعاقبتين للبخل والجود، وقد استعملوهما حيث لا تصح اليد كقوله:
إذ أصبحت (٣)

(١) قوله: على اليد وبسطها مجاز عن البخل والجود إن قيل هذا مخالف لما ذكره في طه في قوله تعالى { الرحمن على العرش استوى } لما كان الإستواء على العرش مما يردف الملك جعلوه كناية عن الملك ونحوه قولك يد فلان مبسوطة ويد فلان مغلولة بمعنى أنه جواد وبخيل ، قلنا: قد مر له في قوله { ولا يكلمهم الله ولا يزكيهم ولا ينظر إليهم

{ أن أمثال هذه السبب بالنظر إلى من يصح إجراؤها عليه كناية عن عدم المبالاة وبالنظر إلى من لا يجوز عليه النظر مجاز.

(٢) قوله: ولا فرق عنده بين هذا الكلام وبين ما وقع مجازا عنه يعني لا فرق بين أن يقال فلان مغلول يده وبين أن يقول أنه بخيل وكان معنى هذين اللفظين واحد وهو المنع من الإعطاء ولما كانت الملازمة متساوية بين البخل وغل اليد جاز استعمال غل اليد مجاز أو أجرى كناية بحسب مقتضى المقام.

(٣) قوله: إذ أصبحت بيد الشمال زمامها ...

جاد الحمى بسط اليدين بوابل ... سكرت يده تلاعه ووهاده

جاد من الجود وهو المطر الغزير والتلعة ما ارتفع من الأرض والوهدة ما اطمأن منها يقول سقى الحمى سحاب باسط اليدين بمطر عظيم القطرة سكرت تلاعه ووهاده عطاءه وأول بيت لبيد:

وعده ربح قد كسفت وقرة إذا أصبحت بيد الشمال رمامها

ويروى قد ورعت القرة بالكسر البرد شبه الشمال في تصرفها في القرة بالإنسان المتصرف
فيما يكون زمامه بيده وأثبت لها على سبيل التمثيل يدا وهي من لوازم الإنسان لكون
قرينة وحكم الزمام في استعارة للقرة حكم اليد في استعارتها للشمال فجعل للقرة زماما
ليتم انقيادها والتصرف فيها كما جعل للشمال يدا لتكون أبلغ في جعلها متصرفة فوفى
المبالغة حقها من الطرفين والضمير في أصبحت وزمامها للقرة وقيل للغداة والأول أظهر
يقول كم من غداة تهب فيها الشمال وهي أبرد الرياح قد كشفت عادية البرد عن الناس
..... لهم قد ملكت الشمال زمام تلك القرة أو الغداة .
(٣٤٦/٣)

بيد الشمال زمامها^١
ويقال بسط اليأس كفيه في صدري، فجعلت لليأس الذي هو من المعاني لا من الأعيان كفان.
ومن لم ينظر في علم البيان عمي عن تبصر محجة الصواب في تأويل أمثال هذه الآية، ولم
يتخلص من يد الطاعن إذا عبث به. فإن قلت: قد صح أن قولهم: { يد الله مغلولة }
عبارة عن البخل. فما تصنع بقوله: { غلت أيديهم } ؟ ومن حقه أن يطابق ما تقدمه وإلا
تنافر الكلام وزل عن سننه؟ قلت: يجوز أن يكون معناه الدعاء عليهم بالبخل والنكد،
ومن ثم كانوا أبخل خلق الله وأنكدهم. ونحوه بيت الأشر (١):

بقيت وفري وانحرفت عن العلا ... ولقيت أضيافي بوجه عبوس

ويجوز أن يكون دعاء عليهم بغل الأيدي حقيقة، يغفلون في الدنيا أسارى، وفي الآخرة
معذبين بأغلال جهنم: والطباق من حيث اللفظ (٢)

(٢) قوله: والطباق من حيث اللفظ وملاحظة أصل المجاز يعني تغيير المطابقة في يد الله
مغلولة مع قوله غلت أيديهم في إرادة الحقيقة في الثاني مع ملاحظة أصل المجاز في
الأول وهو غل اليد لا البخل الذي هو المراد منه الآن لاستوائيهما في اللفظ كما أن سب
الله من حيث اللفظ مطابق لقوله سبني مع أن المراد منه قطع الدائر وهذا نوع من
المشاكلة لطيف المسلك بخلافه في قول الشاعر :

قالوا اقترح شيئا نجد لك طبخه ... قلت اطبخوا لي جبة وقميصا

فإنه وضع أطبخوا موضع خيطوا لمجرد مراعاة اللفظ دون المعنى ، الإنتصاف والحق أن الله تعالى يدعوا عليهم بالبخل ودعاؤه عبارة عن حكمه وخلقه الشح في قلوبهم والقبض في أيديهم ، قلت الزمخشري لم يتحدث في تفسير القرآن إلا من حيث علم البيان فهو فيه فارس الفرسان. وأقول لجار الله أن يقول لو كان الشح من خلق الله لما ذمهم الله به إذ لا اختيار لهم حينئذ ولم لا يتحدث العلامة في تفسير القرآن من حيث علم الأصول وهو فحل الفحول وفارس المعقول .

(٣٤٧/٣)

وملاحظة أصل المجاز، كما تقول: سبني سب الله دابره، أي قطعه؛ لأن السب أصله القطع. فإن قلت: كيف جاز أن يدعو الله عليهم بما هو قبيح وهو البخل والنكد؟ قلت: المراد به الدعاء بالخذلان الذي تقسو به قلوبهم، فيزيدون بخلا إلى بخلهم ونكدا إلى نكدهم، أو بما هو مسبب عن البخل والنكد من لصوق العار بهم وسوء الأحداث التي تخزيهم وتمزق أعراضهم. فإن قلت: لم ثبتت اليد في قوله تعالى: { بل يدها مبسوطتان } وهي مفردة في

يد الله مغلولة { ؟ قلت: ليكون رد قولهم وإنكاره أبلغ وأدل على إثبات غاية السخاء له ونفي البخل عنه. وذلك أن غاية ما يبذله السخي بماله من نفسه أن يعطيه بيديه جميعا فبني المجاز على ذلك. وقرئ: "ولعنوا" بسكون العين. وفي مصحف عبد الله: "بل يدها بسطان". يقال: يده بسط بالمعروف. ونحوه مشية شح(١) وناقصة صرح { ينفق كيف يشاء

{ تأكيد للوصف بالسخاء، ودلالة على أنه لا ينفق إلا على مقتضى الحكمة(٢)

-
- (١) قوله: فشبه أي سهله ، وباقة سرح أي سريعة .
(٢) قوله: ودلالة على أنه لا ينفق إلا على مقتضى الحكمة تقييد للمطلق وهو ينفق كيف يشاء يعني من مقتضى الحكمة إلا بسط اليدين في العطاء إلى التبذير والإسراف والإصطناع إلى غير الأهل وهو شرط السخاء في الشاهد وهذا تكميل لا تأكيد كقوله: حلیم إذا ما الحلم زين أهله ... مع الحلم في عين العدو مهيب

والتأكيد أن يقول ينفق كيف يشاء لا يمنعه مانع ولا يكفه عن الإنفاق نقص ولا إعدام

ولا يبالي بكثرة العطاء ولما كان ينفق تأكيدا فصله، وقال أبو البقاء: ينفق مستأنف
ولا يجوز أن يكون حالا من الهاء لأنها مضاف إليها ولأن الخبر فاصل بينهما ولا من
اليدين إذ ليس فيهما ضمير يعود إليهما .
(٣٤٨/٣)

والمصلحة. روي أن الله تبارك وتعالى كان قد بسط على اليهود حتى كانوا من أكثر الناس
مالا، فلما عصوا الله في محمد وكذبوه كلف الله تعالى ما بسط عليهم من السعة، فعند
ذلك قال فحاص بن عازوراء: يد الله مغلوله، ورضي بقوله الآخرون فأشركوا فيه {
وليزيدن { أي يزدادون عند نزول القرآن لحسدكم تماديا في الجحود وكفروا بآيات الله {
وألقينا بينهم العداوة { فكلهم أبدا مختلف، وقلوبهم شتى، لا يقع اتفاق بينهم ولا
تعاضد { كلما أوقدوا نارا { كلما أرادوا محاربة أحد غلبوا وقهروا ولم يقيم لهم نصر
من الله على أحد قط، وقد اتاهم الإسلام في ملك المجوس. وقيل: خالفوا حكم التوراة
فبعث الله عليهم بختنصر ثم أفسدوا فسلط الله عليهم مضرس الرومي ثم أفسدوا فسلط الله
عليهم المجوس، ثم أفسدوا فسلط عليهم المسلمين. وقيل: كلما حاربوا رسول الله نصر
عليهم. وعن قتادة رضي الله عنه لا تلقى اليهود ببلدة إلا وجدتهم من أذل الناس {
ويسعون { ويجهدون في الكيد للإسلام ومحو ذكر رسول الله من كتبهم.
qs9ur أن أهل الكتاب آمنوا واتقوا لكفرنا عنهم NخجE\$tحhت y™
كO"ô=sYùسث{ur جنات
النعيم (٦٥) ولو Nه&k®Xr أقاموا التوراة والإنجيل وما tAح"Ré &Nخكزs9خ
من Nخك'h5
(#qè=٢ { من فوقهم ومن تحت Oخgd=م_r' منهم أمة %oyئإ-B-tF)
ضئجد Vx.ur منهم ساء ما
يعملون (٦٦)
}
(٣٤٩/٣)

ولو أن أهل الكتاب { مع ما عددنا من سيئاتهم { برسول الله وبما جاء به.
وقرنوا إيمانهم بالتقوى التي هي الشريعة في الفوز بالإيمان { لكفرنا عنهم { تلك
السيئات ولم نؤاخذهم بها { ولأدخلناهم { مع المسلمين الجنة. وفيه إعلام بعظهم معاصي

اليهود (١) والنصارى وكثرة سيئاتهم، ودلالة على سعة رحمة الله تعالى وفتحه باب التوبة على كل عاص وإن عظمت معاصيه وبلغت سيئات اليهود والنصارى، وأن الإيمان لا ينجي ولا يسعد إلا مشفوعا بالتقوى، كما قال الحسن: هذا العمود (٢) فأين الأطناب { ولو أنهم أقاموا التوراة والإنجيل { أقاموا أحكامهما وحدودهما وما فيهما من نعت رسول الله { وما أنزل إليهم { من سائر كتب الله، لأنهم مكلفون الإيمان بجميعها، فكأنها أنزلت إليهم؛ وقيل: هو القرآن.

(١) قوله: وفيه إعلام بعظم معاصي اليهود يعني فيه إشارة إلى هذا المعنى على سبيل الإدماج وذلك لأنه نفى عنهم الإيمان والتقوى بقوله ولو أنهم آمنوا واتقوا ودخول الجنة أيضا ولو لا عظم معاصيهم لما نفى عنهم ذلك.

(٢) قوله: هذا العمود قاله الحسن للفرزدق حين اجتمع مع الحسن في جنازة فقال له ما أعددت لهذا المقام فقال شهادة أن لا إله إلا الله منذ كذا سنة فقال له هذا العمود

فأين الإطناب كنى بالإطناب عن الطاعات ، الإنتصاف: لما اشترط في هذه الآية مجموع الإيمان والتقوى فالإجماع منا ومنه أن الإيمان يجب ما قبله فلو مات رجل عقيب دخوله في الإيمان لكفرت عنه سيئاته ولدخل الجنة فدل على أن اجتماعهما ليس شرطا هذا إن كانت التقوى الأعمال وإن كانت أصل وضعها في الخوف من الله فهذا ثابت لكل مؤمن ولو قارف الكبيرة ، وأقول إن التقوى عند المصنف عبارة عن ترك المعاصي أو عن تركها مع فعل الطاعات ومن مات عقيب إيمانه فهو متق باعتبار أنه تارك للمعاصي وفاعل لما يجب عليه لأنه لا يجب عليه في تلك الحال إلا الإيمان ولا يتمكن من فعل غيره.

(٣/٣٥٠)

لوسع الله عليهم الرزق وكانوا قد قحطوا. وقوله: { لأكلوا من فوقهم ومن تحت أرجلهم { عبارة عن التوسعة. وفيه ثلاث أوجه: أن يفيض عليهم بركات السماء وبركان الأرض وأن يكثر الأشجار المثمرة والزروع المغلة أن يرزقهم الجنان اليانعة الثمار يجتنون ما تهطل منها من رؤوس الشجر، ويلتقطون ما تساقط على الأرض من تحت أرجلهم { منهم أمة مقتصدة { طائفة حالها أمم (١) في عداوة رسول الله وقيل: هي الطائفة المؤمنة عبد الله بن سلام وأصحابه وثمانية وأربعون من النصارى، و { ساء ما يعملون { فيه معنى التعجب، كأنه قيل: وكثير منهم ما أسوأ عملهم (٢)، وقيل: هم كعب بن الأشرف وأصحابه والروم.

* يا أيها الرسول بلغ ما أوحى إليك من ربك وإن لم تفعل فما بلغت رسالته

والله 7كءJ÷tf من الناس إن الله لا "د%oo%ku÷% القوم Z`f حجدے" #s39\$
(67)
}

(١) قوله: حالها أمم أي وسط.

(٢) قوله: وكثير منهم ما أسوء عملهم أي كثير منهم مقول في حقهم ما أسوء عملهم.
(٣/٣٥١)

بلغ ما أنزل إليك { جميع ما أنزل إليك(١)}

(١) قوله: جميع ما أنزل إليك إنما قدر المضاف لأنه صلى الله عليه وآله وسلم كان
مبلغ فعلى هذا فائدة الأمر المبالغة والكمال يعني ربما أتاك الرجاء (الوحي) بما

تكره تبليغه خوفا من قومك فبلغ الكل ولا تخف، فإن قيل : كيف قال { فإن لم تفعل فما
بلغت رسالاته } وذلك كقولك إن لم تبلغ فما بلغت؟ قلنا: معناه وإن لم تبلغ
كما(كلما) أنزل إليك تكون في حكم من لم يبلغ شيئا منها على أنه لو قصر في بعض ما
أمر بتبليغه لحبط عمله، وقال ابن الحاجب: الشرط والجزاء إذا اتحدا كان المراد
بالجزاء المبالغة فوضع قوله { فما بلغت رسالاته } موضع أمر عظيم أي فإن لم تفعل فقد
ارتكبت أمرا عظيما. الانتصاف قال : وإن لم تفعل ولم تقل فإن لم تبلغ لتغاير اللفظ
وإن إتحد معنى، وهو أحسن من تكرار اللفظ الواحد في الشرط والجزاء. وقال الرازي :
الجمهور على أن المراد من قوله { وإن لم تفعل فما بلغت رسالاته } أي إن لم تبلغ
واحدا منها كنت كمن لم يبلغ شيئا منها وهذا ضعيف لأن من بلغ البعض وترك البعض لو
قيل أنه تارك للكل لكان كذبا ولو قيل أيضا أن مقدار الحجة في ترك البعض مثل مقداره
في ترك الكل لكان هذا أيضا محالا. وقال القاضي : معناه إن كتمان بعضها يضيع ما أدى
منها أكثر بعض أركان الصلاة فإن غرض الدعوة غير حاصل منه أو يقال إن لم يفعل كأنك
ما بلغت شيئا منها من حيث أن كتمان البعض والكل سواء في امتناعه واستجلاب العذاب .
وقال الطيبي: أنه صلى الله عليه وآله وسلم كان مأمورا بتبليغ ما أنزل الله وهو إنما
يكون ممثلا للأمر إذا لم يترك شيئا من المأمور به ، وإليه الإشارة بقوله: فلم تبلغ
إذن ما كلفت من أداء الرسالات ولم يؤد منها شيئا قط وذلك أن بعضها ليس أولى من بعض
والضمير في منها وغيرها راجع إلى الرسالات..

وأى شيء أنزل إليك غير مراقب في تبليغه أحدا، ولا خائف أن ينالك مكروه { وإن لم تفعل } وإن لم تبلغ جميعه كما أمرتك { فما بلغت رسالته } وقرىء: "رسالاته"، فلم تبلغ إذا ما كلفت من أداء الرسالات، ولم تؤد منها شيئا قط، وذلك أن بعضها ليس بأولى

بالأداء من بعض، وإن لم تؤد بعضها فكأنك أغفلت أداءها جميعا، كما أن من لم يؤمن ببعضها كان كمن لم يؤمن بأكملها، لإدلاء كل منها بما يدل به غيرها. وكونا كذلك في حكم شيء واحد. والشيء الواحد لا يكون مبلغا غير مبلغ، مؤمنا به غير مؤمن به. وعن ابن عباس رضي الله عنهما: إن كتبت آية لم تبلغ رسالتي. وروي عن رسول الله: (٣٥٩) "بعثني الله برسالاته فضقت بها ذرعا، فأوحى الله إلي أن لم تبلغ رسالتي عذبتك. وضمن لي العصمة فقيوت. فإن قلت: وقوع قوله: { فما بلغت رسالته } جزاء للشرط ما وجه صحته؟ قلت: فيه وجهان، أحدهما: أنه إذا لم يمثل أمر الله في تبليغ الرسالات وكتبتها كلها كأنه لم يبعث رسولا كان أمرا شنيعا لاختفاء بشناعته، فقليل: إن لم تبلغ منها أدنى شيء وإن كان كلمة واحدة، فأنت كمن ركب الأمر الشنيع الذي هو كتمان كلها، كما عظم (١) قتل النفس بقوله: { فكأنما قتل الناس جميعا } والثاني: أن يراد: فإن لم تفعل فلك ما يوجب كتمان الوحي كله من العقاب فوضع السبب موضع المسبب، ويعضده قوله عليه الصلاة والسلام: "فأوحى الله إلي إن لم تبلغ رسالتي عذبتك" { والله يعصمك } عدة من الله بالحفظ والكلاءة والمعنى: والله يضمن لك العصمة من أعدائك، فما عذرك في مراقبتهم؟ فإن قلت: أين ضمان العصمة ٣٦٠ وقد شج في وجهه يوم أحد وكسرت ربايعته صلوات الله عليه؟ قلت: المراد أنه يعصمه من القتل.

(١) قوله: كما عظم صفة مصدر محذوف من غير لفظه كأنه قال عظم ترك تبليغ البعض تعظيما

مثل تعظيم قتل النفس ومعنى في ذات الله في الله .

وفيه: أن عليه أن يحتمل كل ما دون النفس في ذات الله، فما أشد تكليف الأنبياء عليهم الصلاة والسلام، وقيل: نزلت بعد يوم أحد (١)، والناس الكفار بدليل قوله: { إن الله لا يهدي القوم الكافرين } ومعناه أنه لا يمكنهم مما يريدون إنزاله بك من الهلاك.

وعن أنس: (٣٦١) كان رسول الله يحرس حتى نزلت، فأخرج رأسه من قبة آدم وقال: انصرفوا يا أيها الناس فقد عصمني الله من الناس.

@%è% يا أهل الكتاب لستم على شيء ٤س Lxm® تقيموا التوراة والإنجيل وما

tAح"Ré& إليكم

من ربكم وليزيدن # [ثجدVx. منهم ما tAح"Ré& إليك من 7y'n/ طغيانا

#Xچےن. ur فلا تأس

على القوم f`zحجده" s39\$# ادرب

{ لستم على شيء } أي على دين يعتد به حتى يسمى شيئاً لفساده وبطلانه، كما تقول: هذا ليس يشيء تريد تحقيره وتصغير شأنه. وفي أمثالهم: أقل من لا شيء { فلا تأس } فلا تتأسف عليهم لزيادة طغيانهم وكفرهم، فإن ضرر ذلك راجع إليهم لا إليك، وفي المؤمنين غني عنهم.

إن الذين آمنوا والذين هادوا والصابئون ٣"u" | ءY9\$#ur من آمن بالله واليوم حج 1/2\$zFy# وعمل \$[s=" | 1 فلا i\$qyz عليهم ولا هم Ru†ts"tbq ادرب

(١) قوله: نزلت بعد يوم أحد عطف على قوله والله يضمن لك العصمة من أعدائك وعلى الأول العصمة عامة في كل الأحوال خاصة من حيث إرادة العصمة من القتل ، وعلى الثاني خاصة بحسب الزمان علقه في مقتضاها يعني أن الله تعالى لا يمكنهم مما يريدون إنزاله بك من الهلاك ، قيل يشكل هذا اليهود له قتل تمكن أن يقال المعنى العصمة من الهلاك تبليغ الوحي وفي الكافرين موضع الضمير حيث لم يقل لا يهديهم ، وقال أن الله لا يهدي القوم الكافرين فوضع المظهر موضع الضمير وإن لم يكن بلفظ الناس دلالة على أن المراد بالناس الكافرون ولو لم يردهم لم ينتظم الكلام.

(٣/٣٥٤)

والصابئون { رفع على الابتداء(١)

(١) قوله: والصابئون رفع على الابتداء إلى آخره ما ذكره من الأسئلة والأجوبة ، وقيل أن يندفع في تحقيق عبارته ويسرع في تبين إشارته، فليتكلم في ثلاث مقدمات لا بد من ذكرها : أحدها : أن العطف هل هو على محل أن واسمها كما قال المصنف والجزولي أو على

محل اسمها فقط كما هو رأي ابن الحاجب وغيره ، اعلم أنهم اختلفوا في ذلك فمن قال أن العطف على محل الاسم فقط نظر إلى أن الاسم هو الذي كان مرفوعا قبل دخول أن ودخولها كلا دخول فينفي على كونه مرفوعا لكن محلا لا اشتغال لفظه بالنعته فإن بمنزلة اللام في لزيد ولا شك أن المرفوع هو الاسم وحده لا الاسم مع الحرف الداخل عليه وكذا ينبغي أن يكون مع أن. ومن قال أن العطف على محل أن واسمها نظر إلى أن اسمها وحده لو كان مرفوع المحل لكان وحده مبتدأ والمبتدأ هو المجرد عن العوامل واسمها ليس بمجرد. وأجيب: بأنه باعتبار الرفع مجرد لأن أن كالعدم باعتباره ، وإنما يعتد بها إذا اعتبرت النصب ، ويشكل هذا أيضا بأن أن مع اسمها لو كانت مرفوعة المحل لكانت مع اسمها مبتدأ والمبتدأ هو الاسم المجرد وهي مع اسمها ليست اسما بل اسما وحرفا ، اللهم إلا أن يقال أنهما صارا بسبب التركيب بمنزلة اسم واحد فالأولى أن يقال العطف بالرفع على اسم أن وحده .

وثانيها : أنهم اختلفوا في أن حكم المفتوحة لفظا نحو علمت أن زيدا قائم كحكم المكسورة لفظا نحو إن زيدا قائم في جواز العطف على محل اسمها أم لا فابن الحاجب خصص

المفتوحة الواقعة بعد أفعال القلوب بذلك دون غيرها . قال لأن أن هاهنا مع اسمها وخبرها وإن كانت في تقدير المفرد من جهة أن التقدير علمت قيام زيد لكنها في تقدير اسمين إذ أن مع اسمها وخبرها سادة مسد مفعولي علمت كما أن أن المكسورة مع جزئها بتقدير اسمين أعني المبتدأ والخبر فحكم المفتوحة إذن بعد أفعال القلوب حكم المكسورة في قيامها مع ما في خبرها مقام الاسمين . وفيما قاله نظر لأننا نعد تسليم أن أن مع ما في خبرها بتقدير اسمين لقولك أن ذينكا الاسمين بتقدير المفرد فعلمت أن زيدا قائم بتقدير علمت زيدا قائما ثم قولك علمت زيدا قائما بتقدير علمت قيام زيد فلا يخرجها عن كونها مع جزائها بتقدير اسم مفرد كونها بتقدير اسمين إذا كان ذاك الاسمان

بتقدير الاسم المفرد ، هذا مع أن الحق أن أن مع ما في خبرها ليست بتقدير اسمين بل هي من أول الأمر بتقدير اسم مفرد أعني المصدر الذي ذاك الاسمان مؤولان به والذي دعاه إلى هذا التكلف أنه رأى سيبويه مستشهدا على العطف على محل المكسورة بقوله تعالى : { وأذان من الله ورسوله } إلى قوله : { إن الله بريء من المشركين ورسوله } والأذان بمعنى الإعلام وقول الشاعر:

ولا فاعلموا أنا وأنتم بغاة ما بقينا في شقاق

فإنه استدل به أيضا على جواز العطف على محل المكسورة بتقدير حذف الخبر من الأول والتقدير أنا بغاة وأنتم بغاة فلولا أن المفتوحة بعد أفعال القلوب في حكم المكسورة لما صح منه الاستدلال المذكور ، وبعض النحاة لما رأى سيويوه مستشهدا بالمفتوحة قال أن حكم المفتوحة حكمها مطلقا حكم المكسورة في جواز العطف على محل اسمها لأنهما حرفان مؤكدان أصلهما واحد فيجوز العطف بالرفع في نحو بلغني أن زيدا قائم وعمرو ، وأبو سعيد السيرافي وغيره من النحويين لم يلتفتوا إلى استدلال سيويوه بل لا يجوز العطف على محل المفتوحة مطلقا لأن اسمها لم يبق فيه معنى الابتداء بل صار أن مع الاسم والخبر بتأويل اسم مفرد مرفوع أو منصوب أو مجرور فاسمها كبعض حروف الكلمة ، ونظر أبي سعيد صحيح لقول أن قوله تعالى : { ورسوله } عطف على الضمير في بري وجاز ذلك بلا تأكيد بالمنفصل لقيام الفصل بالجار والمجرور أعني قوله { من المشركين } مقام التأكيد ، أو يقول رسوله مبتدأ خبره محذوف أي ورسوله بري ، وليست الجملة معطوفة على أن مع ما في خبرها بل الواو اعتراضية ويقول في قوله : وإلا فاعلموا البيت أن في شقاق خبر أنا وقوله وأنتم بغاة جملة اعتراضية أي اعلموا أنا في شقاق ما بقينا وأنتم بغاة وليس المراد أنا بغاة إذ لا ينسب نفسه وقومه إلى البغي بل ينسب أعداءه المخالفين ، وهذا البيت لبسر ابن أبي حازم ، وقبله :
إذا جرت نواصي آل بدر ... فأدوها وأسرى الوباق

الشقاق العداوة وسببه أن قوما من آل بدر من الفرارين جاؤوا بني لام من طي فعمد بنوا لام إليهم فجروا نواصيهم وقال مننا عليكم ولم نقتلكم وحبسوهم فقال بسر ذلك أي قد جررتم نواصيهم فاحملوا غرامة الجر واطلقوا من أسرتم منهم فإن لم تفعلوا فاعلموا أنا وأنتم متعادون أبدا ، أو فاعلموا أنا نظلمكم كما ظلمتمونا وقدم أنتم للإيدان بأنهم أوغل في البغي لأن بغي القاتل جزاء لبغيهم لكن لا يتم مثل هذا في قوله :

ولا أنا ممن يرد وعندكم ... ولو أنني في الفند
بعد قوله :

فلا تحسبي أنني تخشعت بعدكم لشيء ولا أنني من الموت أفرق
لأن قوله ولا أنني في الفند عطف على تخشعت فلو جعلنا ولا أنا ممن وعندكم اعتراضية لكان لا داخلية على معرفة بلا نكرة ولا يجوز ذلك إلا عند المبرد ، ولو روي ولا أنني في الفند بالكسر لارتفع الإشكال .
وثالثها : أنهم اختلفوا في نحو زيد وعمرو قائم أن الخبر للأول أو للثاني فعند سيويوه

هو للثاني لكونه أقرب ولأنه لو كان الخبر للأول لكان قد فصل بينهما بأجنبي واستدل
بقول الشاعر:

نحن بما عندنا وأنت بما ... عندك ... راض والرأي مختلف
ووجه الاستدلال أنه لو كان خبرا عن نحن لقال راضون ، ولما قال راض دل على أنه خبر
لأنت . وإذا تقرر هذا فلنش عنان القلم إلى ما نحن متصدرون له ، قوله هلا زعمت إلى
آخره الجواب فيه نظر وذلك لأنه يشترط في العطف على محل اسم أن مضي الخبر لفظا أو
حكما وهنا وإن لم يمض الخبر لفظا فقد مضى حكما وهو مثل قولك إن الزيد والعمر
ذاهبون وليس مثل قولك إن زيدا وعمر و ذاهبان إذ لم يمض فيه الخبر لفظا ولا حكما
وأیضا ففي قوله وأنشد سيبويه شاهدا له نظر لأن المنقول عن سيبويه أنه استشهد به على
جواز العطف على محل اسم أن كما ذكر ، قيل وقد أجيب عن النظر السابق بأن جار الله

إنما منعه لا لإمتناعه في نفسه بل لاستلزامه فوات الفائدة الحاصلة من التقديم
والتأخير المقصود في الآية كما سنبين وذلك لأن التقديم إنما يتحقق على تقديران من
آمن الذي هو خبر لأن لا لقوله والصابئون وإذا كان من آمن خبرا لأن ، وقلنا أن
الصابئون عطف على محل اسم أن لزم حينئذ كون العطف قبل مضي الخبر .
(٣٥٥/٣)

وخبره محذوف، والنية به التأخير عما في حيز إن من اسمها وخبرها، كأنه قيل: إن الذين
آمنوا والذين هادوا والنصارى حكمهم كذا، والصابئون كذلك، وأنشد سيبويه شاهدا له:

وإلا فاعلموا أنا وأنتم ... بغاة ما بقينا في شقاق

أي فاعلموا أنا بغاة وأنتم كذلك، فإن قلت: هلا زعمت أن ارتفاعه للعطف على محل إن
واسمها؟ قلت: لا يصح ذلك قبل الفراغ من الخبر، لا تقول: إن زيدا وعمر و منطلقان. فإن
قلت لم لا يصح (١) والنية به التأخير، فكأنك قلت: إن زيدا منطلق وعمر و؟ قلت: لأنني
إذا رفعت رفعت عطفها على محل إن واسمها، والعامل في محلها هو الابتداء، فيجب أن
يكون هو العامل في الخبر لأن الابتداء ينتظم الجزأين في عمله كما تنتظمها (إن) في
عملها؛ فلو رفعت الصابئون (٢)

(١) قوله: فإن قلت: لم لا يصح أن يكون الصابئون عطفًا على محل أن واسمها والحال أن

النية به التأخير وإذا كان النية به التأخير كان مثل قولك إن زيدا منطلق وعمرو ولا كلام في جوازه .

(٢) قوله: في الجواب فلو رفعت الصابئون المنوي به التأخير أراد أنه لو رفع الصابئون بالإبتداء على تقدير أن يكون عطفاً على محل أن واسمها لكان العامل في المبتدأ وهو والصابئون الإبتداء والعامل في الخبر أن فيلزم أن يكون العامل في المبتدأ غير العامل في الخبر ، والحاصل : أن هاهنا ما نعا خاصاً وهو إرادة التقديم والتأخير ، فإن قيل: لم لا يجوز أن يكون العامل في الخبر الإبتداء أيضاً كما عمل في المبتدأ حتى لا يلزم ذلك؟.. قلنا: لا يخلوا على هذا التقدير إما أن يكون الخبر هو من أعني خبر

المبتدأ ويكون خبر أن محذوفاً أو يكون الأمر بالعكس أو يكون خبراً لهما لا يجوز الأول لاستلزامه فوات فائدة التقديم والتأخير إذ التقديم إنما يتصور على تقدير أن المذكور أعني من آمن خبر لأن ولا يجوز الثاني لأننا قد قررنا في المقدمة الثالثة أن الخبر للثاني، وإذا امتنع أن يكون خبراً لأن وامتنع أن يكون خبر للصابئون مع امتناع ألا يكون خبراً لهما بطريق الأولى تعين أن يكون خبراً لهما معا . فإن قلت: فإذا كان العامل في الصابئون الإبتداء وقد عمل في الخبر فكيف يصح قولك فقد عمل في الصابئون وخبره عاملان مختلفان وليس على هذا التقدير مختلفين بل هما متفقان؟. قلت: إنما يتفق العاملان على هذا التقدير لو كان العامل في الخبر هو الإبتداء فقط مع كونه هو العامل في المبتدأ أما إذا كان العامل فيه هو الإبتداء وإن معا فالعامل في المبتدأ هو الإبتداء فقط فقد تحقق الاختلاف.

تقرير آخر: لا شك أن الآية محمولة على التقديم والتأخير وإن التقدير أن الذين آمنوا والذين إلى يخربون والصابئون كذلك وإنما حمل على التقديم والتأخير لفائدة التنبيه الذي ذكره المصنف فوجب أن يكون من آمن خبراً لأن لا خبر الصابئون ليتحقق التقديم والتأخير ، وإذا كان كذلك وجب أن يكون جملة الصابئون مع خبره عطفاً على جملة قوله إن الذين آمنوا إلى آخره ولا يجوز أن يكون والصابئون عطفاً على محل أن واسمها عطف المفرد على المفرد لأنه لو كان كذلك لزم أن يكون من آمن خبراً للصابئون لما قررنا في المقدمة الثالثة وإذا كان خبراً عنه لزم أن يكون العامل في المبتدأ وخبره رافعين مختلفين لأن العامل في الصابئون الإبتداء والعامل في من آمن هو أن وإلا لفات التقديم والتأخير لأنه لو لم يكن من آمن معمولاً لأن لا يتحقق التقديم والتأخير . وقال صاحب الفرائد: لا يستقيم قوله في الجواب لأنني إذا رفعتني إلى آخره لأنه لما

اعتبر التأخير وجب أن يكون العامل فيه وفي الخبر الإبتداء وإنما لزم إعمال عاملين مختلفين إذا لم ينو التأخير. فيقال له : إن قولك يجب أن يكون العامل فيه وفي الخبر الإبتداء إنما يصح إذا قدر له خبر آخر كما اختاره المصنف وحمل الآية عليه لكن الكلام على أن الخبر هو المذكور بعينه الذي هو خبر لأن يعم يرد عليه أن الآية ليست من قبيل ان زيدا وعمرو منطلقان لأن قوله تعالى : { من آمن بالله واليوم الآخر } صالح لكل من المذكورين فهو من قبيل إن الزيد والعمرون ذاهبون فاعلم أنه لو عطف الصابئين ونصبه لم يجعل تلك الفائدة المذكورة لأن الأصناف حينئذ عطف بعضها على بعض عطف المفردات وهذا الصنف من جملتها والخبر فيها واحد ، وأما إذا رفع الصابئون وقطع عن العطف الإفرادي وقدر له خبر وجعل المذكور خبرا لما عداه فتحصل الفائدة المذكورة .

(٣٥٦/٣)

المنوي به التأخير بالابتداء وقد رفعت الخبر بأن، لأعملت فيهما رافعين مختلفين. فإن قلت: فقوله والصابئون معطوف لا بد له من معطوف عليه فما هو؟ قلت: هو مع خبره المحذوف جملة معطوفة على جملة قوله: { إن الذين آمنوا الخ... } (البقرة: ٦٢) ولا محل لها، كما لا محل للتي عطف عليها، فإن قلت: ما التقديم والتأخير إلا لفائدة، فما فائدة هذا التقديم؟ قلت: فائدته التنبيه على أن الصابئين يتاب عليهم إن صح منهم الإيمان والعمل الصالح، فما الظن بغيرهم. وذلك أن الصابئين أبين هؤلاء المعدودين ضلالا وأشدهم غيا، وما سموا صابئين إلا لأنهم صبئوا عن الأديان كلها، أي خرجوا، كما أن الشاعر قدم قوله: (وأنتم) تنبيهها على أن المخاطبين أوغل في الوصف بالبغاة من قومه، حيث عاجل به قبل الخبر الذي هو (بغاة) لئلا يدخل قومه في البغي قبلهم، مع كونهم أوغل فيه منهم وأثبت قدما فإن قلت: فلو قيل: والصابئين وإياكم لكان التقديم حاصلا. قلت: لو قيل: هكذا لم يكن من التقديم في شيء، لأنه لا إزالة فيه عن موضعه،

وإنما يقال مقدم ومؤخر للمزال لا للقرار في مكانه.

(٣٥٧/٣)

ومجرى هذه الجملة مجرى الاعتراض في الكلام، فإن قلت: كيف قال: { الذين آمنوا } (البقرة: ٢) ثم قال: { من آمن } (البقرة: ٦٢)؟ قلت: فيه وجهان (١)،

(١) قوله: فيه وجهان أراد أن الذين آمنوا إن أريد به المنافقون يحمل قوله من آمن على من أخلص وإن أريد به المؤمنون الخالص يحمل من آمن على من ثبت على الإيمان والوجه

الأول أقرب إلى العرض لأن الذي سيقت الآية له له التشديد على اليهود والنصارى وأنهم مع ذلك إن آمنوا وعملوا الصالحات فلهم الفوز العظيم وذكر المنافقين والصائبين للمبالغة كما سبق فعلى هذا لا يكون لذكر المؤمنين الخالص مدخل في العرض والأسلوب ولأنهم إذا شاركوهم في الخبر وهو من آمن بمعنى ثبت على الإيمان يلزم وجوب مشاركتهم لهم في الخلوص في الإيمان وذلك بعيد ولذلك جعل من آمن بدلا من الذين آمنوا وحده في وجه قوله على البدل من أسم إن وما عطف عليه ، قالوا أراد أن من آمن إما بدل من مجموع المعطوف والمعطوف عليه أو بدل من اسم أن فحسب. قال الطيبي : وعلى هذا إذا كان

بدلا من المجموع فالمعنى على ما سبق من أن الصائبين أشد عتا ، وأما إذا كان بدلا من اسم ان وحده فيلزم أن يكون حكم والذين هادوا والنصارى حكم الصائبون في الرفع والقطع ، وتقدير الخبر على ما سبق في الصائبون وحده كأنه قيل إن الذين آمنوا من آمن منهم فلا خوف عليهم والذين هادوا والصائبون والنصارى كذلك فحينئذ يخرج الكلام عن المقصود . وقيل : المراد بقوله أو من المعطوف عليه ففيه ضمير يعود إلى اللام والضمير المجرور عائد إلى اسم أن وليس بوجه لما يلزم منه أن يكون بدلا من المعطوف عليه أيضا كذا صرح المصنف في قوله تعالى : { إذ أعجبتكم كثرتكم } فحينئذ يلزم التكرار.

قوله: فأين الراجع ؟. قيل: هذا على تقدير البدلية لا الخبر لوجود الراجع من قوله عليهم لأنه على تقدير البدلية راجع إلى من .
(٣٥٨/٣)

أحدهما: أن يراد بالذين آمنوا: الذين آمنوا بألسنتهم وهم المنافقون وأن يراد بمن آمن. من ثبت على الإيمان واستقام ولم يخالجه ريبة فيه. فإن قلت: ما محل من آمن قلت: إما الرفع على الابتداء وخبره { فلا خوف عليهم } والفاء لتضمن المبتدأ معنى الشرط ثم الجملة كما هي خبر إن، وإما النصب على البدل من اسم إن وما عطف عليه، أو من المعطوف عليه. فإن قلت: فأين الراجع إلى اسم إن؟ قلت: هو محذوف تقديره من آمن منهم، كما جاء في موضع آخر. وقرئ: "والصابيون"، بياء صريحة، وهو من تخفيف الهمزة، كقراءة من قرأ: "يستهنئون". "والصابون": وهو من صبوت، لأنهم صبوا إلى اتباع الهوى والشهوات

في دينهم ولم يتبعوا أدلة العقل والسمع. وفي قراءة أبي رضي الله عنه: "والصابئين"، بالنصب. وبها قرأ ابن كثير. وقرأ عبد الله: "يا أيها الذين آمنوا والذين هادوا والصابئون".

لقد أخذنا ميثاق t_@fدن"u (خ) وأرسلنا Nخk9s (خ) رسلا كلما جاءهم رسول بما لا

تهوى أنفسهم f\$Z)حج sù كذبوا f\$Z)حج sùur يقتلون (٧٠)

(٣٥٩/٣)

لقد أخذنا { ميثاقهم بالتوحيد } وأرسلنا إليهم رسلا { ليقفوههم على ما يأتون وما يذرون في دينهم } كلما جاءهم رسول { جملة شرطية وقعت صفة لرسلا، والراجع محذوف أي

رسول منهم } بما لا تهوى أنفسهم { بما يخالف هواهم ويضاد شهواتهم من مشاق التكليف والعمل بالشرائع. فإن قلت: أين جواب الشرط فإن قوله: { فريقا كذبوا وفريقا يقتلون } ناب عن الجواب، لأن الرسول الواحد لا يكون فريقين ولأنه لا يحسن (١)

(١) قوله: لأنه لا يحسن أن أكرمت أخي أخاك أكرمت أبي لا يحسن ذلك بغير فاء فإن الفاء يحسن إدخالها تشبيها لها بالجملة الاسمية بسبب تقديم المفعول أعني أخاك ويقبح تركها ، وقال صاحب التقريب: إنما لم يحسن لأن محل تأثير الشرط هو الفعل وتقديم المفعول يبعد عن المؤثر فيتوهم بادي الرأي بسبب ذلك شبيها بالجملة الاسمية التي يجب

فيها الفاء. وقل: إنما لم يحسن ذلك لمخالفة الثانية الأولى في وزنها لأن الأولى جاءت على أصل الكلام من تقديم الفعل على الفاعل والفاعل على المفعول ، والثانية قد قدم فيها المفعول على الفاعل مع الفعل فلا تتلائم الجملتان حينئذ من حيث الظاهر ولأن تقديم أخاك في الثانية يفيد التخصيص الذي ليس بمراد لأن المراد في الجزاء إكرام الأخ لا تخصيصه بالإكرام وإذا كان كذلك الأولى والأحسن أن يقال أن أكرمت أخي أكرمت أخاك لأن تغيير الكلام عن نهجه لغير فائدة لا يحسن ، والمصنف لم يدع امتناع ذلك بل ادعى عدم الحسن . هذا واعلم أن حكم المنصوب والمرفوع المتقدمين على جواب الشرط حكمهما متقدمين على الشرط عند البصريين فيجوز عندهم أن قمت زيد يقيم وإن تأتني زيدا أضرب فرغ الأول ونصب الثاني بمقدرين الظاهر أما الكوفيون فلا

يجوزون الجزم في جواب الشرط إذا تقدمه المرفوع لأن الجزم عندهم بالجواز وقد زال الجواز المرفوع الذي ليس من جملة الشرط إما لو كان الفعل من جملة الشرط فلا منع من جزم الجزاء نحو إن يضربني زيدا وإن يضرب زيدا أضرب فإن تقدم المنصوب فالجزاء يمنع جزم الجواب مطلقا كما في المرفوع للعلة المذكورة والكسائي يمنع جزمه إلا إذا كان العامل طرفا للجذر ألغو نحو إن يأتي اليوم غدا آتاك وإن يأتي إليك أقصد لأن الفصل بالظرف كلا فصل والدليل على قول البصريين قول ظفيل الغنوي:

وللخير أيام فمن يصطبر لها ... ويعرف لها أيامها الخير يعقب

والقصيدة مكسورة القافية والأكثر جعل المرفوع مبتدأ رفع المضارع اتفاقا والمجيء بالفاء في المبتدأ نحو إن قمت فزيد يقوم وكذا الأكثر تصدير المنصوب بالفاء فيرفع الفعل المضارع اتفاقا نحو إن ضربني فزيدا أضرب فعلى هذا أن يكون قوله لأنه لا يحسن إشارة إلى قول الأكثر ، وأنه كان الواجب على مقتضى قولهم أن يقول فإذا أخاك أكرمت وهذا تحقيق لا مزيد عليه.

وقال الطيبي : وقيل الظاهر أن المراد من السؤال طلب المطابقة ومراعاة المناسبة بين الشرط والجزاء من حيث المعنى لا تصحيحه من جهة الإعراب ومن ثم قال لا يحسن ألا ترى كيف ذهب أبو البقاء والقاضي إلى أن جواب الشرط كذبوا وتقرير السؤال من وجهين أحدهما أن المذكور في الشرط رسول لأن قوله: { كلما جاءهم رسول } بيان لقوله { وأرسلنا إليهم رسلا } وتفصيل لصيغة الجمع أي كلما جاءهم رسول من الرسل والمذكور في الجزاء فريقان منهم فلا مطابقة ، وثانيهما أن تقديم المفعول يفيد الاختصاص ولا دلالة في الشرط عليه والواجب أيضا. وأجاب عنه أن الجواب محذوف والجملة مستأنفة على تقدير الجواب عن سؤال مورده الجملة الشرطية مع موصوفها وذلك أن في إيقاع قوله: { كلما جاءهم رسول بما لا تهوى أنفسهم } ناصبوه بعثا للسامع على أن يقول كيف كانت مناصبتهم معهم وهم جاءوا أشتاتا ؟. فقال بذلوا في تكذيب فريق وانتهزوا الفرصة لقتل آخرين بما أمكن من الكبد، وأما تقديم المفعول في قوله { فريقا تقتلون } فللفاصلة ، وفي كذبوا للمطابقة بين الفريقين نحو { إياك نعبد وإياك نستعين } في وجه ، وقال صاحب الانتصاف : يدل على حذف الجواب مجيئة ظاهرا في الآية التي هي توأمة هذه { افكلما جاءكم رسول بما لا تهوى أنفسكم استكبرتم ففريقا كذبتم وفريقا تقتلون } ولو قدر الرمخشري المحذوف بما ظهر في هذه فقال عوض ناصبوه استكبروا لكان أولى . وقال الطيبي: قلت: لو أتى به احتاج إلى تأويل الاستكبار بالمناسبة لأن المقابلة والتكذيب مسبوقان بالمناسبة وهي

المعاداة والمناسبة نتيجة الاستكبار ومسببة عنه فقدّر المسبب تعليلا للاعتبار ألا
ترى كيف جاء بالفاء الفصيحة في قوله: { ففريقا } أي استكبرتم فناصرتموهم { ففريقا
كذبتم وفريقا تقتلون } .
فإن قلت: كيف ذكر المصنف في البقرة وجهين حيث قال : إنما لم يقل وفريقا قتلتم لأن
المراد إما حكاية الحال الماضية والاستمرار أي فريقا تقتلون بعد لأنكم حول قتل محمد
صلى الله عليه وآله وسلم وقصره هاهنا على وجه واحد؟. قلت: خصص هذه الآية بحكاية
حال
أسلافهم بقرينة ضمائر الغيب وترك تلك الآية على الاحتمالين بقرينة ضمائر المخاطبين
لتكون توبيخا للحاضرين وتعييرا لهم بفعل آبائهم ومن ثم عقب هذه الآية بقصة عيسى
عليه السلام ويقول { لعن الذين كفروا } وتلك بقوله: { قلوبنا غلف } ويقول { ولما
جاءهم كتاب { الآيات.
(٣٦٠/٣)

أن تقول إن أكرمت أخي أخاك أكرمت؟ قلت: هو محذوف يدل عليه قوله: { فريقا كذبوا
وفريقا يقتلون } كأنه قيل كلما جاءهم رسول منهم ناصبوه، وقوله: { فريقا كذبوا }
جواب مستأنف لقائل يقول: كيف فعلوا برسلمهم؟ فإن قلت: لم جيء بأحد الفعلين ماضيا
وبالآخر مضارعاً؟ قلت: جيء يقتلون على حكاية الحال الماضية استفظاعاً للقتل واستحضاراً
لنلك الحال الشنيعة للتعجب منها. قرئ: أن لا يكون، بالنصب على الظاهر (١). وبالرفع
عن (أن) هي المخففة من الثقيلة، أصله: أنه لا يكون فتنة فخففت (أن) وحذف ضمير
الشأن.

﴿#7qû;murx ألا تكون فتنة فعموا وصموا ثم تاب الله عليهم ثم عموا وصموا﴾

ضرّجد ٢٧

منهم والله بصير بما يعملون اذتب

(١) قوله: على الظاهر أي على أن أن هي المصدرية الناصبة للفعل المضارع وذلك لوقوعها
بعد فعل الحسبان الذي هو أقرب إلى الشك منه إلى اليقين ولهذا حمّله في قراءة الرفع
على العلم لقوته . وهذا مبني على أن الفعل الداخل على أن المفتوحة مخففة كانت أو
ثقيلة يجب أن يشاكلها في التحقيق والفعل الداخل على أن المصدرية بخلاف ذلك ، وما
يحتمل من الأفعال الشك واليقين يدخل عليهما على المخففة باعتبار أنه لليقين وعلى

المصدرية باعتبار أنه للشك ، والحسبان وإذا قوي التحق باليقين فلهذا دخل فعله على
المخففة ويلزم على هذا التباس المخففة بالمصدرية في مثل هذا الموضع.
(٣٦١/٣)

فإن قلت: كيف دخل فعل الحسبان على (أن) التي للتحقيق؟ قلت: نزل حسابانهم لقوته في
صدورهم منزلة العلم: فإن قلت: فأين مفعولا حسب؟ قلت: سد ما يشتمل عليه صلة أن وأن
من المسند والمسند إليه مسد المفعولين، والمعنى: وحسب بنو إسرائيل (١) أنه لا يصيبهم
من الله فتنة، أي بلاء وعذاب في الدنيا والآخرة { فعموا } عن الدين { وسموا } حين
عبدوا العجل، ثم تابوا عن عبادة العجل ف { تاب الله عليهم ثم عموا وسموا } كرة
ثانية بطلبهم المحال غير المعقول في صفات الله وهو الرؤية: وقرئ: "عموا وسموا"،
بالضم على تقدير عماهم الله وسمهم، أي رماهم وضربهم بالعمى والصمم، كما يقال: تركته
إذا ضربته بالنيزك وركبته إذا ضربته بركبتك { كثير منهم } بدل من الضمير: أو على
قولهم: أكلوني البراغيث، أو هو خبر مبتدأ محذوف أي أولئك كثير منهم.
لقد جـx٢٥٠ الذين (#qûn\$%s إن الله هو المسيح ابن مريم وقال المسيح
٧٢tf"t7

ن@fدن"٢x) اعبدوا الله 'n1us' وربكم إنه من يشرك بالله فقد جـxm٢٧٢ الله عليه
الجنة ومأواه النار وما رJûd="à=د٩ من أنصار (٧٢)

(١) قوله: والمعنى وحسب بنو إسرائيل إلى آخره أي وحسبوا ففتنتهم غير لاحقة بهم
والنيزك معرب نيز وهو الرمح القصير وقد تكلم به الفصحاء وجمعه على نيازك وقالوا
نركه إذا طعنه به ورجل نراك .
(٣٦٢/٣)

لم يفرق عيسى (١) عليه الصلاة والسلام بينه وبينهم في أنه عبد مربوب كمثلهم، وهو
احتجاج على النصارى { إنه من يشرك بالله } في عبادته، أو فيما هو مختص به من صفاته
أو أفعاله { فقد حرم الله عليه الجنة } التي هي دار الموحدين أي حرمه دخولها ومنعه
منه، كما يمنع المحرم (٢) من المحرم عليه { وما للظالمين من أنصار } (٣) من كلام
الله على أنهم ظلموا وعدلوا عن سبيل الحق فيما يقولوا على عيسى عليه السلام، فلذلك
لم يساعدهم عليه ولم ينصر قولهم رده وأنكره، وإن كانوا معظمين له بذلك ورافعين من

مقداره. أو من قول عيسى عليه السلام، على معنى: ولا ينصركم أحد فيما تقولون ولا يساعدكم عليه لاستحالته وبعده عن المعقول. أو لا ينصركم ناصر في الآخرة من عذاب الله.

(١) قوله: لم يفرق عيسى بينه وبينهم أي في قوله { اعبدوا الله ربي وربكم } .
(٢) قوله: كما يمنع المحرم أراد أن حرم هنا استعارة تبعية عن المنع.
(٣) قوله: من أنصار قال المصنف إنما قيل من أنصار تعبيراً لهم لأنهم يعتقدون أن لهم أنصاراً كثيرة فنفي عنهم ما اعتقدوه مع استهزائهم وسخرية منهم وإن كان من ناصر أبلغ ويحتمل أنه إنما قيل من أنصار بالنظر إلى لفظ الظالمين كما قال في قوله تعالى : { وما ربك بظلام للعبيد } أنه بالنظر إلى كثرة العبيد وإن كان لفظ ظالم أبلغ في المعنى المقصود .
(٣٦٣/٣)

س٩ u ©s%δxچ ٢ الذين (#qûنs%\$ إن الله ثالث ثلاثة وما من إله إلا إله
س%n`urد وإن
لم ينتهوا عما يقولون ليمسن الذين كفروا منهم عذاب أليم (٧٣) أفلا يتوبون إلى الله
ويستغفرونه والله غفور رحيم (٧٤) ما المسيح ابن مريم إلا رسول قد خلت من
د%ح#sv%
الرسول ur&çm-Bé¼ صديقة كانا يأكلان الطعام انظر كيف نبين لهم الآيات ثم انظر
أنى
يؤفكون (٧٥)
(٣٦٤/٣)

من في قوله: { وما من إله إلا إله واحد } للاستغراق وهي القدرة مع (لا) التي لنفي
الجنس في قولك { لا إله إلا الله } (محمد: ١٩) والمعنى: وما إله قط في الوجود إلا
إله موصوف بالوحدانية لا ثاني له، وهو الله وحده لا شريك له: و (من) في قوله: {
ليمسن الذين كفروا منهم } للبيان كالتي في قوله تعالى: { فاجتنبوا الرجس من الأوثان
{ (الحج: ٣٠) فإن قلت: فهلا قيل: { ليمسهم عذاب أليم } . قلت: في إقامة الظاهر
مقام المضمّر فائدة وهي تكرير الشهادة عليهم بالكفر في قوله: { لقد كفر الذين قالوا
{ وفي البيان فائدة أخرى (١) وهي الإعلام في تفسير والذين كفروا منهم أنهم بمكان من

الكفر. والمعنى: ليمسن الذين كفروا من النصارى خاصة { عذاب أليم } أي نوع شديد الألم من العذاب كما تقول: أعطني عشرين من الثياب، تريد من الثياب خاصة لا من غيرها من الأجناس التي يجوز أن يتناولها عشرون. ويجوز أن تكون للتبعض، على معنى: ليمسن الذين بقوا على الكفر منهم (٢)، لأن كثيرا منهم تابوا من النصرانية { أفلا يتوبون } ألا يتوبون (٣) بعد هذه الشهادة المكررة عليهم بالكفر.

(١) قوله وفي البيان فائدة أخرى وهي الإعلام إلى آخره أراد أنه لما ذكر أولا { ليمسن الذين كفروا } على أن التعريف للجنس دأبهم وعمم ثم وقع منهم تفسير وتخصيصا للعام أفاد أنهم علم في الكفر وبمكان منه ، وذلك للجمع فيه بين الإجمال والتفصيل.

(٢) قوله: { ليمسن الذين } بقوا على الكفر منهم قبل فالتعريف على هذا للعهد . قال أبو البقاء: منهم في موضع الحال أما من الذين أو الضمير للفعال في كفروا.
(٣) قوله: الا يتوبون قال الطيبي: فسر { أفلا يتوبون } به للإيدان بأن الهمزة للإنكار ولا نافية والفاء عاطفة على محذوف أي أينصرون فلا يتوبون فيه معنى التعجب على الإصرار والتخصيص على التوبة وأما مصائب في القياس والاستعمال لان القياس مصاوب.
(٣٦٥/٣)

وهذا الوعيد الشديد مما هم عليه. وفيه تعجب من إصرارهم { والله غفور رحيم } يغفر لهؤلاء إن تابوا ولغيرهم { قد خلت من قبله الرسل } صفة لرسول، أي ما هو إلا رسول من جنس الرسل الذين خلوا من قبله جاء بآيات من الله كما أتوا بأمثالها، أن أبرأ الله الأبرص وأحيا الموتى على يده، فقد أحيا العصا وجعلها حية تسعى، وخلق بها البحر، وطمس على يد موسى. وإن خلقه من غير ذكر، فقد خلق آدم من غير ذكر ولا أنثى { وأمه صديقة } أي وما أمه أيضا إلا كصديقة كبعض النساء المصدقات للأنبياء المؤمنات بهم، فما منزلتهما إلا منزلة بشرين: أحدهما نبي، والآخر صحابي. فمن أين أشبهه عليكم

أمرهما حتى وصفتهموهما بما لم يوصف به سائر الأنبياء وصحابتهم؟ مع أنه لا تميز ولا تفاوت بينهما وبينهم بوجه من الوجوه. ثم صرح ببعدهما عما نسب إليهما في قوله: { كانا يأكلان الطعام } لأن من احتاج إلى الاغتذاء بالطعام وما يتبعه من الهضم والنفص لم يكن إلا جسما مركبا من عظم ولحم وعروق وأعصاب وأخلاط وأمزجة مع شهوة وقرم وغير

ذلك مما يدل على أنه مصنوع مؤلف مدبر كغيره من الأجسام { كيف نبين لهم الآيات { أي
الأعلام من الأدلة الظاهرة على بطلان قولهم: { أنى يؤفكون { كيف يصرفون عن استماع
الحق وتأمله. فإن قلت: ما معنى التراخي في قوله ثم انظر؟ قلت: معناه ما بين
العجبين، يعني أنه بين لهم الآيات بيانا عجيبا، وإن إعراضهم عنها أعجب منه.
@% أتعبدون من دون الله ما لا 7dà=Jtô لكم ضرا ولا نفعا والله هو السميع
مLد=76 (yè9\$#
}

(٣٦٦/٣)

ما لا يملك { هو عيسى، أي شيئا لا يستطيع أن يضركم بمثل ما يضركم به الله من
البلايا والمصائب في الأنفس والأموال، ولا أن ينفعكم بمثل ما ينفعكم به من صحة
الأبدان والسعة والخصب، ولأن كل ما يستطيعه البشر (١) من المضار والمنافع فيإقذار
الله وتمكينه، فكأنه لا يملك منه شيئا. وهذا دليل قاطع على أن أمره مناف للربوبية،
حيث جعله لا يستطيع ضرا ولا نفعا. وصفة الرب أن يكون قادرا على كل شيء لا يخرج
مقدور على قدرته { والله هو السميع العليم { متعلق بأتبعدون، أي أتشركون بالله ولا
تخشونه، وهو الذي يسمع ما تقولون ويعلم ما تعتقدون أو أتعبدون العاجز والله هو
السميع العليم الذي يصح منه أن يسمع كل مسموع ويعلم كل معلوم، ولن يكون كذلك إلا
وهو حي قادر.

(١) قوله: ولأن كلما يستطيعه البشر عطف من حيث المعنى على جملة قوله: لا يستطيع
ومعلله محذوف والمعنى لم تعبدون شيئا لا يستطيع أن يضركم ولا أن ينفعكم بمثل ما
يقدر عليه الله أو لم تعبدون ما لا يستطيع شيئا من الضر والنفع ، وعلى الأول ما في

ما تعبدون عامة في جميع به على أن عيسى من جملة المخلقين فلا يصلح
للإلهية لأنه لا يضركم ولا ينفعكم بمثل ما يضركم به الله وينفعكم ، وإنما قال ما
بينها على أنه من جنس المخلوقين ومن كان له حقيقة تقبل المجانسة فهو بمعزل عن
الإلهية ، وإنما قدم الضر لأن التحرز منه أهم من تحري النفع ،وعلى الثاني ما وصف
جيء به تحقيرا أي يعبدون هذا الموصوف الذي لا يملك ضرا ولا نفعا وعلى هذين الوجهين
بنى المصنف قوله : { والله هو السميع العليم { على اللف والنشر حيث قال أولا هو
متعلق تعبدون الله فيكون حالا مقدرة لجهة الإنكار تهديدا أو عبدا وإليه الإشارة

بقوله أتشركون بالله ولا تخشونه وهو الذي يسمع ما تقولون . وقال ثانيا أتعبدون
العاجز والله هو السميع العليم تعبيرا وتجهيلا .
(٣٦٧/٣)

@%è% يا أهل الكتاب لا تغلوا في دينكم غير الحق ولا (è#q#مخKs®؟ أهواء
Qqso% قد

ضلوا من قبل وأضلوا #]ثجدU٢ وضلوا عن سواء السبيل اذذب
{ غير الحق } صفة للمصدر أي لا تغلوا في دينكم غلوا غير الحق أي غلوا باطلا؛ لأن
الغلو في الدين غلوان غلو حق: وهو أن يفحص عن حقائقه ويفتش عن أباعد معانيه، ويجتهد
في تحصيل حججه كما يفعل المتكلمون من أهل العدل والتوحيد رضوان الله عليهم. وغلوا
باطل وهو أن يتجاوز الحق ويتخطاه بالإعراض عن الأدلة واتباع الشبه، كما يفعل أهل
الأهواء والبدع { قد ضلوا من قبل } هم أئمتهم في النصرانية، كانوا على الضلال قبل
مبعث النبي { وأضلوا كثيرا } ممن شايعهم على التلث { وضلوا } لما بعث رسول الله {
عن سواء السبيل } حين كذبوه وحسدوه وبغوا عليه.

لعن الذين كفروا من ءاسة /t_@fدن"u ژ خ) على لسان داوود وعيسى ابن مريم
sCE"٩dy7 بما

عصوا وكانوا يعتدون (٧٨) كانوا لا يتناهون عن ٩چB-Y6x فعلوه لبئس ما كانوا يفعلون
(٧٩) ٣"uچ؟ #]ثجدU٢ منهم يتولون الذين كفروا لبئس ما قدمت لهم أنفسهم أن
سخط الله

عليهم وفي العذاب هم \$tbrà#"80 yz) ولو كانوا يؤمنون بالله وءاسة>#ur"Y9\$
وما

&Ré"حtA إليه ما اتخذوهم أولياء ولكن #]ثجدU٢ منهم فاسقون (٨١) *
(٣٦٨/٣)

نزل الله لعنهم في الزبور { على لسان داود } وفي الإنجيل على لسان عيسى. وقيل إن
أهل أيلة، لما اعتدوا في السبت قال داود عليه السلام: اللهم العنهم واجعلهم آية،
فمسحوا قردة. ولما كفر أصحاب عيسى عليه السلام بعد المائدة قال عيسى عليه السلام:
اللهم عذب من كفر بعد ما أكل من المائدة عذابا لم تعذبه أحدا من العالمين، والعنهم
كما لعنت أصحاب السبت، فأصبحوا خنازير وكانوا خمسة آلاف رجل، ما فيهم امرأة ولا

صبي

{ ذلك بما عصوا } أي لم يكن ذلك اللعن الشنيع الذي كان سبب المسخ، إلا لأجل المعصية (١) والاعتداء، لا لشيء آخر؛ ثم فسر المعصية والاعتداء بقوله: { كانوا لا يتناهون } لا ينهى بعضهم بعضا { عن منكر فعلوه } ثم قال: { لبئس ما كانوا يفعلون } للتعجب من سوء فعلهم، مؤكداً لذلك بالقسم، فيا حسرة على المسلمين في إعراضهم عن باب

التناهي عن المناكير، وقلة عيبتهم به، كأنه ليس من ملة الإسلام في شيء مع ما يتلون من كلام الله وما فيه من المبالغات في هذا الباب. فإن قلت كيف وقع ترك التناهي عن المنكر تفسيراً للمعصية والاعتداء؟ قلت: من قبل أن الله تعالى أمر بالتناهي، فكان الإخلال به معصية وهو اعتداء، لأن في التناهي حسماً للفساد فكان تركه على عكسه. فإن قلت: ما معنى وصف المنكر بفعلوه، ولا يكون النهي بعد الفعل؟ قلت: معناه لا يتناهون عن منكر فعلوه، أو عن مثل منكر فعلوه، أو عن منكر أرادوا فعله، كما ترى أمارات الخوض في الفسق وآلاته تسوى وتهياً فتنكر.

(١) قوله: إلا لأجل المعصية والاعتداء لا لأجل شيء آخر الحصر مستفاد من إيقاع اسم الإشارة استئنافاً والجار والمجرور خبراً له بعد اثبات اللعن لهم على لسان نبين

معظمين استعظم ذلك وتوهم أن له أسباباً شتى فسأل عن سبب ذلك الأمر الفضيع فقل ذلك بسبب عصيانهم وأعدائهم، وهو عدم التناهي عن المناكير.
(٣/٣٦٩)

ويجوز أن يراد (١): لا ينتهون ولا يمتنعون عن منكر فعلوه، بل يصبرون عليه ويدأبون على فعله. يقال: تنهى عن الأمر وانتهى عنه إذا امتنع منه وتركه { ترى كثيراً منهم } هم منافقو أهل الكتاب، كانوا يوالون المشركين ويصافونهم { أن سخط الله عليهم } هو المخصوص بالذم، ومحلّه الرفع، كأنه قيل: لبئس زادهم إلى الآخرة سخط الله عليهم. والمعنى: موجب سخط الله { ولو كانوا يؤمنون } إيماناً خالصاً غير نفاق ما اتخذوا المشركين { أولياء } يعني أن موالاة المشركين كفى بها دليلاً على نفاقهم، وأن إيمانهم ليس بإيمان { ولكن كثيراً منهم فاسقون } متمرّدون في كفرهم ونفاقهم. وقيل معناه (٢): ولو كانوا يؤمنون بالله وموسى كما يدعون، ما اتخذوا المشركين أولياء كما لم يوالهم المسلمون.

(١) قوله: ويجوز أن يراد عطف على قوله لا ينهى بعضهم بعضا من حيث المعنى أراد في هذا الوجه أنه وضع يتفاعلون موضع يفعلون للمبالغة كما سبق مثله في يخادعون الله وفي المبالغة إشارة بقوله: بل يصرون أو يداومون .

(٢) قوله: وقيل معناه عطف على قوله { ولو كانوا يؤمنون بالله { إيماننا خالصا والمراد بالنبي على الأول محمد صلى الله عليه وآله وسلم ، وبما أنزل القرآن ، وعلى هذا المراد بالنبي موسى وبما أنزل التوراة .

(٣/٣٧٠)

ftGs9!%oby" أشد الناس Zour`y%ot للذين آمنوا اليهود والذين أشركوا
ftGs9ur!%ocy
كOgt/u%&r مودة للذين آمنوا الذين (#ûq%s\$نا "u"چ | ءtR
y7dE" بأن منهم
قسيسين ورهبانا وأنهم لا tbrمزة٦ (82,tGtf) وإذا سمعوا ما tAح"Ré & إلى
الرسول
#u"؟ أعينهم تفيض من الدمع مما عرفوا من الحق يقولون ربنا آما فاكبتنا مع
الشاهدين (٨٣) وما لنا لا نؤمن بالله وما جاءنا من الحق ونطمع أن \$zô=1/2u%مf
\$Y\$ز/ ' مع القوم =s!tûi"\$ء# (٨٤) فأثابهم الله بما قالوا جنات "حجBgr من
تحتها
الأنهار #d\$ح"yz فيها y7dE"â"س!u"y_ المحسنين (٨٥) والذين كفروا
وكذبوا
!\$Y\$Ft"tf"خ/ أولئك =.r"3/4&ut Oة #\$:spgùث اردب
(٣/٣٧١)

وصف الله شدة شكيمة اليهود وصعوبة إجابتهم إلى الحق ولين عريكة النصارى وسهولة
ارعوائهم وميلهم إلى الإسلام، وجعل اليهود قرناء المشركين في شدة العداوة للمؤمنين،
بل نبه على تقدم قدمهم فيها بتقديمهم على الذين أشركوا، وكذلك فعل في قوله: {
ولتجدنهم أحرص الناس على حياة ومن الذين أشركوا { (البقرة: ٩٦) ولعمري إنهم لكذلك
وأشد. وعن النبي : (٣٦٢) " ما خلا يهوديان بمسلم إلا هما بقتله" وعلل سهولة مأخذ

النصارى وقرب مودتهم للمؤمنين { بأن منهم قسيسين ورهبانا { أي علماء وعبادا { وأنهم { قوم فيهم تواضع واستكانة ولا كبر فيهم، واليهود على خلاف ذلك. وفيه دليل بين على أن التعلم أنفع "شيء" وأهداه إلى الخير وأدله على الفوز حتى علم القسيسين، وكذلك غم الآخرة والتحدث بالعاقبة وإن كان في راهب، والبراءة من الكبر وإن كانت في نصراني. ووصفهم الله بركة القلوب وأنهم سيكون عند استماع القرآن، وذلك نحو ما يحكى عن النجاشي رضي الله عنه أنه قال لجعفر بن أبي طالب - حين اجتمع في مجلسه المهاجرون إلى الحبشة والمشركون لعنوا وهم يغرونه عليهم ويتطلبون عندهم عنده -: هل في كتابكم ذكر مريم؟ قال جعفر: فيه سورة تنسب إليها، فقرأها إلى قوله: { ذلك عيسى ابن مريم { (مريم: ٣٤) وقرأ سورة طه إلى قوله: { وهل أتاك حديث موسى { (طه: ٩) فبكى النجاشي وكذلك فعل قومه الذين وفدوا على رسول الله وهم سبعون رجلا حين قرأ عليهم رسول الله سورة يس. فبكوا. فإن قلت: بم تعلق اللام في قوله: { للذين آمنوا { ؟ قلت: بعداوة ومودة، على أن عداوة اليهود التي اختصت المؤمنين أشد العداوات وأظهرها، وأن مودة النصارى التي اختصت المؤمنين أقرب المودات، وأدناها وجودا، وأسهلها حصولا. ووصف اليهود بالعداوة والنصارى بالمودة مما يؤذن بالتفاوت، ثم وصف العداوة (١)

(١) قوله: ثم وصف العداوة بالأشد والأقرب يريد أن هذا الوصف تتميم لذلك المعنى .. قال الطيبي : على أن أقرب محمول على قرب الحال لا التفصيل لأن اليهود ليسوا من المودة في شيء . وأقول: عطفه على أشد الذي هو للتفصيل مؤذن بأنه للتفصيل أيضا ولكنه على نحو قولهم الصيف أحر من الشتاء ونحوه أي الفريقين خير مقاما، وقوله هم أحسن أثاثا هذا بعد تسليم إنتفاء المودة عنهم وذلك ممنوع لأن من أسلم منهم كان يؤذ المؤمنين.

(٣/٣٧٢)

والمودة بالأشد والأقرب. فإن قلت: ما معنى قوله: { تفيض من الدمع { قلت: معناه تمتلئ من الدمع حتى تفيض، لأن الفيض أن يمتلئ أو الإناء أو غيره حتى يطلع ما فيه من جوانبه، فوضع الفيض الذي هو من الامتلاء موضع الإمتلاء، وهو من إقامة المسبب مقام السبب، أو قصدت المبالغة (١) في وصفهم بالبكاء فجعلت أعينهم كأنها تفيض بأنفسها، أي تسيل من الدمع من أجل البكاء من قولك دمعت عينه دمعا فإن قلت: أي فرق بين من ومن في

قوله: { مما عرفوا من الحق } ؟ قلت الأولى لا بتداء الغاية، على أن فيض الدمع ابتداء ونشأ من معرفة الحق، وكان من أجله وبسببه. والثانية لتبيين الموصول الذي هو ما عرفوا.

(١) قوله: أو قصدت المبالغة هذا يوهم أن الوجه الأول قوله نفى عار عن المبالغة وليس كذلك لكونه من المجاز المرسل الذي هو أبلغ من الحقيقة لكن مراده أن الثاني أبلغ لأنه من الإسناد المجازي كنهر جار وطريق سائر . الانتصاف: هذه العبارة أبلغ العبارات فأولها فاض دمع عينه وهو الأصل والثانية: المحمولة فاضت عينه دمعاً حول الفاعل تمييزاً، والثالثة فاضت عينه من الدمع فلم ينبه على الأصل كما في الثانية بل

به تعليلاً وهذا أبلغ لأن التمييز قد اطرء ومعه في هذا الباب موضع الفاعل نحو
تصب زيد عرقاً { واشتعل الرأس شيباً } وتفجرت الأرض عيوناً ، والتعليل لم يعهد فيه
ذلك فيجوز فاضت عينه من ذكر الله كما يقول فاضت من الدمع . الطيبي وقد نبه المصنف
بقوله من أجله وبسببه على أن من الإبتدائية سببية.
(٣٧٣/٣)

وتحتمل معنى التبعيض على أنهم عرفوا بعض الحق، فأبكاهم وبلغ منهم، فكيف إذا عرفوه
كله وقرأوا القرآن وأحاطوا بالسنة؟ وقرىء " ترى أعينهم " على البناء للمفعول { ربنا
آمنا } المراد به إنشاء الإيمان، والدخول فيه { فآكتبنا مع الشاهدين } مع أمة محمد
الذين هم شهداء على سائر الأمم يوم القيامة { لتكونوا شهداء على الناس } (البقرة: ١٤٣)
وقالوا ذلك لأنهم وجدوا ذكرهم في الإنجيل كذلك { وما لنا لا نؤمن بالله }
إنكار استبعاد لانتفاء الإيمان مع قيام موجه وهو الطمع في إنعام الله عليهم بصحبة
الصالحين: وقيل: لما رجعوا إلى قومهم (١) لاموهم فأجابوهم بذلك. أو أرادوا: وما لنا
لا نؤمن بالله وحده لأنهم كانوا مثلثين، وذلك ليس بإيمان بالله: ومحل (لا نؤمن)
النصب على الحال، بمعنى: غير مؤمنين، كقولك مالك قائماً. والواو في { ونطمع } واو
الحال (٢). فإن قلت: ما العامل في الحال الأولى والثانية؟ قلت: العامل في الأولى ما
في اللام من معنى الفعل، كأنه قيل: أي شيء حصل لنا غير مؤمنين: وفي الثانية معنى
هذا الفعل، ولكن مقيداً بالحال الأولى (٣)؛ لأنك لو أزلتها وقلت: وما لنا ونطمع، لم
يكن كلاماً.

(١) قوله: وقيل لما رجعوا إلى قومه لأموهم الضمير للوفد الذين قدموا على رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم من عند النجاشي وإنما لأموهم لتركهم دينهم ودخولهم في دين الإسلام .

(٢) قوله: والواو في ويطمع وأو الحال أي ونحن نطمع ليكون الجملة اسمية فيحسن دخول الواو .

(٣) قوله: مقيدا بالحال الأولى فيصير المعنى أي شيء حصل لنا غير مؤمنين أي لم لا

يكون مؤمنين طامعين وهو موافق للوجه الثاني في العطف كما سيأتي وهو ما لنا نجمع بينهما بالدخول في الإسلام.

(٣٧٤/٣)

ويجوز أن يكون (ونطمع) حالا (١) من لا تؤمن، على أنهم أنكروا على نفوسهم أنهم لا يوحدون الله، ويطمعون مع ذلك أن يصحبوا الصالحين، وأن يكون معطوفا على لا تؤمن على معنى: وما لنا نجمع بين التثليث (٢) وبين الطمع في صحبة الصالحين، أو على معنى: وما لنا لا نجمع بينهما بالدخول في الإسلام، لأن الكافر ما ينبغي له أن يطمع في صحبة الصالحين. قرأ الحسن: "فآتاهم" { بما قالوا } بما تكلموا به عن اعتقاد وإخلاص، من قولك: هذا قول فلان، أي اعتقاده وما يذهب إليه.

يا أيها الذين آمنوا لا (utéBجhحBmq# طيبات ما &xmr@" الله لكم ولا تعتدوا إن الله

لا يحب المعتدين (٨٧) وكلوا مما مNن' s%y-u٣ الله n=xm"Wx طيبا واتقوا الله الذي

أنتم به مؤمنون (٨٨)

(١) قوله: ويجوز أن يكون ويطمع حالا من لا تؤمن فعلى هذا الوجه يكونان حالين متداخلين كما كانتا على الأول مترادفتين والمعنى أي شيء حصل لنا غير مؤمنين في حال الطمع ، وتحريره ما لنا لا نوحده الله ونطمع مع ذلك في مصاحبة الصالحين .

(٢) قوله: وما لنا نجمع بين التثليث إلى آخره أي شيء لنا في الجمع بين عدم الإيمان والطمع أي كيف تجمع بينهما أو لم لا تجمع بين الإيمان والطمع . قال صاحب التفسير: فعلى الأول ورد الجمع على النفي وعلى الثاني ورد جمع النفي على الجمع .

طيبات ما أحل الله لكم { ما طاب ولد من الحلال. ومعنى { لا تحرموا } لا تمنعوها أنفسكم كمنع التحريم. أو لا تقولوا حرمانها على أنفسنا مبالغة منكم في العزم على تركها تزهدا منكم وتقشفا وروي: (٣٦٣) أن رسول الله وصف القيامة يوما لأصحابه، فبالغ وأشبع الكلام في الإنذار، فرقوا واجتمعوا في بيت عثمان بن مظعون، واتفقوا على أن لا يزالوا صائمين قائمين، وأن لا يناموا على الفرش ولا يأكلوا اللحم والودك، ولا

يقربوا النساء والطيب، ويرفضوا الدنيا ويلبسوا المسوح ويسبحوا في الأرض، ويجبوا مذاكيرهم (١) فبلغ ذلك رسول الله فقال لهم: "إني لم أؤمر بذلك، إن لأنفسكم عليكم حقا، فصوموا وأفطروا، وقوموا وناموا، فإني أقوم وأنام وأصوم وأفطر، وأكل اللحم والدسم، وآتي النساء، فمن رغب عن سنتي فليس مني" ونزلت. وروي: (٣٦٤) أن رسول الله كان يأكل الدجاج والفالوذ، وكان يعجبه الحلواء والعسل. وقال: "إن المؤمن حلو يحب الحلاوة"، وعن ابن مسعود أن رجلا قال له: إني حرمت الفراش فتلا هذه الآية وقال: نم على فراشك وكفر عن يمينك. وعن الحسن أنه دعي إلى طعام ومعه فرقد السنجي وأصحابه، فقعدها على المائدة وعليها الألوان من الدجاج المسمن والفالوذ وغير ذلك، فاعتزل فرقد ناحية، فسأل الحسن: أهو صائم؟ قالوا: لا، ولكنه يكره هذه الألوان. فأقبل الحسن عليه وقال: يا فرقد، ترى لعاب النحل بلباب البر بخالص السمن يعيبه مسلم. وعنه أنه قيل له: فلان لا يأكل الفالوذ ويقول: لا أؤدي شكره. قال: أفيشرب الماء البارد؟ قالوا: نعم. قال: إنه جاهل، إن نعمة الله عليه في الماء البارد أكثر من نعمته عليه في الفالوذ. وعنه أن الله تعالى أدب عباده فأحسن أدبهم.

(١) قوله: ويجبوا مذاكيرهم ، هو جمع الذكر على غير القياس كأنهم أرادوا أن يفرقوا في الجمع بين الذكر الذي هو العضو المخصوص وبين الذكر الذي يقابل الأنثى ، وقال الأخفش: هو من الجمع الذي لا واحد له كعباديد.

قال الله تعالى: { لينفق ذو سعة من سعته } (الطلاق: ٧) ما عاب الله قوما وسع عليهم الدنيا فتتعموا وأطاعوا، ولا عذر قوما زواها عنهم فعصوه { ولا تعتدوا } ولا

تعتدوا(١) حدود ما أحل الله لكم إلى ما حرم عليكم. أو ولا تسرفوا في تناول الطيبات.
أو جعل تحريم الطيبات اعتداء وظلما، فنهى عن الاعتداء ليدخل تحته النهي عن تحريمها

دخولا أوليا لوروده على عقبه أو أراد ولا تعتدوا بذلك { وكلوا مما رزقكم الله { أي
من الوجوه الطيبة التي تسمى رزقا { حلالا { حال مما رزقكم الله(٢) {

(١) قوله: ولا تعتدوا ولا تعتدوا ، اعلم أن الاعتداء إما بمعنى المجاوزة أو الظلم
فعلى الأول معناه لا تتجاوزوا حدود ما عين الله لكم حله إلى ما حرم عليكم أولا
تسرفوا لأن الإسراف أيضا تجاوز ، وعلى الثاني إما أن لا يقدروا للاعتداء متعلق
ليكون مطلقا فيتناول جميع ما يسمى اعتداء ويدخل فيه هذا الاعتبار الخاص دخولا أوليا
لوروده عقبيه ، وإما أن يقدر له متعلق وهو ما يدل عليه السياق وإليه الإشارة بقوله
ولا يعبدوا بذلك أي بتحريم الطيبات .

(٢) قوله: حلالا حال مما رزقكم الله ، وقال في البقرة هو مفعول كلوا أو حال مما في
الأرض قيل لعله خصص الحال بهذا المقام دون ذلك المقام لأن الخطاب هنالك عام يدل
عليه مجيء { يا أيها الذين آمنوا كلوا من طيبات ما رزقناكم { بعده وهاهنا خاص
بالمؤمنين الذين على أنفسهم ويخرجوا من الحلال فاقترض ذلك حال مؤكدة ولهذا
أكد بقوله { واتقوا الله { ، وبقوله { الذي أنتم به مؤمنون { ، وقال أبو الثقا : إن
حلالا صفة مصدر محذوف أي أكلا حلالا ، وقيل ما قاله أولى لتكون توسعة في الأكل
ودفعا للتضييق سيما إذا اعتبر معنى طيبا معه وذلك أن ورود هذا الأمر عقيب النهي عن
تحريم الطيبات والتشديد فيه بقوله { لا تحرموا طيبات ما أحل الله لكم ولا تعتدوا {
الآية يقتضي ما يقابله من التوسعة . وقال القاضي: حلال إما مفعول كلوا أو حال من
الموصول أو صفة لمصدر محذوف وعلى الوجه لو لم يقع الرزق على الحرام لم يكن لذكر
الحلال فائدة زائدة. وفيما قاله نظر لأن الفائدة فيه كالفائدة في الحال المؤكدة
والمصدر المؤكد لنفسه في غير هذا الموضع.

(٣/٣٧٧)

واتقوا الله { تأكيد للتوصية بما أمر به. وزاده تأكيدا بقوله: { الذي أنتم به

مؤمنون { لأن الإيمان به يوجب التقوى في الانتهاء(١) إلى ما أمر وعما نهى عنه.

WU يؤاخذكم الله باللغو في أيمانكم ولكن يؤاخذكم بما عقدتم الأيمان

س3سùلO"çmè?u¼لچ

إطعام ٣ | t³م مساكين من أوسط ما تطعمون ٣ نثد ÷ dr& أو كسوتهم أو
مجفح trB رقبة

فمن لم يجد فصيام ثلاثة &Q\$fro ٧ dy٩ CE٢ ouن چ "Ox. أيمانكم إذا
n=xmOçF

(#ufûxàN ur\$#ômY٣ sYr÷fr& ٧ dy٩ xx٢. يبين الله لكم آياته
ن/ ٣= 9èsy تشكرون ارزب

اللعو في اليمين: الساقط الذي لا يتعلق به حكم: واختلف فيه، فعن عائشة رضي الله
عنها أنها سئلت عنه فقالت: هو قول الرجل "لا والله، بلى والله" وهو مذهب الشافعي.
وعن مجاهد: هو الرجل يحلف على الشيء يرى أنه كذلك وليس كما ظن. وهو مذهب أبي
حنيفة

رحمه الله { بما عقدتم الأيمان { بتعقيدكم الأيمان وهو توثيقها بالقصد والنية. وروي
أن الحسن رضي الله عنه سئل عن لغو اليمين وكان عنده الفرزدق فقال: يا أبا سعيد،
دعني أجب عنك فقال:

ولست بمأخوذ بلغو تقوله ... إذا لم تعتمد عاقدات العزائم

(١) قوله: في الانتهاء إلى ما أمر به وعما نهى عنه الأول بمعنى الإقصار والثاني
مطاول بها فلا بد من إضمار الانتهاء لتغاير معنييه فهو من باب قوله متقلدا
سيفا ورمحا قول الفرزدق:
ولست بمأخوذ بلغو تقوله ... إذا لم تعتمد عاقدات العزائم
معناه ظاهر.

(٣/٣٧٨)

وقرىء: "عقدتم"، بالتخفيف. "وعاقدتم". والمعنى: ولكن يؤاخذكم بما عقدتم إذا حنثتم،
فحذف وقت المؤاخذة. لأنه كان معلوما عندهم، أو بنكت ما عقدتم. فحذف المضاف {
فكفارته { فكفارة نكثته(١).

(١) قوله: فكفارة نكثته قيل يجوز أن يعود الضمير منه إلى العقد المدلول عليه بعقدتم
ويجوز أن يعود إلى الإيمان. قال صاحب الكشف: ولم يقل فكفارتها لأن أفعالا وإن كان
جمعا فهو في حكم المفرد كقوله تعالى: { وإن لكم في الأنعام لعبرة نسقيكم مما في

بطونه { . وقال المصنف في النحل ذكر سيويه الأنعام في باب ما لا ينصرف في الأسماء المفردة الواردة على أفعال كقولهم أكياس ولذلك رجع الضمير إليه مفردا ، وأما في بطونها في سورة المؤمنين فلأن معناه الجمع . وأقول يجوز عود الضمير إلى ما عقدتم ويجوز أن يكون من قبيل قوله: كأنه الجلد توليع البهق

أي وكفارة المذكور أي كفارة نكثة .

(٣٧٩/٣)

والكفارة: الفعلة التي من شأنها أن تكفر الخطيئة أي تسترها { من أوسط ما تطعمون { من أقصده (١) ، لأن منهم من يسرف في إطعام أهله، ومنهم من يقتدر وهو عند أبي حنيفة رحمه الله نصف صاع من بر أو صاع من غيره لكل مسكين، أو يغديهم ويعشيهم. وعند الشافعي رحمه الله: مد لكل مسكين. وقرأ جعفر بن محمد: "أهاليكم"، بسكون الياء، والأهالي: اسم جمع لأهل: كالليالي في جمع ليلة، والأراضي في جمع أرض. وقولهم: (أهلون) كقولهم (أرضون) بسكون الراء. وأما تسكين الياء في حال النصب فللتخفيف، كما قالوا: رأيت معد يكرب، تشبيها للياء بالألف { أو كسوتهم { عطف على محل (٢))

(١) قوله: من أوسط ما تطعمون من أقصده القصد عدم مجاوزة الحد وهو يحتمل أن يكون بيانا للنوع وأن يكون بيانا للمقدار والذي ذكره المصنف جامع لهم لأن المراد من قوله من بر أو غيره بيان النوع ومن قوله نصف صاع أو صاع بيان المقدار.

(٢) قوله: عطف على محل من أوسط . قال المصنف ووجهه أن يكون من أوسط بدلا من

الإطعام

والبدل هو المقصود ولذلك كان المبدل منه في حكم فكأنه قيل فكفارته من أوسط ما تطعمون . وقال القاضي: محله النصب لأنه صفة مفعول محذوف أي أن تطعموا عشرة مساكين طعاما من أوسط ما تطعمون أو الرفع على البدل من إطعام أو كسوتهم عطف على إطعام أو على من أوسط إن جعل بدلا.. وقال صاحب المغرب من أوسط ما تطعمون يعني المتوسط بين الإسراف والتقتير وهو في محل الرفع على البدل من إطعام وكسوتهم عطف

عليه، وقال صاحب التقريب قول صاحب الكشف إنما يصح إذا كان محله مرفوعا أما بدلا من

إطعام على حذف موصوف أي إطعام من أوسط أو خبر مبتدأ محذوف أو خبر بعد خبر

والأظهر

أن كسوتهم عطف على إطعام لأن المشهور التخيير بين الخصال الثلاث وقد عدوا الكسوة منها ومن أوسط إما منصوب على صفة المصدر المقدر أي إطعاما من أوسط أو على المفعول به بإضمار أعني أو على المفعول الثاني لإطعام أي أن تطعمهم من الأوسط أو مرفوع كما سبق فلعله إنما عدل عن الأظهر لأن الكسوة اسم ظاهر لا مصدر ، قال الراغب: الكساء والكسوة اللباس فلا يليق عطفه على المصدر ، أو لأدائه إلى ترك ذكر كيفية الكسوة ويتركونها (وبين) من أوسط ، ويمكن أن يجاب عن الأول بأن الكسوة إما مصدر قال الزجاج في تفسيره الكسوة أن يكسوهم نحو إزارا ويضم مصدر نحو أو ألباس الكسوة وعن الثاني بأن يقدر أو كسوتهم من أوسط ما تكسون فحذف لقربة ذكره ما عطف عليه أو بأن يترك على إطلاقها إما بإرادة إطلاقها أو بإحالة بيانها إلى غيره، أي غير ما ذكر. وأيضا العطف على محل من أوسط لا يفيد هذا المقصود وهو تقدير الأوسط في الكسوة لا لزوم مشترك ويؤدي إلى صحة إقامته مقام المعطوف عليه وهو غير سديد . الطيبي : ويمكن أن يقال إنما يصار إلى البديل إذا اعتبر معنى المبدل على نحو زيد وأنت علامة رجلا صالحا لا أن معناه كما في الحواشي ، ولأن أهل المعاني يعتبرون معنى البديل وجوبا والنحوي يقول أن المبدل ليس في حكم من جميع الوجوه ، ولذا يوجبون ضمير المبدل في بدل البعض والإشتمال والتقدير فكفارة إطعام من أوسط ما تطعمون أهليكم لعشرة مساكين أو كسوة عشرة مساكين من أوسط ما تكسون أهليكم ، هذا وإن المصير إلى البديل يورث الكلام إبهاما تبيينا وتوكيدا وتقريراً خلافاً إذا أخلي عنه .

(٣٨٠/٣)

من أوسط) وقرئ بضم الكاف، ونحوه: قدوة في قدوة، وأسوة في إسوة، والكسوة ثوب يغطي

العورة، وعن ابن عباس رضي الله عنه كانت العبادة تجزئ يومئذ. وعن ابن عمر: إزار أو قميص أو رداء أو كساء. وعن مجاهد: ثوب جامع. وعن الحسن: ثوبان أبيضان. وقرأ سعيد بن

المسيب واليماني: "أو كأسوتهم"، بمعنى: أو مثل ما تعظمون أهليكم إسرافا كان أو تقتيرا. لا تنقصونهم عن مقدار نفقتهم، ولكن تواسون بينهم وبينهم. فإن قلت: ما محل الكاف؟ قلت: الرفع، تقديره: أو طعامهم كأسوتهم، بمعنى: كمثل طعامهم إن لم يطعموهم الأوسط { أو تحرير رقبة } شرط الشافعي رحمه الله الإيمان قياسا على كفارة القتل.

وأما أبو حنيفة وأصحابه، فقد جوزوا تحرير الرقبة الكافرة في كل كفارة سوى كفارة القتل. فإن قلت: ما معنى أو؟ قلت: التخيير وإيجاب إحدى الكفارات الثلاث على الإطلاق، بأيتها أخذ المكفر فقد أصاب { فمن لم يجد } إحداها { فصيام ثلاثة أيام } متتابعات عند أبي حنيفة رحمه الله، تمسكا بقراءة أبي وابن مسعود رضي الله عنهما: "فصيام ثلاثة أيام متتابعات". وعن مجاهد: كل صوم متتابع إلا قضاء رمضان، ويخير في كفارة اليمين { ذلك } (١)

(١) قوله: ذلك أنه اختير ذلك لأنه أدخل في الاستعمال وأولى

بيانه أن الرجل إذا قال أكرمت زيدا وأحسنيت إليه وأعطيته كذا فتقول نعم ذلك وصار كأنك أخذت جميع ما ذكر أولا إلا أنك كنييت واختصرت فكذلك هاهنا ولو قيل تلك وأنه إشارة إلى جميع المذكورات لكان تصريحها بها لا كناية عنها. (٣٨١/٣)

المذكور { كفارة أيمانكم } ولو قيل: تلك كفارة أيمانكم، لكان صحيحا بمعنى تلك الأشياء أو لتأنيث الكفارة. والمعنى { إذا حلفتكم } وحنثتم. فترك ذكر الحنث لوقوع العلم بأن الكفارة إنما تجب بالحنث في الحلف، لا بنفس الحلف، والتكفير قبل الحنث لا يجوز عند أبي حنيفة وأصحابه ويجوز عند الشافعي بالمال إذا لم يعص الحانث (١) { واحفظوا أيمانكم } فبروا فيها ولا تحنثوا أراد الأيمان التي الحنث فيها معصية، لأن الأيمان اسم جنس يجوز إطلاقه على بعض الجنس وعلى كله. وقيل: احفظوها بأن تكفروها. وقيل: احفظوها كيف حلفتكم بها، ولا تنسوها تهاونا بها { كذلك } مثل ذلك البيان { يبين الله لكم آياته } أعلام شريعته وأحكامه { لعلكم تشكرون } نعمته فيما يعلمكم ويسهل عليكم المخرج منه (٢).

يا أيها الذين (YtB#uûq#ن إنما مچôJsفù#مژاٲyJ9\$#ur والأنصاب والأزلام رجس من

عمل الشيطان فاجتنبوه نN=٣tbq=9yès9=90) (è? إنما ك%فحجمf عمل الشيطان أن يوقع

بينكم nour`y%oyè9\$# والبغضاء في حج÷Ksfù# والميسر ويصدكم عن حج. د. الله وعن

- (١) قوله: إذا لم يعص الحانث أي بالحنث كما إذا حلف أن يترك الصلوة فإنه لا يعصى بالحنث وإنما يعصى إذا استلزم تحريم ما أحل الله أو تحليل ما حرم الله .
- (٢) قوله: المخرج منه قيل الضمير عائد إلى ما وهو عبارة عن الحنث. وقوله فيما تعلمكم تقيدا لمفعول يشكرون به والظاهر أنه ملحق وتقييده إنما يعلم من مفهوم قوله : { كذلك يبين الله لكم آياته } لأن هذه الخاتمة كالتذييل للكلام السابق أي يشكرون نعمة بياناته الشافية في أمور دينكم .
- (٣/٣٨٢)

أكد تحريم الخمر والميسر وجوها (١) من التأكيد منها تصدير الجملة بإنما، ومنها أنه قرنهما بعبادة الأصنام، ومنه قوله عليه الصلاة والسلام (٣٦٥) "شارب الخمر كعابد الوثن" ومنها أنه جعلهما رجسا، كما قال تعالى: { فاجتنبوا الرجس من الأوثان } (الحج: ٣٠) ومنها أنه جعلهما من عمل الشيطان، والشيطان لا يأتي منه إلا الشر البحت، ومنها أنه أمر بالاجتناب. ومنها أنه جعل الاجتناب من الفلاح، وإذا كان الاجتناب فلاحا، كان الارتكاب خيبة ومحقة. ومنها أنه ذكر ما ينتج منهما من الوبال، وهو وقوع التعادي والتباغض من أصحاب الخمر والقمر، وما يؤديان إليه من الصد عن ذكر الله، وعن مراعاة أوقات الصلاة. وقوله: { فهل أنتم منتهون } من أبلغ ما ينهي عنه، كأنه قيل:

قد تلي عليكم ما فيهما من أنواع الصوارف والموانع، فهل أنتم مع هذه الصوارف منتهون. أم أنتم على ما كنتم عليه، كأن لم توعظوا ولم تزجروا؟ فإن قلت: إلام يرجع الضمير في قوله: { فاجتنبوه } ؟ قلت: إلى المضاف المحذوف، كأنه قيل: إنما شأن الخمر والميسر أو تعاطيهما أو ما أشبه ذلك. ولذلك قال (٢): { رجس من عمل الشيطان } فإن قلت: لم جمع

الخمر والميسر مع الأنصاب والأزلام أولا ثم أفردهما آخرا؟ قلت: لأن الخطاب مع المؤمنين.

- (١) قوله : وجوها من التأكيد نصب على المصدر نحو ضربت أنواعا من الضرب.
- (٢) قوله: ولذلك قال رجس أراد أنه وحده ولم يشنه لأن التقدير إنما شأن الخمر والميسر أو تعلميهما أو ما أشبه ذلك ، وقال أبو التقي : إنما أفرد لأن التقدير إنما

فعل هذه الأشياء رجس، وقال القاضي : أفردته لأنه خبر الخمر وخبر المعطوفات محذوف أو كأنه قال إنما تعاطي الخمر وعلى الأول يلزم المبالغة لأنه تعالى أمر بالإجتنب عن أعيانها وإنما قال من عمل الشيطان لأنه مسبب عن تسويله وتزيينه .
(٣٨٣/٣)

وإنما نهاهم عما كانوا يتعاطونه من شرب الخمر واللعب بالميسر، وذكر الأنصاب والأزلام لتأكيد تحريم الخمر والميسر، وإظهار أن ذلك جميعا من أعمال الجاهلية وأهل الشرك، فوجب اجتنابه بأسره، وكأنه لا مبالغة بين من عبد صنما وأشرك (١) بالله في علم الغيب، وبين من شرب خمرا أو قامر، ثم أفردهما بالذكر ليرى أن المقصود بالذكر الخمر والميسر. وقوله: { وعن الصلاة } اختصاص للصلاة من بين الذكر كأنه قيل: وعن الصلاة خصوصا.

(#مذدغ&r ur الله وأطيعوا الرسول واحذروا فإن توليتم (#كqJ=÷\$\$\$ أنما على رسولنا البلاغ المبين ارتب }

(١) قوله: وأشرك بالله في علم الغيب متعلق بأشرك بالله كما ظن ، والمراد به الإلزام ذكره في أول السورة أن الإستقسام هو طلب ما قسم للشخص مما لم يقسم له

بالأزلام وهو اشراك بالله في علم الغيب ، وقال أيضا الإستقسام بالأزلام دخول في علم الغيب الذي استأثر به علام الغيوب والكلام إنما سيق لبيان تحريم الخمر والميسر ولهذا أفردهما بالذكر آخر في قوله { يوقع بينكم العداوة والبغضاء في الخمر والميسر } وأما حرمة الأنصاب والأزلام فهي بائنة عند المسلمين من غير ريب وإنما قرنهما معهما لتأكيد تحريمه كما أشار إليه بقوله ، وكأنه لا فرق إلى آخره.
(٣٨٤/٣)

واحذروا { وكونوا حذرين خاشين، لأنهم إذا حذروا دعاهم الحذر إلى اتقاء كل سيئة وعمل كل حسنة. ويجوز أن يراد: واحذروا(١) ما عليكم في الخمر ولميسر، أو في ترك طاعة الله والرسول { فإن توليتم فاعلموا } أنكم لم تضروا بتوليكم الرسول، لأن الرسول ما كلف إلا البلاغ المبين بالآيات، وإن ضررتم أنفسكم حين أعرضتم عما كلفتم.

ليس على الذين آمنوا وعملوا د#s"Ms="۹ء# جناح فيما (كجكدسغ إذا ما اتقوا
وآمنوا وعملوا د#s"Ms="۹ء# ثم اتقوا وآمنوا ثم اتقوا وأحسنوا والله يحب المحسنين
(٩٣)

(١) قوله: ويجوز أن يراد وأحذروا عطف من حيث المعنى على قوله وكونوا حذرين يعني
يجوز أن يكون المراد بقوله وأحذروا الأمر بالحذر على الإطلاق من غير تقييد بشيء
ويجوز أن يكون متعلقة محذوفاً مراداً ثم إذا كان فإما أن يكون هو الخمر
والميسر لأنهما المقصودان هاهنا أو ترك طاعة الله والرسول لأنه أقرب المذكورين.
(٣٨٥/٣)

رفع الجناح عن المؤمنين في أي شيء طعموه من مستلذات المطاعم ومشتبهاتها { إذا ما
اتقوا { ما حرم عليهم منها { وآمنوا { وثبتوا على الإيمان والعمل الصالح وازدادوه {
ثم اتقوا وآمنوا { ثم ثبتوا على التقوى والإيمان { ثم اتقوا وأحسنوا { ثم ثبتوا على
اتقاء المعاصي وأحسنوا أعمالهم، أو أحسنوا إلى الناس: واسوهم بما رزقهم الله من
الطيبات. وقيل (٣٦٦) لما نزل تحريم الخمر (١) قالت الصحابة: يا رسول الله، فكيف

ياخواننا الذين ماتوا وهم يشربون الخمر ويأكلون مال الميسر فنزلت. يعني أن المؤمنين
لا جناح عليهم في أي شيء طعموه من المباحات إذا ما اتقوا المحارم، ثم اتقوا وآمنوا،
ثم اتقوا وأحسنوا، على معنى: أن أولئك (٢) كانوا على هذه الصفة ثناء عليهم وحمداً
لأحوالهم في الإيمان والتقوى والإحسان. ومثاله أن يقال لك: هل على زيد فيما فعل
جناح؟ فتقول - وقد علمت أن ذلك أمر مباح -: ليس على أحد جناح في المباح، إذا
اتقى المحارم، وكان مؤمناً محسناً، تريد: أن زيدا تقي مؤمناً محسناً؛ وأنه غير مؤاخذ بما
فعل.

(١) قوله: وقيل لما نزل تحريم الخمر عطف على قوله رفع الجناح عن المؤمنين فعلى هذا
الوجه الآية عامة وردت في أمر خاص فيدخل فيها من نزلت بسببه دخولا أولياً وعلى الأول
لم يرد في أمر خاص فيدخلون فيها كغيرهم .

(٢) قوله: على معنى أن أولئك كانوا على هذه الصفة يعني أن قوله: ليس على الذين
آمنوا عام وقد ورد في هذا الوجه جواباً عن سؤالهم وكان من الظاهر أن يقال ليس عليهم
جناح في أي شيء طعموه من المباحات إذا ما ما أتقوا المحارم فعدل إلى ذكر الكلمة

وبيان اوصافهم ليدل على رفع الجناح عنهم بالطريق البرهاني وقته أن من يكون له أمثال هذه ١ لأوصاف الكاملة لا جناح عليه فيما يتناول من المباحات .
(٣٨٦/٣)

tf"~'r%o٣pk\$ الذين آمنوا ليلونكم الله بشيء من الصيد ١/4م!è&Ys\$؟ أيديكم
ورماحكم

ليعلم الله من يخافه t9\$\$\$=خ/ فمن اعتدى بعد sCE"٩dy7 فله عذاب أليم ازحج
نزلت عام الحديبية ابتلاهم الله بالصيد وهم محرمون، وكثر عندهم حتى كان يغشاهم في
رحالهم فيستمكنون من صيده، أخذوا بأيديهم وطعنا برماحهم { ليعلم الله من يخافه
بالغيب } ليميز من يخاف عقاب الله وهو غائب منتظر في الآخرة فيتقي الصيد، ممن لا
يخافه فيقدم عليه { فمن اعتدى { فصاد { بعد ذلك { الابتلاء فالوعيد لاحق به. فإن

قلت: ما معنى التقليل والتصغير في قوله: { بشيء من الصيد } ؟ قلت: قلل وصغر(١)
ليعلم أنه ليس بفتنة من الفتن العظا التي تدحض عندها أقدام الثابتين، كالابتلاء
ببذل الأرواح والأموال، وإنما هو شبيه بما ابتلى به أهل أيلة من صيد السمك، وأنهم
إذا لم يثبتوا عنده فكيف شأنهم عند ما هو أشد منه. وقرأ إبراهيم: يناله، بالياء.
يا أيها الذين آمنوا لا تقتلوا الصيد وأنتم حرم ومن قتله منكم dJyètG-Bد%oY#
ضن!yfsù"u# مثل ما قتل من النعم يحكم به ذوا عدل منكم هديا x÷د=t/" الكعبة أو
xجou×. طعام مساكين أو عدل sCE"٩dy7 صياما ليدوق وبال
3/4دحگ&Dr عفا الله عما سلف
ومن عاد فينتقم الله منه والله عزيز ذو انتقام (٩٥)
}

(١) قوله: قلل وصغر التقليل مستفاد من لفظ شيء فإنه يستعمل في معنى القلة والتصغير
من التكثير فإنه للتحقير .
(٣٨٧/٣)

حرم { محرمون، جمع حرام، كروح في جمع رداح. والتعمد: أن يقتله وهو ذاكراً لإحرامه، أو
عالم(١) أن ما يقتله مما يحرم عليه قتله، فإن قتله وهو ناس لإحرامه أو رمى صيدا وهو
يظن أنه ليس بصيد فإذا هو صيد، أو قصد برمييه غير صيد فعدل السهم عن رميته فأصاب

صيدا فهو مخطيء. فإن قلت: فمحظورات الإحرام يستوي فيها العمد والخطأ، فما بال التعمد مشروطا في الآية؟ قلت: لأن مورد الآية فيمن تعمد؛ فقد روي أنه عن لهم في عمرة الحديبية حمار وحش، فحمل(٢) عليه أبو اليسر فطعنه برمحه فقتله، ف قيل له: إنك قتلت الصيد وأنت محرم فنزلت ولأن الأصل فعل التعمد، والخطأ لاحق به للتغليظ. ويدل عليه(٣) قوله تعالى: { ليدوق وبال أمره } { ومن عاد فينتقم الله منه } وعن الزهري: نزل الكتاب بالعمد ووردت السنة بالخطأ وعن سعيد بن جبير: لا أرى في الخطأ شيئا أخذنا باشتراط العمد في الآية.

(١) قوله: أو عالم إنما مما يحرم عليه أو هاهنا بمعنى الواو كما في قوله

تعالى { ولا تطع منهم آثما أو كفورا } وكما في قوله : { عذرا أو ندرا } لأنه لا بد في التعمد من اجتماع الأمرين الذكر والعلم.

(٢) قوله: فحمل عليه أبو ال.....

(٣) قوله: ويدل عليه قيل أي على أن الخطأ ملحق بالعمد أن الخطأ لا يترتب عليه الوبال والإنتقام ضرورة فحين رتب عليه الوبال علم أنه ملحق بالعمد تغليظا للحكم وتشديدا له. وأقول: الظاهر أنه لم يستدل بذلك على أن الخطأ يلحق بالعمد للتغليظ بل استدل على أن مورد الآية فيمن تعمد لأن الوبال لا يكون إلا في التعمد وكذا الانتقام ولهذا استدل بما روي عن الزهري أن الكتاب نزل بالعمد على ذلك، وقوله وعن سعيد جواب آخر عن السؤال يعني إنما قيد بقوله متعمدا ليؤذن أن المخطئ ليس عليه شيء كما هو مذهب داود.

(٣٨٨/٣)

وعن الحسن روايتان { فجزاء مثل ما قتل } برفع جزاء ومثل جميعا، بمعنى: فعليه جزاء يماثل ما قتل من الصيد، وهو عند أبي حنيفة قيمة المصيد يقوم حيث صيد. فإن بلغت قيمته ثمن هدى، تخير بين أن يهدي من النعم ما قيمته قيمة الصيد، وبين أن يشتري بقيمته طعاما، فيعطي كل مسكين نصف صاع من بر أو صاع من غيره، وإن شاء صام عن طعام كل مسكين يوما، فإن فضل ما لا يبلغ طعام مسكين صام عنه يوما أو تصدق به. وعند محمد والشافعي رحمهما الله مثله نظيره من النعم، فإن لم يوجد له نظير من النعم عدل إلى قول أبي حنيفة رحمه الله. فإن قلت: فما يصنع من يفسر المثل بالقيمة بقوله: { من النعم } وهو تفسير للمثل، وبقوله: هديا بالغ الكعبة؟ قلت: قد خير(١)

(١) قوله: قد خبر من أوجب القيمة يعني من فسر قوله جزاء مثل ما قتل من الصيد بالقيمة لم يقتصر عليه بل خير بمن أن يشتري بالقيمة هديا أو طعاما أو أن يصوم كما سبق فالجزاء حنثٌ أحد هذه الأشياء على التخيير مكان قوله من النعم بيانا للهدي الذي هو أحد هذه الأشياء المرادة من قوله { جزاء مثل ما قتل } ، والحاصل : أن قوله { جزاء مثلما قتل } لما كان محتملا لكل من الثلاثة على البدل ولم يعلم تعيينه فجاء بقوله { من النعم } بيانا لكون المراد به الهدي المشتري وإنما كان من النعم بيانا لمثل ما قتل وهو ما ذهب إليه القيمة لا للحيوان لأن من قوم الصيد واشترى بالقيمة هديا فأهداه فقد جزا بمثل ما قتل من النعم ، وهذا البيان مثل البيان الذي ذكره في قوله تعالى : { يهديهم ربهم بإيمانهم تجري من تحتهم الأنهار } فإنه بيان لقوله { يهديهم ربهم بإيمانهم } يعني أن الهداية مسبب الوصول إلى الثواب فكان قوله : { تجري من تحتهم الأنهار } بيانا لمسبب قوله { يهديهم ربهم } وهو الوصول إلى الثواب فكذا هاهنا من النعم بيان لمسبب قوله { جزاء مثلما قتل } وهو الهدي المشتري إذا فسر الجزاء بالقيمة . وقال صاحب التقريب: وفيه نظر لأن قراءة رفع جزاء ومثل يقتضي أن يكون الجزاء مما تلا من النعم للصيد فإن كان الجزاء القيمة فليس مماثلا له فيها بل الجزاء قيمة يشتري بها مماثل ، وفرق بين قولنا الجزاء بمماثل وبين قولنا الجزاء مشتري به مماثل . وأقول: لم لا يجوز أن يكون على تقدير حذف المضاف ، وإقامة المضاف إليه مقامة والتقدير فعليه جزاء قيمة مثلما قتل .

(٣٨٩/٣)

من أوجب القيمة بين أن يشتري بها هديا أو طعاما أو يصوم، كما خير الله تعالى في الآية. فكان قوله: { من النعم } بيانا للهدى المشتري بالقيمة في أحد وجوه التخيير؛ لأن من قوم الصيد واشترى بالقيمة هديا فأهداه، فقد جزى بمثل ما قتل من النعم. على أن التخيير (١) الذي في الآية بين أن يجزي بالهدى أو يكفر بالإطعام أو بالصوم، إنما يستقيم استقامة ظاهرة بغير تعسف إذا قوم ونظر بعد التقويم أي الثلاثة يختار، فأما إذا عمد إلى النظر وجعله الواجب وحده من غير تخيير - فإذا كان شيئا لا نظير له قوم حينئذ، ثم يخير بين الإطعام والصوم - ففيه نبو عما في الآية. ألا

تري إلى قوله تعالى: { أو كفارة طعام مساكين أو عدل ذلك صياما } كيف خير بين الأشياء الثلاثة، ولا سبيل إلى ذلك إلا بالتقويم. وقرأ عبد الله: فجزاؤه مثل ما

قتل، وقرئ: فجزاء مثل ما قتل، على الإضافة، وأصله. فجزاء مثل ما قتل، بنصب مثل
بمعنى: فعليه أن يجزى مثل ما قتل، ثم أضيف كما تقول: عجبت من ضرب زيد، وقرأ السلمي
على الأصل وقرأ محمد بن مقاتل، فجزاء مثل ما قتل، بنصبهما، بمعنى: فليجز جزاء مثل
ما قتل. وقرأ الحسن: من النعم. بسكون العين، استثقل الحركة على حرف الحلق فسكنه {
يحكم به { بمثل ما قتل { ذوا عدل منكم { حكمان عادلان من المسلمين. قالوا: وفيه
دليل على أن المثل القيمة (٢)،

(١) قوله: على أن التخيير أي الجواب ما ذكرت مع أن التخيير في الآية يطابق هذا
التقدير عن تقرير الخصم وهذه الخاتمة كالتميم للجواب. وقال صاحب التقريب :
وفيه نظر لأنه بناء على أنه إذا وجد النظر فلا تخيير وهو خلاف المنقول عن الشافعي
فالمقول عنه أنه تخيير بين إخراج المثل وبين إخراج قيمته طعاما وبين أن يصوم عن كل
مد يوما .

(٢) قوله: وقالوا : فيه دليل على أن المثل القيمة لأن التقويم مما يحتاج إلى النظر
والاجتهاد دون الأشياء للمشاهدة .. قال صاحب التقريب: وفيه نظر لأن تحقيق المماثلة
قد يتوقف على الاجتهاد. وأقول: إن الأدلة الشرعية قد تكون إمارات ولا شك أن احتياج
التقويم إلى الاجتهاد لازم للتقويم واحتياج تحقيق المماثلة إلى الاجتهاد ليس بلام
إذ يغني المشاهدة عنه في الأغلب وحينئذ يكون ذكر الحكم والاجتهاد أمانة دالة على أن
المراد بالمثل القيمة لا المثل صورة . وأجاب الرازي عما قاله المصنف بأن وجوه
المشابهة بين النعم والصيد مختلفة فلا بد من الاجتهاد في تمييز الأقوى من الأضعف
ولهذا يحتاج إلى الحكمين.
(٣/٣٩٠)

لأن التقويم مما يحتاج إلى النظر والاجتهاد دون الأشياء للمشاهدة. وعن قبيصة أنه
أصاب ظبيا وهو محرم فسأل عمر، فشاور عبد الرحمان بن عوف، ثم أمره بذبح شاة، فقال
قبيصة لصاحبه: والله ما علم أمير المؤمنين حتى سأله غيره، فأقبل عليه ضربا بالدرة (١)
وقال: أتغمص الفتيا وتقتل الصيد وأنت محرم. قال الله تعالى: { يحكم به ذوا عدل منكم
{ فأنا عمر، وهذا عبد الرحمان. وقرأ محمد بن جعفر (٢) ذو عدل منكم، أراد يحكم به من
يعدل منكم ولم يرد الوحدة. وقيل أراد الإمام { هديا { حال (٣) عن جزاء فيمن وصفه
بمثل، لأن الصفة خصصته فقربته من المعرفة، أو بدل عن مثل فيمن نصبه، أو عناء من

قوم الصيد واشترى بالقيمة هدياً فأهداه، فقد جرى بمثل ما قتل من النعم. على أن
التخيير الذي في الآية بين أن يجزي بالهدى أو يكفر بالإطعام أو بالصوم، إنما يستقيم
استقامة ظاهرة بغير تعسف إذا قوم ونظر بعد التقويم أي الثلاثة يختار، فأما إذا عمد
إلى النظر وجعله الواجب وحده من غير تخيير - فإذا كان شيئاً لا نظير له قوم
حينئذ، ثم يخير بين الإطعام والصوم - ففيه نبو عما في الآية.

-
- (١) قوله: فأقبل عليه ضرباً بالدرة وقال: أتغمص الفتيا بالدرة حال أي يضربه ضرباً أو
ضرباً بمعنى ضارب، ومعنى أتغمص أتحتقر بها والفتيا هي الفتوى.
- (٢) قوله: وقرأ جعفر بن محمد وفي بعض النسخ محمد بن جعفر والأول هو الصحيح ذكر
ابن
جني في المحتسب ومن ذلك قراءة محمد بن علي وجعفر بن محمد يحكم به ذو عدل .
وقال لم
يوجد ذو لأن الواحد يكفي في الحكم لكن أراد معنى من أي يحكم به من يعدل ومن يكن
للاثنين كما يكون للواحد.
- (٣) قوله: هدياً حال عن جزاء فيمن وصفه بمثل هذا، قيل إنما يستقيم على مذهب الأخفش
وهو أن يكون التقدير فعليه جزاء مثلما قتل هدياً فهو حال من فاعل الجار والمجرور من
غير اعتماد.
- (٣٩١/٣)

ألا ترى إلى قوله تعالى: { أو كفارة طعام مساكين أو عدل ذلك صياماً } كيف خير بين
الأشياء الثلاثة، ولا سبيل إلى ذلك إلا بالتقويم. وقرأ عبد الله: فجزاؤه مثل ما
قتل، وقرئ: فجزاء مثل ما قتل، على الإضافة، وأصله. فجزاء مثل ما قتل، بنصب مثل
بمعنى: فعليه أن يجزي مثل ما قتل، ثم أضيف كما تقول: عجت من ضرب زيد، وقرأ السلمي
على الأصل وقرأ محمد بن مقاتل، فجزاء مثل ما قتل، بنصبهما، بمعنى: فليجز جزاء مثل
ما قتل. وقرأ الحسن: من النعم. بسكون العين، استثقل الحركة على حرف الحلق فسكنه {
يحكم به } بمثل ما قتل { ذوا عدل منكم } حكمان عادلان من المسلمين. قالوا: وفيه
دليل على أن المثل القيمة، لأن التقويم مما يحتاج إلى النظر والاجتهاد دون الأشياء
المشاهدة. وعن قبيصة أنه أصاب ظبياً وهو محرم فسأل عمر، فشاور عبد الرحمان بن عوف،
ثم أمره بذبح شاة، فقال قبيصة لصاحبه: والله ما علم أمير المؤمنين حتى سأل غيره،

فأقبل عليه ضرباً بالدرة وقال: أتغمص الفتيا وتقتل الصيد وأنت محرم. قال الله تعالى: { يحكم به ذوا عدل منكم } فأنا عمر، وهذا عبد الرحمان. وقرأ محمد بن جعفر ذو عدل منكم، أراد يحكم به من يعدل منكم ولم يرد الوحدة. وقيل أراد الإمام { هديا } حال عن جزاء فيمن وصفه بمثل، لأن الصفة خصصته فقربته من المعرفة، أو بدل عن مثل فيمن نصبه، أو عن محله فيمن جره. ويجوز أن ينتصب حالا عن الضمير في به. ووصف هديا بـ { بالغ الكعبة } لأن إضافته غير حقيقية. ومعنى بلوغه الكعبة أنني يذبح بالحرم، فأما التصديق به فحيث شئت عند أبي حنيفة، وعند الشافعي في الحرم. فإن قلت: بم يرفع { كفارة } من ينصب جزاء؟ قلت: يجعلها مبتدأ محذوف، كأنه قيل: أو الواجب عليه كفارة. أو يقدر: فعليه أن يجزي جزاء أو كفارة. فيعطفها على أن يجزي.

(٣٩٢/٣)

وقرىء: أو كفارة طعام مساكين على الإضافة (١)، وهذه الإضافة مبينة، كأنه قيل: أو كفارة من طعام مساكين، كقولك: خاتم فضة، بمعنى خاتم من فضة. وقرأ الأعرج: أو كفارة طعام مساكين. وإنما وحد، لأنه واقع موقع التبيين، فاكتفى بالواحد الدال على الجنس.

وقرىء: أو عدل ذلك، بكسر العين. والفرق بينهما أن عدل الشيء ما عادله من غير جنسه، كالصوم والإطعام. وعدله ما عدل به في المقدار (٢)، ومنه عدلا الحمل، لأن كل واحد منهما عدل بالآخر حتى اعتدلا، كأنه المفتوح تسمية المصدر، والمكسور بمعنى المفعول به، كالذبح ونحوه، ونحوهما الحمل والحمل. و { ذلك } إشارة إلى الطعام { وصياما } تمييز للعدل كقولك: لي مثله رجلا. والخيار في ذلك إلى قاتل الصيد عند أبي حنيفة وأبي يوسف. وعند محمد إلى الحكمين { ليدوق } متعلق بقوله: (فجزاء) أي فعليه أن يجازي أو يكفر، ليدوق سوء عاقبة هتكه لحرمة الإحرام. والوبال: المكروه والضرر الذي يناله في العاقبة من عمل سوء لثقله عليه، كقوله تعالى: { فأخذناه أخذاً وبيلاً } ثقيلًا. والطعام الويل: الذي يثقل على المعدة فلا يستمر { عفا الله عما سلف } لكم من الصيد في حال الإحرام قبل أن تراجعوا رسول الله وتسالوه عن جوازه.

(١) قوله: وقرء أو كفارة طعام مساكين على الإضافة إنما أضيفت الكفارة إلى الطعام بسبب أنه لما خير المكفر بين ثلاثة أشياء الهدى والطعام والصيام أستجيزت الإضافة لذلك فكانه قيل كفارته طعام لا كفارة صيام وإليه الإشارة بقوله وهذه الإضافة مبينة.

(٢) قوله: ما عدل به أي سوى به في المقدار أي في الكمية، وقال الراغب العدل والعدل

يتقاربان لكن المفتوح يستعمل فيما يدرك بالبصيرة كالأحكام ، والمكسورة فيما يدرك بالحاسة كالموزونات والمعدوات والمكيل ، والجمل بالكسر ما كان على ظهر أو رأس ، وبالفتح ما كان في بطن أو سحر .
(٣٩٣/٣)

وقيل: عما سلف لكم في الجاهلية منه، لأنهم كانوا متعبدين بشرائع من قبلهم وكان الصيد فيها محرماً { ومن عاد { إلى قتل الصيد وهو محرم بعد نزول النهي { فينتقم الله منه { ينتقم: خبر مبتدأ محذوف تقديره. فهو ينتقم منه، ولذلك دخلت الفاء (١). ونحوه { فمن يؤمن بربه فلا يخاف { (الحجر: ١٣) يعني ينتقم منه في الآخرة. واختلف في وجوب الكفارة على العائد، فعن عطاء وإبراهيم وسعيد بن جبير والحسن: وجوبها، وعليه عامة العلماء. وعن ابن عباس وشريح: أنه لا كفارة عليه تعلقاً بالظاهر، وأنه لم يذكر الكفارة.

tFtB "ur \$YèغB\$yèsst79\$# ¼çm حج¹ | %٠٠ك s9٣نN &méd@
murحhçur tP٩د=،،\$'ouد ٩©٣نN
m يB\$Y٣مك٩9\$# \$tB OçFBزخ¹ | %٠٠ك n=t٣نN
(\$!©%#qà) "\$#ur ©!\$# ü
تcrمژ | téB³ ازدب
}

(١) قوله: ولذلك دخلت الفاء يعني بينهم خبر مبتدأ محذوف فالفاء دخلت على جملة اسمية ولو لم يكن خبر مبتدأ محذوف لم يحتج إلى الفاء لأن الشرط إذا كان ماضياً والجزاء مضارعاً جاز الرفع وترك الفاء مع جواز الجزم.
(٣٩٤/٣)

صيد البحر { مصيدات البحر مما يؤكل وما لا يؤكل { وطعامه { وما يطعم من صيده والمعنى: أحل لكم الانتفاع بجميع ما يصاد في البحر، وأحل لكم أكل المأكول منه وهو السمك وحده عند أبي حنيفة. وعند ابن أبي ليلى جميع ما يصاد منه، على أن تفسير الآية عنده أحل لكم صيد حيوان البحر وأن تطعموه { متاعاً لكم { مفعول له، أي أحل لكم تمتيعاً لكم وهو في المفعول له بمنزلة قوله تعالى: { ووهبنا له إسحاق ويعقوب نافلة {

(الأنبياء: ٧٢) في باب الحال، لأن قوله: { متاعا لكم } (١) مفعول له مختص بالطعام، كما أن نافلة حال مختصة ببعقوب، يعني أحل لكم طعامه تمتيعا لتنائكم يأكلونه طريا، ولسيارتكم يتزودونه قديدا، كما تزود موسى عليه السلام الحوت في مسيره إلى الخضر عليهما السلام. وقرئ: "وطعمه". وصيد البر: ما صيد فيه. وهو ما يفرخ فيه وإن كان يعيش في الماء في بعض الأوقات، كطير الماء عند أبي حنيفة.

(١) قوله: ولأن قوله { متاعا لكم } تخصيص بالطعام . قال الطيبي: لعل ذلك على التقدير الثاني وهو أحل لكم صيد حيوان البحر وأن تطعموه لأن قوله صيد البحر حينئذ

توطئة للذكر وطعامه على طريقة أعجيني زيد وكرمه فلا تعلق به المفعول له ، وأما على التقدير الأول فالظاهر أنه لا يخص بالطعام لأن كلا من المعطوف والمعطوف عليه مقصودان بالذكر ولذلك قدر وأحل لكم أكل المأكول منه . وأقول : لعل المصنف إنما خص المفعول له بالمعطوف على تقدير أن المراد بالمتاع الانتفاع به بالأكل ولا شك أنه على هذا التقدير مختص بالمعطوف. وقال أبو الثقا الضمير في طعامه ضمير النحر وقيل ضمير الصيد والمعنى أباح صيد البحر وأكل صيده بخلاف صيد البر ومتاعا مفعول له ، وقيل مصدر أي منعمم بذلك تمتيعا
(٣٩٥/٣)

واختلف فيه فمنهم من حرم على المحرم كل شيء يقع عليه اسم الصيد، وهو قول عمر وابن عباس، وعن أبي هريرة وعطاء ومجاهد وسعيد بن جبير: أنهم أجازوا للمحرم أكل ما صاده الحلال، وإن صاده لأجله، إذا لم يدل ولم يشتر، وكذلك ما ذبحه قبل إحرامه وهو مذهب أبي حنيفة وأصحابه رحمه الله، وعند مالك والشافعي وأحمد رحمهم الله: لا يباح له ما صيد لأجله. فإن قلت: ما يصنع أبو حنيفة بعموم قوله: صيد البر؟ قلت قد أخذ أبو حنيفة رحمه الله بالمفهوم (١) من قوله: { وحرم عليكم صيد البر ما دتم حرما } لأن ظاهره أنه صيد المحرمين دون صيد غيرهم، لأنهم هم المخاطبون فكأنه قيل: وحرم عليكم ما صدتم في البر، فيخرج منه مصيد غيرهم، ومصيدهم حين كانوا غير محرمين. ويدل عليه قوله تعالى: { يا أيها الذين آمنوا لا تقتلوا الصيد وأنتم حرم } وقرأ ابن عباس رضي الله عنه: "وحرم عليكم صيد البر"، أي الله عز وجل. وقرئ "ما دتم" بكسر الدال، فيمن يقول دام يدام.

* @yèy_!\$#M | #39\$#÷spt6#u#tP# 79\$#ت 9\$#ys

kO9\$#ur÷ج9 uد=Z`\$`ؤ %ٲu"\$VJ
sŒ `٩دn=s)9\$#ur y7"ٲ'ح %ٲٲolù;\$#ur y"ys9\$# yچtP#u
#\$!© &br` ٩Jn=÷ètGك(#ûq
ur&F{\$# cr'اع 'û 9\$# \$tBur،،yJ"N`uqد 'û Nn=÷ètف \$tBم
"\$!© #ب @eن٣خ / <نس"x

يOثد=تو ازذب (يOثد=تو ازذب) #ûqك #Jm\$&cr #!© %fٲٲx
ة<س)br` 9\$# ur&è9\$# #!© #ض 'qàٲx
زOد'm ازرب
}

(١) قوله: أخذ أبو حنيفة بالمفهوم . قال صاحب التقريب : وفيه نظر لأن المفهوم ليس
بحجة عنده ، وقد أجيب عن هذا النظر: بأن المراد بالمفهوم المفهوم من الآية لا
المفهوم المخالف . ورد هذا الجواب: بقوله فيخرج منه مصيد غيرهم ومصيدهم حيث كانوا
غير محرمين ، ولو أريد الاستدلال بظاهر الآية لكان من باب الاستدلال بعبارة النص
وهو العلم بظاهر ما سيق الكلام له والأولى أن خص بفعل النبي صلى الله عليه وآله
وسلم .
(٣/٣٩٦)

البيت الحرام { عطف بيان على جهة المدح، لا على جهة التوضيح، كما تجيء الصفة كذلك
}

قيامًا للناس { انتعاشا لهم في أمر دينهم وديناهم، ونهوضا(١) إلى أغراضهم ومقاصدهم
في معاشهم ومعادهم، لما يتم لهم من أمر حجهم وعمرتهم وتجارتهن، وأنواع منافعهم. وعن
عطاء ابن أبي رباح: لو تركوه عاما واحدا لم ينظروا ولم يؤخروا { والشهر الحرام {
الشهر الذي يؤدي فيه الحج، وهو ذو الحجة، لأن اختصاصه من بين الأشهر بإقامة موسم
الحج فيه شأنًا قد عرفه الله تعالى. وقيل عني به جنس الأشهر الحرم { والهدي والقلائد
{ والمقلد منه خصوصا(٢) وهو البدن، لأن الثواب فيه أكثر، وبهاء الحج معه أظهر {
ذلك { إشارة إلى جعل الكعبة قياما للناس، أو إلى ما ذكر من حفظ حرمة الإحرام بترك
الصيد وغيره { لتعلموا أن الله يعلم { كل شيء وهو عالم بما يصلحكم وما ينعكشم مما
أمركم به وكلفكم { شديد العقاب { لمن انتهك محارمه { غفور رحيم { لمن حافظ عليها.

Nn=÷ètƒ م ur#\$!ه n=t69\$#"÷à (خ w #9\$چ™كAqةمB 'n?t`\$
è? \$tBur√%ك\$B tbr
JçF3sكtbq
اززب

{ ما على الرسول إلا البلاغ { تشديد(٣) في إيجاب القيام بما أمر به، وأن الرسول قد
فرغ مما وجب عليه من التبليغ، وقامت عليكم الحجة، ولزمتكم الطاعة، فلا عذر لكم في
التفريط.

ur qs9ur #9\$.©hح=. #\$:sfù√ك[ثخ"o،qtGب" è% w@
#\$:sfù√ك[د.Yxjouن &ry7t7yfô
yès9=³nt69F{\$# N"=ة tf"'ré'>ح' #9!© qà)??\$sù#)
ثكcqك=د=è؟ اةةب

(١) قوله: انتعاشا ونهوضا نهوضا معطوف على انتعاشا على سبيل البيان ، ولما يتم
تعليل لقوله انتعاشا.

(٢) قوله: خصوصا أي خصه خصوصا.

(٣) قوله تشديد خبر ما على الرسول وأن الرسول قيل هو عطف على تشديد أي تشديد في
إيجاب القيام وإيدان أن الرسول قد فرغ ففي الكلام حذف ، وقيل الوجه أن يكون عطفا
تفسيريا على إيجاب القيام.
(٣٩٧/٣)

البون بين الخبيث والطيب بعيد عند الله تعالى وإن كان قريبا عندكم، فلا تعجبوا
بكثرة الخبيث حتى تؤثره لكثرتة على القليل الطيب، فإن ما تنوهمونه في الكثرة من
الفضل، لا يوازي النقصان في الخبيث، وفوات الطيب، وهو عام(١) في حلال المال وحرامه،
وصالح العمل وطالحه، وصحيح المذاهب وفاسدها، وجيد الناس ورديهم { فاتقوا الله {
وآثروا الطيب، وإن قل، على الخبيث وإن كثر. ومن حق هذه الآية أن تكفح بها وجوه
المجبرة إذا افتخروا بالكثرة كما قيل:

وكأثر بسعد (٢) إن سعدا كثيرة

وكما قيل:

لا يدهمنك (٣) من دهمائهم عدد

وقيل: نزلت في حجاج اليمامة، حين أراد المسلمون أن يوقعوا بهم، فنهوا عن الإيقاع بهم (٤) وإن كانوا مشركين.

(١) قوله: وهو عام أي عدم استواء الخبيث والطيب. والمكافحة المواجهة ويقال كافحهم إذا استقبلوهم في الحرب بوجوههم ليس دونها ترس ولا غيره.

(٢) قوله: ... ولا ترج من سعد وفاء ولا نصرا

كاثر بسعد إن سعدا كثيرة ... ولا ترج من سعد وفاء ولا نصرا
الشعر للحماسي يقول فاخر بقبيلة سعد وغالب بهم في الكثرة ففيهم كثرة ولكن لا ترج منهم الوفاء والنصرة . وبعده:

يروعك من سعد بن بكر حسومها ... ويزهد فيها حين تقبلها خبرا

(٣) قوله: ... فإن جلهم بل كلهم بقر

لا يدهمنك من دهمائهم عدد ... فإن جلهم بل كلهم بقر

البيت لأبي تام، دهمه إذا غشيه والدهما الجماعة وقد جانس بين الكلمتين بقوله لا يروعنك من جماعتهم عدد وكثرة إن عندهم عناقات أكثرهم بل كلهم بقر أي هم كالبقرة في البلادة وعدم الغناء والكفاية.

(٤) قوله: فنهوا عن الإيقاع بهم قيل نهو عن ذلك إما لأن مالهم خبيث لا خير فيه مع كثرته لأنه حرام حيث لم ييح لهم أخذه ، وإما لأن الإيقاع بهم خبيث وإن كانوا مشركين لأن ذلك كان في الشهر الحرام أو في حال المنع عن مقاتلتهم والأول هو الوجه .
(٣٩٨/٣)

ن@ ò`t."w (#qè=t ن ZtB#uq#) #s!©%iؤ tf"-r%ؤpk\$

s9٣ny%ò6è? N (خ b &uô©r\$!ن u

fم\t""Aم mdtûü ن @ \$pk÷]t."ur (#qè=t(خ n@ b، ÷s، ن N

م tس9 \$x٣à)9\$# y%ؤ7è? N ب#uم

ò%òs% اتة تب xm=د O ز xîلur î'qà#s!ه pk÷]t\$ #s!ه

%s٦=diB Nà6د` %\$ygs9r'y™ ×Pqs

#qè OèO ك7ô¹r &st7ô¹r pk\$ حه ژتحجدهل"x. اتة تب

الجملة الشرطية والمعطوفة عليها أعني قوله: { إن تبد لكم تسؤكم، وإن تسألوا عنها حين ينزل القرآن تبد لكم } صفة للأشياء. والمعنى: لا تكثروا مسألة رسول الله حتى تسألوه عن تكاليف شاقة عليكم، إن أفتاكم بها وكلفكم إياها تغمكم وتشق عليكم وتندموا على السؤال عنها. وذلك نحو ما روي: (٣٦٧) أن سراقه بن مالك (١) أو عكاشة بن محصن قال: يا رسول الله، الحج علينا كل عام؟ فأعرض عنه رسول الله حتى أعاد مسأله ثلاث مرات، فقال: "ويحك! ما يؤمنك أن أقول نعم؟ والله لو قلت: نعم لوجبت، ولو وجبت ما استطعتم، ولو تركتم لكفرتم، فأتركوني ما ترككم، فإنما هلك من كان قبلكم بكثرة سؤالهم واختلافهم على أنبيائهم، فإذا أمرتكم بأمر فخذوا منه ما استطعتم، وإذا نهيتكم عن شيء فاجتنبوه" { وإن تسألوا عنها حين ينزل القرآن } ، وإن تسألوا عن هذه التكاليف الصعبة في زمان الوحي وهو ما دام الرسول بين أظهركم يوحى إليه، تبد لكم. تلك التكاليف الصعبة التي تسؤكم، وتؤمروا (٢) بتحملها، فتعرضون أنفسكم لغضب الله

بالتفريط فيها { عفا الله عنها } عفا الله عما سلف، من مسألتكم، فلا تعودوا إلى مثلها { والله غفور حلیم } لا يعاجلكم فيما يفرط منكم بعقوبته. فإن قلت: كيف قال: { لا تسألوا عن أشياء } ثم قال: { قد سألها } ولم يقل. قد سأل عنها؟ قلت: الضمير في { سألها } ليس براجع إلى أشياء حتى تجب تعديته بعن، وإنما هو راجع إلى المسألة (٣) التي دل عليها { لا تسألوا } يعني قد سأل قوم هذه المسألة من الأولين { ثم أصبحوا بها } أي بمرجوعها (٤)

(١) قوله: إن سراقه بن مالك قال الحج قال ذلك حين نزل قوله: { والله على الناس حج البيت } .

(٢) قوله: وتؤمروا عطف تفسيري على يبدلكم.

(٣) قوله: راجع إلى المسألة أي إلى المصدر لا إلى المفعول به لاحتاج إلى تعديه بعن.

(٤) قوله: بمرجوعها أي بما يرجع المسألة إليه عند تحقيقها..

أو بسببها { كافرين } وذلك أن بني إسرائيل كانوا يستفتون أنبيائهم عن أشياء، فإذا أمروا بها تركوها فهلكوا.

wur ٢TMy\$! حwur 7pt6٢ tr2جدB ;ous`. # \$!ه _yèy@٢ tB\$

wur 5Q%٢tn٢ ur¹#7's

\$!" ٢tf 'n?٢t٢yIمؤx. tbr٢xمؤr#) # \$!©%٢s9ur tûi"٢٢' ٢٢

w٢ ur&nY.rمؤs39\$# Nèd٢<z

٢٢f÷(٢=tbqè ا٢٢ جب

كان أهل الجاهلية إذا نتجت الناقة خمسة أبطن آخرها ذكر، بحروا أذنهما، أي شقوها وحرموا ركوبها، ولا تطرد عن ماء ولا مرعى، وإذا لقيها المعني لم يركبها. واسمها البحيرة. وكان يقول الرجل: إذا قدمت من سفري أو برئت من مرضي فناقني سائبة. وجعلها كالبحيرة في تحريم الانتفاع بها. وقيل: كان الرجل إذا أعتق عبدا قال: هو سائبة فلا عقل بينهما ولا ميراث. وإذا ولدت الشاة أنثى فهي لهم، وإن ولدت ذكرا فهو لآلئهم. فإن ولدت ذكرا وأنثى قالوا: وصلت أخاها، فلم يذبحوا الذكر لآلئهم. وإذا نتجت من صلب الفحل عشرة أبطن قالوا من حمى ظهره، فلا يركب، ولا يحمل عليه، ولا يمنع من ماء

ولا مرعى. ومعنى { ما جعل } ما شرع ذلك ولا أمر بالتبحير والتسييب وغير ذلك، ولكنهم بتحريمهم ما حرموا { يفترون على الله الكذب وأكثرهم لا يعقلون } فلا ينسبون التحريم إلى الله حتى يفتروا، ولكنهم يقلدون في تحريمها كبارها.

&Rr"٢B tAu\$! (خ>Oçlm; (#qs9\$yès? 4'n %٢@٢ ur(خ>٢E#

\$!ه ٢٢Aq٢ ٢٢(خ>٢' # \$!ه ٢٢

٢mn=t٢ xm \$٢B \$٢tRô%٢y`ur,s% \$٢uZç6\$٢٢q#)

٢٢!\$٢/#u٢tb%٢x. Nèd &qs9urr ٢٢/#u\$!٢٢Ru\$!

٢٢otG÷ku%٢٢wur tbr٢ ©x"Jn=÷٢٢f \$Z٢w tbq٢

الواو في قوله: { أولو كان آباؤهم } واو الحال قد دخلت عليها همزة الإنكار. وتقديره: أحسبهم ذلك ولو كان آباؤهم (١) { لا يعلمون شيئا ولا يهتدون } والمعنى أن الاقتداء إنما يصح بالعالم المهتدي، وإنما يعرف اهتداؤه بالحجة.

(١) قوله: أو لو قال أبو البقا جواب لو محذوف أي ولو كانوا لا يعلمون فهم ينتفونهم

(٤٠١/٣)

٢n=t٢٢N ٢ZtB#u٢q#) # \$!©%٢٢tf tûi"٢' r%٢٢pk\$

٣٠٨ | àRr & Nw.وBظف" tf @ | ت#sCE (خ
 'n#d\$÷%fyOç> (خ "!!#Nم٣èY\$BتدHsd
 Nم٣خZu;مJ\$ySùخ/ NçGZ.
 è÷yJ=tbqè؟ انةخب

كان المؤمنون تذهب أنفسهم حسرة على أهل العتو والعناد من الكفرة، يتمنون دخولهم في الإسلام، فقليل لهم { عليكم أنفسكم } وما كلفتم من إصلاحها والمشي بها في طرق الهدى { لا يضركم } الضلال عن دينكم إذا كنتم مهتدين، كما قال عز وجل لنبه عليه الصلاة والسلام: { فلا تذهب نفسك عليهم حسرات } (فاطر: ٨) وكذلك من يتأسف على ما فيه الفسقة من الفجور والمعاصي، ولا يزال يذكر معاييهم ومناكيرهم. فهو مخاطب به، وليس المراد ترك الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، فإن من تركهما مع القدرة عليهما فليس بمهتد، وإنما هو بعض الضلال الذين فصلت الآية بينهم وبينه، وعن ابن مسعود: أنها قرئت عنده فقال: إن هذا ليس بزمانها (١) إنها اليوم مقبولة. ولكن يوشك أن يأتي زمان

تأمرون فلا يقبل منكم، فحينئذ عليكم أنفسكم، فهي على هذا تسلية لمن يأمر وينهى فلا يقبل منه، ويسط لعذره. وعنه: ليس هذا زمان تأويلها. قيل: فمتى؟ قال: إذا جعل دونها السيف والسوط والسجن. وعن أبي ثعلبة الخشني: (٣٦٨) أنه سئل عن ذلك (٢) فقال للسان:

سألت عنها خيرا. سألت رسول الله عنها فقال: "اتمروا بالمعروف، وتناهوا عن المنكر، حتى إذا ما رأيتم مطاعا وهوى متبعا ودنيا مؤثرة وإعجاب كل ذي رأي برأيه، فعليك نفسك ودع أمر العوام.

(١) قوله: إن هذا ليس بزمانها(.....) أي ليس هذا الزمان بزمان العمل بمقتضى ظاهر الآية، وهو ترك الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر لأن والحسنة اليوم مقبولة.

(٢) قوله: أنه سئل عن ذلك أي عن العمل بمقتضى الآية ومعنى سألت عنها عن العمل بمقتضاها .

(٣/٢٠٤)

وإن من ورائكم أياما الصبر فيهن كقبض على الجمر، للعامل منهم مثل أجر خمسين رجلا يعملون مثل عمله" وقيل كان الرجل إذا أسلم قالوا له: سفهت آباءك، ولا موه. فنزلت {

&gô_ur ÷rrخyg\$! n?t'٤ /خpkO9\$"\$%oyد qè?ù'tf#)
 &r÷÷٤o`è? 7uث٢ &ûqèù\$sfst† br#)
 èyJ™\$#urمqà)??\$#ur ©!\$# (#q#) &yJ÷fr" [كبخy%÷÷èt/ N
 ku%٥ tPqs)9\$#÷÷%٥" w ur#\$!ه
 (٤٠٤/٣)

ارتفع اثنان على أنه خبر للمبتدأ الذي هو { شهادة بينكم } على تقدير: شهادة بينكم
 شهادة اثنين. أو على أنه فاعل شهادة بينكم على معنى: فيما فرض عليكم أن يشهد اثنان:
 وقرأ الشعبي. "شهادة بينكم" بالتنوين. وقرأ الحسن: "شهادة"، بالنصب والتنوين على:
 ليقيم شهادة اثنان. و { إذا حضر } ظرف للشهادة. و { حين الوصية } بدل منه، إبداله
 منه دليل على وجوب الوصية (١)، وأنها من الأمور اللازمة التي ما ينبغي أن يتهاون بها
 مسلم ويذهل عنها. وحضور الموت: مشاركته وظهور أمارات بلوغ الأجل { منكم } من
 أقاربكم.

(١) قوله: دليلا على وجوب الوصية قيل ذلك لأنه تعالى جعل زمان حصول الموت حين زمان
 الوصية وهذا إنما يكون إذا كانا متلازمين وإنما تحصل هذه الملازمة حين وجوب الوصية.

وقلت: أنا أظن أن فيه دليلا من حيث أن قوله شهادة بينكم خبر في معنى الأمر أي
 أشهدوا إذا حضر أحدكم الموت والمعنى في المال بعد الإبدال أشهدوا وقت الإيصاء على
 الإيصاء وإذا كان الإشهاد على الإيصاء مأمورا به والأمر للوجوب وهو لا يتم إلا بعد
 الإيصاء كان الإيصاء واجبا لأن ما لا يتم الواجب إلا به كان واجبا كوجوبه وقريب من
 هذا ما قاله في قوله تعالى : { فإذا أفضت من عرفات فاذكروا } فإنه قال لما أمر
 بالذكر عند الإفاضة كان الذكر واجبا وهو موقوف على الإفاضة فتكون الإفاضة واجبة لأن
 ما لا يتم الواجب إلا به كان واجبا لوجوبه هذا لمرده وإن كان فيه ما فيه . قال
 الطيبي: والأظهر أن قول المؤلف أنها من الأمور اللازمة التي لا ينبغي أن يتهاون بها
 عطف تفسيري على وجوب الوصية ودلالة على أن الإبدال فيه للتأكيد والتقريب والثبوت
 دون الوجوب المتعارف .

(٤٠٥/٣)

و { من غيركم } من الأجانب { إن أنتم ضربتم في الأرض } يعني إن وقع الموت في السفر ولم يكن معكم أحد من عشيرتكم، فاستشهدوا أجنبيين على الوصية، جعل الأقارب (١) أولى لأنهم أعلم بأحوال الميت وما هو أصلح وهم له أنصح. وقيل { من المسلمين، و } من غيركم { من أهل الذمة. وقيل: هو منسوخ لا تجوز شهادة الذمي على المسلم، وإنما جازت في أول الإسلام لقلّة المسلمين وتعذر وجودهم في حال السفر. وعن مكحول: نسخها قوله تعالى: { واشهدوا ذوي عدل منكم } وروي: (٣٦٩) أنه خرج بديل (٢) بن أبي مريم مولى عمرو بن العاص وكان من المهاجرين، مع عدي بن زيد وتميم بن أوس - وكانا نصرانيين - تجارا إلى الشام، فمرض بديل وكتب كتابا فيه ما معه، وطرحه في متاعه ولم يخبر به صاحبيه، وأمرهما أن يدفعا متاعه إلى أهله. ومات ففتشا متاعه، فأحذا إناء من فضة فيه ثلاثمائة مثقال (٣) منقوشا بالذهب، فغيباه، فأصاب أهل بديل الصحيفة فطالباهما

بالإناء، فجحدا فرفعوهما إلى رسول الله ، فنزلت { تحبسونهما } تفقونهما وتصبرونهما للحلف { من بعد الصلاة } من بعد صلاة العصر، لأن وقت اجتماع الناس. وعن الحسن: بعد صلاة العصر أو الظهر؛ لأن أهل الحجاز كانوا يقعدون للحكومة بعدهما.

(١) قوله: وجعل الأقارب أولى لقوله بعد الأوليان أو ليقدمهما على الأجانب في الآية ، والأولى أن يقال إنما علم أولوية الأقارب من اشتراط عدمهم في الإشهاد وذلك في السفر وهو مظنة لعدمهم وهذا بناء على أن قوله { إن أنتم ضربتم } قيل (قيد) لقوله { أو آخرا من غيركم } .

(٢) قوله: بديل قيل الصواب بزيل بالزاي المفتوحة بعد الباء المنقوطة نقطة من تحت وكذا الصواب عدى من بدا .

(٣) قوله: فيه ثلاثمائة مثقال تجريد أي هو في نفسه هذا المقدار ، ومعنى يصبرونهما يحبسونهما من الصبر وهو حبس النفس عن الجزع.

(٤٠٦/٣)

وفي حديث بديل: أنها لما نزلت صلى رسول الله صلاة العصر ودعا بعدي وتميم فاستحلفهما عند المنبر، فحلفا، ثم وجد الإناء بمكة، فقالوا: إنا اشتريناه من تميم وعدي. وقيل: هي صلاة أهل الذمة، وهم يعظمون صلاة العصر { إن ارتبتم } اعتراض بين القسم والمقسم عليه. والمعنى: إن ارتبتم في شأنهما واتهمتموهما فحلفوهما. وقيل: إن أريد بهما الشاهدان فقد نسخ (١) تحليف الشاهدين: وإن أريد الوصيان فليس بمنسوخ تحليفهما. وعن

علي رضي الله عنه: أنه كان يحلف الشاهد والراوي إذا اتهمهما والضمير في { به } للقسم. وفي { كان } للمقسم له يعني: لا نستبدل بصحة القسم بالله عرضا من الدنيا، أي لا نحلف كاذبين لأجل المال، ولو كان من نقسم له قريبا منا، على معنى: أن هذه عاداتهم في صدقهم (٢) وأمانتهم أبدا، وأنهم داخلون تحت قوله تعالى: { كونوا قوامين بالقسط شهداء لله ولو على أنفسكم أو الوالدين والأقربين } (النساء: ١٣٥). { شهادة الله }

أي الشهادة التي أمر الله بحفظها وتعظيمها. وعن الشعبي أنه وقف على شهادة، ثم ابتداءً بالله بالمد، على طرح حرف القسم وتعويض حرف الاستفهام منه. وروي عنه بغير مد على ما ذكر سيبويه أن منهم من يحذف حرف القسم ولا يعوض منه همزة الاستفهام، فيقول: الله لقد كان كذا.

-
- (١) قوله: فقد نسخ قيل الناسخ قوله صلى الله عليه وآله وسلم البينة على المدعي واليمين على من أنكر (.....) ، وقيل أول من فاه بهذا قس بن ساعده الأبادي.
(٢) قوله: إن هذا عاداتهم في صدقهم والدليل على العادة والتوكيد بقوله: أبدا .
(٤٠٧/٣)

وقرىء: "لملائمين" بحذف الهمزة وطرح حركتها على اللام وإدغام نون من فيها، كقوله: عاد لولي: فإن قلت: ما موقع تحسبونهما؟ قلت: هو استئناف كلام، كأنه قيل بعد اشتراط العدالة فيهما، فكيف نعمل إن ارتبنا بهما، فقيل: تحسبونهما فإن قلت: كيف فسرت الصلاة بصلاة العصر وهي مطلقة؟ قلت: لما كانت معروفة عندهم بالتحليف بعدها، أغنى ذلك عن التقييد، كما لو قلت في بعض أئمة الفقه: إذا صلى أخذ في الدرس علم أنها صلاة الفجر. ويجوز أن تكون اللام للجنس، وأن يقصد بالتحليف على أثر الصلاة أن تكون الصلاة لطفًا في النطق بالصدق، ونهاية عن الكذب والزور { إن الصلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر } (العنكبوت: ٤٥) { فإن عثر { فإن اطلع (١) } على أنهما استحقا إثما { (٢)

-
- (١) قوله: فإن اطلع على أنهما استحقا إثما قيل أتفق المفسرون على أن هذه الآية في غاية الصعوبة إعرابا وفهما وحكما ، ومعنى الاثنين أن المحتضر إذا أراد الوصية ينبغي أن يشهد عدلين من ذوي نسبه أو دينه على وصيته فإن لم يجدهما بأن كان في سفر فآخرا من غيرهم ثم أن وقع نزاع أو ارتياب أقسما على صدق ما يقولان بالتغليظ في الوقت فإن اطلع على أنهما كذبا بأماراة ومظنة حلف آخرا من أولياء الميت والحكم منسوخ إن كان

الاثنان شاهدين فإنه لا يحلف الشاهدان ولا يعارض يمينهما يمين الوارث ، وإن كانا وصيين ترد اليمين على الورثة أما لظهور خيانة الوصيين فإن تصديق الوصي باليمين لأمانته أو لغير الدعوى هذا تلخيص المعنى ، وأما حل مشكل الآية فقد بينه المصنف بيانا بيانا .

(٢) قوله: على أنهما استحقا إثما قال أبو النقا : قوله على أنهما قائم مقام الفاعل وآخران فاعل فعل محذوف أي فيشهد آخران ويقومان صفة آخران ومن الذين صفة أخرى لآخران

والأوليان على هذا خبر مبتدأ محذوف والجملة مستأنفة كأنه قيل من هما قيل هما الأوليان.. وقال الزجاج : قيل معنى استحق عليهم فيهم وقيل استحق منهم كما في قوله تعالى : { اكتالوا على الناس } أي منهم قال الطيبي وقال صاحب الكشف أما ما يسند إليه استحق فلا يخلوا من أن يكون الإيضا أو الوصية أو الإثم أو الجار والمجرور وإنما جاز استحق الإثم لأن أخذه يأخذه إثم فسمي إثما كما يسمى ما يؤخذ منك بغير حق مظلمة وكذلك سمي هذا المأخوذ باسم المصدر وأما معنى عليهم فيحتمل أن يكون بمنزلة على في قولك استحق على زيد مال بالشهادة أي لزمه ووجب عليه الخروج منه لأن الشاهدين لما عثر على خيانتهم استحق عليهما ما ولياه من أمر الشهادة والقيام بها ووجب عليهم الخروج منها وترك الولاية لها فصار إخراجهما منها مستحق عليهما كما يستحق على المحكوم عليه الخروج مما وجب عليه وأن يكون بمنزلة في أي استحق فيهم وإن يكون بمنزلة من أي استحق منهم الإثم ، والحق أن يكون مسندا إلى الإثم ويكون من باب المشاكلة والتضمين لقوله ومعناه من الذين حتى عليهم والذي دعاه إلى هذا التأويل إبتناء قوله { فإن عثر على أنهما استحقا } على قوله { إنا إذا لمن الآثمين } لأن المعنى إن كتمنا الحق كنا من الجانبيين ثم إن اطلع على أنهما قد خانا وجب على المشهود عليه واستحقا إثما بذلك فآخران يقومان مقامهما بالشهادة فكنى عن قوله قد

خانا وجاء بقوله استحقا إثما ليشاكل الكلام السابق وهو { إنا لمن الآثمين } يدل عليه قوله فاستوجبا أن يقال أنهما لمن الآثمين ثم عبر عن المشهود عليهم بقوله استحق عليهم الإثم ليشاكل ما عبر به من (عن) الجانبيين وهو استحقا إثما لأن الجانبيين إذا كني عنهما بأنهما استحقا الإثم فالمناسب أن يكنى عن المجني عليه بقوله استحق الإثم عليه فقول المصنف من الذين جنى عليهم تلخيص المعنى وزبدته.

أي فعلا ما أوجب إثما، واستوجبا أن يقال إنهما لمن الآثمين { } فآخران { فشاهدان آخران { يقومان مقامهما من الذين استحق عليهم { أي من الذين استحق عليهم الإثم. معناه من الذين جني عليهم وهم أهل الميت وعشيرتهم. وفي قصة بديل: أنه لما ظهرت خيانة الرجلين، حلف رجلان من ورثته أنه إناء صاحبهما، وأن شهادتهما أحق من شهادتهما. { الأوليان { الأحقان بالشهادة لقربتهما ومعرفتهما، وارتفاعهما على: هما الأوليان كأنه قيل ومن هما؟ فقال: الأوليان. وقيل: هما بدل من الضمير في يقومان (١)، أو من آخران. ويجوز أن يرتفعوا باستحق، أي من الذين استحق (٢) عليهم انتداب الأوليين منهم للشهادة لإطلاعهم على حقيقة الحال. وقرئ "الأولين" على أنه وصف للذين استحق عليهم، مجرور، أو منصوب على المدح.

(١) قوله: وقيل هما بدل من الضمير في يقومان . قال الزجاج : الأوليان في قول أكثر البصريين يرتفع على البدل من الضمير في يقومان المعنى فليقم الأوليان بالميت مقام الشاهدين الجانبيين فيقسمان بالله ، ويجوز أن يرتفعوا يستحق فعلى هذا استحق بمعنى استوجب ولا بد من تقدير المضاف لأن الواجب على أهل الميت اختيار شخصين من أقارب الميت موصوفين بالأولوية من غيرهم لإطلاعهم على حقيقة الحال ، وإليه الإشارة بقوله من الذين استحق عليهم انتداب الأوليين وا لانتداب من ندبه لأمر فانتدب له أي دعاه إليه فأجابه.

)

(٢) قوله: على أنه وصف للذين استحق عليهم المعنى آخران يقومان من الذي جني عليهم المقدمين على الأجانب استحق عليهم الأوليان أن يجردوهما ، والأوليان فاعل استحق وإن يجردوهما مفعوله.

(٤٠٩/٣)

ومعنى الأولوية التقدم على الأجانب في الشهادة لكونهم أحق بها. وقرئ: "الأولين" على التثنية، وانتصابه على المدح. وقرأ الحسن: "الأولان"، ويحتج به من يرى رد اليمين على المدعي. وأبو حنيفة وأصحابه لا يرون ذلك. فوجهه عندهم أن الورثة قد ادعوا على النصرانيين أنهما قد اختانا فحلفا، فلما ظهر كذبهما ادعيا الشراء فيما كتما، فأنكر الورثة فكانت اليمين على الورثة لإنكارهم الشراء. فإن قلت: فما وجه قراءة من قرأ استحق عليهم الأوليان على البناء للفاعل، وهم علي: وأبي وابن عباس؟ قلت: معناه من

الورثة الذي استحق عليهم الأوليان من بينهم بالشهادة، أن يجردوهما للقيام بالشهادة ويظهروا بهما كذب الكاذبين { ذالك } الذي تقدم(١) من بيان الحكم { أدنى } أن يأتي الشهداء على نحو تلك الحادثة { بالشهادة على وجهها أو يخافوا أن ترد أيمان { أن تكرر أيمان شهود آخرين بعد إيمانهم (يفتضحوا بظهور كذبهم كما جرى في قصة بديل) { واسمعوا { سمع إجابة وقبول.

(١) قوله: ذلك الذي تقدم من بيان الحكم وهو رد اليمين أدنى أن يأتوا بالشهادة على وجهها على وجهها حال من الشهادة أي محققه ، والمعنى والتقدير ذلك الذي ذكرناه أقرب إلى أن يأتوا بالشهادة على وجهها من غيره أو إلى أن يخافوا فلا يشهدوا على مالم يتحققوا فيفتضحوا برد الأيمان على أولياء الميت فيحلفوا على جنايتهم .
(٤١٠/٣)

* tPqtf كى †yJgs #!\$ ٠ @ك™"ج\$٩# uم(أqàث #sCE\$stB !sù
G6çO_é & (#q\$٩s% ٠ uOz=w دم
!\$Ry7y9Zu(| &MRr ق"O=ت qم\$٩# اتقزب CEخ) %tA\$s
#!\$ س | Oثدè"tf tû\$# zNtf
tB ج\$à2# سة÷èLyJتد y7n=Rم ء'ت?nم y7د\$ت!د ur CEخ)
fr%?y7& yrمچخ/ و"ك%\$9à)
قOد\$Y9\$? "k'خ û د%ôgW #J9gyô ur CEخ)
t=Fôçy7و | =Ft\$٩١
J3spyur\$#G9q'u1sp ur\$# ur@٠ CE|ur\$#UMg(خ ur
ك، zBfr=èد Bب üüed\$٩# "تptx.yg.
جخ\$٩# 'دCEت*خ/ م#àك\$pk \$سùFtZدù مqbن٣M #سùFtتجغ
'دCEت*خ/ ن-خز9J2tmyur?è\$#
ژف uچ/ur\$#F 'دCEت*خ/ CEخ(urك#ج\$9JyA's4é f
'دCEت*خ/ CEخ(Màurxع ٢سè_t/
٠ @fدن"ز(خ y7Zt م CEخ(OكGOgt_ دM"Z\$ؤt7i /sù)tA\$s
tûi%د\$!#(#r#xعx.
Nك[÷dبB(!#xw dy(خ) سچ\$TM ر-٧B اتنب

}

(٤١١/٣)

يوم يجمع { بدل من المنصوب في قوله: (واتقوا الله) وهو من بدل الاشتمال (١)، كأنه قيل: واتقوا الله يوم جمعه. أو ظرف لقوله: (لا يهدي) أي لا يهديهم طريق الجنة يومئذ كما يفعل بغيرهم. أو ينصب على إضمار اذكر. أو يوم يجمع الله الرسل كان كيت وكيت. و { ماذا } منتصب بأجبتكم انتصاب مصدره، على معنى: أي إجابة أجبتكم (٢). ولو أريد الجواب لقليل: بماذا أجبتكم. فإن قلت: ما معنى سؤالهم؟ قلت: توبيخ قومهم، كما كان سؤال المؤودة توبيخا للوائد.

(١) قوله: وهو من بدل الاشتمال. الانتصاف: لا يتصور هاهنا بدل الاشتمال لأنه لا بد من اشتمال البديل أو المبدل منه على الآخر وهاهنا يستحيل ذلك ، وإنما يتم ذلك ببيان المضمر ، فإن تقديره واتقوا عذاب الله يوم وحينئذ يصح البديل لاشتمال اليوم على العذاب. أقول قال ابن جعفر : سمي هذا النوع من البديل ببديل الاشتمال لاشتمال المتبوع على التابع لا كاشتمال الظرف على المظروف بل من حيث كونه دالا عليه و..... بوجه ما بحيث ينفي النفس عند ذكر الأول منسوقة إلى ذكر ثان منتظرة له فيجيء الثاني ملخصا لما أجمل في الأول مبينا له . وقال المبرد : وهو قريب من القول الأول سمي بدل اشتمال لاشتمال الفعل المسند إلى المبدل منه على البديل لتقيد ويتم لأن الإعجاب في قولك أعجبني زيد حسنه وهو مسند إلى زيد لا يكتفي به من جهة المعنى لأنه لم يعجبك

لحمله ودمه بل لمعنى فيه فعلى هذا ما أورده صاحب الإنصاف بمعزل عن الإنصاف ، وإنما قال المصنف يوم جمعة للإيدان بأن المظهر وقع موقع المضمر لأنه لا بد في بدل الاشتمال من ضمير يرجع إلى المبدل منه.

(٢) قوله: على معنى أي أجابه أجبتكم إجابة تصديق أو إجابة تكذيب ولو أريد السؤال عن جوابهم الذي أجيبوا به لقليل بماذا أجبتكم بإدخال الباء وقد قيل التقدير بأي شيء أجبتكم فحذف الجار والمصنف لم يعتد بهذا القول.

(٤١٢/٣)

فإن قلت: كيف تقولون: { لا علم لنا } وقد علموا بما أجيبوا؟ قلت: يعلمون أن الغرض بالسؤال توبيخ أعدائهم فيكون الأمر إلى علمه وإحاطته بما منوا به منهم وكابدوا من

سوء إجابتهم، إظهارا للتشكي واللجأ إلى ربهم في الانتقام منهم، وذلك أعظم على الكفرة وأفت (١) في أعضادهم وأجلب لحسرتهم وسقوطهم في أيديهم إذا اجتمع توبيخ الله وتشكي أنبيائه عليهم. ومثاله أن ينكب بعض الخوارج على السلطان خاصة من خواصه نكبة قد عرفها السلطان واطلع على كنهها وعزم على الانتصار له منه، فيجمع بينهما ويقول له: ما فعل بك هذا الخارجي وهو عالم بما فعل به، يريد توبيخه وتبكيته، فيقول له: أنت أعلم بما فعل بي تفويضا للأمر إلى علم سلطانه، واتكالا عليه، وإظهارا للشكاية، وتعظيما لما حل به منه. وقيل: من هول ذلك اليوم (٢) يفزعون ويذهلون عن الجواب، ثم يجيبون بعدما تثوب إليهم عقولهم بالشهادة على أممهم. وقيل: معناه علمنا ساقط (٣) مع علمك ومغمور به، لأنك علام الغيوب.

-
- (١) قوله: أفت في أعضادهم يقال فت في عضده إذا كسر قوته وفرق أعوانه.
- (٢) قوله: وقيل هو من هول ذلك اليوم معطوف على قوله يعلمون أن العرض والضمير في هو راجع إلى القول وهو لا علم لنا أي وقيل هذا القول صدر عنهم من هول ذلك اليوم ثم استئنف يفزعون لأنه كأنه قيل ما لهم تكلموا وهو غير مطابق للسؤال، فقيل لأنهم يفزعون ويذهلون عن الجواب المطابق ثم بعد ما ترجع إليهم عقولهم يجيبون بالشهادة على أممهم .
- (٣) قوله: معناه علمنا ساقط مع علمك هذا جواب آخر على طريقة الأسلوب الحكيم لأنه جواب بإثبات العلم لله على وجه يعلم منه المقصود وذلك قوله يخف عليه الظواهر التي منها إجابة الأمم لرسلمهم، وقوله وكيف يخفى عليهم إلى آخره اعتراض على القول الأخير وهو أن التقدير لا علم لنا بما كان منهم بعدنا إلى آخره.
- (٤١٣/٣)

ومن علم الخفيات لم تخف عليه الظواهر التي منها إجابة الأمم لرسلمهم، فكأنه لا علم لنا إلى جنب علمك. وقيل: لا علم لنا بما كان منهم بعدنا، وإنما الحكم للخاتمة. وكيف يخفى عليهم أمرهم وقد رأوهم سود الوجوه زرق العيون موبخين. وقرئ: "علام الغيوب" بالنصب على أن الكلام قد تم بقوله: { إنك أنت } أي أنك الموصوف بأوصافك المعروفة (١)

من العلم وغيره ثم نصب علام الغيوب على الاختصاص، أو على النداء، أو هو صفة (٢)

(١) قوله: أي أنك الموصوف بأوصافك المعروفة من العلم وغيره والتركيب على هذا من باب : أنا أبو النجم وشعري شعري .

(٢) قوله: أو هو صفة لاسم أن قيل فيه نظر لأن اسم أن ضمير والضمير لا يوصف هذا وقد سألت بعض فضلاء خوارزم عن قوله هذا مع أنه قد ذكر في المفصل أن المضمير لا يوصف فأجابني بأن المصنف إنما قال هذا نقلاً عن الكوفيين وأنا لم أضفر بنص عنهم في جواز وصف ضمير المخاطب ، وإنما المنقول عن الكسائي جواز وصف ضمير الغائب في نحو قوله تعالى { لا إله إلا هو العزيز الحكيم } ومررت به المسكين ، ويحتمل أنه إنما خصصه بذلك لأنه بمنزلة المظهر إذ قد تعرض فيه الإبهام بخلاف ضمير المتكلم والمخاطب ، والجمهور يحملون نحو هذا على البدل، وقال بعض الأفاضل : وهذا النظر مدفوع لأن المصنف يحكي الأقوال المذكورة وبعضهم جوز وصف الضمير وهذا بناء على مذهبه وهذا كما

يجوز بعضهم أضافه الضمير في أتاك . أقول أراد أن الخليل والأخفش والمازني قالوا أن الاسم المضمير وهو إيا مضاف إلى الياء والكاف والهاء في إياي وإياك وإياه ، وقالوا بأنها أسماء أضيف إليها الضمير وغيرهم ضعف هذا القول بأن الضمائر لا تضاف وعند سيبويه هي حروف يدل على أن أحوال المرجوع إليه ، وعند الزجاج والسيرافي أن إيا اسم ظاهر أضيف إلى المضميرات وضعف هذا القول بأنه ليس في الأسماء المظهرة اسم يختلف آخره

.....وعلى الجملة فإذا أجاز بعضهم إضافة الضمير كان إجازة وصفه أولى إذ الإضافة على تقدير هاهنا معنوية ولا فائدة للإضافة المعنوية سوى التعريف والتخصيص وللصفة فوائد آخر غير الكشف.

(٤١٤/٣)

لاسم أن { إذ قال الله } بدل من (يوم يجمع) والمعنى: أنه يوبخ الكافرين يومئذ بسؤال الرسل عن إجاباتهم، ويتعدي ما أظهر على أيديهم من الآيات العظام، فكذبوهم وسموهم سحرة. أو جاوزوا حد التصديق إلى أن اتخذوهم آلهة، كما قال بعض بني إسرائيل فيما أظهر على يد عيسى عليه السلام من البيّنات والمعجزات (هذا سحر مبين) واتخذوه بعضهم وأمه الهين { أيديتك } قويتك. وقرئ: "أيديتك"، على أفعلتك { بروح القدس } بالكلام الذي يحيا به الدين، وأضافه إلى القدس، لأنه سبب الطهر من أوضار الآثام. والدليل (١) عليه قوله تعالى: { تكلم الناس } و { في المهد } في موضع الحال، لأن المعنى تكلمهم

طفلا { وكهلا } إلا أن في المهد فيه دليل على حد من الطفولة (٢). وقيل روح القدس: جبريل عليه السلام، أيد به لتثبيت الحجة. فإن قلت: ما معنى قوله (٣): (في المهد وكهلا)؟ قلت: معناه تكلمهم في هاتين الحالتين، من غير أن يتفاوت كلامك في حين الطفولة وحين الكهولة الذي هو وقت كمال العقل وبلوغ الأشد والحد الذي يستنبأ فيه الأنبياء { والتوراة والإنجيل } خصا بالذكر مما تناوله الكتاب والحكمة، لأن المراد بهما جنس الكتاب والحكمة.

)

- (١) قوله: والدليل عليه أي على أن المراد بروح القدس الكلام إيقاع قوله يكلم الناس في المهد وكهلا إما بيانا للجملية الأولى أو استثناءفا .
- (٢) قوله: إلا أن في المهد دليل على حد من الطفولة باقية أراد أن فيه تنميما ومبالغة ليست في طفلا لأن الطفولة باقية بعد انتقاله عن المهد إلى البلوغ فلو قيل طفلا احتمل أن يكون تكليمه بعد انتقاله عن المهد ولا مبالغة في ذلك إذ غيره يتكلم في تلك الحال وأراد بقوله دال على حد من الطفولية أنه دال على حد تكلمه فيه غريب ولو قال طفلا لم يدل على ذلك كما قررناه .
- (٣) قوله: ما معنى قوله في المهد وكهلا يعني ما فائدة انضمام كهلا إلى في المهد مع أن التكليم فيحال الكهولة منه ليس ببدع .
- (٤١٥/٣)

وقيل: (الكتاب) الخط. و (الحكمة) الكلام المحكم الصواب { كهية الطير } كهية مثل كهية الطير { بإذني } بتسهيلي { فتنفخ فيها } الضمير للكاف، لأنها صفة الهية التي كان يخلقها عيسى عليه السلام وينفخ فيها، ولا يرجع إلى الهية المضاف إليها؛ لأنها ليست في خلقه ولا من نفخه في شيء. وكذلك الضمير في فتكون { تخرج الموتى } تخرجهم من

القبور وتبعثهم. قيل: أخرج سام ابن نوح ورجلين وامرأة وجارية { وإذا كففت بني إسرائيل عنك } يعني اليهود حين هموا بقتله. وقيل: لما قال الله تعالى لعيسى (١) { اذكر نعمتي عليك } كان يلبس الشعر ويأكل الشجر ولا يدخر شيئا لغد يقول: مع كل يوم رزقه، لم يكن له بيت فيخرب، ولا ولد فيموت، وإنما أمسى بات.

(١) قوله: وقيل لما قال الله تعالى لعيسى عطف على قوله إذ قال الله بدل من يوم تجمع ويكون هذا الخطاب في الدنيا قيل النظم على هذا الوجه هو أنه تعالى لما قال واتقوا الله واسمعوا بمرعى واتقوه يوم جمعه الرسل وسؤاله لهم بماذا أجبتم في الدنيا حين أرسلتم إلى قومكم وقولهم من الهيبة { لا علم لنا } اتجه السائل أن يسأل فيقول ما كان جواب قومهم في الدنيا ؟. فقل اذكر وقت بعثه عيسى عليه السلام إلى القوم وتأنيده بالمعجزات الظاهرة وجواب بعض القوم هذا سحر مبين وبعضهم أنه ثالث ثلاثة ليعلم ذلك بدل على الأول .

قوله تعالى : { قال الذين كفروا منهم إن هذا إلا سحر مبين } ومن في منهم تبعية وعلى الثاني قوله { ءأنت قلت للناس اتخذوني وأمي إلهين من دون الله } .

(٤١٦/٣)

&uqys9\$# ÷br# 'حifخ`z (خ>n' &ur àMxm÷rr(خCE
ur/حq>TMuچخB#udYmq#)
Bم،=Jتbq /خ'ur \$sY`Rr#\$ô%opkô س% \$`YtB#u\$٩ûq#)
%tA\$s (خCE انتب
"o،tGكد tB @ydچtf tû\$# zOtf"دèO | س uqys9\$##'حcqofژ
fم\t'iحtA &u' br/ژy7
9\$# tA\$s% (#qà)`?#\$ ،،yJ\$! دن iBد` tB z\$! ح%Zoy م=t\$Y\$
NçGYà2 (خ!\$# b
à2ù`R @و &çR brحچf%و%ك%os\$٩q#) انتب B÷s-B÷Zدtûü
%os?ur \$sYç/qè=è.uKôB "û[÷\$pk
tRur ٣ô%os% \$uZtF%y%و | 1 tbq &zNn=÷ètRur br
%tA\$s انتب O±9\$#"gخ%وB tûü`z وn=t\$uh
&Rr"حu' A/g⁻=9\$# !\$sYكû\$# zNtf tB ؤO كدم | س Oثد
iBد` tB z\$! ح%Zoy م\$Yn=t\$
rX{ "٩sY\$ دثم%os? \$sYs9 #Y٣nbqم 9\$#،،yJ\$! دن
iBdur y7Zوur Zptf#uوz#u½حچ\$tr
%tA\$s انتب #9\$-خ%yz tûü مزچ ur&ur | MRr#\$'-م%osY\$
Bم\t'iح٩nyg\$ (خoTد' #!\$ه

لأن الترخيم(١) لا يكون إلا في المضموم. فإن قلت: كيف قالوا: { هل يستطيع ربك } بعد إيمانهم وإخلاصهم؟ قلت: ما وصفهم الله بالإيمان والإخلاص، وإنما حكى ادعاءهم لهم، ثم أتبعه قوله: { إذا قالوا } (الممتحنة: ٤) فإذا إن دعواهم كانت باطلة، وإنهم كانوا شاكين، وقوله: (هل يستطيع ربك) كلام لا يرد مثله عن مؤمنين معظمين لربهم، وكذلك قول عيسى عليه السلام لهم معناه: اتقوا الله ولا تشكوا في اقتداره واستطاعته، ولا تقترحوا عليه، ولا تتحكموا ما تشتهون من الآيات فتهلكوا إذا عصيتموه بعدها { إن

كنتم مؤمنين { إن كانت دعواكم للإيمان صحيحة. وقرىء: "هل تستطيع ربك"، أي هل تستطيع

سؤال ربك، والمعنى: هل تسأله ذلك من غير صارف يصرفك عن سؤاله. والمائدة: الخوان إذا كان عليه الطعام، وهي من (مادة) إذا أعطاه ورفده كأنها تميد من تقدم إليه { ونكون عليها من الشاهدين { نشهد عليها عند الذين لم يحضروها من بني إسرائيل، أو نكون من الشاهدين لله بالوحدانية ولك بالنبوة، عاكفين عليها، على أن عليها في موضع الحال، وكانت دعواهم لإرادة ما ذكروا كدعواهم الإيمان والإخلاص. وإنما سأل عيسى وأجيب ليلزموا الحجة بكمالها ويرسل عليهم العذاب إذا خالفوا. وقرىء: "ويعلم"، بالياء على

البناء للمفعول. "وتعلم". "وتكون"، بالتاء. والضمير للقلوب { اللهم { أصله يا الله. فحذف حرف النداء، وعوضت منه الميم. و { ربنا { نداء ثان { تكون لنا عيداً { أي يكون يوم نزولها عيداً (٢).

(١) قوله: لأن الترخيم لا يكن إلا في المضموم وذلك أن المفتوح مع ما بعده بمنزلة الاسم الواحد كالمركب فلا يرحم لأنه لو رحم آخر الأول لكان الحذف من وسط الاسم وهو غير شائع.

(٢) قوله: أي يكون يوم نزولها عبداً و على هذا فتأنيث الفعل باعتبار تأنيث المدة التي هي مضاف إليها وعلى تقدير أن العبد السرور يعود الضمير إلى المائدة من غير احتياج إلى ذكر المضاف.. قال أبو التقي: يجوز أن يكون لتأخير كان ويكون عبداً حالاً من الضمير في الظرف أو حالاً من الضمير في كان على قول من يقول أنها عامل في الحال. (٤١٨/٣)

قيل: هو يوم الأحد. ومن ثم اتخذته النصراني عبداً، وقيل: العيد السرور العائد، ولذلك يقال: يوم عيد. فكأن معناه: تكون لنا سرورا وفرحاً، وقرأ عبد الله: "تكون"، على جواب الأمر. ونظيرهما. يرثني، ويرثني { لأولنا وآخرنا { بدل من لنا بتكرير العامل، أي لمن في زماننا من أهل ديننا، ولمن يأتي بعدها. وقيل: يأكل منها آخر الناس كما يأكل أولهم: ويجوز للمتقدمين منا والأتباع. وفي قراءة زيد: "لأولنا وآخرنا"، والتأنيث بمعنى الأمة والجماعة { عذاباً { بمعنى تعذيباً (١). والضمير في (لا أعذبه) للمصدر، ولو أريد بالعذاب ما يعذب به، لم يكن بد من الباء. وروي أن عيسى عليه السلام لما أراد الدعاء لبس صوفاً، ثم قال: اللهم أنزل علينا، فنزلت سفرة حمراء بين غمامتين:

غمامة فوقها وأخرى تحتها، وهم ينظرون إليها حتى سقطت بين أيديهم، فبكى عيسى عليه السلام وقال: اللهم اجعلني من الشاكرين، اللهم اجعلها رحمة ولا تجعلها مثلة (٢) وعقوبة، وقال لهم: ليقم أحسنكم عملا يكشف عنها ويذكر اسم الله عليها ويأكل منها.

فقال شمعون رأس الحواريين: أنت أولى بذلك، فقام عيسى وتوضأ وصلى وبكى، ثم كشف المنديل وقال: بسم الله خير الرازقين، فإذا سمكة مشوية بلا فلس ولا شوك تسيل دسما.

(١) قوله عذابا بمعنى تعذيبا . قال أبو التقي : العذاب اسم المصدر الذي هو التعذيب كالسلام بمعنى التسليم فيقع موقعه ويجوز أن يكون مفعولا به على السعة والضمير في لا أعذبه للمصدر أي للمصدر المؤكد كالضمير في نحو ظننته زيدا منطلقا فإن قلت لا أعذبه صفة لعذاب وعلى هذا لا راجع من الصفة إلى الموصوف. قلت: لما وقع الضمير موقع المصدر والمصدر جنس عام وعذابا نكرة كان الأول داخلا في الثاني كما في نحو زيد نعم الرجل. (٢) قوله: لا يجعلها مثله وعقوبة أراد بالمثلة العقوبة الغريبة . (٤١٩/٣)

وعند رأسها ملح، وعند ذنبها خل، وحولها من ألوان البقول ما خلا الكراث، وإذا خمسة أرغفة على واحد منها زيتون، وعلى الثاني عسل، وعلى الثالث سمن، وعلى الرابع جبن، وعلى الخامس قديد. فقال شمعون: يا روح الله، أمن طعام الدنيا أم من طعام الآخرة؟ فقال: ليس منهما، ولكنه شيء اخترعه الله بالقدرة العالية، كلوا ما سألتهم واشكروا الله ويزدكم من فضله: فقال الحواريون: يا روح الله، لو أريتنا من هذه الآية آية أخرى، فقال: يا سمكة أحبي ياذن الله، فاضطربت. ثم قال لها: عودي كما كنت، فعادت مشوية. ثم طارت المائدة، ثم عصوا بعدها فمسحوا قردة وخنزير. وروي أنهم لما سمعوا بالشرطة وهي قوله تعالى: { فمن يكفر بعد منكم فإني أعذبه } قالوا: لا نريد فلم تنزل. وعن الحسن: والله ما نزلت، ولو نزلت لكان عيدا إلى يوم القيامة، لقوله: (وآخرنا). والصحيح أنها نزلت (١).

œur tA\$s% #!ه س | MRr"èدO | zNtf tB | u&tf tû\$#
#BafندTrd' ٩=Z" \$"ؤ %Mù=è |
tA\$s% #! "حB`B brك" s9"û÷üygb ur&hGé'z
&br÷ >ح' tf³bnq tB\$ TMكys6"y7sY

çmçFù=è%¼ .ànMZ (خb /خd,ys@ >ح' s9ث{ tB\$ &tAqè%or
؟Nn=÷èsم t=دô%os)sù¼ çmtGôJ
tB\$ &rOn=ôق tR IwurلO سٲا û خ' tB\$ &R y7Rل،û y7خ
\$٩منqم t="Nم &MRr |
انتدب

(١) قوله: والصحيح أنها نزلت أي المائدة لقوله : { إني منزلها عليكم } وللحديث.
(٤٢٠/٣)

سبحانك { من أن يكون لك شريك { ما يكون لي { ما ينبغي لي { أن أقول { قولاً لا يحق
لي أن أقوله { في نفسي { في قلبي: والمعنى: تعلم معلومي ولا أعلم معلومك، ولكنه سلك
بالكلام طريق المشاكلة(١) وهو من فصيح الكلام وبينه، فقليل: { في نفسك { لقوله في
نفسى { إنك أنت علام الغيوب { (٢) تقرير للجملتين معاً، لأن ما انطوت عليه النفوس من
جملة الغيوب، ولأن ما يعلمه علام الغيوب لا ينتهي إليه علم أحد.
&br tB\$! سة s_گ&sDr ٤¼mد3خ/ ب
'n1us' # \$!© # \$ç6ô%ooكr#)
N.ون'ur àMZ/٣نN ur N.ن=تkزخ ky%Y# N àMB"ك B كزذ ù
\$£Jn=sù سة Gت MY© | MY©qs? .ùu
&MRr | &MRr | =د%چ ٩\$ # N كزخ t'ن? ur&MRr | ن.ن
&نس"x "ooٲا ky خ انتدب b خ)
N Nö5هXjyèè? k®Xك*خ sùك6\$تم b خ) ur جدل Nك? s9g
oyè9\$#حf"â &sù | MRr*خy7R
قOث٣:utù\$# اترب
)

(١) قوله: سلك بالكلام طريق المشاكلة أراد أنه إنما قال { ولا أعلم ما في نفسك {
ليشاكل قوله { تعلم ما في نفسي { ولولا قوله { تعلم ما في نفسي { لم يجز ذلك .
(٢) قوله: { إنك أنت علام الغيوب { تقرير للجملتين معاً قليل هو تقرير للجملتين
باعتبار مفهومه ومنطوقه، وقليل دل تصدير الجملة وتوسيطه الفصل والجمع المعروف باللام
أن شيئاً من الغيب لا يعزب عن علمه البتة.

أن) في قوله { أن اعبدوا الله } إن جعلتها مفسرة لم يكن لها بد من مفسر. والمفسر إما فعل القول وإما فعل الأمر، وكلاهما لا وجه له. أما فعل القول فيحكي بعده الكلام من غير أن يتوسط بينهما حرف التفسير، لا تقول: ما قلت لهم إلا أن اعبدوا الله.

ولكن: ما قلت لهم إلا اعبدوا الله. وأما فعل الأمر، فمسند إلى ضمير الله عز وجل. فلو فسرته باعبدوا الله ربي وربكم لم يستقم؛ لأن الله تعالى لا يقول: اعبدوا الله ربي وربكم، وإن جعلتها موصولة (١) بالفعل لم تخل من أن تكون بدلا من ما أمرتني به، أو من الهاء في به، وكلاهما غير مستقيم: لأن البدل هو الذي يقوم مقام المبدل منه. ولا يقال (٢):

(١) قوله: وإن جعلتها موصولة بالفعل لم يخل إلى آخره. قال صاحب الفرائد: قوله لم يخل من أن يكون بدلا مما أمرتني به أو من الهاء مختل لأن الوجه أن يقال جعلتها موصولة بالفعل لم يخل من أن يكون بدلا أو عطف بيان فإن كانت بدلا لم يخل من أن يكون بدلا مما أمرتني به أو من الهاء وكذا إن كانت عطف بيان للهاء. ثم أقول: تأويل القول لا منه إذا كان في التقسيم قسم يصح وهو أن يكون عطف بيان لأن التأويل عند الضرورة وفائدة التقسيم ثبوت الضرورة ليثبت جواز التأويل. وأنا أقول: لما قال المصنف بعد التقسيم والتأويل ويجوز أن يكون عطف بيان علم أن هذا التقسيم والتأويل إنما هو على تقدير أن لا يكون عطف بيان وحينئذ فلا خلل فيما قاله المصنف ولا اعتراض عليه. وقيل قوله هو الذي يقوم مقام المبدل منه غير سديد لأنه قال في المفصل لا يجب ذلك لأنك تقول في زيد رأيت غلامه رجلا صالحا أن رجلا صالحا بدل من غلامه مع أنه لا يقوم مقام المبدل منه. سلمنا ذلك ولكن لم لا يجوز أن يكون بدلا من { ما أمرتني به } ويصح أن يقوم مقامه.

(٢) قوله: لا يقال ما قلت إلا أن اعبدوا معنى ما قلت لهم إلا عبادته لأن العبادة لا تقال.. قلنا لا يسلم ذلك ويمكن أن يقال معناه ما قلت إلا عبادته أي الزموا عبادته ويمكن هو المراد من ما أمرتني به ويكون الجملة وهي الزموا عبادته بدلا من ما أمرتني به من حيث أنها في حكم المفرد لأنها مفعولة، و { وما أمرتني به } مفرد لفظا وجملة

معنى. قيل: ويجوز أن يكون اعبدوا الله خبر مبتدأ محذوف أو مفعول مضمّر أي هو أو أعني. وقيل: في قوله لم يستقم لأن الله لا يقول اعبدوا الله ربي وربكم نظر لم لا

يجوز أنه عليه السلام نقل معنى كلام الله بهذه العبارة كأنه قيل ما قلت لهم شيئا سوى قولك لي قل لهم أن اعبدوا الله كما سبق مثله في قوله تعالى : { قل للذين كفروا ستغلبون وتحشرون } بالياء وقد نص الزجاج أن ان اعبدوا الله يجوز أن تكون في موضع خفض على البدل من الهاء وأن موصولة باعبدوا الله ومعناه إلا ما أمرتني به أن تعبدوا الله ، ويجوز أن يكون موضعها نصبا على البدل من ما المعنى ما قلت لهم شيئا إلا أن اعبدوا الله أي ما ذكرت لهم إلا عبادة الله ، وهذا قريب من قول المصنف ما أمرتهم إلا بما أمرتني به لأنه وضع أيضا ذكرت موضع القول . قال المصنف كان الأصل ما أمرتهم إلا بما أمرتني به فوضع القول موضع الأمر نزولا على قصبة الأدب الحسن لئلا يجعل نفسه مع أمرين ودل على الأصل بإقحام أن المفسرة .

(٤٢٢/٣)

ما قلت لهم إلا أن اعبدوا الله، بمعنى ما قلت لهم إلا عبادته؛ لأن العبادة لا تقال . وكذلك إذا جعلته بدلا من الهاء لأنك لو أقمت (أن اعبدوا الله) مقام الهاء، فقلت: إلا ما أمرتني بأن اعبدوا الله، لم يصح، لبقاء الموصول بغير راجع إليه من صلته. فإن قلت: فكيف يصنع؟ قلت: يحمل فعل القول على معناه؛ لأن معنى (ما قلت لهم إلا ما أمرتني به). ما أمرتهم إلا بما أمرتني به، حتى يستقيم تفسيره بأن اعبدوا الله ربي وربكم. ويجوز أن تكون (أن) موصولة (١)

(١) قوله: ويجوز أن تكون أن موصولة عطف بيان للهاء . الانتصاف : أراد بعطف البيان السلامة من طرح الأول وخلوا الصلة من عائد ولم يفصل في المفصل بين عطف البيان والبدل إلا في مثل قوله:

أنا ابن التارك البكري بشر

وفي أن المعتمد في عطف البيان الأول والثاني موضح وفي البدل الثاني والأول

(٤٢٣/٣)

عطف بيان للهاء لا بدلا { وكنت عليهم شهيدا } رقيقا كالشاهد على المشهود عليه، أمنعهم من أن يقولوا ذلك ويتدينوا به { فلما توفيتني كنت أنت الرقيب عليهم } تمنعهم من القول به بما نصبت لهم من الأدلة، وأنزلت عليهم من البينات، وأرسلت إليهم من الرسل { إن تعذبهم فإنهم عبادك } الذين عرفتهم عاصين جاحدين لآياتك مكذبين لأنبيائك

{ وإن تغفر لهم فإنك أنت العزيز { القوي القادر على الثواب والعقاب { الحكيم { الذي لا يثيب ولا يعاقب إلا عن حكمة وصواب. فإن قلت: المغفرة لا تكون للكفار فكيف قال: (وإن تغفر لهم)؟ قلت: ما قال إنك تغفر لهم، ولكنه بنى الكلام على: إن غفرت، فقال: إن عذبتهم عدلت، لأنهم أحقاء بالعذاب، وإن غفرت لهم مع كفرهم لم تعدم في المغفرة وجه حكمة لأن المغفرة (١) حسنة لكل مجرم في المعقول، بل متى كان الجرم أعظم جرماً كان العفو عنه أحسن.

(١) قوله: لأن المغفرة حسنة لكل محرم في العقول. قال صاحب الانتصاف: إنه لم يوافق أهل السنة فإنهم يجوزون العفو عن الكافر عقلاً لكن السمع منع منه ولا المعتزلة إذ معتقدتهم امتناعها عقلاً. أقول ما قاله صاحب الانتصاف فاسد من وجهين: أحدهما: أن مذهب جمهور المعتزلة جواز غفران الشرك عقلاً قالوا لأن العقاب حق لله وليس إسقاطه مضرة على الله ولا على غيره ولم يشتمل على وجه من وجوه القبح فوجب أن يكون حسناً. بلى قد دل الدليل السمعي وهو الإجماع وآيات الوعيد أنه لا يقع فكيف يقول إن معتقد المعتزلة امتناعها على الله عقلاً لمناقضتها الحكمة مع أنه ليس بمعتقدهم ومع أنها ليست مناقضة للحكمة. وثانيهما أنا لو سلمنا أن معتقدتهم ذلك ولكن المصنف لما صرح بجواز المغفرة عقلاً يكون موافقاً لأهل السنة المجوزين للمغفرة عقلاً، وكيف أنه لم يوافق أهل السنة.

(٤٢٤/٣)

#\$٩٤٢"%٥٥%د%Ztf tûü_xكى Pqtfم yd"x# # \$!٥ %٥tA\$s
Bد` grBحج"Yy`"Nçlm; xM ١د%٥٥gè%٥ôكN
FtrBdyg\$ مج"tûi{ \$RF÷dygح" \$pk"!\$yzr/٥t%Y# &ù zسإج'
u'urقà#) كم ÷]t٥N # \$!٥
àyè9\$#لدM # \$٩٤qxم-sCE`٩dy7 çm÷Zt
قرىء: "هذا يوم ينفع" بالرفع والإضافة. وبالنصب إما على أنه ظرف (١) لقال: وإما على أن (هذا) مبتدأ، والظرف خبر. ومعناه: هذا الذي ذكرنا من كلام عيسى واقع يوم ينفع. ولا يجوز أن يكون (٢) فتحة، كقوله تعالى: { يوم لا تملك { (الانفطار: ٩) لأنه مضاف إلى متمكن.

(١) قوله: وبالنصب إما على أنه ظرف لقال . قال أبو التقا : أي قال الله هذا القول في يوم ينفع الصادقين صدقهم ، فالقول هو { يا عيسى بن مريم ءانت قلت للناس { وجاء على لفظ الماضي على نحو { ونادى أصحاب الجنة { وليس ما بعده . قال على الحكاية في هذا الوجه كما في الوجه الآخر.

(٢) قوله: لا يجوز أن يكون كقوله تعالى : { يوم لا تملك نفس { أراد أن قوله { يوم ينفع { لا يجوز أن يكون مبيناً لإضافته إلى متمكن وهو الفعل المضارع بخلاف { يوم لا تملك { فإنه مبني لإضافته إلى لا مع الفعل ولا غير ممكن هذا ويحتمل أن يكون { يوم لا تملك { بدلاً من يوم الذي قبله فيكون معرباً .
(٤٢٥/٣)

وقرأ الأعمش: "يوم ينفع" بالتثنية، كقوله تعالى: { واتقوا يوماً لا تجري نفس { (البقرة: ٤٨) فإن قلت: ما معنى قوله: ينفع الصادقين صدقهم؟ إن أريد صدقهم في الآخرة فليست الآخرة بدار عمل، وإن أريد صدقهم في الدنيا فليس بمطابق (١) لما ورد فيه؛ لأنه في معنى الشهادة لعيسى عليه السلام بالصدق فيما يجب به يوم القيامة؟ قلت: معناه الصدق المستمر بالصادقين في دنياهم وآخرتهم. وعن قتادة: متكلمان تكما يوم القيامة. أما إبليس فقال: إن الله وعدكم وعد الحق، فصدق يومئذ وكان قبل ذلك كاذباً، فلم ينفعه صدقه. وأما عيسى عليه السلام فكان صادقاً في الحياة وبعد الممات فنفعه صدقه.
! 7ùàBm "N`uq#،yJ"9\$#ع'ur \$tBur'F{ \$خكزد ù uqèdur
4'n?tمب@ن. &نس"x٧ چف%s%
اتثب {

)

(١) قوله: فليس بمطابق لما ورد فيه لأن قوله: { يوم ينفع الصادقين صدقهم { في شأن شهادة الله تعالى بصدق عيسى عليه السلام فما يجب به الله تعالى يوم القيامة وهو قوله { سبحانه { الآية فالجواب المطابق أن يقول صدقت فيما أجيب به وهذا لا يكون في الدنيا فكيف قال ينفع الصادقين صدقهم ولم يقل صدقت لتطابق مقتضى الظاهر وأجاب بأن عيسى عليه السلام لما مهد عذره وتبرأ عما نسب إليه وبرأه الله تعالى ذلك التنزيه قابله الله تعالى بالشهادة له بالصدق بما هو أبلغ من صدقت حيث عم المكلفين كلهم وعم أوقاتهم المختصة بالصدق كلها ليدخل عيسى عليه السلام في ذلك دخولا أولاً وما رواه

المصنف عن قتادة موافق لما أجاب به المصنف .
(٤٢٦/٣)

قإن قلت: في السماوات والأرض العقلاء وغيرهم، فهلا غلب العقلاء، فقليل: ومن فيهن؟
قلت: (ما) يتناول الأجناس كلها تناولا عاما. ألا تراك تقول إذا رأيت شبحا من بعيد:
ما هو؟ قبل أن تعرف أعقل هو أم غيره، فكان أولى بإرادة العموم (١).
عن رسول الله : (٣٧٠) "من قرأ سورة المائدة أعطى من الأجر عشر حسنات ومحي عنه
عشر
سيئات ورفع له عشر درجات بعدد كل يهودي ونصراني يتنفس في الدنيا".
أحسبهم ذلك ولو كان آباؤهم { لا يعلمون شيئا ولا يهتدون } والمعنى أن الاقتداء إنما
يصح بالعالم المهتدي، وإنما يعرف اهتداؤه بالحجة (٢).

(١) قوله: فكان أولى بإرادة العموم وذلك لأن المقام مقام إظهار العظمة والاقتدار
وأنه لا يخرج عن ملكوته شيء من الأشياء فهو مستغن عن الصاحبة والولد غير مجانس لشيء
من الأشياء.

(٢)

قوله: ولو كان ذا قربا مع قوله { لا نشترى به ثمنا قليلا } تتميما ومبالغة يعني إذا
لم يحلف لذي القربى فبالطريق الأولى ألا يحلف للغير أبدا ، وهذا إنما يستقيم إذا
أريد تحليف الشاهدين دون الوصيين.
(٤٢٧/٣)

سورة الأنعام (١)

بسم الله الرحمن الرحيم
}

ك%òJutù#\$:ô الله الذي خلق دq"uN"yJ،#\$9 والأرض وجعل الظلمات والنور ثم
الذين

كفروا Nكh5uخ/ يعدلون اتب
}

(١) سورة الأنعام

بسم الله الرحمن الرحيم

قال المصنف كتبت هذه السورة بالطائف عند قبر ابن عباس رضي الله عنه . قوله : كإنشاء شيء من شيء أو تصيير شيء شئنا أو نقله من مكان إلى مكان . قيل هو لف وما بعده نشر . (١/٤)

جعل { يتعدى إلى مفعول واحد إذا كان بمعنى أحدث وأنشأ، كقوله: { وجعل الظلمات والنور } وإلى مفعولين إذا كان بمعنى صير كقوله: { وجعلوا الملائكة الذين هم عباد الرحمان إناثا } (الزخرف: ١٩) والفرق بين الخلق والجعل: أن الخلق فيه معنى التقدير، وفي الجعل معنى التضمين، كإنشاء شيء من شيء أو تصيير شيء شئنا، أو نقله من مكان إلى مكان، ومن ذلك { وجعل منها زوجها } (١) (الأعراف: ١٨٩) { وجعل الظلمات والنور } ؛ لأن الظلمات من الأجرام المتكاثفة والنور من النار { ثم جعلناكم أزواجا } (فاطر: ١١) { أجعل الآلهة إلها واحدا } (ص: ٥). فإن قلت: لم أفرد النور؟ قلت: للقصد إلى الجنس (٢)،

(١) قوله: وجعل منها زوجها وجعل الظلمات والنور مثالان لأشياء بشيء من شيء لأن حواء من طلع آدم كما أن الظلمات من تكاثف الأجرام. وقوله: وجعلناكم أزواجا مثال لتصيير شيء شئنا لأنه جعل الأفراد أزواجا لما ضم بعضها إلى بعض بعد أفرادها ، وقوله: { أجعل الآلهة إلها واحدا } مثال للنقل ، وذلك أن الكفار كانوا قد حكموا بتعدد الآلهة فلما جاء الرسول وأبطل حكمهم والزمهم الحكم بالتوحيد فصار كأنه نقل الحكم من التعدد إلى الوحدة وهذا الفعل مجاز ولو أريد التمثيل بالحقيقة ل قيل جعل الماء في الكوز أي نقله من النهر إليه وإنما سمي المثال في القسم الأول فقط للتنبيه على أن قوله { وجعل الظلمات والنور } من هذا القسم وأنه المقصود في الإيراد.

(٢) قوله: للقصد إلى الجنس أي إلى ما يعرفه كل أحد أن النور ما هو وهو الكيفية الفائضة من الأجرام الكثيفة المحاذية لهما وهو إن كان مفردا في اللفظ لكنه متكرر بحسب حصوله في مطارحة كالظلمات .. (٢/٤)

كقوله تعالى: { والملك على أرجائها } (الحاقة: ١٧) أو لأن الظلمات كثيرة (١)، لأنه

ما من جنس من أجناس الأجرام إلا وله ظل، وظله هو الظلمة، بخلاف النور فإنه من جنس واحد وهو النار. فإن قلت: علام عطف قوله: { ثم الذين كفروا بربهم } (٢)

(١) قوله: أو لأن الظلمات كثيرة يعني جمع للظلمات لكثرة أسبابها والأجرام الحاصلة لها وأفرد النور لأفراد سببه وهو النار كما قال فإنه جنس واحد لكن أسباب النور أيضا متكثرة فإن ال..... والكواكب وغيرها أسباب شتى ولذلك قال صاحب التقريب : والظلمة أكثر أو لكل جرم ظلمه وليس لكل جرم نور بل لكل وقال الرازي : إن النور هاهنا عبارة عن تلك الكيفية الكاملة القوية ثم أنها تقبل السواد قليلا قليلا ولها مراتب كثيرة ولهذا غير عن الظلمات بصيغة الجمع وعن ابن عباس أن الظلمات ظلمة الشرك والنفاق والكفر والنور نور الإسلام ونحوه عن الحسن ورجح غير هذا بأنه حمل الظلمات والنور على حقيقتيهما وبأنهما إذا ذكرا مع السموات لا يفهم منهما غير ذلك ، وأيضا لا يناسب المقام جعل الله الظلمات الشرك والكفر والنفاق وإن حمل على الخذلان .

(٢) قوله: ربهم مظهر أقيم مقام المضمّر للغلبة ومعنى الربوبية على الأول التربية ، وعلى الثاني المالكية والقهر فالحمد على الأول محمول على الشكر وعلى الثاني النداء على الجميل. وقال صاحب الانتصاف: في العطف على قوله خلق السماوات نظر لأن العطف على

أصله (الصلة) يوجب الدخول في حكمها ولو قلت الحمد لله الذي الذين كفروا بربهم يعدلون لم يستقم ويحتمل أن يقال وضع الظاهر موضع المضمّر تفخيما ونظيره { لما أتيتكم من كتاب } فيمن جعلها موصولة أراد أنها إذا جعلت موصولة وكان قوله { ثم جاءكم رسول

مصدق لما معكم } عطف على صلتها ولا بد من راجع فينبغي أ، يجعل ما معكم في موضع الضمير الراجع أي مصدق له .. وقال الطيني : وقلت ليس بذاك لأنه من باب عطف حصول مضمون الجملتين لقوله أنه خلق ما خلق ثم هم يعدلون به يعني حصل من الله خلق السماوات والأرض وجعل الظلمات والنور ليكون أدلة للمكلفين على معرفته وتوحيده وعبادته فحصل منهم عكس ذلك حيث سووا بينه وبين غيره فموقعه الفاء في الظاهر ولكنه جيء بضم الاستبعاد .

(٣/٤)

يعدلون { ؟ قلت: إما على قوله: { الحمد لله } على معنى أن الله حقيق بالحمد على ما خلق لأنه ما خلقه إلا نعمة، ثم الذين كفروا به يعدلون فيكفرون نعمته، وإما على

قوله (١): { خلق السماوات } على معنى أنه خلق ما خلق مما لا يقدر عليه أحد سواه، ثم هم يعدلون به ما لا يقدر على شيء منه. فإن قلت: فما معنى ثم؟ قلت: استبعاد أن يعدلوا به بعد وضوح آيات قدرته، وكذلك { ثم أنتم تمترون } (الأنعام: ٢) استبعاد لأن يمتروا فيه بعد ما ثبت أنه محييهم ومميتهم وباعثهم.

هو الذي خلقكم من طين ثم قضى أجلا وأجل 'B,K- عنده ثم أنتم tbrm? IôJs y

((2
}

(١) قوله: أما على خلق السماوات يعني أن الكفر مجمل على معنى الشرك تارة وعلى كفران النعمة أخرى وبحسب هذين المعنيين يدور معنى يعدلون ، وتعلق الباء فإذا جعل بمعنى الكفران ينبغي أن يعطف على الحمد لله لأن الحمد بار النعمة ولا نعمة أعظم من خلق الممكنات فيعدلون على هذا من العدول والتاء صلة كفروا على حذف المضاف أي كفروا بنعمة ربهم ، وإليه الإشارة بقوله { ثم الذين كفروا به } أي بالله يعدلون عن الحق فيكفرون نعمته، وفي قوله : على معنى أن الله حقيق بالحمد بيان ترتب الحكم على الوصف . قال المصنف : ترك ذكر المعدول أي ترك متعلق يعدلون على هذا ليقع الإنكار على نفس الفعل الذي هو العدول وأنه مما ينبغي ألا يخطر ببال ، وينبغي أن يجعل الفعل هاهنا كأنه غير متعد فلا يضمّر له مفعول به البتة وإذا جعل معنى الفعل الشرك يجب أن يعطف على خلق السماوات لأن كفرهم بتسويتهم الأصنام بخالق السماوات والأرض فيعدلون على هذا من العدل بمعنى التسوية بمعنى يسوون ليستقيم معنى الشرك والباء متعلق به وإليه الإشارة بقوله خلق ما خلق إلى آخره وعلى الوجهين (٤/٤)

ثم قضى أجلا { أجل الموت } وأجل مسمى عنده { أجل القيامة، وقيل الأجل الأول ما بين أن يخلق إلى أن يموت، والثاني ما بين الموت والبعث وهو البرزخ، وقيل الأول النوم، والثاني الموت. فإن قلت: المبتدأ النكرة إذا كان خبره ظرفا وجب تأخيرها، فلم جاز تقديمه في قوله { وأجل مسمى عنده } ؟ قلت: لأنه تخصص بالصفة فقارب المعرفة، كقوله: { ولعبد مؤمن خير من مشرك } (البقرة: ٢٢١) فإن قلت: الكلام (١)

(١) قوله: الكلام السائر أن يقال :عندي ثوب جيد أراد بالكلام السائر استعمال

الفصحاء فإنهم يقدمون وأن كان مخصصا لا القياس النحوي لأنهم إنما يوجبون تقديم الظرف إذا لم يكن المبتدأ مخصصا وإنما خولف استعمال الفصحاء إلى القياس النحوي هنا للدلالة على الاهتمام بشأنه والاعتناء بذكره فيحمل التكرير (التنكير) فيه على التعظيم ويقال تقديره وأي أجل مسمى عنده ليؤذن بالفرق بين الأجلين ومن ثم أتم معنى التعظيم بقوله عنده وحسن لذلك أن يوقف على أجلا أعني ليفصل بين الأجلين فيقول المصنف وأي أجل عنده بيان لمعنى التنكير والتهويل في لأن الكلام متضمن لمعنى الاستفهام فلما تحقق أن المراد ها هنا تعظيم الأجل الثاني للفرق بينه وبين الأول وما يعظم يهتم بشأنه فيجب تقديمه وهو المراد بقوله والأخرى فيه هذا المعنى وجب التقديم . وقال صاحب الانتصاف: التعظيم لا يوجب التقديم وقد ورد عنده على الساعة والمراد تعظيمها . وقال صاحب الإنصاف : ولو مثل بقوله : { ولدنا كتاب ينطق بالحق }

لكان أحسن لأنه نكرة موصوفة ،وعلم الساعة معرفة ..وقال الطيني: وقلت أما تنظير صاحب الإنصاف فبعيد المرمى لفظا ومعنى أما لفظا فلما ذكر من كونه معرفة وأما المعنى فلأن ذلك المقام مقام الاختصاص والحصص لا التعظيم أي عنده علم الساعة لا عند غيره لقرينة قرائنها ونحوه { لكم دينكم ولي دين } وأما التنظير الآخر فإنه وارد على الكلام السائر أي على قانون استعمال الفصحاء ولا موجب لإزالته عن مقرة إذ موجب التقديم في تلك الآية ليس هو التعظيم فقط بل التعظيم مع الفرق بين الأجلين ولم يقصد في هذه الآية الفرق بين الكتاب وغيره يعلم ذلك ما سبقه من الآية . قال القاضي : والاستئناف لتعظيمه ولذلك نكر ووصف بأنه مسمى أي مثبت معين لا بدل التغير وأخبر عنه بأنه عند الله ولا مدخل لغيره فيه يعلم ولا قدرة وقدم لأنه المقصود .

(٥/٤)

السائر أن يقال: عندي ثوب جيد ولي عبد كيس وما أشبه ذلك فما أوجب التقديم؟ قلت: أوجبه أن المعنى: وأي أجل مسمى عنده تعظيما لشأن الساعة، فلما جرى فيه هذا المعنى وجب التقديم.

uqèdur الله في 9\$#،،yJ"N"uq وفي الأرض يعلم سرهم N.ن.ج u.ôgy_ur ويعلم ما تكسيون اجب

}

(٦/٤)

(١) قوله: في السماوات متعلق بمعنى اسم الله . قال الزجاج: لو قلت هو زيد في المدينة لم يجز إلا أن يكون في الكلام دليل على أن زيدا يدبر أمر المدينة. وقال أبو علي: ولا يجوز تعلقه باسم الله لأنه صار بدخول الألف واللام والتغيير الذي دخله كالعلم ولهذا قال { هل تعلم له سميا } فالمصنف اختار مذهب الزجاج وزاد عليه في الاعتبار ، وتأويله بوجوه أحدها جعل اسم الله مشتقا من أله يأله إذا عبد فالإله فعال في معنى المفعول أي المأوله وهو المعبود ثم تصرف فيه فصار الله وثانيها جعل معنى شهر به عاملا في الظرف كما تقول هو حاتم في طي على تضمينه معنى العود (الجود)

الذي اشتهر به هكذا قال الطيني : والأولى أن يقال على تضمينه مع المشهور بالجود ليوافق قول المصنف المعروف بالإلهية . قال صاحب الفرائد يمكن أن يقال في السماوات حال مؤكدة أي وهو الله معروفا في السماوات كقولك هو زيد معروفا في العالم . وثالثها أن يكون ردا على المشركين في إثبات إله غيره . قال الزجاج : المعنى هو المنفرد بالتدبير في السماوات والأرض خلافا للقاتل المخذول بأن المدبر فيهما غيره ، وإليه الإشارة بقوله المتوحد بالإلهية . ورابعها أن يكون مأخوذا من قوله : { هل تعلم له سميا } وهو الذي يقال له الله فيها وهو اختيار أبي علي . وخامسها : ألا يكون في السماوات معلقا بالاسم وذلك بأن يكون خبرا بعد خبر وهو المراد من قوله أنه الله ، وأنه في السماوات . أما قوله أن يكون الله في السماوات خبرا بعد خبر فمعناه أنهما خبران متعاقبان لأن قوله في السماوات وحده خبر لا كليهما . قال صاحب الفرائد : إذا كان خبرا بعد خبر كان معناه أنه عالم بما فيها كقوله تعالى { وهو معكم أينما كنتم } أي بالعلم والقدرة فإذا جاز هذا فأبي ضرورة فيما ذكر من التقدير البعيد أي كان ذاته فيها .. قال الطيني: قلت: الضرورة بيان فائدة العدول عن إثبات العلم إلى هذه العبارة والإشعار بأنها من باب الكناية وإن علمه الكامل شامل لما ظهر منها وما بطن ومن ثم قيل قوله : { يعلم سركم } الآية بيانا وأيضا جاء لهذه الجملة وعلى هذا قوله تعالى { وهو معكم أينما كنتم } .

بمعنى اسم الله كأنه قيل وهو المعبود فيها ومنه قوله { وهو الذي في السماء إله وفي الأرض إله } (الزخرف: ٨٤) أو وهو المعروف بالإلهية أو المتوحد بالإلهية فيها أو

وهو الذي يقال له - - فيها لا يشرك به في هذا الاسم، ويجوز أن يكون الله { إنه في السموات { خبر بعد خبر على معنى أنه الله وأنه في السماوات والأرض بمعنى أنه

عالم بما فيهما، لا يخفى عليه منه شيء كأن ذاته فيهما، فإن قلت: كيف موقع قوله { يعلم سرهم وجهركم { قلت: إن أردت التوحد بالإلهية كان تقريراً له؛ لأن الذي استوى في علمه السر والعلانية هو الله وحده وكذلك إذا جعلت في السماوات خبراً بعد خبر، وإلا فهو كلام مبتدأ (١) بمعنى هو يعلم سرهم وجهركم أو خبر ثالث { ويعلم ما تكسبون { من الخير والشر ويشيب عليه ويعاقب.

وما تأتاهم من آية من آيات Nخh5uk' إلا كانوا عنها معرضين (٤) فقد كذبوا بالحق لما جاءهم فسوف Nخkژڈ؟ù'tf أنباء ما كانوا به brâنح÷"o,kyJ" اخب }

(١) قوله: وإلا فهو كلام مبتدأ أي إن لم يرد بقوله وهو الله في السماوات المتوحد بالإلهية فيها ولا أنه الله وأنه عالم بما فيها فهو كلام مبتدأ مستأنفا لأنه على التقديرين تأكيد وتقرير لمعناهما كما قرره ، أما إذا أريد هو المعبود أو المعروف أو الذي يقال له الله فيها فهو على هذه الوجوه استئناف لأنه لما قيل هو المعبود اتجه لسائل أن يقول ما شأنه معنا إذا عبدنا ؟. فقيل يعلم سرهم وجهركم فيكافئكم بأفعالكم ، وكذا لما قيل هو المعروف أو هو الذي يقال له الله . لسائل أن يقول ماذا عرف فيها وما وصفه فيها ؟. فقيل : عرف بأنه يعلم كل شيء ويوصف بذلك ، هذا ويحتمل أن يريد بكون مبتدأ أنه مقطوع عما قبله وعلى هذا لا حاجة إلى تقدير سؤال.

(٨/٤)

من في { من آية { للاستغراق. وفي { من آيات ربهم { للتبعض يعني وما يظهر لهم دليل قط من الأدلة التي يجب فيها النظر والاستدلال والاعتبار إلا كانوا عنه معرضين تاركين للنظر لا يلتفتون إليه ولا يرفعون به رأساً لقلّة خوفهم وتدبرهم للعواقب فقد كذبوا مردود (١) على كلام محذوف كأنه قيل: إن كانوا معرضين عن الآيات فقد كذبوا بما هو أعظم آية وأكبرها وهو الحق { لما جاءهم { يعني القرآن الذي تحدوا به على تبالغهم في الفصاحة فعجزوا عنه { فسوف يأتيهم أنباء { الشيء الذي { كانوا به يستهزئون { وهو

القرآن: أي أخباره وأحواله بمعنى سيعلمون بأي شيء استهزؤا، وسيظهر لهم أنه لم يكن بموضع استهزاء، وذلك عند إرسال العذاب عليهم في الدنيا و يوم القيامة أو عند ظهور

الإسلام وعلو كلمته.

ألم (tf#ru÷#) كم أهلكتنا من O خg=ds% من قرن مكناهم في الأرض ما لم نمكن لكم وأرسلنا

السما N خkž=tñم مدرارا وجعلنا u "RF÷\$y#} " حجBgr من N خJtrBök فأهلكناهم

N خkحRqç/ وأنشأنا من بعدهم R,\$ tñi% s% حج#u#yz ادب

(١) قوله: مردود على كلام محذوف أي شرطا محذوف متعلق به ونحوه:

قعد حيناً

(٩/٤)

مكن له في الأرض جعل له مكانا له فيها، ونحوه أرض له، ومنه قوله، { إنا مكننا له في الأرض { (الكهف: ٨٤) } أو لم نمكن لهم { (القصص: ٥٧) } وأما مكنته في الأرض فأثبتته فيها، ومنه قوله { ولقد مكناهم فيما إن مكناكم فيه { (الأحقاف: ٢٦) } ولتقارب (١) المعنيين جمع بينهما في قوله: { مكناهم في الأرض ما لم نمكن لكم { والمعنى: لم نعط أهل مكة نحو ما أعطينا عادا وثمود وغيرهم من البسطة في الأجسام والسعة في الأموال والاستظهار بأسباب الدنيا والسما المظلة لأن الماء ينزل منها إلى السحاب (٢) أو السحاب أو المطر (٣).

(١) قوله: ولتقارب المعنيين جمع بينهما أراد أنهما وإن اختلفا في اللفظ فهما متقاربان في المعنى فلهذا نزلا منزلة معنى واحد في إعطاء معنى الكناية ويجمعهما كون الموصوف بهما في منعه من الرجال وفي سعة من المال والمنال والحال ، وتحرير هذا أن كونهم ثابتين في الأرض يدل على أنها جعلت مكانا لهم وذلك يدل على كونهم في الاستظهار بأسباب الملك في غاية الكمال ويعضده قوله : { إنا مكننا له في الأرض { فإنه عطف عليه عطفًا تفسيريًا { وآتيناه من كل شيء سببًا { (٢) قوله: لأن الماء ينزل منها إلى السحاب يعني أن المرسل هو السحاب وقد نسب إلى السماء لأنه ينزل منها إليه.

)

٣) قوله: أو السحاب أو المطر إطلاق السماء عليهما لأن السماء ما علاك فاطلك ومنه سما البيت سقفه وقد جاء السماء بمعنى المطر قال:

إذا نزل السماء بأرض قوم ... رعيناها وإن كانوا غضابا
(١٠/٤)

والمدرار المغزار. فإن قلت: أي فائدة في ذكره إنشاء قرن آخرين بعدهم (١) قلت: الدلالة على أنه لا يتعاضمه أن يهلك قرنا ويخرب بلاده منهم؟ فإنه قادر على أن ينشئ مكانهم آخرين يعمر بهم بلاده كقوله (٢) تعالى { ولا يخاف عقباها } (الشمس: ١٥). ولو نزلنا عليك كتابا في قرطاس فلمسوه Nخfr÷%oD%ook'خ/ لقال الذين كفروا إن هذا إلا

سحر (7-٧×üüخB) وقالوا لولا Aح"Ré& عليه ملك ولو \$uZ9u&Rr" ملكا لقضي فگDF\$}# ثم

لا ينظرون (٨) ولو جعلناه ملكا 9"çm©Yù=yèyf رجالا وللبسنا عليهم ما يلبسون
ازب
}

(١) قوله: إنشاء قرن آخرين بعدهم . قال الزجاج القرن أهل مدة كان فيها شيء (نبي) أو طبقة من أهل العلم. قلت: السنون أو كثرت يدل عليه قوله صلى الله عليه وآله وسلم (خيركم قرني ثم الذين يلونهم ثم الذين يلونهم) ومعنى تخرب بلاده منهم تخليها منهم ضمن تخرب معنى تخلى فعدها تعديته ومعنى لا يتعاضمه لا يعظم عنده.
(٢) قوله: كقوله { ولا يخاف عقباها } أراد أنه مثله في أنه تقرير الكلام السابق وتتميم لمعنى عدم المبالاة كأنه قيل فأهلكناهم بذنوبهم وما خفنا عاقبة ذلك لأن المتسلط على تخريب الديار إنما يخاف من عقبي الأمر إذا لم يقدر على إنشاء مثل ما خربه إما إذا قدر فلا.

(١١/٤)

كتابا { مكتوبا { في قرطاس { في ورق { فلمسوه بأيديهم { ولم يقتصر بهم على الرؤية (١)، لئلا يقولوا سكرت أبصارنا ولا تبقى لهم علة لقالوا (٢) { إن هذا إلا سحر مبين { تعنتا وعنادا للحق بعد ظهوره { ولقضي الأمر { لقضي أمر هلاكهم { ثم لا

ينظرون { بعد نزوله طرفة عين، إما لأنهم إذا عاينوا الملك قد نزل على رسول الله

)

(١) قوله: ولم يقتصر بهم على الرؤية عطف على محذوف أي قال ذلك ولم يقتصر على التعميم والمبالغة.

(٢) قوله: لقالوا إنما أتى بالضمير ليؤذن أن قوله الذين كفروا في التنزيل وضع للظاهر موضع المضمير للإشعار بالعلية ومعنى { سكرت أبصارنا } عن النظر على المجاز. (١٢/٤)

في صورته وهي آية لا شيء أبين منها (١) وأيقن ثم لا يؤمنون كما قال { ولو أنزلنا إليهم الملائكة وكلمهم الموتى { (الأنعام: ١١١) لم يكن بد من إهلاكهم كما أهلك أصحاب المائدة، وإما لأنه يزول الاختيار الذي هو قاعدة التكليف عند نزول الملائكة، فيجب إهلاكهم. وإما لأنهم إذا شاهدوا ملكا في صورته زهقت أرواحهم من هول ما يشاهدون ومعنى { ثم { بعد ما بين الأمرين: قضاء الأمر، وعدم الإنظار. جعل عدم الإنظار أشد من قضاء الأمر، لأن مفاجأة الشدة أشد من نفس الشدة { ولو جعلناه ملكا { ولو جعلنا الرسول ملكا كما اقترحوا لأنهم كانوا يقولون: لولا أنزل على محمد ملك. وتارة يقولون (٢): { ما هذا إلا بشر مثلكم { (المؤمنون: ٣٣)، { ولو شاء ربنا لأنزل ملائكة { (فصلت: ١٤) { لجعلناه رجلا { لأرسلناه في صورة رجل، كما.

كان ينزل جبريل على رسول الله

في أعم الأحوال في صورة دحية لأنهم لا ييقنون مع رؤية الملائكة في صورهم { وللبسنا عليهم { ولخلطنا عليهم ما يخلطون على أنفسهم حينئذ، فإنهم يقولون: إذا رأوا الملك في صورة إنسان: هذا إنسان وليس بملك، فإن قال لهم: الدليل أنني ملك أنني جئت بالقرآن المعجز، وهو ناطق بأني ملك لا بشر كذبوه كما كذبوا محمدا

،

(١) قوله: وهي أنه لا شيء أبين منها وأيقن لنزول العذاب وذلك باعتبار كونها مقترحة.

(٢) قوله: وتارة يقولون التقدير كانوا يقولون لولا أنزل على محمد ملك وتارة يقولون فحذف لفظ تارة أولا لا لدلالة لفظ ثانيا عليه لأن تارة يقتضي مقارنتها لأخرى فأوجب ذلك أن يجعل الضمير في قوله { ولو جعلناه ملكا { لما يقل له الرسول سواء أرسل إلى

(١) قوله: سؤال تبكيت ،يقال بكنته بالحجة إذا غلبه وبكنته ألزمه ما عني بالجواب عنه.

(٢) قوله:معناه الذين خسروا أنفسهم في علم الله تعالى . قال العلامة الرازي: هذا بدل على أن سيق القضاء بالخسران هو الذي حملهم على الامتناع من الإيمان وذلك عين مذهب أهل السنة . وقال صاحب الفرائد يمكن أن يقال من أضاع رأس المال لم يحصل له الربح ورأس المال هو نفس الحياة والربح الإيمان فإذا أضاعها فيما لا يعنيه فقد أهلكها فلم يحصل له الربح هذا أقرب إلى أصول المعتزلة كما أن قول المصنف عين مذهب أهل السنة . وأقول إذا كان مذهب الأشاعرة هو الجبر وسلب الاختيار عن العبد فكيف يكون ما قاله عين مذهبهم مع قوله لا اختيارهم الكفر ، وأما علم الله بالاختيار فهو تابع للاختيار ولأنه أنزله ، وهذا مبني على أصل في الكلام وهو أن العلم تابع للمعلوم غير مؤثر فيه إذ لو أثر علم الله في اختيارهم للكفر في وقوع الكفر وكان سببا له لكان علم الله بأنه ينزل المطر في الربيع مثلا باختياره مؤثرا في وقوع المطر موجبا له فلا يبقى لله اختيار في وقوع المطر وذلك محال لم يقل به أحد من المسلمين .

(١٦/٤)

* وله ما سكن في الليل والنهار وهو السميع ق Oثد=13 (yè9\$#)

{ وله { عطف على الله { ما سكن في الليل والنهار { من السكنى وتعديه(١) بقي كما في قوله: { وسكنتم في مساكن الذين ظلموا أنفسهم { . { وهو السميع العليم { يسمع كل مسموع ويعلم كل معلوم، فلا يخفي عليه شيء مما يشتمل عليه الملوان.

@%è% أغير الله أتخذ ur٩dw\$ حجدغ sù\$،yJ"N"uqد9\$#، والأرض وهو يطعم ولا يطعم قل

'oTد(خ) أمرت أن أكون أول من أسلم ولا تكونن من المشركين (١٤) قل 'oTد(خ) أخاف إن

عصيت 'n1u' عذاب يوم عظيم (١٥) من يصرف عنه يومئذ فقد رحمه ٩dy7 sœur

الفوز المبين

اتدب

(١) قوله: وتعديه بقي لما جعله من السكنى وهو يتعدى بنفسه كما في سكنت الدار . قال

عداه نفي كما في قوله تعالى: { وسكنتم في مساكن الذين ظلموا } لأن السكون من السكنى يتعدى بفي كما يتعدى بنفسه ومقصود من جعله من السكنى دون السكون التعميم والشمول إذ

لو جعل من السكون المقابل للحركة لفات الشمول الذي عناه بقوله مما يشتمل عليه الملوان واقتضاه عطف له على الله كما قال صاحب التعريب، وإنما أدرجه يعني قوله له ما سكن تحت قوله قل ، ولم يجعله مستأنفا كما هو السابق إلى الفهم ليكون احتجاجا على المشركين إيدانا بأنه له ما استقر في الأمكنه وما استقر في الأزمنه وعليه معنى كلام الزجاج ، وقال القاضي ويجوز أن يكون من السكون أيضا أي وله ما سكن فيهما وتحرك فاكتنفى بأحد الضدين عن الآخر.

(١٧/٤)

أولي { (غير الله) ؟ همزة الاستفهام دون الفعل الذي هو { اتخذ } لأن الإنكار في اتخاذ غير الله وليا، لا في اتخاذ الولي، فكان أولى بالتقديم. ونحوه { أغير الله تأمروني أعبد أيها الجاهلون } (الزمر: ٦٤) { الله أذن لكم } (١) (يونس: ٥٩). وقرئ { فاطر السماوات } بالجر صفة لله، وبالرفع على المدح. وقرأ الزهري: "فطر". وعن ابن عباس رضي الله عنهما: ما عرفت ما فاطر السماوات والأرض، حتى أتاني أعربيان يختصمان في بئر فقال أحدهما: أنا فطرتها أي ابتدعتها { وهو يطعم ولا يطعم } وهو يرزق ولا يرزق، كقوله: { ما أريد منهم من رزق وما أريد أن يطعمون } (الذاريات: ٥٩) والمعنى: أن المنافع كلها من عنده (٢)، ولا يجوز عليه الانتفاع. وقرئ: "ولا يطعم"، بفتح الياء. وروى ابن المأمون عن يعقوب: "وهو يطعم ولا يطعم"، على بناء الأول للمفعول والثاني للفاعل، والضمير لغير الله (٣)،

)

١) قوله: { الله أذن لكم } أراد هنا توهم أن تقديم اسم الله على الفعل كتقديم غير الله على الفعل وليس بذلك إذ المراد أن إبلاء هذا الاسم حرف الإنكار وبناء الخبر عليه دون العكس وإن يقال أذن الله لكم لأنه الأصل في الاستفهام لتقوية حكم إنكار أن الله هو الآذن لا حصول الأذن مطلقا ، ألا ترى كيف استشهد به لقوله إن الإنكار في اتحاد غير الله لا في اتحاد الولي وكيف يتوهم تقديم المفعول والتركيب من باب تراكيب تقوي الحكم فظهر أن المراد بالتقديم في قوله وكان أولى بالتقديم الاهتمام دون

التخصيص.

(٢) قوله: إن المنافع كلها من عنده أراد أن قوله { وهو يطعم ولا يطعم } من إطلاق أعظم الشيء على كله لأن أعظم المنافع عند الحيوان الطعم.

(٣) قوله: والضمير لغير الله أي في قوله وهو يطعم على البناء للمفعول . قيل : وفيه إشكال لأن الأصنام لا توصف بأنها تطعم وليس الكلام مع اليهود والنصارى ليقال المسيح وعزير يطعمان ولا يطعمان .. وأجيب بأن المقصود من قوله وهو يطعم ولا يطعم إذا

..... على سبيل الكناية أنها ترثي ولا ترثي كقوله { لا يخلقون شيئا وهم يخلقون } . وأقول: يمكن أن يجاب بأنه قصد التعميم في الولي المغاير لله بقريئة الشمول والتعميم في قوله { ما سكن في الليل والنهار } ثم قصد تغليب العقلاء على غيرهم فقليل وهو يطعم مع التنبيه على أن أشرف ما في السماوات والأرض إذا لم يصلح لأن يتخذ وليا فالأصنام التي هي جمادات أولى بذلك .

(١٨/٤)

وقرأ الأشهب: "وهو يطعم ولا يطعم"، على بنائهما للفاعل. وفسر بأن معناه: وهو يطعم، ولا يستطيع. وحكى الأزهري: أطعمت، بمعنى استطعمت، ونحوه أفدت. ويجوز أن يكون المعنى: وهو يطعم تارة ولا يطعم أخرى على حسب المصالح، كقولك: وهو يعطي ويمنع، ويبسط، ويقدر، ويغني ويفقر { أول من أسلم } لأن النبي سابق أمته في الإسلام، كقوله { وبذلك أمرت وأنا أول المسلمين } (الأنعام: ١٦٣) وكقول موسى: { سبحانك تبت إليك

وأنا أول المؤمنين } (الأعراف: ١٤٣) { ولا تكونن } وقيل لي لا تكونن { من المشركين } ومعناه: أمرت بالإسلام ونهيت عن الشرك. و { من يصرف عنه } العذاب { يومئذ فقد رحمته } (١) الله الرحمة العظمى وهي النجاة، كقولك: إن أطعمت زيدا من جوعه فقد أحسنت إليه؟ تريد: فقد أتممت الإحسان إليه أو، فقد أدخله الجنة (٢)، لأن من لم يعذب لم يكن له بد من الثواب. وقرئ: "من يصرف عنه" على البناء للفاعل،

(١) قوله: فقد رحمة الرحمة العظمى فسر مطلق الرحمة بالرحمة العظمى لأن الشرط والجزاء إذا اتحدا معنا وكان الجزاء مطلقا دل على عظم شأن الجزاء أصل الكلام من يصرف عنه العذاب يومئذ فقد نجا فوضع موضعه فقد رحمة ، وإليه الإشارة بقوله وهي النجاة ونظيره قوله تعالى { فمن زحزح عن النار وأدخل الجنة فقد فاز } أي فقد حصل له الفوز المطلق المتناول لكل ما يقارنه ، وقوله : { إنك من تدخل النار فقد أخزيته } قال المصنف :

فقد بالغت في اخزائه.

(٢) قوله: أو فقد أدخله الجنة قال في الانتصاف : لو بقيت الرحمة على إطلاقها لما أراد الجزاء على الشرط لأن صرف العذاب رحمة فاحتاج إلى أحد التأويلين فصحة الزمخشري بأن صرف العذاب يستلزم الثواب ولعمري إن قاعدة الاعتزال تلجئه إلى التأويل . وقال الطيني : ونعم ما قال لا تلجئه إلى التأويل سوى اتحاد الشرط والجزاء مع كون الجزاء مطلقا فتارة قيد الرحمة بالعظمة وتارة بالجنة .
(١٩/٤)

والمعنى: من يصرف الله عنه في ذلك اليوم فقد رحمه، بمعنى: من يدفع الله عنه. ويحفظه، وقد علم من المدفوع (١) عنه. وترك ذكر المصروف؛ لكونه معلوما أو مذكورا قبله وهو العذاب. ويجوز أن ينتصب يومئذ يصرف انتصاب المفعول به، أي من يصرف الله عنه ذلك

اليوم: أي هوله، فقد رحمه. وينصر هذه القراءة قراءة أبي رضي الله عنه: من يصرف الله عنه.

وإن يمسسك الله بضر فلا كاشف له إلا هو وإن يمسسك بخير فهو على كل شيء قدير
اتذب
}

وإن يمسسك الله بضر { من مرض أو فقر أو غير ذلك من بلاياه، فلا قادر على كشفه إلا هو { وإن يمسسك بخير { من غنى أو صحة { فهو على كل شيء قدير { فكان قادرا على إدامته (٢) أو إزالته.

وهو القاهر فوق $\frac{3}{4}$ ndت6\$دم وهو م^٣با^٣utù# \$مزج^٧sfùv# \$ا^٧رب
{ فوق عباده { تصوير للقهر والعلو بالغلبة والقدرة، كقوله: { وإنا فوقهم قاهرون {
(الأعراف: ١٢٧) الشيء أعم العام لوقوعه على كل ما يصح أن يعلم ويخبر عنه، فيقع على القديم والجرم والعرض والمحال والمستقيم. ولذلك صح أن يقال في الله عز وجل: شيء لا كالأشياء، كأنك قلت: معلوم لا كسائر المعلومات، ولا يصح: جسم لا كالأجسام.

(١) قوله: وقد علم من المدفوع أراد أنه لم يبين لأنه قد علم أن الذي يدفع عنه العذاب لا يكون إلا مكلفا وكذا ترك ذكر المصروف وهو العذاب للعلم به لأن المقام لا يقتضي غيره.

(٢) قوله : فكان قادرا على إدامته وإزالته أن قوله { فهو على كل شيء
 قدير { مقابلة لقوله { فلا كاشف له إلا هو { وكان من حق الظاهر أن يقال فلا راد
 لفضله كما جاء في قوله تعالى : { وإن يمسسك الله بضر فلا كاشف له إلا هو وإن يردك
 بخير فلا راد لفضله { لكنه جيء به هكذا عاما ليشمل ذلك وغيره وليتصل به قوله { وهو
 القاهر فوق عباده { .
 (٢٠/٤)

قل أي شيء مؤثر شهادة قل الله %٧٠٠ ky سة_تN / ur٣t/ ÷ sY وأوحي
 إلي هذا القرآن
 لأنذركم به ومن بلغ N٣Y ح r& لتشهدون أن مع الله آلهة ٣u ÷ zé& قل لا أشهد
 قل إنما

هو إله س %١٠٠ n ur سة_خR ur ضن "üحج/ مما تشركون اترب
 وأراد: أي شهيد { أكبر شهادة { فوضع شيئا مقام شهيد ليبالغ (١) في التعميم { قل الله
 شهيد بيني وبينكم { يحتمل أن يكون تمام الجواب (٢) عند قوله: { قل الله { بمعنى الله
 أكبر شهادة، ثم ابتدئ { شهيد بيني وبينكم { أي هو شهيد بيني وبينكم، وأن يكون {
 الله شهيد بيني وبينكم { هو الجواب، لدلالته على أن الله عز وجل إذا كان هو الشهيد
 بينه وبينهم، فأكثر شيء شهادة شهيد له { ومن بلغ { عطف على ضمير المخاطبين من أهل
 مكة. أي: لأنذركم به وأنذر كل من بلغه القرآن من العرب والعجم. وقيل: من الثقليين.
 وقيل: من بلغه إلى يوم القيامة. وعن سعيد بن جبير: من بلغه القرآن فكأنما رأى محمدا
 { أنكم لتشهدون { تقرير لهم مع إنكار واستبعاد { قل لا أشهد { شهادتكم.

(١) قوله: ليبالغ بالتعميم . قال الطيني وذلك انه لو قيل أي شهيد أكبر شهادة خص
 الشاهد المتعارف ومن يقال له شهيد فعمم ليتناول ما يصلح للشهادة من أي جنس كان سواء
 كان متعارفا أو غير متعارف فيكون أدخل في المبالغة .
 (٢) قوله: أن يكون تمام الجواب عند قوله قل الله وهو على هذا من باب قوله { قل لمن
 ما في السماوات والأرض قل لله { وعلى تقدير أن يكون الله شهيد بيني وبينكم، هو
 الجواب أي المجموع يكون من باب الأسلوب الحكيم يعني شهادته معلومة لا كلام في ذلك
 وإنما الكلام في أنه شاهد لي عليكم مثبت لدعواي بإنزال هذا القرآن المعجز وإذا ثبت
 كونه شاهدا لي يلزم ما قال المصنف فأكثر شيء شهادة شهيد له.

الذين ق Oك#u"gsY÷sn الكتاب يعرفونه كما ژ cqeùحج÷ètف
 مNèdu!&sY/r\$ الذين
 (#مژا!yz أنفسهم فهم لا يؤمنون (٢٠) ومن أظلم ممن "u"ژu\$y# على الله
 كذبا أو كذب
 بآياته إنه لا كxد=مtbqفكJد="à9\$#© اثتب

{ الذين آتيناهم الكتاب { يعني اليهود والنصارى يعرفون رسول الله
 (٢٢/٤)

بحليته ونعته الثابت في الكتابين معرفة خالصة { كما يعرفون أبناءهم { بحلالهم
 ونعوتهم لا يخفون عليهم ولا يلتبسون بغيرهم. وهذا استشهاد لأهل مكة (١) بمعرفة أهل
 الكتاب به وبصحة نبوته. ثم قال: { الذين خسروا أنفسهم { من المشركين من أهل الكتاب
 الجاحدين { فهم لا يؤمنون { به، جمعوا بين أمرين متناقضين (٢)، فكذبوا على الله بما
 لا حجة عليه، وكذبوا بما ثبت بالحجة البينة، والبرهان الصحيح، حيث قالوا: { لو شاء

الله ما أشركنا ولا آباؤنا { (الأنعام: ١٤٨) وقالوا: { والله أمرنا بها { (الأعراف:
 ٢٨) وقالوا: { الملائكة بنات الله { (يونس: ١٨) و { هؤلاء شفعاؤنا عند الله {
 (يونس: ١٨) ونسبوا إليه تحريم البحائر والسوائب، وذهبوا فكذبوا القرآن (٣)

-
- (١) قوله: استشهاد لأهل مكة أي لأجلهم .
 (٢) قوله: جمعوا بين أمرين متناقضين لأنهم صدقوا بالباطل وكذبوا بالحق وفي كلامه
 جمع وتقسيم وتفسير فالجمع قوله بين أمرين متناقضين والتقسيم قوله يكذبوا على الله
 ما لا حجة عليه وكذبوا بما ثبت بالحجة البينة، وقوله حيث قالوا { لو شاء الله ما
 أشركنا { إلى قوله تحري السوائب تفسير لقوله يكذبوا على الله
 (٣) قوله: وذهبوا فكذبوا القرآن والمعجزات وسموها سحرا ولم يؤمنوا بالرسول صلى الله
 عليه وآله وسلم تفسير لقوله وكذبوا بما ثبت بالحجة وبيان التناقض أنهم نسبوا إلى
 الله تعالى ما لم ينزل به سلطانا فصدقوه ولم ينسبوا إليه ما نزل به سلطانا من
 القرآن والآيات والرسول فكذبوا بها وفي قوله بين أمرين متناقضين تسامح . قال
 القاضي: وإنما ذكروا وهم قد جمعوا بين الأمرين أي التكذيب و..... بينها على أن كلا

منهما وحده بالغ غاية الإفراط في الظلم على النفس أراد أن في مجيء أو إشارة إلى أن كل واحد منهما بلغ الغاية في الفظاعة بحيث لا يمكن الجمع بينهما وهم في الجمع بينهما لكن جمع بين أمرين متناقضين ويجوز أن يكون أو بمعنى الواو .. (٢٣/٤)

والمعجزات، وسموها سحرا، ولم يؤمنوا بالرسول

ويوم Nèd مؤث³ à³tw جميعا ثم نقول للذين (#u.ñqũr & أين شركاؤكم الذين كنتم تزعمون

(٢٢) ثم لم تكن فتنتهم إلا أن قالوا والله 'n/uخsY\$ ما كنا مشركين (٢٣) انظر كيف كذبوا على Nخk! à! &Rr وضل عنهم ما كانوا tbr مؤث³ Iytf ائحب } (٢٤/٤)

ويوم نحشرهم { ناصبه محذوف تقديره: ويوم نحشرهم كان كيت وكيت، فترك ليبقى على الإبهام الذي هو داخل في التخويف { أين شركاؤكم } أي آلهتكم التي جعلتموها شركاء لله. وقوله: { الذين كنتم تزعمون } معناه تزعمونهم شركاء، فحذف المفعولان. وقرئ: "يحشرهم". "ثم يقول": بالياء فيهما. وإنما يقال لهم ذلك على وجه التوبيخ، ويجوز أن يشاهدوهم، إلا أنهم حين لا ينفعونهم ولا يكون منهم ما رجوا من الشفاعة. فكأنهم غيب عنهم، وأن يحال بينهم وبينهم في وقت التوبيخ ليفقدوهم في الساعة التي علقوا بهم الرجاء فيها، فيروا مكان خزيهم، وحسرتهم { فتنتهم } كفرهم. والمعنى: ثم لم تكن عاقبة كفرهم الذي لزموه أعمارهم، وقتلوا عليه وافتخروا به، وقالوا دين آبائنا لا جحوده والتبرؤ منه، والحلف على الانتفاء من التدين به. ويجوز أن يراد: ثم لم يكن جوابهم إلا أن قالوا فسمي فتنة؛ لأنه كذب. وقرئ: "تكن" بالتاء (١) وفتنتهم، بالنصب. وإنما أنث (٢) }

(١) قوله: وقرأ تكن بالتاء و..... قال الزجاج : إن نصيب فتنة على خبر يكن وإن قالوا الاسم..... يكن وفاعله إن قالوا لأن إن قالوا هو الفتنة ويجوز ألا مقالهم وهو مؤنث ويجوز رفع الفتنة على اسم يكن وإن قالوا الخبر ويجوز لم يكن على

التذكير والفاعل إن قالوا ويجوز على التذكير والفاعل فستتهم على تأويل الإفتان وتأويل الآية حسن لطيف لا يعرفه إلا من عرف معاني الكلام وتصرف العرب ومثلها أن ترى إنسان يجب فإذا وقع في ورطة تبرأ منه فيقال له ما كانت محبتك لفلان إلا أن تبرأت منه.

(٢) قوله: وإنما أنت أن قالوا لوقوع الخبر مؤنثا كقولك من كانت أمك. قال صاحب التقريب: وفي التمثيل نظر لأن من يذكر ويؤنث.. وأقول: هذا النظر مضمحل لأن من (مره) حيث اللفظ مفرد مذكر وتثنيته وجمعه وتأنيثه باعتبار المعنى أي باعتبار مدلوله، ولهذا قالوا: إذا عبر به عن الشيء أو المجموع أو المؤنث كانت مراعاة اللفظ فيما يعبر به عنه من الضمير والإشارة ونحوهما أكثر وأغلب وأولى من مراعاة المعنى وذلك لأن اللفظ أقرب إلى تلك العبارة المحمولة عليه من المعنى، وإذا كان من مذكرا وقد جاز تأنيثه باعتبار المعنى فليجز أيضا تأنيث فعل اسم كان وإن كان مذكرا باعتبار تأنيث خبره ولأن الخبر في الحقيقة هو الاسم.

(٢٥/٤)

أن قالوا { لوقوع الخبر مؤنثا، كقولك: من كانت أمك؟ وقرىء بالياء ونصب الفتنة. وبالياء والتاء مع رفع الفتنة. وقرىء: "ربنا" بالنصب على النداء { وضل عنهم { وغاب عنهم { ما كانوا يفترون { أي يفترون إلهيته وشفاعته. فإن قلت: كيف يصح أن يكذبوا حين يطلعون على حقائق الأمور على أن الكذب والجحود لا وجه لمنفعته؟ قلت: الممتحن ينطق بما ينفعه وبما لا ينفعه من غير تمييز بينهما حيرة ودهشا: ألا تراهم يقولون: { ربنا أخرجنا منها فإن عدنا فإنا ظالمون { (المؤمنون: ١٠٧) وقد أيقنوا بالخلود ولم يشكوا فيه، { ونادوا يا مالك ليقض علينا ربك { (الزخرف: ٧٧) وقد علموا أنه لا يقضى عليهم. وأما قول من يقول (١): معناه: ما كنا مشركين عند أنفسنا وما علمنا أنا على خطأ في معتقدنا، وحمل قوله: { أنظر كيف كذبوا على أنفسهم { يعني في الدنيا فتحمل وتعسف وتحريف

لأفصح الكلام إلى ما هو عي وإقحام، لأن المعنى الذي ذهبوا إليه ليس هذا الكلام بمتروك عنه ولا منطبق عليه، وهو ناب عنه أشد النبو. وما أدري ما يصنع من ذلك تفسيره بقوله تعالى: { يوم يبعثهم الله جميعا فيحلفون له كما يحلفون لكم ويحسبون أنهم على شيء ألا إنهم هم الكاذبون { (المجادلة: ١٨) بعد قوله: { ويحلفون على الكذب وهم يعلمون { (المجادلة: ١٤) فشبّه كذبهم في الآخرة بكذبهم في الدنيا.

(١) قوله: وأما قول من يقول معناه إلى آخره إشارة إلى قول أبي علي الجبائي والقاضي عبد الجبار أن أهل المحشر لا يجوز إقدامهم على الكذب لأنهم يعرفون الله بالإضطرار

فيلجئون إلى ترك القبيح الذي من أقبحه الكذب والحلف عليه وإنما رد المصنف هذا القول لمخالفته الظاهر وإيجابه لتفكيك النظم وصرف أول الآية إلى أحوال القيامة وآخرها إلى أحوال الدنيا وهو المراد من قول المصنف وتحريف لا يصح الكلام إلى ما هو عي واقحام. (٢٦/٤)

ومنهم من يستمع إليك وجعلنا على Nخك هه%qè=èك أن يفقهوه وفي ur%X# نX#sœ#uKخN وإن (#ru÷#tf كل آية لا يؤمنوا بها #سLxm® إذا جاءوك يجادلونك يقول الذين كفروا إن

هذا إلا مژجد"tû &y™r (25"د!{rF{\$# وهم ينهون عنه وينأون عنه وإن

fbq=٣dômf إلا

أنفسهم وما يشعرون (٢٦)

{ ومنهم من يستمع إليك { حين تتلوا القرآن. روى:

(٣٧٢) أنه اجتمع أبو سفيان والوليد والنضر وعتبة وشيبة وأبو جهل، وأضربهم يستمعون تلاوة رسول الله

،

(٢٧/٤)

فقالوا للنضر: يا أبا قتيلة، ما يقول محمد؟ فقال: والذي جعلها بيته - يعني الكعبة - ما أدري ما يقول، إلا أنه يحرك لسانه ويقول أساطير الأولين، مثل ما حدثكم عن القرون الماضية، فقال أبو سفيان: إني لأراه حقا. فقال أبو جهل: كلا، فنزلت. والأكنة على القلوب، والوقر في الأذان: مثل في نبو قلوبهم ومسامعهم عن قبوله واعتقاد صحته. ووجه إسناد الفعل إلى ذاته وهو قوله: { وجعلنا { للدلالة على أنه أمر ثابت فيهم لا يزول عنهم، كأنهم مجبولون عليه. أو هي حكاية لما كانوا ينطقون به من قولهم { وفي آذاننا وقر، ومن بيننا وبينك حجاب { (فصلت: ٥) وقرأ طلحة: "وقرا" بكسر الواو { حتى إذا جاؤوك يجادلونك { هي حتى التي تقع بعدها الجمل. والجملة قوله: { إذا جاؤوك { }

يقول الذين كفروا { و { يجادلونك { موضع الحال . ويجوز أن تكون الجارة ويكون إذا جاؤك في محل الجر بمعنى حتى وقت (١) مجيئهم، ويجادلونك حال، وقوله: يقول الذين كفروا. وتفسير له. والمعنى أنه بلغ تكذيبهم الآيات إلى أنهم يجادلونك ويناكرونك.

وفسر مجادلتهم بأنهم يقولون: { إن هذا إلا أساطير الأولين { فيجعلون كلام الله وأصدق الحديث، خرافات (٢)

(١) قوله: حتى وقت مجيئهم أراد أن حتى إما حرف ابتداء وقع بعده الجملة الشرطية . قال أبو التقاء إذا في موضع نصب بجوابها وهو يقول وليس لحتى هاهنا عمل وإنما أفادت الغاية كما لا يعمل في سائر الجمل أو حرف جر بمنزلة إلى فعلى هذا الهاء عمل أي حتى وقت مجيئهم ويقول جملة مفسرة والذين كفروا وضع موضع الضمير للإشعار بأن المجيء على تلك الحالة كفر وعناد وحتى غاية لهذه الحالة القطعية يعني بلغ تماديهم في الطغيان وتكذيب آيات الله في الأزمنة الماضية على سبيل التدرج والاستمرار إلى هذا الزمان.

(٢) قوله: خرافات وأكاذيب العطف تفسيري، خرافة اسم رجل من عدرة استهوته الجن فكان يحدث بما رأى فكذبوه وقالوا حديث خرافة، والراء مخففة ..

(٢٨/٤)

وأكاذيب، وهي الغاية في التكذيب { وهم ينهاون { الناس عن القرآن أو عن الرسول عليه الصلاة والسلام وأتباعه، ويشبطونهم عن الإيمان به { عنه وينأون { بأنفسهم فيضلون ويضلون { وإن يهلكون { بذلك { إلا أنفسهم { ولا يتعداهم الضرر إلى غيرهم، وإن كانوا يظنون أنهم يضرون رسول الله صلى الله عليه وسلم.

(٢٩/٤)

عليه وسلم. وقيل: هو أبو طالب (١)

(١) قوله: وقيل هو أبو طالب عطف على قوله وهم ينهاون الناس أي الناهون إما جميع المشركين وإما أبو طالب بقليل وإنما أتى بضمير الجماعة استعظاما لفعله. وأقول: يرد القول أن الضمير في وهم يعود إلى المستمعين الجائين إلى رسول الله المجادلين له بقولهم { إن هذا إلا أساطير الأولين { وأبو طالب لم يكن كذلك لأنه لا خلاف أنه ما

جادل رسول الله ولا قال في القرآن أنه أساطير الأولين ويدل على ذلك ما أورده المصنف من الآيات وإنما الخلاف في أنه هل نطق بالإيمان وأظهر الرسول أم لا ومعنى قوله

والله لن يصلوا الأبيات الحلف على أن الكفار المعادين لك لا يصلون إليك بسوء مما يقصدونك به حتى أنام في التراب موسدا أي أقتل دونك وأدفن أو موت والمعنى الأول أحسن وأنسب لما أظهره من حمايته والذب عنه فإظهر ما أمرت به ليس عليك نقص وهو

أب وأفرح بذلك أي بعدم وصولهم أو بظهور أمرك أو باعفاء الغضاضة عنك أو بالمجموع ويكون ذاك على هذا إشارة إلى ما ذكر و..... أي من أجله عينا وعبونا شاذ. وقيل : أراد عنيين فجمعه لأن أقل الجمع اثنان وهو على هذا شاذ، أيضا . قال الطيني: أو عيون المسلمين وهذا سهو لأن فر أمر للرسول فقط إلا أن يجعل أمره أمرا لهم أو يجعل فرارا له ودعوتني إلى الإيمان وقلت أنك ناصح لي ولقد صدقت في جميع أقوالك أو في قولك أنك ناصح وكنت ثم أي في مقام القول أو النصح أو الدعوة وعرضت دينا لا محالة أنه خير الأديان أن جور زيادة من في الموجب أو بعض الأديان الفاضلة ودينا الثاني يجوز أن يكون تأكيد لدينا الأول أو تمييزا على أن يكون بمعنى العادة والسيره لو لا ملامة الكفار لي أو خوفا منهم لوجدني منقادا ظاهرا لما أبعدت باطنا أو مظهرا أثبتته لكل أحد وذلك إشارة إلى ما دعاه إليه من الإيمان أراد أني وإن كنت مصدقا لك في دعواك بالقلب والجنان لكنني لا أبوح باللسان لما ذكر.. (٣٠/٤)

لأنه كان ينهى قريشا عن التعرض لرسول الله وينأى عنه ولا يؤمن به. وروي أنهم اجتمعوا إلى أبي طالب وأرادوا برسول الله سوءا. فقال:

والله لن يصلوا إليك بجمعهم ... حتى أوسد في التراب دفينا
فاصدع بأمرك ما عليك غضاضة ... وابشر بذاك وقر منه عيوننا
ودعوتني وزعمت أنك ناصح ... ولقد صدقت وكنت ثم أمينا
وعرضت دينا لا محالة أنه ... من خير أديان البرية دينا
لولا الملامة أو حذاري سبة ... لوجدتني سمحا بذاك مبينا

فنزلت.

ur9s# "s؟ إذ وقفوا على النار فقالوا يا ليتنا -uRç ولا نكذب بآيات
\$Ys'u/n'

ونكون من المؤمنين (٢٧) بل بدا لهم ما كانوا يخفون من قبل ولو ردوا لعادوا لما نهوا
عنه N@Xk(ur لكاذبون (٢٨)

}

(٣١/٤)

ولو ترى { جوابه محذوف تقديره. ولو ترى لرأيت أمرا شنيعا } وقفوا على النار { أروها
حتى يعاينوها. أو اطلعوا عليها اطلاعا هي تحتهم، أو أدخلوها فعرفوا مقدار عذابها من
قولك: وقفته على كذا إذا فهمته وعرفته، وقرئ: "وقفوا" على البناء للفاعل، ومن وقف
عليه وقفا { يا ليتنا نرد { تم تمنيههم(١). ثم ابتدؤا { ولا نكذب بآيات ربنا ونكون
من المؤمنين { واعدن الإيمان، كأنهم قالوا: ونحن لا نكذب ونؤمن على وجه الإثبات.
شبهة سيويه بقولهم: دعني ولا أعود، بمعنى: دعني وأنا لا أعود(٢)، تركتني أو لم
تتركني. ويجوز أن يكون معطوفا على نرد، أو حالا على معنى: يا ليتنا نرد غير مكذبين
وكائنين من المؤمنين، فيدخل تحت حكم التمني.

(١) قوله: ثم تمنيههم ثم ابتدؤا قال صاحب المرشد : التقدير يا ليتنا نرد ونحن لا
نكذب ونكون من المؤمنين ردنا أو لم نرد فلا يدخلان في جملة التمني ويرتفعان على
استئناف خبر وعلى هذا يجوز أن يقف على نرد ثم يبتدأ فيقول ولا نكذب أي لا نكذب أبدا
ونكون من المؤمنين أبدا وهو وقف بيان(بيان) ، ووجه آخر وهو أن يكون التقدير يا
ليتنا نرد ويا ليتنا لا نكذب ويا ليتنا نكون من المؤمنين أي نوفق للتصديق وأن لا
نكذب ولا وقف على هذا إلى قوله المؤمنين.

(٢) قوله: دعني ولا أعود إنما ذكر هذا مثلا للرفع وإن كان يجوز في الآية النصب ولا
يجوز في المثال إلا الرفع لتعذر النصب والجزم فيه ، أما النصب فلفساد المعنى إذ
المعنى على هذا التجميع قولك لي وتركني لما تنهاني عنه فإن أريد اجتماعهما في الحال
لم يجعل غرض المؤدب لأن غرضه ترك ما نهى عنه في الاستقبال لأن ما وجد في الحال لا
يتصور النهي عنه ولأن قوله لا أعود معناه لا أعود إلى مثله في المستقبل وإن أريد

اجتماعهما في الاستقبال لم يحصل غرض المؤدب إذ غرضه ترك الضرب في الحال لا
الاستقبال بقرينة تألمه حالا ، وأما الجزم فإنما امتنع لئلا يلزم عطف المعرب على
المبني .

(٣٢/٤)

فإن قلت: يدفع ذلك قوله: { وإنهم لكاذبون } لأن المتمنى لا يكون كاذبا. قلت: هذا
تمن قد تضمن معنى العدة، فجاز أن يتعلق به التكذيب، كما يقول الرجل: ليت الله
يرزقني مالا فأحسن إليك وأكافئك على صنيعك، فهذا متمن في معنى الواعد، فلو رزق مالا
ولم يحسن إلى صاحبه ولم يكافئه كذب، كأنه قال: إن رزقني الله مالا كافأتك على
الإحسان. وقرئ(١): "ولا نكذب ونكون" بالنصب بإضمار أن على جواب التمني ومعناه: إن
رددنا لم نكذب ونكن من المؤمنين { بل بدا لهم ما كانوا يخفون من قبل } من قبائحهم
وفضائحهم في صحفهم وبشهادة جوارحهم(٢) عليهم؛ فلذلك تمنوا ما تمنوا ضجرا؛ لا أنهم
عازمون على أنهم لو ردوا لآمنوا. وقيل: هو في المنافقين وأنه يظهر نفاقهم الذي
كانوا يسرونه. وقيل: هو في أهل الكتاب وأنه يظهر لهم ما كانوا يخفونه من صحة نبوة
رسول الله

{ ولو ردوا } إلى الدنيا بعد وقوفهم على النار { لعادوا لما نهوا عنه } من الكفر
والمعاصي { وإنهم لكاذبون } فيما وعدوا من أنفسهم لا يفون به.
(#ur\$%s إن هي إلا xmٹsYè? \$u\$ الدنيا وما نحن بمبعوثين اثرب
{

(١) قوله: وقرأ ولا نكذب ونكون بالنصب . قال الزجاج : النصب على يا ليتنا نرد ونكون
على الجواب بالواو في التمني كما تقول ليتك تصير إلينا ونكرمك أي ليت مصيرك يقع
وإكرامك ، والمعنى ليت ردنا وقع وأن لا نكذب أي أن رددنا لم نكذب وإضمار أن بعد
الواو كإضمارها بعد الفاء .

(٢) قوله: وشهادة جوارحهم عطف من حيث المعنى على في صحفهم كأنه قيل بدا لهم ما
كانوا يخفون بسبب الكتابة في صحفهم وبسبب شهادة جوارحهم عليهم.
(٣٣/٤)

وقالوا { عطف على لعادوا. أي: ولو ردوا لكفروا ولقالوا: { إن هي إلا حياتنا الدنيا

{ كما كانوا يقولون قبل معاينة القيامة. ويجوز أن يعطف على قوله: وإنهم لكاذبون(١)،
على معنى: وإنهم لقوم كاذبون في كل شيء، وهم الذين قالوا: إن هي إلا حياتنا الدنيا.
وكفى به دليلاً على كذبهم.
ولو # "s u"؟ إذ وقفوا على N ح h5u' قال أليس هذا بالحق قالوا بلى وربنا قال فذوقوا
العذاب بما كنتم تكفرون (٣٠) قد خسر الذين كذبوا دن! s د=خ / الله # s Lxm® إذا
جاءتهم
الساعة بغتة قالوا \$sYs?ysô"tf على ما فرطنا فيها وهم يحملون أوزارهم على
ظهورهم
ألا ساء ما 'tbrâ ح"tf اجتب
}

(١) قوله: يجوز أن يعطف على قوله { وإنهم لكاذبون } هو من عطف الخاص على العام
وإنما قدر المبتدأ واقع قالوا صلة للرسول (للموصول) وجعل الصلة مع الموصول خبر
التواري المعطوف عليه المؤكد ويشنع عليهم بهذا الكذب الخاص الذي هو منشأ كل شر مع
كونه كفراً
(٣٤/٤)

وقفوا على ربهم { مجاز على الحبس(١) للتوبيخ والسؤال، كما يوقف العبد الجاني بين
يدي سيده ليعاتبه. وقيل: وقفوا على جزاء ربهم. وقيل: عرفوه حق التعريف(٢) { قال {
مردود(٣) على قول قائل قال: ماذا قال لهم ربهم إذ وقفوا عليه فقيل: قال: { أليس هذا
بالحق { وهذا تعبير من الله تعالى لهم على التكذيب. وقولهم - لما كانوا يسمعون من
حديث البعث والجزاء -: ما هو بحق وما هو إلا باطل { بما كنتم تكفرون { بكفركم
بلقاء الله ببلوغ الآخرة وما يتصل بها. وقد حقق الكلام فيه في مواضع آخر. و { حتا
{ غاية لكذبوا لا لخسر، لأن خسرانهم لا غاية له(٤).

(١) قوله: مجاز على الحبس . يعني لا يجوز أن يقال وقف على الله حقيقة ولا كناية لأن
الكناية لا تنافي لإرادة الحقيقة فوجب الحمل على المجاز أي الاستعارة التمثيلية .
(٢) قوله: وقيل عرفوه حق التعريف هو من قولك وفقته على كذا إذا فهمته وعرفته
والضمير في عرفوه للجزاء .
(٣) قوله: مردود أي موقوف . وقيل متعلق قوله وقد حقق الكلام فيه . قال الطيني : أي

في سورة يونس قال المصنف في قوله تعالى : { قال الذين لا يرجون لقاءنا } فإن قلت: كيف جاز النظر على الله إلى آخر السؤال فالجواب . وأقول قد سها الطيني لأن المصنف لم يتعرض لمعنى لقاء الله في سورة يونس وأما السؤال الذي أورده المصنف فهو متعلق بقوله لينظر كيف يعملون ولكن المصنف قد حقق الكلام فيه في موضع آخر .
(٤) قوله: لأن خسرانهم لا غاية له ويمكن أن يقال المعنى أنهم خسروا إلى قيام الساعة يقعون فيما معه هذا الخسران وعلى هذا فحتى غاية لخسروا وهذا نحو

مما قاله في قوله وأن على أن لعنتي إلى يوم الدين. قوله: الضمير للحياة الدنيا جيء بضميرها وإن لم يجر لها ذكر وهي وإن تقدمت في قوله قيل وقالوا { إن هي إلا حياتنا الدنيا } ولكن هذه الآية لما كانت مستقلة بنفسها من حيث الظاهر لا تعلق لها بما قبلها إلا من حيث المعنى لم يكن الضمير عائدا إلى ما قبلها ، وهذا مبني على أن قوله الذين خسروا ليس من باب وضع المظهر موضع المضمّر لأنه ليس من مجازة.
(٣٥/٤)

أي ما زال بهم التكذيب إلى حسرتهم وقت مجيء الساعة. فإن قلت: أما يتحسرون عند موتهم؟ قلت: لما كان الموت وقوعا في أحوال الآخرة ومقدماتها جعل من جنس الساعة وسمي

باسمها، ولذلك قال رسول الله

:

(٣٧٣) "من مات فقد قامت قيامته". أو جعل مجيء الساعة بعد الموت لسرعته كالوقاع بغير فترة { بغتة } فجأة وانتصابها على الحال بمعنى باغتة، أو على المصدر كأنه قيل: بغتهم الساعة بغتة { فرطنا فيها } الضمير للحياة الدنيا، جيء بضميرها وإن لم يجر لها ذكر لكونها معلومة، أو للساعة على معنى: قصرنا في شأنها وفي الإيمان بها، كما تقول: فرطت في فلان. ومنه فرطت في جنب الله { يحملون أوزارهم على ظهورهم } كقوله: { فيما كسبت أيديكم } (الشورى: ٣٠) لأنه اعتيد حمل الأثقال على الظهر، كما ألف الكسب بالأيدي { ساء ما يزرّون } بسئ شيئا يزرّون وزرهم، كقوله { ساء مثلا القوم } (الأعراف: ١٧٧).

وما الحياة الدنيا إلا لعب س qôgs9ur وللدار ن ouج ½\$zFy# ضجyz للذين يتقون أفلا

تعقلون (٣٢)

جعل أعمال الدنيا لعبا ولهوا واشتغالا بما لا يعني ولا يعقب منفعة، كما تعقب أعمال الآخرة المنافع العظيمة. وقوله: { للذين يتقون } (١)

(١) قوله: للذين يتقون دليل على أن ما سوى أعمال المتقين لعب ولهو وذلك لأنه لو لم يكن الأمر كذلك لما كانت الدار الآخرة خيرا للمتقين وحدهم وقد دلت اللام على اختصاصهم بذلك . قوله قد في قد يعلم بمعنى ربما الذي يجيء لزيادة الفعل وكثرته يعني أن لفظه قد للتقليل وقد يعني بها ضده للمجانسة بين الضدين كما في رب فإنه للتقليل وقد يراد به في بعض المواضع ضده ، وهو التكثير كقوله تعالى { ربما يود } وقول الشاعر :

فإن يمس مهجور الفناء فر بما ... أقام به بعد الوفود وفود

واستفادة الكثرة منهما حيث يراد من المقام والنكتة هاهنا نصير رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ويهديه قومه وتوبيخهم.
(٣٦/٤)

دليل على أن ما عدا أعمال المتقين لعب ولهو. وقرأ ابن عباس رضي الله عنه: "ولدار الآخرة وقرىء: "تعقلون" بالتاء والياء.
%oδ%os نعلم إنه ليحزنك الذي يقولون هNk®X*سù لا 3ة/y7tRqçfjس ولكن الظالمين بآيات الله يجحدون (٣٣)

{ قد في { قد نعلم { بمعنى "ربما" الذي يجيء لزيادة الفعل وكثرته، كقوله: ولكنه قد يهلك المال (١) نائله

(١) قوله: ولكنه قد يهلك المال نائله . أوله : ... أخو ثقة لا تهلك الخمر ماله أخي لا يهلك الخمر ماله . يقول إلى صاحب أمانة لا يهلك الخمر ما له إنما يهلكه النائل أراد أن جوده ذاتي لا يزيد بالسكر ولا ينقص بالصحو . وبعده: تراه إذا ما جئته متهللا ... كأنك معطيه الذي أنت سائله
(٣٧/٤)

والهاء في { إنه } ضمير الشأن { ليحزنك } قرىء بفتح الياء وضمها. و { الذي يقولون } هو قولهم: ساحر كذاب { لا يكذبونك } قرىء بالتشديد والتخفيف من كذبه إذا جعله كاذبا

في زعمه وأكذبه إذا وجدته كاذبا. والمعنى أن تكذيبك أمر راجع إلى الله، لأنك رسوله المصدق بالمعجزات فهم لا يكذبونك في الحقيقة وإنما يكذبون الله بجحود آياته، فإله عن حزنك (١) لنفسك وإن هم كذبوك وأنت صادق، وليشغلك عن ذلك ما هو أهم وهو استعظامك

بجحود آيات الله تعالى والاستهانة بكتابه. ونحوه قول السيد لغلّامه - إذا أهانه بعض الناس - إنهم لم يهينوك وإنما أهانوني. وفي هذه الطريقة قوله تعالى: { إن الذين يبايعونك إنما يبايعون الله } (الفتح: ١٠) وقيل: فإنهم لا يكذبونك بقلوبهم، ولكنهم يجحدون بألسنتهم. وقيل: فإنهم لا يكذبونك لأنك عندهم الصادق الموسوم بالصدق،

ولكنهم يجحدون بآيات الله. وعن ابن عباس رضي الله عنه: كان رسول الله يسمى الأمين فعرفوا أنه لا يكذب في شيء، ولكنهم كانوا يجحدون. وكان أبو جهل يقول: ما نكذبك لأنك عندنا صادق، وإنما نكذب ما جئتنا به. وروي:

)

(١) قوله: فإله عن حزنك فاسل عنه واتركه والمعنى اضرب عن الاشتغال بحزن نفسك إلى الاشتغال بما هو أهم وهو استعظام جحودا بآيات والاستهانة بكتابه .

(٣٨/٤)

(٣٧٤) أن الأحنس بن شريق قال لأبي جهل: يا أبا الحكم، أخبرني عن محمد، أصادق هو أم كاذب، فإنه ليس عندنا أحد غيرنا؟ فقال له: والله إن محمدا لصادق وما كذب قط، ولكن إذا ذهب بنو قصي باللواء (١) والسقاية والحجابه والنبوة، فماذا يكون لسائر قريش، فنزلت، وقوله: { ولكن الظالمين } من إقامة الظاهر مقام المضمّر، للدلالة على أنهم ظلموا في جحودهم.

س9ur%osδ كذبت رسل من 7dy=r#%s9y|ئs على ما كذبوا وأوذوا
#sLxm® أتاها

\$RtR#مژا ولا مبدل د"J"dy=3s9 الله ولقد جاءك من نيا ژü=yTMچك#J9\$

اجحب

{ ولقد كذبت { تسلية لرسول الله

وهذا دليل على أن قوله: { فإنهم لا يكذبونك { (الأنعام: ٣٣) ليس بنفي لتكذيبه، وإنما هو من قولك لعلامك: ما أهانوك ولكنهم أهانوني { على ما كذبوا وأوذوا { على

تكذيبهم وإيذائهم { ولا مبدل لكلمات الله { لمواعيده من قوله: { ولقد سبقت كلمتنا لعبادنا المرسلين إنهم لهم المنصورون { (الصفات: ١٧١) { ولقد جاءك من نبي المرسلين { بعض أنبيائهم وقصصهم وما كابدوا من مصابرة المشركين.

وإن كان كبر عليك إعراضهم فإن استطعت أن تبغي نفقا في الأرض أو سلما في السماء فتأتيهم بآية ولو شاء الله لجمعهم على الهدى فلا تكونن من $g\text{خ}=\text{d}\text{t}\text{ü}\text{ü}$ (35" $y\text{f}9\text{\$}\#$) * إنما $\text{o,ftG}\text{I}=\text{'}$ الذين يسمعون $\text{sAqyJ9\$\#ur}$ يعثهم الله ثم إليه يرجعون (٣٦) كان يكبر على النبي

(١) قوله: باللوا أي الراية وكان لا يمسكها إلا صاحب الحبس والسقاية ، وهي ما كانت قريش تسقيه الحجاج من الزبيب المنبوذ في الماء وكان يليها العباس بن عبد المطلب في الجاهلية والإسلام والحجابه سدانة الكعبة وهي خدمتها وتولي أمرها وفتح بابها وإغلاقه .
(٣٩/٤)

كفر قومه وإعراضهم عما جاء به فنزل: { لعلك باخع نفسك { (الشعراء: ٣)، { إنك لا تهدي من أحببت { (القصص: ٥٦)، { وإن كان كبر عليك إعراضهم فإن استطعت أن تبغي نفقا

في الأرض { منفذا تنفذ فيه إلى ما تحت الأرض حتى تطلع لهم آية يؤمنون بها { أو سلما في السماء فتأتيهم { منها { بآية { فافعل. يعني أنك لا تستطيع ذلك. والمراد بيان حرصه على إسلام قومه وتهالكه عليه، وأنه لو استطاع أن يأتيهم بآية من تحت الأرض أو من فوق السماء لأتى بها رجاء إيمانهم. وقيل: كانوا يقترحون الآيات فكان يود أن يجابوا إليها لتمادي حرصه على إيمانهم. ف قيل له: إن استطعت ذلك فافعل، دلالة على أنه بلغ
(٤٠/٤)

من حرصه أنه لو استطاع ذلك لفعله حتى يأتيهم بما اقترحوا من الآيات لعلهم يؤمنون.
ويجوز أن يكون ابتغاء النفق في الأرض أو السلم في السماء هو الإتيان بالآية، كأنه
قيل: لو استطعت النفوذ إلى ما تحت الأرض أو الرقي إلى السماء لفعلت، لعل ذلك يكون

لك آية يؤمنون عندها. وحذف جواب "أن" كما تقول إن شئت أن تقوم بنا إلى فلان نزوره
ولو شاء إليه لجمعهم عل الهدى بأن يأتيهم بآية ملجئة، ولكنه لا يفعل لخروجه عن
الحكمة { فلا تكونن من الجاهلين } من الذين يجهلون ذلك ويرومون ما هو خلافه { إنما
يستجيب الذين يسمعون } يعني أن الذين تحرص على أن يصدقوك بمنزلة الموتى الذين لا
يسمعون، وإنما يستجيب من يسمع، كقوله: { إنك لا تسمع الموتى } (النمل: ٨٠) {
والموتى يبعثهم الله } مثل (١) لقدرته على إيجائهم إلى الاستجابة بأنه هو الذي يبعث
الموتى من القبور يوم القيامة { ثم إليه يرجعون } للجزاء فكان قادرا على هؤلاء
الموتى بالكفر أن يحييهم بالإيمان. وأنت لا تقدر على ذلك. وقيل: معناه: وهؤلاء
الموتى - يعني الكفرة - يبعثهم الله. ثم إليه يرجعون، فحينئذ يسمعون. وأما قبل
ذلك فلا سبيل إلى استماعهم وقرىء: "يرجعون"، بفتح الياء.

(#q%ur\$9 لا ٢R"٢h٢A عليه آية من ربه قل إن الله قادر على أن ينزل آية

ولكن

duNèr٢Y& لا ٢tbq٢37 ÷=Jn

(١) قوله: مثل لقدرته قيل أي استشهاد لتقرير الإنكار السابق واقناط كلي لرسول الله
صلى الله عليه وآله وسلم عن إيمان القوم بأنه لا يقدر أن يسمعهم لأنهم كالموتى
وإنما القادر على ذلك من يقدر على بعث الموتى من القبور وهو الله، والباء في قوله
بأنه هو الذي يبعث الموتى قيل هو متعلق بمثل من حيث المعنى أي قوله والموتى يبعثهم
الله مثل ضربه الله لقدرته أنه هو الذي يبعث الموتى .
(٤/٤١)

لولا نزل عليه آية { نزل بمعنى أنزل. وقرىء: "أن ينزل" بالتشديد والتخفيف. وذكر
الفعل والفاعل مؤنث. لأن التأنيث آية غير حقيقي، وحسن للفصل. وإنما قالوا ذلك مع
تكاثر ما أنزل من الآيات على رسول الله
، لتركهم الاعتداد بما أنزل عليه، كأنه لم ينزل عليه شيء من الآيات عنادا منهم { قل
إن الله قادر على أن ينزل آية { تضطرهم إلى الإيمان. كنتق الجبل على بني إسرائيل

ونحوه، أو آية إن جحدوها جاءهم العذاب { ولكن أكثرهم لا يعلمون } أن الله قادر على أن ينزل تلك الآية، وأن صارفا من الحكمة يصرفه عن إنزالها.

tBur\$ من دابة في الأرض ولا طائر مثجدtfmxm\$Ypgd ٢؟ إلا أمم أمثالكم ما فرطنا في

الكتاب من شيء ثم إلى Nخ'h5u'crث | ٣t† (٣٨)

{ أمم أمثالكم } مكتوبة أرزاقها وآجالها وأعمالها كما كتبت أرزاقكم وآجالكم وأعمالكم { ما فرطنا } ما تركنا وما أغفلنا { في الكتاب } في اللوح المحفوظ { من شيء } من ذلك (١) لم نكتبه ولم نثبت ما وجب أن يثبت مما يختص به { ثم إلى ربهم يحشرون } يعني الأمم كلها من الدواب والطير فيعوضها وينصف بعضها من بعض، كما روي:

)

(١) قوله: من شيء من ذلك لم يكتبه من ذلك صفة شيء ومن بيان ولم يكتبه صفة أخرى لشيء

أو حال منه ولم يثبت عطف تفسير المعنى ما تركنا في اللوح من شيء كائن من المذكور ومتصل به غير مكتوب ولا مثبت فيه البتة ومن في مما يختص به بيان ما والضمير في يختص يعود إلى ما والمجرور يعود إلى الكتاب .

(٤٢/٤)

٣٧٥ "أنه يأخذ للجماء من القرآن" (١)، فإن قلت: كيف قيل: { إلا أمم } مع إفراد الدابة والطائر؟ قلت: لما كان قوله تعالى: { وما من دابة في الأرض ولا طائر } دالا على معنى الاستغراق ومغنيا عن أن يقال: وما من دواب ولا طير، حمل قوله: { إلا أمم } على المعنى، فإن قلت: هلا قيل: وما من دابة ولا طائر (٢)

(١) قوله: كما روي أنه يأخذ للجماء من القرآن . قال الطيني: هذا الحديث استشهد به لقوله وينصف بعضها من بعض لا لقوله فيعوضها لأنه لا ينسب التعويض إلا إلى المكلفين لأن قوله يعني الأمم كلها مشتمل على المكلفين وغير المكلفين ، وأقول: إن قوله وينصف بعضها من بعض عطف تفسيري على يعوضها إن أريد بالتعويض التعويض على ما أوصله بعضها إلى بعض من المضار لأن الله تعالى لما مكن بعضها من إيصال الضرر إلى البعض ولم يردع

ذلك البعض عن إيصال الضرر إلى

(٢) في الأرض مع دابة ويطير بجناحيه مع طائر لبيان أن القصد من لفظ دابة ولفظ طار إنما هو الجنسين وإلى تقريرهما .

قوله: إلى تقريرهما تفسير لقوله إلى الجنسين والمراد به التوكيد لا غير وقد يظن أن قوله من هذا الباب من وجه أن الوجه الآخر هو ما ذكره صاحب الكتاب وهو وهم لأن مراده أنه لو أطلق من دابة ولا طائر غير مؤكدين ربما اختلج في ذهن السامع أراد به غير الجنسين وأن المراد بهما غير المتعارف ، لقوله تعالى : { إلا أمم أمثالكم } فلا يحصل الشمول المقصود فأزيل الوهم بما يفيد أن القصد إلى الجنسين وإلى تقريرهما أي هو من باب البيان من هذا الوجه وما عليه أصحاب المعاني غير ما عليه النحويون فإنهم يحملون سائر القول على البيان والتوضيح. وقال المصنف في قراءة من قرأ آزر أتتخذ أصناما آلهة آزرا على الإنكار ثم قال يتخذ أصناما آلهة تبيننا لذلك وتقريراً وهو داخل في حكم الإنكار لأنه كالبيان له ألا ترى كيف جعل التأكيد بيانا . وقال أيضا جوابا عن نظر صاحب التقریب وأجيب: بأن التوكيد لا ينافي الصفة كقوله تعالى { لا تتخذوا إلهين اثنين إنما هو إله واحد } واحدة وقولهم : أمس الدابر لا يعود وأن التعميم نوع من التخصيص (٤٣/٤)

إلا أمم أمثالكم؟ وما معنى زيادة قوله: { في الأرض } و { يطير بجناحيه } قلت: معنى ذلك زيادة التعميم والإحاطة، كأنه قيل: وما من دابة فقط في جميع الأرضين السبع، وما من طائر قط في جو السماء من جميع ما يطير بجناحيه إلا أمم أمثالكم محفوظة أحوالها غير مهمل أمرها. فإن قلت: فما الغرض في ذكر ذلك؟ قلت: الدلالة على عظم قدرته، ولطف علمه، وسعة سلطانه وتدبيره تلك الخلائق المتفاوتة الأجناس، المتكاثرة الأصناف، وهو حافظ لما لها وما عليها، مهيم على أحوالها، لا يشغله شأن عن شأن، وأن المكلفين ليسوا بمخصوصين بذلك دون من عداهم من سائر الحيوان. وقرأ ابن أبي عبله: "ولا طائر"،

بالرفع على المحل، كأنه قيل: وما دابة ولا طائر. وقرأ علقمة "ما فرطنا" بالتخفيف.

ur#%!©%stûi كذبوا بآياتنا صم وبكم في الظلمات من يشأ الله م#ù&=د#òزمf ومن يشأ

يجعله على ق٧uٲٲه OهثةGt, 39-B-)

فإن قلت: كيف أتبعه قوله: { والذين كذبوا بآياتنا } ؟ قلت: لما ذكر من خلائفه وآثار قدرته ما يشهد لربوبيته وينادي على عظمته قال: والمكذبون { صم } لا يسمعون كلام المنبه { بكم } لا ينطقون بالحق، خابطون في ظلمات الكفر، فهم غافلون عن تأمل ذلك والتفكير فيه، ثم قال إيذانا بأنهم من أهل الطبع { من يشأ الله يضلله } أي يخذله ويخله وضلاله لم يلفظ به، لأنه ليس من أهل اللطف { ومن يشأ يجعله على صراط مستقيم }

أي يلفظ به لأن اللطف يجدي عليه.

@%è أرأيتم إن أتاكم عذاب الله أو أتتكم الساعة أغير الله تدعون إن كنتم صادقين (٤٠) بل (çn\$فخ) تدعون فيكشف ما تدعون إليه إن شاء وتنسون ما تشركون احتب }

(٤٤/٤)

أرأيتمكم { أخبروني(١) }.

(١) قوله: أرأيتمكم أخبروني والضمير الثاني لا محل له من الأعراب. اعلم: أن أرأيت هاهنا بمعنى أخبر وهو مفعول (منقول) من أرأيت بمعنى أبصرت أو عرفت فإذا قلت أرأيت زيدا فكأنك قلت أبصرته وشاهدت حاله العجيبة أو عرفتني عنها فلا يستعمل إلى في مكان الإستخبار عن حال عجيبة لشيء ، وقد يؤتى بعده بالمنصوب الذي كان مفعولا به لرأيت نحو أرأيت زيدا ما صنع ، وقد يحذف نحو : { أرأيتمكم إن أتاكم عذاب الله } الآية وكم ليس هو بمفعول بل هو حرف خطاب ولا بد أتيت بذلك المنصوب أو لم تأت به من استفهام ظاهر أو مقدر يبين الحال المستخبر عنها فالظاهر نحو قولك أرأيت زيدا ما صنع ، و { أرأيتمكم إن أتاكم عذاب الله بغتة أو جهرة هل يهلك } الآية والمقدر كقوله تعالى { أرأيتم هذا الذي كرمت علي لئن أخرتني { أي أرأيتم هذا المكرم لم كرمته . وقوله : { لئن أخرتني { كلام مستأنف ، وقد تكون الجملة المتضمنة للاستفهام جوابا

للشرط كقوله تعالى { أرأيتمكم إن أتاكم عذاب الله } ولا محل للجملة المتضمنة للاستفهام لأنها بيان للحال المستخبر عنها لأنه قال المخاطب لما قلت أرأيت زيدا عن أي شيء يسأل من حاله فقلت ما صنع فهو بمعنى قولك أخبرني عنه ما صنع وليس الجملة المذكورة المفعول الثاني (لرأيت) كما ظن بعضهم ، ويلحق الكاف الحرفية بأرأيت الذي هو بمعنى أخبر لأنه لما صرا بمعنى..... كان كاسم الفعل المنقول إلى الفعلية عن

شيء آخر نحو النحاك فاستغني بتصريف الكاف تشية وجمعا وتأنيثا عن تصريف الخطاب
فتبقى التا في الأحوال مفردة مفتوحة سواء كان المخاطب مذكرا أو مؤنثا مفردا أو مثني
أو مجموعا وفاعل رأيته التاء لا أنت المقدر نحو رويدك لأن مفعوله نفي منصوبا على
حالة مع صيرورته بمعنى أخبرني نحو إن أذاك زيدا ما صنع فلا منع من بقا فاعله أيضا ،
وقال الفراء الإسناد عن التاء إلى الكاف وهو مثل رويدك والنحاك أعني أن الكاف
مرفوع المحل فإذا فعل القلب فالكاف الملحق به اسم يتصرف بتصريف المفعول
الثاني ، وكذا التاء يتصرف بتصريف المفعولين نحو رأيته زيدا وأريتهما كما الزيدين
وأريتهما وكما الزيدين وأريتهما هندا وأريتهما كما الهنديين وأريتهن الهندات ، وإذا
تقرر هذا (فقول المصنف) والضمير الثاني لا محل له من الإعراب فيه تساهل في العبارة
لأن الكاف هنا ليست بضمير وقد صرح بذلك في المفصل وأشار إليه هنا بقوله لا محل له
من الإعراب فإنه لو كان اسما وقد وقع في التركيب لم يكن له بد من محل من الإعراب
وعلى هذا فالكاف حرف خطاب أتى به لتأكيد الخطاب في التاء.

(٤٥/٤)

والضمير الثاني لا محل له من الإعراب؛ لأنك تقول: رأيته زيدا ما شأنه، فلو جعلت
للكاف محلا لكنت كأنك تقول: رأيته نفسك زيدا ما شأنه؟ وهو خلف من القول، ومتعلق
الاستخبار محذوف، تقديره: إن أتاكم عذاب الله { أو أتتكم الساعة } من تدعون. ثم
بكتهم بقوله: { أغير الله تدعون } بمعنى أخصون آلهتكم بالدعوة فيما هو عادتكم إذا
أصابكم ضرر، أم تدعون الله دونها { بل إياه تدعون } بل تخصونه بالدعاء دون الآلهة {
فيكشف ما تدعون إليه } أي ما تدعون إلى كشفه { إن شاء } إن أراد أن يتفضل عليكم ولم
يكن مفسدة { وتنسون ما تشركون } وتركون آلهتكم أو لا تذكرونها في ذلك الوقت: لأن
أذهانكم في ذلك الوقت مغمورة بذكر ربكم وحده، إذ هو القادر على كشف الضر دون غيره،
ويجوز أن يتعلق الاستخبار بقوله: { أغير الله تدعون } كأنه قيل: أغير الله تدعون إن
أتاكم عذاب الله. فإن قلت: إن علق الشرط به (١)

(١) قوله: فإن قلت: إن علق الاستخبار إلى آخره إن قيل ما وجه تخصيص السؤال بالثاني
وهو تعليق الاستخبار بقوله { أغير الله يدعون } مع وروده على الوجه الأول أيضا فإن
قوارع الساعة لا ينكشف على التقديرين؟ قلنا: إنما خصصه بالثاني لنكتة لطيفة فلما
وقف عليها فيجب الإشارة إليها وبيان ذلك أنه إذا تعلق الاستخبار بمقدر وهو من يدعون

كان الشرطان وهما { إن أتاكم عذاب الله أو أتتكم الساعة } متعلقين بذلك الفعل المقدر لا بما بعدهما ويكون قوله { أغير الله } على هذا الكلام مستقل وارد للتفريع منقطع عما قبله فلا يتوهم تقييد الكسف بالشرطين وأما على الوجه الثاني وهو تعليق الاستخبار بقوله { أغير الله يدعون } فلا فعل قبله يصلح تعليق الشرطين به فلا بد من تعليقهما بقوله { أغير الله يدعون } كأنه قال أخبروني أغير الله تدعون إن أتاكم عذاب الله أو أتتكم الساعة بل إياه تدعون حينئذ أي إن أتاكم عذابه أو أتتكم الساعة فيكشف ما تدعون إليه في الحالين وهما إتيان العذاب أو إتيان الساعة فالكشف يتعلق بإتيان الساعة أيضا فيه والسؤال ، وقال أبو التقاء: مفعول رأييتكم محذوف أي رأييتكم عبادتكم الأصنام دل عليه قوله { أغير الله تدعون } . وقيل الشرط والجزاء

مفعوله وأما جواب الشرط فما دل عليه الاستفهام أي رأييتكم (إن أتتكم) الساعة دعوتكم الله ، وقوارع الدهر شدائده. وقوله :ولكنه جاء بلولا ليفيد أنه لم يكن لهم عذر لأن نفي التضرع لا يدل على عدم المانع من التضرع فربما كان عدمه لعذر ومانع أما إذا جاء بلولا التي معناها اللوم والتنديد مهما دخلت على الماضي تبين أن ترك التضرع ما كان لعذر ومانع بل للعناد ولا أن ثم مانعا يمنعهم عن التضرع لم يتحقق اللوم والتنديد على تركه لأن الإنسان إنما يلام على ترك ما يمكن منه دون ما امتنع .
(٤٦/٤)

فما تصنع بقوله: { فيكشف ما تدعون إليه } مع قوله: { أو أتتكم الساعة } وقوارع الساعة لا تكشف عن المشركين؟ قلت: قد اشترط في الكشف المشيئة، وهو قوله: { إن شاء }

إيدانا بأنه إن فعل كان له وجه من الحكمة، إلا أنه لا يفعل لوجه آخر من الحكمة أرجح منه.

ولقد أرسلنا إلى أمم من %s٦=dy7 فأخذناهم بالبأساء والضراء لعلهم يتضرعون (٤٢)
فلولا إذ جاءهم بأسنا تضرعوا ولكن قست قلوبهم z`fy-ur لهم الشيطان ما كانوا يعملون
(٤٣) فلما نسوا ما ذكروا به sYstFsù\$ عليهم &uq/r"<z كل شيء #سLxm®
إذا (#مقحسù

بما (#ùqè?ré& أخذناهم بغتة فإذا هم tbqف،د=٧-44) B فقطع دابر القوم الذين ظلموا

كôJutù: \$#ur%# لله رب العالمين (٤٥)

البأساء، والضراء: البؤس، والضرر. وقيل: البأساء: القحط والجوع. والضراء: المرض ونقصان الأموال والأنفس. والمعنى: ولقد أرسلنا إليهم الرسل فكذبوهم فأخذناهم { لعلمهم يتضرعون } يتذللون ويتخشعون لربهم ويتوبون عن ذنوبهم { فلولاً إذ جاءهم بأسنا تضرعوا } معناه: نفي التضرع، كأنه قيل: فلم يتضرعوا إذ جاءهم بأسنا. ولكنه جاء بلولاً ليفيد أنه لم يكن لهم عذر في ترك التضرع إلا عنادهم (١) وقسوة قلوبهم، وإعجابهم بأعمالهم التي زينها الشيطان لهم { فلما نسوا ما ذكروا به } من البأساء والضراء: أي تركوا الاعتنا به ولم ينفع فيهم ولم يجرهم { ففتحنا عليهم أبواب كل شيء } من الصحة والسعة وصنوف النعمة، ليزواج (٢)

(١) قوله: إلا عنادهم إن رفع عنادهم كما هو السماع فالوجه أن يكن قوله عذر في معنى سبب أو حامل لأن العناد ليس بعذر حتى يبدل منه وإن نصب فالعذر بمعناه والاستثناء منقطع .

(٢) قوله: ليزواج المزوجة بين العلمين (العملين) أن يعمل هذا مرة وهذا مرة ، ويقال راح بين رجله إذا قام على إحداها مرة وعلى الأخرى أخرى. قال الطيني : وقوله التراوح عليهم إلى قوله كما يفعل الأب المشفق لا يصلح أن يكون تعليلاً لقوله { ففتحنا عليهم أبواب كل شيء } لأنه هذا مكر واستدراج من حيث لا يعلمون ، وأقول سلمنا أن ذلك استدراج ولكن ما المانع مع كونه استدراجاً من كونه علة لفتحنا ..

(٤٨/٤)

عليهم بين نوبتي الضراء والسراء، كما يفعل الأب المشفق بولده يخاشنه تارة ويلاطفه أخرى، طلباً لصاحه { حتى إذا فرحوا بما أوتوا } من الخير والنعم، لم يزدوا على الفرح (١) والبطر، من غير انتداب لشكر ولا تصد لتوبة واعتذار { أخذناهم بغتة (٢) فإذا هم مبلسون } واجمون، متحسرون آيسون { فقطع دابر القوم } آخرهم لم يترك منهم أحد، قد

استؤصلت شأفتهم { والحمد لله رب العالمين } إيدان بوجوب الحمد (٣) عند هلاك الظلمة، وأنه من أجل النعم وأجزل القسم. وقرئ: { ففتحنا } بالتشديد.

(١) قوله: لم يزيدوا على الفرح تفسير لقوله: { حتى إذا فرحوا بما أوتوا } وجوابه { أخذناهم } وقوله من غير إنذار لسكر قيل هو حال من المجرورين قبله ومن ابتدائية أي لم يزيدوا على الفرح والنظر كائين من عدم الشكر والتوبة وقيل هو حال من فاعل لم يزيدوا ومن مريده أي لم يزيدوا على الفرح حال كونهم غير مبتدين لشكر ولا متصددين لتوبة .

(٢) قوله: أخذناهم بغتة . قال أبو التقاء مصدر في موضع الحال من الفاعل أي مباغتين

أو من المفعولين أي مبغوتين ويجوز أن يكون مصدرا على المعنى لأن { أخذناهم } بمعنى بغتناهم والواجم الذي اشتد حزنه حتى أمسك عن الكلام.

(٣) قوله: إيدانا بوجوب الحمد عند هلاك الظلمة . قيل هذا يؤذن أن الحمد لله إخبار بمعنى الأمر أي احمدا الله وكذا لما ورد في القرآن من هذا . وأقول: وجوب الحمد مستفاد من قوله الحمد لله وإن كان خبرا على ظاهره لأن هلاك الظلمة إذا كان نعمة على من سواهم وشكر النعمة واجب عقلا وجب الحمد هذا على مذهب المصنف، وقوله ولقد أرسلنا

إلى قوله الحمد معترض بين قوله { قل رأيتمكم } و { قل رأيتمكم } مؤكد لمضمون الكلامين.

(٤/٩٤)

@%è% رأيتم إن أخذ الله سمعكم N.ن. u.چ | ء/ur&r وختم على قلوبكم من إله مچxî
الله

يأتيكم به انظر كيف نصرف الآيات ثم هم يصدفون احذب
{ إن أخذ الله سمعكم وأبصاركم { بأن يصمكم ويعميكم { وختم على قلوبكم { بأن يغطي
عليها ما يذهب عنده فهمكم وعقلكم { يأتيكم به { أي يأتيكم بذلك، إجراء للضمير مجرى
اسم الإشارة أو بما أخذ وختم عليه { يصدفون عن الآيات بعد ظهورها.
قل رأيتمكم إن أتاكم عذاب الله بغتة أو ,ouچôgy_ هل يهلك إلا القوم
Jكcq="à9\$#©=

احذب

لما كانت البغته(١) أن يقع الأمر من غير أن يشعر به وتظهر أماراته، قيل: { بغتة أو
جهرة { وعن الحسن: ليلا أو نهارا. وقرئ: "بغته أو جهرة" { هل يهلك { أي ما يهلك
هلاك تعذيب وسخط إلا الظالمون. وقرئ: هل يهلك "بفتح الياء.

وما نرسل $\text{TM}y=\text{stûi}$ جك $\text{J9}\$ \#$ إلا مبشرين ومنذرين فمن آمن وأصلح فلا $\text{i}\$qyz$

خ $\text{n}=\text{t}^{\text{z}}\text{k}\text{N}$ م ولا

هم $\text{ts}^{\text{+}}\text{tbqçRu}$ احرب

{ مبشرين ومنذرين } من آمن بهم وبما جاؤا به وأطاعهم، ومن كذبهم وعصاهم ولم يرسلهم ليتلهم بهم ويقترح عليهم الآيات بعد وضوح أمرهم بالبراهين القاطعة { وأصلح } ما يجب عليه إصلاحه مما كلف.

والذين كذبوا بآياتنا يمسهم العذاب بما كانوا يفسقون احزب

)

(١) قوله: لما كانت البغته أراد أنه لا يقابل بين بغته وجهرة من حيث اللفظ لأن بغته

لما كانت في معنى خفية جعلت المقابلة ومعنى بهم ويستجير بهم .

(٥٠/٤)

جعل العذاب (١) ماسا، كأنه حي يفعل بهم ما يريد من الآلام. ومنه قولهم: لقيت منه

الأميرين والأقورين، حيث جمعوا جمع العقلاء. وقوله: { إذا رأيتهم من مكان بعيد سمعوا

لها تغيظا وزفيرا } (الفرقان: ١٢).

قل لا أقول لكم عندي $\text{yz}^{\text{+}}\text{î!}\#\text{uû}$ الله ولا أعلم الغيب ولا أقول لكم 'د oT (خ) ملك

إن

أتبع إلا ما يوحى إلي قل هل يستوي الأعمى مثرجاء $\text{t79}\$ \#\text{ur}$ أفلا تتفكرون اخب

(١) قوله: جعل العذاب كأنه حي . قيل يجوز أن يريد أن الاستعارة واقعة في المس فتكون

تبعية وفي العذاب فيكون مكتبة ، والظاهر الثاني بشهادة الاستشهاد بالأميرين وهي

الدواهي ، وكذا الأقورين قيل هما من المرارة والتقوير وهو القطع.

(٥١/٤)

أي لا أدعي (١) ما يستبعد في العقول أن يكون لبشر من ملك خزائن الله - وهي قسمة

بين الخلق وإرزاقه، وعلم الغيب، وأني من الملائكة الذين هم أشرف جنس خلقه الله

تعالى وأفضله وأقربه منزلة منه. أي لم أدع إلهية (٢)

(١) قوله: لا ادعى ما يستبعد في العقول، أي ما يستحيل فيها.
(٢) قوله: أي لم يدع الإلهية ولا ملائكية جعل مجموع قوله { عندي خزائن الله ولا أعلم الغيب } عبارة عن معنى الإلهية لأن قسمه الأرزاق بين العباد ومعرفة علم الغيب مخصوصان به ولهذا لم يكرر لفظ لا أقول. قيل قوله { ولا أعلم الغيب } كما كرره قبل قوله { ولا أقول لكم إني ملك } قيل هذا النسق يهدم قاعدة استدلاله في قوله تعالى : { لن يستنكف المسيح } الآية على تفضيل الملائكة على البشر لأنه قد ذكر الإلهية هاهنا قبل ذكر الملائكة ويمكن أن يجاب عن ذلك بأنه لم يستدل بمجرد ذكر الملائكة بعد ذكر المسيح على فضلهم عليه بل بذلك مع مقام الإخبار عن عدم الاستنكاف لأن القياس في

مقام عدم الاستنكاف الترقى من الأدنى إلى الأعلى ، وأما في مقام الإخبار عن عدم إدعاء المستبعد المحال فالقياس ذكر ما هو أشد استبعادا واستحالة ثم ذكر ما هو دونه يحقق هذا أن ذكر الأعلى في المقام الأول يدل على الأدنى بطريق الأولى فلم يجز ذكر الأدنى بعده لعدم الفائدة ، وفي المقام الثاني الأمر بالعكس أعني أن ذكر الأدنى يدل على الأعلى بطريق الأولى لأن من لم يتجاسر على إدعاء الملائكية فالأولى أن لا يتجاسر عن ادعاء الإلهية ، أما لا يلزم من عدم التجاسر على الأعلى عدم التجاسر على الأدنى ، تأمل هذا الجواب فإنه دقيق جليل ، وعن أبي علي الجبائي : أن هذه الآية تدل على فضل الملائكة على الأنبياء لأن المعنى لا ادعي منزلة أقوى من منزلي ، قال عبد الجبار إن كان الغرض من النفي التواضع فالأقرب لزوم الأفضلية وإن كان الغرض نفي قدرته على أفعال لا يقوى عليها إلا الملائكة فلا ..

(٥٢/٤)

ولا ملكية؛ لأنه ليس بعد الإلهية منزلة أرفع من منزل الملائكة، حتى تستبعدوا دعواي وتستكرونها. وإنما ادعي ما كان مثله لكثير من البشر وهو النبوة { هل يستوي الأعمى والبصير } مثل للضال والمهتدي(١) ويجوز أن يكون مثلاً لمن اتبع ما يوحى إليه. ومن لم يتبع. أو لمن ادعى المستقيم وهو النبوة. والمحال(٢)

(١) قوله: مثل الضال والمهتدي يريد أن هذه الخاتمة كالتذييل الذي هو في آخر الكلام على سبيل التمثيل ، وقوله { أفلا يتفكرون } كالتميم للتذييل والتنبيه على مكان التذييل ثم المذيل إما ما سيق من أول هذه السورة وجميع ما جرى له مع القوم من الدعوة إلى الحق و إلى الباطل وإليه أشار بقوله فلا تكونوا ضالين إلى

قوله لتمييزوا بين الحق والباطل وليعلموا الضال والمهتدي وإما ما سيق من قوله { إن أتبع إلا ما يوحى إلي } فالتصبر من يتبع ما يوحى إليه وهو الرسول صلى الله عليه

وآله وسلم والأعمى من لا يرفع له رأسا وهو المراد بقوله فيعلموا أن اتباع ما يوحى إلى ما بد لي منه حتى أكون مهتديا لا ضالا أفلا يتفكرون إلى قوله : ولست بضال في تركه ، وأما ما سيق من قوله : { لا أقول عندي خزائن الله ولا أعلم الغيب ولا أقول لكم إني ملك } فالأعمى من يدعي هذا والبصير من يتبع الوحي ويدعي النبوة وإليه الإشارة بقوله فيعلموا أنني ما ادعيت مالا يليق بالبشرية يعني أفلا يتفكرون في اهتدائي إلى طريق الحق ومجانبتي عن الباطل .

(٢) قوله: والمحال وهو الإلهية أو الملائكية . الانتصاف : دعوى الملائكة من الممكنات لأن الجواهر متماثلة والمعاني القائمة ببعضها يجوز أن تقوم بكلها. الإنصاف : ومن البين فيه قوله تعالى { ما نهاكما ربكما عن هذه الشجرة إلا أن تكونا ملكين } أطمع آدم في أن يصير ملكا والنبي لا يطمع في المستحيل.. أقول لا شك أن من صفات البشر

وصفات الملك تنافيا وإذا تنافت صفات الملك والبشر استحال أن يكون ملكا مع بقاء صفاته. لنا أن نقول مراده استحالة استحالة أن يقدر العبد على جعل نفسه ملكا ولا شك أن هذا محال وكان الواجب على صاحب الانتصاف لما رام الاعتراض أن يقول الملائكة من الممكنات لا دعوى الملائكية فإن دعوى الإلهية أيضا من الممكنات ولهذا ادعى فرعون وغيره من الأتقياء الإلهية . وأما قول صاحب الإنصاف والنبي لا يطمع في المحال ، قلنا إن تقول من (أين) علمت أن آدم عليه السلام طمع في ذلك وليس في القرآن ما يدل على ذلك صريحا؟. ومعنى ينجع فيهم يؤثر .

(٥٣/٤)

وهو الإلهية أو الملكية { أفلا تتفكرون } فلا تكونوا ضالين أشباه العميان. أو فتعلموا أنني ما ادعيت ما لا يليق بالبشر. أو فتعلموا أن اتباع ما يوحى إلي مما لا بد لي منه. فإن قلت: { أعلم الغيب } ما محله من الإعراب؟ قلت: النصب عطفًا على قوله: { عندي خزائن الله } ، لأنه من جملة المقول كأنه قال: لا أقول لكم هذا القول ولا هذا القول.

وأندر به الذين يخافون أن يحشروا إلى ربهم ليس لهم من دونه ولي ولا شفيع لعلهم يتقون (٥١)

}

(٥٤/٤)

وأُنذر به { الضمير راجع إلى قوله: { وما يوحى إلي } و { الذين يخافون أن يحشروا } إما قوم داخلون في الإسلام مقرون بالبعث إلا أنهم مفرطون في العمل فينذرهم بما يوحى إليه { لعلهم يتقون } أي يدخلون في زمرة المتقين من المسلمين. وأما أهل الكتاب لأنهم مقرون بالبعث. وإما ناس من المشركين علم من حالهم أنهم يخافون إذا سمعوا بحديث البعث أن يكون حقاً فيهلكوا، فهم ممن يرجى أن ينجع فيهم الإنذار، دون المتمردين منهم، فأمر أن ينذر هؤلاء. وقوله: { ليس لهم من دونه ولي ولا شفيع } في موضع الحال من يحشروا، بمعنى يخافون أن يحشروا غير منصورين ولا مشفوعاً لهم، ولا بد (١) من هذه الحال، لأن كلا محشور، فالمخوف إنما هو الحشر على هذه الحال.

(١) قوله: ولا بد من هذه الحال لأن كلا محشور إلى آخره. اعلم: أن ما ذكره هنا مبني على أصل وهو أن معنى الآية ابتداءً به من ينجع في الإنذار دون غيره وإذا تقرر هذا فلا شك أن الإنذار إنما يؤثر فيمن يخاف ويخشى فقط والخوف والخشية لا يتعلقان إلا بما فيه ضرر متوقع مجوز من غير قطع وعلى هذا فلا بد من هذه الحال إذ لو قيل وأنذر به الذين يحشرون لعم الإنذار من ينفع فيه وغيره وهو خلاف المفهوم من الآية وإليه أشار بقوله لأن كلا محشور ولو قال وأنذر به الذين يخافون أن يحشروا فقط لم يصح لأن الحشر بمجرد لا ضرر فيه فيخشى فحينئذ لزم التقييد بالحال حتى يتحقق اختصاص

الإنذار بالخشاشين ويصح تعلق الخشية بالحشر على هذه الحال يصح تعلق الخشية به ويكفي في الخشية تجويز ألا يكون لهم ولي ولا شفيع ولا يلزم من ذلك عدم الولي والشفيع وبهذا التقدير يندفع ما أورد على المصنف في بعض الحواشي مما أطيّب فيه الكلام ويسرع فيه إلى التشنيع واللام.

(٥٥/٤)

wurن تطرد الذين يدعون ربهم د\$%ot9\$خ/ والعشي tbr%كf حجمf وجهه ما عليك من حسابهم

من شيء وما من حسابك عليهم من شيء فتطردهم فتكون من ٢Jd="©52 (à9\$# ذكر غير المتقين من المسلمين وأمر بإنذارهم ليتقوا، ثم أردفهم ذكر المتقين منهم

وأمره بتقريبهم وإكرامهم، وأن لا يطيع فيهم من أراد بهم خلاف ذلك، وأثنى عليهم بأنهم يواصلون دعاء ربهم أي عبادته ويواظبون عليها، والمراد بذكر الغداة والعشي: الدوام. وقيل معناه: يصلون صلاة الصبح والعصر، ووسمهم بالإخلاص في عبادتهم بقوله: { يريدون وجهه } والوجه يعبر به عن ذات الشيء وحقيقته. روى:

(٣٧٦) أن رؤسا من المشركين قالوا لرسول الله

: لو طردت عنا هؤلاء الأعداء يعنون فقراء المسلمين، وهم عمار وصهيب وبلال وخباب وسلمان وأضرابهم رضوان الله عليهم وأرواح (١) جبابهم وكانت عليهم جباب من صوف جلسنا إليك وحادثناك، فقال عليه الصلاة والسلام: ما أنا بطارد المؤمنين. فقالوا: فأقمهم عنا إذا جئنا، فإذا قمنا فأقعدهم معك إن شئت. فقال: نعم، طمعا في إيمانهم. وروي أن عمر رضي الله عنه قال: لو فعلت حتى ننظر إلى ما يصيرون. قال فاكذب بذلك كتابا، فدعا بصحيفة وبعلي رضي الله عنه ليكتب. فنزلت. فرمى بالصحيفة، واعتذر عمر من مقالته. (٣٧٧) قال سلمان وخباب: فينا نزلت فكان رسول الله

(١) قوله: وأرواح جبابهم أي روائحها الكريهة وهو عطف على هو لا إلا عند على تقدير وأتعذب أرواح جبابهم ، نحو قوله: علقتها تبنا وماء باردا . (٥٦/٤)

يقعد معنا ويدنو منا حتى تمس ركبتنا ركبته. وكان يقون عنا إذا أراد القيام فنزلت: { واصبر نفسك مع الذين يدعون ربهم } فترك القيام عنا إلى أن نقوم عنه وقال: الحمد لله الذي لم يمتني حتى أمرني أن أصبر نفسي مع قوم من أمتي. معكم المحيا ومعكم الممات { وما عليك من حسابهم من شيء } كقوله: { إن حسابهم إلا على ربي } (١) (الشعراء: ١١٣)

وذلك أنهم طعنوا في دينهم وإخلاصهم، فقال: { ما عليك من حسابهم من شيء } بعد شهادته

لهم بالإخلاص ويارادة وجه الله في أعمالهم على معنى: وإن كان الأمر على ما يقولون عند الله، فما يلزمك إلا اعتبار الظاهر والاتسام بسيمة المتقين وإن كان لهم باطن غير مرضي فحسابهم عليهم لازم لهم لا يتعداهم إليك، كما أن حسابك عليك لا يتعداك إليهم، كقوله: { ولا تزر وازرة وزر أخرى } (الزمر: ٧). فإن قلت: أما كفى قوله: { ما

عليك من حسابهم من شيء { حتى ضم إليه { وما من حسابك عليهم من شيء { ؟ قلت: قد جعلت

الجملتان بمنزلة جملة واحدة، وقصد بهما مؤدى واحد وهو المعنى في قوله: { ولا تزر
وازره وزر أخرى { (الزمر: ٧) ولا يستقل بهذا المعنى إلا الجملتان جميعاً، كأنه قيل:
لا تؤاخذ أنت ولا هم بحساب صاحبه. وقيل: الضمير للمشركين. والمعنى: لا يؤاخذون
بحسابك ولا أنت بحسابهم، حتى يهمل إيمانهم ويحرك الحرص عليه إلى أن تطرد المؤمنين
}

فتطردهم { جواب النفي { فتكون من الظالمين { جواب النهي. ويجوز أن يكون عطفاً على {
فتطردهم { على وجه التسبيب، لأن كونه ظالماً مسبب عن طردهم. وقرئ: "بالغدوة
والعشي".

(١) قوله: كقوله { إن حسابهم إلا على ربي { شبهه به في أن المفهوم من هذه الآية
النازلة في حق محمد صلى الله عليه وآله وسلم وجوب اعتباره لظاهر حال قومه ثم بعد
ذلك لو كان لهم ذنب لم يتعد ضرره إليه كما أن المفهوم من تلك الآية النازلة في حق
نوح مثل ذلك.
(٥٧/٤)

ur۲ux`۹y7 فتنا بعضهم ببعض (#j9dqà)u۹ûq# أهؤلاء من الله عليهم من بيننا
أليس

الله بأعلم tûiحج۶"O±9\$\$\$خ/ (٥٣)

{ وكذلك فتنا { ومثل ذلك (١) الفتن العظيم، فتنا بعض الناس ببعض، أي ابتليناهم بهم.
وذلك أن المشركين كانوا يقولون للمسلمين { أهؤلاء؟ { الذين { من الله عليهم من
بيننا { أي أنعم عليهم بالتوفيق لإصابة الحق ولما يسعدهم عنده من دوننا، ونحن

المقدمون والرؤساء، وهم العبيد والفقراء، إنكاراً لأن يكون أمثالهم على الحق وممنتونا
عليهم من بينهم بالخير، ونحوه { ألقى الذكر عليه من بيننا { (القمر: ٢٥)، { ولو
كان خيراً ما سبقونا إليه { (الأحقاف: ١١). ومعنى فتناهم ليقولوا ذلك: خذلناهم
فافتنوا، حتى كان افتتانهم سبباً لهذا القول، لأنه لا يقول مثل قولهم هذا إلا مخذول
مفتون { أليس الله بأعلم بالشاكرين { أي الله أعلم بمن يقع منه الإيمان والشكر
فيوفقه للإيمان. وبمن يصمم على كفره فيخذله ويمنعه التوفيق.

ur(خ#œ من جاءك الذين يؤمنون بآياتنا فقل سلام عليكم كتب ربكم على نفسه الرحمة أنه

عمل منكم ك#ûqL™ بجهالة ثم تاب من ¼nd%÷èt/ وأصلح فإنه غفور رحيم
(٥٤)

}

(١) قوله: ومثل ذلك الفتن العظيم المشار إليه ما دل عليه التعليل كأنه تعالى أشار إلى فتنة عظيمة مقدرة . قال القاضي : ومثل ذلك الفتن هو اختلاف أحوال الناس في أمور الدنيا فتنا ثم علله بقوله لتقولوا ، وإليه الإشارة بقوله حذرناهم فافتتنوا كأن افتتنهم سببا لهذا القول بعد وضع الافتتان موضع الخذلان اطلاقا لاسم المسبب على السبب وقد قال أولا فتنا بعض الناس ببعض ابتليناهم بهم بحسب اللغة وثانيا معنى فتناهم ليقولوا ذلك خذلناهم فافتتنوا بحسب تلخيص المعنى ، ومغزى الكلام وليست اللام في ليقولوا للعرض حقيقة كما ظن.
(٥٨/٤)

فقل سلام عليكم { إما أن يكون أمرا بتبليغ سلام الله إليهم. وإما أن يكون أمرا بأن يبدأهم بالسلام إكراما لهم وتطييبا لقلوبهم. وكذلك قوله: { كتب ربكم على نفسه الرحمة { من جملة ما يقول لهم ليسرهم ويبشرهم بسعة رحمة الله وقبوله التوبة منهم. وقرئ: "إنه" فإنه بالكسر على الاستئناف كأن الرحمة استفسرت ف قيل: { أنه من عمل منكم { وبالفتح على الإبدال من الرحمة { بجهالة { في موضع الحال، أي عمله وهو جاهل. وفيه معنيان، أحدهما: أنه فاعل فعل الجهالة لأن من عمل ما يؤدي إلى الضرر في العاقبة وهو عالم بذلك أو ظان فهو من أهل السفه والجهل، لا من أهل الحكمة والتدبير. ومنه قول الشاعر:

على أنها قالت عشية(١) زرتها

والثاني: أنه جاهل(٢) بما يتعلق به من المكروه والمضرة. ومن حق الحكيم أن لا يقدم على شيء حتى يعلم حاله وكيفيته. وقيل: إنها نزلت في عمر رضي الله عنه حين أشار بإجابة الكفرة إلى ما سألوا ولم يعلم أنها مفسدة.

(١) قوله: ... جهلت على عمد ولم تك جاهلا

على أنها قالت عشية رزئها ... جهلت على عمد ولم تك جاهلا

معنى جهلت سفهت وإنما نسبته إلى السفه حين زارها لأنها خافت عليه من قومها أن يعلموا به فيقتلوه وقوله على عمد في محل الحال أي فعلت فعل الجهال متعمد وقد بالغت في نسبته إلى السفه لأن فعل السفهاء لو صدر عن الإنسان لا عن عمد ربما عذر في ذلك ، ومعنى ولم يك جاهلا ولم يكن الجهل شيمتك ولم تنسب إليه قبل ذلك .

(٢) قوله: والثاني أنه جاهل بما يتعلق به من المكروه جعل الجهالة في الأول مطلقة

غير مقيدة لتفيد المبالغة وإلى ذلك أشار بقوله فهو من أهل السفه والجهل ، وفي

الثاني قيدها بما يقتضيه السياق قبل فالجهالة على الأول مجاز وعلى الثاني حقيقة.

(٥٩/٤)

وقرىء: "ولتستبين" بالتاء والياء مع رفع السبيل لأنها تذكر وتؤنث. وبالتاء على خطاب

الرسول مع نصب السبيل. يقال: استبان الأمر وتبين واستبينته وتبينته. والمعنى: ومثل

ذلك التفصيل البين لفصل آيات القرآن ونلخصها في صفة(١) أحوال المجرمين. من هو

مطبوع

على قلبه لا يرجى إسلامه، ومن يرى فيه إمارة القبول وهو الذي يخاف إذا سمع ذكر

القيامة، ومن دخل في الإسلام إلا أنه لا يحفظ حدوده، ولتستوضح سبيلهم فتعامل كلا

منهم بما يجب أن يعامل به، فصلنا ذلك التفصيل.

قل 'د'x (خ) kçX أن أعبد الذين تدعون من دون الله قل لا أتبع أهواءكم قد

ضللت إذا

وما أنا من المهتدين (٥٦) قل 'د'x (خ) على بينة من 'د'1n وكذبتم به ما عندي ما

تستعجلون به إن الحكم إلا لله يقص الحق وهو مژçyz ح،#ئ"x\$9\$ (٥٧) قل لو

أن عندي

ما تستعجلون به لقضي الأمر سة_ط t/ur ÷ t/ôMà6sY والله أعلم

ژJüD="©\$9\$àخ/ (٥٨)

}

(١) قوله: في صفة أحوال المجرمين من هو مقطوع من بدل من المجرمين ومن يرى معطوف على

من وكذلك ومن دخل في الإسلام يريد أن ذلك في قوله { وكذلك نفصل } إشارة إلى ما سبق من أحوال الطوائف الثلاث من لدن قوله { والذين كذبوا بآياتنا } الآية لأن هذه الآية في المطبوع على قلوبهم ، وقوله { والذين يخافون } الآية فيمن يرى فيه أمانة القبول لأنه هو المنذر المرجو إسلامه لقوله { يخافون ولعلهم يتقون } وقوله { وإذا جاءك الذين يؤمنون } الآية فيمن دخل في الإسلام إلا أنه غير محافظ على حدوده فعلى هذا قوله { ولتستبين } إذا قدر المعلل فصلنا ذلك التفصيل بدلالة السابق عطف جملة على جملة ، قيل ويجوز عطفه على علة مقدرة أي يفصل الآيات ليظهر الحق وليستبين سبيل المجرمين.

(٦٠/٤)

نهيت { صرفت وزجرت، بما ركب في من أدلة العقل، وبما أوتيت من أدلة السمع عن عبادة ما تعبدون } من دون الله { وفيه استجهال لهم ووصف بالافتحام فيما كانوا فيه على غير بصيرة } قل لا أتبع أهواءكم { أي لا أجري في طريقتكم التي سلكتموها في دينكم من اتباع الهوى دون اتباع الدليل، وهو بيان للسبب الذي منه وقعوا في الضلال، وتنبه لكل من أراد إصابة الحق ومجانبة الباطل { قد ضللت إذا } أي إن اتبعت أهواءكم فأنا ضال وما أنا من الهدى (١) في شيء يعني أنكم كذلك.

(١) قوله: وما أنا من الهدى في شيء . قيل يعني أن اللام في المهتدين للجنس والمعنى وما أنا في عدادهم وزمرتهم تعريضا بهم وهو المراد بقوله إنكم كذلك يعني إذن لم تكونوا من زمرة المهتدين فلا تكونوا من الهدى في شيء على طريق الكناية ، وقيل في

قوله وما أنا من الهدى في شيء في تفسير وما أنا من المهتدين نظر لأن هذا الأسلوب في الإثبات يوجب أن يكون الموصوف به ليس ممن له حظ قليل في ذكر الوصف بل يجب أن يكون

ممن له فيه حظوظ وافرة ويكون عريقا فيه مسمى في زمرة المسمين به ، وإذا أوجب ذلك في الإثبات أوجب في السلب أن يكون الموصوف به ليس ممن له حظوظ وافرة وفهم منه أنه ممن له في حظ ما فعلى هذا قوله وما أنا من المهتدين يدل على أنه إذ ذاك ليس بصاحب حظ وافر من الهدى ولا بمعدود في زمرة المهتدين لكن لا يدل على انتفاء الهدى عنه أصلا

ورأسا. والجواب : أن استغراق نفي لا يهدي إنما استفيد من قوله { قد ضللت إذا } لأن معناه قد توغلت في الضلال مثلكم وحينئذ لا يكون من الهداية على شيء وإنما جاء بقوله وما أنا من المهتدين بعده ليشير إلى أن اتباع أهوائكم الذي هو ضلال محض مناف لحالتي التي أنا موصوف بها وهي أنني من المهتدين معدود في زمريهم ومن كان هذه صفته وحاله كيف يتصور منه أن يضل ومن ثم اتبعه قوله { إني على بينة من ربي } .

(٦١/٤)

ولما نفي أن يكون الهوى متبعا نبه على ما يجب اتباعه بقوله: { قل إني على بينة من ربي } ومعنى قوله: { إني على بينة من ربي وكذبتم به } : إني من معرفة ربي وأنه لا معبود سواه، على حجة واضحة وشاهد صدق { وكذبتم به } (١) أنتم حيث أشركتم به غيره. ويقال: أنا على بينة من هذا الأمر وأنا على يقين منه، إذا كان ثابتا عندك بدليل. ثم عقبه بما دل على استعظام تكذيبهم بالله وشدة غضبه عليهم لذلك وأنهم أحقاء بأن يغافصوا بالعذاب المستأصل فقال: { ما عندي ما تستعجلون به } يعني العذاب الذي استعجلوه في قولهم: { فأمطر علينا حجارة من السماء } (الأنفال: ٣٢) { إن الحكم إلا لله } في تأخير عذابكم { يقض الحق } أي القضاء الحق في كل ما يقضي من التأخير والتعجيل في أقسامه { وهو خير الفاصلين } أي القاضين. وقرأ: "يقض الحق" أي يتبع الحق والحكمة فيما يحكم به ويقدره، من قص أثره { لو أن عندي } أي في قدرتي وإمكانتي { ما تستعجلون به } من العذاب { لقضي الأمر بيني وبينكم } لأهلككم عاجلا غضبا لربي وامتناعا من تكذيبكم به. ولتخلصت منكم سريعا { والله أعلم بالظالمين } وبما يجب في الحكمة من كنه عقابهم. وقيل (٢) { على بينة من ربي } على حجة من جهة ربي وهي القرآن { وكذبتم به } أي بالبينة. وذكر الضمير على تأويل البيان أو القرآن. فإن

(١) قوله: { وكذبتم به } قال الزجاج : الهاء كناية عن البيان لأن التنبيه والبيان بمعنى واحد أو كذبتم ما أتيتكم به لأنه هو البيان . قال أبو البقاء : وكذبتم يجوز أن يكون مستأنفا وأن يكون وقد معه مراده ، وفي كلام المصنف إشعار بالثاني ، والمغافصة أخذ الشيء على غرة ، والامتناع الغضب.

(٢) قوله: وقيل على بينة من ربي عطف على قوله إن من عرفة ربي وأنه لا معبود سواه على حجة واضحة فالبينة على الأول المراد بها دليل العقل ، وعلى الثاني المراد بها دليل النقل

قلت: بم انتصب (١) الحق؟ قلت: بأنه صفة لمصدر يقضي أي يقضي القضاء الحق. ويجوز أن

يكون مفعولا به من قولهم: قضى الدرع إذا صنعها، أي يصنع الحق ويدبره. وفي قراءة عبد الله: "يقضى بالحق" فإن قلت: لم أسقطت الياء في الخط؟ قلت: إتباعا للخط اللفظ، وسقوطها في اللفظ لالتقاء الساكنين.

* وعنده مفاتيح الغيب لا يعلمها إلا هو ويعلم ما في البر حج st79\$#ur وما تسقط من ورقة إلا يعلمها ولا p6xm٧ في ظلمات الأرض ولا رطب ولا يابس إلا في كتاب
B-٧xü&
اخرب

(١) قوله: بم انتصب الحق . قيل السؤال مستدرك لتقدم قوله يقضي القضاء الحق . وقيل لعل إعادته لبيان وجه الإعراب بعد سبق تلخيص المعنى أو كرر ليعلق به وجه آخر.
(٦٣/٤)

جعل للغيب (١) مفاتيح على طريق الاستعارة، لأن المفاتيح يتوصل بها إلى ما في المخازن المتوثق منها بالأغلاق والأقفال. ومن علم مفاتيحها وكيف تفتح، توصل إليها، فأراد أنه هو المتوصل إلى المغيبات (٢)

(١) قوله: جعل للغيب مفاتيح على طريق الاستعارة يمكن أن تكون الاستعارة مصرحة بحقيقة استعير للعلم المفاتيح وجعلت القرينة إضافية إلى الغيب يعني عنده علم الغيب ، وقوله لأن المفاتيح تعليل لبيان العلاقة يعني إنما ساغت استعارة المفاتيح لعلم الله لأن المفاتيح هي التي يتوصل بها من علمها وعلم كيفية فتح المخازن المستوثق منها بالإغلاق إلى ما في المخازن من المتاع فعلم منه أنه تعالى أراد بهذه العبارة أنه هو المتوصل إلى مغيبات وحده وإن تكون استعارة تمثيلية بأن يجعل الوجه متفرعا (منتزعا) من أمور متوهمة وهو ما يتوهم من تحصيل شيء مستوثق منه فاخص حصوله بمن عنده ما يتوصل به إليه وأنه مركب من أمور متعددة وهذا البيان ينهك على أن من في من علم موصولة والخبر يوصل إليها والجملة معطوفة على اسم أن وخبره على سبيل التفسير والفاء في

ظلمات الأرض ولا رطب ولا يابس { (حاشية.....) التأكيد وعلى هذا فالاستثناء الثاني
بدل من الأول، والإستداح: الإستلقاء .
(٦٥/٤)

وهو الذي يتوفاكم بالليل { الخطاب للكفرة، أي أنتم منسدحون الليل كله كالجيف {
ويعلم ما جرحتم بالنهار { ما كسبتم من الآثام فيه { ثم يبعثكم فيه { ثم يبعثكم من
القبور في شأن ذلك الذي قطعتم به أعماركم، من النوم بالليل، وكسب الآثام بالنهار،
ومن أجله (١)، كقولك: فيم دعوتني؟ فتقول: في أمر كذا { ليقضى أجل مسمى { وهو الأجل
الذي سماه وضربه لبعث الموتى وجزائهم على أعمالهم. { ثم إليه مرجعكم { وهو المرجع
إلى موقف الحساب { ثم ينبئكم بما كنتم تعملون { في ليلكم ونهاركم.
uqèdur القاهر فوق 3/4ndت6\$دم ويرسل عليكم؛ xm#psàx# Lxm®
إذا جاء أحدكم الموت
توفته رسلنا وهم لا تغحbqèhçxم61f ثم ردوا إلى الله مولاهم الحق ألا له
م#\$:N3çtù وهو أسرع tûüخ؛،"62 (utù:\$#
}

(١) قوله: ومن أجله عطف على سبيل البيان على قوله في شتان ذلك وفيه إشارة إلى أن
الضمير فيه واقع موقع اسم الإشارة .
(٦٦/٤)

حفظة { ملائكة حافظين لأعمالكم وهو الكرام الكاتبون. وعن أبي حاتم السجستاني أنه
كان يكتب عن الأصمعي كل شيء يلفظ به من فوائد العلم، حتى قال فيه: أنت شبيه الحفظة،
تكتب لفظ اللفظة: فقال أبو حاتم: وهذا أيضا مما يكتب. فإن قلت: الله تعالى غني
بعلمه عن كتابة الملائكة، فما فائدتها؟ قلت: فيها لطف للعباد، لأنهم إذا علموا أن
الله رقيب عليهم والملائكة الذين هم أشرف خلقه موكلون بهم يحفظون عليهم أعمالهم
ويكتبونها في صحائف تعرض على رؤس الأشهاد في مواقف القيامة، كان ذلك أزجر لهم عن
القيح وأبعد عن السوء { توفته رسلنا { أي استوفت روحه وهم ملك الموت وأعوانه. وعن
مجاهد: جعلت الأرض له مثل الطست يتناول من يتناوله. وما من أهل بيت إلا ويطوف عليهم
في كل يوم مرتين. وقرئ: "توفاه"، ويجوز أن يكون ماضيا ومضارعا بمعنى تتوفاه. و {

يفرطون { بالتشديد والتخفيف، فالتفريط التواني والتأخير عن الحد، والإفراط مجاوزة الحد أي لا ينقصون(١) مما أمروا به أو لا يزيدون فيه { ثم ردوا إلى الله { أي إلى حكمه وجزائه { مولاهم { مالكم الذي يلي عليهم أمورهم { الحق { العدل الذي لا يحكم إلا بالحق { ألا له الحكم { يومئذ لا حكم فيه لغيره { وهو أسرع الحاسبين { لا يشغله

حساب عن حساب. وقرئ: "الحق" بالنصب على المدح كقولك: الحمد لله الحق.
@% من /نث٣fمdfuZ من ظلمات البر حجst79\$#ur تدعونه تضرعا وخفية لئن أنجانا من

٣/٤nd"yd لنكونن من tûiحج٣"63 (O±9\$# قل الله ن٣fمdfuZ منها ومن كل كرب ثم
أنتم تشركون (٦٤)
}

(١) قوله: لا ينقصون مما أمروا به معنى القراءة بالتشديد ، وقوله أو لا يزيدون فيه معنى القراءة بالتخفيف.
(٦٧/٤)

ظلمات البر والبحر { مجاز عن مخاوفهما وأهوالهما. يقال لليوم الشديد: يوم مظلم، ويوم ذو كواكب. أي اشتدت ظلمته حتى عاد كالليل؛ ويجوز(١) أن يراد. ما يشفون عليه من الخسف في البر والغرق في البحر بذنوبهم، فإذا دعوا وتضرعوا كشف الله عنهم الخسف والغرق فنجوا من ظلماتها { لئن أنجيتنا { على إرادة القول { من هذه { من هذه الظلمة الشديدة. وقرئ: { ينجيكم { بالتشديد والتخفيف، وأنجانا، وخفية، بالضم والكسر.
@% هو القادر على أن يبعث عليكم عذابا من فوقكم أو من تحت ن٣د=م'r أو يلبسكم

شيعا ويذيق بعضكم بأس بعض انظر كيف نصرف الآيات لعلهم يفقهون (٦٥) وكذب به قومك وهو

الحق قل لست عليكم ه@.د.٣uq/خ (٦٦) لكل نيا @ج٣tG,s)ur™t\$y-B
تعلمون (٦٧)
}

(١) قوله: ويجوز أن يراد ما يشفون أي يشرفون وعلى هذا فالمراد بظلمات البر والبحر الحقيقة.

(٦٨/٤)

هو القادر { (١) هو الذي عرفتموه قادرا وهو الكامل القدرة { عذابا من فوقكم { كما أمطر على قوم لوط وعلى أصحاب الفيل الحجارة، وأرسل على قوم نوح الطوفان { أو من تحت

أرجلكم { كما أغرق فرعون وخسف بقارون، وقيل من فوقكم: من قبل أكابركم وسلاطينكم. ومن تحت أرجلكم: من قبل سفلكم وعبيدكم. وقيل: هو حبس المطر والنبات { أو يلبسكم شيئا { أو يخلطكم فرقا مختلفين على أهواء شتى، كل فرقة منكم مشايعة لإمام.

(١) قوله: وهو القادر هو الذي عرفتموه قادرا لما كان الخبر معرّفا باللام وهو إما

للعهد فهو المراد من قوله الذي عرفتموه قادرا وإما للجنس فهو المراد من قوله وهو الكامل القدرة . قال الطيني: وفيه إشعار بمذهبه حيث لم يجعل الحصر حقيقيا وفسره بالكمال كما في { ألم ذلك الكتاب { وحاتم الجواد، وقال الرازي : هذا يفيد الحصر فوجب أن يكون غير الله غير قادر. وأقول: إنما لم يجعله مفيدا للحصر لا لما توهمه الطيني بل لأن ذلك من شرط القصر أن يكون المخاطب معه حاكما حكما مستويا بصواب وخطأ

ويقصد رد خطابه وتقرير صوابه وهذا الشرط منتف هنا لأن المخاطبين لم يعتقدوا أن غير الله قادر على ذلك دون الله حتى يقلب حكمهم ولا اعتقدوا مشاركة غيره له في ذلك حتى يقطع الشركة وأيضا فليس مذهب المصنف أن غير الله قادر على ذلك وأما ما قال الرازي من أنه يفيد الحصر فوجب أن يكون غير الله غير قادر فبعد تسليم إفادته الحصر نقول إن أردت أنه يجب أن يكون غير الله غير قادر على المذكور وهو بعث العذاب من فوق المخاطبين ومن تحت أرجلهم إلى آخر ما ذكر فمسلّم وإن أردت أنه يجب أن يكون غير الله غير قادر على الإطلاق فهو ممنوع ومثال ما لو قلت الله هو الموجود في الأزل فإن هذا يفيد الحصر وأنه لا موجود في الأزل إلا هو لكن لا يدل هذا على أنه لا موجود على الإطلاق ، وإنما يثبت للرازي ما ذكره بعد تسليم الحصر لو لم يذكر المقدور عليه وأطلق فليل وهو القادر .

(٦٩/٤)

ومعنى خلطهم: أن ينشب القتال بينهم فيختلطوا ويشتبكوا في ملاحم القتال، من قوله:

وكتيبة (١) لبستها بكتيبة

وعن رسول الله

(٣٧٨) "سألت الله أن لا يبعث على أمتي عذابا من فوقهم أو من تحت أرجلهم فأعطاني ذلك، وسألته أن لا يجعل بأسهم بينهم فمنعني، وأخبرني جبريل أن فناء أمتي بالسيف"، وعن جابر بن عبد الله:

(٣٧٩) لما نزل { من فوقكم } قال رسول الله : "أعوذ بوجهك" فلما نزل: { أو من تحت أرجلكم أو يلبسكم شيئا } قال: "هاتان أهون"

ومعنى الآية: الوعيد بأحد أصناف العذاب المعدودة. والضمير في قوله: { وكذب به } راجع إلى العذاب { وهو الحق } أي لا بد أن ينزل بهم { قل لست عليكم بوكيل } بحفيظ وكل إلي أمركم أمنعكم من التكذيب إجبارا، إنما أنا منذر { لكل نيا } لكل شيء نبأ به، يعني إنباءهم بأنهم يعذبون وإيعادهم به { مستقر } وقت استقرار وحصول لا بد منه. وقيل: الضمير في { نيا } للقرآن.

ur(خ#sCE رأيت الذين يخوضون في آياتنا فأعرض عنهم ٤س Lxm® يخوضوا في حديث 3/4ndخرج x1

وإما ينسبك الشيطان فلا تقعد بعد ٣"u ٢ة#9\$j مع القوم الظالمين (٦٨) وما على الذين يتقون من حسابهم من شيء ولكن ٣"u ٢دCE لعلهم يتقون (٦٩) }

(١) قوله: ... حتى إذا التبت نفضت لهايدي

وكتيبة لبستها بكتيبة ... حتى إذا التبت نفضت لهايدي

يقول رب جيش خلطته بجيش فلما اختلطوا نفضت يدي منهم خليتهم وشأنهم يظهر أنه

مهتاج للحرب للأبطال على الطعن والضرب . وقوله نفضت لهايدي كناية عن تركها ، وقريب منه قوله تعالى : { فلما تراءت الفئتان نكص على عقبيه }

(٧٠/٤)

يخوضون في آياتنا { في الاستهزاء بها والطعن فيها؛ وكانت قريش في أنديتهم يفعلون ذلك { فأعرض عنهم { فلا تجالسهم وقم عنهم { حتى يخوضوا في حديث غيره { فلا بأس أن

تجالسهم حينئذ { وإما ينسينك الشيطان { وإن شغلك بوسوسته حتى تنسى النهي عن مجالستهم { فلا تقعد { معهم { بعد الذكرى { بعد أن تذكر النهي. وقرئ: "ينسينك" بالتشديد. ويجوز أن يراد: وإن كان الشيطان ينسينك قبل النهي قبح مجالسة المستهزين لأنها مما تنكره العقول (١) { فلا تقعد بعد الذكرى { بعد أن ذكرناك قبحها ونبهناك عليه معهم { وما على الذين يتقون من حسابهم من شيء { وما يلزم المتقين الذين يجالسونهم شيء مما يحاسبون عليه من ذنوبهم { ولاكن { عليهم أن يذكروهم { ذكرا { إذا سمعوه يخوضون، بالقيام عنهم (٢)،

)

(١) قوله: لأنها مما تنكره العقول يعني كأن مجالسة المستهزين في (با) آيات الله قبيحا في العقول وكان للشيطان والوهم محال في إيراد السنة فكان العقل يتحيز وينفي كالناس فحين زالت الموانع بالنص القامع للسنة الدافع للوهم فلا تقعد بعد ذلك معهم . الانتصاف : هذا تنزيل على قاعدة الحسن والقبح وأن العقل مدرك للأحكام والشرع مبين لمقتضاه ومما يدل على أن المراد خلاف ذلك ورود ينسينك مستقلا (مستقبلا) ولو كان المراد نسيان ما علمه لقال وإن أنساك فيما تقدم فلا تقعد بعد النهي . وقال الطيني : المستقبل غير مانع لأن له أن يقول معناه أن استمر ذلك النسيان السابق الذي كان سببا لورود الآية . وأقول : ما المانع أن يكون معناه وإن فرض تحدد ذلك النسيان في المستقبل أو أن المستقبل هاهنا بمعنى الماضي لكنه جيء به هكذا استحضارا لصورة النسيان التي لا حالة صلى الله عليه وآله وسلم ليحترز عن مثلها .

(٢) قوله: بالقيام عنهم تتعلق بقوله أن يذكروهم ذكرى..

(٧١/٤)

وإظهار الكراهة لهم، وموعظتهم { لعلهم يتقون { لعلهم يجتنبون الخوض حياء أو كراهة لمساءتهم (١). ويجوز أن يكون الضمير (٢) للذين يتقون، أي يذكروهم إرادة أن يثبتوا على تقواهم ويزدادوها. وروي: أن المسلمين قالوا: لئن كنا نقوم كلما استهزؤا بالقرآن

لم نستطع أن نجلس في المسجد الحرام وأن نطوف، فرخص لهم. فإن قلت: ما محل { ذكرنا } ؟

قلت: يجوز أن يكون نصباً على: ولكن يذكرونهم ذكرى، أي تذكيراً. ورفعاً على: ولكن عليهم ذكرى. ولا يجوز أن يكون عطفاً (٣)

(١) قوله: لمسائلتهم المسألة مصدر مضاف إلى المفعول وهم الذين يتقون ، وقيل : إلى الفاعل أي لمسائلتهم إياهم ، والأول أظهر.

(٢) قوله: ويجوز أن يكون الضمير أي في لعلمهم .

(٣) قوله: ولا يجوز أن يكون عطفاً على محل من شيء كقولك ما في الدار من أحد ولكن لأن قوله { ما من حسابهم } يأبى ذلك ، وإنما أباه لأنه يكون التقدير حينئذ

ولكن عليك من حسابهم ذكرى وهذا فاسد لأن ذكرى ليست من حسابهم . وقال الطيني : قال

أبو التقاء من في من زائدة ومن حسابهم حال تقديره شيء من حسابهم يعني شيئاً كأننا من حسابهم ، فإذا عطف ذكرى على محل من شيء يرجع المعنى إلى أنه يلزم المتقين الذكرى الذي من حسابهم لأن من شيء مقيد بقيد من حسابهم فإذا عطف عليه لا بد من تقييده به. وقال صاحب التقريب : فيه نظر إذ لا يلزم من وصف المعطوف عليه بشيء وصف المعطوف به .. وقلت: هذا الذي ذكره مما لا مساس له بكلام المصنف لأن كلامه ليس في مطلق العطف ولا في اشتراط الاشتراك في الوصف بين المعطوف والمعطوف عليه ، وإنما معنى كلامه هو أن الملائمة بينهما في العطف ولكن شرط حتى لا يجوز فيه ما في الدار من أحد ولكن حجر وفيما نحن فيه المعطوف عليه وهو شيء من جملة حسابهم ، وذكرى ليست

منهما فلا يحسن عطفه على محل من شيء فلو عطف لكان نظير قولك ما في الدار من أحد ولكن حجر ، وتحقيق هذا أن لكن يستدرك بها شيء دخل فيما قبلها أو توهم دخوله فيه أو كان بينه وبينه ملائمة ما ولا يكون كذلك المعطوف بها ملائمة قبلها هذا وأن قوله تعالى { من حسابهم } لما تقدم على من شيء تعين أنه ليس بصفة بل هو حال وإذا كان كذلك فالتقدير ما على الذي يتقون كأننا من حسابهم شيء ولما كان قوله ذكرى على تقدير العطف استدراكاً لما قبله فهم منه أن الذكرى من حسابهم وهذا كما إذا قلت ما جاءني راكباً زيد ولكن عمرو فإنه يفهم منه أن عمراً جاء راكباً ، وجار الله لم يمنعه من حيث الوصفية حتى يرد عليه النظر . بلى قال من حسابهم ياباه وأما قوله تعالى { ما كان

محمد أبا أحد من رجالكم ولكن رسول الله { فإن قوله { رسول الله { كناية عن كونه أبا سببها لا أبا نسبيا فلما نفيت الأبوة النسبية جعل كأن بينهما وبين الأبوة النسبية تلازم حتى يلزم من نفيها نفيها فاستدرك ذلك بقوله { رسول الله { المراد به أنه أبو

أمته كما ذكره المصنف . قال الطيني مجيبا عن نظر صاحب التقريب: وأجيب أن ذلك في عطف

الجملة على الجملة وأما في عطف مفردات الجملة فملتزم كما يجيء بيانه في سورة براءة في قوله { لقد نصركم الله في مواطن كثيرة { والمصنف لما فرغ من تقرير عطف الجملة على الجملة بقوله ولكن يذكرونهم ذكرى أو لكن عليهم ذكرى أخذ في تقرير عطف المفرد بقوله على محل شيء ومنعه . وأقول: فيما ذكره الطيني نظر لأن المصنف نص على أن ذلك غير ملتزم حيث قال أن قوله تعالى { يقولون آمنا به { حال من الراسخين الذي هو معطوف على الله وليس بحال من الله ومثله { ووهبنا له إسحاق ويعقوب نافلة { حال من يعقوب فقط لأن النافلة ولد الولد إلا أن يقول يجب مشاركة المعطوف للمعطوف فيما قيد به من غير عكس ، وفيه أيضا كلام .

(٧٢/٤)

على محل { من شيء { ، كقولك: ما في الدار من أحد ولكن زيد، لأن قوله: { من حسابهم {
يأبى ذلك.

ح'sEur الذين اتخذوا دينهم لعبا ولهوا وغرتهم الحياة الدنيا وذكر به أن تبسل نفس بما كسبت ليس لها من دون الله ولي ولا شفيع وإن تعدل كل عدل لا يؤخذ منها أولئك الذين أبسلوا بما كسبوا لهم شراب من حميم وعذاب أليم بما كانوا يكفرون (٧٠)

(٧٣/٤)

اتخذوا دينهم لعبا ولهوا { (١) أي دينهم الذي كان يجب أن يأخذوا به لعبا ولهوا. وذلك أن عبدة الأصنام وما كانوا عليه من تحريم البحائر والسوائب وغير ذلك، من باب اللعب واللهو واتباع هوى النفس والعمل بالشهوة، ومن جنس الهزل دون الجد. واتخذوا ما هو لعب ولهو من عبادة الأصنام وغيرها دينا لهم. واتخذوا دينهم الذي كلفوه ودعوا إليه وهو دين الإسلام لعبا ولهوا، حيث سخروا به واستهزؤا.

(١) قوله: { اتخذوا دينهم لعبا ولهوا } إلى آخره الوجوه الثلاثة أراد بالدين في الوجه الأول دين الإسلام وأنهم جعلوا مكانه اللعب واللهو الذي هو عبادة الأصنام .

وفي الثاني أراد به مطلق الدين وأنهم جعلوا اللعب واللهو ديناً . وفي الثالث : أراد به دين الإسلام، وقال: المراد باتخاذهم لعبا ولهوا الاستهزاء به والسخرية منه. وقال الطيني : المراد بالدين في الوجه الأول مطلق الدين وحقيقته يعني أنه يجب على كل مكلف أن يتدين بدين وينتعله ملة، وهؤلاء يدينوا باللعب واللهو . وقال في الثاني: أنه من باب القلب لتصحيح المعنى ، ولهذا جعل دينهم نكرة فقد سنة في الوجه الأول عبادتهم وتحريم النحائر والسوائب بالدين الذي يجب على كل أحد أن يتدين به فينتفع به عاجلا وآجلا ، ثم سمي عبادتهم باللعب واللهو لكونها مبنية على قاعدة التشهي مع عدم انتفاعهم بها وتضررهم من أجلها ، ثم قدم المشبه به على المشبه للمبالغة المذكورة وعلى هذا المنوال الوجه الثاني عند صاحب المفتاح لأن باب القلب عنده محمول على أصل المعنى لكن المختار أنه جار على أصل التشبيه من تقدم المشبه على المشبه به وإن كان قلبا في اللفظ والأول أبلغ . وأما الوجه الثالث: فتقديره جعلوا دين الإسلام الذي استحق كل تعظيم كاللعب والذي يستحق السخرية فاستهزءوا به . وسمى العيد في الوجه الرابع ديناً لأن العيد مبني على العادة والدين العادة.

(٧٤/٤)

وقيل: جعل الله لكل قوم عيداً يعظمونه ويصلون فيه ويعمرونه بذكر الله والناس كلهم من المشركين وأهل الكتاب اتخذوا عيدهم لعبا ولهوا، وغير المسلمين فإنهم اتخذوا عيدهم كما شرعه الله. ومعنى "ذرهم" أعرض عنهم، ولا تبال بتكذيبهم واستهزائهم ولا تشغل قلبك بهم، { وذكر به } أي: بالقرآن { أن تبسل نفس } مخافة أن تسلم إلى الهلكة والعذاب وترتهن بسوء كسبها. وأصل الإيسال المنع، لأن المسلم إليه يمنع المسلم، قال: وإيسالي بني (١) بغير جرم

(١) قوله: ... بعوناه ولا بدم مراق

وإيسالي بني بغير جرم .

تمامه :

... ولا دم مهراق

الشعر لعوف بن الأحوص عند رهنه بنيه بالدم الذي تحمله عن عني لبني يقول:
 وإسلامي بني ورهني لهم بغير ذنب جنيناه ولا دم أرقناه أي أسلمتهم للهالك بغير سب
 والإيسال مصدر مضاف إلى الفاعل وال..... الجناية.
 (٧٥/٤)

ومنه: هذا عليك بسل، أي حرام محظور. والباسل: الشجاع لا متناعه من قرنه، أو لأنه
 شديد البسور. يقال: بسر الرجل إذا اشتد عبوسه. فإذا زاد قالوا: بسل. والعباس: منقبض
 الوجه { وإن تعدل كل عدل لا يؤخذ منها } وإن تفد كل فداء، والعدل الفدية. لأن
 الفادي يعدل المفدي بمثله. وكل عدل: نصب على المصدر. وفاعل (١) { يؤخذ } قوله: {
 منها } لا ضمير العدل لأن العدل ههنا مصدر (٢) فلا يسند إليه الأخذ. وأما في قوله
 تعالى: { ولا يؤخذ منها عدل } (البقرة: ٤٨) فبمعنى المفدي به، فصح إسناده إليه {
 أولئك } إشارة إلى المتخذين دينهم لعبا ولهوا. قيل: نزلت في أبي بكر الصديق رضي
 الله عنه حين دعاه ابنه عبد الرحمان إلى عبادة الأوثان.

@% أندعو من دون الله ما لا Ztf ٤exsY\$ ولا يضرننا -ثuچRurç على
 sY\$خ/ô(s& بعد

إذ هدانا الله كالذي استهوته الشياطين في الأرض xmچtb#u له أصحاب يدعونه إلى
 الهدى

\$KsY\$ # قل إن هدى الله هو الهدى وأمرنا dzN=،ن^د ٩د<b٩uچد العالمين
 (٧١)
 }

(١) قوله : وفاعل يؤخذ قوله منها يقول أخذ مني فيدل على أنه مأخوذ منك
 ولا يذكر الشيء المأخوذ ويقول سير من البلد فهذا الفعل لا بد له من فاعل وفاعله من
 البلد .

(٢) قوله: لأن العدل هاهنا مصدر فلا يسند إليه الأخذ أراد أنه لو كان بمعنى الفدية
 لجاز إسناد الأخذ إليه كما أسند إليه في { ولا يؤخذ منها عدل } وإنما لا يسند إليه
 إذا كان مصدرا لأن الأخذ مع لفظ لا يسند إلا إلى المعاني وإنما وجب كون العدل هاهنا
 مصدرا لأنه تعدى الفعل إليه بغير واسطة ولو كان مفعولا به لقبل بكل عدل . فإن قلت :

كيف صح إسناده في تلك الآية إلى العدل على تأويل المفدى به فلم يصح هاهنا؟. قلنا:
لأنه لم يقع في تلك الآية مفعولا مطلقا كما وقع هاهنا.
(٧٦/٤)

قل أندعو { من دون الله } الضار النافع ما لا يقدر على نفعنا ولا مضرتنا {
ونرد على أعقابنا } راجعين إلى الشرك بعد إذ أنقذنا الله منه وهدانا للإسلام {
كالذي استهوته الشياطين } كالذي ذهبت به مردة الجن والغيلان { في الأرض } المهمة {
حيران } تأثها ضالا عن الجادة لا يدري كيف يصنع { له } أي لهذا المستهوى { أصحاب }
رفقة { يدعونه إلى الهدى } إلى أن يهدوه الطريق المستوي. أو سمي الطريق المستقيم
بالهدى، يقولون له { اتنا } وقد اعتسف المهمة تابعا للجن لا يجيبهم ولا يأتيهم.
وهذا مبني على ما تزعمه العرب وتعتقد: أن الجن تستهوي الإنسان. والغيلان تستولي
عليه، كقوله: { كالذي يتخطه الشيطان من المس } (البقرة: ٢٧٥) فشبه الضال عن طريق
الإسلام التابع لخطوات الشيطان والمسلمون يدعونه إليه فلا يلتفت إليهم { قل إن هدى
الله } وهو الإسلام { هو الهدى } وحده وما وراءه ضلال وغي { ومن يتبع غير الإسلام
دينا } (آل عمران: ٨٥). { فماذا بعد الحق إلا الضلال } (يونس: ٣٢). فإن قلت: فما
محل الكاف في قوله: { كالذي استهوته } ؟ قلت النصب على الحال من الضمير في { نرد
على أعقابنا } أي: أنكص مشبهين من استهوته الشياطين؟ فإن قلت: ما معنى { استهوته }
؟ قلت: هو استفعال، من هوى في الأرض إذا ذهل فيها، كأن معناه: طلبت هويه وحرصت
عليه. فإن قلت: ما محل: { أمرنا } قلت: النصب عطفًا على محل قوله: { إن هدى الله هو
الهدى } على أنهما مقولان، كأنه قيل: قل هذا القول وقل أمرنا لنسلم. فإن قلت: ما
معنى اللام في { لنسلم } ؟ قلت: هي تعليل للأمر، بمعنى: أمرنا وقيل لنا أسلموا لأجل
أن نسلم. فإن قلت: فإذا كان هذا واردا في شأن أبي بكر الصديق رضي الله عنه فكيف قيل

لرسول عليه الصلاة والسلام قل أندعو؟ قلت: للاتحاد الذي كان بين رسول الله
والمؤمنين، خصوصا بينه وبين الصديق أبي بكر رضي الله تعالى عنه.
(٧٧/٤)

ur&br÷ أقيموا الصلاة واتقوه وهو الذي إليه رُحِمَ (72³ | téB) وهو الذي خلق
9\$#،،yJ"N`uqد والأرض بالحق ويوم يقول كن فيكون قوله الحق وله الملك يوم ينفخ
في

الصور م N="تم الغيب د %oy#ur\$9±Oy وهو م N!utù\$#:

مترجم (73) (y,9\$# *

(٧٨/٤)

فإن قلت: علام عطف قوله: { وأن أقيموا } ؟ قلت: على موضع (١) { لنسلم } كأنه قيل: وأمرنا أن نسلم، وأن أقيموا ويجوز أن يكون التقدير وأمرنا لأن نسلم ولأن أقيموا: أي للإسلام ولإقامة الصلاة { قوله الحق } (٢) مبتدأ. ويوم يقول: خبره مقدما عليه، وانتصابه بمعنى الاستقراء، كقولك: يوم الجمعة القتال. واليوم بمعنى الحين. والمعنى: أنه خلق السماوات والأرض قائما بالحق والحكمة، وحين يقول لشيء من الأشياء { كن } فيكون (٣) ذلك الشيء قوله الحق والحكمة، أي لا يكون شيئا من السماوات والأرض وسائر المكونات إلا عن حكمة وصواب. و { يوم ينفخ } ظرف لقوله: { وله الملك } كقوله: { لمن الملك اليوم } ؟ (غافر: ١٦) ويجوز أن يكون { قوله الحق } فاعل يكون، على معنى: وحين يقول لقوله الحق، أي لقضائه الحق { كن } فيكون قوله (٤) الحق.

(١) قوله: على موضع ليسلم كأنه قيل ولأمرنا أن نسلم وأن أقيموا أراد في هذا الوجه أنه عطف على ما يجوز أن يقع موقعه وهو أن نسلم لأنه لو قيل وأمرنا أن نسلم لصح فعطف عليه بذلك الاعتبار كما في أصدق وأكن وكما في قوله ولا باعث وأراد في الوجه الثاني أنه عطف على نفس لنسلم وأن التقدير وأمرنا لأن نسلم ولأن أقيموا فحذفت لام التعليل من اللفظ وأضمرت ونصبت بها وحذف حرف الجر من لأن أقيموا لأن حذف حرف الجر من أن وإن قياس مستمر .

(٢) قوله: قوله الحق مبتدأ ويوم يقوم خبره، وعلى هذا فالواو داخلة على الجملة المقدم فيها الخبر والحق صفة لقوله .

)

(٣) قوله : فيكون ذلك الشيء قوله الحق والحكمة أي قوله الحق والحكمة ثابت يوم تقول لشيء من الأشياء كن فيكون ذلك الشيء.

(٤) قوله: ويجوز أن يكون قوله الحق فاعل يكون قال أبو التقاء : المعنى فيوجد له . قوله الحق فعلى هذا قوله بمعنى مقولة أي فيوجد ما قاله له كن . فقول المصنف لنصابه الحق قريب مما قاله أبو التقاء .

وانتصاب اليوم (١) لمحذوف دل عليه قوله { بالحق } كأنه قيل: وحين يكون ويقدر يقوم بالحق { عالم الغيب } هو عالم الغيب، وارتفاعه على المدح.
وإذ قال ق Oتد d"u/چ/خ) دمٹخ/ { آزر أتخذ أصناما آلهة 'د oTخ) أراك وقومك في
ه @n" = | ات

د B (74) y7-٧ ü"٩ xx.ur ü"حچ zO R zOتد d"u/چ/خ) ملكوت
دق "N"uq،،yJ 9\$# والأرض وليكون من
الموقنين (٧٥) فلما جن عليه الليل رأى كوكبا قال هذا 'n1us' فلما أفل قال لا أحب
ژ d=76 (ùFy\$# فلما رأى u چ 9\$# yJs) بازغا قال هذا 'n1us' فلما أفل قال
لئن لم

'د T÷%o%ku %د' tRqà2' ل' n1u' { من القوم tû،k،!\$٩\$# (٧٧) فلما رأى
الشمس بازغة قال

هذا 'n1us' هذا مژ &y92r فلما أفلت قال Qqs) tf" (د oTخ) ضن ü"حچ t/ مما
تشركون (٧٨)

'د oTخ) وجهت وجهي للذي u چ sùs،،yJ "N"uq 9\$# والأرض Z\$ د Zxm
وما أنا من المشركين
(٧٩)

{ آزر } اسم أبي إبراهيم عليه السلام. وفي كتب التواريخ أن اسمه بالسريانية تارح.
والأقرب أن يكون وزن { آزر } فاعل مثل تارح وعابر وعازر وشالخ وفالغ وما أشبهها من
أسمائهم، وهو عطف بيان لأبيه. وقرئ: "آزر" بالضم على النداء. وقيل: "آزر" اسم صنم،
فيجوز أن ينز به للزومه عبادته، كما نز ابن قيس بالرقيات اللاتي كان يشيب بهن،
ف قيل: ابن قيس الرقيات. وفي شعر بعض (٢)

(١) قوله: وانتصاب اليوم أي يوم يقول أراد أنه على هذا التقدير منتصب بمحذوف وهو
يوم والبدال عليه بالحق لأنه حال وتقديره كما قال قائما بالحق ففيه معنى يقوم . وقال

أبو النقاء يجوز أن يكون عامله اذكر ومعنى يذكر صفتين وحاله معهن في
شعره.

(٢) قوله: بعض المحدثين، هو أبو محمد الإصفهاني صاحب:

ادعى باسم نزا في قبائلها ... كأن اسما أصبحت بعض أسمائي
يقول اسمي باسم هذه المرأة تلقيا في قبائلها كأن اسما صار بعض أسمائي التي أعرف
بها .

(٨٠/٤)

المحدثين:

أدعى بأسماء نزا في قبائلها ... كأن أسماء أضحت بعد أسمائي

أو أريد عابد آزر، فحذف المضاف وأقيم المضاف إليه مقامه. وقرئ: "آزر" تتخذ أصناما
آلهة بفتح الهمزة وكسرها بعد همزة الاستفهام وزاي ساكنة وراء منصوبة منونة، وهو اسم
صنم. ومعناه: أتعبد آزرا على الإنكار؟ ثم قال: تتخذ أصناما آلهة تثبيتا لذلك
وتقرياً، وهو داخل في حكم الإنكار، لأنه كاليان له { فلما جن عليه الليل } عطف على
قال إبراهيم لأبيه: وقوله: { وكذلك نري إبراهيم } جملة معترض بها بين المعطوف
والمعطوف عليه. والمعنى: مثل ذلك التعريف (١) والتبصير نعرف إبراهيم ونبصره. ملكوت
السموات والأرض: يعني الربوبية (٢) والإلهية ونوفقه لمعرفتها ونرشده بما شرحنا
صدره

(١) قوله: ومثل ذلك التعريف يريد أن المشار إليه بقوله كذلك معنى ما يستحي وعليه في
وجه.

(٢) قوله: يعني الربوبية تفسير لقوله { ملكوت السماوات والأرض } وقوله وتوفقه
لمعرفتها تفسير للتفسير.

قوله: تعالى { هذا فراق بيني وبينك } قال المصنف قد يصور فراق بينهما عند حلول
ميعاده فأشار إليه كذلك ها هنا جعل المشار إليه معنى الآيات التالية وهو التعريف
والتنصير . قيل ويجوز أن يقال أن الجملة معترضة بين المعطوف وهو { فلما جن }
والمعطوف عليه وهو { قال إبراهيم } والجملة المعترضة مؤكدة فمرتبها التأخير فيكون
المشار إليه سابقا في المرتبة وإن تأخر في اللفظ.

(٨١/٤)

وسددنا نظره وهديناه لطريق الاستدلال. وليكون من الموقنين: فعلنا ذلك. ونري: حكاية

حال ماضية، وكان أبوه وقومه يعبدون الأصنام والشمس والقمر والكواكب، فأراد أن ينبههم على الخطأ في دينهم، وأن يرشدتهم إلى طريق النظر والاستدلال، ويعرفهم أن النظر الصحيح مؤد إلى أن شيئاً منها لا يصح أن يكون إلهاً، لقيام دليل الحدوث فيها، وأن وراءها محدثاً أحدثها، وصانعاً صنعها، مدبراً دبر طلوعها وأفولها وانتقالها ومسيرها وسائر أحوالها { هذا ربي } قول من ينصف خصمه مع علمه بأنه مبطل، فيحكي قوله كما هو غير متعصب لمذهبه. لأن ذلك أدعى إلى الحق وأنجى من الشغب، ثم يكر عليه بعد حكايته فيبطله بالحجة { لا أحب الأفلين } لا أحب عبادة الأرباب المتغيرين عن حال إلى حال، المتنقلين من مكان إلى آخر، المحتجبين بستر، فإن ذلك من صفات الأجرام { بارغا } مبتدئاً في الطلوع { لئن لم يهديني ربي } تنبيه لقومه على أن من اتخذ القمر إلهاً وهو نظير الكوكب في الأفول، فهو ضال، وأن الهداية إلى الحق بتوفيق الله ولطفه { هذا أكبر } من باب استعمال النصفة أيضاً مع خصومه { إني بريء مما تشركون } من الأجرام التي تجعلونها شركاء لخالقها { إني وجهت وجي للذي فطر السماوات والأرض } أي للذي دلت هذه المحدثات عليه وعلى أنه مبتدؤها ومبتدعها. وقيل: هذا كان نظره (١) واستدلالة في نفسه، فحكاه الله. والأول أظهر (٢)

(١) قوله: وقيل كان هذا نظره معطوف على جملة قوله وكان أبوه وقومه يعبدون الأصنام فأراد أن ينبههم على الخطأ .

(٢) قوله: والأول أظهر وهو أنه إنما قال ذلك تنبيهاً لقومه على المطر والاستدلال وأنهم مخطئون في عبادة التماثيل لا أن هذا كان نظره واستدلالة لأن قوله { لئن لم يهديني ربي } يدل على أنه كان عارفاً بربه وبأن الهداية منه وبأن قومه كانوا على الضلال دونه ، وكذلك قوله { إني بريء مما تشركون } يدل على ذلك أيضاً.. وقال الطيني: إنما دل { لئن لم يهديني } على ذلك لأن اللام في { لئن لم يهديني } موطئة للقسم بدليل }

لأكونن { وقد تقرر أن الجملة القسمية يؤتى بها مع من يصر على الإنكار ويبالغ فيه ، وعلى تقدير أنه كان مستدلاً واختلج في خلده تردد لم يبلغ ترده إلى أحد ينكر نفسه إنكاراً بليغ فتلقى بمثل هذا ، ولأن قوله ربي تصريح بأنه لم يكن مستدلاً لنفسه ولهذا قال الأول أظهر. الانتصاف : لما عرض بضلالهم في أمر القمر لأنه قد أيس منهم في أمر الكواكب ولو قاله في الأول لما أنصفوا ولا اصغوا ولهذا صرح في الثالثة بالبراءة منها وأنهم على شرك لما تبلى الحق وبلغ الغاية في الظهور. قال الطيني : قوله لأبيه

وإنكاره عليه في قوله { أتتخذ أصناما } الآية أنما ينتظم انتظاما مع قولها { يا قوم
 إني بريء مما تشركون } إذا كان الاستدلال لأجل القوم لأن صرف الخطاب إلى القوم
 يستدعي ألا يكون قد أشرك بالله طرفة عين يؤيده { إذ جاء ربه بقلب سليم } . وفيما
 قاله الطيني نظر لأن نحو هذا في حال الاستدلال لا يكون شركا هذا والحق أن الأنبياء
 عالمون بالله وبوحدانيته في جميع الأحوال ، وأنه إنما قال ذلك تنبيها لقومه وعلى
 تقدير أنه إنما قال ذلك على سبيل التنبيه لقومه على الاستدلال فمعنى تعريفه ذلك
 وتبصيره إياه على ما فسر به المراد هدايته إلى طريق الاستدلال مع الخصوم والتمرن
 على تقرير البراهين التي يزيده طمأنينة .
 (٨٢/٤)

لقوله: { لئن لم يهديني ربي } وقوله: { ويا قوم إني بريء مما تشركون } . فإن قلت:
 لم احتج عليهم بالأقول دون البزوغ، وكلاهما انتقال من حال إلى حال؟ قلت: الاحتجاج
 بالأقول أظهر، لأنه انتقال مع خفاء واحتجاب. فإن قلت: ما وجه التذكير في قوله: {
 هذا ربي } والإشارة للشمس؟ قلت: جعل المبتدأ مثل الخبر لكونهما عبارة عن شيء واحد،
 كقولهم: ما جاءت حاجتك، ومن كانت أمك، و { لم تكن فتنتهم إلا أن قالوا } (الأنعام:
 ٢٣) وكان اختيار هذه الطريقة واجبا لصيانة الرب عن شبهة التأنيث. ألا تراهم قالوا

في صفة الله "علام" ولم يقولوا "علامة" وإن كان العلامة أبلغ، احترازا من علامة
 التأنيث. وقرئ: "تري إبراهيم ملكوت السماوات والأرض" بالتاء ورفع الملكوت. ومعناه:
 تبصره دلائل الربوبية.
 (٨٣/٤)

¼tñur!%_mç قومه قال 'fđ'Ŧû"oBréut& في الله وقد هدان ولا أخاف ما
 تشركون به إلا

أن يشاء 'Z\$'u'n1x© وسع 'u'n1' كل شيء علما أفلا تتذكرون (٨٠) وكيف
 أخاف ما

أشركتم ولا تخافون أنكم أشركتم بالله ما لم ينزل به عليكم سلطانا فأي
 بf)÷üsحجx\$٩# 'mr& بالأمن إن كنتم تعلمون (٨١) الذين آمنوا ولم
 (#qûf، خf=ùt

إيمانهم بظلم أولئك لهم الأمن وهم tbrك%82) Bgô-t وتلك حجتنا

!\$y"Yط#s?ns

Ozطd"u/خ على قومه نرفع درجات من انا±°S\$ t إن ربك ي Oإم³xm

ز Oط=ت و (٨٣) ووهبنا

له إسحاق ويعقوب كلا sY÷fy%oyd\$ ونوحا sY÷fy%oyd\$ من قبل ومن

h'èœح Gfدm³⁄4 داوود

وسليمان وأيوب ويوسف وموسى وهارون ٩dy7 ur"xx ح" gwU المحسنين (٨٤)

\$fحج ur-y.x

ويحيى وعيسى وإلياس كل من ژü=سd"ء٩\$# (٨٥) وإسماعيل واليسع ويونس ولوطا وكلا

sùز=sYù\$ على العالمين (٨٦) ومن Oخg ح !u\$/N تن#kةJ"فح h'èœur

ur(خ X"uq÷zdkN

-B (87)، tG(طةOه u"ق٧"إه sY÷fy%oydur"كO واجتبيناهم

%ooku÷%od"هدى الله sœ"٩dy7

به من يشاء من ³⁄4ندط6tدم ولو أشركوا لحبط عنهم ما كانوا يعملون (٨٨) أولئك الذين

مNك"u" s?#sY÷ سن الكتاب u/3çtù:\$#ur والنبوة فإن يكفر بها هؤلاء فقد

ur.ه=uZù\$ بها

قوما ليسوا بها ژiحجدے"s3خ/ (٨٩) أولئك الذين هدى الله فبهداهم اقتده قل لا أسألكم

عليه أجرا إن هو إلا u"٣.چدœ للعالمين ازغب

}

(٨٤/٤)

وحاجه قومه قال أتحاجوني في الله { وكانوا حاجوه في توحيد الله ونفي الشركاء عنه

منكرين لذلك { وقد هدان { يعني إلى التوحيد { ولا أخاف ما تشركون به { وقد خوفوه أن

معبوداتهم تصيبه بسوء { إلا أن يشاء ربي شيئا { إلا وقت مشيئة ربي شيئا يخاف، فحذف

الوقت، يعني لا أخاف معبوداتكم في وقت قط؛ لأنها لا تقدر على منفعة ولا مضرة، إلا

إذا شاء ربي أن يصيبني بمخوف من جهتها إن أصبت ذنبا استوجب به إنزال المكروه، مثل

أن يرجمني بكوكب أو بشقة من الشمس أو القمر، أو يجعلها قادرة على مضرتي { وسع ربي

كل شيء علما { أي ليس بعجب ولا مستبعد أن يكون في علمه إنزال المخوف بي من جهتها

}

أفلا تتذكرون { فتميزوا بين الصحيح والفساد والقادر والعاجز { وكيف أخاف { لتخويفكم

شيئاً مأمون الخوف لا يتعلق به ضرر بوجه { و { أنتم { لا تخافون { ما يتعلق به كل مخوف وهو إشراككم بالله ما لم ينزل بإشراكه { سلطاناً { أي حجة، لأن الإشراف لا يصح أن يكون عليه حجة، كأنه قال: وما لكم تنكرون علي الأمن في موضع الأمن، ولا تنكرون على أنفسكم الأمن في موضع الخوف. ولم يقل: فأينا أحق بالأمن أنا أم أنتم، احترازاً من تركيته نفسه، فعدل عنه إلى قوله: { فأَي الفريقين { يعني فريقَي المشركين والموحدين. ثم استأنف الجواب على السؤال بقوله: { الذين آمنوا ولم يلبسوا إيمانهم بظلم { (١)

(١) قوله: الظلم بالكفر لفظ البس لأن اللبس عبارة عن الخلط وهو يقتضي سببين وذلك لا يتصور إذا فسر الظلم بالكفر إذ الكفر والإيمان لا يجتمعان، وأما إذا فسر بالمعصية فالخلط متصور. قال الله تعالى { خلطوا عملاً صالحاً وآخر سيئاً { .. ولقائل أن يقول: ان أردت بالإيمان الكامل المشتمل على فعل الطاعات كلها وترك المعاصي بأجمعها فهو كما ينافي الكفر ولا يجتمع معه كذلك ينافي الظلم وإن أردت به مجرد التصديق باللسان فلا يسلم أنه لا يجتمع مع الكفر، ويمكن الجواب عن هذا بأن يقال: المراد بالإيمان التصديق باللسان والجنان لا باللسان فقط لأن التصديق بهما هو السابق إلى الفهم عند إطلاق الإيمان لا يسما في مقام المدح، ولا شك أن الإيمان بهذا المعنى يجوز مجامعته للظلم دون الكفر. وقال الطيني: قوله { الذين آمنوا {

استئناف ومعنى بظلم بشرك بيانا لأمن من تمسك بالتوحيد وتبرأ عن الشرك كأنه صلى الله عليه وآله وسلم سأل أي الفريقين يعني فريقَي المشركين والموحدين أحق بالأمن وأجابهم الذين آمنوا لم يلبسوا إيمانهم بشرك، ولفظ اللبس لا يأباه. ومعنى لبس الإيمان بالشرك أن يصدق بوجود الصانع الحكيم ويخلط بهذا التصديق الإشراك بالله ويؤيده قوله تعالى: { وما يؤمن أكثرهم بالله إلا وهم مشركون {، فإن المصنف قال معناه ما يؤمن أكثرهم في إقراره بالله وبأنه خلقه وخلق السماوات والأرض إلا وهم مشركون بعبادته الوثن، وعن الحسن هم أهل الكتاب معهم شرك وإيمان. وقال صاحب التقريب ويحتمل أن يقال: النفاق لبس الإيمان الظاهر بالكفر الباطن وقد ورد في الحديث النبوي أن المراد بالظلم هنا هو الشرك.

(٨٥/٤)

أي لم يخلطوا إيمانهم بمعصية تفسقهم. وأبى تفسير الظلم بالكفر لفظ اللبس { وتلك {

إشارة إلى جميع ما احتج به إبراهيم عليه السلام على قومه من قوله: { فلما جن عليه الليل { إلى قوله: { وهم مهتدون { . ومعنى { آتيناهآ { أرشدناه إليها ووقفناه لها { نرفع درجات من نشاء { يعني في العلم والحكمة. وقرء بالتنوين (١) { ومن ذريته { (٢) الضمير لنوح أو لإبراهيم. و { داود { عطف على نوح (٣)، أي وهدينا داود { ومن آبائهم { في موضع

(١) قوله: وقرأ بالتنوين . قال أبو التقاء : درجات تقرأ بالإضافة وهو مفعول يرفع ورفع درجات الإنسان رفع له ، وتقرأ بالتنوين ومن على هذا مفعول يرفع ودرجات ظرف أو حرف الجر محذوف أي إلى درجات . وقيل هو منتصب على المصدر أي يرفعه رفعات ويجوز أن

ينتصب على التمييز من من يشأ لأنه ما رفع أنفسهم وإنما رفع درجاتهم.
(٢) قوله: { ومن ذريته { الضمير لنوح أو لإبراهيم ، وقد قيل أن يونس من ذرية إبراهيم ولوط ولوط وإن كان ابن أخته لكنه جعل من ذريته على سبيل التغليب .
)

(٣) قوله: وداود عطف على نوح أي سواء كان الضمير في { ذريته { لنوح أو لإبراهيم إذ لا يعد في أن يقال هدينا نوحا وهدينا داود من ذرية إبراهيم.
(٨٦/٤)

النصب عطفًا على كلا، بمعنى: وفضلنا بعض آبائهم { ولو أشركوا { مع فضلهم وتقدمهم وما رفع لهم من الدرجات. لكانوا كغيرهم من حيوط أعمالهم، كما قال تعالى وتقدس { لئن أشركت ليحبطن عملك { (الزمر: ٢٥). { آتيناهم الكتاب { يريد الجنس { فإن يكفر بها { بالكتاب والحكمة والنبوة. أو بالنبوة { هاؤلا؟ { يعني أهل مكة { قوما { هم الأنبياء المذكورون ومن تابعهم بدليل (١) قوله: { أولئك الذين هدى الله فبهداهم اقتده { وبدليل وصل قوله: { فإن يكفر بها هؤلاء { بما قبله. وقيل: هم أصحاب النبي

(١) قوله: بدليل قوله : { أولئك الذين هدى الله فبهداهم اقتده { وبدليل وصل قوله { فإن يكفر بها هؤلاء { أرد أن نظلم الآيات يدل على أن المراد بقوله قوما الأنبياء وأن الآيتين المصدرتين بأولئك إنما جاء بعد قوله { ولو أشركوا { الآية للتسلي والتأسي وذلك أنه تعالى لما ذكر القادة السادة وبين مراتبهم وطبقاتهم تارة

بالإحسان وتارة بتفضيلهم على العالمين وأخرى بالاجتناء والهداية على ذلك كله بقوله: { ذلك هدى الله يهدي به من يشاء } قال ولو أشركوا مع فضيلتهم وتقدمهم ورفع درجاتهم لكانوا كغيرهم في حبوط العمل عقب ذلك كله بالآيتين كما ذكرنا للتسلي والتأسي، أما التسلي ففي قوله { فإن يكفر بها هؤلاء } الآية أنا منحنا المذكورين من الأنبياء الكتاب والحكم والنبوة ووكلناهم بحفظها فإن يكفر بها هؤلاء ويضيعوا حقها فالذين تقدم ذكرهم غير موصوفين بذلك ، وإنما نكروا بعد تعريفهم قصدا إلى تعظيمهم ، وأما التأسي ففي قوله { أولئك الذين هدى الله فبهداهم اقتده } وهذا التقرير يدل على أن الكلام مبني على التفريق والجمع فرقمهم أولا في الآيات المتقدمة ثم جمع صفاتهم في

قوله: { ذلك هدى } الآية ثم جمع ذواتهم في قوله { أولئك الذين هدى الله } الآية ، وأمر حبيبه صلى الله عليه وآله وسلم بالإقتداء بهداهم والانخراط في سلكهم.

(٨٧/٤)

وكل من آمن به. وقيل: كل مؤمن من بني آدم. وقيل: الملائكة وادعى الأنصار أنها لهم. وعن مجاهد: هم الفرس. ومعنى توكيلهم بها: أنهم وفقوا للإيمان بها والقيام بحقوقها كما يوكل الرجل بالشيء ليقوم به، ويتعهده ويحافظ عليه. والباء في { بها } صلة كافرين. وفي { بكافرين } تأكيد النفي. { فبهداهم اقتده } فاختص هداهم بالاقتداء، ولا تقتد إلا بهم. وهذا معنى تقديم المفعول، والمراد بهداهم طريقتهم في الإيمان بالله وتوحيده وأصول الدين دون الشرائع، فإنها مختلفة وهي هدى، ما لم تنسخ. فإذا نسخت لم تبق هدى، بخلاف أصول الدين فإنها هدى أبدا. والهاء في { اقتده } للوقف (١) تسقط في الدرج. واستحسن إيثار الوقف لثبات الهاء في المصحف.

وما قدرُوا اللهَ ، ٤٣٧ ٤٣٨ ح' %ô%os' إذ قالوا ما &Rr"tAu الله على بشر من

شيء قل من

&Rr"tAu الكتاب الذي جاء به موسى نورا وهدى للناس تجعلونه {ثدغ#u#س%٤

تبدونها

وتخفون #]ثجدWx. وعلمتم ما لم (è#<÷÷qçHs#) أنتم ولا آباؤكم قل الله ثم ذرهم

في

Nxkإخ qyz يلعبون ازتب

}

(١) قوله: والهاء في اقتده للوقف. قال أبو التقاء يقرأ بسكون الهاء وإثباتها في الوقف دون الوصل وهي على هذا هاء السكت ومنهم من يشبثها في الوصل أيضا تشبيها بهاء الإضمار . وقال الزجاج: المختار الوقف عندها. وعن أبي علي : أن الهاء كناية عن المصدر أي اقتد اقتداء .
(٨٨/٤)

وما قدروا الله حق قدره { وما عرفوه حق معرفته في الرحمة على عباده واللف بهم حين أنكروا بعثة الرسل والوحي إليهم، وذلك من أعظم وأجل نعمته { وما أرسلناك إلا رحمة للعالمين { (الأنبياء: ١٠٧) أو ما عرفوه حق معرفته في سخطه على الكافرين وشدة بطشه بهم، ولم يخافوه حين جسروا على تلك المقالة العظيمة من إنكار النبوة. والقائلون هم اليهود، بدليل قراءة (١) من قرأ: "تجعلونه" بالناء. وكذلك { تبدونها وتخفون { وإنما قالوا ذلك مبالغة في إنكار إنزال القرآن على رسول الله ، فألزموا ما لا بد لهم من الإقرار به من إنزال التوراة على موسى عليه السلام وأدرج تحت الإلزام توبيخهم وأن نعي عليهم سوء جهلهم لكتابهم وتحريفهم، وإبداء بعض وإخفاء بعض فقليل: { جاء به موسى { وهو نور وهدى للناس، حتى غيروه، ونقصوه وجعلوه قراطيس مقطعة وورقات مفرقة، ليتمكنوا مما راموا من الإبداء والإخفاء. وروي:
(٣٨٠) أن مالك بن الصيف من أخبار اليهود ورؤسائهم قال له رسول الله :

(١) قوله: بدليل قراءة من قرأ { يجعلونه { بالياء فإن القراءة بالناء الفوقانية يدل دلالة ظاهرة على أن القائلين هم اليهود لأنهم هم الذين غيروا التوراة ونقصوها ، ويكون قوله { وعلمتم ما لم تعلموا { في موضع الحال من ضمير الفاعل في { يجعلونه { والمعنى يجعلونه ذا قراطيس ، والحالة أنكم علمتم على لسان محمد صلى الله عليه وآله وسلم مما أوحى إليه ما لم تعلموا أنتم ولا آباؤكم من قبل والقراءة بالياء التحتانية على أن القائلين المشركون ظاهره وقد ألزموا بانزال التوبة . قيل فعلى هذا وعلمتم عطف على انزل الكتاب من حيث المعنى أي قل من أنزل الكتاب ومن علمكم ما لم تعلموا ، وأما توجيه القراءة بالياء على أن القائلين هم المشركون فمشكل ولعل القائل بهذا القول يتمحل ويقول خوطبوا بذلك لسماعهم له من اليهود ورضائهم به ، أو يقول إنه التفت إلى اليهود بعد إلزام المشركين .

"أنشدك بالذي أنزل التوراة على موسى هل تجد فيها أن الله يبغض الحبر السمين؟ فأنت الحبر السمين، قد سمعت من مالك الذي يطعمك اليهود. فضحك القوم، فغضب، ثم التفت إلى عمر فقال: ما أنزل الله على بشر من شيء، فقال له قومه: ويلك ما هذا الذي بلغنا عنك؟

قال: إنه إغضبني، فنزعوه وجعلوا مكانه كعب بن الأشرف. وقيل: القائلون قريش وقد ألزموا إنزال التوراة لأنهم كانوا يسمعون من اليهود بالمدينة ذكر موسى والتوراة، وكانوا يقولون لو أنا أنزل علينا الكتاب، لكنا أهدى منهم } وعلمتم ما لم تعلموا أنتم ولا آباؤكم { الخطاب لليهود، أي علمتم على لسان محمد (٩٠/٤)

مما أوحى إليه ما لم تعلموا أنتم، وأنتم حملة التوراة، ولم تعلمه آباؤكم الأقدمون الذين كانوا أعلم منكم } إن هذا القرآن يقص على بني إسرائيل أكثر الذي هم فيه يختلفون { (النمل: ٧٦) وقيل الخطاب لمن آمن من قريش، كقوله تعالى: لتنذر قوما ما أنذر آباؤهم. { قل الله { أي أنزله الله، فإنهم لا يقدر أن يناكروك { ثم ذرهم في خوضهم { في باطلهم الذي يخوضون فيه، ولا عليك بعد إلزام الحجة. ويقال لمن كان في عمل لا يجدي عليه: إنما أنت لاعب. و { يلعبون { حال (١) من ذرهم، أو من خوضهم، ويجوز

أن يكون { في خوضهم { حالا من يلعبون، وأن يكون صلة لهم أو لذرهم. وهذا كتاب &Rr"sY9u"çm مبارك ن-د%ء | B- الذي بين يديه ولتنذر أم ٣"u#9\$à) ومن

olm;qxm\$ والذين يؤمنون د ou ١/2\$zFy\$خ/ يؤمنون به وهم على NكجEtbq 1 | x\$utd\$ùn†

(١) قوله: ويلعبون حال من ذرهم أو من خوضهم إلى قوله في خوضهم حالا من يلعبون في كلامه توسع لأن المراد حال من الضمائر على التقادير. قيل وهي حال مؤكدة كقوله تعالى

{ ولا تعثوا في الأرض مفسدين } قال أبو التقاء : في خوضهم يجوز أن يتعلق بذرهم على أنه ظرف له وأراد المصنف بكونه صلة ظرفا ، وإن يكون حالا من ضمير المفعول في ذرهم ، وأن يكون متعلقا بيلعبون ويلعبون حالا وصاحبها ضمير المفعول في ذرهم ، إذا لم يجعل في خوضهم حالا منه ، وإن جعله حالا منه كانت الحال الثانية من ضمير الاستقرار في الحال الأولى ، ويجوز أن يكن حالا من الضمير المجرور في خوضهم ويكون العامل المصدر والمجرور فاعل في المعنى .

(٩١/٤)

مبارك { كثير المنافع والفوائد } ولتنذر { معطوف على ما دل عليه صفة الكتاب، كأنه قيل: أو أنزلناه للبركات، وتصديق ما تقدمه من الكتب والإنذار. وقرئ: "ولينذر" بالياء والتاء. وسميت مكة { أم القرى } لأنها مكان أول بيت وضع للناس، ولأنها قبله أهل القرى كلها ومحجهم. لأنها أعظم القرى شأنا لبعض المجاورين(١):

فمن يلقي في القرى رحله ... فأم القرى ملقى رحالي ومنتابي

{ والذين يؤمنون بالآخرة } يصدقون بالعاقبة ويخافونها { يؤمنون } بهذا الكتاب. وذلك أن أصل الدين خوف العاقبة، فمن خافها لم يزل به الخوف حتى يؤمن. وخص الصلاة لأنها عماد الدين. ومن حافظ عليها كانت لطفًا في المحافظة على أخواتها.

ô`tBur أظلم ممن ٣"u# \$yIù# على الله كذبا أو قال أوحى إلي ولم يوح إليه شيء ومن قال

مأح"Ré'y"™ مثل ما &Rr"tAu الله ولو #u"س؟ إذ ٣Jكcqد="à9\$#@ في

جN"u yJxî الموت

والملائكة (t\$TM#uq# / أيديهم #ûq#م_حج÷zr & أنفسكم اليوم ٣ru÷cB"gé عذاب الهون بما

كنتم تقولون على الله غير بd,utù# \$: وكنتم عن آياته ٣tbrمثة٩٣،tF93 (n@ { افتري على الله كذبا { فرعم أن الله بعثه نبيا { أو قال أوحى إلي ولم يوح إليه شيء { وهو مسيلمة الحنفي الكذاب. أو كذاب صنعاء الأسود العنسي. وعن النبي :

(١) قوله: ولبعض المجاورين :

ومن يلق في بعض القرىات رحله ... فأم القرى ملقى رحالي ومنتابي
أراد ببعض المجاورين نفسه يقول من يضع رحله في بعض القرى فمكة محل وضع رحالي
وموضع
رجوعي إليها مرة بعد أخرى . قيل للمصنف : لم تجاور مكة ؟. فقال: القلب الذي أجده
ثمة لا أجده هنا .
(٩٢/٤)

رأيت فيما يرى النائم(١) كأن في يدي سوارين من ذهب فكبرا علي وأهماني فأوحى الله
إلي أن أنفخهما، فنفختهما فطارا عني، فأولتهما الكذابين الذين أنا بينهما: كذاب
اليمامة مسيلمة. وكذاب صنعاء الأسود العنسي { ومن قال سأنزل مثل ما أنزل الله } هو
عبد الله بن سعد بن أبي سرح القرشي.
)

٣٨٢) كان يكتب لرسول الله

،

(١) قوله: رأيت فيما يرى النائم . قيل لعله أول السوارين بالكذابين لأن السوار
سيما إذا كان ذهباً ليس من سمة الرجال خصوصاً الأنبياء وكونهما في يديه دل على شخصين
ينازعانه ما يتقوى به من الرسالة والنبوة ولا يكونان إلا كذابين ونبه..... على
احتقاره شأنهما وأنهما يمحقان بأدنا ما يصيبهما من بأس الله.
(٩٣/٤)

فكان إذا أملى عليه سميعاً عليماً، كتب هو: عليماً حكيماً. وإذا قال: عليماً حكيماً، كتب
غفوراً رحيماً. فلما نزلت: { ولقد خلقنا الإنسان من سلالة من طين } (المؤمنون: ١٢)
إلى آخر الآية، عجب عبد الله من تفصيل خلق الإنسان: فقال: تبارك الله أحسن
الخالقين. فقال عليه الصلاة والسلام أكتبها: فكذاك نزلت، فشك عبد الله وقال: لئن
كان محمداً صادقاً لقد أوحى إلي مثل ما أوحى إليه. ولئن كان كاذباً فلقد قلت كما قال:
فارتد عن الإسلام ولحق بمكة، ثم رجع مسلماً قبل فتح مكة. وقيل: هو النضر بن الحرث
والمستهزؤن { ولو ترى { جوابه محذوف. أي: رأيت أمراً عظيماً { إذ الظالمون { يريد
الذين ذكرهم من اليهود والمنتبهة، فتكون اللام للعهد. ويجوز أن تكون للجنس فيدخل

فرادى { منفردين عن أموالكم وأولادكم وما حرصتم عليه، وآثرتموه من دنياكم، وعن أوثانكم التي زعمتم أنها شفاعوكم وشركاء لله { كما خلقناكم أول مرة { على الهيئة التي ولدتم عليها في الانفراد { وتركتم ما خولناكم { ما تفضلنا به عليكم في الدنيا فشغلتم به عن الآخرة { وراء ظهوركم { لم ينفعكم ولم تحتملوا منه نقيرا ولا قدمتموه لأنفسكم { فيكم شركاء { في استبعادكم(١)، لأنهم حين دعوهم آلهة وعبدوها، فقد جعلوها لله شركاء فيهم وفي استبعادهم. وقرئ: "فرادى" بالتثنية(٢). وفرا، مثل ثلاث.

وفردى، نحو سكرى: فإن قلت: كما خلقناكم، في أي محل هو؟ قلت: في محل النصب صفة لمصدر

جئتمونا، أي مجيئنا(٣) مثل خلقنا لكم { تقطع بينكم { وقع التقطع بينكم، كما تقول: جمع بين الشيئين، تريد أوقع الجمع بينهما على إسناد الفعل إلى مصدره(٤)

(١) قوله: في استبعادكم أي زعمتم أن الأصنام شركاء لله في عبادتكم لأنهم إذا عبدوا

الآلهة فقد جعلوا لله شريكا . قيل : والإضافة إلى الفاعل أي استبعادكم الآلهة بمعنى طلب عبادتكم لها . وفي استبعادهم عطف تفسيري على قوله منهم على نحو أعجبنى زيد وكرمه .

(٢) قوله: و قرئ فرادا بالتثنية هو في المجموع كرجال في جمع رجل ، وأما فرادي بغير تنوين كسكاري فجمع فرد وفردى على فعلى يحتمل أن يكون مؤنث فردان كسكران ، وأن لم يسمع .

(٣) قوله: مجيئنا مثل خلقنا لكم المجيء عبارة عن خلق الله إياهم ثانيا فهو مثل خلقهم أولا .

(٤) قوله: على إسناد الفعل إلى مصدره يعني أوقع اليقطع بينكم . قال صاحب الفرائد : هذا بعيد لأن اليقطع لازم وما ذكره من النظر متعده وهو قوله : جمع بين الشيئين لأنه ليس في الأصل مما اسند الفعل فيه إلى مصدره بل هو من قبيل ما أوقع الفعل على مصدره إلى آخر ما ذكره . قيل:ويمكن أن يقال أن الاستشهاد مجرد إسناد الفعل إلى مصدره سواء كان متعديا أو لازما . وقوله: فقد أسند الفعل إلى الظرف .. قال المصنف الظرف اسم لاسم زمان أو مكان ينتصب بمعنى في ثم يتسع فيه فيستعمل استعمال المفعول به .

(٩٦/٤)

بهذا التأويل ومن رفع فقد أسند الفعل إلى الظرف كما تقول قوتل خلفكم وأمامكم . وفي

* إن الله فالفق $\$b=ut\grave{u}$ والنوى كالحج $\$f\grave{u}$ من الميت كالحج $f\grave{e}Cur$

الحی م N ن ۳ د ۹ sCE ۰۰ الله فانی توفکون (۹۵)

}

وبينكم صفتها وليست بموصلوة لأن الموصول (ينظر) لا يحذف ويبقى صلته.

(97/ε)

من الحي { بلفظ اسم الفاعل، بعد قوله: { يخرج الحي من الميت } قلت: عطفه (١) على فالق الحب والنوى، لا على الفعل.

فباعد قطعها عن نظيرها ، والوجه أن قياس الآية أن تكون الصفات باسم الفاعل كقوله { فالفالح الحب والنوى } { فالفالح الإصباح } { جاعل الليل } وإنما عدل إلى صيغة المضارع في { يخرج الحي } ليدل على تصوير ذلك وتمثيله واستحضاره وإخراج الحي من الميت أولى في الوجود وأعظم في القدرة فكانت العناية به أتم ولذلك جاء مقدما في مواضعه ، وحسن عطف

الاسم على الفعل المضارع لأنه في معناه . أقول: ما ذكره صاحب الانتصاف وإن كان لطيفا لكن يرد عليه أنه كيف جاز عطفه عليه مع كونه بيانا وهو غير صالح للبيان ولو فرضنا أنه ورد على صيغة اسم الفاعل مفعولا على سبيل البيان لفالق الحب والنوى لم يجز أيضا عطفه عليه ، فليتأمل ذلك.

(٩٨/٤)

ويخرج الحي من الميت: موقعة موقع الجملة المبينة لقوله: { فالق الحب والنوى } لأن فلق الحب والنوى بالنبات والشجر النامي من جنس إخراج الحي من الميت، لأن النامي في حكم الحيوان. ألا ترى إلى قوله: { يحيي الأرض بعد موتها } (الروم: ٥٠)، { ذلكم

الله } أي ذلكم المحي والمميت هو الله الذي تحقق له الربوبية { فأني تؤفكون } فكيف تصرفون عنه وعن توليه إلى غيره.

ك،د،٩\$ sù الإصباح وجعل الليل سكنا والشمس چ u 9\$#yJs حسبانا ٩دy7 sCE٩٩
تقدير العزيز

ةOثد=96 (yè9\$#

{ الإصباح } مصدر سمي به الصبح. وقرأ الحسن بفتح الهمزة جمع صبح، وأنشد قوله:
أغنى رباحا(١) وبني رباح

بالكسر والفتح مصدرين، وجمع مساء وصبح. فإن قلت: فما معنى فلق الصبح، والظلمة هي التي تنفلق عن الصبح. كما قال:

تردت به ثم انفرد(٢) عن أديمها

قلت: فيه وجهان، أحدهما: أن يراد فالق ظلمة الإصباح، وهي الغيش في آخر الليل، ومنقضاء الذي يلي الصبح. والثاني: أن يراد فالق الإصباح الذي هو عمود الفجر عن بياض النهار وإسفاره. وقالوا: انشق عمود الفجر. وانصدع الفجر. وسموا الفجر فلقا بمعنى مفلوق. وقال الطائي(٣):

(١) قوله: أفنى رباحا وبني رباح ... تناسخ الامساء والإصباح ... ناسخ الإمساء

والإصباح

أي أهلك قبيلة رياح أو الرجل المسمى بريح مع بنيه تعاقب الدهور والاعصار وكرور الليل والنهار وقد نسبه مجيء أحدهما بعد الآخر بنسخه له.

(٢) قوله: انفرى أوله وهو لأبي نواس في صفة الخمر: ... تفرى ليل عن بياض نهار تردت به ثم انفرى عن أديمها ... تفرى ليل عن بياض نهار تردت الخمر ثم انشق عن أديمها انشقاق ليل عن بياض نهار. وقبله: كأن نقابا ما عفا من حبابه ... تفارق شيب في سواد عذار (٣) قوله : وقال الطائي هو البحتري:

وأزرق الفجر يبدوا قبل أبيضه ... وأول الغيث قطر ثم ينسكب

قبله: هذا مخائل يرق قبله مطر ... جودوي ... زناد لهب
استشهد به على أن الصبح هو الذي ينشق عن بياض النهار .
(٩٩/٤)

وأزرق الفجر يبدو قبل أبيضه ... وأول الغيث قطر ثم ينسكب

وقرىء: "فالق الإصباح، وجاعل الليل سكنا" بالنصب على المدح. وقرأ النخعي: "فلق

الإصباح وجعل الليل" السكن: ما يسكن إليه الرجل ويطمئن استئناسا به واسترواحا إليه، من زوج أو حبيب. ومنه قيل للنار: سكن؛ لأنه يستأنس بها. ألا تراهم سموها المؤنسة، والليل يطمئن إليه التعب بالنهار لاستراحته فيه وجمامه، ويجوز أن يراد: وجعل الليل مسكونا فيه من قوله: لتسكنوا فيه { والشمس والقمر } قرئنا بالحركات الثلاث، فالنصب على إضمار فعل دل عليه جاعل الليل، أي وجعل الشمس
(١٠٠/٤)

والقمر حسبانا. أو يعطفان على محل الليل. فإن قلت كيف يكون ليل محل والإضافة حقيقية، لأن اسم الفاعل المضاف إليه في معنى (١)

(١) قوله : قلت ما هو في معنى الماضي وإنما هو دال على جعل مستمر، قد ذكرنا قبل أن هذا مخالف لما ذكره في { مالك يوم الدين } فلنذكر الآن بندا من الكلام في عمل اسم الفاعل والمفعول به ليندفع به التناقض عن كلامه. اعلم أن عملهما فيه مشروط

بمشابھتهما للفعل معنى ووزنا وذلك لكون المفعول به اجنبيا عنهما ويحصل هذا الشرط إذا كان بمعنى الحال أو الاستقبال أو الإطلاق المقيد للاستمرار لأنهما أذن يشابهان المضارع الصالح لهذه المعاني الثلاثة الموازن على الاطراد لاسم الفاعل أو المفعول بخلاف الماضي أما صلاحيته للحال والاستقبال فظاهر وأما صلاحيته للإطلاق المقيد للاستمرار فلأن العادة جارية منهم إذا قصدوا معنى الاستمرار أن يعبروا عنه بلفظ المضارع لمشابهته للاسم الذي أصل وضعه الإطلاق كقولك زيد يؤمن بالله وعمرو يسخو بوجوده أي هذه عادته .. فإذا ثبت أن اسم الفاعل والمفعول يعملان في الأجنبي إذا كانا بأحد هذه المعاني الثلاثة فإضافتهما إذن إلى ذلك الأجنبي لفظية لأن كون الإضافة لفظية مبني على العمل ولهذا عملت أبنية المبالغة لما كانت للاستمرار ، وأما إذا كانا بمعنى الماضي فإضافتهما محضة لأنهما لم يوازنا الماضي فلم يعملوا عمله ، هذا من حيث اللفظ وأما من حيث المعنى فلأن ملابسة المضاف للمضاف إليه قد حصلت في الماضي

واشتهرت في نحو ضارب زيد أمس فيصح أن يتخصص المضاف به كتخصيص الغلام بزيد في غلام

زيد حين اشتهر بمملوكيته ، وأما الحال فلم يتم بعد حصوله والمستقبل مترقب فلم يشتهر فيهما ملابسة المضاف للمضاف إليه بحيث يتعين المضاف بها أو يتخصص واسم الفاعل أو المفعول المستمر يصح أن يكون إضافته محضة كما يصح أن لا يكون كذلك وذلك لأنه وإن

كان بمعنى المضارع إلا أن استمرار ملابسة المضاف للمضاف إليه يصح تعيينه أو يخصصه . قال سيويه : تقول مررت بعبد الله ضاربك كما تقول مررت بعبد الله صاحبك أي المعروف بضربك كما تقول تريد شيهك أي المعروف بشيهك فإذا قصد هذا المعنى لم يعمل اسم الفاعل

في محل المجرور به نصبا كما في صاحبك وإن كان أصله اسم فاعل من سحب يصحب بل تقدره

كأنه جامد . وإذا تقرر هذا فاعلم أن ما ذكره في { مالك يوم الدين } من أن إضافته بمعنى الاستمرار حقيقته ، وما ذكره هنا من أنها لفظية مبني على ما ققررنا من الكلام وذلك لأننا إذا نظرنا إلى كون اسم الفاعل بمعنى الاستمرار مشابها للمضارع كذلك فإضافته لفظية فإذا نظرنا إلى أن استمراره يصح تخصصه وتعيينه وقلنا أنه بمعنى المعروف بذلك فإضافته معنوية . تقرير آخر وهو أن يقول : اسم الفاعل المضاف إذا كان

بمعنى الماضي فقط كانت إضافته حقيقية لانتفاء المشابهة التي هي جزاء العلة في أعمال اسم الفاعل وإذا كان بمعنى الاستقبال أو الحال فقط تكون إضافته غير حقيقية لوجود المشابهة التامة المقتضية للعمل ، وأما إذا كان بمعنى الاستمرار كالعالم الذات والقادر الذات ففي إضافته اعتبار أن أحدهما أنها محضة باعتبار الماضي وبهذا الاعتبار يقع صفة للمعرفة ولا يعمل . وثانيهما أنها غير محضة باعتبار معنى الحال والاستقبال وبهذا الاعتبار يقع صفة للنكرة ويعمل فيما أضيف إليه ونحوه ما قيل في قوله تعالى : { أيا ما تدعوا } فإن أيا من جهة كونها متضمنة لمعنا الشرط عامة في يدعو ومن

جهة كونها اسما متعلقا بتدعوا معمول له . وقال صاحب الفرائد في قوله تعالى { قابل التوب شديد العقاب } لما كان القائل بالنظر إلى أنه شيء له القبول لا بالنظر إلى أنه عامل صلح أن يكون صفة بالإضافة إلى التوب وكان معرفة فيصلح أن يكون الشديد من حيث انه شيء له الشدة لا بالنظر إلى أنه عامل صفة له بالإضافة إلى العقاب فعلى هذا يكن شديد العقاب معرفة .
(١٠١/٤)

الماضي، ولا تقول: زيد ضارب عمرا أمس؟ قلت: ما هو معنى الماضي، وإنما هو دال على جعل

مستمر في الأزمنة المختلفة، وكذلك فالق الحب، وفالق الإصباح، كما تقول: الله قادر عالم، فلا تقصد زمانا دون زمان، والجر عطف على لفظ الليل، والرفع على الابتداء، والخبر محذوف تقديره: والشمس والقمر مجعولان حسابا، أو محسوبان حسابا. ومعنى جعل الشمس والقمر حسابا: جعلهما على حساب، لأن حساب الأوقات يعلم بدورهما وسيرهما. والحسبان - بالضم -: مصدر حسب، كما أن الحسبان - بالكسر - مصدر حسب. ونظيره الكفران والشكران { ذالك } إشارة إلى جعلهما حسابا، أي ذلك التسيير بالحساب المعلوم { تقدير العزيز } الذي قهرهما وسخرهما { العليم } بتدبيرهما وتدويرهما. uqèdur الذي جعل لكم النجوم (#ك%rJky÷t9د بها في ظلمات البر حج st79\$#ur قد فصلنا

الآيات لقوم ٩7كcq (Jn=÷ètف

{ في ظلمات البر والبحر } في ظلمات الليل بالبر والبحر، وأضافها إليهما لملاستها لهما، أو شبه مشتبهات الطرق بالظلمات.

uqèdur الذي أنشأكم من نفس؛ n`urs%ooy فمستقر ومستودع قد فصلنا الآيات

لقوم يفقهون

ازرب

(١٠٢/٤)

من فتح قاف المستقر (١)، كان المستودع اسم مكان مثله أو مصدرًا. ومن كسرهما، كان اسم فاعل والمستودع اسم مفعول. والمعنى فلکم مستقر في الرحم. ومستودع في الصلب، أو مستقر فوق الأرض ومستودع تحتها. أو فمنكم مستقر ومنكم مستودع. فإن قلت: لم قيل {

يعلمون { مع ذكر النجوم و { يفقهون { مع ذكر إنشاء بني آدم؟ قلت: كان إنشاء الإنس من نفس واحدة وتصريفهم بين أحوال مختلفة ألطف (٢) وأدق صنعة وتدييرا، فكان ذكر الفقه الذي هو استعمال فطنة وتدقيق نظر مطابقا له.

وهو الذي &Rr"tAu من السماء ماء sYô_u\$÷ç zr'sù به نبات كل شيء
منه zr'sù÷ç sYô_u\$

#[٢١]yz كالحج fU منه \$Y6٦}xm \$Y6٦}٢I-B٢y ومن النخل من طلعتها قنوان
دانية وجنات من

&r٣sYô\$<٥ والزيتون والرمان مشتبها وغير متشابه انظروا إلى ٤٣/٤nحج yJrO إذا
uچyJOr&

وينعه إن في N٣د٩"٩ sCE لآيات لقوم يؤمنون (٩٩)
}

(١) قوله: من فتح قاف المستقر أي فاؤه وهو القاف .

(٢) قوله: الطف وإذ وصفه إشارة إلى أن في دلائل الأنفس من دقة النظر ما ليس في
دلائل الآفاق.

(١٠٣/٤)

فأخرجنا به { بالماء { نبات كل شيء { نبت كل صنف من أصناف النامي، يعني أن السبب
واحد وهو الماء. والمسببات صنوف مفتتة، كما قال: { تسقى بماء واحد ونفضل بعضها على
بعض في الأكل { (الرعد: ٤). { فأخرجنا منه { من النبات { خضرا { شيئا غضا أخضر.
يقال خضر وخضر، كأعور وعور، وهو ما تشعب من أصل النبات الخارج من الحبة { يخرج

منه

{ من الخضر { حبا متراكبا { وهو السنبيل. و { قنوان { رفع الابتداء. و { من النخل { خبره. و { من طلعتها { بدل منه، كأنه قيل: وحاصلة من طلع النخل قنوان. ويجوز أن يكون الخبر (١) محذوفاً لدلالة أخرجنا عليه تقديره ومخرجة من طلع النخل قنوان ومن قرأ يخرج منه حب متراكب، كان { قنوان { عنده معطوفاً على حب. والقنوان: جمع قنو، ونظيره: صنو وصنوان. وقرئ: بضم القاف وبفتحتها، على أنه اسم جمع كركب؛ لأن فعلاً ليس من زيادة التفسير { دانية { سهلة المجتنى معرضة (٢) للقاطف، كالشيء الداني القريب المتناول؛ ولأن النخلة (٣)

(١) قوله: ويجوز أن يكون الخبر محذوفاً والفرق بين الوجهين أنك إذا جعلت متعلق الجار

أمراً عاماً يكون الجار مع المجرور ثابتاً في موضع الخبر نائباً عنه ويقال له أنه خبر ولا يقال الخبر محذوف، وإذا قدرته خاصاً مخرجه فيكون هو الخبر فيقال فيه الخبر محذوف لدلالة ما تقدم عليه ولذلك قال لدلالة أخرجنا. (٢) قوله: معرضة يقال أعرض له كذا إذا أمكنه وحقيقته أبداً عرضه والعرض بالضم الجانب. (٣) قوله: ولأن النخل قيل هو معطوف على قوله سهلة المجتنى من حيث المعنى كأنه قال إنما قال تعالى { دانية { لأن النخلة سهلة المجتنى ولأن النخلة كذا. قيل الأولى عطفه على كالشيء اداني لأن الداني على هذا الوجه يراد به القريب حقيقة وفي الأول المراد به المشابهة للشيء القريب، ولهذا قال كالشيء الداني..

(١٠٤/٤)

وإن كانت صغيرة ينالها القاعد فإنها تأتي بالثمر (١) لا تنتظر الطول. وقال الحسن: دانية قريب بعضها من بعض. وقيل: ذكر القريبة وترك ذكر البعيدة: لأن النعمة فيها أظهر وأدل بذكر القريبة على ذكر البعيدة، كقوله: { سراويل تقيكم الحر { (النحل: ٨١) وقوله: { وجنات من أعناب { فيه وجهان، أحدهما: أن يراد: وثم جنات من أعناب، أي مع النخل. والثاني: أن يعطف (٢)

(١) قوله: فإنها تأتي بالثمر خبر أن على قول من جوز دخول الفاء في خبرها والشرط تأكيد. قيل: ويمكن أن يقال أن الفاء جواب الشرط وخبر أن محذوف لدلالة السياق عليه والشرط المذكور عطف عليه والتقدير ولأن النخلة إن كانت كبيرة لا ينالها القاعد

فإنها سهلة المجتنى وإن كانت صغيرة فكيت وكيت ، والأول أظهر من حيث المعنى لأن أصل الكلام ولأن النخلة تأتي بالتمر لا تنتظر الطول وإن كانت صغيرة ومثل هذا الشرط المذكور للمبالغة لا يحتاج إلى الجزاء ذكره بعض الفضلاء وفي المذكور نظر من وجهين أحدهما : أن دخول الفاء في حيز أن إنما يجوز إذا كان اسمها موصولا أو موصوفا والصلة أو الصفة فعل أو ظرف. وثانيهما أنه إنما يجوز دخول الفاء في خبر ان مع ذلك عند فقد الشرط.

)

٢) قوله: والثاني أن يعطف على قنوان على معنى ، وحاصله أو مخرجه على التقديرين يكون من عطف المفرد على المفرد . قال صاحب التقريب وفيه نظر لأنه إن عطف على قنوان فمن أعناب حينئذ إما صفة جنات فيفسد المعنى أو يؤول إلى قولنا ، وحاصله أو مخرجه من النخل جنات حصلت من أعناب فأما خبر لجنات فلا يصح لأنه يكون عطفا لها على مفردة ويكون المبتدأ نكره بلا مصحح . وأجيب عن هذا : بأن الجنات الحاصلة من الأعناب إذا كانت مغروسة تحت أشجار النخل جاز وصفها بأنها مخرجه منها مجازا لأن هيئتها تدرك من خلالها كما يدرك القنوان ، وبأن المصحح لكون المبتدأ نكرة عطفه على ما هو مخصص كما في قول الشاعر:

عندي اضطبار وشكوى عند قاتلي ... فهل بأعجب من هذا أمر سمعا
وأیضا يجوز الابتداء بالنكرة غير المتخصصة لأن المقصود من الكلام هو الإفادة فمتى حصلت الإفادة في الإخبار عن النكرة جاز كونها مبتدأ ومتى لم يحصل الإفادة لم يجز الإخبار وإن كان المبتدأ معرفة كما لو قال قائل: الثلج أبيض والنار حارة وقد جاء الإخبار عن النكرة في كلام العرب منه ثمرة خير من جرادة ، في الحجر لا فيك ، وفي القرآن { فنظرة إلى ميسرة } .
(١٠٥/٤)

على { قنوان } على معنى: وحاصلة، أو ومخرجة من النخل قنوان وجنات من أعناب، أي من نبات أعناب. وقرئ: "وجنات" بالنصب عطفا على { نبات كل شيء } أي: وأخرجنا به جنات

من أعناب، وكذلك قوله: { والزيتون والرمان } والأحسن أن ينتصبا على الاختصاص، كقوله: { والمقيم الصلاة } (النساء: ١٦٢) لفضل هذين الصنفين { مشتبهها وغير متشابه

{ يقال اشتهب الشبان وتشابها، كقولك استويا وتساويا. والافتعال والتفاعل يشتركان كثيرا. وقرئ: "متشابها وغير متشابه" وتقديره: والزيتون متشابها وغير متشابه، والرمال كذلك كقوله:

كنت (١) منه ووالدي برى

والمعنى: بعضه متشابها وبعضه غير متشابه، في القدر واللون والطعم. وذلك دليل على

التعمد (٢) دون الإهمال { انظروا إلى ثمره إذا أثمر { إذا أخرج ثمره كيف يخرج ضيلا ضعيفا لا يكاد ينتفع به. وانظروا إلى حال ينعه ونضجه كيف يعود شيئا جامعا لمنافع وملاذ، نظر اعتبار واستبصار واستدلال على قدرة مقدره ومدبره وناقله من حال إلى حال. وقرئ { وينعه { بالضم. يقال: ينعت الثمرة ينعا وينعا. وقرأ ابن محيصن: "ويانعه". وقرئ: "وثمره"، بالضم.

)

(١) قوله: كنت أوله:

رمانى بأمر كنت منه ووالدي ... برى ومن أجل الطوى رمانى

الطوى البئر المطوية بالحجر والآجر وغيرهما والتقدير كنت منه برى ووالدي برى.

(٢) قوله: وذلك دليل على التعمد دون الإهمال أي دليل على أن ذلك فعل فاعل مختار قاصد إلى فعلها كذلك قوله: وإن جعلت لله لغوا اللغو من الظروف ما يكون متعلقة مذكورا ولله إذا جعل لغوا تعلق بجعلوا وإذا جعل مفعولا تعلق بمحذوف أي كائنين لله. وقال ابن الحاجب: الظرف إذا افتقر الكلام إليه ولا يتم إلا به سمي مستقرا نحو أن يكون خبرا أو حالا أوصفة وإذا كان الكلام تاما بدونه سمي لغوا نحو ما كان أحد خيرا منك.

(١٠٦/٤)

qè=yèy_ur# لله شركاء ٴإِ`gù:#\$ وخلقهم (qè%u#چ yzur له بنين

sYt/ur"OM بغير علم

ٴys7"çmsY¼™ وتعالى عما يصفون (١٠٠)

إن جعلت { لله شركاء { مفعولي جعلوا، نصبت الجن بدلا من شركاء، وإن جعلت { لله {

لغوا كان { شركاء الجن { مفعولين قدم ثانيهما على الأول. فإن قلت: فما فائدة

التقديم؟ قلت: فائدته استعظام أن يتخذ الله شريك من كان ملكا أو جنيا أو إنسيا أو

غير ذلك. ولذلك قدم اسم الله (١) على الشركاء. وقرىء: "الجن" بالرفع، كأنه قيل: من هم؟ فقيل: الجن. وبالجذر على الإضافة التي للتبيين. والمعنى أشركوهم في عبادته، لأنهم أطاعوهم كما يطاع الله. وقيل: هم الذين زعموا أن الله خالق الخير وكل نافع، وإبليس خالق الشر وكل ضار { وخلقهم } وخلق الجاعلين لله شركاء. ومعناه: وعلموا أن الله خالقهم (٢) دون الجن، ولم يمنعهم علمهم أن يتخذوا من لا يخلق شريكا للخالق. وقيل: الضمير للجن.

(١) قوله: ولذلك قدم اسم الله أي لفائدة الاستعظام قدم أيضا اسم الله ففي التركيب تقديمان تقديم الطرف لأنه إذا كان لغوا فمرتبه بعد ذكر المفعولين، والحق (أنه) إذا جعل مفعولا فمرتبه التقدم لأنه معرفة فأصل الكلام على هذا وجعلوا الجن شركاء لله ولا ريب أن التقديم يفيد الاهتمام بشأن المتقدم وذلك لأن المقدم في الكلام وهو المقصود الأولى من آخر الكلام ولما قدم المفعول الثاني وهو شركاء وجب أن يكون الكلام فيه فلذلك قال استعظام أن يتخذ لله شريك إلى آخره ولما قدم النظر على المفعولين أوجب ذلك الاهتمام بشأنه فكان اسم الله مقدما على الشركاء.

(٢) قوله: ومعناه وعلموا أن الله خالقهم إنما كان معناه ذلك لأن وخلقهم حال بتقدير قد أي وقد خلقهم، ومعناه وقد علموا ذلك لأن الآية وردت للإنكار عليهم والإنكار إنما يكون مع العلم. وقوله: وقيل الضمير للحق عطف على قوله وخلق الجاعلين لله شركاء.

(١٠٧/٤)

وقرىء: "وخلقهم"، أي اختلاقهم الإفك، يعني: وجعلوا لله خلقهم حيث نسبوا قبائحهم إلى الله في قولهم { والله أمرنا بها } (الأعراف: ٢٨)، { وخرقوا له } وخلقوا له، أي افعلوا له { بنين وبنات } وهو قول أهل الكتابين في المسيح وعزير، وقول قريش في الملائكة يقال: خلق الإفك وخرقه واختلفه واخترقه، بمعنى: وسئل الحسن عنه فقال: كلمة عربية كانت العرب تقولها: كان الرجل إذا كذب كذبة في نادي القوم يقول له بعضهم: قد خرقها والله، ويجوز أن يكون من خرق الثوب إذا شقه، أي اشتقوا له بنين وبنات، وقرىء: "وخرقوا" بالتشديد للتكثير، لقوله: { بنين وبنات } وقرأ ابن عمر وابن عباس رضي الله عنهما "وخرقوا" له، بمعنى: وزوروا له أولادا لأن المزور محرف مغير للحق إلى الباطل }

بغير علم { من غير أن يعلموا حقيقة ما قالوه من خطأ أو صواب، ولكن رميا بقول عن
عمي وجهالة. من غير فكر وروية.

كي 9\$#،،yJ"N`uqđ /t%٥٥f
شيء وهو

بكل شيء L×=ت و (١٠١)
}

(١٠٨/٤)

بديع لا السماوات { من إضافة الصفة المشبهة إلى فاعلها، كقولك: فلان بديع الشعر أي
بديع شعره أو هو بديع في السماوات والأرض كقولك فلان ثبت الغدر، أي ثابت فيه،
والمعنى أنه عديم النظر والمثل فيها. وقيل: البديع بمعنى المبدع، وارتفاعه على أنه
خبر مبتدأ محذوف، أو هو مبتدأ وخبره { أنى يكون له ولد } أو فاعل تعالى: وقرئ
بالجر (١) ردا على قوله { وجعلوا لله { (الرعد: ٣٣) أو على { سبحانه } . وبالنصب على
المدح، وفيه إبطال الولد من ثلاثة أوجه، أحدها: أن مبتدع السماوات والأرض وهي أجسام
عظيمة لا يستقيم أن يوصف بالولادة لأن الولادة من صفات الأجسام ومخترع الأجسام لا
يكون جسما حتى يكون والدا. والثاني: أن الولادة لا تكون إلا بين زوجين من جنس واحد
وهو متعال عن مجانس، فلم يصح أن تكون له صاحبة، فلم تصح الولادة. والثالث: أنه ما
من شيء إلا وهو خالقه والعالم به، ومن كان بهذه الصفة كان غنيا عن كل شيء، والولد
إنما يطلبه المحتاج. وقرئ: "ولم يكن له صاحبة" بالياء وإنما جاز للفصل كقوله
لقد ولد (٢)

(١) قوله: وقرأ بالجر ردا على قوله وجعلوا لله شركاء ، أي على الإبدال من الله لا
على الصفة لأن بديع السماوات من قبيل إضافة الصفة المشبهة إلى فاعلها فهي لفضية .
وقوله أو على سبحانه أي على الإبدال أيضا من الضمير المجرور فيه.
(٢) قوله: لقد ولد الاخيطل أم سيق . تمامه: على قمع استها صلب وشام

ويروى باب استها قيل الصلب جمع الصليب وهو كأنه شبه به
والشام جمع شامة وهي العلامة . وقيل كان الاخطل نصرانيا وصلب جمع صليب النصراني

والشام النفوس أراد أنها كانت تفعل فعال المؤمنات والقياس ولدت لأن الفاعل مؤنث حقيقي . وقال ابن جني القراءة قراءة إبراهيم النخعي ومثلها ما حكاه سيبويه حضر القاضي اليوم امرأة وأما أن تذكير كان مع تأنيث اسمها اسهل من تذكير سائر الأفعال من تأنيث فاعلها فكان في الدار هند أسوغ من قام في الدار هند ، وذلك لأنه إنما احتيج الفعل إلى تأنيث الفاعل لأنهما يجريان مجرى الجزء الواحد، لأن كل واحد منهما لا يستغني عن صاحبة فإنك لو حذفت الفعل لانفرد الفاعل فلم يفد شيئا فأنث الفعل إيذانا بأن الفاعل المتوقع بعده مؤنث بخلاف كان واخواتها لأنك لو حذفتها لاستقل ما بعدها برأسه فلم يقو حاجته إلى كان قوة حاجته إلى الفعل فانحطت رتبته ولم يذكر أحد من أصحابنا هذا فافهمه.

(١٠٩/٤)

الأخيطل أم سوء .

م Na6d9CE s الله ربكم لا إله إلا هو ك، د="yz كل شيء فاعبدوه وهو على كل شيء وكيل

(١٠٢)

{ ذالكم } إشارة إلى الموصوف مما تقدم من الصفات، وهو مبتدأ وما بعده أخبار مترادفة وهي { الله ربكم لا إله إلا هو خالق كل شيء } أي ذلكم الجامع لهذه الصفات { فاعبدوه } مسبب عن مضمون الجملة على معنى: أن من استجمعت له هذه الصفات كان هو الحقيقي بالعبادة فاعبدوه ولا تعبدوا من دونه (١) من بعض خلقه. ثم قال: { وهو على كل شيء وكيل } يعني وهو مع تلك الصفات مالك لكل شيء من الأرزاق والآجال، رقيب على الأعمال.

w تدركه الأبصار وهو يدرك u ج " | F/\$} # وهو اللطيف مرنجخ 103 (sfù:\$# البصر: هو الجهر اللطيف الذي ركبته الله في حاسة النظر، به تدرك المبصرات، فالمعنى أن الأبصار لا تتعلق به ولا تدركه؛ لأنه متعال أن يكون مبصرا في ذاته، لأن الأبصار إنما تتعلق بما كان في جهة أصلا أو تابعا، كالأجسام والهيآت { وهو يدرك الأبصار } وهو للطف إدراكه للمدركات يدرك تلك الجواهر اللطيفة التي لا يدركها مدرك { وهو

اللطيف { يلطف عن أن تدركه الأبصار { الخبير { بكل لطيف فهو يدرك الأبصار، لا تلطف عن إدراكه وهذا من باب اللطف.

s %ô%os جاءكم مچح ! | t/ من ربكم فمن أبصر 4/3md،، Z=du sù ومن عمي

فعليها وما أنا عليكم

٧٩٢: اتة حب

{ قد جاءكم بصائر من ربكم } هو وارد على لسان رسول الله

،

(١) قوله : من دونه من بعض خلقه خص البعض لأن الكلام في الملائكة والجن.

(١١٠/٤)

لقوله: { وما أنا عليكم بحفيظ } والبصيرة نور القلب الذي به يستبصر، كما أن البصر نور العين الذي به تبصر أي جاءكم من الوحي، والتنبيه على ما يجوز على الله وما لا يجوز ما هو للقلوب كالصائر { فمن أبصر } الحق وآمن { فلنفسه } أبصر وإياها نفع { ومن عمى } عنه فعل نفسه عمى وإياها ضر بالعمى { وما أنا عليكم بحفيظ } أحفظ أعمالكم وأجازيكم عليها، إنما أنا منذر والله هو الحفيظ عليكم.

xx.ur"٩dy7 نصرف الآيات وليقولوا درست ولنبينه لقوم ك105 (Jn=÷èt f

{ وليقولوا } جوابه محذوف تقديره. وليقولوا درست تصرفها. ومعنى { درست } قرأت وتعلمت. وقرئ: "دارست" أي دارست العلماء. ودرست بمعنى قدمت هذه الآيات وعفت كما

قالوا: أساطير الأولين، ودرست بضم الراء، مبالغة في درست، أي اشتد دروسها. ودرست - على البناء للمفعول - بمعنى قرئت أو عفيت. ودارست. وفسروها بدارست اليهود محمدا

، وجاز الإضمار؛ لأن الشهرة بالدراسة كانت لليهود عندهم. ويجوز أن يكون الفعل للآيات، وهو لأهلها، أي دارس أهل الآيات وحملتها محمدا، وهم أهل الكتاب. ودرس أي درس محمد. ودارسات، على: هي دارسات، أي قديمات. أو ذات دروس، كعيشة راضية، فإن قلت:

أي فرق بين اللامين في { ليقولوا } ، { ولنبينه } ؟ قلت: الفرق بينهما أن الأول مجاز والثانية حقيقة، وذلك أن الآيات صرفت للتبيين ولم تصرف ليقولوا دارست، ولكن لأنه حصل هذا القول بتصريف الآيات كما حصل التبيين، شبه به فسيق مساقه. وقيل:

ليقولوا كما قيل لنبينه: فإن قلت: إلام يرجع الضمير في قوله: { ولنبينه } ؟ قلت: إلى الآيات لأنها في معنى القرآن، كأنه قيل: وكذلك نصرف القرآن. أو إلى القرآن وإن

لم يجر له ذكر، لكونه معلوماً أو إلى التبيين الذي هو مصدر الفعل، كقولهم: ضربته زيد (١)

(١) قوله: كقولهم ضربته زيداً الضمير لمصدر ضربت كقوله:
هذا سراقا للقرآن يدرسه

والتقدير ضربت الضرب زيداً .
(١١١/٤)

١. ويجوز أن يراد فيمن قرأ درست ودارست: درست الكتاب ودارسته، فيرجع إلى الكتاب المقدر.

نخ٧؟# ما أوحى إليك من ن٧خ' لا إله إلا هو عحج٧م ur&r عن المشركين
(١٠٦) ولو

شاء الله ما أشركوا وما ن٧y=yè"y sYù=عليهم Zà\$ ثد٧م xm وما أنت Nخkz٧م
ه@.د uq.خ/
(١٠٧)

{ لا إله إلا هو { اعتراض أكد به إيجاب اتباع الوحي لا محل له من الإعراب. ويجوز أن يكون حالاً (١) من ربك، وهي حال مؤكدة كقوله { وهو الحق مصداقاً { (البقرة: ٩١).
wur٧ تسبوا الذين يدعون من دون الله فيسبوا الله عدواً بغير علم ن٧y9dy7 \$Yfy٧-xx.
لكل أمة عملهم ثم إلى Nخh5u' مرجعهم فينبئهم بما كانوا يعملون (١٠٨)
}

(١) قوله: ويجوز أن يكون حال من ربك وهي حال مؤكدة قال صاحب التقریب : فيه نظر إذ شرط المؤكدة تقدم جملة اسمية وأقول الجواب عن هذا من وجهين : أحدهما: أن من الجائز أن يكون من ربك خبر مبتدأ محذوف لا متعلق أو جيء أي هو من ربك والثاني أن يقال لا نسلم أن من شرط المؤكدة ذلك ولهذا قال في قائم بالقسط أنه حال مؤكدة من فاعل شهد وأما التوفيق بين هذه الرواية وبين ما قال في المفصل فقد ذكرناه في موضع آخر
(١١٢/٤)

ولا تسبوا { الآلهة { الذين يدعون من دون الله فيسبوا الله { وذلك أنهم قالوا عند

نزل (١) قوله تعالى: { إنكم وما تعبدون من دون الله حصب جهنم } (الأنبياء: ٩٨)
لتنهين عن سب آلهتنا أو لنهجون إلهك. وقيل: كان المسلمون يسبون آلهتهم، فنهوا

لئلا يكون سبهم سببا لسب الله تعالى. فإن قلت: سب الآلهة حق وطاعة، فكيف صح النهي عنه، وإنما يصح النهي عن المعاصي قلت: رب طاعة علم أنها تكون مفسدة فتخرج عن أن تكون طاعة، فيجب النهي عنها لأنها معصية، لا لأنها طاعة كالنهي عن المنكر هو من أجل الطاعات، فإذا علم أنه يؤدي إلى زيادة الشر انقلب معصية، ووجب النهي عن ذلك النهي. كما يجب النهي عن المنكر. فإن قلت: فقد روي عن الحسن وابن سيرين: أنهما حضرا جنازة فرأى محمد نساء فرجع، فقال الحسن: لو تركنا الطاعة لأجل المعصية لأسرع ذلك (٢) في ديننا. قلت: ليس هذا ممن نحن بصدد، لأن حضور الرجال الجنازة طاعة وليس بسب لحضور

النساء فإنهن يحضرنها حضر الرجال أو لم يحضروا، بخلاف سب الآلهة. وإنما خيل إلى محمد أنه مثله حتى نبه عليه الحسن. { عدوا } ظلما وعدوانا. وقرئ: "عدوا" بضم العين وتشديد الواو بمعناه. ويقال: هذا فلان عدوا وعدوا وعدوانا وعداء. وعن ابن كثير: "عدوا"، بفتح العين بمعنى أعداء { بغير علم } على جهالة بالله وبما يجب أن يذكر به { وكذلك زينا لكل أمة } مثل (٣)

(١) قوله: أنهم قالوا عند نزول قوله { إنكم وما تعبدون } فإن قلت لا يستقيم هذا مع النهي ولا قلت: إذا قصد بالتلاوة سبهم وغيظهم يستقيم النهي عنها .
(٢) قوله: لأسرع ذلك في ديننا أي لأسرع فساد ذلك في ديننا أو لأسرع ذلك في فساد ديننا ضمن أسرع معنى التأثير أي أثر الترك في ديننا سريعا .
(٣) قوله: بمثل ذلك المشار إليه

قوله فيسبوا الله عدوا بغير علم وهو أمر عظيم فاستبعده حيث أشار إليه بقوله ذلك.
(١١٣/٤)

ذلك التزيين زينا لكل أمة من أمم الكفار سوء عملهم. أي خليئناهم وشأنهم، ولم نكفهم حتى حسن عندهم سوء عملهم: أو أمهلنا الشيطان حتى زين لهم أو زيناه في زعمهم (١). وقولهم: إن الله أمرنا بهذا وزينه لنا { فينبئهم } فيوبخهم عليه ويعاتبهم ويعاقبهم.

)

كق ur&%r,J بالله جهد Nخkb" [fr÷yJ& لئن جاءتهم آية ليؤمنن بها قل إنما الآيات عند

الله وما يشعركم أنها إذا جاءت لا يؤمنون اتقوا الله

(١) قوله : أو زيناه في زعمهم إشارة إلى أنه من باب المشاكلة كقوله { إن الله لا يستحي أن يضرب مثلاً } .
(١١٤/٤)

لئن جاءتهم آية { من مقترحاتهم } ليؤمنن بها قل إنما الآيات عند الله { وهو قادر عليها، ولكنه لا ينزلها إلا على موجب الحكمة، أو إنما الآيات عند الله لا عندي. فكيف أجيبكم إليها وآتيكم بها { وما يشعركم } وما يدريككم(١) }

(١) قوله: وما يدريككم أن الآية التي تقترحونها إذا جاءت لا تؤمنون قال أبو التقاء ما يشعركم ما استفهام في موضع رفع بالابتداء ويشعركم الخبر وهو متعدي إلى مفعولين والظاهر من كلام المصنف أن الاستفهام فيه معنى النفي وبعضهم قال بزيادة لا أي ما يدريككم أنهم يؤمنون عند مجيء الآيات حتى يحرصوا على مجيئها وهو المناسب لحرصهم على ذلك لأنهم لو علموا أنهم لا يؤمنون عند مجيئها لما حرصوا على مجيئها وبعضهم قال أنها بمعنى لعلها . فإن قلت: فإذا كان الاستفهام للإنكار المتضمن للنفي فكيف يصح نفي العلم بذلك وقد أعلمهم الله ذلك بقوله { ولو أننا نزلنا إليهم الملائكة } إلى قوله { ما كانوا ليؤمنوا } ؟. قلت: إن المؤمنين نزلوا لحرصهم على إيمانهم منزلة من يدعي أن الآيات من عند رسول الله ومنزلة من لا يدري أن علم الله سبق بذلك أي بعدم الإيمان عند مجيء الآيات فأمر الرسول صلى الله عليه وآله وسلم أن يقول لهم أولاً إنما الآيات عند الله لا عندي و ثانياً: { وما يشعركم أنها إذا جاءت لا يؤمنون } بمعنى كأنكم لا تدرون ما سبق علمي به من أنهم لا يؤمنون ولذلك يطمعون في إيمانهم . وقال نور الدين : معنى الآية وما يشعركم أيها المؤمنون الممتنون مجيء الآيات التي اقترحوها أنها إذا جاءت لا يؤمنون أي أنكم لا تدرون ذلك وأنا أدري

فالاستفهام بمعنى النفي ، وعلى هذا قال بعضهم إن قوله { كما لم يؤمنوا به أول مرة } متصل بهذا أي لا يدرون أنها إذا جاءت لا يؤمنون كما لم يؤمنوا به أول مرة واستدل المصنف على أن لا غير مزيدة بقوله { كما لم يؤمنوا به أول مرة } فإنها تدل

على ذلك حيث قال : ألا ترى إلى قوله { كما لم يؤمنوا به } .
(١١٥/٤)

أنها { أن الآية التي تقترحونها } إذا جاءت لا يؤمنون بها { يعني أنا أعلم أنها إذا
جاءت لا يؤمنون لها وأنتم لا تدرون بذلك. وذلك أن المؤمنين كانوا يطمعون في إيمانهم
إذا جاءت تلك الآية ويتمنون مجيئها. فقال عز وجل وما يدريكم أنهم لا يؤمنون على
معنى أنكم لا يدرون ما سبق علمي به من أنهم لا يؤمنون به ألا ترى إلى قوله { كما لم
يؤمنوا به أول مرة } وقيل: { أنها } بمعنى "لعلها" من قول العرب: انت السوق أنك
تشتري لحما. وقال امرؤ القيس(١):

عوجا على الطلل المحيل لأننا ... نبكي الديار كما بكى ابن حدام

وتقويها قراءة أبي "لعلها إذا جاءت لا يؤمنون"، وقرىء بالكسر على أن الكلام قد تم
قبله بمعنى: وما يشعركم ما يكون منهم، ثم أخبرهم بعلمه فيهم فقال: أنها إذا جاءت لا
يؤمنون البتة. ومنهم من جعل "لا" مزيدة(٢) في قراءة الفتح وقرىء: "وما يشعرهم أنها
إذا جاءت لا يؤمنون" أي يحلفون بأنهم يؤمنون عند مجيئها. وما يشعرهم أن تكون قلوبهم
حينئذ كما كانت عند نزول القرآن وغيره من الآيات مطبوعا عليها فلا يؤمنوا بها.
ونقلب أفئدتهم Nèdu "ج | ء/ur&r كما لم يؤمنوا به أول مرة ونذرهم في طغيانهم يعمهون
(١١٠)
}

(١) قوله: وقال امرؤ القيس:

عوجوا على الطلل المحيل لأننا ... نبكي الديار كما بكى ابن حدام
العوج عطف راس البعير بالزمام والمحيل الذي أتى عليه الحول أو حال وتغير عن صفته
بصوت الأمطار وهبوب الريح وابن حدام بكسر الحاء المهملة أول من بكى من الشعراء على

الديار يقول لأصحابه الووا واعدلوا على هذا الطلل المتغير لعلنا نبكي هذه الديار
كما بكى ابن حدام .

(٢) قوله :ومنهم من جعلها مزيدة في قراءة الفتح ونحوه قوله تعالى { وحرام على قرية
أهلكناها أنهم لا يرجعون } .

ونقلب أفئدتهم.... ونذرهم { عطف على يؤمنون، داخل في حكم وما يشعركم، بمعنى: وما يشعركم أنهم لا يؤمنون، وما يشعركم أنا نقلب أفئدتهم وأبصارهم: أي نطبع على قلوبهم وأبصارهم فلا يفقهون ولا يبصرون الحق كما كانوا عند نزول آياتنا، أو لا يؤمنون بها لكونهم مطبوعا على قلوبهم، وما يشعركم أنا نذرهم في طغيانهم أي نخليهم وشأنهم لا نكفهم عن الطغيان حتى يعمهوا فيه. وقرئ: "ويقلب ويذرهم" بالياء أي الله عز وجل. وقرأ الأعمش: وتقلب أفئدتهم وأبصارهم" على البناء للمفعول.

* ولو &sY`Rr\$ نزلنا مxkz9خ) الملائكة وكلمهم ء' sAqpRùQ\$#
 \$tR | ن³ xmur كxkz9م كل

شيء قبل ما كانوا (#B÷sdZûmqمدا ٩ إلا أن يشاء الله ولكن &nY2rژNèdu
 يجهلون (١١١)

{ ونقلب أفئدتهم.... ونذرهم { عطف على يؤمنون، داخل في حكم وما يشعركم، بمعنى: وما يشعركم أنهم لا يؤمنون، وما يشعركم أنا نقلب أفئدتهم وأبصارهم: أي نطبع على قلوبهم وأبصارهم فلا يفقهون ولا يبصرون الحق كما كانوا عند نزول آياتنا(١)، أو لا يؤمنون بها لكونهم مطبوعا على قلوبهم، وما يشعركم أنا نذرهم في طغيانهم أي نخليهم وشأنهم لا نكفهم عن الطغيان حتى يعمهوا فيه. وقرئ: "ويقلب ويذرهم" بالياء أي الله عز وجل. وقرأ الأعمش: وتقلب أفئدتهم وأبصارهم" على البناء للمفعول.

٩dy7`yèy`\$sYù=ur`xx\_ لكل نبي عدوا شياطين الإنس dI`ur\$#f9 يوحى
 بعضهم إلى بعض

زخرف القول غرورا ولو شاء 'u/ژy7 ما فعلوه فذرهم وما ژcrمژI_ytf اتشبه
 }

(١) قوله: { أو تأتي بالله والملائكة قبيلا } يعني معنى حشرنا عليهم كل شيء قبل
 معنى ما اقترحوا في ذلك وكل شيء من إطلاق الكل على معظم الشيء. ومعنى على غرة على

غفلة.

وكذلك جعلنا لكل نبي عدوا { وكما خلينا بينك وبين أعدائك، وكذلك فعلنا بمن قبلك من

الأنبياء وأعدائهم، لم نمنعهم من العدو، لما فيه من الامتحان الذي هو سبب ظهور
 الثبات والصبر، وكثر الثواب والأجر. وانتصب { شياطين } على البدل من عدوا. أو على
 أنهما مفعولان كقوله { وجعلوا لله شركاء الجن } (الأنعام: ١٠٠) { يوحى بعضهم إلى
 بعض { يوسوس شياطين الجن إلى شياطين الإنس. وكذلك بعض الجن إلى بعض وبعض الإنس
 إلى

بعض. وعن مالك ابن دينار: إن شيطان الإنس أشد علي من شيطان الجن، لأنني إذا تعوذت
 بالله ذهب شيطان الجن عني، وشيطان الأنس يجيئني فيجرني إلى المعاصي عيانا { زخرف
 القول { ما يزينه من القول والوسوسة والإغراء على المعاصي ويموهه { غرورا { خدعا
 وأخذنا على غرة { ولو شاء ربك ما فعلوه { ما فعلوا ذلك، أي ما عادوك، أو ما أوحى
 بعضهم إلى بعض زخرف القول بأن يكفهم ولا يخليهم وشأنهم.

ولتصغى إليه أفئدة الذين لا يؤمنون د ou ١/2\$zFy\$خ / çnq | تزچد ur

ur٩dyI)uخز(#qèù ما

هم ١13خز cqèù)B-(yI)

{ ولتصغى { جوابه محذوف (١) تقديره: وليكون ذلك جعلنا لكل نبي عدوا، على أن اللام
 لام الصيرورة وتحقيقها ما ذكر (٢). والضمير في { إليه { يرجع إلى ما رجع إليه الضمير
 في فعلوه، أي ولتميل إلى ما ذكر من عداوة الأنبياء ووسوسة الشياطين { أفئدة {
 الكفار { ويرضوه { لأنفسهم { وليقتروا ما هم مقترفون { من الأثام.

(١) قوله: جوابه محذوف أي معللة وهو ما قدرنا لدلالة المحذوف أولا عليه والإشارة
 إليه بذلك في قوله وليكون ذلك الصغو.

(٢) قوله: وتحقيقها ما ذكر أي عند قوله { وليقولوا درست { ، ومعنى التهيج والإلهاب
 التحريض.

(١١٨/٤)

و٩٣\$VJs3xm\$ وهو الذي &Rr"tAu إليكم الكتاب مفصلا

والذين ق ÷sY"gكO

٩#?u سن الكتاب كtbq ÷ètfJn= أنه منزل من 7y/n' ب \$:d,utù\$خ/ فلا تكون

من

tûiخز J9\$#كyIôJ اتحب

}

أفغير الله أبتغي حكما { على إرادة القول، أي قل يا محمد: أفغير الله أطلب حاكما يحكم بيني وبينكم، ويفصل المحق منا من المبطل { هو الذي أنزل إليكم الكتاب { المعجز { مفصلا { مبينا فيه الفصل بين الحق والباطل، والشهادة لي بالصدق وعليكم بالافتراء. ثم عضد الدلالة على أن القرآن حق بعلم أهل الكتاب أنه حق لتصديقه ما عندهم وموافقته له { فلا تكونن من الممترين { من باب التهيج والإلهاب، كقوله تعالى: { ولا تكونن من المشركين { (الأنعام: ١٤) أو { فلا تكونن من الممترين { في أن أهل الكتاب يعلمون أنه منزل بالحق، ولا يريبك جحود أكثرهم وكفرهم به. ويجوز أن يكون { فلا تكونن { خطابا لكل أحد، على معنى أنه إذا تعاضدت الأدلة على صحته وصدقه، فما ينبغي أن يمتري فيه أحد. وقيل: الخطاب لرسول الله خطابا لأمته.

وتمت x=dàMyJ. ربك صدقا وعدلا لا مبدل 3/4Gdm=yJ"د3=د9 وهو السميع قOثد=115) #yè9\$

{ وتمت كلمت ربك { أي تم كل ما أخبر به، وأمر ونهى، ووعد وأوعد { صدقا وعدلا لا مبدل لكلماته { لا أحد يبدل شيئا من ذلك مما هو أصدق وأعدل. وصدقا وعدلا. نصب على

الحال. وقرئ: "كلمة ربك"، أي ما تكلم به. وقيل: هي القرآن. ur(خb تطع &nY2rzu من في الأرض يضلوك عن سبيل الله إن يتبعون إلا الظن وإن هم إلا

يخرصون (١١٦)

}

(١١٩/٤)

وإن تطع أكثر من في الأرض { أي من الناس أضلوك، لأن الأكثر في غالب الأمر يتبعون هواهم، ثم قال: { إن يتبعون إلا الظن { وهو ظنهم أن آباءهم كانوا على الحق فهم يقلدونهم { وإن هم إلا يخرصون { يقدرون أنهم على شيء. أو يكذبون في أن الله حرم كذا وأحل كذا.

b" (خ) ربك هو أعلم من يضل عن 3/4دح#xTMy وهو أعلم بالمهتدين (١١٧) فكلوا مما uچد.èCE

اسم الله عليه إن كنتم بآياته مؤمنين (١١٨) وما لكم ألا تأكلوا مما uچد.èCE اسم الله

عليه وقد فصل لكم ما xmچtP عليكم إلا ما Oè؟'حجذت#\$ إليه وإن
[چدWx. ليضلون

Ogخ ح!#uq÷dr'خ/ بغير علم إن ربك هو أعلم بالمعتدين اتزب
(١٢٠/٤)

وقرىء: "من يضل" بضم الياء أي يضلله الله { فكلوا } مسبب عن إنكار اتباع المضلين،
الذي يحلون الحرام ويحرمون الحلال. وذلك أنهم كانوا يقولون للمسلمين: إنكم تزعمون
أنكم تعبدون الله، فما قتل الله أحق أن تأكلوا مما قتلتم أنتم، فقليل للمسلمين: إن
كنتم متحققين (١) بالإيمان فكلوا { مما ذكر اسم الله عليه { خاصة (٢) دون ما ذكر عليه
اسم غيره من آلهتهم أو مات حتف أنفه، وما ذكر اسم الله عليه هو المذكي بسم الله {
وما لكم ألا تأكلوا { وأي غرض لكم في أن لا تأكلوا { وقد فصل لكم { وقد بين لكم ما
حرم عليكم مما لم يحرم وهو قوله: { حرمت عليكم الميتة { (المائدة: ٣) وقرىء: "فصل
لكم ما حرم عليكم" على تسمية الفاعل، وهو الله عز وجل { إلا ما اضطررتم إليه { مما
حرم عليكم فإنه حلال لكم في حال الضرورة { وإن كثيرا ليضلون { قرىء بفتح الياء
وضمها، أي يضلون فيحرمون ويحللون { بأهوائهم { وشهواتهم من غير تعلق بشريعة.
وذروا uچخg"sك الإثم ٤¼Yçmsدغ\$ur/t إن الذين يكسبون الإثم
TMyôf'tb÷ru بما كانوا
tbqèù (120خز)tf (yI)
}

(١) قوله: إن كنتم متحققين بالإيمان . قيل أي إن صرتم عالمين بحقائق الأمور بسبب
إيمانكم بالله وهذا من جملة ذلك فالزموه ، ويجوز أن يكون تفعل بمعنى فعل للمبالغة
أي كنتم تائبين في الإيمان وإن يكون بمعنى استفعل أي إن كنتم طالبين الحق بسبب
الإيمان.

(٢) قوله: خاصة بهذا الحصر تقيده توكيد الكلام بالشرط أي إن خصصتم الإيمان بآيات
الله فكلوا مما أحلته الآيات دون ما حرّمته مما أحلوه من الميتة وما ذبح على النصب
أو الفاء في { فكلوا { لدلالاتها على التسبيب وإنكار اتباع المضلين أي كلوا مما ذكر
اسم الله عليه خاصة مما ذبحتم دون ما أمركم المضلون بالأكل منه من الميتة وذبائحهم.
(١٢١/٤)

ظاهر الإثم وباطنه { ما أعلنتم منه وما أسررتم. وقيل: ما عملتم وما نويتم. وقيل:

ظاهره الزنا في الحوانيت، وباطنه الصديقة في السر.

wurن تأكلوا مما لم حجx.م اسم الله عليه وإنه لفسق وإن الشياطين ليوحون إلى

Oخgح

!\$ur÷&rr لجادلوكم وإن أطعتموهم إنكم لمشركون اتشبت

{ وإنه لفسق { الضمير راجع إلى مصدر الفعل الذي دخل عليه حرف النهي، يعني وإن الأكل

منه لفسق. أو إلى الموصول على: وإن أكله لفسق، أو جعل ما لم يذكر اسم الله عليه في

نفسه فسقا. فإن قلت: قد ذهب جماعة من المجتهدين إلى جواز أكل ما لم يذكر اسم الله

عليه بنسيان أو عمد. قلت: قد تأوله هؤلاء بالميتة وبما ذكر غير اسم الله عليه:

كقوله: { أو فسقا أهل لغير الله به { (الأنعام: ١٤٥) { ليوحون { ليسوسون { إلى

أوليائهم { من المشركين { لجادلوكم { بقولهم: ولا تأكلوا مما قتله الله. وبهذا

يرجع تأويل من تأوله بالميتة { إنكم لمشركون { لأن من اتبع غير الله تعالى في دينه

فقد أشرك به. ومن حق ذي البصيرة في دينه أن لا يأكل مما لم يذكر اسم الله عليه

كيفما كان؛ لما يرى في الآية من التشديد العظيم، وإن كان أبو حنيفة رحمة الله مرخصا

في النسيان دون العمد، ومالك والشافعي رحمهما الله فيهما.

أو من كان ميتا u"çm÷Yث\$ur=yèy\$S\$ur'sù له نورا يمشي به في الناس

كمن مثله في

الظلمات ليس بخارج منها 7dy"x. زين tûiحجده=3ùs 9د ما كانوا يعملون

(١٢٢)

7dy"x.ur.xx جعلنا في كل قرية أكابر B\$ygثحBمofم ليذكروا فيها وما يمكرون

إلا

Nخk!à'Rر/ وما يشعرون (١٢٣)

(١٢٢/٤)

مثل الذي هداه الله بعد الضلالة ومنحه التوفيق لليقين الذي يميز به بين المحق

والمبطل والمهتدي والضال، بمن كان ميتا فأحياه الله وجعل له نورا يمشي به في الناس

مستضيئا به، فيميز بعضهم من بعض، ويفصل بين حلالهم ومن بقي على الضلالة (١) بالخابط

في الظلمات لا ينفك منها ولا يتخلص ومعنى قوله (٢): { كمن مثله في الظلمات ليس بخارج

منها { كمن صفته هذه وهي قوله: { في الظلمات ليس بخارج منها { (الأنعام: ١٢٢)

بمعنى: هو في الظلمات ليس بخارج منها، كقوله تعالى: { مثل الجنة التي وعد المتقون فيها أنهار } (محمد: ١٥) أي صفتها هذه، وهي قوله: { فيها أنهار } (محمد: ١٥). {

(١) قوله: ومن بقي على الضلالة عطف على قوله: الذي هداه الله ، وفي الآية استعارتان تمثيلتان وتشبيه تمثيلي أما الاستعارة الأولى فيبينهما ما قال مثل الذي هداه الله تعالى بمن كان ميتا فأحياه الله ، وأما الثانية فمن بقي في الضلال بالخابط في الظلماء لا ينفك منها ، والاستعارة الأولى بجملتها شبهت بالاستعارة الثانية والاستفهام لما كان للإنكار تضمن النفي فالتشبيه بين الأولى والثانية منفي بالحقيقة ونحو ذلك في التشبيه { أفمن كان مؤمنا كمن كان فاسقا } . قيل: قوله كمن صفة خبر مبتدأ .

(٢) قوله: ومعنى قوله أي معنى ذلك جعل مثله مبتدأ خبره محذوف وجعل قوله { في الظلمات } خبر مبتدأ محذوف حيث قدر أولا صفة هذه ثم ثانيا هو في الظلمات ليس بخارج منها والجملة الثانية مبينة للأولى فإنه لما قيل كمن صفة هذه اتجه لسائل أن يقول وما صفة؟. فقيل هو في الظلمات ليس بخارج منها . قال المصنف في قوله تعالى { مثل الجنة } ويجوز أن يكون خبر مبتدأ محذوف . وقال أبو التقاء مثله مبتدأ وخبره { في الظلمات } و { ليس بخارج منها } حال من المستكن في الظرف لا من الهاء في مثله . (١٢٣/٤)

زين للكافرين { أي زينه الشيطان، أو الله عز وعلا على قوله: { زيننا لهم أعمالهم } (النمل: ٤) ويدل عليه قوله(١): { وكذلك جعلنا في كل قرية أكابر مجرميها } يعني: وكما جعلنا في مكة صناديدها ليمكروا فيها، كذلك جعلنا في كل قرية أكابر مجرميها لذلك. ومعناه: خليئناهم ليمكروا وما كفناهم عن المكر، وخص الأكابر لأنهم هم

الحاملون على الضلال والماكرون بالناس، كقوله: { أمرنا مترفيها } (الإسراء: ١٦) وقرئ: "أكبر مجرميها" على قولك: هم أكبر قومهم، وأكابر قومهم { وما يمكرون إلا بأنفسهم } لأن مكروهم يحيق بهم. وهذه تسليية لرسول الله وتقدير موعد بالنصرة عليهم. روي أن الوليد بن المغيرة قال: لو كانت النبوة حقا لكنت أولى بها منك، لأنني أكبر منك سنا وأكثر منك مالا. وروي: أن أبا جهل قال: زاحمنا بني عبد مناف في الشرف، حتى إذا صرنا كفرسي رهان قالوا: منا نبي يوحى إليه، والله لا نرضى به ولا نتبعه أبدا إلا أن يأتينا وحي كما يأتيه، فنزلت ونحوها قوله تعالى: {

بل يريد كل امرئ منهم أن يؤتى صحفاً منتشرة { (المدثر: ٥٢).
&Aréd'z ur(خ#sœ# جاءتهم آية قالوا لن نؤمن ءس®Lxm 4'sA÷sçR مثل ما &Aréd'z
رسل الله الله

أعلم ك]xm يجعل رسالته سيصيب الذين (#Buq#r_ô & صغار عند الله وعذاب
شديد بما

كانوا يمكرون اتشحب

{ الله أعلم { كلام مستأنف للإنكار عليهم، وأن لا يصطفى للنبوة إلا من علم أنه يصلح
لها وهو أعلم بالمكان الذي يضعها فيه منهم { سيصيب الذين أجرموا { من أكابرها {
صغار { وقمأة بعد كبرهم وعظمتهم { وعذاب شديد { في الدارين من الأسر والقتل وعذاب
النار.

(١) قوله: { وكذلك جعلنا في كل قرية أكابر { أي ومجرميها إذ لو كان مفعولا
ثانيا لطابق الأول وأفعل التفضيل إذا تجرد عن حرف التعريف ولم يصحبه من فلا بد من
إضافته ولكنه يجوز فيه الإفراد والجمع .
(١٢٤/٤)

فمن دثحجم f الله أن يهديه يشرح صدره للإسلام ومن ðثحجم f أن يضله يجعل صدره
ضيقا
%]u`xm كأنما يصعد في السماء 7dy7`x ٢ يجعل الله الرجس على الذين لا يؤمنون
(١٢٥)

وهذا نق`u زاه ربك مستقيما قد فصلنا الآيات لقوم tbrمچ.ه (126) (Otf) * لهم دار
السلام

عند Nخh5u' وهو وليهم بما كانوا يعملون اتشذب
{
(١٢٥/٤)

فمن يرد الله أن يهديه { (١) أن يلطف به ولا يريد أن يلطف إلا بمن له لطف { يشرح
صدره للإسلام { يلطف به حتى يرغب في الإسلام وتسكن إليه نفسه ويحب الدخول فيه {
ومن

يرد أن يضله { أن يخذله ويخليه وشأنه، وهو الذي لا لطف له { يجعل صدره ضيقا حرجا { يمنعه أطفاه، حتى يقسو قلبه، وينبو عن قبول الحق وينسد فلا يدخله الإيمان. وقرىء: "ضيقا" بالتخفيف والتشديد: { حرجا { بالكسر، حرجا - بالفتح - وصفا بالمصدر { كأنما يصعد في السماء { كأنما يزاول أمرا غير ممكن. لأن صعود السماء مثل فيما يمتنع ويبعد من الاستطاعة، وتضييق عنه المقدرة. وقرىء: "يصعد" (٢)، وأصله يتصعد. وقرأ عبد الله: "يتصعد". و "يصاعد". وأصله: يتصاعد ويصعد، من صعد، ويصعد من أصد { يجعل الله الرجس { يعني الخذلان ومنع التوفيق، وصفه بنقيض ما يوصف به التوفيق من الطيب. أو أراد الفعل المؤدي إلى الرجس وهو العذاب من الارتجاس وهو الاضطراب { وهذا صراط ربك { وهذا طريقه الذي اقتضته الحكمة وعادته في التوفيق والخذلان { مستقيما { عادلا مطردا. وانتصابه على أنه حال مؤكدة كقوله: { وهو الحق مصدقا { (البقرة: ٩١) { لهم { لقوم(٣)}

(١) قوله: { فمن يرد الله أن يهديه { قال رضي الله عنه هذا آخر المرتفع عند قبر عبد الله بن عباس وصح عن المصنف فتح فاء المرتفع .
(٢) قوله: وقرأ تصعد ، من عادات المصنف أنه إذا قال قرأ كذا وكذا وعدد قراءات متفاوتة أن يقدم المشهورة على غير المشهورة كما فعل في هذا الموضع. قال المعري : وفيه نظر لأن قراءة عبد الله بتصعد شاذة مع تقديمها على قراءة أبي بكر وابن كثير .
(٣) قوله: لهم لقوم يرد أن قوله لهم دار السلام صفة لقوم وعند ربهم حال من الضمير في لهم والعامل الاستقرار ، وقوله عند ربهم إما كناية عن الوعد الصادق أو عن الذخيرة كقوله { أعدت للمتقين ..
(١٢٦/٤)

يذكرون { دار السلام { دار الله، يعني الجنة أضافها إلى نفسه تعظيما لها أو دار السلامة من كل آفة وكدر { عند ربهم { في ضمانه كما تقول لفلان عندي حق لا ينسى، أو ذخيرة لهم لا يعلمون كنهها، كقوله: { فلا تعلم نفس ما أخفى لهم من قرة أعين { (السجدة: ١٧)، { وهو وليهم { مواليتهم ومحبتهم أو ناصرهم على أعدائهم { بما كانوا يعملون { بسبب أعمالهم، أو متوليهم(١) بجزاه ما كانوا يعملون.
ويوم Oèd مزà³ts جميعا يا معشر الdì`gù: # \$ قد Oèd ?Gz³tYn\$TM # من الإنس وقال أولياؤهم

من الإنس 'u/sY\$ استمتع بعضنا ببعض sYn=t/ur\$ أجلت لنا قال النار
 متواكمت في ح#yz" \$dtüi فيها إلا ما شاء الله إن ربك يxm٣iO زOتد=t و اتشرب
 }

(١) قوله: أو متوليهم يجز إما كانوا يعملون يريد أن الولي إذا كان بمعنى المحب
 والناصر فالوجه أن يكون الباء سببية أي يحبهم وينصرهم بسبب عملهم وإذا كان بمعنى
 متولي الأمور فالباء للملازمة والمعنى يتولاهم ملتبسا بجزاء عملهم أي يعد لهم
 الثواب .

(١٢٧/٤)

ويوم نحشرهم { منصوب بمحذوف، أي واذكر يوم نحشرهم، أو يوم نحشرهم قلنا { يا معشر
 الجن { أو ويوم نحشرهم وقلنا يا معشر الجن كان ما لا يوصف لفظاعته، والضمير لمن
 يحشر من الثقلين وغيرهم. والجن هم الشياطين { قد استكثرتم من الإنس { أضللتهم منهم
 كثيرا أو جعلتموهم أتباعكم فحشر معكم منهم الجم الغفير، كما تقول: استكثر الأمير من
 الجنود، واستكثر فلان من الأشياء { وقال أولياؤهم من الإنس { الذين أطاعوهم
 واستمعوا إلى وسوستهم { ربنا استمتع بعضنا ببعض { أي انتفع الإنس بالشياطين حيث
 دلوهم على الشهوات وعلى أسباب التوصل إليها، وانتفع الجن بالإنس حيث أطاعوهم
 وساعدوهم على مرادهم وشهوتهم في إغوائهم، وقيل: استمتع الإنس بالجن ما في قوله: {
 وأنه كان رجال من الإنس يعوذون برجال من الجن { (الجن: ٦٠) وأن الرجل كان إذا نزل
 واديا وخاف قال: أعوذ برب هذا الوادي، يعني به كبير الجن. واستمتع الجن والإنس:

اعتراف الإنس لهم بأنهم يقدرّون على الدفع عنه إجارتهم لهم { وبلغنا أجلتنا الذي أجلت
 لنا { يعنون يوم البعث وهذا الكلام اعتراف بما كان منهم من طاعة الشياطين واتباع
 الهوى والتكذيب بالبعث واستسلام لربهم وتحسر على حالهم { خالدين(١) فيها إلا ما شاء
 الله { أي يخلدون في عذاب النار الأبد كله، إلا ما شاء الله إلا الأوقات التي
 ينقلون فيها من عذاب النار إلى عذاب الزمهرير، فقد روي أنهم يدخلون واديا فيه من
 الزمهرير و يميز بعض أوصالهم من بعض، فيتعاونون ويطلبون الرد إلى الجحيم. أو يكون من
 قول الموتور الذي ظفر بواتره ولم يزل يحرق عليه أنيابه وقد طلب إليه أن ينفس عن
 خناقاه.

(١) قوله: { خالدين فيها إلا ما شاء } ما هذه مصدرية وتقدير مضاف محذوف تقديره إلا أوقات مشيئة الله تعالى والمأثور هو الذي قيل له قريب أو حميم وحرق الإنبات كناية عن الغضب.
(١٢٨/٤)

أهلكني الله إن نفست عنك إلا إذا شئت، وقد علم أنه لا يشاء إلا التشفي منه بأقصى ما يقدر عليه من التعنيف والتشديد، فيكون قوله: إلا إذا شئت، من أشد الوعيد، مع تهكم بالموعد لخروجه في صورة الاستثناء الذي فيه إطماع { إن ربك حكيم } لا يفعل شيئا إلا بموجب الحكمة { عليم } بأن الكفار يستوجبون عذاب الأبد.

xx.ur`٩dy7 نولي بعض الظالمين بعضا بما كانوا يكسبون (١٢٩)

{ نولي بعض الظالمين بعضا } نخليهم حتى يتولى بعضهم بعضا كما فعل الشياطين وغواة الإنس، أو نجعل بعضهم أولياء بعض يوم القيامة وقرناءهم كما كانوا في الدنيا { بما كانوا يكسبون } بسبب ما كسبوا من الكفر والمعاصي.

u | ٣ ÷`èyJ tf`d إ`gù: # \$ الإنس ألم يأتكم رسل منكم يقصون عليكم آياتي وينذرونكم لقاء

يومكم هذا قالوا %otRô\$خ ky على أنفسنا وغرتهم الحياة الدنيا (%r#ك%خ kyur على Nخ k إ! à &Rr أنهم كانوا رٲحجدة" ٢ ٢ اتجبة

يقال لهم يوم القيامة على جهة التوبيخ { ألم يأتكم رسل منكم } واختلف في أن الجن هل

بعث إليهم رسل منهم، فتعلق بعضهم بظاهر الآية ولم يفرق بين مكلفين ومكلفين أن يبعث إليهم رسول من جنسهم، لأنهم به أنس وله آلف. وقال آخرون: الرسل من الإنس خاصة، وإنما قيل: رسل منكم لأنه لما جمع الثقلان في الخطاب صح ذلك وإن كان من أحدهما، كقوله: { يخرج منهما اللؤلؤ والمرجان } (الرحمان: ٢٢) وقيل: أراد رسل الرسل من الجن إليهم، كقوله تعالى: { ولوا إلى قومهم منذرين } (الأحقاف: ٢٩) وعن الكلبي: كانت الرسل قبل أن يبعث محمد

يبعثون إلى الإنس، ورسول الله

(١٢٩/٤)

بعث إلى الإنس والجن { قالوا شهدنا على أنفسنا } حكاية لتصديقهم وإيجابهم (١) قوله: { ألم يأتكم } لأن الهمزة الداخلة على نفي إتيان الرسل للإنكار، فكان تقريراً لهم.

غافلون ولم ينبهوا برسول وكتاب، لكان ظلما، وهو متعال عن الظلم وعن كل قبيح {
ولكل (٢) } من المكلفين { درجات { منازل { مما عملوا { من جزاء أعمالهم { وما ربك
بغافل عما يعملون { بساه عنه يخفى عليه مقاديره وأحواله وما يستحق عليه من الأجر.
وربك كسفة_ t9\$# ذو الرحمة إن يشأ يذهبكم ð#÷=d,ur"o,tG من بعدكم ما يشاء
كما أنشأكم

من د h'èCEpf قوم ژiحج#u yz (١٣٣) إن ما توعدون لآت وما أنتم
ژiح"èf÷Jx/ (١٣٤)

{ وربك الغني { عن عباده وعن عبادتهم { ذو الرحمة { يترحم عليهم بالتكليف ليعرضهم
للمنافع الدائمة { إن يشأ يذهبكم { أيها العصاة { ويستخلف من بعدكم ما يشاء { من
الخلق المطيع { كما أنشأكم من ذرية قوم آخرين { من أولاد قوم آخرين لم يكونوا على
مثل صفتكم، وهم أهل سفينة نوح عليه السلام.

@è%Qqs)tf" اعملوا على مكانتكم 'oTخ عامل فسوف تعلمون من تكون له
عاقبة الدار

إنه لا كxد=مf ژcqJ÷="à9\$# اتجنب

(١) قوله: أو ظلما أي ملتبسا بالظلم.

)

(٢) قوله: ولكل من المكلفين درجات منازل. قال المصنف التقدير ولكل من المكلفين
درجات ودركات فغلب وهو قول أبي مسلم.
(١٣١/٤)

"المكانة" تكون مصدرا يقال: مكن مكانة إذا تمكن أبلغ التمكن. وبمعنى المكان، يقال:
مكان ومكانة ومقام ومقامة. وقوله: { اعملوا على مكانتكم { يحتمل: اعملوا على تمكنكم
من أمركم وأقصى استطاعتكم وإمكانكم. أو اعملوا على جهتكم وحالكم التي أنتم عليها.
يقال للرجل إذا أمر أن يثبت على حاله؛ على مكانتك يا فلان، أي اثبت على ما أنت عليه
لا تنحرف عنه { إني عامل { أي عامل على مكانتي التي أنا عليها. والمعنى اثبتوا على
كفركم وعداوتكم لي، فإني ثابت على الإسلام وعلى مصابرتكم { فسوف تعلمون { أي تكون
له العاقبة المحمودة. وطريقة هذا الأمر طريقة قوله { اعملوا ما شئتم { (فصلت: ٤٠)
وهي التخلية والتسجيل على المأمور بأنه لا يأتي منه إلا الشر، فكأنه مأمور به وهو

واجب عليه حتم ليس له أن يتفصى عنه ويعمل بخلافه، فإن قلت: ما موضع { من } ؟ قلت: الرفع إذا كان بمعنى "أي" وعلق عنه فعل العلم. أو النصب إذا كان بمعنى "الذي" و { عاقبة الدار } (١) العاقبة الحسنى التي خلق الله تعالى هذه الدار لها. وهذا طريق (٢) من الإنذار لطيف المسلك، فيه إنصاف في المقال وأدب حسن، مع تضمن شدة الوعيد، والوثوق بأن المنذر محق والمنذر مبطل.

(١) قوله: { من تكون له عاقبة الدار } مع التعميم فيه المبني على الأمر في قوله { اعملوا } ظرفا من الكلام المتصف. وإرخاء العنان لطيف المسلك حيث ضمن ذلك شدة الوعيد

والوثوق بأن المنذر محق والمنذر مبطل.

(٢) قوله: وهذا طريق من الإنذار لطيف المسلك أراد أن في تعقيب قوله: { إنه لا يفلح الظالمون } مع العدول عن المضممر إلى المظهر حيث لم يصرح بنفي الفلاح عنهم . (١٣٢/٤)

وجعلوا لله مما ذرأ من الحرث والأنعام نصيبا فقالوا هذا لله O خJôgم"u خ/ وهذا sY\$ ح !

٩à³žx.u% فما كان N خg ح !%ž٢u ٩à³ž فلا يصل إلى الله وما كان الله فهو يصل إلى O خg ح !%ž٢u ° ساء ما يحكمون (١٣٦)

كانوا يعينون أشياء من حرث ونتاج لله، وأشياء منها لآلهتهم؛ فإذا رأوا ما جعلوه لله زاكيا ناميا يزيد في نفسه خيرا رجعوا فجعلوه للآلهة، وإذا زكا ما جعلوه للأصنام تركوه لها واعتلوا بأن الله غني، وإنما ذاك لحبهم آلهتهم وإيثارهم لها: وقوله: { مما ذرأ } فيه أن الله كان أولى بأن يجعل له الزاكي، لأنه هو الذي ذرأه وزكاه، ولا يرد إلى ما لا يقدر على ذره ولا تركيه { بزعمهم } وقرئ: بالضم، أي قد زعموا أنه لله والله لم يأمرهم بذلك ولا شرع لهم تلك القسمة التي هي من الشرك، لأنهم أشركوا بين الله وبين أصنامهم في القرية { فلا يصل إلى الله } أي لا يصل إلى الوجوه التي كانوا يصرفونه إليها من قرى الضيفان والتصدق على المساكين { فهو يصل إلى شركائهم } من إنفاق عليها بذبح النسائك عندها والإجراء على سدنتها ونحو ذلك { ساء ما يحكمون } في إيثار آلهتهم على الله تعالى وعملهم ما لم يشرع لهم.

ur۲ux٩dy7 زين لكثير من المشركين قتل أولادهم u۲u\$!t۲Nèd ۲چن ©

Nèdr كٲٲمجد ۹ ولبلسوا

عليهم دينهم ولو شاء الله ما فعلوه فذرهم وما ٲٲٲٲٲٲ tf۲yIcr ٲٲٲٲٲٲ

}

(۱۳۳/۴)

وكذلك { ومثل ذلك التزيين وهو تزيين الشرك في قسمة القربان بين الله تعالى والآلهة، أو مثل ذلك التزيين (۱) البليغ الذي هو علم من الشياطين. والمعنى: أن شركاءهم من الشياطين، أو من سدنة الأصنام زينوا لهم قتل أولادهم بالوآد، أو بنحرمهم للآلهة وكان الرجل في الجاهلية يحلف: لئن ولد له كذا غلاما لينحرن أحدهم، كما حلف عبد المطلب. وقرىء: "زين" على البناء للفاعل الذي هو شركاؤهم، ونصب { قتل أولادهم } وزين، على البناء للمفعول الذي هو القتل، ورفع شركاؤهم بإضمار فعل دل عليه زين، كأنه قيل: لما قيل زين لهم قتل أولادهم من زينه؟ فقيل: زينه لهم شركاؤهم. وأما قراءة ابن عامر:

"قتل أولادهم شركائهم" برفع القتل ونصب الأولاد وجر الشركاء على إضافة القتل إلى الشركاء، والفصل بينهما بغير الظرف، فشيء لو كان في مكان الضرورات وهو الشعر، لكان سمجا مردودا، كما سمح ورد.

زج(۲)

(۱) قوله: ومثل ذلك التزيين . قيل الفرق بين الوجهين اللذين ذكرهما أن المشار إليه بقوله ذلك ما يعلم من قوله { وجعلوا لله مما ذرأ { الآية والمشار إليه في الثاني ما في الذهن ولذلك قال الذي علم من الشياطين وسيجيء بأنه في قوله { هذا فراق بيني وبينك { والمبالغة إنما يفيدها الإبهام والتفسير بقوله زين وهو ما تعلمه كل من أن المزين هو الشيطان .

(۲) قوله: زج أول :

فرجعتها بمزجة زج القلوص أبي مزادة

الزج الطعن والمزجة بكسر الميم الرمح القصير وتقدير البيت فرججت الكتيبة زجا مثل زج أبي مزادة القلوص ، وهي الشابة من النوق .

قوله: فصل بين المضاف والمضاف إليه بالمفعول ونحوه في الفصل بغير الظرف. قوله : تمر

على ما يستمر وقد شفت غلائل عبد القيس منها صدورها
عبد القيس قبيلة وهو فاعل شفت وقد فصل به بين المضاف وهو غلائل وبين المضاف إليه
وهو صدورها . وقول الشاعر أيضا
تنفي يداها الحصى في كل هاجرة ... نفي الدراهم تنقاد الصياريف

التقدير نفي تنقاد الصياريف الدراهم، هذا والحق أن القراءة السبع متواترة لا يحسن
الطعن فيها وإن الفصل بغير الظرف جائز كما في الآية والشعر وقد روى الزجاج هذا غلام
والله ابن أخيك فأجاز الفصل بالقسم لكثرتة وإذا حسن الاستشهاد للجواز في نحو هذا
يقول أعرابي خلف مجهول فالاستشهاد بالقرآن المعجز المتواتر أولى إذ لو لم يكن جائزا
لما ورد فيه ولعل المصنف توهم أن هذه الرواية عن ابن عامر شاذة ، وقال صاحب المفتاح
: ونحو قراءة من قرأ { قتل أولادهم شركائهم } و { مخلف وعده رسله } محمول عندي على
حذف المضاف إليه من الأول لإسنادها إلى الثقات وكثرة نظائرها من الأشعار ومن أرادها

فعليه بخصائص ابن جني ، وإضمار المضاف في الثاني على نحو قراءة من قرأ والله يريد
الآخرة بالجر على عرض الآخرة وما ذكرت وإن كان فيه نوع بعد فتخطئة الثقة والفصحاء
أبعد ، وقال صاحب الانتصاف: أن إضافة المصدر إلى معموله مقدرة بالفعل ولهذا عمل وهو
إن كانت إضافته محضة مشبه بما أضافته غير محضة حتى قال بعض النحاة إضافته غير
محضة

، والحاصل أن اتصاله بالمضاف إليه ليس كاتصال غيره وقد جاز الفصل في غيره بالظرف
فتمييز المصدر عن غيره بجوازه بغير الظرف وكأنه مكة وقد المفعول على الفاعل إلى
آخره.

(١٣٤/٤)

القلوص أبي مزاده

فكيف به في الكلام المنتور فكيف به في القرآن المعجز بحسن نظمه وجزالته. والذي حمله
على ذلك أن رأى في بعض المصاحف شركائهم مكتوبا بالياء. ولو قرأ بجر الأولاد
والشركاء لكان الأولاد شركاؤهم في أموالهم لوجد في ذلك مندوحة عن هذا الارتكاب {
ليرضوهم } ليهلكوهم بالإغواء { وليلبسوا عليهم دينهم } وليخلطو، عليهم ويشبهوه.
ودينهم: ما كانوا عليه من دين إسماعيل عليه السلام حتى زلوا عنه إلى الشرك. وقيل:

دينهم الذي وجب أن يكونوا عليه. وقيل معناه وليوقعوهم في دين ملتبس. فإن قلت: ما معنى اللام؟ قلت: إن كان التزيين من الشياطين فهي على حقيقة التعليل، وإن كان من السدنة فعلى معنى الصيرورة { ولو شاء الله { مشينة قسر { ما فعلوه { لما فعل المشركون ما زين لهم من القتل. أو لما فعل الشياطين أو السدنة التزيين أو الإرداء أو اللبس أو جميع ذلك، إن جعلت الضمير جارياً (١) مجرى اسم الإشارة { وما يفترون { وما يفترونه من الإفك. أو وافترأوهم.

(#q9ur\$ s% ٤د3yd أنعام ^i حجر لا يطعمها إلا من
 N\$! S t± °xg dōJ u"خ/
 وأنعام m hōMtB حm ظهورها وأنعام لا يذكرون اسم الله عليها افتراء عليه
 O غgf ح"TMôfuy
 بما كانوا كثر cr مI ytf اتجرب
 }

(١) قوله: إن جعلت الضمير جارياً مجرى اسم الإشارة أي الضمير في فعلوه ونحوه قوله

تعالى { إن السمع والبصر والفؤاد كل أولئك كان عنه مسؤولاً { وأنشد ابن جني:
 مثل الفراخ ينفث حواصله .
 أي حواصل ذلك أو حواصل المذكور ذهب بالضمير إلى ذلك القدر والمبلغ فلاحظ معنى
 الواحد فحمل عليه .
 (١٣٥/٤)

حجر { فعل بمعنى مفعول كالذبح والطحن، ويستوي في الوصف به المذكر والمؤنث والواحد والجمع؛ لأن حكمه حكم الأسماء غير الصفات: وقرأ الحسن وقتادة { حجر { بضم الحاء.
 وقرأ ابن عباس: "حرج"، وهو من التضييق وكانوا إذا عينوا أشياء من حرثهم وأنعامهم
 لآلهتهم قالوا: { لا يطعمها إلا من نشاء { يعنون خدم الأوثان، والرجال دون النساء {
 وأنعام حرمت ظهورها { وهي البحائر والسوائب والحوامي { وأنعام لا يذكرون اسم الله
 عليها { في الذبح، وإنما يذكرون عليها أسماء الأصنام. وقيل: لا يحجون عليها ولا
 يلبون على ظهورها. والمعنى: أنهم قسموا أنعامهم فقالوا: هذا أنعام حجر، وأنعام
 محرمة الظهور، وهذه أنعام لا يذكر عليها اسم الله. فجعلوها أجناساً بهوهم، ونسبوا
 ذلك التجنيس إلى الله { افتراء عليه { أي فعلوا ذلك كله على جهة الافتراء تعالى

الله عما يقول الظالمون علوا كبيرا وانتصابه على أنه مفعول (١) له: أو حال، أو مصدر
مؤكد، لأن قولهم ذلك في معنى الافتراء.
وقالوا ما في بطون دنة"yd الأنعام خالصة ح'qà2%ن!P ك!ج Curè ut على
&ur-r"uZ\$
وإن يكن ميتة فهم فيه شركاء Nخ gfح"fuôyTM وصفهم إنه يNث!xm
ز Oث=dت و اتجرب

(١) قوله: وانتصابه على أنه مفعول له أو حال أو مصدر مؤكد والحال أولى الوجوه
لملاءمته قوله { بزعمهم } لأنه حال من فاعل قالوا زاعمين قال أبو
التقاء بزعمهم متعلق بقالوا .
(١٣٦/٤)

كانوا يقولون في أجنة البحائر والسوائب: ما ولد منها حيا فهو خالص للذكور لا تأكل
منه الإناث، وما ولد منها ميتا اشترك فيه الذكور الإناث. وأنت { خالصة } للحمل على
المعنى، لأن مافي معنى الأجنة وذكر { محرم } للحمل على اللفظ. ونظيره { ومنهم من
يستمع إليك حتى إذا خرجوا من عندك } (محمد: ١٦) ويجوز أن تكون التاء للمبالغة مثلها
في رواية الشعر. وأن تكون مصدرا وقع موقع الخالص، كالعاقبة أي ذو خالصة. ويدل
عليه (١) قراءة من قرأ: "خالصة" بالنصب على أن قوله { لذكورنا } هو الخبر، وخالصة
مصدر مؤكد، ولا يجوز أن يكون حالا متقدمة، لأن المجرور لا يتقدم عليه حاله. وقرأ
ابن عباس: "خالصة" على الإضافة. وفي مصحف عبد الله: "خالص". { وإن يكن ميتة } وإن
يكن ما في بطونها ميتة. وقرئ: "وإن تكن"، بالتأنيث، على: وإن تكن الأجنة ميتة.

(١) قوله: ويدل عليه أي على أن خالصة في قراءة الرفع مصدر بمعنى ذو خالصة فإنها
مصدر قطعا لعدم جواز أن تكون حالا من المجرور في لذكورنا لأنها لا تتقدم عليه ولا
من الضمير في لذكورنا لأنها لا تتقدم على العامل المعنوي . وفيه بحث: من وجهين
أحدهما: أن التقسيم غير حاصر لجواز أن يكون حالا من ضمير الاستقرار في بطون هذه
الإنعام ، وعليه أبو التقاء وغيره : ويؤيده قراءة ابن عباس خالصة بالإضافة.
وثانيهما : أن التعليل بتقديم الحال ضعيف لأنه يؤذن أنها لو تأخرت عن المجرور لجاز
فإنه لا يجوز لأن خالصة جارية على ما في بطون هذه الأنعام لا على الذكور يدل عليه

حمل خالصة عليه في قراءة الرفع . وقول المصنف ما ولد منها حيا فهو خالص للذكور لا تأكل منه الإناث إلى آخره.
(١٣٧/٤)

وقرأ أهل مكة: "وإن تكن ميتة" بالتأنيث والرفع على كان التامة وتذكير الضمير في قوله: { فهم فيه شركاء } لأن الميتة لكل ميت ذكر أو أنثى، فكأنه قيل: وإن يكن ميت فهم فيه شركاء { سيجزيهم وصفهم } أي: جزاء وصفهم الكذب على الله في التحليل والتحریم من قوله تعالى: { وتصف ألسنتكم(١) الكذب } هذا حلال وهذا حرام { (النحل: ٦٢).

قد خسر الذين (%ûqè=tGs# أولادهم سفها بغير علم (Bmq#چxmur ما رزقهم الله افتراء

على الله قد ضلوا وما كانوا مهتدين (١٤٠)

نزلت في ربيعة ومضر والعرب الذين كانوا يندون بناتهم مخافة السبي والفقير { سفها بغير علم { لخفة أحلامهم(٢)، وجهلهم بأن الله هو رازق أولادهم، لا هم. وقرىء: "قتلوا" بالتشديد { ما رزقهم الله { من البحائر والسوائب وغيرها.

* وهو الذي أنشأ جنات معروشات وغير ؛x©r"Mقگ÷êBt والنخل والزرع \$,د=تFfèCأكله

والزيتون والرمان متشابها وغير متشابهه كلوا من ٤٣/٤ndجyJrO إذا uچ&yJOr وآتوا ٤١/٤xm(çmO يوم ٤٣/٤ndث\$ |مءxm ولا (#ûqèùخزè£ô@) إنه لا يحب

المسرفين (١٤١)

}

(١) قوله: من قوله { وتصف ألسنتكم الكذب } قال جعل قولهم كأنه عين الكذب ومحضة فإذا

نطقت به ألسنتهم فقد حلت الكذب بحليته وصورته بصورته.

(٢) قوله: لحقه أحلامهم وجهلهم لحقه أحلامهم تفسير لقوله سفها الذي هو مفعول له وجهلهم عطف تفسيري لقوله بغير علم الذي هو حال . قال أبو التقاء: سفها مفعول له أو مصدر لفعل محذوف ، و { بغير علم } حال والمعنى قتلوا أولادهم لأجل خفة عقولهم حال كونهم جاهلين بالله وبأنه هو الرزاق ذو القوة المتين والأرياف جمع ريف وهو أرض فيها

زرع وخصب.

(١٣٨/٤)

أنشأ جنات { من الكروم { معروشات { مسموكات { وغير معروشات { متروكات على وجه الأرض

لم تعرش. وقيل: "المعروشات" ما في الأرياف والعمران مما غرسه الناس واهتموا به فعرشوه { وغير معروشات { مما أنبتته وحشيا في البراري والجبال، فهو غير معروش. يقال: عرشت الكرم، إذا جعلت له دعائم وسمكا تعطف عليه القضبان. وسقف البيت: عرشه { مختلفا

أكله { في اللون والطعم والحجم والرائحة. وقرئ: "أكله" بالضم والسكون وهو ثمره الذي يؤكل. والضمير (١) للنخل والزروع داخل في حكمه، لكونه معطوفا عليه. ومختلفا: حال مقدرة لأنه لم يكن وقت الإنشاء كذلك، كقوله تعالى: { فادخلوها خالدين { (الزمر:

٧٣). وقرئ: "ثمرة" بضميتين. فإن قلت: ما فائدة قوله: { إذا أثمر { وقد علم أنه إذا لم يثمر لم يؤكل منه؟ قلت: لما أبيح لهم الأكل من ثمره قيل: إذا أثمر، ليعلم أن أول وقت الإباحة وقت إطلاع الشجر الثمر، لئلا يتوهم أنه لا يباح إلا إذا أدرك وأينع { وآتوا حقه يوم حصاده { الآية مكية، والزكاة إنما فرضت بالمدينة، فأريد بالحق ما كان يتصدق به على المساكين يوم الحصاد، وكان ذلك واجبا حتى نسخه افتراض العشر، ونصف العشر. وقيل مدنية، والحق هو الزكاة المفروضة. ومعناه: واعزموا على إيتاء الحق واقصدوه واهتموا به يوم الحصاد، حتى لا تؤخروه عن أول وقت يمكن فيه الإيتاء { ولا تسرفوا { في الصدقة (٢)

(١) قوله: والضمير للنخل والزروع داخل في حكمه لأن الأكل يطلق على ثمر الشجر.
(٢) قوله: ولا تسرفوا في الصدقة. قال الطيني: علق ولا تسرفوا بالقرب وهو { فآتوا حقه { على طريقة الشارع فتقدر مثله لقوله: { كلوا من ثمره { وأنا لا أدري هنا تنازعا ولا وجوب إضمار مثله ولم يقل ولا تسرفوا في الأكل والصدقة لأن ذلك غير صحيح فإنه جائز للحديث الذي رواه..

(١٣٩/٤)

كما روي عن ثابت بن قيس بن شماس: أنه صرم خمسمائة نخلة ففرق ثمرها كله ولم يدخل

منه

شيئا إلى منزله { ولا تبسطها كل البسط فتتعد ملوما محسورا } (الإسراء: ٢٩).

ثُرئد Bur الأنعام JxmكZ's!q وفرشا كلوا مما مNن ٣-y-u's% الله ولا تتبعوا

zN'uqن

الشیطان إنه لكم عدو xûü× (٧-142) B ثمانية &l'ur-r٨ من الضأن اثنين ومن

ح"÷#J9\$yè

اثنين قل بûüچ ٢%!!#u ن tPچ xm أم الاثنين أما اشتملت عليه أرحام الاثنين

'Tqن"خ m7tR بعلم إن كنتم صادقين (١٤٣) ومن الإبل اثنين ومن حج #s)t79\$

اثنين قل

بûüچ ٢%!!#u ن tPچ xm أم الاثنين أما اشتملت عليه أرحام الاثنين أم كنتم

شهداء

إذ وصاكم الله بهذا فمن أظلم ممن ٣"uIù\$y# على الله كذبا ليضل الناس بغير علم إن

الله لا "÷%ooku% القوم ژüD="÷#9\$a اتحب

}

)

(١٤٠/٤)

حمولة وفرشا { (١) عطف على جنات. أي: وأنشأ من الأنعام ما يحمل الأثقال وما يفرش

للذبح، أو ينسج من وبره وصوفه وشعره الفرش. وقيل: "الحمولة" الكبار التي تصلح للحمل

"والفرش" الصغار كالفصلان والعجاجيل والغنم، لأنها دانية من الأرض للطافة أجرامها،

مثل الفرش المفروش عليها { ولا تتبعوا خطوات الشيطان } في التحليل والتحريم من عند

أنفسكم فعل كما أهل الجاهلية { ثمانية أزواج } بدل من حمولة وفرشا { اثنين } زوجين

اثنين، يريد الذكر والأنثى، كالجمل والناقة، والثور والبقرة، والكبش والنعجة،

والتيس والعنز - والواحد إذا كان وحده فهو فرد، فإذا كان معه غيره من جنسه سمي كل

واحد منها زوجا، وهما زوجان، بدليل قوله: { خلق الزوجين الذكر والأنثى } (٢)

(النجم: ٤٥) والدليل عليه قوله تعالى: { ثمانية أزواج } ثم فسرهما بقوله: { من الضأن

اثنين ومن المعز اثنين } ، { ومن الإبل اثنين ومن البقر اثنين } ونحو تسميتهم الفرد

بالزوج، بشرط أن يكون معه آخر من جنسه: تسميتهم الزجاجة كأسا بشرط أن يكون فيها

خمر. والضأن والمعز جمع ضائن وماعز، كتاجر وتجر. وقرأنا بفتح العين. وقرأ أبي: "ومن

المعزى" وقرئ: "اثان" على الابتداء.

(١) قوله: حمولة وفرشا عطف على جنات والجهة الجامعة إباحة الانتفاع بالنوعين في عرف أهل الشرع.

(٢) قوله: بدليل قوله خلق الزوجين الذكر والأنثى تعليل لقوله سمى كل واحد منهما زوجا وهما زوجان . وقوله: والدليل عليه أي على أنه يريد الذكر والأنثى كالجمل والناقة إلى آخره.

(١٤١/٤)

الهمزة في { الذكرين } للإنكار والمراد بالذكرين: الذكر من الضأن والذكر من المعز . وبالإثنين: الأنثى من الضأن والأنثى من المعز، على طريق الجنسية. والمعنى إنكار (١) أن يحرم الله تعالى من جنسين الغنم ضأنها ومعزها شيئا من نوعي ذكورها وإناثها، ولا مما تحمل إناث، الجنسيتين وكذلك الذكران من جنسي الإبل والبقر والأنثيان منهما وما

تحمل إناثهما وذلك أنهم كانوا يحرمون ذكورة الأنعام تارة، وإناثها تارة، وأولاهما كيفما كانت ذكورا وإناثا، أو مختلطة تارة، وكانوا يقولون قد حرمها الله، فأنكر ذلك عليهم { نبئوني بعلم } أخبروني بأمر معلوم من جهة الله تعالى يدل على تحريم ما حرمتهم { إن كنتم صادقين } في أن الله حرمه { أم كنتم شهداء } بل أكنتم شهداء. ومعنى الهمزة الإنكار، يعني أم شاهدتم ربكم حين أمركم بهذا التحريم؟ وذكر (٢) المشاهدة على مذهبهم، لأنهم كانوا لا يؤمنون برسول وهم يقولون: الله حرم هذا الذي نحرمه، فتهكم بهم في قوله: { أم كنتم شهداء } على معنى: أعرستم التوصية به مشاهدين، لأنكم لا تؤمنون بالرسول { فمن أظلم ممن افترى على الله كذبا } فنسب إليه تحريم ما لم يحرم { ليضل الناس } وهو عمرو بن لحي بن قمعة الذي بحر البحائر وسيب السوائب.

(١) قوله: والمعنى إنكار أن يحرم الله ذلك لأنه لما أنكر كون الذكرين والأنثيين محرمين كان ذلك إنكارا للتحريم لأن التحريم لا بدل له من محل فإذا أنكر كون هذه محلا له ولا محل له آخر كان إنكارا له والتا في ذكورة لتأكيد الجمع.

(٢) قوله: وذكر المشاهد على مذهبهم أي على ملزوم مذهبهم وذلك لأنهم إذا قالوا بالتحريم والطريق إليه إما الوحي أو المشاهدة وهم لا يقولون بالوحي لزمهم القول بالمشاهدة . فقليل لهم : أم كنتم شهداء إذ على سبيل التهكم.

(١٤٢/٤)

قل لا أجد في ما أوحى إلي $utèC\text{B}\cdot\$$ على طاعم يطعمه إلا أن يكون ميتة أو دما مسفوحا
أو لحم ٩ $چfح\ z^{1/2}$ فإنه $z^{1/2} - \text{ح}$ أو فسقا أهل لغير الله به فمن اضطر غير باغ ولا عاد
فإن ربك غفور رحيم اتحجب
(١٤٣/٤)

فإن قلت: كيف فصل بين بعض (١) المعدود وبعضه ولم يوال بينه؟ قلت: قد وقع الفاصل بينهما اعتراضا غير أجنبي من المعدود. وذلك أن الله عز وجل من على عباده بإنشاء الأنعام لمنافعهم وإباحتها لهم، فاعترض بالاحتجاج على من حرّمها، والاحتجاج على من حرّمها تأكيد وتسديد للتحليل، والاعتراضات في الكلام لا تساق إلا للتوكيد { فيما أوحى إلي { تنبيه على أن التحريم إنما يثبت بوحى الله تعالى وشرعه، لا بهوى النفس { محرما { طعاما (٢)

(١) قوله: فصل بعض المعدود وهو قوله { من الضأن اثنين ومن المعز اثنين { وبعضه وهو { من الإبل اثنين ومن البقر اثنين { والفاصل قوله { الذكرين { الآية .
(٢) قوله: طعاما محرما من المطاعم التي حرمتها إلا أن يكون الشيء المحرم منه. قيل : ظاهر هذا التركيب مشعر بأنه ذهب إلى أن الاستثناء منقطع. وقال أبو النقاء : تطعمه صفة لطاعم. وقوله : إلا أن يكون استثناء من الجنس وموضعه نصب أي لا أحد محرما إلى الميتة وهذا يكون ، وميتة بالنصب أي إلا أن يكون المأكول ميتة أو ذلك ، ويقرأ بالتاء أي المأكولة . واعلم أن هذا الموضع من المشكلات فلا بد من بسط الكلام فيه ، فنقول: المستثنى هاهنا مخصص لأن اسم يكون ضمير راجع إلى ما سبق ومن ثم قال الشيء المحرم وقد خصص بقوله ميتة وما عطف عليها وقد قيد المستثنى منه بقوله من المطاعم التي حرمتها وما هذا شأنه لا يكون متصلا فكأنه قيل لا أجد فيما أوحى إلي من التنزيل طعاما محرما بما قيدتموه ولكن أجد ذلك الطعام المحرم مفيدا بهذه القيود المذكورة و هذا التقرير بما ذكره في قوله تعالى { إن أرسلنا إلى قوم مجرمين إلا آل لوط إنا لمنجوهم أجمعين { قال إلا آل لوط لا يخلو من أن يكون استثناء من قوم فيكون منقطعا لأن القوم موصوفون بالإجرام فاختلف لذلك الجنس وإن يكون

استثناء من الضمير في مجرمين فيكون متصلا والنظم والتركيب عليه أي على الانقطاع ،
أما التركيب فإن قوله يطعمه صفة مؤكدة لطاعم على نحو { ولا طائر يطير بجناحيه }
فيقيد مريد التعميم والإحاطة فإذا استثنى المذكور إذن يقصر المحرمات على المذكورات
وهي الميتة وما عطف عليها وليس بذاك فوجب الانقطاع والتخصيص ، وأما النظم فإن هذه
الآيات وردت عقب افتراءهم على الله في تحريم ما حرموه حيث قالوا : { هذه أنعام وحرث
{ { وهذه الأنعام خالصة لذكورنا ومحرم على أزواجنا } كأنهم ادعوا أن ما حرموه ليس
من عند أنفسهم بل هو من عند الله . فقليل لهم ليست الأطعمة المحرمة ما وصفتهموه
ولكنها ما وصفه الله تعالى . ومن ثم قيل : { فمن أظلم ممن افترى { الآية وعقبه
بقوله { قل لا أجد { الآية ثم ختم ذلك بقوله { قل هلم شهداءكم الذي يشهدون أن الله
حرم هذا } ثم شرع بعد ذلك فيما حرمه الله تعالى بقوله { قل تعالوا أتل ما حرم {
الآيات.
(١٤٤/٤)

محرمًا من المطاعم التي حرمتها { إلا أن يكون ميتة { إلا أن يكون الشيء المحرم
ميتة { أو دما مسفوحا { أي: مصبوبا سائلا كالدّم في العروق، لا كالكدب والطحال. وقد
رخص في دم العروق (١) بعد الذبح { أو فسقا { عطف على المنصوب قبله. سمي ما أهل به
لغير الله فسقا لتوغلّه في باب الفسق. ومنه قوله تعالى: { ولا تأكلوا مما لم يذكر
اسم الله عليه وإنه لفسق { (الأنعام: ١٢١) وأهل: صفة له منصوبة المحل. ويجوز أن
يكون مفعولا له من أهل، أي أهل لغير الله به فسقا. فإن قلت: فعلام تعطف { أهل { ؟
والإلام يرجع الضمير في { به { على هذا القول؟ قلت: يعطف على يكون، ويرجع الضمير إلى
ما يرجع إليه المستكن في يكون { فمن اضطر { فمن دعت الضرورة إلى أكل شيء من هذه
المحرمات { غير باغ { على مضطر مثله تارك لمواساته { ولا عاد { متجاوز قدر حاجته من
تناوله { فإن ربك غفور رحيم { لا يؤاخذ.

وعلى الذين هادوا sYB\$چxm كل ذي ظفر ومن حج#s79\$ة OsYt9\$#ur
سYB\$چxm عليهم

شحومهما إلا ما ôMn=yJxm ظهورهما أو الحوايا أو ما اختلط Oàyeèخ/
sCE"٩dy7

كO"Ng÷fzoy_N"خk7t÷/ وإنا لصادقون (١٤٦) فإن كذبوك فقل ربكم ذو
رحمة ur"TM|pyè٧

ولا - ثم f بأسه عن القوم B d u ح f ك J 9 \$ # اتحذب

(١) قوله: وقد رخص في دم العروق بعد الذبح هذا مذهب (ح) وذلك لأنه ليس بمسفوح لأن

المسفوح هو السائل وأما (ش) (الشافعي) فيحرم الدم مطلقا لقوله تعالى : { إنما حرم عليكم الميتة والدم } .

(١٤٥/٤)

ذو الظفر ما له أصبع من دابة أو طائر، وكان بعض ذات الظفر حلالا لهم، فلما ظلموا حرم ذلك عليهم فعم التحريم كل ذي ظفر بدليل قوله: { فبظلم من الذين هادوا حرمنا عليهم طيبات أحلت لهم } (النساء: ١٦٠) وقوله: { ومن البقر والغنم حرمتنا عليهم شحومهما } كقولك: من زيد أخذت ماله، تريد الإضافة زيادة الربط (١). والمعنى أنه حرم عليهم لحم كل ذي ظفر وشحمه كل شيء منه، وترك البقر والغنم على التحليل لم يحرم منهما إلا الشحوم الخالصة، وهي الثروب (٢) وشحوم الكلي. وقوله: { إلا ما حملت ظهورهما } يعني إلا ما اشتمل على الظهور والجنوب من السحفة { أو الحوايا } أو اشتمل على الأمعاء { أو ما اختلط بعظم } وهو شحم الإلية. وقيل: { الحوايا } عطف على شحومهما. و "أو" (٣)

(١) قوله: يريد بالإضافة زيادة الربط . قيل الإضافة لفظ مشترك بين نسبة فعل إلى اسم أو نسبة اسم إلى اسم بواسطة حرف ملفوظ أو مقدر والأول يسمى جارا و مجرورا والثاني مضافا ومضافا إليه والظاهر أن مراده هنا إضافة للشحوم إلى الضمير لأن الظاهر أن يقال ومن البقر والغنم حرمتنا عليهم الشحوم ، وأخذت من زيد المال فاضيف لزيادة الربط أما بيان نسبة الفعل إلى الاسم فإن الظاهر أن يقال أخذت مال زيد فجئت بمن لزيادة الربط أي ربط نسبة الأخذ بالمال وذلك للإجمال أولا والتفصيل ثانيا وهذا وإن اقتضاه التركيب لكنه ليس بمراد هنا . قال أبو التقاء: من القر معطوف على كل وحرمتنا عليهم شحومهما تبين للمحرم من البقر والغنم ويجوز أن يكون من البقر متعلقا بحرمتنا الثانية.

(٢) قوله: وقوله: وهي الثروب الثرب شحم يغشى الكرش والأمعاء رقيق والسحفة بفتح السين وسكون الحاء المهملة والفاء: الشحمة التي على الظهر الملتزمة بالجلد فيما بين

الكتفين إلى الوركين .

)

٣) قوله : وأو بمنزلتها في قولهم : جالس الحسن أو ابن سيرين . قال الزجاج : يجوز أن تكون الحوايا نسقا على شحومهما لا على المستثنى . المعنى حرما عليهم شحومهما أو الحوايا أو ما اختلط بعظم إلا ما حملت ظهورهما فإنه غير محرم ودخلت أو على طريق الإباحة كما قال : { ولا تطع منهم آثما أو كفورا } أي كل واحد منهما أهل أن يعصى فاعص هذا واعص هذا وأو بليغة في هذا المعنى لأنك إذا قلت لا تطع زيدا وعمرا فجائز أن يكون نهيته عن طاعتهما معا في حالة واحدة فإن أطعت أحدهما على حدة لم تكن عاصيا وأما إذا قلت لا تطع زيدا أو عمرا أو خالدا فالمعنى هؤلاء كلهم أهل أن لا يطاعوا فلا تطع واحدا منهم ولا تطع الجميع ، ومثله جالس الحسن أو ابن سيرين أو الشعبي فليس المعنى أنني أمرتك بمجالسة واحد منهم بل المعنى كلهم أهل أن تجالس فإن جالست واحدا منهم فأنت مصيب ، وإن جالست الجماعة فأنت مصيب . وقال ابن الحاجب : أو في قوله تعالى

{ ولا تطع منهم آثما أو كفورا } بمعناها وهو أحد الأمرين وإنما جاء التعميم من النهي الذي فيه معنى النفي لأن المعنى قبل وجود النهي فيهما يطع أثما أو كفورا أي واحدا منهما وإذا جاء النهي ورد على ما كان ثانيا في الأصل والمعنى لا تطع واحدا منهما فيجاء بالتعميم فيهما من جهة النفي الداخل بخلاف الإثبات فإنه يتناول أحدهما دون الآخر فهو معنى دقيق ، وحاصل ذلك أنه إذا عطف أو الحوايا أو ما اختلط بعظم على شحومهما دخلت الثلاث تحت حكم التحريم فيحرم الكل سوى ما استثنى منه ، وإذا عطف على

المستثنى لم يحرم سوى الشحوم ، وأو على الأول للإباحة وعلى الثاني للتنويع . قال : أو هاهنا لتفصيل مذاهبهم لاختلاف إما كنهها كقوله تعالى { وقالوا لن يدخل الجنة إلا من كان هودا أو نصارى } فلما لم يفصل في قوله وقالوا جاء بأو للتفصيل إذ كانت موضوعة لأحد الشيئين هذا كله نقلته من حواشي الطيني ، وما ذكرته في الحاشية الأولى

أنسب . والتحقيق أنه إنما شبه أو هنا على تقدير العطف للحوايا على شحومهما وفي قولك جالس الحسن أو ابن سيرين في إفادة كل واحد منهما الجمع أعني أن أو في قولك جالس الحسن أو ابن سيرين تفيد(.....) إباحة الجمع بين مجالستهما كما تفيد مجالسة كل واحد منهما على حدة ، وأو هنا تفيد حرمة الجمع بين الشحوم والحوايا وما اختلط بعظم كما تفيد حرمة كل واحد منهما منفردا ، أو يقول شبهه به في أن أحد الأمرين غير حاجز

عن الآخر .

(١٤٦/٤)

بمنزلتها في قولهم: جالس الحسن أو ابن سيرين { ذالك { الجزاء { جزيناهم { وهو تحريم
الطيبات { ببيغهم { بسبب ظلمهم { وإنا لصادقون { فيما أوعدنا به العصاة لا نخلفه،
كما لا نخلف ما وعدناه أهل الطاعة. فلما عصوا وبغوا ألحقناهم بهم الوعيد وأحللنا
بهم العقاب. { فإن كذبوك { (١) في ذلك وزعموا أن الله واسع الرحمة، وأنه لا يؤاخذ
بالبغي ويخلف الوعيد جودا وكرما { فقل { لهم { ربكم ذو رحمة واسعة { لأهل طاعته {
ولا يرد بأسه { مع سعة رحمته { عن القوم المجرمين { فلا تغتر برجاء رحمته عن خوف
نقمته.

سيقول الذين أشركوا لو شاء الله ما &r°sY2u\$ ولا آباؤنا ولا xmچuZB\$ من شيء
كذب الذين من قبلهم ٢ux⁹dy7 سLxm® ذاقوا بأسنا قل هل عندكم من علم
çGsu÷,÷حجçnq

لنا إن تتبعون إلا الظن وإن أنتم إلا تخرصون (١٤٨) قل فله #èpOfçtù:\$

t69\$#"=èpt

فلو شاء لهداكم أجمعين اتحزب

}

(١) قوله: فإن كذبوك في ذلك أي في أنا لصادقون فيما أوعدنا به العصاة لا نخلفه قيل
إنما فسر به بقوله وزعموا أن الله واسع الرحمة لوقوع قوله { فقل ربكم ذو رحمة واسعة {
جوابا لتكذيبهم فقرر ما قالوه وزيد عليه { ولا يرد بأسه عن القوم المجرمين { أي
رحمته وإن كانت واسعة لكن لأهل طاعته وهو من أسلوب القول بالموجب .

(١٤٧/٤)

سيقول الذين أشركوا { إخبار بما سوف يقولونه ولما قالوه قال: { وقال الذين أشركوا

لو شاء الله ما عبدنا من دونه من شيء { (النحل: ٣٥) يعنون بكفرهم وتمردهم أن شركهم
وشرك آبائهم، وتحريمهم ما أحل الله، بمشيئة الله وإرادته. ولولا مشيئته لم يكن شيء
من ذلك، كمذهب المجبرة بعينه { كذلك كذب الذين من قبلهم { أي جاءوا بالتكذيب
المطلق؛ لأن الله عز وجل ركب في العقول وأنزل في الكتب ما دل على غناه وبراءته من

مشيئة القبائح وإرادتها، والرسل أخبروا بذلك. فمن علق وجود القبائح من الكفر والمعاصي بمشيئة الله وإرادته فقد كذب التكذيب كله، وهو تكذيب الله وكتبه ورسله، ونبد أدلة العقل والسمع وراء ظهره { حتى ذاقوا بأسنا } حتى أنزلنا عليهم العذاب بتكذيبهم { قل هل عندكم من علم } من أمر معلوم يصح الاحتجاج به فيما قلتم { فتخرجوه لنا } وهذا من التهكم، والشهادة بأن مثل قولهم محال أن يكون له حجة { إن تتبعون إلا الظن } في قولكم هذا { وإن أنتم إلا تخرصون } تقدرون أن الأمر كما تزعمون أو تكذبون. وقرئ: "كذلك كذب الذين من قبلهم" بالتخفيف { قل فلله الحجة البالغة } يعني فإن كان الأمر كما زعمتم أن ما أنتم عليه بمشيئة الله فلله الحجة البالغة عليكم على قود (١) مذهبكم { فلو شاء لهداكم أجمعين } منكم ومن مخالفكم في الدين، فإن تعليقكم دينكم بمشيئة الله يقتضي أن تعلقوا دين من يخالفكم أيضا بمشيئته، فتوالوهم ولا تعادوهم، وتوافقوهم ولا تخالفوهم، لأن المشيئة تجمع بين ما أنتم عليه وبين ما هم عليه.

(١) قوله: على قود مذهبكم وما يقود إليه بعضهم . القود هنا بمعنى المفعول المعنى فلله الحجة البالغة على ما يقوده مذهبكم وهو مساواة جميع الملل المختلفة لمذهبكم لأن ما خالف ملتكم من الملل يجب أن يكون عندكم حقا لأنه بمشيئة الله فيؤدي إلى صحة الأدبان المتناقضة وحقيقتها .

(١٤٨/٤)

قل هلم شهداءكم الذين يشهدون أن الله xm٢tP هذا فإن (#r%٠٠x ky فلا تشهد معهم ولا

تبع أهواء الذين كذبوا بآياتنا والذين لا يؤمنون د٢ou٢ ١/2Fy\$z\$/ وهم
Oxgخn/uچخ/
يعدلون اتخذب

{ هلم } يستوي فيه الواحد والجمع، والمذكر والمؤنث عند الحجازيين. وبنو تميم تؤنث وتجمع. والمعنى: هاتوا شهداءكم وقربوهم. فإن قلت: كيف أمره باستحضار شهدائهم الذين يشهدون أن الله حرم ما زعموه محرما، ثم أمره بأن لا يشهد معهم؟ قلت: أمره باستحضارهم وهم شهداء بالباطل، ليلزمهم الحجة ويلقمهم الحجر، ويظهر للمشهود لهم بانقطاع الشهداء أنهم ليسوا على شيء، لتساوي أقدام الشاهدين والمشهود لهم في أنهم

لا يرجعون إلى ما يصح التمسك به. وقوله: { فلا تشهد معهم } يعني فلا تسلم لهم ما شهدوا به ولا تصدقهم: لأنه إذا سلم لهم (١) فكأنه شهد معهم مثل شهادتهم وكان واحدا منهم { ولا تتبع أهواء الذين كذبوا بآياتنا } من وضع الظاهر موضع المضمرة للدلالة على أن من كذب بآيات الله وعدل به غيره فهو متبع للهوى لا غير، لأنه لو اتبع الدليل لم يكن إلا مصدقا بالآيات موحدا لله تعالى. فإن قلت: هلا قيل: قل لهم شهداء يشهدون أن الله حرم هذا؟ وأي فرق بينه وبين المنزل؟ قلت: المراد أن يحضروا شهداءهم الذين علم أنهم يشهدون لهم وينصرون قولهم، وكان المشهود لهم يقلدونهم ويشقون بهم ويعتضدون بشهادتهم، ليهدم ما يقومون به فحق الحق ويبطل الباطل، فأضيفت الشهداء لذلك، وجيء بالذين للدلالة على أنهم شهداء معروفون موسومون بالشهادة لهم وبنصرة مذهبهم، والدليل (٢)

(١) قوله: لأنه إذا سلم لهم فكأنه شهد معهم تلخيصه أن قوله { لا تشهد معهم } أبلغ في النهي من قوله فلا تصدقهم فهو من باب الكناية ويجوز أن يكون من باب المشاكلة . (٢) قوله: والدليل عليه أي على أنهم شهداء معروفون..قوله: فإن شهدوا فلا تشهد معهم لأنه إنما نهاه عن أن يشهد معهم أي يصدقهم إذا كانوا معهودين بأنهم شهداء بالباطل.

ولو قيل شهدا لكان مطلق الشاهد هو المطلوب والظاهر أن الخصم إذا طلب منه شاهد غير معهود > أن يطلب منه شاهد غير معهود < أن يطلب منه شاهد بالحق وعلى هذا فلا يصح أن يقول فلا تشهد معهم لأن الشاهد بالحق يجب تصديقه لأن ذلك إنما يقال في حق من علم بطلان شهادته ، وإليه الإشارة بقوله ويناقضه فإن شهدوا . (١٤٩/٤)

عليه قوله تعالى: { فإن شهدوا فلا تشهد معهم } ولو قيل: هلم شهداء يشهدون لكان معناه هاتوا أناسا يشهدون بتحريم ذلك فكان الظاهر طلب شهداء بالحق وذلك ليس بالغرض. ويناقضه قوله تعالى: { فإن شهدوا فلا تشهد معهم } .

* قل تعالوا أتل ما xmچtP ربكم عليكم ألا تشركوا به ©x"Z\$

ب\$ûitد!\$uq9\$\$\$ur/خ

إحسانا ولا (#s)çF=ûqè؟ أولادكم من إملاق نحن نرزقكم fNè\$خ(ur) ولا

(#u/qçqçs)؟

|xq9m`uq\$# ما uچygsك منها وما بطن ولا تقتلوا النفس التي xmچtP الله

إلا بالحق

ن/٩٥٣ sCE وصاكم به /ن=3 yès9 تعقلون (١٥١)

(١٥٠/٤)

"تعال"، من الخاص الذي صار عاما، وأصله أن يقوله من كان في مكان عال لمن هو أسفل منه ثم كثر واتسع فيه حتى عم. و { ما حرم } منصوب (١) بفعل التلاوة، أي أتل الذي حرمة ربكم. أو يحرم بمعنى: أقل أي شيء حرم ربكم، لأن التلاوة من القول، و "أن" في { ألا تشركوا } مفسرة و "لا" النهي.

(١) قوله: ما حرم منصوب بفعل التلاوة إلى قوله أو يحرم ما على الأول موصولة وعلى الثاني استفهامية. قال الطيني: فإن كان الأول كان ما جزم مفعولا..... وإن كان في أن لا يشركوا ناصبة للفعل ولا نافية والمنصوب وهو ألا يشركوا بدل من الهاء. وقال قال أبو التقاء: إن مصدرية وفي موضعها وجهان أحدهما أنها منصوبة، وفي ذلك وجهان أحدهما هي بدل من الهاء المحذوفة، أو من ما ولا زائدة أي حرم ربكم أن تشركوا، والثاني أنها منصوبة على الإغراء والوقف على ما قبل عليكم أي إلزموا ترك الشرك.

والوجه الثاني أنها مرفوعة والتقدير المتلو هو أن لا تشركوا أو المحرم أن تشركوا أو لا زائدة فإن كان الثاني وهو إن تكون ما استفهامية كان حرم عاملا فيها وإن هي المفسرة واتل في معنى القول ولا للنهي التقدير اتل أي شيء حرم ربكم أي أتل قولاً فيه تحريم أشياء وهي ألا تشركوا إلى آخره. وأقول: ما ذكره الطيني من أن أن في الوجه الأول ناصبة للفعل ولا نافية وما رواه عن أبي التقاء من زيادة لا مخالف لما نص عليه المصنف من وجوب كون أن مفسرة ولا للنهي حيث قال: فإن قلت هلا قلت هي التي تنصب الفعل وجعلت أن لا تشركوا بدلا مما حرم؟ قلت: وجب أن يكون لا تشركوا أولا تقبلوا ولا تتبعوا السبل نواهي لا تعاطف الأوامر عليه أراد أن لا لو كانت نافية لزم عطف الطلب على الخبر وهو غير مستحسن، وإنما لم يجز جعل لا للنهي على تقدير كون أن مصدرية لأن الناصبة المصدرية لا تدخل على حرف النهي إذ لا تجتمع الناصبة الجازمة على فعل واحد.

(١٥١/٤)

فإن قلت: هلا قلت هي التي تنصب الفعل، وجعلت أن لا تشركوا بدلا من { ما حرم } ؟

قلت: وجب أن يكون { لا تشركوا } و { لا تقربوا } و { لا تقتلوا } و { لا تتبعوا السبل } (الأنعام: ١٥٣) نواهي لانعطاف الأوامر عليها، وهي قوله: { وبالوالدين إحسانا } لأن التقدير: وأحسنوا بالوالدين إحسانا. و { أوفوا } ، { وإذا قلتم فاعدلوا } (الأنعام: ١٥٢)، { وبعهد الله أوفوا } (الأنعام: ١٥٢). فإن قلت: فما تصنع بقوله: { وإن هذا صراطي مستقيما } (١) فاتبعوه { فيمن قرأ بالفتح، وإنما يستقيم عطفه على أن لا تشركوا إذا جعلت أن هي الناصبة للفعل، حتى يكون المعنى: أتلى عليكم نفي الإشراف والتوحيد، وأتلى عليكم أن هذا صراطي مستقيما؟ قلت: أجعل(٢)

(٢) قوله: اجعل قوله { وأن هذا صراطي مستقيما } علة للاتباع أراد أن الواو ليست عاطفة بل هي استئنافية والجملة معترضة مؤكدة لمضمون الجمل السابقة عليها واللام متعلق بقوله فاتبعوه أي فاتبعوا صراطي لأنه مستقيم والدليل على ذلك القراءة بكسر إن لأنها صريحة في التعليل.

قوله: وإن هذا صراطي قيل هذا إشارة إلى ما ذكره في السورة فإنها بأسرها واردة في إثبات التوحيد والنبوة.
(١٥٢/٤)

قوله: { وأن هذا صراطي مستقيما } (الأنعام: ١٥٣) علة للاتباع بتقدير اللام، كقوله تعالى: { وأن المساجد لله فلا تدعوا مع الله أحدا } (الجن: ١٨) بمعنى: ولأن هذا صراطي مستقيما فاتبعوه. والدليل عليه القراءة بالكسر، كأنه قيل: واتبعوا صراطي لأنه مستقيم، أو واتبعوا صراطي إنه مستقيم. فإن قلت: إذا جعلت { أن } مفسرة لفعل التلاوة وهو معلق بما حرم ربكم، وجب أن يكون ما بعده منهيا عنه محرما كله، كالشرك وما بعده مما دخل عليه حرف. النهي مما تصنع بالأوامر قلت لما وردت هذه الأوامر مع النواهي وتقدمهن جميعا فعل التحريم واشتركن في الدخول تحت حكمه، علم أن التحريم راجع إلى أضدادها، وهي الإساءة إلى الوالدين، وبخس الكيل والميزان. وترك العدل في القول، ونكث عهد الله

{ من إملاق } من أجل فقر ومن خشيته، كقوله تعالى: { خشية إملاق } (الإسراء: ٣١). { ما ظهر منها وما بطن } مثل قوله: { ظاهر الإثم وباطنه } (الأنعام: ١٢٠). { إلا بالحق } كالقصاص، والقتل على الردة، والرجم.

الكيل
سLxm® يبلغ أشده وأوفوا
الكيل

والميزان بالقسط لا تكلف نفسا إلا وسعها وإذا قلتم فاعدلوا ولو كان ذا قربى وبعهد
الله أوفوا sCE٩دNà6 وصاكم به /ن٣= yès9 cr مج١٥٢ (xs?
}
(١٥٣/٤)

إلا بالتي هي أحسن { إلا بالخصلة التي هي أحسن ما يفعل بمال اليتيم، وهي حفظه
وتثميته والمعنى: احفظوه عليه حتى يبلغ أشده فادفعوه إليه { بالقسط { بالسوية
والعدل؛ { لا تكلف نفسا إلا وسعها { إلا ما يسعها ولا تعجز عنه. وإنما أتبع الأمر
بإيفاء الكيل والميزان ذلك؛ لأن مراعاة الحد من القسط الذي لا زيادة فيه ولا نقصان
مما يجري فيه الحرج، فأمر ببلوغ الوسع وأن ما وراءه معفو عنه { ولو كان ذا قربى {
ولو كان المقول له أو عليه في شهادة أو غيرها من أهل قرابة القتال، فما ينبغي أن
يزيد في القول أو ينقص، كقوله: { ولو على أنفسكم أو الوالدين والأقربين { (النساء:
١٣٥).

ur&br" هذا 'دغ' u٩ه مستقيما فاتبعوه ولا تتبعوا السبل فتفرق بكم عن
TM٧٧خ#&د٣/٤

sCE٩د٣N وصاكم به لعلكم تتقون (١٥٣)

وقرىء: "وأن هذا صراطي مستقيما" بتخفيف "أن" وأصله: وأنه هذا صراطي، على أن الهاء
ضمير الشأن والحديث. وقرأ الأعمش: "وهذا صراطي". وفي مصحف عبد الله: "هذا صراط
ربكم". وفي مصحف أبي: "وهذا صراط ربك" { ولا تتبعوا السبل { الطرق المختلفة في
الدين، من اليهودية والنصرانية، والمجوسية، وسائر البدع والضلالات { فتفرق بكم {
فتفرقكم أيادي سب(١) { عن سبيله { عن صراط الله المستقيم وهو دين الإسلام. وقرىء:
"فتفرق" يادغام التاء. وروى أبو وائل عن ابن مسعود عن النبي

:

)

(١) قوله: أيادي سبأ هو هنا صفة(مصدر) محذوف أي فتفرقكم اتباع السبل تفرقا مثل تفرق
أيادي سبأ أي تفرقا لا اجتماع بعده. قال أبو التقاء: فتفرق فتفرق جواب النهي والأصل

يفرق وبكم في موضع المفعول أي فتفرقكم ويجوز أن يكون حالا أي فتفرق وأنتم معها
(١٥٤/٤)

٣٨٣) أنه خط خطأ ثم قال: هذا سبيل الرشـد، ثم خط عن يمينه وعن شماله خطوطا ثم قال: هذه سبيل، على كل سبيل منها شيطان يدعو إليه، ثم تلا هذه الآية { وأن هذا صراطي مستقيما فاتبعوه } وعن ابن عباس رضي الله عنهما: هذه الآيات محكمات (١) لم ينسخن شيء من جميع الكتب. وقيل: إنهن أم الكتاب، من عمل بهن دخل الجنة، ومن تركهن دخل النار، وعن كعب الأحبار: والذي نفس كعب بيده إن هذه الآيات لأول شيء في التوراة. فإن قلت: علام عطف قوله: { ثم آتينا موسى الكتاب } قلت: على { وصاكم به } . فإن

قلت: كيف صح عطفه عليه بضم والإيتاء قبل التوصية بدهر طويل؟ قلت: هذه التوصية قديمة، لم تزل توصيها كل أمة على لسان نبيهم، كما قال ابن عباس رضي الله عنهما: محكمات لم ينسخن شيء من جميع الكتاب، فكأنه قيل: ذلكم وصاكم به يا بني آدم قديما وحديثا.

وهدى ورحمة لعلهم
دن! (S\$)د=خ/ ربهم يؤمنون (١٥٤)
}

(١) قوله: هذه الآيات محكمات يعني من قوله تعالى { قل تعالوا اتل } إلى قوله { لعلكم تتقون } ومعنى كونهن أم الكتاب أنهن جامعات لمعظم ما يجب أن يؤتى به وما ينبغي أن يحترز عنه.
(١٥٥/٤)

ثم { أعظم (١) من ذلك أنا { آتينا موسى الكتاب } وأنزلنا هذا الكتاب المبارك. وقيل: هو معطوف (٢) على ما تقدم قبل شطر السورة من قوله تعالى: { ووهبنا له إسحاق ويعقوب } (الأنعام: ٨٤) { تماما على الذي أحسن } تماما للكرامة والنعمة، على الذي أحسن، على من كان محسنا صالحا، يريد جنس المحسنين. وتدل عليه قراءة عبد الله: "على الذين أحسنوا" أو أراد به موسى عليه السلام، أي تنمة للكرامة على العبد الذي أحسن الطاعة في التبليغ وفي كل ما أمر به أو تماما على الذي أحسن موسى من العلم والشرائع، من

أحسن الشيء إذا أجاد معرفته، أي زيادة على علمه على وجه التتميم. وقرأ يحيى بن يعمر: "على الذي أحسن"، بالرفع، أي على الذي هو أحسن، بحذف المبتدأ كقراءة من قرأ: { مثلاً ما بعوضة } (البقرة: ٢٦) بالرفع أي على الدين الذي هو أحسن دين وأرضاه.

(١) قوله: ثم اعظم من ذلك أنا آتينا موسى الكتاب . اعلم أنه أوهم في الجواب بقوله: هذه التوصية قديمة أن معنى التراخي في ثم زماني وقوله : ثم اعظم من ذلك أنها للتراخي في الرتبة . قيل: ويمكن الجمع بينهما إذ لا منافاة بين الاعتبارين وذلك أن قوله ثم آتينا موسى الكتاب وهذا كتاب أنزلناه من جملة ما وصاه الله تعالى قديماً

وحديثاً ويكون قوله { ذلكم وصاكم به } مشاراً به إلى جميع ما ذكر من أول هذه السورة لا سيما هذه المنهيات المختمة بقوله : { وأن هذا صراطي مستقيماً } فالعطف على طريقة عطف جبريل وميكائيل على ملائكتيه لشرفهما (فها) على سائر ما وصى به الله وأنزل فيه كتاباً فحصل التراخي بحسب الزمان وبحسب المرتبة أيضاً ثم معنى التعظيم بالالتفات من الغيبة إلى التكلم وإيثار ضمير الجمع المؤذن بالتعظيم .

(٢) قوله: وقيل هو معطوف على ما تقدم فعلى هذا ثم للتراخي بحسب الزمان وهو متعسف.

(١٥٦/٤)

أو آتينا موسى (١) الكتاب تماماً، أي تاماً كاملاً على أحسن ما تكون عليه الكتب، أي على الوجه والطريق الذي هو أحسن وهو معنى قول الكلبي (٢): أتم له الكتاب على أحسنه.

(١) قوله: أو آتينا موسى الكتاب تماماً أي تاماً عطف على قوله تماماً للكرامة فعلى الوجه الأول تماماً مفعول له . قال الزجاج وكذلك تفصيلاً . قال بعضهم والتقدير آتينا الكتاب ليتم النعمة عليه فيتم تماماً ولما كان هذا منصوباً بما هو مفعول له وقائماً مقامه قيل لو أنه مفعول له لا أنه بالحقيقة مفعول له وإلا لم يحذف منه اللام لأنه ليس فعل فاعل الفعل المعلل . وقلت: والأولى على القول بأنه مفعول له أن يكون تماماً بمعنى إتماماً وعلى هذا فهو فعل فاعل الفعل . وقيل يجوز أن يكون تماماً مصدراً من آتينا لأن آتينا الكتاب تمام للكرامة النعمة فكأنه قيل أتممنا الكرامة والنعمة إتماماً وعلى الوجه الثاني هو حال من الكتاب ثم التعريف في الذي أحسن إما للجنس وإما للعهد ، وإلى الأول أشار بقوله على من كان محسناً صالحاً يريد جنس المحسنين ، وعلى تقدير كونه للعهد فأحسن إما بمعنى الإحسان في الطاعة والامتثال بجميع ما أمر به أو

بمعنى الجودة في العلم والإتقان فيه ، وفي هذا الوجه من المبالغة ما ليس في الأول
لأن الإحسان على نفس الطاعة ، وفي هذا زيادة عليها ومن ثم قال أي زيادة على وجه

التميم فالتميم على هذا للاستيعاب وعلى الأول بمعنى التكميل.
(٢) قوله: وهو معنى قول الكلبي : أتم له الكتاب على أحسنه أي على أحسن وجهه وطريقه.
(١٥٧/٤)

yè9=٣N كتاب &Rr"sY9u"çm مبارك فاتبعوه واتقوا ن yès9=٣N ترحمون
(١٥٥) أن

(qà)s٩ûq#؟ إنما tAح &Ré" الكتاب على ب ù÷ütGxح s\$! غ من
%s٧=duZ\$ وإن كنا عن

خNكJyTM#uëkدث ژ üd=د"156 (ts9) أو تقولوا لو أنا tAح &Ré" علينا
الكتاب لكنا أهدي

منهم فقد جاءكم /htحpsY× من ربكم وهدي ورحمة فمن أظلم ممن كذب بآيات الله
وصدف

عنها "ح TMôfuZy الذين يصدفون عن آياتنا كTMûqن العذاب بما كانوا يصدفون
(١٥٧)

}

(١٥٨/٤)

أن تقولوا { كراهة(١) أن تقولوا { على طائفتين { يريدون أهل التوراة وأهل الإنجيل {
وإن كنا { هي إن المخففة من الثقيلة واللام هي الفارقة بينها وبين النافية. والأصل:
وإنه كنا عن دراستهم غافلين، على أن الهاء ضمير الشأن { عن دراستهم { عن قراءتهم،
أي لم نعرف مثل(٢) دراستهم { لكنا أهدي منهم { لحدة أذهاننا، وثقابة أفهامنا،
وغزارة حفظنا لأيام العرب ووقائعها وخطبها وأشعارها وأسجاعها وأمثالها، على أنا
أميون. وقرئ: "أن يقولوا" أو يقولوا، بالياء { فقد جاءكم بينة من ربكم { تبكيت
لهم، وهو على قراءة من قرأ: "يقولوا" على لفظ(٣) الغيبة أحسن، لما فيه من الالتفات.

(١) قوله: كراهة أن يقولوا قال الزجاج: قال بعضهم معناه أنزلناه لنلا يقولوا إنما
أنزل الكتاب أي أنزلناه ليقطع حججتكم ، وقال البصريون معناه أنزلناه كراهة أن يقولوا

ولا يجيزون إضمار لا .

(٢) قوله : مثل دراستهم أي مثل قراءتهم أي لم يكن على لغتنا فلم يقدر على قراءته
مثلما قدروا عليها .

(٣) قوله: على لفظ الغيبة أحسن لما فيه من الالتفات . قال الطيني : لأنه من مجازاة
(مجازة) فإنه تعالى لما خاطبهم بقوله { وهذا كتاب أنزلناه مبارك فاتبعوه { الآية ثم

قال أن تقولوا إنما أنزل الآيتين جعلهم بعدا أي أنزلنا لئلا يقول أولئك
البعد المتصلفون كذا وكذا ثم بعد ذلك التفت إليهم بالخطاب تبكيता لهم وإلزاما أي
أنتم أولئك الذين تصلفتم وقتلتم كيت وكيت فقد جاء مطلوبكم فأين مقتضى قولكم ، وساعد
عليه حذف الشرط ومن ثم قال : وهو من أحاسن الحذوف . قال الطيني : وقد سمي مثل هذه
الفاء في سورة الحجرات فاء فصيحة وإن كانت جزائية لدلاليتها على السرعة كما في قوله
تعالى { أضرب بعصاك الحجر فانفجرت { .
(١٥٩/٤)

والمعنى: إن صدقتكم فيما كنتم تعدون من أنفسكم فقد جاءكم بينة من ربكم، فحذف الشرط
وهو من أحاسن الحذوف { فمن أظلم ممن كذب بآيات الله { بعد ما عرف صحتها وصدقها،
أو

تمكن من معرفة ذلك { وصدف عنها { الناس فضل وأصل { سنجزي الذين يصدفون عن
آياتنا

سوء العذاب { كقوله: { الذين كفروا وصدوا عن سبيل الله زدناهم عذابا فوق العذاب {
(النحل: ٨٨).

yd@ ينظرون إلا أن تأتيهم الملائكة أو 'u/À'tf y7د'z أو 'u/À'tf د'z بعض
آيات ربك

يوم 'À'tf د'z بعض آيات ربك لا ينفع نفسا إيمانها لم تكن آمنت من قبل أو كسبت في
إيمانها # [yz قل انتظروا إنا منتظرون اتخرب

{ الملائكة { ملائكة الموت، أو العذاب { أو يأتي ربك { أو يأتي كل آيات ربك. بدليل
قوله: { أو يأتي بعض آيات ربك { يريد آيات القيامة والهلاك الكلي، وبعض الآيات.

أشراط الساعة، كطلوع الشمس من مغربها، وغير ذلك. وعن البراء بن عازب:

(٣٨٤) كنا نتذاكر الساعة إذ أشرف علينا رسول الله

(١٦٠/٤)

فقال: "ما تتذكرون؟ فقلنا: نتذكر الساعة قال: إنها لا تقوم حتى تروا قبلها عشر آيات: الدخان، ودابة الأرض، وخسفا بالمغرب، وخسفا بالمشرق، وخسفا بجزيرة العرب، والدجال، وطلوع الشمس من مغربها، ويأجوج ومأجوج، ونزول عيسى، ونارا تخرج من عدن". }

ولم تكن آمنت من قبل { صفة لقوله نفسا. وقوله: { أو كسبت في إيمانها خيرا { عطف على

آمنت. والمعنى أن أشراط الساعة إذا جاءت وهي آيات ملجئة مضطرة، ذهب أوان التكليف عندها، فلم ينفع الإيمان حينئذ نفسا غير مقدمة إيمانها من قبل ظهور الآيات، أو مقدمة الإيمان غير كاسبة في إيمانها خيرا، فلم يفرق (١)

(١) قوله: فلم يفرق كما ترى بين النفس الكافرة إذا آمنت في غير وقت الإيمان وبين النفس التي آمنت في وقته ولم تكسب خيرا قيل عليه هذا الكلام تلفت في البلاغة باللف وأصله يوم تأتي بعض آيات ربك لا ينفع نفسا لم تكن مؤمنة قبل إيمانها بعد ولا نفسا لم تكسب في إيمانها خيرا. قيل: ما تكسبه من الخير بعد والمقصود من الآية بعد ظهور الآيات الملجئة إليه وكذا العلم الصالح غير نافع. وقول ابن الحاجب في أماليه معنى الآية لا ينفع نفسا إيمانها ولا كسبها وهو العمل الصالح لم تكن آمنت قبل ولم تعمل الصالح قيل فاختصر للعم به. وقوله: لم تكن آمنت صفة لنفسا وإن وقع الفصل لأن المعنى على التأخير لأن إيمانها فاعل لا ينفع إيمان نفس لم تكن آمنت من قبل فلما أوجب الضمير التقديم لتعود إلى النفس بقيت الصفة في محلها. اللهم اجعلنا من المؤمنين في كل الأحوال الآمنين من جميع الأهوال بمحمد وآله خير آل

(١٦١/٤)

كما ترى بين النفس الكافرة إذا آمنت في غير وقت الإيمان، وبين النفس التي آمنت في وقته ولم تكسب خيرا، ليعلم أن قوله: { الذين آمنوا وعملوا الصالحات { (البقرة: ٢٥) جمع بين قرينتين، لا ينبغي أن تنفك إحداهما عن الأخرى، حتى يفوز صاحبهما ويسعد، وإلا فالشقوة والهلاك { قل انتظروا وأنا منتظرون { وعيد. وقرئ: "أن يأتيهم الملائكة" بالياء والتاء. وقرأ ابن سيرين: "لا تنفع بالتاء؛ لكون الإيمان مضافا إلى ضمير المؤنث الذي هو بعضه كقولك: ذهبت بعض أصابعه.

إن الذين فرقوا دينهم وكانوا شيعا لست منهم في شيء إنما أمرهم إلى الله ثم ينبئهم بما كانوا يفعلون (١٥٩)

}

فرقوا دينهم { اختلفوا فيه كما اختلفت اليهود والنصارى. وفي الحديث:

(٣٨٥) "افتترقت اليهود على إحدى وسبعين فرقة، كلها في الهاوية إلا واحدة وهي

الناجية، وافتترقت النصارى اثنتين وسبعين فرقة، كلها في الهاوية إلا واحدة، وتفترق

أمتي على ثلاث وسبعين فرقة، كلها في الهاوية إلا واحدة" وقيل: فرقوا دينهم فأمنوا

ببعض وكفروا ببعض. وقرئ: "فارقوا دينهم" أي تركوه { وكانوا شيعا { فارقا كل فرقة

تشيع إماما لها { لست منهم في شيء { أي من السؤال عنهم وعن تفرقهم. وقيل: من

عقابهم. وقيل: هي منسوخة بآية السيف.

tB` جاء د |\$:utù,puZ\$/خ/ فله مژt³م أمثالها ومن جاء بالسينة فلا #u"ن† إلا
مثلا

وهم لا tbq=àكfJnم اتدب

{ عشر أمثالها { على إقامة صفة الجنس المميز مقام الموصوف، تقديره عشر حسنات

أمثالها، وقرئ: "عشر أمثالها" برفعهما جميعا على الوصف. وهذا أقل ما وعد من

الإضعاف. وقد وعد بالواحد سبعمائة، ووعد ثوابا بغير حساب. ومضاعفة الحسنات فضل،

ومكافأة السيئات عدل { وهم لا يظلمون { لا ينقص من ثوابهم ولا يزداد على عقابهم.

(١٦٢/٤)

قل سة- R(خ) سة- y%oyd' 'n1us' إلى ق"uژاه OةB,tG- دينا قima ملة
d"udtL/خ)

ZxmدZ\$ وما كان من المشركين اتدب

{ دينا { نصب على البذل من محل { إلى صراط { لأن معناه: هداية صراطا، بدليل قوله: {

ويهديكم صراطا مستقيما { (البقرة: ٤٢) والقيم: فيعل، من قام، كسيد من ساد، وهو أبلغ

من القائم. وقرئ: "قيما" والقيم: مصدر بمعنى القيام وصف به. و { ملة إبراهيم { عطف

بيان. و { حنيفا { حال من إبراهيم.

قل إن 'Aد¹ |x ونسكي ومحياي A\$yJtBurd† لله رب العالمين (١٦٢) لا شريك له

ur/خ/دy7x"أمرت وأنا أول المسلمين (١٦٣)

{ قل إن صلاتي ونسكي { وعبادتي وتقربي كله. وقيل: وذبحي. وجمع بين الصلاة والذبح
كما في قوله: { فصل لربك وانحر { (الكوثر: ٢) وقيل: صلاتي وحجي من مناسك الحج {

ومحياتي ومماتي { وما آتبه في حياتي، وما أموت عليه من الإيمان والعمل الصالح { لله
رب العالمين { خالصة لوجهه { وبذلك { من الإخلاص { أمرت وأنا أول المسلمين { لأن
إسلام كل نبي متقدم لإسلام أمته.

@%è% أغير الله أبغي ربا وهو رب كل شيء ولا تكسب كل نفس إلا عليها ولا â'ح"s؟ وازرة
وزر ٣"u÷ç&zé ثم إلى ربكم مرجعكم فينبئكم بما كنتم فيه tGfrB=دtbqà
اتدح

{ قل أغير الله أبغي ربا { جواب عن دعائهم له إلى عبادة آلهتهم، والهمزة للإنكار،
أي منكر أن أبغي ربا غيره { وهو رب كل شيء { فكل من دونه مربوب ليس في الوجود من له
الربوبية غيره، كما قال: { قل أغير الله تأمروني أعبد { (الزمر: ٦٤)، { ولا تكسب
كل نفس إلا عليها { جواب عن قولهم: { اتبعوا سبيلنا ولنحمل خطاياكم { (العنكبوت:
١٢).

(١٦٣/٤)

وهو الذي جعلكم خلائف الأرض ورفع بعضكم فوق بعض درجات ليلوكم في ما آتاكم إن
ربك

سريع العقاب وإنه لغفور رحيم (١٦٥) {

{ جعلكم خلائف الأرض { لأن محمدا خاتم النبيين فخلفت أمته سائر الأمم. أو جعلهم
يخلف بعضهم بعضا. أو هم خلفاء الله في أرضه يملكونها ويتصرفون فيها { ورفع بعضكم
فوق بعض درجات { في الشرف والرزق { ليلوكم فيما آتاكم { من نعمة المال والجاه، كيف
تشكرون تلك النعمة، وكيف يصنع الشريف بالوضيع، والحر بالعبد، والغني بالفقير { إن
ربك سريع العقاب { لمن كفر نعمته { وإنه لغفور رحيم { لمن قام يشكرها. ووصف العقاب
بالسرعة، لأن ما هو آت قريب.

عن رسول الله : (٣٨٦) "أنزلت علي سورة الأنعام جملة واحدة يشيعها سبعون ألف ملك لهم
زجل بالتسبيح والتحميد فمن قرأ الأنعام واستغفر له أولئك السبعون ألف ملك بعدد كل
آية من سورة الأنعام يوما وليلة.

سورة الأعراف

بسم الله الرحمن الرحيم

{ المص (١) كتاب <Ré"& إليك فلا يكن في صدرك س<lu< منه لتتذر به

3<u<.Eur<

للمؤمنين اثب

}

(١٦٤/٤)

كتاب { خبر مبتدأ محذوف، أي هو كتاب. و { أنزل إليك { صفة له. والمراد بالكتاب
السورة { فلا يكن في صدرك حرج منه { أي شك منه، كقوله: { فإن كنت في شك مما أنزلنا
إليك { (يونس: ٩٤) وسمى الشك حرجا، لأن الشاك ضيق الصدر (١) حرجه، كما أن المتيقن
منشرح الصدر منفسحه. أي لا تشك في أنه منزل من الله، ولا تخرج من تبليغه (٢) لأنه
كان يخاف قومه وتكذيبهم له وإعراضهم عنه وأذاهم، فكان يضيق صدره من الأداء ولا
ينبسط له فأمنه الله ونهاه عن المبالاة بهم. فإن قلت: بم تعلق قوله: { لتتذر { ؟
قلت: بأنزل، أي أنزل إليك لإندارك به أو بالنهاي، لأنه إذا لم يخفهم أنذرهم، وكذلك
إذا أيقن (٣) أنه من عند الله شجعه اليقين على الإنذار؛ لأن صاحب اليقين جسور متوكل
على ربه، متكلم (٤) على عصمته، فإن قلت؛ فما محل ذكرى؟ قلت: يحتمل الحركات
الثلاث.

النصب بإضمار فعلها (٥). كأنه قيل: لتتذر به وتذكر تذكيرا لأن الذكرى اسم بمعنى
التذكير، والرفع عطفًا على كتاب، أو بأنه خبر مبتدأ محذوف (٦).

(١) قوله: لأن الشاك ضيق الصدر أي الحرج لضيق الشك ولازمه فأطلق الحرج وأريد الشك
فيكون كناية .

(٢) قوله: تخرج من تبليغه فعلى هذا اخرج على معناه الحقيقي ولكن المضاف محذوف
ويمكن

أن يكون كناية عن الخوف لأن الخوف أيضا غير مشرح الصدر ويشهد للأول قوله وكان يضيق
صدره من الأذا ، وللثاني قوله فأمنه الله.

(٣) قوله: وكذلك إذا أتقن تعليل لينذر بالنهاي على تأويل الحرج بالشك .

(٤) قوله : متكلم على عصمته التوكل إظهار العجز والاعتماد على الغير .

(٥) قوله: والنصب بإضمار فعلها قال المصنف لم أزعمه معطوفا على محل لينذر لأن
المفعول له يجب أن يكون فاعله ، وفاعل الفعل المعمل واحدا حتى يجوز حذف اللام منه

وهذا ليس بهذه المثابة لأن الإنزال فعل الله والتذكير فعل الرسول .

(٦) قوله: أو خير مبتدأ محذوف وعلى هذا الوجه فهو مستقل بنفسه والجملة

معطوفة على ما قبلها ، وإما على أنه عطف على كتاب فليس بمستقل لأن المعنى هو الجامع من كونه كتابا وكونه ذكرا .

(١٦٥/٤)

والجر للعطف على محل أن تنذر، أي للإنذار وللذكرى. فإن قلت: النهي في قوله: { فلا

يكن { متوجه إلى الحرج فما وجهه؟ قلت: هو من قولهم: لا أرينك ههنا(١).

خ#م#v'èq# ما tAح"Ré& إليكم من ربيكم ولا تتبعوا من دونه أولياء Wx دs%ما

ما

tbrمخ#s.؟ اجب

{ اتبعوا ما أنزل إليكم { من القرآن والسنة { ولا تتبعوا من دونه { من دون الله {

أولياء { أي ولا تتلوا من دونه من شياطين الجن والإنس فيحملوكم على عبادة الأوثان

والأهواء والبدع ويضلوكم عن دين الله وما أنزل إليكم، وأمركم باتباعه. وعن الحسن:

يا ابن آدم، أمرت باتباع كتاب الله وسنة محمد

. والله ما نزلت آية إلا وهو يحب أن تعلم فيم نزلت وما معناها. وقرأ مالك بن دينار:

"ولا تبتغوا" من الابتغاء { ومن يبتغ غير الإسلام دينا { (آل عمران: ٨٥). ويجوز أن

يكون الضمير في { من دونه { لما أنزل، على: ولا تتبعوا من دون دين الله دين أولياء

{ قليلا ما تذكرون { حيث تتركون دين الله وتتبعون غيره. وقرئ: "تذكرون"، بحذف(٢)

التاء. "ويتذكرون" بالياء. و { قليلا { : نصب يتذكرون، أي تذكرون تذكرا قليلا. و {

مآ { مزيدة(٣) لتوكيد القلة.

(١) قوله: وهو لا أرينك هاهنا أي هو من الكناية ظاهرة يقتضي أن المتكلم ينهي نفسه

عن أن يرى المخاطب هناك والمراد نهى المخاطب أن لا يكن هاهنا حتى لا أريك فيه فإن

كينونتك هاهنا مستلزمة لرؤيتي إياك والمعنى إن الحرج لو كان مما ينهي لنهاه عنك

فانته عنه بترك التعرض له .

(٢) قوله: يذكرون بحذف التاء أي بحذف التاء الثانية فإنها جاءت لمعنى فعل الشيء على

مهلة نحو تفهم وتشديد العين يدل على هذا المعن ولو حذف الأولى لبطل معنى الاستقبال

(٣) قوله: وما مزيدة لتوكيد القلة قيل فيؤذن بالعدم . قال أبو التقاء: ولا يجوز أن

يكون ما مصدرية لأن قليلا لا تنتقاله ناصب .

(١٦٦/٤)

وكم من قرية أهلكتها فجاءها بأسنا بياتا أو هم ٢cqe ح %s\$! احب
{ فجاءها } فجاء أهلها { بياتا } مصدر واقع موقع الحال، بمعنى بائتين. يقال: بات
بياتا حسنا، وبينة حسنة، وقوله: { هم قائلون } حال معطوفة على "بياتا"، كأنه قيل:
فجاءهم بأسنا بائتين أو قائلين. فإن قلت: هل يقدر حذف المضاف الذي هو الأهل قبل {
قرية } أو قبل الضمير في { أهلكتها } ؟ قلت: إنما يقدر المضاف للحاجة ولا حاجة،
فإن القرية تهلك كما يهلك أهلها. وإنما قدرناه (١)

(١) قوله : وإنما قدرناه قبل الضمير في فجاءها أراد أنه إنما يقدر المضاف لضرورة
طلب الرجوع ولولاه لكان لنا مندوحة عن تقديره لصحة إطلاق الهلاك على القرية نفسها
حقيقة كما يصح إطلاقه على الأهل كذلك . وقال صاحب الفرائد : أراده الحقيقة مانعة من
إرادة المجاز ، وهو الهل لها هنا فإن كان المراد من ذكر القرية هنا الأهل بدليل {
أو هم قائلون } امتنع أن يكون مفهوم القرية مرادا وإن يكون داخلا في الإرادة. وأجيب
: بأن إرادة الحقيقة والمجاز إنما يلزم إذا أريد بالقرية أهلها ونفسها معا وليس
كذلك فإننا نقدر المضاف في الثاني لا في الأول. فعلى هذا توجه الإهلاك إلى أهل
ليستلزم إهلاك القرية على الكناية فكأنه قيل : وكم من قرية أردنا إهلاكها فأهلكنا
أهلها لتبقى معطلة خاوية على عروشها لتكون عبرة لغيرها فالضمير في أهلكتها وفي
فجاءها راجع إلى القرية وفي أو هم راجع إلى الأهل المقدر في فجاءها . وقال ابن
الحاجب: وفي إعادة الضمير على القرية وجهان أحدهما أنك أقمته مقام المحذوف فصارت
المعاملة معه يعني أن الضمائر راجعة إلى القرية تارة باعتبار لفظها وأخرى باعتبار
المحذوف ، وثانيهما أن يقدر في الثاني حذف المضاف كما قدر في الأول أي وكم من قرية
أهلكنا أهلها فجاء أهلها بأسنا بياتا أوهم قائلون..

(١٦٧/٤)

قبل الضمير في { فجاءها } لقوله { أو هم قائلون } فإن قلت: لا يقال: جاءني زيد هو
فارس، بغير واو، فما بال قوله: { هم قائلون } ؟ قلت: قدر بعض النحويين الواو

(١) قوله: ورده الزجاج . قال الزجاج : لو قلت جاءني زيد راجلا أو هو فارس لم يحتج إلى الواو لأن لفظه هو هاهنا ملفوظة وعائده على الأول فالرابطة الظاهرة وهي لفظة هو موجودة فلا يحتاج إلى الواو المقدرة للربط. قال المصنف والصحيح أنها إذا عطفت إلى آخره أراد أن الواو هنا محتاج إليها لأن الجملة مستقلة فلا بد من الواو ولكن إنما لم يذكر الواو في الآية لأنه لو قيل أو هم قائلون لكان ثقيلا والمراد بالوصل الربط ، فقولك جاءني زيد راجلا أو هو فارس كلام فصيح لأن لفظة أو عطفت ما بعده على راجلا ، الذي هو حال وتقدم الحال يدل على أن الذي عطف عليه حال أيضا وهو صحيح وتقديره جاءني

إما في هذه الحال أو في تلك ، أما لو قال ابتداء جاءني زيد هو فارس فلا يحسن لأن هو فارس جملة مستقلة لم تعطف على حال متقدمة فلا بد من الواو وإذا لم (وإذ لم) يتقدمها ما يدل على أنها حال ولم يلزم من ذكرها استتقبال فلهذا قال فحيث، أي رديء . وقال صاحب الفرائد: فيما ذكره المصنف نظر لأنه يشكل بقوله اهبطوا بعضكم لبعض عدو فالجملة حال بدون الواو وإنما صح ذلك لمكان العائد إذ قد حصل به الارتباط المطلوب بالواو فعلى هذا لا وجه لما ذكر من أن الحال المعطوفة على الحال صحت بدون الواو لاستتقبال حرفي العطف وإن الحال التي لم يعطف عليها لم تصح بدون الواو فلم يمتنع صحة قولنا جاءني زيد هو فارس لتحقيق العائد ..وأقول: لا نظر لأن أئمة العربية قد فرقوا بين قولك جاءني زيد هو فارس وبين نحو قوله: تعالى { اهبطوا بعضكم لبعض عدو } وذلك لأن المبتدأ في الجملة الحالية أولا ضمير ذي الحال بخلاف المبتدأ في الجملة الحالية

ثانيا فإنه ليس ضمير ذي الحال بل هو اسم مشتمل عليه وقد نصوا على أن المبتدأ في الجملة الحالية الاسمية إذا كان ضمير ذي الحال حيث ترك الواو وإلا لم يخبث . قال الأندلسي : إن كان المبتدأ ضمير صاحب الحال وجب الواو نحو جاءني زيد وهو راكب ولعل ذلك لكون مثل هذه الجملة في معنى المفرد سواء إذ المعنى جاءني زيد راكبا فصدرت بالواو إيذانا من أول الأمر بكون الحال جملة وإن أدت معنى المفرد وإن لم يكن المبتدأ ضمير صاحب الحال نظريا فإن كان الضمير فيما صدر به الجملة سواء كان مبتدأ نحو جاءني زيد يده على رأسه وكلمته فوه إلى في، أو خبرا نحو قوله:

خرجت مع على سواد

فلا يحكم بضعفه مجردا عن الواو وذلك لكون الرابط في أول الجملة ون كان الضمير في

آخر الجملة كقوله :

نصف النهار الماء عامرة

فلا شك في ضعفه وقلته. وقال الطيني : قال صاحب المفتاح: وأما الاسمية فالوجه الواو لأنها دالة على الثبوت إلا صورا معدودة ، وأما قوله تعالى { اهبطوا بعضكم لبعض عدو } فعلى تأويل متعادين كما قال ابن الحاجب معنى كلمته فوه إلى في كلمته مشافها والوجه أنه لما كثر استعماله حتى علم منه معنى المشافهة من غير نظر لى التفصيل حتى يفهم ذلك من لم يخطر بباله فم المتكلم ولا فم غير فصار كالمفردات يعلم (فعلم) أن ذلك إنما يصح في جملة يمكن أن ينتزع من طرفيها يدل على معنى مفرد ولا كذلك جائني زيد هو فارس فعلى هذا معنا (١٦٨/٤)

وقال: لو قلت جاءني زيد راجلا، أو هو فارس. أو جاءني زيد هو فارس، لم يحتج فيه إلى واو، لأن الذكر قد عاد إلى الأول. والصحيح أنها إذا عطفت على حال قبلها حذفت (١)

(١) قوله: حذفت الواو استقلا لأنها حذفت لفظا مع كونها مراده لأن الذكر وحده غير رابط ولولا الاستقلال لم يحسن حذفها. وقال الطيني: إن المصنف قابل قوله خبيث بقوله فصيح فلا يلزم منه الامتناع بل عدم الفصاحة. وقال صاحب الانتصاف : الاكتفاء بالضمير

في الجملة الاسمية الواقعة حالا ضعيف والأفصح دخول الواو كما اختاره المصنف ،ويمكن (ولكن) في قوله واو الحال واو عطف نظر فإنها امتازت بدخولها على جملة اسمية بعد فعلية تقول: جاءني زيد وهو راكب ويفتح ذلك في العاطفة فلا امتيازها عنها يصح اجتماعها معها وإن كان معنى العطف فيها ولهذا لم يقبح دخولها كما لم يقبح الجمع بين حرفي عطف ، فتقول سبح الله وأنت راعع أو وأنت ساجد. والتحقيق إن المصحح لوقوع الجملة المعطوفة على الحال حلا هو العطف المقتضي للمشاركة له فاستثنى به عن واو الحال كما يعطف على المقسم به فيدخله في القسم من غير حرف قسم في مثل { والضحي والليل إذا سجي

{ ولو قلت في غير التلاوة وبالليل لصح . والحاصل : أنه لو جاءت واو الحال مع العاطف لم يكن مستكرها بل مؤكدا وإن لم تأت بها كان فصيحاً مختصراً . وقال في الانتصاف :تنظيره بالقسم فاسد لأن حرف القسم لا يشارك حرف العطف ومعناه بخلاف واو الحال والعلة التعليل بها مفقودة في القسم . وأجيب عما أورده صاحب الانتصاف : بأن المصنف

لم يقل بأن واو الحال هي واو العطف حال كونها واو الحال لأنه قال :استعيرت للوصل وهذا تصريح بأن واو الحال غير العاطفة الصرفة . والتحقيق أنها في الأصل للعطف وأما إذا دخلت على الحال فليست عاطفة إذ اعرب الحال ليس ي.....الخفض والهاء عوض عن الواو وإنما ثبتت الحال الثانية على تقوى الحكم والدلالة على قوة أمرهم فيما اسند إليهم دون الأولى لأن القيلولة أظهر في إرادة الدعة فإنها من دأب المترفين والمتنعمين دون غيرهم . وفيه إشارة إلى أنهم كانوا أرباب أشر وبطر.

(١٦٩/٤)

الواو استثقالا . لاجتماع حرفي عطف، لأن واو الحال هي واو العطف استعيرت للوصل، فقولك: جاءني زيد آجلا أو هو فارس، كلام فصيح وارد على حده وأما جاءني زيد هو فارس فخبث. فإن قلت: فما معنى قوله: { أهلكناها فجاءها بأسنا } والإهلاك إنما هو بعد مجيء البأس؟ قلت: معناه أردنا إهلاكها، كقوله: { إذا قمتم إلى الصلاة } (المائدة: ٦) وإنما خص هذان الوقتان وقت البيات ووقت القيلولة، لأنهما وقت الغفلة والدعة، فيكون نزول العذاب فيهما أشد وأفزع، وقوم لوط أهلكوا بالليل وقت السحر، وقوم شعيب وقت القيلولة.

فما كان دعواهم إذ جاءهم بأسنا إلا أن (#s\$٩ûq% إنا كنا ظالمين اخب { فما كان دعواهم } (١) ما كانوا يدعونه من دينهم ويتحلونه من مذهبهم إلا اعترافهم ببطالانه وفساده. وقولهم: { إنا كنا ظالمين } فيما كنا عليه. ويجوز: فما كان استغاثتهم إلا قولهم هذا، لأنه لا مستغاث من الله بغيره، ومن قولهم دعواهم: يا لكعب. ويجوز، فما كان دعواهم ربهم إلا اعترافهم لعلمهم أن الدعاء لا ينفعهم، وأن لات حين دعاء، فلا يزيدون على ذم أنفسهم وتحسرهم على ما كان منهم، { دعواهم } نصب خبر لكان، و { أن قالوا } رفع اسم له، ويجوز العكس.

(١) قوله: فما كان دعواهم ما كانوا يدعونه . اعلم أن دعواهم إما من الدعوى وإما من الدعاء وعلى الأول قوله { إنا كنا ظالمين } كناية عن اعترافهم ببطالان ما كانوا يدعونه أي وضعنا الشيء في غير موضعه ، وعلى الثاني الدعاء إما محمول على الاستعانة فيكون قوله { إنا كنا ظالمين } على هذا كناية عن رجوعهم مما كانوا يستغيثون إليه قبل ذلك ، وإما مجرى على ظاهره فيكون قوله { إنا كنا ظالمين } كناية عن اعترافهم

بالظلم لكن المراد به ظلم أنفسهم بالمعاصي.

(١٧٠/٤)

J9\$# چك TMy=dsYs9ur tûü."n=t sYn=sù,"n=t` (6) فلنقصن Nخkژم n=t

بعلم وما كنا رُؤخ ٧ ح xi\$! اذب

{ فلنسألن الذين أرسل إليهم } { أرسل { مسند إلى الجار والمجرور وهو { إليهم } ومعناه: فلنسألن المرسل إليهم وهم الأمم، يسألهم عما أجابوا عنه رسلهم، كما قال: { ويوم يناديهم فيقول ماذا أجبتم المرسلين } (القصص: ٦٥) ويسأل المرسلين عما أجيبوا

به، كما قال: { يوم يجمع الله الرسل فيقول ماذا أجبتم } (المائدة: ١٠٩)، { فلنقصن عليهم { على الرسل والمرسل إليهم ما كان منهم { بعلم { عالمين بأحوالهم الظاهرة والباطنة وأقوالهم وأفعالهم { وما كنا غائبين { عنهم وعما وجد منهم، فإن قلت: فإذا كان عالما بذلك وكان يقصه عليهم، فما معنى سؤالهم؟ قلت: معناه التوبيخ والتفريع والتقرير إذا فاهوا به ألسنتهم وشهد عليهم أنبيأؤهم.

والوزن يومئذ الحق فمن ثقلت $\frac{1}{4}$ مçfZ- uqtB" فأولئك هم

ثcقك=sd8 J9\$# ومن خفت

àtf =Jتbqك فأتانا YfمçfZ- uqtB" فأولئك الذين خسروا أنفسهم بما كانوا بآياتنا J9\$# (9) }

(١٧١/٤)

والوزن يومئذ الحق { يعني وزن الأعمال والتمييز بين راجحها وخفيفها. ورفعها على الابتداء. وخبره (١) { يومئذ { . و { الحق { صفته أي: والوزن يوم يسأل الله الأمم ورسلمهم الوزن الحق، أي العدل. وقرئ: "القسط". واختلف في كيفية الوزن فقليل: توزن صحف الأعمال بميزان له لسان وكفتان، تنظر إليه الخلائق، تأكيداً للحجة، وإظهاراً للنصفة، وقطعاً للمعذرة، كما يسألهم عن أعمالهم فيعترفون بها بألسنتهم، وتشهد بها عليهم أيديهم وأرجلهم وجلودهم، وتشهد عليهم الأنبياء والملائكة والإشهاد، وكما تثبت في صحائفهم فيقرؤونها في موقف الحساب. وقيل: هي عبارة عن القضاء السوي والحكم العادل

{ فمن ثقلت موازينه { جمع ميزان أو موزون، أي فمن رجحت أعماله الموزونة التي لها وزن وقدر وهي الحسنات. أو ما توزن به حسناتهم(٢). وعن الحسن: وحق ميزان توضع فيه الحسنات أن يثقل. وحق الميزان توضع فيه السيئات أن يخف. { بآياتنا يظلمون { يكذبون بها ظلما(٣): كقوله: { فظلموا بها { (الإسراء: ٥٩).
 %s9urδ مكناكم في الأرض وجعلنا لكم فيها معاش %s=دWx ما تشكرون اتةب }

(١) قوله: وخبره يومئذ والحق صفته وإنما لم يجعل الحق خبرا ويومئذ ظرف له أو للوزن

لأن المقام يشهد بأنه لم يقصد الإخبار عن مطلق الوزن بل قصد الإخبار عن الوزن الحق فيتعين كون الحق صفة ويؤيد ذلك عدم الإتيان بضمير الفصل .

(٢) قوله: أو ما يوزن به حسناتهم عطف على قوله أعماله الموزونة وهذا على أن يراد بالموازن جمع ميزان فقوله فمن رجحت إلى آخره لقوه جمع ميزان أو موزون من غير ترتيب.

(٣) قوله: يكذبون بها ظلما أراد أن قوله يظلمون ضمن معنى التكذيب وعدى تعديته.

(١٧٢/٤)

مكناكم في الأرض { جعلنا لكم فيها مكانا وقرارا. أو ملكناكم فيها(١) وأقدرناكم على التصرف فيها { وجعلنا لكم فيها معاش { جمع معيشة وهي ما يعاش به من المطاعم والمشارب وغيرها. وما يتوصل به إلى ذلك. والوجه تصريح الياء(٢). وعن ابن عامر: أنه همز، على التشبيه بصحائف.

ولقد sY)n=yz"Na6 ثم صورناكم ثم قلنا للملائكة اسجدوا لآدم فسجدوا إلا

{ثد=/خ) لم

يكن من ٩،،"f٩%oöi # \$ اتتب

}

(١) قوله: أو ملكناهم فيها يعني مكناكم إما مجرى على ظاهره أو هو كناية عن الإمداد

على المتصرف فيها ، وإنما حكم في سورة الأنعام في قوله: { مكناهم في الأرض مالم

نمكن لكم { بأن كلتي العبارتين كناية ، وخالف هاهنا لأن الخطاب في الأنعام مع أهل

مكة وقد ضمن معنى الاعتبار بالأمم السالفة فالمناسب سلوك طريق الكناية ليكون أبلغ

وهنا الخطاب عام وقد ضمن معنى الامتنان لدلالة قوله { ولقد خلقناكم ثم صورناكم }
فالمناسب الإجراء على الظاهر ولذلك عطف قوله { وجعلنا لكم فيها معاش } عليه وإجراء
المصنف الكناية عن التصريح .

(٢) قوله: والوجه تصريح الياء قال الزجاج : أجمع البصريون على أن الهمزة لا تكون
إلا إذا كانت الياء زائدة نحو صحيفة وصحائف لأنها من الصحف ، وأما معاش فمن العيش
فالياء أصلية وإنما همزت الزائدة لأنه لاحظ لها في الحركة وقد قرأت من آخر الكلمة
ولزمتهما الحركة فأوجبوا الهمز وحكوا في مصائب الهمز وأجمعوا على أن الاختيار

والا أعرف وجه معاش إلا أن هذه الياء أسكنت في معيشة فصارت على لفظ صحيفة فحمل
الجمع على ذلك.

(١٧٣/٤)

ولقد خلقناكم ثم صورناكم { يعني خلقنا أباكم آدم طينا غير مصور ، ثم صورناه بعد ذلك.
ألا ترى إلى قوله (١): { ثم قلنا للملائكة اسجدوا لآدم } الآية { من الساجدين } ممن
سجد لآدم.

قال ما منعك ألا تسجد إذ أمرتك قال أنا ضريح yz منه سة tF)n=yz من نار وخلقته من
طين
اتشب

{ ألا تسجد } "لا" في { أن لا تسجد } صلة بدليل قوله: { ما منعك أن تسجد لما خلقت
بيدي } (ص: ٧٥) ومثلها { لئلا يعلم أهل الكتاب } (الحديد: ٢٩) بمعنى ليعلم: فإن
قلت: ما فائدة زيادتها؟ قلت: توكيد معنى الفعل الذي تدخل عليه وتحقيقه كأنه قيل:
ليتحقق علم أهل الكتاب. وما منعك أن تحقق السجود وتلزمه نفسك؟ { إذ أمرتك } لأن
أمرى لك بالسجود أوجب عليك إيجابا وأحتمه عليك حتما لا بد منه، فإن قلت: لم سألته
عن المانع من السجود، وقد علم ما منعه؟ قلت: للتوبيخ، وإظهار معاندته وكفره وكبره
وافتحاره بأصله وازدراؤه بأصل آدم، وأنه خالف (٢) أمر ربه معتقدا أنه غير واجب عليه،
لما رأى أن سجود الفاضل للمفضول خارج من الصواب. فإن قلت: كيف يكون قوله: { أنا
خير

منه } جوابا لما منعك، وإنما الجواب أن يقول: منعني كذا؟ قلت: قد استأنف قصة أخبر
فيها عن نفسه بالفضل على آدم، وبعلة فضله عليه، وهو أن أصله من نار وأصل آدم من
طين، فعلم منه الجواب وزيادة عليه، وهي إنكار للأمر واستبعاد أن يكون مثله مأمورا

بالسجود لمثله، كأنه يقول: من كان على هذه الصفة كان مستبعدا أن يؤمر بما أمر به.

- (١) قوله: ألا ترى إلى قوله ثم قلنا يا أباه . قيل ويمكن حمل ثم على التراخي في الرتبة لأن مقام الامتنان يؤذن أن كون آدم مستحوذا للملائكة أرفع درجة من خلقهم وتصويرهم.
- (٢) قوله: وأنه خالف أمر ربه . قيل هو عطف تفسيري على قوله معاندته وكفره.
- (١٧٤/٤)

قال فاهبط منها فما يكون لك أن u چ ٦Fs3s؟ فيها فاخرج R7y (خ) من
tûi حجة"٩\$# اتجب

{ فاهبط منها { من السماء التي هي مكان المطيعين المتواضعين من الملائكة، إلى الأرض التي هي مقر العاصين المتكبرين من الثقلين { فما يكون لك { فما يصح (١) لك { أن تتكبر فيها { وتعصي { فاخرج إنك من الصاغرين { من أهل الصغار والهوان على الله وعلى أوليائه لتكبرك، كما تقول للرجل: قم صاغرا، إذا أهنته. وفي ضده: قم راشدا. وذلك أنه لما أظهر الاستكبار ألبس الصغار. وعن عمر رضي الله عنه: من تواضع لله رفع الله حكمته وقال: انتعش أنعشك الله. ومن تكبر وعدا طوره وهصه الله إلى الأرض.

قال 'د Tچد&àR إلى يوم يبعثون (١٤) قال R7y (خ) من tûi حجçàZك #J9\$
(15))

ذ فإن قلت: لم أجيب إلى استنظاره، وإنما استنظر ليفسد عباده ويغويهم قلت: لما في ذلك من ابتلاء العباد، وفي مخالفته من أعظم الثواب، وحكمه حكم ما خلق في الدنيا من صنوف الزخارف وأنواع الملاذ والملاهي، وما ركب في الأنفس من الشهوات ليمتحن بها عباده.

%tA\$s بما أغويتني %م%by" { لهم y7sغ uزاه المستقيم (١٦) ثم لآتينهم من بين

خNخ%د%fr& ومن خلفهم وعن Nخkب" [fr÷y& وعن Nخgد=ح
!o\$w ولا تجد &sV.rچNèdu
٣"خ© اتذب
}

(١) قوله: فما يصح لك ربما (أنما) تأول يكون بيصح لأن التكبر كان كائنا فيها

والمراد بالصحة الجواز الذي هو نقيض الحظر ومعنى رفع الله حكمته قدره ومنزلته ،
ومعنى انتعش ارتفع والوهض الرمي الشديد وشدة الوطئ وكسر الشيء الرخو.
(١٧٥/٤)

فبما أغويتني { فسبب إغوائك إياي لأقعدن لهم. وهو تكليفه (١) إياه ما وقع به في
الغي ولم يثبت كما ثبتت الملائكة مع كونهم أفضل منه ومن آدم أنفسا ومناصب، وعن
الأصم: أمرتني بالسجود فحملني الأنف على معصيتك. والمعنى: فسبب وقوعي في الغي
لأجتهدن في إغوائهم حتى يفسدوا بسببي، كما فسدت بسببهم. فإن قلت: بم تعلق الباء،

فإن تعلقها بالأقعدن يصد عنه لام القسم، لا تقول: والله بزيد (٢) لأمرن؟ قلت: تعلق
بفعل القسم المحذوف تقديره: بما أغويتني أقسم بالله لأقعدن، أي فسبب إغوائك أقسم.
ويجوز أن تكون الباء للقسم، أي: فأقسم بإغوائك لأقعدن، وإنما أقسم بالإغواء؛ لأنه
كان تكليفا، والتكليف من أحسن أفعال الله، لكونه تعريضا لسعادة الأبد، فكان جديرا
بأن يقسم به. ومن تكاذيب المجبرة ما حكوه عن طاوس: أنه كان في المسجد الحرام فجاء
رجل من كبار الفقهاء يرمي بالقدر (٣)، فجلس إليه فقال له طاوس: تقوم أو تقام، فقام
الرجل، فقيل له: أتقول هذا لرجل فقيه؟ فقال: إيليس أفقه منه، قال رب بما أغويتني،
وهذا يقول: أنا أغوي نفسي، وما ظنك بقوم بلغ من تهالكهم على إضافة القبائح إلى الله
سبحانه، أن لفقوا الأكاذيب على الرسول والصحابة والتابعين. وقيل: { ما } للاستفهام،
كأنه قيل: بأي شيء أغويتني، ثم ابتدئ لأقعدن. وإثبات الألف إذا أدخل حرف الجر على
"ما" الاستفهامية، قليل شاذ. وأصل الغي الفساد. ومنه: غوى الفصيل، إذا بشم.

-
- (١) قوله: وهو تكليفه إياه بيان للسبب وما وقع به في الغي يأتي مفعولي التكليف يعني
أعوان الله هو تكليف الله إياه ما وقع بسببه في الغي وهو أمره بالسجود.
(٢) قوله: والله بزيد لأمرن لأن معمول المقسم عليه لا يتقدمه لأن اللام تصد عن ذلك.
(٣) قوله: يرمي بالقدر أي بالاعتزال وقوله هذا حكاية لقول المجبرة لأنه لا يسمى
المعتزلة قدرية لأن القدرية عندهم المجبرة.

(١٧٦/٤)

والبشم: فساد في المعدة { لأقعدن لهم صراطك المستقيم } لأعرضن لهم على طريق
الإسلام كما يعترض العدو على الطريق ليقطعه على السابلة وانتصابه على الظرف (١)،

كقوله:

كما غسل الطريق الثعلب

وشبهه الزجاج بقولهم: ضرب زيد الظهر والبطن، أي على الظهر والبطن. وعن رسول الله

:

)

(١) قوله: وانتصابه على الظرف ، قيل فيه إشكال لأن حكم مؤقت المكان كحكم غير

الظروف

فلا تحذف في البيت شاذ وعذره ما قال الزجاج ولا اختلاف بين النحويين في أن على

محذوفة ومثله قولهم ضرب زيد الظهر والبطن أي على الظهر والبطن وأول البيت:

لذن يهز الكف يغسل فيه كما غسل الطريق الثعلب

اللدن اللين والغسل والغسلان الإسراع وغسل الرمح اهتز والضمير في فيه للهز أو للكف

واطريقة جمع طريق لأنه يذكر وارفعه وباعتبار التأنيث يجمع على أطرق

كيمين وأيمن .

(١٧٧/٤)

٣٨٧) "إن الشيطان قعد لابن آدم بأطرقه: قعد له بطريق الإسلام فقال له: تدع دين

آبائك، فعصاه فأسلم. ثم قعد له بطريق الهجرة فقال له: تدع ديارك وتتغرب، فعصاه

فهاجر ثم قعد له بطريق الجهاد فقال له: تقاتل فتقتل فيقسم مالك وتنكح امرأتك، فعصاه

فقاتل" { ثم لآتينهم } من الجهات الأربع التي يأتي منها العدو في الغالب. وهذا

مثل(١) لوسوسته إليهم وتسويله ما أمكنه وقدر عليه، كقوله: { واستفز من استطعت منهم

بصوتك وأجلب عليهم بخيلك ورجلك } (الإسراء: ٦٤). فإن قلت: كيف قيل: { من بين

أيديهم

ومن خلفهم { بحرف الابتداء } وعن أيماهم وعن شمائلهم { بحرف المجاوزة؟ قلت:

المفعول فيه عدي إليه الفعل نحو تعديته إلى المفعول به. فكما اختلفت حروف التعدية

في ذاك اختلفت في هذا، وكانت(٢) لغة تؤخذ ولا تقاس. وإنما يفتش عن صحة موقعها فقط،

فلما سمعناهم يقولون: جلس عن يمينه وعلى يمينه، وعن شماله وعلى شماله، قلنا: معنى

"على يمينه" أنه تمكن من جهة اليمين تمكن المستعلي من المستعلي عليه. ومعنى "عن

يمينه" أنه جلس متجافيا عن صاحب اليمين منحرفا عنه غير ملاصق له.

(١) قوله: مثل لو سوسته إليهم أي استعمال هذه الألفاظ على سبيل التمثيل والتخييل وهو أن يوجد الزبدة والخلاصة من المجموع وهو تسويله ما أمكنه وقدر عليه من غير تصور الجهات ويشبه بإتيان العدو من الجهات الأربع. قال القاضي من أي وجه تمكنه كإتيان

العدو من الجهات الأربع ولذلك لم يقل من فوقهم ومن تحت أرجلهم والتسويل تحسين الشيء وتزيينه.

(٢) قوله: وكانت لغة تؤخذ لغة خبر كان ويوجد صفة . وقيل لغة تمييز ويؤخذ هو الخبر واسمه ضمير الحروف وزبدة الجواب أن اختصاص كل من المفعول فيه والمفعول به مما اختص به من الحرف إنما كان يوضع الواضع فلا يسأل عن علة ذلك وإنما يسأل عن حسن موقع كل واحد عند الاستعمال وهذا الجواب كأنه وارد على الأسلوب الحكيم .
(١٧٨/٤)

ثم كثر حتى استعمل في المتجافي وغيره، كما ذكرنا في "تعال". ونحوه من المفعول به قولهم
رمى عن القوس، وعلى القوس، ومن القوس؛ لأن السهم يبعد عنها، ويستعليها إذا وضع على كبدها للرمي، ويتبدى الرمي منها. كذلك قالوا: جلس بين يديه وخلفه بمعنى فيه؛ لأنهما ظرفان للفعل. ومن بين يديه ومن خلفه: لأن الفعل يقع في بعض الجهتين، كما تقول: جئته من الليل، تريد بعض الليل، وعن شقيق: ما من صباح إلا قعد لي الشيطان على أربع مراصد: من بين يدي، ومن خلفي، وعن يميني، وعن شمالي: أما من بين يدي (١) فيقول: لا تخف، فإن الله غفور رحيم، فأقرأ: {واني لغفار لمن تاب وآمن وعمل صالحا} (طه: ٨٢) وأما من خلفي، فيخوفني الضيعة على مخلفي (٢) فأقرأ: {وما من دابة في الأرض إلا على الله رزقها} (هود: ٦) وأما من قبل يميني، فيأتي من قبل الشاء فأقرأ: {والعاقبة للمتقين} (الأعراف: ١٢٨) وأما من قبل شمالي فيأتي من قبل الشهوات فأقرأ: {وحيل بينهم وبين ما يشتهون} (سبأ: ٥٤). {ولا تجد أكثرهم شاكرين} قاله تظني، بدليل قوله: {ولقد صدق عليهم إبليس ظنه} (سبأ: ٢٠) وقيل: سمعه من الملائكة بإخبار الله تعالى لهم.

قال اخرج منها مذهباً مدحوراً لمن تبعك منهم $B^{\cdot\cdot} | bV$ جهنم منكم أجمعين اترب

}

- (١) قوله: إما من بين يدي تقديره أما إذا جلس بين يدي فيقول.
- (٢) قوله: على مخلفي بفتح اللام وتشديد الياء على أنه جمع مضاف إلى الياء ومخلف الرجل من يخلف بعده كالولد .
- (١٧٩/٤)

مذءوما { من ذأمه إذا ذمه. وقرأ الزهري: "مذوما"، بالتخفيف، مثل مسول في مسؤل.

واللام في { لمن تبعك } موطئه للقسم. و { لأملأن } جوابه، وهو ساد مسد جواب الشرط { منكم } منك ومنهم، فغلب ضمير المخاطب، كما في قوله: { إنكم قوم تجهلون } (١)

(الأعراف: ١٣٨). وروى عصمة عن عاصم: "لمن تبعك" بكسر اللام، بمعنى: لمن تبعك منهم

هذا الوعيد، وهو قوله: { لأملأن جهنم منكم أجمعين } ، على أن { لأملأن } في محل الابتداء، و { لمن تبعك } خبره.

ويا آدم اسكن أنت وزوجك الجنة فكلا من ك [xm شئتما ولا t/u\$چ s؟ dn"yd

چ nou yfO±9\$# فتكونا من الظالمين (١٩) فوسوس لهما الشيطان ليبيدي لهما ما ووري عنهما

من yJ\$خgد؟"unqy™ وقال ما نهاكما ربكما عن dn"yd ou چ yfO±9\$# إلا أن تكونا ملكين

أو تكونا من tûi\$دح"20 (sfù:\$# وقاسمهما 'دoTخ) لكما لمن الناصحين (٢١) فدلاهما

بغرور فلما ذاقا چ nou yfO±9\$# بدت لهما yJ\$هuèkqy™ وطفقا يخصفان

من yJ\$خkz=nم من

ورق p`Ypgù\$# وناداهما ربهما ألم أنهكما عن تلكما د ou چ yfO±9\$# وأقل لكما إن

الشيطان لكما عدو xûüخv-B اثتب }

- (١) قوله : كما في قوله { إنكم قوم تجهلون } الأصل يجهلون بالياء لأنه صفة قوم فغلب

الخطاب في الكاف فجيء بالتاء.

(١٨٠/٤)

ويا آدم { وقلنا(١): يا آدم. وقرىء: "هذي الشجرة"(٢) والأصل الياء، والهاء بدل منها، ويقال: وسوس، إذا تكلم كلاما خفيا يكرره. ومنه وسوس الحلي، وهو فعل غير متعد، كقولت المرأة ووعوع الذئب، ورجل موسوس بكسر الواو ولا يقال موسوس بالفتح، ولكن موسوس له، وموسوس إليه، وهو الذي تلقي إليه الوسوسة. ومعنى وسوس له: فعل الوسوسة لأجله، وسوس إليه: ألهاها إليه { ليدي { جعل ذلك غرضا له ليسوءهما إذا رأيا ما يؤثران ستره، وأن لا يطلع عليه مكشوبا. وفيه دليل على أن كشف العورة(٣) من عظام الأمور، وأنه لم يزل مستهجنا في الطباع مستقبحا في العقول.

(١) قوله: ويا آدم وقلنا يا آدم إنما قدر قلنا لتؤذن بأن هذه بتمامها معطوفة على مثلها، وهو قوله { قلنا للملائكة اسجدوا { لا على قال مع أنه أقرب وإنها كرامة أخرى منحت أبا البشر امتنانا على المخاطبين من أولاده.

(٢) قوله: وقرأ هذي السحرة قال ابن جني: قرأها ابن والهاء في ذه بدل من الياء في ذي ويدل على الياء الأصل قولهم في المذكر ذا والألف بدل من الياء فإن أصله عندنا ذي فحذفت الياء الثانية فبقي ذي قال أبو علي فكرهوا أن .. آخره ... فأبدلوا الفاء والذي يدل على أن أصل ذا ذي وأنه ثلاثي جواز تحقيره في قولك ذيا ولو كان ثنائيا لما جاز تحقيره كما لا يحقر ما ومن.

(٣) قوله: وفيه دليل على أن كشف العورة من عظام الأمور أي جعل الإبداء غرضا للشيطان في الوسوسة دليل على أنه مطلوبة الأولى وأنه مهتم بشأنه لكونه مستتبعا للإخراج من الجنة وموجبا للفضيحة وشماتة العدو وكذا في انتفاع ما ووري موقع العورة وبيانه بقوله من سوءاتهما إيذان بمريد الشناعة والقبح قيل وإنما كان مستقبحا في الطباع والعقول لأنه لم يكن في الجنة تكليف سوى المنع من أكل الشجرة.

(١٨١/٤)

فإن قلت: ما للواو المضمومة في { ووري { لم تقلب همزة كما قلت في أو يصل(١)؟ قلت: لأن الثانية مدة كألف وارى. وقد جاء في قراءة عبد الله: "أورى" بالقلب { إلا أن تكونا ملكين { إلا كراهة أن تكونا ملكين. وفيه دليل على أن الملكية بالمنظر الأعلى،

وأن البشرية تلمح مرتبتها (٢) كلا ولا . وقرىء: "ملكين" بكسر اللام، كقوله { وملك لا يبلى { (طه: ١٢٠). { من الخالدين { من الذين لا يموتون ويبقون في الجنة ساكنين. وقرىء: "من سواتهما"، بالتوحيد، "وسواتهما"، بالواو المشددة { وقاسمهما { وأقسم لهما { إني لكما لمن الناصحين { . فإن قلت: المقاسمة أن تقسم لصاحبك ويقسم لك تقول:

قاسمت فلانا حالفته، وتقاسما تحالفا. ومنه قوله تعالى: { تقاسموا بالله لنبينه { (النمل: ٤٩). قلت: كأنه قال لهما: أقسم لكما (٣) إني لمن الناصحين، وقالوا له أتقسم بالله إنك لمن الناصحين، فجعل ذلك مقاسمة بينهم. أو أقسم لهما بالنصيحة (٤) وأقسما له بقبولها.

-
- (١) قوله: كما في أو يضل هو تصغير وأضل وأصله ويضل .
- (٢) قوله : يلمح مرتبتها كلا ولا أي ينظر إلى مرتبتها نظرا كلا نظر والثاني تأكيد.
- (٣) قوله: كأنه قال أقسم لكما أي لكما لمن الناصحين وقالوا أتقسم بالله إنك لمن الناصحين جعل تقريرهما لقسم إبليس بمنزلة قسمهما فإن الهمزة في أنفسهم (أتقسم) بالله أنك للتقرير. وقال صاحب الانتصاف: في الكلام لف لأن آدم وحوى لا يقسمان بلفظ التكلم بل بلفظ الخاب. الطيني: وكلام المصنف إلى التغليب أقرب .
- (٤) قوله: أو أقسم لهما بالنصيحة وأقسما له بقبولها. الانتصاف: إنما يتم هذا لو لم يذكر المقسم عليه أما إذا ذكره فلا يتم إلى بأن يسمى قبول النصح نصحا للمقابلة كما قرأ { وواعدنا موسى { جعل بالوعد وحضوره وعد . الطيني: وكلامه من أوله إلى آخره مدخول لأن الكلام لما دل على القسم من الطرفين فيجب تقرير المقسم والمقسم عليه بغير المذكور .

(١٨٢/٤)

أو أخرج قسم إبليس على زنة المفاعلة، لأنه اجتهد فيه اجتهد المقاسم { فدلاهما { فنزلهما إلى الأكل من الشجرة { بغرور { بما غرهما به من القسم بالله. وعن قتادة: وإنما يخدع المؤمن بالله. وعن ابن عمر رضي الله عنه: أنه كان إذا رأى من عبده طاعة وحسن صلاة أعتقه، فكان عبيده يفعلون ذلك طلبا للعتق، فقيل له: إنهم يخدعونك، فقال: من خدعنا بالله انخدعنا له { فلما ذاقا

الشجرة { وجدا طعمها آخذين في الأكل منها. وقيل: الشجرة هي السنبلة. وقيل: شجرة الكرم { بدت لهما سوءاتهما { أي تهافت عنهما اللباس فظهرت لهما عوراتهما، وكانا لا

يريانها من أنفسهما، ولا أحدهما من الآخر. وعن عائشة رضي الله عنها:

(٣٨٨) ما رأيت منه ولا رأى مني. وعن سعيد بن جبير: كان لباسهما من جنس الأظفار. وعن

وهب: كان لباسهما نورا يحول بينهما وبين النظر. ويقال: طفق بفعل كذا، بمعنى جعل

يفعل كذا. وقرأ أبو السمال: "وطفقا" بالفتح { يخصفان { ورقة فوق ورقة على عوراتهما

ليسترا بها، كما يخصف النعل، بأن تجعل طريقة على طريقة وتوثق بالسيور. وقرأ الحسن:

"يخصفان" بكسر الخاء وتشديد الصاد، وأصله يختصفان. وقرأ الزهري: "يخصفان"، من

أخصف،

وهو منقول من خصف أي يخصفان أنفسهما وقرئ: "يخصفان" من خصف بالتشديد كان {

من ورق

الجنة { قيل: كان ورق التين { ألم أنهكما { عتاب من الله تعالى وتوبيخ وتنبيه على

الخطأ، حيث لم يتحذرا ما حذرهما الله من عداوة إبليس وروي: أنه قال لآدم: ألم يكن

لك فيما منحتك من شجر الجنة مندوحة عن هذه الشجرة؟ فقال: بلى وعزتك، ولكن ما

ظننت

أن أحدا من خلقك يحلف بك كاذبا. قال: فبعزتي لأهبطنك إلى الأرض ثم لا تنال العيش

إلا كذا. فأهبط وعلم صنعة الحديد، وأمر بالحرث فحرث وسقى وحصد وداس وذرى وطحن

وعجن

وخبز.

(١٨٣/٤)

قالا ربنا !<sY÷Hs\$ك أنفسنا وإن لم تغفر لنا sYôJxm\$چ s?ur لنكونن من

الخاسرين اثجب

وسميا ذنبهما وإن كان صغيرا مغفورا ظلما لأنفسهما، وقالوا: { لنكونن من الخاسرين {

على عادة الأولياء والصالحين في استعظامهم الصغير من السيئات، واستصغارهم العظيم من

الحسنات.

قال اهبطوا بعضكم لبعض عدو ولكم في الأرض مستقر ومتاع إلى حين (٢٤) قال فيها تحيون

وفيهما تموتون ومنها f éB_چ u_tmq اثخب

{ اهبطوا { الخطاب لآدم وحواء وإبليس. و { بعضكم لبعض عدو { في موضع الحال، أي

متعادين يعاديهما إبليس ويعاديانه { مستقر { استقرار، أو موضع استقرار { ومتاع إلى حين { وانتفاع بعيش إلى انقضاء آجالكم. وعن ثابت البناني: لما أهبط آدم وحضرته

الوفاة أحاطت به الملائكة، فجعلت حواء تدور حولهم، فقال لها: خلي ملائكة ربي فإنما أصابني الذي أصابني فيك(١)، فلما توفي غسلته الملائكة بماء وسدر وترا، وحنطته وكفنته في وتر من الثياب، وحفروا له ولحدوا، ودفنوه بسرنديب بأرض الهند، وقالوا لبنيه: هذه سنتكم بعده.

نُسخة_tf"t6 آدم قد &Rr"uZ9u\$ عليكم لباسا "ح'Nµq""ف٣د؟نqyTM
وريشا ولباس التقوى

7y7sCE""ض٧٧yz y7sCE""من آيات الله لعلهم tbrم٢٦هـ.26 (Otf

(١) قوله: أصابني فيك لأجلك وبسببك واستعمل في بمعنى الباء .
(١٨٤/٤)

جعل ما في الأرض منزلا من السماء، لأنه قضى ثم وكتب. ومنه { أنزل لكم من الأنعام ثمانية أزواج { (الزمر: ٦) والريش لباس الزينة، استعير من ريش الطير، لأنه لباس وزينته، أي أنزلنا عليكم لباسين: لباسا يوارى سواآتكم، ولباسا يزينكم؛ لأن الزينة غرض صحيح، كما قال: { لتركبوها وزينة { . { ولكم فيها جمال { (النحل: ٦) وقرأ عثمان رضي الله عنه: "ورياشا" جمع ريش، كشعب وشعاب { ولباس التقوى { ولباس الورع والخشية من الله تعالى، وارتفاعه(١)

(١) قوله: وارتفاعه إلى آخره من حيث المعنى أي يجوز أن يكون ذلك إشارة إلى لباس التقوى على الوجهين المذكورين أو أن يكون إشارة إلى اللباس الموارى . وقلت: الظاهر أنه عطف على قوله : إن يراد بها تعظيم لباس التقوى أي لا تخلو الإشارة بذلك الذي هو للبعد إلى لباس التقوى الذي هو قريب في الذكر للتعظيم أو أن يكون إلى اللباس الموارى فلا تكون الإشارة بذلك للتعظيم لأنه بعيد في الذكر، ويكون قوله لأن مواراة السوء من التقوى تعليلا لتفضيلة على لباس الزينة أي إنما فضل على لباس الزينة لأنه من التقوى ،وتفضيلا له مفعول له والفعل المعلل معنى قوله: إن تكون إشارة أي أشير إلى اللباس الموارى تفضيلا له على لباس الزينة.

(١٨٥/٤)

عن الابتداء وخبره إما الجملة التي هي { ذلك خير } كأنه قيل: ولباس التقوى هو خير،

لأن أسماء الإشارة تقرب من الضمائر فيما يرجع إلى عود الذكر. وأما المفرد الذي هو خير وذلك صفة (١) للمبتدأ، كأنه قيل: ولباس التقوى المشار إليه خير. ولا تخلو الإشارة من أن يراد بها تعظيم لباس التقوى (٢)، أو أن تكون إشارة إلى اللباس (٣) المواري للسوءة، لأن مواراة السوءة من التقوى، تفضيلاً له على لباس الزينة. وقيل: لباس التقوى خبر مبتدأ محذوف، أي وهو لباس التقوى، ثم قيل: ذلك خير. وفي قراءة عبد الله وأبي: "ولباس التقوى خير" وقيل: المراد بلباس التقوى: ما يلبس من الدروع والجواشن والمغافر وغيرها مما يتقي به في الحروب وقرىء: "ولباس التقوى"، بالنصب عطفاً على لباساً وريشاً { ذلك من آيات الله } الدالة على فضله ورحمته على عباده. يعني إنزال اللباس { لعلهم يذكرون } فيعرفوا عظيم النعمة فيه وهذه الآية واردة على سبيل الاستطراد عقيب ذكر بدو السوءات وخصف الورق عليها، إظهاراً للمنة فيما خلق من اللباس، ولما في العري وكشف العورة من المهانة والفضيحة، وإشعاراً بأن التستر باب عظيم من أبواب التقوى.

(١) قوله: وذلك صفة للمبتدأ فيه نظر لأن اسم الإشارة أخص من المضاف إلى المعرف باللام ولا يجوز وصفه وقد صرح في المفصل بأنه لا يجوز وصف المعرف باللام بالمبهم لكون المبهم أخص من المعرف باللام فإذا لم يجوز وصف المعرف بالمبهم فالأولى أن لا يجوز وصف المضاف إلى المعرف باللام به. وقال أبو التقاء: يجوز ذلك على تأويل المذكور ، أو المشار إليه.

(٢) قوله: تعظيم لباس التقوى لأن المشار إليه قريب وذلك موضوع للإشارة إلى البعيد كقوله { ألم ذلك الكتاب } .

(٣) قوله: أو أن تكون إشارة إلى اللباس المواري. قال الطيني: هو عطف على مجموع.
(١٨٦/٤)

١٨٦_ت6"tf آدم لا يفتنكم الشيطان كما ١٨٦_ت6"tf أبوكم من الجنة ينزع عنهما لباسهما

ليريهما !J\$خ١٨٦_ت6"tf إنه ١٨٦_ت6"tf هو وقبيله من ك]xm لا ١٨٦_ت6"tf؟ إنا جعلنا

الشياطين أولياء للذين لا يؤمنون ائذب

}

(١٨٧/٤)

لا يفتنكم الشيطان { لا يمتحنكم بأن لا تدخلوا الجنة، كما محن أبويكم (١) } بأن أخرجهما منها { ينزع عنهما لباسهما } حال، أي أخرجهما نازعا لباسهما، بأن كان سببا في أن نزع عنهما { إنه يراكم هو { تعليل للنهي وتحذير من فتنته، بأنه بمنزلة العدو المداجي يكيدكم ويغتالكم من حيث لا تشعرون. وعن مالك بن دينار! إن عدوا يراك ولا تراه، لشديد المؤنة إلا من عصم (٢) الله { وقبيله { وجنوده من الشياطين، وفيه دليل بين أن الجن لا يرون ولا يظهرون للإنس، وأن أظهارهم أنفسهم ليس في استطاعتهم، وأن زعم (٣) من يدعي رؤيتهم زور ومخرقة { إنا جعلنا الشياطين أولياء للذين لا يؤمنون { أي خلينا بينهم وبينهم لم نكفهم عنهم حتى تولوهم وأطاعوهم فيما سولوا لهم من الكفر والمعاصي، وهذا تحذير (٤)

(١) قوله: كما محن أبويكم بأن أخرجهما منها يريد أن قوله { كما أخرج أبويكم { وضع موضع مصدر يفتنك وضعاً للسبب موضع المسبب أي أوقعه في المحن والبلاء بسبب الإخراج.

(٢) قوله: إلا من عصم الله يجوز أن يكون استثناء متصلاً أي لا يخلص من كيدِهِ إلا من عصمه الله وأن يكون منقطعاً أي لكن من عصمه الله خفيف المؤنة .

(٣) قوله: وإن زعم من يدعي رؤيتهم زورا ومخرقة ولا يتناقض هذا ما رواه في الأحقاف من رؤية عبد الله بن مسعود لهم ليلة الجن لأن ذلك كان معجزة لرسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ومراده أن رؤية من يدعي رؤيتهم لا على وجه خرق العادة والإعجاز .

(٤) قوله: وهذا تحذير آخر أبلغ من الأول لما فيه من التخلية التسليط . قال الطيني: ليس بتحذير آخر إذ لو كان كذلك لوجب العطف عليه بل هو تعليل للتعليل ولذلك للموجب فإنه تعالى لما حذر بني آدم من فتنة الشيطان ونهاهم عنها نهاها بليغا اتجه لهم أن يسألوا عن الموجب لهذا التحذير والنهي البليغ ف قيل : لأنه بمنزلة

العدو المداجي يراكم ولا ترونهم ثم قيل : كيف يمكن من ذلك وأنى فقيل : لأننا جعلنا الشياطين أولياء لهم. وأقول: لا شك أن قوله { إنا جعلنا { الآية تحذير آخر من حيث المعنى وذلك لا يمنع من أن لا يعطف إذا جعل علة للعلة ، والحاصل : أن كونه

تعليلاً للتعليل لا يمنع من كونه تحذيراً آخر من حيث المعنى ومراد المصنف ذلك.

(١٨٨/٤)

آخر أبلغ من الأول. فإن قلت: علام عطف وقيله؟ قلت: على الضمير في يراكم المؤكد (١) بهو، والضمير في إنه للشأن والحديث، وقرأ اليزيدي: "وقيله" بالنصب وفيه وجهان: أن يعطفه على اسم إن، وأن تكون الواو بمعنى مع، وإذا عطفه (٢) على اسم إن وهو الضمير في إنه، كان راجعاً إلى إبليس.

(١) قوله: على الضمير في يراكم المؤكد بهو . قال المصنف فإن قيل: لم امتنع العطف على الضمير المنفصل؟. قلت: لأن العطف يجعل ما بعده شريكاً لما قبله من معمول الفعل والذي هو معمول الفعل هو المستكن دون البارز فوجب العطف عليه . قالوا : لعل هذا النقل خطأ لأن القول بالانسحاب في التوابع هو (.....) عنده . وقيل إنما لم يحسن العطف ها هنا لان اعتبار الفرع مع وجود الأصل بعيد لأن استجلاب الثاني لتصحيح العطف على الأول فلا الوسيلة أصلاً ولأن المنفصل تأكيد للمستتر فلو جعل هذا عطفاً عليه لكان هذا أيضاً تأكيداً للمستتر مثله وهو محال لأنه إنما يؤكد المستتر بالضمير لا بغيره من الأسماء المظهرة اللهم إلا بالنفس والعين ونحوهما ولأنه لو كان تأكيداً لاتحد معناهما والأمر ليس كذلك.

(٢) قوله: وإذا عطف على اسم أن وهو الضمير في أنه كان راجعاً إلى إبليس لأن هذا العطف يأبى أن يكون الضمير للشأن وإن جاز أن يكون للشيطان لأن مقام التفخيم يقتضيه لأن قوله { إنه يراك } تعليل للنهي وتحذير من فتنة الشيطان كأنه قيل لا يفتنكم الشيطان لأن الشأن والأمر كيت وكيت ، وعلى النصب لا يبقى لضمير المرفوع المؤكد مزيد فائدة ،

تقرير آخر: إنما خصصه بذلك لأن الواو إذا كانت بمعنى مع كان الضمير للشأن ويكون التقدير إن الشيطان يراكم مع قبيلة وأما إذا كانت عاطفة تعين كون الضمير لإبليس لامتناع العطف على ضمير الشأن لأن ضمير الشأن هو نفس الجملة بعده ولهذا لم يرجع منها إليه عائد.

(١٨٩/٤)

وإذا فعلوا فاحشة قالوا وجدنا عليها آباءنا والله أمرنا بها قل إن الله لا قكك Dù'tf

بالفحشاء أتقولون على الله ما لا تعلمون اثرب

الفاحشة: ما تبالغ في قبحه من الذنوب، أي إذا فعلوها اعتذروا بأن آباءهم كانوا يفعلونها فاقْتَدُوا بهم، وبأن الله تعالى أمرهم بأن يفعلوها. وكلاهما باطل من العذر لأن أحدهما تقليد والتقليد ليس بطريق للعلم. والثاني: افتراء على الله والحاد في صفاته، كانوا يقولون: لو كره الله منا ما نفعله لنقلنا عنه. وعن الحسن: إن الله تعالى بعث محمدا

إلى العرب وهم قديرة (١) مجبرة يحملون ذنوبهم على الله. وتصديق قول الله تعالى: { وإذا فعلوا فاحشة قالوا وجدنا عليها آباءنا والله أمرنا بها قل إن الله لا يأمر بالفحشاء } لأن فعل القبح مستحيل عليه { لعدم الداعي ووجود الصارف، فكيف يأمر بفعله } أتقولون على الله ما لا تعلمون { إنكار لإضافتهم القبيح إليه وشهادة على أن مبني قولهم على الجهل المفرط. وقيل: المراد بالفاحشة: طوافهم بالبيت عراة. قل أمر 'n1us' بالقسط وأقيموا وجوهكم عند كل ur#\$ثمB çnq,fì%٧ ثؤت# \$فèC=دؤله الدين كما بدأكم تعودون اثرب }

(١) قوله: وهم قديرة قال المصنف: القدر اسم لأفعال الله خاصة لا يفهم العرب من القدر إلا هذا فمن أدخل في القدر ما ليس منه فقد أغرب فوجب أن يلقب به كما يلقب بالأشياء الخارجة عن العادات فأما من لا يسمى بالقدر إلا أفعال الله خاصة فلم يأت بشيء غريب حتى يستحق التنزيه . (١٩٠/٤)

بالقسط { بالعدل وبما قام في النفوس أنه مستقيم حسن عند كل مميز. وقيل: بالتوحيد }

وأقيموا وجوهكم { وقل(١): أقيموا وجوهكم أي: اقصدوا عبادته مستقيمين إليها غير عادلين إلى غيرها { عند كل مسجد { في كل وقت سجود، أو في كل مكان سجود وهو الصلاة }

وادعوه { واعبدوه { مخلصين له الدين { أي الطاعة، مبتغيين بها وجه الله خالصا { كما بدأكم تعودون { كما أنشأكم ابتداء يعيدكم، احتج عليهم في إنكارهم الإعادة بابتداء الخلق، والمعنى: أنه يعيدكم فيجازيكم في أعمالكم، فأخلصوا له العبادة.

,\$فحج sù هدى \$,,\$فحج xm sùur "م خkزn=tم الضلالة إنهم اتخذوا الشياطين

أولياء من

دون الله ويحسبون &k®XrھN ٲ crٲB%ٲGôg اءةب

{ فريءا هءى } وهم الءىن أسلموا، أى وفقهم للإيمان { وفريءا ءق عليهم الضلالة } أى كلمة(٢) الضلالة، وعلم الله أنهم يضلون ولا يهءدون. وانتصاب قوله: { وفريءا } بفعل مضمرففسره ما بعده، كأنه قيل: وءذل فريءا ءق عليهم الضلالة { إنهم } إن الفريء الذى ءق عليهم الضلالة: { اتءذوا الشياطين أولياء } أى ءولوهم بالطاعة فيما أمرهم به، وهذا ءليل على أن علم الله لا أثر له فى ضلالهم، وأنهم هم الضالون باءءيارهم وءولئهم الشياطين ءون الله.

(١) قوله: وقل أءيموا إنما ءر قل لئكون عطفافى قل. قيل : وقال أبو النءاء: فى أءيموا وءهان أءءهما أنه معطوف على موضع القسط أى أمر ربى فقال أقسطوا وأءيموا، وءائبهما أن فى الكلام ءذفا أى فأقبلوا وأءيموا .
(٢) قوله: أى كلمة الضلالة وهى ضلوا بمعنى ءذلوا ومعنى ءفت عليهم والله أعلم ءق عليهم مضمونها وهو ضلالهم لأنها لا يخف عليهم ولا يءرى إلا بعد ضلالهم .
(١٩١/٤)

* ũة_ٲf"ٲٲ آءم ءذوا زينتكم عند كل ٲB،fi%ٲٲ وكلوا واشربوا ولا

@ô£èٲٲqèù#) إنه لا

ءب المسرفين (٣١) قل من ٲPٲ ٲfYsps xm ء- الله الذى ٲylu ٲ÷ٲzr&

٣/٤ndٲ\$ٲ7èء٩ والطيبات

من ءة--ءhٲ\$# قل هى للءىن آمنوا فى ٲquٲ4ٲ#ٲ\$9ys الءىا ءالصة يوم القىامة
7yٲ٩xx.

نفصل الآيات لقوم ٲHsٲqٲb<÷ٲfè ءشب

}

ءذوا زينتكم { أى رءشكم ولباس زينتكم } عند كل مسجد { كلما صليءم أو طفءم وكانوا يطوفون عراة. وعن طاوس، لم يأمرهم بالءرب والءىياج، وإنما كان أءءهم يطوف عريانا وىء ثىابه وراء المسجد، وإن طاف وهى عليه ضرب وانتزعت عنه، لأنهم قالوا: لا نعبء الله فى ثياب أءنبنافىها، وقيل: ءفاؤلا لئءعروا من الءنوب كما ءعروا من الثياب.
وقيل: الزينة فى المشط. وقيل: الطيب. والسنة أن يأءء الرجل أءسن هئءه للصلاة، وكان

بنو عامر في أيام حجههم لا يأكلون الطعام إلا قوتا، ولا يأكلون دسما يعظمون بذلك حجههم فقال المسلمون: فإننا أحق أن نفعل، فقليل لهم: كلوا واشربوا ولا تسرفوا. وعن ابن عباس رضي الله عنه:

(٣٨٩) كل ما شئت والبس ما شئت ما أخطأتك خصلتان (١): سرف ومخيلة ويحكي: أن الرشيد

كان له طبيب نصراني حاذق، فقال لعلي بن الحسين بن واقد: ليس في كتابكم من علم الطب شيء. والعلم علمان، علم الأبدان وعلم الأديان، فقال له: قد جمع الله الطب كله في نصف آية من كتابه. قال: وما هي؟ قال: قوله تعالى: { وكلوا واشربوا ولا تسرفوا } فقال النصراني: ولا يؤثر من رسولكم شيء في الطب؟ فقال: قد جمع رسولنا الطب في ألفاظ يسيرة، قال: وما هي؟ قال قوله:

)

(١) قوله: ما أخطأتك خصلتان شرف ومخيلة أي مده تجاوز عنك فيها خصلتان والمعنى مدة عدم عنك فيها خصلتان والمخيلة الكبر، ومعنى لا تؤثر لا تروى. (١٩٢/٤)

٣٩٠ "المعدة بيت الداء والحمية رأس الدواء وأعط كل بدن ما عودته" فقال النصراني: ما ترك كتابكم ولا نبيكم لجالينوس طبا.

{ }

{ زينة الله { من الثياب وكل ما يتجمل به { والطيبات من الرزق { المستلذات من المآكل والمشارب. ومعنى الاستفهام في من: إنكار تحريم هذه الأشياء. قيل: كانوا إذا أحرموا حرموا الشاة وما يخرج منها من لحمها وشحمها ولبنها { قل هي للذين آمنوا في الحياة الدنيا { غير خالصة لهم؛ لأن المشركين شركاؤهم فيها { خالصة { لهم { يوم

القيامة { لا يشركهم فيها أحد. فإن قلت: هلا قيل: هي للذين آمنوا ولغيرهم. قلت: لينبه على أنها خلقت للذين آمنوا على طريق الأصالة، وأن الكفرة تبع لهم، كقوله تعالى: { ومن كفر فأمتعه قليلا ثم اضطره إلى عذاب النار { (البقرة: ١٢٦) وقرىء: "خالصة" (١) بالنصب على الحال، وبالرفع على أنها خبر بعد خبر.

قل إنما xm $چ$ tP ربي | $\$9\text{m}^{\text{u}}\text{qxd}$ # ما ygs $چ$ u منها وما بطن والإثم والبغي بغير الحق

وأن تشركوا بالله ما لم ينزل به سلطانا وأن تقولوا على الله ما لا تعلمون اججب
}

(١) قوله: وقرأ خالصة بالنصب هي قراءة (غير) نافع. قال السحاويدي: خالصة حال نحو
..... أراد أنها حال مقدرة قال وعاملها اللام المحذوفة أي هي في الحياة الدنيا
مشتركة ولهم في الآخرة خالصة. وقال أبو النقاء: العامل فيها للذين أو في الحياة
إذا جعلته خبرا أو حالا أي هي للذين آمنوا في الحياة الدنيا في حال خلوصها لهم يوم
القيامة أي الزينة يشاركون فيها في الدنيا وتخلص لهم في الآخرة ولا يجوز أن تعمل في
خالصة زينة الله لأنه قد وصفها بقوله التي والمصدر إذا وصف لا يعمل، ولا قوله:
أخرج لأجل الفصل الذي بينهما وهو قوله قل، وأجاز أبو علي أن تعمل فيها حرم و يبعد
لأجل الفصل أيضا.
(١٩٣/٤)

الفواحش { ما تفاحش قبحه أي تزايد. وقيل: هي ما يتعلق بالفروج { والإثم { عام لكل
ذنب. وقيل: شرب الخمر { والبغي { الظلم (١) والكبر، أفردته بالذكر كما قال: { وينهى
عن الفحشاء والمنكر والبغي { . { ما لم ينزل به سلطانا { (٢) فيه تهكم، لأنه لا
يجوز أن ينزل برهانا بأن يشرك به غيره { وأن تقولوا على الله { وأن تقولوا عليه
وتفتروا الكذب من التحريم وغيره.
ولكل أمة أجل فإذا جاء أجلهم لا $o, zù'tG^{1/2}$ متج ساعة ولا يستقدمون (٣٤)
}

(١) قوله: البغي الظلم والكبر أفردته بالذكر ذكر إلا ثم في هذه الآية هو عام لكل ذنب
ثم عطف عليه البغي المقيد بغير الحق لأن بغير الحق حال من البغي كما ذكر المنكر في
تلك الآية وهو عام وعطف عليه البغي ليؤذن بأن الكبر أفحش الإثم وأقبح المنكر .
(٢) قوله: ما لم ينزل به سلطانا فيه تهكم لأنه لا يجوز أن ينزل برهانا بأن يشرك به
غيره. قال في الانتصاف: قياسه أن يكون كقوله:
على لا حب لا يهتدي بمناره

قال الطيني: وهذا هو الحق فإن الله تعالى بالغ في نفي الشرك فنفي لازمه لينتفي
ملزومه بالطريق البرهاني. وأقول: ما ذكره صاحب الانتصاف قد ذكره المصنف بعينه في

مثل هذه الآية وهو لا ينافي ما ذكره المصنف من التهكم فليتأمل.
(١٩٤/٤)

ولكل أمة أجل { وعيد لأهل مكة بالعذاب النازل في أجل معلوم عند الله كما نزل بالأمم
وقرىء: "فإذا جاء آجالهم" (١). وقال: { ساعة } (٢) لأنها أقل الأوقات في استعمال
الناس. يقول المستعجل لصاحبه: في ساعة، يريد أقصر وقت وأقربه.
٦٦٦ tf"t6 آدم إما يأتينكم رسل منكم يقصون عليكم آياتي فمن اتقى وأصلح فلا
i\$qyz

نخk=tz٦م ولا هم 35"tbqçRu (ts†) والذين كذبوا بآياتنا
y93tF™\$#urمزr#) عنها أولئك

أصحاب النار هم فيها \$tbrà ح"36" (yz
{ إما يأتينكم { هي "إن" الشرطية ضمت (٣) إليها "ما" مؤكدة لمعنى الشرط. ولذلك لزم
فعلها النون الثقيلة أو الخفيفة. فإن قلت: فما جزاء هذا الشرط؟ قلت: الفاء وما بعده
من الشرط والجزاء. والمعنى: فمن اتقى وأصلح منكم، والذين كذبوا منكم. وقرىء:
"تأتينكم"، بالتاء.

(١) قوله: وقرأ فإذا جاء آجالهم . قال ابن جني: قرأها ابن سيرين وهي ظاهرة لأن لكل
إنسان أجلا وأما أفراد الأجل فالأنه جنس الله الجنسية من قبل المصدر وحسن الأفراد
أيضا لإضافته إلى الجماعة إذ قد علم أن لكل إنسان أجلا .
(٢) قوله: وقال ساعة لأنها أقل الأوقات في استعمال الناس أراد أن ذكرها ليس للتحديد
بل للتمثيل بأقصر وقت في العرب.

(٣) قوله: ضمت إليها ما مؤكدة . قال الزجاج إنما يلزم ما النون لأن ما يدخل مؤكدة
كما يلزم النون اللام في القسم إذا قلت: والله لأفعلن فما توكيد كما أن اللام توكيد
فلزمت النون . وقيل : أن ما يفيد زيادة عموم فمعنى قولك إما يفعلن أن اتفق منك وجود
الفعل بوجه من الوجوه . وأقول : كأنهم لما أدخلوا ما المؤكدة على حرف الشرط ناسب أن
يؤكدوا فعل الشرط بالنون .

(١٩٥/٤)

Nçlé;\$sYtf أولئك #SyIùž"u"۳ على الله كذبا أو كذب بآياته أولئك نصيبهم من

الكتاب #سLxm® إذا جاءتهم رسلنا يتوفونهم (%s\$۹ûq# أين ما كنتم تدعون من دون الله

قالوا ضلوا عنا (%ر#%و%خkyur على Nخk! àRr &N &k®Xr كانوا tûi حجة"37). (x.

{ فمن أظلم { فمن أشنع ظلما ممن تقول على الله ما لم يقله، أو كذب ما قاله: { أولئك ينالهم نصيبهم من الكتاب { أي مما كتب لهم من الأرزاق والأعمار { حتى إذا جاءتهم رسلنا { حتى غاية ليلهم نصيبهم واستيفائهم له، أي إلى وقت وفاتهم، وهي "حتى" التي يتبدأ بعدها الكلام، والكلام ههنا الجملة الشرطية، وهي إذا جاءتهم رسلنا قالوا. و { يتوفونهم { حال من الرسل، أي متوفيهم(١). والرسل ملك الموت وأعوانه. "وما" وقعت موصولة بأين في خط المصحف، وكان حقها أن تفصل؛ لأنها موصولة بمعنى: أين الآلهة الذين تدعون { ضلوا عنا { غابوا عنا فلا نراهم ولا ننتفع بهم، اعترافا منهم بأنهم لم يكونوا على شيء فيما كانوا عليه، وأنهم لم يحمدوه في العاقبة.

#qè (%\$#zô=تا\$% في أمم قد خلت من %s۶=دNà6 من %dإ`#f9\$ والناس في النار كلما

دخلت أمة لعنت &pkyJ÷zé\$ #سLxm® إذا ادركوا فيها جميعا قالت Oكg1u÷zé& لأولاهم

'u/sY\$ هؤلاء أضلونا Nخkج"E\$stù عذابا ضعفا من النار قال @e۵ن۳د۹ ضعف ولكن لا

تعلمون (٣٨) وقالت أولاهم Oكg1u÷zT { فما كان لكم علينا من @۵زòsù فذوقوا العذاب

بما كنتم تكسبون اجزب }

)

(١) قوله: متوفيهم صحب إسكان التاء فيه بالجمع لا ياء التوفي والنون حذفت للإضافة والأصل متوفين لهم.
(١٩٦/٤)

قال ادخلوا { أي يقول الله تعالى يوم القيامة لأولئك الذين قال فيهم: { فمن أظلم ممن افترى على الله كذبا أو كذب بآياته { وهم كفار العرب { في أمم { في موضع الحال، أي كائنين في جملة أمم، وفي غمارهم (١) مصاحبين لهم، أي ادخلوا في النار مع أمم (٢) {

(١) قوله: وفي غمارهم الغمرة الزحمة من الماء والناس والجمع غمار وروي عن المصنف أنه قال في في هذه مثل في في.

(٢) قوله: عروة ابن أذية.

إن يك عن أحس الصنيعة مأفوكا ففي آخرين قد أفكوا

أي في جملة آخرين هم في مثل حالك أي إن تك مصروفا عن أحسن الإحسان فأنت في جملة قوم قد صرفوا عنه.
(١٩٧/٤)

قد خلت من قبلكم { وتقدم زمانهم زمانكم { لعنت أختها { التي ضلت بالافتداء بها { حتى إذا أداركوا فيها { أي تداركوا بمعنى تلاحقوا واجتمعوا في النار { قالت أخرهم { منزلة وهي الأتباع والسفلة { لأولاهم { منزلة وهي القادة والرؤس. ومعنى لأولاهم: لأجل أولاهم؛ لأن خطابهم مع الله لا معهم { عذابا ضعفا { مضاعفا { لكل ضعف { لأن كلا من القادة والأتباع (١) كانوا ضالين مضلين { ولكن لا تعلمون { قرىء (٢) بالياء والتاء { فما كان لكم علينا من فضل { عطفوا (٣) هذا الكلام على قول الله تعالى للسفلة { لكل ضعف { أي فقد ثبت أن لا فضل لكم علينا، وأنا متساوون في استحقاق الضعف { فذوقوا العذاب { من قول القادة، أو من قول الله لهم جميعا.

(١) قوله: لأن كلا من القادة والأتباع كانوا ضالين مضلين هذا في حق القادة ظاهر، وأما في حق الأتباع فأما باعتبار أنهم لما اتخذوهم رؤساء عظاما ورضوا بذلك فأكنهم أضلوهم وأما باعتبار أنهم لما اقتدوا بهم وتابعوهم على الضلال فقد أوهموا غيرهم من أمثالهم أن القادة على شيء فكان ذلك سببا لضلال غيرهم فكانوا مضلين لغيرهم كما أن

(٢) قوله: قرأ بالتاء والياء قال الزجاج: من قرأ بالتاء فمعناه لا تعلمون أيها المخاطبون ما لكل فريق منكم من العذاب ومن قرأ بالياء فالمعنى لا يعلم كل فريق مقدار عذاب الفريق الآخر.

إن الذين كذبوا بآياتنا (مرث#ur\$#TM\$Ft3y عنها لا تفتح لهم <r/`u& السماء ولا
يدخلون الجنة ٤®ykxmL=د tfم @gù:Y\$# في سم إق\$د fù:\$#
7y9د`x٢ur "ح"Ugw
üBtûحج40) \$J لهم من جهنم مهاد ومن فوقهم ,#y7xîqu9د`ur.xx
"ح"Ugw
üBtûد=©\$#9à احتب

لأن سم الإبرة مثل في ضيق المسلك. يقال: أضيق من خرت الإبرة. وقالوا للدليل الماهر: خريت، للاهتمام به في المضايق المشبهة بأخراة الإبر. والجمال: مثل في عظم الجرم.

قال:

(١) قوله: ولا يدخلون الجنة فيه كناية . قيل تنسد عليهم أبواب خير الدارين ويغاثون من الغيث بدليل قوله { ففتحنا أبواب السماء بما منهم } . النغير طير كالعصافير حمر المناكير .

(٢) قوله: وقيل لا ينزل عليهم البركة . قيل هذا أولى الوجوه لظهور فائدته .
(١٩٩/٤)

جسم (١) الجمال وأحلام العصافير i

(١) قوله: جسم البغال وأحلام العصافير . البيت لحسان وأوله :
لا تأس بالقوم من طول ومن عظم . قوله ن الرجال ليسوا نحرر
الحرر جمع حرور يقع على الذكر والإنثى من الإبل قاله المعيدي للمندر وكان قد سمع به
وأجبه ما يبلغه عنه فلما رآه استحققه وقال : تسمع بالمعيدي خير من أن تراه . فقال له
: أبيت اللعن وأسعدك الأهلك إن الرجال ليسوا نحرر وإنما المرء بأصغرية لسانه وقلبه إن
قال قال بلسان وإن قائل قائل بجنان . فأعجب المنذر كلامه .
(٢٠٠/٤)

إن الرجال ليسوا بجزر تراد منهم الأجسام، فقيل: لا يدخلون الجنة، حتى يكون ما لا
يكون أبدا من ولوج هذا الحيوان الذي لا يلج إلا في باب واسع، في ثقب الإبرة، وعن
ابن مسعود أنه سئل عن الجمل، فقال: زوج الناقة، استجهالا للسائل، وإشارة إلى أن طلب
معنى آخر تكلف . وقرئ: "في سم" بالحركات الثلاث: وقرأ عبد الله: "في سم المخيط"
والخياط؛ والمخيط كالحرز والمحرز: ما يخاط به وهو الإبرة { وكذلك } ومثل ذلك
الجزاء الفظيع { نجزي المجرمين } ليؤذن أن الإجمام (١) هو السبب الموصل إلى العقاب،
وأن كل من أجرم عوقب، وقد كرره فقال: { وكذلك نجزي الظالمين } لأن كل مجرم ظالم
لنفسه { مهاد } فراش { غواش } أغطية . وقرئ: "غواش" بالرفع، كقوله: { وله الجوار
المنشآت } (الرحمان: ٢٤) في قراءة عبد الله.

والذين آمنوا وعملوا د#\$%&=ys"M لا نكلف نفسا إلا وسعها أولئك .&ut3/4r="مهم فيها \$tbrà#حyz احشب
}

(١) قوله: لتؤذن أن الإحرام هو السبب الموصل إلى العقاب . قال الطيني : يعني أوقع قوله { وكذلك نجزي المجرمين } تذييلا للكلام السابق لتلك العلة لأن فائدة التذييل غالبا تأكيد المذيل وإبراز حكمه في صورة كلية . وأقول: يحتمل أنه أراد به وضع المجرمين موضع الضمير للإشعار ورمز بذلك إلى أن عدم فتح أبواب السماء وعدم دخول الجنة غير مختص بالمكذبين بالآيات المستكبرين عنها كما هو مذهبه وكذا قوله : { وكذلك نجزي الظالمين } من وضع الظاهر موضع الضمير وقد جعل الطيني: { وكذلك نجزي الظالمين } من وضع الظاهر موضع الظمير دون { وكذلك نجزي المجرمين } وقال القاضي: عبر عنهم بالمجرمين تارة وبالظالمين أخرى إشعارا بأنهم بتكذيبهم بالآيات قد اتصفوا بهذه الأوصاف الذميمة وذكر الحرم مع الحرمان من الجنة والظلم مع التعذيب بالنار تنبيها على أنه أعظم الإجرام .

(٢٠١/٤)

لا نكلف نفسا إلا وسعها { جملة (١) معترضة بين المبتدأ والخبر ، للترغيب في اكتساب ما لا يكتننه وصف الواصف من النعيم الخالد مع التعظيم بما هو في الوسع، وهو الإمكان الواسع غير الضيق من الإيمان والعمل والصالح . وقرأ الأعمش: "لا تكلف نفس".
tRur"uμZô\$ ما في صدورهم من @eē d" حج grB من م Nخ JtrBk الأنهار وقالوا ك#\$:ôJutù%

لله الذي هدانا لهذا وما كنا y"÷ks%[tFد لولا أن هدانا الله لقد جاءت رسل ربنا ب\$\$\$:d,utùخ/ ونودوا أن تلکم الجنة أورثتموها بما كنتم تعملون احجب

(١) قوله: جملة معترضة ، وفائدة الاعتراض تأكيد الترغيب وذلك أن في جعل الذين آمنوا وعملوا الصالحات صلة للموصول وإيقاع أولئك أصحاب الجنة خبرا له إشعار بأن العمل الصالح سبب لدخول الجنة ، واسم الإشارة أيضا بدل قد دل على أن ما بعده جدير بمن قبله

بما اكتسب من الخصال الفاضلة فإذا سمع المكلف هذا الترغيب نشط لاكتسابها ثم إذا

سمع

أن ذلك على السعة لا على الضيق يزداد نشاطه ورغبته.

(٢٠٢/٤)

من كان في قلبه غل على أخيه في الدنيا نزع منه، فسلمت قلوبهم وطهرت ولم يكن بينهم إلا التواد والتعاطف. وعن علي رضي الله عنه: إني لأرجو أن أكون أنا وعثمان وطلحة والزبير منهم { هداانا لهذا } أي وفقنا لموجب هذا الفوز العظيم وهو الإيمان والعمل الصالح { وما كنا لنهتدي } اللام لتوكيد النفي ويعنون: وما كان يستقيم أن نكون مهتدين لولا هداية الله وتوفيقه. وفي مصاحف أهل الشام: ما كنا لنهتدي بغير واو، على أنها جملة موضحة للأولى { لقد جاءت رسل ربنا بالحق } فكان لنا لطفًا وتنبيهًا على الاهتداء فاهتدينا يقولون ذلك سرورا واعتباطا بما نالوا، وتلذذا بالتكلم به لا تقربا وتعبدا، كما نرى من رزق خيرا في الدنيا يتكلم بنحو ذلك ولا يتمالك أن لا يقوله للفرح لا للقرينة: { أن تلکم الجنة } أن مخففة من الثقيلة تقديره: ونودوا (١) بأنه تلکم الجنة { أورثتموها } والضمير ضمير الشأن والحديث أو تكون بمعنى أي؛ لأن المناداة من القول، كأنه قيل: وقيل لهم أي تلکم الجنة أورثتموها. { بما كنتم تعملون } بسبب أعمالكم لا بالفضل، كما تقول المبطله.

ونادى. &ut3/4r"=| #\$.p"Ypgù&ut3/4r"= النار أن قد وجدنا ما وعدنا ربنا y)xm\$ فهل

وجدتم ما وعد ربكم y)xm\$ قالوا نعم فأذن مؤذن بينهم أن لعنة الله على à9\$#©"=Jdtdü

(٤٤) الذين يصدون عن سبيل الله ويغونها عوجا وهم ouسج ½\$zFy\$/خ/ كافرون احخب

(١) قوله: ونودوا أنه تلکم الجنة ذكر ضمير الشأن مع أن في الكلام مؤنثا كقولهم إن أمه الله داهية. قال ابن الحاجب: قصدوا مجيء مؤنثا إذا كان في الكلام مؤنث أن المناسبة تقتضي ذلك وإلا فالمعنى سواء كان مذكرا أو مؤنثا. وقال الزجاج: وإنما قيل

تلکم لأنهم وعدوا بها في الدنيا وجائز أن يكونوا عاينوها فقليل لهم من قبل دخولها إشارة إلى ما يروونه.

(٢٠٣/٤)

"أن" في { أن قد وجدنا } يحتمل أن تكون مخففة من الثقيلة وأن تكون مفسرة كالتي سبقت آنفا، وكذلك { أن لعنة الله على الظالمين } وإنما قالوا لهم ذلك اغتباطا بحالهم، وشماتة بأصحاب النار، وزيادة في غمهم، ولتكون حكايته (١) لطفًا لمن سمعها، وكذلك قول المؤذن بينهم: لعنة الله على الظالمين. وهو ملك يأمره الله فينادي بينهم نداء يسمع

أهل الجنة وأهل النار. وقرئ: "أن لعنة الله" بالتشديد والنصب. وقرأ الأعمش: "إن لعنة الله" بكسر إن على إرادة القول، أو على إجراء { أذن } مجرى قال. فإن قلت: هلا قيل: ما وعدكم ربكم، كما قيل: ما وعدنا ربنا؟ قلت: حذف ذلك تخفيفاً لدلالة وعدنا عليه. ولقائل أن يقول: أطلق ليتناول كل ما وعد الله من البعث والحساب والثواب والعقاب وسائر أحوال القيامة؛ لأنهم كانوا مكذبين بذلك أجمع، ولأن الموعد كله مما ساءهم وما نعيم أهل الجنة إلا عذاب لهم فأطلق لذلك (٢).

وبينهما حجاب وعلى الأعراف رجال يعرفون كلا بسيماهم ونادوا

أن

سلام عليكم لم يدخلوها وهم يطمعون (٤٦)

}

(١) قوله: ولتكون حكايته. معطوف على قوله اغتباطا وصرح باللام في ليكون لعدم كونه فعلاً لفعل الفعل المعلن. وقيل: الظاهر أن معللة محذوف والجملة عطف على الجملة أي قالوا لهم ذلك اغتباطا وحكى الله عنهم ذلك لتكون حكايته لطفاً لمن سمعها.
(٢) قوله: فأطلق لذلك أي لتناول كلما وعد الله ولو قيل ما وعدكم لم يتناول إلا العقاب كما أن ما وعدنا لم يتناول إلا الثواب.
(٢٠٤/٤)

وبينهما حجاب { يعني بين الجنة والنار. أو بين الفريقين، وهو السور المذكور في قوله تعالى: { فضرِب بينهم بسور } (الحديد: ١٣) { وعلى الأعراف } وعلى أعراف الحجاب وهو

السور المضروب بين الجنة والنار وهي أعاليه، جمع عرف استعير من عرف الفرس وعرف

الديك { رجال } من المسلمين من آخروهم دخولا في الجنة لقصور أعمالهم، كأنهم المرجون لأمر الله، يجلسون بين الجنة والنار إلى أن يأذن الله لهم في دخول الجنة { يعرفون كلا } من زمر السعداء والأشقياء { بسيماهم } بعلامتهم التي أعلمهم الله تعالى بها، يلهمهم الله ذلك: أو تعرفهم الملائكة.

* وإذا صرفت أبصارهم تلقاء = النار قالوا ربنا لا تجعلنا مع القوم الظالمين (٤٧) ونادى = الأعراف رجالا يعرفونهم بسيماهم قالوا ما أغنى عنكم جمعكم وما

وما

كنتم (48:٤٣) أهؤلاء الذين أقسمتم لا مكنون Ytf\$٩ الله
 <pyJômu< /جخ
 (#qè=نôث\$ #Ypgù`sp:\$ لا qyz\$ عليكم ولا أنتم Ruqç"trB
 ((49
 (٢٠٥/٤)

إذا نظروا (١) إلى أصحاب الجنة نادوهم بالتسليم عليهم { وإذا صرفت أبصارهم تلقاء
 أصحاب النار { ورأوا ما هم فيه من العذاب استعاذوا بالله وفرغوا إلى رحمته أن لا
 يجعلهم معهم. ونادوا رجالا (٢) من رؤوس الكفرة يقولون لهم: { أهؤلاء الذين أقسمتم لا
 ينالهم الله برحمة { إشارة لهم إلى أهل الجنة، الذين كان الرؤساء يستهينون بهم
 ويحتقرونهم لفقرهم وقلة حظوظهم من الدنيا، وكانوا يقسمون أن الله لا يدخلهم الجنة {
 ادخلوا الجنة { يقال لأصحاب الأعراف ادخلوا الجنة وذلك بعد أن يحبسوا على الأعراف
 وينظروا إلى الفريقين ويعرفونهم بسيماهم ويقولوا ما يقولون. وفائدة ذلك بيان أن
 الجزاء على قدر الأعمال، وأن التقدم والتأخر على حسبها، وأن أحدا لا يسبق عند الله
 إلا بسبقه في العمل، ولا يتخلف عنده إلا بتخلفه فيه، وليرغب السامعون في حال
 السابقين ويحرصوا على إحراز قصبتهم، وليتصوروا أن كل أحد يعرف ذلك اليوم بسيماه
 التي استوجب أن يوسم بها من أهل الخير والشر، فيرتدع المسيء عن إساءته، ويزيد
 المحسن في إحسانه.

(١) قوله: إذا نظروا إلى أصحاب الجنة نادوهم قيل هو إشارة إلى أن قوله { ونادوا
 أصحاب الجنة { جزاء شرط محذوف لدلالة قوله { وإذا صرفت { الآية وإنما قدر نظروا دون
 صرفت للمقابلة لتؤذن بأن النظر إلى أصحاب الجنة وجد منهم على سبيل الرغبة وميل
 النفس وإلى أصحاب النار بخلافهم.
 (٢) قوله: ونادوا رجالا من الكفرة يقولون لهم { أهؤلاء الذين أقسمتم { أخره تفسير
 قوله { ما أغنى عنكم جمعكم { لينبه على مكان نكتة وهي أن أصل الكلام وارد في شأن
 أهل الجنة وتكريمهم وذكر أهل النار وتقريعهم متفرع عليه وذلك أن أصحاب الأعراف لما
 سلموا على أصحاب الجنة أقبلوا على أعدائهم الذين كانوا يزدرونهم لفقرهم قائلين
 أهؤلاء الذين أقسمتم أن الله لا يدخلهم الجنة ، ثم لمزيد التوبيخ أدخلوا { ما أغنى
 عنكم جمعكم { الآية بين الكلام اعتراضا .

وليعلم أن العصاة يوبخهم كل أحد حتى أقصر الناس عملاً. قوله: { وإذا صرفت أبصارهم } فيه أن صارفاً (١) يصرف أبصارهم لينظروا فيستعيذوا ويوبخوا وقرأ الأعمش: "وإذا قلبت أبصارهم" وقرأ: "ادخلوا الجنة" على البناء للمفعول. وقرأ عكرمة: "دخلوا الجنة"، فإن قلت (٢): كيف لآءم هاتين القراءتين قوله: { لا خوف عليكم ولا أنتم تحزنون } ؟ قلت: تأويله: ادخلوا، أو دخلوا الجنة مقولاً لهم: لا خوف عليكم ولا أنتم تحزنون. فإن قلت: ما محل قوله: لم يدخلوها وهم يطمعون؟ قلت: لا محل له لأنه استئناف؛ كأن سائلاً سأل (٣) عن حال أصحاب الأعراف فقل: لم يدخلوها وهم يطمعون، يعني حالهم أن دخولهم الجنة استأخر عن دخول أهل الجنة، فلم يدخلوها لكونهم محبوسين وهم يطمعون لم يأسوا. ويجوز أن يكون له محل، بأن يقع صفة لرجال { ما أغنى عنكم جمعكم } المال أو كثرتم واجتماعكم { وما كنتم تستكبرون } واستكباركم عن الحق وعلى الناس، وقرأ: "تستكثرون" من الكثرة.

(١) قوله: فيه أن صارفاً يعني في بناء الفعل للمفعول إشارة إلى أنهم يصرفون عن النظر

إلى الجنة وأهلها لينظروا إلى النار وأهلها فيستعيذون بقولهم { ربنا لا تجعلنا مع القوم الظالمين } ويوبخوا أهل النار بقولهم { أهؤلاء الذين أقسمتم لا ينالهم الله برحمة } أو بقوله { ما أغنى عنكم جمعكم } الآية أو بهما معاً.
(٢) قوله: فإن قلت: كيف لآءم هاتين القراءتين أراد بهما أدخلوا على البناء للمفعول ودخلوا على لفظ الماضي لأن مقتضاهما (مقتضاهما) بسبب أنهما للغائبين أن يقال لا خوف عليهم ولا هم يحزنون.
(٣) قوله: كأن سائلاً سأل أي قال ما حال أصحاب الأعراف حينئذ .

#tRur\$ٲy أصحاب النار أصحاب د#p"Ypgù\$# أن أفيضوا علينا من الماء أو مما رزقكم

الله (#s\$٩ûnq% إن الله \$كyJ\$gtBم على رٲح دے"50) #s39\$ الذين

اتخذوا دينهم لهما

ولعبا وغرتهم الحياة الدنيا فاليوم ننسأهم كما نسوا لقاء يومهم هذا وما كانوا بآياتنا يجحدون اختب

{ أفيضوا علينا } فيه دليل على أن الجنة فوق النار { أو مما رزقكم الله } من غيره من الأشربة(١) لدخوله في حكم الإفاضة، ويجوز أن يراد: أو ألقوا علينا مما رزقكم الله من الطعام والفاكهة. كقوله:

علفتها تبنا(٢) وماء باردا

وإنما يطلبون ذلك مع يأسهم من الإجابة إليه حيرة في أمرهم، كما يفعل المضطر الممتحن. { حرمهما على الكافرين } منعهم شراب الجنة وطعامها كما يمنع المكلف ما يحرم عليه ويحذر، كقوله:

حرام(٣) على عيني أن تطعم الكرى

(١) قوله: أو مما رزقكم الله من غيره من الأشربة أراد أن عطف قوله : { مما رزقكم الله } على الماء ينبغي دخوله تحت حكم الإفاضة فيحمل على غير الماء من الأشربة ليصح ومن في من غيره بيان ما وفي من الأشربة بيان غيره.

(٢) قوله:

علفتها تبنا وماء بارادا . أي وسقيتها ماء باردا تماما:

حتى هماله عيناها.

(٣) قوله: حرام على عيني أن يطعما الكرى . تماما : وان يرقا يا هندأ

الطعم الذوق ورقا الدمع سكن.

(٢٠٨/٤)

فاليوم ننسأهم { نفعل بهم فعل الناسين الذين ينسون عبيدهم من الخير لا يذكرونهم به { كما نسوا لقاء يومهم هذا } كما فعلوا بلفائه فعل الناسين(١)، فلم يخطروه ببأهم ولم يهتموا به

ô%os)s9ur جئناهم بكتاب sù"ç=sYù"çm على علم هدى ورحمة لقوم يؤمنون

(٥٢) هل ينظرون

إلا تأويله يوم 'Aù'tf تأويله يقول الذين نسوه من قبل قد جاءت رسل ربنا بالحق فهل لنا من شفعاء فيشفعوا لنا أو -çR uث فنعمل غير الذي كنا نعمل قد (yz£مؤ!r£#) أنفسهم

وضل عنهم ما كانوا cr مث tf اخجب
}

(١) قوله: يفعل بهم فعل الناسين أراد أنه تمثيل لأنه تعالى متعال أن ينسى شيئا لكن شبه معاملته لهؤلاء المتكبرين بمعاملة من ينسى من الخير فلا يلتفت إليه، وقوله كما فعلوا بلقاءه فعل الناسين تنبيه على أن وصفهم بالنسيان تمثيل أيضا لأنهم لم يكونوا في الدنيا ذاكرين لله حتى ينسوه فشبه عدم إحضارهم لقاء الله أي القيامة ببالهم وقلة مبالاتهم بحال من عرف شيئا ثم نسيه.
(٢٠٩/٤)

فصلناه على علم { عالمين كيف نفصل أحكامه ومواعظه وقصصه وسائر معانيه، حتى جاء حكيمًا قيما غير ذي عوج قرأ ابن محيض فضلتاه بالصاد المعجمة بمعنى فصلناه على جميع الكتب، عالمين أنه أهل للتفضيل عليها، و { هدى ورحمة } حال من منصوب فصلناه، كما أن

على علم حال من مرفوعه { إلا تأويله } إلا عاقبة أمره وما يؤول إليه من تبين صدقه وظهور صحة ما نطق به من الوعد والوعيد { قد جاءت رسل ربنا بالحق } أي تبين وصح أنهم جاؤوا بالحق { نرد } جملة (١) معطوفة على الجملة قبلها، داخلة معها في حكم الاستفهام، كأنه قيل: هل لنا من شفعاء؟ أو هل نرد؟ ورافعه وقوعه موقعا يصلح للاسم، كما تقول ابتداء: هل يضرب زيد؟ ولا يطلب له فعل آخر يعطف عليه. فلا يقدر (٢):

(١) قوله يرد جملة معطوفة على الجملة التي قبلها وهي قوله : لنا من شفعاء وهي مبتدأ

وخبر لأن من زائدة في الاستفهام ومعنى قوله ورافعه وقوعه موقعا يصلح للاسم يعني به ابتداء الكلام لأن الابتداء صالح لأن يقع فيه الاسم والفعل وهو إشارة إلى أن العامل في رفع المضارع معنوي وهو ما ذكره .

(٢) قوله: فلا يقدر هل يشفع لنا شافع يعني لا يجوز تقدير يشفع ليعطف يرد عليه فيطابقه لأن جواب الاستفهام وهو فيشفعوا لنا يأبى ذلك لأنه لا يلائمه بل الملائم له حينئذ فيقبل شفاعته وفعل لأن هذا العطف يؤدي إلى الانسحاب والاشتراك فيه فيلزم أن يكون التقدير هل نرد فيشفعوا وهل لنا من شفعاء فيعمل . وقال ابن جني: فيشفعوا منصوب لأنه جواب الاستفهام وفيه معنى التمني كأنهم قالوا شفعا فيشفعوا لنا أو نرد

فنعمل غير الذي كنا نعمل وذلك أنهم مع نصب نرد تمنوا شفعا وقطعوا بالشفاعة
أو ألد وعلى قراءة العامة برفع نرد تمنوا الشفعا وقطعوا بالشفاعة وتمنوا الرد
أيضا كأنهم قالوا وهل نرد فنعمل..
(٢١٠/٤)

هل يشفع لنا شافع أو نرد؟ وقرأ ابن أبي إسحاق: "أو نرد" بالنصب عطفا على "فيشفعوا
لنا" أو تكون "أو" بمعنى "حتى أن" أي يشفعوا لنا حتى نرد فنعمل وقرأ الحسن بنصب
"نرد" ورفع { فتعمل } بمعنى: فنحن نعمل.
إن ربكم الله الذي خلق د9\$#،،yJ"N`uq والأرض في ستة &Q\$fro ثم استوى على
العرش
يغشي الليل النهار يطلبه Wxmd ZW\$ والشمس u چ yJs9\$#ur
Bم، | ,OچuQqàf'Z9\$#ur ON`u
ع 4/3ndحگ'Dr'خ/ ألا له ك،ù=sfù\$ #: قگ DF{\$#ur تبارك الله رب العالمين
(٥٤)

}

(٢١١/٤)

يغشى الليل النهار يطلبه حثيثا { وقرئ: "يغشى" بالتشديد، أي يلحق الليل النهار، أو
النهار بالليل يحتملها جميعا (١). والدليل (٢)

-
- (١) قوله : يحتملها جميعا أي يحتمل أن يكون الليل ملحقا بالنهار.
(٢) قوله: والدليل على الثاني أي على أن الليل ملحق بالنهار قراءة حميد ، فقوله
ويطلبه حثيثا مبتدأ وجنس الملامة خبره ،يعني يلزم على قراءة حميد أن يكون الطالب
النهار والليل ملحق به لأنه هو المطلوب على هذه القراءة والطلب بالنهار أولى والليل
أولى أن يكون ملحقا به . قال ابن جني: يغشي الليل النهار على قراءة حميد حال من
قوله { ثم استوى على العرش } والعائد محذوف أي يغشى الليل النهار بأمره أو بإذنه
وإنما إلزم هذا الحذف لتتفق القراءات ، فقوله يطلبه حثيثا بدل من قوله { يغشي
الليل النهار } للتوكيد وعلى قراءة العامة يطلبه حال من الليل أي يغش الليل النهار
طالبا له وحثيثا حال من الضمير في يطلبه ووجه البقاء القرائن أن الليل والنهار

يتعاقبان وكل واحد منهما فاعل ، وإن كان مفعولا فإن كل واحد منهما مزيل لصاحبه على أن الظاهر في الإستحاثات هو النهار لأنه بشروقه يظهر إثر الإستحاثات لأن ضوء النهار هو الهاجم على الظلمة يطالبه حثيثا. وقوله يطلبه حثيثا على هذا حال من النهار وإن كان مفعولا إلى آخر ما ذكره . وقال الطيني قوله: على أن الظاهر في الإستحاثات هو النهار هو المراد من قول المصنف ويطلبه حثيثا حسن الملائمة لقراءة حميد . وقيل : إذا قلنا أن اللاحق هو الليل والطالب أيضا هو الليل فيرجع المستتر من يطلبه إلى أبعد المذكورين وإن قلنا أن اللاحق هو النهار كما تدل عليه قراءة حميد فالطالب أيضا هو النهار فيرجع الضمير إلى الأقرب فيكون يطلبه حثيثا حسن الملائمة لقراءة حميد وقيل الملائمة باعتبار ، كونهما مبينين للفاعل متحدين في الإسناد .. (٢١٢/٤)

على الثاني قراءة حميد بن قيس: يغشى الليل النهار، بفتح الياء ونصب الليل ورفع النهار، أي يدرك النهار الليل ويطلبه حثيثا، حسن الملائمة لقراءة حميد { بأمره } بمشيئته وتصريفه، وهو متعلق بمسخرات، أي خلقهن جاريات بمقتضى حكمته وتديره، وكما يريد أن يصرفها (١) سمي ذلك أمرا على التشبيه (٢)، كأنهن مأمورات بذلك. وقرأ: "والشمس والقمر والنجوم مسخرات"، بالرفع. لما ذكر (٣) أنه خلقهن مسخرات بأمره قال: {

ألا له الخلق والأمر { أي هو الذي خلق الأشياء كلها، وهو الذي صرفها على حسب إرادته.

)

(١) قوله: وكما يريد أن يصرفها عطف على قوله بمقتضى حكمته.
(٢) قوله على التشبيه أي على الاستعارة فإنها مسبوقة به بيانه أنه تعالى جعل هذه الأشياء في كونها تابعة لتكوينه وتصرفه فيها بما شاء غير ممتنعة عليه كأنها عقلاء مميزون قد عرفوا عظمتهم وجلاله فكما يرد عليهم أمره لا يتوقفون عن الامتثال .
(٣) قوله: ولما ذكر أنهن مسخرات بأمره قال { ألا له الخلق والأمر { أراد أن هذا كالتذييل للكلام السابق واللام في الخلق والأمر للجنس فيدخل في الخلق خلق السماوات والأرض وفي الأمر قوله مسخرات بأمره وإلى الأول الإشارة بقوله هو الذي خلق الأشياء وإلى الثاني بقوله وهو الذي صرفها على إرادته .

(٢١٣/٤)

#qمٹ\$# ربكم تضرعاً وخفية إنه لا يحب المعتدين (٥٥) ولا تفسدوا في الأرض بعد إصلاحها qمٹ\$# ur# خوفًا وطمعا إن رحمة الله ز=فحج%s من المحسنين (٥٦) وهو الذي

يرسل yx"tf"حج\$# بشرًا بين يدي رحمته #Lxm® إذا أقلت سحابًا ثقلًا
çm"Ysك™ لبلد
ميت \$uZ9"u'sRr به الماء \$u_ôYs÷sù'zr به من كل دN"چ #9\$VJy
7y9دxx. كاحجféU
N' #9\$AqyJن=9yès تذكرون (٥٧) والبلد الطيب يخرج نباته بإذن ربه والذي
خبث لا

يخرج إلا نكدًا 7y9دxxن=9 نصرف الآيات لقوم يشكرون اخرب
}
(٢١٤/٤)

تضرعاً وخفية { نصب على الحال، أي ذوي تضرع وخفية. وكذلك خوفًا وطمعا. والتضرع
تفعل

من الضراعة وهو الذل، أي تذللًا وتملقًا. وقرئ: "وخفية" وعن الحسن رضي الله عنه: إن
الله يعلم القلب النقي والدعاء الخفي، إن كان الرجل لقد جمع (١) القرآن وما يشعر به
جاره، وإن كان الرجل لقد فقه الفقه الكثير ولا يشعر الناس به، وإن كان الرجل ليصلي
الصلاة الطويلة وعنده الزور وما يشعرون به، ولقد أدركنا أقوامًا ما كان على وجه
الأرض (٢) من عمل يقدرّون على أن يعملوه في السر فيكون علانية أبدًا. ولقد كان

المسلمون يجتهدون في الدعاء وما يسمع لهم صوت، إن كان إلا همسا بينهم وبين ربهم.

(١) قوله: إن كان الرجل لقد جمع القرآن أن مخففة من الثقيلة واللام بعدها هي
الفارقة ولا يقدر ضمير الشأن كما ظن الطيني: والمعنى إن الرجل كان يحفظ القرآن إلى
آخره وإنما قلنا بعدم تقدير ضمير الشأن لأن أن المكسورة إذا خففت والغيب ظاهر الغيب
مطلقًا ولم يعمل تقديرًا فلو قدر ضمير شأن لكانت عاملة فيه تقديرًا بخلاف أن المفتوحة
فإنها إذا خففت وألغيت ظاهرًا علمت تقديرًا ليحصل بينها وبين الجملة التي بعدها ربط
بسبب هذا الاسم لأنه يكون لها باسمها ارتباط ولاسمها بالخبر ارتباط فيحصل بينها

وبين الجملة التي هي خبر اسمها ارتباط وإنما طلبوا الارتباط اللفظي بينهما لارتباط
بينهما معنوي تام وذلك أنها حرف موصول وهي مع صلتها في تقدير مفرد هو المصدر إذ هي
حرف مصدرية فكان ان وحدها بعض حروف ذلك المفرد ، وأما المكسورة فإنها مع جملتها
ليست

بتقدير المفرد. هذا وقد أجاز سيويه إلغاء المفتوحة لفظا وتقديرا كالمكسورة .
والزور جمع زائر وهو الضيف .

(٢) قوله: ما كان على وجه الأرض من عمل معناه لا يوجد على وجه الأرض عمل يقدر أن
يعملوه في السر فيعملوه في العلانية أبدا يعني ما أمكنهم أن يعملوه سرا لا يعملونه
جهرا اجتنابا عن الرياء.
(٢١٥/٤)

وذلك أن الله تعالى يقول: { ادعوا ربكم تضرعا وخفية } وقد أثنى على زكريا فقال: {
إذ نادى ربه نداء خفيا } (مريم: ٣) وبين دعوة السر ودعوة العلانية سبعون(١) ضعفا .
إنه لا يحب المعتدين { أي المجاوزين ما أمروا به في كل شيء من الدعاء وغيره. وعن
ابن جريج؛ هو رفع(٢) الصوت بالدعاء. وعنه: الصياح في الدعاء مكروه وبدعة. وقيل: هو
الإسهاب في الدعاء. وعن النبي
:
)

(١) قوله: سبعون ضعفا الأزهري الضعف في كلام العرب المثل فما زاد وليس مقصور على

مثلين فأقل الضعف محصور في الواحد وأكثره غير محصور ذكره في النهاية.

(٢) قوله: هو رفع الصوت أي الاعتدا رفع الصوت .
(٢١٦/٤)

٣٩١ "سيكون قوم يعتدون في الدعاء، وحسب المرء أن يقول: اللهم إني أسألك الجنة وما
قرب إليها من قول وعمل، وأعوذ بك من النار وما قرب إليها من قول وعمل ثم قرأ قوله
تعالى: { إنه لا يحب المعتدين } . { إن رحمة الله قريب من المحسنين } (١) كقوله: {
وإني لغفار لمن تاب وآمن وعمل صالحا } (طه: ٨٢). وإنما ذكر { قريب } على تأويل
الرحمة بالرحم أو الترحم، أو لأنه صفة موصوف محذوف، أي شيء قريب. أو على تشبيهه(٢)

بفعل الذي هو بمعنى مفعول كما شبه ذاك به، فقليل قتلاء وأسراء، أو على أنه بزنة المصدر، الذي هو النقيض والضغيب. أو لأن تأنيث الرحمة(٣)

(١) قوله: إن رحمة الله قريب من المحسنين. كقوله { وني لغفار لمن تاب } يعني هذه الجملة تذييل للكلام السابق وتعميم بعد تخصيص وتعليق الرحمة بإحسان عبادة كما أن في قوله { وني لغفار } تذييل لقوله { يا بني إسرائيل قد أنجيناكم من عدوكم } إلى قوله { كلوا من طيبات ما رزقناكم ولا تطغوا فيه } تعميم بعد تخصيص وتعليق لغفرانه بتوبة عباده.

(٢) قوله: أو على تشبيهه بفعل الذي هو بمعنى مفعول فإنه يستوي فيه المذكر والمؤنث كجريح واسير وقتيل كما شبه ذلك به أي كما شبه فعل بمعنى مفعول بفعل بمعنى فاعل فجمع قتيل وأسير على قتلا وأسرا كما جمع كريم ورحيم على كرماء ورحماء . وقال صاحب التقريب وفي الوجوه التي ذكرها المصنف نظر لعدم اطرادها . وقلت لا يلزم من عدم الإطراد عدم الجواز وإنما يلزم عدم الوجوب وحينئذ لا نظر.

(٣) قوله: ولأن تأنيث الرحمة غير حقيقي وإنما جاز عدم التابع مع الإسناد إلى الضمير المؤنث لأن التاء قد لا تلحق وإن أسند إلى الضمير كما في قولهم امرأة شربت وإذا جاز هذا ففي قريب جوازه أولى ولعلهم يفرقون بين إسناد الفعل إلى الضمير وبين إسناد غيره

إليه فيوجبون التأنيث في الأول دون الثاني..هذا ويمكن أن يقال أن رحمة اكتسبت التذكير من المضاف إليه لأن المضاف قد يكتسي التذكير من المضاف إليه كما يكتسي التأنيث منه ومن ذلك قول الشاعر:

رؤية الفكر ما يؤل له الأمر معين على اجتناب التواني

فإنه ذكر الرؤية لتذكير ما أضيفت إليه وهو الفكر حيث أخبر عنها بمعين ولم يقل معينة . وقال المصنف في قراءة بن ميسرة { ما إن مفاتحة لتنوان } التذكير في لتنؤ مع أن الضمير للمفاتح باعتبار تذكيرها لتذكير ما أضيفت إليه وهو الضمير وهذا وجه حسن لا مزيد عليه . وقال الزجاج أن الرحمة والغفران والعفو في معنى واحد ، وقال الأخفش : أن الرحمة في معنى المطر. وقال أبو التقاء: الرحمة والترحم بمعنى وقيل هو على التسبب أي ذات قريب وقيل فرق بين قريب من النسب وبين قريب من غيره. وقال الزجاج

هذا غلط كل ما قرب من مكان أو نسب يجوز فيه التذكير والتأنيث وال..... صوت ...
..... و..... صوت الأرنب والنقص بمعنى المنقوص والحسب بمعنى المحسوب وهو ما

بعد

من مفاخر الآباء .

(٢١٧/٤)

غير حقيقي، قرىء: "نشرا وهو مصدر نشر. وانتصابه إما لأن (١) أرسل ونشر متقاربان، فكأنه قيل: نشرها نشرا: وإما على الحال بمعنى منتشرات. ونشرا جمع نشور. ونشرا تخفيف نشر، كرسل ورسل. وقرأ مسروق: "نشرا"، بمعنى منشورات، فعل بمعنى مفعول، كنقض وحسب.

ومنه قولهم "ضم نشره" وبشرا جمع بشير. وبشرا بتخفيفه. وبشرا - بفتح الباء - مصدر من بشره بمعنى بشره، أي باشرات، وبشرى { بين يدي رحمته } أمام رحمته، وهي الغيث الذي هو من أتم النعم وأجلها وأحسنها أثرا { أقلت } حملت ورفعت، واشتقاق الإقلال من القلة، لأن الرافع المطبق يرى الذي يرفعه قليلا { سحابا ثقالا } سحاب { ثقالا بالياء جمع

(١) قوله: لأن الم..... يرفعه قليلا . قال المصنف حقيقة أوله جعله قليلا في

زعمه كقولك أكذبه أجعله كاذبا في زعمه . قال بعضهم أوله وحده قليلا أو اعتقده قليلا فالجعل من الجعل الاعتقادي و..... مقصور

(٢١٨/٤)

سحابة { سقناه } الضمير للسحاب على اللفظ، ولو حمل على المعنى كالثقال لأنث، كما لو حمل الوصف على اللفظ لقليل ثقيل { لبلد ميت } لأجل بلد ليس فيه حيا ولسقيه. وقرىء: "ميت" { فأنزلنا به } (١) بالبلد أو بالسحاب أو بالسوق. وكذلك { فأخرجنا به... } مثل ذلك الإخراج وهو إخراج الثمرات { نخرج الموتى لعلكم تذكرون } فيؤديكم التذكر إلى أنه لا فرق بين الإخراجين. إذا كل واحد منهما إعادة للشيء بعد إنشائه { والبلد الطيب } الأرض العذبة الكريمة التربة { والذي خبث } الأرض السبخة التي لا تنبت ما ينتفع به { بإذن ربه } بتيسيره وهو في موضع الحال، كأنه قيل: يخرج نباته حسنا وافيا لأنه واقع (٢) في مقابلة { نكدا } والنكد الذي لا خير فيه. وقرىء: "يخرج نباته" أن يخرج البلد وينبته وقوله: { والذي خبث } ، فحذف المضاف الذي هو النبات، وأقيم المضاف إليه الذي هو الراجع إلى البلد مقامه؛ إلا أنه كان مجرورا بارزا، فانقلب

مرفوعا مستكنا لوقوعه موقع الفاعل، أو يقدر: ونبات الذي خبث. وقرىء: "نكدا" بفتح الكاف على المصدر. أي ذا نكد. ونكدا، بإسكانها للتخفيف، كقوله: نزه عن الريب (٣)، بمعنى نزه. وهذا مثل لمن ينجع فيه الوعظ والتنبيه من المكلفين، ولمن لا يؤثر فيه شيء من ذلك. وعن مجاهد: آدم وذريته منهم خبيث وطيب.

(١) قوله: فأنزلنا به بالبلد أي الضمير في به راجع إما إلى البلد أو إلى السحاب أو السوق فعلى الأول الباء بمعنى في وعلى الأخيرين الباء للإله والعذاه الأرض الطيبة التربة والجمع عدوات ، وقوله الكريمة البرية تفسير للغداة.

(٢) قوله : لأنه واقع في مقابل يكدى أي إنما فسر بإذن ربه بقوله حسنا وافيا وإن كان معناه تيسيره وتسهيله لكونه واقعا في مقابلة يكدى فالمطابقة إذن معنوية .

)

(٣) قوله: تنزه عن الريب . معناه ظاهر ، ولم اظفر بأوله .

(٢١٩/٤)

وعن قتادة: المؤمن سمع كتاب الله فوعاه بعقله وانتفع به، كالأرض الطيبة أصابها الغيث فأنبئت. والكافر بخلاف ذلك. وهذا التمثيل واقع على أثر ذكر المطر، وإنزاله بالبلد الميت، وإخراج الثمرات به على طريق الاستطراد { كذا لك } مثل ذلك التصريف { نصرف الآيات } نرددها ونكررها { لقوم يشكرون } نعمة الله وهم المؤمنون، ليفكروا فيها ويعتبروا بها. وقرىء: "يصرف" بالياء أي يصرفها الله.

لقد أرسلنا نوحا إلى قومه فقال دQqs"tf اعبدا الله ما لكم من إله ¼cnمخ xi

'D٥خ) أخاف عليكم عذاب يوم عظيم (٥٩)

{ لقد أرسلنا نوحا } جواب قسم محذوف. فإن قلت: ما لهم لا يكادون ينطقون بهذه اللام، إلا مع "قد" وقل عنهم، نحو قوله:

حلفت(١) لها بالله حلفة فاجر

(١) قوله: حلفت لها بالله حلفة فاجر لناوما . الفاجر الكاذب أو العاهر واللام جواب

حلفت لا جواب قسم محذوف ، تمامه: فما إن من حديث ولا صال. ... فمن إن من حديث

ولا

صال

من حديث أي من ذي حديث أو من محادث كالعشير بمعنى المعاصر والصالي المصطلحي وإن زائدة ، يقول طرقت المحبوبة فاستشعرت الخوف من الرقباء فحلفت لها أن القوم قد ناموا.

(٢٢٠/٤)

قلت: إنما كان ذلك لأن الجملة القسمية لا تساق إلا تأكيداً للجملة المقسم عليها، التي هي جوابها، فكانت مظنة لمعنى التوقع (١) الذي هو معنى "قد" عند استماع المخاطب كلمة القسم. قيل: أرسل نوحاً عليه السلام وهو ابن خمسين سنة، وكان نجاراً وهو نوح بن لمك بن متوسلخ بن أخنوخ وأخنوخ اسم إدريس النبي عليه السلام. وقرئ: "غيره" بالحركات الثلاث، فالرفع على المحل، كأنه قيل: ما لكم إله غيره. والجر على اللفظ والنصب على الاستثناء بمعنى: ما لكم من إله إلا إياه، كقولك: ما في الدار من أحد إلا زيد أو غير زيد. فإن قلت: فما موقع الجملتين بعد قوله: {اعبدوا الله} ؟ قلت:

الأولى (٢) بيان لوجه اختصاصه بالعبادة. والثانية: بيان للداعي إلى عبادته لأنه هو المحذور عقابه دون ما كانوا يعبدونه من دون الله واليوم العظيم يوم القيامة أو يوم نزول العذاب عليهم وهو الطوفان.

٥@n" = | ت &üx-60 B قال
(Qqs) "tf ليس 'د١

ط' s'#=n | ات i_٣"sur s رسول من رب العالمين (٦١) أبلغكم رسالات 'n1us'
وأنصح لكم

وأعلم من الله ما لا تعلمون ادثب

}

(١) قوله: لمعنى التوقع أراد أن الجملة إذا أكدت بالقسم فالمخاطب لا بد أن يتوقع حصول المقسم عليه وينتظر حصوله فناسب إدخال قد.

(٢) قوله: قلت الأولى بيان لوجه اختصاصه بالعبادة أراد بها قوله {ما لكم من إله غيره} وبيان وجه الاختصاص أن نوحاً قال لقومه وهم مشركون اعبدوا الله فهم منه الاختصاص أي خصوه بالعبادة ولا تشركوا معه غيره ثم لما أراد بيان هذا المعنى قال {ما لكم من إله غيره} بمعنى أن الإلهية مخصصة به فتخصيص به العبادة لأن العبادة لا

يستحقها إلا الإله ، ثم أنه أتى بقوله { إنني أخاف } الآية معللا لدعواه أي إنما دعوتكم لأنني أخاف عليكم عذاب يوم عظيم ، إظهارا للشفقة عليهم.
(٢٢١/٤)

الملا { الأشراف والسادة: وقيل: الرجال ليس معهم النساء { في ضلال { في ذهاب عن طريق الصواب والحق. ومعنى الرؤية: رؤية القلب. فإن قلت: لم قال: { ليس بي ضلالة { ولم يقل ضلال كما قالوا؟ قلت: الضلالة أخص (١)

(١) قوله: قلت الضلالة أخص من الضلال أي نفيها أخص من نفي الضلال ووجه ذلك أن الضلالة أعم من الضلال لأنها للواحد فقط وهو للكثير والواحد أعم من الكثير لأنه يوجد بدون الكثير دون العكس ، ونفي العام أخص من نفي الخاص لأنه كلما انتفى العام انتفى الخاص من غير عكس، وإذا تقرر هذا فنفي الضلالة أبلغ من نفي الضلال كما أن نفي التمرة أبلغ من نفي التمر في قولك مالي ثمرة ، وهذا الكلام لا يخلو عن منع . وقال

صاحب التقريب: وفيه نظر لأن الضلال إما أن يراد به الكثير أو الجنس فعلى الأول لا نسلم أن الواحد أخص بل الصحيح العكس لأنه كلما وجد الكثير وجد الواحد ولا ينعكس ، فالواحد أعم ويتم الجواب حينئذ إذ يلزم من نفي العام نفي الخاص من غير عكس ، فكأن نفيها أبلغ أي ليس بي شيء من الضلال وعلى الثاني يصح أن الضلالة أخص ولكن لا يتم الجواب إذ لا يلزم من نفي الخاص نفي العام . وقلت: المراد بالضلال الجنس فيصح كون الضلالة أخص منه كما قال المصنف ويتم الجواب بنفي الضلالة ، وأما قوله لا يلزم من نفي الخاص نفي العام فالجواب عنه أنا نسلم أن نفي الخاص من حيث هو هو لا يلزم منه نفي العام لكن هاهنا يلزم نفي العام الخارج بدليل آخر وذلك لأنه إذا نفيت عنه الضلالة وجب أن ينتفي عنه جنس الضلال لأن هذا الجنس إذا وجد الخارج فإما أن يوجد في ضمن الواحد أو في ضمن الكثير فإذا انتفى الواحد فقد انتفى كل واحد منه ومن الكثير لأن الواحد من لوازم الكثير فلو وجد الكثير لوجد الواحد ولم يصح نفيه ، وإذا انتفى كل واحد من الواحد والكثير في الخارج فقد انتفى جنس الضلال في الخارج وهو المطلوب . . والتحقق في هذا المقام أن الضلالة أخص من الضلال بحسب الماهية ومساوية لم (له) بحسب الوجود الخارجي . وقال المصنف نفى أن يكون معه طرف من الضلال وأثبت أنه في الغاية القصوى من الهدى حيث قال كان رسولا من رب العالمين ، وفيه إظهار لمكاثرتهم وفرط عنادهم حيث وصفوا من هو بهذه المنزلة من الهدى بالضلال المبين الظاهر الذي لا

ضلال بعده. وقال صاحب الفرائد: جعل التاء في الضلالة بمنزلة التاء في التمرة والفعلة في أنها للواحدة ، وقال صاحب المعجم الضلالة والضلال بمعنى واحد . وقال صاحب المثل السائر : الأسماء المفردة الواقعة على الجنس التي يكون بينها وبين واحدها تاء التانيث فإنه متى أريد النفي كان استعمال واحدها أبلغ ومتى أريد الإثبات

كان استعمالها ولا تظن أنه لما كان الضلالة والضلال مصدرين من قولك ضل ضلالا وضلالة كان القولان سواء لأن الضلالة هنا ليست عبارة عن المصدر بل عن المرة الواحدة فإذا نفى نوح عليه السلام عن نفسه المرة الواحدة من الضلال فقد نفى ما فوقها من المرتين والمرات الكثيرة . وقال صاحب الفلك الدائر على فلك المثل السائر الذي ذكره غير صحيح لا إن كانت الضلالة مصدر أولا أن كانت المرة الواحدة ، أما الأول فلأنهما لما دلا على المصدر لم يكن دلالة أحدهما أبلغ من الآخر لأن المصدر يدل على الماهية فقط فإذا انتفا بقيت الماهية ، وأما الثاني فلا يصح أيضا لأنه لو قال القائل ما عندي ثمرة بمعنى ما عندي ثمرة واحدة وعنده تمر كثير لصح ذلك لأنه لو أظهر ما أضر فقال ليس عندي ثمرة واحدة بل تمرات لم يكن مناقضا ، وقول نوح عليه السلام ليس بي ضلالة بمعنى ضلالة واحدة لم يكن نافيا لكونه ضالا لأنه إذا كانت الضلالات مختلفة الأنواع لم يفده قوله لجواز أن لا تكون ضلالة واحدة بل ضلالات مختلفة متنوعة ومن وجدت عنده ضلالات كثيرة فقد صدق عليه أنه قد انتفت عنه ضلالة واحدة ، وقريب من هذه المعاني ذكره صاحب الانتصاف. قال الطيني : ونعم ما قال والعجب من هؤلاء الفضلاء كيف تكلموا بما لا جدوى فيه وطولوا الكلام من غير نظر إلى المقام فإن المصنف إنما تكلم على معنى الحال ومطابقة الجواب لما قبله من غير اعتبار لمفردات اللفظ بيانه أن القوم لما أثبتوا نوعا من الضلال وهو الضلال المبين فجوابه إنما يطابق ما نسبوه إليه على سبيل الرد إذا كان أبلغ منه فإذا لم يحمل الضلالة على ما قدره لم يكن أبلغ ولولا قصد المبالغة لكان مقتضى الظاهر أن يجيبهم بليس بي ضلال ولكنهم لما أثبتوا النوع نفى الوحدة للمبالغة ولم ينف الجنس إذ لو نفاه فأتى مقتضى العدول عن مقتضى الظاهر ولأن نفى الوحدة لإرادة انتقال (انتفاء) الماهية أبلغ من العكس لمكان

الكناية واستلزام الاستغراق بحسب أفراد الجنس كما قال صاحب المثل فإذا نفى نوح عن نفسه الواحدة من الضلال فقد نفى ما فوقها فظهر من هذا أن التركيب إنما يفيد المطلوب إذا وقع جوابا مع إرادة المبالغة لا بالنظر إلى اللفظ من حيث هو هو ألا ترى أن قوله تعالى { الله يستهزئ بهم } إنما كان أبلغ من قوله { إنما نحن مستهزئون } حيث وقع جوابا له ولو نظر إلى اللفظ فقط كان دونه بدرجات ، وأما مسألة التمرة فإذا

قال القائل: ليس عندي ثمرة ابتدا يصح ما قال الزاعم أنه لو قال جوابا لمن يتهمه بأن له تمرا كثيرا فلا يصح ما قال. وقال العلامة الرازي: إنما عدل إلى قوله { ليس بي ضلالة } لأن المراد ليس بي نوع من أنواع الضلالة البتة، وقال القاضي: أي ليس بي شيء من الضلال بالغ في النفي كما بالغوا في الإثبات. وأقول: تحقق ما قاله الطيني أن الإنسان لو اتهم بأنه يملك ما لا كثيرا وقيل له لك مال كثير فقال ليس لي حبة مثلا فلا شك أن هذا أبلغ من أن يقول ليس لي مال كثير لأنه ربما كان له مال قليل على تقدير ذلك، أما على هذا فلا لأنه يفهم منه أنه لا مال له بته (البتة) لأن غرضه التبرؤ مما اتهم به على سبيل المبالغة ولا يفهم من قوله ليس لي حبة أن له ما فوقها في هذا المقام، وهذا واضح لمن كان له قلب أو ألقى السمع وهو شهيد.

(٢٢٢/٤)

من الضلال، فكانت أبلغ في نفي الضلال عن نفسه، كأنه قال: ليس بي شيء من الضلال، كما
لو قيل لك: ألك تمر، فقلت: ما لي ثمرة فإن قلت: كيف وقع (١) قوله: { ولكني رسول } استدراكا للانتفاء عن الضلالة؟ قلت: كونه رسولا من الله مبلغا رسالاته ناصحا، في معنى كونه على الصراط المستقيم، فصح لذلك أن يكون استدراكا للانتفاء عن الضلالة. وقرئ: "أبلغكم" بالتخفيف. فإن قلت: كيف موقع قوله: { أبلغكم }؟ قلت: فيه وجهان. أحدهما: أن يكون كلاما مستأنفا بيانا لكونه رسول رب العالمين. والثاني: أن يكون صفة لرسول. فإن قلت: كيف جاز أن يكون صفة والرسول لفظه لفظ الغائب؟ قلت: جاز ذلك لأن الرسول وقع خبرا عن ضمير المخاطب (٢)

(١) قوله: كيف وقع ولكني رسول من رب العالمين استدراكا معنى الاستدراك: أن الجملة التي يسوقها المتكلم أولا يقع فيها وهم للمخاطب فيتدارك ذلك الوهم بإزالته كقولك زيد ليس بفقير ولكنه طبيب فحق لكن أن يتوسط بين كلامين متغايرين نفيا وإثباتا وإيجابا. وإجابا: بأن التغاير حاصل من حيث المعنى لأن معنى قوله ولكني رسول من رب العالمين أنني على صراط مستقيم فكأنه قال ليس بي ضلالة قط لكنني على الهداية البتة، كقولك جاءني زيد لكن عمرا غائب () ويحتمل أن يكون الاستدراك دفعا لما فهم من قوله { ليس بي ضلالة } لأنه ربما يوهم قصر فضيلته على ذلك فاستدرك ذلك بأنه مع انتفاء الضلالة عنه في هذه المرتبة الجليلة وهي أنه رسول من رب العالمين والأول هو المفهوم

من كلام المصنف .

(٢) قوله: ولأن الرسول وقع خبرا عن ضمير المخاطب بكسر الطاء أي المتكلم في لكني كأنه قال لكني أبلغكم رسالات ربي فجاء برسول من رب العالمين للإبهام ثم بينه بقوله { أبلغكم رسالات ربي } تفخيما وتعظيما ومن ثم زيد قوله { رب العالمين } وكذلك قوله : أنا الذي سمتني أمي حيدرته.
فأقحم الموصول للتقحيم وبعضه ما بعده وهو:

كليث غابات كربه المنطرة ... اوفيهم بالصاع كيل السندرة
أي أنا ذاك المشهور المعروف بالشجاعة الذي لا يخفى على أحد ولا يريد مجرد الإخبار عن تسميه أمه له بهذا الاسم إذ لو أريد ذلك لقال أنا الذي سمته أمه حيدرة. فأنله أمير المؤمنين عليه السلام يوم خيبر عند مبارزته مرحبا . قيل سمته فاطمة بنت أسد باسم أبيها وأبو طالب غائب فلما قدم لم (يرض) بهذه التسمية وسماه عليا وكان القياس أنا الذي سمته أمه ليرجع الضمير إلى الموصول ولكنه ذهب إلى المعنى لأن خبر المبتدأ هو الموصول مع الصلة وفيه ضمير أنا الراجع إلى المبتدأ وذلك لأن خبر

المبتدأ في المعنى هو المبتدأ كأنه قال أنا سمتني والحيدرة من أسماء الأسد والسندرة مكيال ضخم أي أقتلهم قتلا سريعا ذريعا.
(٢٢٣/٤)

وكان معناه، كما قال:

أنا الذي سمتن أمي حيدرته
{ رسالات ربي } ما أوحى إلي في الأوقات المتطاوله، أو في المعاني المختلفة من الأوامر والنواهي والمواعظ والزواجر والبشائر والندائر. ويجوز أن يريد رسالاته إليه وإلى الأنبياء قبله من صحف جده إدريس، وهي ثلاثون صحيفة، ومن صحف شيث وهي خمسون

صحيفة { وأنصح لكم } يقال نصحته ونصحت له. وفي زيادة اللام مبالغة ودلالة على إحاطة النصيحة وأنها وقعت خالصة للمنصوح له مقصودا بها جانبه لا غير، فرب نصيحة ينتفع بها الناصح فيقصد النفعين جميعا ولا نصحية أمحض من نصيحة الله تعالى ورسله عليهم السلام { وأعلم من الله ما لا تعلمون } أي من صفات الله وأحواله، يعني قدرته الباهرة وشدة بطشه على أعدائه، وأن بأسه لا يرد عن القوم المجرمين. وقيل: لم يسمعوا بقوم حل بهم

العذاب قبلهم فكانوا آمنين لا يعلمون ما علمه نوح بوحى الله إليه، أو أراد(١):
وأعلم من جهة الله أشياء لا علم لكم بها قد أوحى إلي بها.
OçF6 أن جاءكم ذكر من ربكم على @_م' منكم لينذركم ولتتقوا ولعلكم
ترحمون
ادجب
}

(١) قوله: أو أراد واعلم من جهة يريد أن من في قوله { من الله } إما بيان ما حال
منه أو من العائد المحذوف في الصلة المعنى وأعلم ما لا تعلمونه من صفات الله وهي
شدة بطشه على أعدائه وإنما لم يعلموه لأنهم أول الأمم الهالكة لم يسمعوا بقوم حل
بهم العذاب قبلهم أو هو متعلق بقوله اعلم ومن ابتدائية فالمعنى ما قال ، واعلم من
جهة الله إلى آخره على تقدير سؤال وقيل إنما حسن هذا لأن قصة نوح عليه السلام ابتدأ
كلامه بالسؤال غير مقتضى الحال ، وأما قصة هود فكانت معطوفة على قصة نوح فيمكن أن
(يقع) يخطر في خاطر السامع أقال هود ما قال نوح أم غيره فكان مظنة السؤال فالفاء

رباط لفظي والاستئناف رابط معنوي .
(٢٢٤/٤)

أو عجبتم { الهمة للإنكار، والواو للعطف، والمعطوف عليه محذوف، كأنه قيل: أكذبتم
وعجبتم { أن جاءكم { من أن جاءكم { ذكر { موعظة { من ربكم على رجل منكم { على
لسان

رجل منكم، كقوله: { ما وعدتنا على رسلك { (آل عمران: ١٩٤) وذلك أنهم يتعجبون من
نبوة نوح عليه السلام ويقولون: ما سمعنا بهذا في آبائنا الأولين، يعنون إرسال
البشر، ولو شاء ربنا لأنزل ملائكة { لينذركم ولتتقوا { ليحذركم عاقبة الكفر وليوجد
منكم التقوى وهي الخشية بسبب الإنذار { ولعلكم ترحمون { ولترحموا بالتقوى إن وجدت
منكم.

فكذبوه فأنجيناه والذين معه في الفلك { ur&sY%{ îr\$ الذين كذبوا
/x"tf\$t"GdsY\$!

k®XhN(كانوا قوما عمين ادجب

{ والذين معه { قيل: كانوا أربعين رجلا وأربعين امرأة. وقيل: تسعة، بنوه سام وحام

ويافت، وستة ممن آمن به. فإن قلت: { في الفلك { بم يتعلق؟ قلت: هو متعلق بمعه، كأنه قيل: والذين استقروا معه في الفلك أو صحبوه في الفلك. ويجوز أن يتعلق بفعل الإنجاء، أي أنجيناهم في السفينة من الطوفان { عمين { عمى القلوب غير مستبصرين. وقرئ: "عامين". والفرق بين العمى والعامي: أن العمى يدل على عمى ثابت، والعامي على حادث. ونحوه قوله: { وضائق به صدرك { (هود: ١٢).

}

(٢٢٥/٤)

* وإلى عاد أخاهم هودا قال دQqs"tf" اعبدوا الله ما لكم من إله ٤١/٤cnم١xî أفلا تتقون (٦٥) قال الملاء الذين كفروا من قومه إنا لنراك في سفاهة وإنا لنظنك من الكاذبين (٦٦) قال دQqs"tf" ليس 'د' سفاهة سة١-٣s9ur" رسول من رب العالمين (٦٧)

أبلغكم رسالات 'د'n1u' وأنا لكم ٣/٤\$٣/٤tR أمين (٦٨) &urfftOçF6 أن جاءكم ذكر من ربكم على ٥@م'u منكم لينذركم واذكروا إذ جعلكم خلفاء من بعد قوم نوح وزادكم في الخلق بسطة فاذكروا آلاء الله /ن٣=tbq9yèsد=٤69è? (è?)

}

(٢٢٦/٤)

أخاهم { واحدا منهم من قولك: يا أخا العرب للواحد منهم. وإنما جعل واحدا منهم، لأنهم أفهم عن رجل منهم وأعرف بحاله في صدقه وأمانته، وهو هود بن شالخ بن أرفخشذ بن سام بن نوح، وأخاهم: عطف على نوحا. و { هودا { عطف بيان له. فإن قلت: لم حذف العاطف

من قوله: { قال يا قوم { ولم يقل "فقال" كما في قصة نوح؟ قلت: هو على تقدير سؤال سائل قال: فما قال لهم هود؟ فقل: قال يا قوم اعبدوا الله، وكذلك { قال الملاء { .

فإن قلت: لم وصف الملاء { الذين كفروا { دون الملاء من قوم نوح؟ قلت: كان في أشرف قوم هود من آمن به، منهم مرثد بن سعد الذي أسلم وكان يكتم إسلامه فأريدت التفرقة بالوصف (١) ولم يكن في أشرف قوم نوح مؤمن.

(١) قوله: فأردت التفريق بالوصف أراد أنه إنما وصف الملائ من قوم هود دون الملائ من قوم نوح ليمتاز الذين كفروا من قوم هود من الذين آمنوا منهم ولما لم يكن في أشرف قوم نوح مؤمن لم يحتج إلى التفرقة . قال الطيني : قال بها الذين
وفي هذا الجواب نظر لأن قوله تعالى في سورة المؤمنين { قال الملائ الذين كفروا من قومه ما هذا إلا بشر مثلكم } وأراد في قوم نوح وهو لا يساعد هذا الجواب نفي أن يكون وصف ذم يعني يتقين الجواب الثاني. أقول والله الموفق: لا نظر في الجواب لأن الملائ من قوم نوح إذا وصفوا بالذين كفروا في موضع الذم لا يلزم وصفهم في كل موضع ولا يمنع ذلك من أن يكون وصف الملائ من قوم هود بالذين كفروا للتفرقة بين من آمن من قوم هود وبين من لم يؤمن منهم وإنما كان يرد النظر لو ذكر في سورة المؤمنين الملائ من قوم هود ولم يصفهم بالذين كفروا وليس كذلك ، ويحتمل أنه ذم قوم هود على الوجه الثاني دون قوم نوح هنا لكفرهم وعنادهم بقولهم { إنا لنراك في سفاهة } الآية مع كونه واحدا منهم معروفا منهم بالحلم والرشد والصدق والله أعلم.
(٢٢٧/٤)

ونحوه قوله تعالى: { وقال الملائ من قومه الذين كفروا وكذبوا بلقاء الآخرة } (هود):

(١٢) ويجوز أن يكون وصفا واردا للذم لا غير { في سفاهة } في خفة حلم وسخافة عقل، حيث
تهجر دين قومك إلى دين آخر، وجعلت السفاهة ظرفا على طريق المجاز: أرادوا أنه متمكن فيها غير منفك عنها. وفي إجابة الأنبياء عليهم السلام - من نسبهم إلى الضلال والسفاهة، بما أجابوهم به من الكلام الصادر عن الحلم والإغضاء وترك (١) المقابلة بما قالوا لهم مع علمهم بأن خصومهم أضل الناس وأسفهمهم - أدب حسن وخلق عظيم، وحكاية الله عز وجل ذلك تعليم لعباده كيف يخاطبون السفهاء وكيف يغضون عنهم ويسلبون أذيالهم على ما يكون منهم { ناصح أمين } (٢) أي عرفت فيما بينكم بالنصح والأمانة فما حقي أن أتهم. أو أنا لكم ناصح فيما أدعوكم إليه، أمين على ما أقول لكم لا أكذب فيه { خلفاء من بعد قوم نوح } أي خلفتموه في الأرض، أو جعلكم ملوكا في الأرض قد استخلفكم فيها بعدهم { في الخلق بسطة } فيما خلق من أجرامكم (٣) ذهابا في الطول والبدانة. قيل: كان أقصرهم ستين ذراعا، وأطولهم مائة ذراع
}

(١) قوله: وترك المقابلة ، قيل هو عطف على إجابة الأنبياء ويحتمل أن يكون معطوفا على الحلم .

(٢) قوله: ناصح أمين أي عرفت إشارة إلى أن هذه الجملة مستأنفة ، وقوله أو أنا لكم ناصح إلى آخره إيذان بأن الواو للحال ذكره نحوه في قوله تعالى { ثم اتخذتم العجل من بعده وأنتم ظالمون } قال بأن وأنتم ظالمون اعتراض أو حال .

(٣) قوله: فيما خلق من إجرامكم جعل قوله في الخلق ظرفا لقوله زادكم وبسطه مفعولا به أو فسر البسطة بالطول والبداية ، وقال أبو التقاء في الخلق يجوز أن يكون حالا من بسطة وأن يكون متعلقا بزادكم .

(٢٢٨/٤)

فاذكروا آلاء الله { في استخلافكم وبسطة أجرامكم وما سواهما من عطاياه . وواحد الآلاء "إلى" نحو إني وإناء، وضلع وأضلاع، وعنب وأعناب. فإن قلت: "إذ" في قوله: { إذ جعلكم خلفاء } ما وجه انتصابه؟ قلت: هو مفعول (١) به وليس بظرف، أي اذكروا وقت استخلافكم.

)

#qûn\$%s أجئنا لنعبد الله وحده ونذر ما كان يعبد آباؤنا ü'sù?dsY\$ بما تعدنا إن

كنت من الصادقين (٧٠) قال قد وقع عليكم من ربكم رجس وغضب

سـ %d9tRq" %pgéBr& في

أسماء سميتوها أنتم وآباؤكم ما نزل الله بها من سلطان فانظروا 'oTدخ معكم من

جـ ïçdàtGY#J9\$ اذتبçm"sù"uZpgUr' والذين معه ٧qu÷puHجـ/ منا

\$èsY÷us %sجـ/ #yث

الذين كذبوا بآياتنا وما كانوا مؤمنين (٧٢)

{ أجئنا لنعبد الله وحده { أنكروا واستبعدوا اختصاص الله وحده بالعبادة، وترك دين

الآباء. في اتخاذ الأصنام شركاء معه، حبا لما نشأوا عليه، وألغا لما صادفوا آباءهم

يتدينون به. فإن قلت: ما معنى المجيء في قوله: { أجئنا } قلت: فيه أوجه: أن يكون

لهود عليه السلام مكان معتزل عن قومه يتحنث فيه، كما كان يفعل رسول الله

(١) قوله: هو مفعول به وليس بظرف. قال صاحب الفرائد: يشكل هذا بقولهم

وقوعهما ظرفين لأرض (لازم) وأجيب بأن باب الاتساع واسع ، ومعنى

بحراء قبل المبعث فلما أوحى إليه جاء قومه يدعوهم. وأن يريدوا به الاستهزاء، لأنهم كانوا يعتقدون أن الله تعالى لا يرسل إلا الملائكة، فكأنهم قالوا: أجنثنا من السماء كما يجيء الملك، وأن لا يريدوا حقيقة المجيء، ولكن التعرض بذلك والقصد، كما يقال: ذهب يشمتني، ولا يراد حقيقة الذهاب، كأنهم قالوا: أقصدتنا لنعبد الله وحده وتعرضت لنا بتكليف ذلك؟ { فأتنا بما تعدنا } استعجال منهم للعذاب { قد وقع عليكم } (١) أي حق عليكم ووجب، أو قد نزل عليكم. جعل المتوقع الذي لا بد من نزوله بمنزلة الواقع. ونحوه قولك لمن طلب إليك (٢) بعض المطالب قد كان ذلك. وعن حسان؛ أن ابنه عبد الرحمان

لسعه زبور وهو طفل، فجاء يكي. فقال له يا بني مالك؟ قال: لسعني طوير كأنه ملتف في بردى حبرة، فضمه إلى صدره وقال له: يا بني، قد قلت الشعر (٣). والرجس: العذاب من

الارتجاس وهو الاضطراب { في أسماء سميتموها } في أشياء ما هي إلا أسماء ليس تحتها مسميات، لأنكم تسمونها آلهة. ومعنى الإلهية فيها معدوم محال وجوده.

(١) قوله: قد وقع عليكم أي حق عليكم ووجب يعني أن استعمال الوقوع في الرجس والغضب

مجاز عن الوجوب الذي هو اللزوم من إطلاق اسم السبب على المسبب كاستعمال الوجوب الشرعي لأنه في الأصل للوقوع ويجوز أن يكون استعارة تبعية شبه تعلق الغضب والرجس بهم بنزول جسم من عل وهو المراد من قوله أو قد نزل عليكم .

(٢) قوله لمن طلب إليك بعض المطالب ضمن الطلب معنى الاحتياج فعده تعديته.

(٣) قوله: قلت الشعر لما هذا الألفاظ المشتملة على نوع من الفصاحة والتشبيه بوقع منه قول الشعر فجعل المتوقع كالواقع فقال قلب بلفظ الماضي ومعنى يسيطوا يسلطوا ، ومعنى جهدوا أصابتهم مشقة وشدة اظطربوا لها ، ومعنى فجهرت فأرسلت ، والجرادتان جاريتان اسم إحدى هما وردة والأخرى جرادة فليل لهما الجرادتان على التغليب .

وهذا كقوله تعالى: { ما تدعون من دونه من شيء } ومعنى { سميتموها } سميت بها من:

سميته زيدا. وقطع دابرهم: استئصالهم وتدميرهم عن آخرهم. وقصتهم أن "عادا" قد تبسطوا في البلاد ما بين عمان وحضرموت. وكانت لهم أصنام يعبدونها. صداء. وصمود، والهباء، فبعث الله إليهم هودا

نبيا، وكان من أوسطهم وأفضلهم حسبا، فكذبوه وازدادوا عتوا وتجبرا، فأمسك الله عنهم القطر ثلاث سنين حتى جهدوا، وكان الناس إذا نزل بهم بلاء طلبوا إلى الله تعالى الفرج منه عند بيته المحرم مسلمهم ومشركهم، وأهل مكة إذ ذاك العماليق أولاد عمليق بن لاوذ بن سام بن نوح، وسيدهم معاوية بن بكر، فجهزت عاد إلى مكة من أمثالهم سبعين رجلا، منهم قيل بن عنز، ومرثد بن سعد الذي كان يكتم إسلامه. فلما قدموا نزلوا على معاوية بن بكر وهو بظاهر مكة خارجا عن الحرم، فأنزلهم وأكرمهم وكانوا أخواله

وأصهاره، فأقاموا عنده شهرا يشربون الخمر وتغنيهم الجرادتان. - قينتان كانتا لمعاوية - فلما رأى طول مقامهم وذهولهم باللهو عما قدموا له أهمه ذلك، وقال: قد هلك أخوالي وأصهارى وهؤلاء على ما هم عليه، وكان يستحي أن يكلمهم خيفة أن يظنوا به ثقل مقامهم عليه، فذكر ذلك للقيتين. فقالتا: قل شعرا نغنيهم به لا يدرون من قاله. فقال معاوية:

ألا يا قيل (١) ويحك قم فهينم

(١) قوله: ... لعل الله يسقينا غماما

ألا يا قيل ويحك قم فهينم ... لعل الله يسقينا غماما
فيسقي ارض عاد إن عادا قد ... أصبحوا ما الكلاما
وبعده:

من العطش الشديد فليس ... ترجو به الشيخ الكبير ولا الغلاما
وقد كانت نساؤهم بخير ... فقد أمست نساؤهم
وأن الوحش يأتيهم جهارا ... ولا يخشى لعادي سهامها
وأنتم هاهنا فيما اشتهيتهم ... نهاركم وليلكم التياما
فقيح وفدكم من وفد قوم ... ولا لقوا التحية والسلاما
..... إخفا الكلام وهو هاهنا عبارة عن الدعاء غماما يسقيا غمام والغيمة شهوة
اللبن.

(٢٣١/٤)

فيسقي أرض عاد إن عادا ... قد امسوا ما يبينون الكلاما

فلما غنتا به قالوا: إن قومكم يتغوثون من البلاء الذي نزل بهم وقد أبطأتم عليهم، فادخلوا الحرم واستسقوا لقومكم، فقال لهم مرثد بن سعد: والله لا تسقون بدعائكم، ولكن إن أطعتم نبيكم وتبتم إلى الله سقيتم وأظهر إسلامه، فقالوا لمعاوية: احبس عنا مرثدا لا يقدم معنا مكة، فإنه قد اتبع دين هود وترك ديننا، ثم دخلوا مكة فقال قيل اللهم اسق عادا ما كنت تسقيهم، فأنشأ الله تعالى سحابات ثلاثا بيضاء وحمراء وسوداء، ثم ناداه مناد من السماء. يا قيل، اختر لنفسك ولقومك، فقال: اخترت السوداء فإنها أكثرهن ماء فخرجت على عاد من واد لهم يقال له المغيث، فاستبشروا بها وقالوا هذا عارض ممطرنا، فجاءتهم منها ريح عقيم فأهلكتهم، ونجا هود والمؤمنون معه، فأتوا مكة

فعبدوا الله فيها حتى ماتوا. فإن قلت: ما فائدة نفي الإيمان عنهم في قوله: { وما كانوا مؤمنين } مع إثبات التكذيب بآيات الله؟ قلت: هو تعريض بمن آمن منهم كمرثد بن سعد، ومن نجا مع هود عليه السلام، كأنه قال: وقطعنا دابر الذين كذبوا منهم ولم يكونوا مثل من آمن منهم، ليؤذن أن الهلاك خص المكذبين، ونجى الله المؤمنين.
٤'ن>خ ur ثمود أخاهم ["=ds" | 1 قال دQqs]tf" اعبدوا الله ما لكم من إله ¼cnمژxī قد

جاءتكم بينة من ربكم ¾nd"yd ناقة الله لكم آية فذروها تاكل في أرض الله ولا تمسوها &نûqف،خ . فيأخذكم عذاب أليم (٧٣) واذكروا إذ جعلكم خلفاء من بعد عاد وبوأكم

في الأرض تتخذون من سهولها قصورا وتنحتون f9\$#|tA\$6 بيوتا فاذكروا آلاء الله ولا تعثوا في الأرض مفسدين (٧٤) (٢٣٢/٤)

قرىء: { وإلى ثمود } بمنع الصرف بتأويل القبيلة، وإلى ثمود بالصرف بتأويل الحي؛ أو باعتبار الأصل؛ لأنه اسم أبيهم الأكبر وهو ثمود بن عابر بن إرم بن سام بن نوح. وقيل: سميت ثمود لقلّة مائها، من الثمد وهو الماء القليل، وكانت مساكنهم الحجر بين الشام والحجاز إلى وادي القرى { قد جاءتكم بينة } آية ظاهرة وشاهد(١) على صحة نبوتي. وكأنه قيل: ما هذه البينة؟ فقال: { هذه ناقة الله لكم آية } وآية نصب على

الحال، والعامل فيها ما دل عليه اسم الإشارة من معنى الفعل، كأنه قيل: أشير إليها آية. ولكم: بيان لمن هي له آية موجبة عليه الإيمان خاصة وهم ثمود؛ لأنهم عاينوها وسائر الناس أخبروا عنها وليس الخبر كالمعاينة، كأنه قال: لكم خصوصا، وإنما أضيفت إلى اسم الله تعظيما لها وتفخيما لشأنها، وأنها جاءت من عنده مكونة من غير فعل وطروقة آية من آياته، كما تقول: آية الله.

(١) قوله: وشاهد أي دليل ولا يقال شاهده كما لا يقال دليله والطروقة الناقة التي بلغت حدا يضربها الفحل فيه ويقال ناقة مخترجة إذا أخرجت على هية الحمل والتمخض الحركة .

(٢٣٣/٤)

وروى أن عادا لما أهلكت عمرت ثمود بلادها وخلفوهم في الأرض وكثروا وعمروا أعمارا طولا، حتى أن الرجل كان يبني المسكن المحكم فينهدم في حياته، ففتحوا البيوت من الجبال، وكانوا في سعة ورخاء من العيش، فعتوا على الله وأفسدوا في الأرض وعبدوا الأوثان، فبعث الله تعالى إليهم صالحا عليه السلام، وكانوا قوما عربا وصالح من أوسطهم نسبا، فدعاهم إلى الله تعالى فلم يتبعه إلا قليل منهم مستضعفون، فحذرهم وأنذروهم، فسألوه آية، فقال: آية آية تريدون؟ قالوا: تخرج معنا إلى عيدنا في يوم معلوم لهم من السنة، فتدعوا إلهك، وتدعوا آلهتنا، فإن استجيب لك اتبعناك، وإن استجيب لنا اتبعنا، فقال صالح: نعم، فخرج معهم ودعوا أوثانهم وسألوها الاستجابة فلم تجيبهم، ثم قال سيدهم - جندع بن عمرو، وأشار إلى صخرة منفردة في ناحية الجبل يقال لها الكاثبة - أخرج لنا من هذه الصخرة ناقة مخترجة

(٢٣٤/٤)

جوفاء وبراء - والمخترجة التي شاكلت البحت - فإن فعلت صدقناك وأجبناك. فأخذ صالح عليه السلام عليهم الموائيق لئن فعلت ذلك لتؤمنن ولتصدقن، قالوا: نعم، فصلى ودعا ربه فتمخضت الصخرة تمخض التتوج بولدها، فانصدعت عن ناقة عشراء جوفاء وبراء. كما وصفوا لا يعلم (١) ما بين جنبيها إلا الله تعالى، وعظماؤهم ينظرون، ثم نتجت ولدا مثلها في العظم فآمن به جندع ورهط من قومه، ومنع أعقابهم ناس من رؤوسهم أن يؤمنوا، فمكثت الناقة مع ولدها ترعى الشجر وتشرب الماء، وكانت ترد غبا، فإذا كان يومها وضعت رأسها في البئر فما ترفعه حتى تشرب كل ماء فيها، ثم تتفحج فيحتلبون ما شاؤا حتى

تمتلىء أوانيهم، فيشربون ويدخرون. قال أبو موسى الأشعري: أتيت أرض ثمود فذرعت مصدر الناقة فوجدته ستين ذراعا. وكانت الناقة إذا وقع الحر تصيفت بظهر الوادي فتهرب منها أنعامهم فتهبط إلى بطنه وإذا وقع البرد تشتت بطن الوادي فتهرب مواشيهم إلى ظهره، فشق ذلك عليهم وزينت عقرها لهم امرأتان: عنيزة أم غنم، وصدقة بنت المختار - لما أضرت به من مواشيها وكانتا كثيرتي المواشي - فعقروها واقتسموا لحمها وطبخوه، فانطلق سقبها حتى رقي جبلا اسمه قارة فرغى ثلاثا وكان صالح قال لهم: أدركوا الفصيل عسى أن يرفع عنكم العذاب، فلم يقدرُوا عليه وانفجت الصخرة بعد رغائه فدخلها.

(١) قوله: لا يعلم ما بين جنبيها إلى الله. قيل أي لا يعلم بعد ما بينهما إلى هو وكأنه كناية عن عظمها ويحتمل أن المراد أن أحدا لا يعلم بحملها الذي في بطنها إلى هو . والتفحج بالفاء والحاء المهملة والجيم تباعد ما بين الرجلين ومصدر الناقة مبركها ومعنى فصيفت وتشتت تلبث بالصيف والشتاء والسقب الفضيل وال..... التحريك والرهض الحرف الأسفل من الحائط.

(٢٣٥/٤)

فقال لهم صالح: تصبحون غدا ووجوهكم مصفرة واليوم الثالث ووجوهكم محمرة، وبعد غد ووجوهكم مسودة، ثم يصحبكم العذاب فلما رأوا العلامات طلبوا أن يقتلوه. فأنجاه الله إلى أرض فلسطين. ولما كان اليوم الرابع وارتفع الضحى تحنطوا بالصبر وتكفنوا بالأنطاع، فأنتهم صيحة من السماء فتقطعت قلوبهم فهلكوا { تأكل في أرض الله { أي الأرض أرض الله والناقة ناقة الله، فذروها تأكل في أرض ربها، فليست الأرض لكم ولا ما فيها من النبات من أنباتكم { ولا تمسوها بسوء { لا تضربوها ولا تطردوها ولا تريبوها بشيء من الأذى إكراما لآية الله. ويروى:

(٣٩٢) أن رسول الله

حين مر بالحجر في غزوة تبوك قال لأصحابه؛ "لا يدخلن أحد منكم القرية، ولا تشربوا من مائها، ولا تدخلوا على هؤلاء المعذبين إلا أن تكونوا باكين أن يصيبكم مثل الذي أصابهم" وقال :

(٣٩٣) "يا علي، أتدري من أشقى الأولين؟" قال: الله ورسوله أعلم. قال: "عافر ناقة صالح، أتدري من أشقى الآخرين؟" قال: الله ورسوله أعلم. قال: "قاتلك" وقرأ أبو جعفر

في رواية: "تأكل في أرض الله" وهو في موضع الحال بمعنى آكلة { وبوأكم } ونزلكم.
 والمباءة: المنزل { في الأرض } في أرض الحجر بين الحجاز والشام { من سهولها قصورا }
 أي تبونونها من سهولة الأرض بما تعملون منها من الرهص واللبن والآجر. وقرأ الحسن:
 "وتنحتون" بفتح الحاء وتنحاتون بإشباع الفتحة، كقوله:
 ينباع من ذفرى أسيل(١) حرة

(١) قوله: يبتاع من أسيل حرة

ويروى حسرة تمامه : المكدم

البيت لعنترة أصل يبتاع يبيع الفتحة لإقامة الوزن فتولدت ألف أي يسيل،
 الذي يعرف من التغير خلف الأذن و لأن ألفها للتأنيث ، والأسيل صفة
 حد الناقة يقال حد أسيل إذا كان لنا طويلا والحر من كل شيء خالصة وجيده
 المختالة . والفيتق الفحل المكرم . المكدم المغصص.
 (٢٣٦/٤)

فإن قلت: علام انتصب { بيوتا } ؟ قلت: على الحال، كما تقول: خط هذا الثوب قميصا
 وابر هذه القصة قلما، وهي من الحال المقدرة، لأن الجبل لا يكون بيتا في حال النحت،
 ولا الثوب ولا القصة قميصا وقلما في حال الخياطة والبري. وقيل: كانوا يسكنون
 السهول في الصيف والجبال في الشتاء.

%tA\$s المأ الذين (#مژr#tF96tMy\$) من قومه للذين استضعفوا لمن آمن منهم
 أتعلمون أن

\$[ds=" |¹ مرسل من ربه (#qûn\$%s\$) إنا بما أرسل به مؤمنون (٧٥) قال الذين
 (#مژr#tF96tMy\$) إنا بالذي آمنتم به كافرون (٧٦) فعقروا الناقة وعتوا عن أمر ربهم
 وقالوا لKxد=" |ء"K\$tf \$sY\$ بما تعدنا إن كنت من tûi=TMy=دك77) #J9\$
 فأخذتهم الرجفة

فأصبحوا في دارهم جاثمين (٧٨) فتولى عنهم وقال Qqs)"tf لقد أبلغتكم رسالة
 'n1us'

ونصحت لكم ولكن لا تحبون الناصحين اذرب
 }

(٢٣٧/٤)

للذين استضعفوا { للذين استضعفهم رؤساء الكفار واستذلّوهم، و { لمن آمن منهم { بدل من الذين استضعفوا. فإن قلت: الضمير في منهم راجع إلى ماذا؟ قلت: إلى { قومه { أو

إلى { الذين استضعفوا { . فإن قلت: هل لاختلاف المرجعين أثر في اختلاف المعنى؟ قلت: نعم وذلك أن الراجع (١) إذا رجع إلى قومه فقد جعل { من آمن { مفسرا لمن استضعف منهم،

فدل أن استضعفهم كان مقصورا على المؤمنين، وإذا رجع إلى الذين استضعفوا لم يكن الاستضعاف مقصورا عليهم، ودل أن المستضعفين كانوا مؤمنين وكافرين: { أتعلمون أن صالحا مرسل من ربه { شيء قالوه على سبيل الطنز والسخرية، كما تقول للمجسمة: أتعلمون أن الله فوق العرش. فإن قلت: كيف صح قولهم: { إنا بما أرسل به مؤمنون { جوابا عنه؟ قلت: سألوهم عن العلم (٢) بإرساله، فجعلوا إرساله أمرا معلوما مكشوفًا مسلمًا لا يدخله ريب، كأنهم قالوا: العلم بإرساله وبما أرسل به ما لا كلام فيه ولا شبهة تدخله لوضوحه وإنارته، وإنما الكلام في وجوب الإيمان به، فنخبركم أنا به مؤمنون، ولذلك كان جواب (٣)

(١) قوله: وذلك أن الراجع هذا الجواب يدل على أن الضمير إذا كان للقوم يكون لمن آمن بدل الكل وإذا كان للذين استضعفوا يكون بدل البعض .

(٢) قوله: سألوهم عن العلم بإرساله حاصل الجواب أنه من باب الأسلوب الحكيم وهو تلقي المخاطب بغير ما يترقب .

(٣) قوله: ولذلك كان جواب الكفرة أي ولأجل أنهم ساقوا الكلام في وجوب الإيمان به دون الإرسال وكونه مرسلًا قالت الكفرة ذلك فقد عدلوا أيضا عن الظاهر لأن جوابهم المطابق إنا بالذي أرسلتم (أرسل) به كافرون، أي ليس لأمركما قلتم أن الكلام في وجوب الإيمان يعني وكأنهم عن التفوه بإرساله مبالغة في الجحد .. (٢٣٨/٤)

الكفرة: { إنا بالذي آمنتم به كافرون { فوضعوا { آمنتم به { موضع { أرسل به { ردا لما جعله المؤمنون معلوما وأخذوه مسلما { فعقروا الناقة { أسند العقير إلى جميعهم لأنه كان برضاهم وإن لم يباشره إلا بعضهم، وقد يقال للقبيلة الضحمة: أنتم فعلتم كذا، وما فعله إلا واحدا منهم { وعتوا عن أمر ربهم { وتولوا عنه واستكبروا عن

امثاله عاتين، وأمر ربهم: ما أمر به على لسان صالح عليه السلام من قوله: { فذروها
تأكل في أرض الله } (الأعراف: ٧٣) أو شأن ربهم وهو دينه. ويجوز أن يكون المعنى:
وصدر عتوهم (١) عن أمر ربهم، كأن أمر ربهم بتركها كان هو السبب في عتوهم. ونحو عن
هذه ما في قوله: { وما فعلته عن أمري } (الكهف: ٨٢)، { ائتنا بما تعدنا } أرادوا من
العذاب. وإنما

جاز الإطلاق لأنه كان معلوما. واستعجالهم له لتكذيبهم به، ولذلك علقوه بما هم به
كافرون، وهو كونه من المرسلين { الرجفة } الصيحة التي زلزلت لها الأرض واضطربوا لها
{ في دارهم } في بلادهم أو في مساكنهم { جائمين } هامدين لا يتحركون موتى. يقال:
الناس جثم، أي قعود لا حراك بهم ولا ينبسون نبسة. ومنه المجثمة التي جاء النهي
عنها، وهي البهيمة تربط وتجمع قوائمها لترمي
. وعن جابر: أن النبي لما مر بالحجر قال:

(٣٩٤) "لا تسألوا الآيات، فقد سألتها قوم صالح فأخذتهم الصيحة، فلم يبق منهم إلا رجل
واحد كان في حرم الله. قالوا من هو؟ قال: ذاك أبو رغال، فلما خرج من الحرم أصابه ما
أصاب قومه"، وروى: أن صالحا كان بعثه إلى قوم فخالف أمره. وروى: أنه عليه السلام مر
بقبر أبي رغال فقال:

)

(١) قوله: ويجوز أن يكون المعنى وصدر عتوهم عطف على قوله وتولوا عنه يريد أن الأمر
هنا إ'ما واحد الأوامر أو واحد الأمور فإن كان الأول فعتوا مضمن إما معنى التولي
وإما معنى الصدور وإن كان الثاني فهو مضمن معنى التولي والاستكبار لا غير ومعنى لا
ينبسون بكلمة لا يتكلمون .

(٢٣٩/٤)

(٣٩٥) "أتدرون من هذا؟" قالوا: الله ورسوله أعلم. فذكر قصة أبي رغال، وأنه دفن ههنا
ودفن معه غصن من ذهب، فابتدروه وبحثوا عنه بأسيا فهاهم فاستخرجوا الغصن. { فتولى عنهم
{ الظاهر أنه كان مشاهدا لما جرى عليهم، وأنه تولى عنهم بعدما أبصرهم جائمين، تولى
مغتم متحسر على ما فاتته من إيمانهم يتحزن لهم ويقول يا قوم لقد بذلت فيكم وسعي ولم
آل

جهدا في إبلاغكم والنصيحة لكم ولكنكم { لا تحبون الناصحين } ويجوز أن يتولى عنهم
 تولي ذاهب عنهم، منكر لإصرارهم حين رأى العلامات قبل نزول العذاب. وروى: أن عقربهم
 الناقة كان يوم الأربعاء، ونزل بهم العذاب يوم السبت. وروى أنه خرج في مائة وعشرة
 من المسلمين وهو يبكي، فالتفت فرأى الدخان ساطعا فعلم أنهم قد هلكوا، وكانوا
 ألفا (١) وخمسمائة دار. وروي أنه رجع بمن معه فسكنوا ديارهم. فإن قلت: كيف صح خطاب
 الموتى وقوله: { ولكن لا تحبون الناصحين } ؟ قلت: قد يقول الرجل لصاحبه وهو ميت
 وكان قد نصحه حيا فلم يسمع منه حتى يلقى بنفسه في التهلكة: يا أخي، كم نصحتك وكـ
 قلت لك فلم تقبل مني؟ وقوله: { ولكن لا تحبون الناصحين } حكاية حال ماضية.
 ولوطا إذ قال لقومه أتأتون الفاحشة ما سبقكم بها من أحد من العالمين (٨٠) إنكم
 لتأتون الح_أ\$y_tح\$٩#ky÷Zouq من دون النساء بل أنتم قوم رُcèùحج، - B
 81)) وما كان

جواب قومه إلا أن (#Nèdq\$٩ûq#م%_حج÷zr& من قريتكم إنهم أناس يتطهرون
 (٨٢)

sYyfRr'sù"çm وأهله إلا امرأته كانت من الغابرين (٨٣) وأمطرنا عليهم B`sX#حج
 فانظر

كيف كان عاقبة رُBüحج÷fôك\$#J9 ارحب

(١) قوله: وكانوا ألفا وخمسمائة دار قيل كانت دورهم ألفا وخمسمائة فحذف المضاف
 وأقيم المضاف إليه مقامه.
 (٢٤٠/٤)

ولوطا { وأرسلنا لوطا. و { إذ { ظرف (١) لأرسلنا. واذكر (٢) لوطا، وإذ بدل منه،
 بمعنى: واذكر وقت: { قال لقومه أتأتون الفاحشة { أتفعلون السيئة المتמادية في القبح
 { ما سبقكم بها { ما عملها قبلكم، والباء للتعدية من قولك: سبقته بالكرة، إذا
 ضربتها قبله. ومنه قوله عليه السلام:
)

(١) قوله: وإذ ظرف لأرسلنا لا شك أن الوقت الحقيقي لقوله أيأتون الفاحشة هو الجزء
 المعين من الزمان الذي وقع فيه هذا الكلام وذلك الحر لا يكون ظرفا للإرسال لكن كما
 أن ذلك الجزء زمان لهذا القول وكذلك ذلك اليوم وذلك الشهر وتلك السنة وهذا يصح

كونه ظرفاً لأرسلنا فتأمل فإنه لطيف يتحقق بتحقيق معنى الوقت الحقيقي وغير الحقيقي وإبدال إذ من لوط من قبيل بدل الاشتمال (٢) قوله: أو واذكروا لوطاً هو على هذا عطف قصة على قصة وعلى الأول عطف مفرد على مثله .
(٢٤١/٤)

٣٩٦ "سبقك بها عكاشة" (١) { من أحد من العالمين } "من" الأولى زائدة لتوكيد النفي وإفادة معنى الاستغراق، والثانية للتبويض (٢). فإن قلت: ما موقع هذه الجملة؟ قلت: هي جملة مستأنفة (٣)، أنكر عليهم أولاً بقوله: { أتأتون الفاحشة } ثم وبخهم عليها فقال: أنتم أول من عملها. أو على أنه جواب لسؤال مقدر، كأنهم قالوا: لما لا تأتيها؟ فقال: ما سبقكم بها أحد، فلا تفعلوا ما لم تسبقوا به { إنكم لتأتون الرجال } بيان لقوله: أتأتون الفاحشة. والهمزة مثلها في { أتأتون } للإنكار والتعظيم. وقرئ: "إنكم" على الإخبار المستأنف لتأتون الرجال، من أتى المرأة إذا غشيها { شهوة } مفعول له، أي للاشتهاء لا حامل لكم عليه إلا مجرد الشهوة من غير داع آخر، ولا ذم أعظم منه، لأنه وصف لهم بالبهيمية، أنه لا داعي لهم من جهة العقل البتة كطلب النسل (٤) ونحوه أو حال بمعنى مشتبهين تابعين للشهوة غير ملتفتين إلى السماجة { بل أنتم قوم مسرفون } أضرب عن الإنكار إلى

(١) قوله: سبقك بها عكاشه عن أبي هريرة قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم (يدخل الجنة من أمتي زمرة هم سبعون ألفاً تضيء وجوههم إضاءة القمر ليلة البدر) فقام عكاشة بن محصن الأسدي فقال يا رسول الله أدع الله أن يجعلني منهم. فقال صلى الله عليه وآله وسلم اللهم اجعله منهم ، ثم قام رجل من الأنصار فقال يا رسول الله أدع الله أن يجعلني منهم . قال : سبقك بها عكاشة) والضمير للدعوة ، عكاشة بضم العين وتشديد الكاف وتخفيفهما والتشديد أكثر ، ومخض بكسر الميم.
(٢) قوله: والثانية للتبويض فيمكن بدلاً من محل من أجد أي ما سبقكم بعض العالمين والمراد بالعالمين الناس.

)

(٣) قوله: جملة مستأنفة أي مبتدأة فالمراد بالاستئناف اللغوي لا الاصطلاحي لانه عطف عليه أو على أنها سؤال وهو الاستئناف الاصطلاحي .

(٤) قوله: كطلب النسل ونحوه المراد بنحوه التعفف والإحصان .

(٢٤٢/٤)

الإخبار عنهم بالحال التي توجب ارتكاب القبائح وتدعو إلى اتباع الشهوات وهو أنهم قوم عادتهم الإسراف وتجاوز الحدود في كل شيء، فمن ثم أسرفوا في بعض قضاء الشهوة، حتى تجاوزوا المعتاد إلى غير المعتاد. ونحوه { بل أنتم قوم عادون } (الشعراء: ١٦٦).
{ وما كان جواب قومه إلا أن قالوا } يعني ما أجابوه بما يكون جوابا عما كلمهم به لوط عليه السلام، من إنكار الفاحشة، وتعظيم أمرها، ووسمهم بسمة الإسراف الذي هو أصل الشر كله، لكنهم جاؤا بشيء آخر لا يتعلق بكلامه ونصيحته، من الأمر بإخراجه ومن معه من المؤمنين من قريتهم، ضجرا بهم وبما يسمعونهم من وعظهم ونصحهم. قولهم: { إنهم أناس يتطهرون } سخرية بهم ويتطهرون من الفواحش، وافتخارا بما كانوا فيه من القذارة، كما يقول الشطار من الفسقة لبعض الصالحاء إذا وعظهم: أبعادوا عنا هذا المتقشف، وأريحونا من هذا المتزهد { وأهله } ومن يختص به من ذويه أو من المؤمنين { من الغابرين } من الذين غبروا في ديارهم، أي بقوا فهلكوا. والتذكير لتغليب الذكور على الإناث. وكانت كافرة (١) موالية لأهل سدوم. وروي: أنها التفتت فأصابها حجر فماتت. وقيل: كانت المؤتفكة خمس مدائن. وقيل: كانوا أربعة آلاف

(١) قوله: وكانت كافرة ، قيل الواو للحال وقد مقدرة والعامل لتغليب ، وقوله: وروي أنها عطف على قوله من الذين غيروا في ديارهم أي بقوا فهلكوا وهذا مبني على أن ما ذكره في سورة هود وفي إخراجها مع أهله روايتان إلى آخره وشذاذ القوم الذين يكونون فيهم وليسوا من قبائلهم ، بالفتح وبالقصر الساحة المطور المرور (المرور) ومعنى حري أن يكون جدير.

(٢٤٣/٤)

بين الشام والمدينة، فأمر الله عليهم الكبريت والنار. وقيل: خسف بالمقيمين منهم، وأمطرت الحجارة على مسافريهم وشذاذهم. وقيل: أمطر عليهم ثم خسف بهم. وروي: أن تاجرا

منهم كان في الحرم فوقف له الحجر أربعين يوما حتى قضى تجارته وخرج من الحرم فوقع عليه. فإن قلت: أي فرق بين مطر وأمطر؟ قلت: يقال مطرتهم السماء وواد ممطور. وفي نوايغ الكلم: حرى غير ممطور. وحرى أن يكون غير ممطور ومعنى مطرتهم: أصابتهم المطر،

كقولهم: غاثتهم وويلتهم وجادتهم ورهمتهم. ويقال: أمطرت (١) عليهم كذا، بمعنى أرسلته عليهم إرسال المطر { فأمطر علينا حجارة من السماء { (الأنفال: ٣٢)، { وأمطرنا عليهم حجارة من سجيل { (هود: ٨٢). ومعنى { وأمطرنا عليهم مطرا { وأرسلنا عليهم نوعا من المطر عجيبا يعني الحجارة. ألا ترى إلى قوله: { فساء مطر المنذرين { (الأعراف: ٨٤).

(١) قوله: ويقال أمطرت عليهم كذا . على يقال مطرتهم السماء . الانتصاف قصده بذلك الرد على من قال مطر في الخير وأمطر في الشر أن أمطر بمعنى أرسل إرسال المطر خيرا كان أو شرا لكن اتفق أن السماء لم ترسل سياسة المطر إلا إذا كان عذبا فمن هنا وهم ذلك القائل . قال الطيني: يعني قوله أمطرت عليهم كذا مطلق يحتمل الخير والشر وليس كذلك لأن المصنف جعل هذا المثل مقدمة للإمثلة بعده وهي في الشر والدرع جمع أدرع ودرعا وهو ما أسود رأسه وبيض سائر جسده من الخيل والشاء.

(٢٤٤/٤)

وإلى مدين أخاهم شعيبا قال دQqs)tf" اعبدوا الله ما لكم من إله إلا ١/4çnمترجxi قد جاءكم

/i tãpsY× من ربكم فأوفوا الكيل والميزان ولا تبخسوا الناس أشياءهم ولا تفسدوا في الأرض بعد إصلاحها 6Nàد9sÇ مترجyz لكم إن كنتم 85DZüد (B÷s-B) ولا تقعدوا بكل

ق7u"زه تواعدون وتصدون عن سبيل الله من آمن به وتبغونها عوجا واذكروا إذ كنتم %s=دWx فكثركم وانظروا كيف كان عاقبة المفسدين (٨٦) وإن كان ٧pxح s\$! غ منكم آمنوا

بالذي أرسلت به ٧pxح s\$! غur لم يؤمنوا (#rمزة4 1\$ssù د®Lxm يحكم الله /uZsY÷ t\$

وهو مترجyz 87"Jüdü (utù:\$#

كان يقال لشعيب عليه السلام خطيب الأنبياء لحسن مراجعته قومه وكانوا أهل بخس للمكاييل والموازين { قد جاءكم بينة من ربكم { معجزة شاهدة بصحة نبوتي أوجبت عليكم الإيمان بي والأخذ بما أمركم به والانتفاء عما أنهاكم عنه، فأوفوا ولا تبخسوا. فإن قلت: ما كانت معجزته؟ قلت: قد وقع العلم بأنه كانت له معجزة، لقوله: { قد جاءكم بينة من ربكم { ولأنه لا بد لمدعي النبوة من معجزة تشهد له وتصدقه، وإلا لم تصح

دعواه، وكان متنبأ لا نبيا غير أن معجزته لم تذكر في القرآن كما لم تذكر أكثر

معجزات نبينا

(٢٤٥/٤)

فيه. ومن معجزات شعيب عليه السلام: ما روي من محاربة عصى موسى عليه السلام التنين حين دفع إليه غنمه. وولادة الغنم الدرع خاصة حين وعده أن تكون له الدرع من أولادها، ووقوع عصى آدم عليه السلام على يده في المرات السبع، وغير ذلك من الآيات؛ لأن هذه كلها (١) كانت قبل أن يستنبأ موسى عليه السلام، فكانت معجزات لشعيب. فإن قلت: كيف قيل: { الكيل والميزان } وهلا قيل: المكيال والميزان، كما في سورة هود عليه السلام؟ قلت: أريد بالكيل: آلة الكيل وهو المكيال، أو سمي ما يكال به الكيل، كما قيل: العيش، لما يعاش به. أو أريد: فأوفوا الكيل ووزن الميزان. ويجوز أن يكون الميزان

(١) قوله: لأن هذه كلها ما ذكره ليس بدليل قاطع لاحتمال أن يكون جميع ذلك إرهاصا لنبوة موسى عليه السلام والمصنف لا يمنع من القول بأن المعجزة يجوز أن تكون إرهاصا كما ظن بعضهم، والبخس استنقاص الثمن والمكس أيضا الجباية فقوله: وكانوا مكاتبين مبني على الوجه الثاني، وقوله: إنهم كانوا يبخسون مبني على الأول.
(٢٤٦/٤)

كالميعاد والميلاد بمعنى المصدر، ويقال: بخسته حقه: إذا نقصته إياه. ومنه، قيل

للمكس: البخس، وفي أمثالهم: تحسبها حمقاء وهي باخس (١). وقيل: { أشياءهم } لأنهم كانوا يبخسون الناس كل شيء في مبيعاتهم، أو كانوا مكاسين لا يدعون شيئا إلا مكسوه كما يفعل أمراء الحرمين. وروى: أنهم كانوا إذا دخل الغريب بلدهم أخذوا دراهمه الجياد وقالوا هي زيوف فقطعوها قطاعا، ثم أخذوها بنقصان ظاهر أو أعطوه بدلها زيوفا { بعد إصلاحها } بعد الإصلاح فيها، أي لا تفسدوا فيها بعدما أصلح فيها الصالحون من الأنبياء وأتباعهم العاملين بشرائعهم. وإضافته كإضافة قوله: { بل مكر الليل والنهار } (سبأ: ٣٣) بمعنى بل مكرهم في الليل والنهار، أو بعد إصلاح أهلها على المضاف { ذالكم } إشارة إلى ما ذكر من الوفاء بالكيل والميزان وترك البخس والإفساد في الأرض، أو إلى العمل بما أمرهم به ونهاهم عنه.

(١) قوله: تحسبها حمقاء وهي باخس في رواية باخسة فعلى الأول يريد تأويله إنسان باخس أو على النسب كلابن وتأمرو أصل هذا المثل أن رجلا من بني جاورته امرأة فنظر إليها فحسبها حمقاء لا تعقل ولا تحفظ ما لها ، فقال ألا اخلط مالي ومتاعي بمالها ومتاعها ثم أقاسمها فأخذ خير متاعها وأعطىها الردي من متاعي فقاسمها بعد الخلط فلم ترض عند المقاسمة حتى أخذت متاعها ثم وأظهرت الشكوى فافتدى منه بما أرادت فعوتب عند ذلك فقال: تحسبها حمقى وهي باخس فضرب هذا المن يتباله وفيه دهاء ، ومعنى إلا مكسوه إلا نقصوه ، والاحدوثة ما يحدث به الناس ، وإنما قال مصدقين لي لأنهم كانوا كفارا.

(٢٤٧/٤)

ومعنى: { خير لكم } يعني في الإنسانية وحسن الاحدوثة، وما تطلبونه من التكسب والتريح، لأن الناس أرغب في متاجرتكم إذا عرفوا منكم الأمانة والسوية { إن كنتم مؤمنين } إن كنتم مصدقين لي في قلبي ذلكم خير لكم { ولا تقعدوا بكل صراط } ولا تقتدوا بالشيطان (١) في قوله: { لأقعدن لهم صراطك المستقيم } (الأعراف: ١٦) فتقعدوا

بكل صراط أي بكل منهاج من مناهج الدين. والدليل على أن المراد بالصراط سبيل الحق قوله: { وتصدون عن سبيل الله } ومحل { توعدون } وما عطف عليه: النصب على الحال أي:

ولا تقعدوا موعدين وصادين عن سبيل الله، وباغيتها عوجا. فإن قلت: صراط الحق واحد، { وأن هذا صراطي مستقيما فاتبعوه ولا تتبعوا السبل فتفرق بكم عن سبيله } (الأنعام: ١٥٣) فكيف قيل: بكل صراط؟ قلت: صراط الحق واحد، ولكنه يتشعب إلى معارف وحدود وأحكام

كثيرة مختلفة، فكانوا إذا رأوا أحدا يشرع في شيء منها أوعدوه وصدوه. فإن قلت: إلام يرجع الضمير في { آمن به } ؟ قلت: إلى كل صراط. تقديره: توعدون من آمن به وتصدون عنه، فوضع الظاهر الذي هو سبيل الله موضع الضمير، زيادة في تقييح أمرهم، ودلالة على عظم ما يصدون عنه. وقيل (٢):

(١) قوله: ولا يقيدوا بالشيطان في قوله لأقعدن يعني أن القعود على الصراط تمثيل كما في تلك الآية وعلى هذا قوله { ويصدون عن سبيل الله } وضع الظاهر موضع المضمرة .

(٢) قوله: وقيل كانوا يجلسون فعلى هذا لا يكون تمثيلا ولا يكون يوعدون ما عطف عليه

حالا كما في الوجه الأول بل استئناف ولهذا قال فيقولون إلى آخره فقد دلت الفاء على أن يوعدون استئناف لبيان المقتضى كأنهم قالوا لم لا نقعد ، (ف قيل) : لأنكم توعدون وممن (ومن) آمن مفعول ليصدون على اعمال الأقرب ولو كان مفعول يوعدون لقال ويصدونهم

والضمير في به يعود إلى الصراط على الأول وإلى الله على الثاني ..
(٢٤٨/٤)

كانوا يجلسون على الطرق والمراصد فيقولون لمن مر بهم إن شعيبا كذاب فلا يفتنكم عن دينكم كما كان يفعل قريش بمكة. وقيل: كانوا يقطعون الطرق (١). وقيل: كانوا عشارين { وتبغونها عوجا } وتطلبون لسبيل الله عوجا، أي تصفونها للناس بأنها سبيل معوجة غير مستقيمة، لتصدوهم عن سلوكها والدخول فيها: أو يكون تهكما بهم، وأنهم يطلبون لها ما هو محال، لأن طريق الحق لا يعوج { واذكروا إذ كنتم قليلا } إذ مفعول به غير ظرف. أي: واذكروا على جهة الشكر وقت كونكم قليلا عددكم { فكثركم } الله ووفر عددكم. قيل: إن مدين بن إبراهيم تزوج بنت لوط فولدت فرمى الله في نسلها بالبركة والنماء فكثروا وفشوا. ويجوز إذ كنتم مقلين فقراء فكثركم: فجعلكم مكثرين موسرين. أو كنتم أقله أذلة فأعزكم بكثرة العدد والعدد { عاقبة المفسدين } آخر أمر من أفسد قبلكم من الأمم، كقوم نوح وهود وصالح ولوط، وكانوا قريبي العهد مما إصاب المؤتفكة { فاصبروا } فتربصوا وانتظروا { حتى يحكم الله بيننا } أي بين الفريقين، بأن ينصر المحقين على المبطلين ويظهرهم عليهم. وهذا وعيد للكافرين بانتقام الله منهم، كقوله: { فتربصوا إنا معكم متربصون } (التوبة: ٥٢) أو هو عظة للمؤمنين وحث على الصبر واحتمال ما كان يلحقهم من أذى المشركين إلى أن يحكم الله بينهم وينتقم لهم منهم. ويجوز أن يكون خطابا للفريقين، أي ليصبر المؤمنون على أذى الكفار وليصبر الكفار على ما يسوءهم من إيمان من آمن منهم، حتى يحكم الله فيميز الخبيث من الطيب { وهو خير الحاكمين } لأن حكمه حق وعدل، لا يخاف فيه الحيف.

(١) قوله: وقيل كانوا يقطعون الطرق فعلى هذا الآية مبالغة في الوعيد وتقطيع ما كانوا يرومونه من قطع السبيل.
(٢٤٩/٤)

* قال الملاء الذين (مژ#r#tF93y\$T# من قومه Zy7`y_حج÷مZs9 يا شعيب
والذين آمنوا معك

من !Y\$dsKtف%س أو لتعودن في ملتنا قال أولو كنا dttüحج"88). (x. قد
#Y\$÷fIùsY\$

على الله كذبا إن عدنا في ملتكم بعد إذ نجانا الله منها وما يكون لنا أن نعود فيها
إلا أن يشاء الله ربنا وسع ربنا كل شيء علما على الله uZù\$ه. uqs؟ ربنا افصح
÷uZsY\$

/t وبين قومنا بالحق وأنت مژ#yz الفاتحين ارزب
(٢٥٠/٤)

أي ليكونن أحد الأمرين: إما إخراجكم؛ وإما عودكم في الكفر. فإن قلت: كيف خاطبوا
شعبيا عليه السلام بالعود في الكفر في قولهم: { أو لتعودن في ملتنا } وكيف أجابهم
بقوله: { إن عدنا في ملتكم بعد إذ نجانا الله منها وما يكون لنا أن نعود فيها }
والأنبياء عليهم السلام لا يجوز عليهم من الصغائر إلا ما ليس فيه تنفير، فضلا عن
الكبائر، فضلا عن الكفر؟ قلت: لما قالوا: { لنخرجنك يا شعيب والذين آمنوا معك }
فعطفوا على ضميره الذين دخلوا في الإيمان منهم بعد كفرهم قالوا: { لتعودن } فغلبوا
الجماعة على الواحد، فجعلوهم عائدتين جميعا، إجراء للكلام على حكم التغليب. وعلى ذلك
أجرى شعيب عليه السلام جوابه فقال: { إن عدنا في ملتكم بعد إذ نجانا الله منها }
وهو يريد عود قومه، إلا أنه نظم نفسه في جملتهم وإن كان بريئا من ذلك إجراء لكلامه
على حكم التغليب. فإن قلت: فما معنى قوله { وما يكون لنا أن نعود فيها إلا أن يشاء
الله } والله تعالى متعال أن يشاء ردة المؤمنين وعودهم في الكفر؟ قلت: معناه إلا أن
يشاء الله خذلانا ومنعنا اللطاف، لعلمه أنها لا تنفع فينا وتكون عبثا. والعبث
قيح لا يفعله الحكيم، والدليل (١) عليه قوله: { وسع ربنا كل شيء علما } أي هو عالم
بكل شيء مما كان وما يكون، فهو يعلم أحوال عباده كيف تتحول، وقلوبهم كيف تتقلب؛
وكيف تقسو بعد الرقة، وتمرض بعد الصحة، وترجع إلى الكفر بعد الإيمان { على الله
توكلنا } في أن يثبتنا على الإيمان ويوفقنا لازدياد الإيقان.

(١) قوله: والدليل عليه أي على أن المراد بقوله { إلا أن يشاء الله } إلى أن يشاء
الخدلان ومنع اللطاف لا الردة ذكر العلم لأن منع اللطاف لازم لسبق علمه بأنها لا

تجدي عليهم ولو أريد إلا أن يشاء العود إلى الكفر لم يكن لمجيء العلم وذكره فائدة .
(٢٥١/٤)

ويجوز أن يكون قوله: { إلا أن يشاء الله } حسما لطمعهم في العود، لأن مشيئة الله لعودهم في الكفر محال خارج عن الحكمة { أو لو كنا كارهين } الهمزة للاستفهام، والواو واو الحال، تقديره: أتعيدوننا في ملتكم في حال كراحتنا، ومع كوننا كارهين. وما يكون لنا، وما ينبغي لنا.
وما يصح لنا { ربنا افتح بيننا } احكم بيننا. والفتاحة؛ الحكومة، أو أظهر أمرنا حتى يتفتح ما بيننا { وبين قومنا } وينكشف بأن تنزل عليهم عذابا يتبين معه أنهم على الباطل { وأنت خير الفاتحين } كقوله: { وهو خير الحاكمين } (الأعراف ٨٧). فإن قلت: كيف أسلوب (١)

(١) قوله: كيف أسلوب قوله قد افترينا يعني ما معنى التأكيد الذي تعطيه قد مع الماضي الذي دخلت عليه، ثم انضمام من الشرطية يدل على هذا التلخيص . الجوابان وإيجاب أنه من باب إخراج الكلام لا على مقتضى الظاهر لأن ظاهره اخبار مقيد بالشرط وتأويله من وجهين أحدهما أن يكون من باب التعجب وإليه الإشارة بقوله ما أكذبنا على الله إن عدنا في الكفر بعد الإسلام فكأنه عليه السلام لما سمع كلامهم ما التفت إلى الجواب بل أنشأ التعجب قائلا قد افترينا على الله كذبا إن عدنا في ملتكم. وقال أبو التقاء: قد افترينا بمعنى المستقبل وإنما سد مسد جواب إن عدنا وساغ دخول قد عليه لأنهم نزلوا الافتراء العود منزلة الواقع فقربوه بقدر وكان المعنى قد افترينا الآن إن هممنا بالعود وعلى أن يكون قسما لا يكون مستأنفا بل يكون ردا لكلامهم بأبلغ وجه . وقيل إنما جملة على الوجهين لأنه لو أجراه على ظاهره وهو أنه جزاء أو دال على الجزاء تقدم على الشرط لكان في المعنى مستقبلا أي أن عدنا نفتن وليس المعنى أنه يأتي بالافتراء بعد العود بل معناه أن كان عودنا افتراء أو تبين افتراءنا بنفس العود..

(٢٥٢/٤)

قوله: { قد افترينا على الله كذبا إن عدنا في ملتكم } ؟ قلت: هو إخبار مقيد بالشرط،

وفيه وجهان، أحدهما: أن يكون كلاما مستأنفا فيه معنى التعجب، كأنهم قالوا: ما أكذبنا على الله إن عدنا في الكفر بعد الإسلام. لأن المرتد أبلغ في الافتراء من

الكافر، لأن الكافر مفتر على الله الكذب. حيث يزعم أن الله ندا ولا ند له. والمرتد مثله في ذلك وزائد عليه، حيث يزعم أنه قد تبين له ما خفي عليه من التمييز بين الحق والباطل. والثاني: أن يكون قسما على تقدير حذف اللام، بمعنى: والله لقد افترينا على الله كذبا.

وقال المألأ الذين كفروا من قومه لئن اتبعتم شعيبا إنكم إذا tbrمزال 90" (y,©9) فأخذتهم الرجفة فأصبحوا في دارهم جاثمين (٩١) الذين كذبوا شعيبا كأن لم يغنوا فيها الذين كذبوا شعيبا كانوا هم الخاسرين ازئب }

(٢٥٣/٤)

وقال المألأ الذين كفروا من قومه { أي أشرافهم للذين دونهم يشبطونهم عن الإيمان } لئن اتبعتم شعيبا إنكم إذا لخاسرون { لاستبدالكم الضلالة بالهدى، كقوله تعالى: } أولئك الذين اشتروا الضلالة بالهدى فما ربحت تجارتهم { (البقرة: ١٦) وقيل: تخسرون باتباعه فوائد البخس والتطفيف لأنه ينهاكم عنهما ويحملكم على الإيفاء والتسوية، فإن قلت: ما جواب القسم الذي وطأته اللام في { لئن اتبعتم شعيبا } وجواب الشرط؟ قلت: قوله: { إنكم إذا لخاسرون } ساد مسد الجوابين { الذين كذبوا شعيبا } مبتدأ خبره { كأن لم يغنوا فيها } وكذلك { كانوا هم الخاسرين } وفي هذا الابتداء (١) معنى الاختصاص، كأنه قيل: الذين كذبوا شعيبا هم المخصوصون بأن أهلكوا واستؤصلوا، كأن لم يقيموا في دارهم؛ لأن الذين كذبوا شعيبا قد أنجاهم الله، الذين اتبعوا شعيبا هم المخصوصون بالخسران العظيم، دون أتباعه فإنهم الرابحون. وفي هذا الاستئناف (٢)

(١) قوله: وفي هذا الابتداء معنى الاختصاص كما قال في قوله { الله ييسط الرزق لمن يشاء } في سورة الرعد أي الله وحده ييسط الرزق ويقدر دون غيره ولو حملت الجملة الأولى على تقوى الحكم والثانية على التخصيص لتوسط ضمير الفصل وتعريف الخبر باللام ويكون التكرير ليناط به كل مرة معنى زائدة لمكان أوجه.

)

٢) قوله: وفي هذا الاستئناف إلى قوله واستعظام لما جرى عليهم إما الاستئناف والتكرير فإنه تعالى لما رتب عقابهم بأخذ الرجة على تكذيبهم وعنادهم أتجه لسائل أن يسأل عن مال أمرهم بعد الجثوم؟. فقيل: الذين كذبوا شعبيا كان لم يغنوا فيها أي استؤصلوا فلم يبق منهم أثر ولا غير (عين) ثم سأل السائل بعد ذلك أخصوا بذلك أم تعدى إلى غيرهم؟. فقيل: { الذين كذبوا } الآية أي هم المخصوصون بذلك فجعلت صلة الأولى ذريعة إلى تحقيق الخبر ولذلك بولغ في الإخبار عن دمارهم بقوله { كأن لم يغنوا فيها } الحكم على التخصيص على ما جعلناه أوجه وجعل صلة الثانية عله لوجود الخبر وأما تسفيه رأيهم فلعكس ما ادعوه عليه بقولهم { لأن اتبعتم شعبيا إنكم إذا لخاسرون } لأنه تعالى جعل الخسران مخصوصا لمن كذبه ولم يتابعه وفيه معنى الاستهزاء بنصحهم ، وأما استعظام ما جرى عليهم فمن قوله : { كأن لم يغنوا فيها } وكذا من تعظيم الخسران لتعريف الخبر بالام الجنس لان المراد الكاملون في الخسران .

(٢٥٤/٤)

والابتداء وهذا التكرير: مبالغة في رد مقالة الملا لأشباعهم، وتسفيه لرأيهم، واستهزاء بنصحهم لقومهم واستعظام لما جرى عليهم.

فتولى عنهم وقال دQqs"tf" لقد أبلغتكم رسالات 'n1ud' ونصحت لكم فكيف

س٤u#yn علي

(x. 93" %Qqs٥ ڑiچدے

الأسى: شدة الحزن. قال العجاج:

انحلبت عيناه (١) من فرط الأسى

(١) قوله: عيناه من فطر الأسي دالج
 عيناه أي سال دمع عينيه والوكيف العطر والغرب الدلو العظيم ، والدالج بالجيم الذي
 يأخذ الغرب من البئر فيفرغها في الحوض والبجس الانفجار بسعة كبيرة ، يقول سال دمع
 عينيه من الحزن ووكفتا وكيف دلوى أخذ تفجرتا بسعة .
 (٢٥٥/٤)

اشتد حزنه علی قومہ ثم أنکر علی نفسه (۱) فقال: فکیف یشتد حزنی علی قوم (۲) لیسوا

بأهل للحزن عليهم لكفرهم واستحقاقهم ما نزل بهم ويجوز أن يريد (٣) لقد أعذرت إليكم في الإبلاغ والنصيحة والتحذير مما حل بكم فلم تسمعوا قولي ولم تصدقوني فكيف آسى عليكم يعني أنه لا يأسى عليهم لأنهم ليسوا أحقاء بالأسى. وقرأ يحيى بن وثاب: "فكيف إيسى" (٤)، بكسر الهمزة

tBur\$! أرسلنا في قرية من نبي إلا أخذنا أهلها بالبأساء والضراء لعلهم يضرعون (٩٤)
ثم بدلنا مكان السيئة | 4.spsY utù:\$# Lxm® عفووا وقالوا قد مس آباءنا الضراء
والسراء

فأخذناهم بغتة وهم لا يشعرون (٩٥)

}

(١) قوله: ثم أنكر على نفسه أي جرد من نفسه شخصا وأنكر عليه حزنه على قوم لا يستحقونه وكان من حق الظاهر أن يقول وكيف تسند حزنك لقوله ثم أنكر على نفسه لكنه التفت وقال كيف يشتد حزني.

(٢) قوله: على قوم كافرين من إقامة الظاهر مقام المضمحل للإشعار بعدم استحقاقهم التأسف عليهم بكفرهم.

(٣) قوله: ويجوز أن يريد لقد أعذرت إليكم وما قصرت والفرق بين هذا وبين الأول أنه في الأول أنكر اشتداد الحزن الواقع من نفسه يعني لم كان الثاني أنكر اشتداد الحزن الواقع من نفسه يعني لم يكون وعلى هذا لا يكن الخطاب مع نفسه بل مع القوم وتوبيخا وعلى الأول قوله { يا قوم لقد أبلغتكم رسالات ربي } فيه معنى التلهف والتحسر مع أنها الندامة إلى القوم، وقوله: { فكيف آسا } فيه معنى الإنكار والتأنيب للنفس على التقديرين.

(٤) قوله: فكيف آسى بكسر الهمزة يعني على لغة من يقول تعلم وإمالة السين .

(٢٥٦/٤)

إلا أخذنا أهلها بالبأساء { بالبؤس والفقر } والضراء { بالضر والمرض لاستبكارهم عن اتباع نبيهم وتعززهم عليه } لعلهم يضرعون { ليتضرعوا ويتذللوا ويحطوا أودية الكبر والعزة } ثم بدلنا مكان السيئة الحسنة { أي أعطيناهم بدل ما كانوا فيه من البلاء والمحنة والرخاء والصحة والسعة كقوله: { وبلوناهم بالحسنات والسيئات } (الأعراف:

١٦٨} حتى عفوا { كثروا ونموا في أنفسهم وأموالهم، من قولهم: عفا النبات وعفا
الشحم والوبر، إذا كثرت. ومنه قوله
:

(٣٩٧) "واعفوا عن اللحى"، وقال الحطيئة(١):
بمستأسد القرى عاف نباته
وقال(٢):

ولكننا نعض السيف منها ... بأسوق عافيات الشحم كوم
}

(١) قوله: وقال الحطيئة قيل هذا البيت نصف الناقة
فإن نظرت يوما تموخر عينها ... إلى علم في القوم قالت له ابعد
بأرض ترى الحبارى كأنه ... نهار أكب موف على ظهر فردد
بمستأسد عاف نباته ... يساقطني والرحل منصوت هدد
نظرت أي الناقة وفي العور حال من الضمير في نظرت ، وقالت جزاء الشرط أو صفة علم
على
التأويل أو حال من الضمير في نظرت وقد مقدرة وجواب الشرط يساقطني وعلى الأول
يساقطني حال من الضمير في نظرت والموفى المسرف والفردد المكان الغليظ المرتفع
، واستأسد البيت: قوي والتف بعضه ببعض والقرى جمع قرى على فاعل وهو مجرى الماء في
الروض. وعفا النبات كبر.

(٢) قوله:
ولكننا بعض السيف منها نا ... سوف الشحوم كوم
قيله:

إذا ما درها لم يقر ضيفا ... ضمن له قراه من الشحوم
فلا نتجاوز العضلات منها ... إلى البكر المقارب والكروم
معنى البيت الأول ظاهر ومعنى البيت الثاني والثالث أنا لا نجاوز النوق الحسان إلى
الغنى الذي ليس بسمين والمسنة الهرمة ولكننا نجعل السيف عاضا من النوق
كثيرات اللحم عظيمات الأسنة.

(٢٥٧/٤)

وقالوا قد مس آباءنا الضراء والسراء { يعني وأبطرتهم النعمة وأشروا فقالوا: هذه عادة الدهر، يعاقب في الناس بين الضراء والسراء. وقد مس آباؤنا نحو ذلك، وما هو بابتلاء من الله لعباده، فلم يبق بعد ابتلائهم بالسيئات والحسنات إلا أن نأخذهم بالعذاب { فأخذناهم { أشد الأخذ وأفظعه، وهو أخذهم فجأة من غير شعور منهم

qs9ur أن أهل u"# 9\$#à آمنوا واتفقوا لفتحنا Nخkژm=t؛ M؛x.u"t/ من السماء والأرض ولكن كذبوا فأخذناهم بما كانوا يكسبون اذدب)

(٢٥٨/٤)

اللام في القرى: إشارة إلى القرى التي دل عليها قوله: { وما أرسلنا في قرية من نبي { (الأعراف: ٩٤) كأنه قال: ولو أن أهل تلك القرى الذين كذبوا وأهلكوا { آمنوا { بدل كفرهم { واتفقوا { المعاصي مكان ارتكابها { لفتحنا عليهم بركات من السماء والأرض { لآتيناهم بالخير من كل وجه. وقيل: أراد المطر(١) والنبات { ولكن كذبوا فأخذناهم { بسوء كسبهم ويجوز أن تكون اللام في القرى للجنس. فإن قلت: ما معنى فتح البركات عليهم؟ قلت: تيسيرها عليهم كما ييسر أمر الأبواب المستغلقة(٢) بفتحها. ومنه قولهم: فتحت على القاريء إذا تعذرت عليه القراءة فيسرتها عليه بالتلقين. فأمن أهل u"# 9\$#à أن يأتيهم بأسنا بياتا وهم tbqكJ! 97\$ (tR) أوأمن أهل u"# 9\$#à أن يأتيهم بأسنا ضحى وهم يلعبون (٩٨)

(١) قوله: أراد المطر والنبات أي لفتحنا عليهم بركات من السماء بالمطر وبركات من الأرض بالنبات وعلى الأول اعتبر في الجهتين التكرير واستيعاب وجوه الخير كلها كقوله تعالى { ولهم رزقهم فيها بكرة وعشيا { ولهذا قال: الخير من كل وجه. (٢) قوله: كما تيسر أمر الأبواب المغلقة أراد أن الأسلوب من الاستعارة التبعية () المستلزمة للتمثيلية لقوله كما تيسر أمر الأبواب المستغلقة بفتحها فإنه اعتبر من الأبواب وأحوالها وأطلق التيسير على الفتح بعد تشبيه أحدهما بالآخر ثم الإقصاء من المصدر إلى الفعل يدل عليه قوله ما معنى فتح البركات سأل عن المصدر ليشير إلى أن

الاستعارة تبعية والوجه سهولة الوصول إلى المقصود .

(٢٥٩/٤)

البيات يكون (١) بمعنى البيتوتة. يقال: بات بياتا. ومنه قوله تعالى: { فجاءها بأسنا بياتا أو هم قائلون } (الأعراف: ٤) وقد يكون بمعنى: التبييت، كالسلام بمعنى التسليم. يقال: بيته العدو بياتا، فيجوز أن يراد: أن يأتيهم بأسنا بياتا، أو وقت بيات، أو مبيتا، أو مبيتين، أو يكون بمعنى تبييتا، كأنه قيل: أن يبيتهم بأسنا

بياتا. و { ضحى } نصب على الظرف. يقال: أتانا ضحى، وضحيا، وضحاء والضحى - في الأصل - اسم لضوء الشمس إذا أشرقت وارتفعت. والفاء والواو في { أفامن } و { أو أمن } حرفا عطف (٢)

(١) قوله: ويكون بمعنى ال..... يعني يجوز أن يكون بيانا من الثلاثي ومن المزيد فعلى الأول هو إما حال من المفعول أو ظرف ، والوقت مقدر معه و على الثاني إما حال من الفاعل أو من المفعول أو مصدر ، والأوجه أن يكون ظرفا ليناسب قوله ضحى. فإن قلت: لم جوز في الوجه الثاني أن يكون بيانا حالا من الفاعل ومفعولا مطلقا ولم يجوزهما في الأول؟. قلت: لفساد المعنى إذ لا يجوز أن يكون ال..... لأن القوم هم الثابتون .

(٢) قوله: حرفا عطف دخلت عليهما همزة الإنكار. قال صاحب الفرائد: ما ذكره يشكل بما قيل أن الهمزة للاستفهام لها صدر الكلام فلم يجز عطف ما بعدها على ما قبلها ، وإنما الواجب أن تقدر المعطوف عليه بعد الهمزة ، وقيل الواو . وقال صاحب الإيجاز : إنما يدخل الألف الاستفهام على فاعل العطف مع منافاة العطف للاستثناف لأن التنافي في المفرد إذ الثاني إذا عمل فيه الأول كان من الكلام الأول والاستثناف يخرج عنه أن يكون منه ويصح ذلك في عطف جملة على جملة لأنه على الاستثناف عطف جملة على جملة .. قال الطيني:

والحق أن هذه الهمزة مقحمة مزيدة لتقرير معنى الإنكار أو التقرير فتدخل بين الشرط والجزاء والمبتدأ والخبر وقد نص عليه الزجاج في قوله تعالى : { أفمن حق عليه كلمة العذاب أفأنت تنقذ من في النار } وقال بعض المحققين أن الواو والفاء وثم إذا دخلت عليها همزة الاستفهام ليست عاطفة على معطوف مقدر إذ لو كانت كذلك لجاز وقوعها في

أول الكلام قبل أن يتقدمه ما يكون معطوفاً عليه ، ولم يجيء ذلك مستعملاً بل لا بد أن يكون مبنياً على كلام مقدم ليكن الواو واختاها عاطفات عليه مقدراً . قال في قوله

تعالى { أو كلما عاهدوا } أن همزة الإنكار دخلت على واو العطف ، فقوله { أو كلما } عطف على { لقد أنزلنا } والهمزة لإنكار ، وقال في قوله: { أفأنت تسمع الصم } أنه معطوف على قوله { ومنهم من يستمعون إليك } أي بعضهم يستمع إليك غير سامع في الحقيقة أفأنت تسمع هؤلاء الصم.

(٢٦٠/٤)

دخلت عليهما همزة الإنكار. فإن قلت: ما المعطوف عليه؟ ولم عطف الأولى بالفاء والثانية بالواو؟ قلت: المعطوف عليه قوله: { فأخذناهم بغتة } وقوله: { ولو أن أهل القرى } (الأعراف: ٩٦) إلى { يكسبون } وقع اعتراضاً بين المعطوف والمعطوف عليه (١)، وإنما عطف بالفاء، لأن المعنى: فعلوا وصنعوا فأخذناهم بغتة أبعد ذلك من أهل القرى أن يأتيهم بأسنا بياتاً وأمنوا أن يأتيهم بأسنا ضحى؟ وقرئ: أو أمن على العطف بأو { وهم يلعبون } يشتغلون بما لا يجدي عليهم كأنهم يلعبون.

)

(١) قوله: المعطوف عليه فأخذناهم بغتة إلى آخره ، اعلم أن في تمييز مواقع هذه الجمل كما أومى إليه تأملاً فقوله : { فأمن أهل القرى أن يأتيهم بأسنا بياتاً } وقوله { أو أمن أهل القرى أن يأتيهم بأسنا ضحى } متقابلان وقد عطف الجملتان على فأخذناهم بغتة نفا التعقيب لأن المعنى آمن أهل هذه القرى بعدما سمعوا ما فعل أهل تلك من الكفر وما فعل بهم من الأخذ فجأة من أن يأتيهم بأسنا بياتاً وهم نائمون أو ضحى وهم يلعبون أي غافلون والفاء في فأخذناهم للتسبيب يدل عليه قوله فعلوا وصنعوا وصنعنا بهم وفعلوا وصنعوا كناية عن استكبروا عن إتباع نبيهم وتعززوا عليه ، وقالوا بعد إبتلائهم بالحسنات هذه عادة الدهر ولما تضمن المعطوف والمعطوف عليه معنى نعت الرسول وتعريض الأمة للإبتلاء ليؤمنوا كان قوله { ولو أن أهل القرى آمنوا } الآية جملة معترضة بين المعطوف والمعطوف عليه لتأكيد مضمون الجملتين ، أما قوله في المعترضة اللام في

القرى إشارة إلى القرى التي دل عليها قوله { وما أرسلنا في قرية } فالظاهر منه وإن اقتضى أنها للعهد لكن لا ينافي إرادة الجنسية لأن القرى الأولى مطلقة ولما كان الثاني عين الأول كان أيضاً حبساً وأما اللام في قوله { أو أمن أهل القرى } فإشارة

إلى قرى معهودة وهي التي بعث إليها رسول الله .
(٢٦١/٤)

اززب
y,9\$#"tbrمزا لا الله إلا القوم tB٦u ج u &Br'sùrZmq#

فإن قلت: فلم رجع فعطف بالفاء قوله: { أفأمنوا مكر الله } ؟ قلت: هو تكرير لقوله: { أفأمن أهل القرى } (الأعراف: ٩٧) ومكر الله: استعارة لأخذه العبد من حيث لا يشعر، ولا استدراجه. فعلى العاقل أن يكون في خوفه من مكر الله، كالمحارب الذي يخاف من عدوه الكمين والبيات والغيلة. وعن الربيع بن خثيم: أن ابنته قالت له: ما لي أرى الناس ينامون ولا أراك تنام، فقال: يا بنتاه، إن أباك يخاف البيات، أراد قوله: { أن يأتيهم بأسنا بياتا } (الأعراف: ٩٧).

أولم يهد للذين رُتفحcqèO الأرض من بعد &dr÷=dyg\$! أن لو نشاء أصبناهم بذنوبهم

ونطبع على قلوبهم فهم لا يسمعون انةةب
(٢٦٢/٤)

إذا قرئ: "أو لم يهد" بالياء كان { أن لو نشاء } مرفوعا بأنه فاعله بمعنى: أو لم يهد للذين يخلفون، من خلا قلوبهم في ديارهم ويرثون أرضهم هذا الشأن، وهو أنا لو نشاء أصبناهم بذنوبهم، كما أصبنا من قبلهم، وأهلكنا الوارثين كما أهلكنا المورثين. وإذا قرئ بالنون، فهو منصوب كأنه قيل: أو لم يهد الله للوارثين هذا الشأن بمعنى: أو لم نبين لهم أنا { لو نشاء أصبناهم بذنوبهم } كما أصبنا من قبلهم. وإنما عدى (١) فعل الهداية باللام لأنه بمعنى التبيين. فإن قلت بم تعلق قوله تعالى: { ونطبع على قلوبهم } ؟ قلت: فيه أوجه، أن يكون معطوفا على ما دل عليه معنى { أو لم يهد } كأنه قيل: يغفلون عن الهداية، ونطبع على قلوبهم. أو على يرثون الأرض أو يكون منقطعا

بمعنى: ونحن نطبع على قلوبهم. فإن قلت: هل يجوز أن يكون { ونطبع } بمعنى وطبعنا، كما { لو نشاء } بمعنى: لو شئنا، ويعطف على أصبناهم؟ قلت: لا يساعد عليه المعنى (٢)؟

(١) قوله: وإنما عدى فعل الهداية باللام لأنه ضمن معنى التبيين وذلك أنه يتعدى إلى المفعول الثاني باللام أو يالى كما سبق وها هنا تعدى إلى الأول باللام.

(٢) قوله: لا يساعد عليه المعنى لأن القوم كانوا مطبوعا على قلوبهم إلى آخره .
الجواب: قال صاحب الانتصاف : ويجوز عطفه عليه ولا يلزم أن يكون المخاطبون موصوفين
بالطبع وإن كانوا كفارا إذ ليس الطبع من لوازم الكفر والافتراق إذ الطبع هو التماسي
في الكفر والإصرار حتى يقع اليأس عن قبول صاحبه للحق وليس كل كافر ولا مقترف بهذه
المثابة بل يهدد الكافر بأن يطبع على قلبه فيكون معنى الآية أنهم هددوا بأمرين
الإصابة ببعض الذنوب والطبع على القلوب وهذا الثاني وإن كان نوعا من الإصابة
بالذنوب لكنه أشد ، وقال صاحب التقريب في كلام جار الله نظر لأن المذكور كونهم
..... دون الطبع وأيضا جاز أن يراد لو شئنا لزدنا في طبعهم أو لأدمننا ..وقلت:
قول صاحب الانتصاف لا يلزم أن يكون المخاطبون موصوفين بالطبع وإن كانوا كفارا إذ
الطبع ليس من لوازم الكفر والافتراق خطأ لأن المراد بالطبع الخذلان الذي هو عدم
التوفيق ، ولا شك أن الكافر مخذول غير موفق وكذى المفترق ، والتحقيق في هذا أن
الطبع قد يكن دائما وقد لا يكون ، والكافر في حال كفر لا شك أنه مطبوع على قلبه
ولولاه لما كفر ولا يلزم من إيمانه في وقت آخر وعدم طبعه إذ ذاك لا يكون مطبوعا
عليه في حال كفره ويؤيد كونهم مطبوعين قوله { فهم لا يفقهون } نفا التسيب أعني أنه
أثبت لهم عدم الفقه وجعله مسببا عن الطبع فيكون الطبع حاصلًا، وأما قوله : أنهم
هددوا بأمرين الإصابة ببعض الذنوب والطبع على القلوب فغير مستقيم إذ لا يصح تهديد

الكافر بالطبع المراد به عدم التوفيق السابق إلى الإيمان والصارف عن الكفر ، وأما
قول صاحب التقريب المذكور كونهم مذنبين دون الطبع فقد ذكرنا أن الطبع يستلزمه الذنب
إذ لولاه وقع الذنب وخصوصا إذا أريد به الكفر ، وأما زيادة الطبع فغير متصورة لأن
الطبع عبارة عن عدم التوفيق وهذا لا يتصور فيه الزيادة . وقال الطيني: بعدما حكا
صاحب الانتصاف وكلام صاحب التقريب هذا كلام مردود لأن الكلام وارد للتوبيخ والتهديد
بالإهلاك والإستئصال لقوم ورثوا ديار قوم أهلكوا واستؤصلوا بسبب ارتكابهم لذنوب
اقتفوا آثارهم في ارتكابها وهم أهل مكة لأن قوله للذين يرثون الأرض إما مظهر وضع
موضع المضمرة وإما عام فيدخلون فيه ولا شك أن الطبع وارد (وازيادته) تارة ليس من
الإهلاك في شيء حتى يهددوا به وإن أريد تحقيق هذا الآيات السابقة ثم
المختار أن تكون الجملة مقتطعة واردة على سبيل الاعتراض والتذييل أي من شأننا
وعادتنا ألا نلطف بمن علمنا أن لا نلطف بمن علمنا أن لا نلطف غير مجد عليه لأن فعل
اللطف في حقه سبب ونحن منزهون عن فعل العبث وهذا مخالف لقول صاحب المفتاح وهو
أن

الجملة متى نزلت منزلة الجملة العراية عن المعطوف عليها كما إذا أريد بها القطع عما قبلها لم تكن موضعا لدخول الواو وهذه مقتطعة مع الواو ووجه الجمع أن قول صاحب المفتاح محمول على واو العطف، وقول المصنف على أن الواو للاستئناف الجملة المذيلة والمعتضة.

(٢٦٣/٤)

لأن القوم كانوا مطبوعا على قلوبهم موصوفين بصفة من قبلهم من اقتراف الذنوب والإصابة بها. وهذا التفسير يؤدي إلى خلوهم عن هذه الصفة، وأن الله تعالى لو شاء لاتصفوا بها.

تلك ٣u"ç9\$#à) نقص عليك من yg\$ح &t6/Rr\$! ولقد جاءتهم رسلهم بالبينات فما كانوا

ليؤمنوا بما كذبوا من قبل 7dy7xx"٩ يطبع الله على قلوب الكافرين اةتب }

(٢٦٤/٤)

تلك القرى نقص عليك من أنبائها { كقوله: { هذا بعلي شيخا { (هود: ٧٢) في أنه مبتدأ

وخبر وحال ويجوز أن يكون { القرى { صفة لتلك و { نقص { خبرا، وأن يكون { القرى نقص

{ خبر بعد خبر. فإن قلت: ما معنى: { تلك القرى { حتى يكون كلاما مفيدا؟ قلت: هو مفيد، ولكن بشرط التقييد بالحال(١)

(١) قوله: يشترط التقييد بالحال إلى قوله وإن يكن القرى نقص خبر بعد خبر . قال صاحب التقريب : وفيه نظر لأنه جعل شرط كون تلك القرى كلاما مقيدا بقيده بالحال وإذا جعل نقص خبرا ثانيا انتفى ذلك الشرط إلا أن يريد تلك القرى المعلومة حالها وصفتها على أن اللام للعهد لكنه حينئذ يوجب الاستغناء عن اشتراط إفادته بالتقييد بالحال . وقلت: الجواب عن هذا من وجهين : أحدهما أن يقول يحتمل أن تكون اللام في القرى للجنس

على تقدير كون نقص حالا وللعهد على تقدير كونه خبرا ويحتاج في الأول إلى التقييد دون الثاني، والثاني أنه إذا جاز أن يشترط في إفادة الكلام في موضع تقيده بالحال

فلم لا يجوز أن يشترط في إفادته في بعض المواضع تقييده بخبر آخر فكما أنه يشترط في قولهم هذا حلو أن يؤتى بحامض بعده حيث يكون ال..... (٠) هاهنا قال الطيني إirاده لنظر صاحب التقريب: هذا وهم لأن السؤال وارد على الوجه الأول لأن المشهور أن الحال فضلة في فائفة الجملة بخلاف ما إذا كان خبرا بعد خبر لأن الثاني حينئذ بمنزلة حامض في قولك هذا حلو حامض فلا يرد السؤال ولهذا استشهد بالصفة لأنها قيد كالحال فالجواب مبني على ما قال الزجاج والحال هنا من لطيف (الكلام) وغامضه وذلك أنك إذا قلت هذا زيد قائما فإن أردت أن تخبر به من لم يعرف زيدا أنه زيد لم يجز أن تقول هذا زيد قائما لأنه لا يكون زيدا ما دام قائما فإذا زال عن القيام فليس بزيدا ، وإنما تقول ذلك الذي (للذي) يعرف زيدا فيعمل في الحال التنبيه على أي أنه على زيدا وأشير إليه في حال قيامه لأن هذه إشارة إلى ما حضر يريد بقوله ما حضر

تقييد المشار إليه بالحال وإلا فلا فائدة في الجملة لأن السامع يعرفها وكذا في الآية المعنى يخبرك عن القرى التي عرفت في قصنا بعض أنبائها أو لها أنباء أخرى لم نقصها عليك وإذا كان المقصود من الكلام هذا فلا بد من الحال فبطل قوله لكنه يوجب الاستغناء عن اشتراط إفادته بالحال.

(٢٦٥/٤)

كما يفيد بشرط التقييد بالصفة في قولك: هو الرجل الكريم. فإن قلت: ما معنى الإخبار عن القرى بنقص عليك من أنبائها؟ قلت: معناه: أن تلك القرى المذكورة نقص عليك بعض أنبائها ولها أنباء غيرها لم نقصها عليك { فما كانوا ليؤمنوا } عند مجيء الرسل بالبينات بما كذبوه من آيات الله من قبل مجيء الرسل أو فما كانوا ليؤمنوا (١) إلى آخر أعمارهم بما كذبوا به أولا حين جاءتهم الرسل، أي استمروا على التكذيب من لدن مجيء الرسل إليهم إلى أن ماتوا مصرين، لا يروعون ولا تلين شكيمتهم في كفرهم وعنادهم مع تكرار المواعظ عليهم وتتابع الآيات. ومعنى اللام تأكيد النفي وأن الإيمان كان منافيا لحالهم في التصميم على الكفر. وعن مجاهد: هو كقوله: { ولو ردوا لعادوا لما نهوا عنه } (الأنعام: ٢٨). { كذلك } مثل ذلك الطبع الشديد نطبع على قلوب الكافرين. وما وجدنا dNخز٢nY2 { من عهد وإن وجدنا &nY2rژOèdu لفاسقين (١٠٢) }

(١) قوله: أو فما كانوا ليؤمنوا إلى آخر أعمارهم ، اعلم : أنه تعالى جعل عدم

إيمانهم مسببا عن تكذيبهم المقيد بقوله من قبل لتؤمنوا إما أن يجري على ظاهره
فالمعنى فما كانوا ليؤمنوا الآن أي عند مجيء الرسل لتكذيبهم السابق على مجيئهم وهو
مخالفتهم لأدلة العقل ، وإما أن يحمل على الاستمرار فالمعنى أنهم لم يؤمنوا قط
ويستمر منهم التكذيب لتكذيبهم عند مجيء الرسل ولما اشتمل الفعل على معنى الاستمرار
في الحالات متعاقبات صح أن يقال بما كذبوا أولا.
(٢٦٦/٤)

وما وجدنا لأكثرهم من عهد { (١) الضمير للناس على الإطلاق، أي وما وجدنا لأكثر
الناس من عهد يعني أن أكثرهم نقض عهد الله وميثاقه في الإيمان والتقوى { وإن وجدنا
{ وإن الشأن والحديث وجدنا أكثرهم فاسقين، خارجين عن الطاعة مارقين. والآية اعتراض.
ويجوز أن يرجع الضمير إلى الأمم (٢) المذكورين، وأنهم كانوا إذا عاهدوا الله في ضرر
ومخافة، لئن أنجيتنا لنؤمنن، ثم نجاهم (٣) نكثوا كما قال قوم فرعون لموسى عليه
السلام: { لئن كشفت عنا الرجز لنؤمنن لك { إلى قوله: { إذا هم ينكثون { (الأعراف:
١٣٥) والوجود بمعنى العلم من قولك: وجدت زيدا ذا الحفاظ، بدليل دخول "إن" المخففة
واللام الفارقة. ولا يسوغ ذلك إلا في المبتدأ والخبر. والأفعال الداخلة عليهما.
NèO \$sY÷Wyèt / من بعدهم \$sY!B-Fdyq-tf\$X / إلى فرعون وملئه
فظلموا بها فانظر
كيف كان عاقبة المفسدين (١٠٣) وقال موسى يا فرعون 'oTدخ) رسول من رب العالمين
(١٠٤)
xm(ة،î على أن لا أقول على الله إلا الحق قد جئكم ببينة من ربكم فأرسل معي t_سة /
u@fدن"ژخ) (١٠٥)
}

-
- (١) قوله: { وما وجدنا لأكثرهم من عهد { قال أبو البقاء لأكثرهم حال من عهد ومن
زائدة أي ما وجدنا عهدا كائنا لأكثرهم.
(٢) قوله: ويجوز أن يرجع الضمير إلى الأمم المذكورين ، فعلى هذا الجملة تتميم لا
اعتراض.
(٣) قوله: ثم نجاهم معطوف على قوله عاهدوا ، وقوله نكثوا جواب إذا وقوله لأن
أنجيتنا لنؤمنن اعتراضا للبيان.

من بعدهم { الضمير للرسل في قوله: { ولقد جاءتهم رسلهم { (الأعراف: ١٠١) أو للأمم { فظلموا { فكفروا بآياتنا. أجرى الظلم مجرى الكفر لأنهما من واد واحد { إن الشرك لظلم عظيم { (لقمان: ١٣) أو فظلموا الناس بسببها حين أوعدهم وصدوهم عنها، وآذوا من آمن بها، ولأنه إذا وجب الإيمان بها (١) فكفروا بدل الإيمان كان كفرهم بها ظلماً، فلذلك قيل: فظلموا بها، أي: كفروا بها واضعين الكفر غير موضعه، وهو موضع الإيمان.

يقال: لملوك مصر: الفراعنة، كما يقال لملوك فارس: الأكاسرة، فكأنه قال: يا ملك مصر وكان اسمه قابوس. وقيل: الوليد بن مصعب بن الريان { حقيق علي أن لا أقول على الله إلا الحق { فيه أربع قراآت، المشهورة: "حقيق علي أن لا أقول"، وهي قراءة نافع: "وحقيق أن لا أقول" وهي قراءة عبد الله: "وحقيق بأن لا أقول" وهي قراءة أبي وفي المشهورة إشكال، ولا تخلو (٢)

(١) قوله: ولأنه إذا وجب الإيمان بها هذا وجه ثالث لاطلاق الظلم على الكفر وتقرير الوجوه أن الظلم لا يعدى بالباء لأنه متعدد بنفسه فتعديته بالباء إما لكونه عبارة عن الكفر بقربة الباء لأن الكفر ظلم وإليه الإشارة بقوله أجرى الظلم مجرى الكفر ، وإما لأن الباء للسببية ومفعول ظلموا محذوف وهو المراد من قوله فظلموا الناس بسببها ، وإما لأنه ضمن الظلم معنى الكفر وإليه الإشارة بقوله كفروا بها واضعين الكفر غير موضعه ، وقيل الوجه الثاني على تقدير عود الضمير في من بعدهم إلى الأمم وليس ذلك بلازم وقد رجح عود الضمير إلى الرسل بقوله ثم بعثنا من بعدهم موسى بآياتنا إلى فرعون إذ لو عاد الضمير إلى الأمم لكان المناسب أن يقال ثم أنشأنا من بعدهم أمة فرعون وبعثنا إليهم موسى .

(٢) قوله: ولا يخلوا أي ولا يخلوا صحة المشهورة من وجوه وأول البيت في هذا الوجه: ويلحق جبل لاهوادة بينها ... ويسعى الرماح بالصباطرة الحمر

وهو لحداث بن زهير والهوادة الصلح والميل والصبيطر والصيطار الرجل الضخم الذي لا عناء عنده ، والحمر العجم لأن الشقرة غالبية عليهم.

من وجوه، أحدها: أن تكون مما يقلب من الكلام لأمن الإلباس، كقوله:

وتشقى الرماح بالضياطرة الحمر

معناه (١): وتشقى الضياطرة بالرماح "وحقيق علي أن لا أقول" وهي قراءة نافع. والثاني: أن ما لزمك (٢) فقد لزمته، فلما كان قول الحق حقيقا عليه كان هو حقيقا على قول الحق،

أي لازما له. والثالث: أن يضمن { حقيق } معنى حريص، كما ضمن "هيجني" معنى ذكرني في بيت الكتاب. والرابع: - وهو الأوجه - الأدخل في نكت القرآن: أن يغرق موسى في وصف نفسه بالصدق في ذلك المقام لا سيما وقد روى أن عدو الله فرعون قال له - لما قال: { إني رسول من رب العالمين } كذبت، فيقول: أنا حقيق علي قول الحق أي واجب علي قول الحق أن أكون أنا قائله والقائم به، ولا يرضى إلا بمثلي ناطقا به { فأرسل معي بني إسرائيل } فخلهم حتى يذهبوا معي راجعين إلى الأرض المقدسة التي هي وطنهم ومولد آبائهم، وذلك أن يوسف عليه السلام لما توفي وانقرضت الأسباط، غلب فرعون نسلهم واستعبدهم، فأنقذهم الله بموسى عليه السلام، وكان بين اليوم الذي دخل يوسف مصر واليوم الذي دخله موسى أربعمائة عام.

%tA\$s إن كنت جئت بآية فأت بها إن كنت من الصادقين (١٠٦) فألقى عصاه فإذا هي

ثعبان

تRur"uB (107) t-vûüx حخ tûi حجد"Z"=د اتةرب

(١) قوله: ومعناه أي ومعنى الآية والبيت ففيه لف ونشر.

(٢) قوله: أن ما فقد لزمته. قال صاحب التقريب حقيق في هذا الوجه بمعنى

اللازم وقيل بل ما قاله المصنف إنما إلى أن في الأسلوب من الكناية الامائية كقوله

البحثري.....

(٢٦٩/٤)

فإن قلت: كيف قال له: { فأت بها } بعد قوله: { إن كنت جئت بآية } ؟ قلت: معناه إن كنت جئت من عند من أرسلك بآية فأتني بها وأحضرها عندي لتصح دعواك ويثبت صدقك { ثعبان مبين } ظاهر أمره لا يشك في أنه ثعبان. وروى أنه كان ثعبانا ذكرا أشعر فاغرا فاه بين لحييه ثمانون ذراعا، وضع لحيه الأسفل في الأرض ولحية الأعلى على سور القصر، ثم توجه نحو فرعون ليأخذه فوثب فرعون من سريره وهرب، وأحدث ولم يكن أحدث قبل ذلك،

وهرب الناس وصاحوا، وحمل على الناس فانهزموا فمات خمسة وعشرون ألفا قتل بعضهم بعضا،

ودخل فرعون البيت وصاح: يا موسى، خذه وأنا أومن بك وأرسل معك بني إسرائيل، فأخذه موسى فعاد عصي. فإن قلت: بم يتعلق { للناظرين } ؟ قلت: يتعلق ببيضاء. والمعنى: فإذا هي بيضاء للنظارة ولا تكون بيضاء للنظارة إلا إذا كان بياضا عجيبا خارجا عن العادة، يجتمع الناس للنظر إليه كما تجتمع النظارة للعجائب، وذلك ما يروى: أنه أرى فرعون يده وقال: ما هذه؟ قال: يدك، ثم أدخلها جيبه وعليه مدرعة صوف ونزعها، فإذا هي بيضاء بياضا نورانيا غلب شعاعها شعاع الشمس، وكان موسى عليه السلام آدم شديد الأدمة.

قال الملاء من قوم فرعون إن هذا لساحر $L \times t = 109$ و $f\%$ حجم f أن $y_3 - \text{حج} f \dagger$ من أرضكم

فماذا $\# \hat{u} q \text{f} k \text{t} b r$ (110) $\% s \$ 9 \text{D} \hat{u} 's ?$ أرجه وأخاه وأرسل في المدائن $\text{t} \hat{u} i$ خزا³ (111) $x m$

$x 8 q \hat{e} ? \hat{u} 't f$ بكل ساحر $L \times t = 112$ و (112)

(٢٧٠/٤)

إن هذا لساحر عليم { أي عالم بالسحر ماهر فيه، قد أخذ عيون الناس بخدعة من خدعه، حتى خيل إليهم العصي حية، والآدم أبيض. فإن قلت: قد عزى هذا الكلام إلى فرعون في سورة الشعراء، وأنه قاله للملاء وعزي ههنا إليهم قلت قد قاله هو وقالوه هم، فحكي قوله ثم وقولهم ههنا: أو قاله ابتداء فتلقته منه الملاء، فقالوه لأعقابهم. أو قالوه عنه للناس على طريق التبليغ، كما يفعل الملوك يرى الواحد منهم الرأي فيكلم به من يليه من الخاصة ثم تبلغه الخاصة العامة. والدليل عليه أنهم أجابوه في قولهم: { أرجه وأخاه وأرسل في المدائن حاشرين بأتوك بكل ساحر عليم } . وقرىء: "سحار"، أي يأتوك بكل ساحر مثله في العلم والمهارة: أو بخير منه. وكانت هذه مؤامرة مع القبط. وقولهم: { فماذا تأمرون } من أمرته فأمرني بكذا إذا شاورته فأشار عليك برأي. وقيل: قال فماذا تأمرون؟ من كلام فرعون، قاله للملاء لما قالوا له: إن هذا لساحر عليم يريد أن يخرجكم، كأنه قيل: فماذا تأمرون؟ قالوا: أرجئه وأخاه، ومعنى أرجئه وأخاه: أخرهما وأصدرهما عنك، حتى ترى رأيك فيهما وتدبر أمرهما. وقيل: احبسهما. وقرىء: أرجئه، بالهمزة: "وأرجه"، من أرجاءه وأرجاه.

ون!ou%ur`y ouن چ،ys# 9\$# فرعون (#qûn\$%s إن لنا #ج_ {إن كنا نحن
tûü=د7"113) (t9\$#

قال نعم وإنكم لمن المقربين اتحب

(٢٧١/٤)

فإن قلت: هلا قيل: وجاء السحرة فرعون فقالوا: قلت: هو على تقدير سائل سأل: ما قالوا
إذ جاؤه؟ فأجيب بقوله: { قالوا إن لنا لأجرا { أي جعلنا على الغلبة: وقرئ: "إن لنا
لأجرا" على الإخبار وإثبات الأجر العظيم وإيجابه: كأنهم قالوا: لا بد لنا من أجر،
والتنكير للتعظيم، كقول العرب: إن له لإبلا، وإن له لغنما، يقصدون الكثرة. فإن قلت:
{ وإنكم لمن المقربين { ما الذي عطف عليه؟ قلت: هو معطوف على محذوف سد مسده
حرف

الأيجاب، كأنه قال إيجابا لقولهم: إن لنا لأجرا: نعم إن لكم لأجرا، وإنكم لمن
المقربين، أراد: إني لأقتصر بكم على الثواب وحده، وإن لكم مع الثواب ما يقل معه
الثواب، وهو التقريب والتعظيم، لأن المثاب إنما يتنهأ بما يصل إليه ويغبط به إذا
نال معه الكرامة والرفعة. وروى أنه قال لهم: تكونون أول من يدخل وآخر من يخرج.
وروى: أنه دعا برؤساء السحرة ومعلميهم فقال لهم: ما صنعتم؟ قالوا قد علمنا سحرا لا
يطبقه سحرة أهل الأرض، إلا أن يكون أمرا من السماء فإنه لا طاقة لنا به. وروى أنهم
كانوا ثمانين ألفا. وقيل: سبعين ألفا وقيل: بضعة وثلاثين ألفا. واختلفت الروايات
فمن مقل(١) ومن مكثر. وقيل: كان يعلمهم مجوسيان من أهل نينوى. وقيل: قال فرعون: لا
نغالب موسى إلا بما هو منه، يعني السحر.

(١) قوله: فمن مقل ومكثر آنفا (الفا) عقيب قوله: واختلفت الروايات
والجار والمجرور خبر مبتدأ محذوف أي فبعض هذه الروايات من راو نقل بعضها من راو
مكثر ، ونيوى قرية بقرب الموصل بعث منها يونس عليه السلام .
(٢٧٢/٤)

قالوا يا موسى إما أن ù=è+!z؟ وإما أن نكون نحن الملكين (١١٥) قال ألقوا فلما
ألقوا سحروا أعين الناس 7ydç7Nèdق\$ur#yTM\$ وجاءوا بسحر عظيم (١١٦) *
!Zu\$rr÷xm&ur
إلى موسى أن ألق عصاك فإذا هي تلقف ما يأفكون (١١٧) فوق '،u\$ut: # وبطل ما كانوا

يعملون (١١٨) (sù=ndqç7# هنالك وانقلبوا tûi حجة" | (١١٩) ur&é٩+!z
 9\$#،،ysçouن
 (120) (#ûq"f%oostûi %s\$٩y™ آمنة u<b<قح/ العالمين (١٢١) رب موسى
 وهارون اتشبه
 (٢٧٣/٤)

تخييرهم إياه أدب حسن راعوه معه، كما يفعل أهل الصناعات إذا التقوا كالمتناظرين،
 قبل أن يتخاضوا في الجدل، والمتصارعين قبل أن يتآخذوا للصراع. وقولهم: { وإما أن
 نكون نحن الملقين } فيه ما يدل على رغبتهم في أن يلقوا قبله من تأكيد (١) ضميرهم
 المتصل بالمنفصل وتعريف الخبر، أو تعريف الخبر وإقحام الفصل، وقد سوغ لهم موسى ما
 تراغبوا فيه ازدراء لشأنهم، وقلة مبالاة بهم. وثقة بما كان بصدده من التأييد
 السماوي، وأن المعجزة لن يغلبها سحر أبدا { سحروا أعين الناس } أروها بالحيل
 والشعوذة وخيلوا إليها ما الحقيقة بخلافه، كقوله تعالى: { يخيّل إليه من سحرهم أنها
 تسعى } (طه: ٦٦). روي: أنهم ألقوا حبالا غلاظا وخشبا طوالا، فإذا هي أمثال الحيات،
 قد ملأت الأرض وركب بعضها بعضا { واسترهبوهم } وأرهبوهم إرهابا شديدا، كأنهم
 استدعوا رهبتهم { بسحر عظيم } في باب السحر. روي أنهم لونوا حبالهم وخشبهم وجعلوا
 فيها ما يوهم الحركة.

(١) قوله: من تأكيد ضمير هم المتصل بالمنفصل وتعريف الخبر أو تعريف الخبر وإقحام
 الفصل والفرق بين المعنيين إن التأكيد يرفع التجوز عن المسند إليه والتخصيص على
 تقديره لازم من تعريف الخبر أي نحن بفعل البتة لا غيرنا والفصل تخصص
 لأنه لتخصيص المسند إليه فيعري الكلام عن التأكيد هذا (.....)
 وقد ذكر علماء المعاني بأن ضمير الفصل يعيد التخصيص وكذا تعريف الخبر فعلى هذا إذا

اجتمعوا هل يكونان جميعا مقيدين للتخصيص كما يفيدان واللام التأكيد إذا اجتمعوا أو
 يكون التخصيص حاصلًا بأحدهما فقط فإن جعلنا التخصيص حالة اجتماعهما بتعريف الخبر
 ويكون الفصل إنما جيء به للفرق بين الخبر والنعت .
 (٢٧٤/٤)

قيل: جعلوا فيها الزئبق { ما يأفكون } ما موصولة أو مصدرية، بمعنى: ما يأفكونه أي

يقبلونه عن الحق إلى الباطل ويزورونه تسمية للمأفوك بالإفك روي أنها لما تلقفت ملىء الوادي من الخشب والحبال رفعها موسى. أوافكهم فرجعت عصي كما كانت، وأعدم الله بقدرته تلك الأجرام العظيمة أو فرقها أجزاء لطيفة قالت للسحرة: لو كان هذا سحرا لبقيت حبالنا وعصينا { فوق الحق } فحصل وثبت. ومن بدع التفاسير: فوق قلوبهم، أي فآثر فيها من قولهم. قاس وقيع { وانقلبوا صاغرين } وصاروا أذلاء مبهوتين { وألقى السحرة } وخروا سجدا: كأنما ألقاهم ملق لشدة خروهم. وقيل: لم يتمالكوا مما رأوا، فكأنهم ألقوا. وعن قتادة: كانوا أول النهار كفارا سحرة؛ وفي آخره شهداء بررة. وعن الحسن: تراه ولد في الإسلام ونشأ بين المسلمين يبيع دينه بكذا، وكذا، وهؤلاء كفار نشأوا في الكفر، بذلوا أنفسهم لله.

قال فرعون آمنتم به قبل أن آذن لكم إن هذا لمكر مكرتموه في المدينة

(#mq حج÷Gد9

منها أهلها فسوف تعلمون (١٢٣) لأقطعن أيديكم وأرجلكم من $n=1/2z" \#7$ ثم لأصلبنكم أجمعين

اتشعب

}

(٢٧٥/٤)

آمنتم به { (١) على الإخبار، أي فعلتم هذا الفعل الشنيع، تويخا لهم وتقريبا. وقرىء: "أآمنتم"، بحرف الاستفهام، ومعناه الإنكار والاستبعاد { إن هذا لمكر مكرتموه في المدينة { إن صنعكم هذا لحيلة احتلتموها أنتم وموسى في مصر قبل أن تخرجوا إلى هذه الصحراء قد تواطأتم على ذلك لغرض لكم، وهو أن تخرجوا منها القبط وتسكنوها بني إسرائيل، وكان هذا الكلام من فرعون تمويهها على الناس لئلا يتبعوا السحرة في الإيمان. وروي أن موسى عليه السلام قال للساحر (٢) الأكبر: أتؤمن بي إن غلبتك؟ قال: لاآتين

بسحر لا يغلبه سحر. وإن غلبتني لأؤمنن بك، وفرعون يسمع، فلذلك قال ما قال: { فسوف تعلمون { وعيد أجمله ثم فصله بقوله: { لأقطعن { وقرىء: "لأقطعن" بالتخفيف، وكذلك { ثم لأصلبنكم { { من خلاف { من كل شق طرفا. وقيل: إن أول من قطع من خلاف وصلب لفرعون.

(#ûq9s\$% إنا إلى sY\$خ7qtb'u/nd=Z(125sm)B وما تنقم منا إلا أن

آمنا بآيات

ربنا لما جاءتنا ربنا ùحج &ùr\$Yn=t\$ # [٩ | ١ وتوفنا دJد=م،126) (B }

(١) قوله : آمتم به على الإخبار إلى قوله توبيخا لهم وإنما أفاد الخبر التوبيخ لأنه لما أخبر به من هو عالم (بفائدته) بقاعدته تولد بحسب القرائن والأحوال ما ناسب المقام والمناسب للمقام هنا هو التوبيخ والتفريع فلا فرق على هذا بين الخبر والاستفهام في ذلك.

(٢) قوله: وروي أن موسى قال للساحر عطف من حيث المعنى على قوله : وكان هذا من فرعون

تمويهها على الناس أي لم يسمع شيئاً من السحرة وموسى مشعراً بهذا المعنى بل وضعه من تلقاء نفسه تمويهها على الناس أو جمع (سمع) ما يدل عليه كما روي أن موسى الحديث.

(٢٧٦/٤)

إنا إلى ربنا منقلبون { فيه أوجه، أن يريدوا: إنا لا نبالي بالموت لانقلابنا إلى لقاء ربنا ورحمته وخلاصنا منك ومن لقاءك. أو نقلب إلى الله يوم الجزاء فيثبنا على شدائد القطع والصلب، أو إنا جميعا يعنون أنفسهم وفرعون نقلب إلى الله فيحكم بيننا، أو إنا لا محالة ميتون منقلبون إلى الله، فما تقدر أن تفعل بنا إلا ما لا بد لنا منه { وما تنقم منا إلا أن آمنا } وما تعيب منا إلا الإيمان بآيات الله، أرادوا: وما تعيب منا إلا ما هو أصل المناقب والمفاخر كلها، وهو الإيمان. ومنه قوله: ولا عيب فيهم غير أن سيوفهم

{ أفرغ علينا صبرا } هب (١) لنا صبرا واسعا وأكثره علينا، حتى يفيض علينا ويغمرنا، كما يفرغ الماء فراغا، وعن بعض السلف: إن أحدكم ليفرغ على أخيه ذنوبا ثم يقول: قد

مازحتك، أي يغمره بالحياء، والخجل. أو صب علينا ما يطهرنا من أوضار الآثام، وهو الصبر على ما توعدنا به فرعون، لأنهم علموا أنهم إذا استقاموا وصبروا كان ذلك مطهرة لهم { وتوفنا مسلمين } ثابتين على الإسلام.

urou#۹y7tFyg

قال سنقتل أبناءهم ونستحيي نساءهم وإنا فوقهم قاهرون اتنذب }

(١) قوله: هب لنا نصرا واسعا وأكثره علينا هذا أصل المعنى واستعير له قوله { أفرغ علينا صبرا } والاستعارة في أفرغ والقريظة صبرا لأن الصبر لا يستعمل فيه الإفراغ وهي تبعيه أو صب علينا ما يطهرنا ، على هذا الاستعارة في الصبر والقريظة أفرغ وهي مكنية مستلزمة للتخييلية فالقريظة تخيلية والصبر مكنية .
(٢٧٧/٤)

ويدرك { عطف على { يفسدوا } لأنه إذا تركهم ولم يمنعهم، وكان ذلك مؤديا إلى ما دعوه فسادا وإلى تركه وترك آلهته، فكأنه تركهم لذلك. أو هو جواب للاستفهام بالواو كما يجاب بالفاء، نحو قول الحطيئة (١):
ألم أك جاركم ويكون بيني ... وبينكم الممودة والإخاء

(١) قوله: قول الحطيئة :
ألم أك جاركم ويكون بيني ... وبينكم الممودة والإخاء
النصب بإضمار أن بعد الواو في جواب الاستفهام والاستفهام فيه التقرير وتكون على حكاية الحال الماضية .
(٢٧٨/٤)

والنصب بإضمار "أن" تقديره: أكون منك ترك موسى، ويكون تركه إياك وآلهتك. وقرئ:
"ويدرك وآلهتك بالرفع عطفا على أندر موسى، بمعنى: أذره وأيدرك، يعني: تطلق له ذلك. أو يكون مستأنفا أو حالا على معنى: أذره وهو يدرك (١) وآلهتك. وقرأ الحسن: "ويدرك بالجزم"، كأنه قيل (٢): يفسدوا، كما قرئ: { وأكن من الصالحين } (المنافقون: ١٠) كأنه قيل: "أصدق". وقرأ أنس رضي الله عنه: "ونذك"، بالنون والنصب، أي يصرفنا عن عبادتك فنذرنا. وقرئ: "ويدرك وإلهتك"، أي عبادتك. وروي (٣):

)

(١) قوله: وهو يدرك مثال الاستئناف والحال أما الاستئناف فعلى أن تكون الجملة معترضة مؤكدة لمعنى ما سبق أي أندر موسى وعادته تركك وآلهتك ولا بد من تقدير هو ليدل على الدوام وإما الحال فلا بد فيها أيضا من هو لتكون الجملة اسمية فيصح دخول الواو

عليها والحال مقررة لجهة الإشكال (الإنكار في نسخة أي الإشكال كما في الأصل) .

(٢) قوله: كأنه قيل يفسدوا أراد أنه لو لم يؤت باللام جاز في تفسدوا الجزم بإضمار أن على أنه جواب الاستفهام فتقدر كأنه ليس فيه اللام كما في قوله وأكن فإنه عطف على فأصدق على تقدير عدم الفاء فيه وجزمه على أنه جواب التخصيص.

(٣) قوله: وروي أنهم قالوا له ذلك قيل هو عطف على قوله إلى ما دعوه فسادا لأن المراد إما المتعارف أو غير المتعارف ، وهو الف يدل عليه قوله: فأرادوا بالفساد في الأرض ذلك ..

(٢٧٩/٤)

أنهم قالوا له ذلك، لأنه وافق السحرة على الإيمان ستمائة ألف نفس، فأرادوا بالفساد في الأرض ذلك وخافوا أن يغلبوا على الملك، وقيل: صنع فرعون لقومه أصناما وأمرهم أن يعبدوها تقربا إليه كما يعبد عبدة الأصنام الأصنام، ويقولون: ليقربونا إلى الله زلفى، ولذلك قال: أنا ربكم الأعلى { سنقتل أبناءهم } يعني سنعيد عليهم ما كنا محناهم به من قتل الأبناء، ليعلموا أنا على ما كنا عليه من الغلبة والقهر، وأنهم مقهورون تحت أيدينا كما كانوا، وأن غلبة موسى لا أثر لها في ملكنا واستيلائنا، ولئلا يتوهم العامة أنه هو المولود الذي أخبر المنجمون والكهنة بذهاب ملكنا على يده، فيشطهم ذلك عن طاعتنا ويدعوهم إلى اتباعه، وأنه منتظر (١) بعد.

قال موسى لقومه استعينوا بالله (#rمژة\$ur1ô إن الأرض لله يورثها من يشاء من 3/4ندت6tدم والعاقبة للمتقين (١٢٨) (#qûن\$Yf\$ %s\$Ér& من قبل أن تأتينا ومن بعد

ما \$sYoKO_ قال عسى ربكم أن 7y=ôgمف عدوكم 6xNàد=÷,tfur.tG في الأرض uچفZusù

كيف تعملون اثترب

}

(١) قوله: وأنه منتظر ، قيل هو معطوف على قوله أنه هو المولود على أسلوب قوله : علقتها تبنا وماء باردا. أي لئلا يتوهم العامة أنه هو المولود وليوقنوا أنه منتظر .

قال موسى لقومه استعينوا بالله { قال لهم ذلك - حين قال فرعون: سنقتل أبناءهم فجزعوا منه وتضجروا - يسكنهم(١) ويسلبهم، ويعددهم النصره عليهم، ويذكر لهم ما وعد الله بني إسرائيل من إهلاك القبط وتوريثهم أرضهم وديارهم. فإن قلت: لم أخليت هذه الجملة(٢) عن الواو وأدخلت على التي قبلها؟ قلت: هي جملة مبتدأة مستأنفة. وأما { وقال الملاء { (الأعراف: ١٢٧) فمعطوفة على ما سبقها من قوله: { قال الملاء من قوم فرعون { وقوله: { إن الأرض لله { يجوز أن تكون اللام للعهد ويراد أرض مصر خاصة، كقوله: { وأورثنا الأرض { (الزمر: ٧٤) وأن تكون للجنس فيتناول أرض مصر لأنها من جنس الأرض، كما قال ضمرة: إنما المرء بأصغريه، فأراد بالمرء الجنس، وغرضه أن يتناوله تناولا أوليا { والعاقبة للمتقين { بشارة بأن الخاتمة المحموده للمتقين منهم ومن القبط، وأن المشيئة متناولة لهم. وقرأ: "والعاقبة للمتقين" بالنصب: أبي وابن مسعود، عطفًا على الأرض.

}

(١) قوله: يسكنهم قيل هو حال من المستتر في قال موسى فعلى هذا ترك الواو ظاهر وفي بعض النسخ بالواو إما على تأويل الجملة الاسمية أي هو يسكنهم و(أو) على العطف .

(٢) قوله: لم أخليت هذه الجملة أراد قوله قال موسى .

أوذينا من قبل أن تأتينا ومن بعد ما جئنا { يعنون قتل آبائهم قبل مولد موسى عليه السلام إلى أن استنبئ، وإعادته عليهم بعد ذلك، وما كانوا يستعبدون به ويمتهنون فيه من أنواع الخدم والمهن ويمسسون به من العذاب { عسى ربكم أن يهلك عدوكم { (١) تصريح بما رمز إليه من البشارة قبل. وكشف عنه، وهو إهلاك فرعون واستخلافهم بعده في أرض مصر { فينظر كيف تعملون { فيرى الكائن منكم من العمل حسنه وقيحه وشكر لنعمة وكفرانها، ليجازيكم على حسب ما يوجد منكم.

(١) قوله : { عسى ربكم أن يهلك عدوكم { تصريح بما رمز إليه من البشارة وكشف عنه أراد بالبشارة قوله { إن الأرض لله يورثها { الآية . وقيل : هي ما قال { والعاقبة

للمتقين { بشارة إلى آخره. أقول : لا شك أن قوله بشارة خبر عن قوله { والعاقبة }
وذلك لا يمنع أن يقول قوله { إن الأرض لله يورثها من يشاء من عباده } بشارة أيضا
والمناسب أن قوله { عسى ربكم أن يهلك عدوكم } تصريح بما رمز إليه من البشارة في
قوله { إن الأرض لله يورثها من يشاء } بعد قوله : { استعينوا بالله واصبروا } وفيه
أنه كناية رمز به لأن المسافة من المذكور إلى المقصود قريبة وفيها نوع خفاء ثم في
قوله إن المشيئة متناولة لهم إشارة إلى قوله { إن الأرض لله يورثها من يشاء من
عباده } كناية أيضا والثانية كالتذييل للاولى ، وإنما حكم بأن عسى تصريح لأنه في
هذا المقام أعني مقام التسلية قطع بإنجاز لموعود والفوز بالمطلوب ووجه إيصال
التصريح بالكناية أن موسى لما وعدهم وبشرهم بقهر الأعداء قالوا { أؤدينا من قبل أن
تأتينا ومن بعد ما جئتنا } يعني لم نزل مقهورين قبل وبعد فكيف نفوز بالنصرة فأجابهم
بقوله { عسى ربكم أن يهلك عدوكم } وصرح بأن الله عز وجل هو المتفرد بإهلاك عدوهم.

(٢٨٢/٤)

وعن عمرو بن عبيد رحمه الله أنه دخل على المنصور قبل الخلافة وعلى مائدته رغيف أو رغيفان، فطلب زيادة لعمرو فلم توجد، فقرأ عمرو هذه الآية، ثم دخل عليه بعد ما استخلف فذكر له ذلك وقال: قد بقي فينظر كيف تعملون.

ولقد أخذنا آل فرعون بالسنين ونقص من **جy٧V9\$#N٠u** لعلمهم يذكرّون اتّجّبة
 { بالسنين } بسني القحط. و "السنة" من الأسماء الغالبة كالدابة والنجم ونحو ذلك،
 وقد اشتقوا منها(١) فقالوا: أسنت القوم بمعنى: أخطوا. وقال ابن عباس رضي الله عنه:
 أما السنون فكانت لباديتهم وأهل مواشيهم. وأما نقص الثمرات فكان في أمصارهم. وعن

كعب: يأتي على الناس زمان لا تحمل النخلة إلا ثمرة { لعلهم يذكر } فيتنبهوا على أن ذلك لإصرارهم على الكفر وتكذيبهم لآيات الله، ولأن الناس (٢) في حال الشدة أضرع خدودا وألين أعطافا وأرق أفئدة. وقيل: عاش فرعون أربعمئة سنة ولم ير مكروها في ثلثمائة وعشرين سنة، ولو أصابه في تلك المدة وجع أو جوع أو حمى لما ادعى الربوبية. فإذا جاءتهم | \$:utù,èpuZ# قالوا لنا 3/4دنة"yd وإن نصبهم سيئة

tf.© چ r#مژ £ بمن موسی ومن

معہ اَلَا إِنَّمَا مُرْتَبٌ سَخِرَ عِنْدَ اللَّهِ وَلَكِنْ نَعِدُكَ أَنَّكَ لَا تُنْقَضُ

اتجیب

}

(١) قوله: وقد استقوا منها فقالوا اسنت القوم الجوهر اسنا القوم يسنون إسنا
(.....) إذا لبثوا في موضع سنة وأسنوا إذا أصابتهم الجدوبة فقلبت الواو تاء للفرق
بينهما ، وقال المازني: هذا شاذ لا يقاس عليه . وقال الفراء: توهما أن الهاء أصلية
إذ وجدوها تالية فقلبوها تاء.
(٢) قوله: ولأن الناس علة لمحذوف معطوف عليه فيتنبهوا أي لعلهم يذكرون فيتنبهوا
ويتضرعوا لأن الناس إلى آخره .

(٢٨٣/٤)

فإذا جاءتهم الحسنة { من الخصب والرخاء } قالوا لنا هذه { أي هذه مختصة بنا ونحن
مستحقوها ولم نزل في النعمة والرفاهية، واللام مثلها في قولك. الجل للفرس } وإن
تصيبهم سيئة { من ضيقة وجذب } يطبروا بموسى ومن معه { يتطيروا بهم ويتشاءموا
ويقولوا: هذه بشؤمهم، ولولا مكانهم لما أصابتنا، كما قالت الكفرة لرسول الله
(٢٨٤/٤)

هذه من عندك. فإن قلت: كيف قيل (١) فإذا جاءتهم الحسنة فإذا وتعريف الحسنة، وإن
تصيبهم سيئة يان وتنكير السيئة؟ قلت: لأن جنس الحسنة وقوعه كالواجب لكثرة واتساعه.
وأما السيئة فلا تقع إلا في الندرة، ولا يقع (٢)

(١) قوله: كيف قيل فإذا جاءتهم أي كيف أدخل على الجملة الأولى إذا وهي لا تدخل إلى
على المتيقن الوجود وعلى الثانية أن وهي لا تدخل إلا على الجائز الوجود المشكوك فيه

وأجاب بأن جنس الحسنة وقوعه كالواجب أراد بالجنس المعهود الذهني السامع كما قال
في الحمد لله أن التعريف فيه للجنس وأن المراد به الإشارة إلى ما يعرفه كل أحد أن
الحمد ما هو فالمراد بالحسنة الحسنة التي تحصل في ضمن فرد من الأفراد ويصدق عليها
اسم الحسنة وهي تارة تكون خصبا وأخرى رفاهية أو ضحية أو غير ذلك وإليه الإشارة
بقوله فإذا جاءتهم الحسنة من الخصب والرخاء فإن بعضا منها واقع دائما لا ينقطع وهو
المراد بقوله وقوعه كالواجب لكثرة واتساعه وهذا ملائم للمقام لا مكان حمله على
المفرد الذي هو حاصل وعلى الفرد الذي يتوقع حصوله ، وعلى الفرد الذي تقدم ومن ثم لم

يجز حمل التعريف على العهد الخارجي لتعيينه وتخصيصه فلا يكون مقطوعا بحصوله إذ ذاك ولا على الجنس من حيث هو هو إذ التعريف إذا أريد به الجنس حمل على المبالغة والكمال والمقام لا يقتضي ذلك وهذا المعنى هو الملائم لكلام صاحب المفتاح والفرق بين تعريف العهد الذهني مع أنه لا توقيت فيه في الحسنة وبين مدلول السيئة المنكرة أن مدلول الحسنة المعهود ذهنا متعين ومدلول السيئة غير متعين فالتعيين في الحسنة بحسب الذهن والشيوخ بحسب الوجود فيعيد التعريف الذهني الاعتناء بشأن الحقيقة وأنا منزلة منزلة المعهود الخارجي بوجه من الوجوه بخلاف النكرة فإنها غير ملتفت إليها .

(٢) قوله: ولا يقع إلا شيء منها يريد بهذه العبارة قبلها ليقابل قوله لكثرتة واتساعه، وقوله إلا في الندرة مقابل لقوله كالواجب ..

(٢٨٥/٤)

إلا شيء منها. ومنه قول بعضهم: قد عددت أيام البلاء، فهل عددت أيام الرخاء { طائرهم عند الله { أي سبب خيرهم وشرهم عند الله، وهو حكمه ومشيتته، والله هو الذي يشاء ما يصيبهم من الحسنة والسيئة، وليس شؤم أحد ولا يمنه بسبب (١) فيه، كقوله تعالى: { قل كل من عند الله { (النساء: ٧٨) ويجوز أن يكون معناه: ألا إنما سبب شؤمهم عند الله

وهو عملهم المكتوب عنده الذي يجري عليهم ما يسوءهم لأجله، ويعاقبون له بعد موتهم بما وعدهم الله في قوله سبحانه: { النار يعرضون عليها { (غافر: ٤٦) الآية. ولا طائر أشأم من هذا. وقرأ الحسن: "إنما طيركم عند الله"، وهو اسم لجمع طائر غير تكسير، ونظيره: النجر، والركب. وعند أبي الحسن: هو تكسير.

وقالوا مهما تأتينا به من آية j9tF،ys٢Ru\$ بها فما نحن لك بمؤمنين (١٣٢) فأرسلنا مxNكz٢م الطوفان y٢#٢pgù:\$\$ur٢ والقملة والضفادع والدم آيات B-٢x٢=n"M؛

y96tG™\$\$\$sù٢r#) وكانوا قوما ٢Bü٢دحج'g'C اتججب }

(١) قوله: بسبب فيه الضمير المجرور عائد إلى ما يصيبهم .

(٢٨٦/٤)

مهما { هي "ما" المضمنة (١) معنى الجزاء، ضمت إليها "ما" المزيدة المؤكدة للجزاء في

قولك: متى ما تخرج أخرج، { أينما تكونوا يدرككم الموت } (النساء: ٧٨)، { فإما نذهبن بك } (الزخرف: ٤١) إلا أن الألف قلبت هاء استثقالا لتكرير المتجانسين وهو المذهب السديد البصري، ومن الناس من زعم أن "مه" هي الصوت الذي يصوت به الكاف، و { ما } للجزاء، كأنه قيل: كف ما تأتينا به من آية لتسحرنا بها فما نحن لك بمؤمنين. فإن قلت: ما محل مهما؟ قلت: الرفع بمعنى: أيما شيء تأتينا به. أو النصب (٢)، بمعنى: أيما شيء تحضرنا تأتينا به. ومن آية: تبين لمهما. والضميران في { به } و { بها } راجعان إلى مهما، إلا أن أحدهما ذكر على اللفظ، والثاني أنث على المعنى، لأنه في معنى الآية. ونحوه قول زهير (٣):

ومهما تكن عند امرئ من خليفة ... وإن خالها تخفى على الناس تعلم

(١) قوله: هي ما المضمنة معنى الجزاء أراد به معنى الشرط، ولهذا سمي قوله { إن شاء الله آمين } في سورة يوسف بالجملة الجزائية .

(٢) قوله: أو النصب بمعنى أيما شيء يحضرنا تأتينا به أراد أنه من باب الإضمار على شريطة ال..... .

(٣) قوله: ونحوه قوله زهير أني في التذكير على اللفظ والتأنيث على المعنى

ومهما تكن عند امرأ من خليفة ... وإن خالها تخفى على الناس تعلم
فإنه ذكر الضمير في تكن حملا على لفظ مهما وأنث الباقي حملا على معناه لأنه في معنى الخليفة والخليفة والخلق واحد والتأنيث في الآية والبيت جاء بعد التبيين بقوله من آية ومن خليفة .

(٢٨٧/٤)

وهذه الكلمة في عداد الكلمات التي يحرفها من لا يد له في علم العربية، فيضعها غير موضعها، ويحسب (١) مهما بمعنى متى ما، ويقول مهما جئتني أعطيتك، وهذا من وضعه، وليس

من كلام واضح العربية في شيء، ثم يذهب فيفسر { مهما تأتينا به من آية } بمعنى الوقت، فليحد في آيات الله وهو لا يشعر، وهذا وأمثاله مما يوجب الجثو بين يدي الناظر في كتاب سيويه. فإن قلت: كيف سموها آية، ثم قالوا لتسحرنا بها؟ قلت: ما سموها آية لاعتقادهم أنها آية، وإنما سموها اعتبارا لتسمية موسى وقصدوا بذلك الاستهزاء

والتلهي { الطوفان } ما طاف بهم وغلبهم من مطر أو سيل. قيل: طغى الماء فوق حروثهم، وذلك أنهم مطروا ثمانية أيام في ظلمة شديدة لا يرون شمسا ولا قمرا، ولا يقدر أحدهم أن يخرج من داره. وقيل: أرسل الله عليهم السماء حتى كادوا يهلكون، وبيوت بني إسرائيل وبيوت القبط مشتبكة، فامتألت بيوت القبط ماء حتى قاموا في الماء إلى تراقيهم، فمن جلس غرق، ولم تدخل بيوت بني إسرائيل قطرة، وفاض الماء على وجه أرضهم وركد فمنعهم من الحرث والبناء والتصرف، ودام عليهم سبعة أيام. وعن أبي قلابة: الطوفان الجدرى، وهو أول عذاب وقع فيهم، فبقي في الأرض.

(١) قوله: وبحسب مهما بمعنى متى ما إلى قوله وليس من وضع العربية في شيء ألا ترى إلى قوله مهما تأتينا به فإنه ينادي بأن المراد ما تأتينا به لا متى تأتينا به والهاء في به مفعول به لا مفعول فيه ولو كان مفعولا فيه لصرح بفي كما يقال اليوم خرجت فيه لأن الهاء فيه عبارة عن اليوم أما المفعول به فضميره تارة يجيء مع الباء وأخرى بغيرها نحو ذهبت به وأذهبت به ولما لم يصرح بفي علمنا أن مهما ليست بمعنى متى ووجه آخر وهو أن من آية بيان مهما فيكون عبارة عنها والآية ليست بزمان والموبات الوباء ، والدبا مقصور الجراد قبل أن يطير جمع دبا.

(٢٨٨/٤)

وقيل: هو الموتان وقيل: الطاعون، فقالوا لموسى: ادع لنا ربك يكشف عنا ونحن نؤمن بك، فدعا فرفع عنهم، فما آمنوا، فنبت لهم تلك السنة من الكأ والزرع ما لم يعهد بمثله، فأقاموا شهرا، فبعث الله عليهم الجراد فأكلت عامة زروعهم وثمارهم، ثم أكلت كل شيء حتى الأبواب وسقوف البيوت والثياب ولم يدخل بيوت بني إسرائيل منها شيء، ففرغوا إلى موسى ووعدوه

(٢٨٩/٤)

التوبة، فكشف عنهم بعد سبعة أيام: خرج موسى عليه السلام إلى الفضاء فأشار بعصاه نحو المشرق والمغرب، فرجع الجراد إلى النواحي التي جاء منها، فقالوا: ما نحن بتاركي ديننا، فأقاموا شهرا، فسلط الله عليهم القمل وهو الحمنان في قول أبي عبيدة كبار القردان. وقيل: الدبا، وهو أولاد الجراد. وقبل نبات أجنتها. وقيل: البراغيث. وعن سعيد بن جبير: السوس، فأكل ما أبقاها الجراد، ولحس الأرض، وكان يدخل بين ثوب أحدهم

وبين جلده فيمصه، وكان يأكل أحدهم طعاما فيمتلىء قملا، وكان يخرج أحدهم عشرة أجربة إلى الرحي فلا يرد منها إلا يسيرا. وعن سعيد بن جبير، أنه كان إلى جنبهم كتيب أعفر، فضربه موسى بعصاه فصار قملا، فأخذت في أبشارهم وأشعارهم وأشفار عيونهم وحواجبهم، ولزم جلودهم كأنه الجدري، فصاحوا وصرخوا وفزعوا إلى موسى فرفع عنهم، فقالوا: قد تحققنا الآن أنك ساحر، وعزة فرعون لا نصدقك أبدا، فأرسل الله عليهم بعد شهر الضفادع، فدخلت بيوتهم وامتلات منها آنياتهم وأطعمتهم، ولا يكشف أحد شيئا من ثوب ولا طعام ولا شراب إلا وجد فيه الضفادع، وكان الرجل إذا أراد أن يتكلم وثبت الضفدع إلى فيه، وكانت تمتلىء منها مضاجعهم فلا يقدرُونَ على الرقاد، وكانت تقذف بأنفسها في

القدرو وهي تغلي، وفي التناير وهي تفور، فشكوا إلى موسى وقالوا: ارحمنا هذه المرة، فما بقي إلا أن نتوب التبة النصوح ولا نعود، فأخذ عليهم العهود ودعا فكشف الله عنهم، ثم نقضوا العهد، فأرسل الله عليهم الدم فصارت مياههم دما، فشكوا إلى فرعون فقال: إنه سحركم فكان يجمع بين القبطي والإسرائيلي على إناء واحد فيكون ما يلي الإسرائيلي ماء وما يلي القبطي دما، ويستقيان من ماء واحد فيخرج للقبطي الدم وللإسرائيلي الماء حتى إن المرأة القبطية تقول لجارتها الإسرائيلية اجعلي الماء في فيك ثم مجيه في في فيصير الماء في فيها دما.

(٢٩٠/٤)

وعطش فرعون حتى أشفى على الهلاك، فكان يمص الأشجار الرطبة، فإذا مضغها صار ماؤها الطيب ملحا أجاجا. وعن سعيد بن المسيب: سال عليهم النيل دما. وقيل: سلط الله عليهم الرعاف وروى: أن موسى عليه السلام مكث فيهم بعد ما غلب السحرة عشرين سنة يريهم هذه الآيات، وروى: أنه لما أراهم اليد والعصا ونقص النفوس والثمرات قال: يا رب، إن عبدك هذا قد علا في الأرض فخذ به عقوبة تجعلها له ولقومه نقمة، ولقومي عظة، ولمن بعدي آية. فحينئذ بعث الله عليهم الطوفان، ثم الجراد، ثم ما بعده من النقم. وقرأ الحسن: "والقمل"، بفتح القاف وسكون الميم، يريد القمل المعروف { آيات مفصلات } نصب على الحال. ومعنى مفصلات: مبيّنات ظاهرات لا يشكّل على عاقل أنها من آيات الله التي لا يقدر عليها غيره، وأنها عبرة لهم ونقمة على كفرهم. أو فصل بين بعضها وبعض بزمان تمتحن فيه أحوالهم، وينظر أيستقيمون على ما وعدوا من أنفسهم، أم ينكثون إلزاما للحجة عليهم؟.

ولما وقع عليهم ٥"â _حhچ\$٩# قالوا يا موسى ني ٥ث\$# لنا ربك بما عهد عندك لئن

كشفت عنا

u"ôhç\$# \$٩ لنؤمنن لك ٢=ن`ك\9sur معك ٢سـt/ ٢@fدن"ؤ خ (١٣٤) فلما ٢±tسY\$

عنهم u"ôhç\$# \$٩ إلى أجل هم ٢nd=ت/ إذا هم ينكتون (١٣٥) فانتقمنا منهم

كNg%u"çsY'îr في اليم ٢XrN'k/ خ/ كذبوا بآياتنا وكانوا عنها

ؤ=د=د"xi اتجدب

}

(٢٩١/٤)

بما عهد عندك { ما مصدريّة. والمعنى بعهدك وهو النبوة والباء إما أن تتعلق بقوله: { ادع لنا ربك { على وجهين: أحدهما أسعفنا إلى ما نطلب (١) إليك من الدعاء لنا بحق ما عندك من عهد الله وكرامته بالنبوة. أو ادع الله لنا متوسلاً إليه بعهدك. وإما أن يكون قسماً مجاباً بلنؤمنن، أي أقسمنا بعهد الله عندك لئن كشفت عنا الرجز لنؤمنن لك { إلى أجل هم بالغوه { إلى حد من الزمن هم بالغوه لا محال فمعذبون فيه لا ينفعهم ما تقدم لهم من الإمهال وكشف العذاب إلى حلوله { إذا هم ينكتون { جواب لما، يعني: فلما (٢) كشفناه عنهم فاجأؤا النكت وبادروا لم يؤخروه ولكن كما كشف عنهم نكتوا { فانتقمنا منهم { فأردنا الانتقام (٣) منهم { فأغرقناهم { . واليم: البحر الذي لا يدرك قعره. وقيل: هو لجة البحر ومعظم مائه، واشتقاقه من التيمم، لأن المستغفين به يقصدونه { بأنهم كذبوا بآياتنا { أي كان إغراقهم بسبب تكذيبهم بالآيات وغفلتهم عنها وقلة فكرهم فيها.

(١) قوله: اسعفنا إلى ما نطلب إليك ضمن أسعفنا معنى أوصلنا ونطلب إليك معنى نتضرع إليك والباء في بما عهد عندك على أن تكون التقدير بحق ما عندك بالاستعطاف وهو طلب العطف أي الرحمة وجوابه ما دل عليه أدع لنا هذا على الوجه الأول وعلى الوجه الثاني ليست بالاستعطاف بل هي متعلقة بادع على معنى توصل بما عندك وعلى هذين الوجهين لنؤمنن لك جواب قسم مقدر في الوجه الثالث الباء للقسم وجوابه لنؤمنن لك وعلى هذا فلا استعطاف .

(٢) قوله: ف..... قال المصنف قيد وجود هذا بوجود ذك فكأنما وجدا في حز واحد من الزمان فيكن في الحقيقة جواب لما ذلك الفعل المقدر وهو أو يكون لما

ظرفية وإذا مفعولا به.

(٣) قوله: فأردنا الانتقام منهم إنما قدر أردنا لأن الإغراق عين الانتقام ، ويجوز

أن يكون من باب قوله { فتوبوا إلى ربكم فاقتلوا أنفسكم } .

(٢٩٢/٤)

وأورثنا القوم الذين كانوا يستضعفون s-حج"t±tB الأرض ygt\$/حج"ttBur التي
/t"uZ.u\$

فيها وتمت x=àdMyJ. ربك الحسنی علی ũسة_ /t_@fدن"u"ز (خ) بما
r#مژ¹ | y9 ودمرنا ما كان

يصنع فرعون وقومه وما كانوا ٢ccq©حج÷137 (ètf

}

(٢٩٣/٤)

القوم الذين كانوا يستضعفون { هم بنو إسرائيل كان يستضعفهم فرعون وقومه. والأرض:
أرض مصر والشام، ملكها بنو إسرائيل بعد الفراعنة والعمالقة، وتصرفوا كيف شاؤا في
أطرافها ونواحيها الشرقية والغربية { باركنا فيها { بالخصب وسعة الأرزاق { كلمت ربك
الحسنی { قوله: { ونريد أن نمن على الذين استضعفوا في الأرض { إلى قوله: { ما كانوا
يحذرون { (القصص: ٦) والحسنی: تأنيث الأحسن صفة للكلمة. ومعنى تمت على بني
إسرائيل:

مضت عليهم واستمرت من قولك: تم على الأمر إذا مضى عليه { بما صبروا { بسبب
صبرهم،

وحسبك به حاثا على الصبر، ودالا على أن من قابل البلاء بالجزع وكله الله إليه، ومن
قابله بالصبر. وانتظار النصر ضمن الله له الفرج. وعن الحسن: عجت ممن خف كيف خف،
وقد سمع قوله. وتلا الآية. ومعنى خف: طاش جزعا وقلة صبر، ولم يرزن رزاة أولي
الصبر. وقرأ عاصم في رواية: "وتمت كلمات ربك الحسنی" ونظيره (١) { من آيات ربه
الكبرى { (النجم: ١٨). { ما كان يصنع فرعون وقومه { ما كانوا يعملون ويسوون من
العمارات وبناء القصور { وما كانوا يعرشون { من الجنات { هو الذي أنشأ جنات معروشات
{ (الأنعام: ١٤١) أو وما كانوا يرفعون من الأبنية المشيدة في السماء. كصرح هامان
وغيره وقرىء: "يعرشون" بالكسر والضم. وذكر الزبيدي أن الكسر أفصح. وبلغني أنه قرأ

بعض الناس: "يغرسون" من غرس الأشجار. وما أحسبه إلا تصحيفا منه.

(١) قوله: ونظيره قوله { من آيات ربه الكبرى } يعني في الجمع وأراده التعدد في

الكلمات والآيات والملكة الصنيع ولخم بحى (حي) من اليمن ومنهم كانت ملوك العرب في الجاهلية ، وقيل هم من مضر .

(۲۹۴/۴)

%Qqs st79\$#چ u fدن"ڑ خ) @ن t7_رسة_y ur û"tR-uq\$
يعكفون علم , &Q\$sYô¹r

لهم قالوا يا موسى اجعل لنا إلهًا كما لهم آلهة قال إنكم قوم تجهلون (١٣٨) إن هؤلاء
ضئفBmG٩ ما هم فيه وباطل ما كانوا يعملون (١٣٩) قال أغير الله أبغىكم إلهًا وهو
فضلكم على العالمين اتحبة

وهذا آخر ما اقتص الله من نبأ فرعون والقبط وتكذيبهم بآيات الله وظلمهم ومعاصيهم ثم أتبعه اقتصاص نبأ بني إسرائيل وما أحدثوه - بعد إنقاذهم من ملكة فرعون واستعباده، ومعانيتهم الآيات العظام، ومجاوزتهم البحر - من عبادة البقر وطلب رؤية الله جهرة، وغير ذلك من أنواع الكفر والمعاصي، ليعلم حال الإنسان وأنه كما وصفهم ظلوم كفار جهول كنود، إلا من عصمة الله { وقليل من عبادي الشكور } (سبأ: ١٣) وليسلى رسول الله مما رأى من بني إسرائيل بالمدينة. وروي: أنه عبر بهم موسى يوم عاشوراء بعد ما أهلك الله تعالى فرعون وقومه، فصاموه شكرا لله تعالى: { فأتوا على قوم { فمروا عليهم } يعكفون على أصنام لهم { يواظبون على عبادتها ويلازمونها. قال ابن جريج: كانت تماثيل بقر. وذلك أول شأن العجل وقيل: كانوا قوما من لحم. وقيل: كانوا من الكنعانيين الذين أمر موسى عليه السلام بقتالهم وقرىء: "وجوزنا" بمعنى أجزنا. يقال: أجاز المكان وجوزه وجاوزه بمعنى جازه، كقولك: أعلاه وعلاه وعالاه. وقرىء: "يعكفون" بضم الكاف وكسرها { اجعل لنا إلها { صنما نعكف عليه { كما لهم آلهة { أصنام يعكفون عليها. "وما" كافة للكاف، ولذلك وقعت الجملة بعدها وعن علي رضي الله عنه أن يهوديا قال له: اختلفتم بعد نبيكم قبل أن يحف ماؤه. فقال: قلت

(290/4)

اجعل لنا إلهًا قبل أن تجف أقدامكم { إنكم قوم تجهلون } (١) تعجب من قولهم على أثر

ما رأوا من الآيات العظمى والمعجزة الكبرى فوصفهم بالجهل المطلق وأكده، لأنه لا جهل أعظم مما رأى منهم ولا أشنع { إن هؤلاء } يعني عبدة تلك التماثيل { متبر ما هم فيه } مدمر مكسر ما هم فيه، من قولهم إناء متبر، إذا كان فضاضا. ويقال لكسار الذهب: التبر، أي يتبر الله ويهدم دينهم الذي هم عليه على يدي، ويحطم أصنامهم هذه ويتركها رضاضا { وباطل ما كانوا يعملون } أي ما عملوا شيئا من عبادتها فيما سلف إلا وهو باطل مضمحل لا ينتفعون به وإن كان زعمهم تقربا إلى الله كما قال تعالى { وقدمنا إلى ما عملوا من عمل فجعلناه هباء منثورا } (الفرقان: ٢٣) وفي إيقاع (٢) }

(١) قوله: { إنكم قوم تجهلون } تعجب استفيد لتعجب من المقام لأن من شاهد مثل تلك الآيات العظام إذا صدر منه مثل هذا الكلام دل على ثخانة جهلة وقصور فهمه وعقله ولذلك صدر الجملة بأن وغلب في الخطاب على الغيبة في تجهلون وجاء بتجهلون مضارعاً ليدل على استمرار جهلهم وعلى أنه عادة لهم .

(٢) قوله: وفي ايقاع هؤلاء اسما لأن وتقديم خبر المبتدأ إلى قوله وسم اعلم أن في تخصيص اسم الإشارة بالذكر دلالة على أن أولئك القوم محفون بالدمار لأجل اتصافهم بالعكوف على عبادة الأصنام ثم في توكيد مضمون الجملة بأن مزيد دلالة على ذلك وموجب هذه المبالغة إيقاع هذه الجملة تعليلا لإثبات المؤكد للقوم لاقتراحهم ما اقترحوا، والوسم العلامة الشنيعة..

(296/4)

هاؤلا؟} اسما لإن، وتقديم خبر المبتدأ من الجملة الواقعة خبرا لها وسم لعبدة الأصنام بأنهم هم المعرضون للتبار، وأنه لا يعدوهم البتة، وأنه لهم ضربة لازب، ليحذرهم عاقبة ما طلبوا ويبغض إليهم ما أحبوا { أغير الله أبغىكم إلها { أغير المستحق للعبادة أطلب لكم معبودا، وهو فعل بكم ما فعل دون غيره، من الاختصاص (١) بالنعمة التي لم يعطها أحد غيركم، لتختصوه بالعبادة ولا تشركوا به غيره. ومعنى

الهمزة: الإنكار والتعجب من طلبتهم - مع كونهم مغمورين في نعمة الله - عبادة غير الله.

وإذ أنجيناكم من آل فرعون يسومونكم كTM العذاب يقتلون ن.ن!&sY/r\$

ويستحيون

N.N.u.\$!|،D وفي 6Nàد٩ sCE بلاء من ربكم عظيم اتحب

{ يسومونكم سوء العذاب { ييغونكم شدة العذاب، من سام السلعة إذا طلبها. فإن قلت: ما محل يسومونكم؟ قلت: هو استئناف لا محل له. ويجوز أن يكون حالا من المخاطبين أو من آل فرعون. و { ذالكم { إشارة إلى الإنجاء أو إلى العذاب. والبلاء: النعمة أو المحنة. وقرئ: "يقتلون" بالتحفيف.

(١) قوله: من الاختصاص بالنعمة التي لم يعطها أحد غيركم لتختصوه بالعبادة فيه نوعان من الاختصاص أحدهما وهو فعل بكم ما فعل دون غيره وهو مستفاد من تقديم الفاعل المعنوي على الفعل من قوله { وهو فضلكم { مع اقتضاء المقام له. وثانيهما : لتختصوه بالعبادة والاختصاص من تقديم المفعول في { أغير الله أبعيكم إلهها { وإنكاره بالهمزة ، وأما العبادة فمن قوله { إلهها { أي معبودا ، والجملة وهي { وهو فضلكم { مقررمة لجهة الإشكال (الإنكار) . والخلوف بالضم : تغير ربح فم الصائم.

(٢٩٧/٤)

* urur٢٢٢R٥%٥٢٢م موسى n=rO Z's#s9"W٢t٢ü٢ هارون سة_٢÷zè# في قومي ربه أربعين

Z's#s9 وقال موسى دm٢z١/٢ { هارون سة_٢÷zè# في قومي ur&ô¹r=دôx ولا تتبع سبيل

المفسدين اتحشب

وروى: أن موسى عليه السلام وعد بني إسرائيل وهو بمصر إن أهلك الله عدوهم، أتاهم بكتاب من عند الله فيه بيان ما يأتون وما يذرون، فلما هلك فرعون سأل موسى ربه الكتاب، فأمره بصوم ثلاثين يوما وهو شهر ذي القعدة، فلما أتم الثلاثين أنكر خلوف فيه فتوك، فقالت الملائكة: كنا نشم من فيك رائحة المسك فأفسدته بالسواك. وقيل: أوحى الله تعالى إليه أما علمت أن خلوف فم الصائم أطيب عندي من ربح المسك، فأمره الله تعالى أن يزيد عليها عشرة أيام من ذي الحجة لذلك. وقيل: أمره الله أن يصوم ثلاثين

يوما، وأن يعمل فيها بما يقربه من الله ثم أنزلت عليه التوراة في العشر وكلم فيها. ولقد أجمل ذكر الأربعين في سورة البقرة، وفصلها ههنا. و { ميقات ربه { ما وقته له من الوقت وضربه له. و { أربعين ليلة { نصب على الحال أي تم بالغا هذا العدد. و { هارون { عطف بيان لأخيه. وقرئ بالضم على النداء { أخلفني في قومي { كن خليفتي فيهم { وأصلح { وكن مصلحا. أو وأصلح ما يجب أن يصلح من أمور بني إسرائيل، ومن دعاك

منهم

إلى الإفساد فلا تتبعه ولا تطعه.

ولما جاء موسى لميقاتنا وكلمه ربه قال رب 'Tد'ح'r' أنظر إليك قال لن سة_١ u s؟

ولكن

انظر إلى الجبل فإن استقر مكانه فسوف سة_١ s} ؟ فلما تجلى ربه للجبل جعله دكا وخر

موسى صعقا فلما أفاق قال 'ys6"y7sYك™ تبت إليك وأنا أول المؤمنين (١٤٣)

}

(٢٩٨/٤)

لميقاتنا { (١) لوقتنا الذي وقتنا له حددناه. ومعنى اللام الاختصاص فكأنه قيل:

واختص مجيئه بميقاتنا، كما تقول: أتيت لعشر خلون من الشهر { وكلمه ربه { من غير

واسطة كما يكلم الملك، وتكليمه (٢): أن يخلق الكلام منطوقا به في بعض الأجرام كما

خلقه مخطوطا في اللوح وروي: أن موسى عليه السلام كان يسمع ذلك الكلام من كل جهة.

(١) قوله: لميقاتنا لوقتنا قيل لا بد هنا من تقدير مضاف أي لآخر ميقاتنا أو لانقضاء

ميقاتنا وبعضهم يسمى هذه اللام لام التاريخ . وأقول لا مانع من أن يراد بالموقات

الوقت الذي عينه له وهو آخر الأربعين ، وعلى هذا فالموقات الوقت الذي عينه له وهو

آخر الأربعين ، وعلى هذا فالموقات يطلق على جميع المدة وعلى انتهائها وعلى تقديران

يراد به آخر المدة لا حاجة إلى تقدير مضاف وأيضا فقد ذكر المصنف راويا عن ابن عباس

أنه كلمه أربعين يوما وأربعين ليلة . وروى أيضا أنه إنما كلمة في أول الأربعين فعلى

هذا يجوز أن يراد بالموقات الأربعين ولا حاجة إلى تقدير الإنقضاء والله أعلم.

)

(٢) قوله: وتكليمه أن يخلق الكلام منطوقا به . قال صاحب الانتصاف صريح بخلق الكلام

ويرده اختصاص موسى عليه السلام بقوله { برسالتي وبكلامي { وكل واحد يساوي موسى فيما

ذكره المصنف بل كان أصحاب النبي صلى الله عليه وآله وسلم قد سمعوا الكلام من أفضل

المخلوقات فلا بد من اعتقاد أنه سمع الكلام القديم القائم بذات الله تعالى بلا

واسطة. وأقول للمصنف : إن يقول لم لا يجوز أن يكون التعريف في الناس للعهد والمعهود

أهل زمانه ويؤيد كونه للعهد قوله { برسالتي { لأنه لم يخص بالرسالات من بين جميع

الناس . ولو سلمان كونه للجنس فاخصاص موسى عليه السلام إنما كان لأنه سمعه من غير

واسطة لأن من عداه إنما سمع كلام الله بواسطة بشر أو ملك وأيضا على تقدير أن الكلام معنى من المعاني النفسانية كالعلم والإرادة ليس بحرف ولا صوت كيف يتصور سماعه.
(٢٩٩/٤)

وعن ابن عباس رضي الله عنه: كلمة أربعين يوما وأربعين ليلة، وكتب له الألواح. وقيل: إنما كلمه في أول الأربعين { أرني أنظر إليك } ثاني مفعولي أرني محذوف أي أرني نفسك أنظر إليك، فإن قلت: الرؤيوة عين النظر(١)،

(١) قوله: الرؤيوة عين النظر أراد أن النظر مقدم على الرؤيوة ولهذا يقال نظرت فرأيت أو حتى رأيت فيجعل الرؤيوة متعقبة للنظر ، وغاية له وإذا كان كذلك فكيف جعله مؤخرا عنها . والتحقيق أن النظر عبارة عن تقليب الحدقة السليمة نحو المرئي التماسا لرؤيته والرؤيوة عبارة عن الإدراك وعلى هذا فكان يكفي موسى أن يقول أرني ذاتك المقدسة فما فائدة ذكر النظر بعد الرؤيوة ، وخلاصة الجواب : أنه ذكر الرؤيوة أولا وأراد سببها الذي هو التمكين منها ولا شك في تقديم هذا المعنى على النظر وذكر النظر مطلقا وأراد به نظرا خاصا وهو النظر الذي تحصل معه الرؤيوة ثم سأل فقال : فكيف قال : { لن تراني } وأتى بالفاء أي إذا كان النظر هو الغرض وهو طلب الإراة كان من الواجب أن يقول لن

تنظر إلي وأجاب بأن المطلوب في الحقيقة هو الرؤيوة وذكر النظر إنما كان بسبب كونه وسيلة إليها . قال الطيني: وهاهنا سؤال آخر ، وهو أنه كيف قيل : لن تراني ولم يقل لن أريك نفسي ليطابق قوله أرني؟. ثم قال والجواب: انه إنما عدل عن لن أريك للتفادي عن الإنناس وحسم الطمع يعني لن تراني ما دمت على حالتك التي أنت فيها فإذا ارتفع المانع أريك نفسي.. وأقول: إذا قال : لن تراني وهو ولن أريك نفسي سيان فإن كان لن أريك نفسي يوجب الإتياس وحسم الطمع فليوجه لن تراني أيضا وللمصنف أن يجيب ويقول معنا لن تراني لن تتمكن من رؤيتي ولو قال لن أريك نفسي كان معناه لن أجعلك متمكنا من رؤيوة نفسي لأن هذا الكلام وقع جوابا لقوله أرني بمعنى اجعلني متمكنا من رؤيتك ، وقوله لن أجعلك متمكنا من رؤيتي يدل على أنه قادر على جعله متمكنا من رؤيته ، وهو محال عند المصنف فلماذا قال لن تراني دون لن أريك نفسي وأيضا فإذا جاز للطيني أن يقول تقدير الكلام لن تراني ما دمت على حالتك التي أنت عليها فلمقدر أن يقدر لن أريك نفسي ما دمت على الحالة التي أنت فيها وعلى هذا فلا يحصل الآياس وحسم الطمع.
(٣٠٠/٤)

فكيف قيل: أرني أنظر إليك؟ قلت: معنى أرني نفسك، اجعلني متمكنا من رؤيتك بأن تتجلى لي فأنظر إليك وأراك، فإن قلت: فكيف قال: { لن تراني } ولم يقل: لن تنظر إلي لقوله: { أنظر إليك } ؟ قلت: لما قال: { أرني } بمعنى اجعلني متمكنا من الرؤية التي هي الإدراك، علم أن الطلبة هي الرؤية لا النظر الذي لا إدراك معه، فقيل: لن تراني، ولم يقل لن تنظر إلي. فإن قلت: كيف طلب موسى عليه السلام ذلك - وهو من أعلم الناس بالله وصفاته وما يجوز عليه وما لا يجوز، ويتعالى عن الرؤية التي هي إدراك ببعض الحواس، وذلك إنما يصح فيما كان في جهة. وما ليس بجسم ولا عرض فمحال أن يكون في جهة. ومنع المجبرة إحالته في العقول غير لازم، لأنه ليس بأول مكابرتهم وارتابهم،

وكيف يكون طالبه وقد قال - حين أخذت الرجفة الذين قالوا أرنا الله جهرة - { أتهلكنا بما فعل السفهاء منا } (الأعراف: ١٥٥) إلى قوله: { تضل بها من تشاء } (الأعراف: ١٥٥) فتبرأ من فعلهم ودعاهم سفهاء وضلالا -؟ قلت: ما كان طلب الرؤية إلا ليكت هؤلاء الذين دعاهم سفهاء وضلالا، وتبرأ من فعلهم، وليلقمهم الحجر، وذلك أنهم حين طلبوا الرؤية أنكر عليهم وأعلمهم الخطأ (٣٠١/٤)

ونبههم على الحق، فلجوا وتمادوا في لجاجهم وقالوا: لا بد، ولن نؤمن لك حتى نرى الله جهرة، فأراد أن يسمعوا النص من عند الله باستحالة ذلك، وهو قوله: { لن تراني } ليتيقنوا وينزاح عنهم ما دخلهم من الشبهة، فلذلك قال: { رب أرني أنظر إليك } . فإن قلت: فهلا قال: أرهم ينظروا إليك؟ قلت: لأن الله سبحانه إنما كلم موسى عليه السلام وهم يسمعون، فلما سمعوا كلام رب العزة أرادوا أن يرى موسى ذاته فيبصروه معه، كما أسمعه كلامه فسمعوه معه، إرادة مبنية على قياس فاسد، فلذلك قال موسى: أرني أنظر إليك، ولأنه إذا زجر عما طلب، وأنكر (١) عليه في نبوته واختصاصه وزلفته عند الله تعالى، وقيل له: لن يكون ذلك: كان غيره أولى بالإنكار، لأن الرسول إمام أمته، فكان ما يخاطب به أو ما يخاطب راجعا إليهم. وقوله: { أنظر إليك } وما فيه من معنى المقابلة التي هي محض التشبيه والتجسيم، دليل على أنه ترجمة عن مقترحهم وحكاية لقولهم، وجل صاحب الجمل (٢)

(١) قوله: وأنكر عليه في ثبوته قيل في ثبوته حال من الضمير المجرور في عليه أي أنكر

عليه كائنا في ثبوته.

(٢) قوله: وحل صاحب الجمل أراد به من يعرف الله تعالى وصفاته بالدلائل الإجمالية أي عرف الله تعالى على سبيل الجملة وكذا كل صفة من صفاته وهو لا يقدر على تحقيق البراهين ودفع الاعتراضات الواردة عليها واعلم أن كثيرا ممن عني بهذا لكتاب قد خطبوا في هذا الموضوع فقال بعضهم أراد بصاحب الجمل عبد القاهر، وقال آخر بل أراد

به رجلا من المعتزلة يحتمل أنه صنف كتابا في الكلام اسمه الجمل إلى غير ذلك مما لا طائل في ذكره . والحق ما ألقيت إليك..

(٣٠٢/٤)

أن يجعل الله منظورا إليه، مقابلا بحاسة النظر، فكيف بمن هو أعرق في معرفة الله تعالى من واصل بن عطاء، وعمرو بن عبيد، والنظام، وأبي الهذيل والشيخين، وجميع المتكلمين؟ فإن قلت: ما معنى { لن } ؟ قلت: تأكيد النفي الذي تعطيه "لا" وذلك أن "لا" تنفي المستقبل. تقول: لا أفعل غدا، فإذا أكدت نفيها قلت: لن أفعل غدا. والمعنى: أن فعله ينافي حالي، كقوله: { لن يخلقوا ذبابا ولو اجتمعوا له } (الحج: ٧٣) فقوله: { لا تدركه الأبصار } (الأنعام: ١٠٣) نفي للرؤية فيما يستقبل. و { لن تراني } تأكيد وبيان، لأن المنفي مناف لصفاته. فإن قلت: كيف اتصل الاستدراك في قوله: { ولكن انظر إلى الجبل } بما قبله؟ قلت: اتصل به على معنى أن النظر إلي محال فلا تطلبه ولكن عليك بنظر آخر: وهو أن تنظر إلى الجبل الذي يرجف بك وبمن طلبت الرؤية

(٣٠٣/٤)

لأجلهم، كيف أفعل به وكيف أجعله دكا بسبب طلبك الرؤية؟ لتستعظم ما أقدمت عليه بما أريك من علم أثره، كأنه عز وعلا حقق عند طلب الرؤية ما مثله عند نسبة الولد إليه في قوله: { وتخر الجبال هدا، أن دعوا للرحمان ولدا } (مريم: ٩١). { فإن استقر مكانه } كما كان مستقرا ثابتا ذاهبا في جهاته { فسوف تراني } تعليق لوجود الرؤية موجود ما لا يكون من استقرار الجبل مكانه حين يدركه دكا ويسويه بالأرض، وهذا كلام مدمج بعضه في بعض، وارد على أسلوب عجيب ونمط بديع. ألا ترى كيف تخلص من النظر إلى النظر بكلمة

الاستدراك؟ ثم كيف بنى الوعيد بالرجفة الكائنة بسبب طلب النظر على الشريطة في وجود

الرؤية؟ أعني قوله: { فإن استقر مكانه فسوف تراني } . { فلما تجلى ربه للجبل } فلما ظهر له اقتداره(١) وتصدى له أمره وإرادته { جعله دكا } أي مذكوكا مصدر بمعنى مفعول

كضرب الأمير. والدك والدق أخوان كالشك والشق وقرىء: "دكاء" والدكاء اسم للراية الناشزة من الأرض كالدكة أو أرضا دكاء مستوية. ومنه قولهم: ناقة دكاء متواضعة السنام، وعن الشعبي: قال لي الربيع بن خثيم: ابسط يدك دكاء، أي مدها مستوية.

(١) قوله: فلما ظهر اقتداره وتصدى له أمره وأرادته أي البجلي مثل لظهور اقتداره وتعلق أرادته تدك الجبل إلا أن ثم تخليا كما قرر في قوله { أن يقول له كن فيكون } أن المراد إنما قضاه وأراد كونه يدخل تحت الوجود من غير توقف لا أن ثم قولاً باللسان ، و..... ما الريح في أصول الشجر من التراب ونحوه وكذا رشاش المطر وما يترسس من الرشا على ظهر والبلكفة مشتقة من قولهم أن الرؤية بلا كيف نحو الحولقة والحيعة ، والمؤكفة من الاكاف وهو البردعة له قيل هي اسم فاعل ومعنى يتصعصع يهدم ، وأسفار التوراة مجلداتها ، والزمرد بثلاث ضمات وذال معجمة معرب.

(٣٠٤/٤)

وقرأ يحيى بن وثاب: "دكا" أي قطعاً دكا جمع دكاء { وخر موسى صعقا } من هول ما رأى. وصعق من باب: فعلته ففعل. يقال صعقته. وأصله من الصاعقة. ويقال لها الصاقعة. من صعقه إذا ضربه على رأسه ومعناه: خر مغشياً عليه غشية كالموت. وروي: أن الملائكة مرت عليه وهو مغشي عليه فجعلوا يلکزونه بأرجلهم ويقولون: يا ابن النساء الحيض أطمعت في رؤية رب العزة؟ { فلما أفاق } من صعقته { قال سبحانه } أنزهك مما لا يجوز عليك من الرؤية وغيرها { تبث إليك } من طلب الرؤية { وأنا أول المؤمنين } بأنك لست بمرئي ولا مدرك بشيء من الحواس. فإن قلت: فإن كان طلب الرؤية للغرض الذي ذكرته، فمم تاب؟ قلت: من إجراءات تلك المقالة العظيمة وإن كان لغرض صحيح على لسانه، من غير إذن فيه من الله تعالى، فانظر إلى إعظام الله تعالى أمر الرؤية في هذه الآية، وكيف أرحف الجبل بطلبها وجعله دكا، وكيف أصعقهم ولم يخل كلمه من نفيان ذلك مبالغة في

إعظام الأمر، وكيف سبح ربه ملتجئاً إليه، وتاب من إجراء تلك الكلمة على لسانه وقال أنا أول المؤمنين، ثم تعجب من المتسمين بالإسلام المتسمين بأهل السنة والجماعة كيف اتخذوا هذه العظيمة مذهبا. ولا يغرنك تسترهم بالبلكفة، فإنه من منصوبات أشياخهم!

والقول ما قال بعض العدلية فيهم:

لجماعة سموا هواهم سنة ... وجماعة حمر لعمري موكفه
قد شبهوه بخلقه وتخوفوا ... شنع الورى فتستروا بالبلكفه

وتفسير آخر: وهو أن يريد بقوله: { أرني أنظر إليك } عرفني نفسك تعريفا واضحا جليا،
كأنها إراءة في جلالها بآية مثل آيات القيامة التي تضطر الخلق إلى معرفتك { أنظر
إليك } أعرفك معرفة اضطرار، كأني أنظر إليك، كما جاء في الحديث:

)

(٣٠٥/٤)

٣٩٨) "سترون ربكم كما ترون القمر ليلة البدر" بمعنى: ستعرفونه معرفة جلية هي في
الجلاء كبصاركم القمر إذا امتلأ واستوى { قال لن تراني } أي لن تطيق معرفتي على
هذه الطريقة، ولن تحتمل قوتك تلك الآية المضطرة ولكن انظر إلى الجبل. فإني أورد
عليه وأظهر له آية من تلك الآيات، فإن ثبت لتجليها واستقر مكانه ولم يتضعض فسوف
تنبت لها وتطيقها، { فلما تجلى ربه للجبل } فلما ظهرت له آية من آيات قدرته وعظمته
{ جعله ذكا وخر موسى صعقا } لعظم ما رأى { فلما أفاق قال سبحانك تبت إليك } مما
اقترحت وتجاسرت { وأنا أول المؤمنين } بعظمتك وجلالك، وأن شيئا لا يقوم لبطشك
وبأسك.

%tA\$s يا موسى 'دoTخ) اصطفتيك على الناس برسالاتي وبكلامي فخذ ما آتيتك وكن
من

tûi حچا٣#±9O اتحب

{ اصطفتيك على الناس } اخترتك على أهل زمانك وآثرتك عليهم { برسالاتي } وهي أسفار
التوراة { وبكلامي } وبتكليمي إياك { فخذ ما آتيتك } ما أعطيتك من شرف النبوة
والحكمة { وكن من الشاكرين } على النعمة في ذلك فهي من أجل النعم. وقيل: خر موسى
صعقا يوم عرفة، وأعطى التوراة يوم النحر. فإن قلت: كيف قيل؛ اصطفتيك على الناس وكان

هارون مصطفى مثله نبيا؟ قلت: أجل، ولكنه كان تابعا له وردءا ووزيرا. والكليم: هو
موسى عليه السلام، والأصيل في حمل الرسالة.

(٣٠٦/٤)

ur۲sY;tF\$ له في الألواح من كل شيء موعظة وتفصيلا لكل شيء فخذها بقوة وأمر قومك

يأخذوا بأحسنها سأريكم دار الفاسقين (١٤٥) سأصرف عن آياتي الذين تروا crمچ في s3tGtf٦

الأرض بغير الحق وإن (tf#ru÷#) كل آية لا يؤمنوا بها وإن (tf#ru÷#) سبيل الرشد لا يتخذوه سبيلا وإن (tf#ru÷#) سبيل الغي يتخذوه سبيلا ٩dy7'k®Xr sCE N"٦ خ/ كذبوا بآياتنا

وكانوا عنها tû، ح#دے"146 (xî) والذين كذبوا بآياتنا ولقاء ouس ½ zFy\$# xm٦خôMs

أعمالهم هل رُc÷ru"†gن† إلا ما كانوا يعملون اتحذب (٣٠٧/٤)

ذكروا في عدد الألواح وفي جواهرها وطولها أنها كانت عشرة ألواح وقيل: سبعة. وقيل؛ لوحين، وأنها كانت من زمرد جاء بها جبريل عليه السلام. وقيل: من زبرجدة (١) خضراء وياقوتة حمراء. وقيل: أمر الله موسى بقطعها من صخرة صماء لينها له، فقطعها بيده وشققها (٢) بأصابعه. وعن الحسن كانت من خشب نزلت من السماء فيها التوراة، وأن طولها كان عشرة أذرع. وقوله: { من كل شيء } في محل نصب مفعول كتبنا. و { موعظة } وتفصيلا بدل منه. والمعنى: كتبنا له كل شيء كان بنو إسرائيل محتاجين إليه في دينهم من المواعظ وتفصيل الأحكام. وقيل: أنزلت التوراة وهي سبعون وقر بعير، يقرأ الجزأ منه في سنة لم يقرأها إلا أربعة نفر: موسى، ويوشع، وعزير، وعيسى عليهم السلام. وعن مقاتل: كتب في الألواح: إني أنا الله الرحمان الرحيم، لا تشركوا بي شيئا، ولا تقطعوا السبيل، ولا تحلفوا باسمي كاذبين؛ فإن من حلف باسمي كاذبا فلا أركيه (٣)، ولا تقتلوا ولا تنزوا ولا تعقوا الوالدين { فخذها } فقلنا له: خذها، عطفًا على كتبنا، ويجوز أن يكون بدلا (٤)

(١) قوله: من زبرجدة خضراء وياقوتة حمراء قيل الواو ليست للجمع بل ذلك إشارة إلى

قول الكلبي كانت من زبرجدة خضراء أو إلى قول سعيد بن جبير كانت من ياقوتة حمراء .

(٢) قوله: وشققها بأصابعه معناه ظاهر، وفي بعض النسخ سققها بالسین المهملة والقاف

والفاء أي جعلها سقايف والسقايف الألواح في السفينة كل واحد منها سقيفة ،والذراع يذكر كما يؤنث فلهذا قال عشرة أذرع .

(٣) قوله: فلا أزيه أي فأنا لا أزيه كقوله تعالى { فمن يؤمن بربه فلا يخاف } أي فهو لا يخاف.

(٤) قوله: ويجوز أن يكون بدلا من قوله { فخذ ما آتيتك } والعطف على كتبنا أولى إذ يلزم على تقدير كونه بدلا توسط أجنبي بين المعطوف والمعطوف عليه..
(٣٠٨/٤)

من قوله: { فخذ ما آتيتك } (الأعراف: ١٤٤) والضمير في { خذها } للألواح، أو لكل شيء، لأنه في معنى الأشياء، أو الرسائل، أو للتوراة. ومعنى { بقوة } بجد وعزيمة فعل(١) أولى العزم من الرسل { يأخذوا بأحسنها } أي فيها ما هو حسن وأحسن، كالإقتصاص(٢)، والعفو، والانتصار، والصبر. فمرهم أن يحملوا على أنفسهم في الأخذ بما هو أدخل في الحسن وأكثر للصواب، كقوله تعالى: { واتبعوا أحسن ما أنزل إليكم من ربكم } (الزمر: ٥٥) وقيل: يأخذوا بما هو واجب أو ندب، لأنه أحسن من المباح. ويجوز أن يراد(٣): يأخذوا بما أمروا به، دون ما نهوا عنه، على قولك: الصيف أحر من الشتاء { سأريكم دار الفاسقين } يريد دار فرعون وقومه وهي مصر، كيف أقفرت منهم ودمروا لفسقهم، لتعتبروا فلا تفسقوا

(١) قوله: فعل أولى العزم نصب على أنه مفعول مطلق أي خذها أخذا مثل أخذ أولى العزم.
(٢) قوله: كالإقتصاص والعفو قالوا ذكره للعفو بطريق التمثيل لأنه ذكر قيل أن الإقتصاص كان واجبا عليهم بحيث لا يجوز لهم العفو .

(٣) قوله: ويجوز أن يراد يأخذوا ما أمروا به دن ما نهوا عنه أراد أن التوراة مشتملة على الأمر والنهي بما يجب فعله وعما يجب تركه فقال بأحسنها أي بأحسن ما فيها من

الأمور المأمور به والمنهي عنه وإن لم يكن حسنا لكنه من باب قوله الصيف أحر من الشتاء ،أي الصيف أبلغ في بابه أعني الحرارة من الشتاء في بابه أعني البرودة والمعنى أن ما أمروا به في بابه وهو الحسن أحسن مما نهوا عنه في بابه وهو القبح.
(القيح)

(٣٠٩/٤)

مثل فسقهم فينكل بكم مثل نكالهم. وقيل: منازل عاد وثمود والقرون الذين أهلكهم الله
لفسقهم في ممرهم عليها في أسفاركم. وقيل: دار الفاسقين: نار جهنم. وقرأ الحسن:
"سأوريكم" وهي لغة فاشية بالحجاز. يقال: أورني كذا، وأوريت. ووجهه أن تكون من
أوريت الزند كأن المعنى بينه لي وأنره لأستبينه وقرئ: "سأورثكم" قراءة حسنة يصحها
قوله: { وأورثنا القوم الذين كانوا يستضعفون } (الأعراف: ١٣٧). { سأصرف عن آياتي }
بالطبع على قلوب المتكبرين وخذلانهم، فلا يفكرون فيها ولا يعتبرون بها، غفلة
وانهماكا فيما يشغلهم عنها من شهواتهم. وعن الفضيل بن عياض: ذكر لنا عن رسول الله

:

)

(٣١٠/٤)

٣٩٩) "إذا عظمت أمتي الدنيا نزع عنها هبة الإسلام، وإذا تركوا الأمر بالمعروف
والنهي عن المنكر حرمت بركة الوحي". وقيل: سأصرفهم عن إبطالها وإن اجتهدوا كما
اجتهد فرعون أن يبطل آية موسى، بأن جمع لها السحرة، فأبى الله إلا علو الحق وانتكاس
الباطل. ويجوز: سأصرفهم عنها وعن الطعن فيها والاستهانة بها. وتسميتها سحرا
بإهلاكهم. وفيه إنذار للمخاطبين من عاقبة الذين يصرفون عن الآيات لتكبرهم وكفرهم
بها، لئلا يكونوا مثلهم فيسلك بهم سبيلهم { بغير الحق } فيه وجهان: أن يكون حالا
بمعنى يتكبرون غير محقين، لأن التكبر بالحق (١) لله وحده. وأن يكون صلة لفعل التكبر،
أي يتكبرون (٢) بما ليس بحق وما هم عليه من دينهم { وإن يروا كل آية } من الآيات
المنزلة عليهم { لا يؤمنوا بها } وقرأ مالك بن دينار: "وإن يروا" بضم الياء. وقرئ:
"سبيل الرشدة" و "الرشدة" و "الرشاد"، كقولهم: السقم والسقم والسقام. وما أسفه من ركب

المفاضة، فإن رأى طريقا مستقيما أعرض عنه وتركه، وإن رأى معتسفا مرديا أخذ فيه
وسلكه، ففاعل نحو ذلك في دينه أسفه { ذالك } في محل الرفع أو النصب على معنى: ذلك
الصرف بسبب تكذيبهم أو صرفهم الله ذلك الصرف بسبب { ولقاء الآخرة } يجوز أن يكون
من

إضافة المصدر إلى المفعول به. أي ولقائهم الآخرة ومشاهدتهم أحوالها، ومن إضافة
المصدر إلى الظرف بمعنى: ولقاء ما وعد الله في الآخرة.

(١) قوله: لأن التكبر بالحق لله وحده لأن معنى يتكبرون يعتقدون أنهم أفضل من كل أحد

وإن لهم من الحق ما ليس لغيرهم وهذا لا يكن حقا إلا لله وحده.

(٢) قوله: أي يتكبرون بما ليس بحق وما هم عليه من دينهم الباطل . قيل : وما هم عليه إلى آخره عطف تفسيري على قوله ما ليس لي بحق فعلى هذا يتكبرون بمعنى يتعززون بالباطل.

(٣١١/٤)

واتخذ قوم موسى من $\frac{3}{4}$ nd÷%èt/ من Oخgحhثد=مm عجلا جسدا له خوار ألم

tf#ru÷ أنه لا

يكلهم ولا Nخ%k%htf سيلا اتخدوه وكانوا JüD="sك (١٤٨) ولما سقط في

Nخ%gf÷&fr

ورأوا أنهم قد ضلوا قالوا لئن لم \$xmôYsY\$tf/z' ويغفر لنا لنكونن من

الخاسرين

(١٤٩)

(٣١٢/٤)

\$£.9urJs رجع موسى إلى قومه غضبان أسفا قال بئسما 'TqفKçFمn=yز من

بعدي ÷FùOç=ft&r

أمر ربكم { من بعده } من بعد فراقه إياهم إلى الطور، فإن قلت: لم قيل: واتخذ قوم موسى عجلا، والمتخذ هو السامري؟ قلت: فيه وجهان، أحدهما: أن ينسب الفعل إليهم، لأن رجلا منهم باشره ووجد فيما بين ظهرائيهم، كما يقال: بنو تميم قالوا كذا وفعلوا كذا، والقائل والفاعل واحد، ولأنهم كانوا مريدين لاتخاذهم راضين به، فكأنهم أجمعوا عليه. والثاني: أن يراد واتخذوه إلها وعبدوه. وقرئ: "من حليهم" بضم الحاء والتشديد، جمع حلي، كثدي وثدي، ومن حليهم - بالكسر - للإتباع كدلي. ومن حليهم، على التوحيد، والحلي: اسم لما يتحسن به من الذهب والفضة. فإن قلت: لم قال: من حليهم، ولم يكن

الحلي لهم، إنما كانت عوارى في أيديهم؟ قلت: الإضافة تكون بأدنى ملابسة، وكونها عوارى في أيديهم كفى به ملابسة على أنهم قد ملكوها بعد المهلكين كما ملكوا غيرها من أملاكهم. ألا ترى إلى قوله عز وعلا: { فأخرجناهم من جنات وعيون وكنوز ومقام كريم كذلك وأورثناها بني إسرائيل } (الشعراء: ٥٩)، { جسدا } بدنا ذا لحم ودم كسائر الأجساد. والخوار: صوت البقر، قال الحسن: إن السامري قبض قبضة من تراب من أثر فرس

جبريل عليه السلام يوم قطع البحر، فقذفه في العجل، فكان عجلا له خوار. وقرأ علي رضي الله عنه: "جوار" بالجيم والهمزة، ومن جأر إذا صاح. وانتصاب جسدا على البدل من {عجلا} {ألم يروا} حين اتخذوه إلها أنه لا يقدر على كلام ولا على هداية سبيل، حتى لا يختاروه على من لو كان البحر مدادا لكلماته لنفد البحر قبل أن تنفذ كلماته، وهو الذي هدى الخلق إلى سبل الحق ومناهجه بما ركز في العقول من الأئمة، وبما أنزل في كتبه.

(٣١٣/٤)

ثم ابتداء فقال: { اتخذوه } أي أقدموا على ما أقدموا عليه من الأمر المنكر { وكانوا ظالمين } واضعين كل شيء في غير موضعه، فلم يكن اتخاذ العجل بدعا منهم، ولا أول مناكيرهم { ولما سقط في أيديهم } (١) ولما اشتد ندمهم وحسرتهم على عبادة العجل، لأن من شأن من اشتد ندمه وحسرتة أن يعرض يده غما، فتصير يده مسقوفا فيها، لأن فاه قد وقع فيها. و { سقط } مسند إلى { في أيديهم } وهو من باب الكناية.

(١) قوله: ولما سقط في أيديهم ولما اشتد ندمهم إنما قال اشتد لأنه كناية عن ندموا والكناية أبلغ ولأن النادم لا يعرض كفه إلا إذا اشتد ندمه وأصل سقط في يده سقط فوه في يده لأن النادم يعرض كفه وأنامله ويفرغ أسنانه فبني للمفعول وفاعل سقط على قراءة ابن السميعة قيل الأوجه أن يكن الفاعل الفم والذي شجعه على إضماره استمرار أن الاستعمال فيما لم يسم فاعله واشتهاره في معنى الندم فصيورته مثلا فيه ومن ثم جسر الزجاج حتى قال : سقط الندم في أيدهم والذي قال المصنف أحسن لأن سقط في أيدهم لما كان عبارة عن العض حال الندم جاز إضمار العض أيضا. فإن قيل : قوله : تشبها لما يحصل في القلب وفي النفس بما يحصل في اليد وسقط بالعين يؤذن بأنه من الاستعارة التمثيلية فهل ينافي قوله وهو من باب الكناية؟ . قلت: لا لأن الكناية الإيمائية عبارة عن أخذ الزبدة من مجموع الأشياء المتوهمة فهي مسبوقة بالاستعارة التمثيلية فإذا نظر إلى مفردات التركيب قيل أنه استعارة وإذا نظر إلى زبدة المجموع من حيث هي هي قيل أنه كناية إيمائية هكذا قيل.

(٣١٤/٤)

وقرأ أبو السميعة: "سقط في أيديهم"، على تسمية الفاعل، أي وقع العض فيها، وقال

الزجاج: معناه سقط الندم في أيديهم، أي في قلوبهم وأنفسهم، كما يقال: حصل في يده مكروه، وإن كان محالاً أن يكون في اليد، تشبيهاً لما يحصل في القلب وفي النفس، بما يحصل في اليد ويرى بالعين { ورأوا أنهم قد ضلوا } وتبينوا لهم تبيناً كأنهم أبصروه بعيونهم. وقرأء: "لئن لم ترحمنا ربنا وتغفر لنا"، وبالتالي. وربنا، بالنصب على النداء، وهذا كلام التائبين، كما قال آدم وحواء عليهما السلام: وإن لم تغفر لنا وترحمنا.

ur&s+9r' الألواح وأخذ و u&ù"جخ / &m½zrd يجره إليه قال ابن أم إن القوم
'TqàèTqàèTMoKzyèô# \$ وكادوا سة _tfçG)Rqè= فلا تشمت z'د' الأعداء
ولا سة _B=yègrù مع
القوم Jdùtù"= (150©) (à9\$# قال رب اغفر لي ستب { ur
ur&rث\$Yù=½zô في رحمتك وأنت
م &Nxm'rم ر H:üq؟\$٩# اتخبت
(٣١٥/٤)

الأسف: الشديد الغضب { فلما اسفونا انتقمنا منهم } (الزخرف: ٥٥) وقيل: هو الحزين { خلفتموني } قمتم مقامي وكنتم خلفائي من بعدي. وهذا الخطاب إما أن يكون لعبد العجل من السامري وأشياعه أو لوجوه بني إسرائيل وهم هارون عليه السلام والمؤمنون منه. ويدل عليه قوله: { اخلفني في قومي } (الأعراف: ١٤٢) والمعنى: بئس ما خلفتموني حيث

عبدتم العجل مكان عبادة الله، أو حيث لم تكفوا من عبد غير الله. فإن قلت: أين ما تقتضيه بئس من الفاعل والمخصوص بالذم؟ قلت: الفاعل مضمرة (١) يفسره ما خلفتموني. والمخصوص بالذم محذوف تقديره: بئس خلافة خلفتمونيها من بعد خلافتكم. فإن قلت: أي معنى لقوله: { من بعدي } (٢)

(١) قوله: قلت الفاعل مضمرة تفسيره ما خلفتموني إلى آخره ، وإنما قال ذلك لأن ما خلفتموني إما أن يكون فاعل تبين (بئس) أو المخصوص بالذم أو المفسر للفاعل المستكن في بئس لا يجوز أن يكون فاعل بئس قيل لأن ما خلفتموني مفصل وفاعل بئس يجب أن يكون

مبهما وقلت: لا يجوز كونه فاعل بئس لأن فاعلها إذا لم يكن ضميراً مفسراً بنكرة وجب أن يكون اسم جنس معرّفا باللام أو مضافاً إلى المعرف به ولا يجوز أن يكون هو المخصوص

بالذم لاستلزامه بقاء بئس بلا فاعل لأنه إنما يضمّر فاعل بئس بشرط أن يعقبه المفسر
فبقي أن يكن مفسر الفاعل بئس المضمّر.

(٢) قوله : أي معنى لقوله من بعدي أراد أنه لا حاجة إلى قوله من بعدي لأن الخلافة
لا تكون إلا من بعد المستخلف . قيل: وخلاصة الجواب أنه من باب قوله { وخر عليهم
السقف من فوقهم } فإنه قد علم أن خرو السقف لا يكون إلا من فوق وفائدة ذكره تصوير
حالة الخرو () في الذهن تهويلا وكذا فائدة قوله من بعدي تصوير معنى نيابة
المستخلف ومزاولة سيرته، وقوله : من بعد ما رأيتم مني بناء على أن الخطاب مع عبدة
العجل..وقوله من بعدما كنت أحمل بناء على أن الخطاب من (مع) وجوه بني إسرائيل ،
وأقول: خلاصة الجواب أنه على تقدير حذف المضاف أي من بعد معرفة سيرتي وطريقتي
ومعنى

تم عليه معنى عليه وانتظار موسى مضاف إلى المفعول وحافظين حال من فاعل الانتظار ،
والأمر في قوله { أمر ربكم } إما واحد الأمور لأن انتظار موسى أمر بهذا المعنى ،
وإما واحد الأوامر أي أمر الله الذي أمرهم فيه بانتظار موسى والموحدة الغضب.
(٣١٦/٤)

بعد قوله: { خلقتهموني } ؟ قلت: معناه من بعد ما رأيتم مني، من توحيد الله، ونفي
الشركاء عنه، وإخلاص العبادة له. أو من بعد ما كنت أحمل بني إسرائيل على التوحيد.
وأكفهم عما طمحت نحوه أبصارهم من عبادة البقر، حين قالوا: { اجعل لنا إلها كما لهم
آلهة } (الأعراف: ١٢٨) ومن حق الخلفاء أن يسيروا بسيرة المستخلف من بعده ولا
يخالفوه. ونحوه: { فخلف من بعدهم خلف } (الأعراف: ١٦٩) أي من بعد أولئك
الموصوفين

بالصفات الحميدة يقال: عجل عن الأمر إذا تركه غير تام، ونقيضه تم عليه وأعجله عنه
غيره، ويضمن معنى سبق فيتعدى تعديته، فيقال عجلت الأمر، والمعنى أعجلتم عن أمر
ربكم، وهو انتظار موسى حافظين لعهدده وما وصاكم به، فبنيتم الأمر على أن الميعاد قد
بلغ آخره ولن أرجع إليكم فحدثتم أنفسكم بموتي، فغيرتم كما غيرت الأمم بعد أنبيائهم.
وروي: أن السامري قال لهم - حين أخرج لهم العجل وقال هذا إلهكم وإلاه موسى -:
إن موسى لن يرجع، وإنه قد مات وروي: أنهم عدوا عشرين يوما بلياليها فجعلوها أربعين،
ثم أحدثوا ما أحدثوا { وألقى الألواح } وطرحها لما لحقه من فرط الدهش
(٣١٧/٤)

وشدة الضجر عند استماعه حديث العجل، غضبا لله وحمية لدينه، وكان في نفسه حديدا شديدا

الغضب، وكان هارون ألين منه جانبا ولذلك كان أحب إلى بني إسرائيل من موسى. وروى: أن التوراة كانت سبعة أسباع، فلما ألقى الألواح تكسرت فرفع منها ستة أسباعها وبقي منها سبع واحد، وكان فيما رفع تفصيل كل شيء، والرحمة { وأخذ برأس أخيه } أي بشعر رأسه { يجره إليه } بذؤابته وذلك لشدة ما ورد عليه من الأمر الذي استغفره وذهب بفطنته، وظنا بأخيه أنه فرط في الكف { ابن أم } قرىء بالفتح تشبيها بخمسة عشر، وبالكسر على طرح ياء الإضافة. "وابن أمي"، وبالياء. "وابن إم"، بكسر الهمزة والميم. وقيل: كان أخاه لأبيه وأمه، فإن صح فإنما أضافه إلى الأم، إشارة إلى أنهما من بطن واحد. وذلك أدعى

إلى العطف والرفقة، وأعظم للحق الواجب، ولأنها كانت مؤمنة فاعتد بنسبها، ولأنها هي التي قاست فيه المخاوف والشدائد فذكره بحقها { إن القوم ليستضعفوني } يعني أنه لم يأل جهدا في كفهم بالوعظ والإنذار. وبما بلغت طاقته من بذل القوة في مضادتهم حتى قهره واستضعفوه ولم يبق إلا أن يقتلوه { فلا تشمت بي الأعداء } فلا تفعل بي ما هو أمنيته من الاستهانة بي والإساءة إلي، وقرىء: "فلا يشمت بي الأعداء"، على نهى الأعداء عن الشماتة. والمراد أن لا يحل به ما يشمتون به لأجله { ولا تجعلني مع القوم الظالمين } ولا تجعلني في موجدتك علي وعقوبتك لي قرينا لهم وصاحبا. أو ولا تعتقد أنني واحد من الظالمين مع براءتي منهم ومن ظلمهم. لما اعتذر إليه أخوه وذكر له شماتة الأعداء { قال رب اغفر لي ولأخي } ليرضي أخاه ويظهر لأهل الشماتة رضاه عنه فلا تتم لهم شماتتهم، واستغفر لنفسه مما فرط منه إلى أخيه، ولأخيه أن عسى فرط في حسن الخلافة(١).

(١) قوله: أن عيسى فرط في حسن الخلافة هذا التركيب مشكل لأنه لم يرد على القياس في استعمال عسى لأن لها استعمالين أحدهما أن يكن لها اسم وخبر وخبرها هو أن تقع أن مع الفعل المضارع . وثانيها أن يكون اسمها أن مع الفعل وتستغني إذ ذاك عن الخبر فأما أن تكون زائدة ككان إذا زيدت لأنها قد تضمن معنى كان نص على ذلك سيوييه. قال : إن أن ليس في موضع خبر عسى لأن الحدث لا يكون خبرا عن الجثة ، وإنما قال لتضمن عسى معنى كان فأجراه مجراه في العمل وإذا أجراه مجراه في العمل جاز إجراؤه مجراه في الزيادة ، أو لأنها مثلها في عدم التمام والدخول على المبتدأ والخبر فعلى هذا التقدير استغفر لأخيه أن فرط في حسن الخلافة ، ثم أقحم عسى

للتأكيد معنى أن الشرطية وهو الخلو عن الجرم بوقوع الشرط ، وإما أن يكون التقدير عسى أن يكون فرط واسم عسى ضمير يرجع على أخيه فحذف أن يكون لأن حذف خبر عسى جائز ذكره

ابن الحاجب في شرحه ، وإما أن يكون التقدير أن فرط هو وقوله عسى جملة معترضة بين أن والفعل واسم عسى ضمير عائد إلى التفريط لتقدم ما يدل عليه وخبره محذوف وتقديره عسى التفريط أن يكن حاصلًا.

(٣١٨/٤)

وطلب أن لا يتفرقا عن رحمته، ولا تزال منتظمة (١) لهما في الدنيا والآخرة.

إن الذين اتخذوا العجل سينالهم غضب من ربهم ط'©!دEur في ٤qu٥#9\$ys
الدنيا

xx.ur" ح gwU tui" ۹y7 J9\$# كۈyIخر

{ غضب من ربهم وذلة { الغضب ما أمروا به من قتل أنفسهم. والذلة: خروجهم من ديارهم لأن ذل العربة مثل مضروب. وقيل: هو ما نال أبناءهم وهم بنو قريظة والنضير، من غضب الله تعالى بالقتل والجلاء، ومن الذلة بضرب الجزية { المفترين { المتكذبين على الله، ولا فرية أعظم من قول السامري: هذا إلهكم وإلاه موسى. ويجوز (٢) أن يتعلق في الحياة الدنيا بالذلة وحدها ويراد: سيئاً لهم غضب في الآخرة، وذلة في الحياة الدنيا، وضربت عليهم الذلة والمسكنة وبأؤوا بغضب من الله.

والذين عملوا السيئات ثم تابوا من بعدها (urنZtB#uمûq#) إن ربك من بعدها لغفور
رحيم
(١٥٣)

$$\}$$

(١) قوله: ولا تزال منتظمة لهما في الدنيا والآخرة استفيد هذا المعنى من جعل الحرمة ظرفا ومن تقييد الكلام بالجملة الاسمية وهو قوله { وأنت أرحم الراحمين } وهذا من أسلوب قوله { وأصلح لي في ذريتي } .

(٢) قوله: ويجوز أن تتعلق في الحياة الدنيا بالذلة وحدها عطف من حيث المعنى على قوله الغضب ما أمروا به من قتل أنفسهم لأنه على الأول متعلق بالغضب والذلة معا.

والذين عملوا السيئات { من الكفر والمعاصي كلها } ثم تابوا { ثم رجعوا } من بعدها { إلى الله واعتذروا إليه } وآمنوا { وأخلصوا الإيمان } إن ربك من بعدها { من بعد تلك العظائم } لغفور { لستور عليهم محاء لما كان منهم } رحيم { منعم عليهم بالجنة. وهذا حكم عام يدخل تحته متخذو العجل ومن عداهم. عظم جنايتهم أو لا ثم أردفها تعظيم رحمته، ليعلم أن الذنوب وإن جلت وعظمت فإن عفوه وكرمه أعظم وأجل، ولكن لا بد من حفظ

الشريطة: وهي وجوب التوبة والإنابة، وما وراءه طمع فارغ وأشعبيه باردة، لا يلتفت إليها حازم.

Js9ur£\$ سكت عن سـ yq-B الغضب أخذ الألواح وفي نسختها هدى ورحمة للذين هم
Nخkحh5uجد٩
يرهبون (١٥٤)

}

ولما سكت عن موسى الغضب { هذا مثل (١)، كأن الغضب كان يغريه على ما فعل ويقول له: قل

لقومك كذا وألقي الألواح، وجر برأس أخيك إليك، فترك النطق بذلك وقطع الإغراء، ولم يستحسن هذه الكلمة ولم يستفصحها كل ذي طبع سليم وذوق صحيح إلا لذلك، ولأنه من قبيل

شعب البلاغة، وإلا فما لقراءة معاوية بن قرة: "ولما سكن عن موسى الغضب"، لا تجد النفس عندها شيئا من تلك الهزة، وطرفا من تلك الروعة. وقرئ: "ولما سكت" و "أسكت" أي أسكته الله، أو أخوه باعتذاره إليه وتنصله، والمعنى: ولما طفىء غضبه { أخذ الألواح } التي ألقاها { وفي نسختها } وفيما نسخ منها، أي كتب. والنسخة (٢) فعلة بمعنى مفعول كالخطبة { لربهم يرهبون } دخلت اللام ولتقدم المفعول، لأن تأخر الفعل عن مفعوله يكسبه ضعفا. ونحوه { للرؤيا تعبرون } (يوسف: ٤٣) وتقول: لك ضربت.

(١) قوله: هذا مثل أي ليس بحقيقة وهو استعارة مكنية مقارنة للتخييلية شبه الغضب

بإنسان يغري موسى ويقول له افعل كذا وكذا ثم ترك كلامه، والهزة النشاط والروعة
الإعجاب والحسن ، والتوصل التبرؤ من الذنب.

(٢) قوله: والنسخة فعله بوزن فعله لأنها تابعة لموزونها فيكون لها حكم موزونها في
الصرف.

(٣٢١/٤)

u'\$tG÷z\$#ur موسى قومه سبعين رجلا (s"GdsY\$د9ج9د فلما أخذتهم الرجفة قال

رب لو شئت

أهلكتهم من قبل {'f"خ(ur \$uZن3د÷&kèEr بما فعل السفهاء منا إن هي إلا

فتنتك تضل

بها من تشاء "د%÷ksEur من تشاء أنت ur٩dsYo\$ فاغفر لنا وارحمنا وأنت مژچyz

tûiحچدے"155) (t9\$# * واكتب لنا في دنة"yd الدنيا |xm،ZpuZ وفي

ouدج½Fy\$z#إنا

هدنا إليك قال 'د١#xtم أصيب به من أشاء ورحمتي وسعت كل شيء فسأكتبها للذين يتقون

ويؤتون الزكاة والذين هم بآياتنا يؤمنون (١٥٦) الذين يتبعون الرسول النبي

٢'hGW\$}

الذي يجدونه مكتوبا عندهم في التوراة والإنجيل يأمرهم بالمعروف وينهاهم عن

حجx6Yك#J9\$ ويحل لهم الطيبات مhحPحur†out عليهم الخبائث ويضع عنهم

إصرهم والأغلال

التي كانت عليهم فالذين آمنوا به وعزروه ونصروه واتبعوا النور الذي tAح"Ré& معه

أولئك هم ٢كqك=دك#J9\$ اتخذب

{ واختار موسى قومه { أي من قومه، فحذف الجار أوصل الفعل، كقوله(١):

ومنا الذي اختير الرجال سماحة

(١) قوله:

ومنا الذي اختير الرجال سماحة ...

تمامه:

... .. وجودا إذا هب الرياح الرعاع

البيت للفرزدق يمدح قومه بالجود في وقت الشتاء والرعاع : الشديدة والتقدير اختير

من الرجال وفي البيت خرم إذا روي منا بلا واو قبله. ومعنى قوله ولبعضهم:

يا راكب الذنب هد هد ... واسجد كأنك هدهد

هو له ، ومعناه ارجع ارجع عن ذنبك وكن في سجودك كالطائر المعروف ، وفي المثل اسجد من هدهد.

(٣٢٢/٤)

قيل: اختار من اثني عشر سبطا، من كل سبط ستة حتى تماموا اثنين وسبعين، فقال: ليتخلف منكم رجلان: فتشاحوا، فقال: إن لمن قعد منكم مثل أجر من خرج، فقعد كالب ويوشع. وروي: أنه لم يصب إلا ستين شيخا، فأوحى الله تعالى إليه أن تختار من الشبان عشرة فاختارهم فأصبحوا شيوخا. وقيل: كانوا أبناء ما عدا العشرين، ولم يتجاوزوا الأربعين، قد ذهب عنهم الجهل والصبأ، فأمرهم موسى أن يصوموا ويتطهروا ويطهروا ثيابهم، ثم خرج بهم إلى طور سيناء، لميقات ربه، وكان أمره ربه أن يأتيه في سبعين من بني إسرائيل، فلما دنا موسى من الجبل وقع عليه عمود الغمام حتى تغشى الجبل كله، ودنا موسى ودخل فيه وقال للقوم: ادنوا، فدنوا، حتى إذا دخلوا في الغمام وقعوا سجدا، فسمعوه وهو

يكلم موسى يأمره وينهاه: افعل، ولا تفعل. ثم انكشف الغمام فأقبلوا إليه، فطلبوا الرؤية فوعظهم وزجرهم وأنكر عليهم، فقالوا: يا موسى لن نؤمن لك حتى نرى الله جهرة. فقال: رب أرني أنظر إليك، يريد: أن يسمعوا الرد والإنكار من جهته، فأجيب بلن تراني، ورجف بهم الجبل فصعقوا. ولما كانت الرجفة { قال { موسى { رب لو شئت أهلكتهم من قبل

وإياي { وهذا تمن منه للإهلاك قبل أن يرى ما رأى من تبعة طلبية الرؤية، كما يقول النادم على الأمر إذا رأى سوء المغبة: لو شاء الله لأهلكني قبل هذا { أتهلكنا بما فعل السفهاء

(٣٢٣/٤)

منا { يعني أتهلكنا جميعا، يعني نفسه وإياهم، لأنه إنما طلب الرؤية زجرا للسفهاء، وهم طلبوها سفها وجهلا { إن هي إلا فتنتك { أي محنتك وابتلاؤك حين كلمتني وسمعوا كلامك، فاستدلوا بالكلام على الرؤية استدلالا فاسدا، حتى افستتوا وضلوا { تضل بها من تشاء وتهدي من تشاء { تضل بالمحنة الجاهلين غير الثابتين في معرفتك، وتهدي

العالمين بك الثابتين بالقول الثابت. وجعل ذلك إضلالا من الله وهدى منه، لأن محنته لما كانت سببا لأن ضلوا واهتدوا فكأنه أضلهم بها وهداهم على الاتساع في الكلام { أنت ولينا { مولانا القائم بأمورنا { واكتب لنا { وأثبت لنا وأقسم { في هذه الدنيا حسنة { عافية وحياة طيبة وتوفيقا في الطاعة { وفي الآخرة { الجنة { هدنا إليك { تبنا إليك. وهاد إليه يهود إذا رجع وتاب. واليهود: جمع هائد، وهو التائب. ولبعضهم: واسجد كأنك هدهد ... يا ركب الذنب هدهد (٣٢٤/٤)

وقرأ أبو وجرة السعدي: "هدنا إليك" بكسر الهاء، من هاده يهيده إما حركه وأماله. ويحتمل أمرين، أن يكون مبنيا للفاعل والمفعول بمعنى حركنا إليك أنفسنا وأملناها أو حركنا إليك وأملنا على تقدير: فعلنا، كقولك: عدت يا مريض بكسر العين، فعلت من العيادة. ويجوز: عدت بالإشمام. وعدت، بإخلاص الضمة فيمن قال: عود المريض. وقول

القول. ويجوز على هذه اللغة أن يكون { هدنا { بالضم فعلنا من هاده يهيده { عذابي { من حاله وصفته أنني { أصيب به من أشاء { أي من وجب علي في الحكمة تعذيبه، ولم يكن في

العفو عنه مساغ لكونه مفسدة. وأما { رحمتي { فمن حالها وصفتها أنها واسعة تبلغ كل شيء، ما من مسلم ولا كافر ولا مطيع ولا عاص إلا وهو متقلب في نعمتي. وقرأ الحسن: "من أساء" من الإساءة. فسأكتب هذه الرحمة كتبه خاصة (١) منكم يا بني إسرائيل للذين يكونون في آخر الزمان من أمة محمد ،

(١) قوله: كتبه خاصة منكم يا بني إسرائيل من في منكم بيان للذين يكونون وشاهد الاختصاص ترتب سأكتبها على الأوصاف المتواليات وفيها قوله { الذي يجدونه مكتوبا عندهم في التوراة والإنجيل { ولا شك أن الموصوفين بهذه الصفات لم يوجدوا إلى في زمن نبي الرحمة صلى الله عليه وآله وسلم ممن آمن منهم . (٣٢٥/٤)

الذين هم بجميع (١) آياتنا وكتبنا يؤمنون، لا يكفرون بشيء منها { الذين يتبعون الرسول { الذي نوحى إليه كتابا مختصا به وهو القرآن { النبي { صاحب المعجزات { الذي

يجدونهم { يجد نعتهم أولئك الذين يتبعونه من بني إسرائيل } مكتوبا عندهم في التوراة والإنجيل... ويحل لهم الطيبات { ما حرم عليهم من الأشياء الطيبة، كالشحم وغيرها. أو ما طاب في الشريعة والحكم، مما ذكر اسم الله عليه من الذبائح، وما خلي كسبه من السحت، ويحرم عليهم الخبائث ما يستنبت من نحو الدم والميتة ولحم الخنزير، وما أهل لغير الله به أو ما خبث في الحكم، كالربا والرشوة وغيرهما من المكاسب الخبيثة. الإصر: الثقل الذي يأصر صاحبه، أي يحبس من الحراك لثقله وهو مثل لثقل تكليفهم وصعوبته، نحو اشتراط قتل الأنفس في صحة توبتهم، وكذلك الأغلال. مثل لما كان في شرائعهم من الأشياء الشاقة، نحو: بت القضاء بالقصاص عمدا كان أو خطأ من غير شرع الدية، وقطع الأعضاء الخاطئة، وقرض (٢) موضع النجاسة من الجلد والثوب، وإحراق

الغنائم، وتحريم العروق في اللحم، وتحريم السبت. وعن عطاء: كانت بنو إسرائيل إذا قامت تصلي لبسوا المسوح وغلوا أيديهم إلى أعناقهم.

(١) قوله: هم بجميع آياتنا وكتبنا يؤمنون لا يكفرون بشيء منها دل على الاختصاص القديم وعلى الاستغراق لجميع الآيات وإضافتها إلى الضمير وكون الكلام تعريضا ببعض أمة موسى وهم الذين أومى إليهم بقوله { عذابي أصيب به من أشاء } .
(٢) قوله: وفرض موضع النجاسة من الجلد أي قطعه من الفرو و..... ونحوهما.
(٣٢٦/٤)

وربما ثقب الرجل ترقوته وجعل فيها طرف السلسلة وأوثقها إلى السارية يحبس نفسه على العبادة. وقرئ: "آصارهم" على الجمع { وعزروه } ومنعوه حتى لا يقوى عليه عدو. وقرئ بالتخفيف. وأصل العز: المنع. ومنه التعزير للضرب (١) دون الحد، لأنه منع عن معاودة القبيح. ألا ترى إلى تسميته الحد، والحد هو المنع. و { النور } القرآن. فإن قلت: ما معنى قوله { أنزل معه } وإنما أنزل مع جبريل؟ قلت: معناه (٢) أنزل مع نبوته، لأن استنباءه كان مصحوبا بالقرآن مشفوعا به. ويجوز أن يعلق باتبعوا. أي: واتبعوا القرآن المنزل مع اتباع النبي والعمل بسنته وبما أمر به ونهي عنه، أو واتبعوا القرآن كما اتبعه مصاحبين له في اتباعه.

(١) قوله: الضرب دون الحد أي الضرب الذي هو دون الحد.
(٢) قوله: معناه أنزل مع ثبوته على معناه تارة بأنزل وأخرى باتبعوا فعلى الأول هو حال

من الضمير في أنزل والمضاف مقدر المعنى اتبعوا النور الذي أنزل مصحوبا معه ثبوته ،
يعنى أن حكم ثبوت نبوته نزل من السماء وهو مشفوع بهذا النور ، وعلى الثاني يكون
ظرفا لاتبعوا فيكون كل واحد من النور والنبي مستقلا بالإتباع ، ويجوز أن يكون معه
حالا من فاعل اتبعوا أي اتبعوا القرآن مصاحبين للرسول في متابعتة.
(٣٢٧/٤)

فإن قلت: كيف انطبق (١) هذا الجواب على قول موسى عليه السلام ودعائه؟ قلت: لما دعا

لنفسه ولبنى إسرائيل، أجيب بما هو منطوق على توبيخ بني إسرائيل على استجارتهم الرؤية
على الله تعالى وعلى كفرهم بآيات الله العظام التي أجراها على يد موسى، وعرض بذلك
في قوله: { والذين هم بآياتنا يؤمنون } وأريد أن يكون استماع أوصاف الذين آمنوا
برسول الله

وما جاء به كعبد الله بن سلام وغيره من أهل الكتابين لطفا لهم وترغيبا في إخلاص
الإيمان والعمل الصالح، وفي أن يحشروا معهم ولا يفرق بينهم وبين أعقابهم عن رحمة
الله التي وسعت كل شيء.

قل يا أيها الناس 'د' (خ) رسول الله '9s' (خ) جميعا الذي له ملك
9\$#،،yJ"N`uq

والأرض لا إله إلا هو يحيي ويميت فآمنوا بالله د&د!qك u'urTM النبي الأمي الذي يؤمن
بالله 3/4Gmd=yJ"ur=د= واتبعوه لعلكم تهتدون اتخرب
{ إني رسول الله إليكم جميعا } قيل: بعث كل رسول إلى قومه خاصة وبعث محمد

(١) قوله: كيف انطبق هذا الجواب يعني { عذابي أصيب به من أشاء } على قول موسى يريد
قوله { اكتب لنا في هذه الدنيا حسنة وفي الآخرة } وخلاصة الجواب أنه من الأسلوب
الحكيم وأن التهديد والتوبيخ توطئة للجواب والجواب قوله { فسأكتبها للذين } وهو
كالقول بالموجب ، وفائدة الجواب بعد التوبيخ إرادة اللطف في حقهم والازدجار عن
ارتكاب المعاصي والترغيب في إخلاص الإيمان والعمل الصالح كأعقابهم الذين اتبعوا
النبي الأمي صلى الله عليه وآله وسلم فالجواب منطوق على الترهيب والترغيب وغرض متعلق
بمنطوق على توبيخ بني إسرائيل معنى قوله { الذين هم بآياتنا يؤمنون } قرينة لإرادة
التوبيخ بقوله { عذابي أصيب به من أشاء } للذين كفورا بآيات الله واستجازوا الرؤية
على سبيل التعريض.

إلى كافة الإنس وكافة الجن. وجميعاً: نصب على الحال من إليكم. فإن قلت: { الذي له ملك السماوات والأرض } ما محله؟ قلت: الأحسن (١) أن يكون منتصباً بإضمار أعني، وهو الذي يسمى النصب على المدح. ويجوز أن يكون جراً على الوصف، وإن حيل بين الصفة

والموصوف بقوله إليكم. { إليكم جميعاً } وقوله: { لا إله إلا هو } بدل من الصلة التي هي له ملك السماوات والأرض، وكذلك { يحيي ويميت } وفي { لا إله إلا هو } (٢) بيان للجملة قبلها، لأن من ملك العالم كان هو الإلاه على الحقيقة. وفي يحيي ويميت: بيان لاختصاصه بالإلاهية، لأنه لا يقدر على الإحياء والإماتة غيره { وكلماته } وما أنزل عليه وعلى من تقدمه من الرسل من كتبه ووحيه. وقرئ: "وكلمته" على الأفراد وهي القرآن. أو أراد جنس ما كلم به. وعن مجاهد: أراد عيسى ابن مريم. وقيل: هي الكلمة التي تكون منها عيسى وجميع خلقه، وهي قوله: { كن } وإنما قيل إن عيسى كلمة الله، فخص بهذا الاسم، لأنه لم يكن لكونه سبب غير الكلمة، ولم يكن من نطفة تمنى { لعلمكم تهتدون } إرادة أن تهتدوا.

(١) قوله: والأحسن إنما كان أحسن لاستقلاله جملة مؤذنة بأن المذكور علم فيه أي اذكر من لا يخفى شأنه عند أحد بخلاف الوصف فإنه ليس بمستقل وإن كانت أوصاف الباري تعالى تجري عليه على سبيل المدح.

(٢) قوله: وفي { لا إله إلا هو } بيان للجملة أراد أنه وإن كان بدلاً من الصلة لكنه مشتمل على البيان بوجه، وإنما لم يجعله عطف بيان لتغاير مدلول الأول والثاني، وهو من بدل الاشتمال لأن قوله { له ملك السماوات والأرض } مشتمل على معناه، وكذلك على معنى يحيي ويميت، وذلك أن مالك السماوات والأرض هو الإله على الحقيقة ومن كان كذلك هو المختص بالإحياء والإماتة وفي الإبدال من الصلة نظر لأن البدل من التوابع والصلة لا محل لها من الإعراب فليتأمل ().

فإن قلت: هلا قيل: فآمنوا بالله وبي، بعد قوله: { إني رسول الله إليكم } ؟ قلت: عدل من المضمّر إلى الاسم الظاهر لتجري عليه الصفات التي أجريت عليه، ولما في طريقة الالتفات من مزية البلاغة، وليعلم أن الذي وجب الإيمان به (١) واتباعه هو هذا الشخص

المستقل بأنه النبي الأمي الذي يؤمن بالله وكلماته، كائنا من كان، أنا أو غيري،
إظهاراً للنصفة وتفادياً من العصبية لنفسه.

ومن قوم موسى أمة ٥٠٠% ك cr %ku ÷ %٥٥ ب \$\$\$d,utù خ/ وبه يعدلون اتخرب
{ ومن قوم موسى أمة { هم المؤمنون التائبون من بني إسرائيل، لما ذكر الذين تزلزلوا
منهم في الذين وارتابوا حتى أقدموا على العظيمنتين عبادة العجل واستجازة رؤية الله
تعالى، ذكر أن منهم أمة موقنين ثابتين يهدون الناس بكلمة الحق، ويدلونهم على
الاستقامة ويرشدونهم. وبالحق يعدلون بينهم في الحكم لا يجورون، أو أراد الذين وصفهم
ممن أدرك النبي

وآمن به من أعقابهم. وقيل: إن بني إسرائيل لما قتلوا أنبياءهم وكفروا وكانوا اثني
عشر سبطاً تبرأ سبط منهم مما صنعوا واعتذروا، وسألوا الله أن يفرق بينهم وبين
إخوانهم، ففتح الله لهم نفقا في الأرض فساروا فيه سنة ونصفا حتى خرجوا من وراء
الصين، وهم هنالك حنفاء مسلمون يستقبلون قبلتنا. وذكر عن النبي
:

)

(١) قوله: وليعلم أن الذي وجب الإيمان به هذه فائدة ثالثة مستقلة والكلام على هذا من
باب التجريد خاطبهم بقوله: { إني رسول الله إليكم جميعا } فلما أراد أن يدعوهم إلى
متابعته جرد من نفسه الزكية النبي الأمي الموصوف بما يجب على كل أحد متابعته كأنه
قال لا أدعي أنني ذلك الموصوف فانظروا من هو فاتبعوه كائنا من كان أنا أو غيري
والخطاب على سبيل الاستدراج ومعنى الاستقلال تقيده التجريد كقولك مررت بالرجل
الكريم والبسمة المباركة وكائنا من كان في ترتيب الكتاب حال من المشار إليه وهو
الشخص المستقل.

(٣٣٠/٤)

(٤٠٠) أن جبريل ذهب به ليلة الإسراء نحوهم فكلّمهم فقال لهم جبريل: هل تعرفون من
تكلمون؟ قالوا: لا. قال: هذا محمد النبي الأمي، فآمنوا به وقالوا: يا رسول الله، إن
موسى أوصانا من أدرك منكم أحمد، فليقرأ عليه مني السلام فرد محمد على

موسى عليهما السلام السلام، ثم أقرؤهم عشر سور من القرآن نزلت بمكة، ولم تكن نزلت
فريضة غير الصلاة والزكاة، وأمرهم أن يقيموا مكانهم، وكانوا يسبتون، فأمرهم أن

يجمعوا ويتركوا السبت. وعن مسروق. قرىء: بين يدي عبد الله فقال رجل (١): إني منهم، فقال: عبد الله: يعني لمن كان في مجلسه من المؤمنين: وهل يزيد صلحاؤكم عليهم شيئا من يهدي (٢) بالحق وبه يعدل، وقيل: لو كانوا في طرف من الدنيا متمسكين بشريعة ولم يبلغهم نسخها كانوا معذورين. وهذا من باب الفرض والتقدير وإلا فقد طار الخبر بشريعة محمد

إلى كل أفق، وتغلغل في كل نفق، ولم يبق الله أهل مدر ولا وبر ولا سهل ولا جبل ولا بر (٣) ولا بحر في مشارق الأرض ومغاربها، وإلا وقد ألقاه وملاً به مسامعهم وألزمهم به الحجة وهو سألهم عنه يوم القيامة.

(١) قوله: فقال رجل أي منهم أي أنا ممن يدين بدينهم ويعمل عملهم لا أنا (لا أي) من نسلهم.

(٢) قوله: من يهدي بالحق وبه يعدل أي عني من هو كذلك. وقيل من استئناف استفهام على سبيل الإنكار أي من يهدي كهديهم ويعدل كعدلهم والأول أظهر.

(٣) قوله: ولا بر ولا بحر قيل المراد بالبر النوادي والبحر القرى والمدن والعرب تسمى القرى والمدن البحار.

(٣٣١/٤)

مNك'g"÷èYs%ur.س \$tLsYO# عشرة أسباط أمما !\$÷rrZxm&ur

إلى موسى إذ استسقاها قومه

أن اضرب بعصاك uچyfyغ\$# فانبجست منه اثنتا عشرة عينا قد t=dzNو كل أناس مشربهم

وظللنا عليهم الغمام ur&Rr"uZ9u\$ عليهم المن والسلوى كلوا من طيبات ما

'sY%y-u"Oà6

وما ظلمونا ولكن (#ûqçR%٢ أنفسهم كJ=àtf اتدب

{ وقطعناهم { وصيرناهم قطعاً، أي فرقا وميزنا بعضهم من بعض لقلة الألفة بينهم.

وقرىء: "وقطعناهم" بالتخفيف { اثنتي عشرة أسباط { كقولك: اثنتي عشرة قبيلة.

والأسباط: أولاد الولد، جمع سبط وكانوا اثنتي عشرة قبيلة من اثني عشر ولداً من ولد

يعقوب عليه السلام. فإن قلت: مميز ما عدا العشرة مفرد، فما وجه مجيئه مجموعاً؟ وهلا

قيل: اثني عشر سبطاً؟ قلت: لو قيل ذلك لم يكن (١) تحقيقاً لأن المراد: وقطعناهم اثنتي

عشرة قبيلة، وكل قبيلة أسباط لا سبط، فوضع أسباط موضع قبيلة. ونظيره (٢):

(١) قوله: لم يكن تحقيقا لأن المراد اللام في قوله لا أن يجوز أن تكون صلة لتحقيقا وأن يكون تعليلا لقوله لو قيل ذلك لم يكن تحقيقا أي لو قيل اثني عشر سبطا لأوهم أن المجموع قبيلة واحدة فوضع أسباط موضع قبيلة وذهب الزجاج وأبو التقاء إلى أن أسباط بدل من اثني عشر وليس تفسيرا لها لأن التفسير لا يكون إلا واحدا منكرا كقولك اثني عشر درهما ولا يجوز درايم، وقال المصنف في قوله تعالى { ثلاثمائة سنين } في قراءة حمزة والكسائي على الإضافة أنه وضع الجمع موضع الواحد في التمييز كقوله تعالى بالأخسرين أعمالا.

(٢) وقوله:

بين رماحي مالك ونهشل

أوله :

... .. تبقلت في أول التبل

يصف معادة للحرب بأنها رعت البقل وهو النبات أول ما ينبت ومالك هو ابن ونهشل هو ابن دارم وهما من أمراء العرب وضع رماح ، وهي جمع موضع جماعتين من الرماح وبني على تأويل رماح هذه القبيلة ورماح هذه القبيلة المراد بكل فرد من أفراد هذه الشبهة جماعة كما أن المراد بكل فرد من أفراد هذا الجمع وهو أسباط قبيلة.

(٣٣٢/٤)

بين رماحي مالك ونهشل^٢

و { إما } بدل من اثني عشرة بمعنى: وقطعناهم أمما لأن كل أسباط كانت أمة عظيمة وجماعة كثيفة العدد، وكل واحدة كانت تؤم خلاف ما تؤمه الأخرى، لا تكاد تأتلف. وقرئ: "اثني عشرة" بكسر الشين { فانبجست } فانفجرت. والمعنى واحد، وهو الانفتاح بسعة وكثرة: قال العجاج (١):

وكيف غربي دالح تبجسا

فإن قلت: فهلا قيل: فضرِب فانبجست؟ قلت: لعدم الإلباس، وليجعل الإنبجاس (٢) مسيبا عن

الإيحاء بضرِب الحجر للدلالة على أن الموحى إليه لم يتوقف عن اتباع الأمر، وأنه من

انتفاء الشك عنه بحيث لا حاجة إلى الإفصاح به. وقوله: { كل أناس } (٣)

(١) قوله:

... وكيف

أوله:

..... عيناه من فرط الأسى

الوكيف القطر وهو صفة مصدر محذوف أي انجلبت عيناه انجلابا مثل انجلاب وكيف دلوي الدالج وهو يحمل الراوية أو يأخذ الدلو ويمشي بها من رأس البئر إلى الحوض حتى يفرغها فيه شبه عينيه بدلوين هذه صفتهم من شدة البكاء والحزن.

(٢) قوله: وليجعل الانبجاس مسببا عن الإيحاء بضرب الحجر والحاصل أن الفاء في فانبجست فصيحة يريد أن الانبجاس وإن كان في الحقيقة مسببا عن الضرب لكنه جعل مسببا عن قوله: { قلنا اضرب } الذي هو الإيحاء بضرب الحجر ليدل على سرعة امتثال المأمور ، وأن اتباعه الأمر كان بحيث لا حاجة أن يقول فضرب فالضمير في وأنه من انتفاء الشك للضرب أي الضرب استقر وثبت عن جهة انتفاء الشك بحيث لا حاجة إلى ذكره.

(٣) قوله: كل أناس نظيره قوله: { اثني عشر أسباطا } أراد أنه جمع ليين أن المراد كل فرقة وجماعة كما جمع أسباطا لذلك.

قوله: نحو رخال وتناء وتوأم وأخوات لها وقد نظمها المصنف فقال:

ما سمعنا كلما غير ثماني ... هي جمع وهي في الوزن فعال

..... وفرار وتوأم ... وغرام وعراق ورخال

وظوار جمع ظير وبساط ... جمع بسط هكذا فيما يقال

الرخال: جمع رخل وهي الأنثى من ولد الضأن والتناء جمع ثني والتوأم جمع تؤم ورذال جمع رذل ونذال جمع نذل وبساط جمع بسط بكسر الباء وهو الناقة التي يخلى بينها وبين ولدها الطهار بالظم والرباب جمع الظوار جمع ظير ، والعراق جمع عرق بفتح العين وهو العظم الذي أخذ عنه اللحم ، والعرام بمعناه والفرار جمع فريز وهو ولد البقرة الوحشية ، وقيل هو واحد مثل طويل وطوال.

(٣٣٣/٤)

نظير قوله: اثني عشرة أسباطا، يريد كل أمة من تلك الأمم الشتي عشرة، والأناس، اسم جمع غير تكسير، نحو. رخال وتناء وتوأم وأخوات لها. ويجوز أن يقال: إن الأصل الكسر

والتكسير، والضممة بدل من الكسرة، كما أبدلت في نحو. سكارى وغيارى من الفتحة { وظللنا عليهم الغمام { وجعلناه ظليلا عليهم في التيه، و { كلوا { على إرادة القول { وما ظلمونا { وما رجع إلينا ضرر ظلمهم بكفرانهم النعم، ولكن كانوا يضرون أنفسهم. ويرجع وبال ظلمهم إليهم

ur(خ) قيل لهم اسكنوا دنة"yd القرية وكلوا منها كxm شئتم وقولوا حطة ur#\$zô=què# الباب سجدا نغفر لكم خطيئاتكم سنزید المحسنين (١٦١) فبدل الذين ظلموا

منهم قولاً غير الذي قيل لهم فأرسلنا عليهم رجلاً من السماء بما كانوا ٲcqr كد=atf (١٦٢)

}

(٣٣٤/٤)

وإذ قيل لهم { واذكر إذ قيل لهم. والقرية: بيت المقدس. فإن قلت: كيف اختلفت العبارة وهنا وفي سورة البقرة؟ قلت: لا بأس باختلاف العبارتين إذا لم يكن هناك تناقض. ولا تناقض بين قوله، اسكنوا هذه القرية وكلوا منها، وبين قوله: فكلوا لأنهم إذا سكنوا القرية فتسببت سكناهم للأكل منها، فقد(١) جمعوا في الوجود بين سكنائها والأكل منها، وسواء قدموا الحطة على دخول الباب أو أخروها، فهم جامعون في الإيجاد بينهم، وترك ذكر الرغد لا يناقض إثباته، وقوله: { نغفر لكم خطيئاتكم سنزید المحسنين { موعداً بشيئين: بالغفران، وبالزيادة، وطرح الواو لا يخل بذلك، لأنه استئناف مرتب على تقدير قول القائل: وماذا بعد الغفران؟ فقل له: سنزید المحسنين، وكذلك زيادة { منهم { زيادة بيان، وأرسلنا، وأنزلنا. و { يظلمون { ويفسقون من واد واحد. وقرىء: "يغفر لكم خطيئاتكم" "وتغفر لكم خطاياكم". و "خطيئاتكم"، و "خطيئتكُم"، على البناء للمفعول.

(١) قوله: فقد جمعوا في الوجود بين سكنائها والأكل يعني إذا تفرع المسبب على السبب فقد اجتماعاً في الوجود لكن الواو دال على جودة نفس السامع وأنه يستغني في استفادة الترتيب بمجرد الإشارة أو تكون تلك الآية كالتقييد لهذه الآية لأن الاجتماع أعم من أن يكون للسببية والمسببية.

(٣٣٥/٤)

urTM"gù=tكN عن القرية التي كانت حاضرة حج#st79\$ إذ يعدون في السبت إذ تأتيهم

حيثانهم يوم سبتهم شرعا ويوم لا يسبتون لا تأتيهم ٢Ux`٩dy7 نبلوهم بما كانوا يفسقون (١٦٣) وإذ قالت أمة منهم لم تعظون قوما الله كNكGن=د٣مôB أو معذبهم عذابا

شديدا قالوا معذرة إلى ربكم ولعلمهم يتقون (١٦٤) فلما نسوا ما ذكروا به أنجينا الذين ينهاون عن دن 9\$#،ûq وأخذنا الذين ظلموا xyè#<O / بنيس بما كانوا يفسقون (١٦٥) فلما

عتوا عن ما نهوا عنه قلنا لهم كونوا ,uٹoyچد% خاسئين (١٦٦)

}

(٣٣٦/٤)

وسلهم { وسل اليهود. وقرىء: "واسألهم". وهذا السؤال معناه التقرير والتقريع بتقديم كفرهم وتجاوزهم حدود الله والإعلام بأن هذا من علومهم التي لا تعلم إلا بكتاب أو وحي، فإذا أعلمهم به من لم يقرأ كتابهم، علم أنه من جهة الوحي. ونظيره همزة الاستفهام التي يراد بها التقرير في قولك: أعدوتم في السبت؟ والقرية أيلة. وقيل: مدين. وقيل: طبرية. والعرب تسمى المدينة قرية. وعن أبي عمرو بن العلاء. ما رأيت قرويين أفصح من الحسن والحجاج، يعني رجلين من أهل المدن { حاضرة البحر } قرية منه راكبة لشاطئه { إذ يعدون في السبت } إذ يتجاوزون حد الله فيه، وهو اصطيادهم في يوم السبت، وقد نهوا عنه. وقرىء: "يعدون" بمعنى يعتدون، أدغمت التاء في الدال ونقلت حركتها إلى العين، ويعدون من الإعداد، وكانوا يعدون آلات الصيد يوم السبت، وهم مأمورون بأن لا يشتغلوا فيه بغير العبادة. والسبت: مصدر سبتت اليهود، إذا عظمت سبتها بترك الصيد والاشتغال بالتعب، فمعناه: يعدون في تعظيم هذا اليوم، كذلك قوله: { يوم سبتهم } معناه يوم تعظيمهم أمر السبت. ويدل عليه قوله (١): { ويوم لا يسبتون } قراءة عمر بن عبد العزيز: "يوم إسباتهم"، وقرىء: "لا يسبتون"، بضم الباء. وقرأ علي: "لا يسبتون" بضم الياء، من أسبتوا. وعن الحسن: "لا يسبتون" على البناء للمفعول، أي لا يدار عليهم السبت، ولا يؤمرون بأن يسبتوا (٢)،

(١) قوله: ويدل عليه قوله { ويوم لا يسبتون } فإنه مشعر بأن قوله في السبب محمول

على المصدر لا على الاسم لأنه نفي لما اثبت أولا وهذا مشتق من المصدر فتعين حمل ما يقابله عليه ليتطابقا.

(٢) قوله: ولا يؤمرون أن يسبتوا . قيل هو عطف على سبيل البيان على قوله لا يدار عليهم السبت وذلك بأن يكون يوم آخر من أيام الأسبوع وهو على أسلوب قوله : ولا ترى ال.....

أي لا سبب ولا أمر بتعظيمه.

(٣٣٧/٤)

فإن قلت: إذ يعدون، وإذ تأتيهم، ما محلها من الإعراب؟ قلت: أما الأول فمجرور بدل من القرية، والمراد بالقرية أهلها، كأنه قيل: وأسألهم عن أهل القرية وقت عدوانهم في السبت، وهو من بدل الاشتمال. ويجوز أن يكون منصوبا بكانت، أو بحاضرة. وأما الثاني فمنصوب بيعدون. ويجوز أن يكون بدلا بعد بدل. والحيتان السمك، وأكثر ما تستعمل العرب الحوت في معنى السمكة { شرعا } ظاهرة (٣٣٨/٤)

على وجه الماء. وعن الحسن: تشرع على أبوابهم كأنها الكباش البيض. يقال شرع علينا فلان إذا دنا منا وأشرف علينا. وشرعت على فلان في بيته فرأيته يفعل كذا { كذلك نبلوهم } أي مثل ذلك البلاء الشديد نبلوهم بسبب فسقهم { وإذ قالت { معطوف (١) على إذ

يعدون، وحكمه حكمه في الإعراب { أمة منهم } جماعة من أهل القرية من صلحائهم الذين ركبوا الصعب والذلول في موعظتهم، حتى أيسوا من قبولهم، لآخرين كانوا لا يقلعون عن وعظهم { لم تعظون قوما الله مهلكهم } أي مخترمهم ومطهر الأرض منهم { أو معذبهم عذابا شديدا } لتماديهم في الشر. وإنما قالوا ذلك، لعلمهم أن الوعظ لا ينفع فيهم { قالوا معذرة إلى ربكم } أي: موعظتنا إبلاء عذر إلى الله، ولئلا ننسب في النهي عن المنكر إلى بعض التفريط { ولعلمهم يتقون } ولطعننا في أن يتقوا بعض الاتقاء. وقرئ:

"معذرة" بالنصب، أي وعظناهم معذرة إلى ربكم، أو اعتذرنا معذرة { فلما نسوا } يعني أهل القرية، فلما تركوا ما ذكرهم به الصالحون ترك الناسي لما ينساه { أنجينا الذين يهون عن السوء وأخذنا } الظالمين الراكبين للمنكر. فإن قلت: الأمة الذين قالوا {

لم تعظون { من أي الفريقين هم أمن فريق الناجين أم المعذبين قلت من فريق الناجين،
لأنهم من فريق الناهين. وما قالوا ما قالوا إلا سائلين عن علة الوعظ والغرض فيه،
حيث لم يروا فيه غرضا صحيحا لعلمهم بحال القوم. وإذا علم الناهي حال المنهي وأن
النهي لا يؤثر فيه، سقط عنه النهي، وربما وجب الترك لدخوله في باب العبث.

(١) قوله: معطوف على إذ يعدون ولا يجوز أن يكون معطوفا على إذ تأتيهم لأن إذ تأتيهم
إما بدل أو ظرف فلو عطف عليه لزم أن يكون حكمه هو لا أغني القائلين حكم في
أنهم من أهل العدوان وليس كذلك وإبلاء العذر إظهاره وتبيينه ، والمآصر : قال المصنف
جمع مآصر مفعول من أصره إذا حبسه أو فاعلمن المصر بمعنى الحاجز . والمكاسون الرصد
في
الطرق.

(٣٣٩/٤)

ألا ترى أنك لو ذهبت إلى المكاسين القاعدين على المآصر والجلادين المرتبين للتعذيب
لنعظهم وتكفهم عما هم فيه، كان ذلك عبثا منك، ولم يكن إلا سببا للتلهي بك. وأما
الآخرون فإنما لم يعرضوا عنهم إما لأن يأسهم لم يستحکم كما استحکم یأس الأولین، ولم
يخبروهم كما خبروهم، أو
لفرط حرصهم وجدهم في أمرهم كما وصف الله تعالى رسوله عليه الصلاة والسلام في قوله:
{ فاعلمك باخع نفسك } (الكهف: ٦) وقيل: الأمة هم الموعوظون، لما وعظوا قالوا
للوعظين: لم تعظون منا (١) قوما تزعمون أن الله مهلكهم أو معذبهم؟ وعن ابن عباس رضي
الله عنه أنه قال: يا ليت شعري ما فعل بهؤلاء الذين قالوا: لم تعظون قوما؟ قال
عكرمة: فقلت: جعلني الله فداك، ألا ترى أنهم كرهوا ما هم عليه وخالفوهم وقالوا: لم

تعظون قوما الله مهلكهم، فلم أزل به حتى عرفته أنهم قد نجوا. وعن الحسن: نجت فرقتان
وهلكت فرقة، وهم الذين أخذوا الحيتان. وروي: أن اليهود أمروا باليوم الذي أمرنا به
وهو يوم الجمعة، فتركوه واختاروا السبت، فابتلوا به وحرم عليهم فيه الصيد، وأمروا
بتعظيمه، فكانت الحيتان تأتيهم يوم السبت شرعا بيضا سمانا كأنها المخاض، لا يرى
الماء من كثرتها، ويوم لا يسبتون لا تأتيهم، فكانوا كذلك برهة من الدهر، ثم جاءهم
إبليس فقال لهم: إنما نهيتهم عن أخذها يوم السبت فاتخذوا حياضا تسوقون الحيتان إليها
يوم السبت، فلا تقدر على الخروج منها. وتأخذونها يوم الأحد، وأخذ رجل منهم حوتا

وربط في ذنبه خيطا إلى خشبة في الساحل، ثم شواه يوم الأحد، فوجد جاره ربح السمك فتطلع في تنوره فقال له: إني أرى الله سيعذبك، فلما لم يره (٢)

(١) قوله: لم تعطون منا قوما من فيه تجريدية.

(٢) قوله: فلما لم يره عذب قيل أي لم ير الصائد نفسه والرؤية بمعنى العلم ويحتمل فلما لم ير المتطلع الصائد عذب أحد المتطلع في السبت القائل
(٣٤٠/٤)

عذب أخذ في السبت القابل حوتين، فلما رأوا أن العذاب لا يعاجلهم، صادوا وأكلوا وملحوا وباعوا، وكانوا نحو من سبعين ألفا، فصار أهل القرية أثلاثا، ثلث نهوا وكانوا نحو من اثني عشر ألفا، وثلث قالوا: لم تعطون قوما؟ وثلث هم أصحاب الخطيئة. فلما لم ينتهوا قال المسلمون: إنا لا نساكنكم، فقسموا القرية بجدار: للمسلمين باب، وللمعتدين باب. ولعنهم داود عليه السلام، فأصبح الناهون ذات يوم في مجالسهم ولم يخرج من المعتدين أحد، فقالوا: إن للناس شأنا، فعملوا الجدار فنطروا فإذا هم قردة، ففتحوا الباب ودخلوا عليهم فعرفت القردة أنسبائها من الأنس، والأنس لا يعرفون أنسبائها من القردة، فجعل القرد يأتي نسيبه فيشم ثيابه ويكي، فيقول: ألم ننهك فيقول برأسه: بلى، وقيل: صار الشباب قردة،

والشيخ خنازير. وعن الحسن: أكلوا والله أوخم أكلة (١) أكلها أهلها، أثقلها خزيا في الدنيا وأطولها عذابا في الآخرة، هاهنا وايم الله، ما حوت أخذه قوم فأكلوه أعظم عند الله من قتل رجل مسلم. ولكن الله جعل موعدا، والساعة أدهى وأمر { بيئس } شديد. يقال: يؤس بيؤس بأسا، إذا اشتد، فهو بيئس. وقرئ: "بيئس"، بوزن حذر. وبيئس على تخفيف العين ونقل حركتها إلى الفاء. كما يقال: كبد في كبد. وبيئس على قلب الهمزة ياء، كذيب في ذئب، وبيئس على فيعل، بكسر الهمزة وفتحها، وبيئس بوزن ريس، على قلب همزة بيئس ياء

وإدغام الياء فيها، وبيئس على تخفيف بيئس، كهين في هين.

(١) قوله: أوخم أكلة بفتح الهمزة في أكلة ويجوز ضمها فالمفتوحة المصدر والمضمومة الاسم والضمير في أكلها يجوز أن يكون مفعولا به وأن يكون مفعولا مطلقا، وفي الكلام معنى التعجب.

وبائس على فاعل { فلما عتوا عما نهوا عنه { فلما تكبروا عن ترك ما نهوا عنه، كقوله:
 { وعتوا عن أمر ربهم { (الأعراف: ٧٧)، { قلنا لهم كونوا قردة { عبارة عن مسخهم
 قردة، كقوله: { إنما أمره إذا أراد شيئا أن يقول له كن فيكون { (يس: ٨٢) والمعنى:
 أن الله تعالى عذبهم أولا بعذاب شديد، فعتوا بعد ذلك فمسخهم. وقيل: فلما عتوا،
 تكرير لقوله: { فلما نسوا { والعذاب البئيس: هو المسخ.
 خ٢٧ ur تأذن 'u/٢٧' ليعثن عليهم إلى يوم القيامة من يسومهم ٢٧uك٢٧TM العذاب إن
 ربك

كىفحج |، s9 العقاب وإنه لغفور رحيم (١٦٧)

{ تأذن ربك { عزم ربك، وهو تفعل من الإيذان وهو الإعلام؛ لأن العازم (١) على الأمر
 يحدث نفسه به ويؤذنها بفعله، وأجرى مجرى فعل القسم، كعلم الله، وشهد الله. ولذلك
 أجيب بما يجاب به القسم وهو قوله: { ليعثن { والمعنى: وإذ حتم ربك وكتب على نفسه
 ليعثن على اليهود { إلى يوم القيامة من يسومهم سوء العذاب { فكانوا يؤدّون الجزية
 إلى المجوس، إلى أن بعث الله محمدا

فضربها عليهم، فلا تزال مضروبة عليهم إلى آخر الدهر. ومعنى ليعثن عليهم ليسلطن
 عليهم، كقوله: بعثنا عليكم عبادا لنا أولي بأس شديد.

(١) قوله: لأن العازم على الأمر يحدث نفسه تعليل لقوله بإذن ربك عزم ربك يعني إنما
 غير عن العزم بالإذن لأن العازم على الأمر يشاور نفسه في الفعل والترك ثم يجزم
 بالفعل فيطلب من النفس الإذن فيكون كنى عن العزم بالإذن ليعلم أن العزة لم تكن إلا
 بعد اتقان ومشورة ولما كان العازم حازما على الشيء قاطعا كان معنى عزم حزم وقضى
 فصار كفعل القسم في التأكيد فأجيب بما يجاب به القسم.
 (٣٤٢/٤)

÷Làì"ur.©sY÷è" في الأرض أمما منهم ٢٧كcqs="d\$٩# ومنهم دون
 ٢٧sy٩" وبلوناهم sE٩
 دM | "sY،s9\$٩ys/ والسيئات لعلهم يرجعون (١٦٨) فخلف من بعدهم خلف ورثوا
 الكتاب يأخذون

عرض هذا #}\$F٢oTô'٤ ويقولون سيغفر لنا وإن NخجEù'tf عرض مثله يأخذوه
ألم يؤخذ

Nخجn=tzkم ميثاق الكتاب أن لا يقولوا على الله إلا الحق ودرسوا ما فيه والدار

ن ouچ #}\$zFy½ ضجyz للذين يتقون أفلا تعقلون اتدرب

{ وقطعناهم في الأرض أمما { وفرقناهم فيها، فلا يكاد يخلوا بلد من فرقة منهم { منهم
الصالحون { (١) الذين آمنوا منهم بالمدينة، أو الذين وراء الصين { ومنهم دون ذلك {
ومنهم ناس دون ذلك الوصف منحطون عنه، وهم الكفرة والفسقة. فإن قلت: ما محل دون
ذلك؟

قلت: الرفع، وهو صفة لموصوف محذوف، معناه: ومنهم ناس منحطون عن الصلاح، ونحوه
{ وما

منا إلا له مقام معلوم { (الصفات: ٦٤) بمعنى: وما منا أحد إلا له مقام { وبلوناهم
بالحسنات والسيئات { بالنعم والنقم { لعلهم { ينتهون فينبون { فخلف { من بعد
المذكورين { خلف { وهم الذين كانوا في زمن رسول الله
}

(١) قوله: منهم الصالحون الذين آمنوا منهم بالمدينة، قيل والظاهر خلافة لقوله {
فخلف من بعدهم خلف { .
(٣٤٣/٤)

ورثوا الكتاب { التوراة بقيت في أيديهم بعد سلفهم يقرؤونها ويقفون على ما فيها من

الأوامر والنواهي والتحليل والتحريم، ولا يعملون بها { يأخذون عرض هذا الأدنى { أي
حطام هذا الشيء الأدنى، يريد الدنيا وما يتمتع به منها. وفي قوله: { هذا الأدنى {
تخسيس وتحقير. والأدنى: إما من الدنو بمعنى القرب، لأنه عاجل قريب، وإما من دنو
الحال وسقوطها وقلتها، والمراد: ما كانوا يأخذونه من الرشا في الأحكام على تحريف
الكلم للتسهيل على العامة { ويقولون سيغفر لنا { لا يؤاخذنا الله بما أخذنا. وفاعل
{ سيغفر { الجار والمجرور، وهو { لنا { ويجوز أن يكون الأخذ الذي هو مصدر يأخذون {
وإن يأتهم عرض مثله يأخذوه { الواو للحال، أي يرحبون المغفرة وهم مصرون عائدون إلى
مثل فعلهم، غير تائبين. وغفران الذنوب لا يصح إلا بالتوبة، والمصر لا غفران له {
ألم يؤخذ عليهم ميثاق الكتاب { يعني قوله في التوراة: من ارتكب ذنبا عظيما فإنه لا

يغفر له إلا بالتوبة { ودرسوا ما فيه { في الكتاب من اشتراط التوبة في غفران الذنوب، والذي عليه المجبرة هو مذهب اليهود بعينه كما ترى. وعن مالك بن دينار رحمه الله، يأتي على الناس زمان إن قصرُوا عما أمرُوا به، قالوا: سيغفر لنا، لأننا لم نشرك بالله شيئا، كل أمرهم إلى الطمع، خيارهم فيهم المداينة، فهؤلاء من هذه الأمة أشباه الذين ذكرهم الله، وتلا الآية { والدار الآخرة خير { من ذلك العرض الخسيس { للذين يتقون { الرشا ومحارم الله. وقرئ: "ورثوا الكتاب"، وإلا تقولوا، بالتاء. وادارسو، بمعنى تدارسوا. وأفلا تعقلون، بالياء والتاء. فإن قلت: ما موقع قوله: { ألا يقولوا على الله إلا الحق { ؟ قلت: هو عطف بيان لميثاق (٣٤٤/٤)

الكتاب. ومعنى ميثاق الكتاب. الميثاق المذكور في الكتاب. وفيه أن إثبات المغفرة بغير توبة خروج عن ميثاق الكتاب واقتراء على الله. وتقول عليه ما ليس بحق. وإن فسر ميثاق (١) الكتاب بما تقدم ذكره كان { أن لا يقولوا { مفعولا له. ومعناه: لئلا

يقولوا. ويجوز أن تكون { أن { مفسرة، و { لا تقولوا { نهيا، كأنه قيل: ألم يقل لهم لا تقولوا على الله إلا الحق؟ فإن قلت: علام عطف قوله: { ودرسوا ما فيه { ؟ قلت: على { ألم يؤخذ عليهم { ، لأنه تقرير، فكأنه قيل: أخذ عليهم ميثاق الكتاب ودرسوا ما فيه.

والذين يمسكون بالكتاب وأقاموا الصلاة إنا لا نضيعج u_r&ô ↙=دغءRùç\$# اتذنب
}

(١) قوله: ومن فسر ميثاق الكتاب بما تقدم ذكره إشارة إلى قوله في التوراة من ارتكب ذنبا عظيما فإنه لا يغفر إلا بالتوبة وعلى الوجه الأول جعل ميثاق الكتاب هو ما أخذ عليهم فيه أن لا يقولوا على الله إلا الحق وفي هذا الكلام بعد قوله { يأخذون عرض هذا الأدنى ويقولون سيغفر لنا { ما يدل على أن إثبات المغفرة بغير توبة خروج من ميثاق الكتاب فإن لا يقولوا على الوجه الأول عطف بيان لميثاق الكتاب وعلى الثاني هو مفعول له.

(٣٤٥/٤)

والذين يمسكون بالكتاب { فيه وجهان، أحدهما: أن يكون مرفوعا بالابتداء وخبره { إنا لا نضيع أجر المصلحين { والمعنى: إنا لا نضيع أجرهم؛ لأن المصلحين في معنى الذين يمسكون بالكتاب، كقوله: { إن الذين آمنوا وعملوا الصالحات إنا لا نضيع أجر من أحسن عملا { (الكهف: ٣٠) والثاني: أن يكون مجرورا عطفا على الذين يتقون، ويكون قوله: { إنا لا نضيع { اعتراضا. وقرئ: "يمسكون" بالتشديد. وتنصره قراءة أبي: "والذين مسكوا بالكتاب"، فإن قلت: التمسك بالكتاب يشتمل على كل عبادة. ومنها إقامة الصلاة، فكيف أفردت؟ قلت: إظهار لمزية الصلاة لكونها عماد الدين، وفارقه بين الكفر والإيمان. وقرأ ابن مسعود رضي الله عنه: "والذين استمسكوا بالكتاب".

* وإذ نتقنا ن#\$:t6pgù@ فوقهم كأنه ط'à#@ك (urكûq'Zs# أنه واقع

Nخkح ه خذوا ما

Nن"³#u÷sYن بقوة واذكروا ما فيه /ن³=è9y تتقون اتذب

}

(٣٤٦/٤)

وإذ نتقنا الجبل فوقهم { قلعناه ورفعناه، كقوله: ورفعنا فوقهم الطور. ومنه: نتق

السقاء، إذا نفضه ليقطع الزبدة منه. والظلة: كل ما أظلك من سقيفة أو سحاب. وقرئ بالطاء، من أطل عليه إذا أشرف { وظنوا أنه واقع بهم { وعلموا أنه ساقط عليهم، وذلك أنهم أبوا أن يقبلوا أحكام التوراة. لغلظها وثقلها، فرفع الله الطور على رؤسهم مقدار عسكرهم، وكان فرسخا في فرسخ. وقيل لهم: إن قبلتموها بما فيها وإلا ليقعن عليكم، فلما نظروا إلى الجبل خر كل رجل منهم ساجدا على حاجبه الأيسر وهو ينظر بعينه اليمنى إلى الجبل فرقا من سقوطه، فلذلك لا ترى يهوديا يسجد إلا على حاجبه الأيسر، ويقولون: هي السجدة التي رفعت عنا بها العقوبة، ولما نشر موسى الألواح وفيها كتاب الله. لم يبق جبل ولا شجر ولا حجر إلا اهتز، فلذلك لا ترى يهوديا تقرأ عليه التوراة إلا اهتز وأنغض لها رأسه { خذوا ما آتيناكم { على إرادة القول. أي: وقلنا خذوا ما آتيناكم، أو قائلين: خذوا ما آتيناكم من الكتاب { آتيناكم { وعزم على احتمال مشاقه وتكاليفه { واذكروا ما فيه { من الأوامر والنواهي ولا تنسوه، أو اذكروا ما فيه من التعريض للشواب العظيم فارغبوا فيه. ويجوز أن يراد: خذوا ما آتيناكم من الآية العظيمة بقوة إن كنتم تطيقونه، كقوله: { إن استطعتم أن تنفذوا من أقطار السماوات والأرض { (الرحمان: ٣٣) فانفذوا. { واذكروا ما فيه { من الدلالة على القدرة الباهرة

(۳۴۷/۴)

دN"M\$#Fy\$tfكg-èçقچtfاذحب

(١) قوله: وشهدت بها عقولهم عطف على قوله نصب لهم الأدلة وكذا وجعلها مميزة أي جمع بين نصب الأدلة وجعل العقول مميزة وبين شهادتها ليكون الاستعارة تمثيلية مركبة من عدة أمور متوهمة هذا هو المراد من قوله من باب التمثيلي والتخييل لا ما ظن أنها من الاستعارة التخيلية لأن المشبه به في التخيلية أمر واحد محقق يطلق على المخترع

المتوهم كإثبات في قولك أنياب المنية نشبت بفلان .

(٢) قوله:

إذ قالت الأنساع الحق ... من ذكره في البقرة

قوله:

قالت له ريح الصافر قار

تمامه: ...

واختلط المعروف بالإنكار

أي قالت ريح الصبا للسحاب قرقر بالرعد أي صوت واختلط المعروف . قيل يعني أن المطر بلغ كل مكان مم يعرف وينكر وقيل المعروف المطر والمنكر البرق والسيل والصاعقة شبه الريح بالأمم والسحاب بالمأمور والقرقرة بالماء موزونة.

(٣٤٨/٤)

إذ قالت الأنساع للبطن الحق ... قالت له ريح الصبا قرقر

ومعلوم أنه لا قول ثم، وإنما هو تمثيل وتصوير للمعنى { أن تقولوا } مفعول له، أي

فعلنا ذلك من نصب الأدلة الشاهدة على صحتها العقول، كراهة { أن تقولوا يوم القيامة

إننا كنا عن هذا غافلين } لم ننبه عليه { وكذلك } كراهة { أن تقولوا إنما أشرك

آبائنا من قبل وكنا ذرية من بعدهم } فافتدينا بهم، لأن نصب الأدلة على التوحيد وما

نبهوا عليه قائم معهم، فلا عذر لهم في

الإعراض عنه والإقبال على التقليد والافتداء بالآباء. كما لا عذر لآبائهم في الشرك

- وأدلة التوحيد منصوبة لهم - فإن قلت: بنو آدم وذرياتهم من هم؟ قلت: عنى بني

آدم: أسلاف اليهود الذين أشركوا بالله، حيث قالوا: عزيز ابن الله. وبذرياتهم: الذين

كانوا في عهد رسول الله

من أخلافهم المقتدين بآبائهم. والدليل على أنها من المشركين وأولادهم: قوله: { أو

تقولوا إنما أشرك آباؤنا من قبل } والدليل على أنها في اليهود: الآيات التي عطف

عليها هي، والتي عطف عليها وهي على نمطها وأسلوبها، وذلك قوله: { واسألهم عن

القرية } (الأعراف: ١٦٣)، { إذ قالت أمة منهم لم تعظون } (الأعراف: ١٦٤)، { وإذ

تأذن ربك } (الأعراف: ١٦٧)، { وإذ نتقنا الجبل فوقهم } (الأعراف: ١٧١). { واتل

عليهم نبأ الذي آتيناه آياتنا } (الأعراف: ١٧٥). { أفتهلكنا بما فعل المبطلون } أي

كانوا السبب في شركنا؛ لتأسيسهم الشرك، وتقدمهم فيه، وتركه سنة لنا { وكذلك { ومثل ذلك التفصيل البليغ { تفصل الآيات { لهم { ولعلمهم يرجعون { وإرادة أن يرجعوا عن شركهم نفصلها. وقرئ: "ذريتهم" على التوحيد. وأن يقولوا: بالياء. (٣٤٩/٤)

م@ur N#\$?@ثgن=و üRt6r'د%©!\$#çm #u"?sYن
 BدS\$\$\$sù \$yg÷Y,y÷n=| òtf#u"FدsY\$
 r\$t9\$#ح`Bد`O±9\$# tb%°s3sù zs`ك çmyèt7?r'sù
 s9uZ÷èsùu"çm ©دqs9ur \$sYO
 t7"?\$#ur فF{\$# y'اع>n' &s9ur t\$s#÷zr"çm`Z¼ع pk\$
 sVyJsù#é&¼ çm1uqyd
 &ô]ygù=tf ÷rr mn=tد JtrBد@ (ù=x69\$# b=ة sVyJx@ب
 CE©`دIs?]ygù=tf y7مزçm2

م@sVtBد9\$#Qqs)د%©!\$#çm #uZ#) Ox. \$uZ#)Gدqç/tf\$خ/
 ḡ=yès9كs)9\$# Nء| ب { sù\$\$\$%ؤيفء
 tFtfعx³©مچtbr
 }
 (٣٥٠/٤)

واتل عليهم { على اليهود { نبأ الذي آتينا آياتنا فانسلخ منها { هو عالم من علماء بني إسرائيل. وقيل: من الكنعانيين، اسمه بلعم بن باعوراء أوتي علم بعض كتب الله { فانسلخ منها { من الآيات، بأن كفر بها ونبذها وراء ظهره { فأتبعه الشيطان { فلحقه الشيطان وأدركه وصار قرينا له. أو فأتبعه خطواته. وقرئ: "فاتبعه" بمعنى فتبعه { فكان من الغاوين { فصار من الضالين الكافرين. روي أن قومه طلبوا إليه أن يدعو على موسى ومن معه فأبى وقال: كيف أدعو على من معه الملائكة، فألحوا عليه ولم يزالوا به حتى فعل { ولو شئنا لرفعناه بها { لعظمناه ورفعناه إلى منازل الأبرار من العلماء بتلك الآيات { ولكنه أخلد إلى الأرض { مال إلى الدنيا ورغب فيها. وقيل: مال إلى السفالة. فإن قلت: كيف علق رفعه بمشيئة الله تعالى ولم يعلق بفعله الذي يستحق به الرفع قلت المعنى. ولو لزم العمل بالآيات ولم ينسلخ منها لرفعناه بها. وذلك أن

مشيئة الله تعالى رفعه تابعة للزومه الآيات فذكرت المشيئة. والمراد: ما هي تابعة له
ومسببة عنه كأنه قيل: ولو لزمها لرفعناه بها. ألا ترى إلى قوله: { ولكنه أخلد إلى
الأرض } فاستدرك المشيئة بإخلاده الذي هو فعله، فوجب أن يكون { ولو شئنا } في معنى
ما هو فعله، ولو كان الكلام على ظاهره لوجب أن يقال: ولو شئنا لرفعناه ولكننا لم نشأ
{ فمثله كمثل الكلب } فصفته التي هي مثل في الخسة والضعة كصفة الكلب في أخس
أحواله

وأذلها وهي حال دوام اللهث به واتصاله، سواء حمل عليه - أي شد عليه وهيج فطرد -
أو ترك غير متعرض له بالحمل عليه. وذلك أن سائر الحيوان لا يكون منه اللهث إلا إذا
هيج منه وحرك، وإلا لم يلهث، والكلب يتصل لهثه في الحالتين جميعا، وكان حق الكلام

أن يقال: ولو شئنا لرفعناه بها ولكنه أخلد إلى الأرض فحططناه ووضعنا منزلته، فوضع
(٣٥١/٤)

قوله { فمثله كمثل الكلب } موضع حططناه أبلغ حط لأن تمثيله بالكلب في أحسن أقواله
وأذلها في معنى ذلك. وعن ابن عباس رضي الله عنه، الكلب منقطع الفؤاد، يلهث إن حمل
عليه أو لم يحمل عليه. وقيل: معناه إن وعظته فهو ضال وإن لم تعظه فهو ضال، كالكلب
إن طردته فسعى لهث، وإن تركته على حاله لهث. فإن قلت: ما محل الجملة الشرطية؟ قلت:
النصب على الحال، كأنه قيل: كمثل الكلب ذليلا دائما الذلة لاهثا في الحالتين. وقيل:
لما دعا بلعم على موسى عليه السلام خرج لسانه فوقع على صدره، وجعل يلهث كما يلهث
الكلب { ذلك مثل القوم الذين كذبوا بآياتنا } من اليهود بعد ما قرؤا نعت رسول الله
في التوراة، وذكر القرآن المعجز وما فيه، وبشروا الناس باقتراب مبعثه، وكانوا
يستفتحون به { فاقصص } قصص بلعم الذي هو نحو قصصهم { لعلهم يتفكرون } فيحذرون
مثل

عاقبته، إذا ساروا نحو سيرته، وزاغوا شبه زيغته، ويعلمون أنك علمته من جهة الوحي
فيزدادوا إيقانا بك وتزداد الحجة لزوما لهم.

qç/Ox. #) # \$!©%دPqs)9\$# z`f y™,xsWtB\$!u
.qçR%x#) ur&Rrلk | ! àهN /خ"tf\$t"Gد\$uZ
àtf=دKمتbq اتذذب

{ ساء مثلا القوم } أي مثل القوم. أو ساء أصحاب مثل القوم. وقرأ الجحدري: "ساء مثل
القوم". { وأنفسهم كانوا يظلمون } إما أن يكون معطوفا على كذبوا، فيدخل في حيز

الصلة بمعنى: الذين جمعوا بين التكذيب، بآيات الله وظلم أنفسهم. وإما أن يكون كلاما منقطعا عن الصلة، بمعنى: وما ظلموا إلا أنفسهم بالتكذيب، وتقديم المفعول به للاختصاص، كأنه قيل: وخصوا أنفسهم بالظلم لم يتعدها إلى غيرها.

٧ح'~'s9'ré'sù"~'Nèd
tbrمزا"sfù"#\$ اتدرب

{ فهو المهتدي { حمل على اللفظ. و { فأولئك هم الخاسرون { حمل على المعنى.

(٣٥٢/٤)

iBدث. Wxجد# [٩dsCE zO`Yygyf'u&ô%os)s9ur \$tRù
qè=è% w<ز; RM}\$#ur Nçlmؤ #:gù`d
fح \$pkم٧مزا w tbr &rüôمNçlm;ur ×û حtf \$pkل(gsكcq
w نNçlm;ur ×b#sCE#u
yè÷RF{\$%x. @t/ Nèd"Oة &s9'ré"~'ح7 حpk\$! "o,èuKمtbq
Nèdم &s9'ré"~'ح7 &rت | '@
ت9\$#"د= cqè" اتدرب

{ كثيرا من الجن والإنس { هم المطبوع على قلوبهم الذين علم الله أنه لا لطف لهم. وجعلهم في أنهم لا يلقون أذهانهم إلى معرفة الحق، ولا ينظرون بأعينهم إلى ما خلق الله نظر اعتبار، ولا يسمعون ما يتلى عليهم من آيات الله سماع تدبر، كأنهم عدموا فهم القلوب، وإبصار العيون واستماع الآذان. وجعلهم - لإعراقهم في الكفر وشدة شكائهم فيه، وأنه لا يأتي منهم إلا أفعال أهل النار - مخلوقين للنار، دلالة على توغلهم في الموجبات وتمكنهم فيما يؤهلهم لدخول النار ومنه كتاب عمر رضي الله عنه إلى خالد بن الوليد: بلغني أن أهل الشام اتخذوا لك دلوكا عجن بخمر وإني لأظنكم آل المغيرة ذرء النار. ويقال لمن كان عريقا في بعض الأمور: ما خلق فلان إلا لكذا. والمراد وصف حال اليهود في عظم ما أقدموا عليه من تكذيب رسول الله ، مع علمهم أنه النبي الموعود. وأنهم من جملة الكثير الذين لا يكاد الإيمان يتأتى منهم، كأنهم خلقوا للنار { أولئك كالأنعام { في عدم الفقه والنظر للاعتبار والاستماع للتدبر { بل هم أضل { من الأنعام عن الفقه والاعتبار والتدبر { أولئك هم الغافلون { الكاملون في الغفلة. وقيل: الأنعام تبصر منافعها ومضارها فتلزم بعض ما تبصره، وهؤلاء أكثرهم يعلم أنه معاند فيقدم على النار.

!ur â! 4ع\$! ٤# {œF{# çnq.o_س_# çtù: \$ # \$pk\$ \$sù ح ه

)#tûi'œEur 'sârâ%©!\$# ٣cr%٠%سù=ف

'û ¼mðح' r"yJ™& ru÷tb'fô. %xRqç# \$B™y

fèt÷yJ=tbqè اترقب

}

(٣٥٣/٤)

ولله الأسماء الحسنى { التي هي أحسن الأسماء؛ لأنها تدل على معان حسنة من تمجيد وتقديس وغيره ذلك { فادعوه بها { فسموه بتلك الأسماء { وذروا الذين يلحدون في أسمائه { واتركوا تسمية الذين يميلون عن الحق والصواب فيها فيسمونه بغير الأسماء الحسنى، وذلك أن يسموه بما لا يجوز عليه، كما سمعنا البدو يقولون بجهلهم: يا أبا المكارم، يا أبيض الوجه، ياسخي. أو أن يأبوا تسميته ببعض أسمائه الحسنى. نحو أن يقولوا: يا الله، ولا يقولوا: يا رحمان وقد قال الله تعالى: { قل ادعوا الله أو ادعوا الرحمان، أياما تدعوا فله الأسماء الحسنى { (الإسراء: ١١٠) ويجوز أن يراد: والله الأوصاف الحسنى، وهي الوصف بالعدل والخير والإحسان وانتفاء شبه الخلق فصفوه بها، وذروا الذين يلحدون في أوصافه فيصفونه بمشيئة القبائح وخلق الفحشاء والمنكر وبما يدخل في التشبيه كالرؤية ونحوها، وقيل: إلحادهم في أسمائه: تسميتهم الأصنام آلهة، واشتقاقهم اللات من الله، والعزى من العزيز.

J£`Bédô`xp`n=yZ!\$sY &Bur ٣tk%÷%ku% ب\$ \$9ys,d/خ

¼mðح/ urc٣q٩÷%ètf اترتب

لما قال: { ولقد ذرأنا لجهنم كثيرا { (الأعراف: ١٧٩) فأخبر أن كثيرا من الثقلين عاملون بأعمال أهل النار، أتبعه قوله: { وممن خلقنا أمة يهدون بالحق { وعن النبي :

(٤٠١) أنه كان يقول إذا قرأها: "هذه لكم"، وقد أعطى القوم بين أيديكم مثلها، { ومن قوم موسى أمة يهدون بالحق { (الأعراف: ١٥٩) وعنه :

(٤٠٢) "إن من أمتي قوما على الحق حتى ينزل عيسى عليه السلام" وعن الكلبي: هم الذين آمنوا من أهل الكتاب. وقيل: هم العلماء والدعاة إلى الدين.

(٣٥٤/٤)

t^y™، ð%otG' حـمكN /خ"tf\$Gur (#qç/Ox. \$uZ#\$!©%دtûi
Jn=÷ètƒw tbq xm[ك iB`ð
&Ns9urr اترجب GtBx. îûü%د" (gs9 cكN ur&Bé؟ج' اترثب
tGtf \$tBx٣©مچr#)
B-٧خtR îûüف ضج (uqèd w (خb÷ _p`Z< iB` /ءخ/\$m:كب:دNخ
àZtfمچفr#) &Os9urr اترحب

#\$!ه F{\$#ur \$tBur t,n=yz'اع 9\$#،،yJ"N`uqد n=tB٣نNqd ûخ'
Ot|س# ur&br÷ "xنس& Bد`
sù ٧خ'r"dؤ &gè=y_rكyI°\$# Nju<s% z%د tf٣تbq &br
fB÷sZمtn ¼çny%د÷èt/ tbq%دOlƒ
اترخب

الاستدراج: استفعال من الدرجة بمعنى الاستصعاد، أو الاستنزال درجة بعد درجة. قال
الأعشى:

فلو كنت في جب ثمانين قامة ... ورقيت أسباب السماء بسلم
ليستدرجك القول حتي تهرة ... وتعلم أني عنكم غير مفحم

ومنه: درج الصبي إذا قارب بين خطاه. وأدرج الكتاب: طواه شيئاً بعد شيء. ودرج القوم:
مات بعضهم في أثر بعض. ومعنى { سنستدرجهم } سنستدينهم قليلاً قليلاً إلى ما يهلكهم
ويضاعف عقابهم { من حيث لا يعلمون } ما يراد بهم، وذلك أن يواتر الله نعمه عليهم مع
أنهم ماكهم في الغي. فكلما جدد عليهم نعمة ازدادوا بطراً وجددوا معصية، فيتدرجون في
المعاصي بسبب ترادف النعم، طانين أن مواترة النعم أثرة من الله وتقريب، وإنما هي
خذلان منه وتبعيد، فهو استدراج الله تعالى، نعوذ بالله منه { وأملني لهم } عطف على {
سنستدرجهم } وهو داخل في حكم السين { إن كيدي متين } سماه كيداً لأنه شبيه بالكيد،
من حيث أنه في الظاهر إحسان وفي الحقيقة خذلان { ما بصاحبهم } بمحمد
{ من جنة } من جنون، وكانوا يقولون شاعر مجنون. وعن قتادة:

)

٤٠٣) أن النبي علا الصفا فدعاهم فخذوا فخذاً يحذرهم بأس الله، فقال قائلهم: إن صاحبكم هذا لمجنون، بات يصوت إلى الصباح { أولم ينظروا } نظر استدلال { في ملكوت السماوات والأرض } فيما تدلان عليه من عظم الملك. والملكوت: الملك العظيم { وما خلق الله من شيء } وفيما خلق الله مما يقع علي اسم الشيء ومن أجناس لا يحصرها العدد ولا يحيط بها الوصف { وأن عسى { أن مخففة من الثقيلة، والأصل: أنه عسى، على أن الضمير ضمير الشأن. والمعنى: أو لم ينظروا في أن الشأن والحديث عسى { أن يكون قد اقترب أجلهم {

ولعلمهم يموتون عما قريب، فيسارعوا إلى النظر وطلب الحق وما ينجيهم. قبل مغافصة الأجل وحلول العقاب ويجوز أن يراد باقتراب الأجل: اقتراب الساعة، ويكون من "كان" التي فيها ضمير الشأن. فإن قلت: بم يتعلق قوله: { فبأي حديث بعده يؤمنون } ؟ قلت: بقوله: { عسى أن يكون قد اقترب أجلهم } كأنه قيل: لعل أجلهم قد اقترب، فما لهم لا يبادرون إلى الإيمان بالقرآن قبل الفوت، وماذا ينتظرون بعد وضوح الحق، وبأي حديث أحق منه يريدون أن يؤمنوا.

٤٠٣) أن النبي علا الصفا فدعاهم فخذوا فخذاً يحذرهم بأس الله، فقال قائلهم: إن صاحبكم هذا لمجنون، بات يصوت إلى الصباح { أولم ينظروا } نظر استدلال { في ملكوت السماوات والأرض } فيما تدلان عليه من عظم الملك. والملكوت: الملك العظيم { وما خلق الله من شيء } وفيما خلق الله مما يقع علي اسم الشيء ومن أجناس لا يحصرها العدد ولا يحيط بها الوصف { وأن عسى { أن مخففة من الثقيلة، والأصل: أنه عسى، على أن الضمير ضمير الشأن. والمعنى: أو لم ينظروا في أن الشأن والحديث عسى { أن يكون قد اقترب أجلهم {

قرىء: "ويذرهم" بالياء والنون، والرفع على الاستئناف، ويذرهم، بالياء والجزم عطفاً على محل { فلا هادي له { كأنه قيل: من يضل الله لا يهده أحد ويذرهم.

٤٠٣) أن النبي علا الصفا فدعاهم فخذوا فخذاً يحذرهم بأس الله، فقال قائلهم: إن صاحبكم هذا لمجنون، بات يصوت إلى الصباح { أولم ينظروا } نظر استدلال { في ملكوت السماوات والأرض } فيما تدلان عليه من عظم الملك. والملكوت: الملك العظيم { وما خلق الله من شيء } وفيما خلق الله مما يقع علي اسم الشيء ومن أجناس لا يحصرها العدد ولا يحيط بها الوصف { وأن عسى { أن مخففة من الثقيلة، والأصل: أنه عسى، على أن الضمير ضمير الشأن. والمعنى: أو لم ينظروا في أن الشأن والحديث عسى { أن يكون قد اقترب أجلهم {

يسئلونك { قيل: إن قوماً من اليهود قالوا: يا محمد أخبرنا متى الساعة إن كنت نبياً،

فإننا نعلم متى هي، وكان ذلك امتحانا منهم، مع علمهم أن الله تعالى قد استأثر بعلمها. وقيل: السائلون قريش. و { الساعة } من الأسماء الغالبة، كالنجم للثريا. وسميت القيامة بالساعة، لوقوعها بغتة أو لسرعة حسابها، أو على العكس لطولها، أو لأنها عند الله على طولها كساعة من الساعات عند الخلق. { أيان } بمعنى متى. وقيل؛ اشتقاقه من أي فعلا ن منه، لأن معناه أي وقت وأي فعل، من أويت إليه، لأن البعض آو إلى الكل متساند إليه، قاله ابن جني، وأبى أن يكون من "أين" لأنه زمان، "وأين" مكان. وقرأ السلمي "إيان" بكسر الهمزة { مرساها } إرساؤها، أو وقت إرسائها؛ أي

إثباتها وإقرارها. وكل شيء ثقیل رسوه ثباته واستقراره. ومنه رسي الجبل وأرسي السفينة. والمرسى: الأنجر الذي ترسى به، ولا أثقل من الساعة، بدليل قوله { ثقلت في السماوات والأرض } والمعنى حتا يرسىها الله { إنما علمها } أي علم وقت إرسائها عنده قد استأثر به، ولم يخبر به أحدا من ملك مقرب ولا نبي مرسل، يكاد يخفيها من نفسه، ليكون ذلك أدعى إلى الطاعة وأزجر عن المعصية كما أخفى الأجل الخاص وهو وقت الموت لذلك { لا يجليها لوقتها إلا هو } أي لا تزال خفية، لا يظهر أمرها ولا يكشف خفاء علمها إلا هو وحده إذا جاء في وقتها بغتة، لا يجليها بالخبر عنها قبل مجيئها أحد من خلقه، لاستمرار الخفاء بها على غيره إلى وقت وقوعها { ثقلت في السماوات والأرض } أي كل من أهلها من الملائكة والثقلين أهمه شأن الساعة، وبوده أن يتجلى له علمها وشق عليه خفاؤها وثقل عليه. أو ثقلت فيها لأن أهلها يتوقعونها ويخافون شدائدها وأهوالها. أو لأن كل شيء لا يطيقها ولا يقوم لها فهي ثقيلة فيها { إلا بغتة } إلا فجأة على غفلة (٣٥٧/٤)

منكم. وعن النبي: إن الساعة تهيج بالناس والرجل يصلح حوضه والرجل يسقي ماشيته، والرجل يقوم سلعته في سوقه، والرجل يخفض ميزانه ويرفعه" { كأنك حفي عنها } كأنك عالم بها. وحقيقته: كأنك بليغ في السؤال عنها، لأن من بالغ في المسئلة عن الشيء والتنقيب عنه، استحکم علمه فيه ورضن وهذا التركيب معناه المبالغة. ومنه إحقاء الشارب. إحقاء البقل: استئصاله. وأحفى في المسئلة، إذا ألحف وحفي بفلان وتحفى به: بالغ في البر به. وعن مجاهد: استحفيت عنها السؤال حتى علمت. وقرأ ابن مسعود: "كأنك حفي بها" أي عالم بها بليغ في العلم بها. وقيل: { عنها } متعلق بيسئلونك: أي

يسئلونك عنها كأنك حفي أي عالم بها. وقيل: إن قريشا قالوا له إن بيننا وبينك قرابة، فقل لنا متى الساعة؟ فقل: يسئلونك عنها كأنك حفي تتحفي بهم فتختصهم بتعليم وقتها

لأجل القرابة وتزوي علمها عن غيرهم، ولو أخبرت بوقتها لمصلحة عرفها الله في إخبارك به، لكنك مبلغه القريب والبعيد من غير تخصيص، كسائر ما أوحى إليك. وقيل: كأنك حفي بالسؤال عنها تحبه وتؤثره، يعني أنك تكره السؤال عنها لأنها من علم الغيب الذي استأثر الله به ولم يؤته أحدا من خلقه. فإن قلت: لم كرر يسئلونك وإنما علمها عند الله؟ قلت: للتأكيد، ولما جاء به من زيادة قوله: { كأنك حفي عنها } وعلى هذا تكرير العلماء الحذاق في كتبهم لا يخلون المكرر من فائدة زائدة، منهم محمد بن الحسن صاحب أبي حنيفة رحمهما الله { ولكن أكثر الناس لا يعلمون } أنه العالم بها، وأنه المختص بالعلم بها.

@7à Hw %è=Br& OZد9\$ YtRw ur... # ... (خ
\$uB!t©x\$!Mà9urZ\$.
م=9\$# \$tBur ب`nY6tG™]w zNك t9\$#= | &rNn=ô
z_،،â tB ûq،b ÷9\$# &O\$tRr (خ
w (خ ضف tRفة ضفد±5Qqs ur)tbq9Zم÷Bf اتررب *
}
(٣٥٨/٤)

قل لا أملك لنفسي { هو إظهار للعبودية والانتفاء عما يختص بالربوبية من علم الغيب: أي أنا عبد ضعيف لا أملك لنفسي اجتلاب نفع ولا دفع ضرركما الممالك والعبيد } إلا ما شاء { ربي ومالكي من النفع لي والدفع عني } ولو كنت أعلم الغيب { لكنت حالي على خلاف ما هي عليه، من استكثار الخير، واستغزار المنافع، واجتناب السوء والمضار، حتى لا يمسني شيء منها. ولم أكن غالبا مرة ومغلوبا أخرى في الحروب. ورابحا وخاسرا في التجارات، ومصيبا مخطئا في التدابير } إن أنا إلا { عبد أرسلت نذيرا وبشيرا، وما من شأني أني أعلم الغيب { لقوم يؤمنون } يجوز أن يتعلق بالنذير والبشير جميعا، لأن النذارة والبشارة إنما تنفعان فيهم. أو يتعلق بالتبشير وحده ويكون المتعلق بالنذير محذوفا أي إلا نذير للكافرين وبشير لقوم يؤمنون.

uqèd "%©!\$N s=ن {s} dB` >~oy; R%دn ur @_yèy
pk÷z- ry÷\$gyB `ن،uث9

Jn=sù \$yg8O±ts? ôMn=yJxm ,xôJxm £\$ (خs9ژpk\$
Jn=sù£\$! /خmd¾ yJsùچyz ôNدےدے\$Z
os?#uٹs9 \$sYtGب'u' ÷û/گكYJ\$ #!© ٹuqt# &Mn=s)Or
Bد`uZ©9 z۳نûsq`¹ |"=دs]\$
xyè_ ں¹ |"=دs]\$ گ9s?#uكJn=sù \$yJ£\$! اترزب O±9\$#"رحچا۳
ùدٹà° !\$yJژx.uº!ن¼çms9 u
اترّب "ò³خژç.تbqمJt£\$ #!ه yèGsù"?n' گ9s?#uكyJ\$
}
(۳۵۹/۴)

لهما ولكل من يتناسل من ذريتهما { فلما آتاها } ما طلباه من الولد الصالح السوي {
جعل له
(٣٦٠/٤)

شركاء { أي جعل أولادهما له شركاء، على حذف المضاف وإقامة المضاف إليه مقامه،
وكذلك
{ فيما آتاها } أي آتى أولادهما، وقد دل على ذلك بقوله: { فتعالى الله عما يشركون
{ حيث جمع الضمير. وآدم وحواء بريئان من الشرك. ومعنى إشراكهم فيما آتاها الله:
تسميتهم أولادهم بعبد العزى وعبد مناة، وعبد شمس وما أشبه ذلك، مكان عبد الله وعبد
الرحمان وعبد الرحيم. ووجه آخر وهو أن يكون الخطاب لقريش الذين كانوا في عهد رسول
الله
، وهم آل قصي ألا ترى إلى قوله في قصة أم معبد.
فيا لقصي ما زوى الله عنكم ... به من فخار لا يبارى وسودد

ويراد هو الذي خلقكم من نفس قصي، وجعل من جنسها زوجها عربية قرشية ليسكن إليها،
فلما آتاها ما طلبا من الولد الصالح السوي جعل له شركاء فيما آتاها، حيث سما
أولادهما الأربعة بعبد مناف وعبد العزى وعبد قصي وعبد الدار، وجعل الضمير في {
يشركون { لهما ولأعقابهما الذين اقتدوا بهما في الشرك، وهذا تفسير حسن لا إشكال
فيه. وقرىء "شركا"، أي ذوي شرك وهم الشركاء، أو أحدثا لله شركا في الولد.
تنبق. خزّ ٣"ô &r" tB\$ w ٥ك، Z\$ f=è"n=tbqà) Nèdur ©x†
اترتب ٥tbqur wGدè"o.
ur Nçlm؛ #]N إwR à| kRr & crثfaYf اترتب bخ) ur
Nèdqم'n? s%ô> (خ ٣"lù%çy؛\$
قNà2مw خè٦fG ين! #yqu™ /نt=و Nèdqك?jèمطr &
÷Pr &FRçO &FجçD" | ١ اترجب
(٣٦١/٤)

أجريت الأصنام مجرى أولي العلم في قوله: { وهم يخلقون } بناء على اعتقادهم فيها
وتسميتهم إياها آلهة. والمعنى: أيشركون ما لا يقدر على خلق شيء كما يخلق الله، وهم

وقيل: خذ الفضل وما تسهل من صدقاتهم، وذلك قبل نزول آية الزكاة، فلما نزلت أمر أن يأخذهم بها طوعا أو كرها. والعرف: المعروف والجميل من الأفعال { وأعرض عن الجاهلين { ولا تكافىء السفهاء بمثل سفههم، ولا تمارهم، واحلم عنهم، وأغض على ما يسوؤك منهم. وقيل:

(٤٠٦) لما نزلت الآية سأل جبريل (ما هذا) فقال: لا أدري حتى أسأل، ثم رجع فقال: "يا محمد" إن ربك أمرك أن تصل من قطعك، وتعطي من حرمك، وتعفو عمن ظلمك". وعن جعفر

الصادق: أمر الله نبيه عليه الصلاة والسلام بمكارم الأخلاق، وليس في القرآن آية أجمع لمكارم الأخلاق منها.

خB"\$ètG™\$\$sùd tR"÷ ط O±9\$#s`ا Bد`tf z\"ur y7`Zxîu (خB"\$
™Jy (خçmR¼ (خB"\$
يOثد=t واثقةب

{ وإما ينزغنك من الشيطان نزغ { وإما ينخسنك منه نخس، بأن يحملك بوسوسته على خلاف

ما أمرت به { فاستعذ بالله { ولا تطعه. النزغ والنسغ: الغرز والنخس، كأنه ينخس الناس حين يغريهم على المعاصي. وجعل النزغ نازغا، كما قيل جد جده. وروي: { (٤٠٧)

أنها لما نزلت قال رسول الله كيف يا رب والغضب فنزل وإما ينزغنك من الشيطان نزغ { ويجوز أن يراد بنزغ الشيطان اعتراء الغضب، كقول أبي بكر رضي الله عنه: إن لي شيطانا يعتريني.

خc (خژið%©!#) #sCE#) #sCE#) (qs) (خB.kهN | tB.kهN حs`z د`iB
؟xs٢مچO±9\$# (#rs"ا

ur (خgçR`uq÷zكN اثةتب B-٦١مژا cr ژ sù Nèd*خsCE#

w ٧ x9\$# ¢OèOس وû خ' Jtfك%٥'ktXrهN

tbrمژا(م f اثةتب

{ طيف من الشيطان { لمة منه مصدر، من قولهم: طاف به الخيال يطيف طيفا قال:

أني ألم بك الخيال يطيف

(٣٦٤/٤)

و هو تخفيف طيف فيعل، من طاف يطيف كلين أو من طاف يطوف كهين. وقرىء: "طائف"، وهو

يحتمل الأمرين أيضا. وهذا تأكيد وتقرير لما تقدم من وجوب الاستعاذة بالله عند نزغ الشيطان، وأن المتقين هذه عادتهم: إذا أصابهم أدنى نزغ من الشيطان وإمام بوسوسته { تذكروا } ما أمر الله به ونهى عنه، فأبصروا السداد ودفعوا ما وسوس به إليهم ولم يتبعوه أنفسهم. وأما إخوان الشياطين الذين ليسوا بمتقين، فإن الشياطين يمدونهم في الغي، أي يكونون مددا لهم فيه ويعضدونهم. وقرىء: "يمدونهم" من الأمداد. ويمادونهم،

بمعنى يعاونونهم { ثم لا يقصرون } ثم لا يمسكون عن إغوائهم حتى يصروا ولا يرجعوا. قوله: { وإخوانهم يمدونهم } كقوله:

قوم إذا الخيل جالوا في كواثبها

في أن الخبر جار على ما هو له. ويجوز أن يراد بالإخوان الشياطين، ويرجع الضمير المتعلق به إلى الجاهلين، فيكون الخبر جاريا على ما هو له، والأول أوجه، لأن إخوانهم في مقابلة الذين اتقوا. فإن قلت: لم جمع الضمير في إخوانهم والشيطان مفرد؟ قلت: المراد به الجنس، كقوله: { أولياؤهم الطاغوت } (البقرة: ٢٥٧).

ur Ns9 N(خsCE# خur Ns9 N(خsCE# خur Ns9 N(خsCE# خur Ns9 N(خsCE#

خur Ns9 N(خsCE# خur Ns9 N(خsCE# خur Ns9 N(خsCE# خur Ns9 N(خsCE#

كخ'٧ &r\$ tB\$ #s'nyrqr'f> (خ' B د' #x' n1' yd"مجح |\$ /tء' B

Nà6' /nخ" Y%èdur

×qs5' ur'qu÷Hpu) 9tbqZ÷sBم fاثةجب

اجتبي الشيء، بمعنى جباه لنفسه: أي جمعه، كقولك: اجتمعه، أو جبي إليه فاجتبه: أي أخذه، كقولك: جليت إليه العروس فاجتلاها، ومعنى { لولا اجتبيتها } هلا اجتمعتها، افتعالا من عند نفسك؛ لأنهم كانوا يقولون: { إن هذا إلا إفك مفترى } (سبا: ٤٣) أو هلا أخذتها منزلة عليك مقترحة؟ { قل إنما أتبع ما يوحى إلي من ربي } ولست بمفعل للآيات، أو لست بمقترح لها { هذا بصائر } هذا القرآن بصائر { من ربكم } أي حجج بينة يعود المؤمنون بها بصراء بعد العمى، أو هو بمنزلة بصائر القلوب.

(٣٦٥/٤)

JtG™\$sù ¼çms9 èd`à)9\$# (#qنجb#uم %èكحج ur(خsCE#

اۛه حب ؟ tbqçHxq

زچن. ur y7#CE\$'خ' y7û،%Y Rتوژ |طpx@n½ zur
 بركت ur حچ z#9\$fyô`B\$9\$)Aqs

{ واذكر ربك في نفسك } هو عام في الأذكار من قراءة القرآن والدعاء والتسبيح والتهليل وغير ذلك { تضرعا وخيفة } متضرعا وخائفا { ودون الجهر } ومتكلما كلاما دون الجهر، لأن الإخفاء أدخل في الإخلاص وأقرب إلى حسن التفكير { بالغدو والآصال } لفضل هذين الوقتين. أو أراد الدوام. ومعنى بالغدو بأوقات الغدو، وهي الغدوات. وقرئ: "والإيصال"، من أصل إذا دخل في الأصل، كأقصر وأعتم وهو مطابق للغدو { ولا تكن من الغافلين } من الذين يغفلون عن ذكر الله ويلهون عنه.

{ إن الذين عند ربك { هم الملائكة صلوات الله عليهم. ومعنى { عند { دنو الزلفة، والقرب من رحمة الله تعالى وفضله، لتوفرهم على طاعته وابتغاء مرضاته { وله يسجدون { ويختصونه بالعبادة لا يشركون به غيره، وهو تعريض بمن سواهم من المكلفين. (١)

قوله: لأن نصب الأدلة على التوحيد علة لما فهم من المعلل مع علته أي فعلنا ذلك كراهة أن يعتذروا بالغفلة والتقليد لأن نصب الأدلة إلى آخره ويجوز أن يكون تعليلا للثاني كأنه قيل فعلنا نصب الأدلة كراهة أن يقولوا إنما أشرك آبائنا من قبل لأنه قائم معهم لا يفارقهم فلا عذر لهم في الإعراض عنه والإقبال على التقليد فلما كان

هذا التنبيه لا يفارق أحدا من المكلفين قال كما لا عذر لشباهتهم في الشرك والضمير في قوله والأعراض عنه لنصب الأدلة أو للتوحيد أو لما نهوا عليه أو للدليل لأن ذكر الأدلة دال عليه .

قوله: الآيات التي عطف عليها هي أي عطف أنه { وإذ أخذ ربكم } عليها وهي قوله { وإذ نتقنا الجبل } { وإذ تأذن } { وإذ قيل لهم اسكنوا } وقوله والتي عطف عليها أي على قوله { وإذ أخذ ربك } وهي قوله { واتل عليهم نبأ الذي آتيناه آياتنا } وسائر الآيات

المتعلقة بقصة بلعم والضمير في وهي لقوله على نمطها لقوله { وإذ أخذ ربك } على نمط الآيات المتقدمة عليها والمتأخرة عنها.

قوله: ألا ترى إلى قوله { ولكنه أخلد إلى الأرض } فاستدرك المشيئة بإخلاده الذي هو فعله فوجب أن يكون { ولو شئنا } في معنى ما هو فعله حتى يصح الاستدراك ، وقيل كان حقه أن يقول ولكنه أعرض عنها أي عن الآيات فأوقع موقعه أخلد إلى الأرض تنبيها على أن ما حمل عليه هو هواه وتحقيق هذا أن الإخلاد إلى الأرض هو السبب في الإعراض فذكر السبب وأريد المسبب .

قوله: وكان حق الكلام إلى قوله فحططناه أبلغ حط .

اعلم أن التشبيه عدول عن أصل المعنى روما للمبالغة فإنك إذا أردت المبالغة في قولك زيد شجاع تقول زيد كالأسد لأن التشبيه يقصد به محاولة إبراز المشبه في صورة المشبه به ليثبت في النفس خياله فيكون أدخل في الروعة وأكد في الدلالة من أصل المعنى ، وها هنا الأصل كما قال فوضع التمثيل مقامه ليخيل إلى السامع أن الممثل في غاية من الضعة والخسة ويشبه التمثيل إلى أصل المعنى من قبيل الكناية وأخذ الزبدة والخلاصة من المجموع من غير اعتبار مفرداته ومعنى منقطع الفؤاد جبانته.

قوله: وقيل معناه أن وعظته فهو ضال عطف من حيث المعنى على قوله قصته التي هي مثل في الخسة والتمثيل على الأول مركب عقلي لأنه اعتبر من المجموع الصفة والخسة شبه بلعم من حيث أنه مال عن المرتبة العالية ومنازل الأبرار من العلماء إلى السفالة والميل إلى الدنيا وخطامها بالكلب في الحالتين معا والوجه هو الزبدة وخلاصة أعني الضعة والخسة وإليه الإشارة بقوله لأن تمثيله بالكلب في أخس أحواله وأذلها في معنى ذلك أي حططناه أبلغ حط وعلى الثاني مركب وهمي لأنه يوهم في الوجه بعد ذا هو عدم تغير حالتي الإغراء والترك وهو المراد من قوله إن وعظته فهو ضال وإن لم تعظه فهو ضال وعلى الثالث وهو قوله وقيل لما دعا بلعم التشبيه مفرد حسي . وقوله إن تحمل عليه يلهث أو

تتركه يلهث جملة مبينة لحاله شبه بلعام بالكب ولهذا قال وجعل يلهث كما يلهث الكلب والدليل على أن هذا التشبيه مفرد والأول والثاني مركبان سؤاله بقوله ما محل الجملة الشرطية بعد تمام التشبيهين وجوابه النصب على الحال ليدخل حينئذ في حيز التشبيهين لإرادة التركيب فيهما ، وقوله النصب على الحال كأنه قيل دليلا دائم الدلالة . قال بعض المتأخرين الشرطية لا تكاد تقع بتمامها موقع الحال ولو أريد ذلك لجعلت خبرا عن ضمير ما أريد الحال عنه نحو جاءني زيد وهو أن يسأل فالحال إذا جملة اسمية والسر فيه أن الشرطية لتصدرها بما يقتضي التصدر لا تكاد ترتبط بما قبلها إلا أن تكون هناك فضل قوة، نعم إنما يجوز إذا خرجت عن حقيقة الشرطية ثم هي لا تخلوا ما أن تعطف عليها ما ينافيها أولا ، والأول حذف الواو فيه مستمر نحو آتيك إن تأتني وإن لم تأتني لأن النقيضين في مثل هذا الموضع لا ينفيان على معنى الشرط بل يتحولان إلى معنى التسوية كالاستفهامين المتناقضين في قوله تعالى { ءأندرتهم أم لم تنذرهم } . وأما الثاني فلا بد فيه من الواو نحو آتيك وإن لم تأتني ولو ترك الواو لالتبس بالشرط حقيقة ، وإنما ترك الواو في التنزيل لأنه من باب آتيك أن تأتني أو لم تأتني لأن المراد أن حمل عليه أولم يحمل عليه ، وأما قوله قيل هذا سواء حمل عليه أي شد عليه وهيج فطرد أوترك غير متعرض له فهو لبيان أن التقصير في هذا المقام على معنى الشرط بل يتحولان إلى معنى التسوية.

قوله : ذلك مثل القوم

قوله : ذلك مثل القوم الذين كذبوا بآياتنا من اليهود يعني إنما أتى بقوله { ذلك مثل القوم } عقيب تمثيل بلعام لنبه اليهود الذين كذبوا به صلى الله عليه وآله وسلم بعد معرفته بعينه .

قوله: أي مثل القوم أو ساء أصحاب مثل القوم يريد أنه لا بد أن يكون المخصوص مطابقا للفاعل والفاعل هاهنا مضممر مميز بمثلا والقوم لا يطابقه فيقدر المضاف إما قبل القوم

وإما قبل مثلا ليطابقه.

قوله:وأما أن يكن كلاما منقطعا عن الصلة وعلى هذا يكون تذييلا وتأكيدا لمضمون الجملة والدلوك اسم لما يتدلك به من كالعُدس (كالهدس) والأشنان والأشياء الطيبة.

قوله:وأنهم من جملة الذين عطف على قوله وصف أو عظم ما أقدموا عليه ،ومحل كأنهم خلقوا للنار إما نصب على الحال من الضمير في خبر أن بمعنى مستهين ، وإما رفع خبر بعد خبر و المتكبر ويقال من كذا استنكف منه ، عندهم مدح وهي

التكبر والاستنكاف عما لا يليق بالأشراف.

قوله: ويجوز أن يراد والله الأوصاف الحسنى معطوف على قوله التي هي أحسن الأسماء لأنها تدل على معان حسنة وتتغير بحسب التفسيرين معنى الإلحاد في أسمائه ، فعلى الأول الإلحاد في التسمية أن يقال أبو المكارم ونحوه أن يخص بالله دون الرحمن وعلى الثاني الإلحاد في الوصف هو ما ذكره من المعاني .
قوله: قال الأعشى:

فلو كنت في جب ثمانين قامة ... ورقيت أسباب السماء بسلم
ليستدرجك القول حتى تهرة ... وتعلم أي عنكم غير مفحم
الجب البئر . وأسباب السماء أبوابها . وتهرة تكرهه . يقول : لو كنت مثلاً تحت الأرض
أوصعدت في السماء ما تخلصت مني ومن هجائي لأنني أستصعدك من تحت الأرض واستنزلك
من

السماء يقول تكرهه ليعلم أي غير مفحم عن جوابك والواو في ورقيت بمعنى أو لأنه على وزن قوله تعالى { فإن استطعت أن تبتغي نفقا في الأرض أو سلما في السماء } ومعنى ينادي يقال هوت وهيت إذا نادى ، قيل والأصل فيه حكاية الصوت وقيل هو أن تقول ياه ياه وهويدا الراعي لصاحبه من بعد . قوله: وأن عسى أن مخففة من الثقيلة .
وقال أبو التقياء: ويجوز أن تكون مصدرية وقوله باطل لأن المصدرية لا تدخل على عسى ولا على غيره من الأفعال المتصرفة وذلك لأن المصدرية مع ما بعدها في تأويل المصدر ولا مصدر لهذه الأفعال ومثل أن هذه في أنها مخففة من الثقيلة إن في قوله

تعالى { وأن ليس للإنسان إلا ما سعى } ولهذا لم يحتاجوا هنا إلى حرف من حروف التعويض لتكون فرقا بينها وبين المصدرية وكذا لم يحتاجوا إلى الفرق إذا دخلت المخففة على الاسمية نحو:

إن هالك كل من يخفى و.....

أو الفعلية الشرطية نحو { أن إذا سمعتم } { وأن لو استقاموا } لأن أن المصدرية لا يدخلها وأن عسى عطف على ملكوت وإن يكون فاعل عسى واسم يكون مضمر فيها وهو ضمير

الشأن وقد اقترب خبر كان والهاء في بعده ضمير القرآن ، وقوله : ويكون من كان التي فيها ضمير الشأن ابتداء كلام لا يختص بقوله ويجوز أن يراد ومغافضة الأجل مفاجأته .
قوله: لوقوعها في موضع آخر سميت بذلك لأنها تقع بغتة كما تقول في ساعة لمن تستعجله ، ومعنى أو على العكس أي بناء على عكس ما هي عليه من الطول تمليحاً كما يسمى المهمة

مفازة والأسود كافور ، وقوله : ولأنها عطف على قوله لوقوعها بغتة.

قوله: قاله ابن جني في المحتسب أن أيان بفتح الهمزة فعلان وبكسرهما فعلان والنون فيهما زائدة حملا على الأكثر في زيادة النون في نحو ذلك ، ولم يجعل فعالا من لفظ أين لما يمنع منه وهو كون أيان ظرف زمان وأين ظرف مكان وأي من لفظ أويت ومعناه أما اللفظ فلأن باب طويت وسويت أضعاف باب و وأما المعنى فأن البعض أو إلى الكل و إليه فأصلها على هذا أوى ثم قلبت الواو ياء فصارت أيا كقولك طويت الكتاب طيا وشويت اللحم شيئا { وأيان مرساها } بدل من الساعة أي يسألونك عن زمان حلول الساعة .

قوله: ولا اتقل من الساعة يعني إنما استعير مرساها لإثبات الساعة وإقرارها ، والرسو إنما يستعمل في الأجسام الثقيلة لأن الساعة أيضا ثقيلة في المعنى ولا أنقل منها ولهذا قال { ثقلت في السماوات والأرض } فجعل السماوات والأرض ظرفا لها تشبيها للمعاني بالأجسام ووجه التشبيه أن كل شيء لا يطاق ولا يقام له فهو ثقيل كما صرح به ، واللام في { لا يجليها لوقتها } لام

قوله: ثقلت في السماوات والأرض أي كل من أهلها ، اعلم أن نسبة الثقل إما بحسب الاهتمام بشأن معرفتها وأنها خفية لا تعلم فيشق عليهم أو بحسب الخوف من شدائدتها والتقدير ثقلهم معرفتها أو خوف إرسالها على أهل السماوات والأرض وفي هاهنا كما في قوله { لأصلبنكم في جذوع النخل } ولذلك قال شق عليه وفي الوجه الثاني معنى الثقل هو أن نفس السماوات والأرض لا تطيقها فإن السماوات تنشق عند نزولها والأرض ترجف والجبال تنشق ، وقوله ويؤيده أن تتجلى له يقال بودي أن أفعل كذا أي أتمنى قال المطرري البغددي:

ودعته وبودي لو يودعني ... صفو الحياة وأني لا أودعه
والباء زائدة مثلها في بحسبك أن تفعل وهو مبتدأ وخبر والجملة معطوفة على خبر كل وهو أهمه.

قوله: { كأنك حفي عنها } كأنك عالم بها ، اعلم أن عنها إما أن يتعلق بقوله حفي أو يسألونك فإذا علق بحفي يكون كناية عن علم رصين لأن معنى حفي عنها بليغ في السؤال عنها فقد ضمن حفي معنى السؤال ودلت المبالغة في السؤال عنها على حصول العلم بها على سبيل الاستحكام ، وأما إذا علق عنها بيسألونك فمتعلق حفي مصدر مع الباء ثم لا يخلوا حفي إما أن يضمن معنى العلم مع الباء المقدر كقراءة ابن مسعود وهو المراد بقوله { يسألونك عنها كأنك حفي } أي عالم بها ، وإما أن يجعل من قولهم حفي بفلان وتحفي به

بالغ في البر به ثم مدخول الباء إما ضمير السائل وهو المراد من قوله كأنك حفي به يتحفي بهم فيخصهم بتعليم وقتها أو ضمير السؤال وهو المراد من قوله كأنك حفي بالسؤال عنها وقال أبو التقاء: حفي عنها فيه وجهان أحدهما أن التقدير يسألونك عنها كأنك حفي أي مهتم معتن بطلبها .والثاني: أن عن بمعنى الباء أي حفي بها وكأنك حال من المفعول وحفي بمعنى محفوا وفعيل بمعنى فاعل .
قوله:ولا يخلوا المكرر من فائدة. الانتصاف : وفي التكرير نكتة لا توجد إلا في

القرآن فإنه إذا بنى الكلام على مقصد واعرض في أثائه عارض وأريد الرجوع لتتمة المقصد الأول وقد بعد لتتصل النهاية بالبداية فإنه تعالى ابتداء بقوله { يسألونك عن الساعة } وطال الكلام إلى قوله بغتة وأراد إنكار سؤالهم بوجه آخر، وهو قوله { كأنك حفي } وتعلقه قوي بالسؤال فطري وغالب النظرية بإجمال ولهذا قال يسألونك ولم يذكر الساعة اكتفاء بما تقدم وإنما علمها عند الله مجملا والبضعة بالفتح القطعة من اللحم.

قوله:من غير إخراج الأساس ناقة ولدها قبل الوقت وإن ثم حلقة ومخدج جاءت به ناقص الخلق وإن كان لوقته والإزلاق الإسقاط.

قوله:فمرت به فقامت به وقعدت . قال الزجاج فمرت به معناه استمرت به قامت وقعدت لم ينقلها ومن ثم عقبه المصنف بقراءة ابن عباس واستمرت به .قال ابن جني معنى استمرت به مرت مكلفة نفسها ذلك لأن استفعل إنما يأتي في أكثر الأمر للطلب.

قوله: وقراءة غيره فماتت به .قال ابن جني:وهي قراءة عبد الله بن عمر،وهي من مار يمر إذا ذهب وجاء ، والمعنى واحد ، ومنه يسمى الطريق مورا للذهاب والمجيء عليه ، وقال أصل قراءة يحيى بن يعمر فمرت به مثقلا كقراءة الجماعة فحذف إحدى الرائيين تخفيفا لثقل التضعيف ومنه قوله تعالى { وقرن في بيوتكن } إذا أخذ من القرار ومنه طلعت ومست في طللت ومستست . وهذا الذي ذكر ابن جني أكثر موافقة للمشهور مما ذكره المصنف .

قوله: في قصة أم معبد

فيا لقصي ما زوا الله عنكم ... به من فخار لا يبارى وسؤدد
ويروى من فعال لا يجارى . أم معبد امرأة من بني كعب نزل رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بخيمتها وقت هربه (هجرته) من مكة وحلب شاتها الحائل التي خلفها الجهد عن الغنم قدرت عليه وتفاجت له وهذا البيت من جملة أبيات مذكورة في كتاب شرح السنة وغيره من كتب الحديث والتواريخ والشعر لمسلمي الجن. وقال المصنف في الفائق معنى

البيت فقالوا : يا قصى ليتعجب منكم فيما أغفلتموه من حظكم وأضعتموه من عزكم بعصيانكم رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم والجائكم إياه إلى الخروج من بين أظهركم ، وما مبتدأ بمعنى الذي والخبر من فخر ولا يجارى صفة وروى لا يبارى والضمير في (.....) لرسول الله صلى الله عليه وآله وسلم والباء للسببية .

قوله: عند قصي وعبد الدار أضاف قصي ولديه (.....) مناف والعزى وواحدا إلى نفسه وآخر إلى داره ، وهي دار الندوة.

قوله: يدل عليه قوله فادعوههم أي ويدل على أن معنى قوله لا يتبعوكم لا يجيبوكم . قيل ويمكن أن يراد والدليل على أن الضمير في { وإن تدعوهم إلى الهدى } للأصنام والخطاب مع المشركين وأن المعنى لا يجيبكم كما يجيبكم الله وفيه إشارة إلى ترجيح هذا القول على من قال أن الضمير للمشركين والخطاب مع المسلمين وتقرير الاستدلال أن قوله { إن الذين تدعون من دون الله عبادا أمثالكم } المراد منهم الأصنام بالاتفاق وهو وارد على سبيل التعليل للسابق بدليل كلمة أن وقوله { فادعوههم فليستجيبوا لكم } مرتب عليه ترتب الحكم على الوصف المناسب وفيه معنى الدعاء والاستجابة ، ولو أريد غير ما فسره لأجل (لاختل) النظم .

قوله: وقرأ سعيد بن جبير { إن الذين تدعون من دون الله عباد أمثالكم } . قال أبو التقاء : أن النافية لا تعمل عند سيويه ، وخالفه المبرد . قال ابن جني: إن هذه بمنزلة ما الذين يدعون من دون الله عبادا أمثالكم فأعمل أعمال ما الحجازية وهو ضعيف لأن أن هذه لم تختص بنفي الحاضر اختصاص ما فتجري مجرى ليس في العمل. فإن قلت : فكيف

تجمع بين قراءة العامة وقراءة سعيد وهما متنافيتان؟. قلت: قوله { إن الذين } الآية في قراءة العامة وإن كان إثباتا للمماثلة لكنه في معنى نفيها ويدل عليه قوله: { عباد أمثالكم } استهزاء بهم إلى قوله : ثم أبطل أن يكونوا عبادا أمثالهم بقوله {

ألهم أرجل يمشون } أو بقول المراد بكونهم أمثالهم في المشهورة أنهم أمثالهم في كونهم مخلوقين مربوبين ، والمراد من نفي المماثلة في قراءة سعيد أنهم ليسوا متساوين في الحياة والقدرة والعلم وإلى هذا الوجه أشار بقوله : وقيل عباد أمثالكم مربوبون أمثالكم . وقال الطيني: يجوز أن يكون الإخبار في قراءة العامة بمعنى الإنكار فيحسن حينئذ ترتيب قوله { ألهم أرجل } { فادعوههم فليستجيبوا } أي ليسوا أمثالكم فجربوهم بالدعاء ليستجيبوا لكم إن كانوا أمثالكم ويكون الاستفهام في قوله { ألهم أرجل يمشون } بها { للإنكار تقرير عدم المساواة .

قوله: وأمرني برسالته قيل هو عطف تفسيري على قوله أوحى إلى كتابه أراد أن قوله أنزل الكتاب وضع موضع أرسلني رسولاً لأن الرسول هو الذي جمع المعجزة والكتاب ، وقوله : { وهو يتولى الصالحين } كالتذييل والتقرير لما تقدمه وإلى ذلك أشار بقوله ومن عادته نصر الصالحين ، والمداقة المنافسة.

قوله: فإنه يخس الناس حين يغويهم أي شبه وسوسته اغراء لهم على المعاصي وإزعاجا بغرر السائق ما يسوقه.

قوله: كيف يا رب والغضب أي كيف أصنع يا رب مع الظالم والغضب حامل على الانتقام فقل أن الغضب من نزع الشيطان { فإما ينزغك من الشيطان نزع } . قوله: ويجوز أن يراد نزع الشيطان اعتراء الغضب وعلى هذا فالتقدير إن اعتراك غضب فاستعد بالله من الشيطان الرجيم.

قوله:.... ألم يك الخيال نظيف . تمامه: ومظافه لك ذكره وشغوف البيت لكعب ابن زهير ألم يزل ، والذكرة ضد النسيان والشغوف امتلاء القلب من الحب . قوله: وإن المتقين هذه عادتهم قيل هو عطف تفسيري على قوله.....

قوله: { إن المتقين } الآية تذييل للكلام السابق وتوكيد لمعناه ، ثم الخطاب في { فإما ينزغك } إما أن يكون مختصاً بالرسول صلى الله عليه وآله وسلم كما هو الظاهر فالمناسب أن يراد بالمتقين المرسلون من أولي العزم كما قال تعالى { فاصبر كما صبر

أولوا العزم من الرسل } أو يكون عاماً على طريقة (بشر المشائين إلى المساجد بالنور التام) أو خاصاً يراد به العام كنحو { يا أيها النبي إذا طلقتم { فالمتقون حينئذ الصالحون من عباد الله. قوله:

قوم إذا الخيل خالوا في تمامه: فوارس الخيل لا ميل ولا قزم قال الطيني: المراد بالخيل الفرسان. وقلت: هو غير صحيح بل المراد الخيل أنفسها ولو كان المراد بها الفرسان لم تسبقهم خالوا في لأن الضمير المجرور يرجع إلى الخيل ولم يصح قول المصنف لأن الخبر جار على غير من هو له وذلك لأن الخيل إذا أريد بها الفرسان فقد جرى على ما هو له. خالوا بالخاء المعجمة وثبوا يقال خال الرجل في متن فرسه خوالاً وثب من الفرس ما تقدم قريوس السرج ، والميل جمع أميل وهو الذي لا يثبت على ظهر فرسه . والقرم : اللثام ، يقول: هم فوارس لا مايلون على ظهورها لجودة فروسيتهم أو عن وجوه الأعداء لشجاعتهم ولا لثام ضعاف أو لا بخلاء ليجمع لهم بين الشجاعة والسخاء . وقال بعضهم الاحتجاج بهذا البيت لا يصح لأن الخيل

ليس بمبتدأ لأن إذا لتضمنها معنى الشرط لا تدخل على المبتدأ بل التقدير إذا خال الخيل خالوا () فكان ارتفاع الخيل بالفاعلية. وقوله: خالوا في مفسر للفعل السابق والمفسر في حكم الساقط ، وإنما نظير الآية : هند زيد تضربه. والجواب: أنه يجوز إذا لمجرد الوقت من دون ملاحظة معنى الشرط كما لا يلاحظ في قوله تعالى { والذين إذا أصابهم البغي هم ينتصرون } وقوله: { وإذا ما غضبوا هم يغفرون } . وقال بعضهم: يجوز أن يكون هنا غير ظرف كما في قولهم: إذا يقوم زيد إذا يقوم عمرو، وإنما لم يؤكد الضمير المتصل بالمنفصل في الآية والبيت مع جري الخبر فيهما على غير ما هو له لأن ذلك إنما يجب في الصفة لا في الفعل باتفاق النحاة سواء التبس في الفعل أو لم يلتبس .

قوله: فيكون الخبر جاريا على ما هو له ، فعلى الأول التقدير وإخوان الشياطين الذين ليسوا بمتقين الشياطين يمدونهم ، الضمير المسند إليه الفعل ليس للمبتدأ بل لمتعلقة كما أن الضمير في خالوا لصاحب الخيل ، وعلى الثاني التقدير وإخوان الجاهلين الذين هم الشياطين يمدون الجاهلين.

قوله: والأول أوجه لأن إخوانهم في مقابلة الذين اتقوا ، أراد أن في الكلام مقابلة فيجب مراعاتها فإن قوله { فإما ينزغك من الشيطان نزغ } أمر للنبي صلى الله عليه وآله وسلم بالاستعاذة منه. وقوله { إن الذين اتقوا } إلى آخر الآيتين تعليل للأمر بالاستعاذة يعني دأب من هو على صفتك من التقوى الاستعاذة عند نزغ الشيطان ، ودأب من يخالفك تخالفه.

قوله: فإن قلت لم جمع إلى آخره هذا السؤال مختص بالوجه الأول .
قوله: هلا اجتمعتها افتعالا من عند نفسك افتعالا حال من الفاعل في اجتمعتها وهذا مبني على قوله اجتنى الشيء بمعنى جباله لنفسه. وقوله هلا أخذ بها منزلة مبني على قوله جبي إليه فاجتباها ومنزلة حال من المفعول ومعنى قوله هلا أخذتها منزلة عليك مقترحة هلا طلبت من الله وأنت مقترح ليكون اقتراحك سببا لأن تأخذها وهي مقترحة ، فعلى هذا هو تهكم من الكفار كقولهم { يا أيها الذي نزل عليه الذكر إنك لمجنون } .
قوله: أو هو بمنزلة بصائر القلوب يريد أن البصائر هاهنا إما من إطلاق المسبب على السبب فإن المراد هذا حجج من ربكم يفتح بها أعين عمي وقلوب عفل خالية عن البصيرة ، وإما استعارة أي هو بمنزلة البصائر للقلوب استعارة لإرشاده إلى درك الحقائق البصائر.
قوله: كافصر الجوهري أفصرنا أي دخلنا في فصر الشيء كما تقول أمسينا من المساء وفصر الظلام اختلاطه ، ويقال أتيته فصرأ أي عشيا.

قوله: وهو تعريض بمن سواهم يعني تقديم متعلق يسجدون عليه يؤذن بأن غيرهم لا يختصونه بالسجود.

اللهم اجعلنا ممن اختص بفضيلة الإخلاص ، ويسجد لك على وجه الاختصاص ، فإنه لا ملجأ منك إلا إليك ولا مناص.
سورة الأنفال
(٣٦٦/٤)

عن رسول الله (٤٠٨) "من قرأ سورة الأعراف جعل الله يوم القيامة بينه وبين إبليس سترا، وكان آدم شفيعا له يوم القيامة".
(٣٦٧/٤)

سورة: الحج
مكية، غير ست آيات، وهي: هذان خصمان... إلى قوله... إلى صراط الحميد
وهي ثمان وسبعون آية
بسم الله الرحمن الرحيم
{ يا أيها الناس (qà#) "\$؟" ربكم إن y٩"s's!u - الساعة شيء عظيم اتب
الزلزلة: شدة التحريك والإزعاج، وأن يضاعف (١) زليل الأشياء عن مقارها ومراكزها ولا
تخلو { الساعة } من أن تكون على تقدير الفاعلة لها، كأنها هي التي تزلزل الأشياء
على المجاز الحكمي، فتكون الزلزلة مصدرا مضافا إلى فاعله، أو على تقدير المفعول
فيها على طريقة الاتساع في الطرف وإجرائه مجرى المفعول به، كقوله تعالى: { بل مكر
الليل والنهار } (سبأ: ٣٣) وهي الزلزلة المذكورة في قوله: { إذا زلزلت الأرض
زلزالها } (الزلزلة: ١) واختلف في وقتها، فعن الحسن أنها تكون يوم القيامة وعن
علقمة والشعبي: عند طلوع الشمس من مغربها أمر بني آدم بالتقوى، ثم علل وجوبها عليهم
بذكر الساعة ووصفها بأهول صفة، لينظروا إلى تلك الصفة ببصائرهم ويتصوروها بعقولهم،
حتى ييقوا على أنفسهم ويرحموها من شدائد ذلك اليوم، بامثال ما أمرهم به ربهم من
التردي بلباس التقوى، الذي لا يؤمنهم من تلك الأفراع إلا أن يتردوا به وروي: (٧٠٣)
أن هاتين الآيتين نزلتا ليلا في غزوة بني المصطلق، فقرأهما رسول الله فلم ير أكثر
باكيا من تلك الليلة، فلما أصبحوا لم يحطوا السروج عن الدواب، ولم يضربوا النخيام
وقت النزول، ولم يطبخوا قدرا، وكانوا من بين حزين وباك ومفكر.

يوم s?ygtR÷ru\$؟ تذهل كل مرضعة عما أرضعت وتضع كل ذات @Jxm@ حملها "u?ur الساس
 ٣"u"٣ s3كTM وما هم ٣"u"٣ s3ف، خ . ولكن عذاب الله شديد اثب
 }

(١) سورة الحج

قوله : وأن يضاعف دليل الأشياء . الدليل مصدر كالضرب ، والاتقاء على النفس رحمتها
 .
)

(١/٥

يوم ترونها { منصوب بتذهل . والضمير للزلزلة . وقرئ "تذهل كل مرضعة" على البناء
 للمفعول: وتذهل كل مرضعة أي: تذهلها الزلزلة. والذهول: الذهاب عن الأمر مع دهشة فإن
 قلت: لم قيل: { مرضعة } دون مرضع؟ قلت: المرضعة التي هي في حال الإرضاع(١) ملقمة
 ثديها الصبي. والمرضع: التي شأنها أن ترضع وإن لم تبشر الإرضاع في حال وصفها به
 فقليل: مرضعة؛ ليدل على أن ذلك الهول إذا فوجئت به هذه وقد ألقمت الرضيع ثديها نزعته
 عن فيه لما يلحقها من الدهشة { عما أرضعت } عن إرضاعها، أو عن الذي أرضعته وهو
 الطفل وعن الحسن: تذهل المرضعة عن ولدها لغير فطام(٢)، وتضع الحامل ما في بطنها
 لغير تمام. قرئ { وترى } بالضم(٣) من أريتك قائما. أو رؤيتك قائما.

(١) قوله : المرضعة التي هي حال الإرضاع . قيل : الفرق بين النسب لا يلاحظ فيها
 حدوث الفعل وخروج الصفة عليه ، فإذا قلت : مررت بها حال كونها [٤٨] حاملا ، وإذا
 قلت : (حامل) بغير تاء كان معناه مورث بامرأة من شأنها أن تحمل ولا يلزم أن تكون في
 وقت مرورك بها حاملا ، هذه عبارة الانتصاف ، وهي في غاية الركة ، ومن العجائب أنه
 مع قصور عبارته يعترض صاحب الكتاب في عبارته .

(٢) قوله : لغير فطام ولغير تمام . يجوز أن تكون اللام للتعليل ، أي لا تكون الدهول
 لأجل الفطام ، والوضع لأجل التمام ؛ بل لأمر غيرهما وهو ما يلحقهما من الدهشة
 والحيرة وما نصبها من مفاقم الأمر ، وأن تكون للوقت كقولك جئتك ثلاث خلون من السهر

(٣) قوله : وقرئ يرى بالضم إن كان من آرائك فمعناه يظن أتت الناس سكارى أقيم الضمير مقام الفاعل ، ونصب الناس وسكارى على أنهما مفعولان ؛ لأن رأيت متعد إلى ثلاثة ، وإن كان من رأيتك فالمعنى يظن الناس سكارى أقيم مقام الفاعل ونصب سكارى على المفعولية لأن رأيت متعد إلى اثنين .
(٢/٥)

و { الناس } منصوب (١) ومرفوع، والنصب ظاهر. ومن رفع جعل الناس اسم ترى، وأنه على

تأويل الجماعة. وقرئ "سكرى" و"بسكرى" وهو نظير: جوعى وعطشى، في جوعان وعطشان.

وسكارى وبسكارى، نحو كسالى وعجالى. وعن الأعمش "سكرى" و"بسكرى" بالضم، وهو غريب (٢).

والمعنى: وتراهم سكارى على التشبيه، وما هم بسكارى على التحقيق ولكن ما رهقهم من خوف عذاب الله هو الذي أذهب عقولهم وطير تمييزهم وردهم في نحو حال من يذهب السكر

بعقله وتمييزه. وقيل: وتراهم سكارى من الخوف، وما هم بسكارى من الشراب (٣).

(١) قوله : والناس منصوب ومرفوع منصوب على أنه من رأيتك ، ومرفوع على أنه من رأيتك ، ففي الكلام لف ونشر .

(٢) قوله : وهو غريب . قال ابن جني : روينا عن أبي زرعة أنه قراها بضم السين والكاف الساكنة وهو اسم مفرد على فعلى كالحبلى والبشرى ، بهذا أفناني أبو علي .

(٣) قوله : وما هم سكارى من الشراب بعد قوله : { وما هم بسكارى } على التحقيق يؤذن

أن قوله : { وما هم بسكارى } بينا الإرادة معنى السكر في قوله : وترى الناس سكارين

، فإنه إما أن يراد به التشبيه كما يقول : وترى الناس سكارى ، شهوا بالسكارى بسبب

ما غشيهم من الخوف فبقوا مسلوبى العقول كالسكارى ، وأن يراد الاستعارة كأنه قيل :

يرى الناس جائعين ، فوضع موضعه سكارى ، ولهذا بينه بقوله : من الخوف ، وصرح بقوله :

{ وما هم بسكارى } من الشراب الانتصاف ، ومن علامات المجاز صحة سلبه كما إذا قلت

للبليد حمار ، فإنه يصح نفيه ، وكذا هاهنا نفي السكر الحقيقي بقوله : { وما هم

بسكارى } مؤكدا بالباء ؛ لأن هذا السكر أمر لهم يعهد بمثله ، ولكن للاستدراك

استدراك بقوله : { ولكن عذاب الله شديد } وهو تعليل لإثبات السكر المجازي لما نفى عنهم السكر .
(٣/٥)

فإن قلت: لم قيل أولا: ترون، ثم قيل: ترى، على الأفراد؟ قلت لأن الرؤية أولا عقلت بالزلزلة(١) فجعل الناس جميعا رائيين لها، وهي معلقة أخيرا بكون الناس على حال السكر، فلا بد أن يجعل كل واحد منهم رائيا لسايرهم.

ومن الناس من يجادل في الله بغير علم ويتبع كل شيطان فاحش (3) B كتب عليه أنه من تولاه فإنه يضلله ku%our÷%oamf إلى عذاب السعير احب

(١) قوله : لأن الرؤية عقلت أولا بالزلزلة تلخيص الجواب أن المرئي على الأول حاله الزلزلة والجميع يشاهدونها ، وعلى الثاني المرئي حال يخبر الناس ، وكل واحد لا يشاهد حال نفسه ؛ بل يشاهد حال سائر الناس ، ويمكن أن يكون عاما قصدا إلى تقطيع حال الناس كما في قوله تعالى : { ولو ترى إذ المجرمون } .
(٤/٥)

قيل: نزلت في النضر بن الحارث، وكان جدلا يقول: الملائكة بنات الله، والقرآن أساطير الأولين، والله غير قادر على إحياء من بلي وصار ترابا. وهي عامة في كل من تعاطى الجدل فيما يجوز على الله وما لا يجوز من الصفات والأفعال، ولا يرجع إلى علم ولا بعض فيه بضرس قاطع(١)، وليس فيه اتباع للبرهان ولا نزول على النصفة، فهو يخبط خبط عشواء، غير فارق بين الحق والباطل { ويتبع } في ذلك خطوات { كل شيطان } عات، علم من

حاله(٢) وظهر وتبين أنه من جعله وليا له لم تثمر له ولايته إلا الإضلال عن طريق الجنة والهداية إلى النار. وما أرى رؤساء أهل الأهواء والبدع والحشوية المتلقبين بالإمامة في دين الله إلا داخلين تحت كل هذا دخولا أوليا، بل هم أشد الشياطين إضلالا وأقطعهم لطريق الحق، حيث دونوا الضلال تدوينا ولقنوه أشياعهم تلقينا، وكأنهم ساطوه بلحومهم ودمائهم، وإياهم عني من قال(٣):

- (١) قوله : ولا يعرض فيه بضرس قاطع . أي لم ينفه ولم يتمكن فيه ، والنصفة الإنصاف .
- (٢) قوله : علم من حاله .. إلى آخره . تفسير لقوله : { كنت عليه } أنه تولاه فإنه يضلّه فالضمير في عليه للشيطان ، وكذا المنصوب في تولاه ، والمرفوع لمن ؛ وإنما قال : علم من حاله وظهر لما أن قوله : { كنت عليه } وصف آخر للشيطان ، وتمثيل كأنه قيل : وجب على الشيطان ولزم عليه إضلال من يتولاه . ألا ترى كيف يجتهد في ذلك ويبذل فيه كل وسعه ، وهذا ظاهر ، وإليه الإشارة بقوله : والكتابة عليه مثل .. إلى آخره . ومعنى ساطوه خلطوه ومزجوه .
- (٣) قوله : وأتاهم عني من قال يريد نفسه . شعره :

ويا رب مقفو الخطا بين قومه ... طريق نجاة عندهم مستو نهج

ولقد قرأوا في اللوح ما خط فيه من بيان اعوجاج في طريقته عجوا . معناه : ورب رجل ، أي وكثير من الرجال مقتدى في قومه متنوع في أصحابه وعندهم أنه على صراط مستقيم وطريق واضح ، لو قرأوا ما خط في اللوح المحفوظ من ضلالتة وغوايته في معتقده وطريقته صاحوا وصحوا إلى الله بآيتين من متابعتة ، أو تضرعوا إلى الله مستعبدين من أن يكون مثله ، وطريق مبتدأ ، ومستو خبره .

(٥/٥)

ويا رب مقفو الخطا بين قومه ... طريق نجاة عندهم مستو نهج
ولو فرؤا في اللوح ما خط فيه من ... بيان اعوجاج في طريقته عجوا

اللهم ثبتنا على المعتقد الصحيح الذي رضيته لملائكتك في سمواتك، وأنبيائك في أرضك،
وأدخلنا برحمتك في عبادك الصالحين. والكتابة عليه مثل، أي: كأنما كتب إضلال من يتولاه عليه ورقم به لظهور ذلك في حاله. وقرئ "أنه" فأنه بالفتح والكسر فمن فتح
فلأن الأول(١)

(١) قوله : ومن فتح فلان الأول فاعل كتب ، والثاني عطف عليه ، قيل : هذا هو موضع صعب من حيث علم الإعراب ، وقد اختلفت آراء الأدباء فيه ، فالواجب أن يبسط الكلام فيه فصل بسيط . قال الزجاج : إنه في موضع رفع عطف على أنه وموضعه رفع الضاء والفاء

الأجود فيها أن يكون في معنى الجزاء ، وجائز كسر إن مع الفاء ويكون جزءا لا غير ،
والتأويل كتب عليه أي على الشيطان إضلال متوليه وهدايته إلى عذاب السعير ، وحقيقته
أن الثانية أنها مكررة على جهة التأكيد ؛ لأن المعنى كتب عليه أنه من تولاه أصله
.. وقال أبو علي : في الإغفال إعراب هذه إما أن تكون شرطية مشكل وأنا أسرحه وأبين
السهو فيه ، قوله : كتب عليه أنه من تولاه أنه في موضع رفع ، فمن هاهنا إما أن تكون
]

٤٩ [شرطية أو موصولة ، فإن جعلتها شرطية فإنها للجزاء ، وإن جعلتها موصولة فالفاء
هي الداخلة في خبر المبتدأ المتضمن للشرط ، فعلى التقديرين لا تكون عاطفة ، ثم إنه
في قوله : (فإنه يصله) ليس بكلام تام لأنك لا تقول : (إنك منطلق) بفتح إن فلا يكون ما
بعده جملة ، فينبغي أن تقدر ، فيبانه أنه يصله أو امره فثبت أن قول أبي إسحاق الزجاج
فإنه عطف على أنه خطأ ، والذي ذهب إليه المصنف - رحمه الله - في العطف فن غريب ؛
لأن جعله معطوفا على أنه مع ما في خبره وما يتصل به على تقدير حذفه الجزاء ، المعنى
: كنت على الشيطان أنه من تولاه يهلكه فإنه يصله عن طريق الجنة وثوابها ، ويهديه
إلى صراط السعير وعذابها ، فالفاء مثلها في قوله : { فتوبوا إلى بارئكم فاقتلوا
أنفسكم } ، والكلام متضمن لأمر ترتب بعضها على بعض ، وهذا أقصى لحق البلاغة مما
ذهب إليه أبو علي . وأشرح : يدل على هذا التقدير قوله في تفسير قوله تعالى : (ألم
تعلموا أن من يحادد الله ورسوله يهلك فإن له نار جهنم) فاندفع بهذا قول صاحب
التقريب . وفي عطف فإنه على أنه نظر لأنه إما أن يعطف عليه مع الخبر أو بدونه ،
ويلزم على الأول فقد الجزاء والعطف على أنه قبل تمام صلاته ، وعلى الثاني تحلل العطف
بين أجزاء الشرطية والعطف قبل التمام ، والأولى أن تقدير بعد الفاء وهي للحراسة
مبتدأ أو خبر ، أي فالأمر أنه أو محقق أنه على أنه وافق المصنف في أنه { من يحادد
الله .. } الآية حيث قال : جواب الشرط محذوف وهو يهلك وفان له عطف على أنه أي {
ألم

يعلموا } ، هذا فلا يلتفت إلى مخالفته هاهنا . وأما قوله : (يلزم تحلل العطف بين
أجزاء الشرطية) فهو وارد على تقدير الزجاج إذا جعل مكررا وهو أيضا ضعيف لأنهم عدوا
مثل هذا التخلل من المحسنات البديعة ، وعن بعضهم أن الضمير أنه للمجادل الذي كتب
على الشيطان أن المجادل من تولاه ، و(فإنه يصله) عطف عليه ، فلا يلزم المحذور أن

اللذان ذكرهما صاحب التقريب ويدفعه إرادة العموم من الآية ويعسف عن هذا المعنى ،
ويقال أيضا : دل تقدير المصنف كأنما كتب عليه إضلال من يتولاه على أن ما بعد الفاء

إما جواب للشرط أو خيرا للمبتدأ المتضمن معنى الشرط وبأباه قوله ، والثاني عطف عليه ؛ لكن تقديره دال تحرير للمعنى ، وتلخيص قوله : (فمزيل ربيكم أن تنظروا) يريد أن قوله : { فإنا خلقناكم } جزءا لقوله : { إن كنتم } فلا بد من هذا التأويل ليصح كونه جزءا .

(٦/٥)

فاعل كتب، والثاني عطف عليه. ومن كسر فعلى حكاية المكتوب كما هو، كأنما كتب عليه هذا الكلام، كما تقول: كتبت: إن الله هو الغني الحميد. أو على تقدير: قيل أو على أن كتب فيه معنى القول.

يا أيها الناس إن كنتم في ريب من البعث فإنا / ٣"n=yz sY) من <#uè؟ ثم من
œR.ôpxv

ثم من علة ثم من B-jptôv مخلقة وغير مخلقة لنبين لكم ونقر في الأرحام ما نشاء إلى
هـ@_r'y &|'K-wB- ثم N٣م-حجUéف طفلا ثم (#qûFt=7èد أشدكم
ومنكم من يتوفى ومنكم من

-ثم f إلى أرذل حچكJ#è9\$ لكيلا يعلم من بعد علم ©x"Z\$ s?urچu"
الأرض هامة فإذا

\$u9Z"uRr& عليها الماء Nô""÷Iy\$# وربت وأنبتت من كل زوج بهيج اخب
(٧/٥)

قرأ الحسن { من البعث } بالتحريك ونظيره: الجلب والطرء، في الجلب والطرء، كأنه قيل: إن ارتبتم في البعث فمزيل ربيكم أن تنظروا في بدء خلقكم. والعلة: قطعة الدم الجامدة. والمضغة: اللحم الصغيرة قدر ما يمضغ. والمخلقة: المسواة الملساء من النقصان والعيب. يقال: خلق السواك والعود، إذا سواه وملسه، من قولهم: صخرة خلقاء، وإذا كانت ملساء، كأن الله تعالى يخلق المضغ متفاوتة: منها ما هو كامل الخلقة أملس من العيوب، ومنها ما هو على عكس ذلك فيتبع ذلك التفاوت تفاوت الناس في خلقهم وصورهم

وطولهم وقصرهم، وتماهم ونقصانهم. وإنما نقلناكم من حال إلى حال ومن خلقة إلى خلقة
}

لنبين لكم { بهذا التدريج قدرتنا وحكمتنا وأن من قدر على خلق البشر من تراب أولاً،
ثم من نطفة ثانياً ولا تناسب بين الماء والتراب وقدر على أن يجعل النطفة علقه
وبينهما تباين ظاهر، ثم يجعل العلقه مضغمة والمضغمة عظاما: قدر على إعادة ما أبدأه،
بل هذا أدخل في القدرة من تلك، وأهون في القياس. وورود الفعل غير معدي إلى المبين:
إعلام بأن أفعاله هذه يتبين بها من قدرته وعلمه ما لا يكتننه الذكر ولا يحيط به
الوصف وقرأ ابن أبي عبلة: ليبين لكم. ويقر، بالياء وقرء "ونقر" ونخرجكم، بالنون
والنصب ويقر، ويخرجكم، ويقر، ويخرجكم: بالنصب والرفع. وعن يعقوب: يقر بالنون وضم
القاف، من قر الماء إذا صبه؛ فالقراءة بالرفع إخبار بأنه يقر { في الأرحام ما يشاء
{ أن يقره من ذلك { إلى أجل مسمى { وهو وقت الوضع آخر ستة أشهر، أو تسعة، أو
سنتين،

أو أربع، أو كما شاء وقدر. وما لم يشأ إقراره مجتبه الأرحام(١) أو أسقطته. والقراءة
بالنصب: تعليل معطوف على تعليل(٢).

(١) قوله : مجتبه الأرحام . أي إذا كان نطفة وأسقطته ، أي إذا كان علقه أو مضغمة أو
ما فوقهما .

(٢) قوله : تعليل معطوف على تعليل . أي لنبين ويقر .. قال الزجاج : { ويقر في
الأرحام { لا يجوز فيها إلا الرفع ، ولا يجوز أن يكون معناه فعلنا ذلك ليقرهم في
الأرحام ، لأن الله تعالى لم يخلق الأيام ليقرهم في الأرحام ؛ وإنما خلقهم ليدلهم
على رشدهم وصلاتهم ، والمصنف فراراً من هذا السؤال قال : حتى يولد ، أو إنشاء ، أو
أبلغوا حد التكليف فأكلفهم ، فعلى هذا { لتبلغوا { عطف على { نخرجكم } ، وإنما أتى
باللام ليؤذن بأن البلوغ هو المقصود الأولى ، لأنه أوان التكليف ، وعلى قراءة
بالرفع { لتبلغوا { عطف على { لنبين لكم } .
قال المصنف - رحمه الله - : فإن قلت : كيف يصح عطف { لتبلغوا { على { لنبين لكم }
ولا طباق ؟

قلت : بل الطباق حاصل ؛ لأن قوله : { ويقر { قرين للتعليل ومقارنته له والتباسه به

ينزلا به منزلة نفسه ، فهو راجع من هذه الجهة إلى مثابة القراءة بالنصب . هذا
الجواب والسؤال مثبت في بعض النسخ في المتن .

وقيل : هذا ليس بمنقح ؛ بل وجه السؤال أن يقال : كيف صح عطف { لتبلغوا { على {
لنبين { مع القراءة برفع { نقر { و { نخرج { فإنهما مستأنفتان متخللان بينهما ؟

والجواب : إنهما وإن قرئنا بالرفع لكن ذلك من حيث المعنى تعليل .

(٨/٥)

ومعناه: خلقناكم مدرجين هذا التدرج لغرضين، أحدهما: أن نبين قدرتنا. والثاني: أن نقر في الأرحام من نقر، حتى يولدوا وينشؤا ويبلغوا حد التكليف فأكلفهم. ويعضد هذه القراءة (١) قوله: { ثم لتبلغوا أشدكم } وحده (٢) لأن الغرض الدلالة على الجنس. ويحتمل: نخرج كل واحد منكم طفلاً. الأشد: كمال القوة والعقل والتميز، وهو من ألفاظ الجموع التي لم يستعمل لها واحد كالأسدة والقتود والأباطيل وغير ذلك، وكأنها شدة في غير شيء واحد، فبنيت لذلك على لفظ الجمع. وقرئ "ومنكم من يتوفى" أي يتوفاه الله { أرذل العمر } الهرم والخرف، حتى يعود كهيئته الأولى في أوان طفولته: ضعيف البنية، سخييف العقل، قليل الفهم، بين أنه كما قدر على أن يرقيه في درجات الزيادة حتى يبلغه حد التمام، فهو قادر على أن يحطه حتى ينتهي به إلى الحالة السفلى { لكيلا يعلم من بعد علم شيئاً } أي: ليصير نساء بحيث إذ كسب علماً في شيء لم ينشب إن ينساه ويزل عنه علمه حتى يسأل عنه من ساعته، يقول لك: من هذا؟ فتقول: فلان، فما يلبث لحظة إلا سألك عنه.

(١) قوله : ويعضد هذه القراءة قوله : { ثم لتبلغوا أشدكم } . هذه إشارة إلى قراءة النصب وذلك أن قوله : { لتبلغوا أشدكم } بدل على التدرج والبلوغ إلى الغاية ، فيجيء الكلام من قوله : { ويقر } ، { ثم نخرجكم طفلاً ، ثم { لتبلغوا أشدكم } مسوقاً على نسق التدرج بخلاف القراءة بالرفع .

(٢) قوله : وحده أي طفلاً ، والأشدة جمع شيد - بالفتح - وهو العيب لا الحاجز ، فالأشدة العيوب مثل العمى والصمم والبكم ، وهو جمع على غير قياس ، وكان قياسه شدود ، والقتود خشب الرجل . قال صاحب التقريب : وفيه نظر ؛ لأنه جمع على قياس . قال الجوهري : القند خشب الرجل ، وجمعه أقتاد وقتود ، ومعنى لم ينشب : لم يلبث . والتضاعف جمع تضعيف بمعنى ضعف كالتثيت بمعنى الثبات . قال : وبلدة ليس بها تثيت ، والتضاعيف الاثناء .

(٩/٥)

وقرأ أبو عمرو: العمر، بسكون الميم. الهامدة: الميتة اليابسة. وهذه دلالة ثانية على

البعث، ولظهورها وكونها مشاهدة معاينة، كررها الله في كتابه { اهتزت وربت { تحركت بالنبات وانتفخت، وقرىء "ربأت"، أي ارتفعت. البهيج: الحسن السار للناظر إليه.

7y9dE''sCE بأن الله هو '،#\$:utù، وأنه يحيي ؛'sAquK9\$# وأنه على كل شيء قدير (٦) وأن

الساعة آتية لا ريب فيها وأن الله يبعث من في القبور اذب

أي: ذلك الذي ذكرنا من خلق بني آدم وإحياء الأرض، مع ما في تضاعيف ذلك من أصناف الحكم واللطائف، حاصل بهذا وهو السبب في حصوله، ولولاه لم يتصور كونه، وهو { أن الله هو الحق { أي الثابت الموجود، وأنه قادر على إحياء الموتى وعلى كل مقدور، وأنه حكيم لا يخلف ميعاده، وقد وعد الساعة والبعث، فلا بد أن يفي بما وعد.

ومن الناس من يجادل في الله بغير علم ولا هدى ولا كتاب ٩رّجدز (8) Z-B'Os'rT عطفه

ليضل عن سبيل الله له في الدنيا س "÷" 1/2 z ونذيقه يوم القيامة عذاب ب،فح #\$:utù (9)

7y9dE''sCE بما قدمت يداك وأن الله ليس بظلام للعبيد اتةب (١٠/٥)

عن ابن عباس أنه أبو جهل بن هشام. وقيل: كرر(١) كما كررت سائر الأفاضل. وقيل: الأول في المقلدين، وهذا في المقلدين. والمراد بالعلم: العلم الضروري. وبالهدى: الاستدلال والنظر؛ لأنه يهدي إلى المعرفة. وبالكتاب المنير: الوحي، أي يجادل بظن وتخمين، لا بأحد هذه الثلاثة. وثنى العطف: عبارة عن الكبر والخيلاء، كتصغير الخد

ولي الجيد. وقيل: عن الإعراض عن الذكر. وعن الحسن: ثاني عطفه، بفتح العين، أي: مانع تعطفه { ليضل { تعليل للمجادلة. قرىء بضم الياء وفتحها. فإن قلت: ما كان غرضه من جداله الضلال { عن سبيل الله { فكيف علل به؟ وما كان أيضا مهتديا حتى إذا جادل خرج بالجدال من الهدى إلى الضلال؟ قلت: لما أدى جداله إلى الضلال، جعل كأنه غرضه، ولما كان الهدى معرضا(٢) له فتركه وأعرض عنه وأقبل على الجدال بالباطل، جعل كالخارج من الهدى إلى الضلال. وخزيه: ما أصابه يوم بدر من الصغار والقتل، والسبب فيما مني به من خزي الدنيا وعذاب الآخرة: هو ما قدمت يداه، وعدل الله في معاقبته الفجار وإثابته الصالحين.

(١) قوله : [٥٠] وقيل : كرر كما كررت سائر الأقاويص عطف على قوله عن بن عباس أنه أبو جهل من حيث المعنى أراد أنه ما نازل في أبي جهل كما قال ابن عباس ، أو نازل في النصر كما ذكر أن قوله : { ومن الناس من يجادل { نازل فيه لأن التكثير لا يعطف له .
(٢) قوله : معرضا له أي ممكنا من العرض وهو الجانب .
(١١/٥)

ومن الناس من يعبد الله على ٧\$چxm فإن أصابه ي٧چyz اطمأن به وإن أصابته فتنة انقلب على وجهه خسر الدنيا ٧١/٢چnou هو السخران المبين (١١)
يدعو من دون الله
ما لا يضره وما لا ينفعه ٧١\$چdy هو الضلال البعيد (١٢) يدعو لمن ضره .&r%٠چu
من
نفعه لبئس المولى ولئس مثجد ٩\$#yè اتجب
}
(١٢/٥)

على حرف { على طرف من الدين لا في وسطه وقلبه . وهذا مثل لكونهم على قلق واضطراب في
دينهم ، لا على سكون وطمأنينة ، كالذي يكون على طرف من العسكر ، فإن أحس بظفر وغنيمة
قر واطمأن ، وإلا فر وطار على وجهه . قالوا : نزلت في أعارب قدموا المدينة ، وكان
أحدهم إذا صح بدنه ونتجت فرسه (١) مهرا سريا ، وولدت امرأته غلاما سويا ، وكثر ماله
وما شيته قال : ما أصبت منذ دخلت في ديني هذا إلا خيرا ، واطمأن . وإن كان الأمر
بخلافه قال : ما أصبت إلا شرا ، وانقلب وعن أبي سعيد الخدري ؛ (٧٠٤) أن رجلا من اليهود
أسلم فأصابته مصائب ، فتشأه بالإسلام ، فأتى النبي صلى الله عليه وسلم فقال : ألقني ،
فقال "إن الإسلام لا يقال : فنزلت . المصاب بالمحنة بترك التسليم لقضاء الله والخروج
إلى ما يسخط الله : جامع على نفسه محنتين ، إحداهما : ذهاب ما أصيب به . والثانية : ذهاب
ثواب الصابرين ، فهو خسران الدارين . وقرئ "خاسر الدنيا والآخرة" بالنصب والرفع ،
فالنصب على الحال ، والرفع على الفاعلية . ووضع الظاهر (٢) موضع الضمير ، وهو وجه
حسن .

(١) قوله : نتجت فرسه . الجوهرى: نتجت الناقة على ما لم يسم فاعله تنتج نتاجا ، وقد نتجها أهلها نتجا ، ومعنى سربا خطيرا محتارا وجهه .
(٢) قوله : ووضع الظاهر موضع المضمحل لأن في انقلب ضمير مرفوع راجع إلى الناس ، فإذا جعل خاسر الدنيا فاعلا له وانقلب المستتر بارزا ظاهرا فقد أذن بأن من يعبد الله على حرف هو الخاسر الدامر ففيه تعليل ، وإليه الإشارة بقوله : وهو وجه حسن ، وعلى المشهور { خسر الدنيا والآخرة } كالتوضيح والبيان للجملة السابقة ، وتكرير معنى الخسران والتصوير لأن فائدة البدل التفسير والتوكيد على أن يكون خاسر مبتدأ محذوف تكون الجملة واردة على الدم والشم ، وعلى الحال تكون الحال مؤكدة نحو قوله { ثم وليتم مدبرين } .
(١٣/٥)

أو على أنه خبر مبتدأ محذوف استعير { الضلال البعيد } من ضلال من أبعد في التيه ضالا، فطالت وبعدت مسافة ضلالته. فإن قلت: الضرر والنفع منفيان عن الأصنام مثبتان لها في الآيتين، وهذا تناقض قلت: إذا حصل المعنى ذهب هذا الوهم، وذلك أن الله تعالى سفه الكافر بأنه يعبد جمادا لا يملك ضرا ولا نفعاً، وهو يعتقد فيه بجهله وضلاله أنه يستنفع به حين يستشفع به، ثم قال: يوم القيامة يقول هذا الكافر(١)

(١) قوله : ثم قال : يوم القيامة يقول هذا الكافر بدعاء وصراخ . يريد أن يدعوا

الثاني بمعنى يقول ، وأنشد الزجاج لعنيزة:
أشطان بير في لبان الأدهم ... يدعوة عنيز والرماح كأنها
ض

أي يقولون يا عنيزة ، فقله تعالى : { لمن ضره أقرب من نفعه } مستأنف مرفوع بالابتداء ، وخبره { لبئس المولى ولبئس العشير } ، والهاء في ضره ونفعه ضمير الصنم ، والجملة مفعول يدعوا لأنه بمعنى يقول ، والمعنى يقول الكافر في القيامة حين لا يرى لشفاعاة الصنم أثرا الذي هذا حاله لبئس الناصر والشفيع وهو لبئس المعاشر والمخالط .

وقال أبو البقاء : يدعو بمعنى يقول من مبتدأ ، وضره مبتدأ وأقرب خبره ، والجملة صلة من ، وخبر من محذوف تقديره إله أو ألهى ، وموضع الجملة نصب بالقول وليس مستأنفة

لأنه لا يصح دخولها في الحكاية ؛ لأن الكفار لا يقولون عن أصنامهم ليس المولى .

وقلت : لم يقولوا ذلك إلا في الآخرة . وقال صاحب الكشف : قال البصريون : الوجه في الآية أن يكون في يدعوا ذمير عائد إلى ذلك ، أي ذلك هو الضلال البعيد يدعوه ، والجملة في موضع نصب على الحال ، أي ذلك هو الضلال البعيد يدعوا .
(١٤/٥)

بدعاء وصراخ، حين يرى استضراره بالأصنام ودخوله النار بعبادتها، ولا يرى أثر الشفاعة التي ادعاه لها { لمن ضره أقرب من نفعه لبئس المولى ولبئس العشير } أو كرر (١) يدعو، كأنه قال: يدعو يدعو من دون الله ما لا يضره وما لا ينفعه، ثم قال: لمن ضره بكونه معبودا أقرب من نفعه بكونه شفيعا لبئس المولى. وفي حرف عبد الله "من ضره" (٢) بغير لام. المولى: الناصر. والعشير: الصاحب، كقوله: { فبئس القرين } (الزخرف: ٣٨).

إن الله م@%zô½f الذين آمنوا وعملوا الصالحات "حج grB من تحتها الأنهار

إن الله يفعل ما ك%f%جم14) f من كان يظن أن لن ينصره الله في الدنيا
zFy\$#ur½ج ou

٥ك%òJuù=sù بسبب إلى السماء ثم ليقطع فلينظر هل يذهبن كيده ما يغيث اتخب

(١) قوله : أو كرر يدعو . قال أبو البقاء : يدعو إذا قدر مكررا لا يكون له معمول لا

لفظا ولا تقديرا ، قيل : فعلى هذا يدعو بمعنى يعيد ، ولهذا قرر في الجملة الثانية معنى العبودية وقال : { لمن ضره } بكونه معبودا ، فالجملة الثانية استئناف لبيان الموجب .

(٢) قوله : وفي حرف عبد الله من ضره بغير لام . قيل : وهي مؤذنة بأن اللام في { لمن } زائدة . قال بن الحاجب : قيل : أن اللام في { لمن ضره } زائدة ، ومن ضره في موضع نصب مفعول يدعوا وليس شيء ؛ لأن اللام المفتوحة لا تزداد بين الفعل ومفعوله . وقال الفراء : إن اللام مقدمة عن موضعها والتقدير يدعو من لضره أقرب من نفعه ، وليس تجيد أيضا لأن لام الابتداء لا يتقدم على موضعها ، وأيضا ما في صلة الذي لا يتقدم عليه .
(١٥/٥)

هذا كلام قد دخله اختصار(١). والمعنى إن الله ناصر رسوله في الدنيا والآخرة؛ فمن كان يظن من حاسديه وأعدائه أن الله يفعل خلاف ذلك ويطمع فيه، ويغظه أنه يظفر بمطلوبه، فليستقص وسعه وليستفرغ مجهوده في إزالة ما يغظه، بأن يفعل ما يفعل من بلغ منه الغيط كل مبلغ حتى مد حبلا إلى سماء بيته فاختنق، فلينظر وليصور في نفسه أنه إن فعل ذلك هل يذهب نصر الله الذي يغظه؟ وسمي الاختناق قطعاً(٢)؛ لأن المختنق يقطع نفسه بحبس مجاريه. ومنه قيل للبهير: القطع وسمي فعله كيداً(٣) لأنه وضعه موضع الكيد، حيث لم يقدر على غيره. أو على سبيل الاستهزاء؛ لأنه لم يكذب به محسوده إنما كاد به نفسه. والمراد: ليس في يده إلا ما ليس بمذهب لما يغظه. وقيل: فليمدد بحبل إلى السماء المظلة، وليصعد عليه فليقطع الوحي أو ينزل عليه.

(١) قوله: هذا كلام قد دخله الاختصار . يعني قوله من كان يظن أن لن ينصره الله في الدنيا والآخرة يستدعي كلاماً ذكر فيه أن الله ينصر رسوله في الدنيا والآخرة ومنكراً ينكره لأن الضمير في ينصره يطلب مرجوعاً إليه ، ولن ينصره يوجب كلاماً أنكر فيه ما يصح أن يكون هذا رداً له كما سبق أنك تقول لصاحبك : لا أقيم غداً ، فإن أنكر عليك قلت : لن أقيم غداً .

(٢) قوله : وسمي الاختناق قطعاً . يعني كنى عن الاختناق به فإنه لازمه بقول العرب : قطع إذا اختنق ، والنهر النحلة التي تمنع التنفس .

(٣) قوله : سمي فعله كيداً وهو قوله : { فليمدد بسبب إلى السماء ثم ليقطع فلينظر } لأنه وضع موضع الكيد ، لأن المراد بالمد والقطع الكيد فكأنه قال : من كان يظن من حاسديه أن الله لا ينصره في الدنيا والآخرة فليستقص وسعه في إزالة ما يغظه وهو الكيد نفسه ادعاً فوضع موضعه فليمدد .. إلى آخره . [٥١] وعن بعضهم على غيره ؛ أي المناسبة بين ما فعل وبين الكيد هي أن الكائد كيده منتهى فعله وقدرته كما أن المد إلى آخره كذلك .

(١٦/٥)

وقيل: كان قوم من المسلمين لشدة غيظهم وحنقهم على المشركين يستبظون ما وعد الله رسوله من النصر، وآخرون من المشركين يريدون اتباعه ويخشون أن لا يثبت أمره. فنزلت. وقد فسر(١) النصر: بالرزق، وقيل: معناه أن الأرزاق بيد الله لا تنال إلا بمشيئته

ولا بد للعبد من الرضا بقسمته، فمن ظن أن الله غير رازقه وليس به صبر واستسلام،
 فليبلغ غاية الجزع وهو الاختناق، فإن ذلك لا يقلب القسمة ولا يردده مرزوقا.
 ٧y٩xçm٢"ur sY9u"Rr& آيات :M"Ys٥i / وأن الله "د%ku% من
 لك%فحجمf اتدب

أي: ومثل ذلك الإنزال أنزلنا القرآن كله { آيات بينات و { لة { أن الله يهدي { به
 الذين يعلم أنهم يؤمنون. أو يثبت الذين آمنوا ويزيدهم هدى، أنزله كذلك مبينا.
 إن الذين آمنوا والذين هادوا والصابئين ٣"u | ء"Y9\$#ur والمجوس والذين
 &r°jûqà2u#)

إن الله يفصل Oك ÷gsY / يوم القيامة إن الله على كل شيء %i% ky اتدب
 الفصل مطلق يحتتمل الفصل بينهم في الأحوال والأماكن جميعا، فلا يجازيهم جزاء واحدا
 بغير تفاوت، ولا يجمعهم في موطن واحد. وقيل: الأديان خمسة: أربعة للشيطان وواحد
 للرحمان جعل الصابئون مع النصارى لأنهم نوع منهم. وقيل: { يفصل بينهم { يقضي بينهم،
 أي بين المؤمنين والكافرين. وأدخلت (٢) {

(١) قوله : وقد فسر النصر بالروق فعلى هذا لا اختصار في الكلام ، والضمير ينصره لكل
 أحد وهو راجع إلى من .
 (٢) قوله : وأدخلت إن على كل واحد من جزئي الجملة . قال الزجاج : خبر إن الأولى في
 الآية لجملة الكلام مع إن الثانية وقد زعم قوم أن قولك إن زيدا أنه قائم ردي ، وأن
 هذه الآية إنما صلحت في الذي ، ولا فرق بين الذي وغيره في باب لو قلت : (إن زيدا إنه
 قائم) كان جيدا ، ومثله قول جرير
 إن الخليفة إن الله سربله ... سربال ملك به ترجى الخواتيم

وليس بين البصريين خلاف في أن إن تدخل على كل ابتداء وخبر تقول : إن زيدا هو قائم ،
 وإن زيدا إنه قائم ، وإلا رجا السوق ، والمراد بالخواتيم الملك .
 (١٧/٥)

إن الذين ءامنوا والذين هادوا والصابئين والنصاريا والمجوس والذين أشركوا؟ إن الله
 يفصل بينهم يوم القيامة إن الله علما كل شيء شهيد { على كل واحد من جزأي الجملة
 لزيادة التوكيد. ونحوه قول جرير:

إن الخليفة إن الله سريله ... سريال ملك به ترجى الخواتيم

والقمر
والتجوم م gù:\$#ur!A\$t7 والشجر والدواب ضئجد ur۲U من الناس يئجد Wx.ur
xm", عليه

العذاب ومن ا`خ %okç الله فما له من BQ حج ۳-B إن الله يفعل ما يشاء (اترب
(١٨/٥)

سميت مطاوعتها له فيما يحدث فيها من أفعاله ويجريها عليه من تدبيره وتسخير له:
سجودا له، تشبيها لمطاوعتها(١) بإدخال أفعال المكلف في باب الطاعة والانقياد، وهو
السجود الذي كل خضوع دونه، فإن قلت: فما تصنع بقوله: { وكثير من الناس } وبما فيه
من الاعتراضين، أحدهما: أن السجود على المعنى الذي فسرت به، لا يسجده بعض الناس
دون بعض. والثاني: أن السجود قد أسند على سبيل العموم إلى من في الأرض من الإنس
والجن أولا، فإسناده إلى كثير منهم آخرا مناقضة؟ قلت: لا أنظم كثيرا في المفردات

المتناسقة الداخلة تحت حكم الفعل، وإنما أرفعه بفعل مضمر يدل عليه قوله: { يسجد }
أي ويسجد له كثير من الناس سجود طاعة وعبادة. ولم أقل: أفسر يسجد الذي هو ظاهر
بمعنى الطاعة والعبادة في حق هؤلاء؛ لأن اللفظ الواحد لا يصح استعماله في حالة
واحدة على معنيين مختلفين، أو أرفعه على الابتداء والخبر محذوف وهو مثاب، لأن خبر
مقابله يدل عليه، وهو قوله: { حق عليه العذاب } ويجوز أن يجعل (من الناس)(٢)

(١) قوله : تشبيها لمطاوعتها هذا بيان لتمهيد الاستعارة ؛ لأنها نوع من المجاز الذي
العلاقة فيه التسمية ، يعنى استعار السجود المتعارف وهو وضع الجبهة على الأرض خضوعا
للباري لمطاوعة الأشياء له فيما يحدث فيها من أفعاله لعلاقة الحصول على وفق إرادته
من غير امتناع منها . قيل : فيكون كل نوع من أنواعه المختلفة سواء كان حقيقة أو
مجازا .

(٢) قوله : ويجوز أن يجعل من الناس خبرا له . أي لكثيره وهو نكرة صرفة . قال صاحب
التقريب : مصححة التنوين نحو : شرا هرد أناب ، أي كثير له فصل واعتداد لا يخفى على

أحد وهم المؤمنون الكاملون لكونه مقابلاً لقوله : { وكثير حق عليه العذاب } ، ويجوز أن يكون المصحح وقوعه مع ضرر من يضاده فيكون كتعريف غير إذا وقع بين مدين ، هكذا قيل
 ..وأقول : مصححه أنه قد يخصص بالعطف عليه كما في قوله تعالى : { طاعة وقول معروف } فإن طاعة مبتدأ نكره لكنه يخصص بالعطف عليه كما ذكر ذلك المالكي .
 (١٩/٥)

خبيراً له، أي: من الناس الذين هم الناس (١) على الحقيقة وهم الصالحون والمتقون. ويجوز أن يبالغ في تكثير المحقوقين بالعذاب، فيعطف كثير على كثير، ثم يخبر عنهم بحق عليهم العذاب، كأنه قيل: وكثير وكثير من الناس حق عليهم العذاب، وقرئ "حق" بالضم. وقرئ: "حقاً" أي حق عليهم العذاب حقاً. ومن أهانه الله (٢) - بأن كتب عليه الشقاوة لما سبق في علمه من كفره أو فسقه - فقد بقي مهاناً لن تجد له مكرماً. وقرئ: "مكرم" بفتح

الراء بمعنى الإكرام. إنه { يفعل ما يشاء } من الإكرام والإهانة ولا يشاء من ذلك إلا ما يقتضيه عمل العاملين واعتقاد المعتقدين.
 * هذان خصمان اختصموا في Nخh5u' فالذين كفروا قطعت لهم ثياب من نار يصب من فوق

مNخ'ânrâ (19دNمJutù:\$# يصهر به ما في Nخqdkن/ ك٢0) qè=ègù:\$#ur ولهم
 مقامع من حديد (٢١) كلما أرادوا أن يخرجوا منها من غم أعيدوا فيها وذوقوا عذاب ب،فح
 اثنى \$:utù

(١) قوله : من الناس الذي هم الناس على الحقيقة . يعني يحمل التعريف في الناس على تعريف الجنس إذا أطلق بعضه اعتبر الكلام فيه ، ولهذا قال : وهم الصالحون المتقون .
 (٢) قوله : من أهانه الله . والقرآن من يهن مؤذن ثانياً ، والمضارع في الآية للدلالة على الاستمرار لا المطلق الأخير .
 (٢٠/٥)

الخصم(١): صفة وصف بها الفوج أو الفريق، فكأنه قيل: هذان فوجان أو فريقان مختصمان وقوله: { هذان } للفظ. و { اختصموا } للمعنى، كقوله: { ومنهم من يستمع إليك حتى إذا

خرجوا { (محمد: ١٦) ولو قيل: هؤلاء خصمان. أو اختصما: جاز يراد المؤمنون والكافرون. قال ابن عباس رجع إلى أهل الأديان الستة { في ربهم { أي في دينه وصفاته. وروي: أن أهل الكتاب قالوا للمؤمنين: نحن أحق بالله، وأقدم منكم كتابا، ونبينا قبل نبيكم. وقال المؤمنون: نحن أحق بالله، آمنا بمحمد، وآمنا بنبيكم وبما أنزل الله من كتاب، وأنتم تعرفون كتابنا ونبينا ثم تركتموه وكفرتكم به حسدا، فهذه خصومتهم في ربهم { فالذين كفروا { هو فصل الخصومة المعنى بقوله تعالى: { إن الله يفصل بينهم يوم القيامة { (الحج: ١٧) وفي رواية عن الكسائي: "خصمان" بالكسر، وقرأ: "قطعت" بالتخفيف، كأن الله تعالى يقدر لهم نيرانا على مقادير جثثهم تشتمل عليهم كما تقطع الثياب الملبوسة. ويجوز أن تظاهر على كل واحد منهم تلك النيران كالثياب المظاهرة على اللابس بعضها فوق بعض. ونحوه { سرايلهم من قطران { (إبراهيم: ٥٠). }

(١) قوله: الخصم صفة وصفها الفرح. الجوهري: الخصم يستوي فيه الجمع والمؤنث لأنه في الأصل مصدر، ومن العرب من يثنيه ويجمعه. وقال المصنف - رحمه الله -: الخصم الخصماء يقع على الواحد والجمع فتناه على تأويل فريقان خصمان، وقيل: الخصم اسم جمع كالركب فتناه على تأويل للفرقتين أو الجماعتين، ومعنى يظهر يجمع، ومعنى ما أقلوها ما رفعوها.

(٢١/٥)

الحميم { الماء الحار عن ابن عباس رضي الله عنه: لو سقطت منه نقطة على جبال الدنيا لأذابتها { يصهر { يذاب وعن الحسن بتشديد الهاء للمبالغة، أي: إذا صب الحميم على رؤوسهم كان تأثيره في الباطن نحو تأثيره في الظاهر، فيذيب أحشاءهم وأمعاءهم كما يذيب جلودهم، وهو أبلغ من قوله: { وسقوا ماء حميما فقطع أمعاءهم { (محمد: ١٥) والمقامع: السياط في الحديث "لو وضعت مقمعة منها في الأرض فاجتمع عليها الثقلان ما أقلوها"، وقرأ الأعمش: "ردوا فيها" والإعادة والرد لا يكون إلا بعد الخروج. فالمعنى: كلما أرادوا أن يخرجوا منها من غم (١) فخرجوا أعيدوا فيها. ومعنى الخروج: ما يروى عن الحسن أن النار تضربهم بلهبها فترفعهم، حتى إذا كانوا في أعلاها ضربوا بالمقامع فهووا فيها سبعين خريفا (٢) وقيل لهم { ذوقوا عذاب الحريق { والحريق: الغليظ من النار المنتشر العظيم الإهلاك.

(١) قوله : أن يخرجوا منها من غم . قال أبو البقاء : من غم يدل بإعادة الحافظ بدل الاشتغال ، وقيل الأولى لابتداء الغاية ، والثانية بمعنى من أجل ، وقيل : الغم هنا يعطيه العذاب لهم ، والأخذ يكظمهم ، وقيل : هو مصدر غمت الشيء غطيته ، أي كلما أرادوا أن يخرجوا مما يغمهم من العذاب أعيدوا فيه .

(٢) قوله : سبعين خريفا . كان العرب يؤرخون أعوامهم بالخريف ؛ لأنه كان أول جدادهم ومطافهم وأدرك علامتهم ، وكان الأمر على ذلك حتى أرخ عمر - رضي الله عنه - بسني الهجرة .

(٢٢/٥)

إن الله م @ ١/2 z ١/2 م f الذين آمنوا وعملوا الصالحات "Mys" = ٩٤٢ # جنات "حج grB من تحتها الأنهار

٢ c q = u t فيها من أساور من ذهب ولؤلؤا ولباسهم فيها ضج f حج 23 x m) وهدوا إلى الطيب

من القول وهدوا إلى إق u ١/2 د 24 % # J u t : \$ # إن الذين كفروا ويصدون عن سبيل الله

د ١/2 f % u r # 9 J y Q # u s 9 \$ # الذي جعلناه للناس سواء العاكف فيه والباد ومن

٥ ح م f فيه

بالحاد بظلم نذقه من عذاب أليم ائخب

}

(٢٣/٥)

يحلون { عن ابن عباس: من حليت المرأة فهي حال { ولؤلؤا { بالنصب على: ويؤتون لؤلؤا، كقوله: وهورا عينا. ولؤلؤا بقلب الهمزة الثانية واوا. ولوليا؛ بقلبهما واوين، ثم بقلب الثانية ياء كأدل. ولول (١) كأدل فيمن جر. ولؤلؤ، وليليا، بقلبهما ياءين، عن ابن عباس: وهداهم الله وألهمهم أن يقولوا الحمد لله الذي صدقنا وعده، وهداهم إلى طريق الجنة. يقال: فلان يحسن إلى الفقراء وينعش المضطهدين، لا يراد حال ولا استقبال، وإنما يراد استمرار وجود الإحسان منه والنعشة في جميع أزمته وأوقاته.

ومنه قوله تعالى: { ويصدون عن سبيل الله { أي الصدود منهم مستمر دائم (٢) { للناس { أي الذين يقع عليهم اسم الناس من غير فرق بين حاضر وباد وتانيء وطاريء ومكي وآفاقي (٣). وقد استشهد به أصحاب أبي حنيفة قائلين: إن المراد بالمسجد الحرام: مكة،

على امتناع جواز بيع دور مكة وإجارتها. وعند الشافعي: لا يمتنع ذلك.

(١) قوله: ولول كأدل. أي من حيث الصورة، ومعنى ينغض يرتفع، والمضطهد المقهور المضطر.

(٢) قوله: أي الصدود منهم مستمر دائم وهو من عطف المستقل على الماضي، يعني أن صدودهم كان دائما مستمرا لا مترقبا، وكذلك فالأن يحسن إلى الفقراء في مقام المدح لأنك لا تريد به الأخيار بأنه سيفعله في الزمان الآتي؛ بل يريد أن ذلك دابة وعادته التي نشأ عليها، والثاني بالهمز المقيم.

(٣) قوله: وآفاقي. قال المصنف - رحمه الله -: المسموع من العرب أفقي وأفقي وهو

القياس والاستعمال لأن النسبة إلى الواحد واستعمال لفظها أفقي وهو صحيح، لأنه أريد الخارجي أي الخارج من المواقيت فكان بمنزلة الأنصاري حيث أريدت القبيلة. (٢٤/٥)

وقد حاور إسحاق بن راهويه فاحتج بقوله: {الذين أخرجوا من ديارهم} (الحج: ٤٠)، (الحشر: ٨) وقال: أنسب الديار إلى مالكيها، أو غير مالكيها؟ واشترى (١) عمر بن الخطاب رضي الله تعالى عنه دار السجن من مالكيه أو غير مالكيه؟ {سواء} بالنصب: قراءة حفص. والباقون على الرفع. ووجه النصب أنه ثاني مفعولي جعلناه، أي: جعلناه مستويا {العاكف فيه والباد} وفي القراءة بالرفع. الجمعة مفعول ثان. الإلحاد: العدول عن القصد، وأصله إلحاد الحافر. وقوله: {إلحاد بظلم} حالان مترادفتان. ومفعول {يرد} متروك ليتناول كل متناول، كأنه قال: ومن يرد فيه مرادا ما عادلا عن القصد ظالما {نذقه من عذاب أليم} يعني أن الواجب على من كان فيه أن يضبط نفسه ويسلك طريق السداد والعدل في جميع ما يهم به ويقصده. وقيل: الإلحاد في الحرم: منع الناس عن عمارته. وعن سعيد بن جبير: الاحتكار.

(١) قوله: واشترى هو استفهام، وقوله: من مالكيه أو من غير مالكيه، الصواب من مالكيها أو من غير مالكيها؛ لأن الدار مؤنثة إلا أن تتناول بالمكان، وقد أجيب عما احتج به الشافعي بأن الإضافة قد تكون بأدنى ملابسة فيجوز أنت كون الديار بسبب إليهم؛ لأنهم لو كانوا ساكنين فيها، وبأن عمر - رضي الله عنه - اشترى البناء دون الأرض

، وأرضى بالثمن صاحب البناء لحاجة العامة إليه ، ولإمام من ذلك ما ليس لغيره .

[٥٢]

والفسطاط : السرادق ، قيل : هو صرف من الأبنية ، و..... هي التي تلتوي في هبوتها ،
وقيل : هي الشديدة .

قوله : ورحالي جمع رحلات كسكارى وسكران بمعنى الراحل . قال علي:

بيت الله رحلان حافيا ... إذا لاقتها في سلامة زيارة

(٢٥/٥)

وعن عطاء: قول الرجل في المبايعة: "لا والله، وبلى والله، وعن عبد الله بن عمر أنه
كان له فسطاطان، أحدهما: في الحل، والآخر في الحرم، فإذا أراد أن يعاتب أهله عاتبهم
في الحل، فقيل له، فقال: كنا نحدث أن من الإلحاد فيه أن يقول الرجل: لا والله وبلى
والله". وقرئ: "يرد" بفتح الياء من الورود، ومعناه من أتى فيه بالإلحاد ظالما. وعن
الحسن: ومن يرد إلحاده بظلم. أراد: إلحادا فيه، فأضافه على الاتساع في الظرف، كمكر
الليل: ومعناه من يرد أن يلحد فيه ظالما. وخبر إن محذوف لدلالة جواب الشرط عليه،
تقديره: إن الذين كفروا ويصدون عن المسجد الحرام نذيقهم من عذاب أليم؛ وكل من ارتكب
فيه ذنبا فهو كذلك. عن ابن مسعود: الهمة في الحرم تكتب ذنبا.

وإذ بؤنا ٥d'u٥\ { مكان دM٥#t79 أن لا تشرك 'د ١ x"Z\$ © وطهر بيتي
رؤدع

!©=د رؤدج ٥!ur\$9s والركع السجود ائذب

واذكر حين جعلنا { لإبراهيم مكان البيت { مباءة، أي: مرجعا يرجع إليه للعمارة

والعبادة. رفع البيت إلى السماء أيام الطوفان وكان من ياقوتة حمراء، فأعلم الله

إبراهيم مكانه بريح أرسلها يقال لها: الخجوج، كنست ما حوله، فبناه على أسه القديم.

وأن هي المفسرة. فإن قلت: كيف يكون النهي عن الشرك والأمر بتطهير البيت تفسيرا

للتبوءة؟ قلت: كانت التبوءة مقصودة من أجل العبادة، فكأنه قيل: تعبدنا إبراهيم قلنا

له: { لا تشرك بي شيئا وطهر بيتي { من الأصنام والأوثان والأقذار أن تطرح حوله.

وقرئ: "يشرك" بالياء على الغيبة.

وأذن في الناس ٥dkutù\$خ/ x8qè?ù'tf رجالا وعلى كل ضامر يأتين من كل فج

عميق ائذب

}

(٢٦/٥)

وأذن في الناس { ناد فيهم. وقرأ ابن محيصة: "وأذن" والنداء بالحج: أن يقول: حجوا، أو عليكم بالحج. وروي أنه صعد أبا قبيس فقال: يا أيها الناس حجوا بيت ربكم. وعن الحسن أنه خطاب لرسول الله ، أمر أن يفعل ذلك في حجة الوداع { رجالا { مشاة جمع

راجل، كقائم وقيام. وقرئ: "رجالا" بضم الراء مخفف الجيم ومثقلة، ورجالي كعجالي عن ابن عباس { وعلى كل ضامر { حال معطوفة على حال، كأنه قال: رجالا وركبانا { يأتين { صفة لكل ضامر، لأنه في معنى الجمع. وقرئ: "يأتون" صفة للرجال والركبان. والعميق: البعيد، وقرأ ابن مسعود: "معيق". يقال: بئر بعيدة العمق والمعق.

ليشهدوا يدع "sYtB لهم ويذكروا اسم الله في &Q\$fro معلومات على ما رزقهم من بهيمة

الأنعام فكلوا منها وأطعموا { ح !t69\$#\$! الفقير ائرب
(٢٧/٥)

نكر(١) المنافع لأنه أراد منافع مختصة بهذه العبادة دينية ودينية لا توجد في غيرها من العبادات. وعن أبي حنيفة رحمه الله: أنه كان يفاضل بين العبادات قبل أن يحج، فلما حج فضل الحج على العبادات كلها، لما شاهد من تلك الخصائص، وكنى عن النحر والذبح بذكر اسم الله، لأن أهل الإسلام لا ينفكون عن ذكر اسمه(٢) إذا نحروا أو ذبحوا. وفيه(٣) تنبيه على أن الغرض الأصلي فيما يتقرب به إلى الله أن يذكر اسمه، وقد حسن الكلام تحسينا بينا(٤) أن جمع بين قوله: { ويذكروا اسم الله { ، وقوله: { على ما رزقهم { ولو قيل: لينحروا في أيام معلومات بهيمة الأنعام، لم تر شيئا من ذلك الحسن والروعة(٥) الأيام المعلومات. الأيام العشر(٦)

(١) قوله : نكر المنافع . يعني التنكير فيها على تفخيمها وتنكيرها بحيث لا يوجد في غيرها .

(٢) قوله : لأن أهل الإسلام لا ينفكون عن ذكر اسمه إذا نحروا تعليل الصحة الكناية والانتقال من اللازم إلى المألوم فإن الشرط فيها أن تكون الملازمة إما في نفس الأمر أو بالادعاء أو العرف .

(٣) قوله : وفيه أي في العرف من النحر والذبح إلى ذكر اسم الله إدماج وإشارة إلى أن

العرض الأصل في العبادات ذكر اسم الله تعالى .

(٤) قوله : وقد حسن الكلام تحسينا بينا إن جمع . يعني جمع بين ذكر الرازق والمرزوق

على طريق التعليل وذلك أن إن رتب ذكر اسم الله على الوصف المناسب وهو كونه رزقا منه ، ويؤيده قوله تعالى : { ولكل أمة جعلنا منسكا ليدذكروا اسم الله على ما رزقهم من بهيمة الأنعام } فإنه صريح بالمقصود ، ومع هذه النكتة الجليلة روعي فيه معنى الأجمال والتفصيل .

(٥) قوله : والروعة هي الجنس الذي يهتز له القلب كأنها أخذت من الروح وهو القلب ؛ لأنه محل الروح ، يقال : (راعني كفرا) إذا وقع في قلبي الروح .

(٦) قوله : أيام العشر . أي أيام الليالي العشر على حذف الموصوف كقولهم : أيام البيض ، أي أيام الليالي البيض ..

(٢٨/٥)

عند أبي حنيفة، وهو قول الحسن وقتادة. وعند صاحبيه: أيام النحر. البهيمة: مبهمة في كل ذات أربع في البر والبحر، فبينت بالأنعام: وهي الإبل والبقر والضأن والمعز. الأمر بالأكل منها أمر إباحة، لأن أهل الجاهلية كانوا لا يأكلون من نسائهم، ويجوز أن يكون ندبا لما فيه من مساواة الفقراء ومواساتهم ومن استعمال التواضع. ومن ثمة استحباب الفقهاء أن يأكل الموسع من أضحيتته مقدار الثلث. وعن ابن مسعود أنه بعث بهدي وقال فيه: إذا نحرته فكل وتصدق وابعث منه إلى عتبة، يعني ابنه. وفي الحديث: (٧٠٦) "كلوا وادخروا وابتجروا"(١).

{ البائس } الذي أصابه بؤس أي شدة: و { الفقير } الذي أضعفه الإعسار.

ثم ليقتضوا تفتنهم وليوفوا نذورهم وليطوفوا بالبيت العتيق اثرب

قضاء التفث: قص الشارب والأظفار ونتف الإبط والاستحداد، والتفث: الوسخ، فالمراد قضاء إزالة التفث. وقرئ: "وليوفوا" بتشديد الفاء { نذورهم } مواجب حجهم، أو ما عسى يندرونه من أعمال البر في حجهم { وليطوفوا } طواف الإفاضة، وهو طواف الزيارة الذي هو من أركان الحج، ويقع به تمام التحلل. وقيل: طواف الصدر، وهو طواف الوداع { العتيق } القديم، لأنه أول بيت وضع للناس عن الحسن. وعن قتادة: أعتق من الجبابرة،

كم من جبار سار إليه ليهدمه فمنعه الله. وعن مجاهد: لم يملك قط. وعنه: أعتق من الغرق. وقيل: بيت كريم، من قولهم: عتاق الخيل والطير. فإن قلت: قد تسلط عليه الحجاج فلم يمنع. قلت: ما قصد التسلط على البيت، وإنما تحصن به ابن الزبير، فاحتال لإخراجه

أن الوثن تحقق له العبادة، فكأنه قال: فاجتنبوا عبادة الأوثان التي هي رأس الزور، واجتنبوا قول الزور كله لا تقربوا شيئاً منه لتمامه في القبح والسماجة. وما ظنك بشيء من قبيله عبادة الأوثان.

(١) قوله : ولما حث على تعظيم حرمانه وأجحد من يعظمها أتبعه الأمر باجتناب الأوثان إشارة إلى أن قوله ذلك : { ومن يعظم حرمات الله } محمول على أحد الوجهين السابقين وهو العموم المشار إليه بقوله : فيحتمل أن يكون عاما في تكاليفه ليدخل فيه المحرمات التي تتعلق بالحج دخولا أوليا ، وأن قوله : حلت لكم الأنعام ، وقوله : { فاجتنبوا الرجس من الأوثان } تعريض وإيماء إلى بيان النوعين من قبائح المشركين ؛ أحدهما : تحريم السوائب والحوامي ونحوها ، وتحليلهم الميتة والدم وغيرهما ، وثانيهما : عكوفهم على عبادة الأوثان ، فأتى بهما تخصيصا بعد تعميم للإيذان بأنهما من أعظم أنواع المحرمات ، ثم ضم مع عبادة الأوثان قول الزور ولم يعطفه عليها بل أعاد الفعل لتكون مستقلا في الأمر بالاجتناب عنه ، وما اكتفى بذلك بل جعل التعريف للجنس ليكون من باب عطف العام على الخاص .

(٣١/٥)

وسمى الأوثان رجسا(١) وكذلك الخمر والميسر والأزلام، على طريق التشبيه. يعني: أنكم كما تنفرون بطباعكم عن الرجس وتجتنبونه، فعليكم أن تنفروا عن هذه الأشياء مثل تلك النفرة. ونبه على هذا المعنى بقوله: { رجس من عمل الشيطان فاجتنبوه } (المائدة: ٩٠) جعل العلة في اجتنابه أنه رجس(٢)، والرجس مجتنب { من الأوثان } بيان للرجس وتمييز

له، كقولك: عندي عشرون من الدراهم؛ لأن الرجس مبهم يتناول غير شيء، كأنه قيل: فاجتنبوا الرجس الذي هو الأوثان. والزور والأزوار وهو الانحراف، كما أن الإفك من أفكه إذا صرفه. وقيل: { قول الزور } (الحج: ٣٠) قولهم: هذا حلال وهذا حرام، وما أشبه ذلك من افتراءهم. وقيل: شهادة الزور.

(١) قوله : وسمى الأوثان رجسا وكذلك الخمر والميسر والأزلام على طريق التسمية وذلك أنه تعالى حيث قال : { فاجتنبوا الرجس } تناول بظاهره كلما ينفر عنه النفس والطبيعة من القاذورات ، وحين ينبه بقوله : { من الأوثان } علم بسببه الأوثان به كقوله تعالى : { حين يتبين لكم الخيط الأبيض من الخيط الأسود من الفجر } ، ولما قال : { إنما

الخمر والميسر والأنصاب رجس { فهم منه للتشبيه لعدم صحة الجمل ، فكأنه قيل : هي
الرجس كقولك : زيدا أسد ، لكن الأول من التنبيه الواقع على طريق التجريد فجرد من
الرجس شيء سمي وثنا وهو هو والجهة الجامعة بتنكير النفس ، وإليه الإشارة بقوله :
كما ينفرون بطباعكم عن ارجس وتجتنبوه فعليكم أن ينفروا عن هذه الأشياء .
(٢) قوله : جعل العلة في اجتنابه أنه رجس . يعني جميع الأشياء في معنى الرجس ، ثم
رتب على ذلك بالفاء قوله : { فاجتنبوا } ترتيبا للحكم على الوصف المناسب .
(٣٢/٥)

عن النبي صلى الله عليه وسلم: (٧٠٧) أنه صلى الصبح فلما سلم قام قائما واستقبل
الناس بوجهه وقال: "عدلت شهادة الزور الإشراف بالله، عدلت شهادة الزور الإشراف
بالله، عدلت شهادة الزور الإشراف بالله"، وتلا هذه الآية. وقيل: الكذب والبهتان.
وقيل: قول أهل الجاهلية في تلييتهم: لبيك لا شريك لك إلا شريك هو لك تملكه وما
ملك(١). ويجوز في هذا التشبيه(٢)

(١) قوله : وما ملك . قيل : يريدون أن ذلك الشريك لم يملك شيئا ، أي ما نافية لا
موصولة كما قد يتوهم .
(٢) قوله : ويجوز في هذا التشبيه أن يكون المركب والمفرد فالمركب يحوز أن يكون

عقليا بأحد الزيدة والخاصة من المجموع ، وأن يكون تمثيلا بأن شبه الحالة المنتزعة
بمثلها واو في قوله : { أو تهوي } للتخيير وهو المختار عند المصنف ؛ لأن المشبه هو
المشرك ، والمشبه به من خر من السماء ، والجار منها بين حالتين إما أن { تخطفه
الطير } أو { تهوي به الريح } ، فإن { أو تهوي } عطف على { فتخطفه الطير } وهو على
خر .

قال أبو البقاء : خر بمعنى يخر ولذا عطف عليه [٥٣] { فيتخطفه } ، وقيل : في إشار
المضارع إشعار باستحضار تلك الحالة العجيبة في مشاهدة المخاطب تعجبا له ، وإذا أو
على للتخيير أمكن حمله التسمية على المعنيين كما قال في قوله تعالى : { أو كصيب من
السماء } معناه أن كيفية صفة المنافقين مشبهة بكيفيتي هاتين الصفتين وأن القضيتين
سواء في استقلال كل واحدة منهما بوجه التمثيل فبأيتهما مثلتها فأنت مصيب ، وإن
مثلتهما بهما جميعا فكذلك ، ولذا عطف على المفروق .

أن يكون من المركب والمفرق. فإن كان تشبيها مركبا فكأنه قال: من أشرك بالله فقد أهلك (١) نفسه إهلاكا ليس بعده نهاية، بأن صور حاله بصورة حال من خر من السماء فاختطفته الطير، فتفرق مزعا (٢) في حواصلها، أو عصفت به الريح حتى هوت به في بعض المطاوح البعيدة. وإن كان مفرقا فقد شبه الإيمان في علوه بالسماء، والذي ترك الإيمان وأشرك بالله بالساقط من السماء، والأهواء التي تتوزع أفكاره بالطير المختطفة، والشيطان الذي يطوح (٣) به في وادي الضلالة بالريح التي تهوي بما عصفت به في بعض المهاوي المتلفة. وقرئ: "فتخطفه" (٤) بكسر الخاء والطاء (٥). وبكسر التاء مع كسرهما، وهي قراءة الحسن. وأصلها: تختطفه. وقرئ: "الرياح".

(١) قوله : فقد أهلك نفسه إهلاكا ليس بعده أسم ليس حمير مستتر ، أي ليس إهلاك بعده

(٢) قوله : فتفرق مزعا التمزيع التفريق ، والمزعة - بالضم والسكون - قطعة لحم .

)

(٣) قوله : والشيطان الذي يطوح بالواو على الأهواء التي تنوزع لتؤذن به أن أو تهوي به عطف على فيتخطفه ، والمجموع تشبيه واحد وعطف في المركب قوله : { أو عصفت به الريح } على قوله : { يخر من السماء } ، والمجموع تشبيهان ؛ لأن المركب يكفي فيه أحد الزيدة من كل واحد من المعطوف ، والمعطوف عليه بخلاف المفرق فإنه كلما كانت المتفردات أكثرها إلى التسمية أحسن وفي القول أدخل .

(٤) قوله : وقرئ { فيتخطفه الطير } يعني بالفتحات أصله : (فتختطفه) نقلت حركة التاء إلى الخاء وأدغمت في الطاء .

(٥) قوله : وتكسر الخاء والطاء أصله تختطفه أيضا حذفت حركة التاء ثم أدغمت ، وحركت الخاء بالكسر لالتقاء الساكنين ، وأتبع الطاء الخاء ، وتكسر الطاء مع كسرهما ، أي مع كسر الخاء والتاء ، ووجه هذا مثل وجه الأول إلا أنه كسر التاء أيضا ، فلذلك جعل المصنف الثاني والثالث كالوجه الواحد وقال : (أصلهما) يريد أصل الأول وأصل الثاني والثالث .

sYtB ومن يعظم شعائر الله فإنها من تقوى القلوب (٣٢) لكم فيها كدے "sCE٩dy7 إلى

تعزيز (١) الشعائر - وهي الهدايا، لأنها من معالم الحج -: أن يختارها عظام

الأجرام حسنا سماتا غالبية الأثمان، ويترك المكاس في شرائها، فقد كانوا يغالون في ثلاث - ويكرهون المكاس فيهن -: الهدى (٢)، والأضحية، والرقبة. وروى ابن عمر عن أبيه رضي الله عنهما: (٧٠٨) أنه أهدى نجية طلبت منه بثلاثمائة دينار، فسأل رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يبيعها ويشتري بثمنها بدنا، فنهاه عن ذلك وقال: "بل أهدها".

(٧٠٩) وأهدى رسول الله صلى الله عليه وسلم مائة بدنة، فيها جمل لأبي جهل في أنفه برة من ذهب. وكان ابن عمر يسوق البدن مجللة بالقباطي (٣) فيتصدق بلحومها وبجلالها، ويعتقد أن طاعة الله في التقرب بها وإهدائها إلى بيته المعظم أمر عظيم لا بد أن يقام به ويسارع فيه { فإنها من

)

(١) قوله : تعظيم مبتدأ ، والخبر أن يختارها . وقوله : وهي الهدايا تفسير الشعائر ، وقوله : لأنها من معالم الحج ، قيل : هو تعليل التسمية بالشعائر ، ويؤيده تفسير الشعائر بالهدايا في هذا المقام قوله تعالى في آخر الآية الثالثة : { ثم محلها إلى البيت العتيق } . وقلت : الظاهر أنه تعليل لتعظيم الشعائر أي الهدايا ؛ يعني إنما عطفت بسبب أنها من معالم الحج . والمكاس من المكس وهو النقص ، والمراد به استقصاء المشتري في نقصان الثمن .

(٢) قوله: الهدى والأضحية والرقبة بيان لثلاث إذا قرئت بالكسرة ، وإن رفعت فهي خبر مبتدأ محذوف ، والنرة حلقة من صفر يجعل في أنف البعير .

(٣) قوله : بالقباطي والقبطة ثياب رفاق ينص من ثياب مصر كأنها منسوبة إلى القبط وهم أهل مصر ، وضم القاف من تغيير النسب ، وفي هذا في الثياب ، وأما في الناس فقبطي بالكسر .

(٣٥/٥)

تقوى القلوب { أي فإن تعظيمها من أفعال ذوي تقوى القلوب، فحذفت هذه المضافات، ولا

(١) قوله : ولا يستقيم المعنى إلا بتقديرهما لأنه لا بد من راجع ، أي لا بد من رابط يربط الجزاء بالشرط ، والارتباط يحصل يدوي لتناوله { من } فيستغنى عن الضمير . قال صاحب التقريب : وفيه نظر ؛ لأنه إنما يحتاج إلى المضمرات إذا جعل من للتبعيض ، فإن جعلت للابتداء لم يحتج إلى إضمار أفعال ولا ذوي ؛ إذ المعنى إنما تعظمها بالشيء من تقوى القلوب .

وأجيب : المعنى لو كان كما ذكر للذم عدم ارتباط الخبر بالمبتدأ وأن يكون فعل شخص واحدج بأشياء من تقوى قلوب متعددة ، والتالي باطل بيان الشرطية أنه قدر هكذا ، فإن تعظيمه إياها شيء من تقوى القلوب ، فقد لزم الأمر الثاني وإلا فقد لزم الأول . وقال الطيبي : فعلى هذا أتى على قول صاحب التقريب لا بد من جعل اللام بدلا من المضاف إليه للربط كما أن الراجع من تقدير المصنف ما دل عليه عموم تقوى القلوب .

وقال أبو البقاء : والعائد على من محذوف ، أي فإن تعظيمها منه أو من تقوى القلوب منهم ، ويخرج على قول الكوفيين التقدير من تقوى قلوبهم ، والألف واللام بدل من الضمير .

(٣٦/٥)

لأنه لا بد من راجع من الجزاء إلى { من تقوى القلوب } ليرتبط به، وإنما ذكرت القلوب (١) لأنها مراكز التقوى التي إذا ثبتت فيها وتمكنت ظهر أثرها في سائر الأعضاء. { إلى أجل مسمى } إلى أن تنحر ويتصدق بلحومها ويؤكل منها. و { ثم محلها إلما البيت العتيق } للتراخي في الوقت. فاستعيرت للتراخي في الأحوال. والمعنى: أن لكم في الهدايا منافع كثيرة في دنياكم ودينكم، وإنما يعتد الله بالمنافع الدنيوية، قال سبحانه: { تريدون عرض الدنيا والله يريد الآخرة } (الأنفال: ٦٧) وأعظم هذه المنافع وأبعدها شوطا في النفع: محلها إلى البيت { أي وجوب نحرها. أو وقت وجوب نحرها في الحرم منتهية إلى البيت، كقوله: { هديا بالغ الكعبة } والمراد نحرها في الحرم الذي هو في حكم البيت؛ لأن الحرم هو حريم البيت. ومثل هذا في الاتساع قولك: بلغنا البلد، وإنما شارفتموه واتصل مسيركم بحدوده. وقيل: المراد بالشعائر: المناسك (٢) كلها، و { محلها إلى البيت العتيق } ياباه.

(١) قوله : وإنما ذكرت القلوب لأنها مراكز التقوى . يعني أطلقت القلوب على الجملة كلها إطلاقاً للتبويض على الكل لذلك مجازاً أو نحوه { فإنه آثم قلبه } وإلا فالمتقي ، والآثم هو الجملة أعني الإنسان .

(٢) قوله : وقيل المراد بالشعائر المناسك كلها عطف من حيث المعنى على قوله : وهي الهدايا ، ورد المنصف هذا القول بأن قوله : { ثم محلها إلى البيت العتيق } تأتي من هذا القول ؛ لأنه لا يتصور ذلك في المناسك كلها ؛ بل إنما تتصور في الهدايا .
(٣٧/٥)

ولكل أمة sYù=yèy\$ منسكا ليذكروا اسم الله على ما رزقهم من بهيمة الأنعام فإلهم إلهه n`ur%٥%٥# (٣٤) وبشر المختبين (٣٤) الذين إذا uچد.èŒ الله وجلت قلوبهم

والصابرين على ما أصابهم والمقيمي #9\$=o4qnd ومما رزقناهم ينفقون اجنب
(٣٨/٥)

شرع الله لكل أمة أن ينسكوا له: أي يذبحوا لوجهه على وجه التقرب، وجعل العلة في ذلك أن يذكر اسمه تقديساً لأسماؤه على الناسك: قرئ { منسكا } بفتح السين وكسرهما، وهو مصدر بمعنى النسك، والمكسور يكون بمعنى الموضع { فله أسلموا } أي أخلصوا له الذكر خاصة (١)،

(١) قوله : أي أخلصوا له الذكر خاصة واجهلوا لوجهه سالماً . فأخلصوا تفسير لقوله : وأسلموا ، وقوله : (خاصة) تأكيد له ، وتأويل لتقديم الجار والمجرور على عامله ؛ وإنما قيد { أسلموا } - وهو مطلق - بأخلصوا ؛ لأن قوله : { أسلموا } مترتب على قوله : { ولكل أمة جعلنا منسكا ليذكروا اسم الله } فالفاء في { فاستبقوا الخيرات } بعد قوله : { ولكل وجهة هو موليها } . قال المصنف : لكل أمة قبله يتوجه منكم ومن غيركم فاستبقوا أنتم الخيرات واستبقوا إليها غيركم من أمر القبلة وغيرها ، وهاهنا لما كانت الجملة أعني قوله : { ولكل أمة جعلنا منسكا ليذكروا اسم الله } متضمنة لمعنى الإخلاص ؛ لأن المقصود الأولى من الذبح ذكر اسم الله ، ولا ارتياب أن الذكر لا يكون مبعده أنه إذا كان مشوباً بشيء من الرياء ، ولهذا قال [٥٤] أي يذبحوا لوجهه على نحو التقرب . قوله : { فله أسلموا } المفيد للإخلاص منطوقاً ومفهوماً مسبباً عنها ، ولما

أريد مزيد الحض والبعث على ذلك أوقع { فإلهكم إله واحد } في الدين تمهيدا للثاني وجعله مسببا عن السابق وسببا لللاحق ، والمصنف - رحمه الله - لم يذكر هذا التمهيد واكتفى بذكر السابق واللاحق ، فكأنه شرع لكل أمة من الأمم السالفة والحاضرة منكم ومن غيركم أن تنحروا النسيكة خالصا لوجهه وتخلصوا له الذكر ، وإذا كان كذلك فأنتم أيها العصابة من أمة محمد أخرى بذلك ؛ لأن إلهكم إله واحد فأخلصوا له الذكر خاصة ، واجعلوه لوجهه سالما خالصا كما قال هناك : فاستبقوا الخيرات واستبقوا إليها غيركم

من أهل القبلة وغيرها ، وفيه تعريض بالمشركين ..

(٣٩/٥)

واجعلوه لوجهه سالما، أي: خالصا لا تشوبوه بإشراك.

المخبتون: المتواضعون الخاشعون، من الخبث وهو المطمئن من الأرض. وقيل: هم الذين لا يظلمون، وإذا ظلموا لم ينتصروا. وقرأ الحسن: { والمقيمي الصلاة } بالنصب على تقدير النون (١). وقرأ ابن مسعود: "والمقيمين الصلاة" على الأصل.

والبدن sYù=yè"yg\$ _ لكم من شعائر الله لكم فيها شرح yz فاذكروا اسم الله عليها صواف

فإذا وجبت جنوبها فكلوا منها وأطعموا القانع زèI÷yk7 ur y\$J9xx. سخرناها لكم

yès9=³N تشكرون اجذب

}

(١) قوله : بالنصب على تقدير النون وإنما حذفت تخفيفا لطول الصلة مع الموصول كما حذفت في قول الشاعر :

إن والذي حانت تفلح دماؤهم

وفي قوله :

ابني كليب إن عمى اللذا

(٤٠/٥)

البدن { جمع بدنة، سميت لعظم بدنها وهي الإبل خاصة، ولأن رسول الله صلى الله عليه وسلم ألحق البقر بالإبل (١) حين قال: (٧١٠) "البدنة عن سبعة، والبقرة عن سبعة"؛ فجعل البقر في حكم الإبل، صارت البدنة في الشريعة متناولة للجنسين عند أبي حنيفة وأصحابه، وإلا فالبدن هي الإبل وعليه تدل الآية (٢)، وقرأ الحسن: "والبدن"، بضميتين، كثر في جمع ثمرة. وابن أبي إسحاق بالضميتين وتشديد النون على لفظ الوقف (٣). وقرئ بالنصب والرفع كقوله: { والقمر قدرناه { (يس: ٣٩). { من شعائر الله { أي من أعلام الشريعة التي شرعها الله. وإضافتها إلى اسمه: تعظيم لها { لكم فيها خير { كقوله: { لكم فيها منافع { ومن شأن الحاج أن يحرص على شيء فيه خير ومنافع بشهادة الله. عن بعض السلف أنه لم يملك إلا تسعة دنانير، فاشتري بها بدنة، فقليل له في ذلك، فقال: سمعت ربي يقول: { لكم فيها خير { وعن ابن عباس: دنيا وآخرة. وعن إبراهيم: من احتاج إلى ظهرها ركب، ومن احتاج إلى لبنها شرب. وذكر اسم الله: أن يقول عند النحر: الله

أكبر لا إله إلا الله والله أكبر، اللهم منك وإليك { صواف { قائمات قد صففن أيديهن وأرجلهن. وقرئ: "صوافن" من صفون الفرس، وهو أن يقوم على ثلاث وينصب الرابعة على طرف سنبكه؛ لأن البدنة تعقل إحدى يديها فتقوم على ثلاث. وقرئ: "صوافي" أي: خوالص لوجه الله. وعن عمرو بن عبيد: صوافنا، بالتشوين عوضا من حرف الإطلاق عند الوقف.

(١) قوله : ولأن رسول الله صلى الله عليه ألحق البقر بالإبل تعليل لما يراد عقبيه ،
والجملة معطوفة على قوله : سميت لعظم بدنها جنسا تناولا للتنوعين الإبل والبقر .
(٢) قوله : وعليه تدل الآية . أي على أن المراد بالبدن الإبل ؛ لأن قوله : { من
شعائر الله { ، وقوله : { واذكروا اسم الله عليها صواف { ، وقوله : { فإذا وجبت
جنوبها { من خصائص نحر الإبل .

(٣) قوله : على لفظ الوقف عطاء منك متقرب بها إليك .

(٤١/٥)

وعن بعضهم: صواف نحو مثل العرب. أعط القوس باريها (١)، يسكون الياء.
وجوب الجنوب: وقوعها على الأرض، ومن وجب الحائط وجبة إذا سقط. ووجبت الشمس
جبة:

غربت. والمعنى: فإذا وجبت جنوبها وسكنت نساءها (٢) حل لكم الأكل منها والإطعام {

القانع { السائل، من قنعت إليه وكنعت: إذا خضعت له وسألته قنوعا { والمعتر {
المعترض بغير سؤال، أو القانع الراضي بما عنده وبما يعطي من غير سؤال، من قنعت قنعا
وقناعة. والمعتر: المعترض بسؤال. وقرأ الحسن: والمعترى. وعره وعراه واعتراه واعتره:
بمعنى. وقرأ أبو رجاء: القنع، وهو الراضي لا غير. يقال: قنع فهو قنع وقانع.
{ كذلك سخرناها { (٣) من الله على عبادة واستحمد إليهم بأن سخر لهم البدن مثل
التسخير الذي رأوا وعلموا، ويأخذونها منقادة للأخذ طيعة فيعقلونها ويحبسونها صافة
قوائمها، ثم يطعنون في لبانها. ولولا تسخير الله لم تنطق، ولم تكن بأعجز من بعض
الوحوش التي هي أصغر منها جرما وأقل قوة، وكفى بما يتأبد من الإبل شاهدا وعبرة.

لن ينال الله لحومها ولا دماؤها ولكن يناله التقوى منكم ٩du٩y7xx. \$ydu٩y7TMO,yج
لكم

(#مزة٩di9s3çG الله على ما هداكم وبشر المحسنين اجذب

(١) قوله : اعط القوس باريها . أي استعن على علمك بأهل المعرفة والعلم والحدق ،
وتنشد :

يا باري القوس يوما لست تحسنها ... لا تفسدنها واعط القوس باريها

(٢) قوله : نسائسها قيل : أي يقيه أنفاسها جميع تسييسه وهي النفس ، قيل : التسييس
تقية الروح .

(٣) قوله : كذلك سخرناها . قال أبو البقاء : كذلك الكاف نعت لمصدر محذوف أي
سخرناها

تسخيرا مثل ذلك التسخير العجيب الشأن ، واللباب الصدور ، والتأبد التوحش .
(٤٢/٥)

أي: لن يصيب رضا الله اللحوم المتصدق بها ولا الدماء المهرقة بالنحر، والمراد
أصحاب اللحوم والدماء، والمعنى: لن يرضى المضحون والمقربون ربهم إلا بمراعاة النية
والإخلاص والاحتفاظ بشروط التقوى في حل ما قرب به، وغير ذلك من المحافظات الشرعية
وأوامر الورع. فإذا لم يراعوا ذلك، لم تغن عنهم التضحية والتقريب وإن كثر ذلك منهم.
وقرىء: "لن تنال الله، ولكن تناله" بالتاء والياء. وقيل: كان أهل الجاهلية إذا

نحروا البدن نضحوا الدماء حول البيت ولطخوه بالدم، فلما حج المسلمون أرادوا مثل ذلك، فنزلت.

كرر(١) تذكير النعمة بالتسخير ثم قال: لتشكروا الله على هدايته إياكم لأعلام دينه ومناسك حجه، بأن تكبروا وتهللوا، فاختصر الكلام بأن ضمن التكبير معنى الشكر، وعدى تعديته.

* إن الله كد fم%oü`y عن الذين (ZtB#uûmq#) إن الله لا يحب كل خوان كفور
اجرب

(١) قوله : كرر تذكير النعمة . يعني قال : قيل هذا كذلك التكبير معنى الشكر وعداه
يعلى ؛ وإنما حسن تسمية الشكر بالتكبير لأن التكبير على هدايته الله تعالى المكلف
لأعلام الدين ومناسك الحج هو النداء على الجميل بحسب إحسانه وليس معنى الشكر
اللساني إلا هذا ، فوضع التكبير هاهنا موضع الشكر كوضع يذكروا الله في قوله تعالى :
}

ليشهدوا منافع لهم ويذكروا الله اسم الله في أيام معلومات على ما رزقهم من بهيمة
الأنعام { موضع يتجردوا للأيدان بأن المقصود الأولى من شرعية الأحكام التوحيد وذكر
الله وحده .
(٤٣/٥)

خص المؤمنين بدفعه عنهم ونصرته لهم، كما قال: { إنا لننصر رسلنا والذين آمنوا {
(غافر: ٥١) وقال: { إنهم لهم المنصورون { (الصف: ١٧٢) قال: { وأخرى تحيونها نصر
من الله وفتح قريب { (الصف: ١٣) وجعل العلة في ذلك(١) أنه لا يحب أضدادهم: وهم
الخنوة الكفرة الذين يخونون الله والرسول ويخونون أماناتهم ويكفرون نعم الله
ويغبطونها. ومن قرأ: { يدافع { فمعناه يبألغ في الدفع عنهم، كما يبألغ من يغالب
فيه؛ لأن فعل المغالب يجيء أقوى وأبلى.

أذن للذين يقاتلون بأنهم (#Jkà=دك وإن الله على نصرهم لقدير (٣٩) الذين
(#mq_حج÷zé& من dNدحج"tfدث بغير d,xm@ إلا أن يقولوا 'z/sY\$ الله
ولولا دفع الله

الناس بعضهم ببعض لهدمت كد¹ | B`uq | وبيع ش¹ur = | N`uqn=ك¹f% | ،tBur،
يذكر فيها اسم الله

#[جدV ٢ ولينصرن الله من ٤١/4مژfYt إن الله لقوي f"ح"م (٤٠) الذين إن
مكناهم

في الأرض أقاموا الصلاة وآتوا الزكاة وأمروا بالمعروف ونهوا عن حج3ك\$J9# ولله
عاقبة الأمور احتب
}

(١) قوله : جعل العلة في ذلك أنه لا يحب أضدادهم لأن في أن معنى التعليل . الطيبي :
يعني أن الله تعالى إنما ينصر المؤمنين لما أنه يبغض أضدادهم . فإن قلت : أليس هذا
كقولك إنما أحبك لبغض فلان ، وهذا يؤدي إلى أنه لولا بغض فلان لما أحبتك . قلت :
لا ؛ لأن المعنى أن الله ينصر الذين آمنوا بالله ورسوله ؛ لأنهم لم يخونوا الله
ورسوله ، ولم يخونوا أماناتهم ، ومع ذلك يشكرون نعم الله ولا يغمطونها ، وكذلك لا
يحب من هو خلاف ما هو عليه من الخيانة والكفران ويدفع سرهم عنهم ، وغمط النعمة
الاستهانة بها .
(٤٤/٥)

أذن { و { يقاتلون { قرأنا على لفظ المبني للفاعل والمفعول جميعا: والمعنى: أذن لهم
في القتال، فحذف المأذون فيه لدلالة يقاتلون عليه { بأنهم ظلموا { أي بسبب كونهم
مظلومين وهم أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم: (٧١١) كان مشركون مكة يؤذونهم
أذى
شديدا، وكانوا يأتون رسول الله صلى الله عليه وسلم من بين مضروب ومشجوج يتظلمون
إليه، فيقول لهم: "اصبروا فإنني لم أؤمر بالقتال"، حتى هاجر فأنزلت هذه الآية، وهي
أول آية أذن فيها بالقتال بعد ما نهى عنه في نيف وسبعين آية. وقيل: نزلت في قوم
خرجوا مهاجرين فاعترضهم مشركو مكة فأذن لهم في مقاتلتهم. والأخبار بكونه قادرا على
نصرهم عدة (١) منه بالنصر واردة على سنن كلام الجبابة، وما مر من دفعه عن الذين
آمنوا مؤذن بمثل هذه العدة أيضا: { أن يقولوا { في محل الجر على الإبدال من { حق
إلا أن يقولوا ربنا الله ولولا دفع الله الناس بعضهم ببعض لهدمت صوامع وبيع وصلوات
ومساجد يذكر فيها اسم الله كثيرا ولينصرن الله من ينصره إن الله لقوى عزيز { أي
بغير موجب سوى التوحيد الذي ينبغي أن يكون موجب الإقرار والتمكين لا موجب الإخراج
والتسيير.

(١) قوله : عدده منه بالنصرة واردة على سنين كلام الجبابة ، أي عدده منه بالنصرة خارجة قاطعة ، لأن من ديدن الجبابة وأوضاعهم أن يقتصروا في مواعيدهم التي يوطنون أنفسهم على إنجازها أن يقولوا : عسى ، ولعل ، ونحوهما من الكلمات ، أو يخيلوا إخاله ، أو يظفر منهم بالزمرة ، وإذا عثر منهم على شيء من ذلك لم يبق لطالب ما عندهم شك في النجاح والفوز بالمطلوب . قاله في أول البقرة ، فعلى هذا أصل الكلام : قاتلوا الذين ظلموا فأنا أنصركم عليهم البتة ، فعدل إلى الفظ العظمة والكبرياء بقوله : كأنه قيل لمن هذا شأنه وعادته .

(٤٥/٥)

ومثله (١) : { هل تنقمون منا إلا أن آمنا بالله } (المائدة: ٥٩) .

دفع الله بعض الناس ببعض : إظهاره وتسليطه المسلمين منهم على الكافرين بالمجاهدة ، ولولا ذلك لاستولى المشركون على أهل الملل المختلفة في أزمته ، وعلى متعبداتهم فهدموها ، ولم يتركوا للنصارى بيعا ، ولا لرهبانهم صوامع ، ولا لليهود صلوات ، ولا للمسلمين مساجد . أو لغلب المشركون (٢) من أمة محمد على المسلمين وعلى أهل الكتاب الذين في ذمتهم وهدموا متعبدات الفريقين . وقرئ : "دفاع" ولهذمت : بالتخفيف . وسميت الكنيسة "صلاة" لأنه يصلى فيها . وقيل : هي كلمة معربة ، أصلها بالعبرانية : صلوثا { من ينصره } أي ينصر دينه وأولياءه : هو إخبار من الله عز وجل بظهور الغيب عما ستكون عليه سيرة المهاجرين رضي الله عنهم إن مكنهم في الأرض وبسط لهم في الدنيا ، وكيف يقومون بأمر الدين . وعن عثمان رضي الله عنه : هذا والله ثناء قبل بلاء (٣) . يريد : أن الله قد أثنى عليهم قبل أن يحدثوا من الخير ما أحدثوا . وقالوا : فيه دليل على صحة أمر الخلفاء الراشدين ؛ لأن الله لم يعط التمكين ونفاذ الأمر مع السيرة العادلة غيرهم من المهاجرين ، لاحظ في ذلك للأنصار والطلقاء . وعن الحسن : هم أمة محمد . وقيل : { الذين } منصوب بدل من قوله من ينصره .

(١) قوله : ومثله { هل ينقمون منا } . أراد أنه من باب قوله :

ولا عيب فيهم غير أن سيوفهم ... بهن فلول من قراع الكتائب

(٢) قوله : أو لعلب المشركون في أمة محمد عطف على قوله : لاستولى المشركون على أهل الملك المختلفة ، فعلى الأولى أراد بالمشركين العموم ، كما أن المراد بالمسلمين كذلك .

(٣) قوله : قبل بلاء . أي قبل صنيع حسن ، والطلاق جميع طليق فعيل [٥٥] بمعنى مفعول وهو الأسير إذا خلى سبيله وأطلق ، وهم الذين أطلقهم رسول الله صلى الله عليه يوم فتح مكة كأبي سفيان ومعاوية .
(٤٦/٥)

والظاهر (١) أنه مجرور، تابع للذين أخرجوا { ولله عاقبة الأمور } أي مرجعها إلى حكمه وتقديره. وفيه تأكيد لما وعده من إظهار أوليائه وإعلاء كلمتهم.

وإن fjs3/x8qç فقد كذبت قبلهم قوم نوح وعاد وشمود (٤٢) وقوم d'udtL/چ/خ) وقوم

لوط (٤٣) وأصحاب مدين وكذب موسى فأملت tûiحچدے "x6ù=د٩ ثم أخذتهم فكيف كان نكير اححب

يقول لرسوله تسليية له: لست بأوحد في التكذيب، فقد كذب الرسل قبلك أقوامهم، وكفاك بهم أسوة. فإن قلت: لم قيل: { وكذب موسى } ولم يقل: قوم موسى؟ قلت: لأن موسى ما كذبه قومه بنو إسرائيل، وإنما كذبه غير قومه وهم القبط. وفيه شيء آخر، كأنه قيل بعد ما ذكر تكذيب كل قوم رسولهم: وكذب موسى أيضا مع وضوح آياته وعظم معجزاته، فما ظنك بغيره.

التنكير: بمعنى الإنكار والتغيير، حيث أبدلهم بالنعمة محنة، وبالحياة هلاكا، وبالعمارة خرابا.

فكأين من قرية &sY3n=÷dr"yg\$ durs' { ظالمة فهي خاوية على عروشها وبئر yè-B.©#s'v

وقصر مشيد احخب

(١) قوله : الظاهر أنه مجرور تابع للذين أخرجوا مجرور باعتبار أن قوله : { ولينصرون الله من ينصره } جملة استطرادية فجعله تابع لما أصيل في الكلام أظهر من جعله تابعا للاستطرادي ، أو باعتبار أنه لما بين بقوله : { الذين أخرجوا من ديارهم } أنهم

موجودون ناسب أن يبين بهذا أنهم أقاموا الصلوة وآتوا الزكوة ، وأمروا بالمعروف ونهوا
عن المنكر لتكون نصا بكمال إيمانهم لجمعهم بين الإيمان والعمل الصالح .
(٤٧/٥)

كل مرتفع أظلك من سقف بيت أو خيمة أو ظلة أو كرم فهو "عرش" والخواوي: الساقط، من
خوى
النجم إذا سقط. أو الخالي، من خوى المنزل إذا خلا من أهله. وخوى بطن الحامل وقوله:
{ على عروشها } (١)

(١) قوله : وقوله على عروشها لا يخلوا إما أن تتعلق بخاوية ، قيل : أو الحاصل أنه
إذا تعلق بخاوية فإما أن تكون مفعولا به بالواسطة ، وإما أن تكون حالا ، فإن كان
مفعولا به كان خاوية بمعنى ساقطة لا غير ، وإن كان حالا جاز أن تكون خاوية بمعنى
ساقط أو خالية ، وقوله : إما أ تكون خبرا بعد خبر عطف من حيث المعنى على قوله : لا
يخلو من أن تتعلق لأنه في معنى إما على أن تتعلق .

وقال صاحب التقريب : وفي سلامتها على تفسيرها ساقطة نظر فعل لفظ ساقطة سهو من
الناسخ وتفسير بخالية لا غير ، أو المراد سقوط بعض الجدران عليها ، وقيل : لا يرد
إذا عرف وجه التقسيم ؛ لأن بناء التقسيم على أن الخاوي إما بمعنى الساقط أو بمعنى
الحالي ، وعلى عروشها إما طرف لغو ومستقر ، فقوله : أو خالية مع بقاء عروشها عطف
على ساقطة على سقوفها ، وقوله : أو إنها ساقطة عطف على أنها ساقطة على سقوفها أيضا
، المعنى لا يخلوا عن عروشها إما أن تتعلق بخاوية أو تكون خبرا بعد خبر ، وعلى
الأولى لا تخلوا خاوية من أن تكون بمعنى ساقطة أو خالية ، وعلى أن تكون بمعنى ساقطة
لا تخلوا إما أن تعتبر فيه معنى الاستعلاء وهو المراد من قوله : خرت سقوفها على
الأرض ثم تهدمت حيطانها فسقطت فوق السقوف ، أو أن يجعل خاوية أي ساقطة كناية عن
مطلق الخراب كما كنى بقوله : { سقط في أيديهم } عن الندم مطلقا وهو المراد من قوله
: وإنها ساقطة ، وعلى الثاني وهو أن يكون خبرا بعد خبر خاوية إما بمعنى ساقطة أو
خالية فاعتبر معنى الثاني بقوله : كأنه قيل هي خالية وهي على عروشها دون الأول ما
علم من قوله : خرت سقوفها على الأرض هذا المعنى فاندفع بقولنا : أو خالية مع بقاء
عروشها عطف على ساقطة على سقوفها النظر الذي أورده صاب التقريب .

وقال القاضي : والجملة - أي { وهي خاوية على عروشها } - عطف على ساقطة معطوفة على {

أهلكناها { لا على { وهي ظالمة { فإنها حال ، والإهلاك ليس حال خرابها فلا محل لها إن نصب كأين بمقدر يفسره أهلكناها ، وإن رفعته بالابتداء فمحلها الرفع ، وكذا عن أبي البقاء ، ومعنى مظلمة بالطاء غير المعجمة مسرفة .
(٤٨/٥)

لا يخلو من أن يتعلق بخاوية، فيكون المعنى أنها ساقطة على سقوفها، أي خرت سقوفها على الأرض، ثم تهدمت حيطانها فسقطت فوق السقوف. أو أنها ساقطة أو خالية مع بقاء

عروشها وسلامتها. وإما أن يكون خبرا بعد خبر، كأنه قيل: هي خالية، وهي على عروشها أي قائمة مطلة على عروشها، على معنى أن السقوف سقطت إلى الأرض فصارت في قرار الحيطان وبقيت الحيطان مائلة فهي مشرفة على السقوف الساقطة. فإت قلت: ما محل الجملتين من الإعراب أعني: { وهي ظالمة، فهي خاوية { ؟ قلت: الأولى في محل نصب على الحال، والثانية لا محل لها لأنها معطوفة على أهلكناها، وهذا الفعل (١) ليس له محل. وقرأ الحسن: معطلة، من أعطله بمعنى عطله. ومعنى المعطلة: أنها عامرة فيها الماء، ومعها آلات الاستقاء؛ إلا أنها عطلت، أي: تركت لا يستقما منها الهلاك أهلها. والمشييد: المخصص أو المرفوع البنيان. والمعنى: كم قرية أهلكنا؟ وكم بئر عطلنا عن سقاتها؟ وقصر مشيد أخليناه عن ساكنيه؟ فترك ذلك لدلالة معطلة عليه. وفي هذا دليل على أن { على عروشها { (٢) (البقرة: ٢٥٩)، (الكهف: ٤٤)، (الحج: ٤٥) بمعنى "مع" أوجه. روي: أن هذه بئر نز عليها صالح عليه السلام مع أربعة آلاف نفر ممن آمن به. ونجاهم الله من العذاب، وهي بحضرموت.

(١) قوله : وهذا الفعل .. إلى آخره . اعلم أن هذه صحيح على تقدير إن كالمقصودة بفعل يفسره أهلكناها ؛ لأن المفسر لا محل له ما الإعراب ، وأما على تقدير إن كأين مرفوعة بالابتداء وأهلكناها خبر فلا يصح ، وكذا على تقدير إن أهلكنا صفة لقرية أو الخبر محذوف .

(٢) قوله : وفي هذا دليل على أن على عروشها بمعنى مع أوجه . يعني تفسير { وهي خاوية على عروشها { بمعنى خالية مع بقاء عروشها أو سلامتها أولى من التفسير بأنها ساقطة لتناسب ما ذكره في قوله : { وبئر معطلة { ، و { قصير مشيدة { .

(٤٩/٥)

وإنما سميت بذلك لأن صالحا حين حضرها مات، وثمة بلدة عند البئر اسمها "حاضوراء"
بناها قوم صالح، وأمروا عليهم جلهمس بن جلاس، وأقاموا بها زمانا ثم كفروا وعبدوا
صنما، وأرسل الله إليهم حنظلة ابن صفوان نبيا فقتلوه، فأهلكهم الله وعطل بئرهم وخرّب
قصورهم.

أفلم (r#مٲرچا،o" في الأرض فتكون لهم قلوب يعقلون بها أو آذان يسمعون بها
sù*pk®X\$خ

لا تعمى الأبصار ولكن تعمى القلوب التي في الصدور احذب
(٥٠/٥)

يحتمل أنهم لم يسافروا فحثوا على السفر؛ ليروا مصارع من أهلكهم الله بكفرهم،
ويشاهدوا آثارهم فيعتبروا. وأن يكونوا قد سافروا ورأوا ذلك ولكن لم يعتبروا، فجعلوا
كأن لم يسافروا ولم يروا. وقرئ: "فيكون لهم قلوب" بالياء، أي: يعقلون ما يجب أن
يعقل من التوحيد، ويسمعون ما يجب سماعه من الوحي { فإنها } الضمير ضمير الشأن
والقصة، يجيء مذكرا ومؤنثا، وفي قراءة ابن مسعود: فإنه. ويجوز أن يكون ضميرا مبهما
يفسره { الأبصار } وفي تعمي ضمير راجع إليه. والمعنى: أن أبصارهم صحيحة سالمة لا
عمى بها. وإنما العمى بقلوبهم. أولا يعتد بعمى الأبصار، فكأنه ليس بعمى بالإضافة
إلى عمى القلوب. فإن قلت: أي فائدة في ذكر الصدور؟ قلت: الذي قد تعورف واعتقد أن
العمى على الحقيقة مكانه البصر، وهو أن تصاب الحدقة بما يطمس نورها. واستعماله في
القلب استعارة ومثل، فلما أريد إثبات ما هو خلاف المعتقد من نسبة العمى إلى القلوب
حقيقة ونفيه عن الأبصار، احتاج هذا التصوير إلى زيادة تعيين وفضل تعريف، ليتقرر أن
مكان العمى هو القلوب لا الأبصار، كما تقول: ليس المضاء للسيف ولكنه للسانك الذي
بين فكيك، فقولك: "الذي بين فكيك" تقرير لما ادعيته للسانه وتثبيت لأن محل
المضاء (١) هو هو لا غير، وكأنك قلت: ما نفيت المضاء عن السيف وأثبتته للسانك فلتة
ولا سهوا مني، ولكن تعمدت به إياه بعينه تعمدا.

ur"o,f÷ètGì=y7tRqè بالعذاب ولن f=د#y†ن الله وعده وإن يوما عند ربك كألف

سنة مما

تعدون (٤٧) وكأين من قرية أملت لها {durs' ظالمة ثم أخذتها وإلي مٲرچاء#yJ9\$

)

(١) قوله : وتثبيت لأن محل المضاء هو اللام في لأن للوصل إلا للتعليل تقديره وتثبيت
لاختصاص اللسان يكون المضاء ، ومعنى فلتة فجأة .
(٥١/٥)

أنكر استعجالهم بالمتوعد به من العذاب العاجل أو الآجل، كأنه قال: ولم يستعجلون به؟
كأنهم يجوزون الفوت، وإنما يجوز ذلك على ميعاد من يجوز عليه الخلف، والله عز وعلا
لا يخلف الميعاد وما وعده ليصيبهم ولو بعد حين، وهو سبحانه حلیم لا يعجل، ومن حلمه
ووقاره (١) واستقصاره المدد الطوال أن يوما واحدا عنده (٢)

(١) قوله : ومن حلمه ووقاره (الانتصاف) . الوقار يفهم منه لغة سكون الأعضاء
وطمأنينتها عند المعجزات فلا يجوز إطلاقه على الله كالأناة والتؤدة . وأما قوله
تعالى : { ما لكم لا ترجعون لله وقارا } فهو مفسر بالعظمة فليس هذا ، الطيبي : هذا
مبني على أن أسماء الله تعالى توقيفية ، وأنه لا يجوز أن يستعمل الوقار إلا على
العظمة لما ورد وإلا فلا يجوز ذلك أيضا . قلت : ما المانع أن يكون مراد المصنف
بالوقار العظمية ولعل قصده كذلك ؟ .
(٢) قوله : وإن يوما واحدا عنده كألف سنة عندهم . يعني قوله : { وإن يوما عند ربك
كألف سنة } إما محمول على القصد وهو إنما يكون بالنسبة إلى الله تعالى وهو المراد
من قوله : وإن يوما واحدا عنده كألف سنة ، فالمدة الطويلة عنده قصيرة ، أو على
الطول وهو بالنسبة إلى العبد ؛ فإن أيام الشدائد مستطالة فالיום القصير عنده طويل
وهو المراد من قوله : يوم واحد من أيام عذابه كألف سنة عندهم ، هذا بحسب الرفاهية .

وأما بحسب أيام عذابكم فيوم عذابه بمنزلة ألف سنة من سني عذابكم ، وتحقيق هذا أنه
ذكر ثلاثة أوجه ؛ الأول : أن [٥٦] المدد الطول على الإطلاق عند الله ، والثاني : أن
يوم العذاب الواحد طويل بمنزلة ألف سنة من أيام الراحة ، الثالث : أن يوم العذاب
الواحد لشدة عذابه بمنزلة ألف سنة من سني العذاب .

كألف سنة عندكم. قيل: معناه كيف يستعجلون بعذاب من يوم واحد من أيام عذابه في طول ألف سنة من سنيكم؛ لأن أيام الشدائد مستطالة. أو كأن ذلك اليوم الواحد لشدّة عذابه كألف سنة من سني العذاب. وقيل: ولن يخلف الله وعده في النظرة والإمهال. وقرئ: "تعدون" بالناء والياء، ثم قال: وكم من أهل قرية كانوا مثلكم ظالمين قد أنظرتهم حيناً ثم أخذتهم بالعذاب والمرجع إلي وإلى حكمي. فإن قلت: لم كانت الأولى معطوفة بالفاء، وهذه بالواو؟ قلت: الأولى وقعت بدلا عن قوله (١): { فكيف كان نكير } (الحج: ٤٤)، (سبأ: ٤٥)، (فاطر: ٢٦)، (الملك: ١٨) وأما هذه فحكمها حكم ما تقدمها من الجملتين المعطوفتين بالواو، أعني قوله: { ولن يخلف الله وعده وإن يوما عند ربك كألف سنة } .

قل يا أيها الناس إنما أنا لكم نذير ×ûü× (٧-49) B فالذين آمنوا وعملوا
 دM"=dys"\$٩ء# لهم ou×چدےB` ورزق زOfحج50. x. والذين سعوا في آياتنا
 حtûi"ف"Bayè
 أولئك أصحاب لبا\$spgù# اختب

(١) قوله : الأولى وقعت بدلا عن قوله : { فكيف كان نكير } . وأما هذه فحكمها حكم ما تقدمها من الجملتين .
 قال صاحب الفرائد : أراد أن مجموع قوله : فكأين .. إلى آخره متعقب لجملة ما تقدمه ؛ لأن إهلاك الجماعة المذكورين من قوله : نوح وعاد - إلى قوله - : (كذب موسى) إهلاك كبير ، فمعنى كأين .. إلى آخره من لوازم ما تقدم فكان متعقبا له فوجب أن يكون تالفا بخلاف قوله : { وكأين من قرية أملت .. } إلى آخره ؛ لأن ما قبله لم يستلزمه فيجب أن يكون بالواو ليفيد اجتماعهما في الحصول .
 (٥٣/٥)

يقال: سعت في أمر فلان، إذا أصلحه أو أفسده بسعيه. وعاجزه: سابقه؛ لأن كل واحد منهما في طلب إعجاز الآخر عن اللحاق به، فإذا سبقه قيل: أعجزه وعجزه. والمعنى: سعوا في معناها بالفساد من الطعن فيها، حيث سموها: سحرا وشعرا وأساطير، ومن تثبيط الناس

عنها سابقين(١) أو مسابقين في زعمهم، وتقديرهم طامعين أن كيدهم للإسلام يتم لهم. فإن قلت: كأن القياس أن يقال: إنما أنا لكن بشير ونذير، لذكر الفريقين بعده. قلت: الحديث مسوق إلى المشركين. ويا أيها الناس: نداء لهم، وهم الذين قيل فيهم: { أفلم

يسيروا في الأرض { (يوسف: ١٠٩)، (الحج: ٤٦)، (غافر: ٨٢)، (محمد: ١٠) ووصفوا
بالاستعجال. وإنما أفحم المؤمنون وثوابهم ليغاظوا.
وما أرسلنا من %s٦=dy7 من رسول ولا نبي إلا إذا تمنى ألقى الشيطان في أمنيته فينسخ
الله ما يلقي الشيطان ثم يحكم الله آياته والله ي Oتد=تو ز Oتث=xm٣ اخشب
{ من رسول ولا نبي { دليل بين على تغاير الرسول والنبي. وعن النبي
أنه سئل عن الأنبياء فقال:
)

(١) قوله : سابقين أو مسابقين حال من فاعل سعوا ، وقد يأول معاجزين أولا بسابقين ؛
وإنما جاء على لفظ المفاعلة قصد المبالغة ، وإلى هذا أشار بقوله من الطعن فيها حيث
سموها سحرا وشعرا وأساطير ، ومن يتشبط الناس عنها . وثانيا بمسابقين في زعمهم ،
فعلى هذا المفاعلة حقيقية .
(٥٤/٥)

(٧١٢) "مائة ألف وأربعة وعشرون ألفا" قيل: فكم الرسل منهم؟ قال: "ثلثمائة وثلاثة عشر
جما غفيرا". والفرق بينهما أن الرسول(١) من الأنبياء: من جمع إلى المعجزة الكتاب
المنزل عليه. والنبي غير الرسول: من لم ينزل عليه كتاب وإنما أمر أن يدعو الناس إلى
شريعة من قبله. والسبب في نزول هذه الآية(٢):)

(١) قوله : إن الرسول من الأنبياء من جمع إلى المعجزة الكتاب . والنبي لم ينزل عليه
كتاب ، وقيل : الأولى أن يقال : أن من جاءه الملك ظاهرا ، أو أمره بدعوة الحق فهو
رسول ، ومن رأى في النوم أو أخبره رسول بأنه نبي فهو نبي لما يلزم من ذلك القوم أن
إسحاق ويعقوب وأيوب ويونس وهارون وسليمان لم يكونوا رسلا .
(٢) قوله : والسبب في نزول هذه الآية .. إلى آخره . قيل : هذا مردود عند المحققين ،

والمراد بالتمني إما القراءة ، أو تمني القلب ، فإذا قلنا أن التمني بمعنى القراءة
فالمعنى أن الرسول إذا قرأ سها فيما يجوز السهو عنه ، وتشبيهه على القارئ دون ما
رواه من مدح الأصنام .

وإذا قلنا أنه معنى القلب فالمراد أن الرسول إذا أراد فعلا مقربا إلى الله تعالى
ألقى الشيطان في فكره ما يخالفه فيرجع إلى الله في ذلك ، فيرفع الله تعالى ذلك

الغلط وتلك الوسوسة عن القلب .

وقال المرتضى علم الهدى - رحمه الله - في كتاب تنزيه الأنبياء : ليس يقتضي ظاهر الآية إلا أحد أمرين ؛ إما أن يريد بالتمني التلاوة كما قال حسان :

تمنى كتاب الله أول ليلة ... وآخره لا في حمام المقادر

أو يريد بالتمني تمني القلب ، فإن أراد التلاوة كان المراد من { أرسلنا من قبلك من الرسل } كان إذا تلا ما يؤديه إلى قومه حرفوا عليه وزادوا فيما يقوله ونقصوا كما فعلت اليهود في الكذب على أنبيائهم عليهم السلام ، فأضاف ذلك إلى الشيطان لأنه يقع بوسوسته ، ثم بين أن الله تعالى يزيل ذلك ويدحضه بظهور حجته ، وينسخه ويحسم حادثة ، وإنما خرجت الآية على هذا الوجه مخرج التسلية له عليه السلام لما كذب المشركون عليه وأضافوا إلى تلاوته من مدح آلهتهم ما لم يكن فيها .

وإذا كان المراد تمني القلب فالوجه في الآية أن الشيطان لما تمنى النبي عليه السلام بقلبه بعض ما تمناه من الأمور يوسوس إليه الشيطان بالباطل ، ويحدثه بالمعاصي ، ويعرفه بها ، ويدعوه إليها ، فالله تعالى ينسخ ذلك ويبطله بما يرشده إليه من مخالفة الشيطان وعصيانه وترك استماع غروره .. إلى آخر ما ذكر .
(٥٥/٥)

(٧١٣) أن رسول الله صلى الله عليه وسلم لما أعرض عنه قوم وشاقوه وخالفه عشيرته ولم يشايعوه على ما جاء به: تمنى لفرط ضجره من إعراضهم ولحرصه وتهالكه على إسلامهم أن لا ينزل عليه ما ينفرهم، لعله يتخذ ذلك طريقاً إلى استمالتهم واستنزالهم عن غيهم

وعنادهم، فاستمر به ما تمناه حتى نزلت عليه سورة "والنجم" وهو من نادي قومه، وذلك التمني في نفسه، فأخذ يقرأها فلما بلغ قوله: { ومناة الثالثة الأخرى } (النجم: ٢٠): { ألقى الشيطان في أمنيته } التي تمنّاها، أي: وسوس إليه بما شيعها به، فسبق لسانه على سبيل السهو والغلط إلى أن قال: تلك الغرائيق العلى(١)، وإن شفاعتهن لترتجى. وروي: الغرائقة، ولم يفتن له حتى أدركته العصمة

(١) قوله : تلك الغرائيق العلى النهاية . الغرائيق هنا الأصنام ، وهي في الأصل الذكور من طير الماء ، وأحدها غرنوق وغرنيق سمي لبياضه ، وكان يزعمون أن الأصنام

تقربهم إلى الله وتشفع لهم فشبهت بالطيور التي تعلقوا في السماء وترتفع .
(٥٦/٥)

فتنبه عليه، وقيل: نبهه جبريل عليه السلام. أو تكلم الشيطان فأسمعه الناس. فلما سجد في آخرها سجد معه جميع من في النادي وطابت نفوسهم، وكان تمكين الشيطان من ذلك محنة

من الله وابتلاء، زاد المنافقون به شكاً وظلمة، والمؤمنون نوراً وإيقاناً. والمعنى: أن الرسل والأنبياء من قبلك كانت هجيراًهم كذلك إذا تمنوا مثل ما تمنيت، مكن الله الشيطان ليلقي في أمانهم ما ألقى في أمنيته، إرادة امتحان من حولهم، والله سبحانه له أن يمتحن عباده بما شاء من صنوف المحن وأنواع الفتن، ليضاعف ثواب الثابتين، ويزيد في عقاب المذبذبين. وقيل: { تمنى } : قرأ. وأنشد: (١)

(١) قوله : تمنى كتاب الله أول ليلة . أي تمنى داود الزبور على رسل بالعقيم لأن آخره وصف اليوم بالعقيم على وجوه ؛ أحدهما : أنه على الإسناد المجازي أسند العقيم إلى اليوم على نحو قوله تعالى : { يوما يجعل الولدان شيبا } أصله يجعل الله تعالى الولدان في ذلك اليوم شيبا ، فالمعنى يوم يعقم الله تعالى النساء فيه لأنهن يصرن فيه ثكالى ، أسند العقيم إلى اليوم مبالغة ، ولما أن عقيم إلى هذا الوجه بمعنى ثكلى قيل : كأنهن عقم .

وثانيها : أنه من الاستعارة المكنية ، فستعار له اليوم ، والمستعار منه المرأة ، والجامع فقدان النتيجة ، وكما أن المرأة إذا فقدت الولد وصفت بالعقم – أي النكل – كذلك اليوم إذا فقد فيه المحاربون يوصف بالعقيم كأنه أهمهم ، ومثله قولهم : ابن اليوم ، وأبناء الزمان ، وأبناء الحرب ، والاستعارة واقعة في اليوم بأن شبه المرأة في فقدان ما اشتمل عليه [٥٧] تشبيهاً بليغاً ، ثم توهم أن اليوم المرأة على سبيل التخييل ، ثم أطلق اليوم الذي هو اسم التشبيه وأريد به المرأة المتخيلة والغريبة تشبه العقيم إليه .

وثالثها : أنه من التبعية ، فالمستعار ما في المرأة من الصفة التي تمنع الحمل ، والمستعار له ما في اليوم من عدم الخير فشبه عدم الخير بمنع الحمل ، ثم سرى من المصدر إلى الصفة المشبهة كقول قوم شعيب : { إنك لأنت الحليم الرشيد } ، فالاستعارة

واقعة في العقيم .

ورابعها : أن يكنى بمجموع قوله : { يوم عقيم } عن شدته وفظاعته كما يقال : إن النساء بمثله عقيم ، قال الحماسي :

عقم النساء أن يلدن بمثله عقيم
(٥٧/٥)

تمنى كتاب الله أول ليلة ... تمنى داود الربور على رسل

وأمنيته: قراءته. وقيل: تلك الغرائق: إشارة إلى الملائكة، أي: هم الشفعاء لا الأصنام { فينسخ الله ما يلقي الشيطان } أي يذهب به ويبطله { ثم يحكم الله آياته } أي يثبتها.

ليجعل ما يلقي الشيطان فتنة للذين في Nخكحè=qè% ضع uجB والقاسية قلوبهم وإن

à9\$#@="Jdûü لفي شقاق بعيد (٥٣) وليعلم الذين أوتوا العلم أنه الحق من 'nخy7

فيؤمنوا به فتخبت له قلوبهم وإن الله لهاد الذين (ZtB#uûmq#ن إلى ٧ق"uؤه
هOة-B.tG- اخحب

والذين { في قلوبهم مرض { المنافقون والشاكون { والقاسية قلوبهم { المشركون المكذبون { وإن الظالمين { يريد: وإن هؤلاء المنافقين والمشركين. وأصله: وإنهم، فوضع الظاهر موضع الضمير قضاء عليهم بالظلم { أنه الحق من ربك { أي ليعلموا أن

تمكين الشيطان من الإلقاء: هو الحق من ربك والحكمة { وإن الله لهاد الذين آمنوا إلى { أن يتأجلوا ما يتشابه في الدين بالتأويلات الصحيحة، ويطلبوا لما أشكل منه المحمل الذي تقتضيه الأصول والمحكمة والقوانين الممهدة، حتى لا تلحقهم حيرة ولا تعثرهم شبهة ولا تنزل أقدامهم. وقرئ: "لهاد الذين آمنوا" بالتنوين.

ولا tf"A#u الذين كفروا في مرية منه ؤسLxm تأتيهم الساعة بغتة أو يأتيهم عذاب يوم

عقيم اخحب

(٥٨/٥)

الضمير في { مرية منه } للقرآن أو الرسول . اليوم العقيم: يوم بدر، وإنما وصف يوم الحرب بالعقيم لأن أولاد النساء يقتلون فيه، فيصرون كأنهن عقم لم يلدن، أو لأن المقاتلين يقال لهم أبناء الحرب، فإذا قتلوا وصف يوم الحرب بالعقيم على سبيل المجاز. وقيل: هو الذي لا خير فيه، يقال: ربح عقيم إذا لم تنشيء مطرا ولم تلقح شجرا. وقيل: لا مثل له في عظم أمره لقتال الملائكة عليهم السلام فيه. وعن الضحاك أنه يوم القيامة، وأن المراد بالساعة مقادmate، ويجوز أن يراد بالساعة ويوم عقيم: يوم القيامة، كأنه قيل: حتى تأتيهم الساعة أو يأتيهم عذابها، فوضع { يوم عقيم } موضع الضمير.

الملك يومئذ الله يحكمك Nك ÷ gsY / فالذين آمنوا وعملوا دs"=ys"م\$٩ء# في جنات النعيم

(٥٦) والذين كفروا وكذبوا بآياتنا فأولئك لهم عذاب رg-B-üخ اخذب فإن قلت: التنوين في { يومئذ } عن أي جملة ينوب؟ قلت: تقديره: الملك يوم يؤمنون. أو يوم نزول مريتهم، لقوله(١): { ولا يزال الذين كفروا في مرية منه حتى تأتيهم الساعة . }

والذين هاجروا في سبيل الله ثم (#Fèd=ûqè% أو ماتوا ليرزقنهم الله رزقا \$ | YZ، xm وإن

الله لهو مژyz رg-üd%خ-ج\$٩ء# (٥٨) Nك ÷ zô=1/2Yn`g%م٩ s9

Wxyzô%-B يرضونه وإن الله

يOثد=yès9 ز Oثد=xm اخزب

(١) قوله : لقوله : { ولا يزال الذين كفروا في مرية منه } . يعني دل على تقدير يؤمنون تارة ، وعلى تقدير يزول مريتهم أخرى هذه الآية لأن الصلة مشتملة على الكفر وعلى المرية ، فإذا جعلت المعنى ما دل عليه الأول فقدر يؤمنون ، وإذا قدرت ما دل عليه الثاني فقدر يزول مريتهم .

(٥٩/٥)

لما جمعتهم المهاجرة في سبيل الله سوى بينهم في الموعد، وأن يعطى من مات منهم مثل ما يعطى من قتل تفضلا منه وإحسانا. والله عليم بدرجات العاملين ومراتب استحقاقهم }

حليم { عن تفريط المفرط منهم بفضله وكرمه، روي أن طوائف من أصحاب رسول الله ورضي عنهم قالوا: يا نبي الله، هؤلاء الذي قتلوا قد علمنا ما أعطاهم الله من الخير ونحن نجاهد معك كما جاهدوا، فما لنا إن متنا معك؟ فأُنزل الله هاتين الآيتين.

* sœ⁹dy7 ومن عاقب بمثل ما عوقب به ثم بغى عليه لينصرنه الله إن الله لعفو غفور

ادّٰب

(٦٠/٥)

تسمية الابتداء (١) بالجزاء لملاسته له من حيث أنه سبب وذاك مسبب عنه كما يحملون النظر على النظر والنقيض على النقيض للملاسة. فإن قلت: كيف طابق ذكر العفو الغفور هذا الموضع؟ قلت: المعاقب (٢) مبعوث من جهة الله عز وجل على الإخلال بالعقاب، والعفو عن الجاني - على طريق التنزيه لا التحريم - ومندوب إليه، ومستوجب عند الله المدح إن أثر ما ندب إليه وسلك سبيل التنزيه، فحين لم يؤثر ذلك وانتصر وعاقب، ولم ينظر في قوله تعالى: { فمن عفا وأصلح فأجره على الله { (الشورى: ٤٠)، { وأن تعفو أقرب للتقوى { (البقرة: ٢٣٧)، { ولمن صبر وغفر إن ذلك لمن عزم الأمور { (الشورى: ٤٣): فإن الله لعفو غفور، أي: لا يلومه على ترك ما بعثه عليه، وهو ضامن لنصره في كثرته الثانية من إخلاله (٣) بالعفو وانتقامه من الباغي عليه. ويجوز أن يضمن له النصر على الباغي (٤)،

(١) قوله : تسمية الابتداء بالجزاء . أي باسم الجزاء المارد بالابتداء قوله عوقب ، بالجزاء قوله عاقب ، وبالتسمية تسمية عقابا ؛ لأن ابتداء الفعل لا يسمى عقابا ، لأن العقاب من العقب وهو أن يعقب الفعل الأول .

(٢) قوله : المعاقب مبعوث بكسر القاف أي موصى بالعفو .

)

(٣) قوله : من إخلاله . قيل : هو بيان ما بعثه ، وقيل : هو متعلق بالثانية أي أنه أجل بالعفو كرتين ، فهذه الكرة هي الكرة الثانية من إخلاله بالعفو ، وقال بعضهم : هو متعلق بقوله : لعفو ، أي يعفو من إخلاله ، ويجوز أن يكون بيانا لقوله : ترك ما بعثه عليه ، أي لا يلزمه على إخلاله بالعفو .

(٤) قوله : ويجوز أن يضمن له النصر على الباغي ويعرض مع ذلك بما كان أولى به من

العفو ..أي يكون { إن الله لعفو غفور { متصلا بقوله : { لينصرنه الله { على بيان

الموجب ، وعلى هذا { لينصره } خبر من كما قال أبو البقاء وصاحب الكشف ؛ فإنه تعالى قال : { لينصره الله } اتجه لسائل أن يسأل بماذا ينصره ؟ قال : لأن الله لعفو غفور ، فكان من حق الظاهر أن يقال أن الله ينصر المظلومين ، فعرض بهاتين الصفتين على سبيل الكناية التلويحية لأنه أشار إلى المطلوب من بعد ، يعني أنه تعالى مع كما قدرته وغلبة سلطانه لما كان متصفا بهذين الصفتين كان من الواجب على المعاقب مع عجزه التخلق بأخلاق الله تعالى من العفو عن الجاني ، وإليه الإشارة بقوله : تلوح بذكر هاتين الصفتين .

(٦١/٥)

ويعرض مع ذلك بما كان أولى به من العفو، ويلوح به بذكر هاتين الصفتين. أو دل(١) بذكر العفو والمغفرة على أنه قادر على العقوبة، لأنه لا يوصف بالعفو إلا القادر على ضده.

7y9dE٥٩ بأن الله يولج الليل في النهار ويولج النهار في الليل وأن الله سميع

ضرچاءt/ ادتب

{ ذلك } أي ذلك النصر بسبب أنه قادر. ومن آيات قدرته البالغة أنه { يولج الليل في النهار ويولج النهار في الليل } أو بسبب أنه خالق الليل والنهار ومصرفهما(٢) فلا يخفى عليه ما يجري فيهما على أيدي عباده من الخير والشر والبغي والإنصاف، وأنه { سميع } لما يقولون { بصير } بما يفعلون. فإن قلت: ما معنى إيلاج أحد الملوك في الآخر؟ قلت: تحصيل ظلمة هذا في مكان ضياء، ذاك بغيوبة الشمس. وضياء ذاك في مكان ظلمة هذا بطلوعها، كما يضيء السرب بالسراج ويظلم بفقده. وقيل: هو زيادته في أحدهما ما ينقص من الآخر من الساعات.

(١) قوله : أو دل يذكر العفو والمغفرة على أنه قادر . هذا أيضا على { إن الله لعفو غفور } تعليلا للوعد بالنصرة كأنه قيل لينصره الله ؛ لأنه قادر على النصرة فيعاقب الظالمين .

(٢) قوله : بسبب أنه خالق الليل والنهار ومصرفهما . فعلى الأول الآية عبارة عن القدرة الكاملة فحين عقيب معنى النصرة صلحت أن تكون علة لحصولها ، وعلى الثاني عبارة عن العلم الشامل ولما عقيب معنى البغي أوقعت علة للانتصار من الظالم للمظلوم . ألا ترى كيف جمع الخلق مع التصرف ليستلزم العلم فيراد به إثبات الانتصار ، وإليه

الإشارة بقوله : لا يخفى عليه ما يجري .. إلى آخره . فقوله : { وأن الله سميع بصير } على الأول من باب التكميل ، وعلى الثاني من باب التتميم ، والمملوء الليل والنهار الواحد بلا مقصور ، والسرب بيت في الأرض .

(٦٢/٥)

sCE٩dy7 بأن الله هو الحق وأن ما يدعون من دونه هو الباطل وأن الله هو

گ'ج؟#9\$yè

مرچنخ ۶#x69\$ ادثب

وقرىء: { تدعون } بالتاء والياء. وقرأ اليماني. وأن ما يدعون. بلفظ المبني للمفعول، والواو راجعة إلى "ما" لأنه في معنى الآلهة، أي: ذلك الوصف يخلق الليل والنهار والإحاطة بما يجري فيهما وإدراك كل قول وفعل، بسبب أنه الله الحق الثابت إلهيته، وأن كل ما يدعي إلهاً دونه باطل الدعوة، وأنه لا شيء أعلى منه شأنًا وأكبر سلطاناً.

ألم **چu**؟ أن الله **&Rr"tAu** من السماء ماء فتصبح الأرض مخضرة إن الله لطيف

ضريح yzv

(٦٣) له ما في د9\$#،،yJ"N`uq وما في الأرض وإن الله لهو كسة_ t9\$# الحميد

قرىء: { مخضرة } أي ذات خضر، على مفعلة، كمقبلة ومسبحة. فإن قلت: هلا قيل: فأصحت؟

ولم صرف إلى لفظ المضارع؟ قلت: لنكتة فيه، وهي إفادة بقاء أثر المطر زمانا بعد

زمان، كما تقول: أنعم علي فلان عام كذا، فأروح وأغدوا شاكرا له. ولو قلت: فرحت
وغدوت؛ ولم يقع ذلك الموقع، فإن قلت: فما له رفع لم ينصب جوابا للاستفهام؟ قلت: لو
نصب لأعطي. (١)

(١) قوله : لو نصب لأعطى ما هو عكس الغرض . قال صاحب التقريب : هذا مثل قولك :
ألم

أكرمك فتشكر رفعة يبيت الشكر ونصبه بنفيه لأن النصب بتقدير أن الذي هو علم للاستقبال فيجعله مترقيا ، والرفع جزم بإخباره تلخيصه أن الرفع جزم بإثباته لا أنه جزم بنفيه ، وفيه نظر لأن نهى الشكر لزم من كونه جوابا للاستفهام ؛ لأن المعنى : إن رأيت العامي شكرته .

وقال صاحب الفرائد : لا وجه لما ذكره صاحب الكشف ، ولا يلزم المعنى الذي ذكره ؛ بل يلزم من نصبه أن يكون مشاركا لقوله : { ألم تر { تابعا له ، ولم يكن تابعا لا يزل ، ويكون مع ناصبه مصدرا معطوفا على المصدر الذي تضمنه { ألم تر { وهو الرؤية ، والتقدير : ألم تك لك رؤية إنزال الماء من السماء ، وإصباح الأرض مخضرة ، وهذا غير مراد من الآية ؛ بل المراد أن يكون إصباح الأرض مخضرة بإنزال الماء فيكون حصول اخضرار الأرض تابعا للإنزال .

وقال أبو البقاء : إنما رفع { فتصبح { وإن كان قبله لفظ الاستفهام لأمرين ؛ أحدهما : أنه استفهام بمعنى الخبر ، أي قد رأيت ، فلا تكون له جواب . والثاني : أن ما بعد الفاء تنصيب إذا كان المستفهم فيه سببا له ، ورؤيته لإنزال الماء لا يوجب اخضرار الأرض إنما يجب عن الماء . وروى الزجاج عن سيبويه القراءة [٥٨] بالرفع لا غير ، وقال سالب الخليل عن هذا فقال : هذا واجب ، ومعناه التنبيه ، كأنه قال : ألم تسمع إنزال الماء من السماء فكان كذا وكذا ؟ (٦٣/٥)

ما هو عكس الغرض، لأن معناه إثبات الاخضرار، فينقلب بالنصب إلى نفي الاخضرار، مثاله أن تقول لصاحبك: ألم تر أنني أنعمت عليك فتشكر: إن نصبته فأنت ناف لشكره شك تفريطه

فيه، وإن رفعته فأنت مثبت للشكر. وهذا وأمثاله مما يجب أن يرغب له من اتسم بالعلم في علم الإعراب وتوقير أهله { لطيف { وأصل علمه أو فضله إلى كل شيء { خبير { بمصالح الخلق ومنافعهم.

ألم uچ؟ أن الله uچ,y,O™ لكم ما في الأرض والفلك "حجB gr في حج\$#79st 3/4حج'Dr'خ/

ويمسك السماء أن تقع على الأرض إلا بإذنه إن الله بالناس ش\$uârâچ9s رحيم (٦٥) وهو الذي أحياكم ثم يميتكم ثم يحييكم إن الإنسان لكفور ادب { ما في الأرض { من البهائم مذلة للركوب في البر، ومن المراكب جارية في البحر، وغير ذلك من سائر المسخرات. وقرئ: { والفلك { بالرفع على الابتداء { أن تقع { كراهة أن تقع { إلا { بمشيئته { أحياكم { بعد أن كنتم جمادا ترابا، ونطفة، وعلقة، ومضغة { لكفور { لجحود لما أفاض عليه من ضروب النعم.

لكل أمة جعلنا منسكا هم ناسكوه فلا 7Y"ممحfsmY في الأمر ني ٥ث\$ur إلى
 ربك 7R (خ)
 لعلى هدى ٥ث (B,tG- اذذب
 (٦٤/٥)

هو نهى (١) لرسول الله ، أي: لا تلتفت إلى قولهم ولا تمكنهم من أن ينازعوك. أو هو
 زجر لهم عن التعرض لرسول الله بالمنازعة في الدين وهم جهال لا علم عندهم وهم كفار
 خزاعة. روى: أن بديل بن ورقاء وبشر بن سفيان الخزاعيين وغيرهما قالوا للمسلمين: ما
 لكم تأكلون ما قتلتم، ولا تأكلون ما قتله الله! يعنون الميتة. وقال الزجاج: هو نهى
 له عن منازعته، كما تقول: لا يضاربك فلان، أي: لا تضاربه. وهذا جائز في الفعل الذي
 لا يكون إلا بين اثنين { في الأمر } في أمر الدين. وقيل: في أمر النساءك، وقرئ:
 "فلا ينزعك" أي اثبت في دينك ثباتا لا يطمعون أن يجذبوك ليزيلوك عنه. والمراد:
 زيادة التشييت للنبي بما يهيج حميته ويلهب غضبه لله ولدينه. ومنه قوله: { ولا يصدنك
 عن آيات الله } (القصص: ٨٧)، { ولا تكونن من المشركين } (الأنعام: ١٤)، (يونس:
 ١٠٥)، (القصص: ٨٧)، { فلا تكونن ظهيرا للكافرين } (القصص: ٨٦). وهيئات أن ترتع
 همة

رسول الله حول ذلك الحمى، ولكنه وارد على ما قلت لك من إرادة التهيج والإلهاب.
 وقال الزجاج: هو من نازعته فنزعته أنزع (٢)،

(١) قوله: هو نهى لرسول الله صلى الله عليه . هو من باب قولك: لأريتك هاهنا .
 وقال الزجاج المذكور في كتابه المغني: أنه نهى له صلوات الله عليه عن منازعتهم كما
 تقول: لا يخاصمك فلان في هذا أبدا، وهذا جائز في الفعل الذي لا يكون إلا بين
 اثنين، لأن المجادلة والمخاصمة لا يتم إلا باثنين، فإذا قلت: لا يجادلنك فلان،
 فهو بمنزلة لا تجادلنه، ولا يجوز هذا في قوله: (لا يضربنك فلاك) وأنت تريد: لا
 تضربه، ولكن لو قلت: (لا يضاربنك فلان) لكان قولك: لا تضاربن فلانا، والفرق بين
 التفسيرين: هو أن الأول نهى عن الكينونة على وصف يكون سببا لمنازعتهم، وهذا نهى
 عن المنازعة نفسها.

(٢) قوله: أنزع.. قال المصنف - رحمه الله -: في فاعلته ففعلته، يقال: أفعله -
 بالضم - إذا لم يكن عيبه أو لأمه حرف خلق، فإن كانت تترك على ما عليه الاستعمال،

وقيل : فيه نظر ؛ لأن المختار الضم عند الأكثرين ، وهذا المذكور منقول عن الكساء ، وقد رده العلماء ، ومثاله مفعله من سلوت أو سليت ، يقال : هو في سلوة من العيش ، أي في رغد منه ، والتجهم والتسور تعبيس الوجه .
(٦٥/٥)

أي: غلبته، أي: لا يغلبنك في المنازعة. فإن قلت: لم جاءت نظيرة هذه الآية معطوفة بالواو وقد نزع من هذه؟ قلت: لأن تلك وقعت مع ما يدانيها ويناسبها من الآي الواردة في أمر النساءك، فعطفت على أخواتها. وأما هذه فواقعة مع أباعد عن معناها فلم تجد معطفاً.

وإن جادلوك فقل الله أعلم بما تعملون ادرب
أي: وإن أبوا للجاهم إلا المجادلة بعد اجتهادك أن لا يكون بينك وبينهم تنازع، فادفعهم بأن الله أعلم بأعمالكم ويقبحها وبما تستحقون عليها من الجزاء فهو مجازيكم به. وهذا وعيد وإنذار، ولكن برفق ولين.

الله يحكم N٣ ÷ sY / يوم القيامة فيما كنتم فيه ٣c qà=د69 (tFfrB) ألم تعلم أن الله

يعلم ما في السماء والأرض إن sCE٩dy7 في كتاب إن sCE٩dy7 على الله ضريحاً، o" اذتب

{ الله يحكم بينكم } خطاب من الله للمؤمنين والكافرين، أي: يفصل بينكم بالشواب والعقاب ومسلاة للنبي مما كان يلقي منهم، وكيف يخفى عليه ما يعملون، ومعلوم عند العلماء بأن الله يعلم كل ما يحدث في السماوات والأرض، وقد كتبه في اللوح قبل حدوثه. والإحاطة بذلك وإثباته وحفظه عليه { يسير } لأن العالم بالذات لا يتعذر عليه ولا يمتنع تعلق بمعلوم.

ويعبدون من دون الله ما لم ينزل به سلطانا وما ليس لهم به علم وما للظالمين من نصير اذتب

{ ويعبدون من دون } ما لم يتمسكوا في صحة عبادته ببرهان سماوي من جهة الوحي والسمع،

ولا ألجأهم إليها علم ضروري، ولا حملهم عليها دليل عقلي { وما } للذين ارتكبوا مثل هذا الظلم من أحد ينصرهم ويصوب مذهبهم.

(٦٦/٥)

وإذا تتلى عليهم آياتنا؛ /i tōsY"M تعرف في دنم_r الذين كفروا جx6Zك#J9\$ يكادون

يسطون بالذين يتلون عليهم آياتنا قل أفأنبئكم بشر من /âن٩٥٣sCE النار وعددها الله
الذين كفروا {O/خ ur/مثجاء#yJ9\$ اذنب

{ المنكر { الفطيع من التجهم والبسور. أو الإنكار، كالمكرم بمعنى الإكرام. وقرىء:
"يعرف" والمنكر. والسطو: الوثب والبطش. وقرىء: { النار { بالرفع على أنه خبر مبتدأ
محذوف، كأن قائلًا قال: ما هو؟ فقل: النار، أي: هو النار. وبالنصب على الاختصاص.
وبالجر على البدل من { شر من ذلكم { من غيظكم على التالين وسطوكم عليهم. أو مما
أصابكم من الكراهة والضجر بسبب ما تلي عليكم { وعددها الله { استئناف كلام. ويحتمل
أن تكون { النار { مبتدأ و { وعددها { خبرا، وأن يكون حالا(١) عنها إذا نصبها أو
جررتها بإضمار "قد".

يا أيها الناس ضرب مثل فاستمعوا له إن الذين تدعون من دون الله لن يخلقوا ذبابا ولو

اجتمعوا له وإن يسلبهم الذباب ©x"Z\$ لا يستنقذوه منه ضعف الطالب والمطلوب اذنب

(١) قوله : وأن يكون حالا عنها . أي عن النار بإضمار قد أتى النار موعده .
(٦٧/٥)

فإن قلت: الذي جاء به ليس بمثل، فكيف سماه مثالا؟ قلت: قد سميت الصفة أو القصة
الرائعة الملتقاة بالاستحسان والاستغراب: مثلا، تشبيها لها ببعض الأمثال(١)
المسيرة، لكونها مستحسنة مستعربة عندهم. قرىء: "تدعون" بالتاء والياء ويدعون: مبنيا
للمفعول { لن يخلقوا ذبابا ولو اجتمعوا له وإن يسلبهم الذباب شيئا لا يستنقذوه منه
ضعف الطالب والمطلوب { أخت "لا" في نفي المستقبل(٢)،

(١) قوله : تشبيها لها ببعض الأمثال المسيرة . قال المصنف - رحمه الله - : المثل
بمعنى المثل ، تقول : زيد مثل عمرو ، ومثله ، ومثيله ، كما تقول : شبهه ، وشبهه ،
وشبهه ، ثم قالوا : ذلك على سبيل الاستعارة لجملة من الكلام مستعربة مستفصحة متلقاة
بالرضى والقبول ، أو الحالة المستعربة لتمامهما في الغرابة .
(٢) قوله : أخت لا في نفي المستقبل إلا أن لن ينفيه نفيا مؤكدا ، وتأكيده هاهنا

للدلالة على أن خلق الذباب منهم مستحيل مناف لأحوالهم .

قال صاحب التقريب : النفي المؤكد لا يدل على الامتناع لأنه لا يستلزمه فيكون لازما ، واللام لا يدل على الملزوم ولكن يحتمله ، ولما كان محتملا له حمل عليه لقرينة سوق الكلام لأنه أمكن ذلك منهم لا تحصل الاستعارة المطلوبة والمبالغة في تجهيلهم واستركاك عقولهم ؛ لأنهم مع اجتماعهم وتعاونهم لا يقدرّون على أقل ما خلقه الله تعالى وأذله وأحقّره وأدل من ذلك على عجزهم وانتفاء قدرتهم أن هذا الحقير الدليل لو اختطف عنهم شيئا لم يقدرّوا على استخلاصه ولو اجتمعوا له ، والغابر الماضي والباقي وهو من الأضداد .

(٦٨/٥)

إلا أن "لن" تنفيه نفيا مؤكدا، تأكيده ههنا الدلالة على أن خلق الذباب منهم مستحيل

مناف لأحوالهم، كأنه قال: محال أن يخلقوا، فإن قلت: ما محل. { ولو اجتمعوا له } ؟ قلت: النصب على الحال، كأنه قال: مستحيل أن يخلقوا الذباب مشروطا عليهم اجتماعهم جميعا لخلقه وتعاونهم عليه، وهذا من أبلغ ما أنزله الله في تجهيل قريش واستركاك عقولهم، والشهادة على أن الشيطان قد خزمهم بخزائمه حيث وصفوا بالإلالية - التي تقتضي الاقتدار على المقدورات كلها، والإحاطة بالمعلومات عن آخرها - صورا وتمائيل يستحيل منها أن تقدر على أقل ما خلقه وأذله وأصغره وأحقّره، ولو اجتمعوا لذلك وتساندوا. وأدل من ذلك على عجزهم وانتفاء قدرتهم: أن هذا الخلق الأقل الأذل لو اختطف منهم شيئا فاجتمعوا على أن يستخلصوه منه لم يقدرّوا. وقوله: { ضعف الطالب والمطلوب } كالتسوية بينهم وبين الذباب في الضعف. ولو حققت وجدت الطالب أضعف وأضعف،

لأن الذباب حيوان، وهو جماد، وهو غالب وذاك مغلوب. وعن ابن عباس: أنهم كانوا يطلونها بالزعفران، ورؤوسها بالعسل ويغلقون عليها الأبواب، فيدخل الذباب من الكوي فيأكله.

ما قدرّوا الله ،، xm ٤ ٣/4 ح' %ô%os' إن الله لقوي عزيز اذهب { ما قدرّوا الله حق قدره } أي ما عرفوه حق معرفته، حتى لا يسموا باسمه من هو منسلخ عن صفاته بأسرها، ولا يؤهلوه للعبادة، ولا يتخذوه شريكا له: إن الله قادر غالب، فكيف يتخذ العاجز المغلوب شبيها به؟

الله يصطفي من الملائكة رسلا ومن الناس إن الله سميع عذراء (75) t/ يعلم ما بين
خN و%&fr÷% وما خلفهم وإلى الله ترجع الأمور اذذب
(٦٩/٥)

هذا رد لما أنكروه من أن يكون الرسول من البشر، وبيان أن رسل الله على ضربين:
ملائكة وبشر، ثم ذكر أنه تعالى دراك للمدركات، عالم بأحوال المكلفين ما مضي منها
وما غبر، لا تخفى عليه منهم خافية. وإليه مرجع الأمور كلها، والذي هو بهذه الصفات،
لا يسأل عما يفعل، وليس لأحد أن يعترض عليه في حكمه وتدابيره واختيار رسله.

يا أيها الذين آمنوا اركعوا واسجدوا واعبدوا ربكم وافعلوا الخير لعلكم ترحموا (٧٠/٥)
اذذب
(٧٠/٥)

للذكر شأن ليس لغيره من الطاعات (١). وفي هذه السورة دلالات على ذلك، فمن ثمة دعا
المؤمنين أولا إلى الصلاة التي هي ذكر خالص، ثم إلى العبادة بغير الصلاة كالصوم
والحج والغزو، ثم عم بالحث على سائر الخيرات. وقيل: كان الناس أول ما أسلموا يسجدون
بلا ركوع ويركعون بلا سجود، فأمروا أن تكون صلاتهم بركوع وسجود. وقيل: معنى: {
واعبدوا ربكم} (٢) اقصدوا بركوعكم وسجودكم وجه الله. وعن ابن عباس في قوله: {
وافعلوا الخير} صلة الأرحام ومكارم الأخلاق { لعلكم تفلحون } أي افعلوا هذا كله
وأنتم راجون للفلاح طامعون فيه، غير مستيقنين ولا تتكلوا على أعمالكم، وعن عقبة بن
عامر رضي الله عنه قال:

(٧١٤) قلت: يا رسول الله في سورة الحج سجدتان؟ قال: "نعم، إن لم تسجدهما فلا
تقرأهما" وعن عبد الله ابن عمر رضي الله عنهما فضلت سورة الحج بسجدتين. وبذلك احتج
الشافعي رضي الله عنه، فرأى سجدتين في سورة الحج، وأبو حنيفة وأصحابه رضي الله عنهم
لا يرون فيها إلا سجدة واحدة، لأنهم يقولون: قرن السجود بالركوع، فدل ذلك على أنها
سجدة صلاة لا سجدة تلاوة.

(١) قوله: للذكر شأن ليس لغيره من الطاعات. والمراد بالذكر ما يحتاج إليه في
الدين من الشرائع وغيرها كالأقاصيص والوعد والوعيد، كذا فسر في ص، ولما كان
إطلاق الذكر على الصلوة أنص من سائر الطاعات، قال: الصلوة ذكر خالص، وهو المراد

من قوله : { اركعوا واسجدوا } ، والصوم والحج والعدو دونها في معنى الذكر ثنى
 يذكرها وهو المراد من قوله : { اعبدوا } ، ثم أتى بما يشمل على جميع ما يحتاج إليه
 في الدين من فعل الخيرات أجزاء ، وهو المراد من قوله : { وافعلوا الخير } فهو
 كالتوقي والتدرج من الأخص إلى الأعم ، ثم عطف الجهاد على ذلك ، عطف جبريل وميكائيل
 على الملكة .

)

(٢) قوله : معنى { واعبدوا ربكم } اقصدوا بركوعكم وسجودكم وجه الله ، قيل : فهو
 كقوله : { يا أيها الذين آمنوا } .

(٧١/٥)

وجاهدوا في الله ، ٣/٤ndد٣yg\$ _ هو اجتباكم وما جعل عليكم في الدين من
 مله ٨lu٣م
 أبيكم ٣Oد٣d٣٣/خ هو سماكم ٣J٣\$#ك=د٣Jt٣ü من قبل وفي هذا ليكون الرسول
 شهيدا عليكم

وتكونوا شهداء على الناس فأقيموا الصلاة وآتوا الزكاة واعتصموا بالله هو مولاكم
 فنعم المولى ونعم مرثء 78٣#Z9\$ {
 { وجاهدوا } أمر بالغزو وبمجاهدة النفس والهوى وهو الجهاد الأكبر . عن النبي أنه رجع
 من بعض غزواته فقال:

(٧١٥) "رجعنا من الجهاد الأصغر إلى الجهاد الأكبر" { في الله } أي في ذات الله ومن
 أجله . يقال : هو حق عالم، وجد عالم، أي : عالم حقا وجدا . ومنه { حق جهاده } . فإن
 قلت : ما وجه هذه الإضافة، وكان القياس : حق الجهاد فيه، أو حق جهادكم فيه، كما قال :
 { وجاهدوا في الله } ؟ قلت : الأضافة تكون بأدنى ملابسة واختصاص، فلما كان الجهاد
 مختصا بالله من حيث أنه مفعول لوجهه ومن أجله، صحت إضافته إليه . ويجوز أن يتسع في
 الظرف كقوله :

ويوما شهدناه سليما وعامرا

{ اجتباكم } اختاركم لدينه ولنصرته { وما جعل عليكم في الدين من حرج } فتح باب
 التوبة للمجرمين، وفسح بأنواع الرخص والكفارات والديات والأروش . ونحوه قوله تعالى :
 { يريد الله بكم اليسر ولا يريد بكم العسر } (البقرة: ١٨٥) وأمة محمد هي الأمة
 المرحومة الموسومة بذلك في المتب المتقدمة .

نصب الملة بمضمون ما تقدمها، كأنه قيل: وسع دينكم توسعة ملة أبيكم، ثم حذف المضاف وأقام المضاف إليه مقامه. أو على الاختصاص، أي: أعني بالدين ملة أبيكم كقولك: الحمد لله الحميد. فإن قلت: لم يكن { إبراهيم } أبا للأمة كلها. قلت: هو أبو رسول الله، فكان أبا لأمته، لأن أمة الرسول في حكم أولاده { هو اجتباكم وما جعل عليكم في الدين من حرج ملة أبيكم إبراهيم هو سماكم المسلمين من قبل وفي هذا ليكون الرسول شهيدا عليكم وتكونوا شهداء على الناس فأقيموا الصلوة وءاتوا الزكاة واعتصموا بالله هو مولاكم فنعم المولوا ونعم النصير { يرجع إلى الله تعالى. وقيل: إلى إبراهيم. ويشهد للقول الأول قراءة أبي بن كعب: "الله سماكم" { من قبل وفي هذا { أي من قبل القرآن في سائر الكتب وفي القرآن، أي: فضلكم على الأمم وسماكم بهذا الاسم الأكرم { ليكون الرسول شهيدا عليكم { أنه قد بلغكم { وتكونوا شهداء على الناس { بأن الرسل قد بلغتهم وإذ خصكم بهذه الكرامة (١) والأثرة. فاعبدوه واثقوا به ولا تطلبوا النصرة والولاية إلا منه، فهو خير مولى وناصر. عن رسول الله : (٧١٦) "من قرأ سورة الحج أعطي من الأجر كحجة حجها وعمرة اعتمرها بعدد من حج واعتمر فيما مضى وفيما بقي".

سورة: المؤمنون

مكية، وهي مائة وتسع عشرة آية. وثمانية عشرة عند الكوفيين

(١) قوله : خصكم بهذه الكرامة والأثرة فاعبدوه . يريد أن في تعقيب قوله : { وأقيموا الصلوة والزكاة } بالفاء على قوله : { هو اجتباكم } وقوله : { هو سماكم المسلمين } سألنا وآنفا لتختص شهادة الرسول عليكم وتكونوا شهداء على الناس إشعار بالغلبة لأن الأوصاف مناسبة للحكم ، وهذا يدل على ترجيح القول بأن الضمير في قوله : { هو سماكم } راجع إلى الله تعالى .

بسم الله الرحمن الرحيم

{ قد أفلح المؤمنون (١) الذين هم في NخEج¹U | x خاشعون ائب
{ قد أفلح المؤمنون (١) نقيضه "لما" هي تثبت المتوقع و"لما" تنفيه، ولا شك أن

المؤمنين كانوا متوقعين لمثل هذه البشارة وهي الإخبار بثبات الفلاح لهم(٢)، فخطبوا بما دل على ثبات ما توقعوه. والفلاح: الظفر بالمراد، وقيل: البقاء في الخير(٣).

(١) سورة المؤمنين

روي عن المصنف أنه قال : يجوز أن يكون { قد أفلح } قسم محذوف { من زكاها } في وقوع

قد جواب قسم ، وفي بعض النسخ مكتوب في المتن ، وكذا عن صاحب التقريب ، وقيل : فيه

نظر لأنه قال : هناك جواب القسم محذوف تقديره : لقد مد الله عليهم . وأما { قد أفلح من زكاها } فكلام تابع لقوله : { فألمها فجورها وتقواها } على سبيل الاستطراد وليس من جواب القسم في شيء ، وقد ذكر هناك أن الزجاج قد ذهب إلى أنه جواب القسم على تقدير اللام والنظم يساعد عليه وهو أبعد تعسفا .

(٢) قوله : وهي الإخبار بثبات الفلاح لهم . قال في [٥٩] قوله : { ومن يعتصم بالله فقد هدي إلى صراط مستقيم } ومن يعتصم بالله فقد حصل له الهدى لا محالة ، كما تقول : إذا جئت فلانا أفلحت ، كأن الهدى قد حصل ، فهو مخبر عنه حاصلا ، وإليه الإشارة بقوله : (فخطبوا) إنما دل على ثبات ما توقعوه . فإن قلت : إن قد لتوقع مدخوله فيفيد أن محصول الفلاح كان متوقعا ، وأما أن البشارة كانت متوقعة فلا . قلت : المفلح هو الفائز بالبعثة والمؤمنون ، وإن فازوا بالهدى عاجلا بالأعمال الصالحة والظفر على الأعداء لكن الفوز الحقيقي الذي هو الفلاح لا يثبت إلا في الآخرة ، وكانوا متوقعين للبشارة من جانب الله بذلك ، ف قيل لهم : { قد أفلح المؤمنون } إلى قوله : { أولئك هم الوارثون الذي يرثون الفردوس هم فيها خالدون } .

(٣) قوله : وقيل البقاء في الخير .. قال الفراء : قد هاهنا تجوز أن تكون تأكيدا لفلاح المؤمنين ، ويجوز أن تكون لتقريب الماضي من الحال ويكون المعنى في الآية أن الفلاح قد حصل وأنهم عليه في الحال .

(٧٤/٥)

و { أفلح } دخل في الفلاح، كأبشر: دخل في البشارة. ويقال: أفلحه: أصاره إلى الفلاح. وعليه قراءة طلحة بن مصرف: أفلح، على البناء للمفعول. وعنه: "أفلحوا" على: أكلوني

البراغيث. أو على الإبهام والتفسير. وعنه: "أفلح" بضممة بغير واو، اجتزاء بها عنها، كقوله (١):

فلو أن الاطبا كان حولي

فإن قلت: ما المؤمن (٢)؟ قلت: هو في اللغة المصدق. وأما في الشريعة فقد اختلف فيه

على قولين، أحدهما: أن كل من نطق بالشهادتين موطنًا قلبه لسانه فهو مؤمن. والآخر أنه صفة مدح لا يستحقها إلا البر التقي دون الفاسق الشقي.

(١) قوله :

فلو أن الاطبا كان حولي ... وكان مع الأطباء الأساة

الأطباء قصد للضرورة ، والأساة جمع أسس كرامة في رام ، وقد أخبر بضمه كأن الأولى على الواو ، وقيل : الأساة هم الأطباء ، ويحتمل أنه أراد بهم الحذاق من الأطباء ، أو أراد بالأطباء منطلق الأطباء حتى يصح قوله : وكان مع الأطباء الأساة ، لأنه لا يصح إلا بعد ثبوت المغايرة بين الأطباء والأساة ، ويحتمل أن يكون التعريف في الأطباء للجنس وفي الأساة للعهد ، أو أراد بالأطباء على الطب ، وبالأساة المعالجون منهم .

(٢) قوله : ما المؤمن . قيل : إنما لم يقل : من المؤمن ، لأن السؤال وقع عن الصفة ، فإذا قلت : ما زيد ، فجوابه : فقيه أو متكلم ، ومعنى أن يسد بغيره إلى شيء يشغله به ويقويه نحوه .

(٧٥/٥)

الخشوع في الصلاة: خشية القلب والباد البصر - عن قتادة: وهو إلزامه موضع السجود. وعن النبي : (٧١٧) أنه كان يصلي رافعا بصره إلى السماء، فلما نزلت هذه الآية رمى بصره نحو مسجده، وكان الرجل من العلماء إذا قام إلى الصلاة هاب الرحمان أن يشد بصره إلى شيء، أو يحدث نفسه بشأن من شأن الدنيا. وقيل: هو جمع الهمة لها، والإعراض عما سواها. ومن الخشوع: أن يستعمل الآداب، فيتوقى (١) كف الثوب، والعيب بجسده وثيابه

والالتفات، والتمطي، والتثاؤب، والتغميض، وتغطية الفم، والسدل، والفرقة، والتشبيك، والاختصار، وتقليل الحصى. روي عن النبي : (٧١٨) أنه أبصر رجلا يعث بلحيته في الصلاة

فقال: "لو خشع قلبه خشعت جوارحه" ونظر الحسن إلى رجل يعيث بالحصى وهو يقول: اللهم زوجني الحور العين، فقال: بئس الخاطب أنت! تخطب وأنت تعبت.

(١) قوله : فيتوقى كف الثوب . في الحديث :أمرت أن لا أكف شعرا ولا ثوبا يعني في

الصلوة هو يحتمل أن يكون بمعنى المنع أي لا أمنعها من الاسترسال حال السجود ليقعا على الأرض ، وأن يكون بمعنى الجمع أي لا أجمعهما وأضمهما ، والتمطي رفع اليدين مع الظهر ، والسدل أن يلتحف بثوبه ويدخل يديه من داخل فيركع ويسجد كذلك وكانت اليهود تفعله ، وقيل : هو أن يضع وسط الإزار على رأسه أو عاتقه ويرسل طرفيه عن يمينه وشماله ، وفرقة الأصابع غمزها حتى تسم لها صلتها صوت ، والاختصار قيل : هو من المخرصة وهو أن يأخذ بيده عصا يتكئ عليها ، وقيل : أن يقرأ من آخر السورة آية أو اثنتين ولا يقرأ بتمامها ، ذكر ذلك في النهاية ، وفي الفائق : الاختصار وضع اليد على الخاصرة ، وفي الحديث :الاختصار في الصلوة راحة أهل النار ، قيل : معناه هذا فعل اليهود في الصلوة وهو أهل النار لا أن لأهل النار راحة .

(٧٦/٥)

فإن قلت: لم أضيف الصلاة إليهم؟ قلت: لأن الصلاة دائرة بين المصلي والمصلى له، فالمصلي هو المنتفع بها وحده، وهي عدته وذخيرته فهي صلاته: وأما المصلى له، فغني متعال عن الحاجة إليها والانتفاع بها.

والذين هم عن اللغو **cqà** تحج **Bmè** اجب

اللغو: ما لا يعينك من قول أو فعل، كاللعب والهزل وما توجب المروءة إلقاءه وإطراحه يعني أن بهم من الجد ما يشغلهم عن الهزل.

لما وصفهم بالخشوع في الصلاة، أتبعه الوصف بالإعراض عن اللغو، ليجمع لهم الفعل والترك الشاقين على الأنفس اللذين هما قاعدتا بناء التكليف.

والذين هم **o4qx**. "٩د" فاعلون احب

(٧٧/٥)

الزكاة اسم مشترك بين عين ومعنى، فالعين: القدر الذي يخرج منه المزكي من النصاب إلى الفقير والمعنى: فهل المزكي الذي هو التزكية، وهو الذي أراده الله، فجعل المزكين فاعلين له ولا يسوغ فيه غيره، لأنه ما من مصدر إلا يعبر عن معناه بالفعل ويقال

لمحدثه فاعل، تقول للضارب: فاعل الضرب، وللقاتل: فاعل القتل، وللمزكي: فاعل
التركية. وعلى هذا الكلام كله والتحقيق فيه أنك تقول في جميع الحوادث: من فاعل هذا؟

فيقال لك: فاعله الله أو بعض الخلق. ولم يمتنع الزكاة (١) الدالة على العين أن يتعلق
بها فاعلون، لخروجها من صحة أن يتناولها الفاعل، ولكن لأن الخلق ليسوا بفاعليها.
وقد أنشد لأمية ابن أبي الصلت (٢):

المطعمون الطعام في السنة ... الأزمة والفاعلون للزكوات

ويجوز أن يراد بالزكاة: العين، ويقدر مضاف محذوف وهو الأداء، وحمل البيت على هذا
أصح، لأنها فيه مجموعة (٣).

(١) قوله : ولم تمتنع الزكاة الدالة على العين . تحريره أنه ما امتنع تعلق فاعلون
بالزكاة التي هي العين باعتبار أنه لا يصح أن يكون مفعوله أو أنه لا فاعل لها لأنها
مفعولة فاعلها الله تعالى ، ولكن امتنع باعتبار كون العباد غير قادرين على عيناها ،
ولا فاعلين لها ؛ لأنها جسم ، والجسم مما استأثر الله بالقدرة عليه .

(٢) قوله : المطعمون الطعام في السنة الأزمة والفاعلون الزكوات . الأزمة الشدة أو
القحط ، قيل : أراد بالزكوات الصدقات من قولهم : (تزكى) إذا تصدق ، لأن أمية كان
جاهليا .

(٣) قوله : لأنها فيه مجموعة . أي لفظ الزكاة في البيت مجموعة ، والمصدر لا يجمع في
الأغلب ، وقد جمع في قوله: { ويظنون بالله الظنونا } ، قيل : ويعلم مفهوم قوله :
وحمل البيت عليها أصح أن تعمل الآية على الفعل أصح .

(٧٨/٥)

والذين هم لفروجهم <tbqàد5"xm> إلا على N<ur-r" _g<ur-r" أو ما ملكت
أيمانهم

N<ur-r" sù*خ<ur-r" xī ملومين (٦) فمن ابتغى وراء <ur-r" sCE"٩dy7 فأولئك هم العادون
اذب

{ على أزواجهم } في موضع الحال، أي الأولين على أزواجهم: أو قوامين عليهن، من
قولك: كان فلان على فلانة فمات عنها فخلف عليها فلان. ونظيره: كان زياد على البصرة،

أي: واليا عليها. ومنه قولهم: فلانة تحت فلان، ومن ثمة سميت المرأة فراشا: والمعنى: أنهم لفروجهم حافظون في كافة الأحوال، إلا في حال تزوجهم أو تسريهم، أو تعلق { على { بمحذوف يدل عليه { غير ملومين { (المعارج: ٣٠) كأنه قيل: يلامون إلا على أزواجهم،

أي: يلامون على كل مباشر إلا على ما أطلق لهم، فإنهم غير ملومين عليه. أو تجعله صلة لحافظين، من قولك: احفظ علي عنان فرسي، على تضمينه (١)

(١) قوله : على تضمينه . معنى النفي هو قول المبرد : أي تضمين حافظون ، فإن معنى احفظ على عيان فرسي ارقني ولا تفعل عني العرب ، وقد يجعل الحفظ عبارة عن الصون وترك الابتذال ، قيل : والمعنى هذا : عاهدوا الذين لا يتدخلون فروجهم إلا على أزواجهم . ألا ترى كيف أتبعه { فإنهم غير ملومين { ، وقيل المعنى على هذا : والذين لا يحفظون فروجهم إلا على أزواجهم لأنهم مهما لم يباشروا به إلا الأزواج فقد حفظوها عليين .

وقال أبو البقاء : { إلا على أزواجهم { في موضع نصب { يحافظون { على المعنى أي صانوها عن كل فرج إلا عن فروج أزواجهم . وقال صاحب الفرائد : والذي ألجأه إلى هذا التطويل استعمال { على { في قوله : { أزواجهم { ، ويمكن أن يقال : تقديره { لفروجهم حافظون { في كل حال إلا في حال وقوعهم على أزواجهم . (٧٩/٥)

معنى النفي، كما ضمن قولهم: نشدتك بالله إلا فعلت معنى ما طلبت منك إلا فعلك. فإن قلت: هلا قيل: من ملكت؟ قلت: لأنه أريد من جنس العقلاء ما يجري مجرى غير العقلاء وهم الإناث جعل المستثنى حداً أوجب الوقوف عنده، ثم قال: فمن أحدث ابتغاء وراء هذا الحد مع فسحته واتساعه، وهو إباحة أربع من الحرائر، ومن الإماء ما شئت { فأولئك هم { الكاملون في العدوان المتناهون فيه. فإن قلت: هل فيه دليل على تحريم المتعة؟ قلت: لا؛ لأن المنكوحة نكاح المتعة من جملة الأزواج إذا صح النكاح.

والذين هم NخFدg"YsBt { وعهدهم tbqم"u' ارب وقرىء: "لأمانتهم" سمي الشيء المؤتمن عليه والمعاهد عليه أمانة وعهدا. ومنه قوله تعالى: { إن الله يأمركم أن تؤدوا الأمانات إلى أهلها { (النساء: ٥٨) وقال: { وتحنونوا أماناتكم { (الأنفال: ٢٧) وإنما تؤدي العيون لا المعاني، ويخاف المؤتمن

عليه، لا الأمانة في نفسها. والراعي: القائم على الشيء بحفظ وإصلاح كراعي الغنم وراعي الرعية. ويقال: من راعي هذا الشيء؟ أي متوليه وصاحبه: ويحتمل العموم (١) في كل ما ائتمنوا عليه وعوهدوا من جهة الله تعالى ومن جهة الخلق، والخصوص فيما حملوه من أمانات الناس وعهودهم.

(١) قوله : ويحتمل العموم [٦٠] في كل ما ائتمنوا عليه وعوهدوا معطوف على قوله : سمي إلى المؤتمن عليه والمعاهد عليه من حيث المعنى ، قيل : فإذا المراد من الأمانة والعهد المصدر وهو جنس يتناول كل ما تطلق عليه الأمانة أو العهد . قال المالكي : إما بأنهم مصدر وحقه أن لا يجمع لدلالته على القليل والكثير من جنسه ؛ لكنه لما اختلفت أنواع الأمانة لوقوعها على الصلوة والزكاة والحج وغير ذلك من العبادات ، وكذلك حق العباد جاز جمعها لأنها لاختلاف أنواعها شابها المفعول به فجمعت كما جمع المفعول به ، فعلى هذا يجعل { راعون } استعارة للاهتمام بشأنها والمحافظة عليها من أن تنكب .

(٨٠/٥)

والذين Oèd على N خtbqk¹ = E"uqn فà\$utn† ازب وقرىء: "على صلاتهم". فإن قلت: كيف كرر ذكر الصلاة أولا وآخرا؟ قلت: هما ذكران مختلفان فليس بتكرير. وصفوا أولا بالخشوع (١) في صلاتهم، وآخرا بالمحافظة عليها. وذلك أن لا يسهوا عنها، ويؤدوها في أوقاتها، ويقيموا أركانها، ويؤكلوا نفوسهم بالاهتمام بها وبما ينبغي أن تتم به أوصافها. وأيضا فقد وجدت أولا ليفاد الخشوع في جنس الصلاة أي صلاة كانت، وجمعت آخرا لفناد المحافظة على أعدادها: وهي الصلوات الخمس، والوتر، والسنن المرتبة مع كل صلاة وصلاة الجمعة، والعيد، والجنابة، والاستسقاء، والكسوف والخسوف، وصلاة الضحى، والتهجد وصلاة التسبيح، وصلاة الحاجة.

وغيرها من النوافل.

أولئك هم tbqèO (10" حtbqèO (uq9\$# الذين OtbqèO حtf الفردوس هم فيها \$tbrà حyz" انتب

(١) قوله : وصفوا أولا بالخشوع في صلواتهم وآخرا بالمحافظة عليها ومن ثم أتى

بالموصول ليدل على الذات ، وجعلت الأوصاف صلة لتدل على علة استهال بشارة الفلاح عاجلا ، وإيراث الفردوس آجلا . نعم فيه تعظيم شأنها على سبيل الإدماج وإشارة النص حيث اتبدئ بذكرها وختم به على أن التكرار غير لازم لأن إرادة الجنس غير إرادة الاستغراق ، وإليه الإشارة بقوله : وأيضا قد وجدت أولا وجمعت أجزاء ، وخلاصته أن التكرير لإرادة أن تعلق بها في المرة الثانية غير ما علق بها في الأولى .
(٨١/٥)

أي { أولئك } الجامعون لهذه الأوصاف (١) { هم الوارثون } الأحقاء بأن يسموا وراثا دون من عداهم، ثم ترجم الوارثين (٢) بقوله: { الذين يرثون الفردوس } فجاء بفخامة وجزالة لإرثهم لا تخفى على الناظر. ومعنى الإرث: ما مر في سورة مريم (٣). أنث الفردوس على تأويل الجنة، وهو: البستان الواسع الجامع لأصناف الثمر. روي أن الله عز وجل بنى جنة الفردوس لبنة من ذهب ولبنة من فضة، وجعل خلالها المسك (٤) والأذفر. وفي رواية: ولبنة من مسك مذري وغرس فيها من جيد الفاكهة وجيد الرياحان.

(١) قوله : أي أولئك الجامعون لهذه الأوصاف ثم الوارثون إلا حقا بأن يسموا وراثا دون من عداهم إما معنى الجمع فمن توسط العاطف بين الصفات المتوالية ، وأما استحقاق تسميتهم بالوارث فلما سبق أن أولئك يوجب أن ما بعده جدير بما قبله لاكتسابه تلك الصفة الجارية عليه ، وإما التخصيص المشار إليه بقوله : دون من عداهم فمن تعريف الخبر وتوسيط ضمير الفصل .

(٢) قوله : ثم ترجم الوارثين بقوله : { الذين يرثون الفردوس } فجاء بفخامة وجزالة كأنه استنبط ذلك من إبدال { الذي يرثون الفردوس } من { الوارثون } لما فيه من تعقيب الإجمال بالتفصيل كما في قوله تعالى : { اهدنا الصراط المستقيم صراط الذين أنعمت عليهم } ، وقيل : من جعل يرثون صلة للذين ؛ لأن صلة الموصول حقها أن تكون معلومة أو من تعريف الوارثون لأن معناه الكاملون ، أو من تعريف الفردوس .
)

(٣) قوله : ما مر في سورة مريم لأنه فسر الأدب هناك بالملك وأنهم وارثون أرض الجنة كما يملك الوارث حقه .

(٤) قوله : وجعل طلالها المسك الأذفر . لاقيل معنى ملاطها ، والملاط الطين الذي يجعل بين ساقي البنا ، والأذفر - بالتحريك - كل ريح ذكية من طيب أو بين ، المرزي

المفرق أو المنحول .

(٨٢/٥)

ولقد $sY)n=yz\$$ الإنسان من سلالة من طين (١٢) ثم $sY\grave{u}=y\grave{e}y"çm$ نطفة في $u\#'\text{چ}s\%$ مكين

(١٣) ثم خلقنا النطفة علقه فخلقنا العلقه مضغة فخلقنا المضغة عظاما فكسونا العظام

لحما ثم أنشأناه خلقا $u\text{چ}yz\#u$ فتبارك الله أحسن $t\grave{u}\ddot{u}$ د=" $\$sf\grave{u}$ اتحب

(٨٣/٥)

السلالة: الخلاصة(١)؛ لأنها تسل من بين الكدر، وفعالة، وبناء للقلة كالقلامه والقمامة. وعن الحسن: ماء بين ظهراي الطين. فإن قلت: ما الفرق بين من ومن؟ قلت: الأول للابتداء، والثاني للبيان، كقوله: { من الأوثان } (الحج: ٣٠). فإن قلت: ما معنى: { جعلنا } الإنسان نطفة(٢)؟ قلت: معناه أنه خلق جوهر الإنسان أولا طينا، ثم جعل جوهره بعد ذلك نطفة. القرار: المستقر، والمراد الرحم. وصفت بالمكانة(٣) التي هي صفة المستقر فيها، كقولك: طريق سائر. أو بمكانتها في نفسها؛ لأنها مكنت بحيث هي وأحرزت. قرىء: "عظما فكسونا العظم" و "عظاما فكسونا العظام" و "عظما فكسونا العظم"(٤)

(١) قوله : السلالة الخلاصة . قيل : أراد السلالة النطفة ، وبالإنسان ولد آدم . قال أبو البقاء : طين صفة سلالة ، ويجوز أن يتعلق من بسلالة بمعنى مسلوقة ، ويمكن أن يحمل قول الحسن : ما بين ظهراي الطين على هذا .
(٢) قوله : ما معنى جعلنا الإنسان نطفة ؟ يعني كيف قال أولا : { خلقنا الإنسان من سلالة } ثم قال : { جعلناه نطفة } ؟ وأجاب : أن التعريف في الإنسان للجنس ، فكأنه قال : خلقنا ما يقال له جوهر الإنسان ابتداء من طين ثم صيرنا بعد ذلك جوهره من نطفة ،

وقيل : يجوز أن يكون على حذف المضاف أي ثم جعلنا نسله ، أي خلقنا أصل الإنسان من سلالة وهو آدم ، ثم جعلنا نسله أي أولاده من نطفة .

(٣) قوله : وصفت بالمكانة التي هي صفة المستقر . يريد أن قوله : { مكين } صفة للنطفة في الأصل وقد أجرى على مستقرها وهو الرحم ، إما على الإسناد المجازي نحو

طريق سائر للمبالغة ، أو وصف الرحم بالمكين ليؤذن بأن النطفة مكنت من حيث هي هي رحم مكين غير منفصل مع نقل الجمل ، أو مكنت في رحم مكين كأنها أحرزت في حرز حصين .
 (٤) قوله : وعظما { فكسونا العظام .. } إلى آخره .. اعلم أن من قدم الأفراد نظر إلى اللفظ الذي هو إنسان وسلالة ونطفة ثم عقب بالجماعة لأنها هي الغرض ، ومن العكس بادر إليها إذ كانت هي المقصودة ، ثم عاد إلى معاملة اللفظ ، والأول أحرى على قول بينهم . ألا تراك تقول : (من قام وقعدوا أخوتك) لانصرافه عن اللفظ إلى المعنى ، وضعف من (قاموا وقعد أخوتك) لأنك قد أتيت بالجمع وانصرف عن اللفظ ، ومراجعة اللفظ بعد الانصراف تراجع وانتكاس ؛ فاعرفه وابن عليه فإنه كبير جدا .
 (٨٤/٥)

وضع الواحد مكان الجمع لزوال اللبس؛ لأن الإنسان ذو عظام كثيرة { خلقا آخر } أي خلقا مبينا للخلق الأول مبينة ما أبعداها، حيث جعله حيوانا وكان جمادا، وناطقا وكان أبكم، وسميعا وكان أصم، وبصيرا وكان أكمه، وأودع باطنه وظاهره - بل كل عضو من أعضائه وكل جزء من أجزائه - عجائب فطرة وغرائب حكمة لا تدرك بوصف الواصف ولا تبلغ بشرح الشارح: وقد احتج به أبو حنيفة (١) فيمن غصب بيضة فأفرخت عنده قال: يضمن البيضة ولا يرد الفرخ: لأنه خلق آخر سوى البيضة { فتبارك الله } فتعالى أمره (٢) في قدرته وعلمه { أحسن الخالقين } أي: أحسن المقدرين تقديرا، فترك ذكر المميز لدلالة الخالقين عليه. ونحوه: طرح المأذون فيه في قوله: { أذن للذين يقاتلون } (الحج: ٣٩) لدلالة الصلة. وروي عن عمر رضي الله عنه: (٧١٩) أن رسول الله لما بلغ قوله خلقا آخر، قال: "فتبارك الله أحسن الخالقين".

(١) قوله : وقد احتج به أبو حنيفة فيمن غصب بيضة فأفرخت عنده . أي أخرجت الفرخ . قال صاحب التقريب : وفيه نظر ؛ لأن الفرخ لو كان جزءا من المغصوب - أعني البيضة - لم توجد إلا بعد وجوده ، وقيل في الآية دليل بطلان قول من يقول بأن الإنسان شيء غير البدن ، وعلى بطلان قول من يقول بأنه غير مقيم وغير جسم .

(٢) قوله : { فتبارك الله } فتعالى أمره . قال المصنف : ونظيره [٦١] قوله عليه السلام : إن الله جميل يحب الجمال المعنى : جميل فعله ، فحذف المضاف إليه مقامه فانقلب مرفوعا فاستكن فكأنه قيل : أحسن الخالقين خلقا ، وتقديرا على قوله : أحسن المقدرين تقديرا تميزا وليس بتأكيد ؛ لأن أفعال التفضيل إنما تنصب النكرات خاصة على

التمييز كقولهم : هذا أكبر منك سنا ، وتبارك تفاعل من بروك الإيل ، والبركا في الحرب وهو الثبات ، فمعنى { تبارك } ثبت ملكه واستقرت ألوهيته .

(٨٥/٥)

وروي: (٧٢٠) أن عبد الله بن سعد بن أبي سرح كان يكتب للنبي ، فنطق بذلك قبل إمامته، فقال: له النبي : " اكتب هكذا نزلت" فقال: عبد الله: إن كان محمد نبيا يوحى إليه فأنا نبي(١) يوحى إلي، فلحق بمكة كافرا، ثم أسلم يوم الفتح.

ثم إنكم بعد sCE٩y7 لميتون (١٥) ثم إنكم يوم القيامة تبعثون اتدب

قرأ ابن أبي عبله وابن محيصن: لماتئون. والفرق بين الميت والمائت: أن الميت كالحية صفة ثابتة. وأما المائت، فيدل على الحدوث. تقول: زيد مائت الآن، ومائت غدا، كقولك يموت. ونحوهما: ضيق وضائق، وفي قوله تعالى: { وضائق به صدرك } (هود: ١٢) جعل

الإماتة التي هي إعدام الحياة، والبعث الذي هو إعادة ما يفنيه وبعدمه: دليلين(٢)

(١) قوله : "فأنا نبي" . إنما قال ذلك لأنه ظن المعجزة هو التلفظ ببعض الآيات ، وليس

كذلك ؛ لأن التحدي وقع ببعض سورة ، وأما قوله : { فليأتوا } تحديث مثله ، فالمراد القرآن كله كقوله : : { الله نزل أحسن الحديث } .

(٢) قوله : جعل الإمامة والبعث دليلين أيضا على اقتدار عظيم . قيل : أما الإشارة إلى كون الإمامة دالة على اقتدار عظيم فما في ثم من معنى التراخي في الرتبة وتأكيدها بقوله بعد ذلك ، يعني من أنشأ إنسانا لطيفا وأبدع تركيبا عجيبا لا يتسهل عليه إعدامه وتفكيك أحزابه ، لكن الله سبحانه وتعالى لعظم قدرته وأن الموجودات لا تتوقف حصولها إذا تعلق إرادته بها فيكون تفكيك ذلك التركيب العجيب الدائر في تلك الأطوار المتباينة التي تحيرت العقول فيها ، وإعدام ذلك الإنسان الغريب الذي من شاهده اضطر إلى قوله : { فتبارك الله أحسن الخالقين } دالا على اقتدار عظيم ، وأما دلالة البعث على الاقتدار العظيم فظاهر

فإن قلت : البعث هو الجزاء بالتوكيد لأن الجرم الغفير ينكرونه بخلاف الموت فإنه ضروري فلم جيء بالموت بأن واللام والجملة الاسمية خصوصا مع الإتيان بالصفة المشبهة في { ميتون } مع أنه غير منكر ، وأتى في البعث المنكر بأن فقط ؟ .

قلت : تأكيد الموت في المعنى عائد إلى توكيد ما هو متوقف عليه من الجزاء ، ومن ثم

كرر { إنكم } ونقل من الغيبة إلى الخطاب ، ولأن الموت كالمقدمة للبعث فكان توكيده
توكيدا له ، وقيل : إنما بولغ في القرينة الأولى لتمادي المخاطبين في الغفلة فكأنهم
تزلوا منزلة المنكرين لذلك ، وأخلت الثانية لوضوح وبسطوع براهينها وتكرير حروف
التراخي للأبدان بتفاوت المراتب والأطوار .
(٨٦/٥)

أيضا على اقتدار عظيم بعد الإنشاء والاختراع. فإن قلت: فإذا لا حياة إلا حياة
الإنشاء وحياة البعث. قلت: ليس في ذكر الحياتين نفي الثالثة وهي حياة القبر، كما لو
ذكرت ثلثي ما عندك وطويت ذكر ثلثه لم يكن دليلا على أن الثلث ليس عندك. وأيضا
فالغرض ذكر هذه الأجناس الثلاثة: الإنشاء والإماتة والإعادة، والمطوي(١) ذكرها من
جنس الإعادة.

ولقد sY)n=yz\$ فوقكم سبع t، ح !u#ج غ وما كنا عن ب، ù=sfù:\$#
tû، ح #دے "xî اتذب

(١) قوله : والمطوي ذكرهما من جنس الإعادة . يعني حيوة القبر .
(٨٧/٥)

الطرائق: السماوات، لأنه طورق(١) بعضها فوق بعض كمطارقة النعل، وكل شيء فوقه مثله
فهو طريقة: أو لأنها طرق الملائكة ومتقلباتهم: وقيل: الأفلاك(٢)؛ لأنها طرائق
الكواكب فيها مسيرها: أراد بالخلق السماوات، كأنه قال: خلقناهم فوقهم { وما كنا {
عنها { غافلين { وعن حفظها وإمسакها أن تقع فوقهم بقدرتنا: أو أراد به الناس(٣)
وأنه أنما خلقها فوقهم ليفتح عليهم الأرزاق والبركات منها، وينفعهم بأنواع منافعها،
وما كان غافلا عنهم وما يصلحهم.

ur&Rr"uZ9u\$ من السماء ماء بقدر فأسكناه في الأرض وإنا على ذهاب به لقادرون
اترب

}

(١) قوله : لأنه طورق بعضها فوق بعض كمطارقة النعل طارق النعل إذا صيرها لما ما فوق
طاق وركب بعضها فوق بعض ، فالتشبيه هاهنا واقع في مجرد تصييرها طاقا فوق طاق دون

الصلق .

(٢) قوله : وقيل الأفلاك . أي وقيل الطرائق : الأفلاك ، والفرق أن المظلة إذا اعتبر فيها الأطباق أو طرق الملائكة سميت سموات ، وإذا نظر إلى الكواكب وسير الكواكب فيها سميت أفلاك لقوله تعالى : { كل في فلك يسبحون } .

(٣) قوله : أو أراد به الناس عطف على قوله : أراد بالخلق السموات ، يعني أن الخلق إما مظهر أقيم مقام المضممر للإشعار بأنه خلق السموات عن حكمة ، وأنها محفوظة بحفظه ، وإما مصدر بمعنى مخلوق للإشعار بفصيلة الإنسان وأن هذه المخلوقات العظام أوجدت لمنفعة دنيا ودينا أسنانا عليهم ، وعلى التقديرين يلزم تعظيم ما يراد منه .

(٨٨/٥)

بقدر { بتقدير يسلمون معه من المضرة، ويصلون إلى المنفعة. أو بمقدار ما علمناه من

حاجاتهم ومصالحهم. { فأسكناه في الأرض } كقوله: { فسلكه ينابيع في الأرض } (الزمر: ٢١) وقيل: جعلناه ثابتا في الأرض. وقيل: إنها خمسة أنهار: سيحون نهر الهند. وجيحون: نهر بلخ، ودجلة والفرات: نهرا العراق. والنيل: نهر مصر، أنزلها الله من عين واحدة من عيون الجنة، فاستودعها الجبال، وأجراها في الأرض، وجعل فيها منافع للناس في أصناف معاشهم. وكما قدر على أنزاله فهو قادر على رفعه وإزالته. وقوله: { على ذهاب به } من أوقع النكرات وأحزها للمفصل. والمعنى: على وجهه (١) من وجوه الذهاب به وطريق من طرقه.

(١) قلوه : على وجه من الوجوه الذهاب به وفلك لأن التكثير في يدل على تفخيم شأنه أي ذهاب لا يكتنه كنهه ولا يقادر قدره ، وهذه المبالغة يقتضيها مقام الوعيد العظيم ؛ لأن الآية جاءت بعد تعداد نعمتي الأنفس والآفاق ، واستجلاب الشكر لهما ، والتحذير من كفرانهما ، ولذلك أكد الجملة بأنواع من المؤكدات حيث جيء بها اسمية مصدر بأن مؤكدة باللام ، وقدم المعمول فيها على العامل ، وأتى بصيغة الكبرياء والعظمة وهي ضمير الجماعة ، وبحرف الجر الدال على الاستصحاب أي يأخذه الله ويمسكه ، وما يمسك فلا مرسل له من بعده ، ولما تضمنت تضمنت هذه الآية هذه الاعتبارات قال : هي أبلغ من قوله : { إن أصبح مأوكم غورا } لأن غور الماء بنفسه ليس كإذهاب الله إياه ، ولأنه حال عن المؤكدات ، ولأنه أضاف فيه الماء إليهم وفنده بأصبح وليس تنكير غورا لتأكيد ذهاب لأنه للجنس وهو ما يعلمه كل أحد من أن الغور ما هو ، وهذا النوع كما مر ، ولم

(١) قوله : فالأن يأكل من حرفة يحترفها فمن على هذا ابتداء ن والمفعول محذوف ، ولهذا قال : إنها جهته التي يحصل منها رزقه ، وعلى الأول تبعيضه وهو المفعول ، والطعمة - بالكسر - الوجه الذي يحصل منه الطعمة بالضم وهو ما يطعم الأول الحرفة والتجارة ،

والثاني المأكول كالخبز ونحوه . [٦٢]

(٢) قوله : وأنشد لزهير

رأيت ذوي الحاجات حول بيوتهم ... قطينا لهم حتى إذا أنبت البقل

رأيت على الخطاب تصحيح الضغافى ، ذوو الحاجات الفقراء والمساكين ، قطينا أي مقيما جمع قاطن ، والقطين الخدم والأتباع ، يقول : رأيت ذوي الحاجات مقيمين حول بيوتهم لقضاء أوطارهم لأنها معاهد الكرم وموارد النعم حتى إذا أنبت البقل وظهر الخصب فحينئذ ينقصون من حولها للانتجاع .

وقال الحريري : قيل في جوز الجمع بين حرفي التعدية في قراء ضم التاء قول الأحسن منها أنه إنما زيدت الباء لأن إنباتها الهن بعد إنباتها الثمر الذي يخرج الدهن منه ، فلما كان الفعل في المعنى قد تعلق بمفعولين يكونان في حال بعد حال وهما الثمرة والدهن أحتيج إلى تقويته في التعدى بالباء ، والدهان جمع دهن كالشهاد والصلاب في شهد وصلب .

(٩١/٥)

رأيت ذوي الحاجات حول بيوتهم ... قطينا لهم حتى إذا أنبت البقل

والثاني: أن مفعوله محذوف، أي: تنبت زيتونها وفيه الزيت. وقرئ: "تنبت" بضم التاء وفتح الباء، وحكمه حكم تنبت. وقرأ ابن مسعود: تخرج الدهن وصبع الأكلين. وغيره: تخرج بالدهن: وفي حرف أبي: "تثمر الدهن" وعن بعضهم: تنبت بالدهان. وقرأ الأعمش: "وصبغا" وقرئ: و "صباغ" ونحوهما: دبغ ودباغ. والصبغ: الغمس للاندماج. وقيل: هي أول شجرة نبتت بعد الطوفان، ووصفها الله تعالى بالبركة في قوله: { يوقد من شجرة مباركة } (النور: ٣٥).

وإن لكم في الأنعام لعبرة نسقيكم مما في $\text{نق} \text{Xqdpk}$ / ولكم فيها منافع كثيرة ومنها

تأكلون (٢١) وعليها وعلى الفلك تحملون ائتب

قرئ: "تسقيكم" بقاء مفتوحة، أي: تسقيكم الأنعام { ومنها تأكلون } أي تتعلق بها

منافع من الركوب والحمل وغير ذلك، كما تتعلق بما لا يؤكل لحمه من الخيل والبغال والحمير. وفيها منفعة زائدة، وهي الأكل الذي هو انتفاع بذواتها، والقصد بالأنعام

إلى الإبل لأنها هي المحمول عليها في العادة، وقرنها بالفلك - التي هي السفائن - لأنها سفائن البر. قال ذو الرمة: (١)

سفينة بر تحت خدي زمامها

يريد صيدحه.

(١) قوله : قال ذو الرمة : سفينة بر تجب خزي رمامها . أوله : طروقا وجلب الرجل مسدود به . وقبله : إلا خيلت بي وقد نام صحبتي فما يفر التهويم إلا سلامها . خيلت أي أرت خيلها ، والتهويم أول النوم ، والطروق الإلمام بالليل ، وجلب الرجل عيدانه ، وصدق علم لناقة ذي الرمة . قال : فقلت لصيدح انتجعي بلالا . ومعنى يجيلونه يفسدون عقله من الخيل بالتسكين وهو الفساد .
(٩٢/٥)

tf"(Qqs نوحا إلى قومه فقال دs9ur \$sYù=yTM'r
إله

خīمچcn¼ أفلا تتقون (٢٣) فقال الملأ الذين كفروا من قومه ما هذا إلا ضر | o0³
مثلكم

لذf%حجمf أن يتفضل عليكم ولو شاء الله R"tAu ملائكة ما سمعنا بهذا في uZ\$ح
nt/#u\$!

حين Lxm®س٤ yIsùzu/فء#q (٢٤) إن هو إلا رجل به جنة (rF{\$# 24"د،tû
اثنى

{ غيره } بالرفع على المحل، وبالجذر على اللفظ، والجملة استئناف تجري مجرى التعليل
للأمر بالعبادة { أفلا تتقون } أفلا تخافون أن ترفضوا عبادة الله الذي هو ربكم
وخالقكم ورازقكم، وشكر نعمته التي لا تحصونها واجب عليكم، ثم تذهبوا فتعبدوا غيره
مما ليس من استحقاق العبادة في شيء { أن يتفضل عليكم } أن يطلب الفضل عليكم
ويرأسكم، كقوله تعالى: { وتكون لكما الكبرياء في الأرض } (يونس: ٧٨). { بهذا }

إشارة إلى نوح عليه السلام، أو إلى ما كلمهم به من الحث على عبادة الله، أي: ما سمعنا بمثل هذا الكلام، أو بمثل هذا الذي يدعي وهو بشر أنه رسول الله، وما أعجب شأن الضلال لم يرضوا للنبوّة ببشر وقد رضوا للإلهية بحجر: وقولهم: { ما سمعنا بهذا } يدل على أنهم وآباؤهم كانوا في فترة متطاولة. أو تكذبوا في ذلك لأنهما كهم في الغي، وتشمرهم لأن يدفعوا الحق بما أمكنهم وبما عن لهم، من غير تمييز منهم بين صدق وكذب. ألا تراهم: كيف جنتوه وقد علموا أنه أرجح الناس عقلا وأوزنهم قولاً. والجنة: الجنون أو الجن، أي: به جن يخلونه { حتى حين } أي احتملوه واصبروا عليه إلى زمان، حتى ينجلي أمره عن عاقبة، فإن أفاق من جنونه وإلا قتلتموه.

(٩٣/٥)

قال رب 'Tد'ف\$S# بما كذبون (٢٦) !Y\$س'xm÷rr'س' إليه أن ئى #sYô1\$الفلك

sY\$س'م^م'om'خ /sY\$س'omurur إذا جاء &Dr\$ت'ك'وفار التنور
e@à2ه فيها من 07è=TM\$S\$سù

زوجين اثنين وأهلك إلا من سبق عليه القول منهم ولا سة_د"sféB في الذين
(#Jn=sك'q#)

NXk®(خ 27) -B { %ècq (إذا استويت أنت ومن y7ye"B على الفلك فقل
%Jutù:ô\$# لله

الذي sY9OftR\$ من القوم 7JüD="©28) #à9\$ وقل رب سة_ح"Rr& منزلا
%B-7t'u.Z وأنت

م7tûyz، د!ح"29) #J9\$ إن في 7dy9"CE" لايات وإن كنا
Jstû=7Gكs9اجةب

في نصرته(١) إهلاكهم، فكأنه قال: أهلكهم بسبب تكذيبهم إياي، أو انصرتني بدل ما كذبوني، كما تقول: هذا بذاك، أي بدل ذاك ومكانه. والمعنى: أبدلني من غم تكذيبهم، سلوة النصره(٢) عليهم، أو انصرتني(٣)

(١) قوله : في نصرته إهلاكهم . يعني (انصرتني) مجاز عن (أهلكهم) لأن في نصرته إهلاكهم إطلاق الاسم السبب على المسبب .

(٢) قوله : أبدلني من غم تكذيبهم سلوه النصره . أراد أن (انصرتني) متضمن لمعنى

أبدلني باستعانة الياء ، ولهذا جعل النصرة مفعولا به بحذف المضاف .
(٣) قوله : أو انصرتني بإنجاز ما وعدتهم . فعلى هذا متعلق (انصرتني) محذوف ، والياء سببية كما في الوجه الأول .

قال صاحب التقريب : يكفي أن يقال : انصرتني بنزول العذاب عليهم بسبب تكذيبهم إياي .
(٩٤/٥)

إنجاز ما وعدتهم من العذاب، وهو ما كذبوه فيه (١) حين قال لهم: { إني أخاف عليكم عذاب يوم عظيم } (الأعراف: ٥٩)، (الشعراء: ١٣٥)، (الأحقاف: ٢١). { بأعيننا }

بحفظنا (٢) وكلاءنا، كأن معه من الله حفاظا يكلؤونه بعيونهم، لئلا يتعرض له ولا يفسد عليه مفسد عمله. ومنه قولهم عليه من الله عين كائلة { ووحينا } أي نأمرك كيف تصنع ونعلمك. روي أنه أوحى إليه أن يصنعها على مثال جؤجؤ الطائر. روي أنه قيل لنوح عليه السلام: إذا رأيت الماء يفور من التنور فاركب أنت ومن معك في السفينة، فلما نبع الماء من التنور أخبرته امرأته فركب. وقيل: كان تنور آدم عليه السلام، وكان من حجارة، فصار إلى نوح. واختلف في مكانه، فعن الشعبي: في مسجد الكوفة عن يمين الداخل مما يلي باب كندة، وكان نوح عمل السفينة وسط المسجد. وقيل: بالشام بموضع يقال له: عين وردة. وقيل: بالهند. وعن ابن عباس رضي الله عنه: التنور وجه الأرض. وعن قتادة: أشرف موضع في الأرض، أي أعلاه. وعن علي رضي الله عنه: فار التنور (٣): طلع الفجر. وقيل: معناه أن فوران التنور كان عند تنوير الفجر. وقيل: هو مثل كقولهم: حمي الوطيس. والقول هو الأول.

(١) قوله : وهو ما كذبوه فيه . يعني دل نسبة التكذيب إليه في { كذبوني } علتكذيب معهود .

(٢) قوله : بأعيننا بحفظنا وكلائنا . يعني استعير للحفظ الأعين للأبدان بأنه عليه السلام كان يحفظ من الله وكلايه بحيث يقدر فيله أنه تعالى جره من نفسه المقدسة المبرأة عن كل ما لا يليق بجلالته جماعة حفاظا بكلأونه بعيونهم ما يقول : كان من زيدا سدا ، والجؤجؤ الصدر ، والجمع الجاجي .

(٣) قوله: { فار التنور } طلع الفجر . كأنه قيل : فار التنور من الأرض ، وطلع الفجر من السماء ، فيكون قوله : وقيل معناه تفسير لقول علي عليه السلام ، قيل : أصل تنور

ونور فقلت الواو تأكما في ترات وتحمة وحمي الوطيس أي التنور كناية عن شدة الأمر واضطرام الحرب .
(٩٥/٥)

يقال : سلك فيه : دخله . وسلك غيره ، وأسلكه . قال (١) :
حتى إذا أسلكوهم في قتائده
{ من كل زوجين } من كل أمتي زوجين ، وهما أمة الذكر وأمة الأنثى ، كالجمال ، والنوق ،
والحصن والرمك { اثنين } واحد من مزدوجين ، كالجمال والناقاة ، والحصان والرمكة : روي
أنه لم يحمل إلا ما يلد ويبيض . وقرئ : " من كل " بالتونين ، أي : من كل أمة زوجين .
واثنين : تأكيد وزيادة بيان .

(١) قوله : حتى إذا أسلكوهم في قتائده . تمامه : شلا كما تطرد الجمالة الشرذا . قيل
: البيت لعبد مناف الهذلي ، وقتائده بضم القاف والتاء المثناة من فوق ثنية معروفة ،
والشل الطرد ، أي شلون شلا ، والجمال جمع جمال ، والشرد جميع شرود ، يصف جيشا
هزموا
قال : هزموهم وطردوهم حتى أدخلوا في هذه الثنية كما يطرد الجمالة النوق النافذة ،
قل : هذا البيت آخر القصيدة فلا جواب لقوله : إذا أسلكوهم ، وقيل : قوله شلا جواب
إذا ، أي حتى إذا أسلكوهم شلوهم شلا ، فاجترى بالمصدر عن الفعل ، والزماك جمع رمكة
وهي الأنثى من البراذين ، ومعنى واحد من الذكور وواحد من الإناث ، والضمير في ليته
للخلافة ، والكفاف هو الذي لا يفضل عن الشيء ويكون بقدر الحاجة ، والنصب على أنه
حال ، وقيل : أراد به مكفوفا عن شرها ، وقيل : لفظ حديث عن وددت أني سلمت من
الخلافة كفافا لا على ولا لي ، وقريب من هذا في المعنى قول الشاعر :

على أنني راض بأن أحمل الهوى ... وأخلص منه لا علي ولا ليا
(٩٦/٥)

جاء بعلى مع سبق الضار ، كما جاء باللام مع سبق النافع . قال الله تعالى : { إن الذين
سبقتم لهم من الحسنات } (الأنبياء : ١٠١) ، { ولقد سبقتم كلمنا لعبادنا المرسلين }
(الصفات : ١٧١) ، ونحو قوله تعالى : { لها ما كسبت وعليها ما اكتسبت } (البقرة : ٢٨٦)

وقول عمر رضي الله عنه: ليتها كانت كفافا، لا علي ولا لي. فإن قلت: لم نهاه عن الدعاء لهم بالنجاة؟ قلت: لما تضمنته الآية من كونهم ظالمين، وإيجاب الحكمة أن يغرقوا لا محالة، لما عرف من المصلحة في إغراقهم، والمفسدة في استبقائهم، وبعد أن أملى لهم الدهر المتطاوّل فلم يزدوا إلا ضلالا، ولزمتهم الحجة البالغة لم يبق إلا أن يجعلوه عبرة للمعتبرين. ولقد بالغ في ذلك حيث أتبع النهي عنه، الأمر بالحمد على هلاكهم والنجاة منهم، كقوله: { فقطع دابر القوم الذين ظلموا (٩٧/٥)

والحمد لله رب العالمين { (الأنعام: ٤٥)، ثم أمره أن يدعوه بدعاء هو أهم وأنفع له، وهو طلب أن ينزله في السفينة أو في الأرض عند خروجه منها، منزلا يبارك له فيه ويعطيه الزيادة في خير الدارين، وأن يشفع الدعاء بالثناء عليه المطابق لمسألته، وهو قوله: { وأنت خير المنزلين } . فإن قلت: هلا قيل: فقولوا: لقوله: { فإذا استويت أنت ومن معك } لأنه في معنى: فإذا استويت؟ قلت: لأنه نبيهم وإمامهم، فكان قوله قولهم، مع ما فيه من الإشعار بفضل النبوة وإظهار كبرياء الربوبية، وأن رتبة تلك المخاطبة لا يترقى إليها إلا ملك أو نبي. وقرئ: "منزلا" بمعنى إنزالا، أو موضع إنزال، كقوله: ليدخلهم مدخلا يرضونه. { أن اصنع الفلك بأعيننا ووحينا فإذا جاء أمرنا وفار التنور فاسلك فيها من كل زوجين اثنين وأهلك إلا من سبق عليه القول منهم ولا تخاطبني في الذين ظلموا! إنهم مغرقون } هي المخففة من الثقيلة، واللام هي الفارقة بين النافية وبينها في المعنى، وإن الشأن والقصة { كنا لمبتلين } أي مصيبن قوم نوح ببلاء عظيم وعقاب شديد. أو مختبرين بهذه الآيات عبادنا لننظر من يعتبر ويذكر، كقوله تعالى: { ولقد تركناها آية فهل من مدكر } (القمر: ١٥) ثم أنشأنا من بعدهم R, \$tûi% s% u#yzن (٣١) فأرسلنا kژدù رسولا منهم أن اعبدا الله ما لكم من إله ¼cnم xîأفلا تتقون اجشب }

(٩٨/٥)

قرنا آخرين { هم عاد قوم (١) هود: عن ابن عباس رضي الله عنهما. وتشهد له حكاية الله تعالى قول هود: { واذكروا إذ جعلكم خلفاء من بعد قوم نوح } (الأعراف: ٦٩) ومجيء قصة

هود على أثر قصة نوح في سورة الأعراف وسورة هود والشعراء. فإن قلت: حق أرسل أن يعدي يالى، كأخواته التي هي: وجه، وأنفذ، وبعث. فما باله عدي في القرآن يالى تارة، وبقي

أخرى، كقوله: { كذلك أرسلناك في أمة { (الرعد: ٣٠)، و { وما أرسلنا في قرية من نذير { (سبأ: ٣٤). { فأرسلنا فيهم رسولا { أي في عاد. وفي موضع آخر { وإلى عاد أخاهم هودا { (الأعراف: ٦٥)، (هود: ٥٠)؟ قلت: لم يعد بفي كما عدي يالى، ولم يجعل صلة (٢) مثله، ولكن الأمة أو القرية جعلت موضعا للإرسال، كما قال رؤية (٣):

(١) قوله : هم عاد قوم هود .

(٢) قوله : ولم يجعل صلة .. إلى آخره . أراد أن في ليست للتعدية كإلى ؛ لكن طرف اقتطع أرسلنا من صلته وجعل مطلقا ثم عدى نفي مبالغة كقوله : وأصلح في ذريتي ، فإن المعنى : اجعل ذريتي موضعا للإصلاح .

(٣) قوله : قال رؤية أرسلت فيها مصعبا ذا إقحام . بعده : طبيا فقيها بذات الإيلام . أصعب الجمل إذا لم يركب ولم يذل فهو مصعب وهو الفحل ، وبه سمي الرجل مصعبا لسؤدده

، ومعنى ذا إقحام ذا تقحم في الأمور يدخل فيها بغير تلبث ولا روية ، وقيل : يقال لخل ذو أقحام إذا سقط الثنية والرابعة في عام واحد ، وذلك منتهى قوته ، فكأنه قال : فجلا توبا ، والطب [٦٣] الحاذق ، والإيلام مصدر أيلمت الناقة إذا ورم حياها من شدة الشهوة ، وقيل : المعنى أرسلت في هذه القضية رجلا مسودا سخيا مجربا حاذقا بعلاج ذوات الإيلام وهي جراحة الرحم كناية عن اطلاعه على بواطن وجوده تدبيره ؛ وإنما خص علاجه بذلك لا من كان حاذقا بعلاك الرحم المستترة عن العيون كان في غاية الحذق ، ومعنى شتان ما هما بعدما بينهما والضمير للحق والباطل .

(٩٩/٥)

أرسلت فيها مصعبا ذا إقحام

وقد جاء "بعث" على ذلك في قوله: { ولو شئنا لبعثنا في كل قرية نذيرا { (الفرقان:

٥١). { أن { مفسرة لأرسلنا، أي: قلنا لهم على لسان الرسول: { اعبدوا الله {

وقال الملاء من قومه الذين كفروا وكذبوا دن!s\$د=خ/ج ½ zFy\$#

ur&r؟sYùu"gكN في

du4quòت#\$:utù الدنيا ما هذا إلا ضر | 03o مثلكم يأكل مما تأكلون منه
غUu±o"ur مما

تشيرون (٣٣) ولئن أطعتم # [ز | 03o مثلكم إنكم إذا tbrمزا"9©y اجحب
فإن قلت: ذكر مقال قوم هود في جوابه في سورة الأعراف وسورة هود بغير واو: { قال
الماء الذين كفروا من قومه إنا لنراك في سفاهة { (الأعراف: ٦٦)، { قالوا يا هود ما
جئتنا ببينة { (هود: ٥٣) ههنا مع الواو، فأى فرق بينهما؟ قلت: الذي بغير واو على
تقدير سؤال سائل قال: فما قال قومه؟ فقل له: قالوا كيت وكيت. وأما الذي مع الواو،
فعطف لما قالوه على ما قاله. ومعناه: أنه اجتمع في الحصول هذا الحق وهذا الباطل،
وشتان ما هما { بلقاء الآخرة { بلقاء ما فيها من الحساب والثواب والعقاب، كقولك: يا
حبذا جوار مكة(١): أي جوار الله في مكة.
حذف الضمير، والمعنى: من مشروبكم، أو حذف(٢) منه لدلالة ما قبله عليه { إذا { واقع
في جزاء الشرط وجواب للذين قاوولهم من قومهم، أي: تخسرون عقولكم وتغبنون في
آرائكم.

(١) قوله : جوار مكة . أي جوار الله في مكة ، وهذا أيضا مجاز ؛ لأن الجوار يستدعي
مجاورا لله تعالى لما أضاف البيت إلى نفسه ، فمن أقام فيه فكأنه أقام في جوار الله
فقليل : جار الله .
(٢) قوله : أو حذف منه لدلالة ما قبله . يريد أن ما في { ما يشربون { موصولة ، ولا
بد من الرجاء فحذفت لأن المراد مما يشربونه أو يشربون منه لدلالة قوله : { مما
يأكلون منه { ، وعلى التقدير الأول ما مصدرية .
(١٠٠/٥)

أيعدكم أنكم إذا متم وكنتم #\\$/u#è؟ وعظاما أنكم ٣٥u_مق 35) f'C * هيهات
هيهات لما
توعدون (٣٦) إن هي إلا \$Su?Yèتxm الدنيا نموت ونحيا وما نحن بمبعوثين (٣٧)
إن هو
إلا رجل ٣"u"lù#sy على الله كذبا وما نحن له بمؤمنين اجرب
ثنى { أنكم { للتوكيد(١)، وحسن ذلك لفصل ما بين الأول والثاني بالظرف. ومخرجون: خبر

عن الأول. أو جعل { أنكم مخرجون } مبتدأ، و { إذا متم } خبرا، على معنى: إخراجكم إذا متم، ثم أخبر بالجملة عن إنكم، أو رفع إنكم مخرجون { بفعل هو جزاء للشرط، كأنه

قيل: إذا متم وقع إخراجكم ثم أوقعت الجملة الشرطية خبرا عن إنكم. وفي قراءة ابن مسعود: "أبعدكم إذا متم".

قرىء: "هيهات" بالفتح والكسر والضم، كلها بتنوين وبلا تنوين، وبالسكون على لفظ الوقف فإن قلت: ما توعدون هو المستبعد، ومن حقه أن يرتفع بهيهات، كما ارتفع في قوله (٢):

فهيهات هيهات العقيق وأهله

(١) قوله : بني إنكم للتوكيد . قال الزجاج : أما إنكم الأولى فموضعها نصب على معنى أبعدكم بأنكم إذا متم ، والثانية كالأولى ذكرت توكيدا ، والمعنى : أبعدكم أنكم مخرجون إذا متم ، فلما بعد ما بين الأولى والثانية بالطرف اعيدانكم كقوله تعالى : { ألم تعملوا أنه من حادد الله ورسوله فإن له نار جهنم } المعنى : فله نار جهنم ، هذا مذهب سيبويه ، وقلت : وقول المصنف : وحسن ذلك الفصل بين الأول والثانية بالطرف أولى ، ونحو ذلك قول الشاعر :

لقد علم الحي اليمانون أنني ... إذا قلت أما بعد إني خطيبها

(٢) قوله : فهيهات العقيق وأهله . تمامه : وهيهات خل بالعقيق نواصله .
(١٠١/٥)

فما هذه اللام(١): قلت قال الزجاج(٢)

(١) قوله : فما هذه اللام . أي في { لما توعدون } .
(٢) قوله : قال الزجاج في تفسيره قال فيه ومن فتحها فموضعها الرفع وتأويلها البعد لما توعدون ؛ لأنها بمنزلة الأصوات وليست مسبقة من فعل فثبتت ، وأما من نون فإنه جعلها نكرة ويكون المعنى بعد لما توعدون ، وهو مثل سلام عليكم .

قال صاحب التقريب : ففي بناء { هيهات } ولم تقع موقعه بعد نظر . وقال أبو البقاء :

قول من قال { هيهات } بمعنى البعد ، وتكون موضعه مبتدأ و { لما توعدون } الخبر ضعيف ، وقلت : لا نظر ؛ لأن هذه الأسماء وإن سماها النحويون أسماء الأفعال لكن التحقيق أن يقال : إنها وضعت أولاً مواضع مصادر سدت مسد أفعالها ، ولهذا قال الزجاج : إن آمين حرف وضع موضع الاستحالة كما أن صه حرف وضع موضع السكوت فغير بالمصدر في نفسرها

إلا أن المصدر الواقع في هذا الاسم موقعه لما ناب مناب الفعل ، وأعني عنه تساهل النحويون في تسميتها بأسماء الأفعال قصراً للمسافة ، ثم إن هذه الأسماء تسبب جمودها وأن لا سبيل للتصرف ، والاشتقاق إليها بنيت ، وأعربت المصادر النائية مناب أفعالها وإن كان الجميع قد سد مسد الفعل ، والحاصل أنها إنما بنيت لأنها أغنت عنا الفعل ، وقولهم : سعي لكم وإن أغنا عنا الفعل إلا أن ذلك بطريق الالتزام من حيث أن المصدر المنصوب لا بد له من فعل ، ودلالة هذه الأسماء على الأفعال تشبه أن تكون بطريق التضمين فافترقا .

(١٠٢/٥)

في تفسيره: البعد لما توعدون، أو بعد لما توعدون فيمن نون فنزله منزلة المصدر. وفيه وجه آخر (١): وهو أن يكون اللام لبيان المستبعد ما هو بعد التصويت بكلمة الاستبعاد، كما جاءت اللام في { هيت لك } (يوسف: ٢٣) لبيان المهيت به.

(١) قوله : وفيه وجه آخر . وهو أن يكون اللام لبيان المستبعد ما هو بعد التصويت بكلمة الاستبعاد . قال صاحب التقريب : فعلى هذا في فاعل { هيهات } نظر ، وقال بن جني : ولا يجوز أن يكون { لما توعدون } فاعل { هيهات } لأن حرف الجر لا تكون فاعلاً ، ولم يجز اعتقاد زيادة اللام أيضاً لأنها إنما يراد في ما الغرض بزيادتها منه ممكن الإضافة ، قال : يا بؤس للحرب ، وإذا لم يكن بد من فاعل ولم يكن الظاهر فاعلاً ففيها ضمير فاعل لا محالة ، وهذا جواب عن النظر ، وقال بعضهم : فاعله مضمر ، أي بعد أخراجكم ، وفي حاشية : وعلى الوجه الثاني فاعل { هيهات } مضمر فسر بقوله : { ما توعدون } ، واللام للبيان كما في { هيت لك } ، والمهيب المصوت به .

(١٠٣/٥)

هذا ضمير لا يعلم ما يعني به إلا بما يتلوه من بيانه. وأصله إن الحياة { إلا حياتنا

الدنيا { ثم وضع { هي إلا حياتنا الدنيا نموت ونحيا وما نحن بمبعوثين { موضع الحياة، لأن الخبر يدل عليها ويبينها. ومنه: هي النفس (١) تتحمل ما حملت، وهي العرب تقول ما شاءت.

(١) قوله : هي النفس ما حملتها تتحمل . تمامه : وللدهر أيام تجور وتعديل . وقال صاحب الفرائد : ما ذكره ليس كما نحن فيه ؛ لأنه يصح أن يقال : الحياة ، وحيوتنا الدنيا ، ولا يصح النفس ، النفس ما حملتها تتحمل الثانية خبر للنفس الأولى ، وكذا القول في : هي العرب ، فلا يصح أن تكون الثانية مبنية للأولى فيهما فلا بد من اعتبار شيء يرجع إليه الضمير ، والذي يقدم لفظ الحياة في قوله : { وأترفناهم في الحياة الدنيا } . وأجيب : بأن استشهاده بمجرد البيان لأن الضمير في قوله : هي النفس ما حملتها تتحمل ، وكذلك في قوله : هي العرب تقول ما شاءت ضمير القصة ، والجملة مبنية له مفسرة أي القصة هذه وهي أن النفس [٦٤] ما حملتها تتحمل ، والعرب العرب تقول ما شاءت ، فإنه يصح على طريقة قوله : أنا أبو النجم وشعري شعري . وتكون الجملة الثانية مبنية للأولى كما سبق في قوله تعالى : { إنك أنت علام الغيوب } إذا انتصب { علام } على المدح ، وأما قوله : الضمير راجع إلى لفظ الحياة كما في قوله : { وأترفناهم في الحياة الدنيا } فبعيد جدا ؛ لأن تلك الحياة واقعة في كلام الله تعالى وهذا في أثناء كلام القوم لأنه تعالى يحكي كلامهم من قوله : { ما هذا إلا بشر مثلكم } إلى قوله : { وما نحن له بمؤمنين } .

(١٠٤/٥)

والمعنى : لا حياة إلا هذه الحياة؛ لأن "إن" النافية دخلت على "هي" التي في معنى الحياة الدالة على الجنس فنفتها، فوازنت "لا" التي نفت ما بعدها نفي الجنس { نموت ونحيا } أي يموت بعض ويولد بعض، ينقرض قرن ويأتي قرن آخر، ثم قالوا: ما هو إلا مفتر على الله فيما يدعيه من استنبائه له، وفيما بعدنا من البعث، وما نحن بمصدقين.

قال رب 'د\$R# بما كذبون (٣٩) قال عما ٥@=د%s ليصبحن نادمين (٤٠)

فأخذتهم

الصيحة بالحق Nك" sYù=yèyfsù غشاء فبعدا للقوم ٩\$#@=Jdtûü احتب

}

(١٠٥/٥)

قليل { صفة (١) للزمان، كقديم وحديث، في قولك: ما رأيته قديما ولا حديثا. وفي معناه:
عن قريب. و { ما { تأكيد قلة المدة وقصرها { الصيحة { صيحة جبريل عليه السلام: صاح
عليهم فدمرهم { بالحق { بالوجوب؛ لأنهم قد استوجبوا الهلاك. أو بالعدل من الله، من
قولك: فلان يقضي بالحق إذا كان عادلا في قضاياه: شبههم في دمارهم بالغناء: وهو حميل
السيل مما يلي واسود من العيدان والورق. ومنه قوله تعالى: { فجعله غثاء أحوى {
(الأعلى: ٥) وقد جاء مشددا في قول امرئ القيس (٢):
من السيل والغناء فلكة مغزل

(١) قوله : صفة للزمان . أي عن زمان قليل يعني عند الموت أو عند نزول العذاب . وقال أبو البقاء : عن تتعلق بـ { لتصبحن } ولم تمنع اللام كما منعها لام الابتداء ، وأجازوا زيда لأضربن ، لأن اللام للتوكيد ، ومثله قوله تعالى : { بقاء ربهم لكافرون } ، وقيل : اللام تمنع من التقديم إلا في الطرف فإنه يتسع فيها .

(٢) قوله : من السيل والغناء فلكه مغزل . أوله : كان ذري رأس المخيمر عدوه .

المخيمير بلد ببلاد بني تميم - بكسر الميم الثاني - شبه رأس هذا الجبل لاستدارته بالفلك ، وشبه الغنائة بالمغزل ، وروي فكله بضم الفاء وفتحها وكسرهما ، والدفر النتن خاصة ، يقال : دفرا له ، أي نتنا له ، والتويج كباس الوحشي الذي يلج فيه ، قال سيبويه : التاء مبدلة من الواو وهو فوعل لأنك لا تكاد تجد في الكلام بفعل أسماء ، وفوعل كبير ، والقيقور الوقار ، وأصله : ويقور ، قلب الواو ياء ، والضمير في يضربهما عائذ إلى البحر والحجر أضاف المصدر إلى المفعول .

(١٠٦/٥)

بعدا، وسحقا، ودفرا ونحوها؛ مصادر موضوعة أفعالها، وهي من جملة المصادر التي قال سيبويه: نصبت بأفعال لا يستعمل إظهارها. ومعنى { بعدا } : بعدوا، أي: هلكوا يقال: بعد بعدا وبعدا، نحو رشد رشدًا ورشداً. و { للقوم الظالمين } بيان لمن دعي عليه بالبعد، نحو: { هيت لك } (يوسف: ٢٣). و { لما تواعدون } (المؤمنون: ٣٦).

OèOç أنشأنا من بعدهم Rr,\$مچ%ژiحج#uynz (٤٢) ما تسبق من أمة أجلها وما يستأخرون

احجب

{ قرونا } قوم صالح ولوط وشعيب وغيرهم. وعن ابن عباس رضى الله عنهما: بني إسرائيل {

أجلها { الوقت الذي حد لهلاكها وكتب.

ثم أرسلنا sYn\$ ك'â™ تترى كل ما جاء أمة رسولها كذبوه sY÷èt7?r'sù\$ بعضهم بعضا

sYù=yèy_ur" gكN أحاديث فبعدا لقوم لا يؤمنون احب

{ تترا { فعلى: الألف للتأنيث؛ لأن الرسل جماعة. وقرىء: "تتري"، بالتنوين، والتاء بدل من الواو، كما في: تولج، وتيقور، أي: متواترين واحدا بعد واحد، من الوتر وهو الفرد: أضاف الرسل إليه تعالى وإلى أممهم { ولقد جاءتهم رسلنا بالبينات { (المائدة: ٣٢) { ولقد جاءتهم رسلهم بالبينات { (الأعراف: ١٠١) لأن الإضافة تكون الملائكة، والرسول ملابس المرسل والمرسل إليه جميعا { فأتبعنا { الأمم أو القرون { بعضهم بعضا { في الإهلاك { وجعلناهم { أخبارا يسمر بها ويتعجب منها. الأحاديث: تكون اسم جمع للحديث. ومنه: أحاديث رسول الله . وتكون جمعا للأحداث: التي هي مثل الأضحوكة والألحوبة والأعجوبة. وهي: مما يتحدث به الناس تلهيا وتعجبا، وهو المراد ههنا. ثم أرسلنا موسى وأخاه هارون بآياتنا وسلطان Aûi خ ٧-45 B) إلى فرعون وملئه (r#مژ sù\$TM\$y93t وكانوا قوما tû، د!t\$ احب (١٠٧/٥)

فإن قلت: ما المراد بالسلطان المبين؟ قلت: يجوز أن تراد العصا، لأنها كانت أم آيات موسى وأولاه، وقد تعلق بها معجزات شتى: من انقلابها حية، وتلقفها ما أفكته السحرة، وانفلاق البحر، وانفجار العيون من الحجر بضربهما بها، وكونها حارسا، وشمعة، وشجرة خضراء مثمرة، ودلوا ورشاء. وجعلت كأنها ليست بعضها لما استبدت به من الفضل، فلذلك عطفت عليها كقوله تعالى: { وجبريل وميكال { (البقرة: ٩٨) ويجوز أن تراد

الآيات أنفسها (١)، أي: هي آيات وحجة بينة { عالين { متكبرين { إن فرعون علا في الأرض { (القصص: ٤)، { لا يريدون علوا في الأرض { (القصص: ٨٣) أو متطاولين على الناس قاهرين بالبغي والظلم.

(s) sù\$٩ûq# أنؤمن لبشرين BدW÷=duZ\$ وقومهما لنا عابدون (٤٧) فكذبوهما فكانوا من المهلكين احرب

(١) قوله : ويجوز أن يراد الآيات نفسها . أي يراد بالسلطان نفس الآيات ، فالعطف من

باب قولك : (مررت بالرجل الكريم والنسمة المباركة) جرد من نفس الآيات سلطان مبين وعطف عليها مبالغة وهي هي .
(١٠٨/٥)

البشر يكون واحدا وجمعا: { بشرا سويا { (مريم: ١٧)، { لبشرين { ، { فإما ترين من البشر { (مريم: ٢٦) و"مثل" و"غير" (١) يوصف بهما: الاثنان، والجمع، والمذكر، والمؤنث: { إنكم إذا مثلهم { (النساء: ١٤٠)، { ومن الأرض مثلهن { (الطلاق: ١٢) ويقال أيضا: هما مثلاه، وهم أمثاله: { إن الذين تدعون من دون الله عباد أمثالكم { (الأعراف: ١٩٤). { وقومهما { يعني بني إسرائيل، كأنهم يعبدوننا خضوعا وتذلا. أو لأنه كان يدعي الإلهية فادعى للناس العبادة، وأن طاعتهم له عبادة على الحقيقة. ولقد snY÷ s?#u\$ن موسى الكتاب لعلهم %otG÷ku%oكtbr احزب { موسى الكتاب { (٢) أي قوم موسى التوراة { لعلهم { يعملون بشرائعها ومواعظها، كما قال: { على خوف من فرعون وملئهم { (يونس: ٨٣) يريد آل فرعون، وكما يقولون: هاشم، وثقيف، وتميم، ويراد قومهم. ولا يجوز أن يرجع الضمير في { لعلهم { إلى فرعون وملئه، لأن التوراة إنما أوتيتها بنو إسرائيل بعد إغراق فرعون وملئه: { ولقد آتينا موسى الكتاب من بعد ما أهلكنا القرون الأولى { (القصص: ٤٣). وجعلنا ابن مريم وأمه آية! كJ\$g"u#fur÷snY إلى ربوة ذات ٩' u#s% ومعين اخةب

(١) قوله : ومثل وغير يوصف بهما الآيتان الجميع . قال أبو البقاء : إنما لم يبين

مثلا وإن كانوا موصوفة مبني لأنه في حكم المصدر وقد جاءت تشيته وجمعه في قوله : { يرونهم مثلهم { وقوله : { ثم لا يكونوا أمثالكم { ، وقيل : إنما وحد لأن المراد المماثلة في البشرية وليس المراد الكمية .

(٢) قوله : موسى الكتاب . أي قوم موسى بدليل جمع الضمير في لعلهم كما قال : { من فرعون { ، والمراد من آل فرعون لجمعه الضمير في ملأئهم ، ومعنى كبد الأرض وسطها .
(١٠٩/٥)

فإن قلت: لو قيل آيتين هل كان يكون له وجه؟ قلت: نعم، لأن مريم ولدت من غير مسيس، وعيسى روح من الله ألقى إليها، وقد تكلم في المهد وكان يحيي الموتى مع معجزات أخر،

فكان آية من غير وجه، واللفظ محتمل للتثنية على تقدير { وجعلنا ابن مريم } آية { وأمه } آية ثم حذفت الأولى لدلالة الثانية عليها. الربوة والرباوة في راءهما الحركات. وقرئ: "ربوة ورباوة" بالضم. و "رباوة" بالكسر وهي الأرض المرتفعة. قيل: هي إيليا أرض بيت المقدس، وأنها كبد الأرض وأقرب الأرض إلى السماء بثمانية عشر ميلا. وقيل: دمشق وغوطتها. وعن الحسن: فلسطين والرملة. وعن أبي هريرة: الزموا هذه الرملة رملة فلسطين، فإنها الربوة التي ذكرها الله. وقيل: مصر. والقرار: المستقر من أرض مستوية منبسطة. وعن قتادة: ذات ثمار وماء، يعني أنه لأجل الثمار: يستقر فيها ساكنوها. والمعين: الماء الظاهر الجاري على وجه الأرض. وقد اختلف في زيادة ميمه وأصلته، فوجه من جعله مفعولا أنه مدرك بالعين لظهوره، من عانه: إذا أدركه بعينه، نحو: ركبته، إذا ضربته بركبته. ووجه (١) من جعله فعلا: أنه نفاع بظهوره وجريه، من الماعون: وهو المنفعة.

يا أيها الرسل كلوا من الطيبات واعملوا $s \cdot d = |T' \cdot x|$ بما تعملون $L \cdot d = t$ و اختب

(١) قوله : ووجه من جعله فعلا أنه نفاع . قال الزجاج : يجوز أن يكون فعلا من المعن مشتقا من الماعون وهذا بعيد ؛ لأن المعن في اللغة الشيء القليل ، والماعون هو الزكوة وهو فاعول من المعن ؛ وإنما سمت الزكوة ماعونها لأنها تؤخذ من المال وهي ربع عشره ، فهي قليل من كثير ، والمصنف - رحمه الله - جعله من الماعون الذي يتعاوره الناس في العادة من الناس والقدر ونحوهما .

(١١٠/٥)

هذا النداء والخطاب ليسا على ظاهرهما، وكيف والرسول إنما أرسلوا متفرقين في أزمنة مختلفة. وإنما المعنى: الإعلام بأن كل رسول في زمانه نودي لذلك ووصى به، ليعتقد السامع أن أمرا نودي له جميع الرسل ووصوا به، حقيق أن يؤخذ به ويعمل عليه (١). والمراد بالطيبات: ما حل وطاب. وقيل: طيبات الرزق حلال وصاف وقوام، فالحلال: الذي لا يعصى الله فيه، والصافي: الذي لا ينسى الله فيه، والقوام: ما يمسك النفس ويحفظ العقل. أو أريد ما يستطاب ويستلذ من المآكل والفواكه. ويشهد له مجيئه على عقب قوله: { وآويناهما إلى ربوة ذات قرار ومعين } (المؤمنون: ٥٠) ويجوز أن يقع هذا الإعلام عند إيواء عيسى ومريم إلى الربوة (٢)، فذكر على سبيل الحكاية، أي: أويناهما وقلنا لهما هذا، أي: أعلمناهما أن الرسل كلهم خوطبوا بهذا، فكلما مما رزقناكما واعملا

صالحا اقتداء بالرسل.

وإن ٤/٣nd"yd أمتكم أمة n`ur%oZoy وأنا ربكم فاتقون اخشب

(١) قوله : ويعمل عليه ضمن يعمل ، يعني يواظب .

(٢) قوله : ويجوز أن يقع هذا الإعلام عند إيواء عيسى ومريم إلى الربوة . قال صاحب التقریب : وفيه نظر ؛ إذ ليس المقول لهما بأنها الرسل لأنه لإنشاء النداء ولعلة أراد علمناهما معناه الخبري وهو خطاب الرسول لدلالة الإنشاء عليه . وقلت : أي نظر بعد قول المصنف : أي علمناها أن الرسل كلهم خوطبوا بهذا النداء وكون النداء للإنشاء لا يمنع من أن يقال : (قلنا لهما) أنا قلنا لجميع الرسل بأنها الرسل إلا أنه كما يقول لزيد قلت لعمرو يا عمرو أقبل . الطيبي : بلى أراد أن هذا الكلام كما أنه في الظاهر خطاب لجميع الرسل قاطبة على معنى أن كلا منهم خوطب به في زمانه ، ويدخل فيه

عيسى دخولا أوليا ، وهو في المعنى إعلام لرسول الله صلى الله عليه وأمته ، فكذلك يجوز أن يكون إعلاما لعيسى عليه السلام ليقتدي بالرسل في تناول ما رزق فذكر على سبيل الحكاية .

(١١١/٥)

قرىء: "وإن" بالكسر على الاستئناف. وأن بمعنى ولأن. وأن مخففة من الثقيلة، و { أمتكم } (١) مرفوعة معها.

&Brچs)tGsù Oèdu.©èûq# بينهم X#چç/م- كل O÷<"md بما
Ntbq%os9%oy%mk%çsù اخجب

وقرىء: { زبرا } جمع زبور، أي: كتباً مختلفة، يعني: جعلوا دينهم أديانا، وزبرا قطعاً: استعيرت من زبر الفضة والحديد، وزبرا: مخففة الباء، كرسل في رسل، أي: كل فرقة من فرق هؤلاء المختلفين المتقطعين دينهم، فرح بباطله، مطمئن النفس، معتقد أنه على الحق.

فذرهم في Oخgد؟uچ÷4HwسLxm® حين اخجب

(١) قوله : وأمتكم مرفوعة معها . قيل : أي مع القراءات ، والأولى أن يقال : أي مع المخففة . قال أبو البقاء : { أمتكم } الرفع على أنه خبر إن ، والنصب على أنه بدل أو عطف بيان ، وأمة بالنصب حال ، وبالرفع بدل من أمتكم ، أو خبر مبتدأ محذوف ، فعلى

المخففة أمتكم إما خبرا وبدل ، وعلى التقديرين لا يجوز سوى الرفع بخلاف في المثقلة ، أو شبهوا باللاعبين يريد أن قوله : { في غمرتهم } استعارة شبه جهلهم بغمرة الماء إذا وقع فيها الشخص فلا يدري كيف يتخلص منها ، والجامع الوقوع في ورطة الهلاك ثم كثر استعمالها في هذا المعنى حتى صارت كالمثل السائر في هذا المعنى - أعني في الشهرة - ، أو قوله : (قدرهم في غمرتهم) تمثيل شبه حال هؤلاء مع ما هم عليه من مجادلة الباطل والانغماس فيه بحال من يدخل في الماء الغامر للغب [٦٥] ، والجامع تضيق السعي بعد الكدح ، وهذا الوجه موافق لما قلته وهو قوله : { كل حرب بما لديهم فرحون } .

(١١٢/٥)

الغمرة. الماء الذي يغمر القامة فضربت مثالا لما هم مغمورون فيه من جهلهم وعميتهم. أو شبهوا باللاعبين في غمرة الماء لما هم عليه من الباطل. قال (١):

كأنني ضارب في غمرة لعب
وعن علي رضي الله عنه: في غمراتهم { حتى حين } إلى أن يقتلوا أو يموتوا.
أيحسون أنما نمدهم به من مال وبنين (٥٥) نسارع لهم في ن\$sfùجN`u\$ بل لا
يشعرون
اخذب

(١) قوله : كأنني ضارب في غمرة لغب . أوله : لتالي اللهو يطيبني فأتبعه . يطيبني فأتبعه أي يدعو لي من طباها يطبوا ويطيبه دعاه ، وأصل الضرب الإسراع في الأرض ، والمراد بالضارب هنا السائح ، والغمرة الماء المغطي للواقع فيه ، يقول : تدعوني ليالي اللهو فأتبعه كأنني سائح في غمرة من الماء يلعب فيه ، ورواية المطالع لغب بالغين المعجمة وهو من اللغوب ، ويروى بالرفع والجملة مضاف إليها لقوله : ليالي .

(١١٣/٥)

سلى رسول الله وسلم بذلك، ونهى عن الاستعجال بعذابهم والجزع من تأخيرهم. وقرئ:
"يمدهم" ويسارع، ويسرع، بالياء، والفاعل الله سبحانه وتعالى. ويجوز في: يسارع،
ويسرع: أن يتضمن ضمير الممد به. ويسارع، مبنيا للمفعول. والمعنى: أن هذا الإمداد
ليس إلا استدراجا لهم إلى المعاصي، واستجرارا إلى زيادة الإثم، وهم يحسبونه مسارعة

لهم في الخيرات، وفيما لهم فيه نفع وإكرام، ومعالجة بالثواب قبل وقته. ويجوز أن يراد في جزاء الخيرات كما يفعل بأهل الخير من المسلمين. و { بل لا يشعرون } استدراك لقوله: { أيحسبون } يعني: بل هم أشباه البهائم لا فطنة بهم ولا شعور، حتى يتأملوا ويتفكروا في ذلك: أهو استدراج، أم مسارعة في الخير؟ فإن قلت: أين الراجع من خبر أن لها اسمها إذا لم يستكن فيه ضميره؟ قلت: هو محذوف تقديره: نسارع به، ويسارع به، ويسارع الله به، كقوله: { إن ذلك من عزم الأمور } (الشورى: ٤٣) أي إن ذلك منه، وذلك لاستطالة الكلام (١) مع أمن الإلباس.

إن الذين هم من خشية N خ h5u' tbqàح (57 د±-B) والذين هم بآيات N ح h5u' tbqàح يؤمنون (٥٨) والذين هم N ح h5u' tbqàح لا يشركون (٥٩) والذين يؤتون ما آتوا وقلوبهم
 ى ur_#s'

N ح h5u' tbqàح إلى &k®XrN (u' أولئك tbqمصحج" | ،ç" في
 N ح h5u' tbqàح #s:sfù# وهم لها
 سابقون ادتب
 }

(١) قوله : وذلك لاستطالة الكلام . أشار إلى الحذف .
 (١١٤/٥)

يؤتون ما آتوا { يعطون ما أعطوا، وفي قراءة رسول الله وعائشة: (٧٢١) "يأتون ما آتوا"، أي يفعلون ما فعلوا. وعنهما أنها قالت: (٧٢٢) قلت يا رسول الله، هو الذي يزني ويسرق ويشرب الخمر وهو على ذلك يخاف الله؟ قال: "لا يا ابنة الصديق، ولكن هو الذي يصلي ويصوم ويتصدق، وهو على ذلك يخاف الله؟ قال: لا يا ابنة الصديق، ولكن هو الذي يصلي ويصوم ويتصدق وهو على ذلك يخاف الله أن لا يقبل منه. { يسارعون في الخيرات } يحتمل معنيين، أحدهما: أن يراد يرغبون في الطاعات أشد الرغبة فيبادرونها. والثاني: أنهم يتعجلون في الدنيا المنافع ووجوه الإكرام، كما قال: { فآتاهم الله ثواب الدنيا وحسن ثواب الآخرة } (آل عمران: ١٤٨)، { وآتيناه أجره في الدنيا وإنه في الآخرة لمن الصالحين } (العنكبوت: ٢٧) لأنهم إذا سورع بها لهم، فقد سارعوا في نيلها وتعجلوها، وهذا الوجه أحسن طباقاً للآية المتقدمة، لأن فيه إثبات ما نفى عن الكفار للمؤمنين.

وقرىء: "يسرعون في الخيرات" { لها سابقون } أي فاعلون السبق لأجلها أو سابقون الناس لأجلها، أو إياها سابقون(١)، أي: ينالونها قبل الآخرة حيث عجلت لهم في الدنيا. ويجوز أن يكون { لها سابقون } خبرا بعد خبر. ومعنى { وهم لها } كمعنى قوله(٢):

-
- (١) قوله : أو إياها سابقون فعلى اللام لضعف عمل اسم الفاعل خصوصا مع تقدمه ، وفيما قبله اللام بمعنى لأجل { والسابقون } إما يجري مجرى اللازم فلا يقدر له مفعول ، وإليه الإشارة بقوله : أي فاعلون التبيين لأجلها ، أو تقدر له مفعول وهو المراد من قوله : أو السابقون الناس لأجلها .
- (٢) قوله : أنت لها أحمد من بين البشر . ويروى أنت لها منذ زمن بين البشر . أوله

وهو لأعشى : الحرمارى داهية الدهر وصماء الغير ..خاطب المنذرين عمرو الكندي أبا النعمان هكذا رواية الجوهرى ، ومن ورى أحمد كما في المتن فالمراد النبي صلى الله عليه والضمير للنبوّة ، والحرمارى أرك النبي صلى الله عليه وصبحه وعلى أن المخاطب أبو النعمان ، فالضمير للزعامة ، والصماء الشديدة ، والمراد بصماء الغير العظمة ، قيل : الغير من الغيار كأنها تغير الإنسان ، ومن الغير الفتنة ، وقيل : هي الجرح الذي لا يندمل .

(١١٥/٥)

أنت لها أحمد من بين البشر

wur نكلف نفسا إلا وسعها \$ur\$ft\$y كتاب ينطق ب\$utù\$:خ/ وهم لا

fم<tbqçHs

(٦٢) بل قلوبهم في ou÷چHw من هذا ولهم أعمال من دون 7dy٩"CE s هم لها عاملون ادجب

يعني أن هذا الذي وصف به الصالحين(١) غير خارج من حد الوسع والطاقة، وكذلك كل ما كلفه عباده وما عملوه من الأعمال فغير ضائع عنده، بل هو مثبت لديه في كتاب، يريد اللوح، أو صحيفة الأعمال ناطق بالحق لا يقرءون منه يوم القيامة إلا ما هو صدق وعدل، لا زيادة فيه ولا نقصان ولا يظلم منهم أحد. أو أراد أن الله لا يكلف(٢) إلا الوسع، فإن لم يبلغ المكلف أن يكون على صفة هؤلاء السابقين بعد أن يستفرغ وسعه ويبذل طائفته فلا عليه، ولدينا كتاب فيه عمل السابق والمقتصد، ولا نظلم أحدا ولا نحطه دون درجته، بل قلوب الكفرة في غفلة غامرة لها { من هذا } أي مما عليه هؤلاء الموصوفون

من المؤمنين { ولهم أعمال } (٣) متجاوزة متخطية لذلك، أي: لما وصف به المؤمنون { هم لها { معتادون وبها ضارون، لا يفتمون عنها حتى يأخذهم الله بالعذاب.

(١) قوله : يعني أن هذا الذي وصف به الصالحين .. إلى آخره . إشارة إلى أن قوله : ولا يكلف نفسا إلا وسعها كالتذييل للآيات السابقة ، والتأكيد لمضمونها .
(٢) قوله : أو أراد أن الله لا يكلف عطف على قوله يعني أن هذا الذي . فعلى هذا لا

يكون تأكيدا ؛ بل استطرادا ، وبيان الحكم غير المذكور من المقتصدين ، ولهذا قال : ولدينا كتاب فيه عمل السابق والمقصد .

(٣) قوله : ولهم أعمال متجاوزة متخطية لذلك . إشارة إلى أن معنى دون في الآية التجاوز والتخطي عن حد أعمال المؤمنين .

(١١٦/٥)

#Lxm إذا أخذنا NخkژuuژاBم بالعذاب إذا هم يجأرون (٦٤) لا تجأروا اليوم إنكم منا

لا tbrمژ | 651) Zè?) قد كانت آياتي تتلى عليكم فكنتم على أعقابكم تنكصون (٦٦) مستكبرين به X#جدJ"TMy تهجرون ااذب

حتى هذه هي التي يتبدأ بعدها الكلام، والكلام: الجملة الشرطية(١)، والعذاب. قتلهم يوم بدر. أو الجوع حين دعا عليهم رسول الله فقال: (٧٢٣) "اللهم اشد وطأتك على مضر واجعلها عليهم سنين كسني يوسف فابتلاهم الله بالقحط حتى أكلوا الجيف والكلاب والعظام المحترقة والقذ والأولاد. الجؤار: الصراخ باستغاثة قال(٢):
جنار ساعات النيام لربه

(١) قوله : والكلام الجملة الشرطية وجواب الشرط إذا هم يجازون لأن إذا للمفاجأة بمنزلة الفاء ، قال تعالى : { وإن تصبهم سيئة بما قدمت أيديهم إذا هم يقنطون } أي فأجأوا بالصراخ والاستغاثة ، قيل : ويجوز أن الجواب لا تجازوا ، فإن القول مقدر قبله أي قبل لهم لا تجازوا .

(٢) قوله : قال جنار ساعات النيام لربه . أي هو كبير الصوت ، والصحيح في ساعات نوم النوم لأجل ربه .

(١١٧/٥)

به، بل (١) { جاءهم ما لم يأت آباءهم } فلذلك أنكروه واستبدعوه، كقوله: { لتنذر قوما ما أنذر آباؤهم فهم غافلون } (يس: ٦) أو ليخافوا عنه تدبر آياته وأقاصيصه مثل ما نزل بمن قبلهم من المكذبين، أم جاءهم من الأمن ما لم يأت آباءهم حين خافوا الله فآمنوا به وبكتبه ورسله وأطاعوه؟ وآباؤهم: إسماعيل وأعقابه من عدنان وقحطان. وعن النبي: (٧٢٤) "لا تسبوا مضر ولا ربيعة فإنهما كانا مسلمين، ولا تسبوا قسا فإنه كان

مسلمًا، ولا تسبوا الحارث بن كعب ولا أسد بن خزيمة ولا تميم بن مر. فإنهم كانوا على الإسلام، وما شككتهم فيه من شيء فلا تشكوا في أن تبعًا كان مسلمًا". وروي في أن ضبة كان مسلمًا، وكان على شرطة سليمان بن داود { أم لم يعرفوا } محمدًا وصحة نسبه، وحلولة في سطة هاشم، وأمانته، وصدقه، وشهامته، وعقله واتسامه بأنه خير فتيان قريش، والخطبة التي خطبها أبو طالب في نكاح خديجة بنت خويلد، كفى (٢) برغائها مناديا.

(١) قوله: بل أجاهم. يعني أم منقطعة، والاستفهام للتقدير، وعدنان هو ابن معد ذروة ولد إبراهيم واسماعيل عليهما السلام، وقحطان هو قحطان بن هو وليس من أعقاب إسماعيل، وهو متقدم على زمنه بمدة مديدة، وتبع هو بن ساعدة الأيادي أعقل العرب في زمانه وأبلغهم، قال عليه السلام: يبعث قيس يوم القيامة أمة. وتبع هو تبع بن ملكي كرب ملك المدينة قبل بعثة الرسول عليه السلام، وضبة هو ابن أد، وشرطة اسم جمع، وجمعه شرط كأمة وأمم، ومعنى في بسطه هاشم أنه من خيارهم وأشرافهم.

(٢) قوله: وكفى برغاتها مناديا. أراد أن رعى بغيره يقوم وآية في التعريض للضيافة والقرى هذا الميل بصرت في الأمر الواضح الذي عليه دليل.

(١١٩/٥)

الجنة: الجنون وكانوا يعلمون أنه بريء منها وأنه أرجحهم عقلا وأثقبهم ذهنا، ولكنه جاءهم بما خالف شهواتهم وأهواءهم، ولم يوافق ما نشأوا عليه، وسيط بلحومهم ودمائهم من اتباع الباطل، ولم يجدوا له مردًا ولا مدفعًا لأنه الحق الأبلج والصراط المستقيم، فأخلدوا إلى البهت وعولوا على الكذب من النسبة إلى الجنون والسحر والشعر. فإن قلت: قوله: { وأكثرهم } فيه أن أقلهم كانوا لا يكرهون الحق. قلت: كان فيهم من يترك الإيمان به أنفة (١) واستنكافًا من توبيخ قومه وأن يقولوا صبأ وترك دين آبائه، لا كراهة للحق، كما يحكي عن أبي طالب. فإن قلت: بزعم بعض الناس أن أبا طلب صح إسلامه.

قلت: يا سبحان(٢) الله، كأن أبا طالب كان أحمل أعمام رسول الله ، حتى يشتهر إسلام حمزة والعباس رضي الله عنهما، ويخفي إسلام أبي طالب.

ولو ي#\$"t7# الحق أهواءهم لفسدت ف9\$#،yJ"V`uq والأرض ومن فيهن بل

&sY÷ s?r"Ng

دNدحج ٢ةخ/ فهم عن دNدحج. دE ژcqa`تحج÷B-è اذتب

- (١) قوله : من يترك الإيمان أنفة واستنكافا من توبيخ قومه . الانتصاف : قول الزمخشري : من ترك الإيمان لأجاب آياته لم يكن كارها غير صحيح ، فمن أحب شيئا كره ضده ، فلما أخبر البقاء على كفرهم كرهوا الانتقال عنه واستخره الكلام إلى الموت أبي طالب حال كونه غير كاره للإيمان ، وقلب لا يلزم من دوام الإنسان على شيء لغرض من الأغراض في الظاهر أن يكون كارها لما عداه . الانتصاف : فالأحسن أن يعود الضمير في { وأكثرهم } إلى الجنس لجملته ، ويحتمل أن يراد [٦٦] بالأكثر الكل .
- (٢) قوله : يا سبحان . أي يا قوم سبحان الله ، وهي كلمة تنزيه استعملت للتعجب ، والكردة بالضم عن المصنف - رحمه الله - جمعها الكرد وهي من وضع الكرد والعرب لا تعرفها ، وهي قطعة أرض مزروعة .
- (١٢٠/٥)

دل بهذا على عظم شأن الحق، وأن السماوات والأرض ما قامت ولا من فيهن إلا به، فلو اتبع أهواءهم لانتقلب باطلا، ولذهب ما يقوم به العالم فلا يبقى له بعده قوام. أو أراد أن الحق الذي جاء به محمد وهو الإسلام، لو اتبع أهواءهم وانقلب شركا، لجاء الله بالقيامة ولأهلك العالم ولم يؤخر. وعن قتادة: أن الحق هو الله. ومعناه: لو كان الله إلها يتبع أهواءهم ويأمر بالشرك والمعاصي، لما كان إلها ولكان شيطانا، ولما قدر أن يمسك السماوات والأرض { بذكرهم } أي بالكتاب الذي هو ذكرهم، أي: وعظهم أو وصيتهم وفخرهم: أو بالذكر الذي كانوا يتمنونه ويقولون: لو أن عندنا ذكرا من الأولين لكنا عباد الله المخلصين. وقرئ: "بذكرهم".

أم تسألهم خرجا كy,sùl#u ربك ضرچyz وهو مژçyz tùü%خ-ج\$٩# اذتب

(١٢١/٥)

قرئ: "خرجا فخراج" و"خرجا فخرج" "خرجا فخراج" وهو ما تخرجه إلى الإمام من زكاة أرضك. وإلى كل عامل من أجرته وجعله. وقيل: الخرج: ما تبرعت به. والخراج: ما لزمك

أداؤه. والوجه أن الخرج أخص من الخراج، كقولك: خراج القرية، وخرج الكردة، زيادة
اللفظ لزيادة المعنى؛ ولذلك حسنت قراءة من قرأ: خرجا فخراج ربك(١)، يعني: أم تسألهم
على هدايتك لهم قليلا من عطاء الخلق، فالكثير من عطاء الخالق خير.
وانك لتدعوهم إلى ٧ق"u"إه Oة73,tG-B-) وإن الذين لا يؤمنون
چ½\$zFy\$/خ/ عن
إق"u"إ_٩# \$tbqç6"٣٩ uZs9 اذحب

(١) قوله : ولذلك حسنت قراءة من قرأ خرجا فخراج ربك . قال صاحب الفرائد : إن الخرج
يدل على القليل من إعطاء الخلق ، وأن الخراج على الكثير من إعطاء الخالق ، فكيف
يكون الخرج أخص من الخراج ، والمعنى : أیظنون أنك طامع في أموالهم فيما تدعوهم إليه
، أي ما يعطيك ربك على طاعتك في الدعاء إليه خير لك من عرض الدنيا . وأجيب : بأن
مراد المصنف من كونه أخص أنه مطلق لا الخاص الذي يقال العام لقوله زيادة اللفظ
لزيادة المعنى ، هذا والظاهر أنه أراد بكونه أخص أنه أقل غير عنه بدلان القلة لازمة
له ، ومعنى لم يعرض له لم يحن ، أي لم يعرض له الحن ولم يدعهم إلى دين من الإسلام
عطف على قوله : وأنه لم عرض له ، والاستهتار الولوع ز
(١٢٢/٥)

قد ألزمهم الحجة في هذه الآيات وقطع معاذيرهم وعللهم بأن الذي أرسل إليهم رجل معروف
أمره وحاله، مخبور سره وعلنه، خليق بأن يجتبي مثله للرسالة من بين ظهرائهم، وأنه
لم يعرض له حتى يدعى بمثل هذه الدعوى العظيمة بباطل، ولم يجعل ذلك سلما إلى النيل
من دنياهم واستعطاء أموالهم، ولم يدعهم إلا إلى دين الإسلام الذي هو الصراط
المستقيم، مع إبراز المكنون من أدوائهم وهو إخلالهم بالتدبر والتأمل، واستهتارهم
بدين الآباء الضلال من غير براهان، وتعللهم بأنه مجنون بعد ظهور الحق وثبات التصديق
من الله بالمعجزات والآيات النيرة، وكراحتهم للحق، وإعراضهم عما فيه حظهم من الذكر،
يحتمل(١)

(١) قوله : يحتمل أن هؤلاء وصفهم أنهم لا يؤمنون بالآخرة . يريد أن الآية مقابلة
لقوله : { وإنك لتدعوهم إلى صراط مستقيم } ، وأن الأصل { وإنهم عن الصراط لناكون }
فأعم المظهر مقامة ليؤذن أن منكر الحشر ناكث عن الصراط المستقيم الذي هو دين

الإسلام على الإيمان باليوم الآخر ، وقوله : وأن كل من لا يؤمن بالآخرة عطف على قوله : إن هؤلاء ، فعلى هذا لا يكون من إقامة المظهر مقام المضمّر ؛ بل الجملة تذييل فيدخل هؤلاء دخولا أوليا في هذا العام ، وصح أن بالكسر لأنه حكاية ما في القرآن ، وقيل : على الاحتمال الأول الصراط وهو الصراط المستقيم ، والألف واللام فيه للعهد ، وعلى الاحتمال الثاني المراد بالصراط القصد ، والألف واللام للجنس ، والعلهز شيء يتخذ في المجاعة يخلطون الدم بأوبار الإبل ثم يشوونه بالنار ويأكلونه ، وقيل : هو شيء نبت ببلاد بني سليم كأصل البردي والتملق قول أبي سفيان : أنشدك الله والرحم ، وقوله : (يسترحمونه) جملة مستأنفة أو حال مؤكدة ، والعامل اسم الإشارة ، والمراد بأعيانهم أبو سفيان ، وقوله : (أو محناهم) عطف على قوله : أخذناهم أولا بالسيوف .. (١٢٣/٥)

أن هؤلاء وصفتهم أنهم لا يؤمنون بالآخرة { لناكبون } أي عادلون عن هذا الصراط المذكور، وهو قوله: { إلى صراط مستقيم } وأن كل من لا يؤمن بالآخرة فهو عن القصد ناكب.

* ولو Nك"qH÷sY'qu وكشفنا ما بهم من ضر للجوا في طغيانهم يعمهون (٧٥) ولقد أخذناهم

بالعذاب فما استكانوا Nخh5uجد٩ وما يتضرعون (٧٦) #سLxm إذا
N\$FsùstYخkžtn=م

بابا ذا عذاب شديد إذا هم فيه tbqف،د=مB اذذب
(١٢٤/٥)

والمعنى: لو كشف الله عنهم هذا الضر وهو الهزال والقحط الذي أصابهم برحمته عليهم ووجدوا الخصب؛ لارتدوا إلى ما كانوا عليه من الاستكبار وعداوة رسول الله والمؤمنين

وإفراطهم فيها، ولذهب عنهم هذه الإبلas وهذا التملق بين يديه ويسترحمونه، واستشهد على ذلك بأننا أخذناهم أولا بالسيوف وبما جرى عليهم يوم بدر من قتل صناديدهم وأسرههم، فما وجدت منهم بعد ذلك استكانة ولا تضرع، حتى فتحنا عليهم باب الجوع الذي هو أشد من

الأسر والقتل وهو أطم العذاب، فأبسلوا الساعة وخضعت رقابهم، وجاء أعتاهم وأشدهم شكيمة في العناد يستعطفك. أو محناهم بكل محنة من القتل والجوع فما رؤي فيهم لين

مقادة وهم كذلك، حتى إذا عذبوا بنار جهنم فحينئذ يلبسون، كقوله: { ويوم تقوم الساعة يلبس المجرمون } (الروم: ١٢)، { لا يفتر عنهم وهم فيه مبلسون } (الزخرف: ٧٥). والإبلاس: اليأس من كل خير. وقيل: السكوت مع التحير. فإن قلت: ما وزن استكان؟ قلت: استفعل من الكون، أي: انتقل من كون إلى كون، كما قيل: استحال، إذا انتقل من حال إلى حال. ويجوز أن يكون افتعل (١)

(١) قوله: ويجوز أن يكون أفتعل من السكون. الانتصاف: كونه افتعل من الكون أحسن من هذا فإنه غير فصيح وبمنتزاح الضرورة إما بنظيره بقوله: كما قيل استحال إذا انتقل قوهم فإن استقل عنده أحد أقسام استفعل الذي معناه التحول فاستحجر واستنوق، وأما استحال فلأنه من حال يحول أفاد معنى الحول من غير نقل إلى استفعل، فاستفعل فيه بمعنى فعل، ومعنى الآية مما انتقلوا من كون التجبر إلى كون الخضوع لدلالة المقام عليه وكأن حدي امتحن بتعداد عند الناصر فسل عنها فقال: استكان مسبق من قول العرب كتب لك إذا خضعت، وهي لغة هذلية، وقد نقلها أبو عبيد في العريين وهو أحسن محامل الآية، ويكون استفعل بمعنى فعل مثل فر واستعقر، وعلى واستعلى، وحال واستحال. وسئلت: لم لا يجعله على هذا من استفعل للمبالغة كاستحسر واستعصم.. فقلت: المعنى يأباه؛ لأن المقصود وصفهم بغاية القسوة، فلو جعلها للمبالغة لم يفد ذلك

لأن نفي الأدنى أبلغ من نفي الأعلى، فيكون ذما بأنهم ما بلغوا في الضراعة تهاينها، وهم لم بشيء منها. وقال صاحب الانصاف: له محل صحيح وهو التنبية على أن ذلك العذاب مقتض لغاية الاستكانة، وقد أورد هذا السؤال في قوله: { ولا تستسخرون } وهي للمبالغة، وأجاب بما ذكرته.

(١٢٥/٥)

من السكون أشبعت فتحة عينه، كما جاء: بمنتزاح (١). فإن قلت: هلا قيل: وما تضرعوا. أو: فما يستكينون (٢)؟ قلت: لأن المعنى: محناهم فما وجدت منهم عقيب المحنة استكانة. وما من عادة هؤلاء أن يستكينوا ويتضرعوا حتى يفتح عليهم باب العذاب الشديد. وقرئ: "فتحننا".

وهو الذي أنشأ لكم السمع u "چ | ء/\$ur/F والأفئدة %s=دWx ما تشكرون (٧٨) وهو الذي

ذراكم في الأرض وإليه tbrمژ | 79³ (téB) وهو الذي يحيي ويميت وله اختلاف الليل

(١) قوله: ومعنى أنت بمنتراح من كذا يبعد منه وأصله بمنترح . قال ابن هرمة يرثي ابنه :

فأنت من الغويلة حين ترمي ... ومن ذم الرجال بمنتراح

إلا أنه أشنع فتحة الزاي فتولد الألف .

(٢) قوله : هلا قيل : وما تضرعوا وفما يستكثرون ؟ . أي لم يراع الموافقة بين المعطوف والمعطوف عليه في كونها ماضيين أو مضارعين ، وأجاب أن استكانوا على ظاهره لأنه قريب على قوله : { أخذناهم } وأما يتضرعون فعدول عن الظاهر لتوخي الاستمرار على عدم التضرع والدوام عليه ، وإليه الإشارة بقوله : وما من عادة هؤلاء أن يستكثروا ، أي يتضرعوا .
(١٢٦/٥)

إنما خص السمع والأبصار والأفئدة، لأنه يتعلق بها من المنافع الدينية والدنيوية ما لا يتعلق بغيرها. ومقدمة منافعها أن يعملوا أسماعهم وأبصارهم في آيات الله وأفعاله، ثم ينظروا ويستدلوا بقلوبهم. ومن لم يعملها فيما خلفت له فهو بمنزلة عادمها، كما قال الله تعالى: { فما أغنى عنهم سمعهم ولا أبصارهم ولا أفئدتهم من شيء } (الأحقاف:

٢٦) إذ كانوا يجحدون بآيات الله، ومقدمة شكر النعمة فيها الإقرار بالمنعم بها، وأن لا يجعل له ند ولا شريك، أي: تشكرون شكرا قليلا، و { ما تشكرون } مزيدة للتأكيد بمعنى حقا { ذرأكم } خلقكم وبثكم بالتناسل { وإليه } تجمعون يوم القيامة بعد تفرقكم { وله اختلاف الليل والنهار } أي هو مختص به وهو متوليه، ولا يقدر على تصريفهما غيره. وقرئ: "يعقلون" بالياء عن أبي عمرو.

بل قالوا مثل ما قال الأولون (٨١) %s\$٩nûq# أئذا متنا وكنا عظاما أئنا لمبعوثون (٨٢) لقد وعدنا نحن وآباؤنا هذا من قبل إن هذا إلا ميثجد "xyTMr الأولين ارجب

أي: قال أهل مكة كما قال الكفار قبلهم. الأساطير: جمع أسطار: جمع سطر. قال رؤبة(١):
إني وأسطار سطرن سطرًا

وهي ما كتبه الأولون مما لا حقيقة له. وجمع أسطورة أوفق(٢).

(١) قوله : وأني واسطار سطرن سطرًا . تمامه : لقائل نصر نصر نصرا . الواو للقسم ، أي
وحق كتب مسطورة ، ورفع نصر الثاني على اللفظ ، ونصب الثالث على المحل ، وكلاهما
توكيد لنصر المنادى ، ويجوز فيه وجوه آخر من الإعراب .
(٢) قوله : وجمع اسطورة أوفق . روي عن المصنف - رحمه الله - وذلك أن هذا النبأ لما
يتلهى به كالأضحوكة والأحدوثة والأعجوبة فيكون أنسب بهذا المقام ؛ لأن الأصل عدم
جمع الجمع .
(١٢٧/٥)

@%è لمن الأرض ومن فيها إن كنتم تعلمون (٨٤) سيقولون لله قل أفلا ترحمهم؟ xs?
(85)

قل من رب دq"uN"yJ#9 السبع ورب العرش العظيم (٨٦) سيقولون لله قل أفلا
تتقون

(٨٧) قل من 3/4nd%u خ/ك NqنB٣n=t كل شيء وهو مژجgن† ولا يجار عليه إن
كنتم تعلمون

(٨٨) سيقولون لله قل فأني تسحرون ارزب

أي: أجيئوني عما استعلمتكم منه إن كان عندكم فيه علم، وفي استهانة بهم وتحويز لفرط
جهالتهم بالديانات: أن يجهلوا مثل هذا الظاهر البين. وقرئ: "تذكرون" بحذف التاء
الثانية ومعناه: أفلا تتذكرون فتعلموا أن من فطر الأرض، ومن فيها اختراعا، كان

قاردا على إعادة الخلق، وكان حقيقا بأن لا يشرك به بعض خلقه في الربوبية. قرئ:
"الأول" باللام لا غير. والأخيران باللام، وهو هكذا في مصاحف أهل الحرمين والكوفة
والشام، وبغير اللام وهو هكذا في مصاحف أهل البصرة، فباللام على المعنى(١)؛

(١) قوله : [٦٧] باللام على المعنى . هذا ابتداء كلام من المصنف لبيان معنى القراءة
باللام في الأخيرين ، أي القراءة باللام محمولة على المعنى وتغير اللام عن اللفظ
السؤال لأنك إذا قلت : من رب الدار ، يقال : زيد ، ولو قيل لزيد لجاز على المعنى ؛
لأن معنى رب الدار لمن هي . وأنشد :

إذا قيل من رب القيان بوقف ... ورب الجياد الجرد قيل لخالد
(١٢٨/٥)

لأن قولك من ربه، ولمن هو في معنى واحد، وبغير اللام على اللفظ. ويجوز قراءة الأول
بغير لام، ولكنها لم تثبت في الرواية { أفلا تتقون } أفلا تخافونه فلا تشركوا به
وتعصوا رسله. أجرت فلانا على فلان: إذا أغثته منه ومنعته، يعني: وهو يغيث من يشاء
ممن يشاء، ولا يغيث أحد منه أحدا { تسحرون } (١) تخدعون عن توحيدهِ وطاعته.
والخداع:
هو الشيطان والهوى.

بل &sY÷ s?r"gNك بالحق وإنهم لكاذبون (٩٠) ما اتخذ الله من ولد وما كان معه من
إله

إذا لذهب كل s9"Omخ) بما خلق ولعلا بعضهم على بعض سبحانه الله عما يصفون (٩١)
وNد="tم الغيب ygO±9\$#ur"%oooy فتعالى عما يشركون ازئب
وقرىء: "أتيتهم" و "أتيتهم" بالفتح والضم { بالحق } بأن نسبة الولد إليه محال
والشرك باطل { وإنهم لكاذبون } حيث يدعون له ولدا ومعه شريكا { لذهب كل إله بما خلق
{ لانفرد كل واحد من الآلهة بخلقه الذي خلقه واستبد به، ولرأيتم ملك كل واحد منهم
متميزا من ملك الآخرين، ولغلب بعضهم بعضا كما ترون حال ملوك الدنيا ممالكهم متميزة
وهم متغالبون، وحين لن تروا أثرا لتمايز الممالك وللتغالب، فاعلموا أنه إله واحد
بيده ملكوت كل شيء. فإن قلت: إذا لا تدخل إلا على كلام هو جزاء وجواب، فكيف وقع

قوله لذهب جزاء وجوابا ولم يتقدمه شرط ولا سؤال سائل؟ قلت: الشرط محذوف تقديره: ولو
كان معه آلهة. وإنما حذف لدلالة قوله: { وما كان معه من إله } عليه. وهو جواب لمن
معه المحاجة من المشركين { عما يصفون } من الأندار والأولاد { عالم الغيب } بالجر
صفة لله. وبالرفع: خبر مبتدأ محذوف.

(١) قوله : يسحرون يخدعون . جعل خداع الشيطان والهوى كالسحر في سلب العقول .
(١٢٩/٥)

قل رب إما سة i_tfحج؟ ما يوعدون (٩٣) رب فلا سة ù=yègrB في القوم
à9\$#©"=Jdùt

(٩٤) وإنا على أن $\alpha R y 7 t f$ ما نعدهم لقادرون ازخب

ما والنون: مؤكدتان، أي: إن كان لا بد من أن تريني ما تعدهم من العذاب في الدنيا أو في الآخرة { فلا تجعلني { قرينا لهم ولا تعذبني بعذابهم. عن الحسن: أخبره الله أن له في أمته نقمة ولم يخبره أفي حياته أم بعد موته، فأمره أن يدعو بهذا الدعاء. فإن قلت: كيف يجوز أن يجعل الله نبيه المعصوم مع الظالمين، حتى يطلب أن لا يجعله معهم؟ قلت: يجوز أن يسأل العبد ربه ما علم أنه يفعله، وأن يستعيذ به مما علم أنه لا يفعله، إظهارا للعبودية وتواضعا لربه، وإخباتا له. واستغفاره إذا قام من مجلسه سبعين مرة أو مائة مرة لذلك، وما أحسن قول الحسن في قول أبي بكر الصديق رضي الله عنهما: "وليتكم ولست بخيركم": كان يعلم أنه خيرهم، ولكن المؤمن يهضم نفسه. وقرئ: "إما ترئئهم" بالهمز مكان تريني؛ كما قرئ: "فإما ترئن، و"لترؤن الجحيم" وهي ضعيفة (١). وقوله: { رب إما تريني ما يوعدون { مرتين قبل الشرط وقبل الجزاء حث على فضل تضرع وجوار. وكانوا ينكرون الموعد بالعذاب ويضحكون منه واستعجالهم له لذلك، فقليل لهم: إن الله قادر على إنجاز ما وعد إن تأملتكم، فما وجه هذا الإنكار؟.

س٥٥٠٠٠\$# بالتالي هي أحسن السيئة نحن أعلم بما يصفون ازذب

(١) قوله : وهي ضعيفة . قال المصنف - رحمه الله - عن الأصمعي : ربما حملهم فصاخبهم

أن يهمزوا ما ليس بهموز فقالوا : ليأت بالحج ، وتحقيقه أن الهمزة تواخي حروف اللين في أن بعضها ينقلب إلى بعض .

(١٣٠/٥)

هو أبلغ من أن يقال: بالحسنة السيئة لما فيه من التفضيل، كأنه قال: ادفع بالحسنا السيئة. والمعنى: الصفح عن إساءتهم ومقابلتها بما أمكن من الإحسان، حتى إذا اجتمع الصفح والإحسان وبذل الاستطاعة فيه: كانت حسنة مضاعفة بإزاء سيئة. وهذه قضية (١) قوله: { بالتالي هي أحسن { . وعن ابن عباس رضي الله عنهما: هي شهادة إن لا إله إلا الله. والسيئة: الشرك. وعن مجاهد: السلام: يسلم عليه إذا لقيه. وعن الحسن: الإغضاء والصفح. وقيل: وهي منسوخة بآية السيف.

(١) قوله : وهذه قضية قوله : { بالتالي هي أحسن { . يعني كل هذه التقادير من الصفح عن

الإساءة ومقابلتها بما أمكن من الإحسان وبذل الاستطاعة يعطيها خاصية هذا التركيب .

الانتصاف : ما ذكر الزمخشري يقتضي المفاضلة بين الحسنة والسيئة والاشتراك بينهما ،
والمراد أن الحسنة في باب الحسنات ، والسيئة في باب السيئات ، فنحى المفاضلة فيما
هو أهم كقولك : العسل أحسن من الخل ، أي هو في أصناف الحلاوة أجود من الخل في
أصناف

الحموضة لا الاشتراك بينهما ، ويحكى أن أشعث قال : فشتات أنا والأعمش في حجر فلان ،
فما زال يعلوا وما زلت أسفل حتى استويانا ، أي بلغ كل واحد منها الغاية ، وقال :
تحتمل الآية وجهها آخر من التفضيل وهو المفاضلة بين الحسنات والسيئات فإنها قد تدفع
بصفح وإغضاء ، وقد تدفع بإسحان ، وقد تبلغ فيه غاية الاستطاعة ، فهذه أنواع كلها
دفع وبعضها الحسن أحسن من بعض ، فأمر بأخذ الأحسن منها ودفع السيئة ، والمصنف لم
يرد إلا هذا إلا أنه قال في قوله تعالى : { ولا تستوي الحسنة ولا السيئة ادفع
بالتي هي أحسن } : يعني أن الحسنة والسيئة متفاوتتان في أنفسهما فخذ بالحسنة التي
هي أحسن من أختها إذا عرضتك حسنتان فادفع بها السيئة التي ترد عليك من بعض أعدائك
ن

وقال : أو وضع التي هي أحسن موضع الحسنة ليكون أبلغ في الدفع بالحسنة ، لأن من دفع
بالحسنى هان عليه الدفع بما دونها .
(١٣١/٥)

وقيل : محكمة؛ لأن المداراة محثوث عليها(١) ما لم تؤد إلى ثلم دين وإضرار بمروءة {
بما يصفون } بما يذكرونه من أحوالك بخلاف صفتها. أو بوصفهم لك وسوء ذكركم، والله
أعلم بذلك منك وأقدر على جزائهم.
وقل رب أعوذ بك من yJyd"N`u الشياطين (٩٧) وأعوذ بك رب أن بbrمژغط†ts
ازرب

الهمز: النخس. والهمزات: جمع المرة منه. ومنه: مهماز الرائض. والمعنى: أن الشياطين
يحثون الناس على المعاصي ويغرونهم عليها، كما تهزم الراضة الدواب حثا لها على
المشي. ونحو الهمز الأز في قوله تعالى: { تؤزهم أزا } (مريم: ٨٣) أمر بالتعوذ من
نخساتهم بلفظ المبتهل إلى ربه، المكرر لندائه، وبالتعوذ من أن يحضروه أصلا ويحوموا
حوله. وعن ابن عباس رضي الله عنهما: عند تلاوة القرآن. وعن عكرمة: عند النزاع.
#Lxm® إذا جاء أحدهم الموت قال رب ارجعون (٩٩) لعلني أعمل [ds=" | 1 فيما
àM.u؟sج

كلا إنها x=îpyJ. هو ygè\$ ح %s\$! ومن Nخg ح u'ur#! برنخ إلى يوم يبعثون
اتةقب
}

(١) قوله : لأن المداراة محثوث عليها . المداراة غير مهموز من الدرى وهو الخيل ، وأما بالهمزة فهي من الدرء وهو الدفع ، ومهما الرابض جديرة تكون في مؤخر الرابض .
(١٣٢/٥)

حتى { يتعلق بيصفون ، أي: لا يزالون على سوء الذكر إلى هذا الوقف . والآية فاصلة بينهما على وجه الاعتراض (١) والتأكيد للإغضاء عنهم ، مستعينا بالله على الشيطان أن يستزله عن الحلم ويغريه على الانتصار منهم . أو على قوله : وإنهم لكاذبون (٢) . خطاب الله بلفظ الجمع للتعظيم ، كقوله (٣) :
فإن شئت حرمت النساء سواكم
وقوله (٤) :
ألا فارحموني يا إله محمد!

(١) قوله : على وجه الاعتراض والتأكيد للإغضاء عنهم . يعني حتى مع ما يتصل بها غاية قوله : { ادفع بالتي هي أحسن } إلى قوله : { تصفون } ، ومضمونه دارهم ما داموا في قيد الحياة ، { وإما ينزغك من الشيطان نزغ } ويستزليك من المداراة والحلم { فاستعد بالله } واستعن به .
(٢) قوله : أو لقوله : { فإنهم لكاذبون } . أريد أن حتى تتعلق { تصفون } أو هو مردود على قوله : { بل أتيناكم بالحق وإنهم لكاذبون } ، وفي نسخة أي لا يزالون علتكذبيهم حتى إذا جاء أحدهم الموت فقال رب ارجعون .
(٣) قوله : وإن شئت حرمت النساء سواكم . تمامة : وإن شئت لم أطعم نفاحا ولا بردا . النفاح الماء البارد ، والبرد النوم .
(٤) قوله : ألا فارحموني يا آله محمد . تمامه : فإن لم أكن أهلا فأنت لها أهل . أي فإن لم أكن أهلا للرحم فأنتم لها أهل .
(١٣٣/٥)

إذا أيقن بالموت واطلع على حقيقة الأمر، أدركته الحسرة على ما فرط فيه من الإيمان والعمل الصالح فيه، فسأل ربه الرجعة وقال: { لعلني أعمل صالحا } في الإيمان الذي تركته، والمعنى: لعلني آتي بما تركته من الإيمان، وأعمل فيه صالحا، كما تقول: لعلني أبني على أس، تريد: أأسس أسا وأبني عليه. وقيل: فيما تركت من المال. وعن النبي: "إذا عاين المؤمن الملائكة قالوا: نرجعك إلى الدنيا، فيقول: إلى دار الهموم والأحزان! بل قدوما إلى الله. وأما الكافر فيقول: رب ارجعوني" { كلا } ردع عن طلب الرجعة، وإنكار واستبعاد. والمراد بالكلمة: الطائفة من الكلام المنتظم بعضها مع بعض، وهي قوله: { لعلني أعمل صالحا فيما تركت } . { هو قائلها } لا محالة، لا يخليها ولا يسكت عنها لاستيلاء الحسرة عليه وتسلب الندم. أو هو قائلها وحده (١) لا يجاب إليها ولا تسمع منه { ومن ورائهم برزخ } والضمير للجماعة. أي: أمامهم حائل بينهم وبين الرجعة إلى يوم البعث، وليس المعنى: أنهم يرجعون يوم البعث (٢)،

(١) قوله : أو هو قائلها وحده . عطف على قوله : هو قائلها لا محالة ، وذلك أن

التركيب من باب أنا عارف فإذا جعلت هو مبتدأ وقائلها الخبر فهو من باب يقوي الحكم ، وإليه الإشارة بقوله : هو قائلها وحده .

(٢) قوله : وليس المعنى أنهم يرجعون يوم البعث .. يريد أن إلى الانتهاء الغاية ، فإذا قيل : من ورائهم حائل بينهم وبين الرجعة إلى يوم البعث ، يفهم الغاية فيلزم ارتفاع الحائل والرجوع بعده ، وتحرير المعنى أن كلا الردع فتوقف عليه وتبتدأ بقوله : أنها كلمة هو قائلها فلا نجاب أليها ، ولا نسمع منه ، ولا رجوع لأن ذلك أمر قد خيل بينه وبينه لأن أمامه حائل بينه وبين الرجعة إلى يوم القيامة ، وإذا كان أمامه هذا الحائل فإن الرجوع وهو المراد من قوله : وإنما هو إقناط كلي ، ونحوه في التقييد بالمحال للمبالغة قوله تعالى : { لا تدوقون فيها الموت إلا الموتة الأولى } .

قوله : ومعنى نشفع نخرق .

(١٣٤/٥)

وإنما هو إقناط كلي لما علم أنه لا رجعة يوم البعث إلا إلى الآخرة.
فإذا نفخ في الصور فلا أنساب O ك ÷ gsY / يومئذ ولا يتساءلون اتقرب
الصور - بفتح الواو - عن الحسن. والصور - بالكسر والفتح - عن أبي رزين.

وهذا دليل لمن فسر الصور بجمع الصورة، ونفي الأنساب: يحتمل أن التقاطع يقع بينهم حيث يتفرقون معاقبين ومثابين، ولا يكون التواصل بينهم والتآلف إلا بالأعمال، فتلغوا الأنساب وتبطل، وأنه لا يعتقد بالأنساب لزوال التعاطف والتراحم بين الأقارب، إذ يفر المرء من أخيه وأمه وأبيه وصاحبه وبنيه. وعن ابن مسعود: "لا يساءلون" بإدغام التاء في السين. فإن قلت: قد ناقض هذا ونحو قوله: { ولا يسأل حميم حميما } (المعارج: ١٠) قوله: { وأقبل بعضهم على بعض يتساءلون } (الصفاء: ٢٧)، (الطور: ٢٥)، وقوله: { يتعارفون بينهم } (يونس: ٤٥) فكيف التوفيق بينهما؟ قلت: فيه جوابان، أحدهما: أن يوم القيامة مقداره خمسون ألف سنة، ففيه أزمنة وأحوال مختلفة يتساءلون ويتعارفون في

بعضها، وفي بعضها لا يفطنون لذلك لشدة الهول والفرع، والثاني: أن التناكر يكون عند النفخة الأولى، فإذا كانت الثانية قاموا فتعارفوا وتساءلوا.

فمن ثقلت $uqtB''-xZfçm^{1/4}$ فأولئك هم $J9\$#$ (102ك=sdكcq رث) ومن خفت $uqtB''-xZfçm^{1/4}$ فأولئك الذين $yz\#r\#$ أنفسمهم في جهنم $yz\#stbrà$ (103ك=sdكcq رث) تلفح وجوههم النار وهم فيها $tbq\#$ اتةحب (١٣٥/٥)

عن ابن عباس: الموازين: جمع موزون؟ وهي الموزونات من الأعمال: أي الصالحات، التي لها وزن وقدر عند الله، من قوله تعالى: { فلا يقيم لهم يوم القيامة وزنا } (الكهف: ١٠٥). { في جهنم خالدون } يدل من خسروا أنفسهم، ولا محل للبدل والمبدل منه؛ لأن الصلة لا محل لها. أو خبر بعد خبر لأولئك. أو خبر مبتدأ محذوف { تلفح } تسفع. وقال الزجاج: التلفح والنفح واحد، إلا أن التلفح أشد تأثيرا. والكلوح: أن تنقلص الشفتان وتتشمرا عن الأسنان، كما ترى الرؤوس المشوية. وعن مالك بن دينار: كان سبب توبة عتبة الغلام أنه مر في السوق برأس أخرج من التنور فغشي عليه ثلاثة أيام وليالهن. وروي عن النبي أنه قال: (٧٢٦) "تشويه النار فتقلص شفته العليا حتى تبلغ وسط رأسه، وتسترخي شفته السفلى حتى تبلغ سرتة". وقرئ: "كلحون".

ألم تكن آياتي تنلى عليكم فكنتم بها تكذبون (١٠٥) قالوا ربنا غلبت علينا شقوتنا

وكنا قوما ضالين (١٠٦) $u' \$sYô/sY\$!$ حج $\&zr\div$ منها فإن عدنا فإننا

$Jكcq\#$ (١٠٧)

قال اخسئوا فيها ولا تكلمون اتقرب

}

(١٣٦/٥)

غلبت علينا { ملكتنا، من قولك: غلبنى فلان على كذا، إذا أخذه منك واملكه. والشقاوة
سوء العاقبة التي علم الله أنهم يستحقونها بسوء أعمالهم. قرىء: { شقوتنا { وشقاوتنا
بفتح الشين وكسرهما فيهما { اخسئوا فيها { ذلوا فيها وانزجروا كما تنزجر الكلاب إذا
زجرت. يقال: خسأ الكلب وخسأ بنفسه. { ولا تكلمون { في رفع العذاب، فإنه لا يرفع ولا

يخفف. قيل: هو آخر كلام يتكلمون به، ثم لا كلام بعد ذلك إلا الشهيق والزفير والعهواء
كعواء الكلاب لا يفهمون ولا يفهمون. وعن ابن عباس: إن لهم ست دعوات: إذا دخلوا
النار قالوا: ألف سنة: { ربنا أبصرنا وسمعنا { (السجدة: ١٢) فيجابون: { حق القول
مني { (السجدة: ١٢)، فينادون ألفا { ربنا أمتنا اثنتين { (غافر: ١١)، فيجابون: {
ذلكم بأنه إذا دعي الله وحده كفرتم { (غافر: ١٢)، فينادون ألفا: { يا مالك ليقتض
علينا ربك { (الزخرف: ٧٧)، فيجابون: { إنكم ماكثون { (الزخرف: ٧٧): فينادون ألفا: {
ربنا أخرجنا { (إبراهيم: ٤٤)، فيجابون: { أو لم تكونوا { ، فينادون ألفا: { ربنا
أخرجنا نعمل صالحا { (فاطر: ٣٧)، فيجابون: { أو لم نعمركم { (فاطر: ٣٧)، فينادون: {
رب أرجعون { (المؤمنون: ٩٩)، فيجابون: { اخسئوا فيها { (المؤمنون: ١٠٨).
إنه كان ×، fحج sù من عبادي يقولون !'u/sY\$ آمنا فاغفر لنا وارحمنا وأنت مزج yz
Hstûüq؟ ٩#\$ (١٠٩) فاتخذتموهم fحج÷ TM# س Lxm® أنسوكم
"حج.د. CE وكنتم منهم تضحكون

(١١٠) 'oTد (خ) مNك f÷fu"y_gç_ اليوم بما (#rل 1مز | y9 أنهم هم tbrâ ح
\$!x٩# انتتب

في حرف أبي: "أنه كان فريق" بالفتح، بمعنى: لأنه.

(١٣٧/٥)

السخري - بالضم والكسر -: مصدر سخر كالسخر، إلا أن في ياء النسب زيادة قوة في
الفعل، كما قيل الخصوصية في الخصوص. وعن الكسائي والفراء: أن المكسور من الهزة،
والمضموم من السخرة والعبودية، أي: تسخروهم واستعبدوهم، والأول مذهب الخليل
وسيويوه. قيل: هم الصحابة وقيل: أهل الصفة خاصة. ومعناه: اتخذتموهم هزؤا وتشاغلتم

بهم ساخرين { حتى أنسوكم { بتشاكلهم بهم على تلك الصفة { ذكرى { فتركتموه، أي: تركتم أن تذكروني فتخافوني في أوليائي. وقرىء: { أنهم { بالفتح، فالكسر استئناف، أي: قد فازوا حيث صبروا، فجزوا بصبرهم أحسن الجزاء. وبالفتح على أنه مفعول جزيتهم، كقولك جزيتهم فوزهم.

قال كم لبثتم في الأرض عدد سنين (١١٢) قالوا لبثنا يوما أو بعض يوم فاسأل العادين (١١٣) قال إن لبثتم إلا %s=دWx لو أنكم كنتم تعلمون انتحب { قال { في مصاحف أهل الكوفة. وقل: في مصاحف أهل الحرمين والبصرة والشام؛ ففي { قال ضمير الله أو المأمور بسؤالهم من الملائكة، وفي { قال كم لبثتم في الأرض عدد سنين { ضمير الملك أو بعض رؤساء أهل النار. (١٣٨/٥)

استقصروا مدة لبثهم في الدنيا بالإضافة إلى خلودهم ولما هم فيه من عذابها، لأن الممتحن يستطيل أيام محنته ويستقصر ما مر عليه من أيام الدعة إليها. أو لأهم كانوا في سرور، وأيام السرور قصار، أو لأن المنقضي في حكم ما لم يكن، وصدقهم الله في تقالهم لسني لبثهم في الدنيا ووبخهم على غفلتهم التي كانوا عليها. وقرىء: "فسل العادين" والمعنى: لا نعرف من عدد تلك السنين إلا أنا نستقله ونحسبه يوما أو بعض يوم؛ لما نحن فيه من العذاب، وما فينا أن نعدّها (١)، فسل من فيه أن يعد، ومن يقدر أن يلقي إليه فكره. وقيل: فسل الملائكة الذين يعدون أعمار العباد ويحصون أعمالهم. وقرىء: "العادين" بالتخفيف، أي: الظلمة، فإنهم يقولون كما نقول. وقرىء: "العادين" أي: القدماء المعمرين، فإنهم يستقصرونها، فكيف بمن دونهم؟ وعن ابن عباس: أنساهم ما كانوا فيه من العذاب بين النفختين.

أفحسبتم أنما ن3نN sY)n=yz عبثا وأنكم إلينا لا ترجعون (١١٥) فتعالى الله yJ9\$#=دà7

الحق لا إله إلا هو رب العرش ةOfحج116 (x69\$# ومن يدع مع الله إلها

برهان له به فإنما حسابه عند ربه إنه لا كx=دمف الكافرون (١١٧) وقل رب اغفر Oxm'\$#ur وأنت مژHsyztûü q؟\$٩# (١١٨) { }

(١) قوله : وما فينا أن نعدّها . أي ما نطبق عدّها كقول المريض : ما في أن أقوم .
(١٣٩/٥)

عبثاً { حال، أي: عابثين، كقوله: { لاعبين } أو مفعول له، أي: ما خلقناكم للعبث، ولم يدعنا إلى خلقكم إلا حكمة اقتضت ذلك، وهي: أن نتعبكم ونكلفكم المشاق من الطاعات وترك المعاصي، ثم نرجعكم من دار التكليف إلى دار الجزاء، فنثيب المحسن ونعاقب المسيء { وأنكم إلينا لا ترجعون { معطوف على { أنما خلقناكم } ويجوز أن يكون معطوفاً على { عبثاً } أي: للعبث، ولترككم غير مرجوعين. وقرئ: "ترجعون" بفتح التاء { الحق { الذي يحق له الملك؛ لأن كل شيء منه وإليه. أو الثابت الذي لا يزول ولا يزول ملكه. وصف العرش بالكرم لأن الرحمة تنزل منه والخير والبركة. أو لنسبته إلى أكرم الأكرمين، كما يقال: بيت كريم، إذا كان ساكنوه كراماً. وقرئ: الكريم، بالرفع. ونحوه: { ذو العرش المجيد { (البروج: ١٥). { لا برهان له به { كقوله: { ما لم ينزل به سلطاناً { (آل عمران: ١١٥) وهي صفة (١) لازمة، نحو قوله: { يطير بجناحيه { (الأنعام: ٣٨) جيء بها للتوكيد لا أن يكون في الآلهة ما يجوز أن يقوم عليه برهان. ويجوز أن يكون اعتراضاً بين الشرط والجزاء؛ كقولك: من أحسن إلى زيد لا أحق بالإحسان منه، فالله مثيبه. وقرئ: أنه لا يفلح بفتح الهمزة. ومعناه: حسابه عدم الفلاح، والأصل: حسابه (٢) أنه لا يفلح هو، فوضع الكافرون موضع الضمير لأن { من يدع { في معنى الجمع، وكذلك { حسابه.. أنه لا يفلح { في معنى: "حسابهم أنهم لا يفلحون".

(١) قوله : صفة لازمة . أي مؤكدة وليست بمخصصة .
(٢) قوله : وكذلك حسابه أنه لا يفلح . يعني كما أن من يدع مفرد [٦٨] اللفظ مجموع المعنى كذلك حسابه مفرد اللفظ مجموع المعنى ، والمشبه والمشبه به تعليل لوضع الكافرون موضع الضمير المفرد ؛ وإنما يجب الجمع لأن الآية تذييل للآيات الواردة في حق المعاندين المضرين . وأما الضمير في أنه للشأن ، ومعنى أثر ولا تؤثر علينا ولا تفضل علينا غيرنا في العطاء.
(١٤٠/٥)

جعل فاتحة السورة { قد أفلح المؤمنون } وأورد في خاتمتها: { أنه لا يفلح الكافرون } فشتان ما بين الفاتحة والخاتمة.

عن رسول الله: (٧٢٧) "من قرأ سورة المؤمنون بشرته الملائكة بالروح والريحان وما تقر به عينه عند نزول ملك الموت".

وروي: (٧٢٨) أن أول سورة قد أفلح وآخرها من كنوز العرش، من عمل بثلاث آيات من أولها، واتعظ بأربع آيات من آخرها: فقد نجا وأفلح.

وعن عمر بن الخطاب رضي الله عنه: (٧٢٩) كان رسول الله إذا نزل عليه الوحي يسمع عنده دوي كدوي النحل، فمكثنا ساعة، فاستقبل القبلة ورفع يده وقال: "اللهم زدنا ولا

تنقصنا، وأكرمنا ولا تهنا، وأعطنا ولا تحرمنا، وآثرنا ولا تؤثر علينا، وارض عنا

وأرضنا" ثم قال: "لقد أنزلت علي عشر آيات من أقامهن دخل الجنة"، ثم قرأ: { قد أفلح المؤمنون } حتى ختم العشر.

سورة: النور

مدنية، وهي اثنتان وستون آية. وقيل: أربع وستون

بسم الله الرحمن الرحيم

{ سورة ur&Rr"sùur \$uZ9uچuستYô"yg\$ &Rr"sY9u"yg\$ /i tāsY"M؛ لعلكم

متبر؟ اتب

{ سورة { خبر مبتدأ محذوف. و { أنزلناها { صفة. أو هي مبتدأ موصوف والخبر محذوف،

أي: فيما أوحينا إليك سورة أنزلناها. وقرئ بالنصب(١)

(١) سورة النور

قوله : وقرئ بالنصب . قال ابن جني : هي قراءة عيسى الثقفي ، وهو منصوب بمضمر ،

وتفسيره { فاجلدوا } ، وجاز دخول الفاء لأنه في موضع أمر مال معناه إلى الشرط ، ولا

يجوز : زيد فضربته ؛ لأنه خبر . وقال الزجاج : وزعم الخليل وسيبويه أن النصب هو

المختار ، وزعم غيرهما من البصريين والكوفيين أن الرفع هو المختار ، وكذا عندي لأن

الرفع كالإجماع في القراءة وهو أقوى في العربية ، لأن معناه : (من زنى فاجلدوه) على

الابتداء ، ويؤيده قوله تعالى : { واللذان يأتيانها منكم فآذوهما } ؛ وإنما اختار

الخليل وسيبويه النصب لأن ما بعده أمر ، والأمر لا يكون خبر للمبتدأ إلا بتأويل ؛
وإنما كان النصب هنا أحسن من النصب في سورة لأنه لا قرينة للنصب في سورة مرجحة له

على الرفع فيكون الرفع أولى لعدم احتياجه إلى الإضمار المخرج إلى التفسير بخلافه
هنا ، فإن قرينة النصب موجودة وهي الأمر .

(١٤١/٥)

على: زيدا ضربته، ولا محل لأنزلناها، لأنها مفسرة للمضمر فكانت في حكمه. أو على:
دونك سورة أو اتل سورة وأنزلناها: صفة. ومعنى: { فرضناها } فرضنا أحكامها التي
فيها. وأصل الفرض: القطع، أي: جعلناها واجبة مقطوعا بها، والتشديد للمبالغة في
الإيجاب وتوكيده. أو لأن فيها فرائض شتى، وأنت تقول: فرضت الفريضة، وفرضت الفرائض.
أو لكثرة المفروض عليهم من السلف ومن بعدهم { تذكرون } بتشديد الذال وتخفيفها،
رفعهما على الابتداء، والخبر محذوف عند الخليل وسيبويه، على معنى: فيما فرض عليكم.
الزانية والزاني 'د#T"#\$à#r\$ح#sù\$ _ô كل %ur"n منهما مئة جلدة ولا
تأخذكم J\$yxح

رأفة في دين الله إن كنتم تؤمنون بالله واليوم حج½\$zFy# وليشهد عذابهما pxح
s\$!غ

من المؤمنين اثب

}

(١٤٢/٥)

الزانية والزاني { أي جلدهما. ويجوز أن يكون الخبر: { فاجلدوا } ، وإنما دخلت الفاء
لكون الألف واللام بمعنى الذي وتضمينه معنى الشرط، تقديره: التي زنت، والذي زنى
فاجلدوهما، كما تقول: من زنى فاجلدوه، وكقوله: { والذين يرمون المحصنات ثم لم يأتوا
بأربعة شهداء فاجلدوهم } . وقرئ بالنصب على إضمار فعل يفسره الظاهر، وهو أحسن من
سورة أنزلناها لأجل الأمر. وقرئ: "والزان" بلا ياء. والجلد(١): ضرب الجلد، يقال:
جلده، كقولك: ظهره وبطنه ورأسه. فإن قلت: أهذا حكم جميع الزناة والزواني، أم حكم
بعضهم؟ قلت: بل هو حكم من ليس بمحصن منهم، فإن المحصن حكمة الرجم. وشرائط
الإحصان(٢)

(١) قوله : وفي لفظ الجلد إشارة إلى أنه لا يتجاوز الألم إلى اللحم . هذا يسمى بالإدماج في علم البيان ، وبإشارة النص في علم الأصول . .
(٢) قوله : وشرائط الإحصان . عن بعضهم أحسن الرجل تزوج ، فهو محصن ، وهو أحد ما جاء

على أفعل فهو مفعول ، وأحصنت المرأة عفت وحصنها زوجها فهي محصنة ومحصنة . قال ثعلب :

كل امرأة عفيفة محصنه ومحصنة ، وكل امرأة متزوجة محصنة بالفتح لا غير .

قوله : اللفظ عام يقتضي تعليق الحكم الزنا والزواني . أي اللفظ عام فكيف يذهب إلى أنه حكم من ليس بمحصن ؟ وأجيب : إنا لا نسلم أنه عام ؛ بل هو مطلق ، فإن لام الجنس إذا دخلت على مفهوم دلت على دلالة مطلقة شائعة في الجنس فتصح جملة على البعض وعلى

الكل ، فإذا انتهضت قرينة تعين المقصود منها كاللفظ المشترك فإن أرادته واحد مفهومية إنما يتعين بالقرينة وقرينة تفيد هذا المطلق أنه الرجم التي نسخت قرائنها فقط وهي : (الشيخ والشيخة إذا زنيا فارجموهما) .. إلى آخرها ، وروي عن المصنف - رحمه الله - أنه قال : الألف واللام في الصفات عند المازني ومن تبعه كالمبرد وغيره بمنزلة في الأسماء للتعريف ، وعند سيبويه هما بمعنى الذي وصفه بمعنى الفعل .

(١٤٣/٥)

عند أبي حنيفة ست: الإسلام، والحرية، والعقل، والبلوغ، والتزوج بنكاح صحيح، والدخول إذا فقدت واحدة منها فلا إحصان. وعند الشافعي: الإسلام ليس بشرط، لما روي: (٧٣٠) أن النبي رجم يهوديين زنيا. وحجة أبي حنيفة قوله: (٧٣٥) "البكر بالبكر جلد مائة وتغريب عام" وما يروى عن الصحابة: أنهم جلدوا ونفوا؛ منسوخ عنده وعند أصحابه بالآية، أو محمول على وجه التعزيز، والتأديب من غير وجوب. وقول الشافعي في تغريب الحر واحد، وله في العبد ثلاثة أقاويل: يغرب سنة كالحر، ويغرب نصف سنة كما يجلد خمسين جلدة، ولا يغرب كما قال أبو حنيفة. وبهذه الآية نسخ الحبس الأذى في قوله تعالى: { فأمسكوهن في البيوت } (النساء: ١٥)، وقوله تعالى: { فآذوهما } . قيل: تسميته عذابا دليل على أنه عقوبة. ويجوز أن يسمى عذابا، لأنه يمنع من المعاودة كما سمي نكالا.

الطائفة: الفرقة التي يمكن أن تكون حلقة، وأقلها ثلاثة أو أربعة؛ وهي صفة غالبية

كأنها الجماعة الحافة حول الشيء. وعن ابن عباس في تفسيرها: أربعة إلى أربعين رجلا من المصدقين بالله. وعن الحسن: عشرة. وعن قتادة: ثلاثة فصاعدا. وعن عكرمة: رجلان فصاعدا. وعن مجاهد: الواحد فما فوقه. وفضل قول ابن عباس، لأن الأربعة هي الجماعة التي يشب بها هذا الحد والصحيح أن هذه الكبيرة من أمهات الكبائر، ولهذا قرنها الله بالشرك وقتل النفس في قوله: { ولا يزنون ومن يفعل ذلك يلق أثاما } (الفرقان: ٦٨)، وقال: { ولا تقربوا الزنى إنه كان فاحشة وساء سبيلا } (الإسراء: ٣٢) وعن النبي : يا معشر الناس اتقوا الزنى فإن فيه ست خصال: ثلاث في الدنيا، وثلاث في الآخرة. فأما اللاتي في الدنيا: فيذهب البهاء: ويورث الفقر، وينقص العمر، وأما اللاتي في الآخرة: فيوجب السخطة، وسوء الحساب، والخلود في النار" (١) ولذلك وفى الله فيه عقد المائة بكماله، بخلاف حد القذف وشرب الخمر. وشرع فيه القتلة (٢) الهولة وهي الرجم، ونهى المؤمنين عن الرأفة على المجلود فيه (٣).

(١) قوله : والخلود في النار . الطيبي : الخلود خلود العصاة ، والحامل له على هذا التعصب ولو تأول الحديث بتأويل موافق مذهبه لكان أولى من هذا .
(٢) قوله : القتلة الهولة عن بعضهم إدخال التاء في الهولة على تأويل الوصفية كقولهم : امرأة كلبة ، بمعنى الهائلة والسليطة .
(٣) قوله : وقيل لا تترحموا عليهما . هذا تفسير آخر لقوله : { ولا تأخذكم بهما رأفة } ، والفرق أن المراد بالرأفة على الأول اللين وعدم الحد ، وعلى الثاني المراد بهما الرحمة والرأفة ، والرأفة في الأصل هي الرحمة ؛ لكنه فسرها أولا تلازمها وهو اللين ، وفي الثاني حملها على ظاهرها ،
قوله : على مجردة . أي ظاهر بسرته عاريا ، فالمجرد المعري بمعنى واحد ، والمبرح الساق .

قوله : أو محمول على وجه التعزيز والتأديب لا على الوجوب بناء على أن الزيادة على النص نسخ ، وأنه لا ينسخ الكتاب لخبر الواحد ، وقيل : ليس في الآية ما يدفع حديث التغريب نسخ أحدهما بالآخر .

مبينان على هذا ، والآية منسوخة ، والقالة كل قوله فيه طعن وغميره .

(١٤٧/٥)

ومجالسه الخطئين كم فيها من التعرض لاقتراف الآثام، فكيف بمزاوجة الزواني والقحاب؛ وقد نبه على ذلك بقوله: { وأنكحوا الأيامى منكم والصالحين من عبادكم وإمائكم { (النور: ٣٢) وقيل: كان بالمدينة موسرات من بغايا المشركين، فرغب فقراء المهاجرين في نكاحهن، فاستأذنوا رسول الله ، فنزلت. عن عائشة رضي الله عنها أن الرجل إذا زنى بامرأة، ليس له أن يتزوجها لهذه الآية، وإذا باشرها كان زانيا. وقد أجازته ابن عباس رضي الله عنهما وشبهه بمن سرق ثم شجرة ثم اشتراه.

)

(١٤٨/٥)

٧٣٧) وعن النبي أنه سئل عن ذلك؟ فقال: "أوله سفاح وآخره نكاح، والحرام لا يحرم الحلال"، وقيل: المراد بالنكاح الوطء، وليس بقول لأمرين، أحدهما: أن هذه الكلمة أينما وردت في القرآن لم ترد إلا في معنى العقد. والثاني: فساد(١) المعنى وأداؤه إلى قولك: الزاني لا يزني إلا بزانية والزانية لا يزني بها إلا زان. وقيل: كان نكاح الزانية محرما في أول الإسلام ثم نسخ، والناسخ قوله: { وأنكحوا الأيامى منكم { . وقيل: الإجماع(٢)، وروي ذلك عن سعيد بن المسيب رضي الله عنه. فإن قلت: أي فرق(٣)

(١) قوله : فساد المعنى وأداؤه إلى قولك : الزاني لا يزني إلا زانية . قال صاحب

التقريب : ليس فساد له لأنه الواضح ؛ بل لئله غير مسلم إذ قد يزني الزاني بغير الزانية بأن يعلم أحدهما بالزنا والآخر جاهل به يظن الحل ، وقيل : لأنه يؤول المعنى إلى نهى

الزاني عن الزنى إلا بزانية ، والزانية لا يزني بها إلا زان ، وهو فساد .

(٢) قوله : وقيل الإجماع . أي الناسخ الإجماع ، وعن بعضهم فيه نظر ؛ لأن النسخ لا يجوز الأزمان ورود النص ، وإذا وافق النبي صلى الله عليه الاجتهاد كان ذلك نصا لا إجماعا ، وروي ذلك أي نسخ الكتاب بالإجماع .

(٣) قوله : أي فرق بين معنى الجملة الأولى ومعنى الثانية . يعني معنى قوله : {

والزانية لا ينكحها إلا زان { يعود إلى قوله : { الزاني لا ينكح إلا زانية { لأن

إسناد النكاح في الجملتين إلى الزاني .. وأجاب : بأن المسند إليه هو الذي يستدعي أن

يحكم عليه فهو في الحقيقة كالموصوف ، والخبر كالصفة تابع له ، ومن ثم سمي ابن جني
 المبتدرات الجملة فرجع معنى الجملة الأولى إلى أن الزاني هو الذي يجتهد في تحصيل
 الفاجرة ويرغب في نكاح العفيفات ، ومعنى الثانية أن الزانية حكمها أن لا يرغب فيها
 الأعفاء بل الزناة ، فيكون الذم راجعا إليها بالأصالة كما يرجع إلى الزاني في الأول
 بالأصالة ، وإن استمع كل منهما ذم الآخر ولو لم يذكر الثانية لم يحصل هذا المعنى ،
 والإيماض مشاركة النظر .

(١٤٩/٥)

بين معنى الجملة الأولى ومعنى الثانية؟ قلت: معنى الأولى صفة الزاني بكونه غير راغب
 في العفائف ولكن في الفواجر. ومعنى الثانية: صفة الزانية بكونها غير مرغوب فيها
 للأعفاء ولكن للزناة، وهما معنيان مختلفان. فإن قلت: كيف قدمت الزانية على الزاني
 أولا، ثم قدم عليها ثانيا؟ قلت: سبقت تلك الآية لعقوبتهما على ما جنى، والمرأة هي
 المادة التي منها نشأت الجناية؛ لأنها لو لم تطمع الرجل ولم تومض له ولم تمكنه لم
 يطمع ولم يتمكن. فلما كانت أصلا وأولا في ذلك بديء بذكرها. وأما الثانية فمسوقة
 لذكر النكاح والرجل أصل فيه، لأنه هو الراغب والخاطب، ومنه يبدأ الطلب. وعن عمرو بن
 عبيد رضي

الله عنه: لا ينكح، بالجزم على النهي. والمرفوع فيه أيضا معنى النهي، ولكن أبلغ

وأكّد، كما أن "رحمك الله" و "يرحمك" أبلغ من "ليرحمك" ويجوز أن يكون خبرا محضاً (١)
 على معنى: أن عادتهم جارية على ذلك، وعلى المؤمن أن لا يدخل نفسه تحت هذه العادة
 ويتصون عنها. وقرئ: "وحرّم" بفتح الحاء.

والذين يرمون دsY"Msك#J9 ثم لم يأتوا بأربعة شهداء Oèdr ك%د=sù_ô
 ثمانين جلدة

ولا تقبلوا لهم شهادة أبدا وأولئك هم الفاسقون (٤) إلا الذين تابوا من بعد 7dy٩CE
 وأصلحوا فإن الله غفور رحيم اخب

(١) قوله : ويجوز أن يكون خبرا محضاً عطف على قوله : والمرفوع أيضا فيه معنى النهي ،
 ومعنى لست لرشده لست لنكاح صحيح .

(١٥٠/٥)

القذف يكون بالزنى وبغيره، والذي دل على أن المراد قذفهن بالزنى شيئان، أحدهما: ذكر المحصنات عقيب الزواني. والثاني: اشتراط أربعة شهداء؛ لأن القذف بغير الزنى يكفي فيه شاهدان، والقذف بالزنى أن يقول الحر العاقل البالغ لمحصنة: يا زانية، أو لمحصن: يا زاني، يا ابن الزاني، يا ابن الزانية، يا ولد الزنا، لست لأبيك، لست لرشدة. والقذف بغير الزنا أن يقول: يا آكل الربا، يا شارب الخمر، يا يهودي، يا مجوسي (١)، يا فاسق، يا خبيث، يا ماص بظر أمه. فعليه التعزير، ولا يبلغ به أدنى حد العيب وهو أربعون، بل ينقص منه. وقال أبو يوسف: يجوز أن يبلغ به تسعة وسبعون. وقال: للإمام أن يعزر إلى المائة. وشروط إحصان القذف خمسة: الحرية، والبلوغ، والعقل، والإسلام، والعفة. وقرئ: "بأربعة شهداء" (٢) بالتنوين. شهداء صفة. فإن قلت: كيف تشهدون مجتمعين أو متفرقين؟ قلت: الواجب عند أبي حنيفة وأصحابه رضي الله عنهم أن يحضروا في مجلس واحد، وإن جاءوا متفرقين كانوا قذفة. وعند الشافعي رضي الله عنه: يجوز أن يحضروا متفرقين.

(١) قوله : يا يهودي يا مجوسي . فيه أن هذا ليس نحو واجب لتكفير قائله لأنه قال : فعليه التعزير ، وفي كتاب الروضة : ولو قال المسلم (يا كافر) بلا تأويل كفر ؛ لأنه

سمى الإسلام كفرا ، والمض الرشف ، والبطر الهنة التي تقطعها الحافظة من قدح المرأة عند الجنان ، والعرب تطلق هذا اللفظ في معرض الدم .

(٢) قوله : وقرئ بأربعة شهداء بالتنوين . قال بن جني : هي قراءة عبد الله بن مسلم بن يسار وأبي زرعة ، وهذا أحسن في معناه ، وذلك أن أسماء العدد في الثلاثة إلى العشرة لا يضاف إلى الأوصاف إلا إذا أقيمت الصفة مقام الموصوف ، وهذا هو الوجه الأول في قراءة الجماعة بأنهم استعملوا الشهداء استعمال الأسماء ، والعرض النفس ، وقيل : الحسب من مكارم الرجل .

(١٥١/٥)

فإن قلت: هل يجوز أن يكون زوج المقدوفة واحدا منهم؟ قلت: يجوز عند أبي حنيفة خلافا للشافعي. فإن قلت: كيف يجلد القاذف؟ قلت: كما جلد الزاني، إلا أنه لا ينزع عنه من ثيابه إلا ما ينزع عن المرأة من الحشو والفرو. والقاذفة أيضا كالزانية، وأشد الضرب ضرب التعزير، ثم ضرب الزنا، ثم ضرب شرب الخمر، ثم ضرب القاذف. قالوا: لأن سبب عقوبته محتمل للصدق والكذب، إلا أنه عوقب صيانة للأعراض وردعا عن هتكها. فإن قلت:

فإذا لم يكن المقدوف محصنا؟ قلت: يعزر القاذف ولا يحد، إلا أن يكون المقدوف معروفا بما قذف به فلا حد ولا تعزير. رد شهادة القاذف معلق عند أبي حنيفة رضي الله عنه باستيفاء الحد، فإذا شهد قبل الحد أو قبل تمام استيفائه قبلت شهادته، فإذا استوفى لم تقبل شهادته أبدا وإن تاب وكان من الأبرار الأتقياء. وعند الشافعي رضي الله عنه: يتعلق رد شهادته بنفس القذف، فإذا تاب عن القذف بأن رجع عنه، عاد مقبول الشهادة، وكلاهما متمسك بالآية، فأبو حنيفة رضي الله عنه جعل جزاء الشرط الذي هو الرمي: الجلد، ورد الشهادة عقيب الجلد على التأييد، فكانوا مردودي الشهادة عنده في أبدهم وهو مدة حياتهم، وجعل قوله: { وأولئك هم الفاسقون } كلاما (١)

(١) قوله : كلاما مستأنفا . أي مبتدأ { وأولئك هم الفاسقون } ...إلى آخره ، على هذا

عطف على الجملة الشرطية بتمامها الإعلام بأن الجملة الأولى مشتملة على حكم الرايين عند الناس في ظاهر الشرع ، والثانية حكمهم عند الله تعالى ، ويدل على أن الثانية كذلك قوله : { فإن الله غفور رحيم } ؛ لأن هذه الفاصلة متعلقة بجموع الكلام ، وأن قوله : { وأولئك هم الفاسقون } جملة معترضة دخلت بين المستثنى والمستثنى منه مؤكدة لمعنى ما اعترضت فيه ، والمناسبة حاصلة على أن التعذيب نوعان : تعذيب إيلام ، وتعذيب تسوير ، فإذا قبلت توبة القاذف وسمعت شهادته فقد غفر له ورجم وأنفذ من عذاب التسوير ؛ وإنما جعل الشافعي الاستثناء متعلقا بالجملة الثانية ، لأنه الغفران إنما يكون في حق الله لا في حق الآدميين .

(١٥٢/٥)

مستأنفا غير داخل في حيز جزاء الشرط، كأنه حكاية حال الرايين عند الله بعد انقضاء الجملة الشرطية. و { إلا الذين تابوا } استثناء من الفاسقين. ويدل عليه قوله: { فإن الله غفور رحيم } والشافعي رضي الله عنه جعل جزاء الشرط الجمليتين أيضا، غير أنه صرف الأبد إلى مدة كونه قاذفا، وهي تنتهي بالتوبة والرجوع عن القذف وجعل الاستثناء متعلقا بالجملة الثانية. وحق المستثنى عنده أن يكون مجرورا بدلا من "هم" في { لهم } وحقه عند أبي حنيفة رضي الله عنه أن يكون منصوبا لأنه عن موجب، والذي يقتضيه (١)

(١) قوله : والذي يقتضيه ظاهر الآية ونظمها أن تكون الجمل الثلاث مجموعهن جزاء

الشرط . وتلخيص هذا علوجهين ؛ أحدهما : أن قوله : { إلا الذين تابوا } استثنى

مذكور عقيب جمل منسوقة بحرف النسق وهي { فاجلدوهم ولا تقبلوا لهم شهادة أبدا وأولئك هم الفاسقون } فهم في حكم واحد ، فلم يكن رجوع الاستثناء إلى بعض أولى من بعض فوجب

عوده إليها بأسرها وذلك باعتبار أن الواو للجمع المطلق لا للترتيب . فإن قيل : إن الواو وكما يكون للجميع قد تكون للاستئناف ، وقوله تعالى : { وأولئك هم الفاسقون }

جملة خيرة ، والجملتان السابقتان طلبتان ، ولا يجوز عطف الخبرية [٧٠] على الطلبية ؛ فالواو للاستئناف .. قلنا : إذا انتهض الجامع القوي لم يمنع الاختلاف من العطف أي من قذف المحصنات فاجلدوهم وردوا شهادتهم وفسقوهم ، أي اجمعوا لهم بين هذه الثلاث إلا الذين تابوا عن القذف وأصلحوا فإن الله يغفر لهم فينقلبون غير مجلودين ولا مردودين ولا مفسقين ؛ وإنما خولف الثالثة إلى الخبرية ؛ لأنه أبلغ وألزم ، ولذلك جيء بها معرفة الخبر متوسطا فيها ضمير الفصل ، وثانيهما أن قوله { وأولئك هم الفاسقون } عقيب قوله : { ولا تقبلوا لهم شهادة أبدا } يدل على أن العلة في عدم قبول الشهادة وكونهم فاسقين لأن ترتب الحكم على الوصف المناسب مشعر بالغلبة ، إذا ثبت أن العلة لرد الشهادة كونهم فاسقين فعند زوال الفسق زالت العلة فوجب أن يزول الحكم . فإن قيل : إن الاستثناء لو رجع إلى الكل لوجب إذا تاب القاذف أن لا يجدل ، وهذا باطل بالإجماع . قلنا : إنه ترك العمل فيه لدليل الإجماع فلم ترك في الثانية ، وقال القاضي : الاستثناء رادع إلى أصل الحكم وهو اقتضاء الشرط لهذه الأمور ، ولا يلزمه سقوط الحد ، وقول المصنف : (والذي تقتضيه ظاهر الآية ونظمها) يعني لولا الإجماع لكان مقتضاها ذلك ، وقوله : (وفسقوهم) إشارة إلى أن الخبر في معنى الطلب ، ولذلك عطف عليه .

(١٥٣/٥)

ظاهر الآية ونظمها أن تكون الجمل الثلاث بمجموعهن جزاء الشرط، كأنه قيل: ومن قذف المحصنات فاجلدوهم وردوا شهادتهم وفسقوهم أي: فاجمعوا لهم الجلد والرد والتفسيق، إلا الذين تابوا عن القذف وأصلحوا فإن الله يغفر لهم فينقلبون غير مجلودين ولا مردودين ولا مفسقين. فإن قلت: الكافر يقذف فيتوب عن الكفر فتقبل شهادته بالإجماع، والقاذف من المسلمين يتوب عن القذف فلا تقبل شهادته عند أبي حنيفة رضي الله عنه. كأن القذف مع الكفر أهون من القذف مع الإسلام؟ قلت: المسلمون (١)

)

(١) قوله : المسلمون لا يعأون بسب الكفار .. إلى آخره . قال صاحب الفرائد : أبو حنيفة لا يحتاج إلى هذا الجواب الضعف ، والكافر إنما قبلت شهادته بعد الإسلام ، لأن هذه الشهادة غير شهادة الكفر ؛ لأنها مستفادة من الإسلام فلم تدخل تحت الدر ، ويدل عليه أن شهادته مقبولة بعد الإسلام على المسلم والذمي ، وتلك الشهادة غير مقبولة على المسلم ولو كان كما قال وهو عدم لحوق الشنار لوجب أن لا يحد لعدم اعتبار قذفه .

وقلت : كما أن شهادة الكافر حال كفره غير شهادته حال إسلامه كذلك شهادة الفاسق حال فسقه بسبب القذف غير شهادته بعد توبته ، وأما قوله : (لو كان كما قال لوجب ان لا يحد) فهو ممنوع لم لا يجوز اعتبار القذف في الحد دون رد الشهادة مع أن ذلك تعبد ، والشنار العيب والعار .

(١٥٤/٥)

لا يعينون بسبب الكفار؛ لأنهم شهرؤا بعداوتهم والطعن فيهم بالباطل، فلا يلحق المقذوف بقذف الكافر من الشين والشنار ما يلحقه بقذف مسلم مثله، فشدد على القاذف من

المسلمين ردعا وكفا عن إلحاق الشنار. فإن قلت: هل للمقذوف أو للإمام أن يعفو عن حد القاذف؟ قلت: لهما ذلك قبل أن يشهد الشهود ويثبت الحد، والمقذوف مندوب إلى أن لا يرافع القاذف ولا يطالبه بالحد. ويحسن من الإمام أن يحمل المقذوف على كظم الغيظ ويقول له: أعرض عن هذا ودعه لوجه الله قبل ثبات الحد: فإذا ثبت لم يكن لواحد منهما أن يعفو لأنه خالص (١) حق الله، ولهذا لم يصح أن يصالح عنه بمال. فإن قلت: هل يورث الحد؟ قلت: عند أبي حنيفة رضي الله عنه لا يورث، لقوله : (٧٣٨) "الحد لا يورث"، وعند الشافعي رضي الله عنه يورث، وإذا تاب القاذف قبل أن يثبت الحد سقط. وقيل: نزلت هذه الآية في حسان بن ثابت رضي الله عنه حين تاب مما قال في عائشة رضي الله عنها. والذين يرمون &gy_`ur-rكN ولم يكن لهم شهداء إلا أنفسهم فشهادة أحدهم أربع

©uhx"%oON`y بالله إنه لمن الصادقين (٦) | èp د،sfù:\$#ur"J أن لعنة الله عليه

إن كان

من الكاذبين (٧) ويدراً عنها العذاب أن تشهد أربع pky"%oON`y بالله إنه لمن الكاذبين

(١) قوله : لأنه خالص حق الله . عن بعضهم : حد القذف ما اجتمع فيه الحقان ؛ وإنما الخلاف في أن حق الله تعالى غالب على حق العبد أو بالعكس .
(١٥٥/٥)

قاذف امرأته إذا كان مسلماً حراً بالغاً عاقلاً، غير محدود في القذف، والمرأة بهذه الصفة مع العفة: صح اللعان بينهما، إذا قذفها بصريح الزنى (١)، وهو أن يقول لها: يا زانية، أو زني، أو رأيتك تزني. وإذا كان الزوج عبداً، أو محدوداً في قذف، والمرأة محصنة: حد كما في قذف الأجنبية، وما لم ترافعه إلى الإمام لم يجب اللعان. واللعان: أن يبدأ الرجل فيشهد أربع شهادات بالله إنه لمن الصادقين فيما رماها به من الزنى، ويقول في الخامسة: أن لعنة الله عليه إن كان من الكاذبين فيما رماها به من الزنى. وتقول المرأة أربع مرات: أشهد بالله إنه لمن الكاذبين فيما رماني به من الزنى، ثم تقول في الخامسة: أن غضب الله عليها إن كان من الصادقين فيما رماني به من الزنى. وعند الشافعي رضي الله عنه: يقام الرجل قائماً حتى يشهد والمرأة قاعداً، وتقام المرأة والرجل قاعد حتى تشهد، ويأمر الإمام من يضع يده على فيه ويقول له: إني أخاف إن لم تكن صادقاً أن تبوء بلعنة الله، وقال: اللعان بمكة بين المقام والبيت، وبالمدينة على المنبر، وبيت المقدس في مسجده، ولعان المشرك في الكنيسة وحيث يعظم، وإذا لم يكن له دين ففي مساجدنا إلا في المسجد الحرام، لقوله تعالى: { إنما المشركون نجس فلا يقربوا المسجد الحرام } (التوبة: ٢٨) ثم يفرق القاضي بينهما، ولا تقع الفرقة بينهما إلا بتفريقه عند أبي حنيفة وأصحابه رضي الله عنهم، إلا عند زفر؛ فإن الفرقة تقع

باللعان. وعن عثمان البتي: لا فرقة أصلاً. وعند الشافعي رضي الله عنه تقع بلعان الزوج، وتكون هذه الفرقة في حكم التطليقة البائنة عند أبي حنيفة ومحمد رضي الله عنهما ولا يتأبد حكمها، فإذا أكذب الرجل نفسه بعد ذلك فحد جاز أن يتزوجها.

(١) قوله : بصريح الزنى. احترز به عن الكناية ، وعثمان البتي هو خليفة الحسن البصري ، ومعنى ما وراءك ما الخبر .
(١٥٦/٥)

وعند أبي يوسف وزفر والحسن بن زياد والشافعي رضي الله عنهم: هي فرقة بغير طلاق توجب تحريما مؤبدا، ليس لهما أن يجتمعا بعد ذلك بوجه. وروي:

(٧٣٩) أن آية القذف لما نزلت قرأها رسول الله على المنبر، فقام عاصم بن عدي الأنصاري رضي الله عنه فقال: جعلني الله فداك، إن وجد رجل مع امرأته رجلا فأخبر جلد ثمانين وردت شهادته أبدا وفسق، وإن ضربه بالسيف قتل، وإن سكت سكت على غيظ، وإلى أن

يجيء بأربعة شهداء فقد قضى الرجل حاجته ومضى: اللهم افتح. وخرج فاستقبله هلال بن أمية أو عويمر فقال: ما وراءك؟ قال: شر: وجدت على بطن امرأتي خولة - وهي بنت عاصم - شريك بن سحماء، فقال: هذا والله سؤالي، ما أسرع ما ابتليت به فراجعا، فأخبر عاصم رسول الله، فكلم خولة فقالت: لا أدري، أغيرة أدركته؟ أم بخلا على الطعام - وكان شريك نزيلهم - وقال هلال: لقد رأيته على بطنها. فنزلت، ولا عن بينهما. وقال رسول الله عند قوله وقولها: أن لعنة الله عليه، إن غضب الله عليها: آمين، وقال القوم: آمين، وقال لها: إن كنت ألممت بذنب فاعترفي به، فالرجم أهون عليك من غضب الله، إن غضبه هو النار. وقال: تحينوا بها الولادة (١)

(١) قوله: تحينوا بها الولادة. قال المصنف: يقال فلان يتحين طعام فلان إذا راقبه وراعى حينه، قال تعالى: { غير ناظرين إناه } أي حينه، والأصهب: هو الذي يعلو لونه صهيه وهي الشقرة، والأيتيج تصغير الأيتيج وهو التيج أي ما بين الكتفين،

والكاهل الأورق الأسمر، والجمالي الضخم الأعضاء التام الأوصال، وخديج الساقين العظيم الساقين الممتليهما، قيل: وإنما جيء بهذه الألفاظ مصغرة لكونها صفة للمولود ..

(١٥٧/٥)

فإن جاءت به أصيهب أثيب يضرب إلى السواد فهو لشريك، وإن جاءت به أورك جعدا جماليا خدلج الساقين فهو لغير الذي رميت به" قال ابن عباس رضي الله عنهما: فجاءت بأشبه خلق الله لشريك. فقال: "لولا الأيمان لكان لي ولها شأن" (١). وقرئ: "ولم تكن" بالتاء؛ لأن الشهداء جماعة، أو لأنهم في معنى الأنفس التي هي بدل. ووجه من قرأ أربع أن ينتصب؛ لأنه في حكم المصدر والعامل فيه المصدر الذي هو { فشهادة أحدهم } وهي مبتدأ (٢) محذوف الخبر، تقديره: فواجب شهادة أحدهم أربع شهادات بالله. وقرئ أن لعنة

الله، وأن غضب الله: على تخفيف أن ورفع ما بعدها. وقرئ: "أن غضب الله" على فعل الغضب. وقرئ: بنصب الخماسين، على معنى: وتشهد الخامسة. فإن قلت: لم خصت الملاعنة

بأن تخمس بغضب الله؟ قلت: تغليظا عليها؛ لأنها هي أصل الفجور ومنبعه بخلابتها وإطماعها، ولذلك كانت مقدمة في آية الجلد. ويشهد لذلك (٣)

(١) قوله: لولا الأيمان لكان لي ولها شأن. أي لولا أيمان اللعان. (٢) قوله: وهي مبتدأ. أي شهادة أحدهم، والخبر المقدر واجب، وأربع شهادات في حكم المصدر، والتقدير فواجب شهادة أحدهم أربع شهادات، والجملة خبر للذين يرمون، ودخلت الفاء في الخبر لتضمن المبتدأ معنى الشرط. قال صاحب الكشف: من نصب فالتقدير

فالواجب أن شهد أحدهم أربع شهادات، فقد أخبر بالمرفوع عن المبتدأ فيتحقق إذا تعلق الباء من قوله { بالله } مماثلته وهو { شهادات }، ولا يجوز حينئذ تعلقها بقوله: { شهادة أحدهم } لأنه قد أخبر عن المبتدأ، ولا يجوز بعد الإخبار عنه أن يعلق به شيء، ومن نصب فالجار يتعلق بالثاني عنده على مذهب سيويه، وبالأول على مذهب الفراء، ومعنى بجلابتها بخداعها.)

(٣) قوله: ويشهد لذلك.. أي يدل على أن التغليظ متوجه إلى المرأة دون الرجل تخصيص الرسول عليه السلام لاحتماله لنحو لفضحكم، أو لعاجلكم بالعقوبة، أو لتركتم حيارى في أمر الزواني حتى لا تعلموا كيف الخلاص كما بخبر عاصم والمغير الطعن. (١٥٨/٥)

قوله لخولة "فالرجم أهون عليك من غضب الله". ولولا فضل الله عليكم ورحمته وأن الله تواب x m ٦ i L اتعب الفضل: التفضل، وجواب "لولا" متروك، وتركه دال على أمر عظيم لا يكتنه، ورب مسكوت عنه أبلغ من منطوق به.

إن الذين جاءوا بالإفك عصبة منكم لا تحسبوه شرا لكم بل هو ضرچ y z لكم لكل حگ \$ D #

منهم ما اكتسب من الإثم والذي تولى كبره منهم له عذاب عظيم انتب

الإفك: أبلغ ما يكون من الكذب والافتراء. وقيل: هو البهتان لا تشعر به حتى يفجأك. وأصله: الإفك، وهو القلب؛ لأنه قول مأفوك عن وجهه. والمراد: ما أفك به على عائشة رضي الله عنها. والعصبة: الجماعة من العشرة إلى الأربعين، وكذلك العصابة. واعصو صبوا: اجتمعوا، وهم عبد الله بن أبي رأس النفاق، وزيد بن رفاعه، وحسان بن ثابت، ومسطح ابن أثاة، وحمنة بنت جحش، ومن ساعدتهم. وقرئ: "كبره" بالضم والكسر، وهو عظمه. والذي تولاه عبد الله، لإمعانه في عداوة رسول الله، وانتهازه الفرص، وطلبه سبيلا إلى الغميرة.

(١٥٩/٥)

أي يصيب كل خائض في حديث الإفك من تلك العصبة نصيبه من الإثم على مقدار خوضه. والعذاب العظيم لعبد الله، لأن معظم الشر كان منه. يحكى أن صفوان رضي الله عنه مر بهودجها عليه وهو في ملاء من قومه فقال: من هذه؟ فقالوا: عائشة رضي الله عنها، فقال: والله ما نجت منه ولا نجا منها، وقال: امرأة نبيكم باتت مع رجل حتى أصبحت ثم جاء يقودها. والخطاب في قوله: { هو خير لكم } لمن ساءه ذلك من المؤمنين، وخاصة (١) رسول الله، وأبي بكر، وعائشة، وصفوان بن المعطل رضي الله عنهم. ومعنى كونه خيرا لهم:

أنهم اكتسبوا فيه الثواب العظيم؛ لأنه كان بلاء مبينا ومحنة ظاهرة، وأنه نزلت فيه ثماني عشرة آية كل واحدة منها مستقلة بما هو تعظيم لشأن رسول الله، وتسليية له، وتنزيه لأم المؤمنين رضوان الله عليها، وتطهير لأهل البيت، وتهويل لمن تكلم في ذلك أو سمع به فلم تمجه أذناه، وعدة ألطاف للسامعين والتالين إلى يوم القيامة، وفوائد دينية، وأحكام وآداب لا تخفى على متأمليها.

لولا إذ سمعتموه ظن المؤمنون

[جy وقالوا هذا إفك

×ûüv-B اتتب

}

(١) قوله: وخاصة. أي خصوصا وخاصة مصدر كالعاقبة والخالصة.

(١٦٠/٥)

بأنفسهم { أي بالذين منهم من المؤمنين والمؤمنات، كقوله: { ولا تلمزوا أنفسكم }

(الحجرات: ١١) وذلك نحو ما يروى أن أبا أيوب الأنصاري قال لأبى أيوب: ألا ترين ما يقال؟ فقال: لو كنت بدل صفوان أكنت تظن بحرمة رسول الله سوءاً؟ قال: لا. قالت: ولو كنت أنا بدل عائشة رضي الله عنها ما خنت رسول الله ، فعائشة خير مني، وصفوان خير منك. فإن قلت: هلا(١)

(١) قوله : هلا [٧١] قيل : { إذ سمعتموه ظننتم بأنفسكم } خبر { أو قلتم } . يعني أصل الكلام هذا ؛ لأن المخاطبين كانوا تحضره الرسول صلى الله عليه ، والأصل أيضا ظننتم بها أي قام المؤمنون يخبر أفلم عدل عن الخطاب إلى الغيبة ، وعن المضمهر إلى المظهر ، وعن المفرد إلى الجماعة . وخلاصة الجواب : أن في العدول من الخطاب إلى الغيبة توبيخا للمخاطبين ، ومعاقبة شديدة ، وإبعادا من مقام الزلفى أي كيف سمعتم ما لا ينبغي الإصغاء إليه فضلا عن أن يتفوهوا به ، وفي العدول من المضمهر إلى المظهر دلالة على أن صفة الإيمان جامعة لهم فينبغي لمن دخل في هذه الصفة أن لا يسمع فيمن يشاركه فيها قول عايب ، ولا طعن طاعن ، لأن عيب أخيه عيبه ، وفي العدول من المفرد إلى الجماعة ، وسلوك طريق الكناية إشعار بتعظيم شأنها ورفع مكانها ، وفيه أن النبي صلى الله عليه أب للمسلمين وأن أزواجه أمهات لهم ، وتعظيمه يرجع إلى تعظيمهم ، والفاء له فيه كالفاء له في أنفسهم ، ثم في انضمام لفظ الطعن معه إدماج ، وتبيينه على أنه إذا سمع المؤمن في أخيه المؤمن ما يشتبه ينبغي أن يبادر إلى ثناء الأمر على الطعن الراجح فإن الأصل يراه ساحة المؤمن من كل عيب ، هذا ما يختص بالباطن . وأما ما يختص بالظاهر فينبغي أن يصرح بالقول الدال على الشهادة له بالخبر ، ويقول بملء فيه : هذا إفك مبين .

ومعنى من عرض نساء المؤمنين من شقهن لا من صميهن ، وأصل العرض الجانب . (١٦١/٥)

قيل: لولا إذ سمعتموه ظننتم بأنفسكم خيرا وقلتم؟ ولم عدل عن الخطاب إلى الغيبة، وعن الضمير إلى الظاهر؟ قلت: ليبالغ في التوبيخ بطريقة الالتفات، وليصرح بلفظ الإيمان، دلالة على أن الاشتراك فيه مقتضى أن لا يصدق مؤمن على أخيه ولا مؤمنة على أختها قول غائب ولا طاعن. وفيه تنبيه على أن حق المؤمن إذا سمع قالة في أخيه، أن يبنى الأمر فيها على الظن لا على الشك. وأن يقول بملء فيه بناء على ظنه بالمؤمن الخير: { هذا

إفك مبين { هكذا بلفظ المصرح ببراءة ساحته، كما يقول المستيقن المطلع على حقيقة الحال. وهذا من الأدب الحسن الذي قل القائم به والحافظ له، وليتك تجد من يسمع فيسكت

ولا يشيع ما سمعه بأخوات.

لولا جاءوا عليه بأربعة شهداء فإذا لم يأتوا بالشهداء فأولئك عند الله هم الكاذبون
اتجب

جعل الله التفصيلة بين الرمي الصادق والكاذب: ثبوت شهادة الشهود الأربعة وانتفاءها والذين رموا عائشة رضي الله عنها لم تكن لهم بينة على قولهم، فقامت عليهم الحجة وكانوا { عند الله } أي في حكمه وشريعته كاذبين. وهذا توبيخ وتعنيف للذين سمعوا الإفك فلم يجدوا في دفعه وإنكاره، واحتجاج عليهم بما هو ظاهر مكشوف في الشرع: من وجوب تكذيب القاذف بغير بينة، والتكيل به إذا قذف امرأة محصنة من عرض نساء

المسلمين، فكيف بأمة المؤمنين الصديقة بنت الصديق حرمة رسول الله وحبيبة حبيب الله؟. ولولا فضل الله عليكم ورحمته في الدنيا جoud 1/2#ur\$FyZ لمسكم في ما أفضتم فيه عذاب

عظيم (١٤) إذ تلقونه /ن3GYd،إ9r'خ/ وتقولون بأفواهكم ما ليس لكم به علم وتحسبونه

هينا وهو عند الله عظيم اتخب

(١٦٢/٥)

لولا الأولى للتحضيض(١)، وهذه لامتناع الشيء لوجود غيره. والمعنى: ولولا أنني قضيت أن أتفضل عليكم في الدنيا بضروب النعم التي من جملتها الإمهال للتوبة، وأن أترحم عليكم في الآخرة بالعفو والمغفرة، لعاجلتكم بالعقاب على ما خضتم فيه من حديث الإفك، يقال: أفاض في الحديث، واندفع، وهضب، وخاض { إذ تلقونه بالسنتكم وتقولون بأفواهكم ما ليس لكم به علم وتحسبونه هينا وهو عند الله عظيم } ظرف لمسكم، أو لأفضتم { تلقونه } يأخذه بعضكم من بعض. يقال: تلقى القول وتلقنه وتلقفه. ومنه قوله تعالى: { فتلقى آدم من ربه كلمات } (البقرة: ٣٧) وقرئ على الأصل: "تلقونه" وإذ تلقونه بإدغام الذال في التاء. و "تلقونه" من لقيه بمعنى لقفه، و "تلقونه"، من إلقائه بعضهم على بعض. و "تلقونه" و "تألقونه"، من الولق والألق(٢):

(١) قوله : { لولا { الأولى للتحضيض . أي { لولا إذ سمعتموه { ، { فلولا جاءوا عليه بأربعة شهداء { وإنما جعلها واحدة وهما ثنتان لأن مفهومهما واحد ، ولأن الآية الثانية المصدر بلولا كالتقرير للأولى وذلك لأن معنى { لولا جاءوا عليه بأربعة شهداء { لم توقفتم في الرد والتكذيب فهلا جاءوكم حين قذفوا بالبينة وحققوا قولهم بإقامة الشهداء فإن لم يأتوا بهم قامت عليهم الحجة فلم توقفتم في تكذيبهم وأبطأتم في النطق بأن هذا إفك مبين ؟ وكذا المعنى قوله { لولا إذ سمعتموه ظن المؤمنون { لأن في تقديم الظرف على عاملة توبيخا على التواني في الرد ، يعني كان الواجب عليكم عند سماعكم بالإفك أن تتوقفوا عن ظن الخير ، وأن لا تتوقفوا والنطق بأن هذا إفك مبين ،

ويحتمل أنه أراد بالأولى { إذ سمعتموه { أي الأولى من الآخرتين ، وأشر بهذا إلى قوله : { ولو فضل الله عليكم { .

(٢) قوله : الولق والألق .. قال المصنف : أصلة السرعة من قولهم ناقه ، ولقى أي سريعة ، ومنه الأولق للجنون لأن العقل من باب السكون والتماسك ، والجنون من باب السرع والتهافت ، ومعنى يحرف عند الله بقراءته ، ومعنى موجبة إلى النار ، وقيل للخلود ، وأراد ببعضهم نفسه ، والنقير النقرة التي في ظهر النواة وقيل : الخيط الذي في النقرة .

(١٦٣/٥)

وهو الكذب، و "تلقونه": محكية عن عائشة رضي الله عنها، وعن سفيان: سمعت أُمي تقرأ: إذ تثقفونه، وكان أبوها يقرأ بحرف عبد الله بن مسعود رضي الله عنه. فإن قلت: ما معنى قوله: { بأفواهكم { والقول لا يكون إلا بالفم؟ قلت: معناه أن الشيء المعلوم يكون علمه في القلب، فيترجم عنه اللسان. وهذا الإفك ليس إلا قولاً يجري على ألسنتكم ويدور في أفواهكم من غير ترجمة عن علم به في القلب، كقوله تعالى: { يقولون بأفواههم ما ليس في قلوبهم { (آل عمران: ١٦٧)، أي: تحسبونه صغيرة وهو عند الله كبيرة وموجبة. وعن بعضهم أنه جزع عند الموت، فقليل له: فقال: أخاف ذنبا لم يكن مني على بال وهو عند الله عظيم. وفي كلام بعضهم: لا تقولن لشيء من سيئاتك حقير، فلعله عند الله نخلة وهو عندك نقير. وصفهم بارتكاب ثلاثة آثام وعلق مس العذاب العظيم بها، أحدها: تلقى الإفك بألسنتهم، وذلك أن الرجل كان يلقي الرجل فيقول له: ما وراءك؟ فيحدثه بحديث الإفك حتى شاع وانتشر؛ فلم يبق بيت ولا ناد إلا طار فيه. والثاني: التكلم مما لا علم لهم به. والثالث: استصغارهم لذلك وهو عظمة من العظام.

ولولا إذ سمعتموه قلتم ما يكون لنا أن نتكلم بهذا TMs6"y7sY هذا ي`"÷kGtoه

عظيم

اتدب

(١٦٤/٥)

فإن قلت: كيف جاز الفصل(١) بين لولا وقلتم؟ قلت: للظروف شأن وهو تنزلها من الأشياء

منزلة أنفسها لوقوعها فيها وأنها لا تنفك عنها، فلذلك يتسع فيها ما لا يتسع في غيرها. فإن قلت: فأى فائدة في تقديم الظرف حتى أوقع فاصلا؟ قلت: الفائدة فيه بيان أنه كان الواجب عليهم أن يتفادوا أول ما سمعوا بالإفك عن التكلم به، فلما كان ذكر الوقت أهم وجب التقديم. فإن قلت: فما معنى يكون، والكلام بدونه متلئب لو قيل: ما لنا أن نتكلم بهذا؟ قلت: معناه معنى: ينبغي، ويصح أي: ما ينبغي لنا أن نتكلم بهذا، وما يصح لنا. ونحوه: ما يكون لي أن أقول ما ليس لي بحق. و { سبحانك } للتعجب من عظم

الأمر. فإن قلت: ما معنى التعجب في كلمة التسبيح؟ قلت: الأصل في ذلك أن يسبح الله عند رؤية العجيب من صنائعه، ثم كثر حتى استعمل في كل متعجب منه أو لتنزيه الله تعالى من أن تكون حرمة نبيه عليه السلام فاجرة. فإن قلت: كيف جاز أن تكون امرأة النبي كافرة كأمراة نوح ولوط، ولم يجز أن تكون فاجرة؟ قلت: لأن الأنبياء مبعوثون إلى الكفار ليدعوهم ويستعطفوهم، فيجب أن لا يكون معهم ما ينفّرهم عنهم، ولم يكن الكفر عندهم مما ينفر. وأما الكشخنة فمن أعظم المنفّرات. يعظّم الله أن تعودوا ٤٣/٤ ح#÷WدJ٩ أبدأ إن كنتم رُؤدZد17 (B÷s-B) ويبين الله لكم

الآيات والله يOثد=tو يOثإxm٣ اترب

(١) قوله : وكيف جاز الفصل بين { لولا } و { قلتم } ؟ . يعني كان من حق الظاهر أن يقال : لولا قلتم إذ سمعتموه ، أي هلا قلتم ما ينبغي لنا أن نتكلم بهذا إذ سمعتموه ، والكشحان الديوث .

(١٦٥/٥)

أي كراهة { أن تعودوا } أو في أن تعودوا(١)، من قولك: وعظت فلانا في كذا فتركه.

وأبدهم ما داموا أحياء مكلفين. و { إن كنتم مؤمنين } فيه تهيج لهم ليتعظوا، وتذكير بما يوجب ترك العود، وهو اتصافهم بالإيمان الصاد عن كل مقبح، ويبين الله لكم الدلالات على علمه وحكمته بما ينزل عليكم من الشرائع، ويعلمكم من الآداب الجميلة،

ويعظكم به من المواعظ الشافية، والله عالم بكل شيء، فاعل لما يفعله بدواعي الحكمة.

إن الذين يحبون أن تشيع الفاحشة في الذين آمنوا لهم عذاب أليم في الدنيا

ج ١/٢ zFy\$#ur/2 والله يعلم وأنتم لا تعلمون اتزب

المعنى: يشيعون الفاحشة عن قصد إلى الإشاعة، وإرادة ومحبة لها، وعذاب الدنيا الحد، ولقد ضرب رسول الله عبد الله بن أبي وحسانا ومسطحا، وقعد صفوان لحسان فضربه ضربة بالسيف، وكف بصره. وقيل: هو المراد بقوله: { والذي تولى كبره منهم } (٢) (النور: ١١) { والله يعلم } ما في القلوب من الأسرار والضمائر { وأنتم لا تعلمون } يعني أنه قد علم محبة من أحب الإشاعة، وهو معاقبه عليها.

(١) قوله: أو في { أن تعودوا } . يعني { أن يعودوا لمثله أبدا } يقتضي الزجر والمنع كأنه قيل: يذكركم الله ويخوفكم في شأن العود إلى مثله. قال أبو البقاء: حذف حرف الجر جملا على معنى { يعظكم } أي يزجركم عن العود، ومعنى قد له صفوان ترصد

له، ومعنى كف بصره صار مكفوف البصر بسبب الضربة.

(٢) قوله: وقيل هو المراد بقوله: { والذي تولى كبره } والذي تولاه عند الله

لإمعانه في عداوة رسول الله يدل عليه قوله: { لهم عذاب أليم في الدنيا والآخرة } وهو الذي مات منافقا، وأظن أنه أراد بقوله: وهو الذي أن حسان هو الذي تولى كبره أي قيل: إنه حسان كما قيل أنه عبد الله، وقيل: ومعنى { لهم عذاب أليم في الدنيا والآخرة } إذا لم يتوبوا وقد تاب حسان.

(١٦٦/٥)

ولولا فضل الله عليكم ورحمته وأن الله رءوف رحيم ائتب

وكرر المنة بترك المعالجة بالعقاب، حاذفا جواب لولا كما حذفه ثمة. وفي هذا التكرير

مع حذف الجواب مبالغة عظيمة، وكذلك في التواب والرءوف والرحيم.

* يا أيها الذين آمنوا لا تتبعوا الشيطان الشيطان ومن يتبع الشيطان فإنه

قگك DÙ'tf بالفحشاء حج J9\$#urك3Z ولولا فضل الله عليكم ورحمته ما زكا منكم
من أحد

أبدا ولكن الله 'fj1u"م من يشاء والله سميع ز Oطد=و اثتب
الفحشاء والفاحشة: ما أفرط قبحه. قال أبو ذؤيب (١):
ضرائر حرمي تفاحش غارها

أي: أفرطت غيرتها. والمنكر: ما تنكره النفوس فتتفر عنه ولا ترتضيه. وقرىء: "خطوات"
بفتح الطاء وسكونها. وزكى بالتشديد، والضمير لله تعالى، ولولا أن الله تفضل عليكم
بالتوبة المحصورة، لما طهر منكم أحد آخر الدهر من دنس إثم الإفك، ولكن الله يطهر
التائبين بقبول توبتهم إذا محضوها، وهو { سميع } لقولهم { عليهم } بضمايرهم
وإخلاصهم.

(١) قوله : ضرائر حرى بفاحش عارها . أوله : لهن نشيج بالنشيل كأنها . يصف قدور أو
صوت غليانها باللحم ، ونشيج نشجا أي بكى حتى سمع له صوت ، ونشيج القدر إذا غلت
حتى

يسمع لها صوت ، ونشيل اللحم من القدر انتزعه منها ، والنشيل لحم يطبخ بلا توابل ،
والحرى منسوب إلى الحرم وهو من تعبير أن النسب وبفاحش عارها أفرطت غيرتها ؛ وإنما
خص بذلك لأن أهل الحرم دانهم الرجل والتجارات فإذا قدموا بالتحف والظرف يتخاصمون
عليها ويتغايرن .

(١٦٧/٥)

wurن يأتل أولو الفضل منكم والسعة أن (fûqè?÷s#م أولي القربى والمساكين
ژحجف"fyg"J9\$#urك في سبيل الله وليعفوا (sxêûq#u9urء ألا تحبون أن
uجدtf الله

لكم والله غفور رحيم اثتب

وهو من ائتلى إذا حلف: افتعال من الألية. وقيل: من قولهم: ما ألوت جهدا، إذا لم
تدخر منه شيئا. ويشهد للأول قراءة الحسن: ولا يتأل. والمعنى: لا يحلفوا على أن لا
يحسنوا إلى المستحقين للإحسان. أو لا يقصروا في أن يحسنوا إليهم وإن كانت بينهم
وبينهم شحنةا لجناية اقترفوها، فليعودوا عليهم بالعفو والصفح، وليفعلوا بهم مثل ما
يرجون أن يفعل بهم ربهم، مع كثرة خطاياهم وذنوبهم، نزلت في شأن مسطح وكان ابن

خالة(١) أبي بكر الصديق رضي الله عنهما، وكان فقيرا من فقراء المهاجرين، وكان أبو بكر ينفق عليه، فلما فرط منه ما فرط: آلى أن لا ينفق عليه، وكفى به داعيا إلى

المجاملة وترك الاشتغال بالمكافأة للمسيء. ويروى أن رسول الله قرأها على أبي بكر، فقال: بلى أحب أن يغفر الله لي، ورجع إلى مسطح نفقته وقال: والله لا أنزعها أبدا. وقرأ أبو حيوه وابن قطيب: "أن توتوا"، بالتاء على الالتفات. ويعضده قوله: { ألا تحبون أن يغفر الله لكم } .

إن الذين يرمون المحصنات الغافلات دJ9\$#كB÷sssY"M

zFy\$#ur½جous

ولهم عذاب عظيم اثجب

{ الغافلات } السليمات الصدور، النقيات القلوب، اللاتي ليس فيهن دهاء، ولا مكر، لأنهن لم يجربن الأمور ولم يرزن الأحوال، فلا يفتن لما تفتن له المجربات العرافات. قال:(٢)

(١) قوله : وكان ابن خالة أبي بكر وكان فقيرا [٧٢] من فقراء المهاجرين . أراد أن الواو العاطفة من الصفات في قوله : { أولي القربى والمساكين والمهاجرين } جاءت للدلالة على أن هذا الموصوف جامع لها .
(٢) قوله :

ولقد لهوت بطفلة ميالة ... بلهاء تطلعي على أسرارها

لهوت لعبت ، والطفلة - بفتح الطاء - المرأة الناعمة ، والميالة المتنبية الأعطاف ، والثلها التي لا مكر فيها ولا دهاء .
(١٦٨/٥)

ولقد لهوت بطفلة ميالة ... بلهاء تطلعي على أسرارها

وكذلك البله من الرجال في قوله عليه الصلاة والسلام: " أكثر أهل الجنة البله"(١).
يوم تشهد Nخkztnم ألسنتهم Nخk%o%÷r&f%ur وأرجلهم بما كانوا يعملون
(٢٤) يومئذ

مخكzjùqudزمfماللهكYfدث الحق ويعلمون أن الله هو الحق المبين ائخب

(١) قوله : أكثر أهل الجنة البلة . قيل : هو جمع أبله وه والغافل عن الشر المطبوع على الخير ، وقيل : هم الذين غلبت عليهم سلامة الصدور وحسن الظن بالناس ؛ لأنهم أعقلوا أمر دنياهم فجهلوا حذق التصرف فيها ، وأقبلوا على آخرتهم ، فشغلوا نفوسهم بها فاستحقوا أن يكونوا أكثر أهل الجنة ، وأما الأبله الذي لا عقل له فغير مراد ، ومعنى لو تليت القرآن أي أو لو تدبرته واستخرجت معانيه ، وقوارع القرآن قيل : هي الآيات التي يقرؤها الإنسان إذا فزع من الجن نحو آية الكرسي كأنها تفرع الشيطان ، والظاهر أن المراد بالقوارع الزواجر القارعة للعصاة .
(١٦٩/٥)

وقرىء: "يشهد" بالياء. والحق: بالنصب صفة للدين وهو الجزاء، وبالرفع صفة لله، ولو فليت القرآن كله وفتشت عما أوعده به من العصاة لم تر الله تعالى قد غلظ في شيء تغليظه في إفك عائشة رضوان الله عليها، ولا أنزل من الآيات القوارع، المشحونة بالوعيد الشديد والعتاب البليغ والزجر العنيف، واستعظام ما ركب من ذلك، واستفطاع ما أقدم عليه، ما أنزل فيه على طرق مختلفة وأساليب مفتنة. كل واحد منها كاف في بابه، ولو لم ينزل إلا هذه الثلاث لكفى بها، حيث جعل القذفة ملعونين في الدارين جميعا، وتوعدهم بالعذاب العظيم في الآخرة، وبأن ألسنتهم وأيديهم وأرجلهم تشهد عليهم بما أفكوا وبهتوا، وأنه يوفيهم جزاءهم الحق الواجب الذي هم أهل له، حتى يعلموا عند ذلك { أن الله هو الحق المبين } فأوجز في ذلك (١) وأشيع، وفصل وأجمل، وأكد وكرر، وجاء بما لم يقع في وعيد المشركين عبدة الأوثان إلا ما هو دونه في الفطاعة، وما ذاك إلا الأمر.

(١) قوله : فأوجز في ذلك . أي في المذكور من معنى قوله : جعل الله الفرقة ملعونين .. إلى آخره بقوله : فأوجز عطف على قوله : { توبوا إلى بارئكم فاقتلوا أنفسكم } يعني أشنع الكلام حيث لم يترك من النكال والإهانة ، واللعن في الدارين ، والعذاب الأليم ، وشهادة الجوارح ، والتهديد والوعيد بتوفيه الجزاء إلا أتى فيه وبالع في ، وأوجز حيث جاء بالمعاني الكبيرة في الألفاظ القليلة ؛ لأن أحدا لو رام أن يقدر المعاني التي يعطيها هذه الألفاظ ويستوفي حقها من البيان لأطال وأطرب ، وقد فصل

وأجمل حيث أوقع { يومئذ يوفيههم الله دينهم الحق } إجمالاً لما سبق ، وأكد ذكر زمن حيث أن قوله : { يومئذ } بدل ، والبدل تكرير للمبدل وتوكيد له ، وجاء بما لم يقع في وعيد المشركين إلا ما هو دونه في الفطاعة ، قيل : وهو قوله : { ويعلمون أن الله هو الحق المبين } ، والظاهر أنه أراد به جميع المذكور .
(١٧٠/٥)

وعن ابن عباس رضي الله عنهما: أنه كان بالبصرة يوم عرفة، وكان يسأل عن تفسير القرآن، حتى سئل عن هذه الآيات فقال: من أذنب ذنباً ثم تاب منه قبلت توبته إلا من خاض في أمر عائشة، وهذه منه مبالغة وتعظيم لأمر الإفك. ولقد برأ الله تعالى أربعة بأربعة: برأ يوسف بلسان الشاهد { وشهد شاهد من أهلها } (يوسف: ٢٦). وبرأ موسى من قول اليهود فيه بالحجر الذي ذهب بثوبه. وبرأ مريم بإنطاق ولدها حين نادى من حجرها: إني عبد الله. وبرأ عائشة بهذه الآيات العظام في كتابه المعجز المتلو على وجه الدهر، مثل هذه التبرئة بهذه المبالغات. فانظر، كم بينها وبين تبرئة أولئك؟ وما ذاك إلا لإظهار علو منزلة رسول الله ، والتنبيه على إنافة محل سيد ولد آدم، وخيرة الأولين والآخرين، وحجة الله على العالمين. ومن أراد أن يتحقق عظمة شأنه وتقدم قدمه وإحرازه لقصب السبق دون كل سابق، فليتلق ذلك من آيات الإفك، وليتأمل كيف غضب الله في حرمة، وكيف بالغ في نفي التهمة (١) عن حجابيه. فإن قلت: إن كانت عائشة هي المرادة فكيف قيل المحصنات؟ قلت: فيه وجهان، أحدهما: أن يراد بالمحصنات أزواج رسول الله ، وأن يخصصن (٢) بأن من قذفهن فهذا الوعيد لاحق به، وإذا أردن عائشة كبراهن منزلة وقربة عند رسول الله ، كانت المرادة أولاً، والثاني: أنها أم المؤمنين فجمعت إرادة لها ولبناتها من نساء الأمة الموصوفات بالإحصان والغفلة والإيمان، كما قال (٣):

(١) قوله : في نفي التهمة عن حجابيه بالمحصنات كناية تعظيم لجانب رسول الله صلى الله عليه .

(٢) قوله : وأن يخصصن عطف على قوله : أن يراد بالمحصنات على البيان والتفسير .

(٣) قوله : قدني من نصر الخبيسين قدي . تمامه : وليس الإمام بالصحيح الملحد .. فدني

أي خشي ، والملحد الذي ألحد في الحرم أي أقام الحرب فيه ، والمعطوف المضروب بالعطف

، وقيل : أراد بالملحد المائل عن طرق الكرم والجود إلا أن هذا في الاسم الإشارة إلى

الخبين وذلك في الصفة إشارة إلى قوله : { المحصنات } ، أي لا فرق بين المذكور في الآية والمذكور في البيت إلا هذا .
(١٧١/٥)

قدني من نصر الخبين قدي
أراد عبد الله بن الزبير وأشياعه، وكان أعداؤه يكونه بخبب ابنه، وكان مضعوبا،
وكنيته المشهورة أبو بكر، إلا أن هذا في الاسم وذاك في الصفة، فإن قلت: ما معنى
قوله: { هو الحق المبين } (النور: ٢٥)؟ قلت: معناه: ذو الحق البين، أي: العادل
الظاهر العدل(١)، الذي لا ظلم في حكمه، والمحق الذي لا يوصف بباطل. ومن هذه صفته
لم

تسقط عنده إساءة مسيء، ولا إحسان محسن، فحق مثله أن يتقى ويجتنب محارمه.
خW"àM #\$:sfùv للخبين والخبثون للخبثات والطيات للطيبين والطيبون للطيات
أولئك مبرءون مما يقولون لهم ouxچدےB" ورزق زOfحچن ٢ ائذب

(١) قوله : العادل الظاهر العدل . إنما قيد المصنف المطلق الذي هو الحق بالعدل
لاقتضاء مقام الجزاء إياه بقرينة { يوفيه الله دينهم } ، وجعل المبين وصفا مؤكدا
لقوله : الحق بالعدل ، فقال : الظاهر العدل .
(١٧٢/٥)

أي { الخبيثات } من القول تقال أو تعد { للخبين } من الرجال والنساء { والخبثون
منهم يتعرضون { للخبثات } من القول، وكذلك الطيات والطيبون. و { أولئك } إشارة
إلى الطيبين، وأنهم مبرءون مما يقول الخبيثون من خبيثات الكلم، وهو كلام جار مجرى
المثل لعائشة وما رميت به من قول لا يطابق حالها في النزاهة والطيب. ويجوز أن يكون
{ أولئك } (١)

(١) قوله : ويجوز أن يكون أولئك المحصنات العاقلات المؤمنات والآية على الأول عامة
تذييل للكلام السابق ، والمراد بالطيبين كل من لم يلوث دينه بدنس الآثام ،

وبالخبين أضدادهم وبالطيات ، والخبثات المقالات الموصوفة بها ، ولما كان الكلام
منسوبا فالبراءة ساحة أم المؤمنين دخلت فيها دخولا أوليا ، ومن ثم قال : وهو كلام

(١) قوله : وذكر الرزق الكريم هاهنا مثله في قوله تعالى : { ومن يقنت منكن لله ورسوله وتعمل صالحا نؤتها أجرها مرتين وأعتدنا لها رزقا كريما } . يعني كما أريد بالرزق الكريم هناك البشارة بالجنة كذلك ينبغي أن تكون هاهنا ؛ لأن الآيتين مثالان ، وكما أن الرزق الكريم هناك مسبوق بآيتا أجرها مرتين كذلك هو هنا مسبوق بقوله : { لهم مغفرة } وكما أن آيتا الأجر هناك كذلك هنا { لهم مغفرة } بسبب عن كونها مبرأة عما قيل فيها وليس ذلك إلا لطهارتها ، وكما أن تلك الآية في شأن نساء النبي كذلك هذه .

(٢) قوله : ولقد حفته الملكة في بيتي . أي عند وفاتي .
 (٣) قوله : ولقد خلقت طيبة عند طيب . خلقت - بالقاف - أي طيها الله لرسوله الطيب ، وروي بالفاء بتشديد اللام أي بيتي بركت عند رسول الله صلى الله عليه بعد وفاته والحجرة طيبة .
 (١٧٤/٥)

تستأنسوا { فيه وجهان:
 أحدهما: أنه من الاستئناس الظاهر الذي هو خلاف الاستيحاش لأن الذي يطرق باب غيره لا يدري أيؤذن له أم لا؟ فهو كالمستوحش من خفاء الحال عليه، فإذا أذن له استأنس، فالمعنى: حتى يؤذن لكم كقوله: { لا تدخلوا بيوت النبي إلا أن يؤذن لكم } (الأحزاب: ٥٣) وهذا من باب الكناية والإرداف؛ لأن هذا النوع من الاستئناس يردف الإذن. فوضع موضع الإذن.

والثاني: أن يكون من الاستئناس الذي هو الاستعلام والاستكشاف: استفعال من أنس الشيء إذا أبصره ظاهرا مكشوفاً. والمعنى حتى تستعلموا وتستكشفوا الحال، هل يراد دخولكم أم لا. ومنه قولهم: استأنس هل ترى أحدا، واستأنست فلم أر أحدا، أي: تعرفت واستعلمت. ومنه بيت النابغة (١):

على مستأنس وحد

ويجوز أن يكون من الإنس، وهو أن يتعرف هل ثمة إنسان؟ وعن أبي أيوب الأنصاري رضي الله عنه: قلنا: يا رسول الله، ما الاستئناس (٢)؟ قال: يتكلم الرجل بالتسبيحة والتكبيرة والتحميدة ويتنحج: يؤذن أهل البيت. والتسليم أن يقول: السلام عليكم،

أدخل؟ ثلاث مرات؛ فإن أذن له وإلا رجع.

)

(١) قوله : على مستأنس وجد . أوله :

كان رحلي وقد زال ... النهار بنا بذى الجليل

قال الأصمعي : زال النهار انتصف ، وبنا بمعنى علينا ، والجليل شجر له حوض النخل ، وذى الجليل اسم موضع فيه ذلك الشجر ، والمستأنس الذي يرفع رأسه بنظر هل ترى شيخا أو

شخصا ، والوجد المنفرد ، يقال : وجد ووجد مثل فرد وفرد ، وقيل : المستأنس الذي يخاف الأُنس ، شبه جملة بحمار ووجيش مر سريعا خائفا مما رآه . الانتصاف : ويجوز على بعد أن يكون معنى الآية حتى يعلموا أن فيها إنسانا وهو استفعال من الأُنس ، والأول أظهر .

(٢) قوله : ما الاستئناس أو ما المسنون في باب الاستئناس شرعا ومعنى لا يحسن لا يعلم ، ومعنى رعف عليك الباب تواجد أي سبق مستعار من رعاف الدم .
(١٧٥/٥)

٧٤٢) وعن أبي موسى الأشعري أنه أتى باب عمر رضي الله عنهما فقال: السلام عليكم أدخل؟ قالها ثلاثا ثم رجع وقال: سمعت رسول الله يقول: "الاستئذان ثلاثا".
(٧٤٣) واستأذن رجل على رسول الله فقال: أألج؟ فقال لامرأة يقال لها روضة: "قومي إلى هذا فعلمي، فإنه لا يحسن أن يستأذن. قل لي له يقول: السلام عليكم أدخل"، فسمعها الرجل فقالها، فقال: "ادخل". وكان أهل الجاهلية يقول الرجل منهم إذا دخل بيتا غير بيته: حبيتم صباحا، وحبيتم مساء، ثم يدخل، فربما أصاب الرجل مع امرأته في لحاف

واحد، فصد الله عن ذلك، وعلم الأحسن والأجمل، وكم من باب من أبواب الدين هو عند الناس كالشريعة المنسوخة قد تركوا العمل به، وباب الاستئذان من ذلك: بينا أنت في بيتك، إذا رعف عليك الباب. بواحد من غير استئذان ولا تحية من تحايي إسلام ولا جاهلية، وهو ممن سمع ما أنزل الله فيه، وما قال رسول الله ، ولكن أين الأذن الواعية؟ وفي قراءة عبد الله: "حتى تسلموا على أهلها وتستأذنوا". وعن ابن عباس

وسعيد بن جبير: إنما هو حتى تستأذنوا، فأخطأ الكاتب. ولا يعول على هذه الرواية (١). وفي قراءة أبي: "حتى تستأذنوا" { ذلكم } الاستئذان والتسليم { خير لكم } من تحية الجاهلية والدمور - وهو الدخول بغير إذن - واشتقاقه من الدمار وهو الهلاك، كأن صاحبه دامر لعظم ما ارتكب. وفي الحديث: (٧٤٤) "من سبقت عينه استئذانه فقد دمر" (٢).

(١) قوله: ولا تعول على هذه الرواية لأن قوله تعالى: { حتى يستأنسوا متواتر وهي مخالفة له مع ثبوتها بطريق الآحاد .

(٢) قوله: فقد دمر .. قال - رضي الله عنه - معناه قد هلك إلا أنه لما كثر استعماله صار عبارة عن الدخول بخير إذن ، وقيل: الحديث هكذا مع اطلع في بيت قوم بغير إذنهم فقد دمره ، وفي رواية من سبق طرفه استئذانه فقد دمر عليهم ، وقيل: معناه فقد هجم عليهم ودخل بغير إذن وهو من الدمار الهلاك ؛ لأنه هجوم مما يكره ، والمعنى إن إساءة المطلع مثل إساءة الدمار .
(١٧٦/٥)

وروي: أن رجلا قال للنبي: أأستأذن على أُمي؟ قال: "نعم"، قال: إنها ليس لها خادم غيري، أأستأذن عليها كلما دخلت؟ قال: "أتحب أن تراها عريانة" قال الرجل: لا. قال: "فأستأذن". { لعلكم تذكرون } أي أنزل عليكم. أو قيل: لكم هذا إرادة أن تذكروا وتتعضوا وتتعلموا بما أمرتم به في باب الاستئذان.
فإن لم تجدوا فيها &Y%oxmr# فلا تدخلوها ٤ Lxm® يؤذن لكم وإن قيل لكم ارجعوا فارجعوا
هو أزكى لكم والله بما تعملون ز Oثد=t و اثرب
(١٧٧/٥)

يحتمل (١) { فإن لم تجدوا فيها أحدا } من الآذنين { فلا تدخلوها } واصبروا حتى تجدوا من يأذن لكم. ويحتمل: فإن لم تجدوا فيها أحدا من أهلها ولكم فيها حاجة فلا تدخلوها إلا بإذن أهلها، وذلك أن الاستئذان لم يشرع لئلا يطلع الدامر على عورة، ولا تسبق عينه إلى ما لا يحل النظر إليه فقط، وإنما شرع لئلا يوقف على الأحوال التي يطوبها الناس في العادة عن غيرهم ويتحفظون من اطلاع أحد عليها، ولأنه تصرف في ملك غيرك فلا بد من أن يكون برضاه، وإلا أشبه الغصب والتغلب { فارجعوا } أي لا تلحوا في إطلاق

الإذن، ولا تلجوا في تسهيل الحجاب، ولا تقفوا على الأبواب منتظرين؛ لأن هذا مما يجلب الكراهة ويقدح في قلوب الناس خصوصا إذا كانوا ذوي مروءة ومرتا ضين بالآداب الحسنة وإذا نهى عن ذلك لأدائه إلى الكراهة وجب الانتهاء عن كل ما يؤدي إليها: من قرع الباب بعنف، والتصيح بصاحب الدار وغير ذلك مما يدخل في عادات من لم يتهدب من

أكثر الناس، وعن أبي عبيد: ما قرعت بابا على عالم قط. وكفى بقصة بني أسد زاجرة وما نزل فيها من قوله: { إن الذين ينادونك من وراء الحجرات أكثرهم لا يعقلون } (الحجرات: ٤).

(١) وقوله : ويحتمل { فإن لم يجدوا فيها أحدا } من أهلها . هذا الوجه أخص من الأول من وجهين ؛ أحدهما : قوله أحدا من أهلها ، وثانيهما : ولكم فيها حاجة . (١٧٨/٥)

فإن قلت (١): هل يصح أن يكون المعنى: وإن لم يؤذن لكم وأمرتم بالرجوع فامثلوا، ولا تدخلوا مع كراهتهم؟ قلت: بعد أن جزم النهي عن الدخول مع فقد الإذن وحده من أهل الدار حاضرين وغائبين، لم تبق شبهة في كونه منهيًا عنه مع انضمام الأمر بالرجوع إلى فقد الإذن، فإن قلت: فإذا عرض أمر في دار: من حريق، أو هجوم سارق، أو ظهور منكر يجب

إنكاره؟ قلت: ذلك مستثنى بالدليل، أي: الرجوع أطيب لكم وأطهر، لما فيه من سلامة الصدور والبعد من الريبة، أو أنفع وأنمى خيرا. ثم أوعد المخاطبين بذلك بأنه عالم

بما يأتون وما يذرون مما خوطبوا به فموف جزاءه عليه.

ليس عليكم $\text{m}^{\text{y}}\text{s}\text{Y}$ أن تدخلوا بيوتا غير مسكونة فيها متاع لكم والله يعلم ما تبدون وما تكتمون اثرب

(١) قوله : هل يصح أن يكون المعنى وإن لم يؤذن لم وأمرتم بالرجوع فامثلوا ولا تدخلوا ؟ قيل السؤال متوجه على تفسير قوله : { فارجعوا } بمعنى لا تلجوا في إطلاق الإذن ، وتلجوا في تسهيل الحجاب على أن الأمر بمعنى النهي لدلالة قوله : وإذا نهى عن ذلك لتطابق قوله : { لا تدخلوا } يعني قد علم من ذلك التفسير أن الأمر محمول على النهي للمطابقة ، فهل يصح إجراؤه على ظاهره وأن يقال : وأمرتم بالرجوع فارجعوا ، أي

امثّلوا ؟ وأجاب : بأنه يصح لأن قوله : { ارجوا } مذكور بعد قوله : { لا تدخلوا بيوتا غير بيوتكم } ، ولا اليأس لأن المراد بالرجوع النهي عن الدخول لا سيما مع قيام القرينة وهي فقد الإذن فيكون الأمر بالرجوع بعد النهي عن الدخول من باب قوله : { وأوفوا المكيال والميزان بالقسط ولا تبخسوا الناس أشياءهم } ، هكذا قيل ، والذي يفهم من جوابه : أنه ما أجازته إذ لا فائدة جليّة في ذكره حينئذ ، والله أعلم .
(١٧٩/٥)

استثنى من البيوت التي يجب الاستئذان على دخولها: ما ليس بمسكون منها، وذلك نحو الفنادق وهي الخانات والربط وحوانيت البياعين. والمتاع: المنفعة، كالأستكان من الحر والبرد، وإيواء الرحال والسلع والشراء والبيع. ويروى: (٧٤٦) أن أبا بكر رضي الله عنه قال: يا رسول الله، إن الله تعالى قد أنزل عليك آية في الاستئذان، وأنا نختلف في تجاراتنا فننزل هذه الخانات أفلا ندخلها إلا بإذن؟ فنزلت، وقيل: الخربات يتبرز فيها. والمتاع: التبرز { والله يعلم ما تبدون وما تكتمون } وعيد للذين يدخلون الخربات والدور الخالية من أهل الرية.
قل للمؤمنين يغضوا من dōMدحج" | &r/ء ويحفظوا فروجهم ٧dy٩d٢٢٢ أركى لهم إن الله خبير
بما tfءèsY٢tbq اجتب

من للتبعض، والمراد غض البصر عما يحرم، والاقتصار به على ما يحل وجوز الأخفش (١) أن تكون مزيدة، وأباه سيويه. فإن قلت: كيف دخلت في غض البصر دون حفظ الفروج؟ قلت: دلالة على أن أمر النظر أوسع. ألا ترى أن المحارم لا بأس بالنظر إلى شعورهن وصدورهن وثديهن وأعضادهن وأسوقهن وأقدامهن وكذلك الجوّاري المستعرضات، والأجنبية ينظر إلى وجهها وكفيها وقدميها في إحدى الروايتين. وأما أمر الفرج فمضيق وكفاك فرقا أن أبيح النظر إلا ما استثنى منه، وحظر الجماع إلا ما استثنى منه، ويجوز (٢)

-
- (١) قوله : وجوز الأخفش أن تكون مزيدة لأن مذهبه أنه يجوز زيادتها للتأكيد في الإيجاب ، وبأباه سيويه لن من عنده لا يراد إلا في النفي ونحوه لتأكيد عمومته .
(٢) قوله : ويجوز أن يراد مع حفظها في الإيجاب جواب آخر عن السؤال أي إنما لم يدخل في حفظ الفروج كما دخلت في غض البصر ، لأن المراد مطلق الحفظ الشامل لحفظها عن الإيذاء وعن الإقصاء إلى الزنا ، وإذا كان حفظها عن الإيذاء مقصود فلا يصح دخول من

التبعيض فيه ، والنظم يساعد هذا التأويل .

وقال صاحب الفرائد : ويمكن أن يقال : المراد عذ النظر عن الأجنبية ، والأجنبية يحل النظر إلى بعضها كما ذكر ، وأما الفروج فلا طريق إلى الحل أصلا بالنسبة إلى الأجنبية فلا وجه لدخل من فيه .

وقال القاضي : يحفظوا فروجهم إلا على أزواجهم أو ما ملكت أيمانهم ، ولما كان المستثنى كالشاذ النار لخلاف الغض أطلقه وقيد الغض [٧٤] بحرف التبعيض ، والفتحة بالتحريك حلقة من فضة لا فص فيها ، فإذا كان فيه الفص فهو الخاتم ، والدملوج الدملج المعضد ، والأكليل شبه عصابة مزين بالجواهر ، ويسمى التاج إكليلا ، والوشاح شيء ينسج من الإديم عريضا ويرصع بالجواهر تسده المرأة بين عاتقها وكشحيها ، وقيل : الوشاح شيء قلادة طويلة تضع المرأة وسطها على عنقها ثم تحالف بين طرفيها على صدرها تكون كهيئة لام ألف ، ثم تديرها المرأة على حقوتها ، والقراميل مثل ما تسده المرأة في شعرها .

(١٨٠/٥)

أن يراد - مع حفظها عن الإقضاء إلى ما لا يحل - حفظها عن الإبداء. وعن ابن زيد: كل ما في القرآن من حفظ الفرج فهو عن الزنا، إلا هذا فإنه أراد به الاستتار. ثم أخبر أنه { خبير } بأفعالهم وأحوالهم، وكيف يجيلون أبصارهم؟ وكيف يصنعون بسائر حواسهم وجوارحهم؟ فعليهم - إذا عرفوا ذلك - أن يكونوا منه على تقوى وحذر في كل حركة وسكون.

وقل للمؤمنات يغضضن من ل`دحج" | ء/ ts†urɛz`àx &r فروجهن ولا يبدن زينتهن إلا ما

ygسك منها وليضربن ل`دحجك Jèf؟ ٢ على ل`خك qهم ثم_ ولا يبدن زينتهن إلا لبعولتهن

أو نخح t/#u\$ أو آباء بعولتهن أو نخح &sY/r\$! أو دن &sY/r\$! بعولتهن أو ل`خ R`uq÷zdg (خ) أو ũسة_t/ ل`خ &uqyzr`؟ dg أو ل`خ gح | \$، د، أو

ما ملكت أيمانهم أو التابعين غير أولي الإربة من %yA`ح q\$# أو الطفل الذين لم ygàtfم على دN`u'qtم النساء ولا يضربن ل`خ dgم-م' r'خ/ ليعلم ما يخفين

من زينتهن

(ûqç/qè?ur# إلى الله جميعا أيها المؤمنون /ن=9yèsقكs=è? اجتنب
(١٨١/٥)

النساء مأمورات أيضا بغض الأبصار، ولا يحل للمرأة أن تنظر من الأجنبي إلى ما تحت
سرتة إلى ركبته، وإن اشتتت غضت بصرها رأسا، ولا تنظر من المرأة إلا إلى مثل ذلك.
وغضها بصرها من الأجنب أصلا أولى بها وأحسن. ومنه حديث ابن أم مكتوم عن أم سلمة
رضي الله عنها قالت: (٧٤٧) كنت عند رسول الله وعنده ميمونة، فأقبل ابن أم مكتوم -
وذلك بعد أن أمرنا بالحجاب - فدخل علينا فقال: احتجبا، فقلنا: يا رسول الله، أليس
أعمى لا يبصر؟ قال: "أفعميا وان أنتما؟ ألستما تبصرانه؟". فإن قلت: لم قدم غض
الأبصار على حفظ الفروج؟ قلت: لأن النظر بريد الزنى ورائد الفجور، والبلوى فيه أشد
وأكثر، ولا يكاد يقدر على الاحتراس منه، الزينة: ما تزينت به المرأة من حلي أو كحل

أو خضاب، فما كان ظاهرا منها كالخاتم والفتخة والكحل والخضاب، فلا بأس بإبدائه
للأجنب، وما خفي منها كالسوار والخلخال والدملج والقلادة والإكليل والوشاح والقرط،
فلا تبديه إلا لهؤلاء المذكورين. وذكر الزينة دون مواقعها: للمبالغة في الأمر
بالتصون والتستر، لأن هذا الزين واقعة على مواضع من الجسد لا يحل النظر إليها لغير
هؤلاء، وهي الذراع والساق والعضد والعنق والرأس والصدر والأذن، فهي عن إبداء الزين
نفسها. ليعلم أن النظر إذا لم يحل إليها لملاستها تلك المواقع - بدليل أن النظر
إليها غير ملائمة لها لا مقال في حله - كان (١) النظر إلى المواقع أنفسها متمكنا
في الحظر، ثابت القدم في الحرمه، شاهدا على أن النساء حقهن أن يحتطن في سترها
ويتقين الله في الكشف عنها. فإن قلت: ما تقول في القراميل، هل يحل نظر هؤلاء إليها؟
قلت: نعم.

(١) قوله: كان النظر إلى المواقع جواب إذا وقوله لا مقال في حله خبر أن الثانية،

والشرط والجزاء خبر أن الأولى، ومعنى رد الشعر طال، ومعنى نصف تطهر

(١٨٢/٥)

فإن قلت: أليس موقعها الظهر ولا يحل لهم النظر إلى ظهرها وبطنها، وربما ورد الشعر
فوقعت القراميل على ما يحاذي ما تحت السرة؟ قلت: الأمر كما قلت، ولكن أمر القراميل

خلاف أمر سائر الحلي، لأنه لا يقع إلا فوق اللباس، ويجوز النظر إلى الثوب الواقع على الظهر والبطن للأجانب فضلا عن هؤلاء. إلا إذا كان يصف لرقته فلا يحل النظر إليه، فلا يحل النظر إلى القراميل واقعة عليه. فإن قلت: ما المراد بموقع الزينة؟ ذلك العضو كله، أم المقلد الذي تلبسه الزينة منه؟ قلت: الصحيح أنه العضو كله كما فسرت مواقع الزينة الخفية، وكذلك مواقع الزينة الظاهرة: الوجه (١) موقع الكحل في عينيه، والخضاب بالوسمة في حاجبيه وشاربيه، والغمرة في خديه، والكف والقدم موقعا الخاتم والفتحة والخضاب بالحناء. فإن قلت: لم سُمح مطلقا في الزينة الظاهرة؟ قلت:

لأن سترها فيه حرج فإن المرأة لا تجد بدا من مزاوله الأشياء بيديها، ومن الحاجة إلى كشف وجهها، خصوصا في الشهادة والمحكمة والنكاح، وتضطر إلى المشي في الطرقات وظهور

قدميها، وخاصة الفقيرات منهن، وهذا معنى قوله: { إلا ما ظهر منها } يعني إلا ما جرت العادة والجملة على ظهوره والأصل فيه الظهور، وإنما سُمح في الزينة الخفية، أولئك المذكورون لما كانوا مختصين به من الحاجة المضطرة إلى مداخلتهم ومخالطتهم، ولقلة توقع الفتنة من جهاتهم، ولما في الطباع من النفرة عن مماسة القرائب، وتحتاج المرأة إلى صحبتهم في الأسفار للنزول والركوب وغير ذلك.

(١) قوله : الوجه مبتدأ وموقع الكحل في عينيه جملة من مبتدأ وخبر للجملة الأولى ، والضمير في عينيه عائد إلى الخلوص ، والمرط كساء من صوف ، وربما كان من جز أو غيره ، والمرجل الي قد نقش فيه تصاوير الرجال ، والصدعة القطعة المصدوعة ، والمراد بالغربان هنا الخمر السود شبههن بالغربان .

(١٨٣/٥)

كانت جيوبهن واسعة تبدو منها نحورهن وصدورهن وما حواليتها، وكن يسدلن الخمر من ورائهن فتبقى مكشوفة، فأمرن بأن يسدلنها من قدامهن حتى يغطيها، ويجوز أن يراد بالجيوب: الصدور تسمية بما يليها ويلابسها. ومنه قولهم: ناصح الجيب وقولك: ضربت بخمارها على جيبها، كقولك: ضربت بيدي على الحائط، إذا وضعتها عليه، وعن عائشة رضي الله عنها: ما رأيت نساء خيرا من نساء الأنصار، لما نزلت هذه الآية قامت كل واحدة منهن إلى مرطها المرحل فصدعت منه صدعة، فاختمرن، فأصبحن كأن على رؤوسهن الغربان. وقرئ: "جيوبهن" بكسر الجيم لأجل الياء، وكذلك { بيوتا غير بيوتكم } قيل في نسائهن:

هن المؤمنات، لأنه ليس للمؤمنة أن تتجرد بين يدي مشركة أو كتابية. عن ابن عباس رضي الله عنهما. والظاهر أنه عني بنسائهن وما ملكت أيمانهن: من في صحبتهن وخدمتهن من الحرائر والإماء والنساء، كلهن سواء في حل نظر بعضهن إلى بعض. وقيل: ما ملكت

أيمانهن هم الذكور والإناث جميعا. وعن عائشة رضي الله عنه أنها أباحت النظر إليها لعبدها، وقالت لذكوان: إنك إذا وضعتني في القبر وخرجت فأنت حر. وعن سعيد بن المسيب مثله، ثم رجع وقال: لا تغرنكم آية النور، فإن المراد بها الإماء. وهذا هو الصحيح، لأن عبد المرأة بمنزلة الأجنبي منها، خصيا كان أو فحلا. وعن ميسون بنت بحدل الكلبية: أن معاوية دخل عليها ومعه خصي، فتقنعت منه، فقال: هو خصي فقالت: يا معاوية، أترى أن المثلة به تحلل ما حرم الله؟ وعند أبي حنيفة: لا يحل استخدام الخصيان وإمساكهم وبيعهم وشراؤهم، ولم ينقل عن أحد من السلف إمساكهم. فإن قلت: روي:

(٧٤٨) أنه أهدى لرسول الله خصي فقبله، قلت: لا يقبل فيما تعم به البلوى إلا حديث مكشوف (١)، فإن صح فلعله قبله ليعتقه، أو لسبب من الأسباب.

}

(١) قوله: إلا حديث مكشوف. أي متواتر ومشهر متلقى بالقبول.

(١٨٤/٥)

الإربة { الحاجة قيل: هم الذين يتبعونكم ليصيبوا من فضل طعامكم، ولا حاجة لهم في النساء، لأنهم بله لا يعرفون شيئا من أمرهن. أو شيوخ صلحاء إذا كانوا معهن غصوا أبصارهم، أو بهم عنانة (١). وقرئ: { غير { بالنصب على الاستثناء أو الحال، والجر على الوصفية. وضع الواحد (٢) موضع الجمع لأنه يفيد الجنس، ويبين ما بعده أن المراد به الجمع. ونحوه { نخرجكم طفلا { (الحج: ٥) { لم يظهروا { إما من ظهر على الشيء إذا اطلع عليه، أي: لا يعرفون ما العورة ولا يميزون بينها وبين غيرها، وإما من ظهر على فلان إذا قوي عليه، وظهر على القرآن: أخذه وأطاقه، أي: لم يبلغوا أو أن القدرة على الوطاء. وقرئ: "عورات" وهي لغة هذيل. فإن قلت: لم لم يذكر الله الأعمام والأخوال؟ قلت: سئل الشعبي عن ذلك؟ فقال: لئلا يصفها العم عند ابنه، والخال كذلك. ومعناه: أن سائر القربات يشترك الأب والابن في المحرمية إلا العم والخال وأبناءهما. فإذا رآها

الأب فریما وصفها لابنه وليس بمحرم، فیدانی تصورہ لها بالوصف نظره إليها؛ وهذا أيضا من الدلالات البلیغة على وجوب الاحتیاط علیهن فی التستر. كانت المرأة تضرب الأرض برجلها لیتقعقع خلخالها، فیلعلم أنها ذات خلخال. وقیل: كانت تضرب بإحدى رجليها الأخرى، لیلعلم أنها ذات خلخالین. وإذا نهین عن إظهار صوت الحلی بعد ما نهین عن إظهار الحلی، علم بذلك أن النهي عن إظهار مواضع الحلی أبلغ وأبلغ.

- (١) قوله : أو نهم عنانة . قال المصنف : ذکر أبو حسان فی کتاب البصائر عنین بن النعین ، والغنیة والغنیة والعنانة والعنة کذب على العرب ، وإنما العنة الخطیرة ، وأولاه بالاستعمال العنایة ، ولا یغرنک قول الفقهاء بین العنة فإنهم إنما یقولون ذلك لقلّة عنايتهم بلغة نبیهم علیه السلام .
- (٢) قوله : وضع الواحد . أي فی قوله : { أو الطفل } و بین ما بعده وهو وصفه بالذین لم یظهروا أنه أراد به الجمع ، ومعنی لتنفّع لتصوب .
- (١٨٥/٥)

أوامر الله ونواهیة فی کل باب لا یکاد العبد الضعیف یقدر على مراعاتها. وإن ضبط نفسه واجتهد، ولا یخلو من تقصیر یقع منه، فلذلك وصی المؤمنین جمیعاً بالتوبة والاستغفار، وبتأمیل الفلاح، إذا تابوا واستغفروا. وعن ابن عباس رضی الله عنهما: توبوا مما کنتم تفعلونه فی الجاهلیة؛ لعلکم تسعدون فی الدنیا والآخرة فإن قلت (١): قد صحت التوبة بالإسلام، والإسلام یجب ما قبله، فما معنی هذه التوبة؟ قلت: أراد بها ما یقوله العلماء: إن من أذنب ذنباً ثم تاب عنه، یلزمه کلما تذکره أن یجد عنه التوبة لأنه یلزمه أن یستمر على ندمه وعزمه إلى أن یتلقى ربه. وقرئ: "أیه المؤمنون"، بضم الهاء، ووجهه أنها كانت مفتوحة لوقوعها قبل الألف، فلما سقطت الألف لالتقاء الساکنین أتبع حركتها حركة ما قبلها.

وأنکحوا الأیامی منکم ur#\$٩٤¢="sıtûü من عبادکم Nà6 ح ur!tB\$خ) إن یكونوا s)èù#u#!un ینهم الله من ¼&ç#òzùs والله بی ur™zO=تد=و اجتب }

الأیاما { والیتامی: أصلهما أیام ویتائم، فقلبا، والأیم: للرجل والمرأة، وقد آم وآمت وتأیما: إذا لم یتزوجا بکربین کانا أو ثیین. قال (٢):

(١) قوله : فإن قلت : قد صحت التوبة بالإسلام . هذا السؤال إيراد على تفسير بن عباس .

(٢) قوله :

فإن تنكحي أنكح وإن تتأيمي ... وإن كنت أفتى منكم أتأيم

أفتى أفعّل من الفتى وهو الشاب أي أقرب إلى الشباب ، وأتأيم جزاء الشرط ، وإن كنت أفتى جملة معترضة ، تقول : أوافقك في حالتي التزويج ، والتأيم وإن كنت أفتى منك ، والغتمة - بالغين المهملة - شدة شهوة اللبن ، وبالغين المعجمة شدة العطش وحرارة الجوف ، والكرم شدة الأكل ، وقيل : هو النخل من قولهم : أكرم البنان أي قصرها ، كما يقال : جعد الكف ، وقيل : هو أن يريد الرجل المعروف ولا يقدر على شيء ، والقرم شدة شهوة اللحم حتى لا يصبر عنه .

(١٨٦/٥)

فإن تنكحي أنكح وإن تتأيمي ... وإن كنت أفتى منكم أتأيم

وعن رسول الله : "اللهم إنا نعوذ بك من العيمة والغيمة والأيمة والكرم والقرم"، والمراد: أنكحوا من تأيم منكم من الأحرار والحرائر، ومن كان فيه صلاح من غلمانكم وجواريككم. وقرئ: "من عبيدكم" وهذا الأمر للنبد لما علم من أن النكاح أمر مندوب إليه، وقد يكون للوجوب في حق الأولياء عند طلب المرأة ذلك، وعند أصحاب الظواهر: النكاح واجب. ومما يدل على كونه مندوبا إليه قوله : (٧٥٠) "من أحب فطرتي فليستن بسنتي وهي النكاح"

وعنه عليه الصلاة والسلام: (٧٥١) "من كان له ما يتزوج به فلم يتزوج فليس منا"(١).
وعنه عليه الصلاة والسلام: (٧٥٢) "إذا تزوج أحدكم عج شيطانه: يا ويله، عصم ابن آدم مني ثلثي دينه".

وعنه عليه الصلاة والسلام: (٧٥٣) "يا عياض لا تزوجن عجوزا ولا عاقرا، فإني مكاثر" والأحاديث فيه عن النبي والآثار كثيرة. وربما كان واجب الترك إذا أدى إلى معصية أو مفسدة.

وعن النبي : (٧٥٤) "إذا أتى على أمتي مائة وثمانون سنة فقد حلت لهم العزوبة والعزلة والترهب على رؤوس الجبال".

وفي الحديث: (٧٥٥) "يأتي على الناس زمان لا تنال فيه المعيشة إلا بالمعصية، فإذا كان ذلك الزمان حلت العزوبة".

(١) قوله : ومن كان له ما يتزوج ولم يتزوج فليس منا . قيل : هذا يدل على الوجوب
كقوله : من غشنا فليس منا ومن شهر السلاح فليس منا ، ومعنى مكاتر مفاخر بكثرة
أولادكم ، والمراد ما روي عن الصحابة ، والمراد بالترهب على رؤوس الجبال التعبد ،
والأثرة التقديم .

(١٨٧/٥)

فإن قلت: لم خص الصالحين؟ قلت: ليحصن دينهم ويحفظ عليهم صلاحهم ولأن الصالحين
من

الأرقاء الذين مواليهم يشفقون عليهم وينزلونهم منزلة الأولاد في الأثرة والمودة،
فكانوا مظنة للتوصية بشأنهم والاهتمام بهم وتقبل الوصية فيهم. وأما المفسدون منهم
فحالهم عند مواليهم على عكس ذلك. أو أريد بالصلاح: القيام بحقوق النكاح. ينبغي أن
تكون شريطة الله غير منسية في هذا الموعد ونظائره، وهي مشيئته، ولا يشاء الحكيم إلا
ما اقتضته الحكمة وما كان مصلحة، ونحوه: { ومن يتق الله يجعل له مخرجا ويرزقه من
حيث لا يحتسب } (الطلاق: ٣). وقد جاءت الشريعة منصوطة في قوله تعالى: { وإن خفتم
عيلة فسوف يغنيكم الله من فضله إن شاء إن الله عليم حكيم } (التوبة: ٢٨) ومن لم ينس
هذه الشريعة لم ينتصب معترضا بعزب كان غنيا فأفقره النكاح، وبفاسق تاب واتقى الله
وكان له شيء ففني وأصبح مسكينا. وعن النبي : (٧٥٦) "التمسوا الرزق بالنكاح".
(٧٥٧) وشكا إليه رجل الحاجة فقال: "عليك بالباءة" (١)

(١) قوله : فقال عليك بالباءة المباءة منزل القوم وكل موضع ، والباءة لغة في
المباءة ومنه سمي النكاح بباءة لأن الرجل يتبأ من أهله أي يستمكن منها كما يتبأ
داره ، والرازح من الإبل الذي ألقى نفسه في الأعباء ، وقيل : هو الشديد الهزال مع
أن به حراكا ، وأراد به هنا ضعف الحال ، وقوله : ولو كان عندنا .. إلى آخره من كلام
المصنف ، ومعنى نكر ولدي أولهم ، ومعنى لا تدوره لا ينقضه .
(١٨٨/٥)

وعن عمر رضي الله عنه: عجبت لمن لا يطلب الغنى بالباءة. ولقد كان عندنا رجل رازح الحال، ثم رأيتُه بعد سنين وقد انتعشت حاله وحسنت، فسألته؟ فقال: كنت في أول أمري على ما علمت، وذلك قبل أن أرزق ولدا، فلما رزقت بكر ولدي تراخيت عن الفقر، فلما ولد لي الثاني زدت خيرا، فلما تناموا ثلاثة صب الله علي الخير صبا، فأصبحت إلى ما ترى { والله واسع { أي غني ذو سعة لا يرزؤه إغناء الخلائق، ولكنه { عليم { (١) ييسط الرزق ولمن يشاء ويقدر.

وليستعفف الذين لا يجدون نكاحا ٤س Lxm® يغنيهم الله من ¼د&ح#zòsù والذين يبتغون

الكتاب مما ملكت أيما نكم فكاتبوهم إن JGôNçd=تو Nkùد# [نچyz وآتوهم من مال الله

الذي آتاكم ولا (#qèdحچè؟ فتيا تكم على البغاء إن bô'rtu & YY\$ گءButr لتبتغوا

ع uچtم 4quòت#ut\$: الدنيا ومن £gd'حچم f فإن الله من بعد

£gd'u'حچ.خ) غفور رحيم

اججب

}

(١) وقوله : ولكنه عليم ييسط الرزق لمن يشاء . هذا الاستدراك يؤذن بأن قوله : {

عليم { تكميل لقوله { واسع { كقول الشاعر :

حليم إذا ما الحلم زين أهله ... مع الحلم في عين العدو مهيب

وطلب النفس كفها عما لا يحل ، ومعنى عرفها عن الطموح منعها وصرفها ، والطموح الارتفاع ، والوصيف الخادم غلاما كان أو جارية ، يقال : وصف الغلام إذا بلغ الخدمة فهو وصيف بين الوصافة .

(١٨٩/٥)

وليستعفف { وليجتهد في العفة وظلف النفس، كأن المستعفف طالب من نفسه العفاف وحاملها

عليه { لا يجدون نكاحا { أي استطاعة تزوج. ويجوز أن يراد بالنكاح: ما ينكح به من

المال { حتى يغنيهم الله { ترجية للمستعفين وتقدمة وعد بالفضل عليهم بالغنى، ليكون انتظار ذلك وتأميله لطفاً لهم في استعفافهم، وربطاً على قلوبهم، وليظهر بذلك أن فضله

أولى بالإعفاء وأدنى من الصلحاء، وما أحسن ما رتب هذه الأوامر: حيث أمر أولاً بما يعصم من الفتنة ويبعد مواجهة المعصية وهو غض البصر، ثم بالنكاح الذي يحصن به الدين ويقع به الاستغناء بالحلال عن الحرام، ثم بالحمل على النفس الأمانة بالسوء وعزفها عن الطموح إلى الشهوة عند العجز عن النكاح إلى أن يرزق القدرة عليه { والذين يبتغون { مرفوع على الابتداء. أو منصوب بفعل مضمر يفسره { فكاتبوهم { كقولك: زيدا فاضربه، ودخلت الفاء لتضمن معنى الشرط. والكتاب والمكاتبة، كالعتاب والمعاتبة: وهو أن يقول الرجل لمملوكه: كاتبتك على ألف درهم، فإن أداها عتق. ومعناه: كتبت لك على نفسي أن تعتق مني إذا وفيت بالمال، وكتبت لي على نفسك أن تفني بذلك. أو كتبت عليك الوفاء بالمال وكتبت علي العتق. ويجوز عند أبي حنيفة رضي الله عنه حالا ومؤجلاً، ومنجماً وغير منجماً؛ لأن الله تعالى لم يذكر التنجيم، وقياساً على سائر العقود. وعند الشافعي رضي الله عنه: لا يجوز إلا مؤجلاً منجماً. لا يجوز عنده بنجم واحد؛ لأن العبد لا يملك شيئاً، فعقده حالا منع من حصول الغرض، لأنه لا يقدر على أداء البذل عاجلاً، ويجوز عقده على مال قليل وكثير، وعلى خدمة في مدة معلومة، وعلى عمل معلوم مؤقت: مثل حفر بئر في مكان بعينه معلومة الطول والعرض وبناء دار قد أراه آجراً وجصها وما يبنى به. وإن كاتبه على قيمته لم يجز.

(١٩٠/٥)

فإن أداها عتق، وإن كاتبه على وصيف، جاز، لقلة الجهالة ووجوب الوسط، وليس له أن يطأ المكاتبة، وإذا أدى عتق، وكان ولاؤه لمولاه؛ لأنه جاد عليه بالكسب الذي هو في الأصل له، وهذا الأمر للندب (١) عند عامة العلماء. وعن الحسن رضي الله عنه: ليس ذلك بعزم، إن شاء كاتب وإن شاء لم يكاتب. وعن عمر رضي الله عنه: هي عزمة من عزمات الله. وعن ابن سيرين مثله وهو مذهب داود { خيراً { قدرة على أداء ما يفارقون عليه (٢). وقيل:

أمانة وتكسباً. وعن سلمان رضي الله عنه أن مملوكاً له ابتغى أن يكاتبه فقال: أعندك مال؟ قال: لا، قال: أفتأمرني أن آكل غسالة أيدي الناس { وآتوهم { أمر المسلمين على وجه الوجوب بإعانة المكاتبين وإعطائهم سهمهم الذي جعل الله لهم من بيت المال، كقوله تعالى: { وفي الرقاب { (البقرة: ١٧٧)، (التوبة: ٦٠) عند أبي حنيفة وأصحابه رضي الله عنهم. فإن قلت: هل يحل لمولاه إذا كان غنياً أن يأخذ ما تصدق به عليه؟ قلت: نعم (٣).

(١) قوله : وهذا الأمر للندب . لأن الكناية معا وفيه يتضمن الإرفاق فلا يجب كغيرها .

(٢) قوله : على أداء ما تفارفون عليه . قيل : التقدير على إذا ما تقع الفرقة عليه من مال أو خدمة أو عمل .

(٣) قوله : قلت نعم .. إلى آخره . قيل : عند الشافعي أنه إذا رُق المكاتب أو أعتق من جهة الكناية غرم المدفوع عليه إلا أن يتلف قبل العتق لأنه علم من طريق التبيين إنما صرف إليه لم يقع الموقع حينئذ ؛ إذ لم يترتب عليه الغرض المطلوب بها ، وبهذا يظهر أن القياس ذلك على الصدقة التي اشترت من الفقير غير صحيح ، وكذا إلحاقه بحديث بريدة فإنه لم يظهر هنالك ما يعلم به بطلاق الصدقة إلى من صرفت إليه ، وحديث بريدة عن عائشة قالت : تصدق علي بريدة بلحم ، فقال رسول الله صلى الله عليه : ((هو لها صدقة ولنا هدية)) . [٧٥] والخطيئة الخط ، والمساعدة الزنا مفاعلة من السعي ، والضرائب جمع ضريبة وهي ما تؤخذ من الأرصاد والجزية ونحوهما وضريبة العبد عليه . (١٩١/٥)

وكذلك إذا لم تف الصدقة بجميع البدل وعجز عن أداء الباقي طاب للمولى ما أخذه؛ لأنه لم يأخذه بسبب الصدقة، ولكن بسبب عقد المكاتبه كمن اشترى الصدقة من الفقير أو ورثها أو وهبت له، ومنه قوله في حديث بريدة: (٧٥٨) أي: "هو لها صدقة ولنا هدية"، وعند الشافعي رضي الله عنه: هو إيجاب على الموالي أن يحطوا لهم من مال الكتابة. وإن لم

يفعلوا أجبروا. وعن علي رضي الله عنه: يحط له الربع. وعن ابن عباس رضي الله عنهما: يرضخ له من كتابته شيئا، وعن عمر رضي الله عنه أنه كاتب عبدا له يكنى أبا أمية، وهو أول عبد كوتب في الإسلام، فأتاه بأول نجم فدفعه إليه عمر رضي الله عنه وقال: استعن به على مكاتبك فقال: لو أخرته إلى آخر نجم؟ قال: أخاف أن لا أدرك ذلك. وهذا عند أبي حنيفة رضي الله عنه على وجه الندب وقال: إنه عقد معاوضة فلا يجبر على الحطيطة كالبيع. وقيل: معنى { وآتوهم } : أسلفوهم. وقيل: أنفقوا عليهم بعد أن يؤدوا ويعتقوا وهذا كله مستحب. وروي أنه كان لحويطب بن عبد العزى مملوك يقال له الصبيح: سأل مولاه أن يكاتبه فأبى، فنزلت. كانت إماء أهل الجاهلية يساعين على مواليهن .

)

(١٩٢/٥)

٧٥٩) وكان لعبد الله بن أبي رأس النفاق ست جوار، معاذة، ومسيكة، وأميمة، وعمرة، وأروى، وقتيلة: يكرههن على البغاء وضرب عليهن ضرائب فشكت اثنتان منهن إلى رسول الله . فنزلت، ويكنى بالفتى والفتاة: عن العبد والأمة. وفي الحديث: (٧٦٠) "ليقل أحدكم فتاي(١) وفتاتي، ولا يقل عبدي وأمتي" والبغاء: مصدر البغي. فإن قلت: لم أقحم(٢) قوله: { إن أردن تحصنا } قلت: لأن الإكراه لا يتأتى إلا مع إرادة التحصن، وأمر الطيعة المواتية للبغاء لا يسمى مكراها ولا أمره إكراها.

(١) قوله : ليقل أحدكم فتاي فتاتي . أي غلامي وجاريتي ، ولا تقل عبدي وأمتي فإن العبد لله .

(٢) قوله : لم أقحم إن أردن تحصنا . أراد أنه يلزم منه جواز إكراههن عند فقد إرادة التحصن ، لأن المشروط ينتفي بانتفاء شرطه . وأجاب : بأن الإكراه إنما يتصور إذا أردن التحصن ، إما إذا أرن البغاء فلا إكراه إذن ، وأتى بأن الدالة على الشك للإيدان بأنهن كن راغبات في الزنا . الانتصاف : لم يكن جوابا شافيا ، وعندى أنه للإنقاص لأن السامع ينبغي أن يختار من هذه الرذيلة ، وإن لم يكن زاجر شرعي إشعارا بأن أمته خير منه ولولا هذا لما قوي الزاجر النفسي ، قيل : ويقوي هذا التأويل قراءة بن عباس : لهن غفور رحيم . وقيل : لما كان الغالب أن الإكراه يجوز في غير حالة الشقاق ، ولمكان الغالب أنه في حال الشقاق ، قال : { فإن خفتم إن لا يقيما حدود الله فلا جناح عليهما فيما افتدت به } ، وكذا قوله تعالى : { وإذا ضربتم في الأرض فليس عليكم جناح أن تقصروا من الصلاة إن خفتم } ، والقصر لا يختص بحال الخوف ولكن أجراه على سبيل الغالب .

(١٩٣/٥)

وكلمة { إن علمتم فيهم خيرا وءاتوهم من مال الله الذى؟ ءاتاكم ولا تكرهوا فتياتكم على البغاء إن أردن تحصنا لتبتغوا عرض الحيوة الدنيا ومن يكرههن فإن الله من بعد إكراههن غفور رحيم } وإيثارها على "إذا" إيذان بأن المساعيات كن يفعلن ذلك برغبة وطواعية منهن، وأن ما وجد من معاذة ومسيكة من حيز الشاذ النادر { غفور رحيم } لهم أو لهن(١)، أو لهم ولهن إن تابوا وأصلحوا. وفي قراءة ابن عباس: "لهن غفور رحيم" فإن قلت: لا حاجة إلى تعليق المغفرة بهن، لأن المكروهة على الزنى بخلاف المكروه عليه في

أنها غير آثمة. قلت: لعل الإكراه كان دون ما اعتبرته الشريعة من إكراه بقتل، أو بما يخاف منه التلف أو ذهاب العضو، من ضرب عنيف أو غيره حتى تسلم من الإثم، وربما قصرت

عن الحد الذي تعذر فيه فتكون آثمة.

ولقد !&Rr"uZ9u\$ إليكم آيات i t7-BöuZ"M ومثلا من الذين خلوا من
O ن=د٣s٦% وموعظة

للمتقين ابحب

}

(١) قوله : لهم أو لهن . أراد أن قوله : { غفور رحيم } مطلق ، والقريئة الدالة على التقييد { ولا تكرهوا فتياتكم على البغاء } فيجوز أن يقيد بالمكرهين إذا تابوا ، أو بالمكرهات ، أو بكليهما جميعا ، وقيل : يجوز تركه على إطلاقه فيدخلون فيه دخولا أوليا ولا يقال أن المكره غير آثمة فلا حاجة إلى المغفرة على ما ذكره المصنف ، وأن الإكراه لا ينافي المؤاخذة بالذات ولكن حرم على المكره القتل ووجب عليه القصاص ، وقيل : ذكر المغفرة في حقهن تعريض بالمكرهين فإنهن إذا كن مؤاخذات مع الإكراه فما الظن بالمكره .
(١٩٤/٥)

مبينات { هي الآيات التي بينت في هذه السورة وأوضحت في معاني الأحكام والحدود. ويجوز أن يكون الأصل مبينا فيها فاتسع (١) في الظرف. وقرئ بالكسر، أي: بينت هي الأحكام والحدود، جعل الفعل لها على المجاز، أو من "بين" بمعنى تبيين. ومنه المثل قد بين الصبح لذي عينين. { ومثلا من { أمثال من { قبلكم { أي قصة عجيبة من قصصهم كقصة

يوسف ومريم، يعني: قصة عائشة رضي الله عنها. { وموعظة { ما وعظ به في الآيات (٢) والمثل، من نحو قوله: { ولا تأخذكم بهما رأفة في دين الله { (النور: ٢)، { لولا إذ سمعتموه { (النور: ١٢)، { ولولا إذ سمعتموه { (النور: ١٦)، { يعظكم الله أن تعودوا لمثله أبدا { (النور: ١٧).

* الله نور 9\$#،،yJ"N`uqد والارض مثل ٣/٤ح'qçR كمشكاة فيها مصباح المصباح
في زجاجة

شبهه بالنور في ظهوره وبيانه ، أي جعله مبينا ودليلا على وحدانيته ، وما آل المعنى الله جاعلها دليلين على وحدانيته كما يقل بعضهم : الله مدلول السموات والأرض ، ولما احتاج الاستدلال بهما إلى الذهن الثاقب ولا فكر الصائب الذي لا يأتيه الباطل يمينا وشمالا جعل المشبه به في كره ليؤذن أن المستضاء به إنما ينتفع به إذا انتصب محاذيا له ، وكذلك المستدل ينبغي أن يكون على الصراط المستقيم ، وإليه الإشارة بقوله : ولم يذهب عن الحادة الموصلة إليه يمينا وشمالا .

فإن قلت : تفسيره لقوله : { الله نور السموات والأرض } بقوله : للدلالة على سعة إشراقه وفشو أضاء به غير مطلق لتفسير

(١٩٦/٥)

شبهه بالنور في ظهوره وبيانه، كقوله تعالى: { الله ولي الذين آمنوا يخرجهم من

الظلمات إلى النور } (البقرة: ٢٥٧): أي من الباطل إلى الحق. وأضاف النور إلى السموات والأرض لأحد معنيين: إما للدلالة على سعة إشراقه وفشو إضاءته حتى تضيء له السموات والأرض. وإما أن يراد (١) أهل السموات والأرض وأنهم يستضيئون به { مثل نوره } أي صفة نوره العجيبة الشأن في الإضاءة { كمشكاة } كصفة مشكاة وهي الكوة في الجدار غير النافذة { فيها مصباح } سراج ضخمة ثاقب { في زجاجة } أراد قنديلا من زجاج شامي أزهر. شبهه في زهرته بأحد الدراري من الكواكب وهي المشاهير، كالمشتري (٢) والزهرة والمريخ وسهيل ونحوها { توقد } هذا المصباح { من شجرة } أي ابتداء ثقبه من شجرة الزيتون، يعني: زويت ذبالته بزيتها { مباركة } كثيرة المنافع. أو: لأنها تنبت في الأرض التي بارك فيها للعالمين. وقيل: بارك فيها سبعون نبيا، منهم إبراهيم عليه السلام. وعن النبي : (٧٦١) "عليكم بهذه الشجرة زيت الزيتون فتداووا به، فإنه مصحة من الباسور" (٣) { لا شرقية ولا غربية } أي منبتها الشام (٤).

(١) قوله : وإما أن يراد أهل السموات والأرض وهو من ينظر [٧٦] إلى تأويل ابن عباس : الله هادي أهل السموات والأرض ، فهم بنوره إلى الحق يهتدون ، وبهداة من حفر الضلالة ينجون ، وقيل : القول بأن المراد بالنور الهدى هو المختار ؛ إلا أنه المطابق لما قبله وهو قوله : { ولقد أنزلنا إليكم آيات مبينات } ، والسراج الضخم في لغة العرب النور والضوء دون غيره من الفتيلة والخزف وما أشبهه .

(٢) قوله : كالمشتري والزهرة والمريخ وسهيل . ولم يذكر بقية السيارة وذكر سهيلا على

أنه ليس منها ؛ لأنه أراد الكواكب المشرقة المشهورة عند العرب .
(٣) قوله : مصحة من الباسور . وفي الحديث : ((الصوم مصحة)) يروى بكسر الصاد وفتحها

(٤) قوله : أي منبتها الشام .. لأنه وسط بين المشرق والمغرب ، والمصحى الصحو ،
والمقناة الموضع الذي لا يطلع عليه الشمس ، وقيل : المقناة مهموزة .
(١٩٧/٥)

وأجود الزيتون: زيتون الشام. وقيل: لا غب مضحى ولا مقناة. ولكن الشمس والظل
يتعاقبان عليها وذلك أجود لحملها وأصفى لدهنها. قال رسول الله : (٧٦٢) "لا خير في
شجرة في مقناة، ولا نبات في مقناة، ولا خير فيهما في مضحى". وقيل: ليست مما تطلع
عليه الشمس وفي وقت شروقها أو غروبها فقط، بل تصيبها بالغداة والعشي جميعا، فهي
شرقية وغربية، ثم وصف الزيت بالصفاء والوبيص وأنه لتأله { يكاد } يضيء من غير نار
{ نور على نور } أي هذا الذي شبهت به الحق نو متضاعف قد تناصر فيه المشكاة والزجاجة
والمصباح والزيت، حتى لم يبق مما يقوى النور ويزيده إشراقا ويمده بإضاءة: بقية،
وذلك أن المصباح(١)

(١) قوله : إن المصباح إذا كان في مكان متضايق كالمشكاة كان أضوأ له وأجمع لنوره
بخلاف المكان الواسع ؛ فإن الضوء ينبث وينتشر ، والواجب الموافقة بين ما يجمع فيه
المشبه والمشبه به من المعنى .

قلت : إنما يكون كذلك أن لو كان وجه التشبيه سعة الإشراق وفشوه ، وليس كذلك ؛ بل
الوجه فرط الضياء وقوة الإنارة ، فالحاصل أنه شبه نور الله الفاشي في قوة ظهوره
بالنور المستفاد من المصباح الذي هو المشكاة فظهر أن المراد من الفشو والانتشار
كثرة الدلائل وظهور آثار وحدانيته في الملكوت .
(١٩٨/٥)

إذا كان في مكان متضايق كالمشكاة كان أضوأ له وأجمع لنوره، بخلاف المكان الواسع فإن
الضوء ينبث فيه، وينتشر، والقنديل أعون شيء على زيادة الإنارة، وكذلك الزيت وصفاءه
{ يهدي الله } لهذا النور الثاقب { من يشاء } من عباده، أي: يوفق لإصابة الحق من
نظر وتدبر بعين عقله والإنصاف من نفسه، ولم يذهب عن الجادة الموصلة إليه يميناً

وشمالاً. ومن لم يتدبر فهو كالأعمى الذي سواء عليه جنح الليل الدامس وضحوة النهار الشامس. وعن علي رضي الله عنه: "الله نور السماوات والأرض" أي نشر فيها الحق وبثه

فأضاءت بنوره، أو نور قلوب أهلها به، وعن أبي بن كعب رضي الله عنه: مثل نور من آمن به. وقرئ: "زجاجة الزجاج" بالفتح والكسر: ودري(١):

(١) قوله : ودري منسوب إلى الدر . قال أبو علي : من قرأ دري بضم الدال وكسر الراء مشددة الياء من غير همز احتمال قوله أمرين ؛ أحدهما : أن يكون بسببه إلى الدر وذلك لفرط ضيائه ونوره ، كما أن الدر كذلك ، ويجوز أن يكون فعلاً من الدر مثل السكير والفسيق ، والمعنى أن الخفاء اندفع عنه لتأله في ظهوره فلم يخف كما خفي نحو السهي وما لا يضيء من الكواكب .

ومن قرأ دري بضم الدال وتشديد الراء مهموزاً كان فعلاً من الدر ، والمرتق القرطم . قال بن جني : قرأ قتادة والضحاك { دري } مخففة ، وسعيد بن المسيب وغيره { دري } مفتوحة الدال مشددة الراء مهموزة ، وهذا الأخير قراءة غريبة ، وذلك أن فعلاً بالفتح وتشديد العين عزيز ؛ وإنما حكى عنه السكنة بفتح السين وتشديد الكاف ، حكاه أبو زيد .

وقال الزجاج : والنحويون أجمعون لا يعرفون الوجه في { دري } لأنه ليس من كلام العرب شيء على فعيل بضم الفاء وتشديد العين ؛ ولكن الكسر جيد بالهمزة على وزن فعيل ، والسكية قيل هي لغة في السكينة .

(١٩٩/٥)

منسوب إلى الدر أي، أبيض متأللأىء. ودريء: بوزن سكيت: يدرأ الظلام بضوئه. ودريء كمريق. ودري كالسكينة، عن أبي زيد. وتوقد: بمعنى تتوقد. والفعل للزجاجة. ويوقد، وتوقد، بالتخفيف. ويوقد، بالتشديد. ويوقد بحذف الناء وفتح الياء، لاجتماع حرفين زائدين وهو غريب(١). ويمسه بالياء، لأن التأنيث ليس بحقيقي، والضمير فاصل.

في بيوت أذن الله أن ترفع u چم fur فيها اسمه يسبح له فيها بالغدو والآصال (٣٦) رجال لا N خ k خ $ou \times$ $gù=è?$ $Bdpg$ ولا بيع عن حج. $\mathbb{E}$ الله وإقام

$\# \$ ٩ \epsilon \phi = o4qn$ وإيتاء

الله أحسن

ما عملوا Nèdy%٠fح tfur" من ٣/٤ح sùzô# والله يرزق من يشاء بغير حساب
اجرب
}

(١) قوله : وهو غريب . لأن الحذف القياسي إنما يكون حيث يجتمع مثالا نحو { تفكرون } و { يذكرون } وليس في يتوقد مثالان لكن شبه حرف مضارعة بمثله .
(٢٠٠/٥)

في بيوت { يتعلق بما قبله. أي: كمشكاة في بعض بيوت الله وهي المساجد، كأنه قيل: مثل نوره كما يرى في المسجد نور المشكاة التي من صفتها كيت وكيت. أو بما بعده، وهو يسبح، أي: يسبح له رجال في بيوت. وفيهل تكرير، كقولك: زيد في الدار جالس فيها، أو بمحذوف كقوله: { في تسع آيات } (النمل: ٢٧) أي سبحوا في بيوت. والمراد بالإذن: الأمر. ورفعها: بناؤها، كقوله: { بناها رفع سمكها فسواها } (النازعات: ٢٨)، { وإذ يرفع إبراهيم القواعد } (١) (البقرة: ١٢٧) وعن ابن عباس رضي الله عنهما: هي المساجد، أمر الله أن تبنى، أو تعظيمها والرفع من قدرها. وعن الحسن رضي الله عنه: ما أمر الله أن ترفع بالبناء، ولكن بالتعظيم { ويذكر فيها اسمه } (٢) أوفق له، وهو عام في كل ذكر. وعن ابن عباس رضي الله عنهما: وأن يتلى فيها كتابه. وقرىء: "يسبح" على البناء للمفعول، ويسند إلى أحد الظروف الثلاثة، أعني: { له فيها بالغدو } ، و { رجال } مرفوع بما دل عليه { يسبح } وهو يسبح له، وتسبح، بالتاء وكسر الباء. وعن أبي جعفر رضي الله عنه بالتاء وفتح الباء. ووجهها أن يسند إلى أوقات الغدو والآصال على زيادة الباء، وتجعل الأوقات مسبحة. والمراد ربها، كصيد عليه يومان. والمراد وحشهما. والآصال: جمع أصل وهو العشي. والمعنى: بأوقات الغدو، أي: بالغدوات. وقرىء: "والإيصال" وهو الدخول في الأصيل.

(١) قوله : { وإذ يرفع إبراهيم القواعد من البيت } . استدل بهذه الآية على أن المراد بالرفع البناء كما في قوله تعالى : { رفع سمكها فسواها } فإنه جعل الرفع

بيانا للبناء فدل على أن الرفع يكون بمعنى البناء .

)

(٢) قوله : { ويذكر فيها اسمه } أو قف له . أراد أن مناسبتة لمعنى التعظيم أكثر من مناسبتة لمعنى البناء . وعن ابن عباس : وأن يتلى فيها كناية فسر { وأن يذكر فيها اسمه } بقوله : وأن يتلى فيها كناية ، وأتى بالواو في التفسير كما في المفسر . (٢٠١/٥)

يقال: أصل، كأظهر وأعتم. التجارة: صناعة التاجر، وهو الذي يبيع ويشترى للربح، فإما أن يريد: لا يشغلهم نوع من هذه الصناعة، ثم خص البيع لأنه في الإلهاء أدخل. من قبل أن التاجر إذا اتجهت له بيعة رابحة وهي طلبته الكلية من صناعته: ألهمته ما لا يلهيه (١) شراء شيء يتوقع فيه الربح في الوقت الثاني، لأن هذا يقين وذلك مظنون، وإما أن يسمى الشراء تجارة، إطلاقاً لاسم الجنس على النوع، كما تقول: رزق فلان تجارة رابحة، إذا اتجه له بيع صالح أو شراء. وقيل: التجارة لأهل الجلب (٢)، اتجر فلان في كذا: إذا جلبه. التاء في إقامة (٣)، عوض من العين الساقطة للإعلال، والأصل: "إقوام" فلما أضيفت أقيمت الأضافة مقام حرف التعويض، فأسقطت، ونحوه (٤): وأخلفوك عدا الأمر الذي وعدوا

(١) قوله : ألهمته ما لا يلهيه شىء . أي ألهمته إلهاء لا يلهيه ذلك الإلهاء شراء شىء ، قوله : (ما) عبارة عن الإلهاء ، والضمير في تلهيه أعني المنصوب يعود إليه فهما منصوبان على المصدرية .

(٢) قوله : وقيل التجارة لأهل الجلب . أي لمن يجلب الأمتعة من بلد إلى بلد للبيع ، وعلى هذا لا حاجة إلى ذكر الشراء ؛ لأنهم إنما يجلبون البيع للشراء .

(٣) قوله : التاء في إقامة عوض . قال الزجاج : أصلها أقومت الصلوة إقوما ؛ ولكن قلب الواو الفاء فاجتمع ألفان فحذفت أحدهما لالتقاء الساكنين فبقي أقيمت الصلوة إقاما ، وأدخلت التاء عوضاً عن المحذوف ، وقامت الإضافة هاهنا في التعويض مقام ألها المحذوفة ، وذكر سيبويه أن الإقام والإزاء مستعملان بغير تاء من بين أخواتهما .

)

(٤) قوله : وأخلفوك عدا الأمر الذي وعدوا . صدره : إن الخليط أجدوا البين فانجردوا . أي فمضوا وأسرعوا ، والخليط بمعنى المخالط ، والمراد به الجمع ، وعدا الأمر عدته .

وتقلب القلوب والأبصار: إما أن تتقلب وتتغير في أنفسها: وهو أن تضطرب من الهول والفرع وتشخص، كقوله: { وإذ زاغت الأبصار وبلغت القلوب الحناجر } (الأحزاب: ١٠). وإما أن تتقلب أحوالها وتتغير فتفقها القلوب بعد أن كانت مطبوعا عليها لا تفقه، وتبصر الأبصار بعد أن كانت عميا لا تبصر { أحسن ما عملوا } أي أحسن جزاء أعمالهم، كقوله: { للذين أحسنوا الحسنى } (يونس: ٢٦) والمعنى يسبحون ويخافون (١)، ليجزيهم ثوابهم مضاعفا ويزيدهم على الثواب تفضلا. وكذلك معنى قوله: { الحسنى وزيادة } (٢) (يونس: ٢٦) المثوبة وزيادة عليها من التفضل. وعطاء الله تعالى: إما تفضل وإما ثواب، وإما عوض { والله يرزق } ما يتفضل به (٣) { بغير حساب } فأما الثواب فله حساب لكونه على حسب الاستحقاق

-
- (١) قوله: والمعنى يسبحون ويخافون. أراد أن قوله: { يخافون } صفة بعد صفة لرجال، والوصفة الأولى { لا تلهيهم تجارة ولا بيع عن ذكر الله } أي من تسبيح الله لقوله: { يسبح لها فيها } و { ذكر الله } مظهر وضع موضع المضمهر.
- (٢) قوله: وكذلك معنى قوله: { الحسنى وزيادة } . يعني أن الزيادة في هذه الآية من الفصل كذا يجب أن تفسر الزيادة بالفصل في قوله: { للذين أحسنوا الحسنى وزيادة } ؛ لأن المطلق محمول على المقيد إذا كانا عن سبب واحد لأنه لم يذكر المزيد فوجب أن يكون من حسن المزيد عليه، فإن كان من غير جنسه فلا بد من الذكر كقولك: أعطاني فلان ألفا وزيادة، إذا كانت الزيادة من جنس الدينار، ولا تقول ذلك إن أردت بالزيادة ثوبا فيبطل على هذا عنده على هذا تفسير الزيادة بالرؤية.
- (٣) قوله: والله يرزق ما يتفضل به بغير حساب. يعني أن { يرزق } مطلق، فلا بد من

تقييده بأحد [٧٧] المذكورين - أعني الجزاء والتفضيل - ؛ لكن تقييده بالأول ممتنع لأن المراد به الثواب، ولا بد فيه من الحساب فتعين تقييده بالثاني، معنى يسرب يجري، والممطوطة المهدودة.

#س Lxm® إذا جاءه لم

يجده ©x"Z\$ ووجد الله عنده فوفاه حسابه والله سريع ة<\$ |،#\$:tù، اجزب
السراب: ما يرى في الفلاة من ضوء الشمس وقت الظهيرة، يسرب على وجه الأرض كأنه ماء
يجري. والقيعة: بمعنى القاع أو جمع قاع، وهو المنبسط المستوي من الأرض، كجيرة في
جار. وقرىء: "بقيعات": بناء ممطوطة، كديمات وقيمات، في ديمة وقيمة. وقد جعل بعضهم
بقيعاة بناء مدورة، كرجل عزهاة، شبه ما يعمل من لا يعتقد الإيمان ولا يتبع الحق من
الأعمال الصالحة التي يحسبها تنفعه عند الله وتنجيه من عذابه ثم تخيب في العقابة
أمله ويلقى خلاف ما قدر، بسراب(١)

(١) قوله : بسراب يتعلق بشبه يعني شبه الأعمال الصالحة ممن لا إيمان لاه وهو يحسب
أنها تنفعه ثم يجيب في العقابة بسراب الكافر إلى آخره إنما قيد المشبه به بالكافر
وجعل أحواله ما يلقاه يوم القيامة ، ولم يجعله مطلقا لأنه تعالى قيده بقوله : {
ووجد الله عنده فوفاه حسابه } لأنه من تنمة أحوال المشبه به ، وهذا الأسلوب أبلغ ،
لأن حينه الكافر أدخل وحصوله على أمر خلاف ما يأمر أعرق ، ونحوه في التشبيه قوله
تعالى : { مثل ما ينفقون في هذه الحياة الدنيا كمثل ربح فيها صر أصابت حرث قوم
ظلموا أنفسهم } فإن الكافرين الظالمين هم الذي تذهب حرثهم بالحرية بالكلية لشدة
الغضب عليهم ، وعدم تعويضهم في الآخرة لخلاف مطلق الحرث كذلك هاهنا ، والساخرة
وجه

الأرض ، وأراد بها هاهنا أرض القيامة ..

(٢٠٤/٥)

يراه الكافر بالساخرة وقد غلبه العطش يوم القيامة فيحسبه ماء، فيأتيه فلا يجد ما

رجاه ويجد زبانية الله عنده يأخذونه فيعتلونهم إلى جهنم فيسقونه الحميم والغساق، وهم
الذين قال الله فيهم: { عاملة ناصية } (الغاشية: ٣)، { وهم يحسبون أنهم يحسنون صنعا
{ (الكهف: ١٠٤)، { وقدمنا إلى ما عملوا من عمل فجعلناه هباء منثورا } (الفرقان: ٢٣)
وقيل: نزلت في عتبة بن ربيعة بن أمية، وقد كان تعبد وليس المسوح والتمس الدين في
الجاهلية، ثم كفر في الإسلام.

أو كظلمات في بحر &sdض-٩ يغشاه موج من فوقه موج من فوقه ز<utx\$ ظلمات
بعضها فوق

بعض إذا &zr÷چylu يده لم يكد tfچyg1u\$ ومن لم يجعل الله له نورا فما له من نور
احتب

اللجي: العميق الكثير الماء. منسوب إلى اللج وهو معظم ماء البحر. وفي { أخرج } ضمير
الواقع فيه { لم يكد يراها } مبالغة في لم يرها؛ أي: لم يقرب أن يراها؛ فضلا عن أن
يراهها. ومثله قول ذي الرمة(١):

إذا غير النأي المحبين لم يكد ... رسيس الهوى من حب مية ييرح

(١) قوله :

إذا غير النأي المحبين لم يكد ... رسيس الهوى من حب مية ييرح

رسيس الهوى أوله ، وقيل: الرسيس الشيء الثاقب الذي لزم من بقية هوى ، أو سلم في
البدن ، ييرح أي يزول ، ومعنى بعيلة نخرة يعنف .
(٢٠٥/٥)

أي لم يقرب من البراح فما باله ييرح؟ شبه أعمالهم أولا في فوات نفعها وحضور ضررها
بسراب لم يجده من خدعه من بعيد شيئا، ولم يكفه خيبة وكمدا أن لم يجد شيئا كغيره من
السراب، حتى وجد عنده الزبانية تعتله إلى النار، ولا يقتل ظمأه بالماء. وشبهها
ثانيا في ظلمتها وسوادها لكونها باطلة، وفي خلوها عن نور الحق بظلمات متراكمة من لج
البحر والأمواج والسحاب، ثم قال: ومن لم يوله(١) نور توفيقه وعصمته ولطفه، فهو في
ظلمة الباطل لا نور له. وهذا الكلام مجراه مجرى الكنايات؛ لأن الألفاظ إنما تردف
الإيمان والعمل. أو كونهما مترقبين، ألا ترى إلى قوله: { والذين جاهدوا فينا
لنهديهم سبلنا } (العنكبوت: ٦٩) وقوله: { ويضل الله الظالمين } (إبراهيم: ٢٧)

وقرىء: "سحاب ظلمات" على الإضافة. وسحاب ظلمات، برفع { سحاب } وتنوينه وجر {
ظلمات

{ بدلا من { ظلمات } الأولى.

(١) قوله : ومن لم يوله أي يعطه نور توفيقه وعصمته ولطفه فهو في ظلمة الباطل .. إلى

آخره . أراد أن هذا من باب الكناية ؛ لأن عطاء نور هذا الأشياء من لوازم الإيمان والعمل الصالح بدليل قوله تعالى : { والذين جاهدوا فينا لنهدينهم سبلنا } ، وبدليل قوله تعالى : { ويضل الله الظالمين } بمعنى ويخذلهم ، فإن ذلك يدل على أن لم يؤمن لم يوفقه الله تعالى ولم يعصمه ، وإذا ثبت أن ذلك من لوازم الإيمان فقد أطلق الإعطاء وأراد ملزومه فكأنه قال : ومن لم يكن له إيمان وعمل صالح ، أما في الحال وفي المستقبل فهو في ظلمة الباطل لا يستحق التوفيق واللفظ ، والتوفيق هو ما يقع عنده فعل الواجب لأجله ، والعصمة هي ما يقع عندها ترك المعصية لأجلها ، واللفظ هو ما يكون المكلف عنده أقرب إلى فعل الطاعة أو ترك المعصية فهو أعم منهما .

(٢٠٦/٥)

ألم uچ؟ أن الله يسبح له من في دq"uN"،،uK 9\$# والأرض مڑچ ۹.©\$ur صافات كل قد

t=dzN و صلاته وتسبيحه والله L۷د=t و بما يفعلون (٤١) والله ملك

دq"uN"،،uK 9\$# والأرض

والى الله مڑچ ۹\$#yJ احب

{ صافات } يصفن أجنحتهن في الهواء. والضمير (١) في { علم } لكل أو لله. وكذلك في { صلاته وتسبيحه } والصلاة: الدعاء. ولا يبعد أن يلهم الله الطير دعاءه وتسبيحه كما ألهمها سائر العلوم الدقيقة التي لا يكاد العقلاء يهتدون إليها.

ألم uچ؟ أن الله يزجي utx\$/\\$ ثم يؤلف بينه ثم يجعله ركاما "uژ-s yIsù ٩\$#uq يخرج

من 3/4د&ح"#z=1/2n وينزل من السماء من جبال فيها من ۷uچt/ فيصيب به من يشاء ويصرفه عن

من يشاء يكاد سنا برقه يذهب حج" |F/\$\$/خ/ (٤٣) يقلب الله الليل والنهار إن في sCE٩dy7 لعبرة لأولي حج" |F/\$\$/# احب }

(١) قوله : والضمير في علم لكل أو لله . قال صاحب التقريب : إذا كان ضمير { علم

الله { فليعد الأخير أن إلى كل لئلا يخلوا المبتدأ من عائد إليه إلا أن يقدر منه . قيل : وإذا كان الضمير لكل كان قوله : { والله عليم بما يفعلون } تكميلاً لأرداف

العظمة الكاملة والقدرة التامة بصفة العلم الشاملة ، وإذا كان لله تعالى كان تذييلاً
لقوله : { كل قد علم صلواته وتسبيحه } ، والعماء بالمد سحاب يشبه الدخان مركب رؤوس
الجبال ، والرباب السحاب الأبيض ، والقرع قطع من السحاب رقاق .
(٢٠٧/٥)

يزجي { يسوق . ومنه : البضاعة المزجاة : التي يزيجها كل أحد لا يرضاها . والسحاب يكون
واحدا كالعماء ، وجمعا كالرباب . ومعنى تأليف الواحد : أنه يكون قزعا فيضم بعضه إلى
بعض . وجاز بينه وهو واحد ؛ لأن المعنى بين أجزائه ، كما قيل في قوله (١) :
بين الدخول فحومل

(١) قوله : كما قيل في قوله : بين الدخول فحومل . أراد بين أماكن الدخول فأماكن
حومل ، قيل : والفاء هي المانعة من دخول بين على حومل ، لأنه يقال المال بين زيد
فئين عمر ، وقال الزجاج : حاز ما زلت أدور بين الكوفة ولم تجز أدور بين زيد حتى يقول
وعمر ، ولأن الكوفة متضمنة أمكنة فكأنك قلت : ما زلت ما زلت أدور بين طرفي الكوفة .
(٢٠٨/٥)

والركام : المتراكم بعضه فوق بعض . والودق : المطر { من خلاله } من فتوقه ومخارجه : جمع
خلل ، كجبال في جبل . وقرىء : " من خلله " { وينزل } بالتشديد ، ويكاد سنا : على الإدغام .
وبرقه : جمع برقة ، وهي المقدار من البرق ، كالغرفة واللقمة . وبرقه : بضمين للإتباع ،
كما قيل : في جمع فعلة : فعلات كظلمات . و " سناء برقة " على المد المقصور ، بمعنى الضوء ،
والممدود : بمعنى العلو والارتفاع ، من قولك : سني ، المرتفع . و { يذهب بالأبصار } على
زيادة الباء ، كقوله : { ولا تلقوا بأيديكم } (البقرة : ١٩٥) عن أبي جعفر المدني : وهذا
من تعديد (١) الدلائل على ربوبيته وظهور أمره ، حيث ذكر تسبيح من في السماوات والأرض

وكل ما يطير بين السماء والأرض ودعائهم له وابتهاهم إليه ، وأنه سخر السحاب التسخير
الذي وصفه وما يحدث فيه من أفعاله حتى ينزل المطر منه ، وأنه يقسم رحمته بين خلقه
ويقبضها ويبسطها على ما تقتضيه حكمته ، ويريهم البرق في السحاب الذي يكاد يخطف
أبصارهم ، ليعتبروا ويحذروا . ويعاقب بين الليل والنهار ، ويخالف بينهما بالطول
والقصر . وما هذه إلا براهين في غاية الوضوح على وجوده وثباته . ودلائل منادية على
صفاته ، لمن نظر وفكر وتبصر وتدبر .

(١) قوله : وهذا من تعديد الدلائل على ربوبيته . هذه إشارة إلى المذكور في ابتداء قوله : { إن الله يسبح له } وتلك الدلائل { يسبح من في السموات ومن في الأرض } ، وتسبيح الطير ودعائهم ، ويستخير السحاب ، وقسمه ورحمته بين خلقه يصيب به من يشاء ويصرفه عن من يشاء ، واراته البرق وسناه بحيث يخطف أبصارهم ، وتقليبه الليل والنهار بالطول والقصر .

(٢٠٩/٥)

فإن قلت: متى رأى رسول الله تسبيح من في السماوات ودعائهم، وتسبيح الطير ودعائه، وتنزيل المطر من جبال برد في السماء، حتى قيل له: ألم تر؟ قلت: علمه من جهة إخبار الله إياه (١) بذلك على طريق الوحي. فإن قلت: ما الفرق بين من الأولى والثانية والثالثة في قوله: { من السماء من جبال } ، { من برد } ؟ قلت: الأولى لا ابتداء الغاية، والثانية للتبعيض. والثالثة للبيان (٢). أو الأوليان للابتداء: والآخرة للتبعيض. ومعناه: أنه ينزل البرد من السماء من جبال فيها، وعلى الأول مفعول "ينزل": "من جبال". فإن قلت: ما معنى { من جبال فيها من برد } ؟ قلت: فيه معنيان. أحدهما: أن يخلق الله في السماء جبال برد كما خلق في الأرض جبال حجر. والثاني: أن يريد الكثرة بذكر الجبال، كما يقال: فلان يملك جبالا من ذهب.

والله خلق كل دابة من ماء فمنهم من يمشي على بطنه ومنهم من يمشي على رجلين ومنهم من يمشي على أربع يخلق الله ما يشاء إن الله على كل شيء قدير احخب

)

(١) قوله : علمه من جهة إخبار الله تعالى عن طريق الوحي كما أرى إبراهيم في قوله : { وكذلك يري إبراهيم ملكوت السموات والأرض } .

(٢) قوله : والثالثة للبيان . قيل : أي لبيان الجبال ، والمفعول على هذا محذوف أي ينزل مبتدأ من السماء من جبال فيها من برد ، وهذا مخالف لكلام المصنف لأنه جعل مفعول ينزل من جبال على تقدير برد للبيان ، ومن جبال للتبعيض ، والتقدير على هذا ينزل مبتدئا من السماء بعض جبال من برد، وقوله : (ومعناه أنه ينزل البرد من السماء) إشارة إلى أن مفعول ينزل في الوجه الثاني من برد .

(٢١٠/٥)

وقرىء: "خالق كل دابة". ولما كان اسم الدابة موقعا على المميز وغير المميز، غلب المميز فأعطى ما وراءه حكمه، كأن الدواب كلهم مميزون، فمن ثمة قيل: فمنهم، وقيل: من يمشي في الماشي على بطن والماشي على أربع قوائم. فإن قلت: لم نكر الماء في قوله: { من ماء } ؟ قلت: لأن المعنى أنه خلق كل دابة (١) من نوع من الماء مختص بتلك الدابة، أو خلقها من ماء مخصوص وهو النطفة، ثم خالف بين المخلوقات من النطفة، فمنها هوام ومنها بهائم ومنها ناس. ونحوه قوله تعالى: { يسقى بماء واحد ونفضل بعضها على بعض في الأكل } (الرعد: ٤). فإن قلت: فما باله معرفا في قوله: { وجعلنا من الماء كل شيء حي } (الأنبياء: ٣٠)؟ قلت: قصد ثمة معنى آخر: وهو أن أجناس الحيوان كلها مخلوقة من هذا الجنس الذي هو جنس الماء، وذلك أنه هو الأصل وإن تخللت بينه وبينها وسائط، قالوا: خلق الملائكة من ريح خلقها من الماء، والجن من نار خلقها منه، وآدم من تراب خلقه منه. فإن قلت: لم جاءت الأجناس الثلاثة على هذا الترتيب؟ قلت: قدم ما هو أعرق في القدرة وهو الماشي بغير آلة مشي من أرجل أو قوائم، ثم الماشي على رجلين، ثم الماشي على أربع: فإن قلت: لم سمي الزحف على البطن مشيا؟ قلت: على سبيل (٢)

)

١) قوله : لأن المعنى أنه خلق كل دابة من أنواع الدواب من الماء . تلخيص الجواب : أن التنكير إما للأفراد نوعا فإنه تعالى خلق كل نوع من أنواع الدواب من ماء مختص [٧٨] بذلك النوع ، فخلق نوع الإنسان ماء مختص بذلك النوع ، فخلق نوع الإنسان من ماء مختص به ، وخلق نوع الفرس من ماء مختص به على هذا ، وأما الأفراد شخصا فإن الله تعالى خلق كل بشخص من أشخاص الدواب من ماء مخصوص بها وهو النطفة المخصوصة ، وقيل :

هذا على تنزيل الأغلب منزلة الكل ؛ إذ الحيوانات ما لا تتولد من نطفة ، والهوام جمع الهامة من الهمم بمعنى الدبيب .

٢) قوله : على سبيل الاستعارة .. أي استعير للزحف على البطن المشي حيث قال كما قالوا في الأمر المستمر : قد مسني هذا الأمر ، لكن قوله : استعارة الشفة للجحفة يعني أنه ليس من قبيل الاستعارة لأنه عند صاحب المفتاح مجاز مرسل خال عن الفائدة وهو الحق ، والجحفة لدى الخافر كالشفة للإنسان ، وكذلك المشفر للبعير . قال أبو الطيب : وأسود مشفرة بصفة يقال له أبت بدر الدجى .

الاستعارة كما قالوا في الأمر المستمر: قد مشى هذا الأمر، ويقال: فلان لا يتمشى له أمر. ونحوه استعارة الشقة مكان الجحفة، والمشفر مكان الشفة. ونحو ذلك. أو على طريق المشاكلة لذكر الزاحف مع المشيين.

لقد &Rr"uZ9u\$ آيات؛ i t7-BëuZ"M والله "د%÷%ku% من يشاء إلى
ق٧u"زه Oة-B,tG

(٤٦) ويقولون آمنا بالله وبالرسول وأطعنا ثم يتولى x،فحج sù منهم من بعد 7y7sE٩
وما

أولئك بالمؤمنين احذب

{ وما أولئك بالمؤمنين { إشارة إلى القائلين آمنا وأطعنا. أو إلى الفريق المتولي،
فمعناه على الأول(١):

(١) قوله : فمعناه على الأول إعلام إذا قدر أن { أولئك { إشارة إلى القائلين { آمنا
{ . يكون ثم للتراخي ، والريبة إيذانا بارتفاع درجة كفر الفريق المتولي وانحطاط
درجة أولئك ، ،على أن يكون إشارة إلى الفريق المتولي لاستبعاد يؤيده قوله تعالى : {

بعد ذلك { أي كيف يعرضون بعد دخولهم في زمرة المؤمنين ، وقولهم : آمنا بالله
وبالرسول وأطعنا .

فإن قلت : كيف يحكي عن كلهم أنهم يقولون : آمنا ، ثم حكى عن فريق منهم التولي ؟
وكيف يصح أن يقول في جميعهم : { وما أولئك بالمؤمنين { .

وجوابه : إن المشار إليه بقوله : { أولئك الذين تولوا { لا المجموع ، ولو رجع إلى
المجموع لصح أيضا ، وأما تكرير قوله : { لقد أنزلنا { فهو من باب الترجيع والشروع
في مشروع آخر .

إعلام من الله بأن جميعهم منتف عنهم الإيمان لا الفريق المتولي وحده. وعلى الثاني:
إعلام بأن الفريق المتولي لم يكن ما سبق لهم من الإيمان إيمانا، إنما كان ادعاء
باللسان من غير مواطاة القلب؛ لأنه لو كان صادرا عن صحة معتقد وطمأنينة نفس لم

يتعقبه التولي والإعراض. والتعريف في قوله: { بالمؤمنين } دلالة على أنهم ليسوا بالمؤمنين الذين عرفت: وهم الثابتون المستقيمون على الإيمان، والموصوفون في قوله تعالى: { إنما المؤمنون الذين آمنوا بالله ورسوله ثم لم يرتابوا } (الحجرات: ١٥). وإذا (u'urTMكq!د&د^{3/4} إلى الله #ûq#مكث إلى الله u'urTMكq!د&د^{3/4} ليحكم بينهم إذا ×، فحج sù منهم è-B÷تتجtbqà

(٤٨) وإن يكن لهم الحق (#ûqè?ù'tf إلى مذهبين احزب معنى { إلى الله ورسوله } (١) إلى رسول الله كقولك: أعجبنني زيد وكرمه، تريد: كرم زيد. ومنه قوله (٢):

غلسه قبل القطا وفرطه

أراد: قبل فرط القطا. روي:

)

(١) قوله : يعني إلى الله ورسوله . إلى رسول الله إلى ذكر الله تميد لذكر رسول الله ، وإشعار بإظهار مكانية يؤيده إفراد الضمير في { لتحكم } وقوله : { يأتوا إليه مذعنين } .

(٢) قوله : غلسه قبل القطا وفرطه . أوله : ومنهل من الولاء في أواسطه . الغلس ظلمة الليل ، والتغليس الستر تغلس ، والفرط جمع فارط الركع والراقع وهو السابق إلى الماء قبل الوارد لتهيئ لهم الدلا .

(٢١٣/٥)

٧٦٣) أنها نزلت في بشر المنافق وخصمه اليهودي حين اختصما في أرض، فجعل اليهودي يجره

إلى رسول الله، والمنافق يجره إلى كعب بن الأشرف ويقول: إن محمداً يحيف علينا. وروي أن المغيرة بن وائل كان بينه وبين علي بن أبي طالب رضي الله عنه خصومة في ماء وأرض، فقال المغيرة: أما محمد فلست آتية ولا أحاكم إليه فإنه يبغي علي وأنا أخاف أن يحيف علي { إليه } صلة يأتوا، لأن "أتى" و"جاء" قد جاءا معنيين بإلى، أو يتصل بمذعنين لأنه في معنى مسرعين في الطاعة. وهذا أحسن لتقدم صلته ودلالته على الاختصاص. والمعنى: أنهم لمعرفتهم أنه ليس معك إلا الحق (١) المر والعدل البحت. يزورون عن المحاكمة إليك إذا ركبهم الحق، لئلا تنتزعه من أحداقهم بقضائك عليهم لخصومهم، وإن ثبت لهم حق على خصم أسرعوا إليك ولم يرضوا إلا بحكومتك، لتأخذ لهم ما ذاب لهم في

ذمة الخصم.

'خ &ûr N حkè=è%qè=è%u ب" أم (# \$ ' ? û q ç / \$ s #) أم يخافون أن يحيف الله
N حk ç t n = ورسوله
بل أولئك هم J كc q د = " 9 \$ # © à اختب

(١) قوله : الحق المر . أي الحكم الذي يلحقهم بسماعه مراة في أفواههم وهو كناية عن
الكراهة ، ومعنى مادت لهم ما وجب لهم .
(٢١٤/٥)

ثم قسم الأمر في صدودهم عن حكومته إذا كان الحق عليهم بين أن يكونوا مرضى القلوب
منافقين، أو مرتابين في أمر نبوته، أو خائفين الحيف في قضائه. ثم أبطل (١) خوفهم
حيفه بقوله: { بل أولئك هم الظالمون } أي لا يخافون أن يحيف عليهم لمعرفتهم بحاله،
وإنما هم ظالمون يريدون أن يظلموا من له الحق عليهم ويتم لهم جحوده، وذلك شيء لا
يستطيعونه في مجلس رسول الله ، فمن ثمة يأبون المحاكمة إليه.
إنما كان قول المؤمنين إذا (# û q م مك ث إلى الله 3/4 د! q ك u ' ur T M ليحكم
N ك t ÷ Y s / أن
يقولوا سمعنا وأطعنا وأولئك هم J 9 \$ # ك = s s ت b q اختب
وعن الحسن: قول المؤمنين، بالرفع والنصب (٢)

(١) قوله : ثم أبطل خوفهم خيفة . يريد أن قوله : { بل أولئك هم الظالمون } إضراب عن
قوله : { أم يخافون أن يحيف الله عليهم } أي هم لا يخافون خيفة ولكن صدورهم لظلمهم
، وقيل : الحق أن بل إضراب عن نفس التقسيم ، يعني دع هذا التقسيم فإنهم الكاملون في
الظلم ، الجامعون عليك الأوصاف على الكمال ، فلذلك صدوا عن حكمك يدل عليه الإتيان
باسم الإشارة ، وتعريف الخبر وتوسيط ضمير الفصل ، وقيل : بل إضراب عن القسمين
الآخرين خبرين لتحقيق القسم الأول ، ولو قيل بأنه إضراب عن القسم الأخير لتحقيق أحد
القسمين الأولين لكان أولى بالموافقة كلام المصنف ، ولأن القاسم الثاني لازم للأول
، وكان المصنف إنما لم يجعله إضرابا عن التقسيم ؛ لأنه لو كان إضرابا عنه أذن
بفساده ، والله أعلم .

(٢) قوله : والنصب أقوى. قال بن جني : والرفع قراءة علي والحسن ، والنصب قراءة

الجماعة وهو أقوى ؛ لأن من شرط اسم كان أن يكون أعرف من خبرها ، وقوله : { أن يقولوا سمعنا } أعرف من قوله المؤمنين ؛ لأن إن وصلها يشبه المضممر من حيث أنه لا يجوز وصفها كما لا يجوز وصف المضممر ، والمضممر أعرف ، ومثله { وما كان جواب قومته إلا أن قالوا } .

وقال صاحب المطلع : وإن يقولوا أو على لأنه لا سبيل للتنكير عليه بخلاف قول المؤمنين ، لأن يحتمل أن يختزل عن الإضافة فيبقى منكرا ، وكتبت في الحاشية الأولى : وتحقيق ذلك أن الضمير الذي هو فاعل { يقولوا } صار كالجزء منه لا يمكن الفصل بينهما بخلاف { المؤمنين } فإنه ظاهر لم يصر جزءا من قول ؛ إذ ليس فعلا حتى يحتاج إلى فاعل البتة ، وهو ضمير ؛ بل هو مصدر ولا يجب ذكر فاعل المصدر ، ولأن الضمير أعرف من الظاهر المجلي باللام وذلك لاحتياجه إلى ما يعود عليه ، وكان المعهود ولا سبيل على أن { يقولوا } للتنكير لأنه إذا وقع المتصل فاعلا لم يجز الفصل لعدم تعذر الوصل بخلاف قول : { المؤمنين } فإنه لا يتعذر الانفصال ؛ لأن فاعل المصدر الظاهر يجوز

تأخيره عنه ، وتنكير المصدر والمضممر لا يجوز فيه الفصل ، وقيل : لا سبيل للتنكير عليه لأنه غير قابل للتخصيص ، ولذلك لا يوصف ، وقيل : لا يسئل عليه للتنكير ، لأن هذه الصورة غير قابلة للانفكاك بخلاف قول : { المؤمنين } فإنه يمكن أن يقال قول : للمؤمنين باللام ، ويكون مضافا إليه بلفظ حرف الجر ، وقيل : إن { أن قالوا } و { إن يقولوا } أعرف [٧٩] لدلالاتها على جهة النسبة وزمان الحدث ، وعلى ما يدل عليه قول المؤمنين وقولهم والأخير أن لا يدلان عليهما .
(٢١٥/٥)

أقوى ، لأن أولى الإسمين بكونن اسما لكان . أو غلها في التعريف ؛ وأن يقولوا : أوغل ، لأنه لا سبيل عليه للتنكير ، بخلاف قول المؤمنين ، وكان هذا (١) من قبيل كان في قوله : { ما كان لله أن يتخذ من ولد } (مريم : ٣٥) ، { ما يكون لنا أن نتكلم بهذا } (النور : ١٦) وقرىء : "ليحكم" على البناء للمفعول . فإن قلت : إلام أسند يحكم ؟ ولا بد له من فاعل . قلت : هو مسند إلى مصدره ، لأن معناه : ليفعل الحكم بينهم ، ومثله : جمع (٢) بينهم ؛ وألف بينهما . ومثله { لقد تقطع بينكم } (الأنعام : ٩٤) فيمن قرأ "بينكم" منصوبا : أي وقع التقطع بينكم . وهذه (٣) القراءة مجاوبة لقوله : { دعوا } . ومن يطع الله ورسوله ويخش الله ويتقه فأولئك هم tbrâ ح !x\$٩٤\$# اخشب

قرىء: "ويتقه"، بكسر القاف والهاء مع الوصل وبغير وصل. ويسكون الهاء، ويسكون القاف وكسر الهاء: شبه تقه بكتف فخفف، كقوله (٤):
قالت سليمي اشتر لنا سويقا

(١) قوله : أو كان هذا . أي لفظ كان من قبيل كان في قوله تعالى : { ما كان لله أن يتخذ من ولد { لأنه بمعنى ما يصح وما ينبغي ، فعلى هذا معنى كان هنا إنما صح واستقام أن يقول المؤمنون : { سمعنا وأطعنا { ، وقيل : فائدة دخول كان المبالغة بعد كان فهو نفي مرتين .
(٢) قوله : ومثله جمع بينهما وألف . أي فعل الجمع والتأليف بينهما .
)

(٣) قوله : وهذه القراءة مجاوبة لقوله دعوا المجاوبة إما باعتبار أن كلا منهما مجهول ، وإما باعتبار أن المدعوا إليه في الآية الله ورسوله ، وليحكم على القراءة المشهورة مسند إلى ضمير الرسول فاحتيج للتجاوب بين الكلامين أن يقال : ذكره الله تمهيد ، وأما إذا قرئ ليحكم مجهولا ولسند إلى المصدر يعم الحاكم فيقع التجاوب بينهما كما يفتقر إلى ذلك التأويل .
(٤) قوله : قالت سليمي اشتر لنا سويقا . تمامه : وهات خير البرا ودقيقا . شبه المنفصل بالمتصل فصار نزل .
(٢١٦/٥)

ولقد جمع الله (١) في هذه الآية أسباب الفوز. وعن ابن عباس في تفسيرها { ومن يطع الله { في فرائضه { ورسوله { في سننه { ويخش الله { على ما مضى من ذنوبه { ويتقه { فيما يستقبل. وعن بعض الملوك أنه سأل عن آية كافية فتليت له هذه الآية.
* وأقسموا بالله جهد N خك $[k \div fr]$ لأن أمرتهم ليخرجن قل لا تقسموا طاعة معروفة
إن
الله خير بما تعملون اخجب

(١) قوله : ولقد جمع الله في هذه الآية أسباب الفوز . يعني أن الفاء في { فأولئك هم الفائزون { أي الكاملون في الفوز بمتاعهم ومطالبهم ، ثم الآية كما هي تذييل لما سبق ويعرض بالمؤمنين الذين إذا دعوا .. إلى آخره . بأنهم هم الفائزون وأن من عداهم

هو الخاسر .

(٢١٧/٥)

جهد يمينه: مستعار من جهد نفسه: إذا بلغ أقصى وسعها، وذلك إذا بالغ في اليمين وبلغ غاية شدتها ووكادتها. وعن ابن عباس رضي الله عنه: من قال بالله، جهد يمينه. وأصل: أقسم جهد اليمين: أقسم يجهد اليمين جهداً، فحذف الفعل وقدم المصدر فوضع موضعه مضافاً

إلى المفعول كقوله: { فضرب الرقاب } (١) (محمد: ٤) وحكم هذا المنصوب حكم الحال، كأنه قال: جاهدين أيمانهم. و { طاعة معروفة } خبر مبتدأ محذوف، أو مبتدأ محذوف الخبر، أي: أمركم والذي يطلب (٢) منكم طاعة معروفة معلومة لا يشك فيها ولا يرتاب، كطاعة الخلق من المؤمنين الذين طابق باطن أمرهم ظاهره، لا أيمان تقسمون بها

بأفواهكم وقلوبكم على خلافها، أو طاعتكم طاعة معروفة، بأنها القول دون الفعل. أو طاعة معروفة أمثل وأولى بكم من هذه الإيمان الكاذبة. وقرأ البيهقي: "طاعة معروفة" بالنصب على معنى: أطيعوا طاعة { إن الله خبير } يعلم ما في ضمائرهم ولا يخفى عليه شيء من سرائركم، وأنه فاضحكم لا محالة ومجازيكم على نفاقكم. قل أطيعوا الله وأطيعوا الرسول فإن تولوا فإنما عليه ما حمل وعليكم ما حملتم وإن تطيعوه تهتدوا وما على الرسول إلا البلاغ المبين اخب

(١) قوله : فضرب الرقاب . أصله فاضربوا الرقاب ضرباً فحذف الفعل وقدم المصدر .
(٢) قوله : أي أمركم أو الذي يطلب منكم .. إلى آخره ، هذه الوجوه متفرعة على تفسير المعروفة .

(٢١٨/٥)

صرف الكلام (١) عن الغيبة إلى الخطاب على طريقة الالتفات (٢) وهو أبلغ في تبييتهم.

(١) قوله : صرف الكلام عن الغيبة إلى الخطاب . قال صاحب التقريب : عدل عن الغيبة في { أقسموا } إلى الخطاب في { تولوا } يرد أن قوله : { فإن تولوا } ليس من جملة ما أمر الرسول أن يقوله لهم بل هو تعقيب لأمر رسوله ومتصل بما قبله ، المعنى وأقسموا بالله جهد أيمانهم قل لهم كذا وكذا ، فإن تولوا أيها الخاطبون فإنما عليه ما حمل

وعليكم ما حملتم . الطيبي : والظاهر أنه أمر رسوله صلى الله عليه بأن يقول لهم :
أطيعوا الله وأطيعوا الرسول ولا يخاف مضرتهم ، فكان أصل الكلام : قل أطيعوا الله
والرسول فإن تولوا فإنما عليكم ما حملت وعليهم ما حملوا بمعنى فما يضرونك شيئاً وإنما
يضررون أنفسهم على الماضي والغيبة في تولوا فصرف الكلام إلى المضارع والخطاب في فإن
تتولوا يحذف أحد التائين بمعنى فما صورتموه ؛ لأن صرف الالتفات هو الانتقال من إحدى
الصنع الثلاث إلى الأخرى ؛ بل هو عدول من صنعة إلى صنعة .
(٢) قوله : أولاً صرف الكلام ، وثانياً على طريقة الالتفات . ونحو هذا المعنى مر في

البقرة عند قوله تعالى : { أم حسبتم أن تدخلوا الجنة } و { أن تؤمن نفوسهم } ، ومعنى
لا يغيرون لا يتقون ، والبرمزي السلب والتغلب من نزه ثيابه وابتزّه إذا سبله إياها
وقطع على سبيل نصت إما عطف لبرمزي أو بدل منه .
(٢١٩/٥)

يريد: فإن تتولوا فما ضررتموه وإنما ضررتم أنفسكم فإن الرسول ليس عليه إلا ما حمله
الله وكلفه من أداء الرسالة، فإذا أدى فقد خرج عن عهدة تكليفه، وأما أنتم فعليكم ما
كلفتم من التلقي بالقبول والإذعان، فإن لم تفعلوا وتوليتم فقد عرضتم نفوسكم لسخط
الله وعذابه، وإن أطمعتموه فقد أحرزتم نصيبكم من الخروج عن الضلالة إلى الهدى،
فالفنع والضرر عائدان إليكم، وما الرسول إلا ناصح وهاد، وما عليه إلا أن يبلغ ما له
نفع في قبولكم، ولا عليه ضرر في توليكم، والبلاغ: بمعنى التبليغ، كالأداء: بمعنى
التأدية. ومعنى المبين: كونه مقرونا بالآيات والمعجزات.

وعد الله الذين آمنوا منكم وعملوا دs"Ms="9\$ #OكZg"د=ت9s
في الأرض كما

استخلف الذين من Nخgد=s6% وليمكن لهم دينهم الذي ارتضى لهم وليبدلهم من بعد
خوفهم

أمناسة_كRr%tf÷6ç لا يشركون 'د ١ \$Z"x © ومن uجx ٧ بعد
sCE"٩dy7 فأولئك هم

الفاسقون اخخب

الخطاب لرسول الله ولمن معه. ومنكم: للبيان، كالتي في آخر سورة الفتح: وعدهم الله
أن ينصر الإسلام على الكفر، ويورثهم الأرض، ويجعلهم فيها خلفاء، كما فعل بني
إسرائيل، حين أورثهم مصر والشام بعد إهلاك الجبابرة، وأن يمكن الدين المرتضى وهو

دين الإسلام. وتمكينه: تثبيته وتوطيده، وأن يؤمن سربهم ويزيل عنهم الخوف الذي كانوا عليه، وذلك:

)

(٢٢٠/٥)

(٧٦٤) أن النبي وأصحابه مكثوا بمكة عشر سنين خائفين، ولما هاجروا كانوا بالمدينة يصبحون في السلاح ويمسون فيه، حتى قال رجل: ما يأتي علينا يوم نأمن فيه ونضع السلاح؟ فقال: "لا تغبرون إلا يسيرا حتى يجلس الرجل منكم في المأى العظيم محتيا

ليس معه حديدة، فأنجز الله وعده وأظهرهم على جزيرة العرب، وافتتحوا بعد بلاد المشرق والمغرب، ومزقوا ملك الأكاسرة وملكوا خزائنهم، واستولوا على الدنيا، ثم خرج الذين على خلاف سيرتهم فكفروا بتلك الأنعم وفسقوا، وذلك قوله (٧٦٥) "الخلافة بعدي ثلاثون سنة، ثم يملك الله من يشاء فتصير ملكا، ثم تصير بيزي قطع سبيل، وسفك دماء، وأخذ أموال بغير حقها" وقرأ: "كما استخلف" على البناء للمفعول "وليبدلهم" بالتشديد. فإن قلت: أين القسم الملتقى باللام والنون في { ليستخلفنهم } ؟ قلت: هو محذوف تقديره: وعدهم الله، وأقسم ليستخلفنهم، أو نزل وعد الله في تحقيقه منزلة القسم، فتلقى بما يتلقى به القسم، كأنه قيل: أقسم الله ليستخلفنهم. فإن قلت: ما محل { يعبدونني } ؟ قلت: إن جعلته استئنفا لم يكن له محل، كأن قائلًا قال: ما لهم يستخلفون ويؤمنون؟ فقال: يعبدونني. وإن جعلته حالا عن وعدهم، أي وعدهم الله ذلك في حال عبادتهم وإخلاصهم، فمحلّه النصب { ومن كفر } يريد كفران النعمة؛ كقوله: { فكفرت بأنعم الله } (النحل: ١١٢). { فأولئك هم الفاسقون } أي: هم الكاملون في فسقهم، حيث كفروا تلك النعمة العظيمة وجسروا على غمطها. فإن قلت: هل في هذه الآية دليل على أمر الخلفاء الراشدين؟ قلت: أوضح دليل وأبينه؛ لأن المستخلفين الذين آمنوا وعملوا الصالحات هم هم(١).

(١) قوله: هم هم. الظاهر على الأولى فصل، والثانية خبر إن فيفيد تخصيص المسند بالمسند إليه، ولا يبتعد أن يقال إن هم الأولى مبتدأ، والثانية خبر على أسلوب شعري فيفيد الكمال.

(٢٢١/٥)

وأقيموا الصلاة وآتوا الزكاة وأطيعوا الرسول لعلكم ترحمون اخذب
{ وأقيموا الصلاة { معطوف على { أطيعوا الله وأطيعوا الرسول { وليس (١) ببعيد أن يقع
بين المعطوف والمعطوف عليه فاصل وإن طال: لأن حق المعطوف أن يكون غير المعطوف
عليه.

وكررت طاعة الرسول: تأكيداً لوجوبها.

لا تحسبن الذين كفروا **يٰٓأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّبِعُوا** في الأرض ومأواهم النار ولبئس مـٔرجئاً **yJ9\$#** اخذب

(١) وقوله : وليس ببعيد أن يقع بين المعطوف والمعطوف عليه فاصل . لأن حق المعطوف أن
يكون غير المعطوف عليه .

قال صاحب التقريب : لأن طول الفصل يحقق المغيرة المطلوبة بين المعطوف والمعطوف
عليه ، يريد أنه لا بد من مغيرة بين المعطوف والمعطوف عليه وطول الفصل بحقهما فلذا
أجاز قوله: هما المفعولان أحدهما . أحدا معجزين ، وثانيهما في الأرض على أنه مستقر
؛ وإنما جاز وصف أحدا بالجمع وإيقاعه موقع المبتدأ لكون نكرة في سياق النفي كقوله
تعالى : { فما منكم من أحد عنه حاجزين } ، وعلى الثاني والثالث في الأرض لغو متعلق
بمعجزين .

(٢٢٢/٥)

وقرىء: "لا يحسبن" بالياء. وفيه أوجه: أن يكون { معجزين في الأرض { هما المفعولان.
والمعنى: لا يحسبن الذين كفروا أحدا يعجز الله في الأرض حتى يطمعوا في مثل ذلك.
وهذا معنى قوي جيد(١). وأن يكون فيه ضمير الرسول لتقدم ذكره في قوله: { وأطيعوا
الرسول { وأن يكون الأصل: لا يحسبنهم الذين كفروا معجزين، ثم حذف الضمير الذي هو
المفعول الأول، وكان الذي سوغ ذلك أن الفاعل والمفعولين لما كانت لشيء واحد، اقتنع
بذكر اثنين عن ذكر الثالث؛ وعطف قوله(٢): { ومأواهم النار { على لا يحسبن الذين
كفروا معجزين؛ كأنه قيل: الذين كفروا لا يفوتون الله ومأواهم النار. والمراد بهم:
المقسمون جهد أيمانهم.

(١) قوله: وهذا معنى قوي جيد . وذلك لما فيه من الالتفات في أطيعوا إلى الغيبة في
لا تحسبن مع إقامه مقام المضمرة في الذين كفروا ، كأنه قال : لا تحسبن أولئك البعداء
، ولما فيه من التعميم في المفعول الأول لتحسين ، ولأنه لا يحتاج فيه إلى حذف أحد

المفعولين كما في الثالث .

(٢) قوله : وعطف قوله : { مأواهم النار } [٨٠] على { لا تحسبن الذين كفروا } .

الظاهر أنه لا يصح عطف الجملة الخبرية على الإنشائية ، ولهذا أوله وقال : كأنه قيل الذين كفروا لا يتقون الله ومأواهم النار ، فيكون عطفاً عليه من حيث المعنى .
وقال صاحب النظم : الثاني معطوف على مضمّر أي { لا تحسبن الذين كفروا معجزين في الأرض } بل هم مقدور عليهم ومحاسبون ومأواهم النار فنقهرهم في الدنيا بالاستئصال نحو لهم في الآخرة عذاب النار .
(٢٢٣/٥)

يا أيها الذين آمنوا ليستأذنكم الذين ملكت أيمانكم والذين لم يبلغوا #\$:zNè=çtù
منكم ثلاث ؛ tBچ`N من قبل د¹ | o4qn= حج ٩٧ôfx #murstûü تضعون
ثيابكم من ouدججg@a9\$#
ومن بعد د¹ | o4qn= العشاء ثلاث ؛ M`u'qt لكم ليس عليكم ولا عليهم جناح بعدهن
رُ cqeù`qs غ عليكم بعضكم على بعض xx`٩dy7 . يبين الله لكم الآيات والله
يOث=دtو
زOث٣xm اخرج
(٢٢٤/٥)

أمر بأن يستأذن العبيد . وقيل : العبيد والإماء والأطفال الذين لم يحتلموا من الأحرار
{ ثلاث مرات } في اليوم واللييلة : قبل صلاة الفجر ؛ لأنه وقت قيام من المضاجع وطرح ما
ينام فيه من الثياب ولبس ثياب اليقظة . وبالظهيرة : لأنها وقت وضع الثياب للقائلة .
وبعد صلاة العشاء ؛ لأنه وقت التجرد من ثياب اليقظة والالتحاف بثياب النوم . وسمى كل
واحدة من هذه الأحوال عورة ؛ لأن الناس يختل تسترهم وتحفظهم فيها . والعورة : الخلل .
ومنها : أعور الفارس (١) ، وأعور المكان ، والأعور : المختل العين . ثم عذرهم في ترك
الاستئذان وراء هذه المرات ، وبين وجه العذر في قوله : { طوافون عليكم } يعني أن بكم
وبهم حاجة إلى المخالطة والمداخلة : يطوفون عليكم بالخدمة ، وتطوفون عليهم للاستخدام ؛
فلو جزم الأمر بالاستئذان في كل وقت ، لأدى إلى الحرج . وروي : (٧٦٦) أن مدلج بن
عمرو :

وكان غلاما أنصاريًا: أرسله رسول الله وقت الظهر إلى عمر ليدعوه، فدخل عليه وهو نائم، وقد انكشف عنه ثوبه، فقال عمر: لوددت أن الله عز وجل نهى (٢) آباءنا وأبناءنا

وخدمنا أن لا يدخلوا علينا هذه الساعات إلا بإذن، ثم انطلق معه إلى النبي .

(١) قوله : أعور الفارس . أي بدا فيه موضع خلل الضرب . قال الشاعر : له الشدة الأولى إذا القرن أعورا .

(٢) قوله : نهى آباءنا وإما إثباتا ، وحرمنا أن لا يدخلوا ، قيل : لا مزيد لتأكيد النهي كقوله تعالى : { ما منعك ألا تسجد } حملهم على ذلك أن عدم الدخول لا يجوز أن يكون منهيا عنه الدخول ، وقيل : أن يقدر مضافا يكون مفعولا له لنهي آباءنا التقدير لوددت الله عز وجل نهى هؤلاء عما هم عليه من الفعل القبيح أراد أن لا يدخلوا علينا إلا بإذن ، ويجوز أن يكون مفعولا له لوددت على تقدير اللام ، التقدير : لوددت أن ينهوا لئلا يدخلوا علينا إلا بإذن ، وحذف اللام مع أن جائز وإن لم يكن فعلا لفاعل الفعل المعلن بخلافه في غيرها .

(٢٢٥/٥)

فوجده وقد أنزلت عليه هذه الآية.

وهي إحدى الآيات المنزلة بسبب عمر رضي الله تعالى عنه.

وقيل: (٧٦٧) نزلت في أسماء بنت أبي مرشد، قالت: إنا لدخل على الرجل والمرأة ولعلهما يكونان في لحاف واحد. وقيل: دخل عليها غلام لها كبير في وقت كرهت دخوله، فأثت رسول الله فقالت: إن خدمنا وغلماننا يدخلون علينا في حال نكرهها. وعن أبي عمرو: { الحلم } بالسكون وقرئ: { ثلاث عورات } بالنصب بدلا عن ثلاث مرات، أي: أوقات ثلاث عورات (١). وعن الأعمش: عورات على لغة هذيل. فإن قلت: ما محل ليس عليكم؟

قلت: إذا رفعت ثلاث عورات كان ذلك في محل الرفع على الوصف. والمعنى: هن ثلاث عورات

مخصوصة بالاستئذان، وإذا نصبت (٢):

(١) قوله : أي أوقات ثلاث عورات . عن صاحب النظم : ثلاث مرات بمعنى ثلاثة أوقات ؛

لأنها لو كانت على ظاهرها لوجب أن يكون الأمر واقعا على ثلاث دفعات ، فإذا جاوزها ارتفع الأمر فيجوز الدخول بعدها ، ويدل على أن المراد الأوقات قوله : { من قبل صلوة

الفجر وحين تضعون ثيابكم من الظهيرة ومن بعد صلوة العشاء } فإنها مفسرة لقوله : ثلاث مرات .

(٢) قوله : وإذا نصب . أي ثلاث عورات لم يكن له محل .
فإن قلت : ما هذا الاختصاص لم لا يجوز أن يكون محل { ليس عليكم جناح } نصبا على أن

تكون وصفا لثلاث عورات وهو بدل من ثلاث مرات ، وأن جملة مؤكدة إذا قدرهن ثلاث عورات على الابتداء والخبر ؟

قلت : لهذا السؤال تصدى صاحب التقريب : بأن قال : إن حكم رفع الحرج وراءها مقصود في

نفسه ، فإذا وصفه به ثلاث عورات نصبا وهو بدل من ثلاث مرات كان التقدير ليستأذنكم في ثلاث عورات مخصوصة بالاستئذان ، ويدفعه وجوه مستفادة من علم المعاني ؛ أحدها : اشتراط تقدم علم السامع بالوصف وهو منتف إذا لم يعلمه إلا من هذا ، وثانيها : جعل الحكم المقصود وصفا للظرف فتصير غير مقصود ، وثالثها : أن الأمر بالاستئذان في المرات الثلاث حاصل وصف بأن لا حرج وراءها ، أو لم توصف فيضيع الوصف ، وأما إذ وصف

المرفوع به فتزول الدوافع لأنه ابتداء تعليم أي هن ثلاث عورات مخصوصة بالاستئذان وصفه للخبر لا للظرف ولم يتقيد أمر الاستئذان به ، فليتأمل ؛ فإنه دقيق جليل . تم كلامه .

الطبي : قلت : والذي عندي - والله أعلم - أن { ثلاث عورات } إذا قرئ مرفوعا كان خبر مبتدأ محذوف ، والجملة مقرر لمعنى ما سبق ، فيصح كون قوله : { ليس عليكم ولا عليهم جناح بعدهن } صفة ؛ لأن الجملة كما هي ترميها كلام مقرر لمعنى ما سبق على طريقة الطرد والعكس لدلالة الكلام الأول على الأمر بالاستئذان في الأوقات المخصوصة بالمطوق ، ودلالة هذا الكلام عليه بالمفهوم ، لأن رفع الجناح في غير هذه الأوقات يؤذن بثبوت الجناح في تلك الأوقات ، وإليه الإشارة بقوله : هن ثلاث عورات مخصوصة

بالاستئذان ، وإذا جعل { ثلاث عورات } وحده بدل من قول ثلاث مرات ظرفا مثله مبنيا لما قصد فيه من المعنى وهو إظهار كمال الكراهة في الدخول بغير الاستئذان ؛ لأن لفظ

عورات أدل على الكراهة من السابق نحو قول الشاعر :
أقول له ارحل لا تقيمن عندنا ... وإلا فكن في السر والجهر مسلما

وجاء قوله : { ليس عليكم ولا عليهم جناح بعدهن } مقررا لذلك بالمفهوم صح واستقام ، وحصل أيضا الطرد والعكس ، وإليه الإشارة بقوله : كان كلاما مقررا للأمر بالاستئذان ، وأما إذا وصف البدل بقوله : ليس عليكم ولا عليهم جناح بعدهن ولا ارتياب أن الصفة المحضة مبنية للمراد من الموصوف فيكون المقصود من آخر الكلام رفع الحرج من الدخول في غير الأوقات المذكورة لا الأمر بالاستئذان في الأوقات المخصوصة ؛ لأن البدل هو المقصود بالذكر فكان خلفا من القول لأن المقصود الأولى [٨١] الاستئذان في الأوقات المخصوصة ، ورفع الحرج في غير الأوقات تابع لقول عمر : لوددت أن الله عز وجل نهى آباءنا وأبنائنا وحرمانا أن لا تدخلوا علينا هذه الساعات إلا بإذن ، ثم انطلق معه النبي صلى الله عليه فوجده وقد نزلت عليه هذه الآية كما ذكره ، فظهر من هذا أن تأسيس صاحب التقريب كلامه على قوله : إن حكم رفع الحرج مقصود في نفسه ضعيف وبناءؤه

عليه الوجوه واه ، ويحتمل أنه إنما لم يحمل على الوصف على قراءة النصب لوجوه ؛ الأول : أن نفي الحرج فيما وراء الأوقات الثلاثة إنما يصيب المجرد ويضيق المفصل أن لو كان مسبوqa بالأمر بالاستئذان في الأوقات الثلاثة ؛ إذ قيل الأمر به ما كان جناح يترك الاستئذان فيها ، ولا يوهم الجناح بتركه فيما وراءها حتى يستدعي المقال نفي الجناح فيما وراءها ؛ لكن الأمر بالاستئذان على قراءة النصب ، وحمل قوله : { ليس عليكم جناح ولا عليهم بعدهن } لكونه على تقدير كونه صفة لما هو بدل لما هو يل عما هو مناط الأمر بالاستئذان ، وهذا وجه ذوقي ، والثاني : أنه لو جعل وصفا إذ ذاك للزم أو توهم أن لهذا الوصف مدخلا في حكمه الأمر بالاستئذان بالأوقات المذكورة ، وتخصيص

الشيء إنما يتحقق بعد تحقق ذلك الشيء في نفسه ، وعلى تقدير حمل قوله : { ليس عليكم } على الوصف على قراءة النصب لا يحقق للأمر قبله لما يلنا ، والرابع : أن قوله : { بعدهن } يشير عند من له ذوق إلى تحقق الجناح في الأوقات الثلاثة ، قيل : وروده في الجناح إنما يتحقق بتحقيق الأمر لا قبله ، والأمر على تقدير الحمل على الوصف على قراءة النصب لا يتم إلا عند وروده لما مر ، فلو حمل على قوله { ليس عليكم } على

الوصف على تلك القراءة للزم أن يتحقق الجناح قبل تحققه هذا خلف ، وهذا وجه قوي ودفع جلي ، وعليه التعويل ، وهذه الوجوه بهذا التقدير لا يتوعر على الأذهان المشتعلة النافذة في مضائق العلوم ، وأما من لم يستضيء بمصباح فإنه لا يستضيء بإصباح ، والله أعلم .
(٢٢٦/٥)

لم يكن له محل وكان كلاما مقررًا للأمر بالاستئذان في تلك الأحوال خاصة: فإن قلت: بم ارتفع { بعضكم } ؟ قلت: بالابتداء وخبره { على بعض } على معنى: طائف على بعض، وحذف (١) لأن طوافون يدل عليه. ويجوز أن يرتفع بيطوف مضمرًا لتلك الدلالة. وإذا بلغ الأطفال منكم الحلم فليستأذنوا كما استأذن الذين من Nخd=٦ %s
xx~٩dy7.

يبين الله لكم آياته والله يOت=دt و zOت٦xm اخزب
}

(١) قوله : وحذف لأن { طوافون } يدل عليه . إشارة إلى أن متعلق الجار إنما يحذف إذا كان عاما نحو : زيد في الدار ، أما إذا كان خاصا لم يحذف إلا إذا قامت قرينة تدل عليه ، وهاهنا متعلق الخبر أمر خاص وهو طائف ؛ وإنما حذف لقيام القرينة .
(٢٢٧/٥)

الأطفال منكم } (١) أي من الأحرار دون المماليك { الذين من قبلهم } يريد: الذين بلغوا الحلم من قبلهم، وهم الرجال. أو الذين ذكروا من قبلهم(٢) في قوله: { يا أيها الذين آمنوا لا تدخلوا بيوتا غير بيوتكم حتى تستأنسوا { الآية (النور: ٢٧): والمعنى أن الأطفال مأذون لهم في الدخول بغير إذن إلا في العورات الثلاث، فإذا اعتاد

الأطفال ذلك ثم خرجوا عن حد الطفولة بأن يحتلموا أو يبلغوا السن التي يحكم فيها عليهم بالبلوغ، وجب أن يفتموا عن تلك العادة ويحملوا على أن يستأذنوا في جميع الأوقات كما الرجال الكبار الذين لم يعتادوا الدخول عليكم إلا بإذن: وهذا مما الناس منه في غفلة، وهو عندهم كالشريعة المنسوخة، وعن ابن عباس: آية لا يؤمن بها أكثر الناس: آية الإذن، وإني لأمر جارتي(٣)

(١) قوله : { الأطفال منكم } أي من الأحرار دون المماليك . يريد أن { منكم } للبيان ؛ فإن الأطفال يشمل الأحرار والمماليك فبين بقوله : { منكم } ليختص بالأحرار ، يدل عليه قوله تعالى : { ليستأذنكم الذين ملكت أيمانكم والذين لم يبلغوا الحلم منكم } ، ويحتمل أن تكون اتصالية .

(٢) قوله : ذكروا من قبلهم . يريد لا بد للظرف الذي وقع صلة للذين من متعلق ، فإذا جعلت قوله : { وإذا بلغ الأطفال } فالمعنى الذي بلغوا الحلم من قبلهم ، وإذا جعلت سياق الآيات فالمعنى الذين ذكروا من قبلهم ، أي في قوله : { يا أيها الذين آمنوا }

(٣) قوله : وإني لأمر جاري . أي زوجتي امرأة الرجل جارة . قال الأعشى :
وإن أمور الناس عاد وطارقة ... أحازتنا بيني فإنك طالقة

وأراد بالبيت قوله : أعظمكم بيتا الشرق .
(٢٢٨/٥)

أن تستأذن علي . وسأل عطاء : أأستأذن على أختي؟ قال : نعم وإن كانت في حرك تمونها ، وتلا هذه الآية . وعنه : ثلاث آيات جردهن الناس : الإذن كله . وقوله : { إن أكرمكم عند الله أتقاكم } (الحجرات : ١٣) فقال ناس : أعظمكم بيتا . وقوله : { وإذا حضر القسمة } (النساء : ٨) . وعن ابن مسعود : عليكم أن تستأذنوا على آبائكم وأمهاتكم وأخواتكم . وعن الشعبي : ليست منسوخة ، ف قيل له : إن الناس لا يعملون بها ، فقال : الله المستعان (١) . وعن سعيد بن جبير يقول : هي منسوخة ولا الله ما هي منسوخة ولكن الناس تهاونوا بها . فإن قلت : ما السن التي يحكم فيها بالبلوغ؟ قلت : قال أبو حنيفة ثمانى عشرة سنة في

الغلام ، وسبع عشرة في الجارية . وعامة العلماء على خمس عشرة فيهما . وعن علي رضي الله عنه أنه كان يعتبر القامة ويقدره بخمسة أشبار ، وبه أخذ الفرزدق في قوله (٢) :
ما زال مذ عقدت يده إزاره ... فسمأ فأدرك خمسة الأشبار

واعتبر غيره الإنبات . وعن عثمان رضي الله عنه أنه سئل عن غلام ، فقال : هل اخضر إزاره (٣)؟ .

(١) قوله : والله المستعان . قيل : هو كناية عن عجزه عن إقامة الأمر بالمعروف

والنهي عن المنكر بتغيير الزمان وفساد الأحوال .

(٢) قوله :

ما زال مذ عقدت يده إزاره ... فسمأ فأدرك خمسة الأشبار

يرثي الفرزدق بهذا ، يريد بن المهلب ، ويعنى سمي علا وارتفع ، وأدرك أي لحق ،
ويحتمل من أن يراد بخمسة الأشبار ارتفاع قامته ، وأن يراد به القبر ،
قال الشاعر :

عجبا لأربع أذرع في خمسة ... في جوفه جبل أشم كبير
يدلي خوافق من خوافق تلتقي ... في طل مغتبط الغبار مثار

(٣) قوله : هل اخضر إزاره . أي نبت شعر عانته ، أسند الاخضرار إلى الإزار على
المجاز ؛ لأن العانة مما اشتمل عليها الإزار .
(٢٢٩/٥)

ك%دم`ur\$9\$uqs من النساء اللاتي لا يرجون نكاحا فليس عليهن $\hat{y}ssY$ _ أن
يضعن ثيابهن
غير متبرجات $\gamma fZpu$ ح"خ/ وأن يستعفنن γz لهن والله سميع O تددt و ادعب
القاعد(١):

(١) قوله : القاعد التي قعدت عن الحيض بت . الأساس : قعد عن الأمر تركه ، وقيل :
القاعد على طريق النسب كالحائض والطامث ، وجمعت على فواعل لأن التاء مقدرة .
وقال بن السكيت : لم يدخلها الهاء لاختصاصها بالمرأة ، فإذا أردت القعود بمعنى
الجلوس قلت قاعدة .

قوله : يريد الزينة الخفية التي أرادها في قوله : { ولا يبدين زينتهن } ، الطيبي :
فعلى هذا التعريف متعين للإشارة إلى ما عهد ؛ لكن هذا مطلق ، وذلك مقيد ، [٨٢]
فيحمل المطلق على المقيد إذا كانا عن سبب واحد ليصح ما قال ، ومعنى { متبرجات بزينة

{ قاصدات بالوضع إظهار مما يجب إخفاؤه من الزينة فيتفق المعنيان . الانتصاف : لم يذكر المصنف هذا التركيب من أي باب هو ، وعندي أنه من باب لا يهتدي بمنارة أي لا منار فيه فيهتدي به ، كذا هاهنا لا زينة لهن فيتبرجن بها ، وإذا كان استعفاف إيذانا بأن وضع الثياب لا مدخل له في العفة ، هذا في القواعد فكيف في الكواعب ؟ (٢٣٠/٥)

التي قعدت عن الحيض والولد لكبرها { لا يرجون نكاحا } لا يطمعن فيه: والمراد بالثياب الظاهرة كالملحفة والجلباب الذي فوق الخمار { غير متبرجات بزينة } غير مظهرات زينة، يريد: الزينة الخفيفة التي أرادها في قوله: { ولا يبدين زينتهن إلا لبعولتهن } (النور: ٣١) أو غير قاصدات بالوضع التبرج، ولكن التخفف إذا احتجن إليه. والاستعفاف من الوضع خير لهن لما ذكر الجائز عقبه بالمستحب، بعثا منه عن اختيار أفضل الأعمال وأحسنها، كقوله: { وأن تعفوا أقرب للتقوى } (البقرة: ٢٣٧)، { وأن تصدقوا خير لكم } (البقرة: ٢٨٠). فإن قلت: ما حقيقة التبرج؟ قلت: تكلف إظهار ما يجب

إخفاؤه من قولهم: سفينة بارح، لا غطاء عليها. والبرج: سعة العين، يرى بياضها محيطا بسوادها كله لا يغيب منه شيء، إلا أنه اختص بأن تتكشف المرأة للرجال بإبداء زينتها وإظهار محاسنها. وبدأ، وبرز بمعنى: ظهر، من أخوات: تبرج وتبلج، كذلك. ليس على الأعمى سxmچlu ولا على ئچluم\$F#سxmچlu ولا على اظfح#yJ9\$سxmچlu ولا على أنفسكم أن تأكلوا من بيوتكم أو بيوت Nà6ح!#u\$تن أو بيوت أمهاتكم أو بيوت R"uq÷zدNà6خ) أو بيوت &uqyzr"دNà6 أو بيوت أعمامكم أو بيوت Hx"GدNà6ه أو بيوت OçF3n=tB أو بيوت خالانكم أو ما N٣د&uq÷zr" أو صديقكم ليس عليكم B"ےB\$xdçmut¼ےîy\$sYم_ أن تأكلوا جميعا أو أشتاتا فإذا دخلتم بيوتا فسلموا على أنفسكم تحية من عند الله u٢Zp"چBم7طيبة ٢x٩dy7بين الله لكم الآيات لعلكم تعقلون ادتب (٢٣١/٥)

كان المؤمنون يذهبون بالضعفاء وذوي العاهات إلى بيوت أزواجهم وأولادهم وإلى بيوت قراباتهم وأصدقائهم فيطعمونهم منها، فخالج قلوب المطعمين والمطعمين ريبة في ذلك،

وخافوا أن يلحقهم فيه حرج؛ وكرهوا أن يكون أكلا بغير حق؛ لقوله تعالى: { ولا تأكلوا أموالكم بينكم بالباطل } (البقرة: ١٨٨) فقليل لهم: ليس على الضعفاء ولا على أنفسكم؛ يعني: عليكم وعلى من في مثل حالكم (١) من المؤمنين حرج في ذلك. وعن عكرمة: كانت الأنصار في أنفسها قزاة. فكانت لا تأكل من هذه البيوت إذا استغنوا، وقيل: كان هؤلاء يتوقون مجالسة الناس ومؤاكلتهم لما عسى يؤدي إلى الكراهة من قبلهم، ولأن الأعمى ربما سبقت يده إلى ما سبقت عين أكيله وهو لا يشعر، والأعرج يتفصح في مجلسه ويأخذ أكثر من موضعه فيضيق على جلسيه، والمريض لا يخلو من رائحة تؤذي أو جرح يبض أو أنف يذن ونحو ذلك. وقيل: كانوا يخرجون إلى الغزو ويخلفون الضعفاء في بيوتهم، ويدفعون إليهم المفاتيح، ويأذنون لهم أن يأكلوا من بيوتهم فكانوا يتخرجون.

(١) قوله : يعني عليكم وعلى من في مثل حالكم . يريد أن أنفسكم في الآية عبارة عن أمثال الرجل في علاقة القرابة ، والقرارة التنطش والتباعد من الدنس ، ومعنى يبض يسيل قليلا ، والذين مخاطا يسيل من الأنف .
(٢٣٢/٥)

حكى عن الحرث بن عمرو أنه خرج غازيا وخلف مالك بن زيد في بيته وماله، فلما رجع رآه مجهودا فقال: ما أصابك؟ قال: لم يكن عندي شيء، ولم يحل لي أن آكل من مالك، فقليل: ليس على هؤلاء الضعفاء حرج فيما تخرجوا عنه، ولا عليكم أن تأكلوا من هذه البيوت، وهذا (١) كلام صحيح، وكذلك إذا فسر بأن هؤلاء ليس عليهم حرج في القعود عن الغزو، ولا عليكم أن تأكلوا من البيوت المذكورة، لالتقاء الطائفتين في أن كل واحدة منهما منفي عنها الحرج. ومثال هذا أن يستفتيك مسافر عن الإفطار في رمضان. وحاج مفرد عن تقديم الحلق على النحر، فقلت: ليس على المسافر حرج أن يفطر، ولا عليك يا حاج أن تقدم الحلق على النحر، فإن قلت: هلا ذكر الأولاد؛ قلت: دخل ذكرهم تحت قوله: { من بيوتكم } لأن ولد الرجل بعضه، وحكمه حكم نفسه. وفي الحديث:

)

(١) قوله : وهذا كلام صحيح وكذلك إذا فسر بأن هؤلاء ليس عليهم حرج في القعود عن الغزو أي يصح العطف لاشتراكهما في نفي الحرج وذلك من شرط العطف اشتراك المعطوف

والمعطوف عليه في اتحاد تصور من تصور أيهما ، يعني في عطف قوله : { ولا على أنفسكم أن تأكلوا } على { ليس على الأعمى حرج } بعد لكون رفع الحرج عن الأعمى سببه غير السبب الذي أحل الأكل من تلك البيوت ؛ لكن إذا نظر إلى أن الجملتين يجمعهما معنى نفي الحرج يصح العطف .
(٢٣٣/٥)

(٧٦٨) "إن أطيب ما يأكل المرء من كسبه" ومعنى { من بيوتكم } من البيوت التي فيها أزواجكم وعيالكم؛ ولأن الولد أقرب ممن عدد من القربات، فإذا كان سبب الرخصة هو القرابة: كان الذي هو أقرب منهم أولى. فإن قلت: ما معنى { أو ما ملكتم مفاتحه } ؟ قلت: أموال الرجل إذا كان له عليها قيم(١) ووكيل يحفظها له: أن يأكل من ثمر بستانه ويشرب من لبن ماشيته. وملك المفاتيح: كونها في يده وحفظه. وقيل: بيوت الممالك؛ لأن مال العبد لمولاه. وقرئ: "مفتاحه"، فإن قلت: فما معنى { أو صديقكم } ؟ قلت: معناه: أو بيوت أصدقائكم. والصديق يكون واحدا وجمعا، وكذلك الخليط والقطين والعدو، يحكى عن

الحسن أنه دخل داره وإذا حلقة من أصدقائه وقد استلوا سلالا من تحت سريره فيها الخبيص وأطيب الأطعمة وهم مكبون عليها يأكلون، فتهللت أسارير وجهه سرورا وضحك وقال: هكذا وجدناهم. يريد كبراء الصحابة ومن لقيهم من البدرين رضي الله عنهم. وكان الرجل منهم يدخل دار صديقه وهو غائب فيسأل جاريته كيسه فيأخذ منه ما شاء، فإذا حضر مولاه فأخبرته أعتقها سرورا بذلك.

)

(١) قوله : أموال الرجل إذا كان له عليها قيم . أي ما عبارة عن الأموال وما وكلتم بحفظه فهو عطف على بيوت ، ومن لا ابتداء الغاية ، والمعنى : ليس عليكم جناح أن يبتدئ أكلكم من شيء تقومون بحفظه من بستان أو ماشية فيباح أكل غرة البستان ولبن الماشية ، وملك المفاتيح كناية عن كون الشيء تحت يد الشخص وتصرفه ، وعلى الوجه الآتي وهو قوله : وقيل بيوت الممالك وما ملكتم عطف على المضاف إليه ، وما استعملت على العقلاء على إرادة الوصفية ، والقطين المقيم ، وقيل : هو جمع قاطن مثل غاز ، والحشمة الاستحياء .

(٢٣٤/٥)

وعن جعفر بن محمد الصادق رضي الله عنهما: من عظم حرمة الصديق أن جعله الله من الأنس والثقة والإنسباط وطرح الحشمة بمنزلة النفس والأب والأخ والابن، وعن ابن عباس رضي الله عنهما: الصديق أكبر من الوالدين، إن الهنمين لما استغاثوا لم يستغيثوا بالآباء والأمهات، فقالوا: فما لنا من شافعين ولا صديق حميم. وقالوا: إذا دل ظاهر الحال على رضا المالك، قام ذلك مقام الإذن الصريح، وربما سمح الاستئذان وثقل، كمن قدم إليه طعام فاستأذن صاحبه في الأكل منه { جميعا أو أشتاتا } أي مجتمعين أو متفرقين. نزلت في بني ليث بن عمرو من كنانة كانوا يتخرجون أن يأكل الرجل وحده فربما قعد منتظرا نهاره إلى الليل، فإن لم يجد من يواكله أكل ضرورة. وقيل: في قوم من الأنصار: إذا نزل بهم ضيف لا يأكلون إلا مع ضيفهم وقيل: تخرجوا عن الاجتماع على الطعام لا ختلاف الناس في الأكل وزيادة بعضهم على بعض { فإذا دخلتم بيوتا } من هذه البيوت لتأكلوا فبدئوا بالسلام على أهلها الذين هم منكم دينا وقرابة { تحية من عند الله } أي ثابتة بأمره، مشروعة من لدنه. أو لأن التسليم (١) والتحية طلب سلامة وحية للمسلم عليه والمحميا من عند الله، ووصفها بالبركة والطيب: لأنها دعوة مؤمن لمؤمن يرجى بها من الله زيادة الخير وطيب الرزق. وعن أنس رضي الله عنه قال: (٧٦٩) خدمت

رسول الله عشر سنين - وروي: تسع سنين - فما قال لي لشيء فعلته لم فعلته؟ ولا قال لي لشيء كسرت لم كسرت؟ وكنت واقفا على رأسه أصب الماء على يديه فرفع رأسه فقال: "ألا أعلمك ثلاث خصال تنتفع بها؟ قلت: بلى بأبي وأمي يا رسول الله.

(١) قوله : أو لأن التسليم والتحية طلب سلامة . فعلى هذا من { عند الله } متعلق بقوله : { تحية } صلة لها ، ولهذا قال : والحيي به من عند الله ، والأوابين جمع أبواب وهو الكثير الرجوع إلى الله ، وقيل : هو المطيع ، وقيل : هو المسبح .
(٢٣٥/٥)

قال: متى لقيت من أمتي أحدا فسلم عليه يطل عمرك، وإذا دخلت بيتك فسلم عليهم يكثر خير بيتك، وصل صلاة الضحى فإنها صلاة الأبرار ١٨ الأوابين". وقالوا: إن لم يكن في البيت أحد فليقل: السلام علينا من ربنا، السلام علينا وعلى عباد الله الصالحين، السلام على أهل البيت ورحمة الله. وعن ابن عباس: إذا دخلت المسجد فقل السلام علينا وعلى عباد الله الصالحين تحية من عند الله، وانتصب تحية بسلموا، لأنها في معنى

تسليما، كقولك: قعدت جلوسا.

إنما المؤمنون الذين آمنوا بالله $\frac{3}{4}$ و إذا كانوا معه على أمر جامع لم يذهبوا $\frac{3}{4}$ Lxm® يستأذنوه إن الذين يستأذنونك أولئك الذين يؤمنون بالله

$\frac{3}{4}$ u'ur™

فإذا استأذنوك لبعض شأنهم فأذن لمن شئت منهم واستغفر لهم الله إن الله غفور رحيم
ادثب

(٢٣٦/٥)

أراد عز وجل أن يريهم عظم الجناية في ذهاب الذهاب عن مجلس رسول الله بغير إذنه {
إذا كانوا معه على أمر جامع} فجعل ترك ذهابهم حتى يستأذنوه ثالث الأيمان بالله
والإيمان برسوله، وجعلهما كالتشبيب له (١) والبساط لذكره، وذلك مع تصدير الجملة
بأنما وإيقاع المؤمنين مبتدأ (٢) مخبرا عنه بموصول أحاطت صلته بذكر الإيمانيين، ثم
عقبه (٣)

(١) قوله : كالتشبيب له النهاية في حديث أم معبد ، فلما سمع حسان شعرا لها

شب ، فجأوبه أي ابتداء جوابه من تشبيب الكتب وهو الابتداء بها والأخذ فيها ، وليس
من التشبيب في العشر وهو ترفيقه بذكر النساء ، يريد أن قوله : { آمنوا بالله ورسوله
{ تمهيد لقوله : { وإذا كانوا معه على أمر جامع { على طريقة : أعجبنى زيد وكرمه ،
وأصله إنما المؤمنون الذين إذا كانوا معه فجعلهما تمهيدا لهذا المعنى تفخيما له
وتعظيما لمجلس رسول الله ، وأنه من باب الإيمان بالله ورسوله .

(٢) قوله : وأيقاع المؤمنين مبتدأ . يعني عرف المبتدأ تعريف جنس ، وأوقع الخبر أيضا
معرفا موصولا مشتملا على صلة فيها ذكر الإيمانيين على منوال : أنا وأبو النجم وشعري
شعري . فالمعنى المؤمنون هم الذين اتصفوا بما يستحقون أن يسموا به مؤمنين حقا ،
ولما كان ذكر الإيمان بالله ورسوله توطئة لذكر ما بعده رجع المعنى إلى إنما
المؤمنون الكاملون الذي استحقوا أن يسموا مؤمنين حقا هم الذي إذا كانوا معه في أمر
جامع لم يذهبوا حتى يستأذنوه .

(٣) قوله : ثم عقبه بما يزيده توكيدا حيث أعاده على أسلوب آخر .. يعني لما أراد تكرر
هذا المعنى توكيدا وتقريراً أعاد المعنى وقلبه فجعل معنى ما تضمنه المسند مسندا إليه
، وما تضمنه المسند إليه مسندا حيث قال : { إن الذين يستأذنونك أولئك الذين يؤمنون

بالله ورسوله { فأفاد الأول حصر المؤمنين في المستأذنين ، وأفاد الثاني عكسه تعريضا بحال المنافقين وتسللهم لوإذا كما قال ، وما اكتفى بذلك ؛ بل أوقع خبرا وعقبه بذكر الإيمانين ليؤذن بأن أولئك محقون بأن يسموا مؤمنين لما اكتسبوا من صفة الاستئذان واجتنبوا من التسلل الذي هو من صفة المنافقين ، وإليه الإشارة بقوله : جعل الاستئذان كالمصداق لصحة الإيمانين .

(٢٣٧/٥)

بما يزيده توكيدا وتشديدا، حيث أعاده على أسلوب آخر وهو قوله: { إن الذين يستأذنونك أولئك الذين يؤمنون بالله ورسوله { وضمنه شيئا آخر، وهو: أنه جعل الاستئذان

كالمصداق لصحة الإيمانين، وعرض بحال المنافقين وتسللهم لوإذا. ومعنى قوله: { لم يذهبوا حتى يستأذنه { لم يذهبوا حتى يستأذنه ويأذن لهم، ألا تراه كيف علق الأمر (١) بعد وجود استئذانهم بمشيئته وإذنه لمن استصوب أن يأذن له. والأمر الجامع: الذي يجمع له الناس، فوصف الأمر بالجمع على سبيل المجاز (٢)، وذلك نحو مقاتلة عدو، أو تشاور في خطب مهم، أو تضام لإرهاب مخالف، أو تماسح في حلف وغير ذلك. أو الأمر الذي يعم بضرره أو بنفعه. وقرئ: "أمر جميع" وفي قوله: { إذا كانوا معه على أمر جامع { أنه خطب جليل لا بد لرسول الله فيه من ذوي رأي وقوة، يظاهرونه عليه ويعاونونه ويستضيء بآرائهم ومعارفهم وتجاربهم في كفايته، فمفارقة أحدهم في مثل تلك الحال مما يشق على قلبه ويشعث عليه رأيه، فمن ثمة غلظ عليهم وضيق عليهم الأمر في الاستئذان، ومع العذر المبسوط ومساس الحاجة إليه، واعتراض ما يهمهم ويعنيهم، وذلك قوله: { لبعض شأنهم { . وذكر الاستغفار للمستأذنين: دليل على أن الأحسن الأفضل أن لا يحدثوا أنفسهم بالذهاب ولا يستأذنوا فيه.

(١) قوله : ألا يراه كيف علق الأمر بعد وجود استئذانهم ؟ قيل : يعنى لا بد من قيد الشبهة بأن تأذن لهم ؛ لأن قوله : { فإذا استأذنوك { مترتب عليه بالفاء ومعلق به إذنه ، وكان هذا مكلف ، ومعنى الكلام ظاهر .

(٢) قوله : فوصف الأمر بالجمع على سبيل المجاز . هو يحتمل وجهين ؛ أحدهما : أن يكون إسنادا مجازيا لأن صاحب الأمر يجمع الناس لأمره وشأنه ، فوصف صفة من هو شبيهه ، وثانيهما : أن يكون استعارة مكنية حيث شبهه بإنسان خطير يجمع الناس لشأنه ، والتسامح إما باليد كالمبايعة ؛ وإنما يؤكد به الحلف من غير غمس أيدي المتحالفين في

الطيب .

(٢٣٨/٥)

وقيل: نزلت في حفر الخندق وكان قوم يتسللون بغير إذن. وقالوا: كذلك ينبغي أن يكون الناس مع أئمتهم ومقدميهم في الدين والعلم يظاهرونهم ولا يخذلونهم في نازلة من

النوازل ولا يتفرقون عنهم. والأمر في الإذن مفوض إلى الإمام: إن شاء إذن وإن شاء لم يأذن، على حسب ما اقتضاه رأيه.

لا تجعلوا دعاء الرسول t^3N /sY ÷ كدعاء بعضكم بعضا قد يعلم الله الذين يتسللون منكم

لواذا فليحذر الذين يخالفون عن $n^{3/4}$ حگ &Dr أن تصيبهم فتنة أو يصيبهم عذاب أليم ادجب

(٢٣٩/٥)

إذا احتاج رسول الله إلى اجتماعكم عنده لأمر فدعاكم فلا تفرقوا عنه إلا بإذنه، ولا تقيسوا دعاءه إياكم على دعاء بعضكم بعضا ورجوعكم عن المجمع بغير إذن الداعي، أو لا تجعلوا تسميته ونداءه بينكم كما يسمي بعضكم بعضا، ويناديه باسمه الذي سماه به أبواه، ولا تقولوا: يا محمد، ولكن: يا نبي الله، ويا رسول الله، مع التوقير التعظيم والصوت المخفوض والتواضع. ويحتمل: لا تجعلوا دعاء الرسول ربه مثل ما يدعو صغيركم وكبيركم وفقيركم وغنيكم، يسأله حاجة فربما أجابه وربما رده، فإن دعوات رسول الله مسموعة مستجابة { يتسللون } ينسلون قليلا قليلا. ونظير "تسلل": "تدرج وتدخل": واللواذ: الملاوذة، وهو أن يلوذ هذا بذاك وذاك بهذا، يعني: ينسلون عن الجماعة في الخفية على سبيل الملاوذة واستتار بعضهم ببعض. و { لواذا } حال، أي: ملاوذين، وقيل: كان بعضهم يلوذ بالرجل إذا استأذن فيأذن له، فينطلق الذي لم يؤذن له معه. وقرئ: "لواذا" بالفتح. يقال: خالفه إلى الأمر (١)، إذا ذهب إليه دونه، ومنه قوله تعالى: { وما أريد أن أخالفكم إلى ما أنهاكم عنه } (هود: ٨٨) وخالفه عن الأمر: إذا صد عنه دونه. ومعنى { الذين يخالفون عن أمره } الذين يصدون عن أمره دون المؤمنين وهم المنافقون، فحذف المفعول (٢)

(١) قوله : خالفه الأمر .. إلى آخره . يقال : خالفه إلى الماء إذا وردته وصد عنه

، وخالفته عن الماء وورد هو .

(٢) قوله : فحذف المفعول .. لأن الغرض ذكر المخالف والمخالف عنه ، يعني يخالفون عن

أمره مضمن معنى يصدون ، ولذلك عدى يعن وصد متعد يستدعي مفعولا به وهو ما قدره دون المؤمنين ، وترك ذكره لأن الغرض تقبيح أمر المخالف وتعظيم أمر المخالف عنه ، فذكر الأهم وترك ما اهتمام به ، فدون بمعنى قدام ، والأمر أرد على عموم المجاز ، لذلك قال عن طاعته ودينه ، هكذا قيل ، والذي يظهر لي أن المفعول المحذوف ليس هو دون المؤمنين ؛ بل هو شيء آخر وهو الناس ، ودون في هذا التركيب مثله في فعلت هذا الشيء دونك .

(٢٤٠/٥)

لأن الغرض ذكر المخالف والمخالف عنه. الضمير في أمره لله سبحانه أو للرسول . والمعنى: عن طاعته ودينه { فتنة } محنة في الدنيا { أو يصيبهم عذاب أليم } في الآخرة. وعن ابن عباس رضي الله عنهما: فتنة قتل. وعن عطاء: زلازل وأهوال. وعن جعفر بن محمد: يسلط عليهم سلطان جائر.

ألا إن لله ما في 9\$#،،yJ"N`uq والأرض قد يعلم ما أنتم عليه ويوم يرجعون إليه فينبئهم بما عملوا والله بكل شيء ٤=دL٧ و (٦٤) {

أدخل { قد } ليؤكد علمه بما هم عليه من المخالفة عن الدين والنفاق ومرجع تأكيد العلم إلى تأكيد الوعيد، وذلك أن { قد } إذا دخلت على المضارع كانت بمعنى "ربما" فوافقت "ربما" في خروجها إلى معنى التكثير في نحو قوله(١): فإن تمس مهجور الفناء فر بما ... أقام به بعد الوفود وفود

ونحوه قول زهير:

أخي ثقة لا تهلك الخمر ماله ... ولكنه قد يهلك المال نائله

(١) قوله :

فإن تمس مهجور الفناء فر بما ... أقام به بعد الوفود وفود

لوفود طلاب الحاجات ، تقول : إن مت وصرت مهجور الساحة فرما ازدحمت الوفود فيما

مضى

من حيوتك على بابلك ، فرب هاهنا للتكثير بدليل مقام المدح لأنه لا يتصور معنى كونها نافية على أصلها من كونها للتقليل ، وكذا قد في قوله أخي ثقة لا تهلك الخمر ماله ... ولكنه قد يهلك المال نائله

فإنها للتكثير بذلك الدليل ، وهنا علم أن قد للتكثير من مقام الوعيد .

(٢٤١/٥)

والمعنى: أن جميع ما في السماوات والأرض مختصة به خلقا وملكا وعلمًا، فكيف يخفى عليه أحوال المنافقين وإن كانوا يجتهدون في سترها عن العيون وإخفائها، وسينبئهم يوم القيامة بما أبطنوا من سوء أعمالهم وسيجازيهم حق جزائهم. والخطاب والغيبة في قوله: { قد يعلم ما أنتم عليه ويوم يرجعون إليه } يجوز أن يكونا جميعا المنافقين على طريق الالتفات. ويجوز أن يكون { ما أنتم عليه } (١) عاما؛ و { يرجعون } للمنافقين، والله أعلم.

عن رسول الله :

(٧٧٠) "من قرأ سورة النور أعطي من الأجر عشر حسنات بعدد كل مؤمن ومؤمنة فيما مضى وفيما بقى".

سورة: الفرقان

مكية إلا الآيات ٦٨ و ٦٩ و ٧٠ فمدنية

وآياتها ٧٧

بسم الله الرحمن الرحيم

{ تبارك الذي نزل الفرقان على ٣/٤nd%٢٦م ليكون للعالمين نذيرا (١) الذي له ملك دق#،،yJ"N`uq9\$# والأرض ولم يتخذ ولدا ولم يكن له شريك في الملك وخلق كل شيء فقدره

ج#fX#؟s(%)ايب

البركة(٢):

(١) قوله : ويجوز أن يكون { ما أنتم عليه } عاما . أي المؤمنين والمنافقين ، ويكون

وعدا بالنسبة إلى المؤمنين ، وتسلية ووعيدا وتخويفا بالنسبة إلى المنافقين ، ويكون

قوله : { ويوم يرجعون إليه } وعيدا خالصا في حق المنافقين لأن قوله : { فينبئهم }

يأتي أن ينزل على المؤمنين ؛ لأن ظاهره تهديد فلا يناسب حال المؤمنين .
(٢) سورة الفرقان

قوله : البركة كثرة الخير وزيادته . الجوهري : البركة النماء والزيادة ، وتبارك
الله أي بارك الله ، مثل قاتل وتقاتل إلا أن فاعل يتعدى وتفاعل لا يتعدى .
(٢٤٢/٥)

كثرة الخير وزيادته. ومنها: { تبارك الله } (الأعراف:) وفيه معنيان: تزايد خيره،
وتكاثر. أو تزايد عن كل شيء وتعالى عنه في صفاته وأفعاله. والفرقان: مصدر فرق بين
الشيئين إذا فصل بينهما وسمي به القرآن لفصله بين الحق والباطل. أو لأنه لم ينزل
جملة واحدة، ولكن مفروقا، مفصولا بين بعضه وبعض في الإنزال. ألا ترى إلى قوله: {
وقرآنا فرقناه لتقرأه على الناس على مكث ونزلناه تنزيلا } (الإسراء: ١٠٦) وقد جاء
الفرق بمعناه. قال (١):

ومشركي كافر بالفرق

وعن ابن الزبير رضي الله عنه: على عباده، وهم رسول الله وأمته، كما قال: { لقد
أنزلنا إليكم } (الأنبياء: ١٠)، { قولوا آمنا بالله وما أنزل إلينا } (البقرة:

(١) قوله : ومشركي كافر بالفرق . الفرق بضم الفاء بمعنى الفرقان كالخسر بمعنى
الخسران ، والياء في مشركي للنسبة زيدت للمبالغة كأحمرى في أحمر ، وقيل : في
بالنسبة زيادة قوة في الفعل كالخصوصية بمعنى الخصوص .
(٢٤٣/٥)

(. والضمير في { ليكون } لعبده أو للفرقان. ويعضد رجوعه إلى الفرقان(١) قراءة ابن
الزبير { للعالمين } للجن والإنس { نذيرا } منذرا أي مخوفا أو إنذارا، كالنكير
بمعنى الإنكار. ومنه قوله تعالى: { فكيف كان عذابي ونذر } (القمر: ١٦، ١٨، ٢١، ٣٠)
{ الذي له } (٢) رفع على الإبدال من الذي نزل أو رفع على المدح، أو نصب عليه.

(١) قوله : ويعضد رجوعه إلى الفرقان قراءة ابن الزبير . يعني نزل الفرقان على عباده
؛ لأن الضمير المفرد في { لتكون } لا يصح عوده الجمع ولا بد له من الرجوع إليه

فتعين أن يكون للفرقان ، ولأنه لا يستقيم المعنى على تقدير عوده إلى العباد لأنهم منذرون لا منذرون ، وعلى قراءة ابن الزبير قوله : { للعالمين } مظهر وضع موضع المضمر وفي اختصاص النذير دون البشير بالذكر نزاعة للاستهلال ، والإيدان بأن هذه السورة مشتملة على ذكر المعاندين المتخذين لله ولدا وشريكا ، الطاعنين في كتبه ورسله واليوم الآخر ، وهذا المعنى يؤيد تأويل تبارك بتزايد عن كل وتعالى عنه لإفادته صفة الجلال وإيدانه بتعاليه عما يقول الظالمون علوا كبيرا ، ولذلك جعل قوله : { له ملك السموات والأرض } توطئة وتمهيدا لقوله : { ولم يتخذ ولدا ولم يكن له شريك في الملك } ، وأردفه بقوله : { وخلق كل شيء فقدره تقديرا } لما مر أن كونه

بديع السموات والأرض ومالكهما مناف لاتخاذ الولد والشريك .

(٢) قوله : الذي له رفع على الإبدال من الذي نزل . قيل : وهذا أوجه من أن يكون نصبا أو رفعا على المدح لأن من حق صلة الموصول أن تكون معلومة عند المخاطب ، وكونه تعالى نزل الفرقان على عنده للإنذار لم يكن معلوما عند المعاندين فأبدل بقوله : { له ملك السموات والأرض } بيانا وتفسيرا ، وليس كذلك المدح ، وقيل : الجملة وإن لم تكن معلومة لكنها جعلت كالمعلومة لقوة دليلها .

(٢٤٤/٥)

فإن قلت: كيف جاز الفصل بين البذل والمبدل منه؟ قلت: ما فصل بينهما بشيء؛ لأن المبدل منه صلته نزل. و "ليكون" تعليل له، فكأن المبدل منه لم يتم إلا به. فإن قلت: في الخلق معنى التقدير، فما معنى قوله: { وخلق كل شيء فقدره تقديرا } كأنه قال: وقدر كل شيء فقدره؟ قلت: المعنى (١) أنه أحدث كل شيء إحداثا مراعي فيه التقدير والتسوية، فقدره وهياً لما يصلح له، مثاله: أنه خلق الإنسان على هذا الشكل المقدر المسوى الذي تراه، فقدره للتكاليف والمصالح المنوطة به في بابي الدين والدنيا، وكذلك كل حيوان وجماد جاء به على الجبلية المستوية المقدرة بأمثلة الحكمة والتدبير، فقدره لأمر ما ومصلحة مطابقا لما قدر له غير متجاف عنه، أو سمي إحداث الله خلقا لأنه لا يحدث شيئا لحكمته إلا على وجه التقدير من غير تفاوت، فإذا قيل: خلق الله كذا فهو بمنزلة قولك: أحدث وأوجد من غير نظر إلى وجه الاشتقاق، فكأنه قيل: وأوجد كل شيء فقدره في إيجاد

لم يوجد متفاوتا. وقيل: فجعل له غاية ومنتهى. ومعناه: فقدره للبقاء إلى أمد معلوم.

واتخذوا من دونه آلهة لا يخلقون ©x"Z\$ وهم يخلقون ولا ٣ncq=Jtfô

خN،à،Rع ضرا

ولا نفعا ولا ٣=ôJtf موتا ولا Zo4quxm ولا نشورا اجب

(١) قوله : المعنى أنه احدث .. إلى آخره . قيل : الجواب الأولى مبني على أن الخلق

حقيقة ؛ فالواجب أن يفسر قوله : { فقدره } بما يخالفه لأن الخلق في اللغة هو التقدير ، وما يخالفه هو ما قاله أعني هيئة لما يصلح له ، والثاني مفرع على المجاز وذلك أن إحداث الله الشيء لما لم يكن إلا على وجه التقدير لأنه حكم سمي مطلقا إحداثه بالخلق لما فيه من معنى التقدير ، قيل : والفرق بين الوجهين أن التقدير على الأول مقصود بذكر الخلق ، وعلى الثاني هو لازم له .

(٢٤٥/٥)

الخلق بمعنى الافتعال، كما في قوله تعالى: { إنما تعبدون من دون الله أوثانا وتخلقون إفكا } (العنكبوت: ١٧) والمعنى: أنهم آثروا على عبادة الله سبحانه عبادة آلهة لا عجز أبين من عجزهم، لا يقدرُونَ على شيء من أفعال الله ولا من أفعال العباد، حيث لا يفتعلون شيئا وهم يفتعلون، لأن عبدتهم يصنعونهم بالبحث والتصوير، { ولا يملكون } أي: لا يستطيعون لأنفسهم دفع ضرر عنها أو جلب نفع إليها وهم يستطيعون، وإذا عجزوا عن الافتعال ودفع الضرر وجلب النفع التي يقدر عليها العباد كانوا عن الموت والحياة والنشور التي لا يقدر عليها إلا الله أعجز. وقال الذين كفروا إن هذا إلا إفك #syIùžçm1u وأعانه عليه قوم آخرون فقد جاءوا ظلما

وزورا احب

{ قوم آخرون } قيل: هم اليهود. وقيل: عداس مولى حويطب بن عبد العزى، ويسار مولى العلاء بن الحضرمي، وأبو فكية الرومي: قال ذلك النضر بن الحرث بن عبد الدار. "جاء" و "أتى" يستعملان في معنى فعل، فيعديان تعديته، وقد يكون على معنى (١): وردوا ظلما، كما تقول: جئت المكان. ويجوز أن يحذف الجار ويوصل الفعل. وظلمهم: أن جعلوا العربي يتلقن من العجمي الرومي كالاما عربيا أعجز بفصاحته جميع فصحاء العرب. والزور: أن بهتوه بنسبة ما هو بريء منه إليه.

(#%ur\$٩tûq s% مؤجد &y™r الأولين اكتتبها فهي تملأ عليه Zou چ٦ / وأصيلا

اخب

(١) قوله : وقد يكون على معنى وردوا . أي استعمل بمعنى ورد قليلا ، ومنه جئت المكان

أي وردته ، واختير ذلك لبلاغته ووجازته ؛ إذ لو قيل : فقد ظلموا في ذلك وقالوا قولاً زوراً لطال الكلام [٨٤] وفاتت الاستعارة ، وقوله : (ويجوز أن يحذف الجار) مشعر بأن الوجه الأول مبني على التضمين ، والثاني على المجاز .
(٢٤٦/٥)

أساطير الأولين { ما سطره المتقدمون من نحو أحاديث رستم واسفنديار، جمع: أسطار أو أسطورة كأحدوثه } اكتتبها { كتبها لنفسه وأخذها، كما تقول: استكتب الماء واصطبه: إذا سكه وصبه لنفسه وأخذه. وقرئ: "اكتتبها" على البناء للمفعول. والمعنى: اكتتبها كاتب له، لأنه كان أمياً لا يكتب بيده، وذلك من تمام إعجازه، ثم حذفت اللام فأفضى الفعل إلى الضمير فصار اكتتبها إياه كاتب، كقوله: { واختار موسى قومه } (الأعراف: ١٥٥) ثم بنى الفعل للضمير (١)

(١) قوله : ثم بنى الفعل للضمير الذي هو إياه فانقلب مرفوعاً مستترا . قال صاحب الفرائد : لقائل أن يقول كان قوله مفعولاً بحرف وجب أن لا يجوز بناء الفعل له مع المفعول به المتعدي إليه بغير حرف وإن كان مفعولاً له وهو الوجه ؛ لأن المعنى { أكتبها } كانت له أي لأجله وجب أن لا يبنى له ، أما الأول فلأنه قال في المفصل والمفعول به المتعدي وإليه بغير حرف من الفصل على سائر ما يبنى له .. إلى آخر الفصل .

وأما الثاني فلأنه قال فيه المفاعيل سواء في صحة البناء له إلا المفعول الثاني من باب علمت ، والثالث من باب علمت والمفعول معه والمفعول له

والجواب : أنه إنما بني له الفعل بعد اتصال الفعل إليه وتنزيله منزلة ما تعدى إليه الفعل بنفسه ، فلهذا أقيم مقام الفاعل
(٢٤٧/٥)

الذي هو إياه فانقلب مرفوعاً مستترا بعد أن كان بارزاً منصوباً، وبقي ضمير الأساطير

على حاله، فصار { اكتبها } كما ترى. فإن قلت: كيف قيل: اكتبها { فهي تملى عليه { وإنما يقال: أمليت عليه فهو يكتبها؟ قلت: فيه وجهان، أحدهما: أراد اكتبها أو

طلبه فهي تملى عليه. أو كتبت له وهو أمي فهي تملى عليه: أي تلقى عليه من كتابه يتحفظها: لأن صورة الإلقاء على الحافظ كصورة الإلقاء على الكاتب. وعن الحسن (١): أنه قول الله سبحانه يكذبهم وإنما يستقيم أن لو فتحت الهمزة للاستفهام الذي في معنى الإنكار. ووجهه أن يكون نحو قوله:

أورث ذودا شصائصا نبلا

(١) قوله : وعن الحسن أنه قول الله أي : { أكتبها } قول الله لا قول البشر وإنما قال الله ذلك تكديبا لهم في نسبه الاكتاب إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم . وقال المصنف : إنما يستقيم ذلك أن لو فتحت الهمزة كما في قوله تعالى : { اصطفى البنات على البنين } ثم قال : ووجه تصحيح قول الحسن أن تكون الآية واردة على أسلوب قول جرير :

أفرح أن أرزأ الكرام وأن ... أورث ذودا شصايصا نبلا

أن أرزأ أي أصاب ، والدود من الإبل ما بين الثلاثة إلى العشرة ، وهي مؤنثة لا واحد لها من لفظها ، وجمعها أذواد ، والشصايص جمع شصوص وهي الناقة القليلة اللبن ، والنبل الصغار وهو من الأضداد جمع نبيل ، وروي نبلا بضم النون جمع نبلة وهي العطية ، تقول على سبيل الإنكار : أفرح بصغار الإبل وقد أصبت بكبار الكرام ، وهذا الكلام مع تعرية عن حرف الإنكار هو من التسليم الذين انطوى تحته كل إنكار . كان جريرا مات أخوه وورث منه إبلا ف قيل أنه فرح بموته فقال ذلك ، ويحتمل أنه قتل فأخذ ديته فقال ذلك منكرا على نفسه فرحها بذلك .

(٢٤٨/٥)

وحق الحسن (١) أن يقف على الأولين، { بكرة وأصيلا } أي دائما، أو في الخفية قبل أن ينتشر الناس، وحين يأوون إلى مساكنهم. قل م &Rr"u!s& الذي يعلم السر في دق#9\$،yJ"N"uq والأرض إنه كان غفورا رحيفا

ادب

أي يعلم كل سر خفي في السماوات والأرض، ومن جملته ما تسرونه أنتم من الكيد لرسوله مع علمكم أن ما تقولونه باطل وزور، وكذلك باطن أمر رسول الله وبراءته مما تبهتوته

به، وهو يجازيكم ويجازيه على ما علم منكم وعلم منه. فإن قلت: كيف طابق قوله: { إنه كان غفورا رحيمًا } هذا المعنى؟ قلت: لما كان ما تقدمه في معنى الوعيد عقبه بما يدل على القدرة عليه، لأنه لا يوصف بالمغفرة والرحمة إلا القادر على العقوبة، أو هو تنبيه على أنهم استوجبوا بمكابرتهم هذه أن يصب عليهم العذاب صبا، ولكن صرف ذلك عنهم

إنه غفور رحيم: يمهّل ولا يعاجل.

وقالوا مال هذا الرسول يأكل الطعام ويمشي في الأسواق لولا Ré ح إليه ملك فيكون معه نذيرا (٧) أو يلقي إليه كنز أو تكون له جنة يأكل منها وقال Jc ك $\text{à9}\\$ \#$ ©" = د إن تتبعون إلا رجلا مسحورا ارب

(١) قوله : وحق الحسن أن يقف على الأولين لاختلاف القائلين ، أو لأن لتقدير الاستفهام فيه محالا ، ومعنى مرفودا معانا .
(٢٤٩/٥)

وقعت اللام في المصحف مفصولة عن هذا خارجة عن أوضاع الخط العربي، وخط المصحف سنة لا

تغير. وفي هذا استهانة وتصغير لشأنه وتسميته بالرسول سخرية منهم وطنز، كأنهم قالوا: ما لهذا الزاعم أنه رسول. ونحوه قول فرعون { إن رسولكم الذي أرسل إليكم لمجنون { (الشعراء: ٢٧) أي: إن صح أنه رسول الله فما باله حاله مثل حالنا { يأكل الطعام } كما نأكل؛ ويتردد في الأسواق لطلب المعاش كما نتردد، يعنون أنه كان يجب أن يكون ملكا مستغنيا عن الأكل والتعيش. ثم نزلوا عن اقتراحهم أن يكون ملكا إلى اقتراح أن يكون إنسانا معه ملك، حتى يتساندا في الإنذار والتخويف، ثم نزلوا أيضا فقالوا: وإن لم يكن مرفودا بملك فليكن مرفودا بكنز يلقي إليه من السماء يستظهر به ولا يحتاج إلى تحصيل المعاش. ثم نزلوا فافتنعوا بأن يكون رجلا له بستان يأكل منه ويرتزق كما الدهاقين (١) والمياسير، أو يأكلون هم (٢) من ذلك البستان فينتفعون به في دنياهم ومعاشهم. وأراد بالظالمين: إياهم بأعيانهم: وضع الظاهر موضع المضمّر ليسجل عليهم

بالظلم فيما قالوا: وقرئ: "فيكون" بالرفع، أو يكون له جنة، بالياء، ونأكل، بالنون.
فإن قلت: ما وجه الرفع والنصب في فيكون؟ قلت: النصب لأنه جواب "لولا" بمعنى "هلا"
وحكمه حكم الاستفهام. والرفع على أنه معطوف على أنزل، ومحل الرفع (٣)،

(١) قوله : كما الدهاقين ما هذه كافة ومهيئة لدخول الكاف على الجملة ، أي كما
الدهاقين كذلك .

(٢) قوله : أو يأكلون هم .. إلى آخره . والحاصل أنه استعمل الأكل في المنافع لأنه
الغرض الأعظم منها ، والوجهان متفرعان على القرائتين بالياء والنون في نأكل .
(٣) قوله : ومحل الرفع أي محل أنزل ؛ لأنه لو وقع موقعه المضارع لكان مرفوعا ،
لأنك إنما تقول ابتداء لولا ينزل بالرفع وقد عطف عليه يلقي ويكون والحال أنهما
مرفوعان ، فالعطف يمنع أن يكونا منصوبين لكونهما في حكم المعطوف عليه وهو مرفوع لا
غير .

قال أبو البقاء : أو يلقي أو يكون معطوف على أنزل ؛ لأن أنزل بمعنى ينزل ، ويلقي
بمعنى ألقى ، قيل : والوجه في قراءة فيكون بالرفع أن يجعل من تنمة أنزل مرتبا عليه
غير مستقل استقلال يلقي ، ويكون ليكون مطابقا لقراءة النصب وعليه المعنى ، ألا ترى
المصنف كيف قدر ثم لو أعن اقتراحهم أن يكون ملكا إلى اقتراح أن يكون إنسانا معه ملك
حتى يتساندا في الإنذار .. إلى آخره .
(٢٥٠/٥)

ألا تراك تقول: لولا ينزل بالرفع، وقد عطف عليه: يلقي، وتكون مرفوعين، ولا يجوز
النصب فيهما لأنهما في حكم الواقع بعد لولا، ولا يكون إلا مرفوعا. والقائلون هم
كفار قریش النضر بن الحرث، وعبد الله بن أبي أمية، ونوفل بن خويلد ومن ضامهم {
مسحورا} سحر فغلب على عقله. أو ذا سحر، وهو الرثة: عنوا أنه بشر لا ملك.
انظر كيف ضربوا لك الأمثال فضلوها فلا يستطيعون سبيلا اذهب
{ ضربوا لك الأمثال } أي؛ قالوا فيك تلك الأقوال واخترعوا لك تلك الصفات والأحوال

النادرة. من نبوة مشتركة بين إنسان وملك. وإلقاء كنز عليك من السماء وغير ذلك،
فبقوا متحيرين ضاللا، لا يجدون قولاً يستقرون عليه. أو فضلوها عن الحق (١) فلا يجدون
طريقاً إليه.

تبارك الذي إن شاء جعل لك # [yz من ٩dy7 sE جنات "حج grB من تحتها
الأنهار ويجعل لك
قصورا اتعب

تكاثر خير { الذي إن شاء { وهب لك في الدنيا { خيرا { مما قالوا، وهو أن يعجل لك
مثل ما وعدك في الآخرة من الجنات والقصور. وقرىء: "ويجعل" بالرفع عطفا على جعل؛ لأن
الشرط إذا وقع ماضيا، جاز في جزائه الجزم، والرفع، كقوله (٢):

(١) قوله : أو فضلوا عن طريق الحق عطف على قوله : فبقوا متحيرين ، فعلى الأول متعلق
ضلوا غير منوي ، وقوله : { فلا يستطيعون سبيلا { هو نفس الضلال ، لأن من كان متحيرا
لأثبت على شيء ، وعلى الثاني متعلق ضلوا مقدر وهو عن الحق ، والفاء في الوجه الأول
كالفاء في { فاقتلوا أنفسكم { على وجه ، ومن ثم لم يأت المصنف بالفاء في التفسير ،
وفي الثاني للتسبيب ، ولهذا صرح بها .
(٢) قوله :

وإن أتاه خليل يوم مسئلة ... يقول لا غائب مالي ولا حرم

مضى تقدير معناه . قال صاحب الفرائد : يمكن أن يقال ارتفاع يجعل على أنه جملة
مبتدأة معطوفة على الجملة الشرطية ، أي يريد بذلك على ما قالوا ، وهذا قول الزجاج ،
قال : ومن رفع فعلى الاستئناف ، والمعنى : { سيجعل لك قصورا { أي سيعطيك أكثر مما
قالوا .
(٢٥١/٥)

وإن أتاه خليل يوم مسئلة ... يقول لا غائب مالي ولا حرم

ويجوز في { ويجعل لك { إذا أدغمت: أن تكون اللام في تقدير الجزم والرفع جميعا.
وقرىء بالنصب، على أنه جواب الشرط بالواو. (١)

بل كذبوا بالساعة وأعتدنا لمن كذب بالساعة # [١١جد 11) èy™ إذا رأتهم من
بعيد Ob% s3™B

سمعوا لها تغيظا # [١٢جد 12) (ùy-ur وإذا ألقوا منها مكانا ضيقا B-çRstûü s) دعوا
هنالك ثبورا (١٣) لا تدعوا اليوم ثبورا # (q%ooY #) ur# \$ثم n™ur ثبورا
[١٣جد ٢V اتحب

}

)

(١) قوله : على أنه جواب الشرط بالواو . قال ابن جني : هو كقولنا : إن تأتي آتاك وأحسن إليك ، وجازت إجابته بالنصب لما لم يكن واجبا إلا بوقوع الشرط من قبله وليس قويا مع ذلك ، ألا تراه بمعنى قولك أفعل كذا إن شاء الله تم كلامه ، وقيل هذا ضعيف عند سيبويه لأنه قال : ليس بالوجه ، والذي جوزه أنه شبه الجزاء ليسا بواقعين حال المشاركة فكانا كالنهي ، ومثله ما في قول الشاعر :

فإن يهلك أبو قابوس يهلك ... ربيع الناس والبلد الحرام
أحب الظهر ليس له سنام ... ونأخذ بعده بذناب عيش

على رواية نصب نأخذ ؛ فإنه نصب لعطفه على جواب الشرط المجزوم بإضمار أن كما نصب في الآية .

(٢٥٢/٥)

بل كذبوا { (١) عطف على ما حكى عنهم: يقول: بل أتوا بأعجب من ذلك كله وهو تكذيبهم بالساعة. ويجوز أن يتصل بما ييله(٢)، كأنه قال: بل كذبوا بالساعة، فكيف يلتفتون إلى هذا الجواب، وكيف يصدقون بتعجيل مثل ما وعدك في الآخرة وهم لا يؤمنون بالآخرة. السعير: النار الشديدة الاستعار. وعن الحسن رضي الله عنه: أنه اسم من أسماء جهنم { رأتهم { من قولهم: دورهم تتر(٣)،

(١) قوله : { بل كذبوا { عطف على ما حكى عنهم وهو قوله : { ما لهذا الرسول { إلى قوله : { مسحورا { . وعلى هذا يكون قوله : { انظر { إلى قوله : { قصورا { اعتراضا بين المعطوف [٨٥] والمعطوف عليه مؤكدا لمضمون الكلام ، ومسليا لرسول الله صلى الله عليه عما قالوا .

(٢) قوله : ويجوز أن يتصل بما يليه وهو قوله : { إن شاء جعل لكم خيرا من ذلك .. { الآية ، فعلى هذا يكون قوله : { انظر كيف ضربوا لك الأمثال { ، وقوله : { تبارك

الذي إن شاء جعل .. { الآيتين كالجواب عن قولهم : { ما لهذا الرسول .. } إلى آخره على سبيل التعويض التوبيخي ، ويكون قوله : { بل كذبوا } إضرابا عن قوله : { جنات تجري من تحتها الأنهار } يدل عليه قوله : فكيف يلتفون إلى هذا الجواب ؟ .)

(٣) قوله : رأته من قولهم دورهم تترأ . أي في كونه اسعمالا مجازيا مثله لأن جنهم لا ترى كما أن الدور لا تترأ ، أي قل : وهو عبارة عن مسافة يتمكن فيها الرائي على النظر إلى المرئي ، قيل : معنى قوله : لا ترائي نارا هما أنه يجب على المسلم أن يباعد منزلته عن منزلة المشرك ولا ينزل بالمنزل الذي أوقدت ناره فيه تلوح وتطهر لنار المشرك إذا أوقدها في منزله ، وأصل ترائي تترأ أي فحذف إحدى التائين تخفيفا والترأى تفاعل من الرؤية ، وإسناده إلى النارين مجاز ، وإذا جعل قوله : { رأته } مجازا كان قوله : { سمعوا لها تغيظا } ترشيحا ، وقيل : النار عبارة عن السمّة ، أي لا يتسم المسلم بسمّة أهل الشرك .. (٢٥٣/٥)

أي: وتتناظر. ومن قوله : (٧٧١) "لا تراءى ناراهما" كأن بعضها يرى بعضا على سبيل المجاز. والمعنى: إذا كانت منهم بمرأى الناظر في البعد سمعوا صوت غليانها. وشبه ذلك (١) بصوت المتغيظ والزافر. ويجوز أن يراد: إذا رأته زبانيته (٢) تغيظوا وزفروا غضبا على الكفار وشهوة للانتقام منهم. الكرب مع الضيق، كما أن الروح مع السعة، ولذلك وصف الله الجنة بأن عرضها السماوات والأرض. وجاء في الأحاديث: أن لكل مؤمن من

القصور والجنان كذا وكذا. ولقد جمع الله على أهل النار أنواع التضيق والإرهاق، حيث ألقاهم في مكان ضيق يتراصون فيه تراصا، كما روي عن ابن عباس رضي الله عنهما في تفسيره أنه يضيق عليهم كما يضيق الزج في الرمح، وهم مع ذلك الضيق مسلسلون مقرنون في السلاسل، قرنت أيديهم إلى أعناقهم في الجوامع. وقيل: يقرن مع كل كافر شيطانه في سلسلة وفي أرجلهم الأصفاد. والثبور: الهلاك، ودعاؤه أن يقال: واثبورا، أي: تعال يا ثبور فهذا حينك وزمانك { لا تدعوا } أي يقال لهم ذلك: أو هم أحقاء بأن يقال بهم، وإن لم يكن ثمة قول ومعنى { وادعوا ثبورا كثيرا } أنكم وقعتم فيما ليس ثبوركم فيه

واحدا، إنما هو ثبور كثير إما لأن العذاب أنواع وألوان كل نوع منها ثبور لشدة وفظاعته، أو لأنهم كلما نضجت جلودهم (٣) بدلوا غيرها، فلا غاية لهلاكهم.

- (١) قوله : وشبه ذلك . أي وشبه صوت غليانها .
- (٢) قوله : ويجوز أن يراد : إذا رأتهم زبانيتهما ، فالضمير في رأتهم للزبانية ؛ لأن السعير مع امتناع رؤيتها تدل على الزبانية ، والإزهاق الإلقاء في العسر وتكليف ما هو شاق ، والتراض التلاصق ، والزج هو الحديد في رأس الرمح ، والجوامع جمع جامعة وهي الغل لأنها تجمع اليدين إلى العنق .
- (٣) قوله : أو لأنهم كلما نضجت جلودهم بدلوا جلودا غيرها . قيل : فالكثرة على هذا ليست للتحديد ، ولهذا قال : لا غاية لهلاكهم .
- (٢٥٤/٥)

قل ٧dy٩ &sCër" يثج yz أم جنة د\$:ù#èfù\$ التي وعد المتقون كانت لهم
[ن!#u"y]
[جاء 15) tBur) لهم فيها ما يشاءون ح\$:tùì# yz كان على ربك وعدا مسئولا
اتدب

الراجع إلى الموصولين محذوف، يعني: وعدها المتقون(١) وما يشاؤون. وإنما قيل: كانت، لأن ما وعده الله وحده فهو في تحققه كأنه قد كان. أو كان مكتوبا في اللوح قبل أن برأهم بأزمة متطاولة: أن الجنة جزاؤهم ومصيرهم. فإن قلت: ما معنى قوله: { كانت لهم جزاء ومصيرا } (٢)؟

- (١) قوله : يعنى وعدها المتقون بيان لتقرير الراجع ، قيل : إلى الموصول الأول وهو التي وعد ، وقوله : { وما تشاؤون } بيان لتقرير الراجع إلى الموصول الثاني وهو { ما يشاؤون } .
- (٢) قوله : ما معنى قوله : { كانت لهم جزاء ومصيرا } ؟ يعنى قد علم من قوله { جنة الخلد التي وعد المتقون } كون الجنة جزاؤهم ومصيرهما ، فما هذا التكرير ، وأجاب : بأنه كالنذيل لها إرادة لمزيد مدح المكان كما أن قوله : { نعم الثواب وحسنت مرتفقا } تذييل لقوله { وإن يستغيثوا يغاثوا بماء كالمهل يشوي الوجوه } ، ودلالته على المدح من جهله تنكيه أي جزاء موفرا لا يدخل تحت الوصف ، وإردافه بقوله : { مصيرا } أي مصيرا لا يقادر قدره ، فالجزاء هاهنا كالثواب في تلك الآية ، والمصير كالمرفق ، واجتماعهما كالتميم لما يتم به مما يطلب في المكان من الترفه والتنعيم ..

قلت: هو كقوله: { نعم الثواب وحسنت مرتفقا } (الكهف: ٣١) فمدح الثواب ومكانه، كما قال: { بنس الشراب وساءت مرتفقا } (الكهف: ٢٩) فذم العقاب ومكانه لأن النعيم لا يتم للمتعم إلا بطيب المكان وسعته وموافقته للمراد والشهوة، وأن لا تنغص، وكذلك العقاب يتضاعف بغثاثة الموضوع (١) وضيقه وظلمته وجمعه لأسباب الاجتواء والكراهة، فلذلك ذكر المصير مع ذكر الجزاء. والضمير في { كان } لما يشاؤون. والوعد: الموعود، أي: كان ذلك موعودا واجبا على ربك إنجازا، حقيقا أن يسئل ويطلب، لأنه جزاء وأجر مستحق. وقيل: قد سأله الناس والملائكة في دعواتهم: { ربنا وآتنا ما وعدتنا على رسلك } (آل عمران: ١٩٤)، { ربنا آتنا في الدنيا حسنة وفي الآخرة حسنة } (البقرة: ٢٠١)، { ربنا وأدخلهم جنات عدن التي وعدتهم } (غافر: ٨).

ويوم يحشرهم وما يعبدون من دون الله فيقول أأنتم أضللتم عبادي هؤلاء أم هم ضلوا السبيل (١٧) قالوا $ys6"y7sY$ كTM ما كان ينبغي لنا أن نتخذ من $Rry7$ كTM من أولياء ولكن

متعتهم وآباءهم $Lxm®$ نسوا u چ $es\%e\#$ وكانوا قوما بورا اترب

(١) وقوله: بغثاثة الموضوع الأساس حديثكم غث، وسلاحكم رث، وأغث فلان في كلامه إذا

تكلم بما لا خير فيه، وسمعت صبيا يقول: غث علينا مكة فلا بد لنا من الخروج، أراد ضيق العيش بها، والموضع الغث هو المكروه واحتواء الموضوع كراهة المقام به وإن كنت ذا نعمة.

يحشرهم. فيقول: كلاهما بالنون والياء، وقرئ: "يحشرهم"، بكسر الشين، { وما يعبدون } يريد: المعبودين من الملائكة والمسيح وعزير. وعن الكلبي: الأصنام ينطقها الله. ويجوز أن يكون عاما لهم جميعا. فإن قلت: كيف صح استعمال { ما كان ينبغي لنا أن نتخذ

من دونك من أولياء ولاكن متعتهم وءآباءهم حتا نسوا الذكر وكانوا قوما بورا } في العقلاء؟ قلت: هو موضوع على العموم للعقلاء وغيرهم، بدليل قولك - إذا رأيت شبعا من بعيد - ما هو؟ فإذا قيل لك: إنسان، قلت حينئذ: من هو؟ وبذلك قولهم "من" لما

يعقل(١). أو أريد به الوصف، كأنه قيل: ومعبودهم، ألا تراك تقول إذا أردت السؤال عن صفة زيد؟ ما زيد: تعني: أطويل أم قصير؟ أفقيه أم طيب؟ فإن قلت: ما فائدة أنتم وهم؟ وهلا قيل أضللتهم عبادي هؤلاء، أم هم ضلوا السبيل؟ قلت: ليس السؤال عن الفعل ووجوده، لأنه لولا وجوده لما توجه(٢) هذا العتاب، وإنما هو عن متوليه، فلا بد من ذكره وإيلائه حرف الاستفهام، حتى يعلم أنه المسؤول عنه، فإن قلت: فالله سبحانه قد سبق علمه بالمسؤول عنه، فما فائدة هذا السؤال؟ قلت: فائدته أن يجيبوا بما أجابوا به، حتى ييكت عبدتهم بتكذيبهم إياهم، فيبهتوا وينخذلوا وتزيد حسرتهم، ويكون ذلك نوعا مما يلحقهم من غضب الله وعذابه، ويغضب المؤمنون ويفرحوا بحالهم ونجاتهم من فضيحة أولئك، وليكون حكاية ذلك في القرآن لطفًا للمكلفين.

(١) قوله : وبذلك قولهم من لما يعقل . يعني يفسر من بما ، ولا يفسر ما بمن ، فدل على أن ما أعم من من .

(٢) قوله : لأنه لولا وجوده لما توجه هذا العتاب . يعني أن السؤال سؤال عتاب وهو يستدعي حصول الفعل من الضالين ليصح توجه العتاب إلى المعبودين ، والغرض تقرير الضالين وتوبيخهم ، فوجب أن يسأل عن متوليه والسبب فيه ، والانحزال الانقطاع . (٢٥٧/٥)

وفيه كسر(١) بين لقول من يزعم أن الله يضل عباده على الحقيقة، حيث يقول للمعبودين من دونه: أنتم أضللتهم، أم هم ضلوا بأنفسهم؟ فيتبرؤون من إضلالهم ويستعينون به أن يكونوا مضلين، ويقولون: بل أنت تفضلت من غير سابقة على هؤلاء وآبائهم تفضل جواد كريم، فجعلوا النعمة التي حقها أن تكون سبب الشكر، سبب الكفر ونسيان الذكر، وكان ذلك سبب هلاكهم، فإذا برأت الملائكة والرسل أنفسهم من نسبة الإضلال الذي هو عمل الشياطين إليهم واستعاذوا منه، فهم لربهم الغني العدل أشد تبرئة وتنزيها منه، ولقد نزهوه حين أضافوا إليه التفضل بالنعمة والتمتع بها. وأسندوا نسيان الذكر والتسبب به للبوار إلى الكفرة، فشرحوا الإضلال المجازي(٢)

(١) قوله : وفيه كسر بين لقول من يزعم أن الله يضل عباده على الحقيقة .. إلى آخره . قال صاحب التقريب : والمعنى { أنتم أضللتهم أم هم ضلوا } وهذا أعم من أنهم ضلوا بأنفسهم أو أضلهم غيرهم ، فلا يدل على الخاص كما تبجح به صاحب الكشف .

قوله : وقلت أن كلام المصنف محتويا على الجواب عن هذا وذلك لأن ضلالهم غير مسؤل عنه

لحصوله وتحققه ؛ وإنما المسؤل عنه هو المتولي له ، وإذا كان المسؤل عنه ذلك يؤول المعنى إلى أن الضلال الموجود المتحقق من الضالين هل كان حصوله بسبب إضلالكم لهم أم لا ؛ بل حصل من تلقاء أنفسهم ، ولأن المعنى : آأنتم أضللتموهم فيكونون معذورين ، أم هم ضلوا بأنفسهم فلا عذر لهم ، ولا يصح هذا المعنى إلا على ما قرره المصنف .
(٢) قوله : فشرخوا الإضلال المجازي يعني في نحو قوله : { يضل من يشاء } فإنه مجمل لما علم بدليل الجنس والقبح العقليين على مذهبه أنه لا يجوز إسناد الإضلال إلى الله ، وإن إسناده إليه مجاز ، ولا بد من بيان العلاقة وبيانها ما يعلم من قول المعبودين هاهنا لكن متعهم وآباءهم حتى نسوا الذكر فبينوا أن العلاقة هي تمتيعهم بالنعيم المؤدي إلى البطر والطغيان ..

(٢٥٨/٥)

الذي أسنده الله تعالى إلى ذاته في قوله: { يضل من يشاء } (الرعد: ٢٧)، (النحل: ٩٣)، (فاطر: ٨) ولو كان هو المضل على الحقيقة لكان الجواب العتيد أن يقولوا: بل أنت أضللتهم. والمعنى: آأنتم أوقعتموهم في الضلال عن طريق الحق؟ أم هم ضلوا عنه بأنفسهم؟ وضل: مطاوع "أضله" وكان القياس: ضل عن السبيل، إلا أنهم تركوا الجار كما

تركوه في هذه الطريق. والأصل: إلى الطريق وللطريق. وقولهم: أضل البعير(١)، في معنى: جعله ضالا، أي ضائعا، لما كان أكثر ذلك بتفريط من صاحبه وقلة احتياط في حفظه، قيل: أضله، سواء كان منه فعل أو لم يكن { سبحانك } (٢) تعجب منهم، قد تعجبوا مما قيل لهم لأنهم ملائكة وأنبياء معصومون، فما أبعدهم عن الإضلال الذي هو مختص بإبليس وحزبه. أو نطقوا بسبحانك ليدلوا على أنهم المسيحون المتقدسون الموسومون بذلك. فكيف يليق بحالهم أن يضلوا عباده. أو قصدوا به تنزيهه عن

(١) قوله : وقولهم أصل البعير متصل بقوله الإضلال المجازي لأن نسبة إضلال البعير إلى صاحبه مجاز بسبب تفريطه وتوانيه .

(٢) قوله : { سبحانك } تعجب منهم . منهم طرف مستقر أي صادر مهم .

(٢٥٩/٥)

وأن يكون له نبي أو ملك أو غيرهما ندا، ثم قالوا: ما كان يصح لنا (١) ولا يستقيم ونحن معصومون (٢) أن نتولى أحدا دونك، فكيف يصح لنا أن نحمل غيرنا على أن يتولونا دونك. أو ما كان ينبغي لنا أن نكون أمثال الشياطين في توليهم الكفار كما تولاهم الكفار. قال الله تعالى: { فقاتلوا أولياء الشيطان } (النساء: ٧٦) يريد الكفرة وقال: { والذين كفروا أولياءهم الطاغوت } (البقرة: ٢٥٧) وقرأ أبو جعفر المدني: نتخذ، على البناء للمفعول. وهذا الفعل أعني "اتخذ" يتعدى إلى مفعول واحد، كقولك: اتخذ وليا وإلى مفعولين كقولك: اتخذ فلانا وليا. قال الله تعالى: { أم اتخذوا آلهة من الأرض } (الأنبياء: ١) وقال: { واتخذ الله إبراهيم خليلا } (النساء: ١٢٥) فالقراءة الأولى من المتعدي إلى واحد وهو { من أولياء } والأصل: أن نتخذ أولياء، فزبدت { من } لتأكيد معنى النفي، والثانية: من المتعدي إلى مفعولين. فالأول ما بني له الفعل. والثاني: { من أولياء } . ومن للتبعيض، أي: لا نتخذ بعض أولياء. وتنكير { أولياء } من حيث أنهم أولياء مخصوصون وهم الجن والأصنام والذكر: ذكر الله والإيمان به، أو القرآن والشرائع. والبور (٣): الهلاك.

-
- (١) قوله : ثم قالوا ما كان يصح لنا . ثم هاهنا للتراخي في الإخبار ، يعني جعلوا قولهم : { سبحانك } توطئة وتمهيدا لقولهم [٨٦] : { ما كان ينبغي لنا أن نتخذ وليا من دونك } إما على إرادة التعجب مما قيل لهم ، أو جعلوا النطق بذلك كناية عن تراه أنفسهم عن النطق بذلك وأرادوا موضوعها اللغوي من تنزيه ذاته وتقديسها عما لا يليق بها من الضد والند .
- (٢) قوله : ما كان يصح لنا ويستقيم ونحن معصومون أن نتولى أحدا دونك .. إلى آخره مبني على التقديس ، وقوله : (أو ما كان ينبغي لنا أن نكون أمثال الشياطين) مبني على تنزيه أنفسهم مما نسب إليهم .
- (٣) قوله : والبور الهلاك . أي هو مصدر .
- (٢٦٠/٥)

يوصف به الواحد والجمع: ويجوز أن يكون جمع بائر، كعائذ وعود.
فقد كذبوكم بما تقولون فما تستطيعون [\$u| ٥ ولا #]Rt ومن N=atf منكم ندقه
عذابا

[٢٧٧] اتزب

هذه (١) المفاجأة بالاحتجاج والإلزام حسنة رائعة، وخاصة إذا انضم إليها الالتفات وحذف القول ونحوها قوله تعالى: { يا أهل الكتاب قد جاءكم رسولنا يبين لكم على فترة من الرسل أن تقولوا ما جاءنا من بشير ولا نذير فقد جاءكم بشير ونذير } (المائدة: ١٩) وقول القائل (٢):

(١) قوله : هذه المفاجأة . أي في قوله : { فقد كذبوكم } كان حق الكلام أن يقال : إن قلمت أنهم آلهتنا ومعبودونا فقد كذبوكم أيها الكفار فترك الشرك وفوجئوا بالجزاء والالتفات في قوله : { فقد كذبوكم } لأنه انتقل إليه وهو خطاب من الغيبة في { عبادي } لأنه خطاب للعباد ، وقوله : { فقد جاءكم بشير ونذير } أي قولهم لهم لا تعتذروا بأن لم يأتكم رسل فقد جاءكم بشير ونذير .

(٢) قوله :

قالوا خراسان أقصى ما يراد بنا ... ثم القفول فقد جئنا خراسانا

معناه : قولوا لهم إن صح ما قلمت من أن خراسان أقصى ما يراد بنا فقد جئنا خراسان

وآن لنا أن نقفل ، فأين القفول ، فقد في البيت للمفاجأة كما في الآية ، والضمير في قالوا للجنود ، والالتفات في قوله : { إن قلمت } المقدر بعد قولوا لهم ، وكذا في قوله : { فقد جاءكم .. } الآية ؛ فإن فيه مفاجأة في فقد ، وقولا مقدرا ، هذه صورة ما كتبت في الحاشية الأولى .

وقال صاحب المطلع : حق الكلام أن يقال : إن قلمت أنهم معبودونا إلهنا فقد كذبوكم ، ونحوه قوله تعالى : { يا أهل الكتاب قد جاءكم رسولنا يبين لكم على فترة من الرسل أن تقولوا ما جاءنا من بشير ولا نذير فقد جاءكم بشير ونذير } أي لا تعتذروا بأن لم يأتكم رسول فقد جاءكم الآن رسول .

وقول القائل : قالوا خراسان .. البيت . أي فإن قالوا ذلك مقصدنا فقد جئناه فأين القفول . تم كلامه . الطيبي : قيل التقدير ذلك مقصدنا ثم القفول إلى مأمن كل أحد ، أي قال : (إن صدقتم قد جئناه فأين القفول ، أما حذف القول من الآية فلائ التقدير قال الله تعالى أو الملكة كنتم تقولون أنهم معبودنا وشفعاؤنا عند الله فقد كذبوكم بما يقولون ، والدليل على المقدر الأخير قوله { فما يستطيعون صرفا ولا نصرا } ، وأما المفاجأة فمن تعقب القصة بالفاء التي تستدعي ما يترتب عليه ، كأن السامع لم ينتظر

ما بعد الفاء بتقديم ما يترتب عليه ففوجئ به ، وهذا أسلوب رابع حسن ، وأما الالتفات
فمن قوله تعالى : { ويوم نحشرهم وما يعبدون من دون الله } إلى قوله : { فقد كذبوكم
{ كأنه قيل : أنتم المخصوصون أيها المكذبون بأن يفعل بكم ما تستحقونه من الفضيحة
والنكال ولا نمهلكم .

(٢٦١/٥)

قالوا خراسان أقصى ما يراد بنا ... ثم القبول فقد جئنا خراسانا

وقرىء: "يقولون" بالتاء والياء. فمعنى من قرأ بالتاء فقد كذبوكم بقولكم أنهم آلهة.
ومعنى من قرأ بالياء: فقد كذبوكم بقولهم: { سبحانك ما كان ينبغي لنا أن نتخذ من
دونك من أولياء } (الفرقان: ١٨). فإن قلت: هل يختلف حكم الباء مع التاء والياء؟

قلت: إي والله (١)، وهي مع التاء كقوله: { بل كذبوا بالحق } (ق: ٥) والجار والمجرور
بدل من الضمير، كأنه قيل: فقد كذبوا بما تقولون: وهي مع الياء كقولك: كتبت بالقلم.
وقرىء: "يستطيعون" بالتاء والياء أيضا. يعني: فما تستطيعون أنتم يا كفار صرف العذاب
عنكم. وقيل: الصرف: التوبة وقيل: الحيلة، من قولهم: إنه ليتصرف، أي: يحتال أو فما
يستطيع آلهتكم أن يصرفوا عنكم العذاب، أو أن يحتالوا لكم. الخطاب على العموم
للمكلفين (٢)،

(١) قوله : قلت : إي والله .. إلى آخره .أي حكم الباء في { بما يقولون } مع قراء
التاء الفوقانية حكم { كذبوا بالحق } في كون الباء صلة ، و { ما يقولون } مفعول به
، والبدل من بدل الاشتمال كأنه قيل : فقد كذبوا قولكم ، أو الذي يقولونه ، وحكم
الباء مع الياء التحتانية حكم (كتبت بالقلم) فالباء للآلة أي { كذبوكم } باستعانة
قولهم { سبحانك ما كان ينبغي لنا .. } الآية ، وقوله : (أو فما تستطيع آلهتكم) على
تقدير القراءة بالياء غيبة ، والوجه الذي قبله على تقدير القراءة بالياء خطابا .
(٢) قوله : الخطاب على العموم للمكلفين . يعني في قوله : { ومن يظلم منكم } بدلالة
من الشرطية لأنها موضوعة للعموم ، فكل من صدق عليه أنه يظلم دخل فيه فيدخل فيه
الفاسق ، والحق أن الخطاب مع الكفرة المعاندين المذكورين من أول السورة ولا سميا مع
سبق قوله : { فقد كذبوكم } وهذه الآية كالحاتمة لما تقدمها ، والله أعلم ..

(٢٦٢/٥)

والعذاب الكبير لاحق بكل من ظلم، والكافر ظالم: لقوله: { إن الشرك لظلم عظيم }
 (لقمان: ١٣) والفاسق ظالم. لقوله: { ومن لم يتب فأولئك هم الظالمون } (الحجرات:
 ١١). وقرىء: "يذقه" بالياء. وفيه ضمير الله، أو ضمير مصدر يظلم.
 وما %y7n=6s &sYù=y™'r\$ من ژü=y=د™چك#J9\$ إلا إنهم ليأكلون الطعام
 ويمشون في الأسواق
 sYù=yèy_ur\$ بعضكم لبعض فتنة ژcrمثةr&s?r% وكان y7/ژ'u# [تجاءt/ ائب
 الجملة بعد "إلا" صفة لموصوف محذوف. والمعنى: وما أرسلنا قبلك أحدا من المرسلين(١)

(١) قوله : وما أرسلنا قبلك أحدا من المرسلين إلا آكلين . قيل موضع آكلين موضع أنهم
 ليأكلون ، فيكون صفة لقوله أحدا المحذوف ، وقوله : { من المرسلين } أيضا صفة مبنية
 له ، ولهذا قال : وإنما حذف اكتفاء بالجار والمجرور ، ولو جعله حالا لكان له وجه ؛
 لأن ذا الحال موصوف .

قال أبو البقاء : كسرت إن لأجل اللام في الخبر ، وقيل : لو لم تكن اللام كسرت أيضا
 ، لأن الجملة حال ؛ إذ المعنى : إلا وهم يأكلون .
 (٢٦٣/٥)

إلا آكلين وماشين. وإنما حذف اكتفاء بالجار والمجرور. أعني من المرسلين ونحوه قوله
 عز من قائل: { وما منا إلا له مقام معلوم } (الصفات: ١٦٤) على معنى: وما منا أحد.
 وقرىء: "ويمشون" على البناء للمفعول، أي: تمشيهم حوائجهم أو الناس. ولو قرىء:
 "يمشون"، لكان أوجه(١) لولا الرواية. وقيل: هو احتجاج(٢)

(١) قوله : لكان أوجه . قال ابن جني : ولو كان يمشون بضم الشين لكانت أوفق لقوله
 تعالى : { يأكلون الطعام } لأن معناه يكثرون المشي ، يعني إنما حينئذ توافقه من حيث
 إسناد الفعل إليهم وإن أريد به التكثير مع عدم إرادته في يأكلون ، وقيل : إنما أوجه
 لموافقتهما للقراءة المتواترة في نسبة المشي إليه ، أو لأنهم عابوه في المشهورة
 بالمشي ، وفي هذه لو ثبتت بكثرتة ، وفي الشادة المروية عابوه بأن حوائجه تحمله على
 المشي فيختلف المعنى ، والله أعلم .

(٢) قوله : وقيل هو احتجاج عطف من حيث المعنى على قوله { وما أرسلنا قبلك أحدا من المرسلين } على أنه وجه آخر والظاهر أن الأول وارد على التسلية ، قيل : يؤيده عطف قوله وقيل : وهو تسلية له على قوله : (وهذا تصبير) فيكون التصبير متفرعا على الوجه الثاني ، والتسلية على القول الأول .

وقلت : إنما يتم هذا القول أن لو كان هذا إشارة إلى قوله : { وقالوا مال هذا الرسول

{ وليس كذلك ؛ بل هو إشارة إلى { وجعلنا بعضكم لبعض فتنة .. } الآية ، والضمير في هو عائد إليه .
(٢٦٤/٥)

على من قال : { ما لهذا الرسول يأكل الطعام ويمشي في الأسواق } (الفرقان: ٧) . { فتنة { أي محنة وابتلاء. وهذا تصبير لرسول الله على ما قالوه واستبدعوه، من أكله الطعام ومشيه في الأسواق بعد ما احتج عليهم بسائر الرسل، يقول: وجرت عادتي(١) وموجب حكمتي

على ابتلاء بعضكم أيها الناس ببعض. والمعنى: أنه أبتلى المرسلين بالمرسل إليهم، وبمناصبتهم لهم العداوة، وأقاويلهم الخارجة عن حد الإنصاف، وأنواع أذاهم، وطلب منهم الصبر الجميل، ونحوه { ولتسمعن من الذين أوتوا الكتاب من قبلكم ومن الذين أشركوا أذى كثيرا وإن تصبروا وتتقوا فإن ذلك من عزم الأمور } (آل عمران: ١٨٦) وموقع { أتصبرون } (٢) بعد ذكر الفتنة موقع { أيكم } بعد الابتلاء في قوله: { ليبلوكم أيكم أحسن عملا } (هود: ٢٧)، (الملك: ٢) { بصيرا }

(١) قوله : وجرت [٨٧] عادتي . فالواو لو قال : (وجرت سنتي) لكان أقرت إلى الأدب ؛ لأن العادة صفة نفسانية الراغب ، العادة اسم لتكرير الفعل أو الانفعال حتى يصير ذلك سهلا تعاطيه كالطبع ، ولذلك قيل : العادة طبيعة ثانية .

(٢) قوله : وموقع { أتصبرون } بعد ذلك الفتنة موقع { أيكم } بعد الابتلاء . قال بعضهم : أنه ليس بتعلق لسبق المفعول الأول ؛ ولكن جملة واقعة موقع المفعول الثاني ، وكذلك { أتصبرون } لانه قوله { لبعض } دال على أن التقدير : وجعلنا بعضكم فتنة بعضا بعد قوله : { فتنة } ، كما أنه لا بد من تقديره بعد قوله : { ليبلوكم } ليلتئم الكلام ويصح معناه ، فكما أن التقدير : ليبلوكم أيكم أحسن عملا ، كذلك التقدير :

جعلنا بعضكم لبعض فتنة لنعلم أتصبرون ، وفقد صرح المصنف بعد هذا لما يبنى عنه ، وهو قوله : وأنه جعل الأغنياء فتنة للفقير للنظر هل يصبرون .
(٢٦٥/٥)

عالما بالصواب فيما يتلي به وغيره فلا يضيقن صدرك، ولا يستخفنك أقاويلهم فإن في صبرك عليها سعادتك وفوزك في الدارين. وقيل: هو تسلية له عما عيروه به من الفقر، حين قالوا: أو يلقي إليه كنز، أو تكون له جنة، وأنه جعل الأغنياء فتنة للفقراء؛ لينظر: هل يصبرون؟ وأنها حكمته ومشيتته: يغني من يشاء ويفقر من يشاء. وقيل: جعلناك فتنة لهم(١)؛ لأنك لو كنت غنيا صاحب كنوز وجنان لكان ميلهم إليك وطاعتهم لك للدنيا، أو ممزوجة بالدنيا؛ فإنما بعثناك فقيرا ليكون طاعة من يطيعك خالصة لوجه الله من غير طمع دنيوي. وقيل: كان أبو جهل والوليد بن المغيرة والعاصي بن وائل ومن في طبقتهم يقولون: إن إسلمنا وقد أسلم قبلنا عمار وصهيب، وبلال وفلان وفلان ترفعوا علينا إدلالا بالسابقة، فهو افتتان بعضهم ببعض.

* وقال الذين لا يرجون لقاءنا لولا "حRé" علينا الملائكة أو "u/tR \$sYچ u"٣

لقد

(#r#مژ\$TMy93tG# في أنفسهم وعتوا عتوا # [زجخxv. اثب

(١) قوله : وقيل جعلناك فتنة لهم أي المشركين وهو عطف على قوله : إنه ابتلى المرسلين بالمرسل إليهم ، وقوله : (وقيل كان أبو جهل) عطف على لو كنت غنيا ، لأنه فتنة ، أعني سبق نحو عمار بالإسلام مع الفقر للمشركين .
(٢٦٦/٥)

أي لا يأملون لقاءنا بالخير لأنهم كفرة. أو لا يخافون لقاءنا الشر. والرجاء في لغة تهامة: الخوف، وبه فسر قوله تعالى: { لا ترجون لله وقارا } (نوح: ١٣) جعلت الصيرورة إلى دار جزائه بمنزلة لقائه لو كان ملقيا.. اقترحوا من الآيات أن ينزل الله عليهم الملائكة فتحبرهم بأن محمدا صادقا حتى يصدقوه. أو يروا الله جهرة فيأمرهم بتصديقه واتباعه. ولا يخلو: إما أن يكونوا عالمين بأن الله لا يرسل الملائكة إلى غير الأنبياء، وأن الله لا يصح أن يرى. وإنما علقوا عالمين بأن الله لا يكون. وإما أن لا يكونوا عالمين بذلك وإنما أرادوا التعتت باقتراح آيات سوى الآيات التي نزلت

وقامت بها الحجة عليهم، كما فعل قوم موسى حين قالوا: لن نؤمن لك حتى نرى الله جهرة. فإن قلت: ما معنى { في أنفسهم } ؟ قلت: معناه أنهم أضمرُوا الاستكبار عن الحق وهو الكفر والعناد في قلوبهم واعتقدوه. كما قال: { إن في صدورهم إلا كبر ما هم ببالغيه } (غافر: ٥٦). { وعتوا } وتجاوزوا الحد في الظلم. يقال: عتا علينا فلان. وقد وصف العتو بالكبير، فبالغ في إفراطه يعني أنهم لم يخسروا على هذا القول العظيم، إلا لأنهم بلغوا غاية الاستكبار وأقصى العتو، واللام جواب قسم محذوف. وهذه الجملة في حسن استئنافها غاية (١). وفي أسلوبها قول القائل (٢):

(١) قوله : وهذه الجملة في حسن استئنافها غاية . أي قوله : { لقد استكبروا في أنفسهم } جملة قسمية ينبغي أن يتلقى بها من يبالغ في الإنكار كأنهم لما قالوا : { لولا أنزل علينا الملكة أو نرى ربنا } حمل السامع على أن يقول ما أشد استكبارهم وما أكبر عتوهم لأنها اشتملت على أمر يقتضي التعجب منهم فلا يتمالك أن يبرك ذلك القول ، فوضع قوله لقد استكبروا في أنفسهم موضعه لأنه أبلغ من ذلك وأدل على ثبات الاستكبار .

(٢) قوله : قول القائل :

وجارة جساس أبأنا بنابها ... كليبا غلت ناب كليب بواؤها

هو جساس بن مرة الشيباني رئيس بكر بن وائل قاتل كليب ؛ وإنما قتله لأنه كان له جارة تسمى البسوس ، وكان لكليب حمى ، ومنه المثل عز من حمى كليب ، قد خلت ناقة البسوس حمى كليب فرماها فقتلها ، فشلت إلى جساس فقال : لأقتلن عدا فحلا أعظم من ناقتك ، فبلغ ذلك كليبا فظن أنه يريد فحله المسمى بعليان فقال : دون عليان خرط القتاد ، وإنما أراد جساس بالفحل كليبا ، ومعنى أتانا قاتلنا من البواو وهو التساوي في القصاص ، والناب الناقة المسنة ، والبوا في القصاص مهموز ، وفي قوله : علت باب كليب بواوها ، معنى التعجب أي ما أعلى بابا كليب كفوها كقوله تعالى : { كبر مقتا عند

الله } أما أكبره مقتا ، وفحوى الكلام معناه ولحنه وما يفهم منه .

(٢٦٧/٥)

وجارة جساس أبأنا بنابها ... كليبا غلت ناب كليب بواؤها

وفي فحوى هذا الفعل دليل على التعجب من غير لفظ التعجب. ألا ترى أن المعنى: ما أشد استكبارهم، وما أكبر عتوهم، وما أغلى نابا بواؤها كليب.

يوم tf÷ru ج الملائكة لا بشرى يومئذ Bstûi ج Jùkôf=J9 ويقولون

محبورا اثب mðfX#

{ يوم يرون } (١)

(١) قوله: { يوم يرون } منصوب بأحد شيئين الوجهان ذكرهما الزجاج ثم قال: لا يجوز أن ينصب يوم بقوله: { لا يستوي } لأن ما اتصل به ما ولا لا يعمل في ما قبله. وقلت: ما ذكر الزجاج مسلم فيما اتصل به لا ممنوع؛ لن المحققين من أئمة النحو ذكروا أن لا يحوم أن يعمل ما بعدها فيما قبلها وذلك لكثرة دورها في الكلام، ولذلك جاز أن يتخطاها العامل، وكذلك لم ولن فإنه يجوز أيضا أن يعمل ما بعدهما فيما قبلهما.

وقال صاحب الفرائد: يمكن أن تكون منصوبا بينزل المضمر لقولهم: (لولا أنزل عليه الملائكة) كأنه قبل: ينزل الملائكة يوم يرونهم، ويومئذ منصوب بقوله: لا بشرى، لا يقال: كيف سيكون وقت الرؤية وقتا للإتزال لأننا نقول: الظروف تحتمل ذلك لسعته، ولها قوله: (لا يشرى) يصح أن تكون عاملا، فلا وجه لجعل مدلوله عاملا، والمصادر غير المنصرفة هي التي لزم الت نصب ولم تجز على الإعراب التصرف الذي نعاه؛ لأن هذا تصرف في نفس البنية باعتبار الضم والكسر في أولها، والمنفي هو عدم جريانه على وجه الإعراب.

(٢٦٨/٥)

منصوب بأحد شيئين: إما بما دل عليه { لا بشرى } أي: يوم يرون الملائكة يمنعون البشرى أو يعدمونها. ويومئذ للتكرير وإما بإضمار "أذكر" أي: أذكر يوم يرون الملائكة ثم قال: { لا بشرى يومئذ للمجرمين } . وقوله: { حجرا محجورا } ذكره سيويه في باب المصادر غير المتصرفة المنصوبة بأفعال متروكة إظهارها نحو: معاذ الله، وقعدك الله،

وعمرك الله. وهذه كلمة كانوا يتكلمون بها عند لقاء عدو موتور أو هجوم نازلة، أو نحو ذلك. يضعونها موضع الاستعاذة. قال سيويه: ويقول الرجل للرجل: أتفعل كذا وكذا، فيقول: حجرا، وهي من حجره إذا منعه؛ لأن المستعبد طالب من الله أن يمنع المكروه فلا

يلحقه فكان المعنى: أسأل الله أن يمنع ذلك منعا ويحجره حجرا. ومجيئه على فعل أو فعل
في قراءة الحسن، تصرف فيه لاختصاصه بموضع واحد(١)، كما كان قعدك وعمرك كذلك،
وأنشدت
لبعض الرجاز(٢):

(١) قوله : لاختصاصه بموضع واحد أو لاختصاصه بموضع الاستعادة عند لقاء عدو أو هجوم
نازلة ، ومتى اختص بموضع واحد وتصرف فيه لم يلتبس أن المعنى واحد كما أن قعدك الله
، وعمرك الله لما اختصا بموضع واحد وهو قسم السؤال غالبا تصرف فيهما ، وأصلهما عند
سيبويه عمرتك الله تعميرا ، وقعدتك الله تقعيدا ، أي سألت الله أن يعمرك ويثبتك ،
فحذف الزوائد من المصدر وأقيم مقام الفعل مضافا إلى المفعول به الأولى ، ومعنى
عمرتك الله أعطيتك عمرا بأن سألت الله أن يعمرك ، فلما ظن عمر معنى السؤال تعدى إلى
المفعول الثاني ، أعني الله ، وكذا قعدتك الله وإن لم يستعمل أين جعلتك قاعدا
متمكنا بالسؤال من الله .
(٢) قوله :

قالت وفيها حيدة وذعر ... عوذ بربي منكم وحجر

الحيدة الميل ، والذعر الخوف ، أي قالت المرأة وفيها ميل وخوف : عوذ بربي منكم ،
وحجر أم عليكم أبداني ، ويحتمل أن يكون الضمير للإبل ، ومعنى ذيل ذایل هوان شديد .
(٢٦٩/٥)

قالت وفيها حيدة وذعر ... عوذ بربي منكم وحجر

فإن قلت: فإذا قد ثبت أنه من باب المصادر، فما معنى وصفه بمحجور؟ قلت: جاءت هذه
الصفة لتأكيد معنى الحجر، كما قالوا. ذيل ذائل، والذيل: الهوان. وموت مائت. والمعنى
في الآية: أنهم يطلبون نزول الملائكة ويقترحونه، وهم إذا رأوهم عند الموت أو يوم
القيامة كرهوا لقاءهم وفزعوا منهم، لأنهم لا يلقونهم إلا بما يكرهون، قالوا عند

رؤيتهم ما كانوا يقولونه عند لقاء العدو الموتور وشدة النازلة. وقيل: هو من قول
الملائكة(١) ومعناه: حراما محرما عليكم الغفران والجنة والبشرى، أي: جعل الله ذلك
حراما عليكم.

وقدمنا إلى ما عملوا من ٥@Jtçm "Yù=yèyfsù"هباء منشورا اثجب

(١) قوله : وقيل هو من قول الملكة فعلى هذا ، ويقولون حال من الملكة على تقدير وهم يقولون ، وعلى الأول عطف على يرون .
(٢٧٠/٥)

ليس ههنا قدوم (١) ولا ما يشبه القدوم، ولكن مثلا حال هؤلاء وأعمالهم التي عملوها في كفرهم من صلة رحم، وإغاثة ملهوف، وقرى ضيف، ومن على أسير، وغير ذلك من مكارمهم ومحاسنهم بحال قوم خالفوا سلطانهم واستعصوا عليه، فقدم إلى أشيائهم، وقصد إلى ما تحت أيديهم فأفسدها ومزقها كل ممزق، ولم يترك لها أثرا ولا عثيرا، والهباء: ما يخرج من الكوة مع ضوء الشمس شبيه الغبار.

(١) قوله : ليس هاهنا قدوم في لا ما شبه القدوم فإن قلت : في قوله ولا ما شبه القدوم بعد قوله ليس هاهنا قدوم إنما إلى أن قدمنا في الآية ليس حقيقة ولا استعارة لأن نفي التشبيه يستدعي ذلك ، فإن الاستعارة مجاز مسبوق بالتشبيه ، ثم أخذ في بيان طريق الاستعارة التي هي فرع التشبيه قائلا مثلت حال هؤلاء إلى قوله بحال قوم خالفوا سلطانهم فما معنى هذا الكلام؟ قلت : معنى قوله ولا ما شبه القدوم أنك لو جعلت هذا القدوم استعارة لم يجز أيضا أن تجريه على حقيقته فإنه في الممثل به أيضا مجاز ؛ لأن المراد مجرد القصد إلى إفساد ما يملكونه . ألا ترى كيف فسر قوله : فقد إلى أشيائهم ، وقصد إلى ما تحت أيديهم الأساس ، ومن المجاز إنك لقادم على عملك ، واستعمال قدم في الممثل به مستعار للقصد القوي والعزم المصمم حتى كأنه يصل بذلك العزم إلى مقصده كما يقدم المسافر إلى أعزة أهله ، وينصره في الآية قوله : { فجعلناه هباء منشورا }

أي أردت ذلك فجعلته كذلك ، ومعنى استعصوا تمردوا ، كأنهم سألوا من أنفسهم العصيان ، ومعنى أنه أشيائهم إلى دورهم وعقلوهم ، والعثير الغبار وهو بكسر العين والباء المثلثة والباء ، وفي بعض النسخ بفتح الغين والباء على مثال الغيب وهو الأثر ، يقال : ما أبقي لهم أثر ولا عثيرا ، وهو تأكيد للآية ، والمجموع عبارة عن الاستئصال .

(٢٧١/٥)

وفي أمثالهم: أقل من الهباء { منثورا } صفة للهباء، شبهه بالهباء في قلته وحقارته عنده، وأنه لا ينتفع به، ثم بالمنثور منه، لأنك تراه منتظما مع الضوء، فإذا حركته الريح رأيت أنه قد تناثر وذهب كل مذهب. ونحوه قوله: { كعصف مأكول } (الفيل: ٥) لم يكف (١) أن شبههم بالعصف حتى جعله مؤوفا بالأكال ولا أن شبه عملهم بالهباء حتى جعله متناثرا، أو مفعول ثالث لجعلناه (٢) جامعا لحقارة الهباء والتناثر، كقوله: { كونوا قردة خاسئين } (البقرة: ٦٥)، (الأعراف: ١٦٦) أي جامعين للمسوخ والخسء. ولام الهبار واو، بدليل الهبوة.

أصحاب الجنة يومئذ ضحج #vچyz -B,s)tg وأحسن مقيلا ائحب

(١) قوله : لم يكف أن شبه عملهم بالهباء حتى جعله متناثرا ، ومثل هذا الإرداف سمي في علم البديع بالتميم والإفعال . قالت الخنساء :
أغر أبلج يأتهم الهداة به ... كأنه علم في رأسه نار

ما كفاها أن جعلته علما في الهداية حتى جعلت في رأسه نارا ، والمروق المصاب بالآفة ، والأكل التآكل ، وقيل ما تأكل .
(٢) قوله : أو مفعول ثالث لجعلناه . يريد أن الضمير مفعوله الأول وهباء الثاني ، ومنثورا تكرير للثاني بمنزلة الخبر بعد الخبر نحو : هذا حلو حامض ، ولذلك شبهه بـ { قردة خاسئين } ولم يرد أن الفعل متعدد إلى ثلاثة مفاعيل ، وقيل : هو الأصل خبر ثالث ، فلذلك قال مفعول ثالث .
(٢٧٢/٥)

المستقر(١): المكان الذي يكونون فيه في أكثر أوقاتهم مستقرين يتجالسون ويتحدثون. والمقبل: المكان الذي يأوون إليه للاسترواح إلى أزواجهم والتمتع بمغازلتهم ملامستهم، كما أن المترفين في الدنيا يعيشون على ذلك الترتيب. وروي أنه يفرغ(٢) من الحساب في نصف ذلك اليوم، فيقبل أهل الجنة في الجنة وأهل النار في النار. وفي معناه(٣)

(١) قوله : المستقر المكان الذي يكونون فيه في أكثر أوقاتهم مستقرين يتجالسون ويتحدثون ؛ وإنما حمل مستقرا على هذا المعنى والجنة أبدا مستقرهم ومقامهم ليصبح

حمل مقبلا على معنى الخلوة ليجمع بين حالتي التعظيم والتترف ، ويكون من باب التكميل ، والمغازلة حديث الفتیان مع الجوّاري .

(٢) قوله : وروي أنه يفرغ من الحساب في نصف ذلك اليوم فيقبل أهل الجنة في الجنة ، فعلى هذا المستقر هو المقبل .

(٣) قوله : وفي معناه . أي في معنى { وأحسن مقبلا } إذا حمل على أنهم يأوون إلى المقبل للاسترواح إلى أزواجهم والتمتع بمغازلتهم يدل عليه قوله افتضاض الأبقار ، وقوله : ولا نوم في الجنة ... إلى آخره شروع في تأويل قوله : مقبلا بالاسترواح إلى الأزواج والتمتع بمغازلتهم ، بمعنى أنه أثبت لأهل الجنة مكان القيلولة ، ومعلوم أنه لا نوم في الجنة فلا قايله ، فإن المقبل عبارة عما يستلزمه من الاستراحة والدعة ؛ لأن المقبل مكان النوم في القايله والخلوة مع الأزواج ، والتقله معهن شبه مكان استرواح أهل الجنة في الجنة مع الحور العين بما يعورف في الدنيا من كان الاسترواح عند القيلولة فاستعير اسم المقبل له ، ووصف بالحسن إرادة لحسن ساكنيه على طريق الكناية كقوله : تبيت بمنحة من اللوم بيتها ، فعلى هذا ليس أحسن للتفضيل ، وقيل : بل هو للتفضيل أي مستقرهم خير من مستقر أهل النار على نحو العسل أحلى من الخل ، والتحاسين جمع تحسين وهو مصدر في الأصل ثم أوقع اسما لما يحسن به من الزخارف ، ونظيره التضاعيف والتصاريف لآتنا الشيء وصروف الزمان .

(٢٧٣/٥)

قوله تعالى: { إن أصحاب الجنة اليوم في شغل فاكهون هم وأزواجهم في ظلال على الأرائك

متكئون } (يس: ٥٥ - ٥٦) قيل في تفسير الشغل: افتضاض الأبقار، ولا نوم في الجنة. وإنما سمي مكان دعته واسترواحهم إلى الحور مقبلا على طريق التشبيه. وفي لفظ الأحسن: رمز إلى ما يتزين له مقيلهم. من حسن الوجوه وملاحة الصور، إلى غير ذلك من التحاسين والزين.

ويوم تشق السماء بالغمام الحRur"htA الملائكة تنزلا اثخب

(٢٧٤/٥)

وقرىء: { تشق { والأصل: تتشقق، فحذف بعضهم التاء، وغيره أدغمها. ولما كان انشقاق السماء بسبب طلوع الغمام منها، جعل الغمام كأنه الذي تشقق به السماء(١)، كما تقول: شق السنام بالشفرة وانشق بها. ونظيره قوله تعالى: { السماء منفطر به { (المزمل:

(١٨). فإن قلت: أي فرق بين قولك: انشقت الأرض بالنبات، وانشقت عن النبات؟ قلت: معنى

انشقت به: أن الله شقها بطلوعه فانشقت به. ومعنى: انشقت عنه: أن التربة ارتفعت عنه عند طلوعه. والمعنى: أن السماء تنفتح بغمام يخرج منها، وفي الغمام الملائكة ينزلون وفي أيديهم صحائف أعمال العباد، وروي: تنشق سماء سماء، وتنزل الملائكة إلى الأرض. وقيل: هو غمام أبيض رقيق، مثل الضباب، ولم يكن إلا لبني إسرائيل في تيههم. وفي معناه قوله تعالى: { هل ينظرون إلا أن يأتيهم الله في ظلل من الغمام والملائكة } (البقرة: ٢١٠). وقرئ: ونزل الملائكة، وتنزل الملائكة، ونزل الملائكة، وأنزل الملائكة، ونزل الملائكة، ونزل الملائكة، ونزل الملائكة: على حذف النون الذي هو فاء الفعل من نزل: قراءة أهل مكة.

الملك يومئذ الحق للرحمن وكان يوما على fz حجد $s39\$\#$ [ثجا، تم ائدب الحق: الثابت؛ لأن كل ملك يزول يومئذ ويبطل، ولا يبقى إلا ملكه.

(١) قوله: كأنه الذي تشقق به السماء. قال أبو علي: قيل معناه يشقق السماء بسبب الغمام، ولما كان طلوعه شيئا لتسققها جعل الغمام كأنه شققها. وقيل: معناه يشقق السماء عليها غمام كما يقال: ركب [٨٩] الأمير بسلاحه وخرج بثيابه، أي وعليه ثيابه وسلاحه، ونظيره قوله: { السماء منفطر به } قيل: الباء في { به } مثلها في قولك: فطرت العود بالقدوم، فانفطر به يعني إنما ينفطر بشدة ذلك اليوم، فالضمير يعود إلى اليوم، والضباب - بفتح الصاد - سحابة تغطي الأرض كال دخان، والجمع الضباب. (٢٧٥/٥)

ويوم يعرض الظالم على يديه يقول سة $tf=tFn$ اتخذت مع الرسول سبيلا (٢٧) يا ويلتى سة $tFs9$ لم أتخذ $Wx\cup R,\$$ yz (28=د $x\grave{e}\grave{u}$) لقد سة $=|$ ت $\&r$ عن حج $\#\$!\%e\grave{2}$ بعد إذ

'Tud\$!_ وكان الشيطان للإنسان خذولا اثرب

عض اليدين والأنامل، والسقوط في اليد، وأكل البنان، وحرق الأسنان والأرم(١)، وقرعها: كنايةات عن الغيظ والحسرة، لأنها من روادفها، فيذكر الرادفة ويدل بها على المردوف، فيرتفع الكلام به في طبقة الفصاحة، ويجد السامع عنده في نفسه من الروعة والاستحسان، ما لا يجده عند لفظ المكنى عنه. وقيل: (٧٧٢) نزلت في عقبة بن أبي معيط

بن أمية بن عبد شمس، وكان يكثر مجالسة رسول الله . وقيل: اتخذ ضيافة فدعا إليها رسول الله ، فأبى أن يأكل من طعامه حتى ينطق بالشهادتين. ففعل وكان أبي بن خلف صديقه فعاتبه وقال: صبأت يا عقبة؟ قال: لا، ولكن آلى أن لا يأكل من طعامي وهو في بيتي، فاستحييت منه فشهدت له والشهادة ليست في نفسي، فقال: وجهي من وجهك حرام إن

لقيت محمدا فلم تطأ قفاه وتبزق في وجهه وتلطم عينه، فوجده ساجدا في دار الندوة ففعل ذلك. فقال النبي : "لا ألقاك خارجا من مكة إلا علوت رأسك بالسيف"، فقتل يوم بدر: أمر عليا رضي الله عنه بقتله. وقيل: قتله عاصم بن ثابت بن أفلح الأنصاري وقال: يا محمد، إلى من الصبية(٢) قال: إلى النار.

(١) قوله : والأرم بالراء والزاي الأضراس ، وكأنه جمع أرم يقال فلان يخرق عليك الأرم إذا تغيظ فحك بعض أضراسه ببعض ، وأقلح صح بالقاف والحاء المهملة وهو الذي بأسنانه صفرة أو خضرة .

(٢) قوله : إلى من ومعناه إلى من تكلمهم وتفوض أمرهم ، ومدارى جمع مارى وهو

القرن ، وربما يصلح به الماشطة قرون والنساء ، ومعنى موسيا معزيا ، والانتصار الانتقام ، والمجلود والمعقول بمعنى الجلادة والعقل .
(٢٧٦/٥)

وطعن رسول الله أبيا بأحد، فرجع إلى مكة فمات. واللام في { الحق } يجوز أن تكون للعهد، يراد به عقبة خاصة. ويجوز أن تكون للجنس فيتناول عقبة وغيره. تمنى أن لو صحب الرسول وسلك معه طريقا واحدا وهو طريق الحق ولم يتشعب به طرق الضلالة والهوى. أو أراد أني كنت ضالا لم يكن لي سبيل قط، فليتني حصلت بنفسني في صحبة الرسول سبيلا، وقرئ: "يا ويلتي" بالياء، وهو الأصل؛ لأن الرجل ينادي ويلته وهي هلكته، ويقول لها: تعالي فهذا أوانك. وإنما قلبت الياء ألفا كما في صحارى، ومدارى. فلان: كناية عن الأعلام، كما أن الهن كناية عن الأجناس فإن أريد بالظالم عقبة، فالمعنى: ليتني لم أتخذ أبيا خليلا، فكنى عن اسمه. وإن أريد به الجنس، فكل من اتخذ من المضلين خليلا كان لخليله اسم علم لا محالة، فجعله كناية عنه { عن الذكر } عن ذكر الله، أو القرآن، أو موعظة الرسول. ويجوز أن يريد نطقه بشهادة الحق، وعزمه على الإسلام. والشيطان: إشارة إلى خليله، سماه شيطانا لأنه أضله كما يضل الشيطان، ثم خذله ولم

ينفعه في العاقبة، أو أراد إبليس، وأنه هو الذي حملته على مخالطة المضل ومخالفة الرسول، ثم خذله. أو أراد الجنس. وكل من تشيطن من الجن والإنس. ويحتمل أن يكون { وكان الشيطان { حكاية كلام الظالم، وأن يكون كلام الله. اتخذت: يقرأ على الإدغام والإظهار والإدغام أكثر.

وقال الرسول $u < b$ "ج" tf إن قومي اتخذوا هذا القرآن مهجورا اجبة
الرسول: محمد وقومه قريش، حكى الله عنه شكواه قومه إليه. وفي هذه الحكاية تعظيم للشكاية وتخويف لقومه؛ لأن الأنبياء كانوا إذا التجئوا إليه وشكوا إليه قومهم: حل بهم العذاب ولم ينظروا.

xx.ur٩dy7 جعلنا لكل نبي عدوا من Bdtüü حج#ôfكJ9\$ وكفى 7y7خn/نخج/
هاديا # [زچاء]tRur

اجتب

(٢٧٧/٥)

ثم أقبل عليه مسليا ومواسيا وواعدا النصره عليهم، فقال: { وكذلك { كان كل نبي قبلك مبتلى بعداوة قومه. وكفأك بي هاديا إلى طريق قهرهم والانتصار منهم. وناصر لك عليهم مهجورا: تركوه وصدوا عنه وعن الإيمان به. وعن النبي: (٧٧٣) "من تعلم القرآن وعلمه وعلق مصحفا لم يتعاهده ولم ينظر فيه، جاء يوم القيامة متعلقا به يقول: يا رب العالمين، عبدك هذا اتخذني مهجورا، اقضي بيني وبينه"، وقيل: هو من هجر، إذا هذي، أي: جعلوه مهجورا فيه. فحذف الجار وهو على وجهين، أحدهما: زعمهم أنه هذيان وباطل وأساطير الأولين. والثاني: أنهم كانوا إذا سمعوه هجروا فيه، كقوله تعالى: { لا تسمعوا لهذا القرآن والغوا فيه { (فصلت: ٢٦) ويجوز أن يكون المهجور بمعنى الهجر، كالمجلود والمعقول. والمعنى: اتخذوه هجرا والعدو: يجوز أن يكون واحدا وجمعا. كقوله: { فإنهم عدو لي { (الشعراء: ٧٧) وقيل المعنى: وقال الرسول يوم القيامة.

وقال الذين كفروا لولا $çR'h$ ح tA عليه القرآن Z's#÷H Zoyد %od n·ur
7y7دx٩ لنثبت به

فؤادك çm"u'ur"?uYù= ترتيبا (٣٢) ولا يأتونك بمثل إلا 7y7"Y÷sY"إـ بالحق

وأحسن

[زچاء، 33) (s? الذين ژ crمژ | t³ن† على وجوههم إلى جهنم أولئك شر مكانا وأضل

سبيلا

اجحب

}

(٢٧٨/٥)

نزل { ههنا بمعنى أنزل لا غير، كخبر بمعنى أخبر، وإلا كان متدافعا (١). وهذا أيضا من اعتراضاتهم واقتراحاتهم الدالة على شرادهم عن الحق وتجافيتهم عن اتباعه. قالوا: هلا أنزل عليه دفعة واحدة في وقت واحد كما أنزلت الكتب الثلاثة، وما له أنزل على التفريق. والقائلون: قريش. وقيل: اليهود. وهذا فضول من القول وممارسة بما لا طائل تحته؛ لأن أمر الإعجاز والاحتجاج به لا يختلف بنزوله جملة واحدة أو مفرقا. وقوله: { كذلك } جواب لهم، أي: كذلك أنزل مفرقا. والحكمة فيه: أن نقوي بتفريقه فؤادك حتى تعيه وتحفظه؛ لأن المتلقن إنما يقوى قبله على حفظ العلم شيئا بعد شيء، وجزأ عقيب

جزء. ولو ألقى عليه جملة واحدة لبعل به وتعبا بحفظه، والرسول فارقت حاله حال موسى وداود وعيسى عليهم السلام، حيث كان أميا لا يقرأ ولا يكتب وهم كانوا قارئين كاتبين، فلم يكن له بد من التلقن والتحفظ، فأنزل عليه منجما في عشرين سنة. وقيل: في ثلاث وعشرين. وأيضا (٢): فكان ينزل على حسب الحوادث وجوابات السائلين، ولأن بعضه منسوخ وبعضه ناسخ، ولا يتأتى ذلك إلا فيما أنزل مفرقا.

(١) قوله : وإلا كان متدافعا ، لأن نزل للتدرج ، وقوله جملة شافية ومعنى ليعل به ليعيا .

(٢) قوله : وأيضا كان ينزل عطف على قوله إن هوى بتفريقه من حيث المعنى ، ومعنى سرد الحديث تابعه واستعجل فيه .

(٢٧٩/٥)

فإن قلت: ذلك في كذلك يجب أن يكون إشارة إلى شيء تقدمه، والذي تقدم هو إنزاله جملة واحدة، فكيف فسرت به كذلك أنزلناه مفرقا؟ قلت: لأن قولهم: لولا أنزل عليه جملة: معناه: لم أنزل مفرقا؟ والدليل على فساد هذا الاعتراض: أنهم عجزوا عن أن يأتوا بنجم واحد من نجومه، وتحذوا بسورة واحدة أصغر السور، فأبرزوا صفحة عجزهم وسجلوا به على أنفسهم حين لا ذوا بالمناسبة وفرغوا إلى المحاربة، ثم قالوا: هلا نزل جملة واحدة، كأنهم قدروا على تفريقه حتى يقدروا على جملة { ورتلناه } معطوف على الفعل الذي تعلق به كذلك، كأنه قال: كذلك فرقناه ورتلناه. ومعنى ترتيبه: أن قدره آية بعد آية،

ووقفه عقيب وقفه، ويجوز أن يكون المعنى: وأمرنا بترتيل قراءته، وذلك قوله: { ورتل القرآن ترتيلاً } (المزمل: ٤) أي اقرأه بترسل وتثبت. ومنه حديث عائشة رضي الله عنها في صفة قراءته: (٧٧٤) "لا كسر دكم هذا، لو أراد السامع أن يعد حروفه يعدها" وأصله: الترتيل في الأسنان: وهو تفليجها. يقال: ثغر رتل ومرتل، ويشبه بنور الأقحوان في تفليجه. وقيل: هو أن نزله مع كونه متفرقا على تمكث وتمهل في مدة متباعدة وهي عشرون سنة. ولم يفرقه في مدة متقاربة { ولا يأتونك } بسؤال عجيب من سؤالاتهم الباطلة - كأنه مثل في البطالان - إلا أتيناك نحن بالجواب الحق الذي لا محيد عنه وبما هو أحسن معنى، ومأدى من سؤالهم. ولما كان التفسير (١)

(١) قوله: ولما كان التفسير هو الكشف عما يدل عليه الكلام وضع موضع معناه. يعني قوله تفسيرا في أحسن تفسيرا وضع موضع معنى، ومؤدى من سؤالهم فهو من وضع السبب موضع

المسبب؛ لأن الكشف سبب لظهور المعنى ففيه مبالغة مع إيجاز. قال صاحب الفرائد: ويمكن أن يقال: وأحسن معناه أنه في غاية الحسن وكماله ولا يقدر من سؤالهم، ومثله قولهم: الله أكبر، أي له الكبرياء كلها.

وأجيب: بأنه يفوت على هذا المعنى التسلية؛ لأن المعنى لا يهمنك ما اقترحوه من قولهم { لولا أنزل عليه القرآن جملة واحدة } فإن تنزيله مفرا أحسن مما اقترحوه لفوائد شتى، وعلى هذا جميع ما اقترحوه وهو المارد من قوله ولا يأتونك بحال وصفة عجيبة يقولون هلا كانت هذه صفتك إلا أعطيناك من الأحوال ما هو أحسن كشفا من ذلك. (٢٨٠/٥)

هو الكشف عما يدل عليه الكلام، وضع موضع معناه فقالوا: تفسير هذا الكلام كيت وكيت (١)، كما قيل: معناه كذا وكذا. أو لا يأتونك بحال وصفه عجيبة يقولون: هلا كانت هذه صفتك وحالك، نحو: أن يقرن بك ملك ينذر معك، أو يلقي إليك كنز، أو تكون لك جنة،

أو ينزل عليك القرآن جملة، إلا أعطيناك نحن من الأحوال ما يحق لك في حكمتنا ومشيتنا أن تعطاه، وما هو أحسن تكشيفا لما بعثت عليه ودلالة على صحته، يعني: أن تنزيله مفرا وتحديهم بأن يأتوا ببعض تلك التفاريق كما نزل شيء منها: أدخل في

الإعجاز وأنور للحجة من أن ينزل كله جملة ويقال لهم جيئوا بهذا الكتاب في فصاحته مع بعد ما بين طرفيه، كأنه قيل لهم: إن حاملكم على هذه السؤالات (٢) أنكم تضللون سبيله وتحتقرون مكانه ومنزلته، ولو نظرتهم بعين الإنصاف وأنتم من المسحوبين على وجوههم إلى جهنم، لعلمتم أن مكانكم شر من مكانه وسبيلكم أضل من سبيله.

(١) قوله : فقالوا تفسير هذا الكلام كيت وكيت . قال الحرير في (درة الغواص) : يقولون : فلان كيت وكيت ، فيوهمون فيه لأن العرب يقولون : كان من الأمر كيت وكيت ، وقال فلان ذيت وذيت ، فيجعلون كيت وكيت كناية عن الأفعال ، وذيت وذيت كناية عن المقال ، كما أنه يكون عن مقدار الشيء وعدته بكذا وكذا ، وقوله : (ولا يأتونك بحال) عطف على قوله : ولا يأتونك بسؤال عجيب ، ومعنى مع بعد ما بين طرفيه مع بعد ما بين ابتدائه وانتهائه وهو كناية عن طوله .

(٢) قوله : كأنه قيل لهم إن حاملكم على هذه السؤالات إشارة إلى أن المراد بقوله : { الذين يحشرون على وجوههم } القوم الذين أوردوا هذه الأسولة على سبيل النعت في قوله : { وقال الذين كفروا } وضع المظهر موضع المضمرة إشعاراً بتوهمهم وتحقير شأنهم ، قيل { الذين } منصوب على الذم ، أو مرفوع عليه ، أو مبتدأ خبره ، { أولئك شر مكانا } والمفضل عليه هو صلى الله عليه ، ومعنى { ينسلون } يسرعون . (٢٨١/٥)

وفي طريقته قوله: { هل أنبئكم بشر من ذلك مثوبة عند الله من لعنه الله وغضب عليه } الآية (المائدة: ٦٠). ويجوز أن يراد بالمكان: الشرف والمنزلة، وأن يراد الدار والمسكن، كقوله: { أي الفريقين خير مقاما وأحسن نديا } (مريم: ٧٣) ووصف السبيل بالضلال من الإسناد المجازي وعن النبي : (٧٧٥) "يحشر الناس يوم القيامة على ثلاث أثلاث: ثلث على الدواب وثلث على وجوههم، وثلث على أقدامهم ينسلون نسلا". ولقد sY÷ s?#u\$ سن موسى الكتاب sYù=yèy_ur\$ معه أخاه هارون X#جف-ur (35) \$sYù=à)sù

اذهبا إلى القوم الذين كذبوا بآياتنا فدمرناهم #]جد%Bô%؟ اجذب الوزارة: لا تنافي النبوة، فقد كان يبعث في الزمن الواحد أنبياء يؤمرون بأن يوازر بعضهم بعضا. والمعنى: فذهبا إليهم فكذبوهما فدمرناهم، كقوله: { اضرب بعصاك البحر

فانفلق { (الشعراء: ٦٣) أي فضرب فانفلق. أراد اختصار القصة فذكر حاشيتها أولها
 وآخرها، لأنهما المقصود بطولها أعني: إلزام الحجة ببعثة الرسل واستحقاق التدمير
 بتكذيبهم. وعن علي رضي الله عنه فدمرتهم. وعنه فدمراهم. وقرئ: "فدمرانهم" (١)، على
 التأكيد بالنون الثقيلة.
 وقوم نوح لما كذبوا الرسل كN &îrçsY%u"كN sYù=yèy_ur" للناس آية
 وأعتدنا
 طJüü="د=à©=د ٩ عذابا ألما اجذب

(١) قوله : وقرئ { فدمرناهم } . قال ابن جني : هي قراءة علي ومسلمة .
 فإن قيل : إن قوم موسى وهارون لم يكونوا مكذبين بالآيات حتى أمر بالذهاب إليهم فكيف
 وصفوا به ؟
 قلنا : المعنى اذهب بآياتنا إلى القوم الذين كذبوا بآياتنا المتقدمة مع الرسل
 الماضية ، ويجوز أن يكون من قبيل قوله تعالى : { إني أراني أعصر خمرا } ، ومن قبل
 قبيلا فله سلبه .
 (٢٨٢/٥)

كأنهم كذبوا نوحا ومن قبله من الرسل صريحا. أو كان تكذيبهم لواحد منهم تكذيب للجميع
 أو لم يروا بعثة الرسل (١) أصلا كالبراهمة (٢) { وجعلناهم { وجعلنا إغراقهم أو قصتهم
 { للظالمين { إما أن يعني بهم قوم نوح، وأصله: واعتدنا لهم، إلا أنه قصد تظليمهم
 فأظهر. وإما إن يتناولهم بعمومه.
 وعادا وثمود | ur&ut³/r"= الرس وقرونا بين 7y7٩ sCE"# [رچد38. (Vx. وكلا
 ضربنا له
 الأمثال وكلا R\$tr£s٩؟ # [رچخ٦÷Gs؟ اجزب

(١) قوله : أو لم يروا بعثة الرسل أصلا التعريف في قوله : { كذبوا الرسل } إما
 للعهد والمراد رسل مخصوصة فهو المراد من قوله : { كذبوا نوحا ومن قبله } ، وإما
 لاستغراق الجنس فهو المراد من قوله : تكذيبهم لواحد منهم تكذيب للجميع ، وذلك أن
 لكل فرد له تلك الحقيقة حكم الجميع ممن صرف واحد ألزمه تكذيب الجميع ؛ لأن وجه
 دلالة المعجزة على الصدق مشترك بينهم .
 (٢) قوله : كالبراهمة . قيل : هم قوم لا يجوزون بعثة الرسل ، والبراهمة إدامة النظر

وسكون الطرف . وقيل : هم طائفة من الهند منسوبون إلى رجل منهم يقال له برهام مهديهم النبوات . وقرر استحالة ذلك في المعقول ، ومعنى غير المطوية غير المبنية بالحجارة ونحوها .

(٢٨٣/٥)

عطف عاداً على { هم } في جعلناهم أو على الظالمين ، لأن المعنى : ووعدنا الظالمين . وقرئ : "وتمود" على تأويله القبلة . وأما المنصرف فعلى تأويل الحي أو لأنه اسم الأب الأكبر . قيل : في أصحاب الرس : كانوا قوماً من عبدة الأصنام أصحاب آبار ومواش ، فبعث الله إليهم شعبياً فدعاهم إلى الإسلام . فتمادوا في طغيانهم وفي إيذانه ، فبيناهم حول الرس وهو البئر غير المطوية . عن أبي عبيدة : انهارت بهم فخسف بهم وبديارهم . وقيل : الرس قرية بفلج اليمامة (١) ، قتلوا نبيهم فهلكوا ، وهم بقية تمود قوم صالح . وقيل : هم أصحاب النبي حنظلة بن صفوان ، كانوا مبتلين بالعنقاء وهي أعظم ما يكون من الطير ، سميت لطول عنقها ، وكانت تسكن جبلهم الذي يقال له فتح ، وهي تنقض على صبيانهم فتخطفهم ، إن أعوزها الصيد ، فدعا عليها حنظلة فأصابها الصاعقة ، ثم إنهم قتلوا حنظلة فأهلكوا ، وقيل : هم أصحاب الأخدود ، والرس : هو الأخدود ، وقيل : الرس بأنطاكية قتلوا فيها حبياً النجار . وقيل : كذبوا نبيهم ورسوه في بئر ، أي : دسوه فيها { بين ذلك } أي بين ذلك المذكور ، وقد يذكر الذاكر أشياء مختلفة ثم يشير إليها ذلك ، ويحسب الحاسب أعداداً متكاثرة ثم يقول : فذلك كيت وكيت على معنى : فذلك المحسوب أو المعدود { ضربنا له الأمثال } بينا له القصص العجيبة من قصص الأولين ، ووصفنا لهم ما أجروا إليه من تكذيب الأنبياء وجرى عليهم من عذاب الله وتدميره . والتبشير : التفتيت والتكسير . ومنه : التبر ، وهو كسار الذهب والفضة والزجاج .

(١) قوله : قرية بفلج اليمامة النهاية . فلح بفتحيتين قرية عظيمة ناحية اليمامة ، وموضع باليمن من مساكن عاد ، وبسكون اللام واد قريب من البصرة ، وحنظلة عطف بيان

للنبي ، وفتح صح بالتاء المثناة من فوق والخاء المعجمة وبالخاء غير [٩٠] المعجمة رواية ، وكذا بالجيم ، ذكر جميع ذلك صاحب الإيضاح في شرح المقامات . ومعنى ما أجروا إليه ما فعلوه .

(٢٨٤/٥)

و { وكلا } الأول منصوب بما دل عليه { ضربنا له الأمثال } وهو: أندرنا. أو: حذرنا.
والثاني: بتبرنا، لأنه فارغ له.

ولقد أتوا على القرية التي $\text{Nu} \& \text{Bé} \text{ج} \text{u} \text{Bs} \text{ت}$ السوء أفلم يكونوا

$\text{R} \div \text{ru} \text{ج} \text{tf}$ بل كانوا

لا يرجون نشورا احب

أراد بالقرية "سدوم" من قرى قوم لوط، وكانت خمسا: أهلك الله تعالى أربعاً بأهلها (١)
وبقيت واحدة. ومطر السوء: الحجارة، يعني أن قريشا مروا مرارا كثيرة في متاجرهم إلى
الشام على تلك القرية التي أهلكت بالحجارة من السماء { أفلم يكونوا } في مرار
مرورهم ينظرون إلى آثار عذاب الله ونكاله ويذكرون { بل كانوا } قوما كفرة بالبعث لا
يتوقعون { نشورا } وعاقبة، فوضع الرجاء موضع التوقع، لأنه إنما يتوقع العاقبة (٢)
ممن يؤمن فمن ثم لم ينظروا ولم يذكروا، ومروا بها كما مرت ركابهم. أو لا يأملون
نشورا كما يأمله المؤمنون لطمعهم في الوصول إلى ثواب أعمالهم، أو لا يخافون، على
اللغة التهامية.

وإذا رأوك إن يتخذونك إلا هزوا أهذا الذي بعث الله رسولا (٤١) إن كاد $\text{sY} \text{=إزم} \text{s9}$ عن

آلهتنا لولا أن $\text{R} \text{ت} \text{y9} \text{لها} \text{tbq} \text{ur} \text{TM} \text{qy} \text{ك} \text{tf} \text{÷} \text{Jn} \text{حين} \text{ru} \text{÷} \text{tb} \text{ج} \text{tf}$

العذاب من أضل

سبيلا احشب

}

(١) قوله : أهلك أربعاً بأهلها مع أهلها .

(٢) قوله : لأنه إنما يتوقع العاقبة من يؤمن . يريد أن حقيقة الرجاء انتظار الخير ،

ونشوز الكافرين ليس بخبر ، فلهذا حمل الرجاء على التوقع في قوله : ولا يأملون

الرجاء على حقيقته .

(٢٨٥/٥)

إن يتخذونك إلا هزوا أهذا الذي بعث الله رسولا { الأولى نافية، والثانية مخففة من

الثقيلة. واللام هي الفارقة بينهما. واتخذ هزوا: في معنى استهزأ به، والأصل: اتخذه

موضع هزؤ، أو مهزوءا به { أهذا } محكى بعد القول المضمّر. وهذا (١) استصغار، و { بعث

الله رسولا } وإخراجه في معرض التسليم والإقرار، وهم على غاية الجحود والإنكار

سخرية واستهزاء، ولو لم يستهزؤا لقالوا: أهذا الذي زعم أو ادعى أنه مبعوث من عند الله رسولا. وقولهم: { إن كاد ليضلنا } دليل على فرط مجاهدة رسول الله في دعوتهم، وبذله قصارى الوسع والطاقة في استعطافهم، مع عرض الآيات والمعجزات عليهم حتى شارفوا بزعمهم أن يتركوا دينهم إلى دين الإسلام، لولا فرط لجاحهم واستمسكهم بعبادة آلهم، و { لولا } (٢)

(١) قوله : وهذا استصغار مبتدأ وخبر .

(٢) قوله : ولولا في مثل هذا التوقع جاز من حيث المعنى لا من حيث الصيغة مجرى التقييد للحكم المطلق ويروى لا من حيث الصيغة بالياء التحتانية والعين المعجمة ، أراد بهذا أن قوله (إن كان ليضلنا) ليس بجواب لقوله : لولا ، لأن جواب الشرط من حيث صيغة النحو لا يتقدم عليه فالجواب على صيغة النحو محذوف لدلالة ما قبل الشرط عليه ، ولكن لما كان ما قبل الشرط في معنى الجواب ولا شك أن الجواب مقيد بالشرط فكذلك ما هو بمعناه ، ومثاله ما لو قلت : (آتيك غدا إن جاء زيد) تقييد لآتيك من حيث المعنى لا من حيث الصيغة ، وذلك لأنه ليس بجواب للشرط ، ولكنه لما كان بمعناه جعل حكمه في التقييد حكه ، وفي بعض الحواشي يعني أن صيغة النحو يقتضي أن يأتي بعد كلمات الشرط جملتان شرط وجزاء ، وقد يؤتى في بعض المواضع الذي يراد تقييد الجملة المتقدمة بشرط محذوف جوابه ، كقولك : (آتيك غدا إلى ، تركني فلان) فقولك إن تركني تقييد لا من حيث الصيغة ؛ لأن أن ليست موضوعة للتقييد . قال في أن كنتم جرحتم جهادا أنه متعلق بلا تتخذوا يعني لا تتولوا أعدائي إن كنتم أوليائي ، وقول النحويين في مثله هو شرط جوابه محذوف لدلالة ما قبله عليه ، وحكم لولا حكم كلمات الشرط في اقتضاء الجملتين وتقدير الربط بينهما .

(٢٨٦/٥)

في مثل هذا الكلام جار من حيث المعنى - لا من حيث الصنعة - مجرى التقييد للحكم المطلق { وسوف يعلمون } وعيد ودلالة على أنهم لا يفوتونه وإن طال مدة الإمهال، ولا بد للوعيد أن يلحقهم فلا يغرنهم التأخير. وقوله: { من أضل سبيلا } كالجواب عن قولهم { إن كاد ليضلنا } لأنه نسبة لرسول الله إلى الضلال من حيث لا يضل غيره إلا من هو ضال في نفسه. ويروي أنه من قول جهل لعنه الله.

أرأيت من اتخذ إلهه هواه أفأنت تكون عليه وكيلا احجب من كان في طاعة (١) الهوى في دينه يتبعه في كل ما يأتي ويذر لا يتبصر دليلا ولا يصغي

إلى برهان. فهو عابد هواه وجاعله آلهة، فيقول لرسوله هذا الذي لا يرى معبودا إلا هواه كيف تستطيع أن تدعوه إلى الهدى أفنتوكل عليه وتجبره على الإسلام وتقول لا بد أن تسلم شئت أو أبيت - ولا إكراه في الدين؟ وهذا كقوله: { وما أنت عليهم بجبار { (ق: ٤٥)، { لست عليهم بمسيطر { (الغاشية: ٢٢) ويروى أن الرجل منهم كن يعبد الحجر، فإذا رأى أحسن منه رمى به وأخذ آخر. ومنهم الحرث بن قيس السهمي. أم تحسب أن &nY2rژNèdu يسمعون أو يعقلون إن هم إلا كالأنعام بل هم أضل سبيلا اححب

(١) قوله : من كان في طاعة الهوى . من شرطية أو موصولة ، والخبر والجزاء قوله فهو عائد هواه ، وقوله فيقول مرتب عليهما .
(٢٨٧/٥)

أم هذه منقطعة، معناه: بل أتحسب كأن هذه المذمة أشد من التي تقدمتها حتى حقت بالإضراب عنها إليها وهي كونهم مسلوبى الأسماع والعقول، لأنهم لا يلقون إلى استماع الحق أذنا ولا إلى تدبره عقلا، ومشبهين بالأنعام التي هي مثل في الغفلة والضلال، ثم أرجح ضلالة منها. فإن قلت: لم آخر هواه والأصل قولك: اتخذ الهوى إلهها؟ قلت: ما هو إلا تقديم(١)

(١) قوله : ما هو إلا تقديم المفعول الثاني للعناية . الانتصاف : وفيه نكته أفاده الحصر ، فإن الجملة قبل دخول رأيت ، واتخذ مبتدأ ، وخبر المبتدأ إلهه ، والخبر هواه ،

وتقديم الخبر كما علمت تقييد الحصر وكأنه الثاني قال رأيت لم يتخذ معبوده إلا هواه ، وذلك أبلغ في ذمه وتوبيخه .
وقال صاحب الفرائد : تقديم المفعول الثاني يمكن حيث يمكن تقديم الخبر على المبتدأ ، والمعرفتان إذا وقعتا مبتدأ وخبرا فالمقدم مبتدأ ، فقوله كما نقول علمت منطلقا زيدا أليس بشديد ، ويمكن أن يقال المقدم هاهنا شعر بالشبات بخلاف المتأخر ، فتقديم إلهه يشعروا بأنه لا بد من إله فهو كقولك (اتخذ ابنه غلامه) فإنه يشعروا بأن له ابنا ولا يشعر بأن له غلاما ، فهذا فائدة تقديم إلهه على هواه .

وأجيب بأنه لا شك أن مرتبة المبتدأ التقدم ، وأن المعرفتين أنهما قدم فهو المبتدأ ، لكن صاحب المعاني لا يقطع نظره عن أصل المعنى فإذا قيل زيد الأسد فالإسد هو المشبه به أصالة ومرتبته التأخير عن المشبه بلا نزاع ، فإذا جعلته مبتدأ في قولك الأسد زيدا زلته عن مقره الأصلي للمبالغة ، ولا نعني بالمقدم إلا المزال عن مكانه لا القار فيه ، فالمشبه به هاهنا الإله والمشبه هو الهوى لأنهم نزلوا أهواهم في المبالغة منزلة الإله ، وإليه الإشارة بقوله اتخذ الهوى إلها ، فقدم المشبه _ به الأصلي وأوقعه مشبها ليؤذن بأن الهوى في باب استحقاق العبادة أقوى من الآلهة ونحوه إنما البيع مثل الربا ، وإنما قال المصنف ما هو إلا تقديم المفعول على الحصر لئلا يتوهم متوهم خلافه ، وأما الذي أورده صاحب الفرائد من المثل فمعنى اتخذ ابنه غلاما جعل ابنه كالغلام يخدمه في مهنة أهله ، ومعنى اتخذ غلامه ابنه جعل غلامه ابنا مكرما ، والعذب الروي - أي المروي - وهو من الإسناد المجازي ؛ لأن الروي في الحقيقة الريان وهو الرجل ، وهو فعيل بمعنى مفعول كالحكم بمعنى المحكم في أحد الأقوال الأساس ، ومن المجاز سحاب روي عظيم القدر ، وكأس روية سمي انبساط الظل وامتداده تحركا منه وعدم ذلك سكونا ، يعني أنه قابل { مد الظل } بقوله { ساكنا } ومقابل السكون الحركة ،

فيكون إطلاق مد الظل وبسطه على الحركة من باب تسمية الشيء باسم ملابسه أو شبيهه ؛ وإنما عدل عن حرك إلى مد مع أنه أظهر من مد في تناوله للانبساط والامتداد ليدمج معنى الانتفاع المقصود بالذات وهو معرفة أوقات ، فإن اعتبار الظل فيها بالامتداد ، وتم معنى الادماج بقوله [٩١] : { ثم قبضناه إلينا قبضا يسيرا } أي بالتدرج والتمهل لمعرفة الساعات والأوقات ، وفيه لمحة قوله تعالى : { يسألونك عن الأهلة قل هي مواقيت للناس } ، والضحي ضوء الشمس إذا استمكن في الأرض ، وقيل هو الشمس ، وقيل :

بياضها المنطبع منها .

(٢٨٨/٥)

المفعول الثاني على الأول للعناية، كما تقول: علمت منطلقا زيدا؛ لفضل عنايتك بالمنطلق. فإن قلت: ما معنى ذكر الأكثر؟ قلت: كان فيهم من لم يصده عن الإسلام إلا داء واحد: وهو حب الرئاسة، وكفى به داء عضالا. فإن قلت: كيف جعلوا أضل من الإنعام؟ قلت: لأن الأنعام تنقاد لأربابها التي تعلقها وتتعهدا، وتعرف من يحسن إليها ممن

يسيء إليها، وتطلب ما ينفعها وتجتنب ما يضرها "وتهتدي لمراعيها ومشاربها". وهؤلاء لا ينقادون لربهم، ولا يعرفون إحسانه إليهم من إساءة الشيطان الذي هو عدوهم، ولا يطلبون الثواب الذي هو أعظم المنافع، ولا يتقون العقاب الذي هو أشد المضار والمهالك، ولا يهتدون للحق الذي هو المشرع الهني والعذب الروي.

ألم uچ؟ إلى ربك كيف مد الظل ولو شاء لجعله ساكنا ثم جعلنا الشمس عليه دليلا (٤٥) ثم قبضناه إلينا قبضا # [زچا، o] احذب }

(٢٨٩/٥)

ألم تر إلى ربك { ألم تنظر إلى صنع ربك وقدرته، ومعنى مد الظل: أن جعله يمتد وينبسط فينتفع به الناس { ولو شاء لجعله ساكنا { أي لاصقا بأصل كل مظل من جبل وبناء وشجرة. غير منبسط فلم ينتفع به أحد: سمي انبساط الظل وامتداده تحركا منه وعدم ذلك سكونا، ومعنى كون الشمس دليلا: أن الناس يستدلون بالشمس وبأحوالها في مسيرها على أحوال

الظل، من كونه ثابتا في مكان زائلا، ومتسعا ومتقلصا، فينبون حاجتهم إلى الظل واستغناءهم عنه على حسب ذلك. وقبضه إليه: أنه ينسخه بضح الشمس { يسيرا { أي على مهل. وفي هذا القبض اليسير شيئا بعد شيء من المنافع ما لا يعد ولا يحصر، ولو قبض دفعة واحدة لتعطلت أكثر مرافق الناس بالظل والشمس جميعا. فإن قلت: ثم في هذين الموضوعين كيف موقعها؟ قلت: موقعها لبيان تفاضل الأمور الثلاثة: كان الثاني أعظم من الأول، والثالث أعظم منهما، تشبيها لتباعد ما بينهما في الفضل بتباعد ما بين الحوادث في الوقت. ووجه آخر (١): وهو أنه مد الظل حين بنى السماء كالقبة المضروبة، ودحا الأرض تحتها فألقت القبة ظلها على الأرض فينا ما في أديمه جوب لعدم النير، ولو شاء لجعله ساكنا مستقرا على تلك الحالة، ثم خلق الشمس وجعلها على ذلك الظل، أي: سلطها عليه ونصبها دليلا متبوعا له كما يتبع الدليل في الطريق، فهو يزيد بها وينقص، ويمتد ويتقلص، ثم نسخه بها فقبضه قبضا سهلا يسيرا غير عسير. ويحتمل أن يريد: قبضه عند قيام الساعة بقبض أسبابه وهي الأجرام التي تلقى الظل فيكون قد ذكر إعدامه بإعدام أسبابه، كما ذكر إنشاء بإنشاء أسبابه، وقوله: قبضناه إلينا: يدل عليه، وكذلك قوله يسيرا، كما قال: { ذلك حشر علينا يسير { (ق: ٤٤).

(١) قوله : ووجه آخر هذا الوجه مبني على أن ثم على حقيقتها وهي التراخي في الزمان

والظل الفتیان الظلیل وصرفه حيث جعله فتعالا من ألقين ، والجوب الفرح جمع جوبة وهي الفرحة .

(٢٩٠/٥)

وهو الذي جعل لكم الليل لباسا والنوم سباتا وجعل النهار نشورا احذب شبه ما يستر من ظلام الليل باللباس الساتر . والسبات: الموت . والمسبوت: الميت؛ لأنه مقطوع الحياة، وهذا كقوله: { وهو الذي يتوفاكم بالليل { (الأنعام: ٦٠). فإن قلت: هلا فسرتة (١) بالراحة؟ قلت: النشور في مقابلته يأباه إباء العيوف الورد وهو مرنق.

وهذه الآية مع دلالتها على قدرة الخالق فيها إظهار لنعمته على خلقه؛ لأن الاحتجاب بستر الليل، كم فيه لكثير من الناس من فوائد دينية ودينية، والنوم واليقظة (٢) وشبههما بالموت والحياة، أي عبرة فيها لمن اعتبر، وعن لقمان أنه قال لابنه: يا بني، كما تنام فتوقظ، كذلك تموت فتنشئ.

وهو الذي أرسل $ur\&Rr"uZ9u\$$ بشرًا بين يدي رحمته من السماء ماء طهورا
احرب

(١) قوله : هلا فسرتة بالراحة . يعني أن السيئات مشترك بين الراحة والموت فلم خصصه بالموت ، وأجاب : أن القائل هو القرنة المخصصة .

فإن قلت : إليها ونشوزا في مقابلة الليل لباسا وليس بقرينة للنوم سباتا . قلت : تكرير جعل يدل على أن النوم داخل في حكم جعل الأول ، وأن البشر في النهار يقابلهما لاشتماله على الظهور والبعث ، والناقة والعيوف التي تشم الماء ثم تدعه وهي عطشى ، والمرنق الشديد الكدورة .

(٢) قوله : والنوم واليقظة مبتدأ والخبر أي غيره على تأويل مقول عند ذكرهما أي غيره فيهما وشبههما بالرفع عطف تفسيري .

(٢٩١/٥)

قرىء: "الريح" و "الرياح نشرا": إحياء. ونشرا: جمع نشور، وهي المحيية. ونشرا: تخفيف نشر، وبشرا تخفيف بشر: جمع بشور وبشرى. و { بين يدي رحمته { استعارة مليحة (١)، أي:

قدام المطر { طهورا } بليغا في طهارته. وعن أحمد بن يحيى هو ما كان طاهرا في نفسه مطهرا لغيره، فإن كان ما قاله شرحا لبلاغته (٢)

(١) قوله : استعارة مليحة أي ترشيحية إذا قرئ بشرى بالباء شبه المطر بالرحمة ثم استعير له الرحمة ثم رسخت بقوله بين يدي رحمته قال تعالى : { ييشرهم ربهم برحمة منه } وجعلها بين يديه قيمة لها ؛ لأن البشير يتقدم المبشر به ، ويجوز أن تكون تمثيلية ، وبشرى من تنمة الاستعارة داخل في جملتها ، ومن قرأ بشرا كان تجريدا لها لأن النشر يناسب السحاب .

(٢) قوله : فإن كان ما قاله شرحا لبلاغته في الطهارة كان شديدا وإلا فليس فعول من

التفعيل في شيء ، وقيل : لما عدل عن طاهر إلى طهور ينبغي أن يكون طاهرا في نفسه مطهرا لغيره ؛ لأن عدول العرب من صيغة فاعل إلى صيغة فعول لا بد أن يكون لزيادة في المعنى ؛ لأن اختلاف الأبنية لاختلاف المعاني ، فكما لا يجوز التسوية بين صابر وصبور ، وشاكر وشكور ، كذلك في طاهر وطهور ، والشيء إذا كان طاهرا في نفسه لا يجوز أن يكون من جنسه ما هو أطهر منه حتى تصفه بطهور الزيادة طهارته ، وكذلك صابر وصبور ، وشاكر وشكور ؛ لأن هذه تحتمل الزيادة ، والطهارة ليس كذلك ، فإذا نقلنا طاهرا إلى طهور لم يكن إلا زيادة معنى التطهير لا من التعدي والملزم ، وقوله تعالى في وصف شراب أهل الجنة : { طهورا }

وقول جرير :

عذاب الثنايا ريقهن طهور

لا يرد نقضا لأن الله تعالى لما وصف الماء في الدنيا بالطهارة وجعله طهورا ، وهذا غاية ما يوصف به الماء وصف شراب أهل الجنة أيضا به ليعتقد فيه من الطهارة ما اعتقد في ما وصف به الماء وإن كان ذلك أرفع وأشرف ، وكذلك جرير وصف الريق بغاية وصف . وبئر بضاعة بئر معروفة بالمدينة ، والمحفوظ ضم الباء وأجاز بعضهم كسرهما ، وحكاها بعضهم بالضاد المميلة ، وعن بعضهم بضاعة اسم امرأة نسبت إليها البئر ..

(٢٩٢/٥)

في الطهارة كان سديدا. ويعضده قوله تعالى : { وينزل عليكم من السماء ماء ليطهركم به } (الأنفال: ١١) وإلا فليس "فعول" من التفعيل في شيء. والطهور على وجهين في

العربية: صفة، واسم غير صفة؛ فالصفة قولك: ماء طهور، كقولك: طاهر، والاسم قولك لما يتطهر به: طهور، كالوضوء والوقود، لما يتوضأ به وتوقد به النار. وقولهم: تطهرت طهوراً حسناً، كقولك: وضواً حسناً، ذكره سيبويه ومنه قوله: (٧٧٦) "لا صلاة إلا بطهور" أي: طهارة. فإن قلت: ما الذي يزيل عن الماء اسم الطهور؟ قلت: تيقن مخالطة النجاسة أو غلبتها على الظن، تغير أحد أوصافه الثلاثة أو لم يتغير. أو استعماله في البدن لأداء عبادة عند أبي حنيفة وعند مالك بن أنس رضي الله عنهما: ما لم يتغير أحد أوصافه فهو طهور. فإن قلت: فما تقول في قوله حين سئل عن بئر بضاعة فقال: (٧٧٧) "الماء طهور لا ينجسه شيء إلا ما غير لونه أو طعمه أو ريحه" (١)؟ قلت: قال الواقدي: كان بئر بضاعة طريقاً للماء إلى البساتين.

{ 'د؟سZد9j به بلدة ميتا ونسقيه مما !\$yzn=sY أنعاما وأناسي # [رُجِدْU ٢ احزب

(١) قوله: إلا ما غير لونه .. الحديث . قيل: لونه لم يرد في الحديث؛ بل الحديث هكذا: (الماء طهور إلا ما غير طعمه أو ريحه) لكن العلماء قاسوا اللون على الطعم والريح، ومعنى يربأوا بأنفسهم يرتفعوا، ومعنى أرادهم عليها حملهم عليها، والعلية جمع على أي تشريف رفيع مثل صبية في صبي، والمراد بالأعقاب البقايا، قيل: وفي قول المصنف: عليه الناس وجلهم ثم في وأعقابهم وهم كثيرة منهم لطيفة وهي أن المراد من أناسي كيرا أنهم كثيرا في أنفسهم وإن كان بقايا الناس أكثر . (٢٩٣/٥)

وإنما قال: { ميتا } لأن البلدة في معنى البلد في قوله: { فسقناه إلى بلد ميت } (فاطر: ٩)، وأنه غير جار على الفعل كفعول ومفعول ومفعيل. وقرئ: "نسقيه" بالفتح. وسقى، وأسقى: لغتان. وقيل: أسقاه: جعل له سقيا. الأناسي: جمع إنسي أو إنسان. ونحوه ظرابي في ظربان، على قلب النون ياء، والأصل: أناسين وظرابيين. وقرئ بالتخفيف بحذف ياء أفاعيل، كقولك: أناعم، في: أناعيم. فإن قلت: إنزال الماء موصوفا بالطهارة وتعليله بالإحياء والسقي يؤذن بأن الطهارة شرط في صحة ذلك، كما تقول: حملتي الأمير على فرس جواد لأصيد عليه الوحش. قلت: لما كان سقي الأناسي من جملة ما أنزل له الماء، وصفه بالطهور إكراما لهم، وتتميما للمنة عليهم، وبيانا أن من حقهم حين أراد الله لهم الطهارة وأرادهم أن يؤثرها في بواطنهم ثم في ظواهرهم، وأن يربئوا بأنفسهم

عن مخالطة القاذورات كلها كما ربا بهم ربهم. فإن قلت: لم خص الأنعام من بين ما خلق من الحيوان الشارب؟ قلت: لأن الطير والوحش تبعد في طلب الماء فلا يفوزها الشرب بخلاف الأنعام ولأنها قنية الأناسي، وعامة منافعهم متعلقة بها، فكان الإنعام عليهم بسقي أنعامهم كالإنعام بسقيهم. فإن قلت: فما معنى تنكير الأنعام والأناسي ووصفها بالكثرة؟ قلت: معنى ذلك أن عليّة الناس وجلهم منيخون بالقرب من الأودية والأنهار ومنايع الماء، ففيهم غنية عن سقي السماء وأعقابهم - وهم كثير منهم - لا يعيشهم إلا ما ينزل الله من رحمته وسقيا سمائه، وكذلك قوله: { لنحيي به بلدة ميتا } يريد بعض بلاد هؤلاء المتبعدين من مظان الماء.

(٢٩٤/٥)

فإن قلت: لم قدم إحياء الأرض وسقي الأنعام على سقي الأناسي؟ قلت: لأن حياة الأناسي بحياة أرضهم وحياة أنعامهم، فقدم ما هو سبب حياتهم وتعيشهم على سقيهم، ولأنهم إذا ظفروا (١) بما يكون سقيا أرضهم ومواشيهم، لم يعدموا سقياهم ولقد صرفناه بينهم (#rمج.ه. ٩دOu فأبى مژ&nY2r الناس إلا كفورا اختب

(١) قوله : ولأنهم إذا ظفروا جواب آخر ، فالجواب الأول مبني على تقدم الأسباب على المسببات ، والثاني على تقدم ما يشتد فيه الاحتياج إلى الماء وبكثرت الانتفاع فإن انتفاع الناس بحيوة الأرض واهتمامه بسقياها أشد من سقيا الأنعام ، ثم اهتمامه بسقيا الأنعام أقدم من سقيا نفسه ؛ لأنهم إذا ظفروا إنما يكون سقيا أرضهم ومواشيهم لم يعدموا سقياهم . والوابل المطر الشديد ، والطل المطر الضعيف ، والجود الغزير ، والرذاذ الضعيف ، والديمة المطر يدوم ثلاثة أيام وأكثرها ، والرهام جمع رهمة وهو المطر الضعيف الدائم .

(٢٩٥/٥)

أريد: ولقد صرفنا هذا القول بين الناس في القرآن وفي سائر الكتب والصحف التي أنزلت على الرسل عليهم السلام - وهو ذكر إنشاء السحاب وإنزال القطر - ليفكروا ويعتبروا، ويعرفوا حق النعمة فيه ويشكروا { فأبى } أكثرهم إلا كفران النعمة وجحودها وقلة الاكتراث لها. وقيل: صرفنا المطر بينهم في البلدان المختلفة والأوقات المتغايرة، وعلى الصفات متفاوتة من وابل وطل. وجود ورذاذ وديمة ورهام، فأبوا إلا

الكفور وأن يقولوا: مطرنا بنوء كذا، ولا يذكروا صنع الله ورحمته. وعن ابن عباس رضي الله عنهما: ما من عام أقل مطرا من عام، ولكن الله قسم ذلك بين عباده على ما شاء، وتلا هذه الآية. وروي أن الملائكة يعرفون عدد المطر ومقداره في كل عام، لأنه لا يختلف ولكن تختلف فيه البلاد. وينتزع من ههنا جواب في تنكير البلدة والأنعام والأناسي، كأنه قال: لنحيي به بعض البلاد الميتة، ونسقيه بعض الأنعام والأناسي، وذلك البعض كثير. فإن قلت: هل يكفر من ينسب الأمطار إلى الأنواء؟ قلت: إن كان لا يراها إلا من الأنواء ويجحد أن تكون هي والأنواء من خلق الله: فهو كافر. وإن كان يرى أن الله خالقها وقد نصب الأنواء دلائل وأمارات عليها: لم يكفر.

ولو ©sYO\$ في كل قرية X# 51 (R) فلا تطع الكافرين وجاهدهم به

جهادا # [ر]خ ٢٧ اخشب
(٢٩٦/٥)

يقول لرسوله { ولو شئنا { لخففنا عنك أعباء نذارة جميع القرى. و { لبعثنا في كل قرية { نبيا ينذرهما. وإنما قصرنا الأمر عليك وعظمتناك به، وأجللناك وفضلناك على سائر الرسل، فقابل ذلك بالتشدد والتصبر { فلا تطع الكافرين { فيما يريدونك عليه، وإنما أراد بهذا تهيجته وتهيج المؤمنين وتحريكهم. والضمير للقرآن أو لترك الطاعة (١) الذي يدل عليه: { فلا تطع { والمراد: أن الكفار يجدون ويجتهدون في توهين أمرك، فقابلهم من جدك واجتهادك وعضك على نواجذك (٢) بما تغلبهم به وتعلوهم، وجعله جهادا كبيرا لما يحتمل فيه من المشاق العظام. ويجوز أن يرجع الضمير في { به جهادا كبيرا { إلى ما دل عليه: { ولو شئنا لبعثنا في كل قرية نذيرا { من كونه نذير كافة القرى، لأنه لو بعث

في كل قرية نذيرا لوجب على كل نذير مجاهدة قريته، فاجتمعت على رسول الله تلك المجاهدات كلها، فكبر جهاده من أجل ذلك وعظم، فقال له: { وجاهدهم { بسبب كونك نذير

كافة القرى { جهادا كبيرا { جامعا لكل مجاهدة.

* وهو الذي tBçylu ١`fu#st79\$ هذا عذب ش N#uèù وهذا ملح أجاج وجعل بينهما برزخا

X# çmurôf محجورا اخجب

(١) قوله : [٩٢] والضمير للقرآن أو لترك الطاعة . أراد به الضمير المجرور في به من جهادهم به ؛ وإنما أجروا لا تطع على معنى قوله : { وجاهدكم به } وهو أعني لا تطع في التنزيل مقدم ؛ لأن قوله { فلا تطع } مرتب على ما سبق ، ولما لم يصح ترتيبه عليه ظاهرا انتزع من مفهوم السابق واللاحق وهو { ولو شئنا } { وجاهدكم } معنيين ، وجعلهما مترتين ، وعطف { ولا تطع } بالواو عليهما .

(٢) قوله : عضك على نواجذك . الأساس : ومن المجاز عض على ناجذه إذا بلغ أشده واستحكم ، وعض في العلم وغيره يناجذه إذا أتقنه ، وعن بعضهم : عض ناجذه على كذا أخذ فيه مستقرا وسعة ، والناجذ ضرس الحلم لأنه يثبت بعد البلوغ .

(٢٩٧/٥)

سمى الماءين الكثيرين الواسعين: بحرين، والفراة: البليغ العذوبة حتى يضرب إلى الحلاوة. والأجاج: نقيضه. ومرجعهما: خلاهما متجاورين متلاصقين، وهو بقدرته يفصل بينهما ويمنعهما التمازج. وهذا من عظيم اقتداره. وفي كلام بعضهم: وبحران: أحدهما مع الآخر ممزوج، وماء العذب منهما بالأجاج ممزوج { برزخا } حائلا من قدرته، كقوله تعالى: { بغير عمد ترونها } (الرعد: ٢)، (لقمان: ١٠) يريد بغير عمد مرئية، وهو قدرته. وقرئ: "ملح" على فعل. وقيل: كأنه حذف من مالح تخفيفا، كما قال: وصلينا بردا(١)،

(١) قوله :

أصبح قلبي صردا ... وصلينا بردا قبله
الإغراد غردا ... لا أشتهي إن أردا
وعنكنا ملتبدا

الغراد والعنكث والصليان بلايتها من نبات الأرض ، والصرد البارد ، والغرد الشديد

الصلب من كل شيء ، والملتبد المجتمع بعضه فوق بعض ، وأراد باردا وصاردا وعاردا ، قيل : زعمت العرب في تكاذيبها أن الضب خاطر الضفدع في الظمأ أيهما أصبر ، وكان الضب

ممسوح الذنب ، فخرجا في الكلا فصبر الضب يوما فبادا الضفدع : يا ضب وردا وردا . فقال الضب : أصبح قلبي صردا .. إلى آخره ، فلما كان في اليوم الثاني باداه الضفدع :

يا ضب وردا وردا . فقال الضب مثل مقالته في اليوم الأول ، فلما كان في اليوم الثالث
بادى الضفدع : يا ضب وردا وردا . فلم يجبه ؛ فبادر إلى الماء يتبعه الضب فأخذ ذنبه

(٢٩٨/٥)

يريد: باردا. فإن قلت: { وحجرا محجورا } ما معناه؟ قلت: هي الكلمة التي يقولها
المتعود؛ وقد فسرناها، وهي ههنا واقعة على سبيل المجاز، كأن كل واحد من البحرين
يتعود من صاحبه ويقول له: حجرا محجورا، كما قال { لا يغيان } (الرحمان: ٢٠) أي لا
يغي أحدهما على صاحبه بالمازجة، فانتفاء البغي ثمة كالتعود هاهنا: جعل (١) كل واحد
منهما في صورة الباغي على صاحبه، فهو يتعود منه. وهي من أحسن الاستعارات وأشدها
على البلاغة.

o03 | ژ]# yJ9\$#\$! دن B d` t,n=yz z # \$!©% " uqèdur
ur¹ôgجnS #X,yèyfsù \$Y7 | #s&¼
ج u' #X/ژtb% x.ur y7 %s%٥fد % احب

(١) قوله : جعل كل واحد شرع في بيان المجاز ، ولما كان هذا المجاز استعارة ،
والاستعارة مسبوقة بالتشبيه فاعل في صورة الباغي شبه البحران تطابقين متقابلين يريد
كل واحد منهما الباغي على صاحبها ، ثم إنهما امتنعا من ذلك لمانع قوي ودافع مجبر
فكما يقال ثمة لامتناع الاختلاط أنهما لا يغيان كذلك قيل هنا لا يغيان فهي
استعارة مصرحة تمثيلية ، ثم بولغ فيها هاهنا حيث جعل هذا المعنى المستعار كالملفوظ
والمقول كما قال : كل واحد من البحرين يتعود من صاحبه فانقلبت المصراحة مكنية ولا
ارتباب أن الاستعارة كلما كانت أبعد من التشبيه وأوغل في التخيل كانت أحسن ،

والمكنة أبعد من المصراحة ، وكما أن التشبيه مقدمة للمصراحة فالمصراحة مقدمة للمكنية
فإن تقول أولا المنية سيع ثم تدخل المشبه في جنس المشبه به في المصراحة ، فالمصراحة
مقدمة المشبه عين المشبه به في التخيل ثم يتخيل له لازمة قابلا أسباب المنية بشب
فلان كذلك هاهنا المبالغة جعلت كل واحد من البحرين بعد تشبيههما تطابقين متقابلين ،
وإدخال المشبه في جنس المشبه به إدخالا بليغا في صورة الباغي على صاحبه فهو يتعود
منه ، ولهذا قال : وهي من أحسن الاستعارات .

(٢٩٩/٥)

أراد: فقسم البشر قسمين ذوي نسب، أي: ذكورا ينسب إليهم، فيقال: فلان بن فلان وفلانة بنت فلانة، وذوات صهر: أي إناثا يصاهر بهن، ونحوه قوله تعالى: { فجعل منه الزوجين الذكر والأنثى } (القيامة: ٣٩). { وكان ربك قديرا } حيث خلق من النطفة الواحدة بشرا نوعين(١): ذكرا وأنثى.

wur ن Ztf ٤èxgmكw N ن tB\$ # \$! " crī Bd ` ç6÷èt fur%٥٥tb r
ù%٥s39\$#مجد tb%٥x.ur "oظطNèdo

٤'t'٤م ٣/4md'x'n/ 'n# [زجخgsك اخب

الظهير والمظاهر، كالعوين والمعاون. و "فعل" بمعنى مفاعل غير عزيز. والمعنى: أن الكافر يظاهر الشيطان على ربه بالعداوة والشرك. روي أنها أنزلت في أبي جهل، ويجوز أن يريد بالظهير: الجماعة، كقوله: { والملائكة بعد ذلك ظهير } (التحريم: ٤) كما جاء: الصديق والخليط(٢)،

(١) قوله : بشرا نوعين نوعين يدل من قوله بشرا لأنه جنس ، ولذلك أفرد الضمير في جعله .

(٢) قوله : كما جاء الصديق والخليط كما في قوله تعالى : { فما لنا من شافعين ولا صديق حميم } ، وفي قول الشاعر بأن :
الخليط شجرة فتبددا

وإنما جاز ذلك لأن الكل على زنة المصادر وهي نحو الوحيف والوجيب .
(٣٠٠/٥)

يريد بالكافر: الجنس، وأن بعضهم مظاهر لبعض على إطفاء نور دين الله. وقيل:
معناه(١): وكان الذي يفعل هذا الفعل - وهو عبادة ما لا ينفع ولا يضر - على ربه

هينا مهينا، من قولهم: ظهرت به، إذا خلفته خلف ظهرك لا تلتفت إليه، وهذا نحو قوله(٢): { أولئك لا خلاق لهم في الآخرة ولا يكلمهم الله ولا ينظر إليهم } (آل عمران: ٧٧).

tRurفج B #Xم؛e³u!# [ز]w &sYù=y™'r"tBur y7\$!
pmn=tد &r™"è% ! \$tB Nà6è=t@

(خ) (w & ô_rچ @ B d`ô
TMy٦n/u' Wxخms¼ اخذب

(١) قوله : وقيل معناه وإن كان الذي يفعل هذه الفعل عطف من حيث المعنى على قوله :
إن الكافر مظاهر للشيطان .

(٢) قوله : وهذا نحو قوله : { لا خلاق لهم } و { لا ينظر إليهم } . الطيبي : يعني
نحوه في إرادة المجاز عن عدم الالتفات دون الكناية ، وهو على مذهبه لأن نفي الرؤية
عمن تجوز عليه الرؤية كناية عن عدم المبالاة وعمن لا يجوز عليه مجاز ، فكذلك قوله :
{ وكان الكافر على ربه ظهيرا } إذا كان من قولهم ظهرت به إذا خلفته خلفته خلف ظهره
كان هاهنا مجاز عن عدم الالتفات لا كناية .

وقلت : كان على الطيبي أن يقول : لأن نفي النظر عمن لا يجوز عليه النظر حتى يصح
قوله : وهو مذهبه ويطابق لفظ الآية ، ، لأن المصنف لا يقول بأن الله تعالى لا يرى
عباده بل يقول بأنه يراهم وإن لم يروه ، لكنه لما فرق بين النظر والرؤية وقال : بأن
النظر عبارة عن تقلب الحدقة نحو المرئي طلبا لرؤيته قال بأن الله تعالى لا ينظر إلى
عباده بهذا المعنى لأنه محال ، والدليل على أن النظر غير الرؤية أنه يقال : نظرت
إلى الهلال فلم أره ، ونظرت إلى الهلال فرأيت .
(٣٠١/٥)

مثال { إلا من شاء الله } المراد: إلا فعل من شاء (١) واستثنائه عن الأجر قول ذي
شفقة عليك قد سعى لك في تحصيل مال: ما أطلب منك ثوبا على ما سعت إلا أن تحفظ
هذا

المال ولا تضيعه. فليس حفظك المال لنفسك من جنس الثواب، ولكن صورته هو بصورة
الثواب

وسماه باسمه، فأفاد فائدتين، إحداهما: قلع شبهة الطمع في الثواب من أصله، كأنه يقول

لك: إن كان حفظك لمالك ثوبا فإني أطلب الثواب، والثانية: إظهار الشفقة البالغة
وأنت إن حفظت مالك: اعتد بحفظك ثوبا ورضي به كما يرضى المثاب بالثواب. ولعمري إن
رسول الله كان مع المبعوث إليهم بهذا الصدد وفوقه. ومعنى اتخاذهم إلى الله سبيلا:
تقربهم إليه وطلبهم عنده الزلفى بالإيمان والطاعة. وقيل: المراد التقرب بالصدقة
والنفقة في سبيل الله.

Jtf كNqك w٥ # \$!©%د" # \$٩c'y|uqs?ur 'n?t٢@
/خmd³/₄ ur٢سx'٤ ٢؟ôJut%دند³/₄ m7yTMurخôx
ة<qçRنخ / دند³/₄ت6\$دم # [٢جخyz٧ اخرب

(١) قوله : مثال إلا من شاء إلى قوله : واستثنائه به من الآخر استثنى به مجرور بأنه عطف تفسيري على قوله { إلا من شاء } ، وقاعدة التوكل أساسه ، والتوكل إظهار العجز والاعتماد على الغير .

(٣٠٢/٥)

أمره بأن يثق به ويسند أمره إليه في استكفاء شرورهم، مع التمسك بقاعدة التوكل وأساس الالتجاء وهو طاعته وعبادته وتنزيهه وتحميده، وعرفه أن الحي(١) الذي لا يموت، حقيق بأن يتوكل عليه وحده ولا يتكل على غيره من الأحياء الذين يموتون. وعن بعض السلف أنه قرأها فقال: لا يصح لذي عقل أن يثق بعدها بمخلوق، ثم أراه أن ليس إليه(٢) من أمر عباده شيء. آمنوا أم كفروا، وأنه خير أحوالهم كاف في جزاء أعمالهم.

guZ÷ كF{ \$ #ur \$tBur \$yJ'ع9\$# u،،yJ"N"uqد t,n=yz # \$!©%د" #
OèOç &Q\$fro TMlpGد 'خ' /t
/خmd³/₄ sù،"t@ # \$٩چyJôm" ك yè9\$#م و،چ uqtGTM\$# 'n?t"٣
[٢جخyz٦ اخرب
}

(١) قوله : وعرفه أن الحي [٩٣] الذي لا يموت بالذكر ليكون تعريضا بأن غيره مما لا حياة له كالأصنام ، أو مما حياة لكنه يموت لا يصح أن يتوكل عليه ، لأن من يتوكل على موات أو على حي يموت ضاع وضل ، ويحتمل أن يقال : إن التركيب من باب ترتب الحكم على

الوصف المناسب وهو أن المتوكل إذا علم أن المتوكل عليه دائم باق يعتمد عليه بخلافه إذا لم يكن كذلك فإذن لا يصح التوكل إلا على الحي الذي لا يموت وهو الله تعالى ، فصح

الحصر .

(٢) قوله : ثم أره ثانيا أن ليس من أمر عبادة شيء يعني أنه أمر رسوله أولا بأن يفوض أمره إلى الحي الذي لا يموت ، ويستلقي به من شرور أعدائه ، ثم أعلمه ثانيا بأنه كاف

في دفع أعدائه يكافئهم على ما يحاولونه من العداوة ولا يعني أن الله كافي أمورك
وأمر أعدائك .
(٣٠٣/٥)

في ستة أيام { يعني في مدة: مقدارها هذه المدة، لأنه لم يكن حينئذ نهار ولا ليل،
وقيل: ستة أيام من أيام الآخرة، وكل يوم ألف سنة. والظاهر (١) أنها من أيام الدنيا.
وعن مجاهد: أولها يوم الأحد، وآخرها يوم الجمعة. ووجهه (٢) أن يسمي الله لملائكته
تلك الأيام المقدرة بهذه الأسماء فلما خلق الشمس وأدارها وترتب أمر العالم على ما
هو عليه، جرت التسمية على هذه الأيام. وأما الداعي إلى هذا العدد - أعني الستة
دون سائر الأعداد - فلا نشك أنه داعي حكمة؛ لعلنا أنه لا يقدر تقديرا إلا بداعي
حكمة، وإن كنا لا نطلع عليه ولا نهتدي إلى معرفته. ومن ذلك تقدير الملائكة الذين هم
أصحاب النار تسعة عشر، وحملة العرش ثمانية، والشهور اثني عشر، والسموات سبعا
والأرض كذلك، والصلوات خمسا، وأعداد النصب والحدود والكفارات وغير ذلك. والإقرار
بدواعي الحكمة في جميع أفعاله، وبأن ما قدره حق وصواب هو الإيمان.

(١) قوله : والظاهر أنهما من أيام الدنيا ، لأن ذلك أبين للقدرة ، وأقوى في معنى
المدح ، وأنسب للمقام الذي هو إظهار العظمة .
(٢) قوله : ووجهه . أي وجه قول مجاهد وذلك أن الأيام عبارة عن حركات الشمس في
السماء ، وقيل السماء لا أيام فلا يسمى بالأحد ولا بالجمعة لكن الله تعالى قدر
المدة ، قيل السموات ثم خلق السموات والشمس وأدارها عليها ورتب أمر العالم على ما
هو عليه في مقدار مدة ستة أيام من أيام الدنيا ، وسمى لملائكته الحاضرين بتلك الأيام
المقدرة بالأحد والاثنين والجمعة . والنصب جمع نصاب وهو القدر الذي يجب فيه الزكاة
، ومعنى اجتمع حلقها : تكامل .
)

(٣٠٤/٥)

وقد نص عليه في قوله: { وما جعلنا أصحاب النار إلا ملائكة وما جعلنا عدتهم إلا فتنة
للذين كفروا ليستيقن الذين أوتوا الكتاب ويزداد الذين آمنوا إيمانا ولا يرتاب الذين
أوتوا الكتاب والمؤمنون وليقول الذين في قلوبهم مرض والكافرون ماذا أراد الله بهذا

مثلا { (المدثر: ٣١) ثم قال: { وما يعلم جنود ربك إلا هو } (المدثر: ٣١) وهو الجواب أيضا في أن لم يخلقها في لحظة، وهو قادر على ذلك. وعن سعيد بن جبير رضي الله عنهما. إنما خلقها في ستة أيام وهو يقدر على أن يخلقها في لحظة، تعليما لخلقه الرفق والتثبت. وقيل: اجتمع خلقها يوم الجمعة فجعله الله عيدا للمسلمين. الذي خلق مبتدأ. و { الرحمن } خبره. أو صفة للحي، (٣٠٥/٥)

والرحمان: خبر مبتدأ محذوف. أو بدل عن المستتر في استوى. وقرئ: "الرحمان" بالجر صفة للحي. وقرئ: "فسل" والباء في به صلة سل، كقوله تعالى: { سأل سائل بعداب واقع { (المعارج: ١) كما تكون عن صلته (١) في نحو قوله: { ثم لتسألن يومئذ عن النعيم { (التكاثر: ٨) فسأل به؛ كقوله: اهتم به، واعتني به، واشتغل به. وسأل عنه كقولك بحث عنه؛ فتش عنه، ونقر عنه. أو صلة خبيرا: وتجعل خبيرا (٢)

(١) قوله: كما يكون من صلته في نحو قوله: { لتسألن يومئذ عن النعيم { قيل: الكاف في محل النصب على مصدر ما دل عليه قوله والباء في به صلة سل كأنه قيل يجوز أن تكون الباء صلة سل جواز أمثل جواز كون عن صلته وما في كما يكون مصدرية، والكاف بمعنى مثل، والمضاف محذوف، قيل: وإنما لم يقدر كونا مثل كون عن صلته لأن الناصبة لا تنصب المصدر، ولما سأل تعدى يعن والباء ذكر وجه كل واحد من الاستعمالين فسأل به جواب شرط محذوف أي إذا كان كذلك فسأل به كذا، وسأل عنه وجهه كذا.

(٢) قوله: ويجعل خبيرا مفعول سل. اعلم أن المصنف لما ذكر وجهين في به شرع في بيان

نصب خبيرا فهو عطف على قوله: والباء في به.. إلى آخره. وذكر النصب وجهين؛ الأول: أن يكون مفعول سل.. والثاني: أن يكون حالا، ولما ذكر الوجه الأول من وجهي خبيرا بين المعنى على الوجهين المذكورين أولا للباء في به، فقوله: فسل عنه هذا على تقدير كون الباء صلة سل، فوضع عنه موضع به ليتبين المعنى، وقوله: (رجلا عارفا) تفسير { خبيرا }، وقوله: (يخبرك برحمته) إشارة إلى الحذف في الكلام، وليس قوله: (يخبرك) معنى قوله: { خبيرا } فإن الفاعل لا يكون بمعنى الفعل، وقوله: أو فسل رجلا هذا على تقدير أن يكون به صلة { خبيرا } فلذلك لم يذكر صلة سل وأخر به عن خبيرا، وقوله: (أو فسل بسؤاله) هذا أيضا على تقدير تعلق الباء بقوله: (سل) وإنما أخر هذا الوجه لأن هذا التعليق ليس مثل التعليق المتقدم لأنه ليس صلته مثل قولك سأل

عنه بل فيه معنى السببية ، فتأمل . ولما ذكر الوجه الأول من وجهي خبيرا وبين المعنى فيه ذكر الوجه الثاني من وجهي خبيرا وبين المعنى فيه ذكر الوجه الثاني من وجهي خبيرا وهو قوله : أو يجعله حالا وهو عطف على قوله ويجعل خبيرا مفعول سل ، وعلى قوله : أو فسل بسؤاله خبيرا يكون به صلة سل ، والضمير في به من إضافة المصدر إلى المفعول تقديره : فسل بسؤاله ، وقيل : أو فسل بسؤاله خبيرا عطف على قوله : فسل عنه ، وفي الكلام لف ونشر من غير ترتيب ، فالمثالان الأولان نشر لقوله : أو صلة خبيرا ، وبقية الأمثلة نشر لقوله : صلة سل ، ولا يستقيم على هذا أن يتعلق التاء بخبيرا لأنه على منوال رأيت به أسدا وهو من باب التجريد إذ التقدير : فسل بسؤال الله خبيرا ، وأراد بالخبير نفسه عز وجل .

(٣٠٦/٥)

مفعول سل، يريد: فسل عنه رجلا عارفا يخبرك برحمته، أو فسل رجلا خبيرا به وبرحمته. أو: فسل بسؤاله خبيرا؛ كقولك: رأيت به أسدا، أي برؤيته، والمعنى: إن سألته وجدته خبيرا. أو تجعله حالا عن الهاء، تريد: فسل عنه عالما بكل شيء. وقيل: الرحمان(١) اسم من أسماء الله مذكور في الكتب المتقدمة، ولم يكونوا يعرفونه: فقل: فسل بهذا الاسم من يخبرك من أهل الكتاب، حتى يعرف من ينكره. ومن ثمة كانوا يقولون: ما نعرف الرحمان إلا الذي باليمامة، يعنون مسيلمة. وكان يقال له: رحمان اليمامة.

(١) قوله : وقيل الرحمن اسم من أسماء الله تعالى عطف على قوله : فسل بسؤاله ، لأنه مثله في تعلق الجار بالفعل ، وخبيرا مفعول سل ، وخبيرا على الوجهين الأولين يجوز أن يراد به كل من هو متصف بصفة الخبرة ، ولهذا قال : تارة رجلا عارفا ، وأخرى رجلا خبيرا ، والضمير في به للرحمن على تقدير مضاف ، وعلى الثالث والرابع الضمير لله تعالى ، والخبير هو الله تعالى ، وعلى الوجه الأخير المراد بالخبير عبد الله بن سلام ، والضمير راجع إلى لفظ الرحمن ، والوجه أن يحمل قوله تعالى : { فسل به خبيرا } على معنى التجريد ، وأن يكون الضمير لله تعالى ليكون كالتميم لمعنى العلم الذي يعطيه قوله تعالى : { خلق السموات والأرض } إلى قوله : { الرحمن } كما أن قوله : { وكفى به بذنوب عباده خبيرا } تميم لمعنى قوله [٩٤] : { وتوكل على الحي الذي لا يموت } ، وقيل : { الرحمن } عطف على قوله : { يريدوا } إنما غير العبادة هاهنا ولم يذكر هذا الوجه معطوفا باء ، وعلى الوجه المذكور في تفسير : { فسل به خبيرا } لأنها

طريقة أخرى في التفسير فكان المعنى على هذا : فسأل عن لفظ الرحمن ، وأنه هل يطلق على الله أم لا ، وذلك لأن المشركين كانوا ينكرونه .
(٣٠٧/٥)

#CE#(خ ur @ثد% مNك#r9gsك%كع\$TM\$`q÷H÷u=د9
#q#9\$Bur\$%sك`q÷H÷u\$9\$
ك%àSr& \$yJ\$د9R\$متجمNèdy'qà#ثBù's? Y-ur #R (ç
ادتب

{ وما الرحمن { يجوز أن يكون سؤالاً عن المسمى به؛ لأنهم ما كانوا يعرفونه بهذا

الاسم والسؤال عن المجهول بـ "ما". ويجوز أن يكون سؤالاً عن معناه، لأنه لم يكن مستعملاً في كلامهم كما استعمل الرحيم والرحوم والراحم. أو لأنهم أنكروا إطلاقه على الله تعالى { لما تأمرنا { (١) أي للذي تأمرنا، بمعنى تأمرنا سجوده؛ على قوله: أمرتك الخير. أو لأمرك لنا. وقرىء بالياء، كأن بعضهم قال لبعض: أنسجد لما يأمرنا محمد ، أو يأمرنا المسمى بالرحمان ولا نعرف ما هو. وفي { زادهم { ضمير { اسجدوا للرحمن { لأنه هو المقول.

\$t6s'x8u"؟ "%©!\$#@_yè'خ û دن!\$،yJ،r [%9\$#مچ/ç
@ur_yèy`u\$%ؤا
#ur%Jsy]B- Y ادتب

البروج: منازل الكواكب السبعة السيارة: الحمل، والثور، والجوزاء، والسرطان، والأسد، والسنبلة، والميزان، والعقرب، والقوس، والجدي، والدلو، والحوت: وسميت بالبروج التي هي القصور العالية؛ لأنها لهذه الكواكب كالمنازل لسكانها. واشتقاق البرج من التبرج؛ لظهوره. والسراج: الشمس كقوله تعالى: { وجعل الشمس سراجا { (نوح: ١٦) وقرىء: "سرجا"

وهي الشمس والكواكب الكبار معها. وقرأ الحسن والأعمش: "وقمرا منيرا" وهي جمع ليلة قمراء، كأنه قال: وذا قمر منيرا؛ لأن الليالي تكون قمرا بالقمر، فأضافه إليها. ونظيره - في بقاء حكم المضاف بعد سقوطه وقيام المضاف إليه مقامه - قول حسان (٢):

(١) قوله : لما تأمرنا أي للذي تأمرنا . قال أبو البقاء : ما إما موصولة ، أو نكرة موصوفة ، أي لما تأمرنا بالسجود له ثم بسجوده ثم تأمرنا ، ثم تأمرنا ، هذا قوله أبي

الحسن . وعلى قوله سيبويه حذف ذلك كله من غير تدريج .
(٢) قوله : يردي بصفق بالرحيق السلسل . أوله : يسقون من ورد البريص عليهم . وقد
تقدم الكلام فيه .
(٣٠٨/٥)

بردى يصفق بالرحيق السلسل
يريد: ماء بردى، ولا يبعد أن يكون القمر بمعنى القمر؛ كالرشد والرشد، والعرب
والعرب.
u'\$yg`Y9\$#ur # \$٩©ث@٥ _yèy@٥ # \$!©%د" uqèdur
Otf٢چu &br &u'r#ثج9 ydù=½z ô`yJ٤Zpx

÷&rr#ثy &u'r#Y'qà6# ن© ادثب(١)

(١) قوله : لمن أراد أن يذكر الآية . قال المصنف : إن قلت لم جيء بأو دون الواو ؟
قلت : لأنك تتفكر فيهما أو مؤمن يشكر لمن آمن به .
(٣٠٩/٥)

الخلفة من خلف، كالركبة من ركب. وهي الحالة التي يخلف عليها الليل والنهار(١) كل
واحد منهما الآخر. والمعنى: جعلهما ذوي خلف، أي: ذوي عقب، أي: يعقب هذا ذاك وذاك
هذا. ويقال: الليل والنهار يختلفان، كما يقال: يعتقبان. ومنه قوله: { واختلاف الليل
والنهار } (البقرة: ١٦٤)، (آل عمران: ١٩٠)، (الجاثية: ٥) ويقال: بفلان خلفه
واختلاف. إذا اختلف كثيرا إلى متبرزه. وقرئ: "يذكر" و "يذكر". وعن أبي بن كعب رضي
الله عنه: يتذكر. والمعنى لينظر في اختلافهما الناظر، فيعلم أن لا بد لانتقالهما من
حال إلى حال، وتغيرهما من ناقل مغير.

(١) قوله : وهي الحالة التي يخلف عليها الليل والنهار كل واحد منهما الآخر . يرد أن
خلفه مفرد لفظا ومتعدد معنى . قال أبو البقاء : خلفه مفعول بأن ، أو حال وأفرد لأن
المعنى يخلف أحدهما الآخر فلا يتحقق هذا إلا منهما ، والعقبه - بالضم - النوبة .
(٣١٠/٥)

ويستدل بذلك على عظم قدرته، ويشكر الشاكر (١) على النعمة فيهما من السكون بالليل والتصرف بالنهار، كما قال عز وعلا: { ومن رحمته جعل لكم الليل والنهار لتسكنوا فيه ولتبتغوا من فضله } (القصص: ٧٣) أو ليكونا وقتين للمتذكرين والشاكرين، من فاته في أحدهما ورده من العبادة قام به في الآخر. وعن الحسن رضي الله عنه: من فاته عمله من التذكر والشكر بالنهار كان له في الليل مستعقب. ومن فاته بالليل: كان له في النهار مستعقب.

(١) قوله : وقيل قوله : ويشكر الشاكر على النعمة فيهما عطف على قوله : لينظر في اختلافهما الناظر وفيه إشارة إلى أن قوله : لمن أراد أن يذكر ، وقوله : أو أرد شكورا نشر لمعنى اللف في قوله : { وهو الذي جعل الليل والنهار خلفه } فإن مجرد

الانتقال والتغيير يدل على بأقل ومغير عظيم القدرة ، وكون ذلك الانتقال مؤديا إلى النفع العظيم يدل على منعم واسع النعمة وهما يوجبان المعرفة والعبادة وأوفى قوله ، أو أراد شكورا للتخيير كما في قوله تعالى : { أو كصيب من السماء } على ما مر ، أو للجمع كما في قوله : { عذرا أو نذرا } ، ومن ثم أتى المصنف بالواو في الموضعين أي في لينظر ويشكر ، وفي المتذكرين والشاكرين ، ثم في قوله : لمن أراد أن يذكر أو أراد شكورا تعريض بأن الذين قالوا : { وما الرحمن أنسجد لما تأمرنا } أبو التفكير في آيات الله جحودا وعنادا ، وامتنعوا عن شكر الآية عتوا واستكبارا ، وتصريح بأن الذين وصفوا بعبادة الرحمن على خلاف ذلك ولذلك قال : { الذين يمشون على الأرض هونا } وقال

: { الذي يبيتون لربهم سجدا وقياما } ليقابل قولهم : { أنسجد } ، وقوله : { وزادهم نفورا } ، وقوله : أو ليكون وقتين عطف من حيث المعنى على جملة قوله : لننظر في اختلافهما ، والمستغيث المتدارك ، وقيل : الاستعتاب طلب الاعتبار بمعنى الرضى ومنه لا يعد الموت من مستعجب أي ليس بعده استرضاء .

(۳۱۱/۵)

F{\$# 'ع tbqà±ôJtf 'n?t #!©%دؤ # \$٩ج uH÷q" ` urدم7\$كٹ
ur(خ \$ZRqyd #sœ

نمكgt6س%غ {رَّc=q"9\$# \$VJ\$%s"y™n ادج
 {وعباد الرحمن { مبتدأ خبره في آخر السورة، كأنه قيل: وعباد الرحمن الذين هذه

صفتهم أولئك يجزون الغرفة. ويجوز أن يكون خبره { الذين يمشون } وأضافهم (١) إلى الرحمان تخصيصا وتفضيلا. وقرىء: "وعباد الرحمان" وقرىء: "يمشون" { هونا } حال، أو صفة للمشي، بمعنى: هينين. أو: مشيا هينا؛ إلا أن في وضع المصدر (٢) موضع الصفة مبالغة. والهون: الرفق واللين. ومنه الحديث: (٧٧٨) "أحب حبيك هونا ما" وقوله:

(١) قوله : وأضافهم إلى الرحمن تخصيصا فيكون تعريضا بالذين قالوا : { وما الرحمن } فعلى هذا المختار أن يكون { وعباد الرحمن } مبتدأ { والذين يمشون } وما عطف عليه خبر التقابل الاستنكار والامتناع .

(٢) قوله : إلا أن في وضع المصدر موضع الصفة المبالغة فيه أيما إلى أن جعله حالا أوقع من جعله وصف ؛ لأن المبالغة في الحال راجعة إلى ذواتهم ، وفي الوصف إلى حالهم ؛ لأن : أحبت حبيبك هونا ما . تمامه : عسى أن يكون بغضك يوما ما ، وأبغض بغضك هونا ما . عسى أن يكون حبيبك يوما ما ، أي لا يفرط في حبه وبغضه ، وارفق في كل ذلك مذكور في أخبار الشهار والصغائي قال أنه من الموضوعات .

(٣١٢/٥)

(٨٧٩) "المؤمنون هينون لينون" والمثل: إذا عز أخوك فهن(١). ومعناه: إذا عاصر فياسر. والمعنى: أنهم يمشون بسكينة ووقار وتواضع، لا يضربون بأقدامهم ولا يخفقون بنعالهم أشرا وبطرا، ولذلك كره بعض العلماء الركوب في الأسواق، ولقوله: { ويمشون في الأسواق (الفرقان: ٢٠) }. { سلاما { تسلما منكم لانجاهلكم(٢)، ومتاركة لا خير بيننا ولا شر، أي: نتسلم منكم تسلما، فأقيم السلام مقام التسلم. وقيل: قالوا: سدادا من القول(٣) يسلمون فيه من الإيذاء، والإثم. والمراد بالجهل: السفه وقلة الأدب وسوء الرعة، من قوله:

ألا يجهلن أحد علينا ... فنجهل فوق جهل الجاهلينا

وعن أبي العالية: نسختها آية القتال، ولا حاجة إلى ذلك، لأن الإغضاء عن السفهاء وترك المقابلة مستحسن في الأدب والمروءة والشريعة، وأسلم للعرض والورع.

TMٲY%ٲOf# ٲچدن/ٲخgخtf OٲخcqçGٲ ur#s!©%ٲz`f
ادحب urٲ%ٲٲu"VJ\$

(١) قوله : إذا عز أخوك فهن . قال أبو عبيدة : معناه إذا عاسرك فياسره ، وقال
المفضل المثل الهذيل بن هبيرة التغلبي وكان أغار على بني صبة فغنم فأقبل بالغنائم
فقال له أصحابه : أقسمها بيننا . فقال : إني أخاف أن تشاغلتم بالأقسام أن يدرككم
الطلب ، فأبوا ، فقال : إذا عز أخوك فهن .

(٢) قوله : تسلمنا منكم لا نجاهلكم . وروي عن الزجاج وأبي علي : نتسلم منكم تسلمنا ،
أي لا نجاهلكم ولا نلتبس بشيء من أمركم وهو الجهل . وقلت : وهذا معنى قول المصنف :

ومتاركة لا خير بيننا ولا شر .

(٣) قوله : وقيل قالوا سدادا من القول وهو قول مقابل أي قالوا قولاً يسلمون فيه من
الإثم . قال المصنف - رحمه الله - : هذا التفسير ليس بسديد ؛ لأن المراد هاهنا أنهم
يقولون هذه اللفظة لا أنهم يقولون قولاً سلاماً بدليل قوله تعالى : { لنا أعمالنا
ولكم أعمالكم سلام عليكم لا نبتغي الجاهلين } والدعة والورع يقال : فلان سيئ الدعة
أي قليل الورع .

(٣١٣/٥)

البيتوتة: خلاف الظلول، وهو أن يدركك الليل، نمت أو لم تنم، وقالوا: من قرأ شيئاً من
القرآن في صلاته وإن قل فقد بات ساجداً وقائماً. وقيل: هما الركعتان بعد المغرب
والركعتان بعد العشاء، والظاهر أنه وصف لهما بإحياء الليل أو بأكثره. يقال: فلان يظل
صائماً ويبيت قائماً.

٢٠١٠ ©!#tbq\$ur %٩Z\$tf (qà/ô' \$u\$هز# \$Yt`\$ #<#xtم
c_ygy_èLتخ) \$xt/#gtym
\$B#u. %x\$tb١x ادخب \$Rgyخ) Nuô!\$v# yTMجy (s)مB
\$s\$YBمBur ادب
{ غراما { هلاكا وخسرانا ملحا لازما قال:

ويوم النصار ويوم الجفا ... ركانا عذابا وكانا غراما

وقال:

إن يعاقب يكن غراما وإن يع ... ط جزيلا فإنه لا يبالي

ومنه: الغريم: لإلحاحه ولزامه. وصفهم بإحياء الليل ساجدين وقائمين، ثم عقبة بذكر دعوتهم هذه، إيذانا بأنهم مع اجتهدهم خائفون مبتهلون إلى الله في صرف العذاب عنهم، كقوله تعالى: { والذين يؤتون ما آتوا وقلوبهم وجلة } (المؤمنون: ٦٠). { ساءت } في حكم "بئست"، وفيها ضمير مبهم يفسره مستقرا، والمخصوص بالذم محذوف، معناه: ساءت مستقرا ومقاما هي. وهذا الضمير هو الذي ربط الجملة باسم إن وجعلها خبرا لها. ويجوز أن يكون { ساءت } بمعنى: أحزنت. وفيها ضمير اسم إن. و { مستقرا } حال أو تمييز، والتعليان يصح أن يكونا متداخلين ومترادفين، وأن يكونا من كلام الله وحكاية لقولهم.

٢٥١٤/٥
 ur !#sCE#\$!©%٢tûi (#qèù &Rr٢qà)x#)حج،Ns9 "ç،Ns9ur
 /üt÷ ur٢٢%I)tf tbمزن(#r
 %sCE \$YB#uqs٢٩dy7اذب
 (٣١٤/٥)

قرىء: "يقتروا" بكسر التاء وضمها. و "يقتروا"، بتخفيف التاء وتشديدها. والقتار والإقتار والتقير: التضيق الذي هو نقيض الإسراف. والإسراف: مجاوزة الحد في النفقة. ووصفهم بالقصد الذي هو بين الغلو والتقصير. وبمثله أمر رسول الله { ولا تجعل يدك مغلولة إلى عنقك ولا تبسطها كل البسط } (الإسراء: ٢٩) وقيل: الإسراف إنما هو الإنفاق في المعاصي، فأما في القرب فلا إسراف. وسمع رجل رجلا يقول: لا خير في الإسراف. فقال: لا إسراف في الخير، وعن عمر بن عبد العزيز رضي الله عنه أنه شكر عبد الملك بن مروان حين زوجه ابنته وأحسن إليه، فقال: وصلت الرحم وفعلت وصنعت، وجاء بكلام حسن، فقال ابن لعبد الملك: إنما هو كلام أعده لهذا المقام، فسكت عبد الملك فلما كان بعد أيام دخل عليه والابن حاضر، فسأله عن نفقته وأحواله فقال: الحسنة بين السيتين، فعرف عبد الملك أنه أراد ما في هذه الآية فقال لابنه: يا بني، أهذا مما أعده؟ وقيل: أولئك أصحاب محمد، كانوا لا يأكلون طعاما للتنعم واللذة، ولا يلبسون ثوبا للجمال والزينة، ولكن كانوا يأكلون ما يسد جوعتهم ويعينهم على عبادة ربهم، ويلبسون ما يستر عوراتهم ويكنهم من الحر والقر، وقال عمر رضي الله عنه: كفى سرفا أن لا يشتهي رجل شيئا إلا اشتراه فأكله. والقوام: العدل بين الشيتين لاستقامة الطرفين واعتدالهما. ونظير القوام من الاستقامة: السواء من الاستواء. وقرىء: "قواما" بالكسر، وهو ما يقام به الشيء. يقال: أنت قوامنا، بمعنى ما تقام به الحاجة لا يفضل

وهو من جهة الإعراب لا بأس به، ولكن المعنى ليس بقوي: لأن ما بين الإسراف والتقتير
قوام لا محالة، فليس في الخبر الذي هو معتمد الفائدة فائدة

٥٢٤

وقيل هو الإثم. ومعناه: يلق جزاء أثام. وقرأ ابن مسعود رضي الله عنه: "أياما"، أي

شدائد. يقال: يوم ذو أيام: لليوم العصيب. { يضاعف { بدل من يلق؛ لأنهما في معنى واحد. كقوله:

متى تأتينا تلمم بنا في ديارنا ... تجد حطبا جزلا ونارا تأججا
(٣١٦/٥)

وقرىء: "يضعف"، و "نضعف له العذاب"، بالنون ونصب العذاب. وقرىء بالرفع على

الاستئناف أو على الحال، وكذلك { يخلد { وقرىء: "ويخلد"، على البناء للمفعول مخففا
ومثقلا، من الإخلاء والتخليد. وقرىء: "وتخلد"، بالتاء على الالتفات { يبدل { مخفف
ومثقل، وكذلك سيئاتهم. فإن قلت: ما معنى مضاعفة العذاب وإبدال السيئات حسنات؟ قلت:
إذا ارتكب المشرك معاصي مع الشرك عذب على الشرك وعلى المعاصي جميعا، فتضاعف
العقوبة

لمضاعفة المعاقب عليه. وإبدال السيئات حسنات: أنه يمحوها بالتوبة، ويثبت مكانها
الحسنات: الإيمان، والطاعة، والتقوى. وقيل: يبدلهم بالشرك إيمانا. ويقتل المسلمين:
قتل المشركين، وبالزنا: عفة وإحصانا.

غ sù*خ çm R¼ ¹ | " =ur \$[sJtd@ئ ؟s\$<tBur z`
اذتب tGtB\$/\ \$ # \$!"

يريد: ومن يترك المعاصي ويندم عليها ويدخل في العمل الصالح فإنه بذلك تائب إلى الله
{ متابا { مرضيا عنده مكفرا للخطايا محصلا للثواب. أو فإنه تائب متابا إلى الله
الذي يعرف حق التائبين ويفعل بهم ما يستوجبون، والذي يحب التوابين ويحب المتطهرين.
وفي كلام بعض العرب: لله أفرح بتوبة العبد من المضل الواجد، والظمان الوارد،
والعقيم الولد. أو: فإنه يرجع إلى الله وإلى ثوابه مرجعا حسنا وأي مرجع.
ثؤد%©%ur# \$!w crؤك%±ôygr"-u'r #sCE#(خr#ur "gD
ب\$9=q-خ/ر#"uB\$Dسچا۲

اذتب

(٣١٧/٥)

يحتمل أنهم ينفرون عن محاضر الكذابين ومجالس الخطائين فلا يحضرونها ولا يقربونها،
تنزهها عن مخالطة الشر وأهله، وصيانة لدينهم عما يثلمه: لأن مشاهد الباطل شركة فيه،

ولذلك قيل في النظارة إلى كل ما لم تسوغه الشريعة: هم شركاء فاعليه في الإثم؛ لأن حضورهم ونظرهم دليل الرضا به، وسبب وجوده، والزيادة فيه؛ لأن الذي سلط على فعله هو استحسان النظارة ورغبتهم في النظر إليه، وفي مواعظ عيسى بن مريم عليه السلام: إياكم ومجالسه الخطائين. ويحتمل أنهم لا يشهدون شهادة الزور، فحذف المضاف وأقيم المضاف

إليه مقامه. وعن قتادة: مجالس الباطل. وعن ابن الحنفية: اللهو والغناء. وعن مجاهد: أعياد المشركين. اللغو: كل ما ينبغي أن يلغى ويطرح. والمعنى: وإذا مروا بأهل اللغو والمشتغلين به. مروا معرضين عنهم، مكرمين أنفسهم عن التوقف عليهم والخوض معهم، كقوله تعالى: { وإذا سمعوا اللغو أعرضوا عنه وقالوا لنا أعمالنا ولكم أعمالكم سلام عليكم لا نبتغي الجاهلين } (القصص: ٥٥) وعن الحسن رضي الله عنه: لم تسفههم المعاصي.

وقيل: إذا سمعوا من الكفار الشتم والأذى أعرضوا وصفحوا. وقيل: إذا ذكروا النكاح كنوا عنه.

٢١٨/٥
ur #sCE#%!©%٢d٢ (مجا#r#e2èCEtf\$Mد٢خ / O خgخ n/u' Os9
#r) "جdgف†\$n=تJ\$ك١
\$u\$Zr٢Jomur اذحب

{ لم يخرؤا عليها } ليس بنفي للخروج. وإنما هو إثبات له، ونفي للصمم والعمى، كما تقول: لا يلقاني زيد مسلما، هو نفي للسلام لا للقاء. والمعنى: أنهم إذا ذكروا بها أكبوا عليها حرصا على استماعها. وأقبلوا على المذكر بها وهم في إكبابهم عليها، سامعون بأذان واعية، مبصرون بعيون راعية، لا كالذين يذكرون بها فتراهم مكبين عليها مقبلين على من يذكر بها، مظهرين الحرص الشديد على استماعها، وهم كالصم العميان حيث لا يعونها ولا يتبصرون ما فيها كالمنافقين وأشباههم.

(٣١٨/٥)

ur-٢٢B \$uZد`u' =yd \$sYs9 ô/qà)tf \$sY٩ncq٢ ur#%!©%٢d٢tûi
%èh'èEur noحf"GدsY\$ &r

&مüôur\$ &r#_yèòsYù=٢ü)FكJù=د٢B\$B\$خ) اذحب

قرىء: "ذريتنا". وذريتنا و"قرة أعين"، و "قرات أعين". سألوا ربهم أن يرزقهم أزواجا وأعقابا عمالا لله، يسرون بمكانهم، وتقر بهم عيونهم. وعن محمد بن كعب: ليس شيء أقر لعين المؤمن من أن يرى زوجته وأولاده مطيعين لله. وعن ابن عباس رضي الله عنهما: هو

الولد إذا رآه يكتب الفقه. وقيل: سألوا أن يلحق الله بهم أزواجهم وذريتهم في الجنة ليتم لهم سرورهم. أراد: أئمة، فاكتمى بالواحد لدلالته على الجنس ولعدم اللبس، كقوله

تعالى: { ثم يخرجكم طفلاً } (غافر: ٦٧) أو أرادوا جعل كل واحد منا إماماً. أو أراد جمع آم، كصائم وصيام. أو أرادوا جعلنا إماماً واحداً لاتحادنا واتفاق كلتنا. وعن بعضهم: في الآية ما يدل على أن الرياسة في الدين يجب أن تطلب ويرغب فيها. وقيل: نزلت هذه الآيات في العشرة المبشرين بالجنة. فإن قلت: { من } في قوله: { من أزواجنا } ما هي؟ قلت: يحتمل أن تكون بيانية كأنه قيل: هب لنا قرّة أعين، ثم بينت القرّة وفسرت بقوله: من أزواجنا وذرياتنا. ومعناه: أن يجعلهم الله لهم قرّة أعين، وهو من قولهم: رأيت منك أسداً، أي: أنت أسد وأن تكون ابتدائية على معنى: هب لنا من جهتهم ما تقر به عيوننا من طاعة وصلاح. فإن قلت: لم قال { قرّة أعين } فنكر وقلل؟ قلت: أما التنكير فلاجل تنكير القرّة؛ لأن المضاف لا سبيل إلى تنكيره إلا بتنكير المضاف إليه، كأنه قيل: هب لنا منهم سروراً وفرحاً. وإنما قيل: { أعين } دون عيون؛ لأنه أراد أعين المتقين. وهي قليلة بالإضافة إلى عيون غيرهم. قال الله تعالى: { وقليل من عبادي الشكور } (سبأ: ١٣)، ويجوز أن يقال في تنكير { أعين } أنها أعين خاصة وهي أعين المتقين.

(٣١٩/٥)

7yح'~"ré&s9ژc÷ru"†gنspsù چن9\$ #yJ\$ /خ#r¹|y9
ژBدù Zpڈfur \$ygم=cqO)nژ
Bم(s)tGچxm #v،ف،ôMsYڈyz \$yg"#حژڈn=yTMur"J,\$
م(Bur\$YB\$s اذدب

المراد يجوزون الغرفات وهي العاللي في الجنة، فوحد اقتصاراً على الواحد الدال على الجنس، والدليل على ذلك قوله: { وهم في الغرفات آمنون } (سبأ: ٣٧) وقراءة من قرأ: في الغرفة { بما صبروا } بصبرهم على الطاعات، وعن الشهوات، وعن أذى الكفار ومجاهدتهم، وعلى الفقير وغير ذلك. وإطلاقه لأجل الشيع في كل مصبور عليه. وقرء: "يلقون" كقوله تعالى: { ولقاهم نضرة وسرورا } (الإنسان: ١١) ويلقون، كقوله تعالى: { يلق أئاماً } (الفرقان: ٦٨). والتحية: دعاء بالتعمير. والسلام: دعاء بالسلامة، يعني

أن الملائكة يحيونهم ويسلمون عليهم. أو يحيي بعضهم بعضاً ويسلم عليه أو يعطون التبكية والتخليد مع السلامة عن كل آفة. اللهم وفقنا لطاعتك، واجعلنا مع أهل رحمتك، وارزقنا

مما ترزقهم في دار رضوانك.

@#àst7÷ètف \$tB (è% /ن ٣خ / 'n1us' نà2 9 \$tòwqs9!مكث

|t\$ q /Ox. OçF)sù,ô%os)sù

م \$JB#u "bqà6tf ٩د اذذب {

(٣٢٠/٥)

لما وصف عبادة العباد، وعدد صالحاتهم وحسناتهم، وأثنى عليهم من أجلها، ووعدهم الرفع من درجاتهم في الجنة: أتبع ذلك بيان أنه إنما اكثر لأولئك وعباً بهم وأعلى ذكرهم ووعدهم ما وعدهم، لأجل عبادتهم، فأمر رسوله أن يصرح للناس، ويجزم لهم القول بأن الاكتراث لهم عند ربهم، إنما هذه للعبادة وحدها لا لمعنى آخر، ولولا عبادتهم لم يكثر لهم البتة ولم يعتد بهم ولم يكونوا عنده شيء يالي به. والدعاء: العبادة. و { ما يعبؤا بكم ربي لولا دعاؤكم فقد كذبتم فسوف يكون لزاما { متضمنة لمعنى الاستفهام، وهي في محل النصب، وهي عبارة عن المصدر، كأنه قيل: وأي عبء يعبأ بكم لولا دعاؤكم. يعني أنكم لا تستأهلون شيئاً من العبء بكم لولا عبادتكم. وحقيقة قولهم ما عبأت به: ما اعتدلت به من فواح همومي ومما يكون عبثاً علي، كما تقول: ما اكرثت له، أي: ما اعتدلت به من كوارثي ومما يهمني. وقال الزجاج في تأويل { ما يعبأ بكم ربي { أي: وزن يكون لكم عنده { ؟ ويجوز أن تكون { ما { نافية، { فقد كذبتم { يقول: إذا أعلمتكم أن حكمي أنني لا أعتد بعبادي إلا عبادتهم، فقد خالفتم بتكذيبكم حكمي، فسوف يلزمكم أثر تكذيبكم حتى يكبكم في النار. ونظيره في الكلام أن يقول الملك لمن (٣٢١/٥)

استعصى عليه: إن من عادتي أن أحسن إلى من يطيعني ويتبع أمري، فقد عصيت فسوف ترى ما

أحل بك بسبب عصيانك. وقيل: معناه ما يصنع بكم ربي لولا دعاؤه إياكم إلى الإسلام. وقيل: ما يصنع بعذابكم لولا دعاؤكم معه آلهة، فإن قلت: إلى من يتوجه هذا الخطاب؟

قلت: إلى الناس على الإطلاق، ومنهم مؤمنون عابدون ومكذبون عاصون، فخطبوا بما وجدوا في جنسهم من العبادة والتكذيب. وقرئ: "فقد كذب الكافرون" وقيل: يكون العذاب لزاماً. وعن مجاهد رضي الله عنه: هو قتل يوم بدر، أنه لوزم بين القتلى لزاماً. وقرئ: "لزاماً" بالفتح بمعنى اللزوم، كالثبات والثبوت. والوجه أن ترك اسم كان غير منطوق به

بعدها علم أنه مما توعد به، لأجل الابهام وتناول ما لا يكتفه الوصف، والله أعلم بالصواب.

عن رسول الله : (٧٨١) "من قرأ سورة الفرقان لقي الله يوم القيامة وهو مؤمن بأن الساعة آتية لا ريب فيها، وأدخل الجنة بغير نصب"
(٣٢٢/٥)